خلقت امرا عظيما فاصطاعته له ... يدلك على خزائن الارض النخعة من زاخنها ... ابن اتابك الملوك ... اللاث

وقتت فيه ... فريدة تؤمي برز حاجبي ... الاصول نظم ابن الحاجب ... الشعر ضيا ... في الكلام

فانه جرى حرمة الحنذلة ... ان الله ... كما اوجب للولد طاعة الوالد

خصوص المورد لا يخصص اللفظ العام ولا يقيد مطلقه كما قال ... كذلك اوجب عليهما الشفقة عليه

حتى سئل عن نجاسة ... ام لا ماء ... سئله عن ماء بئره ... الا ان اللفظ ...

لا ينجسه شيء الا ما غير لونه او طعمه او ريحه فان هذا ... ان كان ...

عاما شمل الحكم جميع مياه الابار ولذا قال بعض العلماء ... كالجاري طهور مطلقا لا تقبل التنجيس ...

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ۱۳۲۲
[illegible]

هذا مجلد الأول من كتاب ابن ميثم رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك اللهم وبحمدك توحدت في ذاتك فحسر عن ادراكك لسان كل عارف وتفردت في صفاتك فقصر عن مدحك لسان كل واصف ظهرت في بدائع جودك فشهدت بوجوب وجودك خاطر كل فاضل وبهرت بعز جلالك فالكل في نور جلالك مضمحل باطل احاط علمك فلم يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وتعددت الاؤك فتحددت انواعها حد التحديد والاحصاء خلقت الدنيا معبرا واستعدت فيه خلقك للسباق الى حضرة قدسك وايدتهم بالرسل ليسلكوا بهم افضل السبل الى بساط انسك وبينت كلا لما خلق له فبعض لنعمائك منكرون وعن عبادتك مستكبرون وبعض بضروب احسانك معترفون وعلى باب كعبة جودك معتكفون سبحانك انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون سبحانك عما يقول الظالمون وتعاليت عما يصفون اسبحك بلسان الحال والمقال بالعشي والابكار واحمدك على كل حال اناء الليل واطراف النهار واشهد ان لا اله الا انت حاذفا كل ما سواك عن درجة الاعتبار مخلصا بجلال وجهك في طوري الاعلان والاسرار واشهد ان محمدا عبدك المختار وصفوة انبيائك الاطهار الذي بعثته بالانوار الساطعة وايدته بالبراهين والحجج القاطعة وجعلته للعالمين بشيرا ونذيرا وداعيا اليك باذنك وسراجا منيرا اللهم فصل عليه صلوة دائمة نامية وافية كافية ما تعاقبت الاوقات ودامت الارض والسموات وعلى آله الطاهرين المنتجبين ينابيع الحكمة واساطين الدين وعلى اصحابه الاكرمين وسلم عليهم اجمعين **اما بعد** فلما كان المقصود الاول من بعثة الانبياء والرسل بالكتب الالهية والنواميس الشرعية انما هو جذب الخلق الى الواحد الحق ومعالجة نفوسهم من داء الجهل وعشق هذه الدار والتفاتها الى حظائر القدس ومنازل الابرار وحمايتها ان ترد موارد الهلاك اذ كانت من ذلك على خطر وتشويقها الى ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وتنبيهها من مراقد الطبيعة ونوم الغافلين بتذكير ما اخذ عليها من العهد القديم الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ثم ما يلزم ذلك المقصود من تدبير احوال المعاش البدني وسائر اسباب البقاء النوعي الانساني وكان امامنا سيد الوصيين والآيات الباهرة والانوار الظاهرة علي بن ابي طالب في جميع ما ورد عنه من الكلام وصدر عنه من الافعال والاحكام قاصدا لجميع ما تضمنه الشرع الكريم من الاغراض والمقاصد باسط لما اشتمل عليه القرآن الحكيم من القوانين والقواعد حتى لن توجد له كلمة في غير هذا السبيل كما ستبين ذلك عن قليل ونوضحه بالتفصيل فلا جرم كان كلامه الكلام الذي عليه مسحة من الكلام الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي ولم يزل كلامه عليه السلام مبددا في صدور الرواة منتشرا في ايدي المهتدين والغواة تحاول اعداؤه ان يخفى مشهوره ويابى الله الا ان يتم نوره الى ان عضد الله الاسلام بوجود السيد

الامام الرضي الشريف محمد بن الحسين الموسوي قدس الله سره ونور ضريحه فاجتنى من كلامه جنة الزهرات وجمع منه ما كان في حيز الشتات والغ في تدوين محاسنه بقدر الاستطاعة وسمى مجموعه نهج البلاغة فجاء الاسم وفق المسمى واللفظ طبق المعنى فجزاه الله عن العلماء خير الجزاء وحباه من وظائف الفضل اجزل الحباء ثم اني لما كنت عبدا من عباد الله اتاني رحمة من عنده وملكني قوة اسلك بها سبيل قصده وكنت قد جعلت هذا الكتاب بعد كتاب الله وكلام رسوله مصباحا استضيء به في الظلمات وسلما اعرج به الى طباق السموات كنت في اثنا وقوفي على شيء من اسراره والتحاقي بسواطع انواره انأسف على من يعرض عنه جهلا واتلهف ان لا اجد له اهلا الى ان قضت صروف الزمن بمفارقة الاهل والوطن واوجبت تقلبات الايام دخول دار السلام فوجدتها نزهة للناظر واية الحكيم القادر بانتهاء احوال تدبيرها والقاء مقاليد امورها الى من خصه الله تعالى باشرف الكمالات الانسانية وملكه ملكات الفضائل النفسانية فهو الذي شملت طبيعته من طينة الفضل حين تنتسب فالعلم والجود والشجاعة والعفة والعدل منه بكتب ثم هو من سخره الله لاستكفاء امور عباده وبلاده وجعلها مطاوعة لانقياده فاوامره الغالبة تسري فيها مسري الارواح في الاجسام وآراؤه الصائبة تجري فيها مجرى الصحة بعد السقام الذي جاز اعلى المناقب ففاز باسنى المطالب وسما بهمته الثواقب فامن غوائل العواقب الذي بدرت اقمار العلوم بدولته السعيدة بعد الافول في غيابات الجهالة وسطع صبح الحق بطلعته الحميدة من افق الضلالة ورفع ذيول ظلام الظلم فجر عدله و ازهرت روض الرغائب بفيض سحائب فضله المشيد لاركان الاسلام بعد التداعي للانهدام المجدد من آثار الايمان ما محاه طوفان الطغيان صاحب ديوان الممالك السالك الى اقرب المسالك علاء الحق والدين عطاملك بن الصاحب المعظم والمولى المكرم الفائز بلقاء رب العالمين ومجاورة الملائكة المقربين بهاء الدنيا والدين محمد الجويني ضاعف الله جلاله وخلد اقباله وحرس عزه وكماله وايد فضله وافضاله وفسح في عمره وامده بتوفيقه وشد ازره بدوام عز صنوه وشقيقه الذي فاق ملوك الآفاق بعلو القدر وكمال العز والفخر وصيانة العلم والادب وتدانة العقل والحسب الذي ملأ الاسماع بجميل اوصافه وافاض معين الاطماع بجزيل الطافه واسنى بها طل وابل بذله ما قيل من قبله في الكرم واهله **شعر** هو البحر من اي النواحي اتيته فلجته المعروف والجود ساحله تعود بسط الكف حتى لو انه ثناها لقبض لم تطعه انامله ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله ثم هو من جمع الله له بين الحكمة والسلطان وزاده بسطة في المرتبة وعلو الشان ذو النفس القدسية والخلافة الانسية والاعراق الزكية والاخلاق الرضية والهمم الابية والمقاصد السنية مولى ملوك العرب والعجم ديوان ممالك العالم شمس الحق والدين غياث الاسلام والمسلمين محمد بلغه الله اقصى مراتب الكمال وبلغه بلوغ الآمال في الحال والمآل فانهما الهداة الاشد بيدان مشرقان يستضاء بانوارهما وبحران زاخران يغترف من تيارهما وطودان شامخان يستعاذ باظلالهما وعمادان يقوم بهما في الوجود اركان الايمان وصارمان يصول بهما الدين القيم على سائر الاديان فجزاهما الله عن الاسلام واهله افضل جزاء المحسنين وخصهما من وظائف فضله باكمل ما اعده لعباده الصالحين وقرن سعادتهما بالدوام والاستمرار وعضد آرائهما بمطاوعة الاقضية والاقدار وصان دولتهما عن حوادث الايام وآفاتها وجعل نتائج اعمال اعدائهما تابعة لاخس مقدماتها هذا ولما اتفق اتصالي بخدمته وانتهيت الى شريف حضرته احلني من انسه محلا الهى النفس عن اشتهى مآربها واطرى من سحائب جوده نعماء تشبه الصور القائمة من واهبها فاجرى في بعض محاوراته الكريمة من مدح هذا الكتاب وتعظيمه وتفضيله وتفخيمه ما علمت معه انه اهله الذي كنت اطلب والعالم بقدره ومحله من بين الكتب و توسمت في تضاعيف ذلك تشوق خاطره المحروس الى كشف حقائقه والوقوف على اسراره ودقائقه فاحببت ان اجعل شكري لبعض نعمه السابغة ومننه المتوالية المتلاحقة ان اخدم سامي مجلسه بتهذيب شرح مرتب على القواعد الحقيقية مشحون بالمباحث اليقينية ابنه فيه على ما لاح لي من رموزه واكشف ما ظهر لي من دفائنه وكنوزه وقد سبقني الى شرح هذا الكتاب جماعة من اولي الالباب والنقاد المسدد للصواب بميز القشر من اللباب والسراب من الشراب وشرعت في ذلك بعد ان عاهدت الله سبحانه اني لا انصرف فيه عما هو الحق ولا ارتكب هوى لمراعاة احد من الخلق فان وافق الراي الاعلى فذلك هو المقصد الاقصى والا فالعذر ملتمس مسؤل والعفو منه مأمول والرغبة الى اهل الفضل في سد ما يجدونه من خلل وستر ما يقفون عليه من زلل فاني مع ضعف جناحي عن سلوك هذا المطار الذي هو مسرح نفوس الاولياء الابرار ومجال انظار الحكماء الكبار مقتحم الافكار راكب لمطايا الاسفار وعلى الله قصد السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل وقبل الخوض في المطلوب لا بد من تقديم مقدمة تستعان بها على ما عسى ان ذكره من المباحث في هذا الشرح ان شاء الله تعالى اما **المقدمة** فاعلم ان كلامه عليه السلام يشتمل على مباحث عظيمة تتشعب عن علوم جليلة يحتاج المتصدي للخوض فيه وفهم ما يشرح منه بعد جودة ذهنه وصفاء قريحته الى تقديم ابحاث تعينه على الوصول الى تلك المقاصد ولما اثره عليه السلام مقاصده في الفاظ خطابية اما منطوق بها او مكنو به تعين ان ذكر من مباحث الالفاظ قدر ما تمس الحاجة اليه ثم اشير الى بيان معنى الخطابة وما يتعلق بها ليكون ذلك معينا للناظر في كلامه على ملاحظة فوائده وضبط اغراض اسراره وحقائقه ثم الحق ذلك بالاشارة الى ما يتعلق به عليه السلام من الفضائل

جرم رتبت هذه المقدمة على ثلث قواعد **القاعدة الأولى** في مباحث الألفاظ وهي مرتبة على قسمين **القسم الأول** في
دلالة الألفاظ وأقسامها وأحكامها وفيه فصول **الفصل الأول** في دلالة اللفظ على المعنى وفيه ابحاث **البحث الأول**
دلالة اللفظ اما على تمام مسماه او على جزء مسماه من حيث هو جزءه او على الامر الخارج عن مسماه اللازم له في الذهن من حيث هو لازم
له والدلالة الأولى هي دلالة المطابقة كدلالة لفظ الانسان على الحيوان الناطق والثانية دلالة التضمن كدلالته على الحيوان وحده
او على الناطق وحده والثالثة دلالة الالتزام كدلالته على الضاحك واحترزنا في الدلالتين الاخيرتين بقولنا من حيث هو جزءه ومن
حيث هو لازم عن دلالة اللفظ على جزء المسمى او على لازمه بحسب الاشتراك اللفظي بيانه انه اذا جاز ان يوضع اللفظ الواحد للمعنى
ولجزئه كلفظ الممكن مثلا للممكن الخاص والعام وللمعنى ولازمه كلفظ الشمس على جرم الشمس والنور اللازم عنه فلو اقتصرنا في
تعريف دلالتي التضمن والالتزام على التعريفين المذكورين دون هذين القيدين لشمل ذلك دلالة المطابقة على تقدير وضع اللفظ
لجزء المعنى او لازمه كما هو موضوع له اذ كانت ايضا دلالة اللفظ على جزء مسماه وعلى لازم مسماه **البحث الثاني** الدلالة
الأولى هي التي بحسب الوضع الصرف واما الباقيتان فزعم الامام فخر الدين وجماعة من الفضلاء انهما عقليتان وفيه نظر لانهم
ان ارادوا انهما حاصلتان عن صرف العقل من دون مشاركة الوضع فهو باطل لانه لولا ارتسام المعنى في الذهن عن اللفظ لما
حصلت هاتان الدلالتان وايضا فانهم صرحوا بانهما من دلالات الالفاظ فلا يمكن مع ذلك دعوى حصولها عن مجرد العقل وان
ارادوا بذلك ان الذهن عند تصور المعنى من لفظه ينتقل منه الى جزئه او الى لازمه فهو حق وح تكون هاتان الدلالتان مركبة من
الوضع والعقل ثم انهما مستلزمتان للدلالة الوضعية من غير عكس لجواز تخلو الماهية عن التركيب وعن اللازم البين ولا يجب
ان تلزم احديهما الاخرى لما مر **البحث الثالث** ظهر مما ذكرنا انه يعتبر في الدلالة التضمنية المعنى المدلول عليه بالمطابقة
مركبا واما في الالتزامية فالمعتبر فيه كونه ملزوما في الذهن لامر بين الثبوت له اذ لولا اللزوم الذهني لم يفهم عند اطلاق اللفظ
المعنى الخارج عن الماهية لعدم الوضع بازائه وعدم انتقال الذهن عن موضوعه اليه فلم يكن دالا عليه اذ المراد بدلالة اللفظ على
فهمه عند الاطلاق بالنسبة الى من يعلم الوضع ولا يعتبر اللزوم الخارجي لجواز دلالة اللفظ على ما يلزم مسماه في الخارج اذ لزم منه
تصور مسماه كدلالة لفظ عدم الملكة عليها كلفظ العمى على البصر ثم اللزوم الذهني ليس موجبا لانتقال الذهن من الملزوم الى لازمه
اذ ليس هو تمام ما يتوقف عليه الدلالة الالتزامية بل لا بد من تصور الملزوم اولا وذلك متوقف على وضع اللفظ بازائه والعلم
بالوضع وسماع اللفظ او حضوره بالبال فهو اذن احد الشروط المعتبرة لتصور اللازم **البحث الرابع** دلالة الحقيقة هي الدلالة
الوضعية الصرفة واما الباقيتان فليستا بحقيقيتين وهو ظ ولا مجازيتين ايضا لان من شرط المجاز استعمال اللفظ في غير ما وضع
له استعمالا مقصودا بالذات وهاتان الدلالتان قد يحصلان من استعمال اللفظ في غير مسماه حصولا عرضيا لان
الذهن قد ينتقل عند اطلاق اللفظ لارادة مسماه الى جزئه او الى لازمه انتقالا عرضيا وكذلك الى جزء جزئه والى لازم لازمه
مراتب كثيرة ومعلوم ان اللفظ اطلق لارادة مسماه واستعمل فيه بالذات لا فيما انتقل الذهن اليه من الاجزاء واللوازم وان كانت له
سببية في ذلك الانتقال فلم تكن الدلالة بواسطة اللفظ محصورة في الحقيقة والمجاز نعم استعمال اللفظ الموضوع واطلاقه بالذات
لارادة المعنى لا بد من ان يكون حقيقيا او مجازيا **الفصل الثاني** في تقسيم الالفاظ وفيه ابحاث **البحث الاول**
اللفظ اما ان لا يراد بالجزء منه دلالة اصلا على شيء وهو المفرد او يراد بالجزء منه دلالة على شيء وهو المركب لا يقال هذا منقوض
بعبد الله وما يجري مجراه فانه مفرد مع ان كل واحد من اجزائه دال لانا نقول قد يراد بالجزء من عبد الله وامثاله دلالة وح لا نسلم انه
بذلك الاعتبار يكون مفردا بل مركب وقد لا يراد به الدلالة فيكون مفردا فاذا قلنا في رسمه انه الذي لا يراد بالجزء منه دلالة اصلا
كان ذلك معيارا لكل لفظ بالنسبة الى مراد اللافظ به فكل لفظ لا يقصد بجزئه دلالة كان مفردا وهذا هو الرسم القديم للمفرد و
المركب وقد تبين انه لا حاجة فيه الى القيد الذي زاده المتأخرون وهو قولهم من حيث هو جزءه فان الرسمين متساويان **البحث
الثاني** اللفظ المفرد اما ان يكون نفس تصور معناه مانعا من وقوع الشركة فيه وهو الجزئي او غير مانع وهو الكلي اما الجزئي
فيقال بمعنيين احدهما ما ذكرناه ويختص باسم الجزئي الحقيقي والثاني انه كل اخص تحت اعم والفرق بينهما ان الاول غير مضاف ولا
كلي والثاني مضاف الى ما فوقه وقد يكون كليا فاما الكلي فاما ان يعنى به نفس الحقيقة التي لا يمنع تصورها وقوع الشركة فيسمى
كليا طبيعيا او النسبة التي تعقل لها بالقياس الى جزئياتها المعقولة وتسمى تلك النسبة كليا منطقيا او المجموع المعقول من الحقيقة
والنسبة العارضة لها ويسمى كليا عقليا ثم للكلي اعتبارات ستة وذلك لانه اما ان يكون ممتنع الوجود او ممكنه والاول كشريك
الاله والثاني اما ان لا يعرف وجوده او يعرف فالاول كجبل من ياقوت وبحر من زيبق والثاني اما ان يمنع ان يكون في الوجود
منه اكثر من واحد ويمكن والاول كالاله تعالى والثاني اما ان يكون في الوجود واحد منه فقط وان جاز وجود مثله او اكثر من واحد

والاول كالشمس عند من يجوز وجود مثلها والثاني اما ان يكون الموجود منه اشخاصا كثيرة متناهية وغير متناهية والاول كالكواكب و
الثاني كاشخاص الانسان **البحث الثالث** الكلي اما ان يدل على ماهية شيء او على ما يكون داخلا فيها او على ما يكون خارجا
عنها اما الدال على الماهية فاما على ماهية شيء واحد او على ماهية اشياء كثيرة والاول اما ان يكون كليا او جزئيا والثاني اما ان تكون
تلك الاشياء مختلفة الحقائق او متفقة الحقائق فهذه اقسام اربعة الاول هو المقول في جواب ما هو بحسب الخصوصية المطلقة كالجواب
بالحد والثالث هو المقول في جواب ما هو بحسب الشركة المطلقة والثاني والرابع هو المقول في جواب ما هو بحسب الشركة والخصوصية معا مثال الاول
قولنا في جواب من يسال فيقول ما الانسان انه حيوان ناطق فخصوصية هذا الجواب ليست لغير الانسان اذ لا يشاركه في حده غيره والثالث
كقولنا في جواب من يسال عن جماعتهم انسان وفرس وثور ما هم انها حيوانات اذ كان هذا الجواب كمال الجزء المشترك بينها فهو اذن
مقول بالشركة المطلقة والثاني والرابع كقولنا في جواب من يسال عن زيد وحده ما هو انه انسان او عن جماعتهم زيد وعمرو وخالد ما هم
انهم اناس فيكون الجواب في الموضعين واحدا وهو بحسب الخصوصية والشركة معا اذ كل ما لكل واحد منها من الاجزاء حاصل للاخر ولان
خصوصية هذا الجواب ليست لغير المسؤول عنه واما الدال على جزء الماهية فاما ان يدل على كمال الجزء المشترك بينها وبين غيرها وهو الجنس
القريب او على كمال الجزء المميز لها وهو الفصل القريب او على ما يتركب منها وهو النوع او لا على واحد من هذه فيكون ذلك جزء الجزء
وهو اما جنس الجنس او جنس الفصل او فصل الجنس وفصل الفصل كما هو مذكور في مظانه واما الدال على الخارج عن الماهية فيختص
باسم العرضي واعتباره من وجهين احدهما انه اما ان يكون لازما او لا يكون والثاني هو العارض والاول اما ان يكون لازما للماهية
او للوجود والاول اما ان يكون بينا للماهية كالفردية للثلثة او غير بين كالتساوي للمجسم الثاني كالسواد للغراب واما العارض فاما
سريع الزوال كالقيام والقعود او بطيئه كالشباب الوجه الثاني العرضي اما ان يختص بنوع واحد لا يوجد لغيره وان عم افراده او لم
يعم ويسمى خاصة كالضاحك للانسان بالقوة والفعل او لا يختص به بل يعم وغيره ويسمى عرضا عاما كالماشي للانسان **البحث
الرابع** اللفظ والمعنى اما ان يتحدا او يتكثرا او يتكثر اللفظ ويتحد المعنى او بالعكس اما الاول فمعناه اما ان يكون كليا او جزئيا
فان كان الاول فاما ان يكون نسبته الى افراده المعقولة بالسوية وهو المتواطي كالانسان بالنسبة الى اشخاصه او لا بالسوية بل في بعضها
اول واولى او اشد او اضعف وهو المشكك كلفظ الوجود والثاني هو العلم كزيد والثاني الاسماء المتباينة سواء انفصلت مفهوماتها
كالانسان والفرس او تواصلت على ان بعضها اسم للذات والاخر اسم للصفة كالسيف والصارم او على ان بعضها اسم للصفة
والاخر لصفة الصفة كالناطق والفصيح والثالث الاسماء المترادفة سواء كانت من لغة واحدة كالليث والاسد او من لغتين كالماء
وآب واما الرابع فاما ان يكون قد وضع اللفظ اولا لاحد المعنيين ثم نقل منه الى الاخر او وضع لهما معا اما الاول فذلك النقل
ان كان لا لمناسبة بين المعنيين فهو مرتجل وان كان لمناسبة فاما ان يكون دلالة اللفظ على المنقول اليه بعد النقل اقوى من دلالته
على المنقول عنه او لا يكون فان كان الاول سمي اللفظ بالنسبة الى المنقول اليه منقولا فان كان الناقل هو الشارع سمي
شرعيا كالصلوة والزكوة او اهل العرف ويسمى عرفيا سواء كان العرف العام كالدابة للفرس بعد وضعها لكل ما يدب وكالغائط للفضلة
الخارجة من الانسان عن وضعها للمكان المطمئن او الخاص كالاصطلاحات الخاصة بطائفة طائفة من اهل العلم مثلا كالرفع والنصب
والجر عند النحاة وكالجمع والفرق والقلب عند الفقهاء وكالموضوع والمحمول والجنس والفصل عند المنطقيين وامثاله واما ان لم يكن دلالته
على الثاني اقوى فاما ان يتساوى بالنسبة اليهما عند الفهم او يكون في الاول اقوى فان كان الاول كان ذلك لفظا مشتركا وان
كان الثاني كان اللفظ بالنسبة الى الاول حقيقة والى الثاني مجازا اما اذا كان اللفظ موضوعا لهما معا فاما ان يتساوى
دلالته عليهما عند الفهم او ترجح في احدهما فان كان الاول سمي اللفظ بالنسبة اليهما مشتركا وبالنسبة الى كل واحد منهما مجملا لان كون اللفظ
موضوعا لكل واحد منهما هو الاشتراك وكونهما بحيث لا يدرى عين المراد منهما هو الاجمال **تذنيب** ظهر من هذا التقسيم ان
الاقسام الثلثة الاولى مشتركة في انها ليست بمشتركة فكانت نصوصا واما الرابع فله اعتبارات ثلثة احدها اعتبار كونه افاد ترجيح
في بعض مفهوماته وبذلك يسمى ظاهرا والثاني اعتبار كونه مرجوحا في المفهوم المقابل للراجح وبذلك يسمى مأولا والثالث كونها
متساويا بالنسبة الى المفهومين بحيث لا يدرى المراد منهما وبذلك يسمى مجملا فالرجحان اذن قدر مشترك بين الظاهر والنص وعدم
الرجحان قدر مشترك بين المجمل والماول فيسمى المشترك الاول محكما والثاني متشابها **البحث الخامس** اللفظ المفرد اما ان لا
يستقل معناه بالمفهومية او يستقل والاول هو الحرف والثاني فاما ان يستلزم معناه الوقوع في احد الازمنة الثلثة المعينة
وهو الفعل او لا يستلزم وهو الاسم وهو اما ان يدل على معنى هو نفس الزمان او على جزء الزمان كاليوم والغد او على معنى جزئه
الزمان كالصبوح والغبوق او لا على واحد منها وهو اما ان يكون اسما لجزئي مشخص فان كان مضمرا فهو المضمرات او مظهرا
فهو العلم كما مر وان كان اسما لكلي فاما ان يكون اسما لنفس الماهية كلفظ السواد وهو المسمى باسم الجنس في اصطلاح النحاة او لا

ما له صفة كذا وهو الاسم المشتق كلفظ الضارب فان مفهومه انه امر ما له صفة الضرب **البحث السادس** اللفظ المركب اما ان يكون قابلا للتصديق والتكذيب لذاته وهو الخبر او لا لذاته وهو اما ان يكون مفيدا لطلب شيء افادة اولية او ليس والاول ان كان على طريقة الاستعلاء فهو الامر وان كان على طريق التساوي فهو الالتماس وان كان على طريق الخشوع والتضرع فهو السؤال والثاني هو التنبيه ويدخل فيه التمني والترجي والقسم والنداء **البحث السابع** اللفظ قد يكون مدلوله لفظا مفردا او مركبا وعلى التقديرين فاما ان يدل على معنى او لا يدل فهذه اقسام اربعة الاول لفظ مفرد دال على معنى مفرد كلفظ الكلمة والاسم والفعل والحرف والثاني لفظ مفرد دال على لفظ مركب دال على معنى مركب كلفظ الخبر والكلام والقول الدال على قولنا زيد كاتب الدال على معناه الثالث لفظ مفرد دال على لفظ مفرد غير دال على معنى كقولنا ا ب وسائر حروف المعجم الرابع لفظ مفرد دال على لفظ مركب غير دال كلفظ الهذيان والهذر **البحث الثامن** اللفظ المفرد اذا دل بالالتزام على معنى فذلك المعنى اما ان يكون شرطا للمدلول عليه بالمطابقة او تابعا له والاول نسمى دلالة الاقتضاء وتلك الشرطية اما عقلية كشرطية نصب السلم لصعود السطح عند الامر به او شرعية كشرطية الوضوء للصلاة عند الامر بها واما التابع فكتعلق الحكم المذكور لشيء على تخصيصه بذكره من غيره عند من يقول به فان معنى التخصيص مستلزم للنفي المذكور وكذا اللفظ المركب اذا استلزم تركيبه معنى فاما ان يكون من متممات المعاني المذكورة بالمطابقة او من توابعها والاول كدلالة تحريم التافيف على تحريم الضرب واما الثاني فكاستلزام قوله تعالى فالان باشروهن الى قوله حتى يتبين لكم الخيط الابيض لعدم فساد صوم من اصبح جنبا والا لحرم الوطي في اخر جزء من الليل بحيث يتسع للغسل وبالله التوفيق **الفصل الثالث** في الاشتقاق وفيه ابحاث **المبحث الاول** في حقيقة الاشتقاق الاشتقاق اخذ احد اللفظين من الاخر لمشاركة بينهما في الاشتمال على المعنى والحروف الاصلية واركان الاشتقاق اربعة الاول اسم موضوع لمعنى الثاني شيء اخر له نسبة الى ذلك المعنى الثالث مشاركة بين الاسمين في الحروف الاصلية الرابع تغيير يلحق الاسم الثاني اما في حروف فقط او في حركة فقط او فيهما معا وكل واحد من هذه الاقسام فاما بالزيادة وحدها او بالنقصان وحده او بهما وظن الامام ان الحاصل من هذه القسمة تسعة اقسام فقط وهو سهو بتحققه عند الاعتبار بان الحاصل منها خمسة عشر قسما ا زيادة الحرف ب زيادة الحركة ج زيادتهما معا د نقصان الحرف ه نقصان الحركة و نقصانهما معا ز زيادة الحرف مع نقصانه ح زيادة الحرف مع نقصان الحركة ط زيادة الحرف مع نقصانهما ي زيادة الحركة مع نقصانها يا زيادة الحركة مع نقصان الحرف يب زيادة الحركة مع نقصانهما يج زيادتهما مع نقصان الحرف يد زيادتهما معا مع نقصان الحركة يه زيادتهما معا مع نقصانهما معا فهذه هي الاقسام الممكنة وعلى اللغوي طلب الامثلة **البحث الثاني** اختلف الناس في انه هل يجوز صدق المشتق منفكا عن صدق المشتق منه ام لا والحق انه يجوز لنا ان الاشتقاق يكفي فيه ادنى ملابسة بين المشتق والمشتق منه فلا يشترط صدقه على ما يصدق عليه المشتق فان المهلك والمميت والضار والمذل مما يصدق على ان الله تعالى مع ان الامور المشتق منها وهي الهلاك والموت والضرر والذل غير صادقة ولا جائزة عليه لا يقال المشتق مركب من المشتق منه ومن شيء اخر ونفي صدق المركب صدق كل واحد من اجزائه لانا نقول لا نسلم ان المشتق منه من حيث هو مشتق منه جزء من المشتق والحاصل فيه شيء من اجزائه وهي الحروف الاصلية وبعض الحركات فانا بينا ان المشتق لا بد وان يلحقه تغيير باحد الوجوه المذكورة والقدر المتغير منه لا شك انه كان معتبرا في حقيقة المشتق منه فبعد التغيير تنتفي تلك الحقيقة فلم يلزم من صدق نفيها حال صدق المشتق **البحث الثالث** اختلفوا ايضا في انه هل يشترط في صدق المشتق صدق المعنى المشتق منه حال الاطلاق ام لا والحق انه لا يشترط لوجوه احدها انا نعلم بالضرورة اطلاق اهل اللغة لفظ المشتق على الشيء حال لا يكون وجه الاشتقاق كاطلاقهم لفظ القاتل في الحال على من فعل القتل فيما قبل الثاني ان الضارب مثلا هو من حصل منه الضرب ولا شك ان ملابسته فعلية وهو اعم من حصوله له في الحال وفي الماضي لامكان تقسيمه اليهما ولا يلزم من نفي الخاص نفي العام فلا يلزم من نفي الضرب في الحال نفي مطلق الضرب فلا يلزم من صدق المشتق بقاء وجه الاشتقاق الثالث ان المشتقات من المصادر السيالة كالمتكلم والمخبر لا يمكن بقاء وجه الاشتقاق فيها فان الانسان حال ما يتكلم بالحرف الثاني فات الحرف الاول فلا يمكن تحقق مهية الكلمة في الخارج فضلا ان يقال انها تبقى مع انها صادقة بالاتفاق لا يقال الضارب مثلا بعد انقضاء الضرب يصدق عليه انه ليس بضارب في الحال وقولنا ليس بضارب جزء من قولنا ليس بضارب في الحال ومتى صدق المركب صدق كل واحد من اجزائه فاذن صدق عليه انه ليس بضارب فوجب ان لا يصدق عليه انه ضارب لتناقضهما في العرف لانا نقول ان كانت القضيتان موقتتين منعنا التناقض في العرف والحقيقة لان المكذب لقولنا انه ليس بضارب في الحال قولنا انه ضارب في الحال ونحن ما ادعينا صدق قولنا انه ضارب في الحال بل انه في الحال يصدق عليه انه ضارب ولا تناقض

لعدم اتحاد الوقت وان كانتا مطلقتين فدعوى التناقض ما حقيقة وهو ظاهر الفساد لان المطلقتين لا تتناقضان عرفا وهو ايضا ممنوع وبتقدير تسليمه نمنع صدق قولنا بعد انقضاء الضرب انه ليس بضارب لصدق قولنا في تلك الحال انه ضارب وتناقضهما عرفا وبالله التوفيق **البحث الرابع** اختلفوا ايضا في ان المعنى القائم بالمحل هل يجب ان يشتق منه اسم ام لا والحق ان يقال المعاني ان لم يكن لها اسماء كانواع الروائح لم يجب ذلك فيها وان كان لها اسماء لم يجب ايضا ان يشتق لمحالها منها اسماء وهل يجوز ان يشتق لغير محالها منها اسماء ام لا والحق جوازه في الموضعين خلافا لقوم من الاشعرية فانهم قالوا يجب الاشتقاق منها لمحالها ولا يجوز لغيرها لنا ان الجواز متفق عليه واما الجواب وتخصيصه بالمحل فلم يذكر الخصم فيه دليلا واما جواز الثاني فلان الاشتقاق يكفي فيه ادنى ملابسة فان المشتق هو شيء ما ذو المشتق منه ولفظة ذو لا يقتضي الحلول ومن الامثلة المشهورة اللابن والتامر فانهما مشتقان من اللبن والتمر وهما غير قائمين بذات المشتق له **البحث الخامس** مفهوم المشتق كالماشي مثلا انه شيء ماذو مشي فاما ذات الشيء فغير داخل في مفهومه وان علم فانما يعلم بطريق الالتزام برهانه انك تقول الماشي حيوان فلو كان مفهوم الماشي انه حيوان ذو مشي لكان ذلك بمنزلة قولك الحيوان ذو المشي حيوان وهو هذر بل انما يعلم كونه حيوانا بدليل من خارج وبالله التوفيق **الفصل الرابع** في الترادف والتوكيد وفيه ابحاث **البحث الاول** في ماهيتهما اما الترادف فهو كون لفظين مفردين او ما زاد عليهما بالوضع على معنى واحد باعتبار واحد بالافراد احترزنا عن الاسم والحد وباعتبار واحد عن اللفظين الدالين على شيء واحد باعتبارين كالصارم والسيف او باعتبار الصفة وصفة الصفة كالناطق والفصيح فانهما متباينة واما التاكيد فهو تقوية ما يفهم من اللفظ بلفظ اخر وللامام فخر الدين رحمه الله هنا في هذا المقام اذ حد التاكيد بانه اللفظ الموضوع لتقوية ما يفهم من لفظ اخر ولم يفرق بين التوكيد وبين نفس المؤكد وهو غلط **البحث الثاني** في اسباب الترادف فانه يجوز وقوع الالفاظ المترادفة من واضع واحد ويجوز وقوعها من واضعين ويشبه ان يكون الاول اقل وجودا وله سببان الاول التسهيل والاقدار على الفصاحة لانه ربما يمتنع وزن البيت وقافيته مع بعض اسماء الشيء دون اسمه الاخر وربما حصلت رعاية السجع والمقلوب والجنس وسائر اصناف البديع مع بعض اسماء الشيء ولا يحصل مع الاخر الثاني التمكن من تادية المقصود باحدى العبارتين عند الغفلة عن الاخرى واما الثاني وهو السبب الاكثري فيجوز ان يصطلح احدى القبيلتين على اسم للشيء غير الاسم الذي اصطلحت عليه القبيلة الاخرى ثم يشتهر الوضعان بعد ذلك معا **البحث الثالث** انه هل يصح اقامة كل واحد من المترادفين مقام الاخر ام لا الظاهر في بادي الراي ذلك لان المترادفين هما اللذان يفيد كل منهما عين فائدة الاخر فلما صح ان يضم المعنى المدلول عليه باحد اللفظين الى معنى اخر فلا بد وان ينبغي الصحة حال ما يدل عليه باللفظ الثاني لان صحة الاقتران من عوارض المعاني وفيه نظر لان صحة الاقتران كما يكون من عوارض المعاني قد تكون من عوارض الالفاظ فانك لو بدلت لفظ من بمرادفه من الفارسية لم يصح فكان هذا الامتناع من قبل الالفاظ ايضا قال الامام فخر الدين واذا عقل ذلك في لغتين فلم لا يجوز مثله في لغة واحدة والحق انه يصح اقامة احد المترادفين مقام الاخر بشرطين احدهما ان يكونا من لغة واحدة والثاني ان يتساويا في فهم المعنى منهما حال التخاطب بهما او نهي بالمتساويين **تذنيب** اذا كان احد المترادفين اظهر في الاستعمال عند قوم كان الجلي بالنسبة الى الخفي شرحا له وربما انعكس الامر بالنسبة الى قوم اخرين **البحث الرابع** في اقسام التوكيد المؤكد اما ان يكون متقدما على المؤكد او متاخرا عنه والاول كصيغة ان وما في حكمها مما يدخل على الجمل واما الثاني فاما ان يؤكد الشيء بنفسه او بغيره والاول كقوله عليه السلام والله لاغزون قريشا ثلثا والثاني اما ان يختص بالمفرد كلفظ النفس والعين او المثنى ككلا وكلتا او الجمع كاجمعون واكتعون وابتعون وابصعون وكل هي ام الباب **البحث الخامس** في حسن استعماله والخلاف فيه مع الملاحدة الطاعنين في الوحي والنزاع اما في الجواز وهو معلوم بالضرورة لان شدة اهتمام القائل بالكلام يدعوه الى تاكيده واما في الوقوع وهو ايضا معلوم من اللغات بعد تصفحها وهو وان كان حسنا الا انه اذا تعارض حمل الكلام على التاكيد او على فائدة زائدة وجب صرفه الى الفائدة الزائدة **الفصل الخامس** في المشترك وفيه ابحاث **البحث الاول** في حقيقته وامكانه ووجوده اما حقيقته فهو اللفظ الواحد الموضوع لحقيقتين مختلفتين او اكثر وضعا اولا من حيث هو كذلك وقولنا موضوع لحقيقتين مختلفتين احتراز عن الاسماء المفردة وقولنا وضعا اولا احتراز عما يدل على الشيء بالحقيقة وعلى غيره بالمجاز وقوله من حيث هو كذلك احتراز عن اللفظ المتواطي فانه يتناول الماهيات المختلفة لكن لا من حيث هي مختلفة بل من حيث انها مشتركة في معنى واحد واما امكانه فمن وجوه احدها ان الوضع تابع لغرض المتكلم وقد يكون للانسان غرض في تعريف غيره شيئا على التفصيل وقد يكون غرضه تعريفه على سبيل الاجمال بحيث يكون ذكره بالتفصيل سببا للمفسدة الثاني انه ربما لا يكون المتكلم واثقا بصحة الشيء على التعيين الا انه يكون واثقا بصحة احد المعنيين لا محالة فيطلق اللفظ المشترك كيلا يعد مصرحا باحد المعنيين كاذبا ويكون جاهلا الثالث انه يجوز ان يضع احد قبيلتين ذلك اللفظ لمعنى ثم تضعه قبيلة

اخرى لمعنى آخر ثم يشتبه الوضعان ويخفى كونه موضوعا منهما واما وجوده فهو معلوم بالضرورة اذ من خواص اللفظ المشترك انه اذا اطلق لم يتبادر الذهن الى احد مفهوميه دون الآخر بل يبقى الذهن عند سماعه مترددا في تعيين المراد منه الى ظهور القرينة المعينة له وذلك ظاهر الوجود كلفظ القرء للحيض والطهر وان كان ذلك قد يختلف بحسب كثرة الاستعمال في احد المعنيين وقلته الا انه يكفينا في ذلك تردد بعض الاذهان فيه **البحث الثاني** في اقسام مفهومي اللفظ المشترك اما ان يكونا متباينين او متواصلين والاول كالطهر والحيض والثاني اما ان يكون احدهما جزءا من الآخر او لا يكون والاول كالممكن لغير الممتنع ولغير الضروري والثاني اما ان يكون احدهما علة للآخر او صفة له والاول كلفظ الواجب للواجب بالذات والواجب بالغير والثاني كلفظ الاسود لذي السواد المسمى اسود **تنبيهات** احدها اذا ثبت ذو السواد المسمى اسود الى ما يشاركه في لونه كالقار كان اطلاق لفظ الاسود عليهما من تلك الجهة بالتشكيك وان اعتبر من جهة اسمه كان مقولا عليهما بالاشتراك الثاني قال فخر الدين ره النقيضان لا يجوز ان يوضع لهما لفظ واحد لان المشترك لا يفيد الا التردد وهو بين النفي والاثبات امر حاصل معلوم لكل احد

وفيه نظر لان الاسباب التي ذكرنا انه يجوز ان تكون اسبابا لوضع اللفظ المشترك عامة لا تخص بعض المعاني دون البعض ولانه اذا جاز وضع اللفظ الواحد للمعنى وضده الذي هو في قوة نقيضه كالقرء للحيض والطهر اذا كان المحل لا يخلو عن احدهما والتردد بينهما معلوم لكل احد فلم لا يجوز مثله في النقيضين والله اعلم **البحث الثالث** في اسبابه اما اسباب وجوده فيشبه ان يكون السبب الاكثري فيه هو ان يضعه كل واحدة من قبيلتين لمعنى ثم يشيع الوضعان ولا يتميزان واما السبب الاقلي فان يضعه واحد لمعنيين لغرض التكلم المجمل وقد مر ان التكلم باللفظ المجمل من مقاصد العقلاء واما السبب الذي يعرف به وجوده فاما تصريح اهل اللغة بذلك او تساوي المفهومين بالنسبة الى السامع عند اطلاق اللفظ وتردد نفسه في ايهما المراد بعد العلم بالوضع لهما **البحث الرابع** في انه هل يجوز استعمال اللفظ المشترك في معانيه على الجمع ام لا يجوز ذلك اثبته الشافعي وابو بكر الباقلاني وابو علي الجبائي والقاضي عبد الجبار ومنع منه ابو هاشم وابو الحسين البصري والكرخي ثم منهم من منع منه لامر يرجع الى القصد ومنهم من منع منه لامر يرجع الى الوضع وهو اختيار الامام فخر الدين ره حجة المجوزين من وجهين احدهما ان الصلوة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ثم ان الله تعالى اراد بهذه اللفظة كلا معنييها في قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي الثاني قوله تعالى ولله يسجد من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم الآية والسجود هاهنا مشترك بين الخشوع لانه هو المتصور من الملائكة وبين وضع الجبهة على الارض في حق الناس وبين شهادة الحال بالحاجة الى الصانع لانه هو المتصور من الجمادات ثم ان الله تعالى اراد بكل معانيه في هذه الآية حجة المانعين ان المجموع غير كل واحد واحد فالواضع اذا وضع لفظا لمعنيين على الانفراد فاما ان يضعه مع ذلك للمجموع ايضا او لا يضعه فان لم يضعه لم يكن استعماله فيه استعمالا للفظ في غير ما وضع له وانه غير جائز وان وضعه لم يفد استعماله فيه فاما ان يستعمله فيه لافادته بانفراده فيكون ذلك استعمال اللفظ في احد مفهوماته لا في كلها وان استعمله لافادته مع الافراد فهو محال لان استعماله لافادة المجموع يستلزم عدم الاكتفاء بكل واحد من الافراد واستعماله لافادة الافراد يستلزم الاكتفاء بكل واحد من الافراد مع عدم الاكتفاء بكل واحد منها مما لا يجتمعان واقول ان محل النزاع في هذا البحث غير ملخص فانه ان اريد انه يجوز استعماله في مدلولاته على الجميع مطابقة فليس بحق لما يلزم المستعمل له كذلك من التناقض في القصد الى المجموع والى الافراد وان اريد انه يجوز استعماله فيها على الجمع لافادتها كيف اتفق فذلك جائز اذ يصح استعماله في المجموع مطابقة مع دلالتها على الافراد تضمنا وقول المانع انه اذا لم يكن الواضع وضع اللفظ للمجموع كما وضعه للافراد امتنع استعماله فيه ان اراد به حقيقة فهو حق وان اراد انه يمتنع استعماله فيه مجازا فهذا مما لا يقتضيه حجته واما حجج المجوزين فضعيفة اما الاولى فلان ضمير الجمع في قوله تعالى يصلون بمنزلة الضمائر المتعددة المقتضية للافعال المتعددة التي يراد بكل واحد منها معنى غير ما يراد بالآخر والتقدير ان الله يصلي وملائكته تصلي واما الثانية فلان العطوف المتعددة تستدعي تعدد الافعال فتقديره قوله ولله يسجد من في السموات ومن في الارض ويسجد من في الارض وكذا الباقي والمراد بكل منها المعنى الذي تقتضيه القرينة ثم لو سلمنا انها استعملت في كل مفهوماتها لكنه يكون مجازا او الالزام التناقض كما هو مذكور في حجة المانعين وبالله التوفيق **البحث الخامس** فيما يتعين به المراد من الالفاظ باللفظ المشترك اللفظ المشترك ان لم تقترن به قرينة تخصص احد معنييه بالمراد به بقي مجملا وان وجدت قرينة كذلك فاما ان تقتضي الاعتبار او الالغاء وعلى التقديرين فاما لكل المسميات او لبعضها فهذه اقسام اربعة فالاول ان تفيد اعتبار كل واحد من تلك المسميات اما ان تكون متنافية بحيث لا يمكن الجمع بينها فيبقى اللفظ مجملا الى ظهور المرجح وان لم تكن متنافية حمل اللفظ على مجموعها مجازا الثاني ان تفيد الغاء كل واحد فيجب حمل اللفظ على مجازاة تلك الحقائق الملغاة ثم اما ان يكون لبعض تلك

الحقائق ارجح من بعض او لم يقم الدليل على عدم ارادتها او لا يكون فان كان الاول فمجازاتها اما ان يتساوى في القرب من الحقائق فيتعين حمل اللفظ على مجاز الحقيقة الراجحة او يتفاوت المجازات فان كان الراجح منها هو مجاز الحقيقة الراجحة تعين الحمل عليه او مجاز الحقيقة المرجوحة فيقع التعارض بينه وبين مجاز الحقيقة الراجحة لاختصاص كل منها بنوع ترجيح الى ان يظهر مرجح آخر واما ان تتفاوت الحقائق فان اختلفت مجازاتها بالقرب والبعد منها حمل اللفظ على المجاز الاقرب وان لم يختلف بقي التعارض بين مجازات تلك الحقائق وتساوي حقائقها الى ان يظهر الترجيح الثالث ان تفيد الغاء البعض فان كانت اللفظة مشتركة بين معنيين فقط تعين الحمل على الثاني وان كانت لاكثر من معنيين فتفيد الغاء بعضها ان كان الباقي واحدا تعين الحمل عليه او اكثر من واحد فيبقى اللفظ مجملا فيها الرابع ان تفيد اعتبار البعض فيتعين الحمل عليه سواء كانت اللفظة لمعنيين او لاكثر

القسم الاول في كيفيات تلحق الالفاظ بالنسبة الى معانيها فتوجب لها الحسن والتزيين وتعد ما ائتم الاعداد لاداء المعاني ويهيئ الذهن للقبول وهو مرتب على مقدمة وجملتين **اما المقدمة** ففيها بحثان **البحث الاول** في حد البلاغة والفصاحة اما البلاغة فهي مصدر قولك بلغ الرجل بالضم اذا صار بليغا وهو ان يبلغ بعبارته اقصى مراده باللفظ من غير ايجاز مخل ولا تطويل ممل واما الفصاحة فهو خلوص الكلام من التعقيد واصله من الفصيح وهو اللبن اذا اخذت رغوته وذهب لباؤه وقد فصح وافصح اذا صار كذلك وافصحت الشاة فصح لبنها ثم قالوا افصح العجمي فصاحة فهو فصيح اذا خلصت لغته عن اللكنة واللحن ثم ان الفصاحة عند اربابها ليست باستعمال الشوارد لانها لا تفهم وانما هي باستعمال ما يقرب فهمه ويلذ استماعه ويعجب ابتداعه وتدل مطالعه على مقاطعه وتتم مباديه على تواليه واكثر البلغاء لا يكادون يميزون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونهما استعمال اللفظين المترادفين على معنى واحد ومنهم من يجعل البلاغة في المعاني والفصاحة في الالفاظ والاقرب ان الفصاحة سبب للبلاغة والبلاغة اعم منها لغة اذ قد يبلغ غير الفصيح بعبارته اقصى مراده ومساويه لها في عرف العلماء وتلخيص مفهوميهما ان الفصاحة هي خلوص الكلام في دلالته على معناه من التعقيد الموجب لقرب فهمه ولذاذة استماعه والبلاغة هي كون الكلام الفصيح موصلا للمتكلم الى اقصى مراده وبالله التوفيق **البحث الثاني** في موضوع علم الفصاحة والبلاغة لما كان المقصود من الكلام هو افادة المعنى وكانت هذه الافادة كما علمت قد تكون وضعية صرفة وقد تكون بمشاركة من الوضع والعقل فنقول موضوع علم الفصاحة هو الكلام الدال على معناه احدى الدلالات الثلث من حيث هو على حال الموجبة لقرب فهمه ولذاذة استماعه وموضوع البلاغة هو الكلام الفصيح وقال الامام ان الفصاحة والبلاغة انما يكون موضوعهما الكلام من جهة دلالته بالالتزام وذلك لان الافادة الوضعية يستحيل تطرق الزيادة والنقصان اليها فان السامع للفظ الموضوع ان كان عالما بكونه موضوعا لمعناه فهمه بتمامه وان لم يكن عالما بالوضع لم يتصور منه شيئا مثاله انك اذا اردت تشبيه زيد بالاسد في الشجاعة وقصدت التعبير عن هذا المعنى بالدلالة الوضعية فقلت زيد يشبه الاسد في شجاعته فالزيادة والنقصان في هذه الافادة بما يعود الى مفردات هذه الالفاظ غير متصورين ولو اقمت مقام هذه الالفاظ ما يرادفها فالحال كذلك للذكور وتبين من هذا ان الايجاز والاختصار والحذف والاضمار يستحيل تطرقها الى الدلالات الوضعية ولهذا كان اكثر ما يستعمل في العلوم العقلية الدلالات الوضعية لعدم احتمالها الزيادة والنقصان الموجبين للغلط والتشبه واما الافادة الاخرى فلاجل ان حاصلها يعود الى انتقال الذهن من مفهوم اللفظ الى ما يلازمه ثم ان اللوازم كثيرة وهي تارة تكون قريبة وتارة تكون بعيدة فلاجرم صح تادية المعنى الواحد بطرق كثيرة وصح في تلك الطرق ان يكون بعضها اكمل في افادة ذلك المعنى وبعضها انقص فهذا ما يتعلق بالفصاحة من جهة المفردات واقول ان التحقيق يقتضي ان الزيادة والنقصان مما يتطرقان الى الافادة الوضعية ايضا فان الامام سلم ان بعض الحروف اخف جرسا والذ سماعا كالعين وبعضها اسهل على اللسان كحروف الذلاقة وبعضها اثقل ولا شك ان الكلام المركب عن اسهل الحروف والذها سماعا اخف والذ سماعا عند النفس مما لا يكون كذلك وسلم ايضا ان الاخف ادل على المعنى الى قبول النفس له مما لا يكون كذلك وليس سبق العلم بالوضع قادحا فيما ذكرناه لان الانسان قد يسبق علمه بوضع اللفظ ثم هو عند سماعه يجد نفسه مسارعة الى قبول المعنى من الاخف دون غيره وملتذة بسماعه بسبب فصاحته ولا معنى لزيادة الافادة ورجحانها الا ما يحصل للنفس من اللذة بالمعنى والمسارعة الى قبوله بما مر من اللفظ الاسهل والله اعلم واما البلاغة العائدة الى النظم والتركيب فتحقيق القول فيها ان الكلام المنظوم لا محالة مركب من المفردات والمفردات يمكن تركيبها على وجه لا يفيد المقصود وقد يمكن تركيبها على وجه يفيده ثم للتركيب المفيد مراتب كثيرة ولها طرفان ووسط فالطرف الاعلى هو ان يقع ذلك التركيب على وجه يمتنع ان يوجد ما هو اشد تناسبا واعدل الائمة في افادة ذلك المعنى والطرف الادنى هو ان يقع على وجه لو صار اقل تناسبا منه لخرج عن كونه مفيدا لذلك المعنى وبين هذين الطرفين مراتب واختيار احسنها ينبغي

والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم

الفصاحة في النظم وهذا معنى قول عبد القاهر الجرجاني رحمه الله النظم عبارة عن توخي معاني النحو فيما بين الكلم اذا ثبت هذا فنقول اما
الطرف الادنى فليس من البلاغة في شيء واما سائر المراتب فان كل واحد منها اذا اعتبر بالنسبة الى ما تحته يكون مستلزما
للبلاغة والفصاحة واما الطرف الاعلى وما يليه فهو المعجز فهذا هو التحقيق في البلاغة والفصاحة في المفردات والمركبات

الجملة الاولى

في المفردات وفيها مقدمة وابواب

اما المقدمة

فاعلم ان للاشياء في الوجود اربع مراتب الاول وجودها وتحققها في الاعيان الثاني وجودها في الاذهان الثالث وجودها في اللفظ الدال على ما في الذهن الرابع وجودها في الكتابة الدالة على ما في اللفظة ومزية الكلام في الحسن تارة تكون بسبب الكتابة وتارة تكون بسبب اللفظ من حيث له الدلالة الوضعية وتارة بحسبه من حيث له الدلالة الالتزامية ولما كانت المحاسن العائدة الى الكتابة لا تخلو عن تكلف ما وكان الكلام الذي نحن بصدد شرحه بريئا عن التكلف خاليا عن جهات التعسف لا جرم كان ذكرنا لها قليل الجدوى فلذلك تركناه

الباب الاول

في المحاسن العائدة الى اللفظ من حيث هو لفظ واعلم ان المحاسن العائدة الى اللفظ اما ان تعود الى احاد الحروف او الى حال تركيبها او الى الكلمة الواحدة او الى الكلمات الكثيرة فلا جرم اشتمل هذا الباب على فصلين

الفصل الاول

فيما يتعلق باحاد الحروف وتركيبها وحال الكلمة وفيه ابحاث

البحث الاول

في مخارج الحروف وهي ستة عشر ا اقصى الحلق وهو مخرج ثلثة حروف الهمزة والالف والهاء ب وسط الحلق وهو مخرج الحرفين العين والحاء ج ادناه الى الفم وهو مخرج للغين والخاء د اللسان فما فوقه من الحنك وهو مخرج القاف هـ اسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك وهو مخرج الكاف و من وسط اللسان بينه وبين الحنك وهو مخرج الجيم والشين والياء ز اول حافة اللسان وما يليها من الاضراس وهو مخرج الضاد ح حافة اللسان من ادناه الى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الاعلى فما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية وهو مخرج اللام ط من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون ي مخرج النون غير انه ادخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه الى اللام وهو مخرج الراء يا فيما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الطاء والتاء والدال يب فيما بين طرف اللسان واطراف الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد يج فيما بين طرف اللسان واطراف الادنى من الثنايا مخرج الظاء والثاء والذال يد من باطن الشفة واطراف الثنايا العليا مخرج الفاء يه ما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو يو من الخياشيم مخرج النون الخفيفة قال الخليل الذلاقة في النطق انما هي بطرف اسلة اللسان وذلق اللسان تحديد طرفه كذلق السنان قال لا ينطق طرف شباة اللسان الا بثلثة احرف وهي الراء واللام والنون فلذلك سمي هذه حروف الذلاقة ويلحق بها الحروف الشفهية وهي ثلثة الفاء والباء والميم قال ولما ذلقت هذه الحروف وسهلت على اللسان في المنطق كثرت في ابنية الكلام فليس شيء من بناء الخماسي التام يعرى عنها فان وردت عليك كلمة خماسية او رباعية معراة عن حروف الذلق او عن الحروف الشفهية فاعلم ان تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب وقال ايضا العين والقاف لا بد حلالا في بناء الاحسن لانهما اطلق الحروف اما العين فافصح الحروف جرسا والذها سماعا واما القاف فامتن الحروف واصحها جرسا فاذا كانتا او احدهما في بناء حسن البناء وكذلك السين والدال في البناء اذا كانا اسما لان الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها وارتفعت عن خفوت التاء فصارت حال السين بين مخرج الصاد والزاي كذلك قال والهاء يحتمل في البناء للينها وهشاشتها ولا بد من رعاية هذه الاعتبارات ليكون الكلام سلسا على اللسان وهي كالشروط للفصاحة والبلاغة

البحث الثاني

في المحاسن بسبب احاد الحروف وشرط تركيبها اما الاول فمنها الحذف وهو ان يحترز عن حرف وحرفين في الكلام اظهارا للمهارة في تلك اللغة كان واصل الغ وكان يحترز عن الراء فجرب في انه كيف يعبر عن معنى قولنا اركب فرسك واطرح رمحك فقال في الحال الق قناتك واعل جوادك والحريري بلغ الغاية حيث ذكر اشعارا احذف عنها الحروف المنقوطة واشعارا احذف عنها غير المنقوطة ومنها الاعنات وهو التزام حرف قبل حرف الروي والردف من غير ان يجب في ذلك السجع كقوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر وقول علي عليه السلام في مدح النبي صلى الله عليه وسلم بلغ عن ربه معذرا ونصح لامته منذرا واما الثاني فالشرط ان يكون التركيب معتدلا فان من التركيب ما يكون متنافرا كقوله وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر وان يكون خفيفا فان منها ما يكون ثقيلا وان كان دون الاول كقول ابي تمام كريم متى امدحه امدحه والورى معي جميعا ومهما لمته لمته وحدي ومنها ما يكون فيه بعض الكلفة الا انه لا يبلغ ان يعاب والسبب في هذا التنافر اما تقارب مخارج الحروف فيحتاج فيها الى حبس الصوت في زمانين مثلا صفين فلا يظهر الحرف الاول واما وجوب العود الى ما منه الابتداء كقولهم الهعخع وهذه الدرجات كما تترتب في جانب الثقل فهي موجودة في جانب السلاسة حتى ان الكلمة تكون في غاية السلاسة

البحث الثالث

فيما يتعلق بالكلمة الواحدة وهو من وجهين الاول ان تكون متوسطة في قلة الحروف وكثرتها فاما الحرف الواحد فلا يفيد واما المركب عن

الحرفين

الحرفين فليس في غاية العذوبة بل البالغ في ذلك الثلاثيات لاشتمالها على المبدء والوسط والنهاية وعلى درجات الصوت من عوارض الحركة والحركة لا بد لها من هذه الثلثة متى ظهرت هذه الثلثة فيها كان الكلام اسهل جريانا على اللسان واما الرباعيات والخماسيات فلا يخفى ثقلها لزيادتها على الدرجات الثلث التي يتعلق بها كمال الصوت الثاني الاعتدال في حركات الكلمة فان توالت خمس حركات كان ذلك في غاية الخروج عن الوزن ولذلك لا يحتملها الشعر واما اربع حركات فهي في غاية الثقل ايضا بل المعتدل توالي حركتين بعقبهما سكون وان كان ولا بد فالى ثلث حركات

الفصل الثاني

فيما يتعلق بالكلمات المركبة وفيه نوعان

النوع الاول

ما يكفي في تحققه اعتبار حال كلمتين وفيه اربعة ابحاث

البحث الاول

في التجنيس المتجانسان ان كانا مفردين فان تماثلا في نوع الحروف والحركات وعددها وهياتها فهو التجنيس التام كقولهم حديث حدث وكقول الملاء الراحة من استوطاء الراحة وان اختلفا فاما في هيئة الحركة كقولهم جبة البرد جنة البرد او في الحركة والسكون كقولهم البدعة شرك الشرك او في التخفيف كقولهم الجاهل اما مفرط واما مفرط ويسمى ذلك التجنيس الناقص او في اعداد الحروف بان تتساوى الكلمتان في نفس الحروف وهيئاتها ثم تزيد في احدهما حرفا ليس في الاخرى ويسمى المذيل فاما في اول الكلمة كقوله تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق او في وسطها كقولهم جد جهدي او في اخرها كقول بعضهم فلان سال من احزانه سالم من زمانه وقول ابي تمام يمدون من ايد عواص عواصم تصول باسياف قواض قواضب واما ان يختلفا في انواع الحروف وذلك يكون بحرف واحد وقد يكون بحرفين ويسمى المضارع والمطرف وما به الاختلاف قد يكون في اول الكلمة كقولهم بيني وبينهم ليل دامس وطريق طامس او في وسطها من حرفين متقاربين كقولهم ما خصصتني ولكن خسستني او في اخرها كقوله عليه السلام الخير معقود بنواصي الخيل وقد يكون الاختلاف بحرفين غير متقاربين وهو اما في اخر الكلمة كقوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن او في وسطها كقوله تعالى وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد او في اولها كقول الحريري لا اعطي زمامي من يخفر ذمامي ثم المتجانسان اما ان يكون بعضهما في مقابلة البعض حال التسجيع موطا او يضم بعضها الى بعض في اواخر الاسجاع ويسمى مزدوجا ومكررا كقولهم النبيذ بغير نغم غم وبغير دسم سم وكقولهم من طلب وجد وجد ومن قرع بابا ولج ولج ومن التجنيس ما يكون بالاشارة دون التصريح كقوله حلقت لحية موسى باسمه وبهرون اذا ما قلبا وقد يكون التجنيس بحيث يتجاذبه اصلان ويسمى المشوش كقولهم فلان مليح البلاغة كامل البراعة فلو اتحدت عينا الكلمتين كان مصحفا ولو اتفقت لاما هما كان مضارعا واما ان كان المتجانسان مركبين فاما ان يكونا متشابهين خطا فقط دون اللفظ ويسمى المصحف كقول علي عليه السلام قصر ثيابك فانه اتقى وانقى وكقولهم غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك فاخش فاحش فعلك فعلك تهدى بهذا او لفظا فقط ويسمى المفروق كقوله كلكم قد اخذ الجام فلا جام لنا ما الذي ضر مدير الجام لو جاملنا او خطا ولفظا ويسمى المفروق كقوله اذا ملك لم يكن ذا هبة فدعه فدولته ذاهبة

البحث الثاني

في الاشتقاق واما الاشتقاق فهو ان تاتي بالفاظ يجمعها اصل واحد في اللغة كقوله نعم قائم وجهك للدين القيم وقول النبي صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيمة وقول علي عليه السلام جاهل خباط جهالات عاش كان عشوات واما ما يشبه المشتق كقوله تعالى وجنا الجنتين دان وقال اني لعملكم من القالين

البحث الثالث

في رد العجز على الصدر ورسمه انه كل كلام وجد في نصفه الاخير لفظا يشبه لفظا موجودا في نصفه الاول وله عدة اقسام ا ان يتفق لفظا الصدر والعجز صورة ومعنى ويكونان طرفين الاول في اول الكلام والثاني في اخره كقولهم الحيلة ترك الحيلة وقولهم القتل انفى للقتل وكقول القائل سكران سكر هوى وسكر مدامة انى يفيق فتى به سكران ب ان يتفقا صورة لا معنى وهما طرفان كقوله يسار من سجيتها المنايا ويمنى من عطيتها اليسار ج بالعكس ويكونان طرفين ايضا كقول عمر بن ابي ربيعة واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا يستبد د ان يلتقيا في الاشتقاق لا في الصورة وهما طرفان ايضا كقول الشريح ضرائب ابدعتها في السماح فلسنا نرى لك فيها ضريبا هـ ان يلتقيا صورة ومعنى ويكون احدهما حشوا في صدر البيت والاخر طرفا في عجزه كقول ابي تمام ولم يحفظ مضاع المجد شيء من الاشياء كالمال المضاع و ان يتفقا كذلك ويتفقا صورة لا معنى كقول بعضهم لا كان انسان تيمم صائدا صيد المها فاصطاده انسانها ز ان يتفقا كذلك ويلتقيا معنى لا صورة كقول ابن الفيض اذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان ح ان يتفقا طرفين في اخر الصدر والعجز ويتفقا صورة ومعنى كقول ابي تمام ومن كان بالبيض الكواعب مغرما فما زلت بالبيض القواضب مغرما ط ان يتفقا كذلك ويتفقا صورة لا معنى كقول الحريري فمشغوف بايات المثاني ومفتون برنات المثاني ي ان يتفقا كذلك ويتفقا في الاشتقاق ويختلفا في الصورة كقول البحتري ففعلك ان سئلت لنا مطيع وقولك ان سالت لنا مطاع يا ان يتفقا في شبه الاشتقاق ويختلفا صورة ومعنى كقول الحريري ومضطلع بتلخيص المعاني ومطلع الى تخليص عاني يب ان يقع احدهما في اول العجز والثاني في اخره كقول الحماسي

وان لم يكن الا معرج ساعة قليلا فانني نافع لي قليلها مجي. ان يتفقا او يلتقيا في الاشتقاق دون الصورة كقول ابي تمام
نوى بالثرى من كان يحيى به الورى ويغمر صرف الدهر نائله الغمر وهذه الاقسام اقسام اخر لهذا النوع وفيما ذكرناه
كفاية البحث الرابع في القلب وهو اما في كلمة او كلمات والاول فاما ان يتقدم كل واحد من حروفها على ما كان متأخرا
عنه ويسمى مقلوب الكل كالفتح والحتف وقوله حسامك فيه للاحباب فتح ورمحك فيه للاعداء حتف ثم ان وقع مثل
هاتين الكلمتين على طرفي البيت سمي مقلوبا مجنحا كقوله ساق هذا الشاعر الحين الى من قلبه قاسي ساد رحى القوم
فاللهم علينا حبل راسي ويكون بعض حروفها كك فيسمى مقلوبا لبعض كقوله عليه السلام اللهم استر عوراتنا وامن روعاتنا
واما في الكلمات بحيث يكون قراءتها من اولها كقراءتها من اخرها فكقول الحريري اس رملا اذا غرا وارع اذا المرء اسا النوع
الثاني ما يحتاج الى ازيد من كلمتين وفيه ابحاث البحث الاول في السجع وهو ثلاثة اقسام احدها ما يسمى المتوازي
وهو ان تتساوى الكلمتان في عدد الحروف ونوع الحرف الاخير كقول علي ع كثرة الوفاق نفاق وكثرة الخلاف شقاق
وكقوله عليه السلام في اهل البصرة عهدكم شقاق ودينكم نفاق وماؤكم زعاق وثانيها المطرف وهو ان يختلفا
في العدد ويتفقا في الحرف الاخير كقوله لا حاصد ومع انفراجها ولا مرمينها وبين ازواجها وثالثها المتوازن وهو ان يتفقا
في عدد الحروف ولا يتفقا في الحرف الاخير كقول علي عليه السلام الحمد لله غير مفقود الانعام ولا مكافأ الافضال ويعرف
المتكلف من السجع بامرين احدهما ان يكون الحرف الاخير مما يحتاج اليه للتقفية لا للمعنى الثاني ان يترك معناه الاول لاجل
التقفية البحث الثاني في تضمين المزدوج وهو ان يجمع المتكلم بعد رعاية السجع في اثناء القرائن بين لفظين متشابهي
الوزن والروي كقوله تعالى وجئتك من سبأ بنبأ يقين وقوله صلى الله عليه وآله المؤمنون هينون لينون وكقول
علي عليه السلام كثرة الوفاق نفاق البحث الثالث في الترصيع وهو ان يتساوى وزن الالفاظ وتتفق اعجازها كقوله
تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وقول علي عليه السلام علا بحوله ودنا بطوله مانح كل غنيمة وفضل كاشف
كل عظيمة وازل وقوله في صفة الدنيا اولها عناء واخرها فناء حلالها حساب وحرامها عقاب وقد يجيء مع التجنيس
كقوله عليه السلام في كتاب الله بيت لا تنهدم اركانه وعز لا تنهزم اعوانه الباب الثاني فيما يتعلق بالدلالة الوضعية والمعنوية
واعلم ان البحث عن حسن الدلالة اللفظية يرجع الى اشتراط اربعة امور الاول ان تكون الكلمة عربية غير مولدة ولا صادرة عن غلط
العامة الثاني ان يكون اجرى على مقاييس العرب وقوانينها الثالث المحافظة على قوانين النحو الرابع الاحتراز عن الالفاظ الغريبة
الوحشية ولذلك كانت في الكتاب العزيز نادرة واما الكلام في الدلالة المعنوية فاعلم انه لما كانت الالفاظ المفردة لا تستعمل
لافادة مدلولاتها الا التزامية الا عند التركيب وكان الاصل في اصناف التركيب هو الخبر وهو الذي يتصور بالصور الكثيرة
وتظهر فيه الاسرار العجيبة من علم المعاني والبيان رأينا ان نشير الى قدر من مباحثه قبل الخوض في سائر الاقسام وقد رتبنا
هذا الباب على فصول الفصل الاول في احكام الخبر وفيه ابحاث البحث الاول في رسم الخبر وقد رسم بانه القول الذي
يقال لقائله انه صادق فيما قاله او كاذب واورد الامام فخر الدين عليه شكا فقال الصدق والكذب لا يمكن تعريفهما الا
بالخبر اذ يقال في الصدق انه الخبر المطابق وفي الكذب انه الخبر الغير المطابق وتعريف الخبر بهما دور واجاب افضل المتأخرين نصير
الدين الطوسي ابقاه الله عنه فقال الحق ان الصدق والكذب من الاعراض الذاتية للخبر فتعريفه بهما رسمي او دون تفسير للاسم
وتعيين المعناه من بين سائر المركبات ولا يكون ذلك دورا لان الشيء الواضح بحسب ماهيته ربما يكون ملتبسا في بعض
المواضع بغيره ويكون ما يشتمل عليه من اعراضه الذاتية لغنية عن التعريف او غيرها مما يجري مجراها منا دايا عن الالتباس
فايراده في الاشارة الى تعيين ذلك الشيء انما يخصصه ويجرده عن الالتباس انما يكون دورا لو كانت تلك الاعراض ايضا
مفتقرة الى البيان بذلك الشيء وههنا انما يحتاج الى تعيين صنف واحد من اصناف المركبات فيه اشتباه الا انه لم يتعين
بعد وليس في الصدق والكذب اشتباه فيمكننا ان نقول انا نعني بالخبر التركيب الذي يحتمل حد الصدق والكذب عليه
كما لو وقع اشتباه في معنى الحيوان فيمكننا ان نقول انا نعني به ما يقع في تعريف الانسان موقع الجنس ولا يكون دورا وقيل في
تعريفه ايضا انه القول المقتضي بصريحه اسناد امر الى امر بالنفي او الاثبات واما تسمية النحاة احد جزئي الخبر خبرا فمجاز البحث
الثاني انه ليس الغرض الاول من وضع الالفاظ المفردة افادتها لمسمياتها المفردة بيان ذلك ان افادتها لها موقوفة على العلم
بكونها موضوعة لها وهو مستلزم للعلم بها قبل الوضع فلو توقفت افادتها على الوضع لزم الدور وانه محال بل الغرض
الاول منها تمكن الانسان من تفهيم ما يتركب من تلك المسميات بواسطة تركيب تلك الالفاظ المفردة لا يقال ما ذكرتموه
قائم بعينه في المركبات لان اللفظ المركب لا يفيد مدلوله الا عند العلم بكون تلك الالفاظ موضوعة لتلك المعاني فلو

استفدنا العلم بتلك المعاني من تلك الالفاظ لزم الدور لانا نقول لا نم ان الالفاظ المركبة لا تفيد مدلولها الا عند العلم
بكون الالفاظ المركبة موضوعة له بيان ذلك انا متى علمنا وضع كل واحد من تلك الالفاظ المفردة لكل واحد من تلك المعاني
المفردة فاذا توالت الالفاظ المفردة بحركاتها المخصوصة على السمع ارتسمت المعاني المفردة في الذهن مستلزمة للعلم بنسبة بعضها
الى بعض استلزاما اما عقليا وذلك هو التركيب فظهر ان استفادة العلم بالمعاني المركبة لا يتوقف على كون الالفاظ المركبة موضوعة
لها وبالله التوفيق البحث الثالث في الفرق بين الاخبار بالاسم والاخبار بالفعل قد عرفت ان الفعل مشعر بالزمان المعين دون
الاسم فلذلك ظهر الفرق بين الاخبار به والاخبار بالاسم فانك اذا قصدت بالاخبار الاثبات المطلق غير المشعر بالزمان وجب
ان تخبر بالاسم كقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه اذ ليس الغرض الا اثبات البسط للذراعين للكلب فاما تعريف زمان ذلك فغير مقصود
فاما ان قصدت الاشعار بزمان ذلك الثبوت فالصالح له هو الفعل كقوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض
فان تمام المقصود انما يحصل بكونه معطيا في كل حين واوان لا بمجرد كونه معطيا البحث الرابع في حكم المبتدأ والخبر
متى اجتمعت الذات والصفة فالذات اولى بالمبتدئية والصفة اولى بالخبرية ثم اما ان يكون الامر في اللفظ كذلك او بالعكس والاول
اما ان لا يدخل لام التعريف في الخبر كقولك زيد منطلق وذلك يفيد ثبوت مطلق الانطلاق لزيد من غير ان يفيد دوام ذلك
الثبوت او انقطاعه او يدخله لام التعريف كقولك زيد المنطلق او زيد هو المنطلق فاللام في الخبر يفيد انحصار المخبر به في المخبر عنه
ثم اما ان يكون لام العهد كما اذا اعتقدت وجود انطلاق معين ولكن لا تعلم ان المنطلق زيد او عمرو فاذا قلت زيد المنطلق عينت
ان صاحب ذلك الانطلاق هو زيد فقد انحصر ذلك الانطلاق في زيد واما لتعريف الطبيعة فيفهم منه صفة الحصر ثم هو للحصر
ان امكن ترك الكلام على حقيقته كقولك زيد هو الوفي اذا لم تظن باحد خيرا غيره والا حمل الكلام على المبالغة كقولك زيد هو
العالم وهو الشجاع لامتناع حصر الحقيقة فيه واما اذا عكس واخرت الذات عن الصفة كقولك المنطلق زيد فذلك انما يقال اذا
اعتقد معتقد ان انسانا انطلق ولكن لا يعلم شخصه فيقال له المنطلق زيد اي الذي تعتقد انطلاقه هو زيد ثم الضابط
ان الاخبار يجب ان يكون عما يعرف بما لا يعرف له الفصل الثاني في الحقيقة والمجاز وفيه ابحاث البحث الاول في معنى
الحقيقة والمجاز وحدهما الحقيقة فعيلة بمعنى مفعولة من الحق وهو الثبات وسمي ما خالف المجاز حقيقة لانه مثبت معلوم الدلالة
والمجاز مفعل من جازه يجوزه اذا تعداه واذا عدل باللفظ عن وضعه اللغوي وصف بانه مجاز بمعنى ان الذهن انتقل من لفظه الى
المعنى غير معناه فصار موضع الانتقال والمجاوزة واما حد الحقيقة فاما في المفردات فهي كل كلمة افيد بها ما وضعت له في اصل الاصطلاح
الذي وقع التخاطب به ويدخل في ذلك الحقيقة اللغوية والعرفية والشرعية فاما في الجمل فكل جملة وضعتها على ان الحكم المفاد بها على ما هو
عليه في العقل وواقع موقعه فهي حقيقة كقولنا خلق الله العالم واما حد المجاز فاما في المفردات فهو ما افيد به معنى غير ما اصطلح
عليه في اصل المواضعة التي وقع التخاطب بها لعلاقة بينه وبين الاول ويدخل في ذلك المجاز اللغوي والعرفي والشرعي واما في الجمل
فكل جملة خرج الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل بضرب من التأويل فهو مجاز كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها البحث الثاني
فيما به يتحقق المجاز لا بد فيه من امرين احدهما ان يكون منقولا عن معنى وضع اللفظ بازائه والا لبقي حقيقة الثاني ان يكون ذلك
النقل لمناسبة بين الكلمتين والا لكان في الثاني مرتجلا وبهذا يظهر الفرق بين المجاز والكذب والدعوى الباطلة وذلك لان
المبطل اذا اخرج الحكم عن موضعه واعطاه غير المستحق لم يعرف انه انما اعطاه لكونه فرعا لاصل بل يجزم بان ثبوت الحكم في ذلك الموضع ثبوت اصلي
وكذلك الكاذب يدعي ان الامر على ما وضعه وليس هو من التأويل في شيء والمجاز لم يكن مجازا الا لانه اثبات الحكم لما لا يستحقه للمناسبة
بينه وبين المستحق البحث الثالث في اقسام المجاز اما ان يقع في اللفظ المفرد فقط او في المركب فقط او فيهما معا مثال الاول اطلاق
لفظ الاسد على الرجل الشجاع والحمار على البليد واما الثاني وهو ان يستعمل كل واحد من الالفاظ المفردة في موضعه الاصلي لكن التركيب
لا يكون مطابقا لما في الوجود مثاله قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وقول الشاعر اشاب الصغير وافنى الكبير كر الغداة ومر العشي
وهذا المجاز عقلي لان نسبة الاخراج الى الارض والاشابة الى كر الغداة ومر العشي حكم عقلي عدل به عن الفاعل الحقيقي وهو الله
سبحانه الى غير من هو له وهو الارض والغداة والعشي مثال الثالث كقولك لمن تحبه احياني اكتحالي بطلعتك فان لفظي الاحياء
والاكتحال مفردان استعملا في غير موضوعهما الاصلي ثم نسبة الاحياء الى الاكتحال مع عدم المطابقة له في نفس الامر وهذا التقسيم
لعبد القاهر النحوي البحث الرابع في اصناف المجاز والذي ذكره الامام فخر الدين منها اثنا عشر صنفا أ اطلاق اسم السبب
على المسبب والاسباب اربعة احدها القابل كاطلاق اسم النظر الذي هو تقليب الحدقة نحو المرئي على الرؤية كقولك نظرته اي رأيته
الثاني الغائي كتسميتهم العنب بالخمر الثالث الصوري كتسميتهم القدرة يدا الرابع الفاعلي كقولهم سال الوادي ب اطلاق
المسبب على السبب كتسميتهم المرض الشديد بالموت والاول اولى لاستلزام السبب المعين للمسبب المعين من غير عكس واولى الاسباب

بذلك هو السبب الغائي لحصول علاقة العلية والمعلولية اللتين كل واحدة منها علة لحسن المجاز دون باقي الاسباب ج اطلاق
اسم الشيء على ما يشابهه كاطلاق لفظ الحمار على الرجل البليد وهو الاستعارة كما سيجيء بيانها د تسمية الشيء باسم ضده كتسمية
العقاب بسبب الجريمة بالجزاء المختص بمقابلة الاحسان بمثله هـ تسمية الجزء باسم الكل كاطلاق لفظ العام على الخاص و العكس
كاطلاق لفظ الاسود على الزنجي لسواد جلده والاول اولى لاستلزام الكل للجزء من غير عكس ز اطلاق ما بالفعل على ما بالقوة
كتسمية الخمر في الدن مسكرا وهو قريب من اطلاق السبب الغائي على مسببه ح اطلاق المشتق بعد زوال المشتق منه
كاطلاق لفظ ضارب على من فرغ من الضرب وقد عرفت ان ذلك هل هو مجاز ام حقيقة ط اطلاق اسم المجاور على مجاوره كاطلاق
لفظ الراوية وهو الجمل الذي يحمل عليه الماء على المزادة ي اطلاق اسم الحقيقة العرفية كالدابة للفرس على الحمار وغيره مجازا
عرفيا يا المجاز بسبب النقصان والزيادة قال الامام وتحقيقه ان الكلمة كما انها توصف بالمجاز لنقلها عن معناها فقد توصف
بالمجاز لنقلها عن حكم كان لها الى حكم ليس هي بحقيقة فيه كقوله تعالى واسأل القرية والمقصود واسأل اهل القرية والكاف
بحقيقة في الاصل الجر واذا نصب فيها مجاز وفيه نظر لان الاعراب لا يراعى فيه صدق النسبة وكذبها والمطابقة وعدمها
فانك لو قلت لسنا السماء كان السماء مفعولا به للفعل المتقدم ويستحق النصب حقيقة وكذا القرية ههنا تستحق النصب حقيقة
بالمفعولية اما ان النسبة في نفسها صادقة ام لا فذلك بحث اخر بل الحق انه مجاز في التركيب والتشبيهات تشبه السؤال
الى اهل القرية حقيقة فيكون اليها مجازا وان قطعنا النظر عن مباحث النحاة امكن ان يكون الحق ما قاله الامام واما
المجاز بسبب الزيادة فالحق ان الزيادة ان غيرت معنى الكلام الذي يتم بدونها ولا يحتاج فيه اليها كقوله تعالى ليس كمثله شيء
فالمجاز حاصل في التشبيه اذ كانت تشبيه النفي المعني ليس له وان لم تغير كالتي في قوله تعالى فبما رحمة من الله لم يتصور المجاز ههنا يب
اطلاق اسم المتعلق على المتعلق كتسمية المقدور قدرة البحث الخامس في ان المجاز بالذات لا يدخل الا على اسماء الاجناس وبيانه
اما الحرف فلان معناه في غيره فان ضم الى حقيقة فهو حقيقة والى مجاز كان مجازا في التركيب فلم يدخله بالذات واما الفعل
فلان معناه مركب من المصدر وغيره فما لم يكن المصدر متجوزا به لم يكن الفعل كذلك فكان داخلا فيه بالعرض واما الاسم فاما علم ولا
يدخله المجاز لانه مشروط بالعلاقة بين الاصل والفرع وليست موجودة في الاعلام او مشتق ومعلوم انه لولا تطرق المجاز الى المشتق
منه لم يتطرق الى المشتق فلم يبق الا اسماء الاجناس البحث السادس في الداعي الى التكلم بالمجاز العدول الى المجاز اما لاجل اللفظ او
المعنى او لهما اما الاول فاما لاجل جوهر اللفظ او لاحوال عارضة له اما الاول فان يكون اللفظ الدال بالحقيقة ثقيلا على
اللسان اما لثقل اجزائه او لتنافر تركيبه او لثقل وزنه ويكون المجاز عذبا واما الثاني فان يكون المجاز صالحا للشعر او للسجع او
اصناف البديع دون الحقيقة واما الذي لاجل المعنى فقد يقصد المجاز لتعظيم ليس في الحقيقة كما يقال سلام على المجلس السامي
او لتحقير يكون فيها كما يعبر بالغائط عن قضاء الحاجة او لزيادة بيان اما تقوية لحال المذكور كرايت اسدا للانسان الشجاع فانه
اتم من قولك رايت انسانا يشبه الاسد في الشجاعة او تقوية لحال الذكر وهو المجاز الذي يذكر للتاكيد او لتلطيف الكلام
قال الامام وتقريره ان النفس اذا وقفت على كلام فلو وقفت على تمام المقصود لم يبق لها اليه شوق اصلا لان تحصيل الحاصل محال
وان لم تقف على شيء منه اصلا لم يحصل لها ايضا اليه شوق اما اذا وقفت عليه من بعض الوجوه دون البعض فان القدر المعلوم
يشوقها الى غير المعلوم فيحصل لها بسبب علمها بالقدر المعلوم لذة وبسبب حرمانها عن الباقي الم فيحصل هناك تعاقب الآلام و
اللذات واللذة اذا حصلت عقيب الالم كانت اقوى وشعور النفس بها اتم اذا عرفت ذلك فنقول اذا عبر عن الشيء باللفظ الدال
عليه على سبيل الحقيقة حصل تمام العلم به فلا تحصل اللذة القوية اما اذا عبر عنها بلوازمها الخارجية عرفت لا على سبيل الكمال
فتحصل الحالة المذكورة التي هي كالدغدغة النفسانية مثال هذا انك اذا قلت رايت انسانا يشبه الاسد في شجاعته فقد حصلت
المعاني بتمامها من الفاظها الموضوعة لها فلم يحصل من اللذة ما يحصل من قولك رايت اسدا في يده سيف فان الذهن
ههنا يتصور من لفظ الاسد معناه ولوازمه البينة كالشجاعة ثم ينتقل بسبب القرينة الى ملاحظة وجه الشبه في الانسان
الذي هو الشجاعة فيحصل له لذة الانتقال وهو محل الدغدغة واللذة النفسانية البحث السابع فيما تنفصل به الحقيقة عن المجاز اما
ان يقع بالتنصيص او الاستدلال اما التنصيص فمن وجوه احدها ان يقول الواضع هذا حقيقة وذاك مجاز وثانيها ان يذكر واحد
منها وثالثها ان يذكر خواصها واما الاستدلال فالحقيقة تعرف من وجهين احدهما ان يسبق المعنى من ذلك اللفظ الى فهم بعض
السامعين من اهل تلك اللغة فيحكم بانه حقيقة فيه اذ لولا اضطراره الى فهم ذلك المعنى من قصد الواضعين لما فهمه دون غيره وثانيها
ان اهل اللغة اذا ارادوا افهام غيرهم معنى اقتصروا على عبارات مخصوصة واذا قصدوا التعبير الحسن بعد الفهم عبروا بعبارات
اخرى وقرنوا بها قرائن فيعلم ان الاول حقيقة اذ لولا انه استقر في قلوبهم استحقاق ذلك اللفظ لذلك المعنى لما اقتصروا عليه وانما

المجاز

المجاز فيعرف اما اولا فمن عكوس ما ذكرناه في تعريف الحقيقة واما ثانيا فلان الكلمة اذا علقت بما يستحيل تعلقها به علم انها في اصل
اللغة غير موضوعة له فيعلم انها مجاز فيه كقوله تعالى واسأل القرية واما ثالثا فان يعلم ان الواضع وضع لفظا لمعنى ثم استعمله
في بعض موارده ثم استعمله بعد ذلك في غيره كلفظ الدابة الذي وضع لكل ما يدب ثم خص بالفرس فصار حقيقة
عرفية ثم استعمل بعد ذلك في الحمار فيعلم انه مجاز فيه الى ان يغلب الاستعمال عليه فيصير حقيقة عرفية ايضا الفصل الثالث
في التشبيه وفيه اربعة اركان الركن الاول في المتشابهين انهما اما محسوسان او معقولان او المشبه به محسوس والمشبه
معقول او بالعكس اما الاول فكقول علي عليه السلام لاهل البصرة كاني بمسجدكم هذا كجؤجؤ سفينة وقوله عليه السلام
في وصف الاتراك كاني اراهم قوما كان وجوههم المجان المطرقة واما الثاني فكقوله عليه السلام اداريكم كما تدارى البكار العمدة
والثياب المتداعية فان المتشابهين ههنا هو مداراته ومداراة اهل ابكار لها والمداراة معنى اضافي معقول وما
به المشابهة هو الصعوبة ههنا كالصعوبة هناك واما الثالث فكقوله عليه السلام في حق مروان اما ان له امرة كلعقة
الكلب انفه فان الامرة حالة معقولة اشبهت لعقة الكلب انفه في السرعة وهي امر محسوس وقوله ع اما بعد فان الامر ينزل
من السماء الى الارض كقطر المطر وكقوله كاني بك يا كوفة تمدين مد الاديم العكاظي واما الرابع فكقول الشاعر كان انتضاء
البدر من تحت غيمه نجاة من الباساء بعد وقوع وكقول الصاحب بن عباد وقد اهدى عطرا الى القاضي ابي الحسن اهدى
له اخلاقه وقد منع الامام فخر الدين من جواز هذا القسم من التشبيه اعتمادا منه على ان العلوم العقلية مستفادة من الحواس
فكان المحسوس اصلا للمعقول فتشبيهه به يقتضي جعل الاصل فرعا والفرع اصلا وهو محال وهذا سهو فان الحواس وان كانت
طرقا للعلم الا انها ليست كل الطرق له سلمناه لكن الممنوع انما هو جعل الفرع اصلا من جهة ما هو فرع لذلك الاصل لا مطلقا وههنا
ليس كذلك فان المعقول فرع للمحسوس من حيث ما هو مستفاد عنه فيمتنع ان يعود اصلا من تلك الجهة لكنه لا يمتنع ان يكون فرعا
له من تلك الجهة ومع ذلك يكون اصلا له في التشبيه والملاحظات التي هي مناط التشبيه الركن الثاني فيما به التشبيه وفيه ابحاث البحث الاول
في اقسامه انه اما ان يكون صفة حقيقية او اضافية والاول اما كيفية جسمانية او نفسانية والاول اما كيفية محسوسة حسا اوليا او
ثانيا والاوليات اما بحس البصر كتشبيه الخد بالورد في الحمرة وتشبيه الوجه بالنهار والشعر بالليل وبحس السمع كتشبيه اطيط الرحل باصوات
الفراريج وكتشبيه الصوت المنكر بصوت الحمار وبحس الذوق كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر وبحس الشم كتشبيه
بعض الرياحين بالمسك والكافور وبحس اللمس كتشبيه الجسم اللين الناعم بالخز والخشن بالمسح واما المحسوس ثانيا فهي الاشكال
والمقادير والحركات والاشكال اما مستقيمة او مستديرة مثال التشبيه في الاستقامة تشبيه الرجل المعتدل القامة بالرمح و
مثال التشبيه في الاستدارة المستدير بالكرة تارة وبالحلقة اخرى ومثال التشبيه في المقادير تشبيه عظيم الجثة بالجمل والفيل
ومثاله في الحركة تشبيه السريع بالسهم واما الاشتراك في كيفية جسمانية غير محسوسة فكما يقال فلان كالحمار اي في بلادته
شبقه وهو كالنمر اي في غضبه واما في الكيفية النفسانية فكالاشتراك في الغرائز والاخلاق كالكرم والحلم والشجاعة والذكاء
والفطنة والعلم والزهد كقولك هو كحاتم اي في جوده وكعمرو بن معدي اي في شجاعته واما الاشتراك في الحالة الاضافية فكقولهم
هذه الحجة كالشمس فالاشتراك ههنا في الجلاء بالنسبة الى البصر والفهم وهي حالة اضافية وقد تكون جلية كما ذكرنا وكقولهم الفاظ
فلان كالماء اي في السلاسة وكالنسيم اي في الرقة وذلك انه اذا لم يشتمل على حروف تثقل على اللسان ولم يكن غريبا وحشيا ارتاح
له القلب فلسرعة وصوله الى النفس صار كالماء الذي يسرع نفوذه الى الحلق والنسيم الذي يسري في البدن وقد تكون خفية كقول
من ذكر بني المهلب هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها الا ترى انه لا يفهم المقصود من ذلك الا من كان له ذهن يرتفع عن درجة
العامة البحث الثاني في تقسيمه بوجه اخر انه قد يكون قريبا وقد يكون بعيدا والاول كما اذا خطرت ببالك استدارة
الشمس واستنارتها فانه يخطر ببالك المرآة المجلوة فتلاحظ الشبه بينهما وكما اذا نظرت الى الوشي المنشور لاح لك شبهه
الروض الممطور المفتر عن ازهاره واما الغريب البعيد فهو الذي يحتاج في ادراكه الى دقة نظر كتشبيه الشمس بالمرآة في كف
الاشل وتشبيه البرق باصبع السارق كقول كشاجم ارقت ام تمت لضوء بارق مؤتلقا مثل الفؤاد الخافق اصبع كف السارق
ثم السبب في القرب والبعد امران احدهما ان الحس لا يعطي التمييز بين جهة الاشتراك والامتياز وانما يدرك المركب من حيث هو
شيء واحد واما التفصيل والتمييز فذلك لحظ العقل وايضا فشعور الحس بالاجمال اقدم من شعوره بالتفصيل فان المرئي في
اول النظر اليه لا يدرك البصر تفاصيله حتى يتكرر وكذلك المسموع فانك تقف في اعادة الصوت على ما لم تقف عليه بالسماع
الاول وبادراك التفاصيل يقع التفاضل بين سامع وسامع واذا كان ادراك الجملة قبل ادراك التفصيل وكان ادراك
التفصيل محتاجا الى الكد والطلب كان ادراك الجملة اسهل واقرب من ادراك التفصيل البحث الثالث في بيان ان التشبيه

بالوجه العقلي اعم من التشبيه بالوجه الحسي لان التشبيه المحسوس بالمحسوس فيمكن ان يكون لاجل الاشتراك في وجه محسوس ويمكن ان يكون
لاجل الاشتراك في وجه معقول ويمكن لاجلهما جميعا مثال الاول تشبيه الخد بالورد ومثال الثاني قوله صلى الله عليه وآله اياكم وخضراء
الدمن لما تشبيه ما حوت للمرأة والنبات وهما محسوسان ولكن وجه المشابهة هو مقارنة الحسن للقبح الباطن وهو امر عقلي ومثال
الثالث تشبيه الشخص الرفيع القدر الحسن الوجه بالشمس لاشتراكهما في النباهة التي هي امر عقلي وفي الضياء الذي هو امر حسي واما تشبيه
المعقول بالمعقول او المحسوس بالمعقول فيمتنع ان يكون وجه المشابهة غير عقلي لان وجه المشابهة مشترك بين الجانبين فلو
كان محسوسا لم يصح وصف المعقول به واما العقلي فيصح ان يصدق على ما لا يكون محسوسا او محسوس فثبت ان التشبيه بالوجه
المعقول اعم **البحث الرابع** التشبيه بالوصف المحسوس اتم من التشبيه بالوصف المعقول بيانه من وجهين احدهما ان اكثر الغرض
في التشبيه التخييل الذي يقوم مقام التصديق في الترغيب والترهيب والخيال اقوى على ضبط الكيفيات المحسوسة منه على الامور الاعتبارية
الثاني ان الاشتراك في نفس الصفة اسبق من الاشتراك في مقتضاها لان الصفة في نفسها متقدمة في التصور على مقتضاها فاذا
كانت الصفة المحسوسة اتم في التشبيه من الامر المعقول **البحث الخامس** في تقسيم ما به المشابهة الى المفرد والمركب المشابهة اما
ان يكون في امر واحد او في امور كثيرة والاول اما ان لا يكون مقيدا بالنسبة الى شيء او يكون فالاول كتشبيه الكلام بالعسل
في ان كل واحد منهما يوجب للنفس لذة وحالة محمودة واما الثاني فمثل الانتساب بعض امور الى المفعول به كقولهم اخذ القوس
باريها لان المقصود وقوع الاخذ في موقعه ووجوده من اهله وهذا لا يحصل من الاخذ المطلق ولكن من حيث الحكم الحاصل له بوقوعه
من باري القوس عليه واما الى ما يجري مجرى المفعول به وهو الجار والمجرور كقولهم لمن يفعل ما لا يفيد هو كالراقم على الماء فالتشبيه
ليس بمنتزع من الرقم المطلق بل منه على الماء واما الى الحال كقولهم كالحادي ليس له بعير اي الحادي حال ما لا يكون له بعير واما الى
المفعول به والجار والمجرور معا كقولهم هو كمن يجمع السيفين في غمد وهو كمن ينثر الجوز على القبة فالجمع المعدى الى السيفين لا يكفي
في التشبيه ما لم يشترط كونه جامعا لهما في الغمد ومنه قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا فانه تضمن التشبيه من اليهود لا من جهة
حقيقة الحمل المطلق بل لامرين آخرين احدهما تعديته الى الاسفار والآخر اقتران الجهل بما فيها لان الغرض توجيه الذم الى من اتعب نفسه
بحمل ما يتضمن المنافع العظيمة ثم لم ينتفع بها لجهله وهذا المقصود لا يحصل من الحمل المطلق بل منه مشروطا بالشرطين الاخرين ثم اذا كان ما به
المشابهة وصفا مقيدا فقد يمكن افراد جزئيه بالذكر وقد لا يمكن اما الاول فكقوله وكأن اجرام النجوم لوامعا درر نثرن على
بساط ازرق فانا لو قلت كان النجوم درر وكان السماء بساط ازرق كان التشبيه معقولا وان تغير المعنى المراد لان المقصود
من التشبيه ههنا ذكر الامور العجيبة من طلوع النجوم مؤتلقة متفرقة في اديم السماء وهي زرقاء زرقتها الصافية والنجوم تتلالا في تلك الزرقة
ومعلوم ان هذا المقصود لا يبقى اذا فرق التشبيه واما الثاني فكقوله كانما المريخ والمشتري قدامه في شامخ الرفعة منصرف بالليل
عن دعوة قد اسرجت قدامه الشمعة فلو قلت كان المريخ منصرف عن دعوة وتركت حديث المشتري والشمعة كان خلفا من القول
لان التشبيه للمريخ حيث الحالة الحاصلة له من تقدم المشتري له فاذن لا يمكن افراده بالذكر **البحث السادس** في التشبيهات المتعددة
المجتمعة انما يكون الامر كذلك اذا كان التشبيه من امور كثيرة لا يتقيد بعضها بالبعض ثم يكون التشبيهات مضموما بعضها الى بعض لاغراض
كثيرة كل واحد منها قائم بنفسه ولهذا النوع خاصيتان الاولى انه لا يجب فيها الترتيب فانك لو قلت زيد كالاسد باسا والبحر جودا
والسيف مضاء والبدر بهاء لم يجب عليك ان تحفظ في هذه التشبيهات نظاما مخصوصا الثانية اذا سقط البعض فانه لا يتغير حال
الباقي كقولهم هو يصفو ويكدر ويحلو ويمر ولو تركت ذكر الكدورة والمرارة لكان المعنى في تشبيهه بالماء الصافي والعسل في الحلاوة
باقيا **البحث السابع** يجب رعاية جهة التشبيه ولا يجوز تعديها والا وقع الخطاء مثاله ما قيل النحو في الكلام كالملح في الطعام فان جهة
التشبيه ههنا هي الاصلاح والفصول ان الطعام كما لا يصلح الا بالملح كذلك الكلام لا يصلح الا بالنحو فاما ما ظنه بعضهم ان المقصود هو ان القليل
من النحو مغن والكثير مفسد كما ان القليل من الملح مغن والكثير مفسد فهو ظن فاسد لان النحو علم بمجموع قوانين مضبوطة يمتنع تطرق الزيادة
والنقصان الى جريانها في الكلام كقولك كان زيد قائما فانه لا بد فيه من رفع الاسم ونصب الخبر فان وجد فيه النحو من غير زيادة
ولا نقصان وان لم يحصل عدم النحو فلا زيادة ولا نقصان فيه **البحث الثامن** في اكتساب وجه المشابهة الطريق البين تمييز ما به المشابهة
عما به الافتراق مثلا من اراد تشبيه شيء في هيئة الحركة وجب ان يطلب الوفاق بين الهيئة والهيئة المجردة عن الجسم وسائر ما فيه من الاعراض
كما فعل ابن المعتز في قوله وكأن البرق مصحف قار فانطباقا مرة وانفتاحا فلم ينظر في جميع اوصاف البرق ومعانيه الا الى الهيئة التي
تجدها العين من انبساط يعقبه انقباض ثم لما بحث عن اوصاف الحركات لينظر ايها اشبه بها اصاب ذلك فيما يفعله القارئ باوراق
المصحف من فتحها مرة وطبقها اخرى ولم يكن حسن التشبيه لكونه جامعا بين مختلفين بل لحصول الاتفاق بينهما من ذلك الوجه ولاجل
اجتماع الامرين عن الاتفاق التام والاختلاف التام كان حسنا ومما يناسب ذلك كونه جامعا بين المختلفين محاولة الشاعر جعل الشيء سببا

لصدره كقوله سوما صنعت من الرقي فيا بردا على كبدي نصرت عبد الله التوفيق وما احسن توفيقي الى احد **الركن الثالث** في غرض
التشبيه انه اما ان يكون عائدا الى المشبه او الى المشبه به اما الاول فقد يكون غرضه بيان الحكم المجهول وقد لا يكون اما الاول فاما ان يقصد
بيان امكانه عند ما لا يكون بينا فيحتاج الى التشبيه ليبينه كقوله فان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال فان المقصود
ان يقول ان الممدوح فاق الانام حتى لم يبق بينهم وبينه مشابهة بل صار اصلا بنفسه ولما كان هذا في الظاهر كالممتنع استبعد ان يتناهى
انسان في الفضائل الى ان يخرج من نوعه احتج لدعواه بان المسك وان كان بعض دم الغزال الا انه قد خرج عن صفة الدم وحقيقته
حتى صار لا يعد دما واما ان يقصد بيان مقداره كقولك للشيء الاسود انه كحلك الغراب فان المقصود من هذا التشبيه بيان مقدار
السواد في الحلوكة لا امكان وجوده واما الثاني وهو ان لا يكون غرضه بيان حكم مجهول فقد يكون غرضه احد امرين احدهما نقل
النفس من الغريب الى القريب لان الف النفس مع العقليات لتأخر كثير من العلوم العقلية عن الحسية فاذا ذكرت المعنى العقلي الجلي ثم عقبته
بالتمثيل الحسي فقد نقلت النفس من الغريب الى القريب الثاني ان يقصد المباعدة بين المتشابهين لان التشابه يكون اغرب
فيكون اعجاب النفس بذلك التشبيه اكثر لان شغف النفس بالغريب الذي لم يعهد اكثر من المألوف المعتاد واما الاغراض العائدة الى
المشبه به فقد يقصد المادح على طريق التخييل ان يوهم في الشيء القاصر عن نظيره انه زائد عليه ويشبه الزائد به ليكون القاصر ويقصد
به اعلان ذلك القاصر اي هو بالغ الى حيث صار اصلا للشيء الكامل في ذلك الامر كقوله وبدا الصباح كان غرته وجه الخليفة حين
يمتدح الا ترى انه جعل وجه الخليفة اعرف واتم واشهر في النور والضياء من الصباح حتى شبه الصباح به وقد يقصد التمام عكس ذلك
الركن الرابع في التشبيه نفسه وفيه ابحاث **البحث الاول** التشبيه ليس من المجاز لانه معنى من المعاني وله حروف والفاظ
مخصوصة كالكاف وكان ونحوه ومثل تدل عليه وضعا فاذا صرح بالالفاظ الدالة عليه كان حقيقة فاذا قلت زيد كالاسد لم
يكن نقلا للفظ عن موضوعه الاصلي فلا يكون مجازا **البحث الثاني** في التشبيه الذي يصح عكسه والذي لا يصح قد يكون الغرض
من التشبيه الحاق الناقص بالزائد مبالغة في اثبات الحكم للناقص اذا شبهت شيئا اسود بحافة الغراب ووجها حسنا بالصباح والصبح
بالبدر والشمس ومثل هذا يمتنع العكس فيه لان تنزيل الزائد منزلة الناقص يضاد المبالغة الاولى وقد يكون المقصود الجمع بين
الشيئين في مطلق الصورة او الشكل او اللون كتشبيه الصبح بغرة الفرس لا لاجل المبالغة في الضياء بل لاجل ظهور بياض في سواد
مع كون البياض قليلا بالاضافة الى السواد والعكس جائز كما لو شبهت غرة الفرس بالصبح **البحث الثالث** في التشبيه الواقع
في الهيئات انه قد يقع في الهيئات التي تقع عليها الحركات وقد يقع في الهيئات التي تقع عليها السكنات اما الاول فعلى وجهين احدهما
ان يقرن الحركة بغيرها من الاوصاف والشكل واللون كقول ابن المعتز والشمس كالمرآة في كف الاشل اراد ان لها من الاستدارة والاشراق
الحركة التي تراها اذا امعنت التأمل وذلك لان للشمس حركة دائمة متصلة ولنورها بسبب تلك تموج ولا يحصل هذا التشبيه الا ان تكون
المرآة في كف الاشل لدوام حركته فيتموج بسببه نور المرآة وذلك حال الشمس وثانيهما ان يكون التشبيه في هيئة الحركة مجردة من
كل وصف يقارنها مثاله قول الاعشى يصف السفينة وتلعب الامواج بها تقص السفين بجانبيه كما ينزو الرباح خلاله الكرع و
الرباح القرد في لغة اهل اليمن واصله بتشديد الباء فخففه وقيل الرباح وهو الفصيل فاشبع فتحة الباء فحدثت الالف و
الكرع ماء السماء يكرع فيه شبه السفينة في انحدارها وارتفاعها بحركات القرد اذا نزا في الماء فانه يكون له حركات مختلفة في جهات
مختلفة ويكون هناك تسفل وتصعد على غير ترتيب وهو اشبه شيء بحركات السفينة حين تتدافعها الموج واما التشبيه الواقع
في الهيئات التي تقع عليها السكنات فكقول الاخطل في صفة المصلوب كانه عاشق قد مد صفحته يوم الوداع الى توديع مرتحل
او قائم من نعاس فيه لوثته مواصل لتمطيه من الكسل فلطفه بسبب ما فيه من التفاصيل ولو قال كانه متمطي من نعاس واقتصر عليه
لكان قريب التناول لان هذا القدر من التشبيه يحصل في نفس الرائي للمصلوب لكونه من باب الجملة واما على التفصيل الذي
فيه بان اسنده الى ذلك الهيئة فلا يحصل الا مع التأمل لحاجته الى ان ينظر الى احوال المتمطي من مد ظهره ويديه ويزيد على ذلك النظر
الى اسنده امنه لذلك والى علته وهي قيام اللوثة والكسل في القائم من النعاس هذا اصل فيما يراد به التفصيل وهو ان تثبت في
الوصف امر زائد على المعلوم المتعارف ثم تطلب علته **البحث الرابع** في مراتب التشبيه في الخفاء والظهور التشبيه قد يكون
بالتخييل للذي لا وجود له في الاعيان كتشبيه الشقائق باعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد وقد يكون بما له وجود في الاعيان
ثم فالهيئة المعتبرة في ذلك اما ان توجد قليلا او كثيرا بيانه انك اذا قايست بين قوله وكأن اجرام النجوم لوامعا درر نثرن
على بساط ازرق وبين قول ذي الرمة كأنها فضة قد مسها ذهب عرفت ان الاول اغرب من الثاني لان الهيئة الاولى وهي وجود
درر منثور على بساط ازرق قل وقوعها من فضة اجرى عليها الذهب وكلما كان الشيء عن الوقوع ابعد كان اغرب فكان التشبيه
به الذ واعجب **البحث الخامس** في التمثيل والمثل قد خص التشبيه المنتزع من اجتماع امور يتقيد بعضها بالبعض باسم التمثيل

كان محمر الشقيق اذا تصوب او تصعد
اعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد

وقد يكون ذلك على وجه الاستعارة كقولك للمتردد في الامر انك تقدم رجلا وتؤخر اخرى تريد انك في ترددك كمن يقدم رجلا ويؤخر
اخرى وقد لا يكون كما اذا برزت الفاظ التشبيه كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية الاية واما المثل فهو تشبيه سائر اي كثر استعماله
على معنى ان الثاني بمنزلة الاول والامثال كلها حكايات لا تغير لان ذكرها على تقدير ان يقال في الواقعة المعينة انها بمنزلة ما وقع
فيه هذا القول كقولك لمن لم يتبع رأيك لا يطاع لقصير امر الا ترى انك تقول له ذلك بالالفاظ التي قالها منشئ هذا المثل ولو
غيرت هذه الالفاظ لم يتم مثلا **الفصل الرابع** في الاستعارة وفيه ثلثة اركان **الركن الاول** في حقيقتها واحكامها
وفيه ابحاث **البحث الاول** اجود ما قيل في حد الاستعارة انها استعمال اللفظ في غير ما اصطلح عليه في اصل المواضعة
التي بها التخاطب لاجل المبالغة وبالقيد الاول احترزنا عن الحقائق الثلث اللغوية والعرفية والشرعية وبقولنا لاجل
المبالغة في التشبيه عن سائر وجوه المجاز واعلم ان المستعار وان كان صفة للفظ الا انه صفة للمعنى اولا فان المعنى اولا
يعار ثم بواسطته يعار اللفظ بيانه من وجهين احدهما انه حيث لا يكون نقل الاسم تابعا لنقل المعنى تقديرا لم يكن ذلك
استعارة كالاعلام المنقولة فانك اذا سميت انسانا بيزيد او يشكر فانه لا يقال لهذه الالفاظ مستعارة اذ لم يكن نقلها
تبعا لنقل معانيها تقديرا الثاني ان العقلاء يجزمون بان الاستعارة ابلغ من الحقيقة فان لم يكن نقل الاسم تبعا لنقل المعنى
لم يكن فيه مبالغة اذ لا مبالغة في اطلاق الاسم المجرد عاريا عن معناه **البحث الثاني** الفرق بين الاستعارة والتشبيه حكم
اسنادي يستدعي مضافين وليس الاستعارة كذلك فانك اذا قلت رأيت اسدا لم تذكر شيئا الا وحتى تشبهه بالاسد فلم يكن
ذلك تشبيها بل اعطي المعنى لفظا ليس له لاجل المشابهة بينه وبين معناه الاصلي وما هو لاجل شيء اخر لا يكون نفس ذلك الشيء
واعلم انه متى قويت المشابهة بين الشيئين كان التصريح بالتشبيه قبيحا وذلك لقربه لشبهه من حقيقة المشبه به مثل اطلاق
لفظ النور على العلم والايمان والظلمة على الكفر والجهل فلا يحسن ههنا لقوة المشابهة ان يقول العلم كالنور وبالجملة فالاستعارة
انما تحسن حيث يكون التشبيه مقررا بين الناس ظاهرا فاما اذا اخفي واحتاج الى كلفة فلا بد من التصريح فانك لو قلت في
قوله عليه السلام مثل المؤمن كمثل النخلة رأيت نخلة واردت المؤمن كنت كما قال سيبويه ملغزا تاركا لكلام العرب **البحث
الثالث** في ترشيح الاستعارة وتجريدها اما ترشيح الاستعارة فان تراعي جانب المستعار وتوليه ما يستدعيه وتضم اليه
ما يقتضيه كقول كثير رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر فاستعار الرمي للنظر وراعى ما يستدعيه فاردفه بلفظ السهم وقول
امرئ القيس فقلت له لما تمطى بصلبه واردف اعجازا وناء بكلكل لما جعل لليل صلبا قد تمطى به اردفه بما يقتضيه من
الاعجاز والكلكل واما تجريدها فان تراعي جانب المستعار له كقوله تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف وكقول زهير لدى
اسد شاكي السلاح مقذف لو نظر الى المستعار ههنا لقيل فكساهم لباس الجوع ولقال زهير لدى اسد وافي المخالب والبراثن
البحث الرابع في الاستعارة بالكناية وتنزيلها منزلة الحقيقة واما الاستعارة بالكناية فهو ان يذكر بعض لوازم المستعار
للتنبيه عليه دون التصريح بذكره كقول ابي ذويب واذا المنية انشبت اظفارها فكانه حاول استعارة السبع للمنية لكنه لم يصرح
بها بل ذكر بعض لوازمها تنبيها بها على المقصود واما تنزيلها منزلة الحقيقة فاعلم انهم قد يستعيرون الوصف للشيء المعقول ويجعلون
ذلك كالثابت لذلك الشيء في الحقيقة وكان الحقيقة قد وجدت وذلك كاستعارة العلو لزيادة الرجل على غيره في الفضل ثم
يبنون الكلام ويضع من يذكر علوا مكانيا كقول ابي تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء فقصد ههنا ان يتناسى
التشبيه ويرفعه راسا ويجعل الممدوح صاعدا في السماء صعودا مكانيا وهكذا اذا استعاروا اسم الشيء لغيره من نحو بدر واسد
فانهم يبلغون الى حيث يعتقد ان ليس هناك استعارة كقوله قامت تظللني ومن عجب شمس تظللني من الشمس فلولا انه ينسى
نفسه ان ههنا استعارة لما كان لهذا التعجب معنى ومدار اكثر هذا النوع على التعجب وقد يجيء على عكسه ذهب التعجب كقوله لا
تعجبوا من بلى غلالته قد زر ازراره على القمر فقد ذكر كما ترى شيئا هو من خاصة القمر فهو ينهاهم عن التعجب من بلى الكتان بسرعة
ويقول انه قد زر على القمر ومن شان القمر ذلك وهذا انما يتم بالجزم بكونه قمرا اذ لو اعترف بانه ليس بقمر وانما يشبه القمر لبطل
كلامه **البحث الخامس** في شرط حسن الاستعارة واعلم ان الاستعارة انما تحسن بالمبالغة في التشبيه مع الايجاز
كقوله ايا من رمى قلبي بسهم فانفذ لا كقول ابي تمام لا تسقني ماء الملام فانني صب قد استعذبت ماء بكائي فان قوله ماء
الملام ليس فيه لذاذة ولو اتى بالحقيقة فقال لا تلمني لكان اوجز وقد تكون الاستعارة عامية كقولك رأيت اسدا واردت
بحرا وقد يكون خاصية كقوله وسالت باعناق المطي الاباطح شبه سيرها الحثيث وغاية سرعته في لين وسلاسة
بسيل وقع الاباطح فجرت به **الركن الثاني** في اقسام الاستعارة وفيه ابحاث **البحث الاول** الاستعارة قد تعتمد نفس
التشبيه كما اذا اشترك شيئان في وصف وهو في احدهما ازيد فيعطى الناقص اسم الزائد كقولك رأيت اسدا وزيد رجلا

شجاعا

شجاعا وعنت لنا ظبية وتريد امرأة وقد تعتمد لوازم التشبيه وهو اذا كانت جهة الاشتراك انما تثبت كما لها في المستعار منه بواسطة
امر اخر فيثبت ذلك الامر للمستعار له مبالغة في اثبات المشترك كقوله اذ اصبحت بيد الشمال زمامها فالشمال في تصريفها الغداة
على حكم طبيعتها كالحيوان المتصرف الا ان تصرف الحيوان لما كان في اكثر الاحوال باليد كانت اليد كالآلة التي يكمل بها التصرف
ولما كان الغرض ههنا اثبات التصرف وهو لا يكمل الا بثبوت اليد لا جرم اثبت للريح يدا تحقيقا للغرض وكذا قوله اذا هزه
في عظم قرن تهللت نواجذ افواه المنايا الضواحك لما شبه المنايا عند هز السيف بالمسرور وكمال الفرح انما يظهر بالضحك
الذي يتهلل فيه النواجذ اثبت الضحك مع تهلل النواجذ تحقيقا للوصف المقصود **البحث الثاني** واعلم ان القسم الاول
على اربعة اقسام احدها ان يستعار لفظ المحسوس لمحسوس والاشتراك بينهما اما في الذات دون الصفات او بالعكس فالاول
كحقيقة تتفاوت احادها في الفضيلة والنقص والقوة والضعف فيستعار لفظ الاكمل في ذلك النوع للانقص كاستعارة الطيران
للعدو وسرعته فيقال للعدو المسرع طيران اذ الطيران والعدو يشتركان في الحقيقة وهي الحركة المكانية ويختلفان في القوة والضعف
واما الثاني فكقولهم رأيت شمسا وتريد انسانا يتهلل وجهه فههنا الانسان مخالف للشمس في الحقيقة مشارك لها في الوصف
وكقول علي عليه السلام في ذكر النبي صلعم اختاره من شجرة الانبياء فان الشجرة واصل النبوة يختلفان بالحقيقة لكنهما يشتركان في ان كل واحد
منهما اصل يتفرع عليه فروع وثانيها استعارة لفظ المعقول للمعقول وهو ايضا انما يكون اذا اشتركا في وصف احدهما به اولى
وهو فيه اكمل فينزل الناقص منزلة الكامل ثم ان المشتركين قد يكونان متعاندين اما تعاند النقيضين وهو كاستعارة العدم للموجود
عند ما لا يكون في ذلك الموجود فائدة فيشارك المعدوم في عدم الفائدة فيستعار لفظه له او كاستعارة الموجود للمعدوم عند
ما يكون للمعدوم آثار باقية يشارك بها الموجود الا ان الموجود بمثلها اولى فيستعار لفظه له واما تعاند الضدين حقيقة كان او
ظاهرا وهو كتشبيه الجاهل بالميت لان الموت والحيوة للجاهل اشتركا في عدم الفائدة المطلوبة منه وهي الادراك والعقل الا ان الموت
بها اولى فيستعار لفظه لها ومنه قول علي عليه السلام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقد لا يكونان متعاندين وهو كاشتراك موجودين
في وصف معقول الا ان احدهما اولى فينزل الناقص منزلة الزائد كقولهم فلان لقي الموت اذا لقي شيئا من الشدائد لاشتراك
الموت والشدائد في المكروهية لكن الموت اولى بها فينزل الشدائد منزلة الموت فيستعار لفظ الموت لها وثالثها استعارة لفظ
المحسوس للمعقول وهو كاستعارة لفظ النور المحسوس للحجة واستعارة لفظ القسطاس المحسوس للعدل ومنه قوله في صفة القرآن
وانه حبل الله المتين وفيه ربيع القلب وينابيع العلم فاستعار لفظ الحبل والربيع والينابيع لمعاني القرآن ورابعها استعارة لفظ المعقول
للمحسوس وهو ان يجعل المعقول اصلا في التشبيه فيبالغ في تشبيه المحسوس به كقوله فمنظرها شفاء من سقام ومخبرها احياء من ممات
فان الموضع المنظور اليه منها لما شارك الشفاء في الالتذاذ الحاصل عنهما وكان الشفاء اولى بذلك بالغ في تشبيه المنظر به فاعاره اسمه
وكان المخبر هو محل الاخبار وهو اما قولها او فعالها المحسوس او شيء اخر لما شارك الحيوة في الالتذاذ الحاصل عنهما وكانت الحيوة اولى به من المخبر
بالغ في تشبيه المخبر بها فاستعار له لفظها **البحث الخامس** في الكناية وفيه بحثان **البحث الاول** في حقيقتها اما حقيقتها فاعلم ان اللفظة اذا اطلقت
واريد بها غير معناها فاما ان يراد بها مع ذلك معناها او لا يراد والاول هو الكناية كقولك فلان طويل النجاد كثير رماد القدر فقولنا طويل
ليس الغرض الاصلي به معناه بل ما يلزم منه من طول القامة وكذا كثرة الرماد فان المقصود منه ما يلزم من اطعام الخلق والتكرم عليهم فهذه هي
الكناية في المفرد واما في المركب فهي ان يحاول اثبات معنى من المعاني لشيء فيترك التصريح باثباته له ويثبت لمتعلقه كقوله ان المروءة
والسماحة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج لما اراد اثبات هذه المعاني للممدوح لم يصرح بها بل عدل الى ما ترى من الكناية بجعلها في
قبة ضربت عليه ومنه قولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه ومثاله في جانب النفي قوله يبيت بمنجاة من اللوم بيتها اذا ما بيوت
بالملامة حلت فتوصل الى نفي اللوم عنها بان نفاه عن بيتها **البحث الثاني** في الفرق بينها وبين المجاز الفرق بينهما ان الكناية عبارة
عن ان تذكر لفظة وتفيد بمعناها معنى ثانيا هو المقصود واذا اثبتت له هذا بمعنى اللفظ وجب ان يكون معناه معتبرا
فلم تكن قد نقلت اللفظة عن موضوعها فليست مجازا مثاله انك اذا قلت فلان كثير الرماد فانت تريد ان تجعل كثرة الرماد دليلا على جوده
فقد استعملت هذه الالفاظ في معانيها الاصلية وقصدت بكونه كثير الرماد معنى ثانيا يلزم الاول وهو الجواد بخلاف المجاز فانك تنقل
اللفظة عن معناها الاصلي وبالله التوفيق **الجملة الثانية** في النظم وفيها فصول **الفصل الاول** في حقيقته انه وضع الكلام على
النهج الذي يقتضيه علم النحو والعمل فيه بقوانينه واصوله بيانه انك تنظر في وجوه كل باب وفروقه فتنظر في الخبر مثلا الى الفرق بين ما اذا كان خبر
المبتدأ اسما مشتقا او صريحا او فعلا ماضيا او مستقبلا وبين ادخال الالف واللام عليه وعدمها والفصل بالضمير وعدمه وفي الشرط و
الجزاء الى الوجوه التي تختلف بحسب اختلاف كون الجملتين فعليتين او احديهما فعلية والاخرى اسمية وان كانتا فعليتين فتنظر الفرق بين
ما اذا كان الفعلان ماضيين او مستقبلين او احدهما ماضيا والاخر مستقبلا وفي الحال اذا كان اسما او فعلا وفي الحروف التي تشترك في معنى ان

الواضحة

بكون وضعها اليوم نحو ان يجيئ بما في نفي الحال والماضي وبلا في نفي الاستقبال وبان فيما يتردد بينهما وباذا فيما علم انه كائن وان تعرف
مواضع الفصل والوصل ومواضع التعريف والتنكير والتقديم والتاخير والحذف والتكرار والاضمار والاظهار فتضع كل شيء مكانه
واعلم انه ليس اذا حسن التنكير مثلا او التعريف واحد هذه الامور في موضع حسن في كل موضع بل انما يحسن بحسب الموضع الذي يقصد
وحاصل هذه التقريرات ان النظم انما يحصل في كلمات بعضها الى البعض وذلك ان النظم تعتبر فيه احوال المفردات واحوال انضمام بعضها
الى بعض فاما احوال المفردات فاما ان تعتبر حال دلالة الالفاظ او حال دلالة مدلولها وحركاتها وسكناتها فهذه هي اقسام الاعتبار
والنظم الكامل انما يحصل اذا اختير من هذه الامور الثلثة في كل موضع ما هو الاليق به **الفصل الثاني** في اقسام النظم ان الجمل
الكثيرة اذا نظمت نظما واحدا فاما ان تتعلق بعضها بالبعض او ليس فان كان الثاني لم يحتج ذلك النظم الى فكر في استخراج مثاله
قول علي ع لا مال اعود من العقل ولا داء اعوى من الجهل ولا عقل كالتدبير ولا كرم كالتقوى وان كان الثاني فكلما كانت اجزاء الكلام اشد
ارتباطا كان ادخل في الفصاحة وليس له قانون يحفظ الجميع على وجوه شتى ولنذكر بعض ما يعتبر منها وهو عشرون وجها **الوجه الاول**
المطابقة وهي الجمع بين المتضادين في الكلام مع رعاية التقابل حتى لا يضم الاسم الى الفعل كقوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقوله
سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار وقوله تعالى تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء
وتعز من تشاء وتذل من تشاء **الوجه الثاني** المقابلة وهي ان تجمع بين شيئين متوافقين وبين ضديهما ثم اذا شرطتهما بشرط
وجب ان تشترط ضديهما بضد ذلك الشرط كقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى
وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى فلما جعل التيسير مشتركا بين الاعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده وهو التعسير مشتركا بين اضداد
تلك الامور وهي المنع والاستغناء والتكذيب **الثالث** المزاوجة بين معنيين في الشرط والجزاء كقول البحتري اذا ما نهى الناهي فلج بي
الهوى اصاخت الى الواشي فلج بها الهجر **الرابع** الاعتراض وهو ان يدرج في الكلام ما يتم الغرض دونه كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم
وانه لقسم لو تعلمون عظيم وقول علي ع اما بعد فان الله خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم **الخامس** الالتفات وهو العدول
عن مساق الكلام الى مساق اخر غير مناف للاول في المعنى بل متمم له على جهة التبدل وغيره كالعدول عن الغيبة الى الخطاب كقوله تعالى مالك
يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقول علي ع وبنا انفجرتم عن السرار
وقر سمع لم يفقه الواعية **السادس** الاقتباس وهو ان تدرج كلمة من القران او اثر منه في الكلام ترتيبا لنظامه كقول ابن شمعون ...
اصبروا عن المحرمات وصابروا على المفترضات ورابطوا بالمراقبات واتقوا الله في الخلوات يرفع لكم الدرجات **السابع** التمليح وهو
ان يشار في فحوى الكلام الى مثل سائر او شعر نادر كقول علي ع في خطبة الشقشقية شتان ما يومي على كورها ويوم حيان اخي جابر
الثامن ارسال المثلين وهو الجمع بين المثلين كقوله الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل **التاسع** اللف والنشر وهو
ان تلف شيئين ثم تورد تفسيرهما جملة ثقة بان السامع يميز ما لكل منهما كقوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا
فيه ولتبتغوا من فضله ويقرب منه ان تذكر لفظا يتوهم انه يحتاج الى البيان فتقصده مع تفسيره كقوله تعالى يوم يأت لا تكلم نفس
الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار الاية واما الذين سعدوا ففي الجنة الاية **العاشر** التعديد وهو ايقاع
الاعداد من الاسماء المفردة في النظم والنثر على مساق واحد فان روعي فيه ازدواج او تجنيس او مطابقة او مقابلة حسن جدا مثاله من
النثر قولهم فلان اليه الحل والعقد والقبول والرد والامر والنهي والاثبات والنفي ومن النظم قول المتنبي الخيل والليل والبيداء
تعرفني والطعن والضرب والقرطاس والقلم **الحادي عشر** تنسيق الصفات كقوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس
السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وقوله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وقوله ولا تطع كل حلاف مهين والتنسيق في اوائل
الخطبة كثير **الثاني عشر** الايهام وهو ان يكون للفظ ظاهر وتاويل فيسبق الى فهم السامع الظاهر ان المراد هو التاويل كقوله تعالى
والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه **الثالث عشر** مراعاة النظير وهو جمع الامور المتناسبة المتوازنة
كقول علي ع الحمد لله غير مقنوط من رحمته ولا مخلو من نعمته ولا مايوس من مغفرته **الرابع عشر** المدح الموجه وهو ان يمدح بشيء
يقتضي المدح بشيء اخر كقول المتنبي نهبت من الاعمار ما لو حويته لهنئت الدنيا بانك خالد فاوله مدح بالشجاعة واخره مدح بعلو
الدرجة **الخامس عشر** المحتمل للضدين وهو ان يكون الكلام محتملا للمدح والذم على السواء كمن قال لرجل اعور ليت عينيه
سواء **السادس عشر** تجاهل العارف كقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وكقول المتنبي ارتقيك ام ماء الغمام ام
السابع عشر السؤال والجواب كقوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال ربكم ورب ابائكم الاولين **الثامن عشر**
الحذف وهو ان يتكلف حذف حرف من حروف المعجم كما حذف علي ع في خطبته المسماة بالموقوفة **التاسع عشر** التعجب كقوله فما
تحمل المفترين من التوبيخ في محفل القيامة ويا حسرة الظالمين اذا غابوا اهل السلامة **العشرون** الاغراق في الصفة كقول امرئ القيس

المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر

خالط لحم قناء ليت عينيه سوا تلك شعر السيد ... ام ماء الغمام

من القاصرات

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا وقول المتنبي كفى بجسمي نحولا انني رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني
الحادي والعشرون في حسن التعليل وهو ان يذكر وصفان احدهما علة للاخر والغرض منهما ذكرهما جميعا كقول علي
في ذم الدنيا هانت على ربها فخلط حلالها بحرامها وخيرها بشرها وكقوله فان غادر الغدران في صحن وجنتي فلا غرو
لم يزل كان غادرا واعلم ان وجوه النظم كثيرة ولما كان كثير منها قلما يوجد في كلام المطبوعين من المتقدمين وانما هي صناعة
تكلفها المحدثون لا جرم ذكرنا ما كان غالبا في القران الكريم والكلمات النبوية وكلام علي ع والمطبوعين على الكلام من سائر الفصحاء
وما اسمه المتاخرون وان كان لا ينخرط في سلك الاولين الا انه يدل على ذكاء مبدعه وفطنة مخترعه وبالله التوفيق **الفصل
الثالث** في التقديم والتاخير وفيه ابحاث **البحث الاول** في فائدتهما اذا قدم اللفظ على غيره فاما ان يكون في النية مؤخرا
كخبر المبتدأ اذا قدم على الفاعل واما ان لا يكون على نية التاخير ولكن على ان ينقل الشيء من حكم الى حكم اخر مثاله ان تذكر اسمين كل
واحد منهما يصلح ان يكون مبتدأ والاخر خبرا فتقدم هذا تارة وذاك اخرى كقولك زيد المنطلق وعكسه قال سيبويه عند ما يذكر
الفاعل والمفعول كانهم يقدمون الذي بيانه اهم وهم ببيانه اعنى وان كانا معا يهمانهم مثاله اذا ارادوا الاخبار عن قتل شخص
خارجي لا من حيث هو شخص معين قالوا قتل الخارجي زيد واذا صدر عن بعض الفضلاء فتنة وارادوا الاخبار عن ذلك قدموا اسمه على
فعله لان ذكره اولا اتم تنبيه الفعل اليه وفي النفوس من العكس فكان عند المخبر اهم لنذكر ما يتم تقديمه وما لا يتم في الاستفهام
والخبر والنفي **البحث الثاني** في التقديم والتاخير في الاستفهام المذكور عقيب حرف الاستفهام اما الفعل او الاسم فان كان
الاول كان هو المشكوك في وجوده والمسؤول عن معرفته مثاله قولك أبنى زيد داره فان السؤال واقع عن وجود البناء
الشك في وجوده وان كان الثاني فالسؤال واقع عن تعيين الفاعل كقولك أانت بنيت هذه الدار ثم الاستفهام قد يجيء للانكار
تارة وللتقرير اخرى والحال فيهما ما ذكرناه اما الانكار فكقوله تعالى افاصفيكم ربكم بالبنين اصطفى البنات على البنين والانكار
ههنا للفعل فاذا قدم الاسم كان الانكار للفاعل كقولك لمن انتحل شعرا أانت قلت هذا الشعر واما التقرير فكقوله تعالى أخرقتها لتغرق
اهلها اقتلت نفسا زكية بغير نفس فان المقصود تقرير الخرق والقتل عليه تمهيدا للتوبيخ اللوم اليه اما تقديم الاسم فكقولك أانت لكذا فقلت
زيدا فانه سؤال على سبيل التقرير لتعيينه للقتل واعلم ان حال المفعول فيما ذكرنا كحال الفاعل فاذا قدمت المفعول توجه الانكار الى
كونه بمثابة ان يوقع به مثل هذا الفعل ولذلك قدم في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا وقوله اغير الله تدعون وقوله أبشرا منا
واحدا نتبعه **البحث الثالث** في التقديم والتاخير في حروف النفي اذا دخلته على الفعل كقولك ما ضربت زيدا
كنت قد نفيت فعلا لم يثبت انه مفعول لان نفيك لضرب زيد عن نفسك لا يقتضي وقوع الضرب به ولا نفيه عنه لان نفي الخاص لا يدل على
نفي العام ولا على ثبوته واذا ادخلته على الاسم كقولك ما انا ضربت زيدا فهم من ذلك انه وقع به الضرب وكان القصد نفي كونك انت الضارب
والشاهد بهذا الفرق هو الذوق السليم **البحث الرابع** في التقديم والتاخير في الخبر المثبت والمنفي هو كالتقديم والتاخير في الاستفهام
فانك اذا قدمت الاسم فقلت زيد قد فعل اقتضى ان يكون القصد الى الفاعل اما لتخصيص الفعل به كقولك انا كتبت في معنى فلان
الامر تريد انك اختصصت بذلك من بين من عداك واما لاجل ان تقديم ذكر المحدث عنه اكد لاثبات ذلك الفعل له كقولهم فلان يعطي الجزيل
فلا يقصد الحصر بل ان يتحقق عند السامع ان اعطاء الجزيل دابه وبيان ذلك انك لما ذكرت الاسم المحدث عنه والاسم لا يعرى عن العوامل
الا الحديث فقد نوى اسناده اليه فاذا قلت عبد الله فقد اشعرت بانك تريد الحديث عنه فيحصل شوق الى معرفة ذلك فاذا قدمته
ذلك قبله الذهن قبول العاشق لمعشوقه فيكون ذلك ابلغ في التحقيق ونفي الشبهة وان قدمت الفعل اقتضى ان يكون القصد الى ذكر
الفعل كقوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه فان القصد ههنا ذكر القضاء ونسبته الى الله تعالى ويقرب من ذلك حكم المنفي كقولك
انت لا تحسن هذا الفعل او لا تحسن انت هذا الفعل **البحث الخامس** في تقديم حرف السلب على العموم
وتاخره عنه اما الاول فاذا قدمت حرف السلب على صيغة العموم فقلت ما افعل كل كذا كان سلبا للعموم وذلك لا يناقضه الاثبات
الخاص حتى لو قلت وافعل بعضه لم يكن تناقضا اما اذا قدمت صيغة العموم على السلب فقلت كل كذا ما افعله فهم منه عموم السلب
وح يناقضه قولك وافعل بعضه في العرف وعلى هذا يظهر الفرق بين الرفع والنصب في قول ابي النجم قد جعلت ام الخيار تدعي علي ذنبا كله لم
اصنع فان نصب كل يقتضي سلب العموم ورفعه يقتضي عموم السلب **البحث السادس** في اقسام التقديم والتاخير واعلم
انه قد يختلف حال الكلام في التقديم والتاخير اختلافا كثيرا وقد يدق الفرق بين تقديم الكلمة وتاخيرها كقوله تعالى وجعلوا لله
شركاء الجن فبتقديم شركاء يفهم انه ما كان ينبغي ان يكون له شريك لا من الجن ولا من غيرهم والذم انما توجه اليهم لاثباتهم شركاء
اما لو قدم الجن لم يفهم الا انهم عبدوا الجن واما انكار المعبود الثاني فغير مفهوم منه ويكون الذم انما توجه عليهم لعبادة الجن دون
غيرهم فينبغي ان تلمح الفرق في تقديم بعض الكلام على بعض وتاخيره ولنذكر مواضع حسن التقديم والتاخير اما التقديم ففي

مواضع عشرة الاول ان تكون الحاجة الى ذكره اتم والعناية به اهم كقوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن فان تقديم الشركاء اولى لاجل ان المقصود التوبيخ
على جعل مطلق الشريك بخلاف لو اخر الثاني ان يكون التاخير مخلا باتصال الكلام كقوله تعالى وتغشى وجوههم النار فهذا
التى بما قبله وبما بعده من تاخير المفعول الثالث ان يكون الاول اعرف من الثاني كتقديم المبتدأ على الخبر والموصوف على
الصفة فينبغي ان تبتدئ في قولك زيد قايم بزيد لتتوصل بالتعريف بذكر ما يعرف الى الاخبار عنه بما لا يعرف فيقع الفائدة
ح على حدها وفي مرتبتها قال الامام لا ينتقض هذا بتقديم الفعل لان الفعل لفظ دال على ثبوت معنى لموضوع غير معين في
زمان معين من الثلثة والاسناد كالجزء الذاتي لمفهوم الفعل والاسناد امر اضافي والعقل اذا حصل له الشعور بالاضافة فلو
توقف هناك ولم ينتقل الى ما اليه الاسناد كانت الاضافة مستقلة بالمفهومية وهو محال وان انتقل الى ما اسند اليه الفعل
فذلك الشيء هو الفاعل فاذن من ضرورة الاسناد فهم المسند اليه واذا وجب هذا الترتيب في الذهن وجب ذلك في الالفاظ لمطابقة
ما في الذهن لما في الخارج واقول قد سبق ان الفعل اذا قدم في الاخبار كان لاجل ان ذكره اهم لان المقصود من ذكر الجملة الفعلية
لا ذات الفاعل بل ذكر الحدث المخصوص في الزمان المعين ونسبته الى الفاعل واذا كان كذلك جاز ان يقال ان تقديم الاعرف يكون
واجبا اذا كانت الكلمتان متساويتين في الاهتمام بذكرهما واما اذا كان ذكر احدهما اهم كان تقديمه اولى الرابع تقديم
الحروف التي لها صدر الكلام كحروف الاستفهام والنفي والنهي قال الامام تحقيقه ان الاستفهام طلب فهم الشيء وهو حالة اضافية
اذا ادركها العقل انتقل منها الى معروضها واذا وجب ان ينتقل منها الى معروضها وجب ان يكون في اللفظ كذلك فيقدم ما يدل على
الاضافة ملحوقا بما يدل على معروضها واقول يمكن ايضا ان يكون تقديم هذه الحروف من باب ما كان اهم وذلك ان الاستفهام والنفي
والنهي معان معقولة وهي المطلوبة من الجملة الداخلة عليها بالذات فكانت اهم فكانت اولى بتقديم الذكر وكذلك الادوات الدالة على
احوال النسب بين اجزاء الكلام كان واخواتها وكان واخواتها وعسى وبابها ونعم وبئس فانها تقدم لان معانيها هي المقصودة بالقصد
الاول من الجمل الداخلة عليها الخامس تقديم الكلي على جزئياته لان الكلي اعرف عند العقل وتقديم الاعرف اولى السادس
تقديم الدليل على المدلول السابع تقديم الناقص على تمامه كتقديم الموصول على الصلة والمضاف على المضاف اليه لان تمام الشيء
لا يتقدم عليه الثامن تقديم الاسماء المتبوعة على توابعها لان التابع لا يتقدم متبوعه التاسع تقديم المظهر على ضميره لان الحاجة
الى الضمير انما هو لاجل امر من الامور يدعو الضمير وذلك يتاخر عن تحقق ذي الضمير في العقل فيجب كذلك في الوضع كقولك ضرب
زيد غلامه وقضى زيد حاجته العاشر تقديم الفاعل على المفعولات وما في حكمها لانها امور تلحق الفاعل بالنسبة الى فعله
فكانت متاخرة عنه واذا علمت ما يجب تقديمه علمت من ذلك ما يجب تاخيره

الفصل الرابع في الفصل والوصل

حاصل معرفة الفصل والوصل يعود الى معرفة مواضع العطف والاستيناف والتهدي الى كيفية ايقاع حروف العطف مواضعها وهو باب عظيم
عند البلغاء ولذلك جعله بعضهم حد البلاغة فقال اذا سئل عن معناها انها معرفة الفصل والوصل وما ذاك الا لغموضه
وكون معرفته مؤدية للمعاني كما هي وذلك هو المقصد من علم البلاغة وتحقيق الكلام فيه في بحثين البحث الاول فائدة العطف التشريك
في الحكم بين المعطوف والمعطوف عليه فمن ادواته ما لا يفيد الا مجرد الشركة كالواو ومنها ما يدل على زيادة عليه كالفاء وثم فانهما
يدلان على التعقيب ان كانت ثم تختص بالتراخي ومثل او فانها تدل على الترديد فلنبحث عن مطلق الاشتراك فنقول العطف اما ان
يكون في المفردات وهو يقتضي التشريك في الاعراب واما في الجمل ح فالجملة ان كانت في قوة المفرد كقولك مررت برجل خلقه حسن
وخلقه قبيح كانت تشركتا في الاعراب حاصلة لكون الجملتين وصفين للنكرة وان لم يكن فاما ان تكون احدى الجملتين متعلقة
لذاتها بالاخرى او لا يكون فان لم يكن فاما ان يكون بينهما مناسبة او لا يكون فهذه اقسام ثلثة اما الاول فان يكون احدى الجملتين
تاكيدا للاخرى كقوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فقوله لا ريب تاكيد للاول ولا يجوز ادخال العاطف عليه لان التاكيد يتعلق
بالمؤكد لذاته فيستغني عن لفظ يدل على التعلق الثاني ان لا يكون بينهما مناسبة اصلا وههنا ايضا يجب ترك العاطف لان
العطف يستلزم المناسبة فيلزم من عدمها عدمه الثالث ان يحصل المناسبة بينهما مع عدم التعلق الذاتي فههنا يجب ذكر العاطف
ثم اما ان يكون المخبر عنه في الجملتين شيئين او شيئا واحدا اما الاول فالمناسبة اما بين المخبرين فقط او بين المخبر عنهما فقط او بينهما
معا والاول والثاني يختل معهما النظم لانك لو قلت زيد طويل والخليفة قصير مع عدم تعلق حديث زيد بحديث الخليفة اختل
وكذا لو قلت زيد طويل وعمرو شاعر اختل ايضا لعدم المناسبة بين طول القامة والشعر فتعين انه لا بد من حصول المناسبتين فاما
ان كان المخبر عنه فيهما شيئا واحدا كقولك فلان يضر وينفع ويامر وينهى ونحوه تعين دخول العاطف لانك لو قلت هو يضر ينفع
افاد العاطف انه هو الجامع لهما بخلاف ما لو حذفته البحث الثاني في عطف الجمل على الجمل اعلم انه كما يجوز ان يعطف جملة على جملة
كذلك يجوز ان يعطف مجموع جمل على مجموع جمل اخر وبيان ذلك في صورة الشرط والجزاء فانه قد يجعل مجموع جملتين شرطا ومجموع اخريين

جزاء كقوله

جزاء كقوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم فاذا ظهر ذلك
في الشرط والجزاء مثله في العطف كقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا
انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين الاية فقوله وما كنت ثاويا عطف على قوله وما كنت من الشاهدين
مع ما يتعلق بها اذ لو عطفها على ما يليها لدخلت في حكم لكن فصار التقدير ولكنك ما كنت ثاويا وهو باطل ولو عطفها على وما
كنت من الشاهدين دون ولكنا انشانا لكان في ذلك ابطال لكن عن موضعها وهو غير جائز

الفصل الخامس في الحذف والاثبات

وفيه بحثان البحث الاول في حذف المفعول والمبتدأ والخبر اما الاول فلان الفعل المتعدي قد يكون المقصود من ذكره
مجرد نسبته الى الفاعل ح يكون حاله كحال غير المتعدي في عدم الحاجة الى المفعول والتعرض له كقولك فلان يحل ويعقد ويامر
وينهى ويضر وينفع وقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقد يلاحظ مع ذلك في ذكره التنبيه الى المفعول الا ان
المفعول يحذف لاحد غرضين احدهما ان يكون المقصود ذكره لكن لابهام التعظيم والتفخيم كقول البحتري شجو حساده وغيظ عداه
ان يرى مبصر ويسمع واع فان المرئي والمسموع لا بد وان يكون شيئا معينا لحذفه واوهم بذلك ان كل ما يرى منه ويسمع
عظيم وانه فضيلة تشجو حساده وتغيظ عداه ومن ههنا يحصل البلاغة ولو ابرز ذلك المفعول المعين لما ذلك التعظيم لتوهم
تخصيص التهمين للتعظيم بالمفعول المذكور دون ما عداه وقد يكون ذكر المفعول اولى وابلغ وذلك اذا كان امرا عظيما بديعا كقوله
ولو شئت ان ابكي دما لبكيته لما كان بكاء الدم امرا عجيبا كان ذكره اولى الثاني ان يحذف للعلم به كقول علي ع ان اشنق لها خرم اي
انفها وان اسلس لها اي قيادها تقحم اي المهالك الثالث ان يضمر على شريطة التفسير كقوله اكرمني واكرمت عبد الله واما المبتدأ
والخبر فقد ورد حذف كل واحد منهما اما المبتدأ فكقوله تعالى سورة انزلناها واما الخبر فقوله تعالى اكلها دائم وظلها
وامثاله كثيرة فقد حكم بحسن ذلك البلغاء قال عبد القاهر ما من اسم حذف في الحال التي ينبغي ان يحذف فيها الا وجدته
احسن من ذكره وحسنها في المواضع التي يفهم عنها البلاغة البحث الثاني في الايجاز وحده التعبير عن الغرض باقل ما يمكن
من الحروف من غير اخلال مثاله قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة وقد كان المثل يضرب بقولهم القتل انفى للقتل الى ان اورد
هذه الاية والترجيح للاية من وجهين احدهما انه جزءان حروفهما عشرة وحروف المثل اربعة عشر الثاني ان القتل قصاصا لا ينفي
القتل ظلما من حيث انه قتل بل من حيث انه قصاص وهذه الجهة غير معتبرة في كلامهم ولها ترجيحات اخر لا نطول بذكرها ومن ذلك
قول علي ع قيمة كل امرء ما يحسنه وقوله المرء عدو لما جهله وقوله الجزع اتعب من الصبر وقوله تخففوا تلحقوا

الفصل الثالث في احكام ان وانما وما في حكمها

وفيه ابحاث البحث الاول في فوائد ان وهي اربع الاولى انها قد تربط احدى الجملتين بالاخرى فيحصل
النظم كقوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم وقوله تعالى ان وعد الله حق وقول علي ع ايها الناس انه لا يستغني
الرجل وان كان ذا مال عن عشيرته وقوله ع ان من احب عباد الله الى الله عبدا اعانه الله على نفسه فلو اسقطت ان في هذه المواضع
زالت المناسبة التي كانت بين الجملتين معها واعلم انك متى اسقطت ان من الجملة الثانية فان كانت انما ذكرت لتعليل الحكم في الجملة
الاولى فلا بد ان يعوض منها الفاء كقوله فزلزلة الساعة شيء عظيم الفائدة الثانية انك تجد لدخولها على ضمير الشان المعقب
بالجملة الشرطية وغيرها من الحسن والمزية ما لا تجده عند عدمها كقوله تعالى انه من يتق ويصبر وقول علي ع ايها الناس انه لا يستغني
الرجل كما ذكرناه الفائدة الثالثة انها تهيئ النكرة لان يحدث عنها كقوله ع ان من احب عباد الله الى الله عبدا كما مر ولو اسقطتها
لسقط الحسن والبلاغة وقد يسقط المعنى اصلا كما لو اسقطتها من قول الشاعر ان شواء ونشوة وخبب البازل الامون الفائدة
الرابعة اذا دخلت على الجملة فقد تغني عن الخبر كقولك ان مالا وان ولدا على تقدير ان لهم مالا وكقول الاعشى ان محلا وان مرتحلا وان
في السفر اذ مضوا مهلا والحق انها للتاكيد للتثبيت واذا كان الخبر بما ليس للمخاطب ظن او وهم في خلافه فلا حاجة الى ان هناك ولذلك
تزداد حسنا اذا كان الخبر امرا يبعد مثله وقد يجمع مع اللام للتاكيد في خبرها اذا كانت في جواب المنكر لشدة الحاجة هناك الى التاكيد
البحث الثاني في فائدة انما اتفق جمهور النحاة على انها للحصر وهو المفهوم منها مثاله قول علي ع وانما سميت الشبهة شبهة
لانها تشبه الحق وكقوله ع انا لم نحكم الرجال وانما حكمنا القران وهذا القران انما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان
وانما ينطق عنه الرجال ومراده بالحصر في هذه الصور ظاهر قال بعضهم انها ليست للحصر محتجا بقوله تعالى انما المؤمنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وبقوله انما المؤمنون اخوة مع ان الاجماع على ان من لم يوجل من ذكر الله قد يكون مؤمنا وان الاخوة غير
منحصرة في المؤمنين والجواب ان منشا الشك هو الغفلة عن ضابط الحصر وضابطه ان الجزء الاخير من الكلام الوارد عقيب انما هو المخصوص
بحصر الحكم فيه سواء كان هو الموضوع كقولك انما قام زيد فان المقصود حصر القيام في زيد او كان هو المحمول كقوله تعالى انما انا بشر
مثلكم فان المقصود حصر النبي في البشرية ونفي كونه غير بشر واذا تبين ذلك ظهر انها في الصورتين المذكورتين تفيد الحصر اما الاولى

فلانه يجوز ان يكون المقصر من الايمان هناك اقوى مراتبه وهو الاخلاص وح يتبين ان المؤمنين منحصرون في الوجلين من ذكر الله واما
في الثانية فلان المؤمنين منحصرون في صفة الاخوة في الدين كما هو المقصر من الاخوة ههنا واعلم انه قد يستعمل في مفهومها عبارة
اخرى بان احديهما قولك جاءني زيد لا عمرو وهو اضعف منها لانه انما يفيد حصر المجيء في زيد بالنسبة الى من اخرجه حرف النفي الثاني
ما جاءني الا زيد ومفهومها انما في الحصر والتخصيص كقوله تعالى ما قلت لهم الا ما امرتني به ويوزن في الامام بينهما […] فقال مفهوم
ان دلالة انما على نفي غير المذكور بالالتزام ودلالة ما والا على نفي الغير بالمطابقة فكانت اقوى في ذلك من دلالة انما ولذلك يصح ان
يقال انما زيد قائم لا قاعد ولا يصح ان يقال ما زيد الا قائم لا قاعد واقول ان صح ما ادعاه من عدم الصحة في الصورة الثانية كان
للمانع ان يمنع تعليل ذلك لمنع بكون ما والا دالة على نفي الغير بالمطابقة ويصرف ذلك القبح الى قرب لا المفيدة لنفي الغير الى الا
المفيدة للحصر وبعدها عن انما فكان التاكيد عقيب انما حسنا لطول الزمان بينهما على ان الامر عدم الصحة ههنا بل قد يورد تلك
وان كان عقيب انما احسن وقد يقام غير مقام الا فيفيد الحصر وقد لا يكون كذلك كقولك ما جاءني غير زيد تريد نفي مجيء الغير
فقط دون اثبات زيد **البحث الثالث** ان ما والا اذا دخلت على الجملة كان المقصر بالحصر فيه هو ما يلي الا بعد ما سواء كان فاعلا او
كقولك ما ضرب زيد الا عمرا ومضروبا كقولك ما ضرب زيدا الا عمرو وهكذا ان كان المنصوب حالا او ظرفا فان تاخر مثلا الفاعل
والمفعول معا عن الا فالمقصر هو ما يليها ايض كقولك ما ضرب الا زيد عمرا وكذلك لو قدمت المفعول على الفاعل فهو المقصر وهكذا حكم
المفعولين كقولك لم اكس الا زيدا جبة فالذي يلي الا هو المقصر بالتخصيص وهكذا المبتدء والخبر ايهما اخر عن الا فهو المراد بالتخصيص
كقولك ما زيد الا قائم فالمراد تخصيص هيئة القيام دون سائر الاحوال وما القائم الا زيد فهو تخصيص لزيد دون غيره واما تخصيص
ذلك في انما فاما في الفاعل والمفعول فايهما اخر عن صاحبه فهو المقصر ايض كقولك انما ضرب عمرا زيد فالمقصر تخصيص زيد دونه
قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ولو قدم العلماء لكان المقصر تخصيص خشيتهم الله وكذا الحال في المبتدء ان تركته على حاله فالاختصاص
للخبر كقوله تعالى انما السبيل على الذين يستاذنونك وان اخرته عن الخبر صار التخصيص له كقوله تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب
فان التخصيص في الاول للخبر وفي الثاني للمبتدء هذا بحسب المتبادر الى المفهوم من دون القرينة وبالله التوفيق **القاعدة الثانية**
في الخطابة وفيه ابحاث وخاتمة **البحث الاول** في حقيقة الخطابة وفائدتها الخطابة صناعة تتكلف فيها الاقناع الممكن للجمهور
فيما يراد ان يصدقوا به وقولنا تتكلف فيها الاقناع اردنا انه يتعاطى فيها هذا الفعل المخصوص بالغ قصد ليتم والاقناع الممكن هو الفعل الذي
تكلف واردنا بما يمكن من الاقناع والخطابة في الاقناع انجح من غيرها وفائدتها في تقرير المصالح الجزئية وقد تفيد ايض تقرير القوانين الكلية
لتلك المصالح كالعقائد الالهية والقوانين العملية وهي عظيمة النفع جدا لان الاحكام الصادقة مما هو عدل وحسن اتم نفعا واعود على
الناس فائدة واعم جدوى من اضدادها لان نوع الانسان انما هو مستبقى بالتشارك والتشارك محوج الى التعامل والتجاور وهما محوجان
الى احكام صادقة في الامور العملية ليثق كل بصاحبه وينتظم شمل المصلحة بينهم وباضداد الاحكام الصادقة تتشتت فيحتاج ان يكون هذه
الاحكام مقررة في النفوس متمكنة من العقائد والخطابة هي المتكفلة بحمل الجمهور على التصديق بها فان البرهان والجدل وان قصد بهما
التصديق الا ان الجمهور قاصرون عن درجة البرهان والجدل وان كان صناعة ضعيفة بالقياس الى البرهان فهو ايض يسير الفائدة للعامة
صعب بالقياس […] فهو ايض يسير الفائدة للعامة صعب على فطنهم وهم عاجزون عن قبوله والمخاطبة التي يجب ان يتلقاها
العامي بقبولها ينبغي ان تكون من الجنس الذي لا يرتفع عن مقامه ارتفاعا بعيدا بل تكون بالفاظ عذبة غير ركيكة عامية ولا متينة
ينبو فهمه عن قبولها كما سنذكره انشاء الله تعالى وقد اشار التنزيل الالهي الى هذه الصناعة في قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم الآية والحكمة هي البرهان وذلك لمن يحتمله والموعظة الحسنة هي الخطابة وهي لمن قصر الحقيقية
عن درجة البرهان وجادلهم بالتي هي احسن اي بالمشهورات المحمودة واخر الجدل عن الصناعتين لانهما مصروفتان الى الفائدة والمجادلة
مصروفة الى المفاوضة والغرض الاول من المخاطبة انما هو الافادة والغرض الثاني هو مجاهدة من ينتصب للمعاندة فاذن الخطابة صناعة
وافرة النفع في مصالح المدن وبها تدبر العامة وتنتظم احوالهم **البحث الثاني** في موضوع الخطابة واجزائها وليس للخطابة نظر في موضوع
معين وذلك لان العامة لا يهتدون الى تمييز بعض الموضوعات عن بعض اذ كان تخصيص الكلام في موضوع معين مبنيا على مبادي
تليق بذلك الموضوع وحده لا يعرفها العامي ونظر الخطابة بالذات في الجزئيات من اي مقولة اتفقت ولا يخص جزئيا دون اخر بل يقصد
بها الاقناع من اي جزئي اتفق على ان لها ان تنظر بالعرض في الامور الكلية من الالهيات والطبيعيات والخلقيات والسياسيات و
الخطابة لها اصل ومتممات تتممها وتعين عليها اما الاصل فهو القول الذي يظن انه لذاته يفيد اقناعا واما المتممات فجملتها ترجع
الى حرف واحد وهو انه لما كان الغرض من الخطابة ليس الا الاقناع كان كل مقنع مناسب للغرض منها فهو من متمماتها والامور المقنعة
اما قولية يراد بها صحة نقل الخبر كالقول الذي يقصد به الخطيب تقرير فضيلته عند السامعين والقول الذي يروم به اثبات

ان الشهادة مقنعة او كون المعجزة حجة واما شهادة واما حيلة اما الشهادة فاما قولية واما حالية اما القولية فكالاستشهاد بقول نبي او
امام او حكيم او شاعر وتسمى شهادة ماثورة او الاستشهاد باقوال قوم يحضرون ويشهدون بصدق قول القائل ان الامر كان او الاستشهاد بشهادة
الحاكم او السامعين بان القول مقنع وتسمى شهادة محصورة واما الحالية فاما ان تدرك بالعقل او بالحس والاولى فضيلة القائل و
اشتهاره بالصدق والتمييز واما الحال التي تدرك بالحس فاما بواسطة القول او بدونه اما الاول فكالاستشهاد بالمعجز عقيب
التحدي على صدق قول المدعي وكشهادة حال الحالف عقيب يمينه على قبول قوله وكشهادة حال المتعاهدين على قبول قولهما بعد
وضع العهود التي هي اقوال مدونة مكتوبة واما الحال المدركة بالحس من غير القول فاما احوال تتبع انفعالا نفسانيا كشهادة سحنة
وجه المخبر ببشارة على قبول قوله او شهادة سحنة المذعور الخائف المخبر عن نزول عذاب وحلول فتنة على قبول قوله او تكون ظاهرة
من خارج كشهادة جراح القائل او غيره على قدوم العدو للحرب واما الحيلة فتفيد الاعداد والاعداد اما للقائل بان يجب ان يكون مقبول
القول او للقول بحيث يصير انجع وانفع او للسامع بحيث يكون اقبل واما القائل فان يتكلف الاستشهاد على فضيلة نفسه او كان له
عليها او يتهيا بهيئة ويتزيى بصورة يخيل مثله مقبول القول واما القول فان يحسن فيه تصرفه فتارة يرفع به صوته وتارة يخفضه
وتارة يثقله وتارة يلينه ويجزئه بلا عظمى ذلك حال من يقصد امتاعهم كما سياتي في الترتيبات واما السامعون فاما المخاطب بالقصد
الاول واما حاكم يحكم بين المتخاطبين واما نظارة اما المخاطب فيحتاج ان يستعطف ويستمال ليصغي الى تصديق القائل وكذا الحاكم
واما النظارة فيكفي فيه ان يهيا بالحيلة بهيئة من هو مصدق وان لم يقع له التصديق والانفعال الحاصل للسامع اما انفعال كالرحمة والرقة
في الاستعطاف والقساوة والغضب في الاغراء واما ايهام خلق كايهام الشجاعة او السخاوة او غيرهما فقد ظهر ان الاقوال الخطابية التي
يقصد بها التصديق ثلثة اصناف اصل يسمى عمودا وهو القول الذي يراد به التصديق نفسه والثاني النصرة وهي القول الذي يغير
به ما له تصديق كالشهادة والثالث الحيلة وهي قول يفاد به انفعال شيء او ايهام الخلق وهما متممان للاصل وهذه اجزاؤها **البحث الثالث**
في مبادي الخطابة واعلم ان مبادي الاقوال الخطابية ثلثة احدها المشهورات المحمودة وهي اما حقيقية اتفق عليها الجمهور وتطابقت
عليها الشرائع والسنن وهي التي اذا تعقبت بالنظر لم يزل حمدها وان اطلع على كذبها كحسن الصدق وقبح الكذب والظلم وغيرها واما
محمودة ظاهرة في بادي الراي وهي التي تعارض الذهن فيحكم بصدقها قبل التفطن لها فاذا تعقبت زال حمدها لظهور كذبها وشنعها
كقوله انصر اخاك ظالما او مظلوما وهذه اعم من التي قبلها اذ كل محمود حقيقي محمود في الظاهر ولا ينعكس واستعمال الخطابي للاولى لا من جهة
كونها حقيقية بل لكونها ظاهرة واما محمودة بحسب قوم او شخص شخص وينتفع بها في تخاطبهم ومثل هذه وان نفعت في الخطابة الا
انها لا تكون عمدة في صناعة الخطابة لكونها غير متناهية او غير مضبوطة فان كل شخص يرى ما يهوى ويختلف الاراء بحسب الاهواء وثانيها
المقبولات ما عن جماعة او عن نفر او عن نبي او عن امام كالشرائع والسنن وعن حكيم كالطب المقبول عن جالينوس وبقراط او عن شاعر كابيات
تورد شواهد وتكون مقبولة فقط من غير ان تنسب الى مقبول منه كالامثال المضروبة وثالثها المظنونات وهي الاحكام التي يتبع
الاذعان فيها غالب الظن من دون جزم العقل بها كقولك زيد يسار العدو ليلا فهو عدو وربما يكون مقابله مظنونا كقولك زيد
يسار العدو جهارا لخدعه فهو صديق واما ثاني المقبولات منه فهي ما يظن منتجا وهي مقنعة بحسب المواد والصور معا ويستعمل القياس
والتمثيل والاستقراء وما يشبه الخلف فيها اما القياس فيسمى تثمير الحذف كراه وتفكر الاشتمال على وسط ينتج بالفكر هو اما على
هيئة الشكل الاول كقول علي ثم مضوا قدما على الظهر نفروا وجفوا على المحجة فظفروا بالعقبى الدائمة والكرامة البادرة فان تقدير الكبرى
وكل من كان كذلك ظفر بالعقبى الدائمة ويسمى هذا دليلا واما على هيئة الشكل الثاني كقولك فلان له ايمان في يقين فليس من الفساق
فان تقدير الكبرى ولا واحد من الفساق كذلك واما على هيئة الشكل الثالث كقولك العارف شجاع فالشجاع جواد لان تقدير
الكبرى العارف جواد ويسمى ما كان على هيئة هذين الشكلين علامة والقياس الظني قد لا يكون منتجا في نفس الامر اذ ليس من شرط
الخطابة ان تكون على هيئة منتجة كموجبتين في الشكل الثاني كقولك هذه منتفخة البطن فهي اذن حبلى وتقدير الصدق والحبلى
منتفخة البطن ويسمى هذه رواسم لرسمها في الذهن ظنا ما واما التمثيل فيسمى اعتبارا لعبور الذهن من المشبه به الى المشبه ويسمى
منه برهانا واستعمال التمثيل والقياس ويسمى تثبيتا والتمثيل اما ان يكون باصول متفق على القياس عليها سواء كانت امورا
موجودة او حوادث ماضية او امثالا مضروبة سائرة واما ان لا يكون كذلك بل امور يخترعها الخطيب كمثل وحكاية اما ممكنة او غير
ممكنة والاول كالاستشهاد على التحذير من الدنيا بالقرون الماضية واحوالهم واما الثاني فالممكن كما يقول المشير على
صديقه لا تعاشر الجهال فاني عاشرتهم فندمت وقد لا يكون عاشرهم واما غير الممكن فكالاستشهاد باقوال الحيوانات الموضوعة
في كتاب كليله ودمنه وامثاله واما الاستقراء فينفع فيه بجزئيات كثيرة كقولك لمن يشير عليه بتحصيل السيادة بتحصيل الفضيلة
لان فلانا نافقة لما فسد واستغرق في كلام علي كثيرا واما ما يشبه الخلف فكتفضيله من ذم عثمن بقوله لو امرت به لكنت قاتلا

فانه اراد بقرب عدم الامر بابطال لازم الامر وهو كونه قائلا المستلزم لابطال الامر المستلزم لاثبات المطلوب وهو عدم الامر وكذلك التوبيخ كقوله
في توبيخ العلماء في اختلاف القبلة افامرهم الله تعالى بالاختلاف فاطاعوه فانه اراد بيان عدم صحة اختلافهم بابطال امر الله تعالى اياهم
المستلزم لابطال نقيض المطلوب هو صحة الاختلاف والمقدمة التي من شانها ان تصير جزء تثبيت نتيجة موضعا وحقها ان لا
تكون دقيقة علمية ولا واضحة تستغني عن ذكرها كالضروريات والقوانين التي تستنبط منها المواضع تنحى انواعا والبحث في الخطابة
عن الضروريات الكلية بل تبحث فيها في الاكثر عن الاكثريات والراي قضية كلية ينتفع بها في امور عملية فيختار او يجتنب نتائج
الاراء اراء مثلها الا انها غير مقنعة ما لم تقرن اليها العلة كقولك لصديقك مثلا لا تحرص في جمع المال فانه لا يقبل ما لم تقل
ذلك لانك لا تشفع بجمعه في الاخرة خصوصا اذا كان الراي شنيعا كقولك لا تحصل الفضائل فانه ما لم تقرن به العلة كقولك كيلا
تحسد لا يقبل ذلك والراي ما لا يحتاج الى كلام يقرن به لظهوره في نفسه او عند اهل العقل او عند المخاطب ويحتاج الى ما
ما يقرن به ليؤدي الى المطلوب فح فالقرينة اما نتيجة الراي وما نتيجة ... فان كانت نتيجة الراي كقولنا
الاصدقاء ناصحون صديقك زيد ناصح فالضمير المقنع هيهنا ليس الراي وحده بل مع نتيجته وهو جزء من الضمير وان كان ما ضم اليه
هو المنتج له كقولك لا تكتسب الفضائل فتحسد كان الراي هو الضمير المقنع فانه المقنع لذاته وبالله التوفيق **البحث الرابع** في اقسام
الخطابة بحسب اقسام اغراضها واعلم ان جميع المعارضات الخطابية ثلثة مشاورة ومنافرة ومشاجرة ولكل واحد من هذه الاقسام
غرض خاص اما المشورة فهي مخاطبة يراد بها الاقناع في ان الامر الفلاني ينبغي ان يفعل او ان الامر الفلاني لا ينبغي ان يفعل لضرره
واما المنافرة فمخاطبة يراد بها الاقناع في مدح شيء بفضيلته او ذمه بنقيصته واما المشاجرة فمخاطبة يراد بها الاقناع في شكاية
ظلم او اعتذار بانه لا ظلم وربما لم يقع الاعتذار في وقوع الامر نفسه ولكن في كونه نافعا او ضارا او ظلما او غير ظلم كاعتذار الظالم
من يقصره بان الذي يعمله ليس بظلم او باعتذار المذموم بان الذي فعله ليس بنقيصة وانه فضيلة اما المشورة فليس المشورة
انما هي مشورة بسبب اقناعها في امر هو نافع بالحقيقة وانه قد لا يكون نافعا بالحقيقة ولا عند المشير لكنه ان تبين انه نافع لزم
الاقناع به فيكون المخاطبة مع ذلك مشورة وقد لا يكون المشورة بالنافع بل بالجميل الذي ربما كان في العاجل ضارا وله نفع من
جهة اخرى وكذا المدح والذم لا بالحظ فيه وانما النافع والضار حتى يكون المدح بالنافع والذم بالضار بل ربما كان المدح
ايضا كاقتحام الاذى والضرر والركوب للاهوال للذكر الجميل فانه يشار به ويمدح فاعله ويعظم كالذين يقاتلون في سبيل الله
فيقتلون ويقتلون وكثيرا ما يمدح المغافل بايثار الموت على الحيوة والامور المشورية عظيمة تبتني عليها الشرائع والسنن والسياسات
واقسام الامور المشورية العظيمة الثابتة النفع دون الجزئيات النافعة بحسب احوال الاشخاص خمسة العدة والحرب والسلم وحماية
المدينة ومراعاة امر الدخل والخرج وتفريع الشرائع ووضع المصالح والخطيب المشير في امر العدة ينبغي ان يكون بصيرا بجنس انتفاع
المدينة وكمية النفقات ذا جرئة على القسط ليوازي الدخل الخرج ويشير بنفي البطالة عن حرفة تعود بنفع المدينة
بالحجر على المسرف وتوقيفه على ... العادل ويحفظ بجزئيات الاخبار وبالعوائد التجربية لانها تكون اكثر والامثال على المشير
في امر الحرب بعد ان يكون له بصيرة بانواع الحرب وسماع اخبار المتقدمين من المقاتلة في مدينته وما يليها ورسومهم و
مذاهبهم ان يحيط علمه خبرا بمدينته ومحاربيها وعدتهم وعددهم ودربتهم بالحرب وعاداتهم ونفاء وخيلة قومهم وصفاتهم
اوضد ذلك وبوقع نظيره عليهم في كل وقت وبقلبهم الى مقاتلهم ولن يعتبر الجزئيات السالفة في الامور في اشباهها تحدو
حذو اشكالها فانه يستنبط من هذه الاحوال مقدمات ينتفع بها في المشورة واما المشير في حفظ المدينة فينبغي ان يعلم انواع
الحفظ لانواع البلاد المختلفة سهليها وجبليها وبريها وبحريها وما يحيط بها ومواقع المسالح قربا وبعدا والمدارج المخوفة و
التي يرتادها المغتالون فيشير فيها بالارصاد فان ذلك قد يقف عليه من لم يشاهد المدينة وان يعلم عدد الحفظة والرصد
وبياناتهم ليبدل قليلهم ويبدل خائنهم بالناصح وان يعرف الحاصل من القوت وما يحتاج الى جلبه واعداده من خارج المدينة
فان القوت وما يجري مجراه اذا انحسمت مادته لم يمكن حفظ المدينة وتدبيرها فينبغي ان يكون المشير عارفا بمقدار حاجة كل الى كل
وباحوال اهل الفضائل والثروة منهم فيشير بما ينبغي ان يستعان به فيه من اهل الفضائل وما ينبغي ان يستعان به فيه باهل الثروة
فيما ينتظم به امر المصلحة واما الخامس فهو المشورة في امر السنن وهو من اعظم الابواب خطبا واحوجها الى فضل قوة الخطابة وعلى السائر
ان يحقق عدد انواع الاشتراكات المدنية وما يتولد من تركيبها وان يعلم ما يناسب كل امة من الاشتراك بحسب عاداتها والاسباب
الحافظة لذلك الاشتراك والفاسدة له وفساد المدينة التي لم يحكم تدبيرها يقع من احد امرين اما عنف المدبرين لهم في الحمل على
الواجبات او من اهمالهم ومسامحتهم فينبغي ان يكون المشير بصيرا باصناف السياسات وما يعرض لكل واحد منها من العوارض
وما يؤول اليه كل واحد منها فيوضع كل واحد منها في موضعه فلا يستعمل القهر والغلبة في موضع الرفق ومراعاة مصلحة

المرؤسين لا كرامهم وتعظيمهم ولا بالعكس فلا يحصل هناك قانون ناظم فقد عرفت بما ذكرنا المواضع التي منها ينتزع المقدمات المشورية
في الامور العظام ومما يعين على وضع السنن وتفريعها تامل قصص الماضين واحوالهم واما الامور المشورية الجزئية فغير محبب احوال
شخص شخص فهي وان كانت غير مضبوطة الا ان جميعها يشترك في انها يقصد بها صلاح الحال كان بالحقيقة او بالظن ونعني بصلاح
الحال هو الفعل الممكن عن فضيلة النفس ومدة العمر مشفوعا بمحبة القلوب وتوافر الكرامة من الناس وفي رفاهية وطيب عيش و
وفاية وسعة ذات اليد في المال والعقد وتمكن من اسناد هذه الاحوال والاستزادة منها واما اجزاؤه فمنها ما ينسب الى الخير ومنها
ما ينسب الى الشر اما الخيرية فاما بدنية كزكاء الاصل وكثرة الاخوان والاولاد وصلاحهم واليسار والانعام والقوة والصحة والجمال
والفصاحة وجميل الاحدوثة والجاه والبخت واما نفسانية كالعلم والذكاء والزهد والشجاعة والعفة وحسن السيرة والاخلاق
المرضية وحصول التجارات والصناعات فعلى الخطيب ان يشير باعداد هذه الانواع وكذا ما ينسب الى النافع وهو كل ما يوصل الى
شيء من الخيرات كالجد والطلب وتحصيل الاسباب والوسائل وانتهاض الفرص وموافاة الحظ واما الامور الشرية فهي ما يقابل
هذه وعلى المشير ان يشير باجتناب عللها وما يعوق عن الخيرات كايثار اللذة والكسل واللهو والبطالة وفوات الاسباب وتضييع
الفرص وسوء التوفيق وكذا قد يحتاج الخطيب الى اعداد مقدمات في ان هذا الخير افضل وان هذا النافع كالحكم بان افضل نعم
الخيرات اعمها وادومها واكثرها نفعا واولاها بالقصد لنفسه واعزها واعظمها واشهرها واكثرها استلزاما للحاجة اليه و
اكثرها استلزاما لو عند الجمهور والاكابر فيه وكذا يحتاج الى مقدمات بعينها في ان هذا الشر اضر كالحكم بان اشر الشرور
اعمها وادومها واولاها بالهرب منه واكثرها استتباعا للشرور ويجب ان يكثر من ضرب الامثال وايراد النكت اكبر واقتصاص
احوال الماضين واما المنافرات وهو باب المدح والذم فعلى الخطيب تحصيل الانواع النافعة في المدح والذم المتعلقة بالفضيلة
والرذيلة واجزاء الفضيلة هي البر والشجاعة والعفة والمروة وكبر الهمة والسخاوة والحلم والثبات واللب والحكمة وقد يلزم بعض
هذه خيرات تتعدى الى غير الفاضل كالخير المتعدي من البر والشجاع والسخي الى غيرهم واجزاء الرذيلة اضداد ما ذكرنا كالجور المقابل
للبر والجبن للشجاعة والفجور للعفة والدناءة للسخاء والسفالة لكبر الهمة والنذالة للمروة والطيش للثبات والبلاهة للب فهذه
هي الفضائل والرذائل ومما يعد لها اسبابها وعلامات عليها مثلا كايجاب الغنى والخشية من الله تعالى والعلم وطلب الذكر
الجميل للعدل وايجاب الاحتياج والوثوق بان لا مقاوم له وعدم المبالاة بالعاقبة وامثالها للجور وكذا في سائر الاسباب
وكالانفعالات اللازمة للعادل عن لزوم العدل حتى يحتمل شدة العذاب مثلا في انتزاع ما في يده من الامانة ولا يسلمها
الى غير ربها ومن المدائح ايضا مقاومة الاعداء والانتقام منهم والجزاء على الحسنة والسيئة ومن مدائح الشجاع الغلبة والكرامة تعقيبه
وان يفعل فعلا لا يذكر ويشهر ويسهل تخليده فانه يورثها الاعقاب ومن المدائح ايضا علامات تختص بالاشراف بها كارسال
شعر العلوي وطرحه العالم فان ذلك من علامات شرفهم ومن الممدوحات ايضا الاستغناء عن الناس في اي باب كان وقد
يذكر المدح على سبيل الترويج والمغالطة فيعبر عن الرذيلة بعبارة ينظمها في سلك الفضيلة اذا كانا يختص حكم بينهما بهذا
لا يحتاج الخطيب الى مدح الناقصين فيجعل نفس المشترك بين الفضيلة والرذيلة مكان الفضيلة فيمدح المحتزر بانه حسن
المشورة والفاسق بانه لطيف العشرة والغبي بانه حليم والغضوب بانه نبيل والابله الغافل عن اللذات بانه عفيف والمتهور بانه
شجاع والماجن بانه ظريف والمبذر في الشهوات بانه سخي وفي عكس ذلك اذا قصد ذم الفاضلين فيذكر الفضيلة في معرض
الرذيلة فيذم لطيف العشرة بالفسق والحليم بالغباوة والنبيل بالغضوب والعفيف بالابله والشجاع بالمتهور والظريف بالماجن وكذا
في سائرها واما الامور المشاجرية فعلى الخطيب اعداد انواع اسباب الجور والجور هو الاضرار الواقع بالقصد والمشية ولم ترخص الشريعة
فيه بوجه واما الاسباب المحركة اليه فكالكسل من الكسلان فانه عند ما يتخيل الدعة التي يهواها يكون سببا لان يصده نفسه
وكالجبن الذي يكون سببا لاضاعة الحريم وهلاكهم وكايثار الراحة من التعب وحب البطالة واللهو المؤدي الى ترك اكتساب الفضائل
وكالغضب المؤدي الى العسف وعدم الظفر بالمطلوب عند الغلبة والاقتحام وكاستباحة التصرف في مال الغير وعرضه ودم
الاستهزاء والخلق والحرص والوقاحة واسباب العدل هو ما يقابل هذه الاسباب فهذه امور اذا علمها الخطيب اخذ منها مقدمات
في انه لما كان الجائر كذا اقدم على الجور وللجور اسباب كثيرة مذكورة في الكتب المبسوطة **البحث الخامس** في انواع مشتركة للامور الخطابية
الثلثة وهيهنا انواع مشتركة الاصناف الخطابية يجب على الخطيب اعدادها لينتفع بها فمنها ما يعد لاستدراجات من مبادي
الانفعالات والاخلاق في مثلا ما يعد للغضب كالاستهانة والعنت والشتيمة وقطع العادة في الاحسان ومقابلة النعمة بالسيئة
او بالكفران والقعود عن جزاء الجميل بمثله او بعد لضده وهو فتور الغضب كالاعتذار بعدم معرفة من قصده بالاستهانة
او بعدم قصد الاهانة وكالاعتراف بالذنب والاستعفاء بالتوقير والتذلل والتلقي بالبشاشة وكذا هيبة المهيب والاستحياء

من المشتهى منه فان الغضب لا يجامعها او يبعد الحزن كالانواع التي توجب تصور فوت المرغوب فيه او حصول المحذور
منه او عدم الانتفاع بالحيلة والتدبير او لضده وهو التسلية كالتي توجب الاقناع في ان هذا الامر يمكن ان يدفع او يرجى
التلافي في التدارك او باعتبار حال الغير فان المصيبة اذا عمت هانت وبالارشاد الى الحيل بتحصيل الامر الذي لاجله
الحزن او يبعد للخجل والاستحياء كالفرار من الزحف وخيانة الامانة وارتكاب المظالم ومعاشرة الفساق ومداخلتهم في
مواضع الريبة والحرص على المحقرات ومفاوضة الدنيا بالكسل والسكون ونبش الكفن والتفحش مع النساء ومعارضة اللئام
بالاستحياء وكاستشعار الشماتة من الاعداء او بعد لابطال الخجل وهو ضده وضد هذه الاسباب او للاهتمام بالغير والشفقة
عليه او الاسباب الباعثة على الاهتمام كالعذاب المهلك والاوجاع والجهد والكبر والسقم والخصاصة وسوء البخت وعدم
الانصار وعلامات الاهتمام كايثار المهتم له على النفس والاحسان اليه بغير منة وستر عيوبه والتصرف في مغيبه والوفاء له او لضده
وهو الحسد كوصول خير الى غير بحيث الحاسد انه اولى به منه او الى من لا يحبه او للغيرة كتخييل مشاركة من لا حق له في الحق
من غير ان يدخله صاحبه فيه او للشكر للنعمة وهو ان يقول الخطيب انما اعطى فلان للنفس للنفع لا للجزاء بتوقعه او يقول
انه نفع في وقت الحاجة وفي وقت تعسر المعونة من الناس او انه انعم بما لم يسمح نفس غيره به او انه اول من انعم فيجر غيره للاتباع
او انه لم يرد بالصنيعة ذكرا او انه يستر الصنيعة سترا او للكفران وتحقير النعمة كان يقول لم يرد بعطائك الا عرضا وانك لم تتم النعمة
وانك قصرت عن الواجب عليك بمثله وانك لم تصطنع بقصد بل لضرورته او اتفاقا او لرغبة في مجازاة فان ذلك كله مما يبطل
المنة او للشجاعة كان تقول المكروه عنك بعيد ولا وجود له عندك ولا محل عندك للاقران والمبارزين وكقولك ان كثير الانصار
نويتهم وانك بريء عن الظلم قليل الاحتمال له او لضدها وهو الجبن كقوله ان في المقاومة حصول المكاره وان قصمك غابر
القوة فلا طاقة لك به وان انصارك قليلون او ضعفاء وامثال ذلك وكذلك يجب على الخطيب ان يحصل انواعا تعين على كل خلق
خلق يختص بصنف صنف من الناس اما باعتبار الاسنان كان يقول للشاب الذي يغلب عليه اللذة ان هذا وقت التمتع وتنزه الزمان
المساعد والشباب بعد فنائه غير عائد وهذا الربيع قد اشرق نواره وتفتق ازهاره وكمدح الماكل والمشارب والملابس والمراكب
يقول للشيخ الذي يغلب على طباعه طلب النفع والحرص على الدنيا ينبغي ان تقتصر على تحصيل ما تملك والله غير لا تقول بك وينبغي ان تقلل
لئلا تتضرر عيالك وينبغي ان لا تخدع لفلان ولا تغلط معه لانك جربت الخداع او باعتبار اخلاقهم في البلدان كان تقول للعربي الذي
طبعه الفصاحة انك لذو فضيلة عظيمة ولو لم يكن من فضل الفصاحة الا انها حجة اعجاز القرآن لكفى وامثاله وكان يقول للترك
من جهة ما هم غلاظ الطباع كثيرة الاطماع ان بني فلان اعداؤكم ولا ناصر لهم او هم قليلون او نعمهم كثيرة او ان الفعل الفلاني كثير النعمة
ولا حارس له فيغريهم بذلك وكما يحرك طباع الفرس الى حسن التدبير الذي هو عادتهم بما يناسبه او ولع الملال الذي هو طباعهم بما
يناسبه او باعتبار القسم كما يحرك ما في طباع الملوك من الكبر وعدم الالتفات الى الغير بما يناسبه وما في طباع الشاكين من الذلة
بما يليق به ومن جملة الامور المشتركة ما يتعلق بالممكن من الامور وغير الممكن كان يقول الخطيب اذا اراد ان يقنع بان الامر الفلاني ممكن
فيقول هذا الامر مما يستطاع فهو ممكن او نقيضه ممكن فهو ممكن او شبيهه ممكن فهو ممكن او الاصعب منه ممكن فهو ممكن او اراد ان
يقنع بانه متوقع كونه فيقول الامر الفلاني مقدور عليه ومراد فلا بد ان يكون والنادر يكون فالاكثري يكون ويمكنك ان تعلم انواع
ما لا يكون وانواع ما لا يمكن من انواع ما يكون وانواع ما يمكن فهذه جملة من الامثلة تهدي الخطيب الى امثالها وليس يجب عليه
ان يضبط ما لا يتناهى من الامور بحسب تخصص تخصص كل واحد من اموره الجزئية فان ذلك غير ممكن بل يضبط القوانين الكلية المتعلقة
بالاجناس الثلثة للخطابة ويجتهد في ان يخصصها مهما امكن فانه كلما كان الحكم بالجزئي المتكلم فيه اخص كان انفع واقنع مثاله
اذا اردت ان تمدح زيدا فقلت هو شجاع لانه مستكمل الفضائل باسرها فهذا وان كان مقنعا الا انك لو خصصت فقلت لانه هزم
جيش العدو وقت كذا او قتل البطل الفلاني يوم كذا لكان ذلك اقنع واليق بالمدح وقد تقع في الخطابة القضايا المتقابلة ولطف
بها للاقناع فتستعمل الضدان في ايجاب كل واحد من النقيضين كقولك اسكت في المحافل لانك ان صدقت ابغضك الناس وان
كذبت ابغضك الله ثم تقول تكلم في المحافل لانك ان صدقت احبك الله وان كذبت احبك الناس والمقابلة ههنا ان فاد
اقناعا كانت من صناعة الخطابة ومثالها اما من باب اشتراك الاسم كقولك بالذهب يصير الانسان لانه عين او من باب تركيب
المفصل كقولك فلان شاعر جيد فيوهم ذلك التركيب مدح الشعر بالجودة والتقدير فلان جيد او من باب وضع ما ليس بعلة
علة كما يقال فلان مبارك القدم لانه مع قدومه تيسر كذا او من باب المصادرة على المطلوب كما يقال زيد يشرب الخمر فيفسق
لان اخاه يشرب الخمر واما ان لم يوقع اقناعا كما يقال فلان لم يستسلب اختيارا لانه زنا وهو سكران لم يكن من صناعة الخطابة
وبالله التوفيق **البحث السادس** في تحسينات الخطابة الامور المحسنة للخطابة اما ان تتعلق بالالفاظ واما ان يتعلق

بالترتيب

بالترتيب واما ان تتعلق بهيئة الخطيب اما الاول فاعلم ان تحسين الالفاظ في الخطابة عظيم النفع فان جزالة اللفظ توهم جزالة المعنى وقد كاد
اللفظ يذهب رونق المعنى ومحسنات اللفظ امور الاول ان يكون اللفظ فصيحا عذبا غير ركيك حروف الغامضة ولا مبتذل يرتفع عن ان
يصلح لمخاطبة الجمهور لان الطباع العامية تنفر عن العبارة العالية ولا ملحونا لان اللحن يهجن الكلام ويرمله وهذه الاعتبارات موجودة
في كلام علي كثيرا الثاني ان يراعي تمام الرباطات وهي الحروف التي تقتضي ذكرها ان تكرر كقوله في صفة الملائكة منهم سجود لا
يركعون ومنهم ركوع لا ينتصبون وكذلك باقي الاقسام فلو لم يحصل التكرار ههنا لنقص الكلام وكذلك قوله المرء المسلم البريء من
الخيانة ينتظر احدى الحسنيين اما داعي الله فما عند الله خير له واما رزق الله فاذا هو ذو اهل ومال اللهم الا ان يكون تكراره معلوما
كقوله في كثير من خطبه اما بعد فان هذا الجزء مسبوق بما قبل وان لم يذكر لوضوحه الثالث ان لا يباعد ما بين الروابط بحشو
طويل يتبين الوصلة بينهما الرابع ان يراعي حقه من التقديم والتاخير فان تاخر الشرط عن المشروط وتقديمه لا تعلى الدعوى ويبع بعض
هذه الاحكام قد يختص ببعض اللغات الخامس ان يزين بالتشبيه والاستعارة ويكون تلك الالفاظ المستعارة خاصة غير مشتركة ولا
مغلطة فقد يوهم اللفظ موهما للشيء وضده كقول المنجم اذا دخلت سنة كذا يتجدد للاسلام امر عظيم فذلك يحتمل الخير والشر موهم
لهما وفائدة التشبيه والاستعارة ههنا الاستعانة بالتخييل الحاصل منه على ترويج المعنى فانه يحصل له رونقا لا يحصل بدونه ولا الالفاظ
المستعارة المخيلة وان كانت اصلا في الشعر فقد يستعملها الخطيب بالعرض فيكون في الخطابة كالابازير السادس ان يراعي لفظ الواحد
والتثنية والجمع وما يختصها من التصاريف وكذلك التذكير والتانيث وذي العلامة وغيره دفعا للغلط السابع قد يزين اللفظ بالايجاز
اذا اعتمد على فهم السامع من تعقب الاقناع فرد الحدود والرسوم ههنا الى اللفظ المفرد وقد يزين بالبسط فينعكس ذلك وقد
يبدل اللفظ المفرد العلم لشناعته كما يقال عورة المرء ووطيها ودبرها عوض اسمائها الصريحة واكثر ما تستعمل مثال ذلك
في الافراطات في المدائح ويكره التصريح بالاسماء الصريحة احتشاما وتنزيها للمجالس عن ذكرها وكذلك يستعمل في الاغتياب
كثيرا وحيث يراد التهويل للتخويف في المشوريات الثامن ان يزين بالمفاصل اي يكون ذا مصاريع وتسجيع ووزن ما لا وزن
الحقيقي وذلك كقول علي اما بعد فان الدنيا قد ادبرت وآذنت بوداع وان الاخرة قد اقبلت واشرفت باطلاع وقد
عرفت الموازنة فان ذلك قريب لثبات اللفظ في الخيال ثم تلك المفاصل ينبغي ان لا تطول لئلا ينسى الاول ولا تقصر حد
لا تحفل به النفس فيحصل انقطاع عن استثبات لقصرها ثم المفاصل قد تكون اقساما ويسمى القسم كما مر في المثال في صفة
الملائكة وقد يكون تلك الاقسام متقابلة كقوله اما الامرة البرة فيعمل فيها التقي واما الامرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي ولكل
واحدة من الخطابة المشورية والمنافرية اسلوب خاص في كل صنف منهما واما الثاني وهو الترتيب اعلم ان للاقاويل الخطابية
صدرا ووسطا وخاتمة فالصدر كالوسم الذي ينقش عليه فيعرف السامع منه الغرض اجمالا واما الوسط فقد يكون اقتصاصا
لامر واقع ليحكم بانه حسن او قبيح كما في المنافرة وعدل وجور كما في المشاجرة وقد يقدم على الصدر اقتصاص لامور تستلزم الشكر
والمدح من الفضائل ويهيئ السامع لذلك كما جرت العادة بتقديم اقتصاص صفات الله وحمده وصفات رسله عليهم السلام وقد
يكون الوسط غير اقتصاص بل دالا على مصلحة وحث عليها كما في المشورة اذ ليس فيها ما يحكى ويشتكي ويحمد ويذم وليس فيها
منازعة ومواثبة والصدر فيها حسن ليكون المشار عليه قد وعى الغرض واستعد للقبول وهو في المشاجرة قبيح واما الخاتمة
فهي حسنة في المشورة ايضا والذي يليق بها ان يكون اجزاؤها مفصلة غير مخلوطة بما قبلها وخصوصا في المشوريات وهو ان يقول
المشير قد قلت ما عندي من النصيحة والرأي ما ترون وكما يقول الخطيب اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم انه هو
الغفور الرحيم ونحو ذلك واما الثالث وهو الامور التي تتعلق بهيئة الخطيب فيتخيل معا او يتخيل اخلاقا واستعدادات
الانفعال وانفعالات ويسمى ذلك نفاقا والاخذ بالوجوه فهي اما ان يتعلق بصوته كرفعه في موضع الرفع وخفضه في موضع
الخفض ونبركيه نفسه او بكونه على زي وهيئة وسمت حسن يصيد به القلوب هذا القسم انما يكثر الاقتناع باستعماله مع ضعفاء
العقول اذ كانوا الاسند راجات بالامور المحسوسة اطوع ولذلك يكثر في لاعيهم من كان يرى النساك والمتكثرين من العبادة
والخشوع الظاهر وان كان جاهلا مرائيا ولما لم يكن غرضنا من التعرض بذكر الخطابة ههنا الا الاشارة الى اقسامها الكلية لتبيين
معنى الخطابة وما عسى ان نذكره من ان الخطابة التي نحن شارعون في بيانها من اي اقسام الخطابة هي ولتنفطن المطلع على ما ذكرنا
ههنا لما لم نبينه من ذلك لا جرم اقتصرنا على هذا القدر من الايراد واما البسط ففي الكتب المطولة واعلم ان الغالب على كلام علي
هو المشوريات واما المنافريات والمشاجريات فيها اقل كما ستعرف ذلك عند تصفح اقواله ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق خاتمة لهذه القاعدة
واما الخاتمة ففي بيان غاية من الخطابة واعلم انه لما كان الغرض من وضع الشرائع والسنن انما هو نظام الخلق وجذبهم الى الجناب
المقدس عن دار الغرور وتذكيرهم لمعبودهم الحق وتعليمهم كيفية السلوك للصراط المستقيم كما اومأنا اليه وعلم من ذلك ان تمايا كل

معقدا للشريعة ومثبتا لها وموضحا المقاصد سنن الرسول ومفرعا الاحكام منها اذ كان هو الممنوح بجوامع العلم والمطلع على الاسرار الالهية
لم يكن مقصوده من جميع الاقوال المنقولة عنه الا الغرض الاول من وضع الشرايع والسنن بيان ذلك انك قد علمت ان الاقوال الخطابية
تنقسم بحسب اغراضها ثلثة اقسام مشاورة ومنافرة ومشاجرة واما المشورة فانها الجزء الاكبر من كلامه ولنعلم من تصفح كلامه ان كل
ما يشير به القصد الاول فانما هو الاقبال على الله تعالى بترك الدنيا والاعراض عنها والاستكمال في الفضائل وترك الرذائل والنقصانات
الجاذبة الى الجنبة السافلة المانعة عن الوصول الى الله سبحانه فان عرض في كلامه امر جزئي او نهي عن امر جزئي لا يلوح للغافلين منه هذا
الشر كمصالح الحرب والتدبير والمدينة وغير ذلك فانه عند الاعتبار يرجع اليه لان كل ذلك يرجع الى نصرة الدين وتقويته ونظام امر
العالم وترتيب مصالحه واما المنافرة فقد عرفت ان جميع ما ورد في كلامه من الذم انما هو للدنيا واتباع الهوى وارتكاب الرذائل الموبقة
ومن ارتكبها واشباه ذلك مما يبعد عن الله تعالى وما ورد فيه من المدح فانما هو لله سبحانه وملائكته ورسله والصالحين من عباده وما هم عليه
من الفضائل وترك الهوى والاعراض عن الدنيا وما ينبغي ان يكون الخلق عليه من ذلك ولا شك ان الاول جذب للخلق بتحقير ما يميل
طباعهم اليه من الامور الفانية وتصغيره وذمه والتنفير عنه وذمهم على التكاثر ليتفهموا عنه الى ما وراءهم من النعيم الابدي والخير الشريف
وليذكروا معبودهم الحق سبحانه ولا يكونوا من المعرضين الهالكين والثاني يتضمن بعثهم بتعظيم ما ينبغي ان يلتفتوا اليه وتكبيره ومدحه
والترغيب فيه وفيما يكون وسيلة من الفضائل والاعراض عن الدنيا وغير ذلك واما الامور المشاجرية فما كان في كلامه منها فاما بيانا
للظلم والجور واسبابهما وما يؤلان اليه من سوء العاقبة وقبح الخاتمة عند الله تعالى او بيانا للعدل واسبابه وما يؤل اليه من حسن العاقبة
وحميد المنقلب الى الله كما يشتمل عليه كثير من كتبه الى عماله ومحاربيه ولا شك ان كل ذلك جذب الى الله تعالى بالتصريح والاشارة واما تظلم
من ظالم خرج عن ربقة الدين واتبع هواه وشكايته عن افعاله الخارجة عن نظام الشريعة المؤدية الى ضد مقاصد الشارع ولا يخفى ان مقصوده
من تلك التظلم والشكاية اقناع الخلق بان فلانا ظالم اخذ ما لا يستحقه ليثبتوا على الحق ويفيئوا اليه وينكروا من عساه يتوهم ان
خصمه على الحق فربما كان بقاء ذلك الوهم سببا للجور به وذلك بالحقيقة تثبيت على الحق وجذب عن الباطل وهو في نفس الامر مقصود
الشارع وغايته واما اعتذاره عما يخيله الجاهلون في حقه ظلما وجورا كاعتذاره عما تخيله جماعة في حقه ظلما من القعود عن نصرة
عثمان حتى نسبوا الى انه قاتله وتنصله من ذلك وكاعتذاره فيما تخيله الخوارج ذنبا له من تحكيم الحكمين وغير ذلك فان الاعتذار
في هذه المواضع وامثالها جذب الى الحق وصرف عن الباطل لان الاعتذار منه طلبا لاقناع من تخيل فيه ظلما بانه ليس كما خيل اليهم
وان ما صدر ليس بظلم ولا جور ليفيئوا الى طاعته والاقتداء به فيما هو عليه من اتباع الحق والنصرة للدين والذب عنه ومعلوم ان ذلك
كله جذب الى الله سبحانه والى اسباب ما يوصل اليه فقد علمت من هذا البيان ان غايته من جميع اقواله انما هو توجيه الخلق الى
جناب الله والقائهم الى حضرته المقدسة وهذه هي الغاية التي اتفق عليها الانبياء والرسل وتطابقت عليها الشرايع والسنن
ومن تامل ما قلناه وترك متابعة هواه وطبق ما عددناه من القانون الكلي على كلامه علم صحة ما ادعيناه وبالله التوفيق

الفصل الثاني في بيان ان عليا عليه السلام كان مستجمعا للفضائل الانسانية وفيها اصول **الفصل الاول** في فضائله اللاحقة له من خارج ولنذكر
منها وجوها **آ** نسبه من رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابو الحسن علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وامه فاطمة بنت
اسد بن هاشم بن عبد مناف وهي اول هاشمية ولدت هاشميا وكان علي اصغر اولادها وعقيل اسن منه بعشر سنين وطالب اسن
من عقيل بعشر سنين وهي اول امراة بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله من النساء وكان صلى الله عليه وآله يكرمها ويدعوها امي واوصت اليه حين
حضرتها الوفاة فقبل وصيتها وصلى عليها ونزل في لحدها واضطجع معها بعد ان البسها قميصه فقال له اصحابه في تخصيصها بذلك
فقال انه لم يكن احد بعد ابي طالب ابر بي منها وانما البستها قميصي لتكسى من حلل الجنة وانما اضطجعت معها ليأمن ضغطة القبر **ب**
سبقه الى الاسلام وفضيلته في ذلك ظاهرة **ج** مجاهدته اعداء الله ونصرته للدين وذبه عنه ومقاماته في ذلك مشهورة
مأثورة تكاد لا تحصى كثرة **د** تخصيص الرسول صلى الله عليه وآله بتزويجه فاطمة دون من خطبها من اكابر المهاجرين والانصار **ه** كون الحسن
والحسين اللذين هما سيدا شباب اهل الجنة ولديه وذلك فضل عظيم **و** قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون
قيل انها نزلت في علي ومن جعل عيسى مثلا له فضل عظيم ويؤيد ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله له لولا ان تقول فيك طوائف من امتي ما قالت
النصارى في عيسى لقلت اليوم فيك مقالا لا تمر بملأ منهم الا اخذوا التراب من تحت قدميك وهذا الكلام يقتضي
انه لو وصفه بشيء لما وصفه الا باوصاف عيسى التي لاجلها قالت النصارى فيه ما قالوا **ز** قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه
مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله الآية اتفق المفسرون على انها نزلت في علي واهل بيته وسبب نزولها مشهور في كتب
التفسير وغيرها وكفى بذلك شرفا **ح** روي انه لما نزلت وتعيها اذن واعية قال النبي صلى الله عليه وآله اللهم اجعلها اذن علي ولا شك ان الرسول
كان مجاب الدعوة ولذلك قال علي فما شككت في شيء سمعته بعد ذلك وذلك من اعظم الفضائل **ط** من طرق الكل قول النبي

في حقه انا

في حقه اللهم ادر الحق مع علي حيث دار ولا شك في استجابة دعائه ومن كان الحق يجد اقواله وافعاله فلا مزية على فضله **ي** من طرق
الكل قوله انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي والاستثناء هنا يشهد باثبات جميع المنازل التي كانت لهرون من موسى
الا النبوة وما علم بقيته من الاخوة فينبغي كونه وزيرا وناصرا وقائما بناموس الشريعة ومفرعا الاحكام منها الكلية وخليفة له كما كان
هرون كذلك ومن هنا تمسك الشيعة بهذا الخبر في استحقاقه للخلافة وكفى بهذه فضيلة **يا** من طريق الكل قوله من كنت مولاه فعلي
مولاه وسواء كان المراد هنا بالمولى الاولى بالتصرف او الناصر فان الفضل حاصل **يب** قوله في حقه اقضاكم علي ولا شك ان القضا
محتاج الى انواع العلوم وكفى بشهادة الرسول له بذلك فضلا **يج** قوله اعطيت جوامع الكلم واعطي علي جوامع العلم وكفى بهذه التزكية
فضلا **يد** من طرق الشيعة انه خوطب بامرة المؤمنين في حيوة الرسول وانكره المحدثون من غيرهم وروى احمد في مسنده وفي كتابه
فضائل الصحابة وكان ابو نعيم الحافظ الاصفهاني في حلية الاولياء ان رسول الله خاطبه بيعسوب المؤمنين واليعسوب امير النحل وفي كتاب
ذلك اشارة الى فضله **يه** تربية رسول الله من اول عمره الى ان عده لاعلى مراتب الكمالات النفسانية قال في تربية النبي واثاره
اثره في خطبته المسماة بالقاصعة وقد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وانا وليد يضمني
الى صدره ويكنفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل ولقد
قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن ان كان فطيما اعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله و
نهاره ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه يرفع لي كل يوم علما من اخلاقه ويامرني بالاقتداء به ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فاراه
ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله وخديجة وانا ثالثهما ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة ولقد
سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة فقال هذا الشيطان قد ايس من عبادته انك تسمع
ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي ولكنك وزير وانك لعلى خير الى اخر الكلام حتى صار بعد هذه التربية استاذ العالمين
بعده صلى الله عليه وآله في جميع العلوم وبيان ذلك اما جملة فلقول النبي انا مدينة العلم وعلي بابها ولا شك ان المقصود انه
هو المنبع الذي تفيض عنه العلوم الاسلامية والاسرار الحكمية التي اشتمل عليها القرآن الحكيم والسنة الكريمة وهو مصدرها والمحيط
بها لان شان المدينة بما تحتوي عليه كذلك وان عليا هو المفرغ لتلك الاسرار والمهتدي لتفاصيل جملها واحكامها الكلية بحسب
ما له من كمال الحدس وقوة الاستعداد بحيث تصير تلك الاسرار سهلة التناول قريبة المأخذ بسائر الخلق لان الباب هو الجهة
التي منها ينتفع الخلق من المدينة ويمكنهم تناول ما ارادوه واما تفصيلا فانا بحثنا العلوم باسرها فوجدنا اعظمها واهمها هو
العلم الالهي وقد ورد في خطبه من اسرار التوحيد والنبوات والقضاء والقدر واسرار المعاد كما ستقف عليه ما لم يات في كلام احد من اكابر
العلماء واساطين الحكمة ثم وجدنا جميع فرق الاسلام تنتهي في علومهم اليه اما المتكلمون فاما معتزلة وانتسابهم اليه ظ فان اكثر اصولهم
مأخوذة من ظواهر كلامه في التوحيد والعدل وغيره فانهم ينتسبون الى مشايخهم كالحسن البصري وواصل بن عطا وكانوا منتسبين
الى علي ومتلقين عنه العلوم واما الاشعرية ومعلوم ان استادهم ابو الحسن الاشعري وقد كان تلميذا لابي علي الجبائي وهو من
مشايخ المعتزلة الا انه تنبه لما وراء اذهان المعتزلة فخالف استاده في مواضع نقلها من مذهبه واما الشيعة فانتسابهم اليه ظ فانهم
يتلقفون العلوم عن ائمتهم وائمتهم ياخذ بعضهم عن بعض الى ان ينتهي اليه وهو امامهم الاول واما الخوارج فهم وان كانوا في غاية من
البعد عنه الا انهم ينتسبون الى مشايخهم وقد كانوا تلامذة علي واما المفسرون فرئيسهم ابن عباس رضي الله عنه وقد كان تلميذ
علي واما الفقهاء فائمتهم المشهورة اربعة احدها مذهب ابي حنيفة ومن المشهورات ان ابا حنيفة قرأ على الصادق واخذ عنه الاحكام
وانتهاء الصادق الى علي ظ الثاني مذهب مالك وقد كان مالك تلميذ ربيعة الرأي وربيعة تلميذ عكرمة وعكرمة تلميذ عبد الله بن
عباس وكان تلميذا لعلي الثالث مذهب الشافعي وقد كان الشافعي تلميذا لمالك الرابع مذهب احمد بن حنبل وكان احمد تلميذ الشافعي
فرجع انتساب فقه الجميع الى علي ومما يؤيد كماله في الفقه قول الرسول اقضاكم علي والاقضى لا بد وان يكون افقه واعلم بقواعد
الفقه واصوله واما الفصحاء فمعلوم ان كل من ينسب الى الفصاحة يتلون وعيت اذهانهم من الفاظه ويضمنونها كلامهم وخطبهم فيكون جميع
منها بمنزلة فروع العقود كابن نباتة وغيره والامر في ذلك ظ واما النحويون فاول واضع للنحو هو ابو الاسود الدؤلي وكان ذلك بارشاده
له الى ذلك وبداية الامر ان ابا الاسود سمع رجلا يقرأ ان الله بريء من المشركين ورسوله بالكسر فانكر ذلك وقال نعوذ بالله من الحور
بعد الكور اي من نقصان الايمان بعد زيادته وراجع عليا في ذلك فقال له نحونا ناضع للناس حدا يقومون به السنتهم
فقال له انح نحوه وارشده الى كيفية ذلك الوضع وعلمه اياه واما علماء الصوفية وارباب العرفان فنسبتهم اليه في تصفية الباطن و
كيفية السلوك الى الله تعالى ظاهرة الانتهاء واما علماء الشجاعة والممارسون للاسلحة والحروب فهم ايضا ينتسبون اليه في علم ذلك
فثبت بذلك انه كان استاد الخلق وهاديهم الى طريق الحق بعد رسول الله ومناقبه وفضائله اكثر من ان تحصى وبالله التوفيق

الفصل الثاني في بيان فضائله النفسانية وهي اما ان يعتبر بالنسبة الى قوته النظرية او الى قوته العملية فاذن
ههنا بحثان **البحث الاول** في انه ع كان مستجمعا لكمال قوته النظرية قد علمت ان كمال القوة النظرية انما هو باستكمال
الحكمة النظرية وهي استكمال النفس الانسانية بتصور المعارف الحقيقية والتصديق بالحقائق النظرية بقدر الطاقة البشرية
ولا شك ان هذه الدرجة كانت ثابتة له ع وبيان ذلك مبنى على انه ع كان سيد العارفين بعد سيد المرسلين صلى الله
عليه واله وانه كان منتهى الدرجة الوصول وتحقيق ذلك انه قد ثبت في علم كيفية السلوك ان وصول العارف انما يحق اذا
غاب عن نفسه فلحظ جناب الحق من حيث انه هو فقط وان لحظ نفسه فمن حيث هي لاحظة لا من حيث هي متزينة بزينة الحق ثم
انه قد وجد في كلامه واشاراته حصول هذه المرتبة له ولنذكر منها مواضع ثلثة الاول قوله ع لو كشف الغطاء ما ازددت
يقينا وقد عرفت ان ذلك اشارة الى ان الكمالات النفسانية المتعلقة بالقوة النظرية قد حصلت له بالفعل وذلك يستلزم
تحقق الوصول التام الذي لا يبرح قوة الاولياء نيله الثاني قوله ع حكاية عن رسول الله ص في حقه انك تسمع ما اسمع وترى
ما ارى الا انك لست بنبي ولا اشكال ان النبي ص كان تام الاتصال بالحق تع فكان هذا الاتصال والوصول حاصلا لعلى
بمقتضى شهادة الرسول وان كان التفاوت بين المرتبتين قائما لان للاتصال بالجناب الاقدس درجات لا تتناهى ولذلك قال الا انك
لست بنبي وستعلم من تفاصيل كلامه عند الانتهاء اليه تحقق هذه المرتبة له الثالث قوله ع الهي ما عبدتك خوفا من عقابك ولا رغبة
في ثوابك ولكن وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك وجه الاستدلال انه حذف كل قيد دنياوي واخروي عن درجة الاعتبار سوى الحق
تع وانما يتحقق له الوصول ومما يؤيد ذلك ما سنبين ان شاء الله تع من تمكنه ع من الكرامات وصدورها عنه وذلك من خواص الواصلين

البحث الثاني في بيان كماله في قوته العملية وكما علمت ان كمال القوة النظرية انما هو باستكمال الحكمة النظرية فكذلك كمال القوة العملية انما
هو باستكمال الحكمة العملية وهي استكمال النفس بكمال الملكة التامة على الافعال الفاضلة حتى يكون الانسان ثابتا على الصراط المستقيم
مجتنبا الطرفي الافراط والتفريط في جميع افعاله ثم قد ثبت في علم الاخلاق ان اصول الفضائل الخلقية ثلثة **احدها** الحكمة الخلقية وهي
الملكة التي تصدر عنها الافعال المتوسطة بين الجربزة والغباوة اللذين هما طرفا الافراط والتفريط وانت تعلم من تصفح احواله واقواله
وتدابيره في امور الحرب ونظام امور العالم ما تضطر معه الى الحكم بانه كان مستلزما لهذه الفضيلة وغير واقف دونها في حد الغباوة
ولا متجاوزا الى طرف الجربزة لان خبث المتجربز يمنعه عن الترقي الى درجة الكمال ويابى طبعه الا الشر **وثانيها** العفة وهي الملكة الصادرة
عن اعتدال حركة القوة الشهوية بحسب تصريف العقل العملي لها على قانون العدل وبها تصدر الافعال المتوسطة بين الخمود والفجور اللذين
هما طرفا الافراط والتفريط ونبين ان هذه الملكة كانت ثابتة له ع من وجهين الاول انه كان ازهد الخلق في الدنيا بعد الرسول ص وفيما عدا
القبلة الحقيقية وافد على حذف الشواغل الملهية عن لقاء الله وكل من كان كذلك كان مالكا لهواه مصرفا لشهوته بحسب عقله اما المقدمة
الاولى فمعلومة بالتواتر واما الثانية فضرورية ايضا الثاني قول النبي ص اللهم ادر الحق مع علي حيث دار ولا شك في استجابة دعائه
ومن كان الحق لازما له كاينا معه اين كان فانه استحال ان يلزمها باطل لان الامر الواحد لا يلزمه لازمان مختلفان فاستحال ان يكون
متبعا للهوى لذته وهو معنى العفة ومما يؤكد حصول هذه الملكة ما روى انه ع ما شبع من طعام قط وانه كان من اخشن الناس
ملبسا ومأكلا يقنع بقرص الشعير لا يأكل اللحم الا نادرا وكان يقول لا تجعلوا بطونكم مقبرة للحيوان ويقصد بذلك التنفير عنه وكل
ذلك تنفر عن الدنيا ولذاتها **وثالثها** الشجاعة وهي الملكة الحاصلة للنفس عن اعتدال القوة الغضبية بحسب تصريف العقل
فيما يضبطه لها وبها تصدر الافعال المتوسطة بين افعال الجبن والتهور وثبوت هذه الفضيلة له ع معلوم بالتواتر حتى صارت
شجاعته يضرب بها المثل مبالغة في حق الرجل الشجاع واذا عرفت ان هذه الملكات الثلث ثابتة له كاتم ما يمكن وثبت انها مستلزمة
لفضيلة العدالة ثبت ان العدالة ثابتة له واما باقي اقسام الحكمة العملية كالحكمة السياسية والمنزلية فقد علمت ان فائدتهما
ان يعلم الانسان وجه المشاركة التي ينبغي ان تكون بين اشخاص الناس ليتعاونوا على مصالح الابدان ونظام مصالح المنزل والمدينة
وقد كان ع في ذلك سباق غايات وصاحب آيات ويكفيك في معرفة ذلك منه اما على سبيل الجملة فلان الشريعة المصطفوية سلام
الله على شارعها واردة بمقاصدهما بين الحكميين على اتم الوجوه واكملها بحيث يرجع اكابر الحكماء اليها في تعلمها ومعلوم ان عليا ع
كان متمسكا ومقررا لها وباسطا لاحكامها الكلية ومفصلا لاشاراتها الجملية لم يعبر منها حرفا ولم يقف فيها دون غاية وذلك
يستلزم ثبوتها له على اكمل وجه واتمه واما على سبيل التفصيل فعليك في معرفة انه كان اكمل الخلق بعد رسول الله ص في هذا العلم
بمطالعة كتبه وعهوده الى عماله وولاة امره وقضاته خصوصا العهد الذي كتبه للاشتر النخعي فان فيه من لطائف تدبير المدن
ونظام احوال الخلق ما لا يهتك لحسنه ولا يوجد عليه مزيد في هذا الباب هذا مع ما تواتر من رجوع اكابر الصحابة في حسن
تدبيرهم وآرائهم الى مشاورته في امورهم وتعرف كيفية تدبير العساكر والحروب والمصالح الكلية والجزئية في مواضع كثيرة نقلها

في هذا الكتاب ع في عزمه كرجوع عمر الى رايه في الخروج مع المسلمين الى غزو الروم وغير ذلك مما هو مشهور مأثور وما ايثار عليهم من الآراء الكاملة
بحسن التدبير والآيات التوافقية بنظام الحركات المدنية كما ستعلم ان شاء الله تع وبالله التوفيق **الفصل الثالث** في صدور الكرامات
عنه وفيه بحثان **البحث الاول** في اخباره عن الامور الغيبية والنظر اما في امكان ذلك وفي سببه او في وقوعه منه فهنا اذن
ثلث مقامات **المقام الاول** في امكانه يجب عليك ايها الاخ المتلقى لنفحات الله اذا ذكر ان خليفة من خلفاء الله ووليا من اولياء الله
اخبر عن امر سيكون مبشرا او منذرا انما الا تنفي بيد نكر تونك وانسانيتك فاصغ ان لا تبادر الى التكذيب بامثال ذلك وتستنكره
فانك عند مراجعة عقلك وتصفح احوال نفسك تجد كل ذلك ممكنا واليه سبيلا بيان ذلك ان معرفة الامور الغيبية في النوم
ممكنة فوجب ان تكون في اليقظة كذلك اما الاول فلان الانسان كثيرا ما يرى في نومه شيئا ويقع بعده اما صريح تلك الرؤيا او تعبيرها
وذلك يوضح ما قلناه اما في حق الرائي ظ واما من لم يرزق ذلك في حال النوم فانه يعلم بالتواتر من اكثر الخلق واما الثاني فلان
ذلك لما صح في حال النوم لم يمكن الجزم بامتناعه حال اليقظة فان الناس لو لم يجربوا ذلك في حال النوم لكان استبعادهم له في تلك الحال
اشد من استبعادهم لوقوعه في حال اليقظة فانه عند عدم التجربة لو قيل للانسان ان ربما عرض لاولياء الله واهل الي تلويح مفكرتهم
الصافية حال ما هم ايقاظ في تحصيل حكم غيبي فيخبرون ثم ان واحدا منا لكن لما نام وصار كالميت وحصل له ذلك الحكم فلا بد وان
يكذب بذلك ويستنكره بعد حصوله مع كمال الحركة وسلامة الحواس عن العطلة وكمال العبارة وحصوله مع اضداد ذلك فقد
بان بذلك انه لما كان في حال النوم ممكنا كان في حال اليقظة كذلك **واما المقام الثاني** وهو بيان السبب في الاطلاع على الامور الغيبية
فاما في حال النوم فهو انه قد ثبت في العلم الالهي ان جميع الامور يصدق عليها انها كانت او ستكون معلومة لله تع وثبت ان النفس
الانسانية من شانها الاتصال بجناب الله تع وانما يعوقها عن ذلك استغراقها في تدبير البدن فاذا حصل لها ادنى فراغ من ذلك
كما في حال النوم وانغلقت عنها ابواب الحواس الظاهرة رجعت بطباعها الى الاتصال بالجناب المقدس فينطبع فيها من الصور الحاصلة
هناك ما هو اليق بها من احوالها واحوال ما يقرب منها من الاهل والولد وما يهتم به ثم ان المتخيلة التي من طباعها المحاكاة تحكي تلك
المعاني الكلية الحاصلة للنفس وتمثلها بصور جزئية وتحطها الى لوح الخيال للتصور فتبقى تلك الصور شاهدة للحس المشترك ثم ان كانت
تلك الصور شديدة المناسبة لتلك المعاني بحيث لا افتراق بينها الا في الكلية والجزئية كانت الرؤيا غنية عن التعبير وان كانت المناسبة
حاصلة بوجه ما كما اذا تصور المعنى بصورة ضده او لازم من لوازمه احتيج الى التعبير وفائدة التعبير التحليل ورجوع الفكر بالعكس من التصور الحاصل
الى المعنى المتنقل عنه وان لم تكن هناك مناسبة اصلا كانت الرؤيا اضغاث احلام واما في حال اليقظة فالسبب في ذلك هو ان النفس اذا كانت
قوية وكانت وافية بضبط الجوانب المتجاذبة ولم يكن اشتغالها بتدبير البدن عائقا لها عن ملاحظة مباديها والاتصال بالحضرة
الالهية وكانت المتخيلة بحيث تقوى على استخلاص الحس المشترك وضبطه عن الحواس الظاهرة فان النفس والحال هذه اذا توجهت الى الجناب
المقدس لاستعلام ما كان او ما سيكون افيضت عليها الصور الكلية لتلك الامور ثم ان النفس تستعين في ضبط تلك الامور الكلية بالقوة
المتخيلة فتحاكي تلك المعاني بما يشبهها من الامور المحسوسة ثم تحطه الى خزانة الخيال فيصير مشاهدا للحس وربما سمع الانسان كلاما منظوما
وشاهد منظرا بهيا يخاطبه بكلام فيما يحتسبه من افعاله فان كان لا تفاوت بين تلك المعاني والصور الا في الكلية والجزئية كان
ذلك وحيا صريحا والهاما والا احتاج الى التاويل **واما المقام الثالث** وهو صدور الاخبار بالامور الغيبية عنه ع فستعلمها في مواضع كثيرة
من هذا الكتاب ثم نعم لا يقال لا نم ان ذلك علم الهمه الله اياه وافاضه عليه بل الرسول ص اخبره بوقائع جزئية من ذلك وح لا يبقى بينه
وبين غيره فرق في هذا المعنى فان الواحد منا لو اخبره الرسول ص بشئ من ذلك لكان له ان يحكي ما قال الرسول ولان رفع الخبر به على وفق
قوله ويدل على ذلك قوله بعد وصف الاتراك وقد قال له بعض اصحابه في ذلك المقام لقد اعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب فضحك
وقال للرجل وكان كلبيا يا اخا كلب ليس هو بعلم غيب وانما هو تعلم من ذي علم وانما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه من قوله ان
الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام من ذكر وانثى وقبيح وجميل وشقي وسعيد ومن يكون للنار حطبا او في
الجنان للنبيين مرافقا فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه احد الا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه صلى الله عليه واله فعلمنيه ودعا لي
بان يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي وهذا تصريح بانه تعلم من رسول الله ص لانا نقول انا لم ندع انه ع كان يعلم الغيب بل المدعى
انه كان لنفسه القدسية استعداد ان تنتقش بالامور الغيبية عن افاضة جود الله تع وفرق بين علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله
وبين ما ادعيناه فان المراد بعلم الغيب هو العلم الذي لا يكون مستفادا عن سبب يفيده وذلك انما يصدق في حق الله تع اذ كل علم لذي
علم عداه فهو مستفاد من جوده اما بواسطة او بغير واسطة فلا يكون علم غيب وان كان اطلاعا على امر غيبي لا يتأهل للاطلاع عليه
كل الناس بل يختص بنفوس خصت بعناية الهية كما قال تع عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فاذا
عرفت ذلك ظهر ان كلامه ع صادق مطابق لما اردناه فانه نفى ان يكون ما قاله علم غيب لانه مستفاد من جود الله تع وتوفيقاته

هو تعلم من ذي علم اشارة الى وساطة تعليم الرسول له وشواهد نفسه على طول الصحبة بتعليمه وارشاده الى كيفية
السلوك واسبابا للتطويع والرياضة حتى استعد لانتقاش الامور الغيبية والاخبار عنها وليس التعليم هو ايجاد التعلم
وان كان امرا قد يلزمه ايجاد العلم فتبين اذن ان تعليم رسول الله صلى الله عليه وآله له لم يكن مجرد توقيفه على الصور الجزئية بل اعداد
نفسه بالقوانين الكلية ولو كانت الامور التي تلقاها عن الرسول صلى الله عليه وآله صورا جزئية لم يحتج الى مثل دعائه في فهمه لها
فان فهم الصور الجزئية امر ممكن سهل في حق من له ادنى فهم وانما يحتاج الى الدعاء واعداد الاذهان له بانواع الاعدادات
هو الامور الكلية العامة للجزئيات وكيفية انشعابها عنها وتفريعها وتفصيلها واسباب تلك الامور المعدة لادراكها ومما
يؤيد ذلك قوله عليه السلام علمني رسول الله صلى الله عليه وآله الف باب من العلم فانفتح لي من كل باب الف باب وقول الرسول صلى الله عليه وآله اعطيت جوامع الكلم
واعطى علي جوامع العلم والمراد بالانفتاح ليس الا التفريع واستنباط القوانين الكلية عما هو اهم منها وبجوامع العلم ليس الا ضوابطه
وقوانينه وفي قوله واعطى بالبناء للمفعول دليل ظاهر على ان المعطي لعلي جوامع العلم ليس هو النبي بل الذي اعطاه ذلك
هو الذي اعطى النبي صلى الله عليه وآله جوامع الكلم وهو الحق سبحانه وتعالى واما الامور التي عددها الله سبحانه فهي من الامور الغيبية وقوله
لا يعلمها احد الا الله كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وهو محتمل للتخصيص كما في قوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا
الا من ارتضى من رسول وهذا الامر واضح لا يحتاج العاقل في استكشافه الى كلفة وسيجيء في اثناء الشرح ما يزيد ذلك وضوحا ان شاء الله تعالى
البحث الثاني في بيان صدور الافعال الخارقة للعادة عنه والتطرق الى امكان ذلك في سببه او في نفس وقوعه منه
المقام الاول في امكانه واسبابه واجب على من هداه الله سبحانه ان لا يستنكر ما يسمع من انواره اذا سمع ان وليا من الاولياء يفعل
ليس في وسع غيره من ابناء نوعه الاتيان بمثله كالامساك عن الطعام المدة المديدة التي ليست في وسع ابناء نوعه وكالتحريك على الحركة
الخارجة عن وسع مثله كما يشاهد من طوفانات تقع باستدعائهم وزلازل واستنزال عقوبات وخسف بقوم حق عليهم القول
واستشفاء المرضى واستسقاء العطشى وخضوع عجم الحيوانات وغيرها ان لا يبادر الى التكذيب فانه عند الاعتبار يجد تلك
الامور ممكنة في الطبيعة اما الامساك عن القوت فلانه امكانه فينا بل وجوده عند عروض عوارض غريبة لنا اما بدنية كالامراض
الحادة واما نفسانية كالخوف والتروسيسبب الامساك في حال المرض اما في الامراض البدنية فان القوى الطبيعية تشتغل بهضم
المواد الرديئة عن تحريك المواد المحمودة فتجد المواد المحمودة محفوظة قليلة التحلل غنية عن طلب البدل لما يتحلل منها فانقطع الغذاء
عن صاحبها مدة لو انقطع مثله عنه في غير حالته تلك عشر مثل المدة هلك وهو مع ذلك محفوظ الحيوة واما النفسانية فانه
قد يعرض بعروض الخوف للخائف سقوط الشهوة وفساد الهضم والعجز عن الافعال الطبيعية التي كان متمكنا منها قبل الخوف لوقوف
القوى الطبيعية عن افعالها بسبب اشتغال النفس بما اهمها عن الالتفات الى تدبير البدن واذا عرفت امكان ذلك بسبب
العوارض الغريبة فاعلم ان سبب تحققه في حق العارف هو توجه نفسه بالكلية الى عالم القدس المستلزم لتشييع القوى البدنية
لها وذلك لان النفس المطمئنة اذا راضت القوى البدنية انجذبت القوى خلفها في مهماتها التي تنزع اليها واشتد ذلك
الانجذاب فاذا اشتد الاشتغال عن الجهة المولى عنها وقفت الافعال الطبيعية المتعلقة بالقوة النباتية فلم يكن من التحليل الا دون
ما يكون في حال المرض لاختصاص المرض بعرض يقتضي الاحتياج الى الغذاء كتحلل رطوبات البدن بسبب عروض حرارة غريبة
المسماة بسوء المزاج الحار لان الغذاء انما يكون لسد بدل ما يتحلل من تلك الرطوبات وشدة الحاجة الى الغذاء انما يكون بحسب
كثرة التحليل وكفضول القوى البدنية بسبب المرض المضاد له وانما الحاجة الحفظ تلك الرطوبات لحفظ تلك القوى اذا كانت مادة
الحرارة الغريزية المقتضية لتعادل الاركان التي لا تقوم تلك القوى الا معه وشدة الحاجة الى ما يحفظ تلك القوى انما هي بحسب شدة
فتورها **واما العرفان** فانه يختص بامر يوجب الاستغناء عن الغذاء وهو سكون البدن عند اعراض القوى البدنية عن
افعالها حال متابعتها للنفس وانجذابها خلفها حال توجيهها الى الجناب المقدس وتطعمها بلذة معارفة الحق واليه الاشارة بقوله
لست كاحدكم ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني واذا عرفت ذلك ظهر ان المرض ان اقتضى الامساك الخارق للعادة الا ان العرفان بذلك
الاقتضاء اولى **واما القدرة** على الحركة التي تخرج عن وسع مثله فهي ايضا ممكنة وبيانها انا قد علمنا ان مبدأ القوى البدنية هو الروح
الحيواني وان العوارض الغريبة التي تعرض للانسان تارة يقتضي انقباض الروح بحركته الى داخل كالخوف والحزن وذلك يقتضي انحطاط القوة و
سقوطها وتارة يقتضي حركته الى الخارج كالغضب وانبساطا معتدلا كالفرح المطرب والانتشار المعتدل وذلك يقتضي ازدياد القوة ونشاطها
واذا عرفت ذلك فاعلم انه لما كان فرح العارف ببهجة الحق اعظم من فرح من عداه بما عداها وكانت الغواشي التي تغشاه وتحركه اغزارا
بالحق ربانية اعظم مما يعرض لغيره لا جرم كان اقتداره على حركة غير مقدورة لغيره امكن **واما السبب** في الامور الباقية فهو انه
قد ثبت في غير هذا الموضع ان تعلق النفس بالبدن ليس تعلق انطباع فيه انما هو على جهة انها مدبرة له مع تجردها ثم ان الهيئات

النفسانية

في بيان خطبة الكتاب

النفسانية قد تكون مبادي لحدوث الحوادث وبيانه انا اذا فرضنا انسانا يمشي على جذع ممدود على الارض يتصرف
عليه كيف شاء ولو عرض ذلك الجذع بعينه على جدار عال لوجدناه عند المشي عليه يحجم عنه لرذائل قواعده وهم بالسقوط مرة
بعد اخرى لتصوره وانفعال بدنه عن وهمه حتى ربما سقط واما ثانيا فلان الامزجة تتغير عن العوارض النفسانية كثيرا كالغضب والخوف والحزن و
الفرح وغير ذلك وهو ضروري واما ثالثا فلان توهم المرض والصحة قد يوجب ذلك وهو ايضا ضروري اذا عرفت ذلك فنقول انه لما كانت
الامزجة قابلة هذه الانفعالات عن هذه الاحوال النفسانية فلا مانع ان يكون لبعض النفوس خاصية لاجلها تتمكن من التصرف في عنصر
هذا العالم بحيث تكون نسبتها الى كلية العناصر كنسبة انفسنا الى ابداننا فيكون لها تاثير في اعداد المواد العنصرية لان يفاض عليها
صور الامور الغريبة التي تخرج عن وسع مثلها فاذا انضم الى ذلك الرياضات فانكسرت سورة الشهوة والغضب وبقيتا اسيرتين في يد
القوة العاقلة فلا شك انها تكون اقوى على تلك الافعال وتلك الخاصية اما بحسب المزاج الاصلي او بحسب مزاج طار غير مكتسب او بحسب
الكسب لاجتهاد في الرياضة وتصفية النفس والذي يكون بحسب المزاج الاصلي فذو المعجزات من الانبياء او الكرامات من الاولياء فان انضم
اليها الاجتهاد في الرياضة بلغت الغاية القصوى في ذلك الكمال وقد يغلب على مزاج من له هذه الخاصية ان يستعملها في طرف الشر في
الامور الخبيثة ولا يزكي نفسه كالساحر فيمنعه خبثه عن الترقي الى درجة الكمال واعلم ان الشرط الاول للنبوة ان يكون الشخص مأمورا الانبيا
من السماء باصلاح النوع ثم من لواحق مرتبة الاولياء وامور الاول ان يستغنوا في اكثر علومهم عن معلم بشري بل يحصل لهم بحسب قواهم
القدسية الشريفة بالغة وشدة اتصال نفوسهم بالحق سبحانه الثاني ان يكون هيولى العالم طوعا لما ارادوا من الامور
العجيبة الخارقة للعادة كالخسف والتحريكات والتسكينات الثالث ان يتمكنوا من الاخبار عن المغيبات والامور الجزئية الواقعة اما
في الماضي وفي المستقبل والشرط الاول هو العمدة في تمييز بعض الانبياء عن غيرهم ولا شك ان اختصاصهم به انما هو لشدة اتصالهم
فانهم اشد اتصالا بالمبدأ الاول واكمل قوة من غيرهم وكذلك اختلاف مراتبهم عائد ايضا الى تفاوت نفوسهم في قربها من المبدأ واتصالها
به واما باقي الخصال فقد يشاركهم فيها الاولياء ويجتمع فيهم والى هذا المعنى اشار النبي صلى الله عليه وآله بقوله علماء امتي كانبياء بني اسرائيل وكان
التفاوت بين المعجزة والكرامة انما يرجع الى ان الخصال المذكورة ان صدرت عمن له الشرط الاول سميناها معجزا وان صدرت عن غيرهم
كانت في حقه كرامة وتحقيق هذه المباحث مبني على مقدمات واصول ليس هذا موضع ذكرها فليطلب ذلك من مظانها وبالله التوفيق
المقام الثاني في وقوع الفعل الخارق عنه عليه السلام واعلم ان الطريق الى ذلك هو النقل وقد نقل عنه ذلك في صور تثبت بعضها بحسب التواتر
وبعضها بخبر الاحاد فمن الامور الخارقة المنقولة عنه بحسب التواتر قلعه لباب خيبر لما انتهى اليه وكان من صخرة واحدة يعجز الجماعة عن تحريكه
وروي في كيفية حاله في ذلك انه لما اقتلعه دحا به اذرعا واجتمع عليه سبعون رجلا وكان جهدهم ان اعادوه الى مكانه وروي انه قال عليه السلام لما باب
خيبر وجعلته مجنا لي وقاتلت القوم فلما اخزاهم الله وضعت الباب على حصنهم طريقا ثم رميت به في خندقهم فقال له رجل لقد حملت
يا امير المؤمنين منه ثقلا فقال ما كان الا مثل جنتي التي في يدي في غير ذلك المقام ومعلوم ان ذلك لم يصدر عن قوة بدنية والا لقدر
على ذلك من هو اقوى صورة منه ولذلك قال عليه السلام ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن قلعته بقوة ربانية وللشعراء في هذه الابيات
اشعار كثيرة والقصة مشهورة فهذا القدر يكفينا في بيان فضائله عليه السلام وعليك بما في الامور المنقولة عنه في ذلك بالكتب المصنفة في بيان
معجزات الانبياء وكرامات الاولياء ولقد اجتهد بنو امية في اخفاء فضائله واطفاء نوره بالتحريف ووضع المعايب والمثالب حتى سبوه
على جميع المنابر ومنعوا ان يروى حديث يتضمن له فضيلة وان يسمى باسمه احد فلم يزد بذلك الاخفاء الا ظهورا ولم يثمر ذلك الاطفاء
الا نورا ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون وكان مولده عليه السلام قبل ظهور دعوة النبي صلى الله عليه وآله بثلث عشرة سنة وقيل اثنتي عشرة سنة وقيل عشر
سنين وقتل ليلة الجمعة لثلث عشرة ليلة بقين من شهر رمضان من سنة اربعين من هجرة الرسول بجامع الكوفة وهو ابن ثلث وستين سنة
فهذا ما اوردناه من هذه المقدمة ولنشرع بعدها في نفس المطالب وقبله نذكر نسب السيد رضي الدين وبيان ما عسى ان يشكل من لفظه
في خطبة الكتاب اما نسبه فهو السيد رضي الدين ذو الحسبين محمد بن الطاهر ذي المناقب ابي احمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن الشريف مع
ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ووصف بذي الحسبين لاجتماع اصله الفاخر الذي هو منبع الحسب مع
فضيلة تكمله بالعلم والادب كان مولده ببغداد سنة تسع وخمسين وثلث مائة وتوفي في المحرم سنة ست واربع مائة بالكرخ من بغداد قال رضي الله عنه
ودفن مع اخيه المرتضى في جوار جده الحسين عليه السلام **خطبة الكتاب** بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد حمد الله الذي جعل الحمد ثمنا لنعمائه ومعاذا من بلائه ووسيلا الى جنانه وسببا لزيادة احسانه والصلوة على
رسوله نبي الرحمة وامام الائمة وسراج الامة المنتجب من طينة الكرم وسلالة المجد الاقدم ومغرس الفخار المعرق وفرع العلا
المثمر المورق وعلى اهل بيته مصابيح الظلم وعصم الامم ومنار الدين الواضحة ومثاقيل الفضل الراجحة صلى الله عليهم اجمعين صلوة
تكون ازاء لفضلهم ومكافاة لعملهم وكفاء لطيب فرعهم واصلهم ما انار فجر ساطع وخوى نجم طالع فاني كنت في عنفوان السن وغضاضة

في بيان خطبة الكتاب

انفصن ابتدأت بتاليف كتاب في خصائص الائمة ع يشتمل على محاسن اخبارهم وجواهر كلامهم حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب
وجعلته امام الكلام وفرغت من الخصائص التي تخص امير المؤمنين عليا ع وعاقت عن اتمام بقية الكتاب محاجزات الايام ومماطلات
الزمان وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك ابوابا وفصلته فصولا فجاء في اخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه ع من الكلام القصير
في المواعظ والحكم والامثال والاداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة فاستحسن جماعة من الاصدقاء ما اشتمل عليه الفصل
المقدم ذكره معجبين ببدائعه ومتعجبين من نواصعه وسئلوني عند ذلك ان ابتدئ بتاليف كتاب يحتوي على مختار كلام
امير المؤمنين ع في جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وادب علما ان ذلك يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب
الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنياوية ما لا يوجد مجتمعا في كلام ولا مجموع الاطراف في كتاب اذ كان
امير المؤمنين ع مشرع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها ومنه ع ظهر مكنونها وعنه اخذت قوانينها وعلى امثلته حذا
كل قائل خطيب وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ومع ذلك فقد سبق وقصروا وتقدم وتاخروا لان كلامه ع الكلام الذي
عليه مسحة من العلم الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي فاجبتهم الى الابتداء بذلك عالما بما فيه من عظيم النفع ومنشور الذكر
ومذخور الاجر واعتمدت به ان ابين عن عظيم قدر امير المؤمنين ع في هذه الفضيلة مضافة الى المحاسن الدثرة والفضائل الجمة
وانه ع انفرد ببلوغ غايتها من جميع السلف الاولين الذين انما يؤثر عنهم منها القليل النادر والشاذ الشارد فاما كلامه ع
فهو البحر الذي لا يساجل والجم الذي لا يحافل واردت ان يسوغ لي التمثيل في الافتخار به ع بقول الفرزدق اولئك آبائي فجئني بمثلهم
اذا جمعتنا يا جرير المجامع ورايت كلامه ع يدور على اقطاب ثلثة اولها الخطب والاوامر وثانيها الكتب والرسائل وثالثها الحكم
والمواعظ فاجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم والادب مفردا لكل
صنف من ذلك بابا ومفصلا فيه اوراقا لتكون لاستدراك ما عساه يشذ عني عاجلا ويقع الي اجلا واذا جاء شيء من كلامه ع
الخارج في اثناء حوار او جواب كتاب او غرض اخر من الاغراض في غير الانحاء التي ذكرتها وقررت القاعدة عليها نسبته الى اليق الابواب به
واشدها ملامحة لغرضه وربما جاء فيما اختاره من ذلك فصول غير متسقة ومحاسن كلم غير منتظمة لاني اورد النكت واللمع و
لا اقصد التتالي والنسق ومن عجائبه ع التي انفرد بها وامن المشاركة فيها ان كلامه الوارد في الزهد والمواعظ والتذكير و
الزواجر اذا تامله المتامل وفكر فيه المفكر وخلع من قلبه انه كلام مثله ممن عظم قدره ونفذ امره واحاط بالرقاب ملكه لم
يعترضه الشك انه من كلام من لا حظ له في غير الزهادة ولا شغل له بغير العبادة قد قبع في كسر بيت او انقطع الى سفح جبل
لا يسمع الا حسه ولا يرى الا نفسه ولا يكاد يوقن بانه كلام من ينغمس في الحرب مصلتا سيفه فيقط الرقاب ويجدل الابطال و
يعود به ينطف دما ويقطر مهجا وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد وبدل الابدال وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه اللطيفة
التي جمع بها بين الاضداد والف بين الاشتات وكثيرا ما اذاكر الاخوان بها واستخرج عجبهم منها وهي موضع للعبرة بها والفكرة
فيها وربما جاء في اثناء هذا الاختيار اللفظ المردد والمعنى المكرر والعذر في ذلك ان روايات كلامه ع تختلف اختلافا شديدا
فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه ثم وجد بعد ذلك في رواية اخرى موضوعا غير موضعه الاول اما بزيادة مختارة
او لفظ احسن عبارة فتقتضي الحال ان يعاد استظهارا للاختيار وغيرة على عقائل الكلام وربما بعد العهد ايضا بما اختير اولا فاعيد
بعضه سهوا او نسيانا لا قصدا واعتمادا ولا ادعي مع ذلك اني احيط باقطار جميع كلامه ع حتى لا يشذ عني منه شاذ ولا يند
ناد بل لا ابعد ان يكون القاصر عني فوق الواقع الي والحاصل في ربقتي دون الخارج من يدي وما علي الا بذل الجهد وبلاغ الوسع
وعلى الله سبحانه نهج السبيل ورشاد الدليل ان شاء الله ورايت من بعد تسمية هذا الكتاب بنهج البلاغة اذ كان يفتح للناظر
فيه ابوابها ويقرب عليه طلابها وفيه حاجة العالم والمتعلم وبغية البليغ والزاهد ويمضي في اثنائه من عجيب الكلام في التوحيد
والعدل وتنزيه الله سبحانه عن شبه الخلق ما هو بلال كل غلة وشفاء كل علة وجلاء كل شبهة ومن الله سبحانه استمد
التوفيق والعصمة وانتجز التسديد والمعونة واستعيذه من خطاء الجنان قبل خطاء اللسان ومن زلة الكلم قبل زلة القدم
وهو حسبي ونعم الوكيل **اقول** اما حرف يبتدأ به الكلام المنقسم الى قسمين او اكثر وتصدر به الجمل فيخصص حكم كل واحدة بحكم ليس للاخرى
نقول اما بعد حمد الله هو الجزء الثاني من الكلام وتقديره الكلام مع الجزء الاول اما قبل الشروع في المطلوب فالحمد لله واما بعد حمد الله
فاني كنت في عنفوان السن وانما حذف الجزء الاول اختصارا للكلام وايجازا له ثم استمر ذلك الحذف وحسن استعماله في الكلمات
الخطابية وغيرها حتى صار اظهار المحذوف ههنا مستهجنا بقي ما يتحصل الحذف وقال سيبويه انه مع الجملة التي يدخل عليها في
قوة شرط متصل نقال اذا قلت اما زيد فمنطلق كانك قلت مهما يكن من شيء فزيد منطلق وينبه على ذلك بلزوم الفاء بجوابها وجعل
فيها الكلام مشتملا على جملتين شرط وجزاء والمذكور ههنا ليس الا الجملة الجزائية واما الشرط فمحذوف للاختصار وهذا الحرف يقع

سؤال

في بيان خطبة الكتاب

كما عن باب يا للنداء مقام ادعو ونعم مناب الجواب انما تحلفت الفاء عن موضعها وهو المبتدأ الى الخبر لئلا يقع في صدر الكلام مع يعيرها
التوسط ما بين مفردين او جملتين وقوله بعد ظرف يستدعي متعلقا ونقديره واما قولي بعد حمد الله فهو كذا وكذا والحمد
لفظ مشترك يصدق على معنى الشكر الذي هو الاعتراف بالنعمة المتقدمة والثناء والتعظيم لربها من الشاكر وعلى الثناء المطلق
ابتداء والتعظيم لغير المحسن الى الحامد اذا راى منه فعلا جميلا دون ان يكون في حقه فهو ان اعم من الشكر وهو اخص من المدح
لاختصاص اطلاقه في حق العقلاء دون غيرهم اذ يقال مدحت الفرس ولا يقال حمدته والمعاذ الملجأ والوسيل جمع وسيلة وهي
كل ما يتقرب به الى الله تعالى او الى غيره والصلوة لفظ مشترك بين معان وهو من الله تعالى رحمة والنبي مأخوذ اما من النبوة والنباوة و
هي الارتفاع لكونه مرتفعا على الخلق رئيسا لهم فيكون اصله غير الهمز واما من النباء وهو الخبر لانه مخبر عن الله تعالى والائمة الجماعة و
المنتجب المستخلص المصطفى وسلالة الشيء ما استل منه واستخرج والنطفة سلالة الانسان ومنه السليل للولد والمجد في الاصل الكرم
وكذلك الماجد واعرق الرجل اذا صار عريقا وهو الذي له عرق في الكرم والاصل والعصم جمع عصمة وهي المنع وفلان عصمة الخلق اذا
منع الاذى عنهم وحماهم منه والمنار علم الطريق وهو لفظ مفرد واصل الفه الواو وقد يستعمل جمعا لمنارة كما اراده الرضي هنا
ولذلك نعت صفة وهذا الجمع على غير قياس فان وزن منارة مفعلة وقياس مفعلة في الجمع مفاعل ولذلك
كان الجمع الاصلي لمنارة مناور وقال الجوهري ومن قال مناير وهمز فقد شبه الاصلي بالزائد واراد بحذفه في الجمع والمثاقيل
جمع مثقال وهو ما يوزن به الذهب والفضة ويكون حد المثاقيل كثر استعماله حتى عدى الى الموزون به فيقال مثقال مسك ونحوه
ثم عدي الى الامور المعقولة والمقادير منها فقيل مثقال فضل وهذا الشيء ازاء لذلك حذاءه ومقابله وكذلك الكفاء والكفاية
يقال كافيت فلانا بالشيء اذا قابلته به وجزيته عليه وكفاء الشيء بالمد والهمز مثله ونظيره من جزاء ونحوه ومنه كفات الاناء اذا ملأته
وخوى النجم بالتخفيف سقط وبالتشديد اذا مال للمغيب وعنفوان الشباب والسن اوله والغض الطري وغضاضة الغصن طراوته
ولينه وحداني على كذا اي بعثني وحملني عليه وهو مأخوذ من حداء الابل وهو زجرها والغناء لها الباعث لها على السير والحامل
لها على الشرعة فيه والخصائص جمع خصيصة فعيلة بمعنى فاعلة وهي ما يختص بالانسان من كمال وغيره والمحاجزات جمع محاجزة وهي
الممانعة من الطرفين كان الايام تمانعه عن العمل وهو يمانعها منعها له والمماطلات جمع مماطلة مفاعلة ايضا من الطرفين كان الزمان
لاغتراره بطوله يعده بانجاز العمل فيخلف وكانه هو لطول امله يعد الزمان بوقوع العمل فيخلف واعجب فلان بكذا على البناء فيه
للمفعول فهو معجب اذا احبه ومال اليه فصار عنده في محل ان يتعجب منه ومنه قولهم اعجب فلان برايه وعقله والبدايع جمع
بديع فعيل بمعنى مفعول وهي الفعل على غير مثال ثم صار يستعمل في الفعل الحسن وان سبق اليه مبالغة في حسنه فكانه لكمال حسنه
لم يسبق اليه والتعجب قولك ما احسن كذا ونحوه من الالفاظ والنواصع جمع ناصعة والناصع من كل شيء خالصه ونصع الامر وضح وبان
ومعجبين ومتعجبين منصوبان على الحال والتعجب بالشيء سبب للتعجب منه وفنون الكلام انواعه واساليبه المختلفة وعلما منصوب على
المفعول له او على انه مصدر سد مسد الحال اي عالمين والعامل فيه قوله سألوني والقوانين جمع قانون وهو كل صورة كلية يتعرف
منها احكام جزئياتها المطابقة لها ولفظه معرب سرياني وقيل انه عربي مأخوذ لكونه ثابتا باديا اما من القن وهو العبد الذي
ملك هو وابواه فهو ثابت في الملك من جهتين ومن القنقن وهو الدليل الهادي والبصير بالماء في حفر القني وكان القانون بضم القاف
لكون القانون هاديا في تعرف جزئياته ويقال على فلان مسحة من جمال اي اثر وعلامة وهو خاص بالمدح قال رسول الله ص في جرير عليه
البجلي عليه مسحة من ملك اي اثر ذلك قال ذو الرمة على وجه مي مسحة من ملاحة وتحت الثياب الشين لو كان باديا وعبق به الطيب
لزق به وانتشرت منه الحسنة والعبقة واحدة العبوق واعتمدت اي قصدت والدثرة الكثيرة وكذلك الجمة والاثر ما ينقل من رسم الشيء و
رسول الله ص اثاره ويؤثر عنهم ينقل عنهم من الاثار والشاد المنفرد الذي لا يصحب امثاله كالمعشر والبعير نفر عن الابل وخرج عن نظامها والمساجلة
المغالبة والمفاخرة في سقي او جري واصله من السجل وهو الدلو العظيمة اذا كان فيها ماء قال الفضل بن عباس من يساجلني يساجل
ماجدا يملا الدلو الى عقد الكرب ومحفل القوم واحتفلوا اي اجتمعوا والمحافلة مفاعلة من الطرفين فقوله لا يحافل اي ليس في كلامه
غيره مجمع للفضائل يقابل كلامه وقطب الرحى مسمارها الذي عليه تدور ثم استعمل في كل اصل ينتهي اليه ويرجع فقيل قطب القوم لسيدهم
لكونه عليه مدار امورهم وقطبا الفلك نهايتا محوره وهو الخط الذي يتوهم مارا بمركز الفلك منتهيا في الجهتين الى طرفيه وعليه
يدور والاقسام الكلام التي تدخل اجزاؤه وتحتها وتدور عليه والخطبة اعم من الوعظ والوعظ التخويف ويختص في العرف بالتذكير بايام
الله والاخرة وعذابها ونحوه والرسالة اعم من الكتاب لجواز ان تكون بالقول دون كونها مكتوبة والصنف في اللغة النوع واحد وان
كان بينهما في عرف اخص فرق والاجماع تصميم العزم على الامر وخلوصه من التردد واثناء الشيء تضاعيفه وهو جمع ثني بكسر الثاء
سكون النون تقول نفذت كذا في ثني كتابي اي في طيه والحوار الخطاب في الجواب والمحاورة المجاوبة والترديد الكلام بعينه

في بيان خطبة الكتاب

فلم يجر جوابا والانحناء جمع عنو وهو المقصد وقواعد البيت الاحجار التي يؤسس عليها بناؤه وقال تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت
قواعد الهودج اخشاب الاربع المعترضات في اسفله ثم عدي الى كل اصل يبنى عليه من كلام او غيره والملامح المشابه من قولهم في فلان
ملامح من ابيه اي مشابه واصله من لمح البصر وهو النظر الخفيف لسرعة الزوال وذلك ان الملمح مفعل وهو موضع اللمح والمشابه محال
اللمح فلذلك شبهت بالملامح وقد يكون ملاحمه وهي الملائمة ودوي ملائمة ايضا والمنسوق المنتظم يتلو بعضه بعضا واصله
نادعت النون في التاء والنكت جمع نكتة وهي الاثر في الشيء يتميز به بعض اجزائه عن بعض ويوجب له الافتقار والالتفات للذهن
اليه كالنقطة في الجسم والاثر فيه الموجب للاختصاص بالنظر ومنه رطبة منكتة اذا بدا ارطابها ثم عدي الى الكلام والامور المعقولة
التي يختص بعضها بالدقة الموجبة لمزيد العناية والفكر فيها فقيل ذلك لبعض نكتة واللمع جمع لمعة وهي البقعة من الكلأ وكل
الجماعة من الناس واصله من اللمعان وهو الاضاءة والبريق لان البقعة من الارض ذات الكلأ كانها تضيء لخضرتها ونضارتها
دون سائر البقاع وعدي الى محاسن الكلام وبليغه لاستنارة الاذهان به ولتميزه عن سائر الكلام فكانه في نفسه ذو ضياء ونور
واعتراض الشك خطوره بالبال المانع للجزم باحد طرفي المشكوك فيه وقبع القنفذ قبعا وقبوعا اذا ادخل راسه في جلده وكذلك
الرجل اذا ادخل راسه في قميصه واصله من قبوع القنفذ وكسر البيت اسفل شقة البيت التي تلي الارض من حيث تكسر جانباه
من عن يمينك وشمالك حكاه ابن السكيت وسفح الجبل سطوحه وجوانبه التي يسيل عليها الماء من اعلاه وقد يقال بالصاد ايضا
ويوقن يعلم يقينا وانما صارت الياء التي هي الاصل واوا للضمة قبلها وانغمس في الامر دخل فيه بكليته واصله من الدخول في الماء
ونحوه من المائعات واصلت سيفه جرده عن غمده وقط الشيء قطعه عرضا وقده وشقه قطعه طولا والبطل الشجاع وجدله
اي القاه على الجدالة وهي الارض ونطف ينطف بضم الطاء في المستقبل نطفا اي سال والمهج جمع مهجة وهي الدم ويقال
هي دم القلب خاصة والمهجة الروح ايضا ودما ومهجا منصوبات على التمييز والابدال قوم صالحون لا تخلو الارض منهم واذا مات
واحد بدل الله مكانه باخر قال ابن دريد الواحد بديل وقيل بدل بالضم والغيرة الاسم من الاغتياب وهو انتقال الذهن من امر
الى امر والظهير المعين والاستظهار للشيء الاستعانة بغيره لحفظه وبالشيء الاستعانة به وعلى الشيء الاستعانة بغيره لدفعه والغيرة
بفتح الغين مصدر قولك غار الرجل على اهله يغار غيرة وغارا ورجل غيور وامراة غيور ايضا اذا كان كثير الغيرة والغيرة المنفية بعرض
لذي الحق عن تخيل مشاركة غير المستحق لذلك الحق له فيه والعقائل جمع عقيلة وعقيلة كل شيء اكرمه واحسنه والانظار جمع نظر وهي
الناحية والجانب وند البعير يند ندا وندودا نفر وشرد والربق بكسر الراء وسكون الباء حبل فيه عرى كثيرة تشد به البهم الواحد
من العرى ربقة وفي الحديث من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه والجد الحرص والاجتهاد والبلاغ الاسم
من التبليغ والبلوغ اقيم مقام المصدر والنهج الطريق الواضح والبغية بكسر الباء وضمها ما يراد ويبتغى من الشيء والبلال بكسر
الباء الذي يبل به الحلق من ماء او لبن والغلة والغليل العطش الشديد وجلاء السيف وغيره صقاله وازالة ما يعرض
من الكدر وجلاء القلب والنفس ازالة ما يعرض لهما من كدر الشبهة والجهل وتجزئة الامر هيأت لنا انجازه وقضاه والاستعاذة
طلب العوذ وهو الالتجاء كقوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وزلة اللسان الخطاء في القول وزلة القدم خطاء الطريق
والانحراف عنه وعدم التثبت على الصراط المستقيم اذا عرفت ذلك فلنرجع الى المعنى **فقوله** اما بعد حمدا لله الى قوله وزيادة
احسانه **اقول** ان حمد الله تعالى سواء كان عبارة عن الثناء والتعظيم المطلق او عن الشكر المستلزم لتقدم النعمة والاعتراف
بها وتعظيم ربها فان المستحق له في الحقيقة ليس الا الله سبحانه ومع ذلك فهو من اجل العبادات له واكملها اما الاول فلان كل
محسن من الخلق انما يحسن طلبا لجلب منفعة او دفع مضرة وهذا الاحسان في الحقيقة معاملة وان عد في العرف احسانا اما الحق
سبحانه فلما كان منزها عن طلب المنفعة ودفع المضرة لم يكن احسانه استفادة لاحدهما فكان المحسن الحق ليس الا هو فكان المستحق
لكل اقسام الحمد ليس الا هو واما الثاني فبيانه اما في الثناء المطلق لله تعالى وتعظيمه فلاستلزامه ملاحظة جلال الله وكبريائه
وتصور الجهة التي باعتبارها كان مستحقا للثناء والتعظيم دون غيره وهو كونه الها وربا وخالقا لكل ما سواه ومنزها عن كل
نقص منزها عن كل عيب وهذه الملاحظة والاعتبار هو مطلوب لله سبحانه من جميع العبادات وهو جار منها مجرى الروح للجسد
وكذا الشكر لله سبحانه فانه مستلزم لمعرفته ومحبته والالتفات اليه وملاحظة الجهة التي بها كان مستحقا للشكر وهي افاضة
النعم التي لا يحصى على العبد لا يقدر غيره على مثلها وهذه الملاحظات هي الاسرار المطلوبة من العبادات وبها تكون نافعة واذا
علمت ان الحمد من اكمل العبادات وانها لله علمت ان عبادته سبحانه هي المطلوبة له من خلقه دون غيرها كما قال تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون علمت ان الحمد من اكمل المطالب لله فالاتيان به يكون مستلزما لرضوان الله وما يستلزم الرضوان من
الخيرات الدائمة والنعم الباقية واذا عرفت ذلك فاعلم ان السيد رضي الدين اشار بهذه الفصول الاربعة الى اربعة انواع من تلك

الخيرات

جعله الحمد مع قرينه العبد

في بيان خطبة الكتاب

الخيرات الاول قبول الحمد عوضا من العبد مع كونه ايسر شيء مؤنة واخفه على اللسان كالقيمة ثمنا مقابلا لكمال النعماء الله تعالى
في حقه وذلك في الحقيقة نعمة اخرى وموهبة كبرى تستدعي حمدا اخر وهلم جرا فسبحان الذي لا تحصى نعماؤه ولا تنقضي
الاؤه وقوله ثمنا استعارة لطيفة ووجه المشابهة ان الثمن كان مستلزما لرضا البائع به عوضا من مبيعه وكان الحمد
مستلزما لرضا الحق سبحانه في مقابلة نعمه لاجرم اشبه الثمن فاستعير لفظه له وفي الخبرات ان الله تعالى اوحى الى ايوب اني رضيت
الشكر مكافاة من اوليائي في كلام طويل الثاني جعله الحمد معاذا من بلائه وبيانه اما اولا فلقوله تعالى ولئن كفرتم ان عذابي
لشديد فانه تعالى توعد بالعذاب من كفر بنعمته مع اذنه للحمد والشكر وامره بهما في غير موضع علمنا ان الشكر والحمد من
اسباب الخلاص من العذاب الاليم والبلاء العظيم لاستلزامهما عدم سببه وهو الكفران واما ثانيا فلانك علمت ان الاتي
بالحمد مستحق لرضوان الله من جهة ما هو حامد والمستحق لرضوان الله ناج من عذاب الله فكان الحمد محلا للعوذ به من
بلائه وسخطه الثالث جعله الحمد وسيلا الى جنانه وبيانه اما اولا فلكونه من اتم العبادات وكون العبادة وسيلة الى الجنة
ظ واما ثانيا فما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم ينادي يوم القيامة ليقم الحمادون فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحمادون
قال الذين يشكرون الله على كل حال فحكم بان الحمادين يدخلون الجنة بسبب حمدهم الرابع جعله الحمد سببا لزيادة احسانه
وبيانه اما اولا فلقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم فعلق زيادة النعم بمجرد الشكر واما ثانيا فلان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع
وانما النقصان من جهة العبد لعدم الاستحقاق واذا استعد لقبول النعم بالحمد افاض الله تعالى عليه نعمه ثم لا يزال يستعد بالحمد
والشكر على النعم السابقة للمزيد بالنعم اللاحقة الى ان يخرج كل كمال له بالقوة الى الفعل فيلتحق بزمرة الكروبيين ويجاوره
الملائكة المقربين المعتكفين في حظيرة الجبروت وقد عرفت من هذا البيان ان كون هذه الامور لازمة للحمد انما هو بجعل الله
تعالى ملاحظة لعباده بعين عنايته وشمولا لهم بسعة رحمته **قوله** والصلوة على رسوله نبي الرحمة الى قوله وخوى نجم طالع
اقول اردف حمد الله تعالى بالصلوة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وذلك من الاداب الدينية التي استمرت عليها العادة في الخطب وذكر له صلى الله عليه وسلم
اوصافا سبعة **الاول** كونه نبي الرحمة ملاحظة لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وتفصيل هذه الرحمة من وجوه
احدها انه الهادي الى سبيل الرشاد والقائد الى رضوان الله سبحانه وبسبب هدايته يكون وصول الخلق الى المقاصد العالية و
دخول جنات النعيم التي هي غاية الرحمة **الثاني** ان التكاليف الواردة على يديه صلى الله عليه وسلم اسهل التكاليف واخفها على الخلق بالنسبة الى
سائر التكاليف الواردة على ايدي الانبياء السابقين كما قال عليه السلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وذلك عناية من الله ورحمة اختص
بها امته على يديه **الثالث** انه سال الله تعالى ان يعفو عن عصاة امته ويرحمهم بسبب شفاعته **الرابع** انه رحم كثيرا من اعدائه كاليهود و
النصارى والمجوس ببذل الامان لهم وقبول الجزية منهم وقال صلى الله عليه وسلم من اذى ذميا فقد اذاني ولم يقبل من الانبياء الجزية قبله
الخامس انه سال الله تعالى ان يرفع عن امته بعده عذاب الاستيصال ودفع العذاب بحمد **السادس** ان الله تعالى وضع بشفاعته عنهم الاصر
تخفيفا ورحمة لامته **الثاني** كونه امام الائمة اما صدق كونه اماما فلوجهين احدهما ان الامام هو الرئيس المقتدى به في اقواله وافعاله
والانبياء عليهم السلام احق الخلق بهذه الصفة وهم الاصل في ذلك الثاني قوله تعالى لابرهيم اني جاعلك للناس اماما واما كونه
امام الائمة فلقوله صلى الله عليه وسلم ادم ومن دونه تحت لوائي يوم القيمة **الثالث** كونه سراج الامة وبيانه قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا و
نذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وهذه استعارة لطيفة فان السراج لما كان من شانه اضاءة ما حوله واهتداء
الخلق به في الظلمة وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اضاء قلوب العالم بانوار الوحي والرسالة حتى اهتدى الخلق به في ظلمة الجهالة لاجرم حسنت استعارة
لفظ السراج له فهي استعارة لفظ المحسوس للمعقول على سبيل الكناية عن كونه هاديا للخلق ومرشدا لهم الى الطريق الحق **الرابع** كونه منتجبا
ومختارا من طينة الكرم كناية عن اصله والكرم حقيقة في السخاء ويجانبه مطلق الشرف والمراد انه سبحانه اصطفاه من اصل هو
محل الكرم والشرف **الخامس** كونه سلالة المجد الاقدم واضافة السلالة الى المجد اما على تقدير حذف المضاف الاصلي حتى يكون
التقدير سلالة اهل المجد الاقدم واما ان يكون قد استعار لفظ المجد لاصله فكانه تخيل ان الاصل كله مجد فاعطاه
لفظ المجد واضاف اليه بعد الاستعارة ثم وصف المجد بكونه اقدم لزيادته في الفضل على المحدث بل على القديم **السادس** كونه
مغرس الفخار المعرق وقد استعار لفظ المغرس للذي هو في الارض لطبيعته وجبلته استعارة على وجه الكناية عن شرفه
كاله روضة المشابهة ان طبيعته لظهور الفخار عنها كما ان الارض الحرة محل لظهور النبات الطيب الحسن عنها ووصفه بكونه معرقا
لزيادته على ما ليس كذلك وهذا من تخييل ترشيح الاستعارة فانه لما جعل للفخار مغرسا جعل له عرقا **السابع** كونه فرع العلاء المثمر
المورق لما استعار لفظ الفرع الذي هو حقيقة في اغصان الشجرة المتفرعة عن اصلها له صلى الله عليه وسلم من جهة ما هو فرع في الوجود عن ابائه اهل
العلو والشرف اتى بما هو من كمال الفرع وهو كونه مثمرا مورقا وهو ترشيح للاستعارة ايضا فان الغصن الخالي عن الثمر والورق

حقيقة

وعن احدهما ان فضل الكمال والحسن وهي استعارة على سبيل الكناية عن شرفه بالنظر الى شرف اصله واضافة الفرع ههنا الى العلاكا
لفظ النسب الى المجد فالكلام فيهما واحد واما بيان صدق الاوصاف الاربعة الاخيرة فمن وجوه الاول ما روي عنه انه قال لم يزل
الله تعالى ينقلني من اصلاب الطاهرين الى ارحام المطهرات لم يدنسني بدنس الجاهلية وكفى بذلك شرفا وكرما الثاني انه صلى الله عليه وآله من ولد
اسمعيل وابرهيم وكرمهما مشهور قال وهب كان ابرهيم اول من اضاف الضيف واول من ثرد الثريد واطعم المساكين الثالث نسبه
من قريش وشرف قريش في العرب ظاهر فمنهم قصي الذي جمع قبائل قريش وانزلها مكة وبنى دار الندوة واخذ مفتاح الكعبة من خزاعة
ومنهم هشام بن عبد مناف هشم الثريد لقومه في عام المحل ففيه تماما واصل اسمه عمرو قال الشاعر فيه عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال
مكة مسنتون عجاف ومنهم عبد المطلب بن هاشم وكان من حكماء العرب ومحصليها وهو سيد الوادي وشيبة الحمد وله الفيل الاعظم و
بركة النور الذي كان في صلبه دفع الله عن بيته كيد اصحاب الفيل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل وبركة ذلك النور
راى الرؤيا في تعريف موضع زمزم وهو الذي الهم لنذر ان يذبح العاشر من اولاده وكيفية الفداء له حتى افتخر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فقال
انا ابن الذبيحين وكان يامر اولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وكان لشرفه وفضل عقله
قد سلم اليه النظر في حكومات العرب وفصل الخصومات بينهم فكان يوضع له وسادة عند الملتزم فيستند الى الكعبة ويحكم بينهم
وجزئيات فضله وشواهد عقله كثيرة وله اشعار كثيرة واخبار تدل على انه كان مقرا بالصانع الحكيم موحدا له معترفا بامر
المعاد من رامها طالع كتب التواريخ **قوله** وعلى اهل بيته الى قوله ومثاقيل الفضل الراجحة **اقول** اختلف الناس في المراد باهل
البيت في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فقال الجمهور ان نساء النبي صلى الله عليه وآله مراد بهذه الاية ومن الناس
من خصصها بهن مستدلين بسياق الكلام قبلها وبعدها واتفقت الشيعة على انها خاصة بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام
وهو قول ابي سعيد الخدري وهو مراد الرضي ههنا مع من بعدهم من الائمة الاثني عشر وقد وصفهم باربعة اوصاف احدها كونهم
مصابيح وهي استعارة لهم يكنى بها عن كونهم مهتدى بهم من ظلمات الجهل كما يهتدى بالمصباح في الظلمة وثانيها كونهم عصما
للامم اي مانعين لهم بسبب هدايتهم لهم الى سلوك الصراط المستقيم عن التورط في احد طرفي الافراط والتفريط وثالثها كونهم
منار الدين الواضحة وقد عرفت ان المنار هي محال الانوار وهي ايضا استعارة حسنة كما مر ورابعها كونهم مثاقيل الفضل الراجحة
فهذه الاضافة بمعنى اللام اي مثاقيل للفضل اي ان اعتبر فضل غيرهم ونسب بعضه الى البعض كانوا مثاقيل راجحة لكن الفضل يعتبر
برجحان بعضه على بعض بالنسبة اليها او بمعنى من اي مثاقيل من الفضل متنوعة ترجح على غيرها ولفظ المثاقيل ههنا مستعار
لهم ووجه المشابهة كونهم معيارا للخلق وموازين لهم كما ان المثقال كذلك **قوله** وصلى الله عليهم اجمعين الى قوله نجم طالع **اقول**
لما دعى الله سبحانه لهم بالصلوة نبه على استحقاقهم لها باعتبار ثلثة امور احدها اعتبار فضائلهم النفسانية كالعلوم والملكات
الخلقية الفاضلة وثانيها اعتبار اعمالهم الظاهرة كالعبادات البدنية وثالثها اعتبار طيب اصولهم الزكية المطهرة ونبه عنها
بان هذه الامور هي جهات استحقاق الرحمة **قوله** فاني كنت في عنفوان شبابي الى اخر الكلام **اقول** لما صدر الخطبة بذكر الله
تعالى والثناء عليه والصلوة على رسوله واهل بيته صلى الله عليه وآله شرع في اقتصاص حاله في جمع هذا الكتاب وذكر الاسباب الحاملة له على ذلك في
مدح كلام علي عليه السلام ثم ذكر في ذلك الاقتصاص امورا تحتاج الى التنبيه الاول ان هذا المجموع من الكلام جزء من كل من كلامه عليه السلام وذلك في
قوله ان ابتدي بتاليف كلام يحتوي على مختار كلام امير المؤمنين وذلك امر ظاهر قال قطب الدين الراوندي رحمه الله سمعت بعض العلماء بالحجاز
يقول اني وجدت بمصر مجموعا من كلام علي عليه السلام في نيف وعشرين مجلدا الثاني قوله جواهر العربية وبوائق الكلم الدينية والدنيائية
استعارتان لطيفتان لهذين اللفظين من المجرد المخصوصين الذين هما فصاحة الالفاظ العربية والحكمة الفاضلة التي تشتمل
عليها كلامه عليه السلام ووجه المشابهة هو ما اشتركا فيه من العزة والنفاسة كل بالنسبة الى جنسه فعزة الجوهر بالنسبة الى مطلق الاحجار وعزة
الالفاظ الفصيحة والحكمة البالغة بالنسبة الى سائر الالفاظ والمعاني المعقولة الثالث كونه عليه السلام مشرعا للفصاحة وموردها وهي
ايضا استعارة لهذين اللفظين فانهما حقيقة في النهر والعين ونحوهما لانه وجه المشابهة ان الشريعة من الماء كما يرده العطشى للري
والاستقاء كذلك هو عليه السلام مرجع للخلائق في استفادة الفصاحة ولو قال مصدرا لكان ابلغ اذ كان المشرع والمورد فيه قريبين من
الترادف وكذلك قوله منشأ البلاغة ومولدها استعار ايضا تشبيها الذهنية بالام وتشبيها للفصاحة بالولد في القصد وغيره الرابع قوله
لان كلامه الكلام الذي عليه مسحة من العلم الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي فقد العلم الالهي كلها حسنا وجمالا الحق جعل في كلامه اثرا
منه وقد جعل الكلام النبوي طيبا كالمسك لانه جعل في كلامه عبقة منه واستلزم ذلك تخييل حاسة البصر والشم للعقل اليد
بالاولى المسحة من العلم الالهي وبالثانية العبقة من الكلام النبوي وهي استعارة على طريق الكناية فكنى بالمسحة عما ادركه العقل في
كلامه من الحكمة المشار اليها في القرآن الكريم والفصاحة وكنى عما ادركه من الاسلوب والطريقة الموجودة فيه مع الفصاحة والحكمة في

ما العبقه

في الكلام النبوي فكان العقل يبصر ويشم بقوته اثر العلم الالهي فيه وشيم رائحة الكلام النبوي منه قال ابو الحسن الكيدري رحمه الله انما خص كلام
الالهي بالمسحة والكلام النبوي بالعبقة لان كلامه عليه السلام شديد الشبه بكلام الرسول صلى الله عليه وآله فهو كالجزء منه لانهما غصنا دوحة وفرعا ارومة ولما
كان معنى عبوق الشيء بالشيء لزومه له والتصاقه به عنا لشدة اتصاله به كالجزء منه فلذلك قال عبقة من الكلام النبوي ولما كان معنى
المسحة الاثر من الجمال ولم يكن مجرد الاثر من الشيء في الشيء يوجب لزومه له وشدة المشابهة به وكان كلام الباري سبحانه بعيد الشبه
بكلام الخلق لا جرم خصه بالمسحة دون العبقة وهذا الفرق مع تحصيلنا له فيه تكلف ويمكن ان يتبرع على وجه اخر فيقال ان العبقة تدل على وجود
العابق للمحل في الظاهر وفي نفس الامر واما المسحة من الشيء وهي الاثر منه فانما تدل على وجوده للمحل في الظاهر فقط الا ترى الى قولهم على فلان
مسحة من ملاحة وعليه مسحة من جمال وعتق لشباب الشيئين لو كان باديا فان اثر الجمال او الثروة والملك قد يدل عند بعض الاذهان ولا يدل عند بعض
اخر واذا عرفت ذلك فنقول لما كان كلام علي عليه السلام شديد المناسبة بكلام النبوة في الاسلوب والنظم وفي الحكم الباطنة كان كالجزء منه فكانت
استعارة لفظة العبقة لكلام النبوة اولى لدلالتها على شدة تخييل وجود ما هي منه وهو كلام النبوة في كلام علي عليه السلام حتى كانه جزء منه ولما
كان الكلام الالهي بعيد المناسبة لكلام الخلق وكانت نسبة كلام علي عليه السلام اليه في بعض الجهات اما في اشتماله على بعض الحكم او على الفصاحة
دون الاسلوب وكانت المسحة من الشيء انما تدل على وجوده من بعض الجهات وهي الظاهر فقط كانت استعارة لفظ المسحة للكلام الالهي اولى
والله اعلم الخامس قوله فهو البحر الذي لا يساجل استعار لفظ البحر لكلامه عليه السلام واشار الى وجه المشابهة بقوله لا يساجل فان المساجلة لما
كانت هي المغالبة في السقي والجري وكان كلامه عليه السلام اكثر جريانا في كلام البلغاء من غيره وكانت وعية اذهانهم قد امتلأت من فيضه لا جرم
اشبه البحر الذي لا يغالبه بحر اخر في سقي ولا جري اي لا يقاومه في فصاحة ولا حكمة وكذلك قوله لا يحافل استعارة للفظ المحافلة التي هي وصف
من اوصاف الانسان للكلام تشبيها له بالرجل ذي المحفل الجم والجماعة الكثيرة التي لا يمكن ان يكاثر بمثلها السادس قوله يسوغ الى التمثل
مجاز في الاسناد فان السوغ حقيقة في الشراب فاسناده الى التمثل مجاز ووجه العلاقة ان التمثيل بما يريد الحسن بين الناس ويساركا
ذلك الذي يلذ عنده فاشبه في لذاذته وجريانه بين الناس الماء الزلال في لذاذته وسهولة جريانه في الحلق فحسن اسناد لفظ السوغ اليه
السابع قوله ويطلع من قلبه انه كلام مثله الى قوله لم يعترضه الشك الضمير في مثله يرجع الى علي عليه السلام ومن قوله لم من لبيان الجنس ومعنى
الكلام ان المفكر اذا فرضنا انه لم يعرف انه كلام من كلامه شخص اخر مثله في كونه عظيم القدر نافذ الامر خائضا في غمرات الحروب مشاقها
تدبير امور الخلق ونظام احوالهم قد ملك الارض بل يفرض انه وجد هذا الكلام غير منسوب الى شخص معروف الحال فانه والحالة هذه
لا يعترضه شك في انه كلام خاص معرض عن غيره متفلت عن مشغول بغيره بصيد في بيته اذا لشك الذي عساه يعرض لبعض الاذهان الضعيفة
في انه ليس بكلامه انما ينشأ من معرفته بانه كلام شخص خائض في تدبير الدنيا واحوالها فيكون تلك المعرفة منشأ لعروض الشك في ان هذا الكلام
ليس بكلام رجل بهذه الحال وانما قال قد قنع في كسر بيت وانقطع الى سفح جبل لان ذلك من شعار الزهاد المعرضين عن الدنيا والضمير في
قوله يسمع وحسه عائد الى من اي لا يسمع هو الا حس نفسه الثامن قوله ينغمس في الحرب مصلتا استعارة حسنة في التنبيه في نسبة
الانغماس الى الحرب فان الانغماس حقيقة في الدخول في الماء وما في معناه الا ان الحرب لما كانت في غمارها واختلاط المتحاربين فيها اشبه
الماء المتراكم الجم صحت نسبة الانغماس اليها كما صحت اليه فيقال تغمس في الحرب وخاض فيها ونحوه وقوله يقطر مهجا ان فسرنا المهجة بالدم
كانت نسبة القطر اليها حقيقة وان فسرناها بالروح كانت مجازا تشبيها للروح بالمائعات الخارجة من الانسان كالدم ونحوه التاسع
قوله وهو مع ذلك زاهد الزهاد وبدل الابدال الواو للحال وثبوت هذين الوصفين له عليه السلام معلوم من انتساب الصوفية واهل التجريد
اليه وقد بينا في مقدمة الكتاب انه عليه السلام كان سيد العارفين بعد سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وبينا ايضا ان نفسه القدسية كانت وافية بضبط
الجوانب المتجاذبة فوقوفه عليها فلذلك لم يكن اشتغاله بتدبير امور الدنيا وفعالجات الحروب ونظام شمل المصلحة مانعا من الاشتغال
بالعبادة التامة والاقبال بوجه نفسه القدسية على الانتقاش بانوار الله والاخلاص له والاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها وهذه
من فضائل نفوس الانبياء وكمال نفوس الاولياء اما الزهد فهو الاعراض عن غير الله وقد يكون ظاهرا
وقد يكون باطنا الا ان المنتفع به هو الباطن قال صلى الله عليه وآله ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اعمالكم بل ينظر الى قلوبكم ونياتكم وان
كان لا بد من الزهد الظاهري اولا اذ الزهد الحقيقي في مبدء السلوك لا يتحقق والسبب فيه ان اللذات البدنية حاضرة والغائبة
التي يطلبها الزاهد الحقيقي غير متصورة لمبتدي في مبدء الامر واما الظاهري فهو ممكن فيتيسر لمن قصد الزهد ويتابعه وهي التي يا والسر ....
لذلك قال عليه السلام الرياء قنطرة الاخلاص لما بينا ان تلمذه كان سيد العارفين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فلا بد وان يكون زهده حقيقيا
ويستغرق في اثناء كلامه بلوغه في درجة الزهد الغاية ولما كونه مع ذلك بالشجاعة المشهورة فهو انك علمت ان نفس العارف يجب
ان تكون مستلزمة للملكات الخلقية وقد عرفت ان الشجاعة اصل منها فلا نا المانع من الاقدام على الاهوال والمكاره انما هو خوف الموت
وحب البقاء والعارف بمعزل عن تقية الموت اذ كانت محبة الله تعالى شاغلة عن الالتفات الى كل شيء من بدنه بما يكون الموت مشتهى له لكونه

له

وخلق آدم
فی بیان خطبة له علیه السلم یذکر فیها ابتداء خلق السماء والارض

الی لقاء محبوبه الاعظم وغایته القصوی وقد بینا ذلک فی تفصیل اخلاق العارفین من کتاب مصباح العرفان واما الابدال فقد نقل انهم سبعون رجلا منهم اربعون بالشام وثلثون فی سائر البلاد وفی الحدیث عن علی ع الابدال بالشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق یجتمعون فیکون بینهم حرب العاشر قوله واستخرج عجیبهم ای نتیجتهم منها من القوة الی الفعل ومن روی عجیبهم بضم العین فالمراد انی اذکرهم بهذه الفضیلة لتظهر محبتهم لها ویمیلهم الیها قال ابو الحسن الکیدری واستخرج عجیبهم ای غرهم انهم عاجزون عن امثالها فلا یتبجح لهم تبجح باتیانهم شیئا ای من اجل معرفتهم بها واظن ان هذا اللفظ لا یعطی هذا المعنی الحادی عشر قوله والعذر فی ذلک ان روایات کلامه تختلف اختلافا شدیدا اقول سبب الاختلاف یحتمل وجهین احدهما انه ربما تکلم بالمعنی الواحد مرتین واکثر بالفاظ مختلفة کما هو شأن البلغاء واهل الفصاحة فینقله السامعون باللفظ الاول والثانی فتختلف الروایة الثانی ان الناس فی الصدر الاول کانوا یتلقفون الکلام من افواه الخطباء ویحفظونها علی الولاء وربما لا یتمکن السامع من حفظ کل اللفظ ومراعاة ترتیبه فیقع بسبب ذلک اختلاف فی الترتیب او نقصان فی الروایة وربما اعتنی بعضهم بحفظ المعنی من دون ضبط الالفاظ فادرج فی اللفظ زیادة ونقصانا الثانی عشر قوله نهج البلاغة استعارة لطیفة لهذا الکتاب لان النهج حقیقة فی الطریق الواضح المحسوس ووجه المشابهة ان الطریق لما کانت محل الانتقال بالمشی وقطع الاحیاز المحسوسة من واحد الی اخر کذلک الذهن ینتقل فی هذا الکتاب من بعض لطائف البلاغة وشعب الفصاحة الی بعض انتقالا سهلا فلذلک صح نقل لفظ النهج الیه واستعارته له وبالله التوفیق فهذا بیان ما عساه یشکل فی هذه الخطبة وبانی کلامه ولنشرع فی شرح کلامه

علی **باب المختار من خطب امیر المؤمنین** واوامره وکلامه الجاری مجری ذلک فی المقامات المحصورة والمواقف المذکورة والخطوب الواردة

ومن خطبة له علیه السلم یذکر فیها ابتداء خلق السماء والارض وخلق آدم ع الحمد لله الذی لا یبلغ مدحته القائلون ولا یحصی نعماءه العادون ولا یؤدی حقه المجتهدون الذی لا یدرکه بعد الهمم ولا یناله غوص الفطن الذی لیس لصفته حد محدود ولا نعت موجود ولا وقت معدود ولا اجل ممدود فطر الخلائق بقدرته ونشر الریاح برحمته ووتد بالصخور میدان ارضه اول الدین معرفته وکمال معرفته التصدیق به وکمال التصدیق به توحیده وکمال توحیده الاخلاص له وکمال الاخلاص له نفی الصفات عنه لشهادة کل صفة انها غیر الموصوف وشهادة کل موصوف انه غیر الصفة فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزاه ومن جزاه فقد جهله ومن جهله فقد اشار الیه ومن اشار الیه فقد حده ومن حده فقد عده ومن قال فیم فقد ضمنه ومن قال علام فقد اخلی منه کائن لا عن حدث موجود لا عن عدم مع کل شیء لا بمقارنة وغیر کل شیء لا بمزایلة فاعل لا بمعنی الحرکات والآلة بصیر اذ لا منظور الیه من خلقه متوحد اذ لا سکن یستأنس به ولا یستوحش لفقده **اقول** اعلم ان هذه الخطبة مشتملة علی مباحث عظیمة ونکت مهمة علی ترتیب طبیعی فلننعقد فیها خمسة فصول **الفصل الاول** فی تصدیرها بذکر الله جل جلاله وتمجیده والثناء علیه بما هو اهله وهو قوله الحمد لله الی قوله ولا یستوحش لفقده **اقول** المدح والمدیح الثناء الحسن والمدحة فعلة من المدح وهی الهیئة والحالة التی ینبغی ان یکون المدح علیها والاحصاء انهاء العد والاحاطة بالمعدود یقال احصیت الشیء ای انهیت عده وهو من لواحق العدد ولذلک الحق بالعادین والنعماء النعمة وهو اسم یقام مقام المصدر وادیت حق فلان اذا قابلت احسانه باحسان مثله والادراک اللحوق والنیل الاصابة والوصول والوجدان والهمة هی العزم الجازم والارادة یقال فلان بعید الهمة اذا کانت ارادته تتعلق بعلیات الامور دون محقراتها والغوص الحرکة فی عمق الشیء من قولهم غاص فی الماء اذا ذهب فی عمقه والفطن جمع فطنة وهی فی اللغة الفهم وهو عند العلماء عبارة عن جودة استعداد الذهن لتصور ما یرد علیه وحد الشیء منتهاه والحد المنع ومنه سمی العلماء تعریف الشیء بالحد حدا لانه یمنع ان یدخل فی الحد ما لیس منه او یخرج منه ما هو منه والنعت الصفة والاجل المدة المضروبة للشیء والفطر الشق والابداع قال ابن عباس ما کنت ادری ما معنی قوله تعالی فاطر السموات والارض حتی جاءنی اعرابیان یختصمان علی بئر فقال احدهما انا فطرتها ای ابتدعتها والخلائق جمع خلیقة وهی اما بمعنی المخلوق یقال هم خلیقة الله وخلق الله ای مخلوقه او بمعنی الطبیعة لان الخلیقة هی الطبیعة ایضا والنشر البسط ووتد بالفتح ای ضرب الوتد فی حائط او فی غیره والصخور الحجارة العظام والمید الحرکة بتمایل وهو الاسم من ماد یمید میدا ومنه غصن میاد متمایل والدین فی اصل اللغة یطلق علی معان منها العادة ومنها الاذلال ودنته ای ذللته وملکته ومنه بیت الحماسة دناهم کما دانوا ومنها الجزاء کقوله تعالی ءانا لمدینون ای مجزیون والمثل المشهور کما تدین تدان ومنها الطاعة یقال دان له ای اطاعه کقول عمرو بن کلثوم عصینا الملک فینا ان ندینا ویطلق علی [illegible] الشریعة الصادرة بواسطة الرسل علیهم السلم وقرنه جعل له قرنا والمقارنة الاجتماع ماخوذ من قرنی الثور وغیره ومنه القرن للمثل فی السن وکذا القرن من الناس اهل الزمان الواحد قال اذا ذهب القرن الذی انت فیهم وخلفت فی قرن فانت غریب والمزایلة المفارقة وهی مفاعلة من الطرفین والمتوحد بالامر المنفرد به والسکن بفتح الکاف کل ما سکنت الیه والاستیناس بالشیء میل الطبع الیه والسکون وکذلک التأنس ومنه الانیس وهو المؤنس والاستیحاش

وخلق آدم
فی بیان خطبة له علیه السلم یذکر فیها ابتداء خلق السماء والارض

ضد الاستیناس وهو نفرة الطبع بسبب فقد المؤانس واعلم انا نقدم فی بیان نظام کلامه فی هذا الفصل الی شرح مقدمة فنقول الصفة امر یعتبره العقل لامر اخر ولا یمکن ان یعقل الا باعتباره معه ولا یلزم من تصور العقل شیئا لشیء ان یکون ذلک المتصور موجودا لذلک الشیء فی نفس الامر بیان ذلک ما قیل فی رسم المضاف انه الامر الذی تعقل ماهیته بالقیاس الی غیره ولیس له وجود سوی معقولیته بالقیاس الی ذلک الغیر والصفة تنقسم باعتبار العقل الی حقیقیة واضافیة وسلبیة وذلک لان نسبة العقل للصفة الی غیرها اما ان یعقل معها نسبة من المنسوب الیه او لا یعقل فان کان الاول فهو الصفات الحقیقیة وحقیقته انه المعقول بالقیاس الی غیره یکون بازائه یعقل الیه نسبة ولا یکون له وجود سوی معقولیته بالقیاس الیه ککونه تعالی خالقا رازقا وربا فان حقیقة هذه الصفات هی کونها معقولة بالقیاس الی مخلوقیته ومرزوقیته ومربوبیته موازیه وان کان الثانی فالمنسوب الیه اما ان یکون موجودا للموصوف اولیس بموجود له والاول هو الصفات الحقیقیة ککونه تعالی حیا فانه امر یعقل بالقیاس الی صحة العلم والقدرة له ولیس بازائه امر یعقل منه نسبة الیه والثانی هو الصفات السلبیة ککونه تعالی لیس بجسم ولا بعرض وغیرها فانها امور تعقل له بالقیاس الی امور غیر موجودة له تعالی ثم نقول انه لا یلزم من اتصاف ذاته سبحانه بهذه الانواع الثلثة من الصفات ترکیب ولا کثرة فی ذاته لانها اعتبارات عقلیة تحدثها عقولنا عند المقایسة الی الغیر ولم یلزم من ذلک ان تکون موجودة فی نفس الامر وان لم تعقل ولما کان دأب العقلاء ان یصفوا الله سبحانه بما هو اشرف طرفی النقیض لما تقرر فی عقولهم من اعظمیته ومناسبة اشرف الطرفین للاعظمیة کان ما وصف به تعالی من الصفات الحقیقیة والاضافیة والسلبیة کلها کذلک فاذا عرفت ما قلناه فاعلم انه ع شرع اولا فی الاعتبارات السلبیة وقدمها علی الثبوتیة لدقیقة وهی انه قد ثبت فی علم السلوک الی الله ان التوحید المحقق والاخلاص المطلق لا یتم الا بنفض کل ما عداه عنه وتنزیهه عن کل لاحق له وطرحه عن درجة الاعتبار وهو المسمی فی عرف المجردین واهل العرفان بمقام التخلیة والنفض والتفریق وما لا یتحقق الشیء الا به کان اعتباره مقدما علی اعتباره ولهذا الترتیب کان اجل کلمة نطق بها فی التوحید قولنا لا اله الا الله اذ کان الجزء الاول منها مشتملا علی سلب کل ما عدا الحق سبحانه مستلزما لغسل درن کل شبهة لخاطر سواه وهو مقام التنزیه والتخلیة حتی اذا انزاح کل ثان عن محل عرفانه استعد بمحوه للتحلیة بنور وجوده وهو ما اشتمل علیه الجزء الثانی من هذه الکلمة ثم انه ع کان لسان العارفین والفاتح لاغلاق الطریق الی الواحد الحق تعالی والمعلم المرشد لکیفیة السلوک وکانت الاوهام البشریة حاکمة بمثلیته تعالی لمدرکاتها والعقول قاصرة عن ادراک حقیقته والواصل الی ساحل عزته والمنزه له عما لا یجوز علیه اذا امکن وجوده نادرا لم یکن للاوهام الواصفة له تعالی بما لا یجوز علیه معارض فی اکثر الخلق بل کانت جاریة علی حکمها فانه لعقولها الی تلک الاحکام کالمشبهة ومجوم الاجرام بدأ ع بذکر السلب کان تقدیمه مستلزما لعزل الحکم الوهمی فی حقه تعالی عن لوح الخیال والذکر حتی اذا اورد عقب ذلک ذکره تعالی بما هو اهله ورد علی الواح صافیة من کدر الباطل فانتقشت بالحق کما قال فصادف قلبا خالیا فتمکنا ثم انه ع بدأ بتقدیم حمد الله تعالی علی الکل هیهنا وفی سائر خطبه جریا علی العادة فی افتتاح الخطب وتصدیرها وسر ذلک تأدیب الخلق بلزوم الثناء علی الله تعالی والاعتراف بنعمته عند افتتاح کل خطاب لاستلزام ذلک ملاحظة حضرة الجلال والالتفات الیها فی غالب الاحوال وقد بینا ان الحمد یفید معنی الشکر ویفید ما هو اعم من ذلک وهو التعظیم المطلق وهو بجمیع اقسامه مراد هیهنا لکون الکلام فی معرض التمجید المطلق **قوله** الذی لا یبلغ مدحته القائلون **اقول** اراد تنزیهه تعالی عن اطلاع العقول البشریة علی کیفیة مدحه سبحانه کما هی وبیان هذا الحکم ان الثناء الحسن علی الشیء انما یکون کما هو اذا کان ثناء علیه بما هو له فی نفس الامر وذلک غیر ممکن فی حق الواجب الوجود سبحانه الا بتعقل حقیقته وما لها من صفات الجلال ونعوت الکمال کما هی وعقول البشر قاصرة عن هذا المقام فالقول وان صدر عن المادحین بصورة المدح المتعارف بینهم وعلی ما هو رأیهم من وصفه تعالی بما هو اشرف طرفی النقیض فلیس بکمال مدحه فی نفس الامر لعدم اطلاعهم علی ما به یکون المدح الحق فی حقه تعالی وان تصور بصورة المدح الحق والی تأدیب الخلق وتنبیههم علی بطلان ما تخیلوا باوهامهم فی حقه تعالی من الصفات وانه لیس الامر کما حکمت به اشار ع فی موضع اخر وقد سأله بعضهم عن التوحید فقال التوحید ان لا تتوهمه فجعل التوحید عبارة عن سلب الحکم الوهمی فی حقه تعالی فاستلزم ذلک ان من اجری علیه حکما وهمیا فلیس بموحد له علی الحقیقة والی هذا المعنی اشار الباقر محمد بن علی مخاطبا وهل سمی عالما قادرا الا لانه وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرین فکل ما میزتموه باوهامکم فی ادق معانیه فهو مخلوق مصنوع مثلکم مردود الیکم والباری تعالی واهب الحیوة ومقدر الموت ولعل النمل الصغار تتوهم ان لله تعالی زبانیتین فانهما کمالها وتتصور ان عدمهما نقصان لمن لا یکونان له وهکذا شأن الخلق فیما یصفون به باریهم فان اوهامهم حاکمة بکل ما یعدونه کمالا فی حقهم ما لم تقو عقولهم علی رد بعض تلک الاحکام الوهمیة ولولا رادع الشرع کقوله ع تفکروا فی الخلق ولا تتفکروا فی الخالق لصرحوا بکثیر من تلک الاحکام فی حقه سبحانه تعالی عما یصفون ویحتمل ان یکون المراد تنزیهه تعالی عن بلوغ

العقول والاوهام بتمام الثناء الحسن عليه واحصائه اي ان العبد كلما بلغ مرتبة من مراتب المدح والثناء كان وراءها اطوار من استحقاق الثناء والتعظيم اعلى كما اشار اليه سيد المرسلين صلعم بقوله لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وفي تخصيصه القائلين دون المادحين بالذكر نوع لطف فان القائل لما كان اعم من المادح وكان سلب العام مستلزما لسلب الخاص من غير عكس كان ذكر القائلين ابلغ في اثبات مراد التقدير لا واحد من القائلين يبالغ مدحة الله سبحانه **قوله** ولا يحصي نعماؤه العادون **اقول** المراد ان جزئيات نعم الله وافرادها لا يحيط بها حصر الانسان وعدة لكثرتها وبيان هذا الحكم بالنقل والعقل اما النقل فقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وهذه الاية هي منشأ هذا الحكم ومصدره واما العقل فلان نعم الله تعالى على العبد منها ظاهرة وباطنة كما قال تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ويكفينا في صدق هذا الحكم التنبيه على بعض جزئيات نعم الله تعالى على العبد فنقول ان من جملة نعمه تعالى على الانسان ان اكرمه بملائكته وجعله مسجودا لهم ومخدوما وجعلهم في ذلك على مراتب فلنذكر افرادهم اليه اخصهم به وهم الملائكة الذين يتولون اصلاح بدنه والقيام بمهماته وحوائجه وان كان لا نوافي ذلك بعض مراتب فجعل سبحانه لهم رئيسا هو له كالوزير الناصح المشفق من شانه تمييز الاصلح والانفع له والامر به وجعل بين يدي ذلك الوزير ملكا اخر هو كالحاجب له والمتصرف بين يديه من شانه تمييز صدائق الاصدقاء للملك من عالي الاعداء له وجعل لذلك الحاجب ملكا خازنا يضبط عنه ما يعرفه من الامور ليطالعها الوزير عند الحاجة ثم جعل بين يديه ملكين اخرين احدهما ملك الغضب وهو كصاحب الشرطة موكل بالخصومات والغلبة والبطش والانتقام والثاني ملك اللذة والمتولي للشهوات الانسان بالطلب والامر بالاستحضار وبين يديه ملائكة اخرى تسعى في تحصيل ما يأمره ويطلبه ثم جعل سبحانه وراء هؤلاء سبعة اخرى من الملائكة دأبهم اصلاح غذاء الانسان فالاول موكل بجذب الغذاء الى داخل المعدة اذ الغذاء لا يدخل بنفسه فان الانسان لو وضع اللقمة في فيه ولم يكن لها جاذب لم تدخل والثاني موكل بحفظه في المعدة الى تمام نضجه وحصول الغرض منه والثالث موكل بطبخه وتنضيجه والرابع موكل بتميز ثوته وخلاصته في البدن ليسد بدل ما يتحلل منه والخامس موكل بالتربية في اقطار الجسم على تناسب طبيعي بما يوصله اليه الرابع منها كالباني والمناول والسادس موكل بفصل صورة الدم من الغذاء والسابع الذي يتولى دفع الفضلة الغير المنتفع بها عن المعدة ثم وكل تعالى خمسة اخرى في خدمته شأنهم ان يوردوا عليه الاخبار من خارج وجعل لكل واحد منهم طريقا خاصا وفعلا خاصا به وجعل لهم رئيسا يبعثهم ويرجعون اليه بما عاوه وجعل لذلك الرئيس خازنا كاتبا يضبط عنده ما يصل اليه من تلك الاخبار ثم جعل بين هذا الخازن وبين الخازن الاول ملكا قويا على التصرف والحركة سريع الانتقال بحيث ينتقل في اللحظة الواحدة من المشرق الى المغرب ومن تخوم الارض الى السماء العليا قادرا على التصرفات العجيبة وجعله مؤتمرا للوزير تارة وللحاجب اخرى وهو موكل بتفتيش الخزانتين ومراجعة الخازنين باذن الوزير وواسطة الحاجب اذا اراد استعلام امر من تلك الامور فهذه الملائكة التي خص الله تعالى بها بدنه وجعلها اقرب الملائكة المنتصرين في خدمته اليه ثم ان وراء هؤلاء اطوارا من الملائكة الارضية كالملائكة الموكلين بانواع الحيوانات التي ينتفع بها الانسان وبها تكون مسخرة له وانواع النبات والمعادن والعناصر الاربعة والملائكة السماوية التي لا يعلم الا الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فان كل واحد منها موكل بفعل خاص وله مقام خاص لا يتعداه ولا يتجاوزه كما قال تعالى حكاية عنهم وما منا الا له مقام معلوم وهم باسرهم متحركون بمصالح الانسان وما ينفعه من اول حيوته وفانه باذن المدبر الحكيم دع ما سوى الملائكة من سائر الموجودات في هذا العالم المشتملة على منافعه وما افاض عليه من القوة العقلية التي هي سبب الخيرات الباقية والنعم اللذيذة التي لا تنقطع موادها ولا يتناهى تعدادها فان كل ذلك في الحقيقة نعم الهية ومواهب ربانية للعبد بحيث لو اختل شيء منها لاختلت منفعته من تلك الجهة ومعلوم انه لو قطع نعمه اجمع بالنظر الى آثار رحمة الله تعالى في نوع من هذه النعم لانتهى دونها فكره وقصر عنها احصاؤه وحصره وموضع ذلك كله غافل عن شكر الله جاهل بمعرفة الله مصر على معصية الله فحق ان يقول سبحانه وتعالى بعد تنبيهه له على ضروب نعمه والانسان بها عليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار لنفسه بمعصيته لله معاند للكفر بآلاء الله قتل الانسان ما اكفره ان الانسان لكفور مبين فسبحان الذي لا تحصى نعماؤه ولا تستقصى آلاؤه وغاية هذا الحكم تنبيه الغافلين من مراقد الطبيعة على لزوم شكر الله سبحانه والاعتراف بنعمه المستلزم لدوام اخطاره بالبال **قوله** ولا يؤدي حقه المجتهدون **اقول** هذا الحكم ظاهر الصدق من وجهين احدهما انه لما كان اداء حق النعمة هو مقابلة الاحسان بجزاء مثله وثبت في الكلمة السابقة ان نعم الله سبحانه لا تحصى لزم من ذلك انه لا يمكن مقابلتها بمثل الثاني ان كل ما نتعاطاه من افعالنا الاختيارية مستند الى جوارحنا وقدرنا وارادتنا وسائر اسباب حركاتنا وهي باسرها مستندة الى جوده ومستفادة من نعمه وكذلك ما يصدر عنا من الشكر والحمد وسائر العبادات نعمة منه فمقابل نعمه بنعمه وان هذا الخاطر خطر لداود ع

وكك لموسى ع فقال يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي رواية اخرى وشكري لك نعمة اخرى توجب علي الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر اخر اذا عرفت ان النعم مني رضيت منك بذلك شكرا فاما ما يقال في العرف من ان فلانا مؤد لحق الله تعالى فليس المراد منه جزاء النعمة بل لما كانت المطلوبات لله تعالى من المكلفين آثار عبدية وتعقلية سمي حقوقا له لا جرم سمي المجتهد في الامتثال مؤديا بالحق الله وذلك الاداء في الحقيقة من اعظم نعمه تعالى على عبده اذ كان من الامتثال وسائر اسباب السلوك الموصل الى الله تعالى كلها مستندة الى جوده وعنايته واليه الاشارة بقوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين وما كان في الحقيقة نعمة الله لا يكون اداء لنعم الله وجزاء لها وانما اطلق ذلك في العرف اذ كان من شأن الحق المفهوم المتعارف بين الخلق استلزامه وجوب الجزاء والاداء ليبعث رعوا الى الاتيان به رغبة ورهبة فيحصل المقصود من التكاليف حتى لو لم يعتقد وانه حق لله بل هو مجرد نفع خالص لهم لم يهتموا ابدا تمام الاهتمام اذ كانت غايته غير مقصورة لهم كما هي وقلما تهتم النفوس بامر لا تتصور غايته ومنفعته خصوصا مع المشقة اللازمة في تحمله الانبعاث فاهم من خارج **قوله** الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن **اقول** اسناد الغوص ههنا الى الفطن على سبيل الاستعارة اذ الحقيقة اسناده الى الحيوان بالنسبة الى الماء وهو مستلزم لتشبيه المعقولات بالماء ووجه الاستعارة ههنا ان صفات الجلال ونعوت الكمال لما كانت في عدم تناهيها والوقوف على حقائقها واغوارها تشبه البحر الخضم الذي لا يصل السابح له الى ساحل ولا ينتهي الغائص فيه الى قرار وكان السابح لذلك البحر والخائض في تياره هي الفطن الثاقبة لا جرم كانت الفطنة شبيهة بالغائص في البحر فاسند الغوص اليها وفي معنى الغوص الفكر والغوص في النوم ويقرب منه اسناد الادراك الى بعد الهمم اذ كان الادراك حقيقة في لحوق جسم لجسم اخر واضافة الغوص الى الفطن والبعد الى الهمم اضافة لمعنى الصفة بلفظ المصدر الى الموصوف والتقدير لا تناله الفطن الغائصة ولا تدركه الهمم البعيدة ووجه الحسن في هذه الاضافة وتقديم الصفة ان المقصود لما كان هو المبالغة في عدم اصابته ذاته تعالى بالفطنة من حيث هي ذات غوص وبالهمة من حيث هي بعيدة كانت تلك الحيثية مقصودة بالقصد الاول وقد بينا ان البلاغة تقتضي تقديم الاهم والمقصود الاول على ما ليس كذلك وبرهان هذا المطلوب ظاهر فان حقيقته تعالى لما كانت بريئة عن جهات التركيبات عرية عن اختلاف الجهات منزهة عن تكثر المتكثرات وكانت الاشياء انما تعلم بما هي من جهة حدودها المؤلفة من اجزائها فاذا اصدق ان واجب الوجود ليس بمركب وما ليس بمركب ليس بمدرك الحقيقة صدق ان واجب الوجود ليس بمدرك الحقيقة فلا تدركه همة وان بعدت ولا تناله فطنة وان اشتدت فكل سابح في بحار جلاله غريق وكل مدع للوصول الى انوار كبريائه حريق لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا **قوله** الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود **اقول** المراد انه ليس لمطلق ما تعتبره عقولنا له من الصفات السلبية والاضافية نهاية معقولة تقف عندها فيكون حدا له وليس لمطلق ما يوصف به نعت وصف موجود يجمعه فيكون نعتا له ومنحصرا فيه قال ابو الحسن الكيدري رحمه الله ويمكن ان يؤول لا حد محدود على ما يأول به كلام اكثر ولا يرى الضب بها ينجحر اي ليس بها ضب فينجحر حتى يكون المراد انه ليس له صفة فتحد اذ هو تعالى واحد من كل وجه منزه عن الكثرة بوجه ما فيمتنع ان يكون له صفة تزيد على ذاته كما في سائر الممكنات وصفاته المعلومة ليست من ذلك في شيء انما هي نسب واضافات لا يوجب وصفه بها كثرة في ذاته قال ومما يؤكد هذا التأويل قوله بعد ذلك فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه وهذا التأويل حسن وهو راجع الى ما ذكرناه في المعنى واما وصف الحد بكونه محدودا فللمبالغة على طريقة قولهم شعر شاعر وعلى هذا التأويل يكون قوله ولا نعت موجود سلبا للنعت عن ذاته سبحانه اذ التقدير ليس له صفة تحد ولا نعت وقيل معنى قوله ليس لصفته حد اي ليس لها غاية بالنسبة الى متعلقاتها كالعلم بالنسبة الى المعلومات والقدرة الى المقدورات **قوله** ولا وقت معدود ولا اجل ممدود **اقول** وصف الوقت بكونه معدودا كقوله تعالى في ايام معدودات وكقوله وما نؤخره الا لاجل معدود وهو المعلوم الداخل في الاحصاء والعد وذلك ان العد لا يتعلق بالوقت الواحد من حيث هو واحد فانه من تلك الحيثية ليس معدودا وانما يتعلق به من حيث انه داخل في الاوقات الكثيرة الموجودة في الزمان اما بالفرض او بالفعل التي يلحق جملتها عند اعتبار التفصيل كونها معدودة في هذه الجملة اي داخل في عدها ومراده في هذين الحكمين نفي نسبة ذاته وما يلحقها الى الكون في الزمان وان يكون ذا اجل ينتهي اليه فينقطع وجودها بانتهائه وبيان ذلك من وجهين احدهما ان الزمان من لواحق الحركة التي هي من لواحق الجسم فلما كان الباري سبحانه منزها عن الجسمية استحال ان يكون في زمان الثاني انه تعالى ان وجد الزمان وهو في الزمان لزم كون الزمان متقدما على نفسه وان اوجده بعد ان يكون فيه كان غنيا في وجوده عنه فهو المطلوب فاذن صدق هذين السلبين في حقه معلوم وقد حصل في هذه القرائن الاربع السجع المتوازي مع نوع من التجنيس **قوله** الذي فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتد بالصخور ميدان ارضه **اقول** لما قدم الصفات السلبية شرع في الصفات الثبوتية وهذه الاعتبارات الثلثة موجودة في القرآن الكريم اما الاول فقوله تعالى الذي فطرهم اول مرة واما الثاني فقوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي

رحمته واما الثالث فقوله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وقوله وجعل الجبال اوتادا اما المراد بقوله فطر الخلائق بقدرته
فاعتباره من حيث استناد المخلوقات الى قدرته ووجودها عنها ولما كانت حقيقة الفطر الشق في الاجسام كانت نسبته ههنا الى
الخلق استعارة وللامام فخر الدين في بيان وجه الاستعارة في امثال هذا الموضع بحث لطيف قال وذلك ان المخلوق قبل دخوله في
الوجود كان معدوما محضا والعقل يتصور من العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيها ولا شق فاذا اخرج الموجد المبدع من العدم الى الوجود
فكانه بحسب التخييل والتوهم شق ذلك العدم وفطره واخرج ذلك الموجود منه قلت الا ان ذلك الشق والفطر على هذا التقدير لا يكون
للموجود المخرج بل للعدم الذي خرج هذا الموجود منه اللهم الا على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه حتى يكون التقدير
الذي فطر عدم الخلائق وهو استعمال شائع في العرف والعربية كثير وحسن بين الناس ومثله فالق الحب والنوى على قول بعض المفسرين
كما سنبينه وقال ابن الانباري لما كان اصل الفطر شق الشيء عند ابتدائه فقوله فطر الخلائق اي خلقهم وانشاهم بالتركيب
الذي سبيله ان يحصل فيه الشق والتاليف عند ضم بعض الاشياء الى بعض ثم ان الفطر كما يكون شق اصلاح كقوله تعالى فاطر السموات
والارض كذلك يكون شق افساد كقوله تعالى اذا السماء انفطرت وهل ترى من فطور واما قوله ونشر الرياح برحمته فبيانه ان نشر الرياح
وبسطها لما كان سببا عظيما من اسباب انواع الحيوان والنبات واستعدادات الامزجة للصحة والنمو وغيرها حتى قال كثير من الاطباء
انها تستحيل روحا حيوانيا وكانت عناية الله سبحانه ونعمته وعموم رحمته شاملة لهذا العالم وهي مستندة كل موجود لاجرم كان نشرها
برحمته ومن اظهر آثار الرحمة الالهية بنشر الرياح حملها للسحاب المترع بالماء واثارتها له على وفق الحكمة ليصيب الارض الميتة فينبت
بها الزرع ويملأ الضرع كما قال سبحانه وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وقال ويرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من
رحمته وقال وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه والمراد تنبيه الغافلين على ضروب نعم الله بذكر هذه
النعم الجليلة ليستديموها بدوام شكره والمواظبة على طاعته كما قال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وقوله لتذكروا نعمة ربكم اذا استويتم
عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين قال بعض الفضلاء ان العرب تستعمل الريح في العذاب والرياح في الرحمة
وكذلك نزل القرآن الكريم قال تعالى ريح صرصر وقال الريح العقيم وقال يرسل الرياح مبشرات والرياح لواقح وامثاله **قوله** ووتد بالصخور
ميدان ارضه **اقول** المراد تسكين نظام الارض التي قدرها سبحانه وههنا ابحاث **البحث الاول** ان قول القائل وتدت كذا بكذا
معناه جعلته وتدا له والموتود ههنا في الحقيقة انما هو الارض وقد جعل الموتود ههنا هو ميدان الارض وهو عرض من الاعراض لا
يتصور جعل الجبل وتدا له الا انا نقول لما كانت الميدان علة حاملة على ايجاد الجبال وايتاد الارض بها كان الاهتمام به اشد فلذلك نسبه
واضافه اضافة الصفة الى الموصوف وان كان التقدير ووتد بالصخور ارضه المائدة **البحث الثاني** ان تعليل وجود الجبال بميدان
الارض ورد ههنا وفي القرآن الكريم في مواضع كقوله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وكقوله والجبال اوتادا ولا بد من البحث
عن وجه هذا التعليل ومن جهته اوجه **الوجه الاول** قال المفسرون في معنى هذه الآيات ان السفينة اذا القيت على وجه الماء
فانها تميل من جانب الى جانب وتتحرك فاذا وضعت الاجرام الثقيلة فيها استقرت على وجه الماء وسكنت قالوا فكذلك لما خلق الله
تعالى الارض على وجه الماء اضطربت ومادت فخلق الله عليها هذه الجبال ووتدها بها فاستقرت على وجه الماء بسبب ثقل الجبال
قال الامام فخر الدين ويتوجه على هذا الكلام ان يقال لا شك ان الارض اثقل من الماء والاثقل يغوص فيه ولا يبقى طافيا
عليه واذا لم يبق كذلك امتنع ان يقال انها تميد وتميل بخلاف السفينة اذ كانت مركبة من الاخشاب وداخلها مملو مجوف من الهواء فلذلك
تبقى طافية على الماء فلا جرم تميل وتضطرب الى ان ترسى بالاجرام الثقيلة فاذن الفرق ظاهر **الوجه الثاني** ما ذكره هو فقال انه قد
ثبت بالدلائل اليقينية ان الارض كرة وثبت ايضا ان هذه الجبال على سطح الارض جارية مجرى خشونات وتضريسات حاصلة على وجه
الكرة فاذا ثبت هذا فلو فرضنا هذه الخشونات ما كانت حاصلة بل كانت الارض كرة حقيقية خالية عن الخشونات والتضريسات لصارت بحيث
تتحرك بالاستدارة بادنى سبب لان الجرم البسيط المستدير يجب كونه متحركا على نفسه وان لم يجب ذلك عقلا الا انه يصير بادنى سبب يتحرك
على هذا الوجه اما اذا حصل على سطح كرة الارض هذه الجبال فكانت كالخشونات الواقعة على وجه الكرة فكل واحد من هذه الجبال انما يتوجه
بطبعه الى مركز العالم وتوجه ذلك الجبل نحو مركز العالم بثقله العظيم وقوته الشديدة يكون جاريا مجرى الوتد الذي يمنع كرة الارض من
الاستدارة وكان تخليق هذه الجبال على الارض كالاوتاد المغروزة في الكرة المانعة لها من الحركة المستديرة **الوجه الثالث**
ان نقول لما كانت فائدة الوتد ان يحفظ الموتود في بعض المواضع عن الحركة والاضطراب حتى يكون قارا ساكنا وكان من لوازم ذلك
السكون في بعض الاشياء صحة الاستقرار على ذلك الشيء والتصرف عليه وكان من فائدة وجود الجبال والتضريسات الموجودة في وجه
الارض ان لا تكون مغمورة بالماء ليحصل للحيوان الاستقرار والتصرف عليها لاجرم كان بين الاوتاد والجبال الخارجة من الماء في الاثر
الذي هو كونهما مستلزمين لصحة الاستقرار بهما نعين من عدم الاجرم حسنت استعارة لفظ الاوتاد الى الصخور والجبال واما

اشعارا بالميدان فلان الحيوان كما يكون صادقا عليه انه غير مستقر على الارض بسبب انغمارها في الماء لولم توجد الجبال كذلك يصدق على
الارض انها غير مستقرة تحته ومضطربة بالنسبة اليه فيصح انه لولا وجود الجبال في سطح الارض لكانت مضطربة ومائدة
بالنسبة الى الحيوان لعدم تمكنه من الاستقرار عليها **الوجه الرابع** قال بعض العلماء انه يحتمل ان تكون الاشارة بالصخور الى
الانبياء والاولياء والعلماء وبالارض الى الدنيا اما وجه التجوز بالصخور عن الانبياء والعلماء فلان الصخور والجبال لما كانت
على غاية من الثبات والاستقرار مانعة لما يكون تحتها من الحركة والاضطراب عاصمة لما يلتجئ اليها من الحيوان عما يوجب الهرب
فيسكن بذلك اضطرابه وقلقه اشبهت الاوتاد من بعض هذه الجهات ثم لما كانت الانبياء والعلماء هم السبب في انتظام امور
الدنيا وعدم اضطراب احوال اهلها كانوا كالاوتاد للارض فلا جرم حسن استعارة لفظ الصخور لهم ولذلك يحسن في العرف
ان يقال فلان جبل منيع ياوي اليه كل ملهوف اذا كان يرجع اليه في المهمات والحوائج والعلماء اوتاد الله في الارض **الوجه الخامس**
ان المقصود من جعل الجبال كالاوتاد في الارض ان يهتدى بها على طرقها والمقاصد فيها فلا تميد جهاتها المشتبهة باهلها ولا
تميل بهم فيتيهون فيها عن طرقهم ومقاصدهم وبالله التوفيق **قوله** اول الدين معرفته **اقول** لما كان الدين في اللغة
الطاعة كما سبق وفي العرف الشرعي هو الشريعة الصادرة بواسطة الرسل عليهم السلام وكان اتباع الشريعة طاعة مخصوصة كان
ذلك تخصيصا من الشارع للعام باحد مسمياته ولكثرة استعماله فيه صار حقيقة دون سائر مسمياته لانه المتبادر الى الفهم حال
اطلاق لفظة الدين واعلم ان معرفة الصانع سبحانه على مراتب فاولها وادناها ان يعرف العبد ان للعالم صانعا الثانية ان يصدق
بوجوده الثالثة ان يترقى بجذب العناية الالهية الى توحيده وتنزيهه عن الشركاء الرابعة مرتبة الاخلاص له الخامسة نفي الصفات
التي تعتبرها الاذهان له عنه وهي غاية العرفان ومنتهى قوة الانسان وكل مرتبة من المراتب الاربع الاولى مبدأ لما بعدها من
المراتب وكل من الاربع الاخيرة كمال لما قبلها ثم ان المرتبتين الاوليين مركوزتان في الفطر الانسانية بل فيما هو اعم منها وهي الفطر
الحيوانية ولذلك كان الانبياء لم يدعوا الخلق الى تحصيل هذا القدر من المعرفة وايضا فلو كان حصول هذا القدر من المعرفة
متوقفا على دعوة الانبياء وتصديقهم مع ان تصديقهم مبني على معرفة ان ههنا صانعا للخلق ارسلهم للزم الدور وانما كانت اول مرتبة
دعوا اليها من المعرفة توحيد الصانع ونفي الكثرة عنه المشتمل عليها اول كلمة نطق بها الداعي الى الله وهي قولنا لا اله الا الله فقال
صلى الله عليه وآله من قال لا اله الا الله دخل الجنة ثم لما استعدت اذهان الخلق بما نطقت به من التوحيد الظاهر نبههم على ان بها
قوة اعداد لتوحيد اعلى واخفى من الاول فقال من قال لا اله الا الله خالصا مخلصا دخل الجنة وذلك اشارة الى حذف كل قيد من
درجة الاعتبار مع الوحدة المطلقة اذا عرفت ذلك فاعلم انه يحتمل ان يكون مراده بالمعرفة المرتبة الاولى من مراتب المعرفة وح يكون معنى قوله
اول الدين معرفته ظاهرا فان ذلك القدر اول ما يحصل في النفس من الدين الحق ويحتمل ان يكون مراده المعرفة التامة التي هي غاية العارف
ونهاية مراتب السلوك وح يكون المراد من كونها اول الدين هو اوليتها في العقل وهو اشارة الى كونها علة غائية اذ العلة الغائية متقدمة
في العقل على ما هي علة له وان تاخرت في الوجود وبيان ذلك ان المعرفة التامة التي هي غاية سعي العارف غير حاصلة له في مبدأ الامر
بل يحتاج في كمال ما حصل له من مراتب المعرفة وتحصيل المعرفة التامة الى الرياضة بالزهد والعبادة وتلقي الاوامر الالهية بالقبول التي هي
سنن تمام الدين فيستعد اولا بسببها للتصديق بوجوده يقينا ثم لتوحيده ثم للاخلاص له ثم لنفي كل ما عداه عنه فيغرق في تيار بحار
العظمة وكل مرتبة ادركها فهي كمال لما قبلها الى ان تتم المعرفة المطلوبة له بحسب ما في وسعه وبكمال المعرفة يتم الدين وينتهي السفر الى الله
قوله وكمال معرفته التصديق الى قوله نفي الصفات عنه **اقول** ترتيب هذه المقدمات على هذا الوجه يسمى قياسا مفصولا
وهو القياس المركب الذي طويت فيه النتائج وعند ذكرها يتبين ان المقصود منها بيان ان كمال معرفته نفي الصفات عنه وهذا القياس
ينحل الى قياسات تشبه قياس المساواة لعدم الشركة بين مقدمتي كل منها في تمام الاوسط فيحتاج في انتاج كل منها الى قياس
آخر والمطلوب من التركيب الاول وهو قوله وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده ان كمال معرفته توحيده وانما يلزم عنه هذا المطلوب
بقياس آخر صورته ان معرفته كمالها توحيده وكلما كان كمال كماله توحيده كان كماله توحيده فينتج ان كمال معرفته توحيده
اما المقدمة الاولى فلان التوحيد كمال التصديق وهو كمال المعرفة واما الثانية فلان كمال كمال الشيء كمال للشيء وهكذا في باقي
التركيب والمطلوب من تركيب هذه النتيجة مع المقدمة الثالثة وهي قوله وكمال توحيده الاخلاص له ان كمال معرفته الاخلاص له
من تركيب هذه النتيجة مع المقدمة الرابعة وهي قوله وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه يحصل المطلوب واعلم ان في الكلام الاول ههنا
تنبيها على ان معرفة الله تعالى مقولة بحسب التشكيك اذ كانت قابلة للزيادة والنقصان وبيان ذلك ان ذات الله تعالى لما كانت بريئة عن
انحاء التركيب لم يكن معرفته مكتنهة بحسب رسوم ناقصة تتركب من سلوب واضافات تلزمه لزوما عقليا فتلك السلوب
والاضافات لما لم تكن متناهية لم يمكن ان تقف المعرفة بحسبها عند حد واحد بل تكون متفاوتة بحسب زيادتها ونقصانها وخفائها

معارضة نقضنا لها بظواهر هذه الآيات انفع في الخطابة وانجع في قلوب العامة من الدلائل العقلية عن نفي الجهة ودلالة هذه الآيات على عدم
خلو مكان من الامكنة منه تعالى يستلزم دلالتها على عدم اختصاصه بجهة فوق والمعارضة انما تكون بما يقتضي ابطال مقتضى الدليل كما تكون
بما يقتضي ابطال لازمه ونقيضه فكانت مستلزمة لعدم جواز الاستفهام عنه بعلام ولو قال ومن قال علام فقد اثبت له جهة لم يمكن ابطال هذا
اللازم الا بالدليل العقلي لكون الظواهر النقلية مشعرة باثبات الجهة له فلذلك عدل الى هذا اللازم كما بيناه لوجود ما يبطله في القرآن الكريم
وهي الآيات المذكورة حتى اذا عدل المثبت للجهة عن ظواهر هذه الآيات الى التأويل باحاطة العلم مثلا الزمناه مثله في نحو قوله الرحمن
على العرش استوى فقلنا المراد من الاستواء الاستيلاء بالقدرة او العلم كما هو مذكور في الكتب الكلامية وانما خص جهة العلو بالذكر
اعتقادها والتحذير بسر لكون كل معتقد لله جهة يخصه بها لما يتوهم من كونها اشرف الجهات ولانها نطق بها القرآن الكريم فكانت
الشبهة في اثباتها اقوى فلذلك خصها بالذكر **قوله** كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم **اقول** الكائن اسم الفاعل من كان وهو
يستعمل في اللغة على ثلثة اوجه احدها ان تكون بصيغتها دالة على الحدث والزمان وتسمى في عرف النحاة كان التامة كقوله اذا
كان الشتاء فادفئوني اي اذا حدث ووجد الثاني ان تدل على الزمان وحده ويحتاج في الدلالة على الحدث الى خبر وتسمى الناقصة و
استعمالها هو الاكثر كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة قانتا لله الثالث ان تكون زائدة خالية عن الدلالة على حدث او زمان كقوله على كان المسومة
العراب اي على المسومة اذا عرفت ذلك فاعلم ان مفهوم كان انه شيء ماله كون ولما كان بذلك الشيء هو ذات الله تعالى وكانت ذاته مقدسة
عن الزمان استحال ان يقصد وصفه بكون الدال على الزمان ولما احترز بقوله لا عن حدث استحال ان يدل كونه على الحدث وهو المسبوقية
بالعدم ايضا واذا بطل ان يكون كونه مستلزما للزمان ومسبوقية العدم لم يكن لدلالته الا على الوجود المجرد عن هذين القيدين ومن هذا القبيل
قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وامثاله وقول الرسول صلعم كان الله ولا شيء واما قوله موجود لا عن عدم فلما ابان ان وجوده ليس بحادث
وبيانه ان الموجود من حيث هو موجود اما ان يكون وجوده مسبوقا بالعدم وحاصلا عنه وهو المحدث او لا يكون وهو القديم فاما
لمية هذا الحكم فلانه لو كان محدثا لكان ممكنا ولو كان ممكنا لما كان واجب الوجود فينتج انه لو كان محدثا لما كان واجب الوجود لكنه واجب
الوجود فينتج انه ليس بمحدث اما المقدمتان فجليتان واما بطلان تالي النتيجة فمقتضى البراهين الالهية واعلم ان هذه القضية مؤكدة لمقتضى
القضية الاولى وليس مقتضاها عين ما افادته الاولى اذ كان في الكلمة الاولى مقصود اخر وهو تعليم الخلق كيفية اطلاق لفظة الكون
على الله تعالى واشعارهم ان المراد منها ليس ما يتبادر الى الذهن من مفهومها حال اطلاقها وهو الحدث ويحتمل ان يكون مراده في الاولى نفي
الحدوث الذاتي وما لزمه من الزمان وفي الثانية نفي الحدوث الزماني والله اعلم **قوله** مع كل شيء لا بمقارنة **اقول** ان كونه تعالى
مع غيره وغير غيره اضافتان عارضتان له بالنسبة الى جميع الموجودات اذ كلها منه ويصدق عليه ان يقال انه معها وانه متقدم عليها ولكن
باعتبارين مختلفين فان المعية نفس اضافة تحدثها العقول بالنسبة الى آثاره وما وقف وجوده لوجودها ولاحاطة علمه بكليتها وجزئيتها
كما قال وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير واما التقدم فنسبة تحدثها له باعتبار كونه علة لها ثم لما كانت المعية اعم من المقارنة لاعتبار
الزمان والمكان في مفهومها المتعارف ولم يكن معيته للاشياء على سبيل المقارنة لها لبراءة ذاته المقدسة عن الزمان والمكان فلذلك
احترز بقوله لا بمقارنة واما انه غيرها لا بمزايلة فيحتمل وجهين احدهما وهو الاظهر ان المغايرة لما كانت اعم من المزايلة لدخول الزمان
والمكان في مفهومها ايضا كانت مغايرته للاشياء غير معتبر فيها المزايلة لتقدسه عن الزمان والمكان فلذلك احترز بقوله لا بمزايلة
الثاني ان يقال ان كونه تعالى غير كل شيء معناه انه مميز بذاته عن كل شيء اذ لا يشاركه شيء من الاشياء في معنى جنسي ولا نوعي فلا يحتاج
ان ينفصل عنها بفصل ذاتي او عرضي بل هو مباين لها بذاته لا بمزايلة ويكون معنى المزايلة المفارقة باحد الامور المذكورة بعد الاشتراك
في احد الامور المذكورة واعلم ان هذين القيدين كاسران لاحكام الوهم باعتبار الزمان والمكان والاوصاف المخلوقة المتعارفة بين
الخلق المعتبرة بينهم في مفهوم المعية والغيرية منبهان للعقول على ما وراء حكم الوهم من عظمة الله سبحانه وتقدسه عن صفات الممكنات
وكذلك قوله كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم فانه قلع للوهم الحاكم بما الفه تعالى للمحدثات **قوله** فاعل لا بمعنى الحركات والآلة **اقول**
الحركة عبارة عن حصول المتحيز في حيز بعد ان كان في حيز اخر ان قلنا بثبوت الجوهر الفرد والا فهي عبارة عن انتقال المتحيز من حيز الى حيز
اخر وغيره من التعريفات والآلة هي ما يؤثر الفاعل في منفعله القريب منه بواسطة والمراد بيان انه فاعل الآثار ما صدر عنه تعالى
من الآثار ليس بحسب حركة ولا بتوسط آلة كما يفتقر غيره في نسبة صدور الفعل عنه اليه اما انه لا يفتقر الى الحركة فلان معنى الحركة
انما يعرض للجسم والباري تعالى منزه عن الجسمية فيستحيل صدور معنى الحركة في حقه واما ان فعله ليس بتوسط الآلة فبيانه من وجهين
احدهما لو كان كذلك لكانت تلك الآلة ان كانت من فعله فاما بتوسط آلة اخرى او بدونها فان كانت بدونها فقد صدق انه فاعل
لا بمعنى الآلة وان كان فعله لها بتوسط آلة اخرى فالكلام فيها كالكلام في الاولى ويلزم التسلسل واما ان لم تكن تلك الآلة من فعله ولم
يمكنه الفعل بدونها كان الباري تعالى مفتقرا في تحقيق فعله الى الغير والمفتقر الى الغير بالذات فالواجب الذات ممكن بالذات

في بيان نسبة ايجاد العالم الى قدرته تعالى

هف الثاني انه تعالى لو فعل بالآلة لكان بدونها غير مستقل بايجاد الفعل فكان ناقصا بذاته مستكملا بالآلة والنقص على الله تعالى محال
فتوقف فعله على الآلة محال فاذن هو الفاعل المطلق بالابداع ومحض الاختراع المنزه عن نقصان الذات المنزه عن الحاجة الى الحركات
والآلات **قوله** بصير اذ لا منظور اليه من خلقه **اقول** البصير فعيل بمعنى الفاعل من البصر والبصر حقيقة في حاسة العين مجاز في القوة
التي بها العلم والمنظور اليه المشاهد بتقليب الحدقة نحوه والمراد وصفه تعالى بكونه بصيرا حال ما لا يتحقق المبصرات
واذ ليس كونه بصيرا بمعنى ان له آلة البصر لتنزهه عن الحواس وجب العدول الى المجاز وهو ان يكون بصيرا بمعنى
انه عالم وقرينة ذلك قوله اذ لا منظور اليه من خلقه لان البصر امر اضافي يتحقق بالنسبة الى مبصر وهو تعالى موصوف بانه لم يزل ولا شيء
من المبصرات بالحس موجود لما ثبت بالبراهين العقلية على حدث العالم فحينئذ لا يمكن ان يتحقق النسبة بالقياس اليه فوجب ان لا يكون من
حيث هو هو بصيرا بهذا المعنى ويحتمل ان الاشارة بالنفي في قوله اذ لا منظور اليه الى اعتبار كونه متقدما على آثاره من حيث هو
متقدم فانه بالنظر الى تلك الجهة لا منظور اليه من خلقه معه موجودا لولا انه وجد انه بسط وانه ليس بصيرا بالمعنى المذكور فهو اذن
بصير بالصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات وبها تظهر الاسرار والخفيات فهو الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه
ما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى وهذه الادراك وان علت كما لا فانما هي كمال خاص بالحيوان كما له بها وان كان
ظاهرا الا انه ضعيف قاصر اذ لا يمتد الى ما بعد ولا يتغلغل في باطن وان قرب بل يتناول الظواهر ويقصر عن البواطن وقد
قيل ان الحظ الديني للعبد من البصر امران احدهما ان يعلم انه خلق له البصر لينظر الى الآيات وعجائب ملكوت السموات فلا يكون
نظره الا اعتبارا حكي انه قيل لعيسى عم هل احد من الخلق مثلك فقال من كان نظره عبرة وصمته فكرة وكلامه ذكرا فهو مثلي الثاني
ان يعلم انه من الله بمرأى ومسمع فلا يستهين بنظره اليه واطلاعه عليه ومن اخفى من غير الله ما لا يخفيه من الله تعالى فقد استهان با
كبر **قوله** متوحد اذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده **اقول** المراد وصفه تعالى بالتفرد بالوحدانية واشار
بقوله اذ لا سكن الى اعتبار ان تفرده بالوحدانية لذاته فهو من تلك الحيثية منفرد بالوحدانية لا على وجه الانفراد عن مثل
له كما هو المفهوم المتعارف من انفراد بعض الناس عن بعض ممن عادته ان يستأنس في مشاورته ومحادثته وانفراد احد المتالفين من
الحيوانات عن الآخر وهو الانيس الذي يستأنس بوجوده معه ويستوحش لفقده وغيبته عنه اذ كان الاستيناس والاستيحاش
متعلقين بميل الطبع الى الشيء ونفرته عنه وهما من توابع المزاج ولما كان الباري سبحانه منزها من الجسمية والمزاج وجب ان يكون
منزها عن الاستيناس والتوحش فهو المتفرد بالوحدانية المطلقة لا بالقياس الى شيء يعقل ذلك التفرد بالنسبة اليه واعلم ان القيود
الثلثة الزائدة على قوله فاعل وبصير ومتوحد في الفصول الثلثة مستلزمة للتنبيه على عظمة الله تعالى كما بيناه في قوله لا بمقارنة
ولا بمزايلة وذلك لان الاوهام البشرية حاكمة بحاجة الفاعل الى الآلة والبصير الى وجود المبصر والمتوحد الى ان يكون في مقابلة انيس له
انفرد عنه ولما كانت ذات الله سبحانه منزهة عن جميع ذلك رد الوهم ومعارضة لحكمه بتنبيه العقول عليها نذكر هذه القيود لتلك
وبالله التوفيق

الفصل الثاني في نسبة ايجاد العالم الى قدرة الله تعالى جملة وتفصيلا وفي كيفية ذلك وهو اوضح
في معرض المدح **قوله** انشأ الخلق انشاء وابتدأه ابتداء بلا روية اجالها ولا تجربة استفادها ولا حركة احدثها ولا
همامة نفس اضطرب فيها احال الاشياء لاوقاتها ولأم بين مختلفاتها وغرز غرائزها والزمها اشباحها عالما بها قبل ابتدائها
محيطا بحدودها وانتهائها عارفا بقرائنها واحنائها ثم انشأ سبحانه فتق الاجواء وشق الارجاء وسكائك الهواء فاجار
فيها ماء متلاطما تياره متراكما زخاره حمله على متن الريح العاصفة والزعزع القاصفة فامرها برده وسلطها على شده وقرنها
الى حده الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق ثم انشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها وادام مربها واعصف مجراها وابعد
منشأها فامرها بتصفيق الماء الزخار واثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء وعصفت به عصفها بالفضاء ترد اوله على آخره
وساجيه على مائره حتى عب عبابه ورمى بالزبد ركامه فرفعه في هواء منفتق وجو منفهق فسوى منه سبع سموات جعل سفلاهن
موجا مكفوفا وعلياهن سقفا محفوظا وسمكا مرفوعا بغير عمد يدعمها ولا دسار ينظمها ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب
واجرى فيها سراجا مستطيرا وقمرا منيرا في فلك دائر وسقف سائر ورقيم مائر ثم فتق ما بين السموات العلى فملأهن اطوارا من ملائكته
منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون ومسبحون لا يسأمون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الابدان
ولا غفلة النسيان ومنهم امناء على وحيه والسنة الى رسله ومختلفون بقضائه وامره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب جنانه
ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم والمارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم
ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير
ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر **اقول** لم اجد لاهل اللغة في ان الانشاء

والابتداء وهو الايجاد الذي لم يسبق بمثله الا انه يمكن ان يفرق بينهما صونا للكلام عن التكرار بان يقال المفهوم من الانشاء هو الايجاد
الذي لم يسبق غير الموجد اليه والمفهوم من الابتداء هو الايجاد الذي لم يقع من الموجد قبل والروية الفكر وهمامة النفس اهتمامها بالامور من
روى همامة نفس فالمراد تردد العزوم ماخوذ من الهمهمة وهي ترديد الصوت الخفي وروي ايضا همة نفس والاجالة التحويل والنقل والتغيير
والانقلاب من حال الى اخر وروي احان بالحاء المهملة وروي ايضا اجل اي وقت والملائمة الجمع والغرائز جمع غريزة وهي الطبيعة التي طبع عليها الانسان
كانها غرزت فيه والسنخ الاصل وروي اشباحها جمع شبح وهو الشخص والقرائن جمع قرينة وهي ما يقترن بالشيء والاحناء جمع حنو وهي الناحية
والاجواء جمع جو وهو الفضاء الواسع وفتقها شقها والارجاء جمع رجا مقصور وهي النواحي والسكائك جمع سكاكة وانه وذوائب هي الفضا
ما بين السماء والارض وكل مكان خال فهو هواء والتجار اي اجرى ومن روى احار اي ادار وجمع وتلاطم الماء اذا امواجه وضرب بعضها بعضا
والزخار مبالغة في الزاخر وهو الممتلي ومتن كل شيء ما صلب منه واشتد وعصف الريح شدة جريانها وريح زعزع تحرك الاشياء بقوة وتزعزعها
والريح العاصفة الشديدة كانها لشدتها تكسر الاشياء وتقصفها وسلطها اي جعل لها سلاطة وهي القهر والفتيق المنفتق والدفيق المندفق
والاعتقام الشد والعقد واعتقم مهبها اي جعله خاليا لا تنبت من قولهم عقمت الرحم اذا لم تقبل الولد وروي بغير تاء اي جعلها عقيمة
لا تلقح شجرا ولا سحابا والمرب المجمع والعصف الجري بشدة وقوة والصفق والتصفيق الضرب المتراكم الصوت واثارة الموج رفعه وهيجه واصل
الماء المتد ثم ربما خص في العرف بالمالح وتموج البحر اضطرابه وتوجه ما ارتفع منه حال هيجانه وحركته والمخض التحريك والسقاء وعاء
اللبن والماء ايضا والمائر المتحرك والعباب بالضم معظم الماء وعب اي علا وتدفق والركام الماء المتراكم والمنفهق الواسع والتسوية التعديل
والمكفوف الممنوع من السقوط والجو هي السقف اسم للسماء وسمك البيت سقفه والسموك الارتفاع والعمد جمع كثرة لعمود البيت ودعامة البيت
عموده وما يمنعه من السقوط والدسار كل شيء ادخلته في شيء لشدة كمسمار وحبل ونحوهما والمستطير المنتشر والفلك من اسماء السماء
قيل ماخوذ من فلكة المغزل في الاستدارة والرقيم اسم للفلك ايضا واشتقاقه من الرقم وهو الكتابة والنقش لان الكواكب تشبه الرقوم و
الاطوار الحالات المختلفة والانواع المتباينة قال الكسائي اصل الملك مالك بتقديم الهمزة من الالوك وهي الرسالة ثم قلبت وقدمت
اللام وقيل ملاك ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل ملك فلما جمعوه ردوها اليه فقالوا ملائكة وملائك والسام الملال والسدنة
جمع سادن وهو الخازن ومرق السهم من الرمية اذا خرج من الجانب الاخر والقطر الناحية والركن الجانب وتلفع بثوبه التحف به والتنظار الا
ولنرجع الى المعنى فنقول انشأ الخلق انشاء وابتدأه ابتداء يشير الى كيفية ايجاد الخلق على الجملة عن قدرة الله تعالى بعد ان نبه على اصل
الايجاد بقوله فطر الخلائق بقدرته واتى بالمصدرين بعد الفعلين تاكيدا لنسبة الفعلين الى الله تعالى وصدقهما بين القضيتين ظاهر فان
الباري تعالى لما لم يكن مسبوقا بغيره لاجرم صدق الانشاء منه ولما لم يكن العالم موجودا قبل وجوده لاجرم صدق ابتداؤه له **قوله**
بلا روية اجالها ولا تجربة استفادها ولا حركة احدثها ولا همامة نفس اضطرب فيها **اقول** لما كانت هذه الكيفيات الاربع من شروط
علوم الناس واشغالهم التي لا يمكن حصولها الا بها اراد تنزيه الله سبحانه عن ان يكون ايجاده للعالم موقوفا على شيء منها اما الروية
والفكر فلما كانت عبارة عن حركة القوة المفكرة في تحصيل مبادي المطالب والانتقال منها اليها او عن تلك القوة ايضا نفسها كان ذلك
في حق الله تعالى محالا لوجهين احدهما ان القوة المفكرة من خواص نوع الانسان الثاني ان فائدتها تحصيل المطالب المجهولة والجهل على
الله تعالى محال واما التجربة فلما كانت عبارة عن حكم العقل بامر على امر بواسطة مشاهدات متكررة معدة لليقين بسبب انضمام قياس
خفي اليها وهو انه لو كان هذا الامر اتفاقيا لما كان دائما ولا اكثريا كان توقف فعل الله تعالى على استفادة الاحكام منها محالا لوجهين احدهما
انها مركبة من مقتضى الحس والعقل وذلك ان الحس بعد مشاهدته وقوع الاسهال مثلا عقيب شرب الدواء مرة ومرة ينتزع العقل
منها حكما كليا بان ذلك الدواء مسهل ومعلوم ان اجتماع الحس والعقل من خواص نوع الانسان الثاني ان التجربة انما يفيد علما لم يكن
فالمحتاج الى التجربة لاستفادة العلم بها ناقص بذاته مستكمل بها والمستكمل بالغير محتاج اليه فيكون ممكنا على ما مر وذلك على الله تعالى محال
واما الحركة فقد عرفنا انها من خواص الاجسام والباري سبحانه منزه عن الجسمية فيمتنع صدق المتحرك عليه وان صدق انه محرك لكن لا
المتحرك ما قامت به الحركة والمحرك اعم من ذلك واما الهمامة والهمة فلما كانت ماخوذة من الاهتمام وحقيقته الميل النفساني الجازم الى فعل
الشيء مع التالم والغم بسببه فقد كان ذلك في حق الله تعالى محالا لوجهين احدهما ان الميل النفساني من خواص الانسان طلبا لجلب المنفعة و
الباري سبحانه منزه عن الميول النفسانية وطلب المنافع الثاني انه مستلزم للتالم والتالم على الله تعالى محال واذ ليس ايجاده تعالى
للعالم على احد الانحاء المذكورة فهو اذن محض الاختراع والابداع البريء من الحاجة الحاصل من خارج ذاته المقدسة بديع السموات والارض
واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فاعلم انه اردف كلا من هذه الامور بما هو كيفية في وجوده فاردف الروية بالاجالة والتجربة
بالاستفادة والحركة بالاحداث والهمامة بالاضطراب لتنتفي الكيفية بانتفاء ما هي له عن ذاته المقدسة وبالله التوفيق **قوله** اجال
الاشياء لاوقاتها ولاءم بين مختلفاتها وغرز غرائزها والزمها اشباحها **اقول** لما نبه عليه على نسبة ايجاد العالم الى الله تعالى جملة اشار

بعده الى ان ترتيبه وما هو عليه من بديع الصنع والحكمة كان مفصلا في علمه على وفق حكمته البالغة قبل ايجاده والمراد بقوله اجال الاشياء
لاوقاتها الاشارة الى ربط كل ذي وقت بوقته بحسب ما كتب في اللوح المحفوظ بالقلم الالهي بحيث لا يتاخر متقدم منها ولا متاخر يتقدم و
الاجالة نقل كل منها الى وقته وتحويله من العدم والامكان الصرف الى مدة الضرورية لوجوده واللام في لاوقاتها لام التعليل اي لاجل
اوقاتها اذ كل وقت يستحق بحسب قدرة الله وعلمه ان يكون فيه ما لا يكون في غيره وعلى النسخة الاخرى معنى تاجيلها جعل اوقاتها
اجالا لها لا تتقدم عليها ولا تتاخر عنها كما قال اذا جاء اجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستاخرون وقوله ولاءم بين مختلفاتها تنبيها
على كمال قدرة الله تعالى وبيان ذلك في صورتين احديهما ان العناصر الاربع متضادة الكيفيات ثم انها اذا اجتمعت بقدرة الله تعالى
وعلى وفق حكمته حتى انكسرت سورة كل واحد منها بالاخر وهو المسمى بالتفاعل حصلت كيفية متوسطة بين الاضداد متشابهة وهي المزاج
فامتزاج اللطيف بالكثيف على ما بينهما من تضاد الكيفيات وغاية البعد بقدرته التامة من اعظم الدلائل على كمالها الثانية
ان الملائمة بين الارواح اللطيفة والنفوس المجردة التي لا حاجة بها في قوامها الى الوجود المادي اصلا وبين هذه الابدان المظلمة الكثيفة
واختصاص كل نفس ببدن منها وتدبيره واستعماله فيما يعود اليها من المصالح على انتظام الاقتضاء لطريق الارشاد مما يشهد بكمال
قدرته ولطيف حكمته وقوله وغرز غرائزها اشارة الى ركز القوى الجسمانية والنفسانية فيما هي قوى له وخلق كل ذي طبيعة على طبيعته
ومقتضى قواه التي غرزت فيه من لوازمه وخواصه مثلا كقوة التعجب والضحك للانسان وقوة الشجاعة للاسد والجبن للارنب والمكر
للثعلب وغير ذلك وعبر عن ايجادها فيها بالغرز وهو الركز استعارة لما يعقل من المشابهة بينها وبين العود الذي يركز في الارض من جهة المبدا
ومن جهة الغاية وذلك ان الله سبحانه لما غرز هذه الغرائز في محالها واصولها وكانت الغاية من ذلك ما يحصل منها من الاثار الموافقة
لمصلحة العالم اشبه ذلك غرز الانسان العود في الارض لغاية ان يثمر ثمرة منتفعا بها وقوله والزمها اسناخها اشارة الى انها لا تفارق
اصولها ولا يمكن تعطيلها عنها لان اللازم هذا شانه ومن روى اشباحها ومن روى اشباحها بالشين المعجمة فالمراد ان ما غرز في الاشخاص
من اللوازم والغرائز لا انفكاك لها سواء كانت تلك الغرائز من لوازم الشخص كالذكاء والفطنة بالنسبة الى بعض الناس والبلادة والغفلة لاخر
او من لوازم الماهيات وطباعها لوجود الماهيات في اشخاصها هذا ان قلنا ان الضمير في قوله والزمها عائد الى الغرائز اما ان قلنا انه عائد
الى الاشياء كان المراد ان الله سبحانه لما اجال الاشياء لاوقاتها ولاءم بين مختلفاتها وغرز غرائزها في علمه وقضائه الزمها بعد كونها
كلية اشخاصها الجزئية التي وجدت فيها لا يقال ان لوازم الماهيات مقتضى الماهيات فكيف يمكن نسبة الزامها لاصولها الى قدرة الله تعالى
لانا نقول المستند الى الماهية الملزوم ليس الا ماهية لازمه واما وجوده له فبقدرة الله تعالى فيكون معنى الزامها لاصولها ايجادها في اصولها [illegible]
على تقدير وجودها **قوله** عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها وانتهائها عارفا بقرائنها واحنائها **اقول** المنصوبات الثلثة وهي
قوله عالما ومحيطا وعارفا منصوبة على الحال والعامل فيها الزمها او ما قبله من الافعال والاحوال الثلثة مفترقة لا تعقيب الافعال الثلثة فيمله
الاول اذ كانت صالحة لان تكون احوالا عنها والمراد في القضية الاولى اثبات الاحوال الاربعة له حال كونه عالما بالاشياء قبل ايجادها الافعال
حاضرة في علمه بالفعل كليها وجزئيها وفي القضية الثانية نسبة تلك الافعال اليه حال احاطة علمه بحدودها وحقائقها المميزة لبعضها
عن بعض وان كلا منها بحده واقف عنده وهو نهايته وغايته ويحتمل ان يريد بانتهائها انتهاء كل ممكن الى سببه وانتهاء الكل في سلسلة
الحاجة الى الله وفي القضية الثالثة نسبة الافعال الى قدرته حال علمه بما يقترن بالاشياء من لوازمها وعوارضها وعلمه بكل شيء يقترن
بشيء اخر على جهة التركيب والمجاورة كاقتران بعض العناصر ببعض في احيازها الطبيعية على الترتيب الطبيعي وعلمه باحنائها وجوانبها التي
بها تنتهي وتفارق غيرها وبيان هذه الاحكام له تعالى ببيان انه عالم بكل المعلومات من الكليات والجزئيات وذلك مما علم في العلم
الالهي فان قلت اطلاق اسم العارف على الله تعالى لا يجوز لقول النبي ص ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة واجماع علماء
النقل على ان هذا الاسم ليس منها قلت لا نسلم ان اسماء الله تعالى تزيد على التسعة والتسعين لوجهين احدهما قول النبي ص اسالك بكل اسم سميت
به نفسك وانزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك واستاثرت به في علم الغيب عندك فان هذا صريح في انه استاثر ببعض الاسماء الثاني ما روي
انه ص قال ان رمضان اسم من اسماء الله تعالى وكذلك كان الصحابة يقولون فلان اوتي الاسم الاعظم وكان ينسب الى بعض العلماء الانبياء وذلك
ذلك يدل على انه خارج من التسعة والتسعين فاذا كان كذلك كان نقل الكلام في قوله ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل
الجنة قضية واحدة معناها الاخبار بان من اسماء الله تعالى تسعة وتسعين من احصاها دخل الجنة ويكون تخصيصها بالذكر لاختصاصها
بمزيد شرف لا يكون لباقي الاسماء وهي كونها مثلا جامعة لانواع من المعاني المنبئة عن الكمال بحيث لا يكون لغيرها الا لنفي ان يكون
لله تعالى اسم غيرها واذا كان كذلك جاز ان يكون العارف من تلك الاسماء لا يقال ان الاسم الاعظم غير داخل فيها لاشتهار ما فيها واختصاص
معرفته بالانبياء والاولياء واذا كان كذلك فكيف يصدق عليها انها اشرف الاسماء لانا نقول يحتمل ان يكون خارجا منها ويكون
شرفها حاصلا بالنسبة الى باقي الاسماء التي هي غيره ويحتمل ان يكون داخلا فيها الا انا لا نعرفه بعينه ويكون مما يختص به النبي والولي

اولى انما هو تعبيته قوله ثم انشأ سبحانه فتق الاجواء الى قوله فسوى منه سبع سموات اقول لما اشار عم في الفصل المتقدم الى نسبة خلق العالم الى قدرته تعالى على سبيل الاجمال شرع بعده في تفصيل الخلق وكيفية ايجاده والاشارة الى مبادئه وذلك حسن ابداعه ثم ههنا وفي هذا الفصل ابحاث **البحث الاول** اعلم ان خلاصة ما يفهم من هذا الفصل ان الله قدر باختياره امكنة اجرى فيها الماء الموصوف وخلق ريحا قوية على ضبطه وحفظه حمله عليها وامرها بضبطه ويفهم من قوله الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق ان تلك الاحياز والامكنة تحتها وانها امرت بحفظه وضبطه لتوصله الى تلك الاحياز ويفهم منه ان تلك الاحياز للماء هي سطح الريح الحاوي له وان تحت تلك الريح فضاء اخر واسعا وهي محفوظة بقدرة الله تعالى وقد في الخبر كما خلق سبحانه ريحا اخر لاجل تموج ذلك الماء فارسلها وعقد مهبها اي ارسلها بمقدار مخصوص على وفق الحكمة والمصلحة التي اراد باجرائها ولم يرسلها مطلقا ومن روى بالتاء فالمراد انه خلى مهبها عن العوائق وانه ارسلها بحيث لا يعرف مهبها وادام حركتها وملازمتها لتحريك الماء واعصف جريانها وابعد منشأها ثم سلطها على تموج ذلك الماء فلما عب عبابه وقذف بالزبد رفع تعالى ذلك الزبد في الفضاء وكون منه السموات العلى **البحث الثاني** ان هذه الاشارة وردت في القرآن الكريم فانه اشير فيه الى ان السموات تكونت من الدخان كقوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان والمراد بخار الماء وكذا وردت في اقوال كثيرة ا ما روي عن الباقر محمد بن علي عليهما السلام قال لما اراد الله سبحانه وتعالى ان يخلق السماء امر الرياح فضربن البحر حتى ازبد فخرج من ذلك الموج والزبد دخان ساطع من وسطه من غير نار فخلق الله منه السماء ب ما نقل انه جاء في السفر الاول من التورية ان مبدأ الخلق جوهر خلقه الله ثم نظر اليه نظر الهيبة فذابت اجزاؤه فصارت ماء فثار من الماء بخار كالدخان فخلق منه السموات وظهر على وجه الماء زبد مثل زبد البحر فخلق منه الارض ثم ارساها بالجبال وفي رواية اخرى فخلق منه ارض مكة ثم بسط الارض من تحت الكعبة ولذلك تسمى مكة ام القرى ج نقل عن كعب ما يقرب من ذلك قال ان الله خلق ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء كما قال تعالى وكان عرشه على الماء د ما نقل عن ثالس الملطي وكان من مشاهير الحكماء القدماء فانه نقل عنه بعد ان وحد الصانع الاول للعالم ونزهه انه قال لكنه ابدع العنصر الذي فيه صور الموجودات والمعلومات كلها وسماه المبدع الاول ثم نقل عنه ان ذلك العنصر هو الماء قال و انواع الجواهر كلها من السماء والارض وما بينهما وهو علة كل مبدع وعلة كل مركب من العنصر الجسماني فذكر ان من جمود الماء تكونت الارض ومن انحلاله تكون الهواء ومن صفوته تكونت النار ومن الدخان والابخرة تكونت السماء وقيل انه اخذ ذلك من التورية هـ ما وجد في كتاب بلينوس الحكيم الذي سماه الجامع لعلل الاشياء قريبا من هذه الاشارة وذلك انه قال ان الخالق تبارك وتعالى كان قبل الخلق واراد ان يخلق الخلق فقال ليكن كذا وكذا فكان ما اراد بكلمته فاول الحادث كلمة الله المطاعة التي كانت بها الحركة ثم قال بعده ان اول ما حدث بعد كلام الله تعالى الفعل فدل بالفعل على الحركة ودل بالحركة على الحرارة ثم لما نقصت الحرارة جاء السكون عند فنائها فدل بالسكون على البرد ثم ذكر بعد ذلك ان طبايع العناصر الاربعة انما كانت من هاتين القوتين اعني الحر والبرد قال وذلك ان الحرارة حدث منها اللين ومن البرودة اليبس فكانت اربع قوى مفردات فامتزج بعضها ببعض فحدث من امتزاجها الطبايع وكانت هذه الكيفيات قائمة بانفسها غير الاربع من امتزاج الحرارة واليبس حصلت النار ومن الرطوبة حدث الهواء ومن امتزاج البرد واليبس حصلت الارض ثم قال ان الحرارة لما حركت طبيعة الماء والارض تحرك الماء للطفه عن ثقل الارض وانتقل ما اصابه من الحر فصار بخارا لطيفا هوائيا رقيقا روحانيا وهو اول دخان طلع من اسفل الماء وامتزج بالهواء فسما الى العلو لخفته ولطافته وبلغ الغاية في صعوده على قدر قوته ونفرته من الحرارة فكان منه الفلك الاعلى وهو فلك زحل ثم حركت النار الماء ايضا فطلع منه دخان هو اقل لطفا مما صعد اولا واضعف فلما صار بخارا سما الى العلو بجوهره و لطافته ولم يبلغ فلك زحل لعلة لطافته عما قبله فكان منه الفلك الثاني وهو فلك المشتري وهكذا بين في طلوع الدخان مرة مرة وتكون الافلاك الخمسة الباقية عنه فهذه الاشارات كلها مطابقة على ان الماء هو الاصل الذي تكونت عنه السموات والارض وذلك مطابق لكلامه عم **البحث الثالث** قوله وادام مربها قال القطب الراوندي اي ادام جمع الريح للماء وتسويتها له ولست ارى ذلك لان الماء لما كان مقر الريح الذي انتهت اليه علمت في تحريكه كان ذلك هو مربها اي الموضع الذي لزمته واقامت به فقوله وادام مربها اي دام حركة الماء واضطرابه وتمخضه وهو محل اربابها ويحتمل ان يكون قد استعمل اسم الموضع استعمال المصدر والتقدير وادام اربابها اي ملازمتها لتحريك الماء وايضا فيحتمل ان يكون قد شبهها في كونها سببا للاثار الخيرية من كثرتها وفوتها بالديمة فكان محلها محلها ومقرها الذي تصل اليه ونفيضه وادامه الله اي سقاه الله ديمة وقوله وابعد منشأها قال اي بعد ارتفاعها قلت المنشأ محل النشور وهو الموضع الذي نشأت منه فلا يفهم منه الارتفاع اللهم الا على تقدير استعماله الموضع الانشاء استعمال المصدر اي بلغ بانشاءها غاية بعيدة والاقرب انه تنبيه الى انها نشأت من مبدأ بعيد ولا يمكن الوقوف على قدره وهو قدرة الحق سبحانه وجوده وقوله وامر بها قال الراوندي اي امر الموكلين بها من الملائكة بضرب الماء بعضه ببعض وتحريكه كمخض اللبن للزبد واطلق الامر بها لجانب

لان الحكيم

لان الحكيم لا يامر الجماد قلت بل حمله على امر الريح اولى لان في التقدير الذي ذكره يكون التجوز في لفظ الامر لعدم القول بالخصوص مما ان يحمل على امر ملائكتها وفي نسبته الى الريح ايضا اذا اريد ملائكتها اما اذا حملناه على ظاهره كان التجوز في لفظ الامر فقط دون النسبة فكان اولى وقوله تمخض السقاء وعصفها بالفضاء اي مثل تمخض السقاء ومثل عصفها فحذف المضاف الذي هو صفة المصدر واقام المضاف اليه مقامه فلذلك نصبه نصب المصدر واعلم ان اللام في قوله بتصفيق الماء للعهد السابق في قوله ماء متلاطما لان الماء واحد ومثل هذا التكرار جائز في الكلام الفصيح كقوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فان قلت ان الاجواء والارجاء وسكائك الهواء امور عدمية فكيف يصح نسبتها الى الانشاء عن القدرة قلت ان هذه الاشياء عبارة عن الخلاء والاحياز والخلاف في ان الخلاء والحيز والمكان هل هي امور وجودية او عدمية مشهور فان كانت وجودية كانت نسبتها الى القدرة ظاهرة ويكون معنى فتقها وشقها شق العدم عنها كما في قوله فطر الخلائق بقدرته وان كانت عدمية كان معنى فتقها وشقها ونسبتها الى القدرة تقديرها وجعلها احيازا للماء وغيره لانه لما كان تميزها عن مطلق الهواء والخلاء بايجاد الله فيها الماء صار تعينها بسبب قدرته تعالى فيصح نسبتها الى انشائه فكانه سبحانه شقها وفتقها بحصول الجسم فيها ويروى ان زرارة وهشاما اختلفا في الهواء اهو مخلوق ام لا فرفع بعض موالي الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام اليه ذلك وقال اني متحير واري اصحابنا يختلفون فيه فقال ع ليس هذا بخلاف يؤدي الى الكفر والضلال واعلم انه ع انما اعرض عن بيان ذلك لان اولياء الله الموكلين بايضاح سبيله وتثبيت خلقه على صراطه المستقيم لا يلتفتون بالذات الا الى احد امرين احدهما ما يؤدي الى الهدى ظاهرا واضحا والثاني ما يصرفهم عن الضلال ويرد الى سواء السبيل وبيان ان الهواء مخلوق او غير مخلوق لا يفيد كثير فائدة في امر المعاد فلا يكون الجهل بما يضر في ذلك فكان ترك بيانه والاشتغال بما هو اهم منه اولى **البحث الرابع** ان القرآن الكريم نطق بان السماء تكونت من الدخان وكلامه ع ناطق بانها تكونت من الزبد وما ورد في الخبر ان ذلك الزبد هو الذي تكونت منه الارض فلا بد من بيان وجه الجمع بين هذه الاشارات فنقول وجه الجمع بين كلامه ع وبين لفظ القرآن الكريم ما ذكره الباقر ع وهو قوله فخرج من ذلك الموج و الزبد دخان ساطع من وسطه من غير نار فخلق منه السماء ولا شك ان القرآن الكريم لا يريد بلفظ الدخان حقيقته لان ذلك انما يكون عن النار واتفق المفسرون على ان هذا الدخان لم يكن عن نار بل عن تنفس الماء وتبخيره بسبب تموجه فهو اذن استعارة للبخار الصاعد من الماء واذا كان كذلك فنقول ان كلامه ع مطابق للفظ القرآن الكريم وذلك ان الزبد بخار يتصاعد على وجه الماء عن حرارة حركته الا انه ما دامت الكثافة غالبة عليه وهو باق على وجه الماء لم ينفصل فانه يخص باسم الزبد فما لطف وغلبت عليه الاجزاء الهوائية فانفصل خص باسم البخار واذا كان الزبد بخارا والبخار هو المراد بالدخان في القرآن الكريم كان مقصده ومقصد القرآن واحدا فكان البخار المنفصل هو الذي تكونت عنه الارض هو الزبد واما وجه المشابهة بين الدخان والبخار الذي صحت لاجله استعارة لفظه فهو امران احدهما حسي وهو الصورة المشاهدة من الدخان والبخار حتى لا يكاد يفرق بينهما في الحس البصري والثاني معنوي وهو كون البخار اجزاء مائية خالطت الهواء بسبب لطافتها عن حرارة الحركة كما ان الدخان كذلك لكن عن حرارة النار فان الدخان ايضا اجزاء مائية انفصلت من جرم المحترق بسبب لطافتها عن حر النار فكان الاختلاف بينهما ليس الا بالسبب فلذلك صح استعارة اسم احدهما للاخر وبالله التوفيق **البحث الخامس** قال المتكلمون ان هذه الظواهر من القرآن وكلامه ع لما دلت على ما دلت عليه من كون الماء اصلا لما تكونت عنه السموات والارض وغير ذلك وثبت ان الترتيب المذكور في المخلوقات امر ممكن في نفسه وثبت ان الباري تع فاعل مختار قادر على جميع الممكنات ثم لم يقم عندنا دليل عقلي يمنع من اجراء هذه الظواهر على ما دلت عليه وجب علينا القول بمقتضى تلك الظواهر ولا حاجة بنا الى التاويل لا يقال ان جمهور المتكلمين يتفقون على اثبات الجوهر الفرد وان الاجسام مركبة عنه فبعضهم يقول ان الجواهر كانت ثابتة في عدمها والفاعل المختار كساها صفة التاليف والوجود وبعضهم وان منع ثبوتها في العدم الا انه يقول ان الله تعالى يوجدها اولا تلك الجواهر ثم يؤلف بينها فيوجد منها الاجسام فكيف يقال ان السموات والارض تكونت من الماء لانا نقول هذا غلط لانه يجوز ان يخلق الله تعالى اولا الاجسام من تلك الجواهر ثم تكون باقي الاجسام عن الاجسام الاول واما الحكماء فلما لم يكن الترتيب الذي اقتضته هذه الظواهر في تكوين الاجسام موافقا لمقتضى ادلتهم لان التاخر في وجود العناصر عندهم عن وجود السموات لا جرم عدل بعضهم الى تاويلها توفيقا بينها وبين مقتضى ادلتهم وذكروا من التاويل وجهين **الوجه الاول** قالوا العالم عالمان عالم الربوبية عالم الامر وهو عالم الملائكة الروحانية والمجردات وعالم الخلق وهو عالم الجسمانية وعلى ذلك حملوا قوله تعالى الا له الخلق والامر قالوا ما من موجود في عالم الجسمانية الا وله نسبة الى عالم الروحانية وهو مثال له بوجه ما ولولا ذلك لانسد الترقي الى العالم الروحاني وتعذر السفر الى الحضرة الالهية ثم كان من بحثهم ان بينوا ان قدرة الله سبحانه ترجع الى كون ذاته عالمة بالكل علما هو مبدأ الكل منه بالذات غير ماخوذة عن شيء ولا متوقفة على وجود شيء ثم ماذا تحليله على ان رتبة صدور عالم الامر على الوجود واسبق نسبة الى

قدرته المبدع الاول من عالم الخلق اذ كان صدورها لم الخلق عنها امرا ثانيا متاخرا عنه فعند ذلك قالوا ان الذي اشار اليه ههنا موافق
لما اصلناه وبناسبه ذلك انه اشار بالاجواء والارجاء وسكائك الهواء الى سلسلة وجود الملائكة المسماة بالعقول الفعالة على
مراتبها متنازلة وبانشائها الى ايجادها وبفتقها وشقها الى وجودها وبالماء المتلاطم المتراكم الى الكمالات التي وجبت عنه سبحانه
باجرائها فيها الى امكانه افاضته على كل واحد منها ما استحقه بواسطة ما قبله وبالريح العاصفة الى الامر الاول الذي اشرنا اليه عن الفلك
فاما وجه المناسبة بين هذه الامور وبين ما ذكره فاما في التعبير عن العقول بالارجاء والاجواء والسكائك فمن جهة انها قابلة للفيض
والكمالات عن مبدئها الاول كما ان الارجاء والاجواء وسكائك الهواء قابلة للماء عما يجري عنه من سحاب وينبوع واما في تشبيه الفيض بالماء
فلانه لما لم يكن بحيث يتوقف الا على تمام القابل بحيث وجد سال بطبعه اليه كذلك الفيض الالهي لا يتوقف صدوره عن واهبه الا على تمام القا
لكون الفاعل تام الفاعلية في ذاته ولان الماء لما كان به قوام كل حي جسماني في عالم الكون كذلك الفيض الالهي هو مبدأ قوام كل موجود
قالوا ومثل هذا التشبيه جاء في القرآن الكريم قال جمهور المفسرين ومنهم ابن عباس رض في قوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها
ان المراد بالماء هو العلم وبالاودية قلوب العباد وبانزاله افاضته على القلوب بقوله فسالت اودية بقدرها ان كل قلب منها يصل اليه
البر مقدار ما يستحقه ويقبله قالوا وذلك ان الله سبحانه انزل من سماء الكبرياء والجلالة والاحسان ماء بيان القرآن وعلومه على قلوب
العباد لان القلوب يستقر فيها انوار علوم القرآن كما ان الاودية يستقر فيها المياه النازلة من السماء وكما ان كل واد فانما يحصل فيه من مياه
الامطار ما يليق بسعته وضيقه فكذلك ههنا كل قلب انما يحصل فيه من انوار علم القرآن ما يليق بذلك القلب من طهارته وخبثه
وقوته وضعفه وتمام التشبيه في الاية مذكور في التفاسير واما تشبيه الامر الاول بالريح العاصفة فلان وقوعه لما كان دفعة غير
منسوب الى زمان يتوقف عليه كان انسب ما يشبه به من الاجسام في السرعة والنفوذ هو الريح العاصف لكونها اسرع الاجسام
حركة ولذلك كثيرا ما يوصف العصف تقريرا للسرعة التامة وما امرنا الا كلمح بالبصر وبوصفها بالزعزعة والقصف تحقيقا للقوة التامة
والشدة الشديدة وتامره لها وتسليطها على شده فلانه لما صورها بصورة الريح ساغ ان يقال امرها وهو عبارة عن نسبة
ذلك الامر الى ذاته تعالى النسبة التي تحدثها عقولنا الضعيفة وفائدة الرد والشد وفيهما ضبط امره سبحانه على وفق حكمته الكمالات
الفائضة عنه على كل موجود موجود بحسب نوعه المستلزم لرده عمن ليس له ذلك لكمال العين واما قرنها الى حده فاشارة الى حافظ امره
سبحانه لتلك القوابل من الكمالات الفائضة واشتماله عليها وقوله الهواء من تحتها فتيق اشارة الى قبول القوابل المذكورة والماء من
فوقها دفيق اشارة الى ما يحمله امر الله من الفيض المذكور ويلقيه على تلك القوابل كل ذلك بترتيب عقلي لا زماني تلحقه فيعقل فيه
التراخي واما الريح الثانية فاشار بها الى الامر الثاني ووصفها باعتقام مهبها اشارة الى عقد ذلك الامر وابقاعه على وفق الحكمة الالهية
والى عدم المانع لجريان ذلك الامر بادامة مربها الى افاضة مقارنة ذلك الامر فكانه شبه الفيض الصادر بهذا الامر على هيوليات الاجسام الفلكية
بالدنيا الهامنة على الاماكن التي يجتمع بها ويقيم او ارادات الحال القابلة لذلك الامر المستلزم صدوره لدائمة بانية واشار بعصفه مجراها الى سرعة
ذلك الامر كما وصفه بالريح الاولى وبعد منشاها الى علو اوليته مبدأه وبامره لهذه الريح الى نسبة ذلك الامر الى ذاته كما مر وبصفق
الماء الزخار واثارة امواج البحار الى نسبة فيضان صور الافلاك وكمالاتها الى امره سبحانه بواسطة تلك الكمالات العقلية للملائكة ولانها
عنهم مستقلة بايجاد شيء بل هي شرائط بعضها لبعض ولغيرها وبالبحار الى تلك الملائكة وبمخضها له محض السقاء وعصفها به كعصفها
بالفضاء وترديد بعضه على بعض والى قوة امر الله عليها وتصريفها على حسب علمه بنظام الكل وتفقد برمنا الكل فلك من الكمالات في ذات
كل مبدأ من تلك المبادي وقوله حتى عب عبابه اشارة الى بلوغ كمالات تلك الملائكة الحاصلة لها بالفعل عن امر الله الى رتبة ان
يعطى بواسطتها الفيض لغيرها وكذلك قوله ورمى بالزبد ركامه اشارة الى اعطاء صور الافلاك وكمالاتها بواسطتها ولما كانت صور
الافلاك محتاجة في قيامها في الوجود الى الهيولى كانت نسبتها الى الملائكة المجردة نسبة اخس الى اشرف فبالحري ان اطلق عليها اسم الزبد
ولان هذه الصور حاصلة من تلك الكمالات العقلية وفائضة عنها كما ان الزبد منفصل عن الماء ومتكون عنه فتشابها واما رفعه في هواء
منفتق وجو منفهق فاشارة الى الحاق صور الافلاك بموادها المستعدة او الى تخصيص جودات الافلاك باحيازها ورفعها اياها وقوله
فسوى منه سبع سموات اشارة الى كمال الافلاك بما هي عليه من الوضع والتعديل والترتيب واما تخصيصه بالسبع فلان الفلكين الباقيين
في الشريعة معروفان باسمين اخرين وهما العرش والكرسي ثم قالوا والى هذا اشار الحكماء السابقون ايضا فان مرادنا ان المطلق بالعنصر الاول
هو المبدع الاول وكونه هو الماء لان المبدع الاول واسطة في باقي الموجودات وفيه صورها وعنه تفاض كمالاتها كما ان بالماء قوام كل
حي عنصري وبواسطته تكون وكذلك ستر ما جاء في التوراة فان المراد بالجوهر المخلوق لله ولا هو المبدع الاول وكونه نظر اليه نظر
الهيبة وذوبان اجزائه اشارة الى صدور الفيض عنه بامر الله سبحانه وتدويره والزبد الذي تكونت منه الارض والدخان الذي
تكونت منه السموات اشارة الى كمالات السموات والارض وصورها الصادرة عن كمالات عللها الصادرة والبخار والزبد عن الماء وكل

والحدة

هذه تجوزات واستعارات يلاحظ في نقلها حسنها ورعاية المناسبة وبعد ما **الوجه الثاني** قالوا يحتمل ان يكون مراده بالريح الاولى
هو العقل الاول فانه الحامل للفيض الالهي الى ما بعده وهو المحيط بصور الموجودات ويؤيد ذلك قوله الهواء من تحتها فتيق والماء من
فوقها دفيق فان الهواء اشارة الى القوابل بعده وبواسطته والماء اشارة الى الفيض الصادر عن الاول سبحانه فان التدفق لما كان
مستلزما لسرعة حركة الماء وجريانه عبر به عن الفيض الذي لا توقف فيه والريح الثانية عن العقل الثاني فانه هو الواسطة في افاضة
انوار الله سبحانه على ما بعده من العقول التي بواسطتها صور السموات السبع وعصف الريحين بالعصف والقصف الى ... اشاده م
المباينين من القدرة وامره للريح الثانية بتصفيق الماء الزخار واثارة موج البحار اشارة الى تحريك العقل الثاني للعقول التي بعده
الحافظة كالات الافلاك بامر الله تعالى وباقي التاويل كما في التاويل الاول **قوله** جعل سفلاهن موجا مكفوفا الى قوله وسقف
سائر ورقيم **اقول** ههنا ابحاث **البحث الاول** هذا الكلام يجري مجرى الشرح والتفسير لقوله فسوى لان التسوية عبارة عن التعديل
والوضع والهيئة التي عليها السموات بما بينهن والغرض بهذا التفصيل تنبيه الاذهان الغافلة عن حكمة الصانع سبحانه في ملكوت
السموات وبدائع صنعه وضروب نعمه لتذكروا نعمة ربهم فيواظبوا عبادته وحمده على تمام ذلك الاحسان كما قال تعالى لتذكروا نعمة ربكم
اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فان كل هذه نعم على العباد وهي وان كان فيها ما يبعد عن الاذهان
الضعيفة كونه نعمة على العباد كحركات السموات مثلا فاني احسب كثيرا من الغافلين يقولون وما فائدة حركة السماء في حقنا لكنه
اذا انبهت اذهانهم لذلك علمت انه لولا تلك الحركة لم يحصل شيء من المركبات في هذا العالم اصلا فلم يكن للعبد في نفسه فضلا عما يجري
عليه من النعم الخارجة عنه الا ان تلك الحركة قد تستلزم نعما هي اقرب الى العبد من غيرها كالاستضاءة بنور الكواكب والاهتداء
بها في ظلمات البر والبحر واعدادها الابدان للصحة ونحو ذلك وقد يستلزم نعما اخرى الى ان يتصل بالعبد كاعدادها الارض مثلا
لحصول المركبات التي منها قوام حياة العبد واعلم ان الله سبحانه ذكر امر السموات في كتابه في مواضع كثيرة ولا شك ان اكثاره من ذكرها
دليل عظم شانها وعلى ان له سبحانه فيها اسرارا لا تصل اليها عقول البشر اذا عرفت ذلك فاعلم ان قوله وعلياهن سقفا محفوظا كقوله
تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقوله تعالى وحفظناها من كل شيطان رجيم وقوله وحفظا من كل شيطان مارد وقوله وسمكا مرفوعا
بغير عمد تدعمها ولا دسار ينتظمها كقوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها وقوله ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه وقوله ثم
زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب كقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وقوله واجرى فيها سراجا مستطيرا وقمرا منيرا
كقوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا **البحث الثاني** في هذا الفصل استعارات الاولى قوله جعل سفلاهن
موجا مكفوفا استعار لفظ الموج للسماء لما بينهما من المشابهة في العلو والارتفاع وما يتوهم من اللون وقال بعض الشارحين اراد
انها كانت في الاولى موجا ثم عقدها وكفها اي منعها من السقوط الثانية قوله سقفا محفوظا استعارة لفظ السقف من البيت
للسماء في الاصل لما بينهما من المشابهة في الارتفاع والاحاطة ثم كثر ذلك الاستعمال حتى صار اسما من اسماء السماء ويحتمل ان لا يكون
منقولا واراد بقوله محفوظا اي من الشياطين قال ابن عباس رض كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويخبرون
اخبارها فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلعم منعوا من السموات كلها فما منهم احد استرق السمع الا رمي بشهاب
فذلك معنى قوله تعالى وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين وسنشير الى سر ذلك ان شاء الله تعالى
قوله بغير عمد تدعمها ولا دسار ينتظمها **اقول** لما كان مقتضى قدرة العبد وغايتها اذا تمكن من بناء بيت وانشاء سقف
انه لا بد له من اساطين وعمد يقوم عليها ذلك السقف وروابط تشد بعضه الى بعض وكانت قدرة الحق سبحانه وتعالى اجل واعلى
من الحاجة الى مثال ذلك اراد ان يشير الى عظمته سبحانه وقوة قهره بسلب صفات المخلوقين عنه وشرائط آثارهم عن قدرته والمعنى
ان هذه الاجرام العظيمة بقيت واقفة في الجو العالي ويستحيل ان يكون وقوفها هناك لذواتها لان الاجسام متساوية في الجسمية
فلو وجب حصول جسم في حيز لوجب حصول كل جسم في ذلك الحيز ولان الاحياز والخلاء متشابه فلا اختصاص بحيز لوقوع دون اخر
ولا يجوز ان يقال انها معلقة بجسم اخر والا لكان الكلام في وقوف ذلك الجسم في الجو كالكلام في الاول ويلزم التسلسل فلم يبق الا
ان يقال ان وقوفها بقدرة الصانع الحكيم القادر المختار وان قلت قوله تعالى ترونها يفهم منه ان هناك عمدا ولكنها غير مرئية لنا
وذلك ينافي سلبه للعمد مطلقا قلت الجواب عنه من وجوه **احدها** انه يحتمل ان يكون قوله ترونها كلاما مستأنفا والتقدير رفعها بغير
عمد وانتم ترونها كذلك **الثاني** يحتمل ان يكون في الكلام تقديم وتاخير كما نقل عن الحسن البصري انه قال التقدير ترونها بغير عمد
الثالث وهو الالطف ما ذكره الامام فخر الدين ره فقال ان العماد هو ما يعتمد عليه والسموات معتمدة وقائمة على قدرة الله تعالى فكانت
هي العمد التي لا ترى وذلك لا ينافي كلامه **الرابع** وهو الاحق ما ذكرته وهو انه قد ثبت في اصول الفقه ان تخصيص الشيء بحكم
لا يدل على ان حكم غيره بخلاف ذلك الحكم فتخصيص العمد المرئية للسموات بالسلب لا يستلزم ثبوت العمد غير المرئية لها الثالثة

الثواقب استعارة في الاصل للشهب عن الاجسام التي تثقب جسما اخر وينفذ فيه ووجه المشابهة التي لاجلها سميت الشهبات ثاقبة انها تثقب بنوره الهواء كما تثقب جسم جسما لكنه لكثرة الاستعمال فيه صار حال الامر عليه حقيقة او فيه بيانها الرابعة قوله سراجا مستطيرا استعارة للشمس ووجه المشابهة ان السراج الضوئي المستطير لما كان من شأنه ان يضيء ما حوله وينتشر في جميع نواحي البيت ويهتدي به من الظلمة كذلك الشمس مضيئة لهذا العالم ويهتدي بها المتصرف فيه الخامسة قوله رقيم استعارة اصلية للفلك تشبيها له باللوح المرقوم فيه ثم كثر استعمال هذا اللفظ في الفلك حتى صار اسما من اسمائه **البحث الثالث** اعلم ان هذه الاستعارات تستلزم ملاحظة اخرى وهو تشبيه هذا العالم بابره ببيت واحد فالسماء كقبة خضراء نصبت على الارض وجعلت سقفا محفوظا محجوبا عن ان تصل اليه مردة الشياطين كما يحمى عرف البيت بالسهام والحراب عن مردة اللصوص ثم هو مع غاية علوه وارتفاعه غير محمول بعمد يعمد ولا منظوم بدسائس بل بقدرة صانعه ومبدعه ثم ان القبة منيرة بالكواكب وضياؤها الذي هو احسن الزينة واكملها فلو لم يحصل صور الكواكب في الفلك لبقي سطحا مظلما فلما خلق الله تعالى هذه الكواكب المشرقة في سطحه الاجرم استنار وازدان بذلك النور والضوء كما قال ابن عباس في قوله بزينة الكواكب اي بضوئها وانت اذا تاملت هذه الكواكب المشرقة المضيئة في سطح الفلك وجدتها عند النظر اليها كجواهر مرصوصة في سطح من زمرد على اوضاع اقتضتها الحكمة او كما قال و

كان اجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط ازرق

ثم جعل من جملتها كوكبين هما اعظم الكواكب جرما واشدها اشراقا وتمها ضياء مع اشتمالها على تمام الحسن والترتيب جعل احدهما ضياء للنهار والاخر ضياء لليل ثم لم يجعل ذلك السقف ساكنا ما جعله متحركا ليكون اثر صنعه فيه اظهر وصنع حكمته فيه ابدع ثم لم يجعل ذلك السقف طبقا واحدا بل اطباقا فاسكن في كل طبق ملأ من جنوده وخواص ملكه الذين ضرب بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة فلا يستطيع احد ان ينظر اليهم فضلا عن ان يتشبه بالكمهم وخالقهم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا هذا هو الحكمة الظاهرة التي بينته لها من له ادنى فطنة فيجعل منها عبرة شاملة لاصناف الخلق بحيث لا الاحظوا مع جزئي من جزئيات اثار هذه القدرة اي اثر كان استعظم واستحسن مرأى ملك فرض من ملوك الدنيا لم يكن شيئا من المناسبة الا الاجمال الضعيف فاي خان اي ملك فرض اذا اهتم بوضع بنيان وبالغ في تحسينه فنزو بنى سقوفه ورصعها بانواع الجواهر فمنزينه بالاوضاع المعجبة لابناء نوعه وبذل فيه جهده واستفرغ فيه فكره لم يكن غايته الا ان يحط تمام علمه نسبة خيالية بعيدة الى هذا الصنع العجيب والترتيب اللطيف هذا مع ما اشتمل عليه من الحكم الخفية والاسرار الالهية التي يعجز القوى البشرية عن ادراكها ويحتاج فيما لاح منها الى لطف قريحة وتوقد ذهن فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون فانظر ايها المستبصر بعين بصيرتك المناسبة بين بيتك الذي تبنيه وهذا البيت العظيم وتفتش سراجك الى سراجه وتزيينك الى زينته ثم لاحظ مع ذلك انه انما خلقه لك ولابناء نوعك ليكون فيه وضمنه قوام حيوتكم ووجودكم ولتستدلوا بملكوت ما خلق على كمال قدرته وحكمته لترجعوا بذلك الى حضرة الطاهر من الرجس متشبهين بسكان سقف هذا البيت وعزته لا ان له حاجة اليه فانه الغني المطلق الذي لا حاجة به الى شيء والعجب ان الانسان انه ربما راى خطا حسنا او نقشا على حائط فلا يزال يتعجب من حسنه وحده وصانعه ثم يرى هذا الصنع العجيب والابداع اللطيف فلا يدهشه عظمة صانعه وقدرته ولا يحيره جلال مبدعه وحكمته **البحث الرابع** الشرع والبرهان قد تطابقا على ان ههنا تسع افلاك بعضها فوق بعض فيها سبع سموات ثم الكرسي والعرش بعبارة الناموس الالهي ثم اكثرها تشتمل على الكواكب وهي اجرام نورانية مستديرة مصمتة مركوزة في اجرام الافلاك فاول الافلاك مما يلينا ليس فيه من الكواكب الا القمر وليس في الثاني الا عطارد وليس في الثالث الا الزهرة وليس في الرابع الا الشمس وليس في الخامس الا المريخ وليس في السادس الا المشتري وليس في السابع الا زحل وهذه هي المسماة بالكواكب السبعة السيارة وما سواها من الكواكب فيشتمل عليها الفلك الثامن واما التاسع فخال عن الكواكب وان كان فليس بمدرك لنا ثم قد دل البرهان على ان الافلاك هي المتحركة بما فيها من الكواكب وان تلك الحركة دورية وكان كلامه مطابقا لذلك حيث قال في فلك دائر وسقف سائر ورقيم مائر اذا عرفت ذلك فاعلم ان الله سبحانه خلق الموجودات كلها على اتم انحاء الوجود وكلها لجميع الموجودات من الافلاك ومقاديرها واعدادها وحركاتها المختلفة وهيأتها وهيئة الارض وما عليها من حيوان ونبات ومعدن ونحوه انما وجد على الوجه الذي وجد عليه لحصول النظام الكلي للعالم ولو كان بخلاف ما عليه لكان شرا ونقصا فخلق الافلاك والكواكب وما هي عليه من الحركات والاوضاع وجعلها اسبابا لحدوث الحوادث في عالم الكون والفساد بواسطة كيفيات تحدث فيها منها من حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة يوجب ذلك امتزاج بعضها ببعض فتحصل امزجات مختلفة مستعدة لقبول صور مختلفة من حيوان ونبات ومعدن واظهر الكواكب تاثيرا هو الشمس والقمر فان بحركة الشمس اليومية يحصل النهار والليل فالنهار هو زمان طلوعها يكون زمان التكسب والطلب للمعاش الذي به يحصل قوام الحيوة ويكون سببا الى السعادة

الاخروية ثم انها في مدة حركتها اليومية لا تزال تدور وتقع في جهة بعد جهة حتى تنتهي الى المغرب فقد اخذت كل جهة من الجهات حظا من الاشراق في الاستعداد به واما الليل فهو زمان غروبها فان فيه هدوء الخلق وقرارهم الذي به يحصل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء كما قال تعالى هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا ثم كانت الشمس من جهة ضوئها كسراج يرتفع لاهل كل بيت بمقدار حاجتهم ثم يرفع مضاد النور والظلمة على تضادهما متظاهرين على ما فيه مصلحة هذا العالم واما بحسب حركاتها الجنوبية والشمالية فقد جعل سبحانه ذلك سببا لاقامة الفصول الاربعة ففي الشتاء تغور الحرارة والنبات فيتولد منها مواد الثمار ويكثر السحاب والامطار ويقوى ابدان الحيوانات بسبب احتقان الحرارة الغريزية في البواطن وفي الربيع تتحرك الطبايع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء فيطلع النبات وينور الشجر ويهيج الحيوان للفساد وفي الصيف يحتد الهواء فينضج الثمار وتنحل فضول الابدان ويجف وجه الارض ويتهيا للبناء والعمارة وفي الخريف يظهر اليبس والبرد فينتقل فيه الابدان على التدريج الى الشتاء فانه لو وقع الانتقال دفعة لهلكت وفسدت واما القمر فان بحركته يحصل الشهور والاعوام كما قال سبحانه ولتعلموا عدد السنين والحساب فيتمكن العبد بالحساب من ترتيب معاشه بالزراعة والحراثة واعداد مهمات الشتاء والصيف وباختلاف حاله في زيادته ونقصانه يختلف احوال الرطوبات في هذا العالم فلو انه سبحانه خلق الافلاك دون الكواكب لكان ان خلقها مظلمة لم يحصل ما ذكرنا من اختلاف الفصول والحر والبرد فلم يتم في هذا العالم ما كانت اسبابا فيه من الاستعدادات ولم يتميز لها فصل عن فصل كما قال تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون وقوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وان خلقها مضيئة تشابه اثرها في الامكنة والازمنة بل خلق فيها الكواكب ولم يجعلها ساكنة والا لافرط اثرها في موضع بعينه فيفسد استعداده ويخلو موضع اخر عن التاثيرات ولما تميزت فصول السنة ولما حصل البرد المحتاج اليه والحر المحتاج اليه فلم يتم نشو النبات والحيوان وعلى الجملة فالنظام الكلي لا يحصل الا بهذا الوجه فهو اكمل انحاء الوجود وكل ذلك يدل على كمال رحمة الله بخلقه وشمول عنايته لهم اذ كان جميع ما ذكرنا من المنافع الحاصلة في هذا العالم مستندا الى علو تدبيره وكمال حكمته كما قال تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار واتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار لا يقال السؤال على ما ذكرتم من وجهين احدهما ان الترتيب الذي ذكرتموه في تخصيص كل فلك ببعض الكواكب يشكل بقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح الثاني ان الشهب الثواقب التي جعلت رجوما للشياطين على ما نطق به القرآن الكريم اما ان يكون من الكواكب التي زينت بها السماء او لا تكون والاول باطل لان هذه الشهب تبطل بالانقضاض وتضمحل فكان يلزم من ذلك على مرور الزمان فناء الكواكب ونقصان اعدادها ومعلوم انه لم يوجد ذلك النقصان البتة والثاني انه يشكل بقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فانه نص على كون الشهب التي جعلت رجوما للشياطين هي تلك المصابيح والكواكب التي زينت بها السماء لانا نجيب عن الاول بانه لا منافاة بين ظاهر الاية وبين ما ذكرناه وذلك ان السماء الدنيا لما كانت لا تحجب ضوء الكواكب وكانت اوهام الخلق حاكمة عند النظر الى السماء ومشاهدة الكواكب بكونها مزينة بها لاجرم صح قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب لان الزينة بها انما هي بالنسبة الى اوهام الخلق للسماء الدنيا وعن الثاني انا نقول هذه الشهب غير تلك الثوابت الباقية فاما قوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فنقول كل مضيء حصل في الجو العالي وفي السماء فهو مصباح لاهل الارض الا ان تلك المصابيح منها باقية على طول الزمان وهو الثوابت ومنها متغيرة وهي هذه الشهب التي يحدثها الله تعالى ويجعلها رجوما للشياطين ويصدق عليها انها زينة السماء ايضا بالنسبة الى اوهامنا وبالله التوفيق **قوله** ثم فتق ما بين السموات العلى الى قوله ولا يشرفون اليه بالنظر وفيه ابحاث **البحث الاول** هذا الفصل يتضمن تمام التفسير لقوله فسوى منه سبع سموات اذ كان ما اشار اليه ههنا من فتق السموات الى طبقاتها واسكان كل طبقة منها ملأ معينا من ملائكته هو من تمام التسوية والتعديل لعالم السموات فان قلت لم اخر ذكر فتق السموات واسكان الملائكة لها عن ذكر اجراء الشمس والقمر فيها وتزيينها بالكواكب معلوم ان فتقها متقدم على اختصاص بعضها ببعض الكواكب قلت لان اشارته الى تسوية السموات اشارة جملية فكانه قد قال ان خلق السموات كرة واحدة كما عليه بعض المفسرين لقوله تعالى ان السموات والارض كانتا رتقا ثم ذكر علياهن وسفلاهن تجريا بهما مجرى السطحين الداخل والخارج لتلك الكرة ثم اشار الى بعض كمالاتها وهي الكواكب والشمس والقمر جملة ثم بعد ذلك اراد التفصيل فاشار الى تفصيلها وتمييز بعضها عن بعض بالفتق واسكان كل واحدة منهن ملأ معينا من الملائكة ثم عقب ذلك بتفصيل الملائكة ولا شك ان تقديم الاجمال على التفصيل في الذكر وتعقيبه بالتفصيل اولى في الفصاحة والبلاغة في الخطابة من العكس اذا عرفت ذلك فنقول قوله ثم فتق ما بين السموات العلى

كقوله تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وقوله فملائكة من اطوار املاكه منهم سجود لا يركعون كقوله تعالى ولله يسجد
من في السموات والارض وقوله وله يسجدون ونحوه وقوله وصافون لا يزايلون كقوله تعالى وانا لنحن الصافون والصافات صفا
وقوله ومسبحون لا يسأمون كقوله تعالى يسبحون الليل والنهار وقوله ولا فترة الابدان كقوله تعالى لا يفترون وقوله ومنهم امناء على
وحيه كقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقوله والسنة الى رسله كقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا وقوله مختلفون بقضائه
وامره كقوله ينزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقوله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها من امره على من يشاء من عباده وقوله
ومنهم الحفظة لعباده كقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله وان عليكم لحافظين وقوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه
من امر الله وقوله والسدنة لابواب جنانه كقوله تعالى وقال لهم خزنتها وقوله ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم كقوله تعالى ويحمل عرش ربك
فوقهم يومئذ ثمانية وقوله بانجحتهم كقوله تعالى اولي اجنحة **البحث الثاني** اعلم ان للناس في تفسير قوله اولم ير الذين كفروا ان
السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما اقوالا **احدها** قال ابن عباس والضحاك وعطا وقتادة ان السماء والارض كانتا شيئا
واحدا ملتزقين ففصل الله بينهما في الهواء **الثاني** قال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا توسطها ففتحها بها
الثالث قال مجاهد والسدي كانت السموات طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع سموات وكذلك الارض **الرابع** قال عكرمة وعطية
وابن عباس برواية اخرى عنه ان معنى كون السماء رتقا انها كانت لا تمطر وكانت الارض رتقا اي لا تنبت نباتا ففتق الله السماء بالمطر والارض
بالنبات ويؤيد ذلك قوله تعالى بعد ذلك وجعلنا من الماء كل شيء حي ونظيره قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وقوله والارض ذات
الصدع وقوله تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا الاية **الخامس** قال بعض الفضلاء ان معنى قوله كانتا
رتقا اي كانتا امورا كلية في علم الله تعالى وفي اللوح المحفوظ وقوله ففتقناهما اشارة الى تشخصاتها في الوجود الخارجي وتميز بعضها عن بعض
وهذا القول مناسب للاقوال الثلثة الاول ويصح تحقيقا لها ويحمل الريح التي ذكرها كعب على امر الله تعالى اشتمالها بينهما من المشابهة
السرعة **السادس** قال بعضهم ان معنى الرتق في هذه الاية هو انطباق دائرة معدل النهار على منطقة البروج ثم ان الفتق بعد ذلك عبارة
عن ظهور الميل قالوا ومما يناسب ذلك قول ابن عباس وعكرمة فانهما لما قالوا ان معنى كون السماء رتقا انها لا تمطر ومعنى كون الارض رتقا
انها لا تنبت كان الفتق والرتق بالمعنى الذي ذكرناه اشارة الى سببا ما ذكروه اذ انطباق الدائرتين وهو الرتق يوجب خراب العالم السفلى
وعدم المطر وظهور الميل الذي هو الفتق يوجب وجود الفصول وظهور المطر والنبات وساير انواع المركبات اذا عرفت ذلك فاعلم ان
قوله ثم فتق ما بين السموات لعله موافق للاقوال الثلثة الاولى مع القول الخامس والتحقيق به اليق واما القول السادس فهو
بعيد المناسبة لقوله وبيان ذلك ان قوله ثم فتق ما بين السموات لعله انما هو في معرض بيان كيفية تخليق العالم الاعلى ولذلك
اردفه وعقبه بالفاء في قوله فملأهن اطوارا من ملائكته والرتق والفتق في هذا القول متأخر عن كمال الاجرام العلوية بما فيها وما
يتعلق بها ولا يقبل تقدم ظهور الميل بوجه ما على وجود الملائكة السماوية واسكانها اطباق السموات وبالله التوفيق **البحث
الثالث** الملائكة على انواع كثيرة ومراتب متفاوتة فالمرتبة الاولى الملائكة المقربون كما قال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله
ولا الملائكة المقربون **الثانية** الملائكة الحاملون للعرش كقوله الذين يحملون العرش وقوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ
ثمانية **الثالثة** الحافون حول العرش كما قال تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش وقوله ومن حوله **الرابعة** ملائكة السموات
والكرسي **الخامسة** ملائكة العناصر **السادسة** الملائكة الموكلون بالمركبات من المعادن والنبات والحيوان **السابعة** الملائكة
الحفظة الكرام الكاتبين كما قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين ويدخل فيهم المعقبات المشار اليه بقوله تعالى له معقبات من
بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله **الثامنة** ملائكة الجنة وخزنتها كما قال تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم **التاسعة**
ملائكة النار كما قال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد وقال عليها تسعة عشر وقال وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اذا عرفت
ذلك فنقول اتفق الكل على ان الملائكة ليس عبارة عن اشخاص جسمانية كثيفة تجيء وتذهب كالناس والبهائم بل القول
المحصل فيها قولان الاول هو قول المتكلمين انها اجسام نورانية الهية خيرة سعيدة قادرة على التصرفات السريعة والافعال
الشاقة ذوات عقول وافهام وبعضها اقرب عند الله من البعض واكمل درجة كما قال تعالى حكاية عنهم وما منا الا له مقام معلوم
والقول الثاني قول غيرهم وهي انها ليست باجسام لكن منها ما هو مجرد عن الجسمية وعن تدبير الاجسام ومنها من له الامر بتدبيرها
الثاني ومنها ليس بمجرد بل جسماني حال في الاجسام وقايم بها ولهم في تنزيل المراتب المذكورة على قولهم تفصيل اما المقربون فا
شارة الى الذوات المقدسة عن الجسمية واللهية وعن حاجتها الى القيام بها وعن تدبيرها واما حملة العرش فالارواح الموكلة
بتدبير العرش وقيل هم الثمانية المذكورة في القران الكريم ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم رؤساء الملائكة المدبرين
للكرسي والسموات السبع وذلك ان هذه الاجرام لها كالابدان فهي لا بد لها اشخاص حاملون للعرش فوقهم واما الحافون حول

العرش هي الارواح الحاملة للكرسي والموكلة والمتصرفة فيه واما ملائكة السموات فالارواح الموكلة بها والمتصرفة فيها بالتحريك والارادة باذن
الله عز وجل وكذلك ملائكة العناصر والجبال والبحار والبراري والقفار وساير المركبات من المعدن والنبات والحيوان المسخر كل منها
لفعله المخصوص على اختلاف مراتبها فاما الملائكة الحافظون الكرام الكاتبون فلهم فيها اقوال **احدها** قال بعضهم ان الله تعالى خلط
الطبايع المتضادة ومزج بين العناصر المتنافرة حتى استعد ذلك الممتزج بسبب ذلك الامتزاج لقبول النفس المدبرة والقوى الحسية
والمحركة فالمراد بتلك الحفظة التي ارسلها الله هي تلك النفوس والقوى التي تحفظ تلك الطبايع المقهورة على امتزاجاتها وهي ايضا تضبط
على نفسها اعمالها والمكتوب في الواحها صور ما تفعله لتشهد به على نفسها يوم القيمة كما قال تعالى قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم
الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين وهي المعقبات من بين يدي الانسان ومن خلفه الحافظون له من امر الله وقيل
الحفظة للعباد غير الحفظة على العباد والكاتبين لاعمالهم وسنشير الى ذلك **الثاني** قال بعض القدماء ان هذه النفوس البشرية و
الارواح الانسانية مختلفة بجواهرها فبعضها خيرة وبعضها شريرة وكذا القول في البلادة والذكاء والفجور والعفة والحرية والنذالة
والشرف والدناءة وغيرها من الهيئات ولكل طائفة من هذه الارواح السفلية روح سماوي هو لها كالاب المشفق والسيد الرحيم
يعينها على مهماتها في يقظتها ومناماتها تارة على سبيل الرؤيا واخرى على سبيل الالهامات وهي مبدأ لما يحدث فيها من خير وشر
وتعرف تلك المبادي في مصطلحهم بالطباع التام يعني ان تلك الارواح الفلكية في تلك الطباع والاخلاق تامة كاملة بالنسبة
الى هذه الارواح السفلية وهي الحافظة لها وعليها كما قال تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة **الثالث** قول
بعضهم ان النفوس المتعلقة بهذه الاجساد متشاكلة ومتشابهة مع النفوس المفارقة عن الاجساد فيكون لتلك المفارقة ميل الى النفوس
التي لم تفارق فيكون لها تعلق ايضا بوجه ما بهذه الابدان بسبب ما بينها وبين نفوسها من المشابهة والموافقة فتصير معاونة لهذه
النفوس على مقتضى طباعها وشاهدة عليها كما قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد
واما ملائكة الجنة فاعلم ان الجنات المذكورة في القران ثمان وهي جنة النعيم وجنة الفردوس وجنة الخلد وجنة المأوى وجنة عدن
ودار السلام ودار القرار وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين ومن وراء الكل عرش الرحمن ذي الجلال والاكرام اذا عرفت
ذلك فاعلم ان لهذه الجنات سكانا وخزانا من الملائكة اما السكان فهم الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم الذين يتلقون عباد الله الصالحين بالشفقة والبشارة بالجنة وذلك ان الانسان الطايع
اذا كملت طاعته وبلغ النهاية في الصورة الانسانية واستحق باعماله الصالحة وما اكتسبه من الافعال الزكية صورة ملكية ورتبة
سماوية يتلقيه الملائكة الطيبون بالرأفة والرحمة والشفقة ويقبلوه بالروح والريحان ويقبلوه كما تقبل القوابل و
الدايات اولاد الملوك بفاخر امور الدنيا وطيبات روايحها من ملابس السندس والاستبرق وبالفرح والسرور ويرفعوه الى الجنة
متعاينين البهجة والسرور ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويبقى معهم غالما دركا ما شاء ثواب عطاء غير مجذوذ
ويتصل باخوانه المؤمنين في الدنيا اخباره واحواله ويتراى لهم في مناماتهم بالبشارة والسعادة وحسن المنقلب اذا كان يوم
القيمة الكبرى عرجت به ملائكة الرحمة الى جنان النعيم والسرور المقيم لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى في غرف من فوقها
غرف مبنية تجري من تحتهم الانهار واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين قال بعض حكماء الاسلام ان تلك الملائكة المتلقية
له بالروح والريحان هي روحانيات الزهرة والمشتري كان القايل يقول ان النفوس الانسانية السعيدة اذا فارقت ابدانها و
حملت القوة المتوهمة معها والهيئات المتخيلة المحصلة من الوعد الكريم في دار الدنيا من الجنان والحدائق والانهار والاثمار
والحور العين والكاس المعين واللؤلؤ والمرجان والولدان والغلمان فانه يفاض عليها بحسب استعدادها وطهارتها وحاجاتها ثواب
الاخرة صور عقلية في غاية البهاء والزينة مناسبة لما كانت متخيلة من الامور المذكورة مناسبة ما ولما كان لهذين الكوكبين اثر
تام في اعداد النفوس للمتخيلات البهية الحسنة وللفرح والسرور كما ينسب في المشهور الى روحانيتهما من الافعال الحسنة نسب تلقي
الانسان بعد المفارقة بالرأفة والرحمة والشفقة الى روحانيتهما والله اعلم واما الخزنة للجنان فيشبه ان يكون هم السكان لها ايضا
باعتبار اخر وذلك انه لما كان الخازن هو المتولي لاحوال ابواب الخزانة بفتحها وتفريق ما فيها على مستحقيها باذن رب الخزانة وما
وغلقها ومنعها عن غير مستحقها وكانت الملائكة هم المتولين لافاضة الكمالات وتفريق ضروب الاحسان والنعم على مستحقيها و
حفظها ومنعها من غير مستحقها والمستعد بالطاعة لها باذن الله وحكمه لا جرم صدق انهم خزان الجنان بهذا الاعتبار فهم الذين
يدخلون على المؤمنين من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال بعض الفضلاء ان العبد اذا راض نفسه حتى استكمل
مراتب القوة النظرية ومراتب القوة العملية فانه يستعد بكل مرتبة من تلك المراتب لكمال خاص يفاض عليه من الله تعالى ويأتيه
به الملائكة فيدخلون عليه من كل باب من تلك الابواب بالسلام والتحية والاكرام ثم ان الرضا بقضاء الله من خير وشر باب عظيم من

الابواب فالملك الذي يدخل على الانسان منه برضاء الله كما قال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه هو رضوان الله خازن الجنان والله
اعلم واما ملائكة النار فقال بعض الفضلاء هي تسعة عشر نوعا من الزبانية لا يعصون الله ما امرهم وهم الخمسة الذين ذكرنا انهم
يوردون عليه الاخبار من خارج وبينهم والخازنان والحاجبان للملك المتصرف بين يديه بانك دبره وملكا الغضب والشهوة و
السبعة الموكلون بامر الغذاء وذلك انه اذا كان يوم الطامة الكبرى وكان الانسان ممن طغى وآثر الحيوة الدنيا كانت الجحيم
هي المأوى كانت اولئك التسعة عشر من الزبانية هم الناقلين له الى الهاوية بسبب ما استكثر من المشتهيات واقترف من السيئات
واعرض عن قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وان الى ربك المنتهى والله اعلم وفقك
الله ان هؤلاء الذين ذكرهم هذا القائل هم ملئكة النار وربما كانوا ايضا مع انسان آخر من ملائكة الجنان وذلك اذا استعمل
ذلك الانسان في دار الدنيا على وفق اوامر الله واوقفهم على طاعة الله دون ان يطيعهم فوق ما خلقوا لاجله وامر به من طاعتهم
وبعثهم الى معصية الله وارتكاب نواهيه ومحارمه وبالله التوفيق **البحث الرابع** انه تعالى ذكر من الملائكة انواعا واشار
بالسجود والركوع والصف والتسبيح الى تفاوت مراتبهم في العبادة والخشوع وذلك ان الله سبحانه قد خص كلا منهم بمرتبة معينة
من الكمال في العلم والقدرة لا يصل اليها من دونه وكل من كانت نعمة الله عليه اكمل واتم كانت عبادته اعلى وطاعته اتم ثم ان
السجود والركوع والصف والتسبيح عبادات متغايرة من الخلق ومتفاوتة في استلزام كمال الخضوع والخشوع ولا يمكن حملها
على ظواهرها المفهومة منها لان وضع الجبهة على الارض وانحناء الظهر والوقوف في خط واحد وحركة اللسان بالتسبيح امور مبنية
على وجود هذه الآلات التي هي خاصة ببعض الحيوانات فبالحري ان يحمل تفاوت المراتب المذكورة على تفاوتها كما انهم في
الخضوع والخشوع لكبرياء الله وعظمته اطلاقا للفظ الملزوم على لازمه على ان السجود في اللغة هو الانقياد والخضوع كما
اذا عرفت ذلك فنقول يحتمل ان يكون قوله منهم سجود اشارة الى مرتبة الملائكة المقربين لان درجتهم اكمل درجات
الملائكة فكانت نسبة عبادتهم وخضوعهم الى خضوع من دونهم كنسبة خضوع السجود الى خضوع الركوع فان قلت انه قد
تقدم ان الملائكة المقربين منزهون عن تدبير الاجسام والتعلق بها فكيف يستقيم ان يكونوا من سكان السموات ومن الاطوار
الذين ملئت بهم قلت ان علاقة الشيء بالشيء واضافته اليه يكفي فيها ادنى مناسبة بينهما والمناسبة ههنا حاصلة بين
الاجرام السماوية وبين هذا الطور من الملائكة وهي مناسبة العلة للمعلول او الشرط للمشروط فكما جاز ان ينسب الى الباري جل
جلاله الاختصاص بالعرش والاستواء عليه في لفظ القرآن الكريم مع تنزيهه تعالى وتقدسه من هذا الظاهر ولم يجز في الحكمة
ان يكشف للخلق من عظمة الحق سبحانه اكثر من هذا القدر فكذلك جاز ان ينسب الملائكة المقربون الى الكون في السموات
بطريق الاولى وان تنزهوا عن الاجسام وتدبيرها لان عليا ع قاصد قصد الرسول صلعم وقصد القرآن الكريم وناطق به فلابد
له ان يفصح بما نبهوا عنه الافهام وبالله التوفيق **قوله** وراكع يشبه ان يكون اشارة الى حملة العرش اذ كانوا اكمل من دونهم فكانت
نسبة عبادتهم الى عبادة من دونهم كنسبة خضوع الركوع الى خضوع الصف **قوله** وصافون يحتمل ان يكون اشارة الى الملائكة
الحافين من حول العرش قيل انهم يقفون صفوفا لاداء العبادة كما اخبر تعالى عنهم وانا لنحن الصافون وتحقيق ذلك ان لكل واحد
منهم مرتبة معينة لكماله يخصه وتلك الدرجات باقية غير متغيرة وذلك يشبه الصفوف ومما يؤيد القول بانهم الحافون حول
العرش ما جاء في الخبر ان حول العرش سبعين الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير
ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح **قوله** ومسبحون يحتمل ان يكون المراد بهم
الصافون وغيرهم من الملائكة والواو العاطفة وان اقتضت المغايرة الا ان المغايرة حاصلة اذ هم من حيث هم صافون غيرهم من حيث هم
مسبحون وتعدد هذه الاعتبارات يسوغ تعديد الاقسام بحسبها وعطف بعضها على بعض ويؤيد ذلك الجمع بين كونهم صافين و
بين كونهم مسبحين في قوله تعالى وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ويحتمل ان يريد نوعا آخر من انواع ملائكة السموات فاما سلب
الركوع عن الساجدين وسلب الانتصاب عن الراكعين وسلب التزايل عن الصافين وسلب السأم عن المسبحين فاشارة الى كمال
مراتبهم المعينة كل بالنسبة الى من هو دونه وما كتب لها بعدم النقص اذ انات للاخص فان الركوع وان كان عبادة الا انه نقصان بالنسبة
الى السجود والانتصاب نقصان في درجة الراكع بالنسبة الى ركوعه وكذلك التزايل عن مرتبة الصف ونقص فيها وكذلك السأم
في التسبيح نقصان فيه واعراض عن الجهة المقصودة به وايضا فالسأم والملال عبارة عن اعراض النفس عن الشيء بسبب كلال بعض القوى
الطبيعية عن افعالها وذلك غير متصور في حق الملائكة السماوية واما سلب غشيان النوم عنهم في قوله لا يغشاهم نوم العيون فهو
ظاهر الصدق وبيانه ان غشيان النوم لهم مستلزم لصحة النوم عليهم واللازم باطل في حقهم فالملزوم مثله اما الملازمة فظاهرة واما
بطلان اللازم فلان النوم عبارة عن تعطيل الحواس الظاهرة عن افعالها لعدم انصباب الروح النفساني اليها لرجوعها بعد الكلال

والضعف والملائكة السماوية منزهون عن هذه الاسباب والآلات فوجب ان يكون النوم غير صحيح في حقهم فوجب ان لا يغشاهم في حقهم فوجب
ان لا يغشاهم واما سلب سهو العقول وغفلة النسيان فاعلم ان الغفلة عبارة عن عدم التفطن للشيء وعدم تعقله بالفعل وهي اعم من
السهو والنسيان وكالجنس لهما وبيان ذلك ان السهو هو الغفلة عن الشيء مع بقاء صورته او معناه في الخيال او الذكر بسبب اشتغال المفكر
والتفاتها الى بعض مهماتها واما النسيان فهو الغفلة عنه مع انمحاء صورته او معناه عن احدى الخزانتين بالكلية ولذلك يحتاج
الناسي للشيء الى تجشم كسب جديد وكلفة في تحصيله ثانيا وبهذا يظهر الفرق بين الغفلة والسهو والنسيان واذا عرفت ذلك
ظهر ان هذه الامور الثلثة من لواحق القوى الانسانية فوجب ان تكون مسلوبة عن الملائكة السماوية لسلب معروضاتها عنهم
ولما ذكر سهو العقول ونفاه عنهم اردفه بسلب ما هو اعم منه وهو الغفلة لاستلزام سلبها سلب النسيان وقد كان ذلك كافيا في
سلب النسيان الا انه اضاف الغفلة اليه ليتأكد سلبه بسلبها واما قوله ولا فترة الابدان فلان الفترة هي وقوف الاعضاء البدنية
عن العمل وقصورها بسبب تحلل الارواح البدنية وضعفها ورجوعها للاستراحة وكل ذلك من توابع المزاج الحيواني فالاجرم صدق
سلبها عنهم **قوله** ومنهم امناء على وحيه والسنة الى رسله مختلفون بقضائه وامره يشبه ان يكون هذا القسم داخلا في الاقسام
السابقة من الملائكة ولما ذكره ثانيا باعتبار وصف الامانة على الوحي والرسالة والاختلاف بالامر الى الانبياء ع وغيرهم كان من جملة
الملائكة المرسلين جبرئيل ع وهو من الملائكة المقربين واعلم انه لما ثبت ان الوحي وسائر الافاضات من الله تعالى على عباده انما هو بواسطة
الملائكة كما علمت كيفيته ذلك لاجرم صدق ان منهم امناء على وحيه والسنة الى رسله اذ كان الامين هو الحافظ لما كلف بحفظه على
ما هو عليه من غير تحريف وافاضة الوحي انما ذلك بواسطة الملائكة محفوظا نازلا كما هي مبرأ عن الخلل الصادر عن سهو او تعمد لعدم تصور
السهو هناك او عن عمد لعدم الداعي اليه ولقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون واما كونهم السنة الى رسله فهي
استعارة حسنة اذ يقال فلان لسان قومه اي المفصح عن احوالهم والمخاطب عنهم فيطلق عليه اسم اللسان لكونه مفصحا عما في النفس
ولما كانت الملائكة وسائط بين الحق سبحانه وبين رسله في تأدية خطابه الكريم اليهم لاجرم حسن استعارة هذا اللفظ لهم لكان لسانهم
والمراد ههنا بالاختلاف التردد بامر الله وما قضى به مرة بعد اخرى وبالقضاء الامور المقضية اذ يقال هذا قضاء الله اي مقضي الله وقد يراد
به المصدر فان معنى ذلك هو سطر ما كان وما يكون في اللوح المحفوظ بالقلم الالهي وذلك امر قد فرغ منه كما قال صلى الله عليه وآله
جف القلم بما هو كاين فان قلت كيف يصح ان يكون هذا القسم داخلا في السجود لان من كان ابدا ساجدا كيف يتصور ان يكون مع ذلك
مترددا في الرسالة والنزول والصعود مختلفا بالاوامر والنواهي الى الرسل ع قلت قد بينا انه ليس المراد بسجود الملائكة هو وضع الجبهة
على الارض بالكيفية التي نحن عليها وانما هو عبارة عن كمال عبوديتهم لله تعالى وخضوعهم تحت قدرته وذلتهم في الامكان والحاجة
تحت ملك وجوب وجوده ومعلوم انه ليس بين السجود بهذا المعنى وبين ترددهم باوامر الله تعالى واختلافهم بقضائه على وفق مشيته وامره
منافاة بل كل ذلك من كمال عبوديتهم وخضوعهم لعزته واعترافهم بكمال عظمته **قوله** ومنهم الحفظة لعباده فاعلم ان لهذا القسم
مطلوبين احدهما الحفظة والثاني ما المراد منهم ثم الحفظة منهم حفظة للعباد كما قال تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه
من امر الله ومنهم حفظة على العباد كما قال تعالى ويرسل عليكم حفظة والمراد من الاولين حفظ العباد بامر الله تعالى من الآفات التي تعرض لهم و
من الآخرين ضبط الاعمال والاقوال من الطاعات والمعاصي كما قال كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وكقوله ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد قال ابن عباس ان مع كل انسان ملكين احدهما على يمينه والآخر على يساره فاذا تكلم الانسان بحسنة كتبها من على يمينه
واذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظر لعله يتوب منها فان لم يتب كتب عليه قال المفسرون وفائدة ذلك ان
المكلف اذا علم ان الملائكة موكلون به يحصرون عليه اعماله ويكتبونها في صحايف تعرض على رؤس الاشهاد في موقف القيمة كان ذلك
ازجر له عن القبايح واعلم انه يحتمل ان يكون التعدد المذكور في الحفظة تعددا بحسب الذوات ويحتمل ان يكون بحسب الاعتبار فقال بعض من
زعم ان الحفظة للعباد هي القوى التي ارسلها الله تعالى من سماء جوده على الابدان البشرية ويحتمل ان يكون الحفظة على العباد وهي مبادي تلك
القوى ويكون معنى كتبه السيئات والحسنات وضبطها على العباد اما اعتبار ان ما يصدر ويتعدد عن العبد من السيئات والحسنات
في علم تلك المبادي ويكون معناها كتبة صور الافعال الخيرية والشرية الى العبد بقلم الافاضة في لوح نفسه بحسب استعدادها لذلك قال
ويشبه ان يكون اشارة ابن عباس بانتظار ملك اليسار كاتب السيئات توبة العبد الى انه ما دامت السيئة حالا غير ممكنة من جوهر
نفس العبد فان رحمة الله تعالى سبقته فاذا تاب من تلك السيئة لم تكتب في لوح نفسه وان لم يتب حتى صارت ملكة راسخة في نفسه
كتبت وعذب بها يوم تقوم الساعة قال ويحتمل ان يكون الحفظة على العباد هم باعيانهم من الحفظة لهم فان النفس تحفظ في جوهرها
ما يفعله من خير وشر ويحصيه يوم البعث على نفسها اذا زالت عنها العوائق البدنية وتجده مصورا مفصلا لا يغيب عنها منه شيء كما
قال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وكما قال تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا

بالغيبة منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وكما قال فاذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور وقال وانما سميكونهم
من ملائكة السماء فلان اصله من ملائكة السماء ثم ارسلوا الى الارض والله اعلم واما التسمية لا بواب جنانه فقد عرفت ما قيل فيهم
قوله فمنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم المارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاركان اقطارهم والمناسبة لقوائم
العرش اكنافهم فاعلم ان هذه الاوصاف وردت في صفة الملائكة الحاملين للعرش في كثير من الاخبار فيشبه ان يكونوا هم المقصودون
بها ههنا وروى عن ميسرة انه قال ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشد خوفا من اهل
السماء السابعة واهل السماء السابعة اشد خوفا من اهل السماء السادسة وهكذا الى سماء الدنيا وعن ابن عباس قال قال رسول
الله ص لا تتفكروا في عظمة ربكم ولكن تفكروا فيما خلق من الملائكة فان خلقا منهم يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله و
قدماه في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع والوصع طائر صغير وعن
ابن عباس ايضا انه قال لما خلق الله تع حملة العرش قال احملوا عرشي فلم يطيقوا فقال لهم قولوا لا حول ولا قوة الا بالله فلما قالوا ذلك استقل
فنفذت اقدامهم في الارض السابعة على متن الثرى فلم تستقر فكتب في قدم كل ملك منهم اسما من اسمائه فاستقرت اقدامهم ووجه هذا
الخبر ان وجودهم وبقاءهم وحولهم وقوتهم التي بها هم ما هم انما هو من حوله وقوته وهيبته فلو انه سبحانه خلقهم وقال لهم احملوا عرشي ولم
تمع نكن استعانة ولا مدد بحول الله وقوته ومعونته لم ينهضوا بحمل ذرة من ذرات مبدعاته ومكوناته فضلا عن تدبير العرش الذي هو
اعظم الاجرام الموجودة في العالم اذا عرفت ذلك فنقول اما من قال بان الملائكة اجسام كان حمل صفاتهم المذكورة في هذه الاخبار
في كلامه على ظاهرها امرا ممكنا وانه تع قادر على جميع الممكنات واما من نزههم عن الجسمية فقال ان الله سبحانه لما خلق الملائكة
السماوية مسخرة لاجرام السموات مدبرين لعالمنا عالم الكون والفساد واسبابا لما يحدث فيه كانوا محيطين باذن الله علما بما في
السموات والارض فلا جرم كان منهم من ثبتت في تخوم الارض السفلى اقدام ادراكاتهم التي ثبتت واستقرت باسم الله الاعظم وعلمه الاكرم
ونفذت في بواطن الوجودات الموجودات خبرا ومرقت من السماء العليا اعناق عقولهم وخرجت من اقطارها اركان قوائم
العقلية وقوله المناسبة لقوائم العرش اكنافهم يريد انهم مشبهون ومناسبون لقوائم العرش في بقائهم وثباتهم عن التزايل من خشية
ابدا الى ما شاء الله فان قلت فهل هنا لك قوائم غير الحاملين للعرش لكي اشار اليهم وتكون هذه الطائفة من الملائكة مناسبة
لتلك القوائم ام لا قلت قد جاء في الخبران العرش له قوائم روى عن جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن جده ع انه قال ان بين القائمين من قوائم
العرش والقائمة الاخرى خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام قال بعض المحققين ان هناك قوائم ثمان قد فوض الله تع الى كل ملك
من الملائكة الثمانية الحاملين للعرش تدبير قائمة منها وحملها ووكله بها اذا عرفت ذلك فنقول لا يحتمل ان يكون قد اشار ع بقوله
مناسبة لقوائم العرش اكنافهم الى اثبات قوائم العرش واثبات مناسبة الاكتاف هؤلاء الملائكة مع
تلك القوائم ووجه المناسبة ان الكتف لما كان محل القوة والشدة استعاره ع ههنا للقوة والقدرة التي تخص كل ملك من تلك
الملائكة وبها يدبر تلك القوائم من العرش ولا شك ان بين كل قائمة من تلك القوائم وبين كل قدرة من تلك القدرة مناسبة ما لاجلها
خص الله سبحانه ذلك بحمل تلك القائمة وذلك معنى قوله المناسبة لقوائم العرش اكنافهم ويحتمل ان يكون كاستعارهم لفظ الاقدام
استعار لهم ايضا لفظ الاكتاف ثم شبه قيامهم بامر الله في حمله للعرش بقيام الاساطين التي يبنى عليها الواحد مناعرشه فهم مثلمون
مشابهون لقوائم العرش التي يبنى عليها من غير ان يكون هناك تعرض لاثبات قوائم بل لما يشبه القوائم **قوله** ناكسة دونه ابصارهم
متلفعون تحته باجنحتهم القضيبة في دونه وتحته راجعا الى العرش وقد جاء في الخبر عن وهب بن منبه قال ان لكل ملك من حملة العرش
ومن حوله اربعة اجنحة اما جناحان فعلى وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق واما جناحان فيهفو بهما ليس لهم كلام الا التسبيح والتحميد
وكنى ع بنكس ابصارهم عن كمال خشيتهم لله تع واعترافهم بقصور ابصار عقولهم عن ادراك ما وراء كمالاتهم المقدرة لهم وضعفها عن تلك
ما لا يحتمله من انوار الله وعظمته المشاهدة في خلق عرشه وما فوقهم من مبدعاته فان شعاع ابصارهم منه واقف دون حجب عزة الله
وعن يزيد الرقاشي ان لله تع ملائكة حول العرش يسمون المخلخلين تجري اعينهم مثل الانهار الى يوم القيمة يميدون كانما تنفضهم الرياح من
خشية الله تع فيقول لهم الرب جل جلاله ملائكتي ما الذي يخيفكم فيقولون ربنا لو ان اهل الارض اطلعوا من عزتك وعظمتك على ما
اطلعنا عليه ما ساغوا طعاما ولا شرابا ولا انبسطوا في فرشهم ولخرجوا الى الصحراء يخورون كما يخور الثور واعلم انه لما كان الجناح من الطائر
والانسان عبارة عن محل القوة والقدرة والبطش صح ان يستعار للملائكة على سبيل الكناية عن كمالهم في قدرهم وقوتهم التي يطيرون في
بيداء جلال الله وعظمته ويتصل بواسطتهم كالات ما دونهم من مخلوقات الله وصح ان توصف تلك الاجنحة بالقلة والكثرة في احادهم ويكون
ذلك كناية عن تفاوت مراتبهم بزيادة كمال بعضهم على بعض ولما استعار لفظ الاجنحة استلزم ذلك ان يكون قد شبههم بالطائر ذي الجناح
ثم لما كان الطائر عند قبض جناحه يشبه المتلفع بثوبه والمتحف به وكانت اجنحة الملائكة التي هي عبارة عن كمالهم في قدرهم وعلومهم مقصورة

قاصرة

قاصرة عن التعلق بمثل مقدورات الله ومبدعاته واقفة دون جلاله وعظمته في صنعه لا جرم اشبه ذلك قبض الاجنحة الشبيه بالمتلفع بالثوب
فاستعار لفظ التلفع ايضا وكنى به عن كمال خضوعهم وانقهارهم تحت سلطان الله وتوتره والمشاهدة في صورة عرشه فان قلت انك بينت
ان المراد بالركوع هم حملة العرش فكيف يستقيم مع ذلك ان يقال ان هذا القسم هم حملة العرش ايضا فانه من كان اقدامهم في تخوم الارضين
واعناقهم خارجة من السموات السبع ومن الكرسي والعرش كيف يكون مع ذلك راكعا قلت الجواب عنه قد سبق في قوله ومنهم امناء على
وحيه فان الركوع ايضا المقصود منه الخشوع لعزة الله وعظمته وذلك غير مناف للاوصاف المذكورة ههنا وبالله التوفيق **قوله** مضروبة
بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة اشارة الى ان الالات البشرية قاصرة عن ادراكهم والوصول اليهم وذلك لتنزههم
عن الجسمية والجهة وقربهم من عزة مبدعهم الاول جل جلاله وبعد القوى الانسانية عن الوقوف على اطوارهم المختلفة ومراتبهم المتفاوتة
واذا كان الحال في الملك العظيم من ملوك الدنيا اذا بلغ في التنزه والتعظم الى حيث لا يراه الا الاجلاء خواصه وكان الحال ايضا في بعض خواصه
كالوزير والحاجب والنديم فانهم لا يصل اليهم كل الناس بل لا يصل اليهم الا من كانت له اليهم وسيلة تامة وعلاقة قوية وكان منشأ
ذلك انما هو عظمة الملك وهيبته وقربهم منه فكان الحائل بينهم وبين غيرهم انما هو حجب عزة الملك واستار قدرته وقهره فكيف
الحال في حجب الجبابرة ومالك الدنيا والاخرة وعالم ملائكته المقربين ومن يليهم من حملة العرش الروحانيين فبالحري ان تمتنع علينا
وصول قوانا الضعيفة اليهم وادراكها لمراتبهم الى حجب الله عز و جل وعظمته لهم وكمال ملكه وتمام قدرته وما اهلهم له من قربه ومطالعة
انوار كبريائه عز سلطانه ولا اله الا هو **قوله** ولا يتوهمون ربهم بالتصوير اشارة الى تنزههم عن الادراكات الوهمية و
الخيالية في حق مبدعهم عز سلطانه لكان الوهم انما يتعلق بالامور المحسوسة ذات الصور والاحياز والمحال الجسمانية فالوهم
وان ارسل طرفه الى قبلة وجوب الوجود وبالغ في تقليب حدقته فلن يرجع الا بمعنى جزئي يتعلق بمحسوس حتى انه لا يقدر
نفسه ولا بد ركها الا ذات مقدار وحجم ولما كان الوهم من خواص المزاج الحيواني لا جرم سلب التوهم عن هذا الطور من الملائكة
لعدم قوة الوهم هناك فان هذه القوة لما كانت موجودة للانسان لا جرم كان يرى ربه في جهة ويشير اليه متحيزا ذا مقدار و
صورة ولذلك وردت الكتب الالهية والنواميس الشرعية مشحونة بصفات التجسيم كالعين واليد والاصبع والاستواء
على العرش ونحو ذلك خطابا للخلق بما يتذكرون اوهامهم وتوطينا لهم وايناسا حتى ان الشارع لو اخذ في مبدء الامر بتبيين لهم
ان الصانع الحكيم ليس داخل العالم ولا خارجه ولا في جهة وليس بجسم ولا عرض لاشتد نفار اكثرهم من قبول ذلك وعظم انكارهم
له فان الوهم في طبيعته لا يثبت موجودا بهذه الصفة ولا يتصوره ومن شانه ان ينكر ما لا يتصوره فكان منكر الهذا القسم من الموجودات
والخطابات الشرعية وان وردت بصفات التجسيم الا ان الالفاظ الموهمة لذلك كانت قابلة للتاويل محتملة له كانت وافية
بالمقاصد اذ الغابي المغمور في ظلمات الجهل يحمله على ظاهره ويحصل بذلك تقييده عن تشتت اعتقاده وذو البصيرة المترقي عن
تلك الدرجة يحمله على ما يحتمله عقله من التاويل وكل حال من هو اعلى منه والناس في ذلك على مراتب فكان ايرادها حسنا
وحكمة **قوله** ولا يجرون عليه صفات المصنوعين **اقول** اجراء صفات المصنوعين عليه انما يكون بمناسبة وملائمة مع مصنوعاته
ومكوناته وكل ذلك بقياس من الوهم ومحاكاة من المتخيلة له بصورة المصنوع فكان الوهم يحكم اولا بكون الباري عز سلطانه مثلا
لمصنوعاته التي يتعلق ادراكه بها من المبصرات وما يقوم بها ويتخيله بصورة منها ثم تتبعه العقل في مقدمة تنتجها من حكم النبي
حكم مثله فيجري عليه صفات مصنوعاته التي حكم بمثليته لها ولما كانت ملائكة السماء وتنزههم عن الوهم والخيال لا جرم وجب
تنزيههم عن ان يجروا عليه صفات مصنوعاته سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا **قوله** ولا يحدونه بالاماكن ولا
يشيرون اليه بالنظائر فان الحاكم بحده في مكان وتحيزه فيه والمشير اليه بالمثل المتصور له بالقياس الى نظير يشاكله ويشابهه
انما هو الوهم والخيال ولما عرفت انهما يختصان بالحيوان العنصري لا جرم كانت هذه الاحكام مسلوبة عن الملائكة السماوية وبالله
التوفيق **الفصل الثالث** في كيفية خلق ادم ع **قوله** منها في خلق ادم ع ثم جمع سبحانه من حزن الارض الى قوله وتناسل
الذرية **اقول** الحزن من الارض ما غلظ منها واشتد كالجبل والسهل ما لان وعذبها ما طاب منها واستعد للنبات والزرع
والسبخ ما ملح منها والمسنون الطين الرطب قول ابن عباس وعن ابن السكيت عن ابي عمرو انه المتغير وقال ابن عباس المنتن كلا على
لان قوله ومنها بالماء حتى لزبت اي انه خلطها بالماء حتى صارت طينا رطبا يلتصق وصلصلت قال بعضهم الصلصال هو المنتن
من قولهم صل اللحم واصل اذا انتن وقيل هو الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار وقيل اذا توهمت
في رنته مدا فهو صليل واذا توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة ولاطها بالبلة اي خلطها بالرطوبة ومزجها بها والبلة بالكسر
الندواة وبالفتح واحدة البل واللازب الملاصق واصل الباء الميم وجبل اي خلق والاحناء جمع حنو وهي الجوانب والوصول جمع
كثرة للوصل وهي المفاصل وجمع القلة اوصال والاعضاء جمع عضو بالكسر والضم كاليد والرجل الجثو واصلها اي جملها

صلصالا وهي الصلبة الملسا والذهن في اللغة الفطنة والحفظ وفي الاصطلاح العلمي عبارة عن القوى المدركة من العقل والحس
الباطن والفكر جمع فكرة وهي قوة للنفس بها تحصل الادراكات العقلية وتنبيه ان يكون اصل الانسان انس وهو الانيس والالف
والنون في اصل الحروف الا انه للتثنية وذلك لان الانس مرتبة لا يتحقق الا بين شيئين فصاعدا ولما كان كل واحد من الثنا
يأنس بصاحبه مثل اثنان ثم كثر استعماله مثنى فاجريت على النون وجوه الاعراب والشاء الغنم والجوارح الاعضاء والاجند
والاستحرام بمعنى الادوات جمع اداة واصلها الواو ولذلك ردت في الجمع والاستبداء طلب الاداء والخنوع الخضوع واشتقاق
ابليس من الابلاس وهو الياس والبعد البعد من رحمة الله والحمية الانفة واغرهم اي غشيهم والوهن الضعف والنظرة
بفتح النون وكسر الظاء الامهال والسخط الغضب واغره اي استغفله وقفت عليه بالامر نفا شراذا لم تره مستحقا لها والعزيمة
الاهتمام بالشيء والجدل الشر والهبوط الانزال اذا عرفت ذلك فنقول للناس في هذه القصة طريقان **الطريق الاول**
ان جمهور المسلمين من المفسرين والمتكلمين حملوا هذه القصة على ظاهرها ثم ذكروا فيها ابحاثا **البحث الاول** ان هذه قد
كررها سبحانه في كتابه الكريم في سبع سور وهي سورة البقرة والاعراف والحجر وسورة بني اسرائيل والكهف وطه وسورة ص
وذلك لما يشتمل عليه من تذكير الخلق وتنبيههم من مراقدة الطبيعة لتحذيرهم ابليس والتحذير من فتنه وفتنه حتى
والجذب الى جناب الله ومطالعة انوار كبريائه كما قال تعالى يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الاية فقوله
تربه كقوله تعالى خلقه من تراب وقوله سنها بالماء كقوله تعالى من حما مسنون وقوله لاطها بالبلة حتى لزبت كقوله تعالى من طين لازب
وقوله حتى صلصلت كقوله تعالى من صلصال وقوله ثم نفخ فيه من روحي كقوله فاذا نفخت فيه من روحي وقوله ونفخ فيه من روحه وقوله
ذا اذهان يجيلها وفكر يتصرف فيها وجوارح يختدمها كقوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة وقوله واستادى الله سبحانه
الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم كقوله تعالى فقعوا له ساجدين وقوله فسجدوا وقوله الا ابليس كقوله تعالى فسجد الملائكة
كلهم اجمعون الا ابليس وقوله اعترتهم الحمية الى قوله وتعزز بخلقة النار واستوهن خلق الصلصال كقوله تعالى حكاية عن ابليس
انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وقوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال وقوله فاعطاه الله النظرة فبله حرث نفسه
فسال النظرة وذلك قوله انظرني فاعطاه الله النظرة الى يوم الوقت المعلوم كقوله تعالى قال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
وقوله ثم اسكن سبحانه ادم دارا ارغد فيها عيشه كقوله تعالى قلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما وقوله
وحذره ابليس وعداوته كقوله فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى وقوله فاغتره ابليس نفاسة
عليه بدار المقام ومرافقة الابرار كقوله فوسوس اليه الشيطان الاية وقوله فدلاهما بغرور وقوله فباع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه وقوله
تعالى فنسي ولم نجد له عزما وقوله واستبدل بالجذل وجلا وبالاغترار ندما كقوله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين وقوله ثم بسط الله سبحانه في توبته ولقاه كلمة رحمته كقوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه وقوله ووعده المرد
الى جنته وذلك لوعده في قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى فمن اتبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون وقوله فاهبطه الى دار البلية كقوله تعالى اهبطا منها جميعا **البحث الثاني** ان الله تعالى اشار في موضع من كتابه
الكريم الى خلق ادم من تراب فقال ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب وقال في موضع اخر اني خالق بشرا من طين
وقال في موضع اخر ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون ثم من صلصال قال المتكلمون وانما خلقه الله على هذه الوجوه اما
لمحض المشية ولما فيه من دلالة الملائكة على كمال قدرته وعجيب صنعته لان خلق الانسان في هذه المراتب اعجب عندهم من خلقه
من جنسهم اذا عرفت ذلك فاعلم ان كلامه هيهنا يجري مجرى التفسير لهذه الايات فانه اشار اولا الى كونه من تراب بقوله ثم جمع
سبحانه من سهل الارض وحزنها وعذبها وسبخها تربة ونحو ذلك ما روى عن رسول الله صلعم انه قال ان الله خلق ادم من قبضة قبضها
من جميع الارض فجاء بنو ادم على قدر الارض فجاء منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب
واعلم ان جمهور المفسرين على ان الانسان في قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين هو ابونا ادم ع ونقل عن محمد بن
علي الباقر ع انه قال قد انقضى قبل ادم الذي هو ابونا الف الف ادم واكثر قال بعض العلماء وهذا لا ينافي حدث العالم فانه كيف
كان لا بد من الانتهاء الى انسان هو اول الناس فاما ان ذلك الانسان هو ابونا ادم فلا طريق الى اثباته الا من جهة السمع
البحث الثالث اجمع المسلمون على ان سجود الملائكة لادم لم يكن سجود عبادة لان العبادة لغير الله كفر ثم اختلفوا على ثلثة اقوال
الاول ان ذلك السجود كان لله وكان ادم كالقبلة وكما يحسن ان يقال سجد لادم كما يحسن ان يقال سجد للقبلة بدليل
قول حسان بن ثابت: ما كنت احسب ان الامر منصرف عن هاشم ثم منها عن ابي حسن
اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالايات والسنن
فقوله صلى لقبلتكم نص على المقصود **الثاني** ان السجود كان لادم تعظيما له وتحية كالسلام

عج
منهم عليه وقد كان الامم السالفة تفعل ذلك كما يحيى المسلمون بعضهم بعضا وعن صهيب انه لما قدم من اليمن سجد للنبي صلعم فقال له يا
معاذ ما هذا فقال رايت اليهود تسجد لعظمائها وعلمائها ورايت النصارى تسجد لقسيسيها وبطارقتها فقلت ما هذا فقالوا تحية
الانبياء فقال صلعم كذبوا على انبيائهم **الثالث** ان السجود في اصل اللغة عبارة عن الانقياد والخضوع كما قال الشاعر ترى الاكم
فيها سجدا للحوافر اي ان تلك الجبال الصغار كانت مذللة لحوافر الخيل ومنه قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان والقول الثاني
هو مقتضى كلامه اذ فسر السجود به فقال والخنوع لتكرمته وبالله التوفيق **البحث الرابع** اختلفوا في الملائكة الذين امروا بالسجود
لادم فاستعظم بعضهم سجود ملائكة السماء له وقالوا المامورون بذلك هم الملائكة الذين هبطوا مع ابليس الى الارض فانه ورد ان
ان الله تعالى لما خلق السموات والارض وخلق الملائكة اهبط منهم ملأ الى الارض يسمون بالجن وراسهم ابليس واسكنهم اياها وكانوا اخف
الملائكة عبادة فاعجب ابليس بنفسه فدخله الكبر فاطلع الله عز وجل على ما انطوى عليه فقال له وللجنده اني جاعل في الارض بشرا من طين
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وقال بعضهم ان المامورين بالسجود لادم هم كل الملائكة بدليل قوله تعالى فسجد الملائكة
كلهم اجمعون فاكد جمعهم بكل وجوه التاكيد **البحث الخامس** اكثر المتكلمين لا سيما المعتزلة على ان ابليس لم يكن من الملائكة وقال
جمهور المفسرين ومنهم ابن عباس انه كان من ملائكة الارض الذين اهبطوا قبل ادم حجة الاولين قوله تعالى الا ابليس كان من الجن وانهم
لم يكونوا من الملائكة بدليل قوله تعالى للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقول الملائكة سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون
الجن واحتج من قال انه منهم باستثناء ابليس من الملائكة في غير موضع من القران الكريم والاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل
وذلك يدل على ان ابليس من الملائكة واجابوا عن حجة الاولين من وجهين احدهما المعارضة بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة
نسبا وذلك الجعل هو قول قريش الملائكة بنات الله بدليل قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فهذه الاية تدل
على ان الملائكة من الجن الثاني ان كون ابليس من الجن لا ينافي كونه من الملائكة لصدق عليهم اسم الجن لان الجن ماخوذ من الاجتنان
وهو الاستتار ومنه سمي الجنين لاستتاره في بطن امه والمجنون لاستتار العقل والملائكة مستترون عن الاعين فوجب جواز اطلاق
لفظ الجن عليهم واعلم ان الخلاف لفظي فانه اذا ثبت ان الملائكة الذين هبطوا الى الارض قبل ادم هم المسمون بالجن وابليس من الجن
ثبت ان ابليس من الملائكة وليس النزاع في انه من ملئكة الارض ومن ملائكة السماء بل في كونه من الملائكة مطلقا فاذن ليس بينهم
خلاف المعنى **البحث السادس** اختلفوا في سبب علة ترك ابليس لادم فقال بعضهم انه الحسد وذلك ان ابليس لما راى ما اكرم الله
به ادم من اسجاد الملائكة له وتعليمه ما لم يطلع عليه الملائكة حسده وعاداه وقال اخرون ان السبب تباين اصليهما ولمنافرة الاصلين
اثر قوي في منافرة الفرعين قالوا وتباين اصليهما هو منشأ القياس الفاسد من ابليس حين امر بالسجود وذلك قوله انا خير منه خلقتني
من نار وخلقته من طين وكانه في خطابه يقول ان ادم جسماني كثيف وانا روحاني لطيف والجسماني ادون حالا من الروحاني والادون
كيف يليق ان يكون مسجودا للاعلى وايضا فان اصل ادم من صلصال من حما مسنون والصلصال في غاية الدناءة واصلي من اشرف
العناصر واذا كان اصلي خيرا من اصله وجب ان اكون خيرا منه واشرف والاشرف يقبح ان يؤمر بالسجود للادون قالوا فكان ذلك قياسا
منه فاول من قاس هو ابليس فاجابه الله تعالى جوابا على سبيل التنبيه دون التصريح اخرج منها مذءوما مدحورا قال بعض الفضلاء وتقريره
ان الذي قال نعم نص بحكم الحكمة الالهية والقدرة الربانية والذي قاله ابليس قياس ومن عارض النص بالقياس كان مرجوما ملعونا
البحث السابع احتجت الاشعرية على انه تعالى قد يريد خلق الكفر في الكافر من هذه القصة بوجهين احدهما انه تعالى انظر ابليس مع
انه يعلم انه انما قصده اغواء بني ادم ولو اهلكه لاستراحوا وعدم الشر الحاصل منه ومن ذريته الثاني قال اغويتني فنسب الاغواء الى الله تعالى
مع انه لم ينكر عليه هذا الكلام وهذا صريح في انه تعالى يفعل الاغواء اجابت المعتزلة عن الاول بان الله تعالى خلق ادم وذريته قادرين على دفع ابليس
عن انفسهم فهم الذين ضاروا الكفر والفساد فضيعا الباب ان يقال ان الاحتراز عن القبيح حال عدم ابليس اسهل منه حال وجوده الا ان على هذا
التقدير يصير وسوسته سببا لزيادة المشقة في اداء الطاعات فيزداد المكلف بتكلفها ثوابا كما قال صلعم افضل الاعمال احمزها اي اشقها وذلك
لا يمنع الحكيم من فعله كما ان انزال المتشابهات والالام وانزال المتشابهات صار سببا لزيادة الشبهات ومع ذلك لم يمتنع فعلها من الله تعالى فهذا
الوجه قريب من قوله اسماء للبلية وعن الثاني ان المراد من قوله بما اغويتني اي بما خيبتني من رحمتك وقيل معنى اضافة اغوائه الى الله تعالى
ان الله تعالى لما امره بالسجود لادم عصى وغوى فكان الباري هو الاصل في حصول الاغواء له فلذلك نسبه اليه واحتج ايضا من جواز الخطاء على الانبياء
من هذه القصة بقوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى واجاب من اوجب عصمتهم من حين الولادة بانه لما دل الدليل على وجوب عصمتهم وجب صرف هذا
اللفظ ونحوه على ترك الاولى وهو في حقهم سيئة ومعصية وان كان في حق غيرهم حسنة كما قال حسنات الابرار سيئات المقربين ومن
اوجب عصمتهم من حين الرسالة فله ان يحمل هذه المعصية على ما قبل الرسالة والمسئلة مستقصاة في الكلام **البحث الثامن** قال
الفقهاء اصل التلقي في قوله فتلقى ادم من ربه كلمات وقوله ولقاه كلمة رحمته هو التعرض للقادم وضع في موضع الاستقبال للمسيء و

والجاني ثم وضع موضع القبول والاخذ قال تعالى وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اى تلقنه ويقال تلقينا الحاج اى استقبلناهم وتلقيت هذه الكلمة من فلان اى اخذتها منه واذا كان هذا اصل الكلمة وكان من تلقى رجلا فتلاقيا لقى كل واحد منهما صاحبه واضيف بالاجتماع اليهما معا صلح ان يشتركا في الوصف بذلك فكل ما تلقيته فقد تلقاك فجاز ان تلقى آدم من ربه كلمات اى اخذها ووعاها واستقبلها بالقبول وتلقاه الله اياها اى ارسلها اليه وواجهه بها ثم ذكر المفسرين في تلك الكلمات اقوالا الاول روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان آدم ع قال يا رب الم تخلقني بيدك بلا واسطة قال بلى قال الم تنفخ فيّ من روحك قال بلى قال الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ان تبت واصلحت اتردني الى الجنة قال نعم وهو قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات الثاني قال النخعي اتيت ابن عباس فقلت ما الكلمات التي تلقاها آدم من ربه قال علم الله تعالى آدم وحوا امر الحج والكلمات التي يقال فيه فحجا فلما فرغا اوحى الله تعالى اليهما اني قد قبلت توبتكما الثالث قال مجاهد وقتادة وفي احدى الروايتين عنهما هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين الرابع قال سعيد بن جبير انها قوله لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني انك ارحم الراحمين لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم الخامس قول عائشة لما اراد الله تعالى ان يتوب على آدم طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ ربوة حمراء فلما صلى ركعتين استقبل القبلة وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسألك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لي ورضني بما قسمت لي فاوحى الله تعالى اليه يا آدم قد غفرت لك ذنبك ولن يأتيني احد من ذريتك فيدعوني بمثل ما دعوتني به الا غفرت ذنوبه وكشفت همومه ونزعت الفقر من بين عينيه وجاءته الدنيا وهو لا يريدها البحث التاسع في حقيقة التوبة قال الامام الغزالي رح التوبة عبارة عن معنى مركب من ثلثة امور مرتبة علم ثم حال ثم ترك اما العلم فان يعلم العبد ضرر الذنوب وكونها حجابا بينه وبين الله تعالى ومانعة من دخول الجنة فاذا علم ذلك بيقين غالب على قلبه فان ذلك يوجب له تألما نفسانيا بسبب فوات الخير العظيم المطلوب لكل عاقل ويسمى تألمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ومطلوبه ندما فاذا غلب هذا الالم على القلب وجب له القصد الى امر له تعلق بالحال والاستقبال والماضي اما بالحال فترك الذنوب التي كان ملابسا لها اولا والثاني انه العزم على ترك الذنب المفوت لمطلوبه في المستقبل الى آخر العمر فهذه حقيقتها وينشأ من ذلك تلافي ما فات بالجبر والقضاء وان كان قابلا للجبر فالعلم هو الاصل في اظهار هذه الخيرات فان القلب اذا ايقن بان الذنوب كالسموم المهلكة والحجب الحائلة بينه وبين محبوبه فلا بد ان يتم نور ذلك اليقين فتشتعل فيه نيران الندم فيتألم به القلب ويتبعث من تلك النار طلب الانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلثة معان مرتبة يقال يطلق اسم التوبة على مجموعها وربما اسم التوبة على الندم وحده وجعل العلم كالباعث والترك كالثمرة المتأخرة ولهذا الاعتبار قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة اذ الندم مستلزم لعلم اوجبه ولعزم يتبعه واما وجوبها فمن وجهين احدهما ان التوبة مرضاة للرحمن مسخطة للشيطان مفتحة لابواب الجنان ممهدة لاشراق شموس المعارف الالهية على الواح النفوس مستلزمة للمواهب الربانية من الملك القدوس الثاني الاوامر الواردة بها في القرآن الكريم يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا والوعد الصادق على فعلها عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار والوعيد الحتم على تركها ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون ونحوه مما يدل على وجوبها فاما قبولها فمن وجهين احدهما قوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات وقوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب الثاني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة من العبد المذنب والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وقال صلى الله عليه وآله لو عملتم الخطايا الى السماء ثم ندمتم عليها لتاب الله عليكم البحث العاشر فيما عساه يبقى من المقاصد الكلية المشكلة في هذه القصة الاول الوديعة والوصية التي اشار اليها الله سبحانه من الملائكة في قوله واشار الى ما اسنده الله سبحانه من الملائكة وذريته لديهم الى قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فكان ذلك عهد اليهم بهذا القول واوصاهم بمقتضاه ثم اسنده منهم بما ذكره ع في قوله تعالى اسجدوا لآدم الثاني قوله فاغتره ابليس فالاغترار طلب الغرة من آدم والتماس الهاجمة منه بالوسوسة التي القاها اليه كما سيأتي معنى الوسوسة انشاء الله الثالث قوله دار المقام هي جنة الخلد ومرافقة الابرار اشارة الى مصاحبة الملائكة في مقعد صدق عند مليك مقتدر الرابع قوله فباع اليقين بشكه للشارحين فيه اقوال احدها ان معيشة آدم كانت في الجنة على حال يعلمها يقينا وما كان يعلم كيف معاشه في الدنيا اذا انتقل اليها ولا حاله بعد مفارقة الجنة ثم ان ابليس شككه في صدق مقالته لكما انني لكما لمن الناصحين فنسي ما كان عنده يقينا مما هو فيه من الخير الدائم وشك في نصح ابليس فكانه باع اليقين بالشك بمتابعته وهي استعارة حسنة على سبيل الكناية عن استبدال آدم الشك عن اليقين الثاني قالوا لما اخبره الله تعالى عن عداوة ابليس لم يبق ذلك فلما وسوس له ابليس شك في نصحه فكانه باع يقينه بعداوته بالشك في ذلك الثالث قول من نزه آدم ع ان ذلك مثل قديم للعرب لمن عمل عملا لا يفيده وترك ما ينبغي له ان يفعله فتمثل به امير المؤمنين هيهنا ولم يرد ان آدم ع شك في امر الله

ح

قوله الرابع والعزيمة بوهنه قال ابن عباس في قوله تعالى ولم نجد له عزما اى لم نجد له حفظا لما امر به وقال قتادة صبرا وقال الضحاك صريمة امر وحاصل هذه الاقوال يعود الى انه لم يكن له قوة على حفظ اوامر الله فكانه باع العزم الذي كان ينبغي له والقوة التي كان ينبغي ان يحفظ بها على متابعة ابليس بالضعف والوهن عن تحمل ما امر الله به الخامس قوله دار البلية هي دار الدنيا اذ كانت دار المحنة والابتلاء بمقاساة ابليس ومجاهدته وسجن الصالحين كما قال ع الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر واعلم ان في ذكر هذه القصة تحذيرا عظيما عن المعاصي وذلك من وجوه احدها ان من تصور ما جرى على آدم بسبب اقدامه على هذه الزلة كان على وجل شديد من المعاصي قال الشاعر يا ناظرا نورا بعيني راقد ومشاهدا للامر غير مشاهد تصل الذنوب الى الذنوب وترتجي درك الجنان ونيل فوز العابد انسيت ان الله اخرج آدما منها الى الدنيا بذنب واحد وعن فتح الموصلي انه قال كنا قوما من اهل الجنة فسبانا ابليس الى الدنيا فليس لنا الا الهم والحزن حتى نرد الى الدار التي اخرجنا منها وثانيها التحذير عن الاستكبار والحسد والحرص عن قتادة في قوله تعالى ابى واستكبر قال حسد عدو الله ابليس آدم على ما اعطاه الله تعالى من الكرامة فقال انا ناري وهذا طيني ثم القى الحرص والحسد في قلب ابن آدم حتى حمله على ارتكاب المنهي عنه وثالثها انه تعالى بين العداوة الشديدة بين ذرية آدم وابليس هذا تنبيه عظيم على وجوب الحذر وبالله التوفيق الطريق الثاني واعلم ان الناس من سلط التاويل على هذه القصة وقيل بيان تاويلها ذكروا مقدمات المقدمة الاولى في الاشارة الى اجزاء التركيب الخارجي للانسان وكيفية تركيبها قالوا ان العناصر الاربعة اجسام بسيطة وهي اجزاء اولية لبدن الانسان فمنها اثنان خفيفان وهما النار والهواء واثنان ثقيلان وهما الارض والماء قالوا والموضع الطبيعي للارض هو وسط الكل وهي باردة يابسة في طبعها ووجودها في الكائنات مفيد للاستمساك والثبات وحفظ الشكل والهيئة والموضع الطبيعي للماء هو ان يكون شاملا للارض وثقله اضافي وطبعه بارد رطب ووجوده في الكائنات لتسهل الهيئات التي يراد تكوينها من التشكيل والتخطيط والتعديل فان الرطب كان امره سهل الترك للهيئات الشكلية فانه سهل القبول لها كان اليابس عسر القبول للهيئات الشكلية عسر الترك لها ومهما تخمر اليابس بالرطب استفاد اليابس منه قبول التعديل والتشكيل بسهولة واستفاد الرطب من اليابس حفظ ما احدث فيه من التعديل بقوة فاجتمع اليابس بالرطب عن تشتته واستمسك الرطب باليابس عن سيلانه والموضع الطبيعي للهواء فوق الماء وتحت النار وخفته اضافية وطبعه حار رطب ووجوده في الكائنات ليتخلخل ويلطف ويخف والموضع الطبيعي للنار فوق الاجرام العنصرية كلها ومكانها الطبيعي هو مقعر فلك القمر وخفتها مطلقة وطبعها حار يابس ووجودها في الكائنات ليصلح المركبات ويجري فيها الجوهر الحيواني ولتكسر من برد العنصرين الثقيلين بردهما عن العنصرية الى المزاجية والثقيلان انفع في تكون الاعضاء وفي سكونها والخفيفان انفع في كون الارواح وتحريكها وتحريك الاعضاء ثم قالوا والمزاج كيفية تحدث من تفاعل الكيفيات المتضادة في هذه العناصر اذا تفاعلت بقواها بعضها في بعض فانكسر سورة كل واحد منها بالآخر حدثت عنها كيفية متشابهة في جميعها هي المزاج والقوى الاولية في تلك الاركان اربع الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وهي التي يكون عنها المزاجات في الاجسام الكائنة الفاسدة ثم ان واهب الوجود اعطى كل حيوان وكل عضو من المزاج ما هو اليق به واصلح لافعاله بحسب احتمال الامكان له واعطى الانسان اعدل الامزجة الممكنة في هذا العالم مع مناسبة لقواه التي بها يفعل وينفعل واعطى كل عضو ما يليق به من افعاله فجعل بعض الاعضاء احر وبعضها ابرد وبعضها ارطب وبعضها ايبس وامدها بالاخلاط وهي اجسام رطبة سيالة يستحيل اليها الغذاء اولا وهي محصورة في اربعة اجناس احدها الدم وهو افضلها والثاني البلغم والثالث الصفراء والرابع السوداء ثم قسم الاعضاء الى عظام وعضاريف واعصاب واوتار وجعل اول الاعضاء المتشابهة الاجزاء العظم وخلق صلبا لانه اساس البدن ودعامة الحركات ثم الغضروف وهو الين من العظم وفائدته ان يحسن به اتصال العظام بالاعضاء اللينة فلا يتاذى اللين بالصلب عند الضغطة والضربة بل متوسط بينهما ما يناسب كلا منهما وليحسن به تجاوز المفاصل المحاكة فلا تتراض لصلابتها ثم العصب وهي اجسام تنبت من الدماغ والنخاع بيض لدنة في الانعطاف صلبة في الانفصال وفائدتها ان تتم بها للاعضاء الاحساس والحركة ثم الاوتار وهي اجسام تنبت من اطراف العضل شبيهة بالعصب تلاقي الاعضاء المتحركة فتجذبها تارة وتبسطها اخرى بحسب انبساط العضلة وانقباضها ثم الرباطات وهي ايضا اجسام شبيهة بالعصب والحكمة فيها ظاهرة وهي ارتباط بعض الاعضاء الى بعض واستمساكها وليس لشيء منها حس لئلا يتاذى بكثرة ما يلزمه من الحركة والحك ثم الشريانات وهي اجسام نابتة من القلب ممتدة مجوفة طولا عصبانية رباطية الجوهر لها حركات منبسطة ومنقبضة خلقت لترويح القلب ونفض البخار الدخاني عنه ولتوزيع الروح الى اعضاء البدن ثم الاورد وهي تشبه الشريانات ونباتها من الكبد وفائدتها توزيع الدم على اعضاء البدن ثم الاغشية وهي اجسام منسجة من ليف عصباني غير محسوس رقيقة مستعرضة تغشي سطوح اجسام اخرى ولها فوائد منها ان يحفظ جملتها على شكلها وهيئتها ومنها ان تعلقها على اعضاء اخرى وتربطها بواسطة العصب ومنها ان يكون للاعضاء العديمة الحس في جواهرها سطح حساس بالذات لما تلاقيه وبالعرض لما يحدث في الجسم الملفوف فيها كالرئة والطحال والكبد والكليتين فانها

بجواهرها وانما يحس
لا يحس بالامور المضادة لها الا عرضية التي عليها بالذات ويحس بها بالعرض فما يحدث فيها مثلا الروح النفسي الذي يحدث فيها ثم اللحم وهو
حشو خلل وضع الاعضاء في البدن فصار البدن مشتملا على ثلثة ضروب من الاعضاء احدها الات الغذاء وهي المعدة والكبد
وجداولها كالعروق والطرق اليها كالفم والمري وغيرها كالمعاء والثاني الات الحرارة الغريزية وحفظها وهي القلب والرأس والرية
والصدر وسائر الالات النفس والثالث الات الحس والحركة والافعال العقلية وهي الدماغ والنخاع والعصب والاوتار ونحوها والعضل
مما يحتاج اليه في المعونة على تمام فعل العقل ثم لما كانت ضرورة البدن ان يقع فيه افعال مختلفة وجب في الحكمة ان يكون هناك
استعدادا لقوى متعددة هي مبادي تلك الافعال احدها النفس الطبيعية وتخصها قوى منها مخدومة ومنها خادمة اما المخدومة
فجنسان احدهما يتصرف في الغذاء وتحته نوعان احدهما القوة المسماة بالغاذية وغايتها ان تغذو الشخص مدة بقائه باحالة
الغذاء الى مشابهة المغتذي ليخلف بدل ما يتحلل والثاني القوة المسماة بالنامية وغايتها ان تزيد في اقطار البدن على التناسب
الطبيعي الى تمام نشوه والجنس الثاني يتصرف في الغذاء لبقاء النوع وتحته نوعان احدهما القوة المسماة بالمولدة وهي المتصرفة
في امر التناسل بفصل من امشاج البدن جوهر المني والثاني القوة المسماة بالمصورة وهي التي تفيد المني بعد استحالته في الرحم
الصور والقوى والاعراض الحاصلة للنوع الذي انفصل عنه المني واما الخادمة الصرفة في القوى الطبيعية فهي خوادم القوة الغاذية
وهي اربع احدها الجاذبة وخلقت لتجذب النافع الى محلها وهي موجودة في المعدة والمري والكبد والرحم وسائر الاعضاء والثاني
الماسكة وخلقت لتمسك المنافع ريثما يتصرف فيه القوى المغيرة والمحيلة الثالثة الهاضمة وهي التي تحيل ما امسكته الماسكة
الى قوام مهيئ لفعل القوة المغيرة فيه والى مزاج صالح للاستحالة الى الغذائية بالفعل الرابع الدافعة وهي التي تدفع الفاضل
من الغذاء الذي لا يصلح للاغتذاء او يفضل على الكافي او يستغنى عنه بعد الفراغ من استعماله كالبول ولهذه الاربع ايضا
خوادم اربع اعني الكيفيات الاربع وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة على تفصيل يعلم في مظانه **الثاني** النفس الحيوانية
وتختص بها قوتان محركة ومدركة والمحركة اما باعثة او فاعلة والباعثة هي القوة النزوعية التي عند المدركات كالوهم والخيال
او النفس فيحمل الادراك لها على البعث الى طلب او هرب بحسب الدواعي ولها شعبتان شهوانية وهي الباعثة على التحريك الى جلب
اشياء ضرورية او نافعة نفعا ما طلبا للذة وغضبية وهي الحاملة على دفع وهرب عما لا يلائم طلبا للغلبة وتحتهما القوة المسماة
بالقدرة وهي قوة تنبعث في الاعصاب والعضل من شأنها ان تشنج العضلات بجذب الاوتار والرباطات وارخائهما والقوة
المدركة قسمان ظاهرة وباطنة اما الظاهرة فالحواس الخمس احدها اللمس وهو قوة منبثة في جلد البدن كله تدرك ما يماسه
وتؤثر فيه بالمضادة كالكيفيات الاربع وغيرها وثانيها الذوق وهو قوة مرتبة في العصبة المفروشة على سطح اللسان بها تدرك
الطعوم من الاجرام المماسة المخالطة للرطوبة العذبة التي في الفم وثالثها الشم وهي قوة مرتبة في زائدتي مقدم الدماغ الشبيهتين
بحلمتي الثدي بها تدرك الروائح بتوسط الهواء المنفصل عن ذي الرائحة ورابعها السمع وهي قوة في العصبة المفروشة في باطن
الصماخ وهو تدرك الاصوات والحروف بواسطة الهواء وخامسها البصر وهي قوة مرتبة في العصبتين المجوفتين تدرك ما ينطبع
في الرطوبة الجليدية من الصور بتوسط جرم شفاف واما الباطنة من القوى فهي ايضا خمس وهي اما مدركة فقط اما للصور الجزئية
وهو القوة المسماة حسا مشتركا المرتبة في التجويف الاول من الدماغ عندها تجتمع صور المحسوسات ثم القوة المسماة خيالا وهي
خزانة الحس المشترك مودعة في اخر التجويف المقدم من الدماغ تجتمع فيها مثل المحسوسات وتبقى فيها بعد الغيبة عن الحواس واما
مدركة للمعاني الجزئية وهي اما الوهم وهي قوة مرتبة في التجويف الاوسط من الدماغ تدرك المعاني الجزئية الغير الموجودة في المحسوسة م
المحسوسات كادراك الشاة معنى في الذئب يوجب لها الهرب واما الحافظة وهي قوة مرتبة في التجويف الاخير من الدماغ تحفظ
الاحكام الجزئية المدركة للوهم وهي خزانة له واما مدركة ومتصرفة وهي القوة المسماة متخيلة باعتبار استعمال الوهم لها ومفكرة باعتبار
استعمال العقل لها ومحلها مقدم البطن الاوسط من الدماغ من شأنها التركيب والتفصيل لبعض الصور ببعض وعن بعض وكذا
المعاني وهي المحاكية للمدركات والهيئات المزاجية والحكمة الالهية اقتضت ان تكون متوسطة بين مقتضى الصور الجرمانية و والمعاني بالصورة م
المعاني الروحانية متصرفة في خزانتيهما بالحكم والاسترجاع للامثال المنحية من الجانبين ثم ان لكل واحد من هذه الالات روح
يختص به وهو جرم حار لطيف متكون عن لطافة الاخلاط على نسبة مخالفة وهو حامل للقوى المذكورة عنها **الثالث**
النفس الناطقة ونسبتها الى هذا البدن نسبة الملك الى المدينة والبدن وجميع اجزائه وقواه المذكورة الان لها ورسمها انها
جوهر مجرد يتعلق بالابدان تعلق التدبير وهي المشار اليها بقوله تعم ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وبقوله ع الارواح
جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ولهذا الجوهر قوتان يختص بهما نظرية وعملية وقد سبقت الاشارة
اليها في مقدمة الكتاب وتحقيق الكلام في هذا الجوهر والبرهان على وجوده وتجرده وكمالاته من العلوم والاخلاق مستقصى في

مظانه وبالله التوفيق **المقدمة الثانية** قد علمت ان الملك عندهم اسم مشترك يقع على حقائق مختلفة فاما لفظ الجن فهو وان صدق
في اصل اللغة على كل الملائكة لكونه ماخوذا من الاجتنان وهو الاستتار وكون الملائكة مستترين على الاعين فانهم يخصون في عرفهم
هذا اللفظ بالارواح التي تخص عالم العناصر وتارة يطلقون عليها انها ملائكة باعتبار كونهم مسخرين من عند الله فاعلين للامر
جارين على نظام العقل وتارة يطلقون عليها انها جن باعتبار الاجتنان وهم جن مسلمون باعتبار موافقة العقل والتصرف على وفق مصلحة
العالم ونظامه وكفار وشياطين باعتبار مخالفتهم لذلك فاما صدق اسم الجن على النفوس الناطقة الانسانية فقد اشتهر من
جهة اخرى وهي كونها غالبا مستورة بنور العلم من حيث لا ترى فهي مجنة محجوبة عن ابصار الجاهلين ثم هي اما ان تكون عالمة او جاهلة وعلى اقسام الجن م
التقديرين فاما ان يكون موافقة لظواهر الشريعة منقادة لها او متمسكة بها او ليس كذلك فهذه اقسام اربعة اولها النفوس العالمة
العاملة بمقتضى الشريعة وهذه الطائفة هم الجن المسلمون والمؤمنون قالوا وهم الذين امر الله نبيه بالاخبار عنهم في قوله تعم
قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به الى اخر الايات قالوا وتمام بيان ذلك ان
السماء التي اخبر الجن عنها انهم لمسوها هي سماء الحكمة وهي الشريعة التي استرقت فيها قالوا ولمسهم لها عبارة عن اعتبارهم امر الشريعة
في مبدأ ظهورها هل يتيح لهم معها اظهار الحكمة ويمكنهم اخذها واعطاؤها بالتعلم والتعليم كما كان يفعل قبل ذلك
ام لا وقولهم فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا اشارة الى حفظة الشريعة وهم علماء الشريعة والملوك الحافظون للامور
الناموس الشريعة وقوانينها وقولهم وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع اشارة الى انهم كانوا قبل ظهور الشرائع يتدارسون الحكمة
ويتعلمونها ولم يكن عليهم انكار وقولهم فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا اشارة الى ان المظهر للحكمة بعد وجود الشريعة
المتأول لظواهرها بما جاءت به الانبياء يجد من حرسة الدين وحفظته شهابا يحرقه ويؤذيه **وثانيها** النفوس العالمة المخالفة
للشريعة والنواميس الالهية المتابعة لقواها في مقتضى طباعها وهؤلاء هم من شياطين الجن ومردتها **وثالثها** النفوس
الجاهلة الا انها متمسكة بظواهر الشريعة منقادة لها وهؤلاء هم المسلمون من الانس **ورابعها** النفوس الجاهلة التاركة للشريعة
والعمل بها التابعة لمقتضى الطبيعة وهؤلاء هم شياطين الانس قالوا وبهذا البيان لا يبقى بين قول الله سبحانه الا ابليس كان من
الجن وبين استثنائه من الملائكة المقتضي لدخوله فيهم وكونه منهم فرق بل هو من الملائكة باعتبار ومن الجن باعتبار ومن الشياطين
باعتبار والشيطان قد يكون ملكا في اصله ثم ينتقل الى الشيطانية باعتبار فسوقه عن امر ربه وكل الجن والله اعلم **المقدمة**
الثالثة قالوا كل ما يتوالد فلا يستحيل في اصله ان يكون متولدا ثم ضربوا لذلك امثلة فقالوا ان العقرب تتولد من الباذروج
ولباب الخبز والنحل من العجل المحرق والمكيس عظامه والفار من المدر والطين ونحو ذلك ثم يتوالد من هذا المتولد اشخاص اخرى
ويبقى نوعه متوالدا فلا مانع اذن ان يكون الانسان في اول خلقه كذلك يحدث شخص من نوعه متكونا من التراب ثم يحصل
ما بعده من نوعه عنه بالتوالد اذا عرفت ذلك فاعلم ان لفظ ادم اذا اطلق في عبارتهم فتارة يراد به امر جزئي وتارة يراد به امر كلي
اما الجزئي فيراد به اول شخص تكون من هذا النوع وعلى ذلك يحملون قوله تعم ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب
ويحملون قوله تعم انا خلقنا الانسان من نطفة وما في معناه على ما توالد منه وقد يراد به اول شخص استخلف في الارض
وامر بنشر الحكمة وناموس الشريعة واما الكلي فتارة يراد بآدم مطلق نوع الانسان وعلى ذلك كله قوله تعم ولقد عهدنا الى ادم من
قبل فنسي وقد يراد به صنف الانبياء والدعاة الى الله كما نقل عن سيد المرسلين صلعم كل نبي فهو ادم وقته وقوله صلعم انا وانت يا علي
ابوا هذه الامة ويمكن ان يكون قول الباقر محمد بن علي عليهما السلام قد انقضى قبل ادم الذي هو ابونا الف الف ادم واكثر على هذا المعنى اذا الذي م
ثبت هذا فنقول ان لكل ادم بالمعاني المذكورة ملائكة تخصه وهي مامورة بالسجود له وابليس في مقابلته ومعارضته اما ادم بالمعنى
الاول والثاني فملائكته المامورون بالسجود له هي قواه البدنية ونفوس اهل زمانه المامورين باتباعه المستمعين لقوله وسائر
القوى في اقطار هذا العالم فانها باسرها ملائكة مامورة بالخضوع له والسعي في مهماته وحوائجه بتأييد بدنه والمعونة له على امره
واما ابليس المعارض له فالقوة الوهمية منها المعارضة لمقتضى عقله العملي الساعية في الارض فسادا والنفوس المتمردة عن قبول الحق والاستماع الذي م
لقوله الخارجة عن طاعته وهم شياطين الانس والجن الذي يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وكذلك ملائكة ادم وابليسه ان هو
صنف الانبياء والدعاة الى الله تعم بالحكمة والموعظة الحسنة واما ادم الذي هو نوع الانسان فكل الملائكة الذين ذكرناهم في هذا العالم
هم المامورون بالسجود له وابليس كل شخص من هذا النوع هو وهمه المعارض لعقله وجنوده ما تحته من القوى الشهوية والغضبية وغيرها
اذا عرفت هذه المقدمات فلنرجع الى المتن فنقول الاولى ان نحمل ادم فيما ذكره ع ههنا من هذه القصة على مطلق النوع الانساني
فقوله ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبخها تربة سنها بالماء حتى خلصت ولاطها بالبلة حتى لزبت اشارة الى
اصل امتزاج العناصر وانما خص هذين العنصرين وهما الارض والماء دون الباقيين لانهما الاصل في تكون الاعضاء المشاهدة التي

تدور عليها صورة الانسان المحسوسة وقوله حتى خلصت وحق لربنا اشارة الى بلوغها في الاستعداد الغاية التي معها تفاض صورة ما تكون منها وقوله بل منها صورة ذات احناء ووصول واعضاء وفصول اشارة الى خلق الصورة الانسانية وافاضتها بكمال اعضائها ومفاصلها وما تقوم به صورته وقوله منها الضمير راجع الى التربة ويفهم من ظاهر اللفظ ان الصورة الانسانية هي المفاضة على كل استعداد التربة من غير واسطة انتقالات اخر في اطوار الخلقة وانما يتم ذلك لو حملنا آدم على اول شخص يكون من هذا النوع فاما اذا حملنا على مطلق النوع كان المراد انه جبل منها الصورة الانسانية بوسائط من صور ترد في اطوار الخلقة كما قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين فالصورة الانسانية جبلت من النطفة المتولدة من فضل الهضم الرابع المتولد من الاغذية وهي اما حيوانية او نباتية والحيوانية تنتهي الى النباتية والنباتية انما تتولد من صفو الارض والماء وهي التربة المستعدة للانبات وليس في ذلك مخالفة الكلام فان تلك التربة بعد ان توارد عليها اطوار الخلقة وادوار الفطرة صارت مبدأ وصدق انه جبل منها الصورة الانسانية جبلت منها وقوله اجمدها حتى استمسكت واصلدها حتى صلصلت الضمير في الجملتين راجع الى الصورة وما يتعلق بها من الاعضاء فالاجماد لغاية الاستمساك راجع الى بعضها كاللحم والاعضاء والعروق واشباهها والاصلاد لغايته راجع الى بعض اخر كالعظام والاسنان واسناد ذلك الى المدبر الحكيم سبحانه لانه العلة الاولى وان كان هنالك لهذه الآثار اسباب قريبة طبيعية كالحار الغريزي فانه المستعد لتحريك المواد ويتبعه البرد ليسكنه عند الكمال من الخلق وكالرطوبة فانها هي التي تتخلق وتتشكل ويتبعها اليبوسة لحفظ الاشكال وافادة التماسك وقوله لوقت معدود واجل معلوم يحتمل ان يراد به ان لكل مرتبة من مراتب تركيب بدن الانسان وانتقاله في اطوار الخلقة وقتا معدودا يقع فيه واجلا معلوما يتم به ويحتمل ان يراد بالوقت المعدود والاجل المعلوم الوقت الذي يعلم الله سبحانه انحلال هذا التركيب فيه كما قال تعالى وما نؤخره الا لاجل معدود وقوله ثم نفخ فيها من روحه اقول الضمير المؤنث راجع الى الصورة وقد عمت هذه الاشارة جارية في القرآن الكريم كما قال تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا والمراد بالتسوية افاضة تمام اعداد البدن وتهيئته لقبول النفس والمراد بالنفخ ههنا هو افاضة النفس عليه عند كمال ذلك الاستعداد واستعمال النفخ ههنا استعارة حسنة فان النفخ له صورة وهو اخراج الهواء من فم النافخ الى المنفوخ فيه ليشتعل فيه النار ولما كانت حقيقة النفخ ممتنعة في حق الله تعالى وجب العدل الحمل لفظه على ما يشبهه ولما كان اشتعال نور النفس في فتيلة البدن عن الجود الالهي المعطي لكل قابل ما يستحقه يشبه بحسب محاكاة خيال الضعف ما نشاهده من اشتعال النار في المحل القابل لها عن صورة النفخ لاجرم حسن التعبير والتجوز بلفظ النفخ عن افاضة الجود الالهي للنفس على البدن لمكان المشابهة المتخيلة وان كان الامر اجل مما عندنا واعلى ولما نسب الروح الى الله فاعلم ان الروح يحتمل ان يراد به احد ثلثة معان الاول جبرئيل وهو روح الله الامين ونسبته اليه ظاهرة وانما نسب النفخ الى الله فلكونه العلة الاولى وجبرئيل واسطة جعله اشعة مبدأ في هذا اللفظ لنفخ النفس في صورة آدم منه الثاني جود الله ونعمته وفيضه الصادر على آدم وغيره وانما كان ذلك روحا لانه مبدأ كل حياة وهو الروح الكلية التي بها قوام كل موجود ونسبته اليه ظاهرة ويكون من ههنا للتبعيض الثالث ان يراد بالروح النفس الانسانية ويكون من زائدة وانما نسب اليه دون سائر مصنوعاته اللطيفة لما علمت ان الكمل منزه عن الجهة والمكان وفي قوتها العلم بجميع الاشياء والاطلاع عليها وهذه مضاهاة ومناسبة بوجه ما مع العلة التي ليست حاصلة لما عداها من الجواهر مما هو جسم او جسماني فلذلك شرفها بالاضافة اليه وقوله فمثلت انسانا اشارة الى الصورة المجبولة وفيه لطيفة وهي انها انما كانت انسانا بنفخ الروح فيها ولذلك رتب صيرورتها انسانا بالفاء على نفخ الروح فيها وقوله ذا اذهان يجيلها اشارة الى ما للانسان من القوى الباطنة المدركة والمتصرفة ومعنى اجالتها تحريكها وبعثها في انتزاع الصور الجزئية كالحس المشترك والمعاني الجزئية كالوهم وقوله وفكر يتصرف بها اشارة الى القوى المفكرة في آحاد النوع الانساني وتصرفها في تفتيش الخزانتين وتركيب بعض مودوعاتها ببعض وتحليلها وقوله وجوارح يختدمها اشارة الى كافة الاعضاء التي بينا انها كلها خادمة للنفس والادوات التي تقلبها من تلك بتصرف ان يختص بالايدي كقوله تعالى فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها ويمكن ان يكون اعم من ذلك كالبصر والقلب كقوله يا مقلب القلوب والابصار فيصدق عليها اسم التقليب وقوله ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل اشارة الى استعداد النفس لدرك المعقولات الثانية المسمى عقلا بالملكة بحسب مالها من المعارف الاولى اعني البديهيات فان الحق والباطل امور كلية وليس للقوى البدنية حظ في ادراك الامور الكلية ويحتمل ان يشير بالمعرفة الى القوة الاستعدادية الاولى للانسان المسماة عقلا هيولانيا وقوله والاذواق والمشام والالوان والاجناس نبه بها على ثلثة امور احدها ان للانسان آلات بها يدرك المذوقات واخرى بها يدرك المشمومات واخرى بها يدرك الالوان وقد بينا ذلك الثاني نبه على ان النفس مدركة للجزئيات بواسطة هذه القوى اذ عدها في سلك ما تتصرف فيه النفس وتفرق بينه وبين غيره الثالث احترز بقوله والاجناس نبه بها على ان النفس تنتزع الامور الكلية من تصفح الجزئيات فان الاجناس امور كلية والنفس بعد ادراك الجزئيات وتصفحها تنتبه لمشاركات بينها ومباينات فتنتزع منها تصورات كلية وتصديقات كلية وكانه عن

بالاحساس ههنا الامور الكلية مطلقا لا بعضها كما هو في الاصطلاح العلمي وقوله معجونا بطينة الالوان المختلفة نصب على الحال من قوله انسانا او الصفة له والمراد الاشارة الى ان اختلاف ابدان النوع بعضها من بعض بالالوان بسبب قوة استعدادها لهذه الالوان كما قال صلى الله عليه وسلم فجاء منهم الاحمر والابيض والاسود كما سبق وطينة الالوان واصلها وعجنه بها امتزاجه بها وتهيئته واعداده لقبولها على اختلافها وكذلك الحال في البدن الواحد فانه ليس لجملة اجزائه لون واحد فان امتزاج بعض الاعضاء يقتضي ان يكون ابيض كالعظام والاسنان وبعضها احمر كالدم وبعضها اسود كالحدقة والشعر وكذلك اختلاف الاشخاص في الصفات المكنى بها عن الاخلاق الواردة في تمام الخبر من قوله والسهل والحزن والخبيث والطيب يرجع الى ان الارض لما كانت اكثر العناصر شركة في هذه الابدان كان لاختلاف بقاعها اثر تام في تفاوت الامتزاج لقبول الاخلاق بالسهولة والحزونة والخبث والطيب وقوله بالاشياء المؤتلفة والاضداد المتعادية والاخلاط المتباينة من الحر والبرد والبلة والجمود والمساءة والسرور اما الاشياء المؤتلفة فكالعظام والاسنان واشباهها فانها اجسام متشابهة ائتلف بعضها مع بعض وبها قامت الصورة البدنية وامتزجت بطينتها واما الاضداد المتعادية فكالكيفيات الاربع التي ذكرها وهي الحرارة والبرودة والرطوبة التي هي البلة واليبس الذي هو الجمود وعبر عنه بلازمه وهو الجمود على ان الجمود في اللغة هو اليبس بعينه واما الاخلاط المتباينة فهي الاخلاط الاربعة كما عرفت من الدم والبلغم والصفراء والسوداء واما المساءة والسرور فهما من الكيفيات النفسانية ومهية كل منهما ظاهرة واما اسبابهما فاعلم ان للسرور سببا جسمانيا معدا وهو كون حامله الذي هو الروح النفساني على كمال احواله في الكمية لان زيادة الجوهر في الكم يوجب زيادة القوة وفي الكيفية وهي ان يكون معتدلا في اللطافة والغلظ وان يكون شديد الصفا واما السبب الفاعلي له فالاصل فيه تخيل الكمال كالعلم والقدرة والاحساس بالمحسوسات الملائمة والتمكن من تحصيل المرادات والقهر والاستيلاء على الغير والخروج عن المولم وتذكر الملذات واما اسباب الغم فمقابلات هذه اما السبب المعد الجسماني فهو اما قلة الروح كما للناقهين والمنهوكين بالامراض والمشايخ واما غلظه فكما للسوداويين وكدرته كما للنساء واما الفاعلي فمقابل اسباب السرور وقد يشتد كل منهما بعد الاسباب المذكورة بتكرره فيصير السرور والغم ملكة ويسمى صاحبه مفراحا او محزانا ومقصوده التنبيه على ان طبيعة الانسان فيها قوة قبول واستعداد لهذه الكيفيات وامثالها وتلك القوة هي المراد بطينة المساءة والسرور والفرق بينها وبين الاستعداد ان القوة تكون على الضدين والاستعداد لا يكون الا لاحدهما وقوله واستادى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم الى قوله الا ابليس اقول لما كان الذي يشير اليه كل انسان بقوله انا هو النفس الناطقة كان آدم عندهم عبارة عن النفس الناطقة ثم قالوا المراد بالملائكة الذين امروا بالسجود لآدم هي القوى البدنية التي امرت بالخضوع والخشوع لتكرمة النفس العاقلة والانقياد تحت حكمها وهو الحق الذي لاجله خلقوا واما عهد الله لديهم ووصيته اليهم فهو المشار اليه بقوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين والخطاب ههنا خطاب الحكمة الالهية بالقضاء الازلي قبل الوجود والاستيداء الذي للعهد وتلك التوصية هو طلب المأمور به اولا من الانقياد والخضوع من تلك القوى بعد الوجود على السنة الرسل عليهم السلام بالوحي المنزل اليهم وهو قوله فاسجدوا لآدم وقوله فسجدوا اشارة الى القوى المطيعة لنفوسها العاقلة في اشخاص عباد الله الصالحين وقوله الا ابليس وقبيله اشارة الى الوهم وسائر القوى التابعة له في معارضة العقل في اشخاص الكفار والفاسقين عن امر الله سبحانه وقد عرفت ان الوهم رئيس القوى البدنية فهي اذن عند معارضته للعقل ومنازعتها له جنود ابليس وقبيله واما قوله اعترتهم الحمية وغلبت عليهم الشقوة وتعززوا بخلقة النار واستوهنوا خلق الصلصال فقالوا ان المراد بكون ابليس وجنوده مخلوقا من نار ان الارواح الحاملة لهذه القوى كما عرفت اجسام لطيفة تتكون عن لطافة الاخلاط وهي حارة جدا مائلة الى الافراط والنارية والهوائية عليها اغلب ولذلك قيل انه ما عنها اسهل وهي احر اجزاء البدن وكذلك القلب الذي هو منبعها فكانت تلك الارواح كالابدان لهذه القوى فلذلك نسب ابليس الى النار فقال تعالى حكاية عنه خلقتني من نار وقال والجان خلقناه من قبل من نار السموم اي قدرنا قبل وجوده ان تكون النارية والهوائية على وجوده اغلب وقال بعضهم انه لما كانت النار الطف العناصر وكانت هذه القوى وارواحها الطف الامور الجسمانية وتكونها عن الطف الاخلاط كانت نسبتها الى النار اولى من سائر العناصر لمكان المشابهة في اللطافة فجاز ان يطلق على اصله انه نار لا يقال ان كان ادم هو النفس الناطقة فما معنى قول ابليس وخلقته من طين لانا نقول كما صدق ان ابليس مخلوق من نار بمعنى ان الغالب على الروح الحامل له هو عنصر النار كذلك يصدق ان ادم من طين بمعنى ان الغالب على بدنه الارضية وايضا فان الوهم لا يدرك الا المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات فلا يصدق في حكمه بمساعدة الا فيما كان محسوسا ولما ثبت ان النفس جوهر مجرد لم يكن اعتقاد ابليس ان الانسان شيء غير هذا البدن المتكون عن الطين اذا ثبت ذلك فنقول اعتزام الحمية والتعزز بالانتساب الى عنصر النار نسبة مجازية اذ [illegible] بان يانف الانسان من الاصل الناقص وان يفتخر ويتعزز بالاصل الشريف والانتساب اليه فكان لسان حال ابليس والقوى التابعة له

يقول على جهة الاستنكار والاستكبار أأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون وانا مخلوق من النار التي هي اشرف العناصر
قالوا ولما علم الله تعالى حال ابليس لعنه وطرده واخرجه من الجنة وذلك قوله تعالى فقال اخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة
الى يوم الدين قالوا وذلك لانك علمت ان الجنة تعود الى معارف الحق سبحانه والابتهاج بمطالعة انوار كبريائه ودرجات الجنة
هي المراتب التي ينتقل العقل فيها في مقامات السلوك الى حظائر القدس ومجاورة الملأ الاعلى وعلمت ان حال الوهم قاصر عن
الانتقال على تلك المراتب فطرده ولعنه وحرم الجنة عليه مع ما يكونه على الطبيعة التي هو عليها القاصرة عن ادراك العلوم
الكلية التي هي ثمار الجنة وقطوفها والقضاء عليه بذلك قالوا وما بنيته على ذلك قوله رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض
ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين اي بما خلقتني على هذه الجبلة لا اهتدي لدخول الجنة ولا اتمكن منها لاجذبنهم
الى المشتهيات ولازينن الملذات الجاذبة لهم عن عبادتك حتى لا يهتدوا الى الجنة التي لاجلها خلقتهم ولا يلتفتوا اليها الا من عصمته
منهم وجعلت له سلطانا على قهري وغلبتي وهم عبادك المخلصون اي النفوس الكاملة المطهرة عن متابعة قواها المسلطة على قهر
شياطينها وقهرها وكذلك قوله قال انظرني الى يوم يبعثون فانه لما كان البعث الاول هو مفارقة النفوس لابدانها واشتغالها الى
عالمها وكانت طبيعة الوهم قاضية بمحبة البقاء في دار الدنيا اذ لا حظ له في غيرها احسن من لسان حاله ان يقول رب انظرني الى يوم
يبعثون وقوله فاعطاه الله النظرة لما كان الوهم باقيا في البدن هو وجنوده الى يوم البعث حسن من لسان الحكمة الالهية ان يقول
انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ومثل ذلك معنى اعطائه النظرة وقوله استحقاقا للسخطة واستتماما للبلية وانجازا للعدة
فقد عرفت ان البلية نصب على المفعول له ثم ان بقاء الوهم وابتلاء الخلق به والشر الصادر عنه امور داخلة في القضاء الالهي
بالعرض فيصدق عليه انه مراد وان الانظار والامهال له وكذا استحقاق السخطة وانجاز العدة واطلاق لفظ السخطة استعارة فان
السخط لما كان عبارة عن حالة للانسان يستلزم وجود مغضوب عليه غير مرضي عنه وكان حال ابليس في انظار الله اياه وتسويفه عن
رتبة مستلزما للاعراض الله سبحانه عنه وعدم عنايته به كان هناك نوع مشابهة حسن لاجلها اطلاق لفظ السخطة اما العدة
فتعود الى قضاء الحكمة الالهية ببقاء الوهم الى يوم البعث وانجازها يعود الى موافقة القدر لذلك القضاء وقال بعضهم انه لما كان
ههنا صورة مطرود ومبعد وملعون حسن اطلاق لفظ السخطة واستحقاقها وانما انظر لاجلها وهو ترشيح للاستعارة
قوله ثم اسكن الله سبحانه آدم دارا ارغد فيها عيشه وآمن فيها محلته وحذره ابليس وعداوته **اقول** الدار التي اسكن فيها
آدم هي الجنة والاشارة ههنا الى ان الانسان من اول زمان افاضة القوة العاقلة عليه الى حين استرجاعها مادام مراعيا للاوامر
الحق سبحانه غير منحرف عن فطرته الاصلية ولا معرض عن عبادته ولا ملتفت الى غيره فانه في الجنة وان كانت الجنة على مراتب كما قال تعالى
لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار ولذلك قال صلعم كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه هما اللذان يهودانه
وينصرانه اذ كانت نفسه قبل الجواذب الخارجية عن القبلة الحقيقية غير مدنسة بشيء من الاعتقادات الفاسدة والهيئات الردية
وان كانت المرتبة الساقطة والغرفة العالية انما تنال بعد المفارقة واستصحاب النفس لاكمل زاد واما ارغاد العيش فيعود الى ابتهاجها
بالمعقولات والمعارف الكلية واما امان المحلة امان مكانه في الجنان يعرض له خوف او حزن مادام فيها واما تحذيره من ابليس وعداوته
فظ من الاوامر الشرعية ولسان الوحي ناطق كما قال تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك ووجه العداوة ظ مما قلنا فان النفس لما كانت
من عالم المجردات وكان الوهم بطبعه منكرا لهذا القسم من الممكنات كان منكرا لما تأمر به النفس من الامور الكلية التي لا حظ له في ادراكها
وذلك من مقتضيات العداوة ولان نظام امر النفس ومصلحتها لا يتم الا بقهر الوهم والقوى البدنية عن مقتضيات طباعها وتمام مطالب
بينهما
القوى لا يحصل الا بانقهار النفس فكانت المجاذبة طبيعية وعداوته اصلية اذ لا معنى للعداوة الا المجاذبة لما يتصور كونه موذيا **قوله**
فاغتره ابليس نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الابرار **اقول** يقال ان الله تعالى لما حذره ابليس وعداوته كان قد نهاه عن اكل
شجرة يقال انها شجرة البر واعلمه انه ان اكل منها كان ظالما لنفسه مستحقا لسخط الله عليه وذلك قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة
فتكونا من الظالمين قالوا وتلك الشجرة هي الشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وهي غاية الى الشهوات الدنيوية
الفانية واللذات البدنية الخارجة عن الحدود في اوامر الله تعالى ولها هوا لعبوديتها الى طرف الافراط عن وسط القانون العدل
واما كونها شجرة البر فقالوا ان البر لما كان هو قوام الابدان وعليه الاعتماد في انواع المطعومات والملاذ البدنية حسن ان يعبر
عنها فيقال هي شجرة البر كناية عن الفرع بالاصل فاما اغترار ابليس له فاعلم ان حقيقة الغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى
ويميل اليه بالطبع عن شبهة وخدعة من ابليس فاغتراره يعود الى اشتغال النفس بالوسوسة التي حكى الله تعالى عنها بقوله فوسوس
حقيقة الوسوسة
لهما الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ولنبحث عن حقيقة الوسوسة فنقول ان الفعل انما يصدر
عن الانسان بواسطة امور مترتبة ترتيبا طبيعيا اولها تصور كون الفعل ملائما وهو المسمى بالداعي ثم ان ذلك التصور يترتب

عليه ميل

والارادة
عليه ميل النفس الى الفعل المسمى ذلك الميل ارادة فيترتب على ذلك الميل حركة القوة التي وعيته المحركة للقوة المسماة قدرة
المحركة للعضل الى الفعل اذا عرفت ذلك فنقول صدور الفعل عن مجموع القدرة امر واجب فليس للشيطان فيه مدخل
ووجود الميل عن تصور كونه نافعا وجزم امر لازم فلا مدخل للشيطان ايضا فيه فلم يبق له مدخل الا في القاء ما يتوهم كونه
نافعا او لذيذا الى النفس فما ذاك القاء امر الله سبحانه فذلك الالقاء في الحقيقة هو الوسوسة وهو عين ما حكى الله سبحانه
عنه بقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي اذا عرفت ذلك فاعلم ان مناهضة ابليس يعود الى انقياد
النفس لجذب الوهم والقوى البدنية التي هي الشياطين عن الوجهة المقصودة والقبلة الحقيقية وهي عبادة الحق سبحانه و
قبولها لما تزينه من ما حرم الله عليها فاما ما يقال ان ابليس لم يكن له تمكن من دخول الجنة وانما توسل بالحية ودخل فيها
الى الجنة حتى تمكن من الوسوسة لآدم واغتراره فقالوا المراد بالحية هي القوة المتخيلة وذلك ان الوهم انما يتمكن من التصرف
وبعث القوى المحركة كالشهوة والغضب التي هي جنوده وشياطينه على طلب الملاذ البدنية والشهوات الخسيسة الدنية وخدع
ارده
النفس لها بتصوير كونها لذيذة نافعة بواسطة القوة المتخيلة ووجه تشبيهها بالحية انها لما كانت لطيفة سريعة الحركة
تتمكن من الدخول في المنافذ الضيقة وتقدر على التصرف الكثير وهي مع ذلك سبب من اسباب الهلاك بما تحمله من السم و
كانت المتخيلة في سرعة حركتها وقدرتها على التصرف السريع والادراك الطف من سائر القوى وهي الواسطة بين النفس والوهم
وكانت بما اشتملت عليه من تحمل كيد ابليس والقاء الوسوسة بواسطتها الى النفس سببا قويا للهلاك السرمد والعذاب المؤبد
لاجرم كان اشبه ما يشبه به الحية لما بينهما من المناسبة فحسن اطلاق لفظ الحية عليها **وقوله** نفاسة عليه ترشيح للاستعارة
لانه لما كان جذب الوهم للنفس الى الجنة ليس فلزما نعالها من الكرامة بدار المقامة ومشتركا لها عن حضرة الملأ الاعلى وكان
الاستعارة
ذلك اعظم ما تنفس به كما قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وعرفت ان ذلك الجذب عن صورة معاداة كما سبق وكان من لوازم
المعاداة المنافسة على العدو بكل ما يعد كمالا له لاجرم حسن اطلاق المنافسة ههنا ترشيحا للعداوة والنصب على المفعول له **قوله** فباع
اليقين بشكه والعزيمة بوهنه اي لما حصلت الوسوسة والاغترار لآدم فانقاد لها كان قد بدل ما تيقنه من ان شجرة الخلد والملك الذي
لا يبلى هو نور الحق والبقاء في جنته ودوام مطالعة كبريائه بالشك فيه بواسطة وسوسة ابليس وذلك ان الامور الموعودة من متاع الآخرة
وما اعده الله لعباده الصالحين امور خفيت حقائقها على اكثر ابصار البشرية وانما الغاية في تشويقهم اليها ان يمثل لهم بما هو
مشاهد لهم من اللذات البدنية الحاضرة فترى كثيرا منهم لا يخطر ببالهم ان يكون في الجنة امر زائد على هذه اللذات فهو يجتهد في
تحصيلها انه لا يتصور وراءها اكثرهم انهم ان صدقوا بها على سبيل الجملة تصديقا للوعد الكريم فانه لا يتصور كثير تفاوت بين الموعود
به والحاضر بحيث يرجح ذلك التفاوت عنده ترك الحاضر لما وعد به بل يكون ميل طبعه الى الحاضر وتوهم كونه انفع واولى به اغلب
عليه وان يتحقق باصل عقله ان الاولى به وانفع له والابقى هو متاع الآخرة فتارة يطرأ على ذلك اليقين غفلة عنه ونسيان له بسبب الاشتغال
باللذات الحاضرة والانهماك فيها وذلك معنى قوله تعالى فنسي وتارة لا تحصل الغفلة الكلية بل يكون الوهم له ذاكرا وقويا فيعارض ذلك
اليقين بحيث يوجب مقابلته شبهة وشكا وذلك معنى قوله فباع اليقين بشكه ولا منافاة بين قوله تعالى فنسي وبين الشك ههنا
وقوله والعزيمة بوهنه اي تعوض من العزم والتصميم الذي كان ينبغي له في طاعة الحق سبحانه بالضعف والتعاجز عن تحمله كما قال تعالى
ولم نجد له عزما واطلاق لفظ البيع ههنا استعارة حسنة اذ كان مدار البيع على استعاضة شيء بشيء سواء كان المستعاض اجل
او انقص ومثله قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين **وقوله** فاستبدل
بالجذل وجلا وبالاغترار ندما الى قوله وتناسل الذرية فيه تقديم وتأخير وتقديره والعزيمة بوهنه فاهبطه الله الى دار البلية
في التدبير
وتناسل الذرية فاستبدل بالجذل وجلا وبالاغترار ندما ثم اناب الى الله فبسط له في توبته ولقاه كلمة رحمته ووعده المرد الى جنته
وذلك لان الاهباط عقيب الزلة واستبدال الجذل بالوجل بعد الاهباط من الجنة والاخراج منها وقد ورد القرآن الكريم بهذا النظم في
سورة البقرة وهو قوله فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا ثم قال عقيبه فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وورد
ايض على النظم الذي ذكره ع في سورة طه وذلك قوله وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا فقدم الاجتباء
والتوبة على الاهباط وكلاهما حسن قالوا ومعنى الاهباط له هو ازالة عن دار كرامته واستحقاق اضافة نعيم الجنة وذلك ان النفس لما طلبت
اذ اعرضت عن جناب الحق سبحانه والتفتت الى متابعة الشياطين وابناء الجن وموافقة ابليس بعدت عن رحمة الله وسودها عن قبول
انوار الالهية واما دار البلية وتناسل الذرية فاشارة الى الدنيا فان الانسان اذا التفت بوجهه اليها واقبل بكليته عليها اهبط من اعلى
عليين الى اسفل سافلين ولم يزل ممنوا ببلاء على اثر بلاء اذ لا يبقى له في كل لحظة وقت فوت مطلوب وفقد محبوب يطلب ما لا يدرك
ويجد ما لا يطلب كفى بانقطاعه عن الله تعالى بالتفاته اليها بلاء واعظم به شقاء اذ كان سبب البعد عن رحمته والطرد عن ابواب جنته فان قلت

اذ كون تناسل الذرية في معرض الاهانة لادم مع انه في الحقيقة من الامور الخيرية المقصودة في سلك العناية الالهية فان به بقاء النوع ووجود
الافاضة قلت لانه وان كان كذلك الا انه لا نسبة له في الحقيقة الى الخير الذي كان ادم فيه في الجنة فان تناسل الذرية خير اضافي عرضي بالنسبة
الى الكمال الذي يحصل لابناء النوع وذريته ثم التسبب ان حصلت فنسبة اخص الى اشرف فان انزاله واهباطه عن استحقاق تلك المراتب
السامية والافاضات العالية الى هذه المرتبة التي فيها البهيمة وسائر انواع الحشرات نقصان عظيم وخسران مبين **قوله** واستبدل
بالجذل وجلا وبالاغترار ندما ظاهر فان المقبل بوجهه على عبادة الحق سبحانه المستشرق لانوار كبريائه المعرض عما سواه ابدا مسرور مبتهج فاذا اعرض
عما يوجب السرور الفرح والتفت الى خسائس الامور بسبب شيطان قاده اليها وزينها لعينه فانكشف عنه ستر الله وبانت سوءته للناظرين بعين
العاقبة من عباد الله الصالحين ثم اخذت بضبعه العناية الالهية وتداركته الرحمة الربانية فانتبه من رقدة الغافلين في مراقد الطبيعة
فراى السلاسل والاغلال قد احاطت به وشاهد الجحيم مسعرة عن جنبتي الصراط المستقيم وتذكر قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى فمن
تبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى الايات فلا بد وان يصبح وجلا
قلقا يقلب كفيه حسرة وندما وجلا مما يلحقه من سخط الله نادما على ما فرط في جنب الله **قوله** ثم بسط الله سبحانه له في توبته ولقاه كلمة رحمته
فالمراد الاشارة الى ان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع من جهته وانما النقصان من جهة القابل وعدم استعداده فاذا استعدت النفس لتدارك
رحمة الله وجذبتها العناية الالهية من ورطات الهلاك الابدي فايدتها بالمعونة على ابليس وجنوده وبصرتها بمفاتح افعاله واحواله وما يدعوا
اليه فاحدثت في مقاومته الترصد لدفع مكائده فذلك هو معنى انابتها وتوبتها واما كلمة رحمة الله التي تلقاها ادم فتعود الى السوانح
الالهية التي تسنح للعبد فتكون سببا لجذبه عن مهاوي الهلاك وتوجيهه عن الجنبة السافلة الى القبلة الحقيقية وامداده بالملائكة كما
قالوا ورفعه في مدارج الجلال التي هي درجات الجنة **قوله** ووعده المرد الى جنته فاشارة الى وعد القضاء الالهي الناطق عنه لسان
الوحي الكريم فمن اتبع هواي فلا يضل ولا يشقى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار وكذا سائر انواع وعد التائبين فهذا ما يتعلق بهذه القصة من التأويل وبالله العصمة والتوفيق **الفصل**
الرابع قوله واصطفى سبحانه من ولده انبياء اخذ على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة امانتهم لما بدل اكثر خلقه عهد الله
اليهم فجهلوا حقه واتخذوا الانداد معه واجتالتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته فبعث فيهم رسله وواتر اليهم انبياءه
ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول ويروهم ايات المقدرة من سقف
فوقهم مرفوع ومهاد تحتهم موضوع ومعايش تحييهم واجال تفنيهم واوصاب تهرمهم واحداث تتتابع عليهم ولم يخل الله سبحانه
خلقه من نبي مرسل وكتاب منزل او حجة لازمة او محجة قائمة رسل لا يقصر بهم قلة عددهم ولا كثرة المكذبين لهم من سابق سمي له من بعده
او غابر عرفه من قبله على ذلك نسلت القرون ومضت الدهور وسلفت الاباء وخلفت الابناء الى ان بعث الله سبحانه محمدا صلعم لانجاز
عدته وتمام نبوته مأخوذا على النبيين ميثاقه مشهورة سماته كريما ميلاده واهل الارض يومئذ ملل متفرقة واهواء منتشرة وطرائق متشتتة
بين مشبه لله بخلقه او ملحد في اسمه او مشير الى غيره فهداهم به من الضلالة وانقذهم بمكانه من الجهالة ثم اختار سبحانه لمحمد صلعم لقاءه و
رضي له ما عنده واكرمه عن دار الدنيا ورغب به عن مقام البلوى فقبضه اليه كريما صلعم وخلف فيكم ما خلفت الانبياء في اممها اذ لم
يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قائم كتاب ربكم مبينا حلاله وحرامه وفضائله وفرائضه وناسخه ومنسوخه ورخصه وعزائمه وخاصه
وعامه وعبره وامثاله ومرسله ومحدوده ومحكمه ومتشابهه مفسرا جمله ومبينا غوامضه بين مأخوذ ميثاق علمه وموسع على العباد في جهله
وبين مثبت في الكتاب فرضه معلوم في السنة نسخه وواجب في السنة اخذه مرخص في الكتاب تركه وبين واجب لوقته وزائل في مستقبله و
مباين بين محارمه من كبير اوعد عليه نيرانه او صغير ارصد له غفرانه وبين مقبول في ادناه وموسع في اقصاه **قوله** الاصطفاء
الاستخلاص والانداد الامثال واجتالتهم اي ادارتهم واجتذبتهم وواتر اي رسل وترا بعد وتر اي واحدا بعد اخر والفطرة الخلقة
والمهاد الفراش والاوصاب الامراض والاحداث المصائب وتخصيصها بما للعرف والمحجة ما جر بين الانسان عنها اي بغلبته والمحجة جادة
الطريق والغابر الباقي والماضي ايضا وهو من الاضداد والقرن الامة ونسلت اي درجت ومضت مأخوذ من نسل ريش الطائر ونسل
الوبر اذا وقع والعدة الوعد وانجازها قضاؤها والسمة العلامة وميلاد الرجل محل ولادته من الزمان والمكان والملحد العادل
عن الاستقامة على الحق والنسخ في اللغة الازالة والرخصة التساهل في الامر والعزيمة الجد وهذه الالفاظ الثلثة مخصوصة في العرف على معان
اخرى كما نذكره والمرسل له كذا اي هيأته له وهيهنا ابحاث **البحث الاول** الضمير في ولده راجع الى ادم ثم ان كانت الاشارة
بادم الى النوع الانساني فنسبة الولادة اليه في العرف ظاهرة صادقة فان كل اشخاص نوع هم ابناء ذلك النوع في اصطلاح اهل التأويل
ولئن كان المراد اول شخص حدث فاعلم ان اصطفاء الله للانبياء يعود الى افاضة الكمال النبوي عليهم بحسب ما وهبت لهم العناية الالهية
من القبول والاستعداد واخذه على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة امانتهم هو حكم الحكمة الالهية عليهم بالقوة على ما كلفوا به من ضبط

الوحي في الواح

الوحي في الواح قواهم وجذب النفوس الناقصة الى جناب عزته بحسب ما فاضهم من القوة على ذلك الاستعداد لها وما منحهم من الكمال الذي
يقتدرون معه على تكميل الناقصين من ابناء نوعهم ولما كانت صورة العهد واخذ الامانة في العرف ان يوعز الى الانسان بامر ويؤكد
عليه القيام به بالايمان واشهاد الحق سبحانه وكان الحكم الالهي جاريا بارسال النفوس الانسانية الى هذا العالم وكان مراد العناية
الالهية من ذلك البعث ان يظهر ما في قوة كل نفس من كمال وتكميل الى الفعل وكان ذلك لا يتم الا بواسطة بعضها للبعض كان الوحي
الذي تبعث عليه مشبها للعهد والميثاق المأخوذ والامانة المودعة كل ما في قوته وما اعد له فحسن اطلاق هذه الالفاظ واستعارتها
هيهنا **قوله** لما بدل اكثر خلق الله عهده اليهم فجهلوا حقه واتخذوا الانداد معه واجتالتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم
عن عبادته الى اخره اشارة الى وجه الحكمة الالهية في وجود الانبياء ولوازمه وهي شرطية متصلة قدم منها التالي ليتعلق ذكر الانبياء
بذكر ادم والتقدير لما بدل اكثر خلق الله عهده اليهم اصطفى سبحانه من ولده انبياء اخذ على الوحي ميثاقهم فبعثهم في الخلق وذلك العهد
هو المشار اليه بقوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم الاية قال ابن عباس لما خلق الله ادم مسح على ظهره فاخرج منه
كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة فقال الست بربكم قالوا بلى فنودي يومئذ جف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة واعلم ان اخذ
الذرية يعود الى احاطة اللوح المحفوظ بما يكون من وجود النوع الانساني باشخاصه وانتقاشه بذلك عن قلم القضاء الالهي ولما كان
تمام العالمين في الوجود الخارجي فكل هو في التقدير القضائي المطابق له وبه يكون تمام التقدير وجفاف القلم واما اشهادهم على انفسهم
فيعود الى انطاق امكانهم بلسان الحاجة اليه وانه الاله المطلق الذي لا اله غيره واما بيان ملازمة الشرطية فلانه لما كان الغالب على الخلق
حب الدنيا والاعراض عن مقتضى الفطرة الاصلية التي فطرهم عليها والالتفات عن القبلة الحقيقية التي امروا بالتوجه اليها وذلك بحسب
ما ركب فيهم من القوى البدنية المنازعة الى كمالاتها لا جرم كان من شأن كونهم على هذا التركيب المخصوص ان يتبدل اكثرهم عهد
الله سبحانه اليهم من الدوام على عبادته والاستقامة على صراطه المستقيم وعدم الانقياد لعبادة الشيطان كما قال سبحانه الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا
تعبدوا الشيطان الاية وان يجهلوا حقه للغفلة بخاص لذاتهم عما يستحقه من دوام الشكر وان يتخذوا الانداد معه لتنسيانهم العهد القديم
وان يجتذبهم الشياطين عن معرفته التي هي لذة ثمار الجنة وان تقتطعهم عن عبادته التي هي المرقاة الى اقتطاف تلك الثمرة ولما كان من
شأنهم ذلك وجب في الحكمة الالهية ان يخص صنفا منهم بكمال اشرف يقتدر معه ابناء ذلك الصنف على ضبط الجوانب المتجاذبة وعلى
تكميل الناقصين ممن دونهم وهم صنف الانبياء والغاية منهم ما اشار اليه بقوله ليستأدوهم ميثاق فطرته اي ليبعثوهم على اداء ما خلقوا
لاجله وفطروا عليه من الاقرار بالعبودية لله ويجذبوهم عما انغمسوا اليه من اتباع الشهوات الباطلة وافناء اللذات الوهمية الزائلة وذلك
البعث والجذب تارة يكون بتذكيرهم نعم الله الجسيمة وتنبيههم على شكرها ولا مرشد منه العظيمة وتارة يكون بالترغيب فيما عنده سبحانه
مما اعده لاوليائه الابرار وتارة بالترهيب مما اعده لاعدائه الظالمين من عذاب النار وتارة بالتنفير عن خسائس هذه الدار وبيان وجوه
الاستهانة بها والاستحقار والى ذلك اشار بقوله ويذكروهم منسي نعمته ولا بد للمجادلة والمخاطبة من احتجاج مقنع وملزم فيحتجوا عليهم
عليهم بتبليغ رسالات ربهم وانذارهم لقاء يومهم الذي يوعدون وينبهوهم وجوه الادلة على وحدانية المبدع الاول وتفرده باستحقاق
العبادة وهو المراد بدفائن العقول وكنوزها واستعمال الدفائن هيهنا استعارة لطيفة فانه لما كانت جواهر العقول ونتائج الافكار
موجودة في النفوس بالقوة اشبهت الدفائن فحسن استعارة لفظ الدفينة لها ولما كانت الانبياء هم الاصل في استخراج تلك الجواهر
لاعداد النفوس لاظهارها حسنت اضافة اثارتها اليهم وكذلك ليرشدهم الى تحصيل مقدمات تلك الادلة والبراهين وموادها
وهي ايات القدرة الالهية واثارها من سقف فوقهم محفوظ مرفوع مشتمل على بدائع الصنع وغرائب الحكم ومهاد تحتهم موضوع فيه
ينتشرون وعليه يتصرفون ومعايش بها يكون قوام حيوتهم الدنيا وبلاغا لمدة بقائهم لما خلقوا له واجال مقدرة بها يكون فناؤهم
ورجوعهم الى بارئهم واعظم بالاجل اثر دالا عنه وتفقدا باجادا الى الله تعالى ولذلك في القران اكثر ذكرها من اللذات الى غير ذلك من
الامراض التي تضعف قواهم وتهرمهم ومن المصائب التي تتتابع عليهم فان كل هذه الاثار مواد احتجاج الانبياء على الخلق لينبهوهم
عن العزيز الجبار عز سلطانه على انه هو الملك المطلق الذي له الخلق والامر وليقرروا في اذهانهم صورة ما نسوه من العهد المأخوذ عليهم
في الفطرة الاصلية من انه سبحانه هو الواحد الحق المنزه باستحقاق العبادة والى ذلك اشار القران الكريم وجعلنا السماء سقفا
محفوظا وهم عن اياتها معرضون وقوله ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع
الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها الاية وقوله تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض
فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون الى غير ذلك من الايات الدالة على احتجاج الخالق سبحانه
على خلقه بالسنة رسله وتراجمة وحيه فحجتهم بهذه الالطاف الى التقريب من ساحل عزته والوصول الى حضرة قدسه سبحانه
ونعم عما يشركون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار **قوله** ولم يخل الله سبحانه خلقه الى قوله وخلفت

في بيان سبب اتحاد الأنبياء

الانبياء **اقول** المقصود الاشارة الى بيان عناية الله سبحانه بالخلق حيث لم يخل امة منهم من نبي مرسل يجذبهم الى جناب عزته
كما قال تعم وان من امة الا خلا فيها نذيرا وكتاب منزل يدعوهم الى عبادته ويذكرهم فيه معنى عهده ويتلى عليهم فيه اخبار الماضين
والعبر للاخرين بالاولين ويحتج عليهم فيه بالحجج البالغة والدلائل القاطعة ويوضح لهم فيه امور نظامهم ويبينهم على مبدئهم
ومعادهم الانفصال ههنا انفصال مانع من الخلو كما هو مصرح به **قوله** رسل لا يقصرهم قلة عددهم ولا كثرة المكذبين لهم اى هم
رسل كل والمراد الاشارة الى انهم وان كانوا قليلي العدد بالنسبة الى كثرة الخلق وكان عدد المكذبين لهم كثيرا كما هو المعلوم من
ان كل نبي بعث الى امة فلا بد فيهم من فرقة تنابذه وتعانده وتكذب مقالته فات ذلك لا يوليهم قصورا عن اداء ما كلفوا القيام
به من حمل الخلق على ما يكرهون مما هو مصلحة لهم في معاشهم ومعادهم بل يقوم احدهم وحده وبه والى طاعة بارئه ويحمل اعباء
المشقة التامة في مجاهدة اعداء الدين وينشرهم عونه في اطراف الارض بحسب العناية الازلية والحكمة الالهية ويبقى اثارها
محفوظة وسننها قائمة الى ان تقتضي الحكمة وجود شخص اخر منهم يقوم ذلك المقام رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل **قوله** من سابق لمن بعده تفصيل للانبياء ومن ههنا للتمييز والتبيين والمراد ان السابق منهم سابق
قد اطلعه الله تعم على العلم بوجود اللاحق له بعده فبعضهم كالمقدمة لتصديق البعض كعيسى حيث قال ومبشرا برسول يأتي
من بعد اسمه احمد وبين اللاحق سماه من قبله كمحمد وعلى ذلك اى على هذه الوتيرة والاسلوب والنظام الالهي **قوله** مضت الامم
وسلفت الاباء وتلفت الابناء **اقول** الى ان بعث الله سبحانه محمدا صم الى ان له من الجهالة واعلم انه ساق هذه الخطبة من لدن ادم
الى ان انتهى الى محمد صم كما هو الترتيب الطبيعي اذ هو الغاية من طينة النبوة وخاتم النبيين كما نطق به القران الكريم ما كان محمد ابا
احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ثم شرع بعد ذلك في التنبيه على كيفية اهتداء الخلق به وانتظام امورهم في معاشهم
ومعادهم بوجوده كل ذلك استدراج لاذهان السامعين وتمهيد لما يريد ان يعده عليهم من مصالح دينية او دنيوية فاشار
الى انه الغاية من طينة النبوة وتمام لها بقوله الى ان بعث الله محمدا صم لانجاز عدته لخلقه على السنة رسله السابقين بوجوده و
اتمام نبوته صم **قوله** ماخوذا على النبيين ميثاقه النصب ههنا على الحال من بعث وذو الحال محمد وكذا الحال في المنصوبين
الباقيين والمراد باخذ ميثاقه عليهم ما ذكر وقرر في فطرهم من الاعتراف بحقية نبوته وتصديقه فيما يجيء به اذ كان ذلك من تمام
عنايته الحق سبحانه فعنته حال ما كان ذلك الميثاق ماخوذا على الانبياء ومن عداهم وحال ما كانت امارات ظهوره والبشارة
به قد مشهورة بينهم مع ذكاء اصله وكرم مادة جبلته وشرف وقت مجيئه ثم اراد بعد ذلك ان يزيد بعثة محمد صم تعظيما و
يبين فضيلة شرعه وكيفية انتفاع الخلق به فقال واهل الارض يومئذ ملل متفرقة واهواء منتشرة وطرائق متشتتة والواو
في قوله واهل الارض للحال ايضا وموضع الجملة نصب وقوله واهواء خبر مبتدأ محذوف وتقديره اهواؤهم متفرقة وكذا قوله و
طرائق اى وطرائقهم طرائق متشتتة اى بعثه وحال اهل الارض يوم بعثه ما ذكر من تفرق الاديان وانتشار الاراء واختلافها
وتشتت الطرق والمذاهب واعلم ان الخلق عند مقدم محمد صم اما من عليه اسم الشرائع او غيرهم اما الاولون فاليهود والنصارى
والصابئة والمجوس وقد كانت اديانهم اضمحلت من ايديهم وانما بقوا متشبهين باهل الملل وقد كان الغالب عليهم دين التشبيه
ومذهب التجسيم كما حكى القران الكريم عنهم وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا والمجوس اثبتوا اصلين اسندوا الى احدهما
الخير والى الثاني الشر ثم زعموا ان جرت بينهما محاربة ثم ان الملائكة توسطت واصلحت بينهما على ان يكون العالم السفلي للشرير مدة سبعة
الاف سنة الى غير ذلك من هذيانهم وخبطهم واما غيرهم من اهل الاهواء المنتشرة والطرائق المتشتتة فهم على اصناف شتى فمنهم
العرب اهل مكة وغيرهم وقد كان منهم معطلة ومنهم محصلة نوع تحصيل اما المعطلة فصنف منهم انكروا الخالق والبعث والاعادة
وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني وهم الذين حكى القران عنهم وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر
وقصروا الحيوة والموت على تحلل الطبايع المحسوسة وتركبها فالجامع هو الطبع والمهلك وهو الدهر وما لهم بذلك من علم
ان هم الا يظنون وصنف منهم اقروا بالخالق وابتداء الخلق عنه وانكروا البعث والاعادة وهم المحكي عنهم في القران الكريم وضرب
لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي وصنف منهم اعترفوا بالخالق ونوع من الاعادة لكنهم عبدوا
الاصنام وزعموا انها شفعاؤهم عند الله كما قال ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ومن هؤلاء قبيلة ثقيف وهم اصحاب اللات بالطائف وقريش وبنو كنانة وغيرهم اصحاب العزى ومنهم من كان يجعل
الاصنام على صور الملائكة ويتوجه بها الى الملائكة ومنهم من كان يعبد الملائكة كما قال تعم بل كانوا يعبدون الجن واما
المحصلة فقد كانوا في الجاهلية على ثلثة انواع من العلوم احدها علم الانساب والتواريخ والاديان والثاني تعبير الرؤيا علم

والثالث علم الانواء وذلك مما يتولاه الكهنة والقافة منهم وعن النبي صم من قال مطرنا بنوء كذا فقد كفر بما انزل على محمد
ومن غير العرب البراهمة من اهل الهند ومدار مقالتهم على التحسين والتقبيح والرجوع في كل الاحكام الى العقل وانكار الشرائع الحقيقيين
وانتسابهم الى رجل منهم يقال له براهام ومنهم اصحاب البدده والبد عندهم شخص في هذا العالم لا يولد ولا ينكح
ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت ومنهم اهل الفكرة وهم اهل العلم منهم بالفلك واحكام النجوم ومنهم اصحاب الروحانيات بنات
الذين اثبتوا وسائط روحانية تاتيهم بالرسالة من عند الله في صورة البشر من غير كتاب فمنهم عبدة الكواكب ومنهم عبدة
الكواكب منهم عبدة الشمس ومنهم عبدة القمر وهؤلاء يرجعون بالاخرة الى عبادة الاصنام اذ لا يستمر لهم طريقة الا بشخص
حاضر ينظرون اليه ويرجعون اليه في مهماتهم ولهذا كان اصحاب الروحانيات والكواكب يتخذون اصناما على صورها
فكانت الاصل في وضع الاصنام ذلك اذ يبعد من العاقل ان يعمل خشبا بيده ثم يتخذه الها الا ان الخلق لما عكفوا عليها
وربطوا حوائجهم بها من غير اذن شرعي ولا حجة ولا برهان من الله تعم كان عكوفهم ذلك وعبادتهم لها اثباتا لالهيتها وذا
ذلك من اصناف الاراء الباطلة والمذاهب الفاسدة اكثر من ان تحصر وهي مذكورة في الكتب المصنفة في هذا الفن واذا عرفت
ذلك ظهر معنى قوله من مشبه لله بخلقه كالمشبهة من اصحاب الملل السابقة فانهم وان اثبتوا صانعا الا ان اذهانهم مكيفة
بكيفية بعض مصنوعاته في نفس الامر من الجسمية وتوابعها ومن ملحد في اسمه كالذين عدلوا عن الحق في اسمائه بتحريفها
عما هي عليه الى سماء استحقوها لاوثانهم وزادوا فيها ونقصوا كاشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من منان
ومنه التاويل بذلك عن ابن عباس ومنهم من فسر الملحدين في اسماء الله بالكاذبين في اسمائه وعلى هذا كل من سمى الله بما لم يسم
به نفسه ولم ينطق به كتاب ولا ورد فيه اذن شرعي فهو ملحد في اسمائه وتحقيقه ومن مشير الى غيره كالدهرية وغيرهم من عبدة
الاصنام والانفصال ههنا مانع الخلو ايضا ثم لما اقتضت العناية بعثته صلى الله عليه وآله ليهتدوا سبيل الحق وينقذوا من الظلم
القديم الى سلوك الصراط المستقيم ولينقذهم بمركز نوره من ظلمات الجهل الى انوار اليقين فقام بالدعوة الى سبيل ربه
بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن بحبل الله بنوره سبله قلوب الخلق وازهق بالحق الشيطان بما جاء به من
الحق والصدق وانطلقت الالسن بذكر الله واستنارت البصائر بمعرفة الله وكمل به دينه في اقصى بلاد العالم واتم به نعمته
على كافة عباده كما قال تعم اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا احب الله سبحانه لقاءه كما احب
هو لقاء الله كما قال صم من احب لقاء الله احب الله لقاءه ورضي له ما عنده من الكرامة التامة والنعمة العامة في جوار الامين في مقعد
صدق عند مليك مقتدر فاكرمه عن دار الدنيا ورغب به عن مجاورة البلوى ومقام الاذى فقبضه اليه عند انتهاء اجله كريما عن
ادناس الذنوب ظاهرا في كلا دينيه الجسمانية والروحانية صلى الله عليه وآله ما برق بارق وذر شارق **قوله** وخلف فيكم ما خلفت
الانبياء في اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قائم **اقول** لما كان هذا الشخص الذي هو النبي لا يتكرر وجود مثله
في كل وقت لان المادة التي تقبل كمال مثله انما يقع في قليل من الامزجة وجب ان يكون يشرع للناس بعده في امورهم سنة باقية
باذن الله وامره ووحيه وانزاله الروح القدس عليه ووجب ان يكون قد دبر لبقاء ما يسنه ويشرعه في امور المصالح الانسانية
تدبيرا والغاية من ذلك التدبير هو بقاء الخلق واستمرارهم على معرفة الصانع المعبود ودوام ذكره وذكر المعاد وحسم وقوع النسيان
فيه مع انقراض القرن الذي يلي النبي ومن بعده فواجب اذن ان ياتيهم بكتاب من عند الله ويكون داعيا بالمطالب الالهية والاذكار
الجاذبة الى الله سبحانه ولا خطاره بالبال في كل حال مشتملا على انواع من الوعد على طاعة الله ورسوله بجزيل الثواب عند المصير اليه
والوعيد على معصيته بعظيم العقاب عند القدوم عليه ولا بد ان يعظم امره ويسن على الخلق تكراره وحفظه او بعضه ودراسته
وتعلمه وتعليمه وتفهم معانيه ومقاصده ليكون سببا للتذكر لله سبحانه والملاء الاعلى من ملائكته ثم يسن عليهم انواع الاعمال الاذكار
في اوقات مخصوصة متقاربة يتلو بعضها بعضا مشفوعة بالفاظ تقال ونيات تنوى في الخيال ليحصل بها دوام تذكر المعبود
الاول وينتفع بها في امر المعاد والا فلا فائدة فيها وهذه الاعمال كالعبادات الخمس المفروضة على الناس وما يلحقها من الوظائف
ولما بدا عليه السلام ههنا بذكر الكتاب العزيز لكونه مشتملا على ذكر سائر ما جاء به الرسول صم اما مطابقة او التزاما وفي بسط قوانينه الكلية
بحسب السنة النبوية وفاء بجميع المطالب الالهية فنحن نبتدئ بذكر شرفه ووظائفه وشرائط تلاوته ونوضح الكلام في باقي العبادات
الى مواضعها **البحث الثاني** في فضيلة الكتاب اما الفضيلة فمن وجوه **الاول** قوله تعم وهذا ذكر مبارك انزلناه افانتم
له منكرون وهذا كتاب انزلناه مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب وقوله وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله
ولكن تصديق الذي بين يديه وهدى ورحمة لقوم بلقاء ربهم يؤمنون **الثاني** قال رسول الله صم من قرأ القران ثم رأى ان احدا تعلم
اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظم الله تعم **الثالث** قوله صلى الله عليه وآله ما من شفيع افضل منزلة عند الله تعم يوم القيمة

من القرآن لا تبحر لا تملك لا عينه ويلوح لك من سر هذه الاشارة ان ذلك انما هو في حق من تدبره وسلك نهج المطلوب منه المشتمل عليه ووصل به الى جناب الله في جوار الملائكة المقربين ولا غاية من الشفاعة الا الوصول الى نيل الرضوان من الشفوع وعلمت ان تمام رضوان الله بغير سلوك الطريق المشتمل عليها الكتاب العزيز لا يحصل ولا ينفع فيه شفاعة شافع كما قال تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين **الرابع** قال صلى الله عليه وآله لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار والمراد اي ظرف وعاه وتدبره وسلك طريقه لم تمسه النار اما نار الآخرة فظاهر واما نار الدنيا فلان الواصلين من اولياء الله الكاملين في قوتهم النظرية والعملية يبلغون حدا تنفعل العناصر عن نفوسهم فتتصرف فيها كتصرفها في ابدانها فلا يكون لها في ابدانهم تأثير وقد عرفت اسباب ذلك في المقدمات **الخامس** قال صلى الله عليه وآله افضل عبادة امتي قراءة القرآن واهل القرآن هم اهل الله وخاصته والمقصود مع شرائطه التي سنذكرها **البحث الثالث** في وظائف اما مد ونفس الكتاب بالتلاوة والدرس فيحتاج الى وظائف والا لم ينفع بها كما قال انس رب تال للقرآن والقرآن يلعنه والذي ينبغي ان يوظف في ذلك ما لخصه الامام ابو حامد الغزالي في كتاب الاحياء فانه لا مزيد عليه وهي امور عشرة **الاول** ان يتصور الانسان حال سماعه للتلاوة عظمة كلام الله سبحانه وافضله كما ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام الخلق في ايصال معاني كلامه الى اذهانهم وكيف تجلت لهم الحقائق الالهية في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى مدارج الجلال ونعوت الكمال الا بوسيلة ولولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره فالصوت والحرف للحكمة جسد وهي بالنسبة اليه نفس وروح ولما كان شرف الاجساد وعزتها بشرف ارواحها فكان شرف الحرف والصوت بشرف الحكمة التي فيها **الثاني** التعظيم للمتكلم وينبغي ان يحضر في ذهن القارئ عظمة المتكلم ويعلم ان ما يقرأه ليس بكلام البشر وان في تلاوة كلام الله غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس الغير المتطهر فكذلك باطن معناه بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب الا اذا كان متطهرا عن كل رجس مستنيرا بنور التعظيم والتوقير وعن ظلمة الشرك وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل انواره كل قلب ولاجل هذا الاجلال كان عكرمة بن ابي جهل اذا نشر المصحف يغشى عليه ويقول هو كلام ربي فتعظيم الكلام بتعظيم المتكلم وعلمت ان عظمة المتكلم لا تخطر في القلب بدون الفكر في صفات جلاله ونعوت كماله وافعاله واذا خطر بباله الكرسي والعرش والسموات والارضون وما بينهما وعلمت ان الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها هو الله الواحد القهار وان الكل في قبضته والسموات مطويات بيمينه والكل سائر اليه وانه الذي يقول هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي فانك تستحضر من ذلك عظمة المتكلم ثم عظمة الكلام **الثالث** حضور القلب وترك حديث النفس قيل في تفسير قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي بجد واجتهاد واخذه بالجد ان يتجرد عند قراءته عن جميع المشغلات والهموم عنه وهذه الوظيفة تحصل مما قبلها فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس اليه ولا يغفل فان في القرآن ما يستأنس به القلب ان كان التالي له اهلا وكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه وبساتين العارفين ورياض الاولياء وميادين اولي الالباب **الرابع** التدبر وهو وراء حضور القلب فان الانسان قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من التلاوة التدبر قال سبحانه افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقال ورتل القرآن ترتيلا ليتمكن الانسان من التدبر بالباطن وقال صلى الله عليه وآله لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واذا لم يتمكن التدبر الا بالترديد فليردد فقال ابو ذر قام رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة يردد قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم **الخامس** التفهم وهو ان يستوضح من كل آية ما يليق بها اذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله تعالى وافعاله واحوال انبيائه والمكذبين لهم واحوال ملائكته وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار والوعد والوعيد فليتأمل معاني هذه الاسماء والصفات لتنكشف له اسرارها فتحتها دفائن الاسرار وكنوز الحقائق والى ذلك اشار علي عليه السلام بقوله ما اسر الي رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا كتمه عن الناس الا ان يؤتي الله عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا في طلب ذلك الفهم وقال ابن مسعود من اراد علم الاولين والآخرين فليتدبر القرآن واعلم ان اعظم علوم القرآن تحت اسماء الله تعالى وصفاته ولم يدرك الخلق منها الا بقدر افهامهم واليه الاشارة بقوله انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا فالماء هو العلم انزله من سماء جوده ففاضت اودية القلوب كل على حسب استعداده وامكانه وان كان وراء ما ادركوه اطوار اخرى لم يقفوا عليها وكنوز لم يعثروا على اغوارها اما افعاله تعالى وما اشار اليه من خلق السموات والارض وغيرها فالذي ينبغي ان يفهم التالي منها هو صفات الله وجلاله اذ الفعل يدل على الفاعل فيستدل بعظمته على عظمته فليلاحظ بالآخرة الفاعل دون الفعل فيترقى في المقام الاول هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ويترقى في المقام الثاني كل شيء هالك الا وجهه فمن عرف الحق رآه في كل شيء ومن بلغ الى حد العرفان عن

درجة الاعتبار لم ير معه غيره فاذا تلا قوله افرأيتم ما تمنون افرأيتم الماء الذي تشربون افرأيتم النار التي تورون فلا ينبغي ان يقصر نظره على النطفة والماء والنار بل ينظر في المني وهو نطفة ثم في كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعصب والعروق وغيرها ثم في كيفية اشكال اعضائها المختلفة من المستدير والطويل والعريض والمستقيم والمنحني والرخو والصلب والثخين والغليظ وما اودع في كل من القوة وهيأ له من المنفعة التي لو اختل شيء منها لاختل امر البدن ومصالح الانسان فليتأمل من هذه العجائب وامثالها التي فيها الى عجيب قدرة الله تعالى والمبدأ الذي صدرت عنه هذه الآثار فلا يزال مشاهدا لكمال الصانع في كمال الصنعة واما احوال الانبياء فليفهم من سماع كيفية تكذيبهم وقتل بعضهم صفة استغناء الله تعالى عنهم ولو هلكوا باجمعهم لم يتضرر بذلك ولم يؤثر في ملكه فاذا سمع نصرتهم فليفهم ان ذلك من تأييد الهي كما قال تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء واما احوال المكذبين لهم كعاد وثمود فكيفية اهلاكهم فليتنبه من سماعه لاستشعار الخوف من سطوة الله ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وانه ان غفل واساء الادب فربما ادركته النقمة ونفذت فيه القضية حيث لا ينفع مال ولا بنون وكذا اذا سمع احوال الجنة والنار فليحصل منهما على خوف ورجاء وليتصور انه بقدر ما يبعد عن احدهما يقرب من الآخر وليفهم منها ومن شأن القرآن ان استقصاء ما هنالك من القرآن من الاسرار الالهية غير ممكن لعدم نهايته قال تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا وقال علي عليه السلام لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فمن لم يفهم معاني القرآن في تلاوته وسماعه ولو في ادنى المراتب دخل في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها وتلك الاقفال هي الموانع التي سنذكرها **السادس** التخلي عن موانع الفهم فان اكثر الناس منعوا من فهم القرآن لاسباب وحجب سدلها الشيطان على قلوبهم فحجب عن عجائب اسراره قال صلى الله عليه وآله لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى الملكوت ومعاني القرآن واسراره جملة الملكوت والحجب المانعة **اولها** الاشتغال بتحقيق الحروف واخراجها من مخارجها والتشدق بها عن ملاحظة المعنى وقيل ان المتولي لحفظ ذلك شيطان وكل بالقراءة ليصرف عن معاني كلام الله فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف ويخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فيكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف فمتى تنكشف له المعاني واعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس **وثانيها** ان يقلد مذهبا سمعه وتفسيرا ظاهرا نقل اليه عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما مجمدا على التعصب له من غير علم وبصيرة نظره موقوفا على مسموعه حتى لو لاح له بعض الاسرار حمل عليه شيطان التقليد حمله ولم يسوغ له مخالفة آبائه ومعلميه في ترك ما هو عليه من الاعتقاد والى مثل هذا اشارت الصوفية بقولهم العلم حجاب وعنوا بالعلم العقائد التي استمر عليها اكثر الناس بالتعليم والتقليد وبمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب والقوها اليهم لا العلم الحقيقي الذي هو الكشاف بانوار البصيرة ثم ذلك التقليد قد يكون باطلا كمن يحمل الاستواء على العرش على ظاهره فان خطر له في القدوس انه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من استقرار ذلك الخاطر في نفسه حتى ينساق الى كشف ثان وثالث ولكن يتسارع الى دفع ذلك عن خاطره ويجعله وسوسة وقد يكون حقا ويكون ايضا مانعا من الفهم لان الحق الذي كلف الخلق طلبه له مراتب ودرجات وظاهر وباطن وجمود الطبع على ظاهره يمنع من الوصول الى الباطن فان قلت كيف يجوز ان يتجاوز الانسان المسموع وقد قال صلى الله عليه وآله من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار وفي النهي عن ذلك آثار كثيرة قلت الجواب عنه من وجوه **الاول** انه معارض بقوله صلى الله عليه وآله ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا وبقول علي عليه السلام الا ان يؤتي الله عبدا فهما في القرآن ولو لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما فائدة ذلك الفهم **الثاني** انه لو لم يكن غير المنقول لاشترط ان يكون مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك مما لا يصادف الا في بعض القرآن واما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من انفسهم فينبغي ان لا يقبل ويقال هو تفسير بالرأي **الثالث** ان الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله محال فكيف يكون الكل مسموعا **الرابع** انه دعا لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فلا معنى لتخصيص ابن عباس بذلك **الخامس** قوله تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم فاثبت للعلماء استنباطا ومعلوم انه وراء المسموع فاذن الواجب ان يحمل النهي عن التفسير بالرأي على احد معنيين احدهما ان يكون للانسان في الشيء رأي واليه يميل بطبعه فيتأول القرآن على وفق رأيه حتى لو لم يكن له ذلك الميل لما خطر له ذلك التأويل وسواء كان ذلك الرأي مقصدا صحيحا او غير صحيح وذلك كمن يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيستدل على تصحيح غرضه من القرآن بقوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى ان قلبه هو المراد بفرعون كما يستعمله بعض الوعاظ تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع **الثاني** ان يتسرع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيها من الالفاظ المبهمة وما يتعلق من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير والمجاز فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر بالرأي مثاله

في بيان فضيلة القرآن

نولته وامثالها تعود الناقة مبصرة فظلموا بها فالناظر الى ظاهر العربية ربما يظن ان المراد ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء والمعنى
اية مبصرة ثم لا يدري انهم اذا ظلموا غيرهم ومن ذلك المنقول المنقلب كقوله تعم وطور سينين وكذلك باقي انواع البلاغة فكل
مكتف بتفسير ظاهر العربية من غير استظهار بالنقل فهو مفسر برأيه فهذا هو المنهي عنه دون التفهم لاسرار المعاني فظ
ان النقل لا يكفي فيه وانما ينكشف للراسخين في العلم من اسراره بقدر صفاء عقولهم وشدة استعدادهم له وللطلب المحض
والتفهم وملاحظة الاسرار والعبر ويكون لكل واحد منهم حد في الترقي الى درجة منه بعد الاشتراك في الظاهر ومثاله ما فهم
بعض العارفين من قوله صلعم في سجوده اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء
عليك انت كما اثنيت على نفسك انه قيل له اسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر الى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض
فان الرضا والسخط وصفان متضادان ثم زاد قربه فاندرج القرب الاول فيه فرقي الى الذات فقال اعوذ بك منك ثم زاد قربه
مما استحيا به على بساط القرب فالتجأ الى الثناء فاثنى بقوله لا احصي ثناء عليك ثم علم ان ذلك قصور فقال انت كما اثنيت
على نفسك فهذه خواطر تفتح للعارفين لا يفهم من تفسير الظاهر وليس مناقضا له وانما هو استكمال لما يتحد من الاسرار **الثالث**
من الموانع ان يكون مبتلى من الدنيا بهوى متاع فان ذلك سبب لظلمة القلب كالصدأ على المرآة فيمنع جلية الحق تجلي
فيه وهو اعظم حجاب للقلب وبه حجب الاكثرون وكلما كانت الشهوات اكثر تراكما على القلب كان البعد عن اسرار الله اكثر
ولذلك قال صلعم الدنيا والاخرة ضرتان بقدر ما تقرب من احدهما تبعد من الاخرى الرابع ان يخصص نفسه بكل خطاب في
القرآن من امر ونهي ووعد ووعيد ويقدر انه هو المقصود به وكذا ان سمع قصص الاولين والانبياء علم ان السمر غير مقصود
وانما المقصود الاعتبار فلا يعتقد ان كل خطاب خاص في القرآن فالمراد به الخصوص فان القرآن وسائر الخطابات الشرعية
واردة باياك اعني واسمعي يا جارة وهي كلها نور وهدى ورحمة للعالمين ولذلك امر الحق تعم الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال
واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واذا قدر انه المقصود لم يتخذ دراسة القرآن عملا بل قراءة
كقراءة العبد كتاب مولاه الذي كتبه اليه ليتدبره ويعمل بمقتضاه كما قال حكيم هذا القرآن رسائل اتتنا من قبل ربنا بعهود
نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات ونعقدها في الطاعات بالسنن المتبعات **الخامس** التأثر وهو ان يتأثر
قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الايات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به عند ما يوجه نفسه في كل حالة الى الجهة
التي فهمها من خوف وحزن او رجاء او غيره فيستعد بذلك وينفعل ويحصل له التأثر والخشية ومهما قويت معرفته كانت
الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على العارفين فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف
عن نيلها كقوله تعم واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى فانه قرن المغفرة بهذه الشروط الاربعة وكذلك قوله تعم
والعصر ان الانسان لفي خسر السورة ذكر فيها اربعة شروط وحيث اوجز واقتصر ذكر شرطا واحدا جامعا للشرائط فقال تعم
ان رحمة الله قريب من المحسنين اذ كان الاحسان جامعا لكل الشرائط وتأثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة الاية المتلوة
فعند الوعيد يتضاءل من خشية الله وعند الوعد يستبشر فرحا بالله وعند ذكر صفات الله واسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله
وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله تعم مما يمتنع عليه كالصاحبة والولد يغض صوته وينكسر في باطنه من قبح افعالهم ويكبر الله
ويقدسه عما يقول الظالمون وعند ذكر الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها وعند ذكر النار ترتعد فرائصه خوفا منها ولما
قال رسول الله صلعم لابن مسعود اقرأ علي قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على
هؤلاء شهيدا رأيت عينيه تذرفان من الدمع فقال لي حسبك الان وذلك لاستغراق تلك الحالة بقلبه بالكلية وبالجملة
فالقرآن انما يراد لهذه الاحوال واستجلابها الى القلب والعمل بها قال رسول الله صلعم اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت
عليه جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤنه وقال تعم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا والا
فالمؤنة في تحريك اللسان خفيفة قال بعضهم قرأت على شيخ لي ثم رجعت لاقرأ عليه ثانيا فانتهرني وقال جعلت القرآن علي
عملا اذهب فاقرأ على الله تعم وانظر ماذا يأمرك وما ذا ينهاك ومات رسول الله صلعم عن عشرين الفا من الصحابة لم يكن يحفظ القرآن
منهم غير ستة واختلف منهم في اثنين وكان اكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من علمائهم
كل ذلك لاشتغالهم بتفهم معاني القرآن عن حفظه كله وجاء اليه واحد ليتعلم القرآن فانتهى الى قوله تعم ومن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال يكفيني هذا وانصرف فقال رسول الله صلعم انصرف الرجل وهو فقيه فالعزيز
مثل تلك الحالة التي يمن الله تعم بها على القلب عقيب تفهم الاية واما التالي باللسان المعرض عن العمل فجدير بان يكون المراد
بقوله تعم ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى الاية وانما حظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل

السابع

وحظ

اشارة الى بيان الاحكام الخمسة التكليفية

ج

وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار **التاسع** الترقي وهو ان يترقى بقلبه وعقله
الى القبلة الحقيقية فيسمع الكلام من الله تعم لا من نفسه ودرجات القراءة ثلث ادناها ان يقدر العبد كانه يقرأ على الله واقفا
بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتضرع والابتهال **الثانية** ان يشهد
بقلبه كانه سبحانه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه وهو في مقام الحياء والتعظيم لمن الله والاصغاء الى الله
اليه والفهم عنه **الثالثة** ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات ولا ينظر الى قلبه ولا الى قراءته ولا الى التعلق بها
بالانعام من حيث هو منعم عليه بل يقصر الهم على المتكلم ويوقف فكره عليه ويستغرق في مشاهدته فهذه درجة المقربين عنها اخبر
الصادق جعفر بن محمد عم فقال لقد تجلى الله تعم لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال ايض وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلوة
حتى خر مغشيا عليه فلما افاق قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد هذه الاية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي
لمعاينة قدرته ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة وبهذا الترقي يكون العبد ممتثلا لقوله تعم ففروا الى الله وبمشاهدة المتكلم
دون ما عداه يكون ممتثلا لقوله تعم ولا تجعلوا مع الله الها اخر فان رؤية غير الله معه شرك خفي لا يخلص منه الا برؤيته وحده
العاشر التبري والمراد به ان يبرأ من حوله وقوته ولا يلتفت الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا ايات الوعد ومدح الصالحين
حذف نفسه عن درجة الاعتبار وشهد فيها الموقنين والصديقين ويتشوق الى ان يلحقه الله تعم بهم واذا تلا ايات المقت و
الذم في المقصرين شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا قيل ليوسف بن اسباط اذا قرأت القرآن بماذا تدعو قال
تدعو قال بماذا ادعو استغفر الله عن تقصيري سبعين مرة ومن رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان ذلك سبب قربه فان من
شهد البعد في القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه الى درجة اعلى في القرب ومن شهد القرب في البعد زده امنه الذي يجره
الى درجة في البعد اسفل مما هو فيه ومهما شاهد نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فاذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد
الا الله وحده في قراءته انكشف له الملكوت والمكاشفات تابعة لحال المكاشف فحيث يتلو ايات الرجاء ويغلب عليه الاستبشار
وينكشف له صورة الجنة فيشاهدها كانه يراها وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام
الله تعم وارد باللطف والسهولة والشدة والعسف والرجاء والخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانتقام و
البطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد لنوع من المكاشفة
مناسب لتلك الحالة اذ يستحيل ان يكون حال المستمع مختلفا اذ فيه كلام رضى وكلام غضب وكلام انعام وكلام انتقام وكلام
جبروت وتكبر وكلام تحنن وتعطف فهذه هي وظايف التلاوة ولنرجع الى المتن فنقول **قوله** وخلف فيكم ما خلفت الانبياء
في اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قائم اشارة الى وضع ما يجب في الحكمة الالهية على السنة الرسل عليهم السلام من العبادات
الشرعية والقوانين الكلية التي بها ينبغي ذكر الله سبحانه محفوظا واستعمال لفظ العلم القائم ههنا استعارة حسنة للاثار الباقية
عن الانبياء التي يهتدى بها والاولياء الذين يرجع اليهم الخلق **قوله** كتاب ربكم عطف بيان لما في قوله ما خلفت الانبياء ولا ينبغي ان
يفهم مما يخص الكتاب حتى يكون ما اتى به محمد صلى الله عليه وآله من الكتاب هو عين ما اتت به الانبياء السابقون عليهم السلام وتخصه
فان ذلك محال بل المراد به نوع ما خلفت الانبياء في اممها من الحق وما جاء به محمد صلى الله عليه وآله شخص من اشخاص ذلك النوع
وبيان ذلك ان القوانين الكلية التي اشتركت في الاتيان بها جميع الانبياء من التوحيد والتنزيه لله تعم واحوال البعث والقيمة
وسائر الفوائد الكلية التي بها يكون النظام الكلي للعالم كتحريم الكذب والظلم والقتل والزنا وغير ذلك مما لم يخالف فيه نبي نبيا
بمنزلة ماهية واحدة كلية وجدت في اشخاص كما تعرض لبعض اشخاص الماهية عوارض لا تكون لشخص اخر وبها يكون اختلاف بين الاشخاص
بحسب المواد التي تنشأ منها الصور الشخصية كذلك الكتب المنزلة على السنة الانبياء بمنزلة اشخاص اشتملت على ماهية واحدة تختلف
بحسب الزيادات والعوارض على تلك الماهية بحسب اختلاف الامم والاوقات المشتملة على المصالح المختلفة باختلافها **قوله** مبينا منصوب
على الحال والعامل خلف وذو الحال الفاعل وهو ضمير النبي صلعم **قوله** حلاله وحرامه وفضائله وفرائضه اشارة الى الاحكام الخمسة
الشرعية التي يدور عليها علم الفقه وهي الوجوب والندب والحظر والكراهة والاباحة وعبر بالحلال عن المباح والمكروه وبالحرام عن المحظور
وبالفضائل عن المندوب وبالفرائض عن الواجب وبالنسخ عن رفع الحكم الثابت بالنص المتقدم بحكم اخر مثله فالناسخ هو الحكم الرافع كقوله
اقتلوا المشركين والمنسوخ هو الحكم المرفوع كقوله لا اكراه في الدين وبالرخص عما اذن في فعله مع قيام السبب المحرم لضرورة او غيرها
كقوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد الاية وبالعزائم عما كان من الاحكام الشرعية جاريا على وفق سببه الشرعي كقوله فاعلم انه لا اله الا الله و
بالعام ههنا عن اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد كقوله تعم والله بكل شيء عليم وكقوله ولله على الناس حج البيت
وبالخاص عما لا يتناول الجميع بالنسبة الى ما يتناوله كقوله من استطاع اليه سبيلا والخاص المطلق هو ما يمنع تصور مفهومه من وقوع

واضح تر

الاوصياء و

الشركين كما عرفته والعبر جمع عبرة وهي الاعتبار واشتقاقها من العبور وهو انتقال الجسم من موضع الى اخر ولما كان الذهن ينتقل من الشئ
الى غيره حسن اطلاق العبرة عليه واكثر ما يختص اطلاق العبرة بانتقال ذهن الانسان من المصائب لو اقعة بالغير او الامور المكروهة
له الى نفسه فيقدرها كانها نازلة به فيحصل له بسبب ذلك انزعاج عن الدنيا وانتقال نفسه الى ما وراه من امر المعاد والرجوع الى بارئه فيسمى
ذلك عبرة وكل من المصائب النازلة في نفسه المذكرة له بجناب العزة والملفتة له بتكرارها عن دار البلوى والمحن فينتقل ذهنه
فيها الى ان الدنيا دار البوار وان الاخرة هي دار القرار وذلك كقصة اصحاب الفيل وكقوله فقال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال
الاخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وان كان قد تستعمل العبرة في كل ما يفيد الاعتبار
من طرق الاحسان ايضا كقوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها الاية وكقوله تعالى فئة تقاتل في سبيل الله واخرى
كافرة يرونهم مثليهم راي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار فجعل سبحانه نصر المؤمنين على ملتهم
وخذلان المشركين على كثرتهم ومشاهدة المسلمين لكونهم مثليهم محلا للعبرة اذ يحصل بذلك انتقال الذهن من نعمه الى انه
الاله المطلق المستحق للعبادة المنفرد بالقدرة على ما يشاء واهل الرحمة والجود وافاضة تمام الوجود واما الامثال فظاهرة كقوله تعالى
ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء الاية وكقوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ونحوه واراد بالمرسل الالفاظ المطلقة
والمهملة وهي الالفاظ التي لا تمنع نفس مفهومها وقوع الشركة فيها لكنها لم يبين فيها كمية الحكم ومقداره ولم تقيد بقيد
العموم ولا الخصوص وهو شامل لها كاسماء الجموع في النكرات كقوله تعالى وعلى الاعراف رجال وكالمفرد المعرف باللام او المنكر كقوله تعالى
والعصر ان الانسان لفي خسر وكقوله ان جاءكم فاسق وقوله فتحرير رقبة فان كل هذه الالفاظ يراد بها الطبيعة دون الكل او
البعض الا بدليل منفصل والفرق بينها وبين العامات ان لكل شيء ماهية هو بها هي وهي مغايرة لكل ما عداها فان مفهوم الانسان
فانما انه واحد او كثير او ليس احدهما مفهوم اخر مغاير لماهيته اذا عرفت فاللفظ الدال على الحقيقة من حيث هي من غير دلالة على شيء
اخر معها هو اللفظ المطلق والمهمل والدال معها على قيد العموم بحيث يفهم منه تعدد الماهية وتكثرها في جميع مواردها فهو اللفظ
العام او في بعض مواردها وهو الخاص وان كان العموم والخصوص لذات المعنى واراد بالمحدود المقيد كقوله تعالى في الكفارة
في موضع اخر فتحرير رقبة مؤمنة واما المحكم والمتشابه والمجمل والمبين فقد سبق بيانها في المقدمة مثال المحكم قوله تعالى قل هو الله
احد مثال المتشابه قوله الرحمن على العرش استوى مثال المجمل قوله الا ما يتلى عليكم وقوله واحل لكم ما وراء ذلكم مثال المبين
قوله بعد ذلك ان تبتغوا باموالكم الاية والتفسير هو التبيين والعوامض دقائق المسائل وانما اضاف هذه المعاني كلها الى
الكتاب لاشتماله عليها وكونه مبدأ لها ولما كانت محتاجة الى البيان كان الرسول صلى الله عليه وآله هو المبين لها بسنته الكريمة و **قوله**
بين ماخوذ ميثاق علمه وموسع على العباد في جهله الى اخره الضماير تعود الى الاحكام المذكورة المشتمل عليها الكتاب العزيز وذكر منها
منها انواعا احدها ما يجب تعلمه وعبر عنه بالموسع للخلق في جهله كوحدانية الصانع وامر المعاد والعبادات والخمس وثانيها ما لا يتعين
على كافة الخلق العلم به بل يعذر بعضهم في الجهل ويوسع لهم في تركه كالايات المتشابهات وكاوايل السور كقوله تعالى كهيعص وحم
عسق ونحوها وثالثها ما هو مثبت في الكتاب فرضه معلوم في السنة نسخه وذلك كقوله تعالى واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم
فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا وقوله واللذان
ياتيانها منكم فاذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فكانت الثيب اذا زنت في بدو الاسلام تمسك في البيوت الى الممات والبكر
تؤذى بالكلام ونحوه بمقتضى هاتين الايتين ثم نسخ ذلك في حق الثيب بالرجم وفي حق البكر بالجلد والتغريب بحكم السنة ورابعها
ما هو بعكس ذلك اي مثبت في السنة اخذه ماذون في الكتاب تركه وذلك كالتوجه الى بيت المقدس في ابتداء الاسلام فانه كان
ثابتا في السنة ثم نسخ بقوله تعالى فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كتوقت
صلوة الخوف في القرآن حال القتال الرافع لجواز تاخيرها في السنة الى انجلاء القتال وخامسها ما يجب لوقته ويزول في مستقبله
كالحج الواجب في العمر مرة وكالنذور المقيدة بوقت معين وامثالها فان وجوبها تابع لوقتها المعين ولا يتكرر بتكرر امثالها وقوله
ومباين بين محارمه عطف على المجرورات السابقة والباء مفتوحة وفي معنى الكلام وتقديره لطف فان المحارم لما كانت هي محال الحكم المنهي
بالجهر صار المعنى وبين حكم مباين بين محاله هو المحرم وقوله من كبير اوعد عليه نيرانه او صغير ارصد له غفرانه بيان لتلك المحال واشارة الى
تفاوتها بالشدة والضعف لكونها مبعدة عن رحمة الله على سبيل الجملة فالاول كالقتل في قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا فجزاؤه جهنم الاية ونحو
ذلك سائر الكبائر من الظلم والزنا وغيرها والثاني قال الفقهاء كالتطفيف بالحبة وسرقة باقة من بصل ونحو ذلك وارصاد الغفران
بازاء هذه وامثالها في الكتاب العزيز كقوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وسائر ايات الوعد بالمغفرة فانها ان كانت
عامة في كل الذنوب فالصغائر داخلة بطريق الاولى والا كانت محمولة على الصغائر واولويتها بالغفران انها لا تكاد تكتسب النفس ملكة

الافراط والجور

ح

الافراط والجور الا عن بعد بعيد وتكرار طويل بخلاف الكبائر فان الاقدام عليها في غالب الاحوال لا يقع عن نفس مستعدة للشر
بعيدة عن رحمة الله وبالله العصمة والتوفيق **الفصل الخامس منها قوله** وفرض عليكم حج بيته الحرام الذي جعله قبلة للانام
يردونه ورود الانعام ويالهون اليه ولوه الحمام جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم لعزته واختار من خلقه سماعا اجابوا
اليه دعوته وصدقوا كلمته ووقفوا مواقف انبيائه وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه يحرزون الارباح في متجر عبادته ويتبادرون
عنده موعد مغفرته جعله سبحانه للاسلام علما وللعائذين حرما فرض حجه واوجب حقه وكتب عليكم وفادته فقال سبحانه ولله
على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين **اقول** يالهون اليه اي يشتد وجدهم وشوقهم
اليه واصل الهمزة ههنا الواو ومن وله بوله اذا تحير من شدة الوجد والسماع جمع جامع كسمار وسامر والمبادرة المسارعة والوفادة القدوم
للاسترفاد والانتفاع واعلم انا لما بينا وجوب العبادات واشرنا الى وجه الحكمة فيها فالحري ان نشير الى وجه الحكمة في خصوص الحج من
جملتها ونؤخر تفصيل باقيها الى مواضعها انشاء الله فاما الحج فانك لما عرفت ان الغرض الاول من العبادات هو جذب الخلق الى جناب الحق با
بالتذكير له ودوام اخطاره بالبال لتخلى الاسرار على طول الذكار وينتهي في ذلك من اخذت العناية بيده الى مقام المخلصين فمن
جملة اسرار الله سبحانه المنزلة على لسان رسوله تعيين موضع من البلاد انه اصلح المواضع لعبادة الله وانه خاص له ولا بد ان تبنى مثل هذه
الاوضاع على اشارات ورموز ومقاصد حقيقية يتنبه لها من اخذ التوفيق بزمام عقله اليها ولا بد من تعيين افعال تفعل في ذلك المكان
وانها انما تفعل في ذات الله سبحانه وانفع المواضع المعينة في هذا الباب ما كان ماوى الشارع ومسكنه فان ذلك مستلزم لذكره وذكره
مستلزم لذكر الله سبحانه وذكر ملائكته واليوم الاخر ولما لم يمكن في الماوى الواحد ان يكون مشاهدا لكل احد من الامة فالواجب ان
يفرض اليه مهاجرة وسفره وان كان فيه نوع مشقة وكلفة من تعب الاسفار وانفاق المال ومفارقة الاهل والولد والوطن والبلد
ونحن نذكر فضيلته من جهة السمع ثم نشير الى ما ينبغي ان يوظف فيه من الاداب الدقيقة والاعمال الباطنة عند كل حركة وركون من
اركان الحج مما يجري من تلك الاركان مجرى الارواح للابدان فاذن ههنا بحثان **البحث الاول** اما الفضيلة فمن وجوه الاول
قوله تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق قال قتادة لما امر الله عز وجل خليله ابراهيم
ان يؤذن في الناس نادى يا ايها الناس ان الله بنى بيتا فحجوه وقال تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل التجارة في المواسم والاجر في الاخرة ولما سمع
بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة **الثاني** قال صلى الله عليه وآله من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وقد عرفت كيفية
نفع العبادات في الخلاص من الذنوب **الثالث** قال صلى الله عليه وآله ما راي الشيطان في يوم هو فيه اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا
اغيظ منه يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام اذ يقال من الذنوب ما لا يكفرها الا
الوقوف بعرفة اسنده الصادق عليه السلام الى الرسول صلى الله عليه وآله وكان سر ذلك ما يحصل من رحمة الله ويفاض على اسرار العباد التي قد صفت بشدة
الاستعداد الحاصل من ذلك الموقف العظيم الذي يجتمع فيه العالم اشد اجتماع فان الاجتماع سبب عظيم في الانفعال والخشية لله
وقبول انواره كما سنبينه انشاء الله **الرابع** قال صلى الله عليه وآله حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها اجر الا الجنة **الرابع** قال
الحجاج والعمار وفد الله وزواره ان سالوه اعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوه استجاب لهم وان شفعوا اليه شفعهم **السادس**
روي عنه صلى الله عليه وآله من طرق اهل البيت اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة وظن ان الله لم يغفر له وفي فضل جزئيات الحج اخبار كثيرة تطلب
من مظانها **البحث الثاني** في الاداب الدقيقة وهي عشر **الاول** ان تكون النفقة حلالا وتخلو القلب عن تجارة تشغله سوى
الله تعالى وفي الخبر من طريق اهل البيت اذا كان اخر الزمان خرج الناس الى الحج على اربعة اصناف سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم
للتجارة وفقراؤهم للمسئلة وقراؤهم للسمعة وفي الخبر اشارة الى جملة اغراض الدنيا التي يتصور ان تتصل بالحج فكل ذلك مانع لفضيلة
الحج ومقصود الشارع منه **الثاني** ان لا يساعد الصادين عن سبيل الله والمسجد الحرام بتسليم المكوس اليهم فان ذلك اعانة على
الظلم وتسهيل لاسبابه وجرأة على سائر السالكين الى الله وليحتل في الخلاص فان لم يقدر فالرجوع اولى من اعانة الظالمين
على البدعة عند وجدها سنة **الثالث** التوسع في الزاد وطيب النفس في البذل والانفاق بالعدل دون البخل والتبذير فان بذل
الزاد في طريق مكة انفاق في سبيل الله قال صلى الله عليه وآله الحج المبرور ليس له اجر الا الجنة فقيل يا رسول الله ما بر الحج قال طيب الكلام
واطعام الطعام **الرابع** ترك الرفث والفسوق والجدال كما قال تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج والرفث كل لغو وفحش من
الكلام ويدخل في ذلك محادثة النساء بشأن الجماع فانها تهيج داعية وهي مقدمة للمحرم ومن لطف الشارع اقامة مظنة الشئ
مقام الشئ حسما لمادته والفسوق الخروج عن طاعة الله والجدال هو المماراة والخصومة الموجبة للضغائن والاحقاد وافتراق كلمة الخلق
وكل ذلك ضد مقصود الشارع من الحج ويشغل عن ذكر الله **الخامس** ان يحج ماشيا مع القدرة ونشاط النفس فان ذلك افضل و
ادخل للنفس في الاذعان لعبودية الله وقال بعض العلماء الركوب افضل لما فيه من مؤنة الانفاق ولانه ابعد من الملال واقل للاذى واقرب

ان الله

الخامس

للسمعة

الحق

الى السلامة واداء الحج وهذا التحقيق غير مخالف لما قلناه والحق التفصيل فيقال من سهل عليه المشي فهو افضل فان اضعف وادى الى
سوء خلق وقصور عن العمل فالركوب افضل لان المقصود توفر القوى على ذكر الله تع وعدم المشغلات عنه **السادس** ان يركب الزاملة
دون المحمل لاشتماله على زي المترفين والمتكبرين ولانه اخف على البعير اهتم لا المعذب حج رسول الله صلعم على راحلته وكان تحته رحل رث
وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس الى هيئته وشمائله وقال خذوا عني مناسككم **السابع** ان يخرج رث
الهيئة اقرب الى الشعث غير مستكثر من الزينة واسباب التفاخر فيخرج بذلك عن حزب السالكين وسما الصالحين روى عنه صلعم انه قال
انما الحاج الشعث التفث يقول الله تع لملائكته انظروا الى زوار بيتي قد جاؤني شعثا غبرا من كل فج وقال تع ثم ليقضوا تفثهم والتفث
الشعث والاغبرار وقضاؤه بالحلق وتقليم الاظفار **الثامن** ان يرفق بالدابة ولا يحملها ما لا تطيق كان اهل الورع لا ينامون على الدابة
الا غفوة من قعود قال صلعم لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وسر ذلك
مراعاة الرفق والرحمة والتخلي عن القسوة والظلم ولانه يخرج بالعسف عن قانون العدل ومراعاة عناية الله وشمولها فانها كما لحقت الادنا
لحقت سائر الحيوانات **التاسع** ان يتقرب باراقة دم ويجتهد ان يكون سمينا ثمينا روي ان عمر اهدى نجيبة وطلبت منه بثلثمائة دينار فسال
رسول الله صلعم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه رسول الله صلعم وقال بل اهدها وذلك لان المقصد ليس تكثير اللحم وانما المقصود تزكية
النفس وتطهيرها عن رذيلة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم قال صلعم ما
من عمل ادمي يوم النحر احب الى الله عز وجل من اهراقه دما وانها لتاتي يوم القيمة بقرونها واظلافها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل
ان يقع الارض فطيبوا بها نفسا **العاشر** ان يكون طيب النفس بما انفقه من هدي وغيره وبما اصابه من خسران ونقيصة مال ان
اصابه ذلك فانه بذلك يكون متقربا الى الله سبحانه عن كل ما انفقه معوضا عنه ما عند الله وذلك علامة لقبول حجه **البحث الثالث**
في الوظائف القلبية عند كل عمل من اعمال الحج اعلم ان اول الحج فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة عنه ثم تهيئة
اسباب الوصول اليه من الزاد والراحلة ثم السير ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الاعمال المشهورة وفي كل حالة من هذه
الحالات تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق واشارة للفطن الحاذق الى اسرار يقف عليها بصفاء قلبه وطهارة باطنه ان
ساعده التوفيق اما الفهم فاعلم انه لا وصول الى الله الا بالتنحي عما عداه عن القصد من المشتهيات البدنية واللذات الدنيوية والتجريد في
جميع الحالات والاقتصار على الضروريات ولهذا انفرد الرهبان في الاعصار السالفة عن الخلق في قلل الجبال توحشا من الخلق وطلبا للانس
بالخالق واعرضوا عن جميع ما سواه ولذلك مدحهم بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل
الخلق على اتباع الشهوات والاقبال على الدنيا والالتفات عن الله بعث نبينا صلعم لاحياء طريق الاخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها
فسأله اهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل عن السائحين فقال
هم الصائمون فجعل سبحانه الحج رهبانية لهذه الامة فشرف البيت العتيق باضافته الى نفسه ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حوله حرما
لبيته تفخيما لامره وتعظيما لشانه وجعل عرفات كالميدان على باب حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك
يقصده الزوار من كل فج عميق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت مستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن
ان يحويه مكان ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا لا تانس بها النفوس ولا تهتدي الى معانيها
العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية بخلاف سائر العبادات
كالزكوة التي هي ارفاق في وجه معلوم وللعقل اليه ميل والصوم الذي هو كسر للشهوة التي هي عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل
وكالركوع والسجود في الصلوة الذي هو تواضع لله سبحانه بافعال على هيئات التواضع وللنفوس انس بتعظيم الله تع واما امثال هذه الاعمال
فانه لا اهتداء للعقل الى اسرارها فلا يكون للاقدام عليها باعث الا الامر المجرد وقصد امتثاله من حيث هو واجب الاتباع فقط وفيه عزل
للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل انسه المعين على الفعل من حيث هو فان كل ما ادرك العقل وجه الحكمة في فعله مال
الطبع اليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معاونا للامر وباعثا على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال صلعم في الحج على الخصوص
لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك في الصلوة وغيرها واذا اقتضت حكمة الله سبحانه ربط نجاة الخلق بكون اعمالهم على خلاف هوى
طباعهم وان يكون زمامها بيد الشارع فيترددون في اعمالهم على سنن الانقياد ومقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدي الى معانيه ابلغ انواع
التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطبع الى مقتضى الاسترقاق ولهذا كان مصدر تعجب النفوس من الافعال العجيبة هو
الذهول عن اسرار التعبدات واما الشوق فانما ينبعث بعد الفهم ان البيت بيت الله وانه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد لله تع وزائر
قصد حضرة الله تع بالمثال المحسوس فجدير بان يشتاق منه بحسب شوقه الى الحضرة العلوية والكعبة الحقيقية التي هي في السماء وقد
حج هذا البيت على قصد ما فيشاهد حضرته الاعلى بحكم وعده الكريم واما العزم فليستحضر في نفسه انه بعزمه مفارق للاهل والولد هاجر

للشهوات

ح

للشهوات واللذات مهاجر الى ربه متوجه الى زيارة بيته وليعظم قدر البيت لقدر رب البيت وليخلص عزمه لله وليبعده عن شوائب الريا
والسمعة فان ذلك شرك خفي وليتحقق انه لا يقبل من عمله وقصده الا الخالص وان من اقبح القبائح ان يقصد بيت الملك وحرمه مع
اطلاع ذلك الملك على خائنة الاعين وما تخفي الصدور ويكون قصده غيره فان ذلك استبدال الذي هو ادنى بالذي هو خير اما
قطع العلائق فبحذف جميع الخواطر عن قلبه غير قصد عبادة الله والتوبة الخالصة عن المظالم وانواع المعاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة
خصم حاضر متعلق به ينادي عليه ويقول اتقصد بيت ملك الملوك وهو مطلع على تضييعك امره في منزلك هذا وتستهين به ولا تلتفت
الى نواهيه وزواجره ولا تستحيي ان تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيغلق دونك ابواب رحمته ويلقيك في مهاوي نقمته فان كنت راغبا
في قبول زيارتك فابرز اليه من جميع معاصيك واقطع علاقة قلبك عن الالتفات الى ما وراءك لتتوجه اليه بوجه قلبك كما انت متوجه
الى بيته وليذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الاخرة فان كل هذه امثلة قريبة يترقى منها الى اسرارها واما الزاد فليطلبه بوجه ظاهره
من موضع حلال فاذا احس من نفسه بالحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير قبل بلوغ المقصد فليذكر
ان سفر الاخرة اطول من هذا السفر وان زاده التقوى وان ما عداه لا يصلح زادا ولا يبقى معه الا ريثما هو في هذا المنزل وليحذر ان يفسد
اعماله التي هي زاده الى الاخرة بشوائب الريا وكدورات التقصير فيدخل في قوله تع هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة
الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا واما الراحلة فليلاحظ عند ركوبها تسخير الحيوان له وحمله عنه الاذى وليتذكر منته تع لتسهيل عنايته
ورأفته حيث يقول وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم فيشكره سبحانه على جزيل هذه النعم
وعظيم هذه المنة وليستحضر نقلته من مركبه الى منازل الاخرة التي لا شك فيه ولعله اقرب من ركوبه الحاضر فيحتاط في امره وليعلم ان
هذه امثلة محسوسة يترقى منها الى مركب النجاة من الشقة الكبرى وهي عذاب الله سبحانه واما ثوب الاحرام وشراؤه ولبسه فليتذكر معه
الكفن ودرجه فيه ولعله اقرب اليه وليتذكر منها التسربل بانوار الله التي لا يخلص من عذابه الا بها فيجتهد في تحصيلها بقدر امكانه
واما الخروج من البلد فليستحضر عنده انه يفارق الاهل والولد متوجها الى الله سبحانه في سفر غير اسفار الدنيا وليستحضر ابعض غاياته من
ذلك السفر وانه متوجه الى ملك الملوك وجبار الجبابرة في جملة الزائرين الذين نودوا وشوقوا فاشتاقوا وقطعوا العلائق وفارقوا فاجابوا
الخلائق واقبلوا على بيت الله طلبا لرضى الله وطمعا في النظر الى وجهه الكريم وليحضر في قلبه رجاء الوصول الى الملك والقبول
له بسعة فضله وليعتقد انه ان مات دون الوصول الى البيت لقي الله وافدا عليه لقوله تع ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله
ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله ثم ليتذكر في اثناء طريقه من مشاهدة عقبات الطريق الاخرة ومن السباع والحيات حشرات القبر
ومن وحشة البراري وحشة القبر وانفراده عن الانس فان كل هذه الامور جاذبة الى الله سبحانه ومذكرة له امر معاده واما الاحرام والتلبية
من الميقات فليستحضر انها اجابة نداء الله تع وليكن في قبول اجابته بين خوف ورجاء مفوضا امره الى الله متوكلا على فضله قال سفيان
بن عيينة حج زين العابدين علي بن الحسين فلما احرم واستوت به راحلته اصفر لونه ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع ان يلبي فقيل له لم لا
تلبي فقال اخشى ان يقول لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه وسقط عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه فانظر رحمك
الله الى هذه النفس الطاهرة حيث بلغ بها الاستعداد لافاضة انوار الله لم تزل الغواشي الالهية والنفحات الربانية تغشيها فتغيب عن كل
شيء سوى جلال الله وعظمته وليتذكر عند اجابة نداء الله سبحانه اجابة ندائه بالنفخ في الصور وحشر الخلق من القبور وازدحامهم في
عرصات القيمة مجيبين لندائه منقسمين الى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين في اول الامر بين الخوف والرجاء تردد
الحاج في الميقات حيث لا يدرون ايتيسر لهم اتمام الحج ام لا واما دخول مكة فليستحضر عنده انه قد انتهى الى حرم الله الامن وليرج عنده ان يامن
بدخوله من عقاب الله وليخش ان لا يكون من اهل القرب وليكن رجاؤه اغلب فان الكريم عميم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام
اللائذ المستجير غير مضيع خصوصا عند اكرم الاكرمين وارحم الراحمين وليستحضر ان هذا الحرم مثال الحرم الحقيقي لترقى من الشوق الى دخول
هذا الحرم والامن بدخوله من العقاب الى الشوق الى دخول ذلك الحرم والمقام الامين واذا وقع بصره على البيت فليستحضر عظمته في قلبه و
ليترقى بفكره الى مشاهدة حضرة رب البيت في جوار الملئكة المقربين وليتشوق ان يرزقه النظر الى وجهه الكريم كما رزقه الوصول الى
بيته العظيم وليكثر من الذكر والشكر على تبليغ الله اياه هذه المرتبة وبالجملة فلا يغفل عن تذكر احوال الاخرة في كل ما يراه فان كل
احوال الحج ومنازله دليل يترقى منه الى مشاهدة احوال الاخرة واما الطواف بالبيت فليستحضر في قلبه التعظيم والخوف والخشية و
المحبة وليعلم انه بذلك متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظنن ان المقصود طواف جسمك بالبيت بل طواف
قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتدي بالذكر الا منه ولا تختم الا به كما تبتدي بالبيت وتختم به واعلم ان الطواف المطلوب هو طواف القلب
بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم الشهادة لتلك الحضرة التي هي عالم الغيب كما ان الانسان الظاهر مثال الظاهر في عالم الشهادة
للانسان الباطن الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مرقاة ومدرج الى عالم الغيب الملكوتي لمن فتح

في بيان احكام الحج

له باب الرحمة واخذت العناية الالهية بيده لسلوك الصراط المستقيم والى هذه الموازنة وقعت الاشارة الالهية بان البيت المعمور في السماء بازاء الكعبة وان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت مرتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بان من تشبه بقوم فهو منهم ثم كثيرا ما يزداد ذلك التشبه الى ان يصير في قوة المشبه به والى ذلك مبلغ تلك المرتبة فهو الذي يقال ان الكعبة تزوره وتطوف به على ما رواه بعض المكاشفين لبعض اولياء الله واما الاستلام فليستحضر عنده انه مبايع لله على طاعته مصمم عزيمته على الوفاء ببيعته ومن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله الحجر الاسود يمين الله في الارض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل اخاه ولما قبله عمر قال اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبلك لما قبلتك فقال له علي عليه السلام مه يا عمر بل يضر وينفع فان الله سبحانه لما اخذ الميثاق على بني ادم حيث يقول واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الاية القمه هذا الحجر ليكون شاهدا عليهم باداء اماناتهم وذلك معنى قول الانسان عند استلامه امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي عند ربك بالموافاة واما التعلق باستار الكعبة والالتصاق بالملتزم فليستحضر فيه طلب القرب حبا لله وشوقا الى لقائه تبركا بالمماسة ورجاء للتحصن من النار في كل جزء من البيت ولتكن النية في التعلق بالستر الالحاح في طلب الرحمة وتوجيه الذهن الى الواحد الحق وسؤال الامان من عذابه كالمذنب المتعلق باذيال من عصاه المتضرع اليه في عفوه عنه المعترف له بانه لا ملجأ الا اليه ولا مفزع له الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل الطاعة في المستقبل واما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فمثال لتردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي الملك في حقه من قبول ورد فيكون تردده رجاء ان يرحم في الثانية ان لم يكن رحم في الاولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصة القيمة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين ملاحظا للرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران واما الوقوف بعرفة فليتذكر بما يرى من ازدحام الناس وارتفاع الاصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيرا بسيرتهم عرصات القيمة واجتماع الامم مع الانبياء والائمة واقتفاء كل امة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول واذا تذكر ذلك فيلزم قلبه الضراعة والابتهال الى الله ان يحشره في زمرة الفائزين المرحومين وليكن رجاؤه اغلب فان الموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلايق بواسطة النفوس الكاملة من اوتاد الارض ولا يخلو الموقف عن طائفة من الابدال والاوتاد وطوائف من الصالحين وارباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة نفوسهم وارتفعت الى الله ايديهم وامتدت اليه اعناقهم يرمقون بابصارهم جهة الرحمة طالبين لها فلا تظنن انه يخيب سعيهم من رحمة تغمرهم ويلوح لك من اجتماع الامم بعرفات ولا سيما بمجاورة الابدال والاوتاد المجتمعين من اقطار البلاد وهو السر الاعظم من الحج ومقاصده فلا طريق الى استنزال رحمة الله واستدرارها اعظم من اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد واما رمي الجمار فليقصد به الانقياد لامر الله واظهار الرق والعبودية ثم ليقصد به التشبه بابرهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة او يفتنه بمعصية فامره الله تعالى ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لامله فان خطر له ان الشيطان عرض لابرهيم عليه السلام ولم يعرض له فليعلم ان هذا الخاطر من الشيطان وهو الذي القاه على قلبه ليخيل له انه لا فائدة في الرمي وانه يشبه اللعب ليطرده عن نفسه بالجد والتشمير في الرمي فيه يرغم فيه انف الشيطان فانه وان كان في الظاهر رميا للعقبة بالحصى فهو في الحقيقة رمي لوجه ابليس وقصم لظهره اذ لا يحصل ارغام انفه الا بامتثال امر الله تعظيما لمجرد الامر واما ذبح الهدي فليعلم انه تقرب الى الله تعالى بحكم الامتثال فليكمل الهدي وليرج ان يعتق الله بكل جزء منه جزءا من النار هكذا ورد الوعد فكلما كان الهدي اكثر واوفر كان الفداء به من النار اتم واعم وهو يشبه التقرب الى الملك بالذبح له واتمام الضيافة والقرى والغاية منه تذكر المعبود الاول سبحانه عند النية في الذبح واعتقاد انه متقرب به وباجزائه الى الله فهذه هي الاشارة الى اسرار الحج واعماله الباطنة اذا عرفت ذلك فلنرجع الى المتن **قوله** وفرض عليكم حج بيته الحرام اشارة الى وجوب الحج على الخلق وهو معلوم بالضرورة من الدين ووصفه بالحرام لانه يحرم على الخلق ان يفعلوا فيه ما لا ينبغي من مناهي الشرع **وقوله** الذي جعله قبلة للانام مستنده قوله تعالى فلنولينك قبلة ترضيها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره **وقوله** يردونه ورود الانعام مبالغة في تشبيه ورود الخلق البيت بورود الانعام ووجه التشبيه ان الخلق يردون البيت بازدحام عن حرص وشوق اليه كحال الانعام عند ورودها الماء وقيل ان وجه الشبه هو ما بيناه من عدم اطلاع الخلق على اسرار الحج وعلى ما يشتمل عليه المناسك من الحكمة الالهية ولما كان العقل الذي به تميز الانسان عن الانعام وساير الحيوان معزولا عن ادراك هذه الاسرار كان لا يكون بين الانسان وبينهم كثير فرق في الورود

الى البيت

في بيان خطبة بعد انصرافه من صفين

الى البيت وساير المناسك وفيه بعد **وقوله** ويألهون اليه ولوه الحمام اشارة الى شوق الخلق في كل عام الى ورود البيت كما يشتاق اليه الحمام الذي يسكنه وقد راعى في هذه القرائن الاربع السجع **قوله** جعله علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم لعزته اشارة الى ما ذكرناه من ان العقل لما لم يكن ليهتدي الى اسرار هذه الاعمال لم يكن الباعث عليها الا الامر وقصد امتثاله من حيث هو واجب الاتباع فقط وفيه كمال الرق وخلوص الانقياد فمن فعل ما امر به من اعمال الحج كذلك فهو المخلص الذي ظهرت عليه علامة المخلصين والمذعن المتواضع لجلال رب العالمين ولما كان الحق سبحانه عالم الغيب والشهادة لم يمكن ان يقال تلك العلامة يستفيد بها علما باحوال عبيده من طاعتهم فاذن يتعين ان يكون معناها راجعا الى ما به تتميز النفوس الكاملة التي انقادت لاوامر الله واخلصت له العبادة عما عداها فان هذه العبادة من اشرف ما استعدت به النفس الانسانية وافادها كمالا تميزت به عن ابناء نوعها فهي اذن علامة لها تميز من اتم بها عن غيره **وقوله** واختار من خلقه سماعا اجابوا اليه دعوته اشارة الى الحاج في قوله تعالى واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق وفي الاثار ان ابرهيم عليه السلام لما فرغ من بناء البيت جاءه جبرئيل عليه السلام فامره ان يؤذن في الناس بالحج فقال ابرهيم عليه السلام يا رب وما يبلغ صوتي قال الله اذن وعلي البلاغ فعلا ابرهيم عليه السلام المقام واشرف به حتى صار كاطول الجبال واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا ونادى يا ايها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فاجيبوا ربكم فاجابه من كان في اصلاب الرجال وارحام النساء لبيك اللهم لبيك وفي الاثر اشارات لطيفة فانه يحتمل ان يراد بقول ابرهيم وما يبلغ صوتي اشارة الى حكم الوهم الانساني باستبعاد عموم هذه الدعوة وانتفاء الخلق لها وقصور الطبع عن ذلك وبقول الحق سبحانه وعلي البلاغ الاشارة الى تأييد الله سبحانه بما اوحى اليه من العلم ببسط دعوته وابلاغها الى من علم بلوغها اليه وبعلو ابرهيم المقام حتى صار كاطول الجبال واقباله بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا ودعوته اشارة الى اجتهاده في التبليغ للدعوة وحث الخلق الى هذه العبادة بحسب امكانه واستعانته في ذلك باولياء الله التابعين له واما اجابة من كان في اصلاب الرجال وارحام النساء له فاشارة الى ما كتبه الله سبحانه بقلم قضائه في اللوح المحفوظ من طاعة الخلق واجابتهم لهذه الدعوة على لسان ابرهيم ومن بعده من الانبياء وهم المراد بالسماع الذين اختارهم الله سبحانه من خلقه حتى اجابوا دعوته بحجهم اليه بعد ما اهلهم لذلك قرنا بعد قرن وامة بعد اخرى **وقوله** وصدقوا كلمته اشارة الى مطابقة افعالهم لما جاءت به الانبياء من كلام الله سبحانه وعدم مخالفتهم وتكذيبهم لهم **وقوله** ووقفوا مواقف انبيائه اشارة الى متابعتهم لهم في مواقف الحج وفي ذكر الانبياء بها استدراج حسن للطباع اللطيفة المشوقة الى لقاء الله والتشبه بانبيائه وملائكته وقوله وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه اشارة الى ما ذكرناه من ان البيت المعمور بازاء الكعبة في السماء وان طواف الخلق بهذا البيت يشبه طواف الملائكة واحداقهم بالبيت المعمور والعرش فهم متشبهون بالملائكة في الطواف والغاية ان يترقى من اخذت العناية بيده من هذا الطواف الى ان يصير من الطائفين بالعرش والبيت المعمور **وقوله** يحرزون الارباح في متجر عبادته ويتبادرون عنده موعد مغفرته شبه العبادة بالبضاعة التي يتجر بها فالتاجر هو النفس ورأس المال هو العقل ووجوه تصرفاته حركاته وسكناته الحسية والعقلية المطلوبة منه بالاوامر الشرعية والعقلية والارباح هي ثواب الله وما اعده للمحسنين في جنات النعيم وانه يشبه مملوكا بعد تصرفه في خدمة سيده متجرا بطلبه التكسب والربح واحسن به اذا نظر الى اثر اهل العبادة فحذف جميع الاعراض والخواطر في خدمته عن درجة الاعتبار وجعلها خالصة له لانه هو فاما كلامه بذكر الربح ههنا فاستدراج حسن لطباع الخلق بما يفهمونه ويميلون اليه من حب الارباح في الحركات ليشتاقوا فيعبدوا **وقوله** وجعله للاسلام علما اي علما للطريق الى الله وسلوك الصراط المستقيم وهي الاسلام الحنيفي يهتدى عليها كما يهتدى بالعلم المرفوع للعسكر والمارة على مقاصدهم **وقوله** فرض عليكم حجه اوجب عليكم وفايدته الى اخره تاكيد لما سبق وذكر للخطاب الموجب للحج وهو قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وبالله العصمة والتوفيق

ومن خطبة له عليه السلام بعد انصرافه من صفين احمده استتماما لنعمته واستسلاما لعزته واستعصاما من معصيته واستعينه فاقة الى كفايته انه لا يضل من هداه ولا يئل من عاداه ولا يفتقر من كفاه فانه ارجح ما وزن وافضل ما خزن واشهد ان لا اله الا الله شهادة ممتحنا اخلاصها معتقدا مصاصها نتمسك بها ابدا ما ابقانا وندخرها لاهاويل ما يلقانا فانها عزيمة الايمان وفاتحة الاحسان ومرضاة الرحمن ومدحرة الشيطان واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالدين المشهور والعلم المأثور والكتاب المسطور والنور الساطع والضياء اللامع والامر الصادع ازاحة للشبهات واحتجاجا بالبينات وتحذيرا بالايات وتخويفا بالمثلات والناس في فتن انجذم فيها حبل الدين وتزعزعت سواري اليقين واختلف النجر وتشتت الامر وضاق المخرج وعمي المصدر فالهدى خامل والعمى شامل عصي الرحمن ونصر الشيطان وخذل الايمان فانهارت دعائمه وتنكرت معالمه ودرست سبله وعفت شركه اطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه ووردوا مناهله بهم سارت اعلامه وقام لواؤه في فتن داستهم باخفافها ووطئتهم باظلافها وقامت على سنابكها فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون في خير دار وشر جيران نومهم سهود وكحلهم دموع بارض عالمها ملجم وجاهلها مكرم **اقول** صفين اسم موضع بالشام والاستسلام الانقياد ووأل فلان يئل وألا

على قوله انها أنجا ما منه الى المهل الجاء والفاقة الفقر لا مثل لها ومصاص كل شيء خالصه والذخيرة الجنيئة والاهاويل الامور المخوفة
التي يعظم اعتبار النفس لها وعزيمة الايمان عقد القلب عليه والذخيرة محل الذخر وهو الظهر والاشاد والماثور المقدم على غيره والماثور
ايضا المنقول والمثلات جمع مثلة بفتح الميم وضم الثاء وهي العقوبة والفتن جمع فتنة وهي كل امر صرف عن قصد الله واشتغل عنه من بلاء
ومحنة وهو منبع وانجذم انقطع والزعزع الاهتزاز والاضطراب والسواري الاساطين والنجر الطبع والاصل والخامل الساقط
والمنار العلامات والمعالم الاثار التي بها يعلم الشيء ويستدل عليه والشرك جمع شركة بفتح الشين والراء وهي معظم الطريق ووسطها و
المناهل المشارب والسنابك اطراف مقدم الحوافر الواحد سنبكة والكهود مصدر كالجمود مرادف للشهاد والارق واعلم ان المراد بالحمد
ههنا الشكر واستتماما وما بعدها من المنصوبات منصوبات على المفعول له وقد جعل عليه الحمد ههنا غايتين الاولى منهما الاستتمام لنعمة
الله وذلك لان العبد يستعد بمزيد الشكر لمزيد النعمة وهو في ذلك ناظر الى قوله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم لما يشتمل عليه الاية من
البعث على رجاء المزيد والثانية الاستسلام لعزته فان العبد ايضا يستعد بكمال الشكر لمعرفة المشكور وهو الله سبحانه وهي مستلزمة للانقياد
لعزته والخضوع لعظمته وهو في ذلك ناظر الى قوله ولئن كفرتم ان عذابي لشديد لما يشتمل عليه الاية من التخويف المانع من مقابلة نعم الله
بالكفر ثم لما كان الاستعداد لتمام النعم والتاهل لكمال الخضوع والانقياد لعزة الله سبحانه انما يتم بعد ان يكون العناية الالهية اخذة بضبع
العبد وجاذبة له عن ورطات المعاصي مبعدة له عن اسباب التورط بكفاية المؤن والاسباب الداعية الى ارتكاب احد طرفي الافراط
والتفريط جعل عليه السلام الحمد غاية اخرى هي الوسيلة الى الغايتين المذكورتين وهي الاستعصام بالله سبحانه من معصيته وعقب ذلك
الشكر بطلب المعونة منه على تمام الاستعداد لما سال وشكر لاجله وجعل لتلك الاستعانة علة حاملة وهي الفاقة الى كفايته وهي غاية
هي كفايته دواعي التفريط والافراط بالجذبات الالهية ولا شك ان الغايتين المذكورتين لا يتم بدون عصمته والمعونة بكفايته
وذلك قوله واستعصاما من معصيته واستعينه فاقة الى كفايته **قوله** انه لا يضل من هداه ولا يئل من عاداه ولا يفتقر من
كفاه تعليل لطلب المعونة على تحصيل الكفاية فانه لما كان حصول الكفاية مانعا من دواعي طرفي التفريط كان العبد مستقيم الحركات على
سواء الصراط وذلك هدى الله يهدي به من يشاء فكانه قال واستعينه على ان يرزقني الكفاية المستلزمة للهداية التي هي الغنى الحقيقي والملك
الابدي فانه لا يضل من هداه ولا ينجو من عذابه من عاداه واعرض عن شكره والاستعانة وقد اطلق عليه السلام ههنا لفظ المعاداة لله كما اطلقها القران
الكريم على ما هو من لوازمها وهو الاعراض عن عبادته والبغض لها ولمن تلبس بها من عباده مجازا **قوله** فانه ارجح ما وزن وافضل ما خزن
الضمير يعود الى الله سبحانه ولما كانت ذاته مقدسة عن الوزن والخزن اللذين هما من صفات الاجسام فالمراد ان يكون المقصود
رجحان عرفانه في ميزان العقل اذ لا يوازن عرفانه ما عداه بل لا يخطر ببال العارف عند الاخلاص سواه حتى يصدق هناك موازنة فيقال
فيها ارجح ويكون المراد بالخزن خزن ذلك العرفان في اسرار النفوس لقدسيته وقيل الضمير يرجع الى ما دل عليه قوله احمده من الحمد على
طريقة قولهم من كذب كان شرا له **قوله** واشهد ان لا اله الا الله هذه الكلمة اشرف كلمة وحد بها الخالق عز اسمه وقد اشير الى عظمته
الاولى الى ما تضمنته تركيبها من حسن الوضع المؤدي للمقصود التام منها وبالجملة هي منطبقة على جميع مراتب التوحيد وقد زعم النحويون
ان فيها شيئا مقدرا يكون خبر لا قالوا وتقديره لا اله لنا الا الله ولا اله الا اله موجود الا الله واعلم ان كل تقدير يقدر ههنا فهو
مخرج لهذه الكلمة عما يفيده اطلاقها ويفيدها تخصيصا لم يكن وهو مما يجده الانسان من نفسه عند الاعتبار فالاولى ان يكون
خبر لا قولنا الا الله ولا حاجة الى تقدير امر زائد وقد وردت لهذه الكلمة فضائل **الاولى** قوله صلى الله عليه وسلم افضل الذكر لا اله الا الله وافضل
الدعاء الحمد لله **الثانية** عن ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في الموت ولا عند النشر وكاني انظر الى اهل لا اله
الا الله عند الصيحة ينفضون شعورهم من التراب يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن **الثالثة** روي ان المامون لما انصرف من مرو
يريد العراق واجتاز بنيسابور وكان على مقدمته علي بن موسى الرضا فقام اليه قوم من المشايخ وقالوا نسالك بحق قرابتك من رسول الله
ان تحدثنا بحديث ينفعنا فروى عن ابيه عن ابائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبرئيل عن ربه انه قال لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني امن من
عذابي **الرابعة** قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم
على الله قال بعض العلماء ان الله تعالى جعل العذاب عذابين احدهما السيف في يد المسلمين والثاني عذاب الاخرة والسيف في غلاف
يرى والنار في غلاف لا يرى فقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم من اخرج لسانه من الغلاف المرئي وهو الفم فقال لا اله الا الله ادخلنا السيف في الغمد
المرئي ومن اخرج لسان قلبه من الغلاف الذي لا يرى وهو غلاف الشرك فقال لا اله الا الله ادخلنا سيف عذاب الاخرة في غمد الرحمة واحدة بواحدة
جزاء ولا ظلم اليوم **قوله** شهادة ممتحنا اخلاصها معتقدا مصاصها وصف بوصفين جريا على عرف من هاله والممتحن المختبر اي انه مختبر
نفسه في اخلاص هذه الشهادة وانه واجد لها عرية عن شبهات الباطل معرضة عن كل خاطر سوى الحق سبحانه متمثلة فيها حلية التوحيد وقد جعل
خالصة مبراة عن شوائب الشرك الخفي كما عرفت من التوحيد المطلق والاخلاص المحقق **قوله** نتمسك بها ابدا ما ابقانا وندخرها لاهاويل

٤٦

ما يلقانا فانها عزيمة الايمان الى قوله ومدحرة الشيطان اشارة الى انه يجب التمسك بها مدة البقاء في دار الدنيا لعزائم الامور والاستعداد
بها للاحوال الاخروية وشدائدها ثم عقبها بذكر علة التمسك بها وادخارها وذكر اربعة اوصاف يوجب ذلك **اولها** انها عقيدة الايمان
وعزيمته المطلوبة لله سبحانه من خلقه وكل ما عداها انما وردت به الشريعة من قواعد الدين وفروعه فهي حقوق لها وتوابع ومتممات ومعينات
على الوقوف على سرها والوصول الى اخلاصها **وثانيها** انها فاتحة الاحسان فانها اول كلمة افتتحت بها الشريعة واستعد العبد بالسلوك
في طريق اخلاصها لافاضة احسان الله ونعمه شيئا فشيئا وكانها اول مطلوب لله من خلقه في فطرهم الاصلية وعلى ألسنة رسله عليهم السلام
فهي تيض غايتهم التي ينالون باخلاصها واستصحاب مصاصها السعادة الباقية **وثالثها** انها مرضاة الرحمن وذلك ظاهر اذ هي محل
رضوان الله والسبب المستنزل لتمام رحمته ومزيد نعمته على محل نور بها ورفع السخط عنه كما قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا
الله الخبر **ورابعها** انها مدحرة الشيطان وذلك ايضا ظاهر فان غاية دعوة الشيطان هو الشرك الظاهر او الخفي وهذه الكلمة انما وضعت لما
دعوته فظاهرها دافع لظاهر ما يدعو اليه وباطنها قامع لباطن ما يدعو اليه وكان الشرك على مراتب لا تتناهى فكذلك الاخلاص في هذه الكلمة
ففي كل مرتبة من السلوك في اخلاصها يسقط في مقابلتها مرتبة من الشرك ويبطل سعي الشيطان في بناء تلك المرتبة الى ان يتم الاخلاص
بقدر الامكان وقد تهدمت قواعد الشيطان بكليتها وصار بعيدا مطرودا عن قبول ما يقول ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب
لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب **قوله** واشهد ان محمدا عبده ورسوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا رسول الله مجريا بها لسانه واطمان بها قلبه حرمت النار عليه ولما قرنت هذه الكلمة بكلمة التوحيد لانك عرفت ان غرض الشريعة
انما هو اخلاص تلك الكلمة ولن يحصل اخلاصها الا بسلوك مراتبها ولن يحصل ذلك الا بمعرفة كيفية السلوك وعلمت ان مدار رسالة
الرسل ووضع الشرائع كيفية السلوك في درجات الاخلاص فكانت الشهادة والاقرار بصدق المبلغ لهذه الرسالة والمبين لطريق الاخلاص
اجل كلمة بعد كلمة الاخلاص لانها بمنزلة الباب لها فلاجل ذلك قرنت بها **قوله** ارسله بالدين المشهور الى قوله والامر الصادع اشارة
الى تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم بما جاء به واشار بالدين المشهور الى دينه المشتمل على تعريف كيفية سلوك الصراط المستقيم وبالعلم الماثور الى اعتبار
كون ذلك الدين هاديا قائدا للخلق بهديه ونبينا الى الحضرة القدسية التي هي مقصد جميع الشرائع اذ ذلك هو شان العلم وكونه ماثورا اشارة
اما الى كونه مقدما على سائر الاديان كما يتقدم العلم ويهتدى به قوم بعد قوم او الى نقله من قرن الى قرن وبالكتاب المسطور الى القران
المسطور مما يقرأ في الواح النفوس وبالنور الساطع والضياء اللامع الى السر الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الطريقة وامر بقصده ومنار هو
نور يشرق في مرائي النفوس الصافية عن صداء الشبهات وكدورات الشرك بخصوصية الامر فوصفه بكونه صادعا الى اعتبار ظهوره بامر الله
وردعه لمن لم يسلك الطريق المامور بسلوكها عن عبثه واختياره حتى شق الامر الالهي وجد بالله وصدع ما كان ملتئما من بناء فساد كما قال
تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين **قوله** ازاحة للشبهات الى قوله وتخويفا بالمثلات اشارة الى الوجوه القريبة لمقاصد البعثة وذكر
عليه السلام منها ثلاث مقاصد **اولها** ازاحة الشبهات وهواجسها فان حذف شواغل الدنيا وشبهات الباطل عن قلوب الخلق اهم مقاصد
الشارع **الثاني** سبب تلك الازاحة وهو الاحتجاج على الخلق بالحجج الواضحة والخطابات التواصل الى مقتضى اذهانهم كما قال تعالى وجادلهم بالتي
هي احسن **الثالث** التحذير بالايات اشارة بالعصاة والتخويف بالعقوبات الواقعة باهل الجنايات كما قال تعالى اولم يروا كم اهلكنا قبلهم
من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات لاولي النهى وهذا الانذار مؤيد للحج والخطابات الشرعية في حق من لم يرتق صفاء ذهنه
يؤثره مجرد الخطابات فيحتاج الى التحذير والانذار **قوله** والناس في فتن انجذم فيها حبل الدين الى قوله بين سرتد وعن **اقول** يحتمل
ان يكون الواو في والناس للابتداء ويكون ذلك منه عليه السلام شروعا في ذم احوال زمانه وما هم فيه من البلاء والمحنة والمخاوف والحروب بسبب تشتت
اهوائهم واختلاف ارائهم وعرضه تنبيه السامعين على ما عساهم غافلين عنه مما فيه من الفتن المشتملة على المذام التي عددها لينتبهوا
من رقدة الغفلة ويشمروا في سلوك سبيل الحق عن ساق الجد والاجتهاد ويذكر من المذام التي حصل الناس عليها بسبب ما هم فيه من الفتن
امورا يرجع حاصلها وان تعددت الى ترك مراسم الشريعة وعدم سلوك سبيل الحق وارتكاب طريق الباطل فانقطاع حبل الدين اشارة الى
انحراف الخلق عن سواء السبيل وعدم تمسكهم باوامر الله سبحانه حال وقوع تلك الفتن واستعمال لفظ الحبل ههنا وفي التنزيل الالهي فاعتصموا
بحبل الله جميعا استعارة لقانون الشريعة المطلوب منها لزومه والتمسك به وكذلك استعمال السواري لما الفواعد الدين واركانه المامور
بتشييدها كالجهاد الذي هو اقوى مطالبه لذلك لوقف من الناس ويكون المراد بتزعزعها عدم استقامتها واستقرار الناس عليها مجازا
واما لاهل الدين الذين يقوم ورجاله العاملين به الذين لا ياخذهم في الله لومة لائم وتزعزعها موتهم او تلك وخوفهم من الاعداء المكذبين
وكل ذلك استعارة لطيفة ووجوه المشابهة فيها ظاهرة واشار باختلاف النجر الى اختلاف الاصل الذي كان يجمع الخلق والفطرة التي فطر
الناس عليها وروابط الشريعة الجامعة فانها كانت متفقة بوجود الرسول صلى الله عليه وسلم فاختلف فيه لسلوك كل فرقة مذهبا غير الاخرى على
النحو هو الحسب هو الدين فيحتمل ان يريد واختلف الدين واشار بتشتت الامر الى تفرق كلمة المسلمين ويقوله وضاق المخرج وعمي المصدر

الى ان الخلق بعد تورطهم في فتن الشبهات الموجبة لتفرق كلمتهم ضاق مخرجهم منها وعمي عليهم طريق صدورهم منها والعمى ههنا هو المشار اليه بقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وهو استعارة حسنة اذ العمى حقيقة عبارة عن عدم ملكة البصر ووجه المشابهة ان الاعمى كما لا يهتدي لمقاصده المحسوسة بالبصر لعدمه كذلك اعمى البصيرة لا يهتدي لمقاصده المعقولة لاختلال بصيرته وعدم عقله لوجوه رشده واشار بخمول الهدى الى عدم ظهوره بينهم حال عماهم عن مصادرهم من ضلالهم اذ كان ضوءه ساقطا بينهم غير موجود والفاء لعطف الجملة الاسمية على الفعلية واشار بشمول العمى الى اشتراكهم في عدم رؤيتهم لسبيل الحق الذي به يخرجون من شبهات الباطل وظلمته ثم اشار بعد ذلك بانهم للرحمن ونصرهم للشيطان وعصيانا للرحمن ومن نصر الشيطان بالذب على الباطل فقد خذل الايمان بتركه تشييد قواعده والذب عنه وترك الايمان وخذلانه لا يبقى له دعامة يقوم بها دعائمه والاشارة بالدعائم والمعالم الى دعاة الحق وحملة الايمان وبانهيارها الى عدمهم او عدم قبول قولهم وبتنكر المعالم الى عدم معرفتهم في الخلق لقلتهم ويحتمل ان يراد بالدعائم القواعد التي للدين كالجهاد وغيره وانهيارها عدم القيام بها وبتنكر المعالم الى اندراسه من القلوب التي هي معالم الدين ومحاله وبدروس سبله وعفاء شركه الى ان لم يبق له اثر يعرف به كل ذلك مبالغة في ضعف الدين ومسالك الشيطان ومناهله ما يجرهم اليه من مناهج الله سبحانه فيتبعون ترفيها واعلام الشيطان ولواؤه اما القادة اليه والدعاة الى باطله المقتدى بهم وصور الباطل التي تصورت في اذهان الخلق وصارت غايات لهم فانقادوا لها واتبعوها فهي كالاعلام والالوية في الحروب وغيرها **قوله** في فتن داستهم باخفافها ووطئتهم باظلافها وقامت على سنابكها يحتمل ان يكون في فتن متعلقا بقوله بهم سارت اعلامه وقام لواؤه ويحتمل ان يتعلق بمفقد ويكون خبرا ثانيا لقوله والناس وهذه الفتن هي التي اشار اليها اولا وانما اوردها ثانيا بزيادة او مبادئ فبالغ عم في تشبيهها بانواع ... ان استعار لها اخفافا واظلافا وحوافر وجعل لها دوسا ووطئا وقياما على الحوافر ويحتمل ان يكون هنا اضمار اي داستهم باخفاف ابلها ووطئتهم باظلاف بقرها وقامت على سنابك خيلها فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ويكون التجوز في نسبة الوطئ والدوس والقيام اليها فقط وهو المجاز في الاسناد **قوله** فهم فيها تائهون الفاء للتعقيب واشار بتيههم الى ضلالهم عن القصد في ظلمات الفتن وبحيرتهم الى ترددهم في ان الحق في اي جهة وعدم درايتهم اهو مع علي ام مع معوية وبجهلهم الى عدم علمهم بالحق واعتقاد بعضهم الباطل عن شبهة تحكيم الحكمين واعتقاد اخرين له عن شبهة دم عثمن وامثال ذلك مما هو جهل مركب وبكونهم مفتونين الى فتنة غيرهم لهم واضلاله عن الحق وهو الشيطان واتباعه **قوله** في خير دار وشر جيران هذا الظرف يجوز ان يكون كالذي قبله في كونه خبرا ثالثا وجوزان يتعلق بقوله تائهون او ما بعده من الافعال وقد اختلف الشارحون لكلام علي عم في مراده بخير دار فقال بعضهم اراد الشام لانها الارض المقدسة واهلها القاسطون وقال معنى قوله نومهم سهود وكحلهم دموع انهم لا ينامون اهتماما بامورهم واعدادا لانفسهم للقتال ويبكون قتلاهم وقوله بارض عالمها ملجم يريد به نفسه والناصرون للحق وجاهلها مكرم يريد به معوية وقال اخرون اراد بخير دار العراق وشر جيران يعني اصحابه المستفرغ بهم كلا للجهاد وانما كانوا شر جيران اي شر متجاورين لتخاذلهم عن الحق ونصرة الدين لان خير المتجاورين المتعاضدون في الله وقوله نومهم سهود اي خوفا من الحرب وحيرتهم في التدبير وكحلهم دموع اي يبكون قتلاهم ايضا وقيل نفاقا لان من تم نفاقه ملك عينيه وقال اخرون اراد بها دار الدنيا لانها دار العمل واكثر الخلق بها اشرار جهال وليس المقصود بكونها خير تفضيلها على غيرها لتوهم انها افضل من الاخرة بل اثبات فضيلتها فقط فان افعل التفضيل كما يرد لاثبات الافضلية كذلك يرد لاثبات الفضيلة والدنيا دار فاضلة لمن قام فيها باوامر الله وراعى ما خلق لاجله وهي مزرعة الاخرة كما ورد في الحديث وكون اهلها شر جيران فلانهم شر متجاورين كما تقدم او شر جيران لمن التجأ اليهم وجاورهم لعدم انتصارهم على اعداء الدين وذلك بعد نصرتهم له والقيام معه وقوله نومهم سهود وكحلهم دموع ظاهره عموم لفظ الناس في اصحابه واصحاب معوية ومن عناه امر الحرب ودخل فيها وقد بالغ عم في وصفهم بقلة النوم لخوف الحرب وهجوم بعضهم على بعض وشدة اهتمامهم بامر القتال وحيرتهم في تمييز الباطل من الحق فلذلك وصفهم بالسهاد لاستلزامه عدم النوم فاستعار له لفظه وصيره هو هو وقوله وكحلهم دموع بالغ في تشبيه دموعهم بالكحل وصيره هو هو ووجه المشابهة ان الدموع لكثرتها وملازمتها اجفانهم اشبه في ذلك الامر الكثير الغشيان لعيونهم وهو الكحل فلذلك استعار لفظ الكحل له وقوله بارض عالمها ملجم وجاهلها مكرم الجار والمجرور حكمه حكم الظرف الذي قبله فيما يتعلق به ثم ان حملنا خير دار على الدنيا كان قوله بارض تخصيصا لمكان الناس من الدنيا فكانه قال والناس في خير دار هي الدنيا وهم منها بارض من حالها ان عالمها ملجم بلجام الذل من اهلها عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعدم العلم بينهم وغلبة الجهل عليهم وجاهلها مكرم لمناسبته لهم في الجهل وموافقته لهم على الباطل ويكون المراد بتلك الارض اما الشام او العراق وان حملنا خير دار على الشام او العراق كان قوله بارض من حالها كذا يجري مجرى البيان ويكون الذم اللاحق من هذا الكلام

منهم

ح

راجعا الى اهل تلك الارض لتعلق الجام العالم واكرام الجاهل بهم وان نسب ذلك اليها لكونهم بها اذ لو قصدنا الذم الى الارض لنافى ذلك وصفه لها بانها خير دار ويحتمل ان يكون الواو في قوله والناس للحال والعامل ارسله والفتن المشار اليها هي فتن العرب في الجاهلية وحال البعثة وخير دار يعني مكة وشر جيران يعني قريشا والعالم الملجم هو من كان حاله عالما بصدق الرسول وحق بعثته وهو ملجم بلجام التقية والخوف والجاهل المكرم هو من كذبه وهذا الاحتمال حسن واعلم ان الذي يتبادر الى الذهن ان هذه الفصول التي اوردها السيد من هذه الخطبة فصول ملتقطة ليست على نظامها التي خرجت عليه وان كان كذلك فربما يلوح لها لو انتظمت مقاصد توضحها اورده الناس واختلفوا فيه منها والله اعلم ومنها ويعني ال النبي صلى الله عليه وآله هم موضع سره ولجا امره وعيبة علمه وموئل حكمه وكهوف كتبه وجبال دينه بهم اقام انحناء ظهره واذهب ارتعاد فرائصه **اقول** اللجا الملجا والموئل المرجع من ال يؤل الى كذا اذا رجع والضمير في اليه والانحناء الاعوجاج والفرائص جمع فريصة وهي اللحمة التي بين الجنب والكتف لا تزال ترعد من الدابة وقد وردت هذه القرائن الاربع بالسجع المتوازي والضمائر المفردة ههنا كلها راجعة الى الله تعم الا الضمير في ظهره وفرائصه فانهما للرسول صلى الله عليه وآله كما سبق ذكر الله ورسوله في صدر الخطبة وقيل الكل للرسول صلى الله عليه وآله واشار بكونهم موضع سره الى كمال استعداد نفوسهم عم لاسرار الله وحكمته اذ الموضع الحقيقي للشيء هو ما قبله واستعد له وبكونهم ملجا امره الى انهم الناصرون له والقائمون باوامر الله والذابون عن الدين فاليهم يلتجئ وبهم يقوم سلطانه وكونهم عيبة علمه مرادف لكونهم موضع سره اذ يقال في العرف فلان عيبة العلم اذا كان موضع اسراره ولفظ العيبة استعارة لنفوسهم الشريفة ووجه المشابهة ظاهر اذ العيبة لما كان من شانها حفظ ما يودع فيها وصيانته عن التلف والادناس وكانت نفوسهم الطاهرة حافظة للعلم عن عدمه وصائنة له عن دنسه باذهان غير اهله لا جرم حسنت استعارة لفظ العيبة لاذهانهم وبكونهم موئل حكمه الى كونهم مرجعا للحكمة اذا ضلت عن اذهان غيرهم فمنهم تطلب وعنهم تكتسب وبكونهم كهوف كتبه الى انهم اهل حفظها وتدارسها وتفسيرها وعندهم علمها وتاويلها والكتب اشارة الى القران وما قبله من كتب الله كما نقل عنه عم في موضع اخر لو كسرت لي الوسادة ثم جلست عليها لحكمت بين اهل التورية بتوريتهم وبين اهل الانجيل بانجيلهم وبين اهل الزبور بزبورهم وبين اهل القران بفرقانهم والله ما من اية نزلت في بر او بحر او سهل وجبل وسماء او ارض وليل او نهار الا وانا اعلم فيمن نزلت وفي اي وقت نزلت واستعارة لفظ الكهف قريبة من استعارة لفظ العيبة وبكونهم جبال دينه الى دين الله سبحانه بهم يعتصم عن وصمة الشياطين ومبدليهم ومحرفيهم كما يعتصم الخائف بالجبل ممن يؤذيه وهي استعارة لطيفة وقوله بهم اقام انحناء ظهره اشارة الى ان الله سبحانه جعلهم له اعضادا يشدون ازره ويقومون ظهره ويؤيدون امره والانحناء الظهر كناية عن ضعفه في بدو الاسلام فبالحري ان يكون اقامتهم لانحناء ظهره تقويتهم لذلك الضعف بالنصرة للدين والذب عنه وقوله واذهب ارتعاد فرائصه اي ان الله ازال عنه بمعونتهم خوفه الذي كان يتوقعه من المشركين على حوزة الدين وهو كناية عن الشيء ببعض لوازمه اذ كان ارتعاد الفرائص من لوازم شدة الخوف وكل هذه الامور ظاهرة لاهله الادنين من بني هاشم كالعباس وحمزة وجعفر وعلي بن ابي طالب في الذب عن الرسول صلى الله عليه وآله والمدافعة له والبلاء في الدين والله اعلم **ومنها** زرعوا الفجور وسقوه الغرور وحصدوا الثبور لا يقاس بال محمد صلى الله عليه وآله من هذه الامة احد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه ابدا هم اساس الدين وعماد اليقين اليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة الان اذ رجع الحق الى اهله ونقل الى منتقله **اقول** الغرور الغفلة والثبور الهلاك والقياس نسبة الشيء الى الشيء والحاقه به في الحكم وفاء يفيء رجع والغلو تجاوز الحد الذي ينبغي الى ما لا ينبغي والتالي التابع والولاية الاسم من قولك ولي الامر اليه وليا واصله القرب من الشيء والدنو منه والخصائص جمع خصيصة وهي فعيلة بمعنى فاعل اي خاصة او مختصة واعلم ان قوله زرعوا الفجور وسقوه الغرور استعارة لطيفة فان الفجور لما كان هو الخروج عن ملكة العفة والزهد وتجاوزها الى طرف الافراط منهم وكان معنى الزرع القاء الحب في الارض استعار لفظ الزرع لبذر الفجور في اراضي قلوبهم ولان انتشاره عنهم ونموه فيهم يشبه نمو الزرع وانتشاره في الارض ولما كان تمردهم وغفلتهم عن الطريق المستقيم هو سبب عدولهم عنها وتجاوزهم الى طرف الافراط ومهاوي الهلاك وهو مادة تماديهم في غيهم وزيادة فجورهم وعدولهم عن سواء السبيل اشبه الماء الذي هو سبب حيوة الزرع ونموه ومادة زيادته لا جرم استعار لفظ السقي الذي هو خاصة الماء له ونسبته اليهم ثم لما كانت غاية ذلك الفجور هلاكهم في الدنيا بالسيف وفي الاخرة بعذابها الاجرام اشبهت تلك الغاية الثمرة فاستعير لكونها غاية لهم لفظ الحصاد ونسبه اليهم وقد اشتملت لفظ هذه الالفاظ مع حسن الاستعارة على الترصيع قال الوبري ره الاشارة بهذا الكلام الى الخوارج وقيل في المنافقين كما ورد مصرحا به في بعض النسخ واقول يحتمل ان يكون متناولا لكل من نابذه عم وهو من انه طالب للحق فقد طلب خرج في طلبه للحق عن حاق العدل وتعداه الى طرف الفجور والغلو ويدخل القاسطون وهم اصحاب معوية والمارقون وهم الخوارج ومن في معناهم اذ زعم الكل انهم بقتاله طالبون للحق ناصرون له **قوله** لا يقاس بال محمد عليهم السلم من هذه الامة احد الى اخره مدح لهم مستلزم لاسقاط غيرهم عن بلوغ مدحتهم واستخفاف منزلتهم والكلام وان كان عاما في تفضيل ال محمد على كل من عداهم من امته الا انه خرج على سبب وهو مقالة مع معوية فهو اذن مشير الى تفضيل نفسه على معوية وعدم ترشحه للخلافة وقوله لا يقاس بال محمد من هذه الامة احد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه ابدا

في ذلك

اشارة الى عدم مناسبة غيرهم لهم في الفضل والنعمة ههنا نعمة الدين والارشاد اليه والحكم ظاهر الصدق فان المنعم عليه بمثل هذه النعمة التي لا
يمكن احداً ان يأتي بها جزاء لا يتأهل لان يصير في قوة المنعم وخواصه الذين اختصهم بمزيدها على حسب استحقاقهم واستعدادهم التام
الوافر على تأهل غيرهم لها ولا يبلغ درجتهم حتى يقوم مقامهم مع وجودهم في افاضة هذه النعمة واعداد سائر الامة لها وبعثهم و
(اشارة م) ارشادهم الى كيفية الوصول بها الى الله سبحانه وقوله هم اساس الدين اشارة الى انهم استقامته وثباته وبهم قوامه عنهم كما يقوم البناء
على اساسه وكذلك قوله وعماد اليقين وقوله اليهم يفيء الغالي اشارة الى ان المتجاوز للفضائل الانسانية التي مدارها على الحكمة والعفة و
الشجاعة والعدالة الى طرف الافراط منها يرجع اليهم ويهتدي بهم في تحصيل هذه الفضائل لكونهم عليها اذا اخذ التوفيق بيده واشار بقوله
وبهم يلحق التالي الى ان المقصر عن بلوغ هذه الفضائل المرتكب طرف التفريط في تحصيلها يلحق بهم عند طلبه لها ومعونة الله له بالهداية الى
(حق م) ذلك وقوله ولهم خصائص حق الولاية اشارة الى ان ولاية امور المسلمين وخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله لها خصائص هي موجودة فيهم وشرائط بها
(عليهم م) يتأهل الشخص لها ويستحقها وتلك الخصائص ما نبهنا من الفضائل الاربع النفسانية ولا شك في صدقه عليه السلام في ذلك فان هذه
الفضائل وان وجد بعضها وكلها في غيرهم فعنهم اخذ واليهم فيها انتسب مع بقاء ابن بين البحر والوشل وقوله وفيهم الوصية و
الوراثة اشارة الى اختصاصه عليه السلام بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله واختصاص اهله بوراثته وقيل اراد بالوراثة ما يراه هو انه اولى به من امر الخلافة
وقوله الآن اذ رجع الحق الى اهله ونقل الى منتقله في بعض النسخ قد رجع وذلك اشارة منه عليه السلام الى ان الامامة كانت في غير اهلها
وانه هو اهلها والآن وقت رجوعها اليه بعد انتقالها عنه ولفظ الحق وان كان يحتمل حقا غير الامامة الا انها المتبادرة الى
(بالشقشقية له) الذهن من اللفظ ههنا وبالله التوفيق والعصمة

ومن خطبة له عليه السلام المعروفة بالشقشقية

وتعرف بالمقمصة اما والله لقد تقمصها فلان وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى الي
الطير فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا وطفقت ارتئي بين ان اصول بيد جذاء او اصبر على طخية
عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت ان الصبر على هاتا احجى فصبرت وفي العين قذى
وفي الحلق شجى ارى تراثي نهبا حتى مضى الاول لسبيله فادلى بها الى فلان بعده ثم تمثل بقول الاعشى شتان ما يومي على كورها
ويوم حيان اخي جابر فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته اذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعيها فصيرها في حوزة خشناء
يغلظ كلمها ويخشن مسها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم فمني
الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى اذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني
احدهم فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الاول منهم حتى صرت اقرن الى هذه النظائر لكني اسففت اذ اسفوا وطرت
(لضغنه ومال) اذ طاروا فصغا رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هن وهن الى ان قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه
بنو ابيه يخضمون مال الله تعالى خضم الابل نبتة الربيع الى ان انتكث عليه فتله واجهز عليه عمله وكبت به بطنته فما راعني الا والناس
الي كعرف الضبع ينثالون علي من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم فلما نهضت
بالامر نكثت طائفة ومرقت اخرى وقسط آخرون كأنهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا في اعينهم وراقهم زبرجها اما
والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كظة ظالم
ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس اولها ولالفيتم دنياكم هذه اهون عندي من عفطة عنز قال
قال وقام اليه رجل من اهل السواد عند بلوغه الى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا فاقبل ينظر فيه فلما فرغ من قراءته قال له ابن عباس
يا امير المؤمنين لو اطردت مقالتك من حيث افضيت فقال هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت قال ابن عباس
فما اسفت على كلام قط كاسفي على ذلك الكلام الا يكون امير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث اراد **اقول** اعلم ان هذه الخطبة وما في معناها
مما يشتمل على شكايته وتظلمه في امر الامامة هو محل الخلاف بين الشيعة وجماعة من مخالفيهم فان جماعة من الشيعة ادعوا ان هذه الخطبة
وما في حكمها مما اشتمل عليه هذا الكتاب منقول على سبيل التواتر وجماعة من السنة بالغوا في انكار ذلك حتى قالوا انه لم يصدر عن علي عليه السلام
شكاية في هذا الامر ولا تظلم اصلا ومنهم من انكر هذه الخطبة خاصة ونسبها الى السيد الرضي والتصدي للحكم في هذا الموضع هو محل
(المذكورين م) التهمة للشارحين وانا مجتهد لعهد الله علي اني لا احكم في هذا الكلام الا بما اجزم به او يغلب على ظني انه من كلامه او هو مقصوده فاقول
ان كل واحد من الفريقين خارج عن العدل اما المدعون لتواتر هذه الالفاظ من الشيعة فانهم في طرف الافراط واما المنكرين لوقوعها
اصلا فانهم في طرف التفريط اما ضعف كلام الاولين فلان المعتبر من الشيعة لم يدعوا ذلك ولو كان كل واحد من هذه الالفاظ منقولا
بالتواتر لما اختص به بعض الشيعة دون بعض واما المنكرون لوقوع هذا الكلام منه عليه السلام فيحتمل انكارهم وجهين احدهما ان يقصدوا

(ح) بذلك توطئة العوام وتسكين خواطرهم عن اثارة الفتن والتعصبات الفاسدة لتستقيم امر الدين ويكون الكل على نهج واحد فيظهروا انه لم يكن
بين الصحابة الذين هم اشراف المسلمين وسادتهم خلاف ولا نزاع ليقتدي بحالهم من سمع ذلك وهذا مقصد حسن ونظر لطيف لو يقصد
والثاني ان ينكروا ذلك عن اعتقاد انه لم يكن هناك خلاف من الصحابة ولا منافسة في امر الخلافة والانكار على هذا الوجه باطل لا
يعتقده الا جاهل بجماع الاخبار لم يباشر احدا من العلماء فان امر السقيفة وما جرى بين الصحابة من الاختلاف وتخلف علي عليه السلام
عن البيعة امر ظاهر لا يدفع ومكشوف لا يستقنع حتى قال اكثر الشيعة انه لم يبايع اصلا ومنهم من قال انه بايع بعد ستة اشهر كرها فقال
(بينهم والحق ان المنافسة م) مخالفهم انه بايع بعد ان تخلف في بيته مدة وتدافع طويلا وكل ذلك مما تقتضي الضرورة بصدور وقوع الخلاف والمنافسة كانت ثابتة بين علي
وبين من تولاها امر الخلافة في زمانه والشكاية والتظلم الصادر عنه في ذلك مما هو معلوم بالتواتر المعنوي فانا نعلم بالضرورة ان الالفاظ
المنقولة عنه المتضمنة للتظلم والشكاية في امر الخلافة قد بلغت في الكثرة والشهرة مبلغا لا يكون باسرها كذبا بل لا بد وان يصدق واحد
منها وانها صدقت ثبتت فيه الشكاية اما خصوصيات الشكايات بالفاظها المعينة فغير متواترة وان كان بعضها اشهر من بعض فهذا
ما عندي في هذا الباب بعد التحري والاجتهاد وعلى هذا التقرير لا ينبغي لاحد انكار كون هذه الخطبة صادرة عنه ونسبتها الى الرضي معنى ان
مستند هذا الانكار هو ما تشتمل عليه من التصريح بالتظلم والشكاية ومستند انكار ذلك منه هو اعتقاد انه لم تكن له منافسة في هذا الامر
وانت تعلم ان ذلك اعتقاد فاسد على ان هذه الخطبة خاصة قد اشتهرت بين العلماء قبل وجود الرضي روى عن مصدق بن شبيب النحوي
قال لما قرأت هذه الخطبة على شيخي ابي محمد بن الخشاب ووصلت الى قول ابن عباس ما اسفت على شيء قط كاسفي على هذا الكلام قال لو كنت
حاضرا لقلت لابن عباس هل ترك ابن عمك في نفسه شيئا لم يقله في هذه الخطبة فلقد ما ترك لا الاولين ولا الآخرين قال مصدق وكانت
فيه دعابة فقلت له يا سيدي فلعلها منحولة اليه فقال لا والله اني لاعرف انها من كلامه كما اعرف انك مصدق قال فقلت له ان الناس ينسبونها
الى الشريف الرضي فقال لا والله ومن اين للرضي هذا الكلام وهذا الاسلوب فقد رأينا كلامه في نظمه ونثره لا يقرب من هذا الكلام ولا
ينتظم في سلكه على اني قد رأيت هذه الخطبة بخطوط العلماء الموثوق بنقلهم من قبل ان يخلق ابو الرضي فضلا عنه واقول وقد وجدتها في
موضعين تاريخهما قبل مولد الرضي بمدة احدهما انها مضمنة كتاب الانصاف لابي جعفر بن قبة تلميذ ابي القسم الكعبي احد شيوخ المعتزلة وكانت
وفاته قبل مولد الرضي الثاني اني وجدتها بنسخة عليها خط الوزير ابي الحسن علي بن محمد بن الفرات وكان وزير المقتدر بالله وذلك قبل
مولد الرضي بنيف وستين سنة والذي يغلب على ظني ان تلك النسخة كانت كتبت قبل وجود ابن الفرات بمدة اذا عرفت ذلك فلنرجع
الى المتن فنقول **قوله** تقمصها اي لبسها كالقميص وقطب الرحى مسمارها الذي عليه تدور وسدلت الثوب ارخيته والكشح ما بين الخاصرة
الخاصرة وطفقت اخذت وجعلت وارتأى في الامر اذا فكر طالبا للرأي الاصلح وصال حمل نفسه على الامر بقوة ويد جذاء بالدال المهملة و
المعجمة مقطوعة او مكسورة والطخية الظلمة كقولهم ليلة طخيا اي مظلمة وتركيب هذه الكلمة يدل على ظلمة الامور وانغلاقها ومنه كلمة طخيا
اي عجمية لا تفهم والهرم شدة كبر السن والكدح السعي والعمل وهاتا لغة في هاتي وهي لغة في هذه واحجى اولى بالحجى وخلق هو
العقل والقذى ما تتأذى به العين من غبار ونحوه والشجى ما نشب في الحلق من عظم وغيره والتراث كالميراث وهو اسم ما يورث
ادلى فلان بكذا اذا قرب به والقاه وشتان ما هما اي بعد وشتان ما عمرو وزيد اي بعد ما بينهما والكور للناقة رحلها والاداة ومنه عقبة
البيع ونحوه والاستقالة طلب الاقالة وشد الامر صعب عظم وتشطر اي اخذ كل شطرا وهو البعض والحوزة الطبيعة والحوزة الناحية
والكلم نفح الكلاف الجرح وعثر يعثر عثورا وعثارا اذا اصاب رجله في المشي حجر ونحوه والصعبة الناقة لم تذلل بالمحمل ولا بالركوب وشنق
الناقة بالزمام واشنق لها اذا جذبه الى نفسه وهو راكب ليمسكها عن الحركة العنيفة والخرم الشق واسلس لها اذا ارخى وتقحم في الامر اذا القى
نفسه فيه بقوة ومني الناس اي ابتلوا والخبط الحركة على غير استقامة والشماس بكسر الشين كثرة النفار والاضطراب والتلون اختلاف الاحوال
والاعتراض ضرب من التلون واصله المشي في عرض الطريق خابطا عن مرح ونشاط والشورى مصدر كالبقوى مرادف للمشاورة واسف الطائر
اذا دنا من الارض في طيرانه والصغو الميل بكسر الصاد والضغن بكسر الضاد وسكون الغين وفتحهما ايضا الحقد والاصهار عن ابن الاعرابي الحرمون
بجوار او نسب او تزوج وبعض العرب لا يطلقه الا على اهل بيت الزوجين وعن الخليل انه لا يطلق الا على من كان من اهل المرأة وهن على وزن
(تبع م) اخ كلمة كناية عن شيء واصله هنو تقول هذا هنك اي شيئك والحضن الجانب ما بين الابط والخاصرة والنفج قريب من النفخ والنثيل
الروث والمتلف والمعتلف موضع الاعتلاف والخضم الاكل بجميع الفم وقيل القضم باطراف الاضراس يقول خضم بكسر الضاد يخضم والنبت
بكسر النون النبات وانتكث انتقض واجهز على الجريح قتله واسرع وكبا الفرس سقط لوجهه والبطنة شدة الامتلاء من الطعام وعرف
الخلد والذهن وراعني افزعني والمنثال الشيء اذا وقع يتلو بعضه بعضا والعطاف الرداء ويروى عطفاي وعطفا الرجل جانباه من لدن
رأسه الى وركيه والربيض والربيضة الغنم برعاتها المجتمعة في مرابضها ومرق السهم خروجه من الرمية وراقه الامر اعجبه والزبرج بكسر الزاي
والراء الزينة والنسمة الانسان وقد يستعمل فيما عداه من الحيوان والمقارة اقرار كل واحد صاحبه على الامر وتراضيهما به والكظة البطنة

والقارب على كتف الناقة والعقعقة من الشاة كالعطاس من الانسان وقيل هي الجيفة والشقشقة لهاة البعير ويقال للخطيب شقشقة
اذا كان صاحب ذرابة وبيضا عذبة من الكلام واعلم ان المشار اليه بقوله فلان هو ابو بكر كما هو مصرح به في بعض النسخ ولما بلغ عمر تلبس
ابي بكر بالخلافة استعار لها وصف القميص وكنى عن تلبسه بها بالتقمص والضمير المنصوب راجع الى الخلافة ولم يذكرها لظهورها
كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب ويحتمل ان يكون ذكرها فيما قبل ذلك والواو في قوله وانه ليعلم ان محلى منها واو الحال ولما كان قطب
الرحى هو الذي به نظام حركاتها وبه يحصل الغرض منها وكان هو عليه السلام الناظم لامور المسلمين على وفق الحكمة الالهية والعالم
بكيفية السياسة الشرعية لاجرم شبه محله من الخلافة بمحل القطب من الرحى وقد جمع هذا التشبيه انواع التشبيه الموجودة في
كلام العرب وهي ثلثة احدها تشبيه محله بمحل القطب وهو تشبيه للمعقول بالمعقول فان محل القطب هو كونه نظام احوال من الرحى
الرحى وذلك امر معقول وثانيها تشبيه نفسه بالقطب وثانيها وهو تشبيه للمحسوس بالمحسوس وثالثها تشبيه الخلافة بالرحى
وهو تشبيه المعقول بالمحسوس ولما كان حاجة الرحى الى القطب ضرورية ولا يظهر نفعها الا به فهم من تشبيه محله بمحله
انه قصد ان غيره لا يقوم مقامه في امر الامامة ولا ينال اهل العالم وجوده كما لا يقوم غير القطب مقامه في موضعه ثم اكد ذلك
بقوله ينحدر عني السيل ولا يرقى الي الطير فاستعار لنفسه وصفين احدهما كونه ينحدر عنه السيل وهو من اوصاف الجبل
والاماكن المرتفعة وكنى به عن علوه وشرفه مع فيضان العلوم والخيرات السياسية عنه واستعار لذلك الكمالات لفظ
السيل والثاني انه لا يرقى اليه الطير وهو كناية عن غاية اخرى من العلو اذ ليس كل مكان عال بحيث ينحدر عنه السيل وجب
ان لا يرقى اليه الطير فكان ذلك علوا اريد كما قال ابو تمام مكارم لجت في علو كانما تحاول ثارا عند بعض الكواكب
قوله وسدلت دونها ثوبا كناية عن احتجابه عن طلبها والمنافسة فيها بحجاب الاعراض عنها واستعار لذلك الحجاب لفظ
الثوب استعارة لفظ المحسوس للمعقول وكذلك قوله وطويت عنها كشحا تنزيلا لها منزلة الماكول الذي منع نفسه من اكله فلم
يشتمل عليه كشحه وقيل اراد بطي الكشح الميل عنها كما يفعل المعرض عمن الى جانبه قال الطوى كشحه عني واعرض جانبا قوله
وطفقت ارتأي بين ان اصول بيد جذاء واصبر على طخية عمياء ثم بين انه جعلت احيل الفكر في تدبير امر الخلافة وارده بين
طرفي نقيض اما ان اصول على من حازها دوني او ان اترك وفي كل واحد من هذين القسمين خطر اما القيام فبيد جذاء وهو
عن جابرتها فيهم من التغرير بالنفس وتشويش نظام المسلمين من غير فائدة واستعار وصف الجذاء لعدم الناصر ووجه المشابهة
ان قطع اليد لما كان مستلزما لعدم القدرة على التصرف بها والصولة وعدم الناصر لها والمؤيد مستلزما لذلك لاجرم حسنت الاستعارة
واما الترك ففيه الصبر على مشاهدة التباس الامور واختلاطها وعدم تمييز الحق وتجريده عن الباطل وذلك في غاية الشدة والبلاء ايضا واستعار
لذلك الالتباس لفظ الطخية وهو استعارة لفظ المحسوس للمعقول ووجه المشابهة ان الظلمة كما لا يهتدى فيها للمطلوب كذلك اختلاط الامور
ههنا لا يهتدى معها لتمييز الحق وكيفية السلوك الى الله ووصف الطخية بالعمى ايضا على وجه الاستعارة فان الاعمى لما لم يكن ليهتدي لما
كل هذه الظلمة لا يهتدى فيها للحق ولزومه ثم كنى عن شدة ذلك الاختلاط ومقاساة الخلق بسبب عدم انتظام احوال وطول مدة ذلك
باوصاف احدها انه يهرم فيها الكبير والثاني انه يشيب فيها الصغير والثالث ان المؤمن المجتهد في لزوم الحق والذب عنه يقاسي من ذلك
الاختلاط شدايد ويكدح فيها حتى يلقى ربه وقيل يدأب ويجتهد في الوصول الى حقه فلا يصل حتى يموت ثم اشار بعد ذلك الى
ترجيح رايه في اختيار القسم الثاني وهو الصبر وترك القيام في هذا الامر بقوله فرايت ان الصبر على هاتا احجى اي اليق بنظام الاسلام ووجه
الترجيح ظاهر فانه لما كان مقصوده عليه السلام من هذه المنافسة انما هو اقامة الدين واجراء قواعده على القانون المستقيم ونظام امور الخلق
كما هو المقصود من مقالات الشارعين صلوات الله عليهم اجمعين وكانت صولته ومحاربته لمنافسيه في الامامة بغير ناصر لا تثمر [illegible]
به ومع ذلك ففيه انشعاب امور المسلمين وتفرق كلمتهم وثوران الفتن بينهم خصوصا والاسلام غض لم ترسخ محبته في قلوب كثير
الخلق ولم يطعموا حلاوته وفيهم المنافقون والاعداء المشركون في غاية القوة من كل الاقطار لاجرم لم يمكنه مع ملاحظة هذه الاحوال
اثارة الحرب والمنازعة لاداء ذلك الى ضد ما هو مقصود لحركته ومحاربته واما الصبر وترك المنافسة وان كان فيه بحسب رايه ما
ذكره من اختلال الدين وانه لو كان هو القائم لهذا الامر لكان انتظامه به اتم وقوامه اكمل الا انه اولى بالنسبة الى الاختلال الذي كان
يحصل للمنازع في هذا الامر وقام في طلبه وبعض الشر اهون من بعض قوله فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى الواو للحال و
الجملتان كنايتان عن شدة ما اضمره من التاذي والغبن بسبب ما يرى انه اولى به من غيره وما يعتقده من الخبط في الدين بسبب
غيره قوله ارى تراثي نهبا قيل اراد بتراثه ما خلفه رسول الله صلعم لابنته كفدك فانه يصدق عليها انه ميراثه لان مال الزوجة
في حكم مال الزوج والنهب اشارة الى منع الخلفاء الثلثة لها بالخبر الذي رواه ابو بكر نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو
صدقة وقيل اراد منصب الخلافة فيصدق عليه لفظ الارث كما صدق في قوله تعالى حكاية عن زكريا يرثني ويرث من آل يعقوب فانه

اراد برث علي ومنصب النبوة فكان اسم الميراث صادقا على ذلك قوله حتى مضى الاول لسبيله فادلى بها الى فلان بعده اراد بالاول الجزء ٦
ابا بكر وبفلان عمر واشار بالادلاء الى نص ابي بكر على ان يكون عمر هو الخليفة بعده ومضيه لسبيله انتقاله الى دار الاخرة وسلوك السبيل
الذي لا بد منه لكل انسان واما البيت فهو للاعشى قيس واسمه ميمون بن جندل من بني قيس بن ثعلبة اوله علقم ما انت الى
عامر الناقض الاوتار والواتر وحيان وجابر ابنا السمين بن عمرو من بني حنيفة وكان حيان صاحب الحصن باليمامة وكان سيدا مطاعا يصله
كسرى في كل سنة وكان في نعمة ورفاهية مصونا من وعثاء السفر لانه ما كان يسافر ابدا وكان الاعشى ينادمه واراد ما بعد ما بين يومي على
كور المطية ادأب وانصب في الهواجر وبين يومي منادما حيان اخي جابر وادعا فارا في نعمة وخفض ويروى ان حيان عاتب الاعشى في نسبته
بنسبته الى اخيه فاعتذر اليه الاعشى بان القافية قادته الى ذلك فلم يقبل عذره واليوم الاول في موضع الرفع باسم الفعل والثاني بالعطف رفع م
عليه واما غرض التمثيل بالبيت فافاد السيد المرتضى اراد بذلك ان القوم ثانا فازوا بمقاصدهم ودرجوا بمطالبهم ظفروا بها وهو في
اثناء ذلك كله محقق في حقه مكذب في نصيبه كما اشار اليه بقوله وفي العين قذى وفي الحلق شجى كان بين حالهم وحاله بعد بعيد وفرق انزع م
شديد فاستشهد بهذا البيت واستعار لفظ اليومين وكنى بهما عن حاله وحالهم ووجه المشابهة في هذا المثل ان حالهم استلزم
حصول المطالب والرفاهية كيوم حيان وحاله استلزم المتاعب كيومه على كور الناقة سافرا قلت ويحتمل ان يكون قد استعار يوم
حيان لعهده مع رسول الله صلعم وما كان يحصل له في مدة صحبته من الفوايد الجسمية والكمالات من العلوم والاخلاق ويوم كونه على
كور الناقة لزمانه بعد الرسول صلعم وما لحقه فيه من مقاساة المحن ومتاعب الصبر على الاذى ووجه المشابهة ما يشتمل عليه يوم حيان
وعهد الرسول من المسار وما يشترك فيه يوم كونه على كور الناقة وزمانه بعد الرسول من المتاعب قوله فيا عجبا بينا هو يستقيلها
في حيوته اذ عقدها لاخر بعد وفاته الاشارة الى ابي بكر وطلبه الاقالة هو قوله اقيلوني فلست بخيركم ووجه التعجب ههنا ان طلب ابي بكر قوله م
ابي بكر للاقالة من هذا الامر انما هو لثقله وكثرة شرايطه وشدة مراعاة اجراء احوال الخلق مع اختلاف طباعهم واهوائهم على قانون العدل
وخوفه ان تعثر به مطايا الهوى فتردى في موارد الهلاك وعلى هذا التقدير فكلما كانت مدة ولاية الانسان لهذا الامر اقصر كان خوفه اقل
وكانت متابعته ايسر واسهل وسبيل طالب الاقالة من هذا الامر وامثاله ومقتضى طلبه لذلك ان يتحرى قلة متاعبه الامر ويجتهد في
الخلاص منه مهما امكنه ذلك فاذا رايناه متمسكا لهذا الامر مدة حيوته وعقده بعد وفاته لاخر بعده فيتحمل مضارة هذا الامر في حال
الحيوة وبعد الوفاة فلا بد وان يغلب على الظن ان طلبه للاقالة لم يكن عن قصد صحيح فيصير ذلك الظن تماما لما اشتهر عنه من العدالة
وذلك محل التعجب وهذا بخلاف ما اشتهر بالفسق والنفاق فانه لا يتعجب من فعله لو خالف قوله قوله لشد ما تشطرا ضرعيها اللام
للتاكيد وما مع الفعل بعدها في تقدير المصدر وهو فاعل اشد والجملة من تمام التعجب وقد استعار لفظ الضرع ههنا للخلافة و
هي استعارة مستلزمة لتشبيهها بالناقة ووجه المشابهة المشترك في الانتفاع الحاصل منهما والمقصود وصفا فتشاطرهما لهذا الامر المشبه
لاقتسام الحالبين اخلاف الناقة بالشدة على امره من يعتقد انه احق بها منهما او على المسلمين الذين يشبهون الاولاد لها وقوله فصيرها في حوزة
خشناء كنى بالحوزة عن طباع عمر فانها كانت توصف بالجفاوة والغلظ في الكلام والتسرع الى الغضب وذلك معنى خشونتها قوله
يغلظ كلمها ويخشن مسها استعار لتلك الطبيعة وصفين احدهما غلظ الكلم وهو كناية عن غلظ المواجهة بالكلام والجرح به فان الضرب
باللسان اعظم من وخز السنان والثاني جفاوة المس وهي كناية عن خشونة طباعه المانعة من ميل الطباع اليه المستلزمة للاذى كما يستلزم
من الاجسام الخشنة قوله ويكثر العثار والاعتذار منها اشارة الى ما كان يتسرع اليه عمر من الاحكام ثم يعاود النظر فيها فيجدها غير صائبة ثم م
فيحتاج الى الاعتذار والضمير في منها يعود الى الطبيعة المعبر عنها بالحوزة فمن ذلك ما روي انه امر برجم امراة زانية وهي حامل فعلم علي عم
بذلك فجاء اليه وقال له ان كان لك سلطان عليها فما سلطانك على ما في بطنها دعها حتى تضع ما في بطنها ثم ترضع ولدها فعندها
قال عمر لولا علي لهلك عمر وتركها وكذلك ما روي انه امر بوني بامراة لحال اقتضت ذلك وكانت حاملا فانزعجت من هيبته فاجهضت جنينا فجمع على م
جماعة من الصحابة وسالهم ماذا يجب عليه فقالوا انت مجتهد ولا نرى انه يجب عليك شيء فراجع عليا في ذلك واعلمه
بما قال بعض الصحابة فانكر ذلك وقال ان كان ذلك عن اجتهاد منهم فقد اخطأوا وان لم يكن عن اجتهاد فقد غشوك ارى عليك الغرة
فعندها قال لا عشت لمعضلة لا يكون لها ابو الحسن ومنشأ ذلك وامثاله غلبة القوة الغضبية وغلظ الطبيعة قوله فصاحبها
كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم قيل الضمير في صاحبها يعود الى الحوزة المكنى بها عن طبيعة عمر واخلاقه والمراد على هذا الوجه
ان المصاحب لتلك الاخلاق في حاجة الى المداراة في عونه حاله كراكب الصعبة ووجه المشابهة ان راكب الصعبة كما يحتاج الى
الكلفة الشاقة في مداراة احوالها فهو معها بين خطرين ان والى الجذب لها في وجهها بالزمام خرم انفها وان اسلس لها في القياد
تقحمت به المهالك كذلك مصاحب اخلاق الرجل والمبتلى بها ان اكثر عليه انكار ما يتسرع اليه ادى ذلك الى مشاقته وفساد الحال بينهما
وان سكت عنه وتركه وما يصنع ادى ذلك الى الاخلال بالواجب وذلك من موارد الهلكة وقيل الضمير في صاحبها للخلافة وصاحبها

هو كل من تولى امرها اذا كان غاد الامر عيا الحق لله ووجه شبهه براكب الصعبة ان المتولي لامر الخلافة مضطر الى الكلفة الشاقة في مداراة احوال الخلق ونظام امورهم على القانون الحق وان يسلك بهم طريق العدل المحفوفة بطرفي التفريط والتقصير المشبه لاسلاس قياد الصعبة وبطرف الافراط في طلب الحق والاستقصاء فيه الذي يشبه شنقها فان المتولي لامر الخلافة ان فرط في المحافظة على شرائطها واهمل امرها القاه التفريط في موارد الهلكة كما نسبه الصحابة الى عثمن حتى فعل به ما فعل فكان في ذلك كراكب صعبة اسلس قيادها وان فرط في حمل الخلق على اشد مراتب الحق وبالغ في الاستقصاء عليهم في طلبه اوجب ذلك تضجرهم منه ونقار طباعهم ونفرتهم عنه وفساد الامر عليه لميل اكثرهم الى جنب الباطل وغفلتهم عن فضيلة الحق وان صعب يكون في ذلك كمن اشنق الصعبة التي هو راكبها حتى خرم انفها وهو من التشبيهات اللطيفة وقيل اراد بصاحبها نفسه واستشبه براكب الصعبة لانه ايضا بين خطرين اما ان يبقى ساكتا عن طلب هذا الامر والقيام فيتقحم بذلك في موارد الذل والصغار كما يتقحم راكب الصعبة المسلس لها قيادها واما ان يقوم فيه ويشتد في طلبه فينشعب امر المسلمين بذلك كمن اشنق لها فخرم انفها والاول اليق بسياق الكلام ونظامه والثاني اظهر والثالث محتمل **قوله** فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض اشارة الى ما ابتلوا به من اضطراب الرجل وحركاته التي كان يفعلها عليه فكنى بالخبط عنها وبالشماس عن جفاوة طباعه وخشونتها وبالتلون والاعتراض عن انتقاله من حالة الى اخرى في احكامه وهي استعارات وجه المشابهة فيها ان خبط البعير وشماس الفرس واعتراضهما في الطريق حركات غير منظومة فاشبهها ما لم يكن منظوما من حركات الرجل التي ابتلي الناس بها ولا شك انه كان صعبا عظيم السطوة والهيبة وكان اكابر الصحابة يتحامونه وقيل لابن عباس لما اظهر قوله في مسئلة العول بعد موت عمر هلا قلت ذلك وعمر حي قال هبته وكان رجلا مهيبا وقيل ان ذلك اشارة الى ما ابتلي به الناس من اضطراب الامر وتفرق الكلمة وجري امورهم على غير نظام بسبب تفرق كلمتهم ثم اردف ذلك بذكر صبره على ما صبر عليه مع الثاني كما صبر مع الاول وذكر امرين احدهما طول مدة تخلف الامر عنه والثاني شدة المحنة بسبب فوات حقه وما يتعقد من لوازم ذلك الفوت وهو عدم انتظام احوال الدين واجرائه على قوانينه الصحيحة ولكل واحد من هذين الامرين حصة في استلزام الاذى المحسن في مقابلته الصبر **قوله** حتى اذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني احدهم **اقول** حتى هنا لابتداء الغاية والغاية لزوم نائي الشرطية ملفوظ بها عن جعله لها في جماعة مضيه لسبيله واشار بالجماعة الى اهل الشورى وخلاصة حديث الشورى ان عمر لما طعن دخل عليه وجوه الصحابة وقالوا له ينبغي لك ان تعهد عهدا ايها الرجل وتستخلف رجلا نرضاه فقال لا احب ان اتحملها حيا وميتا فقالوا افلا تشير علينا فقال اما ان اشير فان احببتم قلت فقالوا نعم فقال الصالحون لهذا الامر سبعة نفر سمعت رسول الله صلعم يقول انهم من اهل الجنة احدهم سعيد بن زيد وانا مخرجه منهم لانه من اهل بيتي وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وعثمن وعلي فاما سعد فلا يمنعني منه الا عنفه وفظاظته واما عبد الرحمن فلانه قارون هذه الامة واما طلحة فكبره ونخوته واما الزبير فشحيح ولقد رايته بالبقيع يقاتل على صاع من شعير ولا يصلح لهذا الامر الا رجل واسع الصدر واما عثمن فمحبته لقومه وعصبيته لهم واما علي فحرصه على هذا الامر ورغبته فيه ثم قال يصلي صهيب بالناس ثلثة ايام وتخلوا الستة نفر في البيت ثلثة ايام ليتفقوا على رجل منهم فان استقام امر خمسة وابى رجل فاقتلوه وان استقر امر ثلثة وابى ثلثة فكونوا مع الثلثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ويروى فاقتلوا الثلثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن بن عوف ويروى فتحاكموا الى عبد الله بن عمر فاي الفريقين قضى له فليكونوا الفريق الاخر فلما خرجوا اجتمعوا لهذا الامر قال عبد الرحمن ان لي ولابن عمي من هذا الامر الثلث فنحن نخرج انفسنا منه على ان نختار رجلا هو خيركم للامة فقال القوم رضينا غير علي فانه اتهمه في ذلك قال ارى وانظر فلما ايس من رضى علي رجع الى سعد فقال هلم نعين رجلا ونبايعه فالناس يبايعون من بايعت فقال سعد ان بايعك عثمن فانا لكم ثالث وان اردت ان تولي عثمن فعلي احب الي فلما ايس من مطاوعة سعد كف عنهم وجاءهم ابو طلحة في خمسين رجلا من الانصار يحثهم على التعيين فاقبل عبد الرحمن على علي واخذ بيده وقال ابايعك على ان تعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين ابي بكر وعمر فقال علي ع تبايعني على ان اعمل بكتاب الله وسنة رسوله واجتهد رايي فترك يده ثم اقبل على عثمن فاخذ بيده وقال له مثل مقالته لعلي ع فقال نعم فكرر القول على كل منهما ثلثا فاجاب كل بما اجاب به اولا فعندها قال عبد الرحمن هي لك يا عثمن وبايعه ثم بايعه الناس وفي النسخ زعم الى ساداتهم ثم اردف حكاية الحال بالاستغاثة بالله للشورى والواو اما زائدة او للعطف على محذوف مستغاث له ايضا كانه قال فيا لله لعمر وللشورى اولى وللشورى التي للشورى ونحوه والاستفهام عن وقت عروض الشك للخلق في ان الاول هل يساويه في الفضل والاولوية استفهام على سبيل الانكار والتعجب من عروضه لاذهانهم الى غاية ان قاسوه بالخمسة المذكورين وجعلوهم نظراء وامثالا له في المنزلة واستحقاق هذا الامر **قوله** لكني اسففت اذ اسفوا وطرت اذ طاروا استعارة لاحوال الطائر من الاسفاف والطيران لاحواله من مقارنته لمراده ونصرته على قدر ما اختاره وللاخرة **قوله**

الشريد

وينبغي ان يكون عطاهم في ذلك

الكدر

بن عوف

فصغا رجل منهم لضغنه اشارة الى سعد بن ابي وقاص فانه كان منحرفا عنه وهو احد المتخلفين عن بيعته بعد قتل عثمن وقوله ومال الاخر لصهره اشارة الى عبد الرحمن بن عوف فانه مال الى عثمن لمصاهرة كانت بينهما وان عبد الرحمن كان زوجا لام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اخت عثمن لامه اروى بنت كريز وقوله مع هن وهن يريد ان ميله لم يكن لمجرد المصاهرة بل لاشياء اخرى يحتمل ان يكون نفاسة عليه وغبطة له بوصول هذا الامر اليه او غير ذلك وقوله الى ان قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه اراد به عثمن وكنى بقيامه عن حركته في ولاية امر الخلافة واثبت له حالا ذا استعارة تشبيهه بالبعير واستعاره وصفه وهو نفج الحضنين وكنى بذلك عن استعداده للتوسع ببيت مال المسلمين وحركته في ذلك كما نسب اليه تشبيها له بالبعير ينفخ جنباه بكثرة الاكل كل المتوسع في الاكل والشرب وربما قيل ذلك للمتكبر المنتفخ كبرا وكان قوله بين نثيله ومعتلفه وهو متعلق بقائما اي قائم بين معتلفه ومعدوده وهو من وصفات البهائم ووجه الاستعارة ان البعير والفرس كما لا اهتمام له اكثر من ان يكون بين اكل وروث كذلك نسب اليه انه لم يكن اكبر همه الا الترفه والتوفر في المطعم والمشرب وسائر مصالح نفسه عاقبه دون ملاحظة امور المسلمين ومراعاة مصالحهم كما نعتم عليه **قوله** وقام معه بنو امية يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع يخضمون في موضع الحال وعنى بمال الله بيت المال واراد بيني ابيه بني امية بن عبد شمس ويحتمل ان يريد اقربائه مطلقا وخص بني ابيه تغليبا للمذكورة وكنى بالخضم عن كثرة توسعهم بمال المسلمين من بعد عثمن وقد نقلت عنه من ذلك صور **احدها** انه دفع الى اربعة نفر من قريش زوجهم بناته اربع مائة الف دينار **وثانيها** انه لما فتح افريقية اعطى مروان بن الحكم مائة الف دينار ويروى خمس افريقية **وثالثها** روى عن عدة طرق ان ابا موسى الاشعري بعث اليه بمال عظيم من البصرة فجعل يفرقه في ولده واهله وكان ذلك بحضرة زياد بن عبيد مولى الحرث بن كلدة الثقفي فبكى زياد لما راى فقال له لا تبك فان عمر كان يمنع قرابته ابتغاء وجه الله وانا اعطي اهلي وقرابتي ابتغاء وجه الله **ورابعها** روي انه ولى الحكم بن ابي العاص صدقات قضاعة فبلغت ثلث مائة الف فوهبها له حين اتاه بها **وخامسها** روى ابو مخنف ان عبد الله بن خالد بن اسيد قدم على عثمن من مكة ومعه ناس فامر لعبد الله بثلث مائة الف ولكل واحد منهم بمائة الف وصك بذلك على عبد الله بن الارقم وكان خازن بيت المال فاستكثره ورد الصك فقال له عثمن ما حملك على رده وانما انت خازن قال كنت اراني خازن بيت مال المسلمين وانما خازنك غلامك والله لا الي لك بيت المال ابدا وجاء بالمفاتيح فعلقها على المنبر فدفعها عثمن الى مولاه نائل وروى الواقدي ان عثمن امر زيد بن ثابت ان يحمل من بيت المال الى عبد الله بن الارقم عقيب ما فعل ثلث مائة الف درهم فلما دخل عليه بها قال له يا ابا محمد ان امير المؤمنين ارسل اليك يقول انا شغلناك عن التجارة ولك ذو رحم اهل حاجة ففرق هذا المال فيهم واستعن به على عيالك فقال عبد الله ما لي اليك حاجة وما عملت لان يثيبني عثمن فان كان هذا من بيت المال فلا يبلغ قدر عملي ان اعطى ثلث مائة الف دينار وان كان من ماله فلا حاجة لي به وبالجملة فنواهيه لا اهله وذويه مشهورة وقد شبه خضمهم لمال الله بخضم الابل نبت الربيع ووجه التشبيه ان الابل لما كانت تستلذ نبت الربيع بشهوة صادقة وتملأ منه احناكها ودون لحجته عقيب يبس الارض وطول مدة الشتاء ومع ذلك طيبه ونضارته كان ما اكله اقارب عثمن من بيت المال مشبها لذلك من جهة كثرته وطيبه لهم عقيب ضرهم وفقرهم وكل ذلك في معرض الذم والتوبيخ المستلزم لارتكاب مناهي الله المستلزم لعدم التاهل لامر الخلافة **قوله** الى ان انتكث عليه فتله واجهز عليه عمله وكبت به بطنته اشارة الى غايات من سامه في الحال المذكورة واستعار لفظ الفتل وهو برم الحبل لما كان يبرمه من الاراء والتدبير ويستبد به دون الصحابة وكنى به عنه وكذلك لفظ الانتكاث لانتقاض ذلك التدابير ورجوعها عليه بالفساد والهلاك وقوله واجهز عليه عمله يشتمل على مجاز في الافراد والتركيب اما في الافراد فلان استعمال الاجهاز انما يكون حقيقة في قتل بقية جرح المقتول واثخانه بضرب ونحوه ولما كان قتل عثمن مسبوقا بطعن اسنة الالسنة والجرح بها او سبقها الاجرام اشبه قتله الاجهاز فاطلق عليه لفظه واما في التركيب فلان اسناد الاجهاز اليه اسناد الفعل الى السبب القابل اي الى السبب الحامل وهو من وجوه المجاز وكذلك قوله وكبت به بطنته مجاز ايضا في الاسناد والتركيب وذلك لان الكبو انما هو حقيقة في الاسناد الى الحيوان ولما كان ارتكابه للامور التي نقمت عليه وتوسعه ببيت المال الكني عن ذلك بالبطنة واستمراره على ذلك مدة خلافته سببا لشبه ركوب الفرس واستمراره مشبه سببا من العثار والكبو كانت البطنة مشبهة للمركوب من هذه الجهة فلذلك صح اسناد الكبو اليها مجازا **قوله** فما راعني الا والناس الي كعرف الضبع ينثالون علي من كل جانب الى معلق بمحذوف تقديره مقبلون الي وفاعل راعني اما الجملة الاسمية وهو مقتضى قول الكوفيين اذ جوزوا كون الجملة فاعلا وما دلت عليه هذه الجملة وكانت مفسرة له من المصدر اي فما راعني الا اقبال الناس الي وهو فرع مذهب البصريين اذ منعوا كون الجملة فاعلا ونظيره قوله تعالى ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ليسجننه حتى حين وينثالون اما خبر ثان للمبتدا او حال عن راعني والعامل في الى الاشارة الى وصف

خ

وفي حر

اشعر

قيام خ قيامه

في بيان الخطبة المعروفة بالشقشقية

ازدحام الناس عليه للبيعة بعد قتل عثمن وقد شبههم في اقبالهم اليه وازدحامهم عليه بعرف الضبع ووجه ذلك ان الضبع
ذات عرف كثير قائم الشعر والعرب يسمي الضبع عرفا لعظم عرفها فكانت حال الناس في اقبالهم عليه متتابعين يتلو بعضهم بعضا
فيما يشبه عرف الضبع **قوله** حتى لقد وطي الحسنان وشق عطافي اشارة الى غاية ازدحامهم عليه وهي وطي ولديه الحسن
والحسين عليهما السلام وشق ردائه بالجذب عند خطابه والجلوس على جانبيه واما على الرواية الاخرى فالمراد بالشق اما
الاذى الحاصل للصدر والمنكبين او شق قميصه بالجلوس على جانبيه والطلاق لفظ العطفين على جانبي القميص مجاز اطلاقا
لاسم المجاور على مجاوره او المتعلق على متعلقه ومن عادة العرب ان يكون امراؤهم كسادتهم في قلة الوقير والتعظيم في المخاطبات
ونحو ذلك مما قرح ببرءا والجلالة طباع رعاعهم وحكى السيد المرتضى رضه ان ابا عمر محمد بن عبد الواحد غلام ثعلب
روى في رواية وطي الحسنان انهما الابهامان وانشد للشنفري مهضومة الكشحين خرماء الحسن وروى ان امير
المؤمنين ع انما كان يومئذ جالسا محتبيا وهي جلسة رسول الله صم المسماة بالقرفصاء وهي جمع الركبتين وجمع الذيل فلما
اجتمعوا اليه ليبايعوه زحموه حتى وطؤا ابهاميه وشقوا ذيله بالوطي ولم يعن الحسن والحسين عليهما السلام وهما رجلان كسائر
الحاضرين وهذا القول يؤيد الرواية الاولى واعلم ان ارادة الحسن والحسين اظهر **قوله** مجتمعين حولي كربيضة الغنم مجتمعين
حولي كربيضة الغنم مجتمعين منصوب على الحال كالذي قبله والعامل واحد وهو قوله وطي وقد شبه اجتماعهم حوله
بربيضة الغنم ووجه التشبيه ظ ويحتمل ان يلاحظ في وجه التشبيه مع الهيئة زيادة وهي انه شبههم بالغنم لغفلتهم عن وضع
الاشياء في مواضعها وقلة فطانتهم وعدم استعمالهم الادب معه او مطلقا والعرب تصف الغنم بالغباوة وقلة الفطانة **قوله**
فلما نهضت بالامر نكثت طائفة ومرقت اخرى وفسق اخرون اراد بالناكثين طلحة والزبير لانهما بايعاه ونقضا بيعته وخرجا
عليه وكان من تبعهما ممن بايعه وبالمارقين الخوارج وبالقاسطين او الناسقين اصحاب معوية وهذه الاسماء سبقت من الرسول صم
اذ حكى في موضع اخر انه امره بانه سيقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين بعده وانما خص الخوارج بالمروق لان المروق وهو مجاوزة
السهم للرمية وخروجه منها ولما كانت الخوارج اولا منتظمين في سلك الحق الا انهم بالغوا بزعمهم في طلبه الى ان تعدوه وتجاوزوه
لا جرم حسن ان يستعار لهم لفظ المروق لمكان المشابهة وقد اخبر الرسول صم عنهم وبهذا اللفظ اذ قال يمرقون من الدين كما يمرق السهم
من الرمية واما تخصيص اهل الشام بالقاسطين فلانه منهم القسو او القسط هو الخروج عن سنن الحق وقد كانوا كذلك بمجانبة
والخروج عن طاعته فكان اطلاق احد اللفظين عليهم لذلك **قوله** كانهم لم يسمعوا الله يقول تلك الدار الاخرة نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين تنبيه لاذهان الطوائف الثلث المذكورة ومن عساه يتخيل ان الحق
في ساولبهم لكنهم على ان ما فعلوه من المخالفة عليه والقتال له انما هو طلب للعلو والمفاخرة في الدنيا المستلزم للسعي في
الارض بالفساد واعراض عن الدار الاخرة وحسم لمادة اعذارهم ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين فيقولوا عند الفار ربنا لو سمعنا
هذه الاية وعينا هالما ارتكبنا هذه الافعال ويزعمون ان الحق في هذه المسألة هو استثناء تقيض التالي ينتج لهم نقيض مقدمها
وتقديره لهذا الغرض لم على سبيل التهكم بهم وانه لا عذر لهم في الحقيقة فيما فعلوه ثم اراد ع تكذيبهم في ذلك العذر على تقدير اعتذارهم
برفا شار الى كذب شبهة بوضح نقيضها موكدا بالقسم ابا زوالي منع لزوم هذه المسألة بقوله بلى والله لقد سمعوها ووعوها
ولكنه حليت الدنيا في اعينهم وتنبه على ان وضع المقدم المذكور في المسألة لا يستلزم تاليها مط بل استلزامه له موقوف على زوال مانع
هو حاصل لهم الان وذلك المانع هو غرور الدنيا لهم بزينتها واعجابهم بها وعلى تقدير حصول المانع المذكور جاز ان يجتمع هذا
المقدم مع نقيض التالي المذكور وهو ارتكاب ما ارتكبوه من الافعال **قوله** اما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور
الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء الى اخره **اقول** لما ذكر من حال القوم وحاله معهم ما ذكر من الشكاية و
التظلم في امر الخلافة وذم الشورى وما انتهى اليه من الحال التي اوجبت نزوله عن مرتبته الى ان قرن بالجماعة المذكورين اردف ذلك
ببيان الاعذار الحاملة على قبول هذا الامر والقيام به بعد تخلفه عنه الى تلك الغاية وقدم على ذلك شاهد هذا القسم العظيم
بهاتين الاضافتين وهما فالق الحبة وبارئ النسمة واعلم ان الوصف الاول تكرر في القران الكريم وهو قوله فالق الحب والنوى وانما
خص الحبة والنسمة بالتعظيم بالنسبة الى الله تعالى لما يشتملان عليه مع لطف الخلقة وصغر الحجم من اسرار الحكمة وبدايع الصنع الدالة
على وجود الصانع الحكيم اما فلق الحب ففيه قولان احدهما قال ابن عباس والضحاك فالق الحب اي خالقه فعلى هذا يكون معنى
قوله ع فلق الحبة كقوله فطر الخلايق بقدرته الثاني وهو الذي عليه جمهور المفسرين ان فلق الحبة هو الشق الذي في وسطها و
تقريره هذا القول ان الحبة من الحنطة مثلا لما كان من غايتها ان تكون شجرة مثمرة ينتفع بها الحيوان جعل الله سبحانه في وسطها
ذلك الشق حتى اذا وقعت في الارض الرطبة ثم مرت بها مدة من الزمان جعل سبحانه الطرف الاعلى من ذلك الشق مبدأ لخروج

وشق م

الاخرة م

الشجرة

الشجرة الصاعدة الى الهواء والطرف الاسفل مبدا للعروق الهابطة الى الارض التي منها مادة تلك الشجرة وفي ذلك بدايع من الحكمة شاهدة
بوجود المدبر الحكيم احدها ان يكون طبيعة تلك الحبة ان كانت تقتضي الهوي في عمق الارض فكيف تولدت منها الشجرة الصاعدة في
الهواء وعلى العكس فلما تولد منها امران متضادان علمنا ان ذلك ليس لمجرد الطبيعة بل بمقتضى الحكمة الالهية وثانيها انا شاهد اطراف
تلك العروق في غاية الدقة واللطافة بحيث لو دلكها الانسان بادنى قوة لكانت صادقة كالماء ثم انها مع غاية تلك اللطافة تقوى على
خرق الارض الصلبة وتنفذ في مسام الاحجار فحصول هذه القوة الشديدة لهذه الاجرام اللطيفة الضعيفة لا بد ان يكون بتقدير العزيز
الحكيم وثالثها انك تجد الطبايع الاربع حاصلة في الفاكهة الواحدة كالاترج فان قشره حار يابس ولحمه بارد رطب وحامضه بارد يابس
وبزره حار يابس فتولد هذه الطبايع المتضادة من الحبة الواحدة لا بد ان يكون بتقدير الفاعل الحكيم ورابعها انك اذا نظرت الى ورقة من
اوراق الشجرة المبدعة عن الحبة وجدت في وسطها خطا مستقيما كالنخاع بالنسبة الى بدن الانسان ثم لا يزال ينفصل عنه شعب وعن
الشعب شعب اخرى الى ان يستدق ويخرج تلك الخطوط عن ادراك البصر والحكمة الالهية انما اقتضت ذلك ليتقوى القوة
الجاذبة المركوزة في جرم تلك الورقة على جذب الاجزاء اللطيفة الارضية في تلك المجاري الضيقة واذا وقفت على عناية الله
سبحانه في تكون تلك الورقة الواحدة الواقعة علمت ان عنايته في جملة الشجرة اكمل وان عنايته في جملة النبات اكمل ثم اذا علمت
انه انما خلق جملة النبات لمصلحة الحيوانات علمت ان عنايته في خلق الحيوان اكمل واذا علمت ان المقصود من خلق الحيوان انما هو
الانسان علمت ان الانسان هو اعز المخلوقات في هذا العالم عند الله واكرم عليه وانه قد اكرمه بانواع الاكرام كما قال تعالى ولقد كرمنا
بني ادم الاية وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واما النسمة فعليك في مطالعة عجايب صنع الله في بدن الانسان بكتب التشريح وقد اشرنا الى
طرف من ذلك في الخطبة الاولى اذا عرفت ذلك فاعلم انه ع ذكر من تلك الاعذار ثلثة احدها حضور الحاضرين لمبايعته والثاني قيام الحجة عليه
بوجود الناصر له في طلب الحق لو ترك الطلب الثالث ما اخذ الله على العلماء من العهد على انكار المنكرات ومنع الظالمين ودفع الظلامات عند
التمكن والعذر ان الاولان هما شرطان في الثالث اذ لا يتعد ولا يجب انكار المنكر بدونهما وكنى بكظة الظالم عن قوة ظلمه وسغب المظلوم
عن قوة ظلامته **قوله** لالقيت حبلها على غاربها استعاره وصف من اوصاف الناقة للخلافة واللامر كنى بها عن تركها واهمالها
لامرها ثانيا كاهمالها اولا ولما استعار لها لفظ الغارب جعل لها حبلا تلقى عليه وهو من ترشيح الاستعارة واصله ان الناقة يلقى زمامها
على غاربها وتترك لترعى **قوله** ولسقيت اخرها بكاس اولها استعار لفظ السقي للترك المذكور ايضا ورشح تلك الاستعارة بذكر الكاس
ووجه تلك الاستعارة ان السقي بالكاس لما كان مستلزما لوجود السكر غالبا وكان اعراضه ولا مستلزما لوقوع الناس فيما ذكر من الفتنة العمياء
المستلزمة لحيرة كثير من الخلق وضلالهم الذي يشبه السكر واشد منه لا جرم حسن ان يعبر عن ذلك الترك بالسقي بالكاس **قوله** ولالفيتم دنياكم
هذه اهون عندي من عفطة عنز عطف على ما قبله وبينهم منزلة ع طالب للدنيا ولها عنده قيمة الا ان طلبه لها والحرص على الامر فيها ليس لانها هي
بل لما ذكرنا من نظام الخلق واجراء امورهم على القانون العدل المأخوذ على العلماء كما اشار اليه ونظم هذا الكلام في صورة متصلة هكذا لولم يحضر
الحاضر ولم يقم الناصر ولم يؤخذ على العلماء ما اخذ عليهم من انكار المنكر اذ امكن التركيب الى كلمة تركتها ولا لوجدتم دنياكم هذه اهون عندي
مما لا قيمة له وهو عفطة العنز واما الحكاية المتعلقة بهذه الخطبة فاذا رجل من اهل السواد سواد العراق قال ابو الحسن الكيدري رحمه وجدت في الكتب
القديمة ان الكتاب الذي دفعه الرجل الى امير المؤمنين ع كان فيه عدة مسائل احدها ما الحيوان الذي خرج من بطن حيوان اخر وليس بينهما نسب
فاجاب بانه يونس بن متى ع خرج من بطن الحوت الثانية ما الشيء الذي قليله مباح وكثيره حرام فقال ع هو نهر طالوت لقوله تعالى الا من اغترف
غرفة بيده الثالثة ما العبادة الذي فعلها واحد استحق العقوبة وان لم يفعلها استحق ايضا العقوبة فاجاب بانها صلوة السكارى الرابعة ما
الطائر الذي لا فرخ له ولا فرع ولا اصل فقال هو طائر عيسى عليه السلام في قوله واذ تخلق من الطين كهيئة الطير
باذني فتنفخ فيه فيكون طيرا باذني الخامسة رجل عليه من الدين الف درهم وله في كيسه الف درهم فضمنه ضامن بالف درهم
فحال عليه الحول فالزكوة على اي المالين يجب فقال ان ضمن الضامن باجازة من عليه الدين فلا يكون عليه وان
ضمنه من غير اذنه فالزكوة مفروضة في ماله السادسة حج جماعة ونزلوا في دار من دور مكة واغلق واحد منهم باب
الدار وفيها حمام فمتن من العطش قبل عودهم الى الدار فالجزاء على ايهم يجب فقال عليه السلام على الذي اغلق الباب
ولم يخرجهن ولم يضع لهن ماء السابعة شهد شهود اربعة على محصن بالزنا فامرهم الامام برجمه فرجمه واحد منهم دون الثلثة
الباقين ووافقهم قوم اجانب في الرجم فرجع من رجمه عن شهادته والمرجوم لم يمت ثم مات فرجع الاخرون عن شهادتهم عليه
بعد موته فعلى من يجب ديته فقال يجب على من رجمه من الشهود ومن وافقه الثامنة شهد شاهدان من اليهود على يهودي انه
اسلم فهل يقبل شهادتهما ام لا فقال لا تقبل شهادتهما لانهما يجوزان تغيير كلام الله وشهادة الزور التاسعة شهد شاهدان
من النصارى على نصراني او مجوسي او يهودي انه اسلم فقال تقبل شهادتهما لقول الله سبحانه ولتجدن اقربهم مودة

مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى الاية ومن لا يستكبر عن عبادة الله لا يشهد الزور لعاشرة قطع انسان يد اخر بعد شهود عند الامام وشهدوا على قطع يده واثر زنا وهو محصن فاراد الامام ان يرجمه قبل الرجم فقال علي ع قطع يده حسب لو شهدوا انه سرق نصابا لم يجب به حد على قاطعها والله اعلم **ومن خطبة له عليه السلم**

بنا اهتديتم في الظلماء وتسنمتم العلياء وبنا انفجرتم عن السرار وقر سمع لم يفقه الواعية كيف يراعي النبأة من اصمته الصيحة ربط جنان لم يفارقه الخفقان ما زلت انتظر بكم عواقب الغدر واتوسمكم بحلية المغترين سترني عنكم جلباب الدين وبصرنيكم صدق النية اقمت لكم على سنن الحق في جواد المضلة حيث تلتقون ولا دليل وتحتفرون ولا تميهون اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان عزب راي امرئ تخلف عني ما شككت في الحق مذ اريته لم يوجس موسى خيفة على نفسه اشفق من غلبة الجهال ودول الضلال اليوم تواقفنا على سبيل الحق والباطل من وثق بماء لم يظمأ **اقول** وصات هذه الخطبة خطب بها امير المؤمنين ع بعد قتل طلحة والزبير تسنمتم اي ركبتم سنامها وسنام كل شيء اعلاه والسرار الليلة والليلتان يكون في اخر الشهر يستتر فيها القمر ويخفى والوقر الثقل في السمع ونفهمها الامر فهمته والواعية الصارخة والنبأة الصوت الخفي والكتمة الغلامة وسنن الحق وجهه وطريقه وماقت لبئر حرج مانؤها وغرب اي غاب واوجس هجس واهتم والظماء العطش واعلم ان هذه الخطبة من افصح كلامه ع وهي مع اشتمالها على كثرة الفاصدة واعظ الحركة للنفس في غاية وجازة اللفظ من عجيب فصاحتها وبلاغتها ان كل كلمة منها تصلح لان تفيد على سبيل الاستقلال وهي على ما نذكره من حسن النظم وتركيب بعضها مع بعض قوله بنا اهتديتم في الظلماء الضمير المجرور راجع الى الرسول ص والخطاب للحاضرين الوقت من قريش المحاربين له مع طلحة والزبير وان صدق في حق غيرهم والمراد انا سبب هدايتكم بانوار الدين وما انزل الله من الكتاب الحكيم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حيث كنتم في ظلمات الجهل وذلك لهداية هي الدعوة الى الله وتعليم الخلق كيفية السلوك الى حضرة قدسه وقوله تسنمتم العليا اي بنا نلتم هذه المرتبة وشرف الاسلام علا قدركم وشرف ذكركم ولما استعار وصف التسنام للعليا ملاحظة لشبهها بالناقة رشح تلك الاستعارة بذكر التسنم وهي ركوب السنام وكنى به عن علوهم **قوله** وبنا انفجرتم عن السرار استعار لفظ السرار لما كانوا فيه من ليل الجهل في الجاهلية وخمول الذكر ولفظ الانفجار عنه لخروجهم من ذلك الى نور الاسلام واشتهارهم في الناس وذلك لتشبيههم بالفجر الطالع من ظلمة السرار في الضياء والاشتهار قوله وقر سمع لم يفقه الواعية انقياد الى الدعاة بالوقر على سمع لا يفقه صاحبه بواسطته علما ولا ينتفع من السماع بمقاصد الكتب الالهية وكلام الانبياء والدعاة الى الله وحق لذلك السمع ان يكون ذا صمم اذ كانت الفائدة منه المقصودة الى الحكمة الالهية اكتساب النفس من جهته ما يكون سببا لكمالها وفوزها على الوصول الى جناب الله وساحل عزته فاذا كانت النفس معرضة عما يحصل من جهته من الفائدة وربما كان سمع تلك متلقية منه ما يؤديه من الشرور الجاذبة لها الى الجنبة السافلة فحقيق به ان يكون موقورا ومن دعوة على ما لم يسم فاعله فالمراد وقره الله وهو كلام على سبيل التمثيل اورده في معرض التوبيخ لهم والتبكيت بالاعراض عن اوامر الله وطاعته وكنى بالواعية عن نفسه اذ صاح فيهم بالموعظة الحسنة والحث على الالفة وان لا يبغوا عصى الاسلام فلم يقبلوا وحينئذ فهذه الكلمة مع ما قبلها انما اشار اولا الى وجه شرفه عليهم وانه من اكتسب عنه الشرف والفضيلة وكان ذلك في مقابلة نفارهم واستكبارهم عن طاعته اردف ذلك بهذه الكلمة المستلزمة للدعاء عليهم كيف لم يفهموا بيانه للوجوه الموجبة لاتباعه ويقبلوه بعد ان سمعوه وهذا كما يقول احد العلماء لبعض تلامذته المعاندين المدعي لجهله تضليله اني اهتديت من الجهل وعلا قدرك في الناس وانا سبب لشرفك امكنك علي وقر سمعك لم لا تعقد قولي وتقبله وقوله كيف يراعي النبأة من اصمته الصيحة استعار لفظ النبأة لدعائه لهم وندائه الى سبيل الحق والصيحة لخطاب الله ورسوله وهي استعارة على سبيل الكناية عن ضعف دعائه بالنسبة الى قوة دعاء الله ورسوله لهم وتقريره ان من شأن الصوت الخفي لما كان لا يسمع عند الصوت القوي ان من شان الحواس ان لا تدرك الاضعف مع وجود الاقوى المماثل في الكيفية لاشتغالها بالاقوى وكان كلامه ع اضعف في جنب الخالق وفي قبولهم من كلام الله وكلام رسوله وكلامهما جاريا مجرى الصوت القوي في حقهم وكلامه مجرى الصوت الخفي بالنسبة اليه و اسناد الاصمام الى الصيحة من ترشيح الاستعارة وكنى به عن بلوغ تكرار كلام الله على اسماعهم الى حد انها محلة وملت سماعه بحيث لا تسمع بعد ما هو في معناه خصوصا ما هو اضعف كما لا يسمع الصوت الخفي من اصمته الصيحة وقد وردت هذه الكلمة مورد الاعتذار لنفسه في عدم فايدة وعظه لهم والاعتذار لهم في ذلك ايضا على سبيل التهكم والذم وتحير نظامها مع ما قبلها انها لما كان تقدير الكلمة الاولى وقرت اسماعكم كيف لا تقبلون قولي لتفقهوه فقال كيف يسمع قولي من لم يسمع كلام الله ورسوله على كثرة تكراره على اسماعهم ونحوه اغفادهم وجوب قبوله وكيف يؤاخذون باتباعه وقد اصمتهم نداء الله قوله ربط جنان لم يفارقه

الخفقان دعاء للقلوب الخائفة الوجلة التي لا تزال تخفق من خشية الله والاشفاق من عذابه بالثبات والسكينة والاطمئنان والنفقة ربط جنان نفسه ومن روى بضم الراء على ما لم يسم فاعله فالمقصود ربط الله جنانا كذلك ووجه تسلطه الى درجة الخائفين وتنبيه على ملاحظة نواهي الله ليقفوا على طاعته ووجه نصاله بما قبله انه ذكر التشريف وصاحب الفضيلة في معرض التوبيخ لمن يرد منه ان يسلك مسلكه ويكون بصفاته من اعظم الجواذب له الى التشبه به ومن احسن الاسناد راجات له فكانه قال وكيف يلتفت الى قولي من لا يلتفت الى كلام الله ودر الخائفين من الله المراعين لاوامره الرجلين من وعيده ما ضركم لو تشبهتم ورجعتم الى الحق وقمتم بمقام رجل واحد **قوله** ما زلت انتظر بكم عواقب الغدر واتوسمكم بحلية المغترين اشارة الى انه ع كان يعلم عاقبة امرهم اما باطلاع الرسول ص على انهم بعد بيعتهم له يغدرون به او لانه كان يلوح له من حركاتهم واحوالهم بحسب فراسته الصائبة فيهم كما اشار اليه بقوله واتوسمكم بحلية المغترين وذلك لانه فهم انهم من اهل الغرة وقبول الباطل عن ادنى شبهة بما لاح له من صفاتهم الدالة على ذلك وكان علمه بذلك منهم مستلزما لعلمه بغدرهم بعهده ونقضهم لبيعته فكان ينتظر ذلك منهم **قوله** سترني عنكم جلباب الدين وارد مورد الوعيد للقوم في قتالهم له وتخالفهم لامره والمعنى ان الدين حال بيني وبينكم وستر عن اعين بصائركم ان تعرفوني بما اقوى عليه من العنف بكم والغلظة عليكم وسائر وجوه تقويمكم وردعكم عن الباطل وراء ما وقفني عليه الدين من الرفق والشفقة وسهب بل العفو عن الجرائم فكان الدين غطاء حال بينهم وبين معرفته فاستعار له لفظ الجلباب وروى سترتكم عني اي عصم الاسلام مني دمائكم واتباع مدبركم وان اجهز على جريحكم وغير ذلك مما يفعل من الاحكام في حق الكفار وقوله وبصرنيكم صدق النية اراد بصدق النية اخلاص النية لله وصفاء مرآة نفسه وانه بحسب ذلك فيض على بصر بصيرته نور معرفة احوالهم وما تؤول اليه عاقبة امرهم كما قال النبي ص المؤمن ينظر بنور الله وقوله اقمت لكم على سنن الحق في جواد المضلة تنبيه لهم على وجوب اقتفاء اثره والرجوع الى لزوم اشعار انواره في سلوك سبيل الله واعلام لهم انه واقفهم على سواء السبيل الحق وفي الطرق التي هي مزال الاقدام ليردهم عنها ولتبين ذلك المثل المشهور عن رسول الله ص روي انه قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سور فيه ابواب مفتحة وعلى تلك الابواب ستور مرخاة وعلى رأس الصراط داع يقول ادخلوا الصراط ولا تعرجوا قال فالصراط هو الاسلام والستور حدود الله والابواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي هو القرآن فنقول لما كان علي ع هو الواقف على اسرار الكتاب والملي بجوامع علمه وحكمته والمطلع على اصول الدين وفروعه كان هو الناطق بالكتاب والداعي به الواقف على رأس سبيل الله والمقيم عليها ولما كان سبيل الله و صراطه المستقيم في غاية الوضوح والبيان له وكان مشتبها ما لها من الحدود والمقدمات مستجلبا لمزال الاقدام فيها وما يشتبه عليها من الشكوك والشبهات كان بحسب قوته المدبرة لهذا العالم بعد رسول الله ص هو الواقف على تلك الابواب المفتحة التي هي موارد الهلاك وابواب جهنم وجواد المضلة والساتر لها بحدود الله وبيان نواهيه والتذكير بعظيم وعيده والقائد لاذهان السالكين للصراط عنها وذلك حيث يلتفت اذهانهم في ظلماء الجهل فلا يتصور دليلا هناك سوا ويطلبون ماء الحيوة بالبحث والفحص من اودية القلوب فلا يجدون بها ماء الامعة واستعار لفظ الاحتفار للبحث من مظان العلم ولفظ الماء للعلم كما سبق بيان وجه المشابهة **قوله** اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان كنى بالعجماء ذات البيان على الحال التي يشاهدونها من العبر الواضحة والمثلات التي حلت بقوم فسقوا امر ربهم وعن ما هو واضح من كمال فضله ع بالنسبة اليهم وما ينبغي لهم ان يعتبروا من حال الدين ومقتضى اوامر الله التي تحثهم على اتباعها فان كل هذه الاحوال امور لا نطق لها مقالي فشبهها بالعجماء من الحيوان واستعار لها لفظها ووصفها بكونها ذات البيان لان لسان حالها المخبر بها مقاله ع ناطق بوجوب اتباعه يشاهدهم ويدل على ما ينبغي ان يفعلوه في كل باب وذلك هو البيان فكانه ع انطق العجماء اذ عبر هو بلسان مقاله عنها ما كانت تقتضيه ويشاهده من نظر اليها بعين بصيرته وهو كقولهم سل الارض من شق انهارك واخرج ثمارك فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا وكقولهم قال الحائط للوتد لم تشقني قال سل من يدقني وقال بعضهم العجماء صفة لمحذوف تقديره الكلمات العجماء واراد بها ما ذكر في هذه الخطبة من الرموز وشبهها بالحيوان اذ لا نطق لها في الحقيقة ومع ذلك يستفيد الناظر فيها اعظم الفوائد فهي ذات بيان عند اعتبارها **قوله** عزب راي امرئ تخلف عني اشارة الى ذم من تخلف عنه وحكم عليه بالسفه وعدم اصابة الراي حال التخلف عنه وذلك لان المتخلف لما فكر في الامور انفع له ان يكون من متابعيه او المتخلفين عنه ثم راى ان التخلف عنه اوفق له كان ذلك سوء الاراء واقبحها فهو في الحقيقة كمن اقدم على ذلك بغير راي بحضرة او لان الراي الحق كان غائبا عنه وهو ذم في معرض التوبيخ للقوم على طريقة قولهم اياك اعني واسمعي يا جاره **قوله** ما شككت في الحق مذ رأيته بيان لبعض اسباب وجوب اتباعه وعدم التخلف عنه واعلم ان التمدح بعدم الشك عما اراد الله

من الحق وافاضه على نفسه القدسيه من كمال مستلزم للاخبار بكمال توقده على استثبات الحق الذي رآه وشده جلائه لديه حيث لا يعرض له شبهة فيه والامامية تستدل بذلك على وجوب عصمته وطهارته عن الارجاس التي منشاؤها ضعف اليقين **قوله** لم يوجس موسى خيفة على نفسه اشفق من غلبة الجهال ودول الضلال اشفق افعل التفضيل منصوب على الصفة لخيفة لان الاشفاق خوف والتقدير ولم يوجس موسى اشفاقا على نفسه اشد من غلبة الجهال والمقصد التنبيه على ان الخوف الذي يخافه عليه السلام منهم ليس على مجرد نفسه بل اشد خوفه من غلبة اهل الجهل على الدين وفتنة الخلق بهم وقيام دول الضلال فتمحى طريق الهدى وتنسد مسالك الحق كما خاف موسى من غلبة جهال السحرة حيث القوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون وقيل ان اشفق فعل ماض والمعنى ان خوف موسى من السحرة لم يكن على نفسه وانما خاف من غلبة الجهال فكانه قال لكن اشفق من دول الضلال كدولة فرعون واتباعه الضالين عن سبيل الله وقوله اليوم تواقفنا على سبيل الحق والباطل الموافقة مفاعلة من الطرفين والخطاب لمقابليه في القتال والمراد اني واقف على سبيل الحق وانتم واقفون على سبيل الباطل داعون اليه وهو تنفير لهم عما هم عليه الى ما هو عليه **قوله** من وثق بماء لم يظما مثل نبه به على وجوب ثقتهم بما عنده اي انكم ان سكنتم الى قولي ووثقتم به كنتم اقرب اليقين والهدى وابعد عن الضلال والردى كما ان الواثق بالماء في اداوته امن من العطش وخوف الهلاك وبعيد عنها بخلاف من لم يثق بذلك وكنى بالماء عما اشتمل عليه من العلم بكيفية الهداية الى الله فانه الماء الذي لا ظماء معه **ومن كلام**

له عليه السلام لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وخاطبه العباس وابو سفيان في ان يبايعا له بالخلافة

ايها الناس شقوا امواج الفتن بسفن النجاة وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة افلح من نهض بجناح او استسلم فاراح ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير ارضه فان اقل يقولوا حرص على الملك وان اسكت يقولوا جزع من الموت هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن ابي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي امه بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوي البعيدة **اقول** سبب هذا الكلام ما روي انه لما تم في سقيفة بني ساعدة لابي بكر امر البيعة اراد ابو سفيان بن حرب ان يوقع الحرب بين المسلمين ليقتل بعضهم بعضا فيكون ذلك دمارا للدين فمضى الى العباس فقال له يا ابا الفضل ان هؤلاء القوم قد ذهبوا بهذا الامر من بني هاشم وجعلوه في بني تيم وانه ليحكم فينا غدا هذا الفظ الغليظ من بني عدي فقم بنا حتى ندخل على علي ونبايعه بالخلافة وانت عم رسول الله وانا رجل مقبول القول في قريش فان دافعونا عن ذلك قاتلناهم وقتلناهم فاتينا امير المؤمنين فقال له ابو سفيان يا ابا الحسن لا تغافل عن هذا الامر فمتى كنا تبعا لتيم الارذال وكان علم من حاله انه لا يقول ذلك غضبا للدين بل للفساد الذي رواه في نفسه فاجابه بهذا الكلام عرجوا اي ميلوا وانحرفوا والفلاح الفوز والنجاة والآجن تغير الماء وفساده وغص باللقمة يغص بفتح الغين اذا وقفت في حلقه فلم يسغها وايناع الثمرة ادراكها واندمجت على كذا انطويت عليه وستر في باطني والبائح بالشيء اظهره والطوي البئر والارشية الحبال **قوله** شقوا امواج الفتن بسفن النجاة شبه الفتنة بالبحر المتلاطم فلذلك استعار له لفظ الامواج وكنى بها عن حركات الفتنة وقيامها ووجه المشابهة ظاهر لاشتراك البحر والفتنة عند هياجهما في كونهما سببا لهلاك الخائضين ثم استعار سفن النجاة لكل ما يكون وسيلة الى الخلاص من الفتنة وقيامها ووجه المشابهة ظاهر لاشتراك البحر والفتنة عند هياجهما في كونهما سببا لهلاك الخائضين فيهما واستعار سفن النجاة لكل ما يكون وسيلة الى الخلاص من الفتنة من مهادنة او حيلة مخلصة وصبر ووجه المشابهة كون كل منهما وسيلة الى السلامة اذا خاض الطرف المذكور طرف الى السلامة من ثوران الفتنة والهلاك فيها كما ان السفينة سبب للخلاص من امواج البحر وقوله وعرجوا عن طريق المنافرة امرهم بالعدول عن طريق المنافرة الى السكون والسلامة وما يوجب سكون الفتنة وكذلك قوله وضعوا تيجان المفاخرة امرهم بطريق آخر من طرق النجاة وهي ترك المفاخرة فان المفاخرة مما يهيج الاضغان ويثير الاحقاد ويوجب قيام الفتنة ولما كان اكثر ما ينتهي اليه ارباب الدنيا من المفاخرة هو لبس التيجان وكانت الاصول الشريفة والانساب الكريمة والقنيات الحسنة هي اسباب الافتخار الدنيوي ومنشاؤه كانت المشابهة بينها وبين التيجان حاصلة فاستعار لفظها لها وامرهم بوضعها **قوله** افلح من نهض بجناح او استسلم فاراح لما نهى عن الفتنة وبين ان المفاخرة والمنافرة ليستا طريقين محمودين اردف ذلك بالاشارة الى تركيب ينبغي ان يكون حال المتصدي لهذا الامر وكيف يكون طريق فوزه بمقاصده او النجاة له فحكم بالفوز لمن نهض بجناح واستعار لفظ الجناح للاعوان والانصار ووجه المشابهة ظاهر فان الجناح لما كان محل القدرة على الطيران والتصرف وكانت الاعوان والانصار بهم القوة على النهوض الى الحرب والطيران في ميدانها الاجرم حصلت المشابهة فاستعير

ح

لهم لفظ الجناح وحكم بالنجاة للمستسلم عند عدم الجناح وكلاهما يشملهما اسم الفلاح وفي هذا الكلام تنبيه على قلة ناصره في هذا الامر فتقدير الكلام انه ليس الطريق ما ذكرتم بل الصواب فيما يفعله ذو الرأي في هذا الامر انه اما ان يكون ذا جناح فينهض به فيفوز بمطلوبه او لا يكون فيستسلم وينقاد فينجو ويريح نفسه من تعب الطالب **قوله** ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها تنبيه الى ان المطالب الدنيوية وان عظمت فهي مشوبة بالكدر والتغير لما تنغص واشار الى امر الخلافة في ذلك الوقت وتشبيهها بالماء واللقمة اذ عليهما مدار الحياة الدنيا وامر الخلافة اعظم اسباب الدنيا فتشابها فاستعار لفظهما لما يطلب منها وكنى بهما عنه ولما كان الماء والغصص باللقمة مما ينغصهما ويوجب نفار النفس عن قبولهما وكانت المنافسة في امر الخلافة والتجاذب والمنافرة بين المسلمين فيها وكونها في معرض الزوال مما يوجب التنفير عنها وتنغيصها وعدم الالتذاذ بها شبهها بالآجن والغصص باللقمة على تلك الامور وكنى بهما عنها ليسكن بذلك فورة من استنهضه في هذا الامر من بني هاشم فكانه قال انها لقمة منغصة وجرعة لا يسيغها شاربها **قوله** ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير ارضه تنبيه على ان ذلك الوقت ليس وقتا لطلب هذا الامر اما لعدم الناصر او لغير ذلك وكنى بمجتني الثمرة عن طالبها فاستلزم ذلك تشبيهها بالثمرة ايضا لاشتراكهما في كونهما حلالا للالتذاذ او نحوه ثم شبه مجتني الثمرة لغير وقتها بالزارع بغير ارضه ووجه الشبه عدم الانتفاع في الموضعين اذ كان الزارع بغير ارضه في محل ان يمنع من ذلك التصرف فيبطل سعيه ولا ينتفع بزرعه فكذلك مجتني الثمرة لغير وقتها لا ينتفع بها فكذلك طالب الخلافة في ذلك الوقت **قوله** فان اقل يقولوا حرص على الملك وان اسكت يقولوا جزع من الموت شكاية من الالسنة والاوهام الفاسدة في حقه وورد في معرض الكلام واشارة الى انه سواء طلب الامر او سكت عنه فلا بد من ان يقال في حقه وينسب الى امر فهو في القيام والطلب ينسب الى الحرص والاهتمام بامر الدنيا وفي السكوت ينسب الى الذلة والعجز وخوف الموت واوهام الخلق والسنتهم لا تزال مولعة بامثال ذلك بعضهم في حق بعض في المنافسات **قوله** هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن ابي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي امه رد لتلك الاوهام الحاكمة في سكوته بجزعه اي بعد ما يقولون واللتيا والتي كنايتان عن الشدائد والمصائب لعظيمها وحقيرها واصل المثل ان رجلا تزوج امرأة قصيرة صغيرة الخلق فقاسى منها شدائد فطلقها وتزوج طويلة فقاسى منها اضعاف ما قاسى من الصغيرة فطلقها وقال بعد اللتيا والتي لا اتزوج ابدا فصار ذلك مثلا للداهية الكبيرة والصغيرة ونقل مراده بعد ملاقاة كبار الشدائد وصغارها انسب الى الجزع من الموت بعد ما يقولون ثم اكد تكذيبهم في دعوى جزعه من الموت بالقسم البار انه آنس بالموت من الطفل بثدي امه بذلك لما يتبين من حاله اذ كان سيد العارفين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ورئيس الاولياء وقد عرفت ان محبة الموت والانس به متمكن من نفوس اولياء الله لكونه وسيلة لهم الى لقاء اعظم محبوب والوصول الى كل مطلوب وانما كان انس به من الطفل بثدي امه لان محبة الطفل للثدي وانسه به وميله اليه طبيعي حيواني في معرض الزوال وميله الى لقاء ربه والوسيلة اليه ميل عقلي باق فاين احدهما من الآخر وقوله بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوي البعيدة اشارة الى سبب جلي لتوقفه عن الطلب والقيام غير ما نسبوه اليه من الجزع والخوف من الموت وهو العلم الذي انطوى عليه فان علمه بعواقب الامور وادبارها وتطلعه الى نتائج الحركات بعين بصيرته التي هي كمرآة صافية حوذي بها صور الاشياء في المرآة العالية فارتسمت فيها كما هي مما يوجب توقفه عما يعلم ان فيه فسادا وتسرعه الى ما يعلم فيه مصلحة بخلاف الجاهل الذي يقدم على عظائم الامور بفطرة الرأي لا عن بصيرة فاشار الى ذلك ثم نبه على عظيم قدر ذلك العلم الذي اندمج عليه بقوله لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوي البعيدة والجملة الشرطية في موضع الجر صفة لعلم واشار باضطرابهم على ذلك التقدير الى تشتت آرائهم عند ان يكشف لهم ما يكون من امر الخلافة والى من ينتهي والى ما يؤول الحال الناس اذ كان ذلك مما وقفه عليه الرسول صلى الله عليه وآله واعدائه لفهمه فان كثيرا منهم في ذلك الوقت كان نافرا عن عمر ولحزون عن عثمن فضلا عن معونته ومنهم من كان يؤهل نفسه للخلافة في ذلك الوقت ويطلبها لنفسه وبعد عقدها لابي بكر كان يرجو ان يؤول اليه بعده واذا كان الامر كذلك فظاهر انه لو باح لهم بما علمه من عاقبة هذا الامر لم يكن لهم ذلك النظام الحاصل في ذلك الوقت لياس بعضهم من وصول هذا الامر اليه وخوف بعضهم من غلظة عمر ونفرتهم منه ونفار آخرين من بني امية وما يكون منهم وشبه اضطراب آرائهم على ذلك التقدير باضطراب الارشية في الطوي البعيدة مبالغة وهو تشبيه المعقول بالمحسوس وذلك ان الطوي كلما كانت اعمق كان اضطراب الحبل فيها اشد لطوله فكذلك حالهم اي يكون لكم اضطراب قوي واختلاف شديد وقيل اراد ان الذي يمنعني من المنافسة في هذا الامر والقتال عليه شغلي بما انطويت عليه من العلم باحوال الآخرة وشاهدته من نعيمها وبؤسها ما لو كشفته لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوي البعيدة خوفا من الله ووجلا من عقابه وشوقا الى ثوابه ولذهلتم عما انتم فيه من المنافسة في امر الدنيا وهذا الوجه يحتمل الا ان من هذا الكلام ولعل في تمام هذا الكلام لو وجد ما يوضح المقصود منه ولم اقف عليه **ومن كلام له عليه السلام**

لما اشير عليه بان لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال والله لا اكون كالضبع تنام

على طول اللدم حتى يصل اليها طالبها ويختلها راصدها ولكني اضرب بالمقبل الى الحق وجه المدبر عنه وبالسامع المطيع العاصي المريب
ابدا حتى يأتي علي يومي والله ما زلت مدفوعا عن حقي مستأثرا علي منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله حتى يوم الناس هذا
اقول روى ابو عبيدة قال اقبل امير المؤمنين ع الطواف وقد عزم على اتباع طلحة والزبير وقتالهما فاشار اليه ابنه ابو الحسن
ان لا يتبعهما ولا يرصد لهما القتال فقال في جوابه هذا الكلام وروي في سبب نقضهما لبيعته انهما دخلا عليه بعد ان بايعاه
بايام وقالا قد علمت جفوة عثمان لنا وميله الى بني امية مدة خلافته وطلبا منه ان يوليهما المصرين الكوفة والبصرة فقال لهما
حتى انظر ثم استشار عبد الله بن عباس فنفر من ذلك فغاوداه فمنعهما فسخطا وفعلا ما فعلا والاصمعي اللدم بسكون الدال ضرب
الحجر او غيره على الارض وليس بالقوي ويحكى ان الضبع تستغفل في جحرها بمثل ذلك فتسكن حتى تصاد ويحكى في كيفية صيدها
انهم يصنعون في جحرها حجرا ويضربون بايديهم بابه فتحسب الحجر شيئا تصيده فتخرج فتصاد ويقال انها من احمق الحيوان ويبلغ
من حمقها ان يدخل عليها ام عامر اوبينا لخامري ام عامر فتسكن حتى توثق رجلها بحبل معد لصيدها والختل الخديعة و
واستاثرت بالشيء انفردت به واشار اولا الى ذم ما اشير عليه به من تاخر القتال ومفهوم التشبيه انه لو تاخر لكان ذلك سببا
ليمكن الخصم مما قصده فيكون هو في ذلك شبيها بالضبع التي تنام وتسكن على طول حيلة راصدها فاقسم انه لا يكون كذلك
اي لا يسكن على كثرة الظلم والبغي وطول دفاعه عن حقه ثم اردف ذلك بما هو الصواب عنده وهو المقاومة والقتال بمن اطاع
لمن عصى فقال لكني اضرب بالمقبل الى الحق وجه المدبر عنه وبالسامع المطيع وجه العاصي المريب بلا وراعى المقابلة ههنا فالعاصي
في مقابلة المطيع والمريب في مقابلة السامع لان المرتاب في الحق مقابل للقابل له ثم فسر الابد بغاية عمره لانه الابد الممكن له وذلك
قوله حتى يأتي علي يومي واشار بيومه الى وقت ضرورة الموت كناية ثم اردف ذلك بالتظلم والتشكاية في دفاعه عن هذا الامر و
الاستئثار عليه بر المحوج له الى هذه المقاومات والشكايات واشار الى مبدأ ذلك الدفاع ومنتهاه واكد ذلك بالقسم البار ولاشك
بالحق المدفوع عنه الى امر الخلافة وهي شكاية مؤكدة للشكايات السابقة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**
اتخذوا الشيطان لامرهم ملاكا واتخذهم له اشراكا فباض وفرخ في صدورهم ودب ودرج في حجورهم فنظر باعينهم ونطق بالسنتهم
فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه **اقول** ملاك الامر ما يقوم به
ومنه القلب ملاك الجسد والاشراك يجوز ان يكون جمع شريك كشريف واشراف ويجوز ان يكون جمع شرك وهو حبائل الصيد
كحبل واحبال والدبيب المشي الضعيف والدرج اقوى منه والخطل الفاسد من القول وشركه بفتح الشين وكسر الراء شاركه
وهذا الفصل من باب المنافرة وهو ذم للمنابذين له والمخالفين عليه فاشار اولا الى انقياد نفوسهم لشياطينهم
الى حد جعلوها مدبرة لامورهم بها قوام احوالهم وعزلوا عقولهم عن تلك المرتبة فهم اولياؤهم كما قال تعالى انا جعلنا الشياطين
اولياء للذين لا يؤمنون ثم اردف ذلك بالاشارة الى بعض لوازم تمليك الشيطان لامورهم بقوله واتخذهم له اشراكا وذلك
انه اذا ملك امورهم وكانت مقاليدها بيده صرفهم كيف شاء واستعمال الاشراك ههنا على تقدير كونها جمع شرك استعارة
حسنة فانه لما كانت فائدة الشرك اصطياد ما يراد صيده وكان هؤلاء القوم بحسب ملك الشيطان لآرائهم وتصرفه فيهم
على حسب حكمه اسبابا بالدعوة للخلق الى مخالفة الحق ومنابذة امام الوقت وخليفة الله في ارضه اشبهوا الاشراك لاصطيادهم
الخلق بالسنتهم واموالهم وجذبهم الى الباطل بالاسباب الباطلة التي القاها اليهم الشيطان ونطق بها على السنتهم فاستعار
لهم لفظ الاشراك واما على التقدير الثاني فظاهر ثم اردف ذلك ببيان ملازمته لهم فشبهه بالطائر الذي عششه في قلوبهم و
صدورهم واستعار لفظ البيض والافراخ ووجه المشابهة ان الطائر لما كان يلازم عششه فيبيض ويفرخ فيه اشبهه الشيطان
في اقامته في صدورهم وملازمته لهم وكنى بقوله دب ودرج في حجورهم استعارة كنى بها عن تربيتهم للباطل وملازمة
ابليس على مفارقتهم ونشوه معهم كما يتربى الولد في حجر والديه وراعى في هذه القرائن الاربع السجع ففي الاوليين السجع المتوازي
مطرفا وفي الاخريين السجع المتوازي بقوله فنظر باعينهم ونطق بالسنتهم اشارة الى وجوه تصرفه في اجزاء ابدانهم بعد القائهم
مقاليد امورهم اليه وعزل عقولهم عن التصرف فهم يبدون مشاركته ومتابعته قوله فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل اشارة
الى غيره متابعته ومحل صائر مقاصده منهم من الخروج عن اوامر الله في الافعال وهو المراد بارتكابهم الزلل وفي الاقوال
وهو المشار اليه بتزيينه لهم الخطل قوله فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه اشارة الى الارض
الحالات الافعال والاقوال الصادرة عنهم على خلاف اوامر الله انما تصدر عن مشاركة الشيطان ومتابعته والضمير في سلطانه
يعود الى من قد شاركه الشيطان في سلطانه الذي جعله الله له على الاعمال والاقوال وانتصاب فعل على المصدر
اما عن فعل محذوف تقديره فعلوا ذلك فعل او عن قوله اتخذوا الا انه في معنى فعلوا فهو مصدر له من غير لفظه وراعى في

فيها بين الفريقين ايهما اشجع لمطرف والله اعلم بالصواب **ومن كلام له عليه السلام** يعني به الزبير في حال اقتضت
ذلك يزعم انه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه فقد اقر بالبيعة وادعى الوليجة فليأت عليها بامر يعرف والا فليدخل فيما
خرج منه **اقول** الوليجة الدخيلة في الامر وهذا الفصل صورة مناظرة له مع الزبير وهو مشتمل على تقدير حجة
سابقة له عليه وصورة نقض لتلك الحجة من الزبير وصورة جواب له ع عن ذلك مما الحجة فكانه ع لما نكث الزبير بيعته وخرج
لقتاله احتج عليه بلزوم البيعة له ولا يمكن جواب الزبير ما حكاه عنه بقوله انه بايع بيده ولم يبايع بقلبه اشارة الى التورية و
التعريض في العهود والايمان ونحوها وهما من الزبير ان ذلك من قبيله الشريعة فاجابه ع بقياس حذف كبراه كما علمت من قياس
الضمير وهو ما اشار اليه بقوله فقد اقر بالبيعة وادعى الوليجة اي فربما هو معقول ومحكوم بلزومه له شرعا وادعى انه اخر في
باطنه ما يفسده من الوليجة وهذه صغرى القياس وتقدير الكبرى وكل من فعل ذلك حتاج في ثبات دعواه الى بينة تعرف
صحتها فينتج انه محتاج الى بينة تكن واشار الى هذه النتيجة بقوله فليأت عليها بامر يعرف اي على دعواه الوليجة وهيهات له ذلك
اذ التورية امر باطن لا يمكن الاحتجاج ولا اقامة البرهان عليه ثم اشار بقوله والا فليدخل فيما خرج منه امر بالدخول في طاعته وحكم
بيعته التي خرج منها على تقدير عدم قدرته على برهان دعواه وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام**
وقد ارعدوا وابرقوا ومع هذين الامرين الفشل ولسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر الفشل الجبن والضعف والاشارة
الى طلحة والزبير واتباعهما والكلام في معرض الذم واستعار لفظ الارعاد والابراق لوعيدهم وتهديدهم له بالحرب يقال ارعد
الرجل وابرق اذا تهدد وتوعد قال الكميت ارعد وابرق يا يزيد فما وعيدك لي بضائر ووجه الاستعارة كون الوعيد من
الامور المزعجة كما ان الرعد والبرق كذلك **اقول** ومع هذين الامرين الفشل اشارة الى وجه الرذيلة وذلك ان التهديد والتوعد
قبل ايقاع الحرب والضوضاء والجلبة امارة للجبن والعجز والصمت والسكون امارة الشجاعة كما اشار اليه ع في تعليم كيفية الحرب
مخاطبا لاصحابه واميتوا اصواتكم فانه اطرد للفشل وروي ان ابا طاهر الجنابي سمع جلبة عسكر المقتدر وهو في الف وخمسمائة فارس
والمقتدر في عشرين الفا فقال لبعض اصحابه ما هذا الزجل قال فشل قال اجل وكانت الغلبة له فاستدل ع بتلك الامارة على الفشل
قوله فلسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر اشارة الى نفي تلك الرذيلة عن نفسه واصحابه واثبات الفضيلة لهم وكما ان تخيل
السحاب ان يقترن وقوع المطر منه برعده وبرقه واسالته بامطاره كذلك اقواله مقرونة بافعال له لا خلف فيها واسال الرعد ابرقهم وشرع
بامطاره ومفهوم ذلك ان خصمه يهدده بالحرب من غير قوة نفس ولا ايقاع لها فاشبه ذلك الرعد من غير ايقاع للمطر والسيل
من غير مطر فكانه قال كما لا يجوز سيل بلا مطر فكذلك ما نوعد وننهدد دون ان نوقع الحرب بلا شجاعة ولا قوة عليها وفي
ذلك تتميم التهديد **ومن خطبة له عليه السلام** الا وان الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله ورجله وان معي
لبصيرتي ما لبست على نفسي ولا لبس علي وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون عنه ولا يعودون اليه **اقول** هذا
الفصل ملتقط ملفق من خطبة له ع لما بلغه ان طلحة والزبير خلعا بيعته وهو غير منتظم وقد اورد السيد منها فصلا اخر وسنذكرها
بتمامها اذا انتهينا اليه ان شاء الله تعالى الاستجلاب في معنى الجمع والبصيرة العقل وافرطت الحوض ملأته بضم الراء والماتح
بالتاء المستقي وربما يلتبس بالمائح وهو الذي ينزل البئر فيملأ الدلو والفرق بينهما ان نقطتي فوق للفوقاني والصدور
الرجوع عن الماء وعن غيره ويقابله الورود وهو العود اليه ومدار هذا الفصل على ثلاثة امور اولها الذم لاصحاب الجمل والتنفير عنهم
والثاني التنبيه على فضيلة نفسه والثالث الوعيد لهم واشار الى الاول بقوله الا وان الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله و
رجله واراد ان اتباعهم والجامع على مخالفة الحق انما هو الشيطان بوسوسته لهم وتزيينه الباطل في قلوبهم وقد عرفت كيفية
وسوسته واضلاله فكل من خالف الحق ونابذه فهو من حزب الشيطان وجنده خيلا ورجلا واما الثاني فاشار اولا الى كمال عقله وتمام
استعداده لاستجلاء الحق واستيضاحه بقوله وان معي لبصيرتي ثم اكد ذلك بالاشارة الى عدم انخداع نفسه القدسية للشيطان فيما يلبس
به من الحق من الشبه الباطلة على البصائر الضعيفة فيعميها بذلك عن ادراكه وتمييزه من الباطل سواء كانت مخادعة الشيطان وتلبيسه بغيره
واسطة وهو المشار اليه بقوله وما لبست على نفسي اي لا يلتبس على نفسي المطمئنة ما يلقيه اليها نفسي الامارة او بواسطة وهو المشار اليه
بقوله ولا لبس علي اي ان احدا ممن تبع ابليس وتلقف عنه الشبه وصار في قوة ان يلبس الحق صورة الباطل لا يمكنه ان يلبس على
واما الثالث فاشار اليه بقوله وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه واستعار افراط الحوض لجمع الجند وتهيئة اسباب
الحرب وكنى بقوله انا ماتحه انه هو المتولي لذلك ولما كانت الحرب قد تشبه بالبحر وبالماء الجم فيستعار لها اوصافه فيقال فلان
خواض غمرات وفلان منغمس في الحرب وترشيح تلك الاستعارة بالمتح والفرط والاصدار والايراد وفي تخصيص نفسه بالمتح تاكيد لتهديدهم
لعلمهم بباسه وشجاعته وقد حذف المضاف اليه وتقديره انه ماتح ماؤه اذ الحوض لا يوصف بالمتح ثم اردف ذلك بوصف استعاره

ماتح في الحقيقة

تم ... (marginal note, illegible)

لهم بالشدة والصعوبة عليهم فكنى بقوله لا يصدرون عنه عن ان الوارد منهم اليه لا ينجو منه وهو بمنزلة من يغرق فيه فلا يصدر عنه ويقول ولا يعودون اليه اى ان من نجا منهم لا يطمع فى الحرب مرة اخرى فلا يعودون الى ما اعدلهم مرة ثانية واكد ذلك القسم بالقسم البار واصلها ايم جمع يمين حذفت النون تخفيفا كما حذفت فى لم يك وقيل هو اسم براسه وضع للقسم وتحقيقه فى مسائل النحو

ومن كلام له عليه السلم لابنه محمد بن الحنفية لما اعطاه الراية يوم الجمل تزول الجبال ولا تزل عض على ناجذك اعر الله جمجمتك تد فى الارض قدمك ارم ببصرك اقصى القوم وغض بصرك واعلم ان النصر من عند الله سبحانه **اقول** الناجذ السن بين الناب والضرس وقال الجوهرى هو اقصى الاضراس وقيل الاضراس كلها نواجذ واعلم انه عليه السلم اشار فى هذا الفصل الى انواع اداب الحرب وكيفية القتال فنهاه اولا عن الزوال واكد عليه ذلك بقوله تزول الجبال ولا تزل والكلام فى صورة شرطية متصلة محرفة تقديرها لو ان الجبال لا تزل وهو نهى عن الزوال مطلقا لان النهى عنه على تقدير زوال الجبال مستلزم للنهى عنه على تقدير اخر بطريق الاولى انما القصد به المبالغة فى النهى ثم اردف ذلك بخمسة اوامر احدها ان يعض على ناجذه وذلك لاستلزامه امرين احدهما ربط الجاش عن الفشل والخوف والانسان يشاهد ذلك فى حال البرد والخوف الموجبين للرعدة فانه اذا عض على اضراسه سكن رعدته وبه ... ك بين الثانى ان الضرب مع ذلك فى الراس لا يؤثر كبير ضرر كما قال عليه السلام فى موضع اخر وعضوا على النواجذ فانه انبا للسيوف عن الهام وكان ذلك لما فيه من جمع القوة والتصلب الثانى ان يعير الله جمجمته وهى استعارة لطيفة وتشبيه للجمجمة بالالة التى تستعار لانتفاع بها ثم ترد فانتفاع دين الله وحده بمحمد رضى الله عنه على هذا الوجه يشبه للانتفاع بالعارية وقد قال بعض الشارحين وفى ذلك تنبيه لمحمد رضى الله عنه على انه لا يقتل فى ذلك الحرب اذ ما اعير الله لا بد من رده بكمال السلامة وفيه تثبيت لجاشه وربط لقلبه **الثالث** ان يلزم قدمه الارض ويجعلها كالوتد وذلك لاستلزام امرين احدهما ربط الجاش واستحكام العزم على الثانى ان ذلك مظنة الشجاعة واثار الصبر على المكاره فيكون من موجبات انفعال العدو وانقهاره **الرابع** ان يرمى ببصره اقصى القوم وذلك ليعلم على ماذا يقدم ولينظر مخايل الخائل ومقاتل المقاتل **الخامس** ان يغض بصره بعد مده وذلك لكونه علامة السكينة والثبات وعدم الطيش ولان مد النظر الى بريق السيوف مظنة الرهبة وربما خيف على البصر منه والنظر المحمود فى الحرب ان يلحظ شزرا اشغل الحق المترصد للفرصة كما قال فى غير هذا الموضع ولاحظوا الشزر ثم لما شرح هذه الاوامر الخمسة امره ان يعلم ان النصر من عند الله كما قال وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليتاكد ثباته مثقته بالله عند ملاحظة قوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم **ومن كلام له عليه السلام** لما ظفر باصحاب الجمل وقد قال له بعض اصحابه وددت ان اخى فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على اعدائك فقال عليه السلام اهوى اخيك معنا فقال نعم فقال فقد شهدنا ولقد شهدنا فى عسكرنا هذا قوم فى اصلاب الرجال وارحام النساء سيرعف بهم الزمان ويقوى بهم الايمان **اقول** اهوى اخيك معنا اى محبته وميله **قوله** فقد شهدنا حكم بالحضور بالقوة او بحضور نفسه وهمته على تقدير محبته للحضور وكم انسان يحضر بحضور همته وان لم يحضر ببدنه كثير نفع اما باستجلاب الرجال او ببابثار الهمم فى تفريق اعداء الله كما تفعله اولياء الله بحيث لا يحصل مثل ذلك النفع من ابدان كثيرة حاضرة وان قويت وعظمت **قوله** ولقد شهدنا فى عسكرنا هذا قوم فى اصلاب الرجال وارحام النساء تاكيد لحضور اخ القائل بالاشارة الى من سيوجد من انصار الحق الذابين عنه وعباد الله الصالحين شاهدون معه عليه السلم ايضا والشهادة شهادة بالقوة اى انهم موجودون فى اكمام المواد بالقوة ومن كان فى قوة ان يحضر من انصار الله فهو بمنزلة الحاضر الموجود بالفعل فى نصرته اذا وجد **قوله** سيرعف بهم الزمان لفظ الرعاف وهو الدم الخارج من انف الانسان لوجودهم وفيه تشبيه للزمان بالانسان وانما نسب وجودهم الى الزمان لانه من الاسباب المعدة لقوابل وجودهم ونحوه قول الشاعر وما رعف الزمان بمثل عمرو ولا تلد النساء له ضريبا **قوله** ويقوى بهم الايمان ظاهر وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** فى ذم البصرة واهلها كنتم جند المراة واتباع البهيمة رغا فاجبتم وعقر فانهزمتم اخلاقكم دقاق وعهدكم شقاق ودينكم نفاق وماؤكم زعاق المقيم بين اظهركم مرتهن بذنبه والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه كانى بمسجدكم كجؤجؤ سفينة قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من فى ضمنها وفى رواية اخرى وايم الله لتغرقن بلدتكم هذه حتى كانى انظر الى مسجدها كجؤجؤ سفينة او نعامة جاثمة وفى رواية اخرى كجؤجؤ طير فى لجة بحر **اقول** هذا الفصل مع فصول بعده من خطبة خطبها عليه السلام بالبصرة بعد فتحها وذلك انه لما فرغ من اهل الحرب بالجمل امر مناديا ينادى فى اهل البصرة ان الصلوة الجامعة لثلثة ايام من غد ان شاء الله ولا عذر لمن تخلف الا من حجة او علة فلا تجعلوا على انفسكم سبيلا فلما كان فى اليوم الذى اجتمعوا فيه خرج فصلى فى الناس الغداة فى المسجد الجامع فلما قضى صلوته قام فاسند ظهره الى حائط القبلة عن يمين المصلى فخطب الناس فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله وصلى على النبى صلى الله عليه واله واستغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ثم قال يا اهل البصرة يا اهل المؤتفكة ائتفكت باهلها ثلثا وعلى الله تمام الرابعة يا جند المراة واعوان البهيمة

رغا فاجبتم وعقر فانهزمتم اخلاقكم دقاق وماؤكم زعاق بلادكم انتن بلاد الله تربة ... نسخة

مكانها

فى بيان خطبة خطبها بالبصرة بعد فتحها

(٨) من السماء بها تسعة اعشار الشر المحتبس فيها بذنبه والخارج منها بعفو الله كانى انظر الى قريتكم هذه وقد طبقها الماء حتى ما يرى منها الا شرف المسجد كانه جؤجؤ طير فى لجة بحر فقام اليه الاحنف بن قيس فقال يا امير المؤمنين متى ذلك فقال اذا صارت اجنتكم قصورا واعلم انه بعد هذا الفصل من الخطبة فصول لا تعلق لها بهذا الموضع وربما تعلقت بفصول وردها السيد بعد هذا الفصل وسنذكرها معها انشاء الله اصل البصرة الحجارة البيض الرخوة وصارت علما للبلدة لوجدان تلك الحجارة بها قبل بنائها بالمربد كثيرة والمؤتفكة المنقلبة باهلها انقلبت بهم والمؤتفكة من الاسماء القديمة للبصرة كما سنذكره فى تمام هذه الخطبة والرغاء صوت الابل خاصة والعقر الجرح والدق من كل شىء حقيره وصغيره والشقاق الخلاف والافتراق والنفاق الخروج من الايمان بالقلب واصله ان اليربوع يرقق موضعا من الارض من داخل حجره فاذا اوتى من قبل بابه وهو القاصعاء ضرب ذلك الموضع براسه فانشق اى خرج وتسمى ذلك النافقاء فاشتق لفظ النفاق منه والزعاق المالح وطبقها الماء اى عمها واتى على جميعها وجؤجؤ السفينة صدرها وكذلك الطائر واعلم انه ذكر فى معرض ذمهم امورا نبه فيها على وجوه ارتكابهم باهلها وخسفها بهم انما يكون لفسادهم واستحقاقهم بذلك عذاب الله وقوله على الله تمام الرابعة دعاء عليهم بايقاع الخسف بهم **الثانى** كونهم جند المراة واراد عائشة فانهم جعلوها عقد نظامهم ولما كانت تولية النساء واراؤهن امورا مذمومة بين العرب وسائر العقلاء لضعف ارائهن ونقصان عقولهن كما قال الرسول صلعم انهن ناقصات عقول ناقصات دين ناقصات حظ اما نقصان عقولهن فلان شهادة اثنتين منهن بشهادة رجل واحد لتذكر احديهما الاخرى واما نقصان دينهن فلان احديهن تقعد فى بيتها شطر دهرها فى ايام حيضها لا تصوم ولا تصلى واما نقصان حظهن فلان ميراثهن على النصف من ميراث الرجال وكان مع ذلك متشيرهن واتباعهن اضعف رايا منهن كما هو شان التابع بالنسبة الى متبوعه لا جرم حسن توبيخهم بكونهم جند النساء واعوانا **الثالث** كونهم اتباع البهيمة واراد بالبهيمة الجمل الذى كان تحت عائشة فان حالهم شاهد باتباعهم مجيبين لرغائه وهاربين لعقره وهو اشنع من الاول وادخل فى الذم وكنى برغائه عن دعوتها لهم الى القتال اذ قدمت عليهم راكبة له **الرابع** دقة اخلاقهم واشار بها الى كونهم على رذائل الاخلاق دون محاسنها الوسط ولما كانت اصول الفضائل الخلقية كما علمت ثلثة الحكمة والعفة والشجاعة وكانوا على طرف الجهل بوجوه الاراء المصلحية وهو طرف التفريط من الحكمة وعلى طرف الجبن وهو طرف التفريط من الشجاعة وعلى طرف الفجور وهو طرف الافراط من ملكة العفة والعدالة لا جرم صدق انهم على رذائل الاخلاق ودقائقها **الخامس** الشقاق فى العهد والنكث لها ومصداق ذلك نكثهم للعهد وخلافهم للبيعة وذلك من الغدر الذى هو رذيلة بازاء ملكة الوفاء **السادس** النفاق فى الدين وقد كانوا خارجين على الامام العادل محاربين له لا جرم كانوا خارجين عن الدين وربما كان ذلك خطابا خاصا لبعضهم اذ المنافق العرفى هو الخارج من الاسلام بقلبه المظهر له بلسانه فيكون ذلك خطابا لمن كان منهم بهذه الصفة **السابع** ما يتعلق بذم بلدهم وهو كون مائهم مالحا وسبب ملوحته قربه من البحر وامتزاجه به ودخول ذلك فى معرض ذمهم ربما يكون لسوء اختيارهم ذلك المكان والاقامة به مع كون مائهم بهذه الحال المستلزمة لامراض كثيرة فى استعماله ككسوء المزاج والبلادة وفساد الطحال والحكة وغير ذلك مما يذكره الاطباء ولان ذلك من اسباب التنفير عن المقام معهم وتكثير سوادهم **الثامن** كونها انتن البلاد تربة وذلك لكثرة ركوب الماء لها وعفونتها به **التاسع** كونها ابعد البلاد عن السماء وسيجىء بيانه **العاشر** كونها بها تسعة اعشار الشر ويحتمل ان يريد به المبالغة فى ذمها دون الحصر وذلك انه لما عدد بها شرورا لا يكاد يجتمع فى غيرها حكم بان فيها تسعة اعشار الشر مبالغة وكنى به عن معظم الشر ويحتمل ان يريد بالشر مجموع الرذائل الخلقية المقابلة لاصول الفضائل النفسانية التى هى العلم والشجاعة والعفة والسخاء والعدل اذ كل منها مقابل برذيلتين كما علمت فتلك عشر رذائل واشبه ما يخرج عنهم من الابنا تسعة بعينه ههنا ذمهم به كالتبذير ونحوه وهذا الاحتمال وان كان لطيفا الا انه بعيد **الحادى عشر** كون المقيم بين اظهرهم مرتهنا بذنبه وذلك ان المقيم بينهم لا بد وان ينخرط فى سلكهم ويستعد لقبول مثل طباعهم ويفعل عن رذائل اخلاقهم وح يكون مو ثوقا بذنوبه **الثانى عشر** كون الشاخص عنهم متداركا برحمة من ربه وذلك لان انزاله له بالخروج ليسلم من الذنوب التى يكتسبها المقيم بينهم وتلك رحمة من الله واى رحمة وكل ذلك فى معرض التنفير عنهم والمفهوم من الرواية الثانية وهى قوله المحتبس فيها بذنبه والخارج منها بعفو الله غير ما ذكرناه اذ بينهم من قوله المحتبس فيها بذنبه ان احتباسه بينهم مجرى العقوبة له بذنب سبق منه والخارج منها قد عفا الله عنه بخروجه وقد راعى فى هاتين القرينتين السجع المتوازى وكذا فى القرائن الاربع قبلها ثم اشار بعد ذلك الى ان بلدهم سيغرقها الماء وشبه بقينه بذلك مسجدها منه بجؤجؤ سفينة او نعامة جاثمة لمسجدهم مغمورا بالماء وقد طبق ارضهم بما هذه الحسية فى الجلاء والظهور وقد حكى توقيف الرسول صلعم على احوالهم فى فصل اخر من هذه الخطبة وذلك انه عقيب ذمه لاهل البصرة وجوابه للاحنف فى الفصل الذى ذكرناه قال ما دحا لهم يا اهل البصرة ان الله لم يجعل لاحد من امصار المسلمين خطة شرف ولا كرم الا وقد جعل فيكم افضل ذلك وزادكم من فضله بمنه ما ليس لهم انتم اقوم الناس قبلة قبلتكم على المقام

الثالث والبهائم كلها ... الفتنة ... وانتم معلومون ... البلاد

اى جر

العلمية جر

بينهم جر

حيث يقوم الامام بمكة وقاريكم اقراء الناس وزاهدكم ازهد الناس وعابدكم اعبد الناس وتاجركم اتجر الناس واصدقهم في تجارته
وتصدقكم اكرم الناس صدقة وغنيكم اشد الناس بذلا وتواضعا وشريفكم احسن الناس خلقا وانتم اكرم الناس جوارا واقلهم
تكلفا لما لا يعنيه واحرصهم على الصلوة في جماعة ثمرتكم اكثر الثمار واموالكم اكثر الاموال وصغاركم اكيس الاولاد ونساؤكم اقنع
النساء واحسنهن تبعلا سخر لكم الماء يغدو عليكم ويروح صلاحا لمعاشكم والبحر سببا لكثرة اموالكم فلو صبرتم واستقمتم
لكانت شجرة طوبى لكم مقيلا وظلا ظليلا غير ان حكم الله فيكم ماض وقضاؤه نافذ لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب يقول
الله وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا واقسم لكم يا اهل
البصرة ما الذي ابتدأتكم به من التوبيخ الا تذكيرا وموعظة لما بعد لكيلا تسرعوا الى الوثوب في مثل الذي وثبتم وقد قال الله
تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ولا الذي ذكرت فيكم من المدح والتطرية بعد التذكير والموعظة رهبة
مني لكم ولا رغبة في شيء مما قبلكم فاني لا اريد المقام بين اظهركم ان شاء الله لامور تحضرني قد يلزمني القيام بها فيما بيني
وبين الله لا عذر لي في تركها ولا علم لكم بشيء منها حتى يقع مما اريد ان اخوضها مقبلا ومدبرا فمن اراد ان ياخذ بنصيبه
منها فليفعل فلعمري انه للجهاد الصافي صفاه لنا كتاب الله ولا الذي اردت به من ذكر بلادكم موجدة مني عليكم لما تشاققتم
غيرات رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يوما وليس معه غيري يا علي ان جبرئيل الروح الامين حملني على منكبه الايمن حتى اراني الارض
ومن عليها واعطاني اقاليدها وعلمني ما فيها وما قد كان على ظهرها وما يكون الى يوم القيمة ولم يكبر ذلك علي كما لم يكبر
على ابي آدم علمه الاسماء ولم يعلمه الملائكة المقربون واني رايت بقعة على شاطئ البحر تسمى البصرة فاذا هي ابعد الارض من السماء
واقربها من الماء وانها لاسرع الارض خرابا واخبثها ترابا واشدها عذابا ولقد خسف بها في القرون الخالية مرارا و
لياتين عليها زمان وان لكم يا اهل البصرة وما حولكم من القرى من الماء ليوما عظيما بلاؤه واني لاعرف موضع منفجره
من قريتكم هذه ثم امور قبل ذلك تدهمكم عظيمة اخفيت عنكم وعلمناها فمن خرج عنها عند دنو غرقها فبرحمة من الله سبقت
له ومن بقي فيها غير مرابط بها فبذنبه وما الله بظلام للعبيد واما تشبيه ما يخرج من الماء من شرفات المسجد بصدر
السفينة وفي الرواية الاخرى بالنعامة الجاثمة وفي الرواية الثالثة بالطائر في لجة البحر
فتشبيهات ظاهرة واما وقوع ذلك لغرق المخبر فالمنقول انها غرقت مرة في ايام القادر بالله ومرة في ايام القائم بامر الله غرقت
باجمعها وغرق من في ضمنها وخربت مع دورها ولم يبق منها الا مسجدها الجامع حسب ما اخبر به وكان غرقها من قبل بحر
فارس ومن ناحية الجبل المعروف بجبل السنام فكان ذلك مصداق كلامه وفي ذلك نظر لانه اشار الى ان ذلك ذلك
الماء ينفجر من ارضهم بقوله واني لاعرف موضع منفجره من قريتكم هذه وظاهر ذلك يقتضي انه لا يكون من ناحية اخرى والله
اعلم ومنها في مثل ذلك ارضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء خفت عقولكم وسفهت حلومكم فانتم غرض لنابل واكلة لآكل
وفريسة لصائد اقول السفه رذيلة تقابل الحلم وتعود الى الطيش وعدم الثبات والاكلة اسم للماكول وقد علمت ان ذكر
ارضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء مما حكاه عن رسول الله صلى الله عليه وآله في الفصل المتقدم اما قرب ارضهم من الماء فاشارة الى
انها موضع ما ينظم من الارض وقريب من البحر فهو بصدد ان يعلوها بملاقاة دجلة وذلك مشاهد في دخول الماء
مدانهم وسقيه لبساتينهم في كل يوم مرة او مرتين واما كونها بعيدة من السماء فيحتمل ان نسالها عن غيرها من الارض وقيل انه
من ابعد موضع في الارض عن السماء الابلة وان ذلك مما دلت عليه الارصاد وبرهن عليه اصحاب علم الهيئة وقال بعضهم
ان كون ذلك في معرض الذم يصرفه عن ظاهره وانما الاشارة الى انهم لما كانوا بالاوصاف المذمومة التي عددها فهم كانوا
بعداء عن نزول الرحمة عليهم من سماء الجود الالهي المستعدين لنزول العذاب ويصدق في العرف ان يقال فلان بعيد
من السماء اذا كان كما ذكرناه قوله خفت عقولكم اشارة الى قلة استعدادهم لدرك وجوه المصالح وضعف عقولهم عن تدبير
احوالهم وتسرعهم الى ما لا ينبغي لغفلتهم عما ينبغي وهو وصف لهم برذيلة الغباوة قوله وسفهت حلومكم اشارة الى وصفهم
برذيلة السفه والخفة المقابلة للحلم قوله فانتم غرض لنابل واكلة وفريسة لصائد هذه الاوصاف لازمة لاتصافهم بخفة
عقولهم وسفه حلومهم ولذلك عقبها بها لان طمع القاصد لهم بانواع الاذى انما ينشأ من العلم بقلة عقليتهم لوجوه المصالح
وسفههم فيقصدهم بحيث يدبره والاول من هذه الاوصاف كناية عن كونهم مقصدا لمن يريد اذاهم والثاني كناية عن
كونهم في معرض ان يطمع في اموالهم ويغنمهم وياكلها من يقصد كلها والثالث عن كونهم بصدد ان يفترسهم من يقصد
قتلهم واهلاكهم واستعار لفظ الغرض والاكلة والفريسة لهم ووجوه المشابهة بينها ظاهرة وقد راعى في هذه القرائن السجع
ففي الاوليين السجع المطرف وفي الاخرين سجع المتوازي ومن كلام له عليه السلام فيما

رده على المسلمين من قطائع عثمان والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته فان في العدل سعة ومن ضاق عليه
العدل فالجور عليه اضيق اقول هذا الفصل مع فصول بعده من خطبة خطبها بالمدينة لما قتل عثمان وبويع له وقد ورد هنا
بزيادة ونقصان واول هذا الفصل من الخطبة الا وان كل قطيعة قطعها عثمان او مال اخذه من بيت مال المسلمين فهو مردود عليهم في بيت مالهم
ولو وجدته قد تزوج به النساء وفرق في البلدان فانه ان لم يسعه الحق فالباطل اضيق عنه وسنورد الخطبة بتمامها في احد الفصول
التي يجيء منها ان شاء الله تعالى واعلم انه اشار اولا الى العزم الجازم المؤكد بالقسم على رد القطايع التي كان عثمان اقطعها اقاربه ثم نبه
المقطعين بقوله فان في العدل سعة على ان عدل الله يسعهم في رد ما اقطعوه ولكي يسعه عن اقتضاء امر العدل رد ذلك
وغيره من المظالم فعليهم ان يدخلوا في مقتضى اوامر الله وعدله فان فيه سعة لهم اذ به نظام العالم باسره وهو محل لرضا المظلوم بايصال
حقه اليه ولرضا الظالم بانه عند الانتزاع منه ما اخذ لما ليس له وتاكد ذلك العلم بالوعيد الصادق فهو وان قام شيطانه
حال انتزاع الظلامة منه وضاق عليه العدل فهو في محل الرضا فان لم يرض لضيق العدل عليه فالجور عليه اضيق في الدنيا
والاخرة لانه ربما انتزعت منه قهرا وكان جورا سببا للتضييق عليه في ذلك ولان الاوامر والنواهي الالهية محيطة به تردعه
عليه وجوه التصرف الباطل ولانه اذا نزل عليه عدل الله فقد اخذ منه ما ينبغي اخذه منه واذا نزل عليه جور اعتقد
انه اخذ منه ما لا ينبغي اخذه ولا شك ان اخذ ما لا ينبغي اخذه اصعب على النفس واضيق من اخذ ما ينبغي وهو امر وجداني
والمعنى في الالفاظ التي اوردناها من الخطبة قريب مما ذكرناه ههنا غير ان الضمير في قوله فانه ان لم يسعه يعود الى المال واعلم
انه قد كان عثمان اقطع جماعة من بني امية وغيرهم من اصحابه كثيرا من ارض بيت المال وكان فعل عمر ذلك مع قوم لهم وقايع مشهورة
في الجهاد في سبيل الله وترغيبا في الجهاد لكن لما اختلف غرض الامامين لم يرد علي عليه السلام الا ما اقطعه عثمان وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام لما بويع بالمدينة ذمتي بما اقول رهينة وانا به زعيم ان من صرحت له العبر عما بين يديه
من المثلات حجزه التقوى عن تقحم الشبهات الا وان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه والذي بعثه بالحق لتبلبلن
بلبلة ولتغربلن غربلة ولتساطن سوط القدر حتى يعود اسفلكم اعلاكم واعلاكم اسفلكم وليسبقن سابقون كانوا
قصروا وليقصرن سباقون كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم
الا وان الخطايا خيل شمس حمل عليها اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار الا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها اهلها
واعطوا ازمتها فاوردتهم الجنة حق وباطل ولكل اهل فلئن امر الباطل لقديما فعل ولئن قل الحق فلربما ولعل ولقلما ادبر
شيء فاقبل قال السيد الرضي رضي الله عنه ان في هذا الكلام الادنى من مواقع الاحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان وان حظ
العجب منه اكثر من حظ العجب به وفيه مع الحال التي وصفنا زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان ولا يطلع فجها انسان ولا يعرف
ما اقوله الا من ضرب في هذه الصناعة بحق وجرى فيها على عرق وما يعقلها الا العالمون اقول في هذا الفصل فصول من
الخطبة التي اشرنا اليها في الكلام الذي قبله وكلك في الفصل الذي بعده ونحن نوردها بتمامها لينضح ذلك وهي الحمد لله احق محمود
بالحمد واولاه بالمجد الها واحدا صمدا اقام اركان العرش فاشرق بضوء شعاع الشمس خلق فانفق واقام فذلت له وطاة المستمكن
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالنور الساطع والضياء المنير اكرم خلق الله
حسبا واشرفهم نسبا لم يتعلق عليه مسلم ولا معاهد بمظلمة بل كان يظلم اما بعد فان اول من بغى على الارض عناق ابنة آدم كان
مجلسها من الارض جريبا وكان لها عشرون اصبعا وكان لها ظفران كالمنجلين فسلط الله عليها اسدا كالفيل وذئبا كالبعير
ونسرا كالحمار وكان ذلك في الخلق الاول فقتلها وقد قتل الله الجبابرة على سوء احوالهم وان الله اهلك فرعون وهامان وقتل
قارون بذنوبهم الا وان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيكم عليه السلام والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلة
حتى يعود اسفلكم اعلاكم واعلاكم اسفلكم وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سابقون كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة
ولا كذبت كذبة ولقد انبئت بهذا اليوم وهذا المقام الا وان الخطايا خيل شمس حمل عليها اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في
النار فهم فيها كالحون الا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها اهلها فسارت بهم تاودا حتى اذا جاؤا ظلا ظليلا فتحت ابوابها و
قال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين الا وقد سبقني هذا الامر من لم اشركه فيه ومن ليست له منه توبة الا بنبي
يبعث ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله اشفى منه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ايها الناس كتاب الله وسنة نبيه لا يرعى مرعى الا
على نفسه شغل من الجنة والنار امامه ساع مجتهد وطالب يرجو ومقصر في النار ولكل اهل ولعمري لئن امر الباطل لقديما فعل
ولئن قل الحق لربما ولعل ولقلما ادبر شيء فاقبل ولئن رد امركم عليكم انكم السعداء وما علينا الا الجهد قد كانت امور مضت
ملتم فيها ميلة كنتم عندي فيها غير محمودي الراي ولو اشاء ان اقول لقلت عفا الله عما سلف سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب

في بيان خطبة خطبها بالمدينة

٥٠

العناية الالهية مبدء وقادة زمام التوفيق الى الجد في طاعة الله واتباع سابل اوامره والوقوف عند نواهيه وزواجره بعد تقصيره في ذلك وعكس هؤلاء من كان في مبدء الامر مشمرا في سلوك سبيل الله ثم جذبه هواه الى غير ما كان عليه وسلك به الشيطان مسالكه فاستبدل بسبقه في الدين تقصيرا وانحرافا عنه قوله والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة اقسم انه لم يكتم اثرا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا المعنى وكلمة مما يتعين عليه ان يبوح به وانه لم يكذب قط وهذا القسم شهادة لما قبله من الاخبار بما سيكون انه كان قال وتوطئة لما بعده انه كما هو وذلك قوله ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم اي مقام بيعة الخلق له وبهذا اليوم اي يوم اجتماعهم عليه وكل ذلك تنفير لهم عن الباطل الى الحق وتثبيت لهم على اتباعه ثم لما امرهم بالتقوى ولبانهم بما سيكون عاقبة امرهم في لزومهم لبليتهم وتورطهم في الشبهات اردف ذلك بالتنفير عن الخطايا والترغيب في التقوى بالتنبيه على ما يعود اليه كل منهما قوله الا وان الخطايا خيل شمس حمل عليها اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار استعمال لفظ الخيل للخطايا ثم وصفها بالوصف المنفر وهو الشموس والهيئة المانعة الذي لعقل من ركوبها وهي كونها مع شموسها مخلوعة اللجم ووجه الاستعارة ظاهر فان الفرس الشموس المخلع لجامها لما كانت تتقحم براكبها المهالك وتجري به على غير نظام فكذلك راكب الخطيئة لما جرى به ركوبها على غير نظام الشريعة وخلع بذلك لجام الاوامر الشرعية وحدودها الدين لا جرم كانت غاية من ركوبها ان تتقحم به موارد الهلاك وهي نار جهنم وذلك من لطيف الاستعارة قوله الا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها اهلها واعطوا ازمتها فاوردتهم الجنة استعار ايضا لفظ المطايا بالوصف الحسن الموجب للميل اليها وهو كونها ذللا وبالهيئة التي ينبغي للراكب وهو اخذ الزمام والانشاد بالازمة الى حدود الشريعة التي يلزمها صاحب التقوى ولا يتجاوزها ولما كانت المطية الذلول من شأنها ان تحمل براكبها على وفق النظام الذي ينبغي لا يتجاوز الطريق المستقيم بل يصرفها بزمامها ويسير بها على هون وتؤدة فيصل بها الى مقاصده كذلك التقوى فهو لزوم طرق السالك الى الله بالتقوى وراحته عن جموح الهوى به في موارد الهلكة تشبه ذلك المطية وحدود الله التي بها تملك التقوى وتستقر عليه تشبه غاية سير المطي الذلول براكبها والاستعارة في الموضعين استعارة لفظ المحسوس للمعقول ثم لما بين ان ههنا طريقين مركوبين مسلوكين طريق الخطايا وطريق التقوى ذكر معا انهما حق وباطل فكانه قال وهما حق وهو التقوى وباطل وهو الخطايا ثم قال ولكل اهل اي ولكل من طريقي الحق والباطل قوم اعدهم القضاء لسلوكها بحسب ما جرى في اللوح المحفوظ بقلم القضاء الالهي كما قال الرسول صلى الله عليه وآله كل ميسر لما خلق له قوله فلئن امر الباطل لقديما فعل ولئن قل الحق فلربما ولعل اي ذلك [illegible] تشبه الاغتنام لنفسه ولاهل الحق في قلته وذم وتوبيخ لاهل الباطل على كثرة الباطل وقلة الحق في ذلك الوقت ليس بدعا حتى احد نفسي في الانكار على اهله ثم لا يسمعون ولا ينتهون وفي قوله لربما ولعل تنبيه على ان الحق وان قل فربما يعود دبرا ثم اردف حرف التقليل وهو ربما بحرف الترجي وكانت في هذه الاحرف الوجيزة اخبار بقلة الحق ووعد بعوده مع نوع تشكيك في ذلك وتمن لكثرته وقوله ولقلما ادبر شيء فاقبل استبعاد لرجوع الحق الى الكثرة والقوة بعد قلته وضعفه على وجه كلي فان زوال الاستعداد للامر مستلزم لزوال صورته وصورة الحق انما افيضت على قلوب صفت واستعدت لقبوله فاذا اخذ ذلك الاستعداد في النقصان بموت اهله او بموت قلوبهم وتسود الواح نفوسهم بشبه الباطل فلا بد ان ينقص نور الحق وتكثر ظلمة الباطل بحسب قوة الاستعداد في النقصان بموت اهله او بموت قلوبهم وتسود الواح نفوسهم بشبه الباطل فلا بد ان ينقص نور الحق وتكثر ظلمة الباطل بحسب قوة الاستعداد لها وظاهر ان عود الحق واضاءة نوره بعد ادباره واقبال ظلمة الباطل امر بعيد وقلما يعود مثل ذلك الاستعداد القبول مثل تلك الصورة للحق ولعله يعود بقوة مصبح الواح النفوس وارضها مشرقة بانوار الحق ويكر على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وما ذلك على الله بعزيز وفي ذلك تنبيه لهم على لزوم الحق وبعث على القيام به كيلا يضمحل باتخاذهم عنه فلا يمكنهم تداركه وبالله التوفيق **منها** شغل من الجنة والنار امامه ساع سريع نجا وطالب بطيء رجا ومقصر في النار هوى اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة عليها باقي الكتاب وآثار النبوة ومنها منفذ السنة واليها مصير العاقبة هلك من ادعى وخاب من افترى من ابدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره لا يهلك على التقوى سنخ اصل ولا يظمأ عليه زرع قوم فاستتروا ببيوتكم واصلحوا ذات بينكم فالتوبة من ورائكم ولا يحمد حامد الا ربه ولا يلم لائم الا نفسه **اقول** قد عرفت كون هذا الفصل من الخطبة التي ذكرناها والجادة معظم الطريق والصفحة الجانب والسنخ الاصل وذات البين حقيقته والحيرة عدم حصول المطلوب واعلم ان تقدير القضية الاولى ان من كانت النار والجنة امامه فقد جعل له بهما شغل يكفيه عن كل ما عداه فيجب عليه ان لا يشتغل الا به واشار بذلك الشغل الى ما يكون وسيلة الى الفوز بالجنة والنجاة من النار ومما نطقت به الكتب المنزلة وحث على لزومه الرسل اشار بكون الجنة والنار امامه الى احد امرين احدهما ان يكون المراد كون الجنة والنار ملاحظين له متذكرا اياهما فهما امامه ونصب عينيه ومن كان كذلك فهو في شغل بهما عن غيرهما الثاني ان يكون كونهما امامه اي انه لما كان الانسان من مبدأ عمره الى منتهاه مسافرا الى الله ثم هو في انقطاع سفره لابد وان ينتهي اما الى الجنة او الى النار فكانتا امامه في ذلك السفر وغايتين يؤمهما الانسان وينتهي اليهما ومن كان ذا امامه في السفر الى غاية معينة فكيف يليق به ان يشتغل بغير مهمات تلك الغاية والوسيلة اليهما وانما قال

اي تقدم الخطايا التي لها يمكن [illegible] التقوى [illegible] لصاحبه [illegible] الى الاستعارة الاولى التي هي [illegible] تشبيه

في بيان خطبة خطبها في المدينة

منه بطنه ويله لو قص جناحاه وقطع رأسه كان خيرا له شغل من الجنة والنار امامه ساع مجتهد وطالب يرجو ومقصر في النار ثلاثة واثنان خمسة وليس معهم سادس ملك طار بجناحيه ونبي اخذ بضبعيه هلك من ادعى وخاب من افترى اليمين والشمال مضلة ووسط الطريق المنهج عليه باقي الكتاب وآثار النبوة الا وان الله قد جعل ادب هذه الامة السوط والسيف ليس عند امام فيهما هوادة فاستتروا ببيوتكم واصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم من ابدى صفحته للحق هلك الا وان كل قطيعة اقطعها عثمان وما اخذه من بيت مال المسلمين فهو مردود عليهم في بيت مالهم ولو وجدته قد تزوج به النساء وفرق في البلدان فانه ان لم يسعه الحق فالباطل اضيق عنه اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولقد ذكرنا هذا الفصل فيما قبل ولنرجع الى التفسير فنقول الذمة الحرمة والذمة ايضا العهد والرهينة المرهونة والزعيم الكفيل وفي الحديث الزعيم غارم والمثلات العقوبات والحجز المنع يحجز في الامر وتقحم رمى بنفسه فيه والقنية الصفوة والبلبلة الاختلاط والغربلة نخل الدقيق وغيره والغربلة القتل ايضا وساط القدر اذا قلب ما فيها من طعام بالمحراك وادارة والوشم بالشين المعجمة الكلمة وبغير المعجمة العلامة والاثر والشمس جمع شموس وهي الدابة تمنع ظهرها والتاوذ التسير الثقيل بالثبات والذلول الساكنة والكلوح تكشر في عبوس وامر الباطل بكسر الميم كثر وفلان يرعى على نفسه اذا كان يتفقد احوالها واعلم انه اشار اولا في هذا الفصل الى وجوب الاعتبار ونبه على انه وسيلة التقوى [illegible] لزم لدى صورة شرطية متصلة وهي قوله من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات حجزه التقوى عن تقحم الشبهات وبيان الملازمة ان من اخذت العبر [illegible] عقله فاعدت نور بصيرته لمشاهدة ما صرحت به آفات الدنيا وكشفت عنه من تبدل حالاتها وتغير آثارها على من اوقف عليها همه وانفذ فيها دار الاقامة فتأمل ان كل ذلك امور باطلة وبلاء زائلة فلا بد ان يفيض الله على قلبه صورة خشية ونهواه فيستلزم تلك الخشية توقفه وامتناعه عن ان يلقي نفسه في تلك الامور الزائلة والشبهات الباطلة لاشراق نور الحق الواضح على لوح نفسه بالاعتبار فالتقوى اللازم له هو الحاجز عن ذلك التقحم وانما سماها شبهات لما يتوهم كونها حقا ثابتا باقيا من الامور الفانية الزائلة واللذات الدنيوية الباطلة فالوهم يصورها ويشبهها بالحق فلذلك سميت شبهات والعقل الخارج من اسر الهوى قوي على نقد الحق وتمييزه من الشبهة واكد [illegible] هذه الملازمة بضمانه ورهن ذمته على صحتها وكفاله بصدقها وذلك قوله ذمتي بما اقول رهينة وانا به زعيم واستعمال لفظ الرهن استعارة كقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة واعلم انه ربما التبس عليك حقيقة التقوى فنقول التقوى بحسب العرف الشرعي يعود الى خشية الحق سبحانه المستلزم للاعراض عن كل ما يوجب الالتفات عنه من متاع الدنيا وزينتها وتنحيه عما دون وجه عن جهة القصد ولما كان الترك والاعراض المذكور هو الزهد الحقيقي كما علمت وكان التقوى وسيلة اليه علمت انه من قوى الجواذب الى الله الرادعة عن الالتفات الى ما سواه وقد ورد التقوى بمعنى الخشية من الله تعالى في اول النساء يا ايها الناس اتقوا ربكم ومثله في اول الحج وفي الشعراء اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون وكذا قول هود و صالح ولوط وشعيب لقومهم وفي العنكبوت وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه وقوله اتقوا الله حق تقاته وقوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى وكذا في سائر آيات القرآن وان كان قد حمله بعض المفسرين تارة على الايمان كما في قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى وتارة على التوبة كما في قوله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا وتارة على ترك المعصية كما في قوله واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله واذا عرفت ذلك فاعلم انه لما نبههم على لزوم التقوى وانه مخلص من تقحم الشبهات نبههم بعده على انهم في الشبهات مغمورون بقوله الا وان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه [illegible] واشار ببليتهم الى ما هم عليه من اختلاف الاهواء وتشتت الآراء وعدم الالفة والاجتماع في نصرة الله عن شبهات يلقيها الشيطان على الاذهان القابلة لوسوسته المقهورة في يده وذلك من اعظم الفتن التي بها يبتلي الله عباده ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ومن امور تشبه ما كان الناس عليه حال بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وفي ذلك تنبيه لهم على انهم ليسوا من تقوى الله في شيء اذ عرفت ان مجانبة الشبهة من لوازم التقوى فكان وقوعهم فيها مستلزما لسلب التقوى عنهم ثم لما بين وقوعهم في البلية كما كانت اشار بالقسم الى انه لا بد لهم بثمرة ما هم فيه من عدم التناصر واتباع الاهواء الباطلة وذكر امورا ثلاثة **احدها** التبلبلة وكنى بها عما يوقع بنو امية وغيرهم من امراء الجور من الهموم والغموم وخلط بعضهم ببعض ورفع اراذلهم وحط اكابرهم عما يستحق كل من المراتب **الثاني** الغربلة وكنى بها عن التقاط احادهم وقصدهم بالاذى والقتل كما فعل بكثير من الصحابة والتابعين وفي ذلك تشبيه لفعلهم ذلك بغربلة الدقيق ونحوه لتمييز شيء منه عن شيء وكذلك سنغير له لفظها وهو هنا القرينتين [illegible] المتوازي **الثالث** ان يساطوا كما تساط القدر الى ان يعود اسفلهم اعلاهم وبالعكس واستعار لفظ السوط ههنا مع غايته المذكورة لتصريف ائمة الجور لهم من باب الى باب واسباب الاهانة وتغيير القواعد عليها في ذلك الوقت وهو قريب من الاول قوله وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سباقون كانوا سبقوا اشارة الى بعض نتائج تقلب الزمان بهم فان بعض الشارحين قال انه اشار بالمقصرين الذين يسبقون الى قوم نصروا عن نصرته في مبدأ الامر حين وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ثم نصروه في ولايته وقاتلوا معه في ساير حروبه وبالسابقين الذين يقصرون الى من كانت له في الاسلام سابقة ثم يخذله وينحرف عنه ويقاتله ويشبه ان يكون مراده اعم من ذلك فالمقصرون الذين يسبقون كل من اخذت

تنبيه

فصل في الرجاء

شبه البناء للمفعول لان المقصود ههنا ليس الا ذكر الشقاء ولانه كان الشاغل هو الله تعالى بايجاد الجنة والنار والترغيب في احديهما والترهيب
من الاخرى كان تركه ذكره للتعظيم والاجلال والظهور ثم انه لما نبه على وجوب الاشتغال بالجنة والنار عن غيرهما قسم الناس بالنسبة
الى ذلك الاشتغال الى ثلثة اقسام وذلك قوله ساع سريع نجا وطالب بطيء رجا ومقصر في النار هوى وجه الحصر في هذه القسمة ان الناس
بعد الانبياء عليهم السلام اما طالبون لله او تاركون والطالبون اما بغاية جدهم واجتهادهم وبذل وسعهم وطاقتهم في الوصول الى
رضوانه او بالبطوء الثاني فهذه ثلثة اقسام لا مزيد عليها وان كان قسما الطالبين على مراتب ودرجات متفاوتة والقسم الاول
هم الفائزون بقصب السبق والناجون من عذاب النار كما قال تعالى والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم فاكهين
بما آتيهم ربهم ووقيهم ربهم عذاب الجحيم وهذا القسم يشمل الانبياء لولا افرادهم في قسم رابع اذ قسم الخلق في الخطبة الى خمسة اقسام
والثالث المقصر الذي وقف به الشيطان حيث اراد اخذ المحجة عن سلوك سبيل الله فاذ فايه في موارد الهلاك ومنازل الشقاء
وطامره في النار فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان
ربك فعال لما يريد اما القسم الثاني فهو وصفين متجاذبا من جهتي السفالة والعلو وطلب الجنة بحركته وسلوكه
الى الله وان ضعف جاذب له الى جهة العلو وبدا الشيطان جاذبا الى جهة السفالة الا ان رجاه لعفو الله ونظره اليه بعين رحمته
اذا انضاف الى حركته البطيئة كانت السلامة عليه اغلب وجهة العلو منه اقرب وينبغي ان نشير الى تحقيق حقيقة الرجاء ليتضح ما قلنا
فنقول الرجاء هو ارتياح النفس لانتظار ما هو محبوب عنده فالحالة التي هي صفة تصدر عن علم وتقتضي عملا بيان ذلك ان ما يتصوره
النفس من محبوب ومكروه فاما ان يكون موجودا في الماضي او في الحال او يوجد في الاستقبال والاول يسمى ذكرا وتذكرا والثاني
يسمى وجدا لوجدان النفس له في الحال ثالثا وهو ان يغلب على ظنك وجود شيء في الاستقبال لنفسك به تعلق فيسمى ذلك انتظارا
وتوقعا فان كان مكروها حدث منه في القلب تالم يسمى خوفا وان كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به لذة للنفس
وارتياح باخطار وجوده بالبال يسمى ذلك الارتياح رجاء ولكن ذلك التوقع لابد وان يكون لسبب فان كان توقعه لاجل حصول اكثر
اسبابه فاسم الرجاء صادق عليه وان كان انتظاره مع العلم بانتفاء اسبابه فاسم الغرور والحمق عليه اصدق وان كانت اسبابه غير معلومة
الوجود ولا الانتفاء فاسم التمني صدق على انتظاره اذا عرفت ذلك فاعلم ان ارباب العرفان قد علموا ان الدنيا مزرعة الاخرة فا
النفس هي الارض وبذرها المعارف الالهية وساير انواع الطاعات جارية مجرى اصلاح هذه الارض من تقليبها واعدادها
للزراعة وسياقة الماء اليها والنفس المستغرقة بحب الدنيا والميل اليها كالارض السبخة التي لا تقبل الزرع والانبات لمخالطة الاجزاء
الملحية ويوم القيمة يوم الحصاد فلا حصاد الا من زرع ولا زرع الا من بذر وكما لا ينفع الزرع في ارض سبخة كذلك لا ينفع ايمان مع خبث
النفس وسوء الاخلاق فينبغي ان يقاس رجاء العبد لرضوان الله برجاء صاحب الزرع وكما ان من طلب ارضا طيبة وبذرها في
وقت الزراعة بذرا غير متعفن ولا متاكل ثم امده بالماء العذب وساير ما يحتاج اليه في اوقاته ثم طهره عن مخالطة ما يمنع نباته من شوك
ونحوه ثم انتظر من فضل الله دفع الصواعق والآفات المفسدة الى تمام زرعه وبلوغ زرعه غايته كان ذلك رجاء في موضعه واستحق اسم
الرجاء اذ كان في مظنة ان يفوز بمقاصده من ذلك الزرع ومن بذر في ارض كذلك الا انه بذر في احد اوقات الناس ولم يبادر اليه او
وقته او قصر في بعض اسبابه ثم اخذ ينتظر ثمرة ذلك الزرع ويرجو الله في سلامته له فهو من جملة الراجين ايضا ومن لم يحصل على بذر او بذر
في ارض سبخة او ذات شاغل من الانبات ثم اخذ ينتظر الحصاد فذلك الانتظار حمق فكان اسم الرجاء انما يصدق على انتظار ما حصل
جميع اسبابه او اكثرها الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما لا يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات
كذلك حال العبد ان بذر المعارف الالهية في ارض نفسه في وقته وهو مقتبل العمر ومبدا التكليف ودام على سقيه بالطاعات واجتهد
في طهارة نفسه عن شوك الاخلاق الردية التي تمنع نماء العلم وزيادة الايمان وانتظر من فضل الله تعالى ان يثبته على ذلك الى زمان
وصوله وحسن عاقبته فذلك الانتظار هو الرجاء المحمود وهو درجة السابقين وان القى بذر الايمان في نفسه لكنه قصر في بعض
اسبابه اما ببطوء في البذر او في السقي الى غير ذلك مما يوجب ضعفه ثم اخذ ينتظر وقت الحصاد ويتوقع من فضل الله تعالى ان يبارك له
فيه ويعتمد على انه هو الرزاق ذو القوة المتين ويصدق عليه بعض اندراجا اذ اكثر اسباب المطلوب التي من جهته حاصلة وهذه
درجة القسم الثاني وهو الطالب الراجي البطيء وان لم يزرع من قواعد الايمان في نفسه شيئا اصلا او زرع ولم يسقه بماء الطاعة
او ترك نفسه مشغولة بشوك الاخلاق الردية وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة والفضل من الله فذلك الانتظار
غرور وليس برجاء في الحقيقة وذلك هو القسم الثالث وهو المقصر في اسباب الزراعة وتحصيل زاد الآخرة الهالك اسفا يوم
الحسرة والندامة يقول يا ليتني قدمت لحيوتي فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد وفي المعنى ما قيل اذا انت
لم تزرع وعاينت حاصدا ندمت على التفريط في زمن البذر قال رسول الله صلى الله عليه وآله الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال

من بعدهم

من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وانما خص عليه السلام القسم الثاني بالرجاء اذ كان كامل
عمد به تضعف عمله وقلة الاسباب من جهته والى هذه الاقسام الثلثة اشار القرآن الكريم بقوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير وان اختلفت مبدا الترتيبين قوله اليمين والشمال
مضلة والطريق الوسطى هي الجادة لما قسم الناس الى سابقين ولاحقين ومقصرين اشار لهم الى الطريق التي اخذ الله
عليهم سلوكها ونصب لهم عليها اعلام الهدى ليصلوا بها الى جناب عزته سالمين عن تخطفات الشياطين وميزها عن طرق
الضلال ولما علمت ان طريق السالكين الى الله اما العلم او العمل فالعلم طريق القوة النظرية والعمل طريق القوة العملية
وكل منهما محفوف برذيلتين هما طرفا التفريط والافراط كما علمته والوسط منهما هو العدل والطريق الوسطى وهي الجادة
الواضحة لمن اهتدى وهي التي عليها ما في الكتاب الالهي من المقاصد الحكمية وعليها آثار النبوة ومنفذ السنة اي طريقها
ومبدأها الذي منه تخرج واليها مصير عاقبة الخلق في الدنيا والآخرة فان من العدل بدأت السنة وانتشرت في الخلق
واليه يرجع امورهم اما في الدنيا فلان نظام امورهم في حركاتهم وسكناتهم مبني عليه في القوانين الشرعية والى تلك
القوانين والقواعد ترجع عواقب امورهم وعليها يحملون واما في الآخرة فبالنسبة اليه يتبين خسران الخاسرين وفوز الفائزين
فنحكم لمن سلك وتمسك به ووافق سفره الى الله بجنات النعيم ولمن انحرف عنه وتجاوزه بالعذاب الاليم في نار الجحيم وكل
واحد من طرفي الافراط والتفريط بالنسبة اليه هو المراد باليمين والشمال لمن ذلك الوسط وهما طريقا المضلة لمن عدل اليهما
وموقد الهلاك لمن سلكهما قوله هلك من ادعى وخاب من افترى يحتمل ان يكون القضيتان دعاء ويحتمل ان يكون اخبارا
اي هلك من ادعى ما ليس له اهلا وعن الهلاك الآخروي وخاب من كذب في ان يحصل مطلوبه اذا جعل الكذب وسيلة اليه واعلم ان الدعوى
اما ان يكون مطابقة لما في نفس الامر او ليس كذلك والثانية محرمة مطلقا واما الاولى فاما ان يدعوا اليها حاجة او ليس والقسم الاول هو
المباح فقط دون الثاني وانما حرم هذان القسمان اما الاول وهي الدعوى غير المطابقة فلانها تصدر عن ملكة الكذب تارة وعن
الجهل المركب تارة كالجهل بالامر المدعى لحصوله عن شبهة وسخنت في نفسه وكلاهما من اكبر الرذائل واعظم المهلكات في الآخرة
واما الثانية وهي المطابقة لا عن حاجة فكذلك لانها تكاد لا تصدر عن الانسان الا عن رذيلة العجب وستعلم انه من المهلكات قال
رسول الله صلى الله عليه وآله ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه واما خيبة المفتري فلان المفترى اختلاق ما ليس بحق
وظاهر ان الكذب لا ثمرة له اما في الآخرة فظ واما في الدنيا فقد يكون وقد لا يكون وان كانت ففي معرض الزوال ومستلزمة
لسخط الله فهي بمنزلة ما لم يكن وصاحبها اشد خيبة من عادمها وطالب الامر بالفرية على كل تقدير خاسر خائب قال بعض
الشارحين اراد هلك من ادعى الامامة من غير استحقاق وخاب من افترى في دعواه لها لان كلامه في هذه الخطبة كثيرا ما يعرض
فيه بامر الامامة قوله من ابدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره تنبيه على ان المتجرد لاظهار
الحق في مقابلة كل باطل ورد من الجهال على حملهم على مر الحق وصعبه في كل وقت يكون في معرض الهلاك بايديهم والسنتهم
انه لا يعدم منهم من يوليه المكروه ويسعى في دمه ثم اراد التنبيه على الجهل فذكر اذل مراتبه ونبه بها على ان اقل الجهل كاف في الرذيلة
فكيف بكثيره وذلك قوله وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره واراد مرتبته في الناس عدم تصوره لذلك يجر بنفسه ويمثلها با
بالنسبة الى حالهم وكفى بهذا القدر مهلكا فانه منشأ كثير من رذائل المهلكة كالكبر والعجب وقول الباطل وادعاء الكمال للنفس
ويتعدى الطور في اكثر الاحوال كما قال عليه السلام في موضع آخر رحم الله امرءا عرف قدره ولم يتعد طوره وفي هذه الكلمة تنفير للسامعين
عن الجهل بعد ما يتصورونه من وجوب التجرد للحق ونصرته وربما نبههم منها تعليم كيفية استجلاب طباع الجهال وتنبيههم وهو
انهم لا ينبغي ان يقابلوا بالحق دفعة ويجرد في مقابلتهم به على كل وجه فان ذلك مما يوجب نفارهم وعدم نظام احوالهم بل ينبغي ان
يونسوا به على التدريج قليلا قليلا وربما لم يكن تانيسهم بالحق في بعض الامور لغموض الحق بالنسبة الى افهامهم او لقوة عقائدهم
الباطلة في مقابلته فيخدعوا عن ذلك بالحق في صورة الباطل في ظاهره وذلك كما ورد في القرآن الكريم والسنن النبوية من صفات
التجسيم وما لا يجوز ان يحمل على ظاهره في حق الصانع الحكيم فان حمله على ظاهرهم كما يتصوره جهال الناس امر باطل لكنه لما كان سبب
ايناسهم وجمع قلوبهم على اعتقاد الصانع وتدبير نظام امورهم فرد الشرع به قوله لا يهلك على التقوى سنخ اصل ولا يظماء عليه
زرع قوم تنبيه على لزوم التقوى باعتبارين احدهما ان كل اصل بني على التقوى فمحال ان يهلك ويلحق بابنيه خسران كما قال تعالى
افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير امن اسس بنيانه على شفا جرف هار الثاني ان من زرع زرعا اخرويا كالمعارف
الالهية في ارض نفسه مثلا او دنيويا كالاعمال التي بها تقوم مصالح الانسان في الدنيا وسقاها ماء التقوى وجعله مادتها
فانه لا يلحق ذلك الزرع ظماء بل عليه ينشاء باقوى ساق وازكى ثمرة والاصل كناية عمن ذكرناه قوله واستتروا في بيوتكم

واصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم قد عرفت ان هذا الفصل مقدم في الخطبة على قوله من ابدى صفحته للحق هلك وهو مسبوق بالتهديد والوعيد في معرضه وهو قوله الا وان الله قد جعل ادب هذه الامة السوط والسيف ليس عند امام فيهما هوادة اي مصالحة وسكون فاستتروا ببيوتكم وهو حسم لمادة الفتنة بينهم بلزوم البيوت عن الاجتماع للمنافرات والمفاخرات والمشاجرات ولذلك اردفه بقوله واصلحوا ذات بينكم فان قطع مادة الفتنة سبب لصلاح ذات البين قوله والتوبة من ورائكم تنبيه للعصاة على الرجوع الى التوبة عن الجري في ميدان المعصية واقتفاء اثر الشيطان وكونها وراءهم لان الجواذب الالهية اذا اخذت بقلب العبد وجذبته عن المعصية حتى اعرض عنها والتفت بوجه نفسه الى ما كان معرضا عنه من الندم على المعصية والتوجه الى القبلة الحقيقية فانه يصدق عليه اذن ان التوبة وراءه اي وراء اعتباريا وهو اولى من قول من قال من المفسرين ان وراءكم بمعنى امامكم قوله ولا يحمد حامد الا ربه ولا يلم لائم الا نفسه تاديب لهم بالتنبيه على قصر الحمد والثناء على الله دون غيره لانه سبب كل نعمة يستحق بها الحمد كما سبقت اليه الاشارة وعلى قصر اللائمة على النفس عند انحرافها عن جهة القبلة الحقيقية الى ما تعبد الناس من دونها الدعوة من غير سلطان وفي اصل هاتين الكلمتين اشار القران الكريم ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك فكل حسنة اصابت العبد من ربه فهي سبب لحمده وشكره وكل سيئة اصابته من نفسه فهو سبب للائمة نفسه فاما قول السيد ره ان في الكلام من مواقع الاحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان الى اخره فالاحسان مصدر قولك للمحسن للرجل احسانا اذا فعل فعلا حسنا ومواقع الاحسان محاسن الكلام التي اجاد فيها واحسن ومواقع الاستحسان اما سائر محاسن كلام العرب اي ان شيئا من محاسن كلام العرب وما يقع عليه الاستحسان منها لا يوازي هذا الكلام ولا يبلغه او يشير بمواقع الاستحسان الى الفكر من الناس فانها محال الاستحسان ايضا اذ الاستحسان من صفات المستحسن اي ان الفكر لا يصل الى محاسن هذا الكلام وقوله وان حظ العجب منه اكثر من حظ العجب به يريد ان تعجب الفصحاء من حسن مداركه اكثر من عجبهم باستخراج محاسنه وذلك لان فيه من المحاسن وراء ما يمكنهم التعبير عنها فيكون تعجبهم من محاسنه اكثر من عجبهم من انفسهم بما يقدرون على استخراجه منها او يريد باكثر من عجبهم فيرى اكثر من محبتهم له وميلهم اليه وباقي كلامه ظ وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام في صفة من يتصدى بين الامة للحكم وليس لذلك باهل

ان ابغض الخلائق الى الله رجلان رجل وكله الله الى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدي من كان قبله مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته حمال خطايا غيره رهن بخطيئته ورجل قمش جهلا موضع في جهال الامة غار في اغباش الفتنة عم بما في عقد الهدنة قد سماه اشباه الناس عالما وليس به بكر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من ماء اجن واكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضيا ضامنا لتخليص ما التبس على غيره فان نزلت به احدى المبهمات هيأ لها حشوا رثا من رأيه ثم قطع به فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدري اصاب ام اخطأ ان اصاب خاف ان يكون قد اخطأ وان اخطأ رجا ان يكون قد اصاب جاهل خباط جهالات عاش ركاب عشوات لم يعض على العلم بضرس قاطع يذري الروايات اذراء الريح الهشيم لا ملي والله باصدار ما ورد عليه لا يحسب العلم في شيء مما انكره ولا يرى ان من وراء ما بلغ منه مذهبا لغيره وان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه تصرخ من جور قضائه الدماء وتعج منه المواريث الى الله اشكو من معشر يعيشون جهالا ويموتون ضلالا ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته ولا سلعة انفق ولا اغلى ثمنا من الكتاب اذا حرف عن مواضعه ولا عندهم انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر **اقول** وكله الى نفسه جعل توكله عليها والجائر العادل عن الطريق وفلان مشغوف بكذا اذا بلغ حبه الى شغاف قلبه وهو غلافه ونعير المجمة اذا بلغ الى شغفة قلبه وهي عند معلق النياط والقمش جمع الشيء المتفرق والجمع قماش والموضع بفتح الضاد المطرح وبكسرها المسرع والغار الغافل والاغباش الظلمة وقال ابو زيد الغبش البقية من الليل ويروى غطاش الفتنة اي الظلم والمبهمات المشكلات وامر مبهم اذا لم يعرف والرث الضعيف البالي وعشوات الطريق بضوء النار اذا يبست على ضعف والهشيم اليابس من نبت الارض المتكسر والعج رفع الصوت والبائر الفاسد واعلم انه عليه السلام في التنفير على الرجلين المشار اليهما بذكر انهما من ابغض الخلائق الى الله تعالى ولما كانت ارادة الله للشيء ومحبته له عائدة الى علمه بكونه على وفق النظام الكلي التام للعالم وكانت كراهيته وبغضه له عائدة الى علمه بكونه على ضد مصلحة العالم وخارجا عن نظامه فبغضه اذن لهذين الرجلين علمه بكون افعالهما واقوالهما خارجة عن المصلحة قوله رجل وكله الله الى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل الى قوله بخطيئته بيان لاحد الرجلين ويميزه وذكر له اوصافا الاول انه وكله الله الى نفسه اي جعله متوكلا عليها دونه واعلم ان التوكل ماخوذ من الوكالة يقال وكل فلان امره الى فلان اذا فوضه اليه واعتمد عليه فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده اذا عرفت ذلك فنقول من اعتقد جزما وظنا بان نفسه او واحدا غير الله تعالى ممن ينسب اليه التاثير والقدرة هو المتمكن من الفعل والمتم للقدرة على تحصيل مراده والوفاء به فان ذلك من اقوى الاسباب المعدة لان يفيض الله على قلبه صورة

الاعتماد على المعتمد فيه والتوكل عليه في تحصيل ما يريده وذلك معنى قوله وكله الله الى نفسه وكل معنى او كولا الى الدنيا وذلك بحسب استعداد الانسان ان الله والقدرات الذي تؤثر وافية بمطالبه وتحصيلها الهمم وراءها وبحسب قوة ذلك التوكل وضعفه يكون تفاوت بغض الله تعالى للعبد ومحبته له وبعده وقربه منه فلن يخلص اذن العبد من بغض الله الا بالتوكل عليه حق توكله قال ان الله تعالى يحب المتوكلين وهو اعظم مقام وسم صاحبه بمحبة الله فمن كان الله حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يبغض ولا يعذب ولا يبعد ولا يحجب قال رسول الله صلى الله عليه واله من انقطع الى الله كفاه كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله تعالى اليها وصورة التوكل عليه ان تثبت في نفسك بكشف واعتقاد جازم ان مسبب الاسباب والمسبب اليه سبحانه وانه الفاعل المطلق التام العلم والقدرة على كفاية العباد التام العفو والرحمة والعناية بخلقه حيث لا يكون وراء قدرته وعلمه وعنايته رحمة وعناية ولم يبق في نفسك التفات الى غيره بوجه حتى نفسك وحولك وقوتك فانك والحال هذه تجد من نفسك تسليم امورها بالكلية اليه والبراءة من التوكل على احد الا عليه فان لم تجد من نفسك هذه الحال فسبب ذلك ضعف الاسباب المذكورة او بعضها وغلبة الوهم على النفس معارضة لذلك اليقين وبحسب ضعف تلك الاسباب وشدتها وزيادتها ونقصانها يكون تفاوت درجات التوكل على الله تعالى **الثاني** كونه جائرا عن قصد السبيل اي قصد سبيل الله العدل وصراطه المستقيم وعلمت ان الجور هو طرف الافراط من فضيلة العدل **الثالث** كونه مشغوفا بكلام بدعة اي محب بما يخطر له ويبتدعه من الكلام الذي لا اصل له في الدين ويدعو به الناس الى الضلال والجور عن القصد وهذا الوصف لازم عما قبله فان من جار عن قصد السبيل بجهله فهو يعتقد انه على سواء السبيل فكان ما يجهله من ذلك الكمال الذي هو نقصان في الحقيقة مستلزما لمحبته قول الباطل وابتداع المحال فهو من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا **الرابع** كونه فتنة لمن افتتن به وهو ايضا لازم عن الوصف الثالث فان محبته قول الباطل والدعوة الى الضلال سبب لكونه فتنة لمن اتبعه **الخامس** كونه ضالا عن هدى من كان قبله وهذا الوصف كالثاني فان الضال عن الهدى جائر عن قصد السبيل الا ان ههنا زيادة اذ الجائر عن القصد قد يجور ويضل حيث لا هدى يتبعه والمراد ههنا انه ضال مع وجود هدى قبله مامور باتباعه وهو كتاب الله وسنة رسوله واعلام هذه الحاملون لذلك الناطقون عن مشكوة النبوة وذلك ابلغ في ملامته واكد في وجوب عقوبته **السادس** كونه مضلا لمن اقتدى به في حيوته وبعد وفاته وهذا الوصف مسبب عما قبله اذ ضلال الانسان في نفسه سبب لاضلاله غيره ويفهم منه ما يفهم من الرابع مع زيادة فان كونه فتنة لغيره هو كونه مضلا لمن اهتدى به واما الزيادة فكون ذلك الاضلال في حيوته وهو ظ وبعد موته لبقاء العقائد الباطلة المكتسبة عنه فهي سبب ضلال الضالين بعده **السابع** كونه حمالا لخطايا غيره وهو لازم عن السادس فان حمله لاوزار من يضله انما هو بسبب اضلاله له **الثامن** كونه رهنا بخطيئته اي وثوقه بها عن الصعود الى حضرة جلال الله والى هذين الوصفين اشار القران الكريم بقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون وقول الرسول صلى الله عليه واله ايما داع دعا الى الهدى فاتبع كان له مثل اجر من تبعه لا ينقص من اجرهم شيء وايما داع دعا الى الضلالة فاتبع كان عليه مثل وزر من تبعه ولا ينقص منه شيء واعلم انه ليس المراد من ذلك انه يوصل العقاب له بمحض الاتباع الى القادة والرؤساء لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى ولا تزر وازرة وزر اخرى ولما دخل احد من الناس النار ابدا بل كانت مقصورة على ابليس وحده بل المعنى ان الرئيس المضل اذا وضع سنة تكون فتنة للناس وضلالا لهم لم يضل تلك السنة الا عن نفس قد استولى عليها الجهل المركب المضاد لليقين وصار ملكة من ملكاتها فيسود لوجهها عن قبول الانوار الالهية وصار ذلك حجابا بينها وبين الرحمة بحيث يكون ذلك الحجاب في القوة والشدة اضعاف حجب التابعين له والمقتدين به لان شبهة عن فتنته فان تلك الحجب الطارئة على قلوب التابعين مستندة الى ذلك الحجاب وهو اصلها فلا جرم يكون وزره وسيئته في قوة اوزار اتباعه وسيئاتهم التي حصلت بسبب ضلاله لا كل سيئاتهم من كل جهة ولذلك قال تعالى ومن اوزار الذين يضلونهم اي بعض اوزارهم وكذلك مناقض قوله صلى الله عليه واله من غير ان ينقص من اوزارهم شيء فلت هذا وان كان حسنا الا ان الاوزار الذي ذكره غير لازم على كونها للتبعيض لان القائل بكونها كذلك يقول ان المراد وليحملوا بعض مثال اوزار التابعين لا بعض اعيان اوزارهم واذا فهم ذلك في جانب السيئات فافهم مثله في جانب الحسنات وهو ان الواضع لحسنة وسنة يهتدى بها انما تصدر عن نفس ذات صفاء واشراق كل نورها فاشرق على غيرها من النفوس التابعة لها فاستضاءت بذلك السنة الماخوذة من جملة انوارها الفائضة عنها على نفس اقتبستها فكان للنفس المتبوعة من الاستكمال بنور الله الذي هو راس كل هدى ما هو في قوة جميع الانوار المقتبسة من تلك السنة مثل ما للتابعين لها من غير نقصان في اجر التابعين وعدم الحاصل لهم والى هذا المعنى الاشارة الواردة في الخبران حسنات الظالم تنقل الى ديوان المظلوم وسيئات المظلوم تنقل الى ديوان الظالم فانك ان علمت ان السيئة والحسنة اعراض لا يمكن نقلها من محل الى محل فليس ذلك نقلا حقيقيا بل على وجه الاستعارة كما يقال انتقلت الخلافة من فلان الى غيره وانما المقصود من نقل سيئات

المظلوم الى الظالم حصول امثالها في قلب الظالم ونقل حسنات الظالم الى المظلوم حصول امثالها في قلبه وذلك لان للطاعة تأثيرا في النفس بالتنوير وللمعاصي تأثيرا بالقسوة والظلمة وبانوار الطاعة تستحكم مناسبة النفس من استعدادها لقبول المعارف الالهية ومشاهدة حضرة الربوبية وبالقسوة والظلمة تستعد للبعد والحجاب عن مشاهدة الجمال الالهي فالطاعة مولدة لتلذذ المشاهدة بواسطة الصفاء والنور الذي يحدث في النفس والمعصية مولدة للحجاب بواسطة القسوة والظلمة التي تحدث فيها وبين الحسنات والسيئات تضاد وتعاقب على النفس كما قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقال لا تبطلوا اعمالكم وقال صلى الله عليه وآله اتبع السيئة بالحسنة تمحها والآلام ممحصات للذنوب ولذلك قال صلى الله عليه وآله ان الرجل يثاب حتى بالشوكة التي تصيب رجله وقال الحدود كفارات لاهلها فالظالم يتبع شهوته بالظلم وفيهما يقسو القلب ويسود لوح النفس فيحوز النور الذي فيه من طاعته فكانه اهبط طاعته والمظلوم يتألم وينكسر شهوته ويكفر ذنبه ويرجع الى الله تعالى فينفي عنه الظلمة والقسوة التي حصلت له من اتباع الشهوات فكان النور انتقل من قلب الظالم الى قلب المظلوم وانتقل السواد والظلمة الى قلب الظالم وكذلك ينتقل على سبيل الاستعارة كما علمت وكما يقال انتقل ضوء الشمس من مكان الى مكان وقد تلخص من هذا التقرير ان الحسنات المنقولة الى المظلوم من ديوان الظالم هي استعداده لقبول الرحمة والثواب الحاصل له بسبب ظلم الظالم والسيئات المنقولة من ديوان المظلوم الى الظالم هي استعداده بالحجب والقسوة عن قبول انوار الله والثواب والعقاب الحاصلان لهما هو ما استعدا له من تلك الانوار والظلمات واعلم ان ذلك النقل وحمل الظالم اوزار المظلوم وان كان امرا حاصلا في الدنيا الا انه لما لم ينكشف للبصائر الا في يوم القيمة لا جرم خصص بيوم القيمة وانما قال حمال ووزن فعال للمبالغة والتكثير اي تكثيرا ما يحملها من خطايا غيره واما الرجل الثاني فميزه بعشرة اوصاف **ا** كونه قمش جهلا وهي استعارة لفظ الجمع المحسوس للجمع المعقول **ب** كونه موضعا في جهال الامة مطرحا ليس من اشراف الناس فيفهم من هذا الكلام انه خرج في حق شخص معين وان عمه وغيره **ج** كونه غارا في اغباش الفتنة اي ساكنا في اوائل ظلماتها وروي غارا اي غافلا في ظلمات الخصومات لا يهتدي لوجه تخليصها **د** كونه اعمى العين بما في عقد الهدنة والصلح والمسالمة بين الناس من نظام امورهم ومصالح العالم فهو جاهل بوجوه المصالح المنتشر للفتن بينهم **ه** كونه قد سماه اشباه الناس عالما وليس بعالم واشباه الناس الجهال واهل الضلال وهم الذين يشبهون الناس الكاملين في الصورة الحسية دون الصورة التمامية التي هي كمال العلوم والاخلاق **و** كونه بكر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر يعني من جمع منونا ويعزهون اما بالتنوين فالجملة بعده صفة له واستعمل الصلة وهي جمع في موضع اسم المفعول اي من مجموع ويحتمل ان يكون المقصد هي الصلة نفسه واما مع الاضافة فقيل ان ما ههنا يحتاج في تمام الكلام الى تقدير مثلها حتى يكون ما الاولى هي المضاف والثانية محل المبتدأ والتقدير من جمع ما الذي قل منه خير مما كثر لكنه لما كان ظاهرها ما الثانية يشبه التكرار ويوجب هجنة في الكلام وكانت ما الواحدة تعطي المعنى عن المقدرة كان حذفها اولى وقيل ان التقدير الحمد وكان على طريقة تسمع بالمعيدي خير من ان تراه اي جمع ما ان قل منه خير مما كثر وعنى بالتكثير الى الاستكثار من ذلك التنوع وقال تعرابي جمع الشبهات والآراء التي قليلها خير من كثيرها وباطلها اكثر من حقها **ز** كونه اذا ارتوى من ماء آجن واكثر من غير طائل جلس بين الناس قاضيا ولما كانت الاجن صفة للماء والكمالات النفسانية التي هي العلوم كثيرا ما يعبر عنها بالماء الصافي والزلال وكانت الجهل والآراء التي يحصل عليها بجمعها مع العلم جامع الاعتقاد وفي العلم داخلات تحت جنس الاعتقاد كانت الماء الآجن اشبه ما يستعار لتلك الآراء التي ليست بصحيحة ولا متينة فهي تشبه الماء الآجن الذي لا غناء فيه للشارب ورشح تلك الاستعارة بذكر الارتواء وجعل غاية المشار اليها من ذلك الاستكثار جلوسه بين الناس قاضيا **ح** كونه ضامنا لتخليص ما التبس على غيره اي واثق من نفسه بفصل ما يعرض بين الناس من القضايا المشكلة وضامنا حال ثان او صفة للاول **ط** كونه اذا نزلت به احدى القضايا المبهمة للتنبس وجد فيها هيا لها حشوا ضعيفا من رايه ثم جزم به والحشو الكلام الكثير الذي لا طائل تحته ولبس جلا لتلك المبهمة **ي** كونه من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت[2] مثل للامور الواهية ووجه هذا التمثيل ان الشبهات التي تقع على ذهن مثل هذا الموصوف اذا قصد حل قضية مبهمة تكثر فتلبس على ذهنه وجه الحق فيها فلا يهتدي له لضعف ذهنه فتلك الشبهات في الوهن تشبه نسج العنكبوت وذهنه فيها يشبه الذباب الواقع فيه فكما لا يمكن الذباب من خلاص نفسه من شباك العنكبوت لضعفه كذا من هذا الرجل اذا وقع في الشبهات لا يخلص وجه الحق منها لقلة عقله وضعفه عن ادراك وجوه الخلاص **يا** انه لا يدري اصاب فيما حكم به ام اخطأ فان اصاب خاف ان يكون قد اخطأ وان اخطأ رجا ان يكون قد اصاب وخوف الخطأ ورجاء الاصابة من لوازم الحكم مع عدم الدراية **يب** كونه جاهلا خباط جهالات والجهالات جمع جهلة فعلة من الجهل وقد تقدم ان وزن فعال يبنى للفاعل من الامور المعتادة التي يكثر فعلها وذكر الجهل ههنا بزيادة وهي كثرة الخبط فيه وكنى بذلك عن كثرة الاغلاط التي يقع فيها في القضايا والاحكام فيمشي فيها على غير طريق حق من القوا

معها

نسج العنكبوت

الشرعية وذلك معنى خبطه **يج** كونه عاشيا ركاب عشوات وهي اشارة الى انه لا يبلغ نور الحق في ظلمات الشبهات الا على ضعف لنقصان ضوء بصيرته فهو يمشي فيها على ما يخيله دون ما يحققه وكثيرا ما يكون حاله كذلك ولما كان من شان العاشي الى الضوء في الطرق المظلمة تارة يلوح له فيمشي عليه وتارة يخفى عنه فيضل عن القصد ويمشي على الوهم والخيال كذلك حال السالك في طرق الدين من غير ان يستكمل نور بصيرته بقواعد الدين ويعلم كيفية سلوك طرقه فانه تارة يكون نور الحق في المسئلة ظاهرا فيدركه وتارة يغلب عليه ظلمات الشبهات فتعمى عليه الموارد والمصادر فيبقى في الظلمة خابطا وعن القصد جائرا **يد** كونه لم يعض على العلم بضرس قاطع كناية عن عدم اتقانه للقوانين الشرعية واحاطته بها يقال فلان لم يعض على الامر اذا لم يحكمه واصله ان الانسان يمضغ الشيء ثم لا يجيد مضغه فمثل لمن لم يحكم ما يدخل فيه من الامور **يه** كونه يذري الروايات اذراء الريح الهشيم ووجه التشبيه ان الريح لما كانت تذري الهشيم وهو ما تكسر من نبت الارض ويبس فتخرجه عن حد الانتفاع به كذلك المتفقه للروايات لما لم يهتد الى وجه العمل بها ولم يقف على الفائدة منها فهو يقف على رواية اخرى ويمشي عليها من غير فائدة **يو** انه غير مليء باصدار ما يرد عليه اشارة الى انه ليس له قوة على اصدار الاجوبة عما يرد عليه من المسائل فهو فقير منها **يز** كونه لا يحسب العلم في شيء مما انكره يقال فلان لا يحسب فلانا بالفتح من الحساب اي لا يعده شيئا ويعتبره خاليا من الكمال والفضيلة والمراد انه ينكر العلم كسائر ما انكره فهو لا يعده شيئا ولا يعتد به بالحساب والاعتبار وعنى بالعلم الحقيقة الذي ينبغي ان يطلب ويجتهد في تحصيله لا ما يعتقده الموصوف علما فانه مما ينكره وحينئذ كان كثيرا من الجهال المدعي للعلم بفن من الفنون قد ينكر غيره من سائر الفنون ويشنع على معلمه ومتعلمه كاكثر المتفقهين للاحكام الفقهية والمتصدين للفتوى والقضايا بين الخلق في زماننا وما قبله فانهم يبالغون في انكار العلوم العقلية ويفتون بتحريم الخوض فيها وتكفير من يتعلمها وهم غافلون عن انه لا يستحق احدهم ان يسمى فقيها الا ان يكون له مادة من العلم العقلي المتكفل ببيان صدق الرسول واثبات النبوة الذي لا يقوم شيء من الاحكام الفقهية التي يدعون انها كل العلم الا بعد ثبوتها وروي يحسب بكسر السين من الحسبان وهو الظن اي لا يظن العلم ذا فضيلة يجب اعتقادها واعتبارها فهو مما انكره **يح** كونه لا يرى ان من وراء ما بلغ منه مذهبا لغيره اي انه اذا غلب على ظنه حكم في القضية جزم به وكان لغيره في المسئلة قول اظهر من قوله يعضده دليل فلا يعتبره ويمضي على ما بلغ فهمه اليه **يط** كونه ان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه وكثيرا ما يراعي قضاة السوء وعلماؤه اكتتام ما يشكل عليهم امره من المسائل والتغافل عن سماعها اذا اوردت عليهم لئلا يظهر جهلهم بين اهل الفضل مراعاة لحفظ المناصب **ك** كونه تصرخ من جور قضائه الدماء وتعج منه المواريث لنسبة الصراخ الى الدماء والعجيج الى المواريث اما على سبيل حذف المضاف فاقام المضاف اليه مقامه اي اهل الدماء واولياء المواريث فيكون حقيقة او على سبيل استعارة لفظ الصراخ والعج لنطق الدماء والمواريث بلسان حالها المفصح عن مقالها ووجه الاستعارة عن الصراخ والعجيج ما كانا عن تظلم وشكاية وكانت الدماء المهراقة بغير حق والمواريث المستباحة بالاحكام الباطلة ناطقة بلسان حالها مفصحة بالشكاية والتظلم لا جرم حسنت استعارة اللفظين ههنا ثم بعد نص الرجلين المذكورين بما ذكر فيهما من الاوصاف المنفرة على سبيل التفصيل اردف ذلك بالتنفير عنهما على سبيل الجملة مما يعمهما وغيرهما من الجهال من التشكي والتبرء وذلك قوله الى الله من معشر اي الى الله اشكو كما هو في بعض النسخ والى الله ابرء وذكر اوصافا فاسدها البقاء على الجهل والعيش فيه وكنى بالعيش عن الحيوة وقابله بذكر الموت وقوله يموتون ضلالا وصف لازم عن الوصف الاول فان من عاش جاهلا مات ضالا لا وتعلم ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته الى آخره اي اكسد الكتاب وحمل على الوجه الذي انزل عنقده فاسدا اطرحوه بجهلهم عن درجة الاعتبار وعلى ذلك لو وجدوا ما حرف عن مواضعه ومقاصده وتنزل على حسب اغراضهم ومقاصدهم شربه على ذلك الوجه باغلى ثمن وكان من انفق السلع بينهم واستعار له لفظ السلعة ووجه المشابهة ظ ومنشاء كل ذلك هو الجهل وكذلك ليس عندهم انكر من المعروف وذلك انه لما خالف اغراضهم ومقاصدهم اطرحوه حتى صار بينهم منكرا يتعجبون فعله ولا اعرف من المنكر لموافقة اغراضهم ومحبتهم له لذلك واعلم انه عم قسم الناس في موضع آخر الى ثلثة اقسام عالم ومتعلم وهمج رعاع اتباع كل ناعق والرجلان المشار اليهما بالاوصاف المذكورة ههنا ليسا من القسم الاول لكونهما على طرف الجهل المضاد للعلم ولا من القسم الثالث لكونهما متبوعين داعيين الى اتباعهما وكون الهمج تابعين كما صرح به فتعين ان يكونا من القسم الثاني وهم المتعلمون واذا عرفت ذلك فنقول المراد بالمتعلم هو من ترفع عن درجة الهمج من الناس بطلب العلم واكتسب هيئة شيئا من الاعتقادات عن مخالطة من اشتهر بسمة العلم ومطالعة الكتب ونحو ذلك ولم ينته الى درجة العلماء الذين يقتدرون على التصرف والقيام بالحجة فاعتقاداته اما ان يكون مطابقة كلها او بعضها او غير مطابقة اصلا وعلى التقديرات فاما ان لا ينصب نفسه لشيء من المناصب الدينية كالفتوى والقضاء ونحوها او ينصب لذلك فهذه اقسام ستة **احدها** من اعتقد اعتقادا مطابقا ولم يعرض نفسه لشيء من المناصب الدينية **الثاني** من كان اعتقاده كذلك لكنه نصب نفسه[12] للناس **الثالث** من اعتقد جهلا ولم ينصب نفسه لها **الرابع** من

من نبت

بسعد دان

في بيان تحقيق علم اليقين وعين اليقين

نبه على الجهل والغباوة الذي هو طرف التفريط من الحكمة بالحياكة التي هي مظنة لقلة العقل واشار الى الفجور الذي هو طرف الافراط من فضيلة العفة بكونه منافقا وكونه ابن كافر تاكيد لنسبته النفاق اليه واشار الى القتل وقلة الثبات التي هي طرف التفريط والافراط من فضيلة الشجاعة بكونه قد اسر مرتين وكان في ذلك تنبيه على اشارة الى نقصان عقله كما قلناه واشار الى الظلم والغدر الذي هو رذيلة مقابلة لفضيلة الوفاء بقوله وان امرا دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف وبالجملة الى الرذائل كان مستحقا للعن واما استعارته لفظ العرف فلان العرف عبارة عن كل عال مرتفع والاعراف في القرآن الكريم سور بين الجنة والنار ولما كان من شان كل مرتفع عال ان يستر ما وراءه وكان الغادر يستر بمكره وحيلته امورا كثيرة وكانه هو قد غر قومه بالباطل وغدر بهم صدق عليه بوجه الاستعارة لفظ عرف النار لستره عليهم ما وراءه من نار الحرب ونار الاخرة اذ حملهم على الباطل والله اعلم **ومن خطبة له عليه السلام** فانكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم وسمعتم واطعتم ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا وقريب ما يطرح الحجاب ولقد بصرتم ان ابصرتم واسمعتم ان سمعتم وهديتم ان اهتديتم بحق اقول لقد جاهرتكم العبر وزجرتم بما فيه مزدجر وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء الا البشر **اقول** الوهل بالتحريك الفزع يقال وهل يوهل وهلا فزع واعلم ان الانسان ما دام متلحفا بجلباب البدن فانه محجوب بظلمة الهيئات البدنية والمعارضات الوهمية والخيالات عن مشاهدة انوار عالم الغيب والملكوت وذلك الحجاب قابل للزيادة والنقصان والقوة والضعف والناس فيها على مراتب فيهم فاعظمهم حجبا واكثفهم حجابا الكفار كما اشار اليه القرآن الكريم مثلا في حجبهم او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض الاية فمثل الكافر كرجل وقع في بحر لجي صفته كذلك فاشار بالبحر اللجي الى الدنيا بما فيها من الاخطار المهلكة والموج الاول موج الشهوات الداعية الى الصفات البهيمية وبالحري ان يكون هذا الموج مظلما اذ حب الشيء يعمي ويصم والموج الثاني موج الصفات السبعية الباعثة على الغضب والعداوة والحقد والحسد والمباهاة فبالحري ان يكون مظلما لان الغضب غول العقل وبالحري ان يكون هو الموج الاعلى لان الغضب في الاكثر مستول على الشهوات حتى اذا هاج اذهل عنها والسحاب هو الاعتقادات الباطلة والخيالات الفاسدة التي صارت حجابا للبصيرة الكافرة عن ادراك نور الحق اذ خاصية الحجاب ان يحجب نور الشمس عن الابصار الظاهرة واذ كانت هذه كلها مظلمة فبالحري ان يكون ظلمات بعضها فوق بعض واما اخفهم حجبا وارقهم حجابا فهم الذين بذلوا جهدهم في لزوم اوامر الله ونواهيه وبالغوا في تصفية بواطنهم وصقال الواح نفوسهم والقاء حجب الغفلة واستار الهيئات البدنية فاشرقت عليهم شموس المعارف الالهية وسالت الى اودية قلوبهم مياه الجود الرباني المعطي لكل قابل ما يقبله فهؤلاء وان كانوا قد بلغوا الغاية من الجهد في رفع الحجب وغسل درن الباطل عن نفوسهم الا انهم ما داموا في هذه الابدان فهم في اخطية من هيئاتها وحجب من استارها وان ضعفت تلك الحجب ورقت تلك الاغشية وما بين هاتين المرتبتين درجات من الحجب متفاوتة ومراتب متصاعدة متنازلة وبحسب تفاوتها يكون تفاوت النفوس في الاستضاءة بانوار العلوم وقبول الانتقاش بالمعارف الالهية والوقوف على اسرار الدين وبحسب تفاوت هذه الحجب يكون تفاوت ورود النار كما قال تعالى وان منكم الا واردها ولن يخلص الانسان من شوائب هذه الحجب وظلماتها الا بالخلاص عن هذا البدن وطرحه فحينئذ تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا فيكون مشاهدة بعين اليقين ما اعد لها من خير وما هيئ لها من شر بحسب استعدادها بما كسبت من قبل فاما قبل المفارقة فان حجاب البدن مانع لها عن مشاهدة تلك الامور كما هي وان حصلت على اعتقاد جازم برهاني او نوع من المكاشفة الممكنة كما في حق كثير من اولياء الله الا ان ذلك الوقوف والاطلاع يكون كالمشاهدة لا انها مشاهدة حقيقية خالصة اذ لا تنفك عن شائبة الوهم والخيال ولذلك قال صلى الله عليه وآله حاكيا عن ربه اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اي وراء ما اطلعتهم عليه وهو اشارة الى طور المشاهدة الخالصة عن الشوائب التي هي عين اليقين بعد الموت وقد يسمى ما ادركه اهل المكاشفات بمكاشفاتهم في حيوتهم الدنيا عين اليقين فاما ادراك من دون هؤلاء لتلك الامور فما كان منها مؤكدا بالبرهان مع الشعور بعدم امكان النقيض فهو علم اليقين وقد يخص علم اليقين في عرف الصوفية بما يميل النفس الى التصديق به ويغلب عليها ويستولي حتى يصير هو المحكم المتصرف فيها بالترخيص والمنع فيقال فلان ضعيف اليقين بالرزق اذا لم يهتم بالاستعداد له فكانه غير موقن به مع انه لا يتطرق اليه شك وقوي اليقين به اذا غلب ذلك على قلبه حتى استغرق همته بالتهيؤ له اذا عرفت ذلك فلنعد الى قوله عليه السلام فانكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم شرطية متصلة نبه فيها على ان وراءهم من اهوال الاخرة بعد مفارقتهم ما شاهده من سبق منهم الى الاخرة ما لا يشاهدونه الان بعين وان علموه يقينا وبين فيها لزوم جزعهم وفزعهم وسمعهم وطاعتهم لداعي الله على تقدير مشاهدتهم بعين اليقين لتلك الامور وقد شهد الملازمة شاهد البرهان بصحتها واشار التنزيل

الالهي الى حقيقتها وذلك قوله تعالى ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل وذلك مقتضى مشاهدتهم لاهوال الاخرة وجزعهم من تلك الاخرة المشاهدة فيجيبهم لسان العزة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير وقوله ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا استثناء للملزوم نقيضا لبيان عدم هذه المتصلة اذ حجب تلك الاحوال عن ابصارهم مستلزم لعدم فزعهم وجزعهم وهو في صورة اعتذار منهم نطق به لسان حالهم وقوله وقريب ما يطرح الحجاب ما مصدرية في موضع رفع بالابتداء وقريب خبره وهو اشارة الى الموت تخويف لذلك العذر وفي صورة التهديد لهم ان جعلوا ذلك الحجاب علة في التقصير عن العمل فانه عما قليل يرتفع الحجب الابدان عن احوال القيمة واهوال يوم الطامة وتكشط سماء اغطيتها من بصائر النفوس فتشاهد الجحيم قد سعرت والجنة قد ازلفت واذا السماء كشطت واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت وكما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد قوله ولقد بصرتم ان ابصرتم واسمعتم ان سمعتم وهديتم ان اهتديتم اشارة الى ما يشبه جوابا ثانيا عن صورة العذر الذي نطق لسان حالهم وهو وجود الحجاب المانع عن مشاهدة ما يوجب الجزع والفزع وذلك ان الحجاب ان كان قائما الان وساترا لتلك الامور عنكم فقد بصرتم بها واوضحت لكم بالعبر والامثال على السنة الرسل عليهم السلام واسمعتم اياها في الكتب الالهية والسنن النبوية وهديتم عليها بالادلة الواضحة والحجج القاطعة بحيث صارت كالمشاهدة لكم والمعلومة عيانا لا شك فيها فلا عذر اذن بالحجاب وتخصيص السمع والبصر بالذكر لانهما الالتان للتنبه عليهما مدار الاعتبار بامور الاخرة واشار بالهداية الى حظ العقل من غير نظر الى الزوائد بل ان ذكر الشرطية في المواضع الثلثة على انه يجد لتلك ابصارهم ما ابصروا به وسماعهم لما سمعوا واهتدائهم بما هدوا به وكل ذلك تنبيه لهم على الفراد على كرة العقلة وتنبيه على الفرار الى الله في طرق الاعتبار وقوله بحق اقول لقد جاهرتكم العبر وزجرتم بما فيه مزدجر لما قدم انهم بصروا واسمعوا اردف ذلك ببيان ما بصروا به واسمعوا الى ما بصروا به مجاهرة العبر بالمصائب النازلة بهم وبمن خلا قبلهم من القرون والى ما اسمعوا به بالزجر بما فيه مزدجر وهي النواهي المؤكدة المردفة بالوعيدات الهائلة والعقوبات الحاضرة التي في مثلها ازدجار لذوي الالباب كما قال تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر وقوله وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء الا البشر اشارة الى انه ليس في الامكان وراء ما جذبتم به الى الله تعالى على السنة رسله طريق اخرى تدعون بها اذ ما يمكن دعوتكم بمثل الوعد والوعيد والامثال والتذكير بالعبر اللاحقة لقوم حقت عليهم كلمة العذاب ونحو ذلك لا يمكن ايضاحه لكم مشاهدة الا على السنة الرسل البشرية عليهم السلام فلا يمكن ان يبلغ اليكم رسالات ربكم بعد رسل السماء التي هي الملائكة الا هم فينبغي ان يكون ذلك كافيا لكم في الالتفات الى الله **ومن خطبة له عليه السلام** فان الغاية امامكم وان وراءكم الساعة تحدوكم تخففوا تلحقوا فانما ينتظر باولكم اخركم قال السيد رضي الله عنه واقول ان هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله بكل كلام لمال به راجحا وبرز عليه سابقا فاما قوله تخففوا تلحقوا فما سمع كلام اقل منه مسموعا ولا اكثر محصولا وما ابعد مسموعها من كلمة وانقع نطفتها من حكمة وقد نبهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها وشرف جوهرها **اقول** لا شك ان هذه الكلمات اليسيرة قد جمعت وجازة الالفاظ وجزالة المعنى المشتمل على الموعظة الحسنة والحكمة البالغة وهي اربع كلمات **الاولى** ان الغاية امامكم واعلم انه لما كانت الغاية من وجود الخلق ان يكونوا عبادا لله كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وكان المقصود من العبادة انما هو الوصول الى جناب عزته والطيران في حظائر القدس بأجنحة الكمال مع الملائكة المقربين وكان ذلك هو غاية الانسان المطلوبة منه والمقصودة له والمامور بالتوجه اليها بوجهه الحقيقي فان سعى لها سعيها ادركها وفاز بحلول جنات النعيم وان قصر في طلبها وانحرف سواء الصراط الموصل اليها وقد علمت ان ابواب جهنم من جنبتي الصراط مفتحة كان فيها من الهاوين وكانت غايته فدخلها مع الداخلين فاذن ظهر ان غاية كل انسان امامه اليها يسير وبها يصير **الثانية** قوله وان وراءكم الساعة تحدوكم والمراد بالساعة القيمة الصغرى وهي ضرورة الموت فاما كونها قدامهم فلان الانسان لما كان بطبعه ينفر من الموت ويفر منه وكان العادة في الهارب من الشيء ان يكون ورائه مهروبا منه وكان الموت متأخرا عن وجود الانسان الاخير تاخرا محسوسا عقليا اشبه المهروب منه المتاخر اللاحق هربا وتاخرا محسوسا فلاجرم استعير لها لفظ الجهة المحسوسة وهي الوراء واما كونها تحدوهم فلان الحادي لما كان من شانه سوق الابل بالحداء وكان تذكر الموت وسماع نوادبه مقلقا ومزعجا للنفوس الى الاستعداد للامور الاخرة والاهبة للقاء الله سبحانه فهو يحملها على قطع عقبات طريق الاخرة كما يحمل الحادي الابل على قطع الطريق البعيدة الوعرة فلاجرم اشبه الحادي فاسند الحداء اليه **الثالثة** قوله تخففوا تلحقوا ولما نبههم بكون الغاية امامهم وان الساعة تحدوهم في سفر واجب كان السابق الى الغاية من ذلك السفر هو الفائز برضوان الله وقد علمت ان التخفيف وقطع العلائق في الاسفار سبب للسبق والفوز بلحوق السابقين لا جرم امرهم بالتخفيف لغاية اللحوق في كلمتين فالاولى منهما قوله تخففوا وكنى بهذا الامر عن الزهد الحقيقي الذي هو اقوى اسباب السلوك الى الله سبحانه وهو عبارة عن حذف كل شاغل على التوجه الى القبلة الحقيقية والاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها بل كل ما سوى الحق الاول عن سنن الايثار فان ذلك تخفيف لاثقال الاوزار المانعة عن الصعود في درجات الابرار والموجب لحلول دار البوار وهي كناية باللفظ المستعار وهذا الامر في معنى الشرط والثانية قوله

تلحقوا وهو جزاء الشرط اي ان تخففوا تلحقوا والمراد به رجال السابقين الذين هم اولياء الله والواصلون الى ساحل عزته وملا نفرهذه الشرطية قد علمت
بيانها فان الجود الالهي لا بخل فيه ولا نقص من جهته والزهد الحقيقي اقوى اسباب السلوك الى الله كما سبق واذا استعدت النفس بالاعراض عما
سوى الحق سبحانه وتوجهت الى ستشرافي انوار كبريائه فلا بد ان يفاض عليها ما تقبله من الصورة التمامية فيلحق بدرجة السابقين
ويتصل بساحل العزة في مقام امين قوله فانما ينتظر باولكم اخركم اي انما ينتظر بالبعث لاكبر ولقيمة الكبرى للذين ماتوا اولا
لفقدا سنعا لفظ النطف وهو الماء الصافي للحكمة وبالله التوفيق والعصمة ومن خطبة له عليه السلم الا وان الشيطان قد ذمر حزبه
واستجلب جلبه ليعود الجور الى اوطانه ويرجع الباطل الى نصابه والله ما انكروا على منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وانهم ليطلبون
حقا تركوه ودما هم سفكوه فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه وان كانوا ولوه دوني فما التبعة الا قبلهم وان اعظم
حجتهم لعلى انفسهم يرضعون اما قد فطمت ويحيون بدعة قد اميتت يا خيبة الداعي من دعا والى ما اجيب واني لراض بحجة
الله عليهم وعلمه فان ابوا اعطيتهم حد السيف وكفى به شافيا من الباطل وناصرا للحق ومن العجب بعثهم الي ان ابرز للطعان
وان اصبر للجلاد هبلتهم الهبول لقد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب واني لعلى يقين من ربي وغير شبهة من ديني

[illegible]

[illegible]

وان اصبر للجلاد بتعجب من تهدده لهم له بذلك مع علمهم بحاله في الشجاعة والحرب والصبر على المكاره وهو محل الاستهزاء والتعجب منهم وقوله هبلتهم الهبول اي ثكلتهم الثواكل وهي من الكلمات التي تدعو بها العرب وقوله لقد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب اي من حيث ما كنت كذلك وقوله واني لعلى يقين من ربي وفي غير شبهة من امري تاكيد لقوته على الحرب اقدامه على الجلاد وجذب
القلوب السامعين الى الثقة بانهم على بينة من الله وبصيرة في متابعته على القتال
والحرب فان الموقن بانه على الحق ناصر لله ذاب عن دينه غار عن غبار الشبهة
الباطلة في وجه يقينه يكون اشد صبرا واقوى جلدا واثبت في
المكاره ممن لا يكون كذلك ويقدم على القتال لشبهة عطفت
على عين بصيرته او هوى لزخرف الدنيا وباطلها
قاده الى ذلك وبالله التوفيق هذا اخر
الجلد الاول ويتلوه اول الجلد الثاني
من هذا الكتاب

وبه نستعين

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن خطبة له عليه السلام اما بعد فان الامر ينزل من السماء الى الارض كقطر المطر الى كل نفس بما قسم لها من زيادة او نقصان فاذا راى احدكم لاخيه غفيرة في اهل ومال او نفس فلا تكونن له فتنة فان المرء المسلم ما لم يغش دناءة تظهر فيخشع لها اذا ذكرت ويغرى بها لئام الناس كان كالفالج الياسر الذي ينتظر اول فوزة من قداحه توجب له المغنم ويرفع عنه بها المغرم وكذلك المسلم البرئ من الخيانة ينتظر احدى الحسنيين اما داعي الله فما عند الله خير له واما رزق الله فاذا هو ذو اهل ومال ومعه دينه وحسبه ان المال والبنين حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الاخرة وقد يجمعهما الله لاقوام فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه واخشوه خشية ليست بتعذير واعملوا في غير رياء ولا سمعة فانه من يعمل لغير الله يكله الله الى من عمل له نسال الله منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة الانبياء ايها الناس انه لا يستغني الرجل وان كان ذا مال عن عشيرته ودفاعهم عنه بايديهم والسنتهم وهم اعظم الناس حيطة من ورائه والمهم لشعثه واعطفهم عليه عند نازلة ان نزلت به ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه غيره **اقول** الغفيرة الكثرة والزيادة وروى عفوة بكسر العين وعفوة كل شئ صفوته وغرى يغرى بالامر اذا ولع به واغرى به غيره اذا احثه له الدخول فيه و الفالج القاهر والياسر اللاعب بالميسر وسنذكر كيفيته والقداح سهام الميسر التي يلعب بها والتعذير اظهار العذر ممن لا عذر له في الحقيقة وعشيرة الرجل قبيلته والمعاشرون له والحيطة بالكسر الحفظ والرعاية واللم الجمع والشعث تفرق الامر وانتشاره واعلم ان مدار هذا الفصل على تاديب الفقراء بترك الحسد ونحوه وعلى تاديب الاغنياء بالشفقة على الفقراء ومواساتهم بالفضل من المال ونرصد جمله ثانيا فقوله اما بعد فان الامر ينزل الى قوله او نقصان صدر الخطبة اورده ليبني عليه غرضه وحاصله الاشارة الى ان كل ما يحدث من زيادة او نقصان ويتجدد فيما يكون به صلاح حال الخلق في معاشهم ومعادهم من صحة او مال وعلم او جاه او اهل فانه صادر عن القسمة الربانية المكتوبة بقلم القضاء الالهي في اللوح المحفوظ الذي هو خزانة كل شئ والمراد بالامر حكم القدرة الالهية على الممكنات بالوجود وهو المعبر عنه بقوله تعالى انما امرنا لشئ اذا اردناه الاية ونزوله نسبة حصوله الى كل نفس بما قسم لها و هي النسبة المسماة بالقدر في قوله تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم والمراد بالسماء سماء الجود الالهي وبالارض عالم الكون والفساد على سبيل استعارة هذين اللفظين المعينين المعقولين من المحسوسين ووجه الاستعارة في الموضعين مشاركة المعنيين المذكورين للسماء والارض في معنى العلو والاستفال كل بالنسبة الى الاخر وانما لم تكن الحقيقة مرادة لان الامر الالهي ليس له جهة هي مبدأ نزوله والا لكان الامر في جهة تعالى الله عن ذلك ويحتمل ان يريد حقيقة السماء والارض على معنى ان الحركات

الفلكية لما كانت شرائط معدة يصدر بواسطتها ما يحدث في الارض كانت السماء مبادئ في بعض الوجوه لنزول الامر واما تشبيهه بقطر المطر فوجه التشبيه ان حصول الرزق والاهل ونحوها لكل نفس مقسوما منها مختلف بالزيادة والنقصان كما ان قطر المطر بالقياس الى كل واحدة من البقاع كذلك وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس وقوله فاذا راى احدكم لاخيه المسلم غفيرة في اهل او مال او نفس فلا تكونن له فتنة شروع في تاديب من حصل في حقه النقصان في احد الامور المذكورة بالنهي لهم عن الافتتان بحال من حصلت له الزيادة والمقاسمة في احد ما من المال والاهل والنفس قال بعض الشارحين اراد بالنهي عن الفتنة ههنا النهي عن الحسد والتحقيق ان يقال ان الفتنة هي الضلال عن الحق بمحبة امر ما من الامور الباطلة والاشتغال به عما هو الواجب من سلوك سبيل الله ولما كان الفقراء من احد الامور المذكورة بالنسبة الى من عرضت له الزيادة في احدها منهم من يتوهم في نفسه لتلك الزيادة فيرى انه احق بها ممن عرضت له فيريد له ان يحسده او يرى انه يستحق مثلها فيعرض له ان يغبطه ومنهم من يقصر نفسه عن ذلك لكن يميل بطبعه الى خدمة من له تلك الزيادة وينجذب بكليته الى موالاته ككثير من الفقراء الذين يميلون بطباعهم الى خدمة الاغنياء ويخلصون لهم لا لامر سوى ما حصلوا عليه من مال او جاه او نحو ذلك ولعل تلك الغاية يتوهمها توهم الانتفاع بهم بما حصلوا عليه وكانت هذه الامور ونحوها اعني الحسد والغبطة والميل اليهم لاجل ما حصلوا عليه من الزيادة في احد الامور المذكورة رذائل اخلاق مشغلة عن التوجه الى الله ومقبلة عن سواء السبيل كان المنهي عنه في الحقيقة هو الضلال باحد الرذائل المذكورة وهو المراد بلفظ الفتنة ههنا وقوله فان المرء المسلم الى قوله سعة دينه **اقول** اعراب هذا الفصل ان ما ههنا بمعنى المدة وكالفالج خبر ان فتظهر صفة لدناءة وقوله فيخشع ان حملنا الخشوع على المعنى اللغوي وهو غض الطرف مثلا والتطامن كان عطفا على تظهر وان حملنا على المعنى العرفي وهو الخضوع لله والخشية منه فالفاء للابتداء والياسر صفة للفالج واذا للمفاجاة اذا عرفت ذلك فاعلم انه لما نهى عن الفتنة باحد الامور المذكورة والشغل بها اراد ان ينبه على فضيلة الانتهاء عنها وانبه على كونه دناءة بقوله ما لم يغش دناءة ثم عقب بالتنفير عن الدناءة والترغيب في التنزه عنها بما ذكره ومعناه ان المسلم مهما لم يرتكب امرا خسيسا يظهر عنه فيكسب نفسه خلقا رديا ويلزمه بارتكابه الخجل من ذكره بين الخلق اذا ذكر والحياء من التعيير به ويغري به لئام الناس وعوامهم في فعل مثله وقيل في هتك ستره فانه يشبه الفالج الياسر هذا ان حملنا الخشوع على معناه اللغوي وان حملناه على المعنى العرفي الشرعي كان المراد انه ما لم يغش دناءة فيخشع لها اي يخشع لله ويخضع له عند ذكرها ويتضرع اليه هربا من الوقوع في مثلها وخوفا من وعيده على المعاصي يكون كالفالج فلنشر اولا الى كيفية اللعب المسمى بالميسر ثم نبين وجه التشبيه فنقول ان الخشبات المسماة قداحا هي التي كانت لايسار العرب وهي سبعة واولها الفذ بالذال المعجمة وفيه فرض واحد ثانيها التوام وفيه فرضان وثالثها الرقيب بالضاد المعجمة وفيه ثلثة فروض ورابعها الحلس بكسر الحاء ونقل احمد بن فارس في المجمل الحلس بفتح الحاء وكسر اللام وفيه اربعة فروض وخامسها النافس وفيه خمسة فروض وسادسها المسبل وهي ستة فروض وسابعها المعلى وله سبعة فروض وليس بعده قدح فيه شئ من الفروض الا انهم يدخلون مع هذه السبعة ثلثة اخرى تسمى اوغادا لا فروض فيها وانما تثقل بها القداح واسماؤها المصدر ثم المضعف ثم المنيح ثم السفيح فاذا اجتمع الايسار الحي اخذ كل منهم قدحا وكتب عليه اسمه او علم بعلامة ثم اتوا بجزور فنحرها صاحبها ويقسمها عشرة اجزاء على الوركين والفخذين والعجز والكاهل والزور والملحاء والكتفين ثم يعمد الى الطفاطف وخرز الرقبة فيقسمها على تلك الاجزاء بالسوية فاذا استوت وبقي منها عظم او بضعة لحم انتظر بها الجازر من اراده ممن يفوز قدحه فان اخذه عيّر به والا فهو للجازر ثم يؤتى برجل معروف انه لم ياكل لحما قط بثمن الا ان يصيبه عند غيره ويسمى الحرضة فيجعل على يده ثوب ويعصب رؤوس اصابعه بعصابة كيلا يجد مس القروض ثم يدفع اليه القداح ويقوم خلفه رجل يقال له الرقيب فيدفع اليه قدحا قدحا منها من غير ان ينظر اليها فمن خرج قدحه اخذ من اجزاء الجزور بعدد الفروض التي في قدحه ومن لم يخرج قدحه حتى استوفيت اجزاء الجزور غرم بعدد فروض قدحه كاجزاء ثلث الجزور ومن جزور اخرى لصاحب الجزور الذي نحرها فان اتفق ان خرج المعلى اولا اخذ صاحبه سبعة اجزاء من الجزور ثم خرج المسبل فلم يجد صاحبه الا ثلثة اجزاء اخذها وغرم لمن لم يربح ثلثة اجزاء من جزور اخرى واما القداح الاربعة الاوغاد فليس في خروج احدها غنم ولا في عدم خروجه غرم والمنقول عن الايسار انهم كانوا يجرمون ذلك اللحم على انفسهم ويعدونه للضيافة اذا عرفت ذلك فاعلم ان وجه الشبه هو ما ذكره وذلك ان الفائز الياسر الذي ينتظر فيه اول فوزة من قداحه وجب له فوزه المغنم ونفي عنه المغرم فكذلك المسلم البرئ من الخيانة الضابط لنفسه عن ارتكاب مناهي الله لما كان لا بد له في انتظاره لرحمة الله وصبره عن معصيته ان يفوز باحدى الحسنيين وهو هي اما ان يدعوه الله اليه بالقبض عن الشقاء في هذه الدار فما عند الله مما اعده لاوليائه الابرار خير له فيفوز اذن بالنعيم المقيم ولما كان فوزه مستلزما لعدم خسرانه ظهر حسن تشبيهه بالياسر الفالج في فوزه المستلزم لعدم غرمه ويحتمل ان يريد بداعي الله لا الموت بل الجواذب الالهية والخواطر الربانية التي تنجذب بها الى طرف الزهد الحقيقي والالتفات عن خسائس هذه الدار الى ما وعد به المتقون واما ان ينفع الله عليه

بواب مرزقه مصبح وقد جمع الله له بين المال والبنين مع حفظ الحسنات التي بها يفوز الفوز العظيم ويأمن العقاب الاليم فالتنبيه انهم فيهما وانهم
ى فعر وكان او [illegible] بين افضل عند العاقل من الفتنة بالغير والالتفات عن الله تعالى وتدنيس لوح النفس برذايل الاخلاق من الحسد ونحوه وكان
ان الفضل مستلزم للنهي عن الحسد ونحوه من الفتن المضلة كما هو مستلزم للامر بالصبر على بلاء الله وانتظار رحمته **قوله** ان المال والبنين
حرث الدنيا الى قوله لاقوام **اقول** لما بين فيما سبق من التشبيه وغيره ان تارك الرذايل المذكورة ونحوها المنتظر للحسنى من الله فائز وردف
ذلك بمزيد التنبيه على تحقير المقتضيات التي ينشأ من التنافس فيها الرذايل المذكورة فذكر اعظمها واهمها عند الناس وهو المال والبنون
فانهما اعظم الاسباب الموجبة لصلاح الحال في الحيوة الدنيا واشرف القنيات الحاضرة كما قال تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا ونبه
على تحقيرهما بالنسبة الى العمل بكونهما من حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الاخرة والمقدمة الاولى من هذا الاحتجاج صغرى ضمير تقدير
كبراه وحرث الدنيا حقير عند حرث الاخرة فينتج ان المال والبنين حقيران بالنسبة الى حرث الاخرة وقد ثبت في المقدمة الثانية ان
حرث الاخرة هو العمل الصالح فاذن المال والبنون حقيران بالنسبة الى العمل الصالح اما المقدمة الاولى فظاهرة اذ لا حصول للمال
والبنين بغير الدنيا واما بيان الثانية فمن وجهين احدهما قوله تعالى وما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل وظاهر انه لا يريد قلة
الكمية بل المراد حقارته بالنسبة الى متاع الاخرة ولذتها الثاني ان حرث الدنيا من الامور الفانية وحرث الاخرة من الامور الثابتة
الموجبة للسعادة الابدية والفانيات الطالحات ظاهرة الحقارة بالنسبة الى الباقيات الصالحات كما قال تعالى والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا وخير املا ثم نبه السامعين بقوله وقد يجمعهما الله لاقوام على وجوب الالتفات الى الله تعالى والتوكل عليه وذلك
ان الجمع بين حرث الدنيا والاخرة لما كان في طباع كل عاقل يطلب طلب تحصيله وكان حصوله انما هو من الله دون غيره لمن يشاء من
عباده ذكر ذلك ليرغب الطالبون للسعادة الى جهة تحصيلها وهو التقرب الى الله بوجوه الوسايل والاعراض عما لا يحب طالبا لا
من الحسد ونحوه ثم اكد ذلك الجذب بالتحذير بقوله فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه والامر بالخشية الصادقة البرية من التعذير المستلزمة لترك
مبادمه [illegible] ومحل وده المجاذب الى الزهد الحقيقي ثم اردف ذلك بالامر بالعمل لله البري من الرياء والسمعة وهو اشارة الى العبادة الخالصة
المستلزمة لتطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة وقد ثبت في علم السلوك الى الله تعالى ان الزهد والعبادة كيف يوصلان
الى السعادة التامة الابدية وقوله فانه من يعمل لغير الله يكله الله الى من عمل له تعليل لوجوب ترك الرياء والسمعة في العمل فان العامل للرياء والمتسمع
قاصدا ان يراه الناس ويسمعوا بحاله ليعود له منهم ما يتوقعه من مال او جاه ونحوه من الاعراض الباطلة والاعراض الزايلة وقد علمت
ان التفات النفس الى شيء من ذلك شاغل لها عن تلقي رحمة الله والاستعداد لها محجوبة عن قبول فضله ولما كان هو مسبب الاسباب ومنتهى
سلسلة الممكنات لا جرم اكدت المطالب من غيره فجرى منه التهديد بالوكول الى من سواه من عمل له العاملون لاستلزامه الخيبة والحرمان
وخسر العاملون الا له وخاب المتوكلون الا عليه وقد سبق منا بيان معنى كون العامل لغير الله موكولا الى نفسه والى من عمل له في الفصل الذي
ذم فيه من تصدى للحكم بين الامة وليس من اهله **قوله** فنسأل الله منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة الانبياء لما كانت همته
مقصورة على طلب السعادة الاخروية طلب هذه المراتب الثلث وفي ذلك جذب للسامعين الى الاقتداء به في طلبها والعمل لها وبدأ عليه السلام
بطلب سهل المراتب الثلث للانسان وختم باعظمها فان من حكم له بالشهادة غايته ان يكون سعيدا والسعيد غايته ان يكون في
زمرة الانبياء فيما لهم وهذا هو الترتيب اللايق من المؤدب الحاذق فان المرتبة العالية لا تنال الا بعد نيل ما هو ادون منها **قوله**
ايها الناس انه لا يستغني الرجل الى قوله [illegible] **اقول** لما اشار الى تاديب الفقراء عن التعرض للاغنياء بما يوجب لهم ملكات السوء من الحسد ونحوه ردف
ذلك بتاديب الاغنياء واستدراجهم بحق الفقراء ذوي الارحام واهل القبيلة ونحوهم من الاصحاب بالامر بالمواساة في المال و
المؤنة لهم لينتظم شمل المصلحة من الطرفين فاستدرجهم بامرين احدهما بيان انهم لا يستغنون عنهم وان كانوا اصحاب ثروة فان الرجل
لا يستغني بماله عن اعوان له يذبون عنه بايديهم صولة صايل ويدفعون عنه بالسنتهم مسبة قايل ومن المعلوم ان اشد الناس حاجة بل
الى الاعوان والاصحاب والمعاضدين هم اكثر الناس ثروة وانظر الى الملوك والمتشبهين بهم من ارباب الاموال واحق الناس بعدم الاستغنا
عنهم عشيرة الرجل واصحابه فانهم اعظم الناس شفقة عليه واشدهم دفاعا عنه وحفظا لجانبه والمهم للشعث اي اشدهم جمعا للمتفرق من
حاله واعطفهم عليه ان نزلت به نازلة من فقر ونحوه وذلك لقربهم منه وانبعاث الدواعي للشفقة عليه الثاني التنبيه بذكر فائدة
انفاق المال وجمعه وتفضيل احدهما على الاخر وذلك قوله ولسان الصدق يجعله الله للمرء الى اخره فلسان الصدق هو الذكر الجميل بين الناس
وهو من غايات البذل والانفاق وغاية جمع المال هي توريثه للغير واما افضلية البذل على الجمع فظاهرة من تصور ما بين الغايتين
وانما رغب في البذل بما يستلزمه من غاية الذكر الجميل بين الناس وان لم يكن مقصوده من الحث على البذل الا مصلحة الفقراء و
سد خلتهم وتاديب الاغنياء وتعويدهم بالبذل والنزول عن محبة المال لان توقع الذكر الجميل من الناس ادعى الى البذل اذ هو
ميلا الى النفوس من الغايات التي يقصدها وذلك من الاستدراجات الحسنة حتى اذا انفتح باب البذل وتمرنت النفوس عليه

وحيث ان اولى المقاصد التي يصرف فيها المال هي المقاصد التي يقصدها الشارع ويحث عليها وهي سد خلة الفقراء التي ينتظم بها شمل
المصلحة وتجد الناس بعضهم ببعض خصوصا العشيرة فانه من الواجبات في السيرة العادلة التي بها صلاح حال الانسان في الدارين انه لما كان
لا غنى له عن عشيرته واصحابه وكان اكرامهم ومواساتهم بالمال هو الذي يؤكد الانتفاع بهم ويستحقونه في مقابلة حفظهم لجانبه وحياطتهم
له فبالحري ان يجب مواساتهم واكرامهم بما ينتظم احوالهم من فضل المال وكفى بذكر غاية جمع المال وهي توريثه الغير المستلزمة لذكرها ذم
اللذات باعثا على بذل المال والنزول عن محبته وجمعه لمن لم يعتبر بصيرته عاقبة امره وبالله التوفيق **منها** الا لا يعدلن احدكم
عن القرابة يرى بها الخصاصة ان يسدها بالذي لا يزيده ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه ومن يقبض يده عن عشيرته فانما يقبض منه عنهم
يد واحدة ويقبض منهم عنه ايدي كثيرة ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة قال السيد ما احسن هذا المعنى فان الممسك خيره عن
عشيرته انما يمسك نفع يد واحدة فاذا احتاج الى نصرتهم واضطر الى مرافدتهم قعدوا عن نصره وتثاقلوا عن صوته فمنع ترافد الايدي
الكثيرة وتناهض الاقدام الجمة **اقول** العدول الانحراف والخصاصة الفقر والحاجة وحاشية الرجل جانبه وحاشيته ثم اهله واتباعه
الذين هم حشوتيه وقوله يرى في موضع النصب على الحال وان يسدها في موضع الجر بدلا من القرابة واعلم ان المقصد بهذا الفصل هو ما
ذكرناه قبله ولو وصلناه به لصلح تتمة له وحاصله الى قوله ايدي كثيرة النهي عن العدول عن سد خلة الاقرباء واولي الارحام ذوي
الحاجة بالفضل من المال وعرفه في غير وجه من المصارف النعم المرضية لله سبحانه وكنى بالسد الذي هو حقيقة في منع جسم لجسم
عن المنع المعقول وهو منع الاختلال الواقع في حال الانسان كناية بالاستعارة وقوله لا يزيده ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه على ظاهره
اشكال فانه يحتمل ان يقال كل جزء من المال فان بقاءه زيادة فيه وعدمه نقصان منه وجوابه من وجهين احدهما ان يقال انه لم يرد
ههنا مطلق الزيادة والنقصان في المال والنسبة الى المال فان العقلاء مصوبين في زيادته وينقصه غايته الى الشخص المعتبر عند احدكم
المامور بالانفاق وانما اراد الزيادة والنقصان فيه اللذين لا يعتبر تاثيرهما في صلاح حال الانسان وعدم صلاحه فان الفضل الزائد
في مال الانسان على القدر الذي يدفع ضرورته بحسب الشريعة ليس زيادته معتبرة في صلاح حاله ولا نقصانه معتبرا في فساد حاله فلا يزيده اذن
ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه وهذا كما يقول الانسان لمن يريد ان يسهل عليه امرا حقيرا يستدعي طلبه ان هذا الامر لا يضرك ان تركته
ولا ينفعك ان اخذته اي بالنسبة الى صلاح حالك الثاني انه يحتمل ان يريد الزيادة والنقصان في الثواب والاجر في الاجل والثناء
والذكر في العاجل اي لا يزيده صلاح حال عند الله وعند الناس بل يكون سببا لفساد حاله اما عند الله فلان امساك الفضل من
عمن له اليه ضرورة من عباد الله سبب للشقاء العظيم والعذاب الاليم في الاخرة لقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم الاية واما عند الناس فعليك بمطالعة ما قالوا في ذم البخل والبخلاء وكذلك لا ينقصه اي لا ينقص
من صلاح حاله اما عند الله فلما وعد به اهل الانفاق في سبيله من الاجر الجميل والثواب الجزيل كقوله تعالى الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى الاية ونحوها واما عند الناس فلما اتفقوا عليه من مدح اهل الكرم والسخاء وملأوا به الصحف
من الثناء والترغيب فاما قوله ومن يقبض يده عن عشيرته الى اخره فمعناه ما ذكره السيد الرضي وهو ان الممسك خيره عن عشيرته انما
يمسك عنهم نفع يد واحدة فاذا احتاج الى نصرتهم قعدوا عن نصرته وتثاقلوا عنه فمنع نفسه الايدي الكثيرة الا ان هذا البيان يحتاج
الى تقرير وهو ان الانسان لما كان انتفاعه بالايدي الكثيرة اتم واولى بصلاح حاله واكثر من النفع الحاصل له بقبض يده عن النفع بها
وجب عليه ان يستجلب بمد يده بالنفع مد الايدي الكثيرة الى نفعه والا كان بسبب طلبه لنفع ما من امساك يده الواحدة عنهم المستلزم
لامساك ايديهم الكثيرة عنه مضيعا على نفسه منافع عظيمة فيكون بحسب قصده لنفع ما مضيعا لما هو اعظم منه فيكون مناقضا
لغرضه وذلك جهل وسفه وقوله ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة من تمام تاديب الاغنيا بما يعود عليهم منافعه وينتظم
به شمل المصلحة في العالم من التواضع ولين الجانب للخلق فاستدرجهم الى التواضع بذكر ثمرته اللازمة عنه التي هي مطلوبة لكل عاقل وهي
استدامة مودة الناس المستلزمة لنفعهم ولعدم ضررهم المستلزمين لصلاح حال المتواضع فيما يقصده ويفضله وبمثل ذلك ادب الله
نبيه صلى الله عليه وآله حيث قال واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقد عرفت ان ثمرة ذلك اجتلاب الالفة والمحبة منهم عند سكونهم
اليه ليجتمعوا على قبول اقواله وظاهر ان شيئا من ذلك لا يحصل عند جفاوة الخلق والتكبر كما قال الله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب
لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر وان حمل لفظ الحاشية على الاتباع والخدم كان ذلك تاديبا
لهم بالتواضع من جهة اخرى وذلك ان حاشية الرجل خاصته هم حرسة عرضه وميزان عقله وعليهم يدور تدبير صلاح حاله
فحسن ادبهم وغلظتهم ولينهم وتواضعهم للناس يكون قرب الناس وبعدهم منه وبغضهم ومحبتهم له وانسهم ونفارهم عنه وقال
بعض الحكماء ان سبيل الخدم والقوام من الانسان سبيل الجوارح من الجسد فحاجب الرجل وجهه وكاتبه قلبه ورسوله لسانه
وخادمه يده ورجله وعيناه لانه من كفاه تعاطي كل واحد من الافعال المحتاج اليها فقد قام مقامه فيها وكان كالعضو اللازم من

العقلاء بترك اصلاح افعاله الصادرة عن احد جوارحه كل يحفظه الذم منهم على ترك اصلاح من يقوم مقامه في تلك الافعال ابو لسانه
اياها وكما يستديم مودة اخوانه ويستجلب مودة الناس بتواضعه بنفسه ولين جانبه لهم كذلك يستديم بهما شاد سبحانه شيئته وحمد
بالاداب المتفق على حسنها بين الناس مما هما وانفعها في ذلك لين الجانب وترك الكبر اشفرقان اوهام الخلق حاكمة بتستر كثير
خير وشر يجري من حاشية الرجل اليه ... ذي هذه الحكم اكثرها وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم**
ولعمري ما علي من قتال من خالف الحق وخابط الغي من ادهان ولا ايهان فاتقوا الله عباد الله وفروا الى الله من الله وامضوا
في الذي نهجه لكم وقوموا بما عصبه بكم فعلي ضامن لفلجكم آجلا ان لم تمنحوه عاجلا **اقول** الادهان والمداهنة المصانعة والايهان
مصدر اوهنه اي اضعفه وخابط الغي بلفظ المفاعلة تخبط كل منهما في الاخر وقد مر ان الخبط هو المشي على غير استقامة والغي
الجهل ونهجه اي اوضحه وعصبه بكم اي علقه بكم وربطه والفلج الفوز والمنحة العطية وفي هذا الفصل رد لقول من قال ان
مناعيه ع المحاربة ... لهم ومداهنتهم او لحسن محاربتهم فرد ذلك بقوله لعمري ما علي في قتاله ولا ايهان اي ليس مصانعتهم
بواجبة علي من طريق المصلحة الدينية ولا بسوا بمضعفين لي ولا علي في قتالهم عجز وفي ذكره عليه السلم لهم بصفة مخالفة الحق ومخابطة
الغي والبغي تنبيه للسامعين واستدراج لهم لقيام عذره في قتالهم اذ كانت مقاتلة من هذه صفته واجبة فلا يمكن انكار وقوعها
منه ثم اردف ذلك باوامر **اولها** الامر بتقوى الله وقد علمت ان تقوى الله هي خشيته المستلزمة للاعراض عن كل ما ينبغي المبعد عنه
وهو الزهد الحقيقي كما سبقت الاشارة اليه **الثاني** الامر بالفرار الى الله وهو امر بالاقبال على الله وتوجيه النفس الى كعبة وجوب
وجوده واعلم ان فرار العبد الى الله تعم على مراتب **فاولها** الفرار عن بعض اثاره الى بعض كا... من اثر غضبه الى اثر رحمته كما قال
تعم حكاية عن المؤمنين في التضرع اليه ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا الاية فكانهم لم يروا الا الله
وافعاله ففروا الى الله من بعضها الى بعض **الثانية** ان يفنى العبد عن مشاهدة الافعال ويترقى في درجات القرب والمعرفة
الى مصادر الافعال وهي الصفات فيفر من بعضها الى بعض كما ورد عن زين العابدين عليه السلم اللهم اجعلني اسوة من قد انهضته بتجاوزك
من مصارع الموبقين المجرمين ناصح طليق عفوك من اسر سخطك والعفو والسخط صفتان فاستعاذ باحدهما من الاخرى **الثالثة** ان يترقى
عن مقام الصفات الى ملاحظة الذات فيفر منها اليها كقوله تعم لا ملجأ من الله الا اليه وكما ورد في الدعاء في القيام الى الصلوة منك
وبك ولك واليك اي منك بدء الوجود وبك قيامه ولك ملكه واليك رجوعه ثم اكد ذلك بقوله لا ملجأ ولا منجا ولا مفر منك الا
اليك وقد جمع الرسول صلى الله عليه واله هذه المراتب حين امر بالقرب في قوله تعم واسجد واقترب فقال في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك وهو كلام
عن مشاهدة فعل الله فاستعاذ ببعض افعاله من بعض والعفو كما يراد به صفة العافي كذلك قد يراد به الاثر الحاصل عن صفة العفو
في المعفو عنه كالخلق والصنع كانه اقترب ففني عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادرها وهي الصفات فقال واعوذ برضاك من سخطك
وهما صفتان ثم لما راى ذلك نقصانا في التوحيد اقترب وترقى عن مقام مشاهدة الصفات الى ملاحظة الذات فقال واعوذ بك
منك وهذا فرار اليه منه مع قطع النظر عن الافعال والصفات وهو اول مقام الوصول الى ساحل العزة ثم للسياحة في لجة الوصول
درجات اخر لا تتناهى ولذلك لما ازداد صلى الله عليه واله قربا قال لا احصي ثناء عليك فكان ذلك حذفا لنفسه عن درجة الاعتبار في
ذلك المقام واعترافا منه بالعجز عن الاحاطة بما له من صفات الجلال ونعوت الكمال وكان قوله بعد ذلك انت كما اثنيت على نفسك كمالا
للاخلاص وتجريدا ... ن المطلق الكبير هو هو عن ان يلحقه حكم لغيره وهمي او عقلي اذا عرفت ذلك ظهر ان مقصوده بقوله وفروا الى
الله من الله امر بالترقي الى المرتبة الثالثة من المراتب المذكورة **الثالث** الامر بالمضي فيما نهجه لهم من السبيل الواضح العدل الذي هو واسطة
بين طرفي الافراط والتفريط والصراط المستقيم المدلول عليه بالاوامر الشرعية وقد علمت ان الغرض من سلوك هذا السبيل وامتثال
التكاليف الزام الانسان بها وعصبت به انما هو تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة بحيث تصير مؤتمرة لها ومتصرفة
تحت حكمها العقلي منقادة لها عن الانهماك في ميولها الطبيعية ولذلك انها الفاتحة وح نعلم ان هذه الاوامر الثلثة هي التي عليها مدار
الرياضة والسلوك الى الله تعم فالامر الاول والثالث امر بما هو معين على حذف الموانع عن الالتفات الى الله تعم وعلى تطويع النفس الامارة
والامر الثاني امر بتوجيه السر الى الله وقد تبين فيما مر ان هذه الامور الثلثة هي الاغراض التي يتوجه نحوها الرياضة المستلزمة لكمال
الاستعداد المستلزم للوصول التام ولذلك قال ع فعلي ضامن لفلجكم آجلا ان لم تمنحوه عاجلا اي اذا قمتم بواجب ما امرتكم به من هذه
الاوامر كان ذلك مستلزما للفوز في دار القرار بجنات تجري من تحتها الانهار التي هي الغايات الحقيقية ولمثلها يعمل العاملون وفيها
يتنافس المتنافسون ان لم يتم تاهلكم للفوز في الدار العاجلة تمنحونه فيها وقد يتم الفوز بالسعادتين العاجلة والاجلة لمن وفقه بالقيام
بهما وكمل استعداده لذلك في علم الله وقد كان حصول السعادة والفوز عن لزوم الاوامر المذكورة امرا واجبا واضح الوجوب في علمه ع لا جرم كان
ضامنا له فان قلت فما وجه اتصال هذه الاوامر بصدر الفصل قلت لما كان مقتضى صدر الفصل الحق وتخيله ولا ايهان هو الاعتذار الى

السامعين

[Margin: اجاوان — [illegible] — يعني المخلوق بمعنى المصنوع]

ح ٩

السامعين في قتال المخالفين للحق وكان مفهوم ذلك هو الحث على جهادهم والتنفير عام عليه من الطريق الجائر كان ذلك تعقيب ذلك بذكر
الطريق الواضح المامور بسلوكه ولزوم حدوده فيه هو اللائق الواجب وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** وقد
تواترت عليه الاخبار باستيلاء اصحاب معوية على البلاد وقدم عليه عاملاه على اليمن وهما عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران
لما غلب عليهما بسر بن ارطاة فقام الى المنبر ضجرا بتثاقل اصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له في الراي فقال ما هي الا الكوفة اقبضها وابسطها
ان لم تكوني الا انت تهب اعاصيرك فقبحك الله ثم تمثل لعمر ابيك الخير يا عمرو انني على وضر من ذا الاناء قليل انبئت
بسرا قد اطلع اليمن واني والله لاظن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم وبمعصيتكم
امامكم في الحق وطاعتهم امامهم في الباطل وباداتهم الامانة الى صاحبهم وخيانتكم وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم
فلو ائتمنت احدكم على قعب لخشيت ان يذهب بعلاقته اللهم اني قد مللتهم وملوني وسئمتهم وسئموني فابدلني بهم
خيرا منهم وابدلهم بي شرا مني اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء اما والله لوددت ان لي بكم الف فارس من بني
فراس بن غنم هنالك لو دعوت اتاك منهم فوارس مثل ارمية الحميم ثم نزل قال السيد رض الارمية جمع رمي وهو السحاب
والحميم وقت الصيف وانما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لانه اشد جفولا واسرع خفوفا لانه لا ماء فيه وانما يكون السحاب
ثقيلا لامتلائه بالماء وذلك لا يكون في الاكثر الا في الشتاء وانما اراد الشاعر وصفهم بالسرعة اذا دعوا والاغاثة اذا استغيثوا
اقول السبب ان قوما بصنعاء كانوا من شيعة عثمن يعظمون قتله فبايعوا عليا ع على دغل فلما اختلف الناس عليه بالعراق وكان
العامل له يومئذ على صنعاء عبيد الله بن العباس وعلى الجند بها سعيد بن نمران ثم قتل محمد بن ابي بكر بمصر وكثرت غارات اهل الشام
تكلم هؤلاء ودعوا الى الطلب بدم عثمن فانكر عليهم عبيد الله بن العباس فتظاهروا بمنابذة علي ع فحبسهم فكتبوا الى اصحابهم الجند فعزلوا
سعيد بن نمران عنهم واظهروا امرهم فانضم اليهم خلق كثير اراده منع الصدقة فكتب عبيد الله وسعيد الى امير المؤمنين ع بخبرهم فكتب
الى اهل اليمن والجند كتابا يهددهم ويذكرهم الله تعم فاجابوه بانا مطيعون ان عزلت عنا هذين الرجلين عبيد الله وسعيدا ثم
كتبوا الى معوية فاخبروه فوجه اليهم بسر بن ارطاة وكان فظا سفاكا للدماء فقتل في طريقه بمكة داود وسليمن ابني عبيد الله بن العباس
وبالطائف عبد الله بن المدان وكان صهرا لابن عباس ثم انتهى الى صنعاء وقد خرج منها عبيد الله وسعيد واستخلف عليها عبد الله بن
عمرو بن اراكة الثقفي فقتله بسر واخذ صنعاء فلما قدم ابن عباس وسعيد على علي ع بالكوفة عاتبهما على تركهما قتال بسر فاعتذرا اليه
بضعفهما عنه فقام ع الى المنبر ضجرا من مخالفة اصحابه له في الراي فقال ما هي الا الكوفة الفصل اذا عرفت ذلك فقول الاعصار ريح
تهب بشدة التراب او وضر تغير لصاد الدسم الباقي في الاناء بعد الاكل لكل بقية من شيء تقل الانتفاع بها والالاء بالفتح شجر حسن المنظر
مر الطعم واطلع اليمن اي غشيها سيدالون اي يصير الامر اليهم والدولة الفعلة الفتح والمرة ماث الشيء اذابه واعلم ان الضمير في قوله ما
هي الا الكوفة وان لم يجر لها ذكر في اللفظ الا ان تعين من اهلها قبل ذلك وخوضهم في تدبيرها وحضورها في ذهنه يجري مجرى
الذكر السابق لها واقبضها خبر ثان او لمبتدأ محذوف تقديره انا ويحتمل ان يكون ضمير القصة واقبضها خبر عن الكوفة ونظيره
في الاحتمالين قوله تعم انها لظى نزاعة للشوى ويفهم من هذا الكلام حصر ما بقي له من البلاد التي يعتمد عليها في الحرب مقابلة العدو
في الكوفة وهو كلام في معرض التحقير لما هو فيه من امر الدنيا وما بقي له من التصرف الحق بالنسبة الى ما لغيره من التصرف الباطل
واقبضها وابسطها كنايتان عن وجوه التصرف فيها اي ان الكوفة والتصرف فيها بوجوه التصرف حقير بالنسبة الى سائر البلاد
التي عليها الخصم فما عسى اصنع بتصرفي فيها وما الذي ابلغ به من دفع الخصم ومقاومته وهذا كما يقول الرجل في تحقير ما في يده
من المال القليل اذا رام به امرا كبيرا انما هو هذا الدينار فما عسى ان ابلغ به من الغرض وقوله فان لم تكوني الا انت تهب اعاصيرك عدل
من الغيبة الى الخطاب والضمير بعد الا تاكيد للذي قبلها والجملة الفعلية بعده في موضع الحال وخبر كان محذوف ولفظ الاعاصير
يحتمل ان يحمل على حقيقته فان الكوفة معروفة بهبوب الاعاصير فيها ويحتمل ان يكون مستعارا لما يحدث من اراء اهلها المختلفة التي هي منشا
الغدر والتثاقل عن ندائه ووجه المشابهة ما يستلزمه المستعار منه من الاذى والازعاج وتقدير الكلام فان لم تكوني الا انت
على تلك وحيدة التي بها العدد وحطام من الملك والخلافة مع ما عليه حالك من المذام فقبحا لك وهو ذم لها بعد ذكر وجه الذم
لاجل استصغاره لامرها ثم تمثل بالبيت لعمر ابيك الخير ومعنى تمثيله به انه على بقية من هذا الامر كالوضر القليل في الاناء وهو يمثل
على وجه الاستعارة فاستعار لفظ الاناء للدنيا ولفظ الوضر القليل منه للكوفة ووجه المشابهة ما اشتركت فيه الكوفة والوضر
من الحقارة بالنسبة الى ما استولى عليه خصمه من الدنيا وما اشتمل عليه الاناء من الطعام ومن روى الالاء فانما اراد اني على بقية
من هذا الامر كالقدر الحاصل لناظر الالاء من حسن المنظر مع عدم الانتفاع منه بشيء اخر ويكون قد استعار لفظ الالاء لسائر
بلاد الاسلام ولفظ الوضر لما في يده هو من حسن المنظر استعارة في الدرجة الثانية وانما خص الكوفة دون البصرة وغيرها لان

[Margin: ثم قال ع انبئت — الالاء — [illegible]]

في بيان خطبة خطبها بعد قتل العثماني في الكوفة

جمهور من كان يعتمد عليه في الحرب انهم اهل الكوفة وقوله انبئت بسرا الى قوله منكم شروع في استنفارهم الى الجهاد فاعلمهم اولا بمجال
بسر وخروج اليمن من ايديهم ثم خوفهم بما حكم به من الظن الصادق ان سيدال القوم منهم ثم عقب ذلك بذكر اسباب توجب وقوع ما حكم به
وهي الامارات التي عنها حكم فذكر اربعة امور من قبلهم هي اسباب الانقهار واربعة امور من قبل الخصم مضادة لها هي اسباب القهر
ورتب كل امر عقيب ضده ليظهر لهم المناسبة بين افعالهم وافعال خصومهم فيدعوهم داعي الدين والمروة الى الفرار من سوء الرأي
فالاول من افعال الخصم الاجتماع والتوازر وان كان على الباطل وهو التصرف لغير الحق في البلاد والاول من افعالهم ما يضاد
ذلك وهو تفرقهم عن حقهم اي تصرفهم المستحق لهم باذن ولي الامر الثاني من افعال الخصم الطاعة للامام الجائر فيما يامرهم من
الباطل ومن افعالهم معصية امام الحق في امره بالحق الثالث للخصم اداؤهم الامانة الى صاحبهم وهي لزوم عهده والوفاء ببيعته
ومن افعالهم ضد ذلك من الغدر والخيانة في العهد بتركهم لوازره في القتال وعصيانهم لامره حتى صار الغدر مثلا لاهل الكوفة
الرابع صلاح القوم في بلادهم اي انتظام امورهم فيها الناشي عن طاعة امامهم ومن افعالهم ما يضاد ذلك من فسادهم في بلادهم
لخروجهم عن طاعة امامهم وظاهر ان الامور الاربعة المذكورة من افعال الخصم من اسباب صلاح الحال وانتظام الدولة والغلبة و
القهر وان الامور الاربعة المضادة لها من افعالهم من اقوى الاسباب الموجبة للانقلاب والانقهار وقوله فلو ائتمنت احدكم على
قعب لخشيت ان يذهب بعلاقته مبالغة في ذمهم بالخيانة على سبيل الكناية عن خيانتهم لامانتهم في عهده على قبول امره
وقوله اللهم اني قد مللتهم وملوني شكاية الى الله سبحانه منهم وعرض لما في ضميره وضمائرهم بحسب ما شهدت به قرائن
احوالهم والملال والسآم مترادفان وحقيقته اعراض النفس عن الشيء اما لفتور القوى البدنية وكلالها عن كثرة الافاعيل واما لاعتقاد
النفس من دليل وامارة يتبين لها ان مطلوبه غير ممكن لها وهذان السببان كانا موجودين لسآمته عم من افعالهم فانه لم يشك افعاله
منهم ولم يدع عليهم حتى عجزت قواه عن التطلع الى وجوه صلاحهم وانصرفت نفسه عن معالجة احوالهم لاعتقاده ان تقويمهم غير ممكن له
واما سآمتهم منه فاما لاعتقادهم ان مطلوباتهم التي كانوا ارادوه لها غير ممكنة منه او لكثرة تكراره وامره بالجهاد والذب عن دين الله
والمواظبة على اوامر الله على قواهم الضعيفة التي هي مع ضعفها مشغولة بغير الله فلذلك تنضرر نفوسهم عن قبول قوله وامتثال اوامره
ثم اردف تلك الشكاية بالتضرع الى الله تعالى في الخلاص منهم ثم بالدعاء عليهم فدعا الله لنفسه اولا ان يبدله خيرا منهم اما في الدنيا
فقوما صالحين ينظرون بنور الله يعملون عليهم فيخلصوا له الدين واما في الاخرة فقوما عرفوا في مطالعة انوار كبرياء الله فاستغرقهم على منازل
جنته واسني مراتب كرامته قوما انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وطلبه
الخير لهم في الدنيا هو الارجح في الذهن لما يتمناه بعد من قوله من بني فراس ثم دعا الله اللهم ان يبدلهم شرا منه فان قلت ان صدور
مثل هذا الدعاء منه عم مشكل من وجهين احدهما انه يقتضي ان يكون هو ذا شر وقد ثبت انه كان منزها عن الشر وبرا الثاني
انه كيف يجوز منه ان يدعو بوجود الشر ووجود الاشرار قلت الجواب عن الاول من وجهين احدهما ان صيغة افعل التفضيل كما ترد
لاثبات الافضلية كذلك قد ترد لاثبات الفضيلة وح يحتمل ان يكون مراده من قوله شرا مني اي ابدلهم بمن فيه شر غيري الثاني ان يكون
شرا مني بحسب اعتقادهم انه في شر عليهم واعتقادهم انه ذو شر لا يوجب كونه كذلك وعن الثاني من وجهين احدهما انه لما كان في دعاء
الله ان يبدلهم من هو شر منه مصلحة تامة حسن منه ذلك وبيان المصلحة من وجهين احدهما ان صدور ذلك الدعاء منه عليهم ينبههم
منهم ومسمع من اعظم الاسباب المخوفة الجاذبة لاكثرهم الى الله تعالى وتلك مصلحة ظاهرة الثاني ان نزول الامر المدعو به عليهم بعده مما
ينبههم على فضله ويذكرهم انه لم يصبهم ذلك الا لتركهم اوامره عم وخروجهم عن طاعته فيتفهموا ويقلعوا عن مسالك البغي والفساد الى واضح
سبيل الرشاد ويكون ذلك بلاء من الله لهم الثاني لعله انما دعا عليهم والفساد الى واضح سبيل الرشاد ويكون ذلك بلاء من الله سهو له
الثاني لعله انما دعا عليهم لعلمه انه لا يرجى صلاحهم فيما خلقوا لاجله ثم يدعوهم اليه ومن لا يرجى صلاح حاله مع فساد نظام العالم
بوجوده ولزوم ما يضاد مطلوب الله منه فعدمه اولى من وجوده فكان دعاؤه عليهم اذن منه وبالله وعلى ذلك يحمل ايضا دعاؤه
عليهم اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء ونحوه وذلك تاس منه عم بالسابقين من الانبياء صلى الله عليهم في التضجر من قومهم والشكاية
الى الله تعالى ودعائهم عليهم كنوح اذ قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا الايات رب انهم عصوني ثم منهم
ختم بالدعاء على من لم يرج صلاحه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الاية وكلوط اذ قال للقوم اني لعملكم من القالين وغيرهما
من الانبياء والمراد بالميث المدعو به تشبيه ان يكون ما يحصل في القلب من الانفعال عن الغم والخوف ونحوهما وذلك ان الغم اذا وقع لزمه
تكاثف الروح القلبي للبرد الحادث عند انطفاء الحرارة الغريزية لشدة انقباض الروح واختفائه فيحس في القلب بانفعال شبيه
بالعصر والمرس وذلك في الحقيقة الم او مستلزم له فيحسن ان يكون مرادا له ويحتمل ان يكون كناية عن اسبابه من الغم والخوف فكانه
طلب من الله ان ينقص لهم منهم ازمانا قليلة بفساد افعالهم ويروى ان اليوم الذي دعا عليهم فيه ولد فيه الحجاج بن يوسف وروي انه

ولد بعد

في ذكر بعض اسباب البعثة

ولد بعد ذلك اليوم باوقات يسيرة وفعل الحجاج باهل الكوفة ظاهر ومادة لها مشهور وقوله اما والله لوددت ان لي بكم الف فارس من بني فراس
بن غنم يصلح تعيينه لمن ذكرنا لما المخبر منهم الذي طلبه اولا من الله مجملا عوضا بهم وبنو فراس حي من تغلب وهم غنم بفتح الغين وسكون النون
وهو غنم بن تغلب بن وائل وانما خص هذا البطن لشهرتهم بالشجاعة والحمية وسرعة اجابة الداعي فاما البيت هنالك لو دعيت فمعناه ما ذكره
السيد الرضي رض ووجه تمثيله عم بهذا البيت ان هؤلاء القوم الذين ود انهم كانوا له عوضا عن قومه يصفه الفوارس الذين اشار
اليهم الشاعر في المبادرة الى اجابة الداعي والاجتماع على دفع الضيم عنهم ونصرة حقهم فلذلك تمناهم عوضا ومقصوده في جميع ذلك ذمهم
وتوبيخهم وتحقيرهم بتفضيل غيرهم عليهم تنفيرا لطباعهم عما هي عليه من التثاقل عن دعوته للذب عن دين الله وبالله التوفيق والعصمة

ومن خطبة له عليه السلم ان الله بعث محمدا صلعم نذيرا للعالمين وامينا على التنزيل وانتم معشر العرب على شر دين وفي
شر دار منيخون بين حجارة خشن وحيات صم تشربون الكدر وتاكلون الجشب وتسفكون دماءكم وتقطعون ارحامكم الاصنام فيكم منصوبة
والاثام بكم معصوبة **اقول** الاناخة المقام بالمكان والحية الصماء هي التي لا تنزجر بالصوت كانها لا تسمع وربما يراد بها الصلبة الشديدة
والجشب هو الطعام الغليظ الخشن ويقال هو الذي لا ادام معه وسمح وبر مشدده واعلم انه عم اقتص امورا وغرضه مدحها وذمها
مبتدئا بذكر النبي صلعم وذكر بعض اسباب غاية البعثة فانها لما كانت الغاية منها هو جذب الخلق عن دار الغرور الى الوصل الحق وكان ذلك
الجذب تارة بالنذارة وتارة بالبشارة ذكر هنا النذارة وخصها بالذكر لانها السبب الاقوى في الردع فان عامة الخلق وجمهورهم قلما يلتفتون
الى ما وعدوا به في الاخرة اذا قابلوا ذلك بلذاتهم الحاضرة فان تلك امور غير متصورة لهم الا بحسب الوصف الذي ثم ينكشف لهم عن امور محسوسة
تشبه ما هم فيه او اضعف عندهم ثم ان نيلها مشروط بشرائط صعبة في الدنيا تكدر عليهم ما هم فيه من حاضر لذاتهم مع براءتها عن الشرور
والتكاليف الشاقة فلذلك قل ما يلتفتون الى الوعد عما هم فيه فكان السبب الاقوى في الردع والالتفات الى الله انما هو الانذار والتخويف
فاذا انضم اليه الوعد افاد المجموع الغاية ولما كان مقصوده عم في هذا الموضع التوبيخ المطلق للعرب وترقيق قلوبهم المشتملة على الفظاظة
والقسوة كان الاليق بها ذكر انذار النبي للعالمين ليتذكروا بذلك تفصيل الانذارات الواردة في القران والسنة ثم اردف ذلك بذكر
كونه امينا على التنزيل ليتذكروا ان الانذارات الواردة هي من عند الله تعالى اتى بها الرسول صلعم من غير تبديل وزيادة او نقصان
فيتاكد في قلوبهم ما قد علموه من ذلك ليكون ادعى لهم الى الانفعال عن قوله ثم شرع بعد ذلك في اقتصاص احوالهم التي كانوا عليها والواو
في قوله وانتم للحال اي حال ما كنتم بهذه الصفات بعث محمد وذكر احوالهم في معرض الذم لها فذكر انهم كانوا على شر دين وهو عبادة الاصنام
من دون الله واعظم بذلك افتضاحا لمن عقل منهم اسرار الشريعة وعرف الله سبحانه ولا احسبه عند سماع هذا التوبيخ الا خجلا فارطا في جنب
الله ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا ثم اردف ذلك بتذكيرهم ما كانوا فيه من شر دار واراد بها نجدا وتهامة وارض الحجاز وبين كونها شرا ببيان
فساد احوالهم اما في مساكنهم فبانا ختهم بين الحجارة الخشن التي لا نداوة بها ولا نبات والحيات الصم التي لا علاج لسمومها ووصفها بالصمم
لان حيات تلك الارض على غاية من القوة وحدة السم ودركا لا تستبيل او لطلب من عليها واما في شربهم فلانها تغلب على المياه التي يشربونها ان يكون
كدرة لا يكاد غير المعتاد بها ان يقبل عليها مع العطش الا عند الضرورة والسبب الغالب في ذلك عدم اقامتهم بالمكان الواحد بل هم ابدا في الحل
والارتحال ولا يحتفرون المياه ويصلحونها الا ريثما هم عليها فربما كان بعضهم يحتفر وبعضهم يشرب منها ثم يوضح ذلك واما
ماكلهم فجشوبتها ظاهرة فانك تجد عامتهم باكل ما دب من حيوان وسئل بعض العرب اي الحيوانات تاكلون في البادية فقال ناكل كل ما دب
ودرج الا ام حبين فقال السائل لتهن ام حبين العافية قال صاحب المجمل وام حبين دويبة قدر كف الانسان وبعضهم يخلط الشعر بنوى
التمر ويجعلها ويتخذ منها خبزا او روي انهم كانوا في ايام المجاعة يلوثون اوبار الابل بدم القراد ويجففونها فاذا يبست دقوها وصنعوها
طعاما واما في سفكهم الدماء بعضهم لبعض وقطع ارحامهم فظاهر ايضا فان الولد كان يقتل اباه وبالعكس واما نصبهم للاصنام وعصب الاثام
بهم في جاهليتهم فغني عن البيان ولفظ العصب مستعار للزوم الاثام لهم في تلك الحال عن معناه الاصلي وهي استعارة لفظ لشيء بشيء محسوسين
لتشبيه بين معقولين او بين معقول ومحسوس وانما ذكرهم عم بهذه الاحوال ليتهم لتنبيه ما كانوا عليه مما هم عليه في تلك الحال من الشدة
ذلك كله اذ بدلوا بما كانوا فيه من فساد احوالهم في الدنيا صلاح حالهم فافتتحوا المدن وكسروا الجيوش وقهروا الملوك وغنموا اموالهم كما قال
تعالى في المنة عليهم وتذكيرهم انواع ما انعم عليهم به واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤوها وجعل لهم الذكر الباقي والشرف التام
كل ذلك زيادة على هدايته لهم الى الاسلام الذي هو طريق دار السلام وسبب السعادة الباقية وانما كان ذلك بسبب مقدم محمد صلى الله عليه
واله اليهم واعلم ان في اثناء هذا الكلام يقتضي مدح النبي صلعم فيما حذف من الفصل بعده ليبني عليه مقصوده وفيه تنبيه على دوام ملاحظة
السامعين لنعماء الله عليهم فيلاحظوا استحقاقه لتمام العبادة غاية احوالهم ويكونوا في وجل من خوفه ودوام لزوم تذكيره والله يهدي من يشاء الى
الصراط مستقيم **منها** فنظرت فاذا ليس لي معين الا اهل بيتي فضننت بهم عن الموت واغضيت على القذى وشربت على الشجى و
صبرت على اخذ الكظم وعلى امر من طعم العلقم **اقول** ضننت بكسر النون اي بخلت ونقل الفراء بالفتح ايضا واغضيت على كذا اي اطبقت عليه

في بيان انتصاص حاله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في امر الخلافة

جفنه والقذى ما يسقط في العين فيؤذيها والشجى ما يعرض في الحلق عند الغيظ ونحوه لا يكاد يسيغ الانسان معه الشراب فقدم تفسيرهما واخذ بكظمه اي بمجرى نفسه والعلقم شجر بالغ المرارة ويصدق بالعرف على كل مر واعلم ان هذا الفصل يشتمل على انتصاص صورة حاله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في امر الخلافة وهو انتصاص في معرض التظلم والشكاية ممن يرى انه احق منه بالامر فاشار الى انه فكر في امره فقدر الدفاع عن هذا الحق الذي يراه اولى به فراى انه لا ناصر له الا اهل بيته وهم قليلون بالنسبة الى من لا يعينه ومن يعين عليه فانه لم يكن له معين يغلب على الظن الا بنو هاشم كالعباس وبنيه وابي سفين بن الحرث بن عبد المطلب ومن يخصهم وضعفهم وقلتهم عن مقاومة جمهور الصحابة ظاهر فضن بهم على الموت لعلمه انهم لو قاوم بهم لقتلوا ثم لا يحصل على مقصوده ولما ضن بهم عن الموت لزمه ما ذكر من الامور وهي الاغضاء على القذى وكنى بالاغضاء على القذى عن صبره عن المقاومة كناية بالمستعار ووجه المشابهة بينهما استلزامهما الالم البالغ وبالقذى عما يعتقده ظلما في حقه وكذلك قوله وشربت على الشجى ملاحظة لوجه الشبه بين ما يجري له من الامور التي توجب له الغضب والغبن وبين الماء الذي يشرب على الشجى وهو استلزامهما الاذى وعدم التلذذ والاساغة ولذلك استعار له لفظة الشرب وكذلك قوله وصبرت على اخذ الكظم وعلى امر من العلقم فيه استعارات حسنة للفظ اخذ الكظم كنى بها عن اخذ الوجوه عليه وتضييق الامر فيما يطلبه ولفظ المرارة التي هي حقيقة في الكيفية المخصوصة للاجسام لما يجده من الالم بسبب فوت مطلوبه ووجه المشابهة في ما بين الاستعارتين لزوم الاذى ايضا واما ان الذي وجده امر من العلقم فظاهر لان نسبة الالم الحسي في الشدة الى الالم النفساني واعلم انه قد اختلف الناقلون لكيفية حاله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فروى المحدثون من الشيعة وغيرهم اخبارا كثيرة ربما خالف بعضها بعضا بحسب اختلاف الاهواء فمنها ما هو الذي عليه جمهور الشيعة ان عليا امتنع من البيعة لابي بكر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وامتنع معه جماعة من بني هاشم كالزبير وابي سفين بن الحرث والعباس وبنيه وغيرهم وقالوا لا نبايع الا عليا وان الزبير شهر سيفه فجاء عمر في جماعة من الانصار فاخذ سيفه فضرب به الحجر فكسره وحملت جماعتهم الى ابي بكر فبايعوه وبايع معهم علي كرها وقيل ان عليا اعتصم ببيت فاطمة وعلموا انه مفرد فتركوه وروى نصر بن مزاحم في كتاب صفين انه كان يقول لو وجدت اربعين ذوي عزم لقاتلتهم ومنها ما هو الذي عليه جمهور المحدثين من غير الشيعة انه امتنع من البيعة ستة اشهر حتى ماتت فاطمة فبايع بعد ذلك طوعا وفي صحيحي مسلم والبخاري كانت وجوه الناس مختلفة اليه وفاطمة لم تمت بعد فلما ماتت انصرفت وجوه الناس عنه فخرج وبايع ابا بكر وعلى الجملة فحال الصحابة في اختلافهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وما جرى في سقيفة بني ساعدة وحال علي في طلب هذا الامر والعاقل اذا طرح العصبية والهوى عن نفسه ونظر فيما نقله الناس في هذا المعنى علم ما جرى بين الصحابة من الاختلاف والاتفاق وهل بايع علي طوعا او هل ترك المقاومة عجزا او اختيارا ولما لم يكن غرضنا الا تفسير كلامه كان الاشتغال بغير ذلك تطويلا وفضولا خارجا عن المقصود ومن رام ذلك فعليه بكتب التواريخ ادركها

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها عمرو بن العاص ولم يبايع معوية حتى شرط ان يؤتيه على البيعة ثمنا فلا ظفرت يد البايع وخزيت امانة المبتاع فخذوا للحرب اهبتها واعدوا لها عدتها فقد شب لظاها وعلا سناها واستشعروا الصبر فانه ادعى الى النصر **اقول** خزيت اي ذلت وهانت والاهبة الاستعداد والعدة ما يعد للحرب ما يعد لها من الالات والسلاح وشب لظاها اي اوقدت نارها واشتعلت وروي شب للبناء للفاعل اي ارتفع لهبها والسنا مقصور الضوء والشعار ما يلي الجسد من الثياب ويلازمه اعلم ان هذا فصل من اقتصاص كلام ذكره فيه حال عمرو بن العاص مع معوية فذكر انه لم يبايعه حتى شرط ان يؤتيه على بيعته ثمنا وذلك انه لما نزل علي بالكوفة بعد فراغه من امر البصرة كتب الى معوية كتابا يدعوه فيه الى البيعة فاهمه ذلك وقد كان دعا قوما من اهل الشام الى الطلب بدم عثمن فاجابوه واراد الاستظهار في امره فاشار عليه اخوه عتبة بن ابي سفيان بالاستعانة بعمرو بن العاص وكان بالمدينة فاستدعاه فلما قدم عليه وعرف حاجته اليه تباعد عنه وجعل يمدح عليا في وجهه ويفضله ليخدعه عما يريد منه فمن ذلك ان معوية قال له يوما يا ابا عبد الله اني ادعوك الى جهاد هذا الرجل الذي عصى الله وشق عصا المسلمين وقتل الخليفة واظهر الفتنة وفرق الجماعة وقطع الرحم فقال عمرو من هو قال علي فقال والله يا معوية ما انت وعلي حملي بعير ليس لك هجرته ولا سابقته ولا صحبته ولا جهاده ولا علمه والله ان له مع ذلك لحظا في الحرب ليس لاحد غيره ولكني قد تعودت من الله احسانا وبلاء جميلا فما تجعل لي ان تابعتك على حربه وانت تعلم ما فيه من الغرر والخطر قال لك حكمك قال له مصر طعمة فلم يزل معوية يتلكأ عليه ويماطله وهو يمتنع من مساعدته حتى رضي معوية ان يعطيه مصر فعاهده على ذلك وبايع عمرو معوية وكتب له بمصر كتابا فذلك معنى قوله ولم يبايع معوية حتى شرط ان يؤتيه على البيعة ثمنا ثم اردف ذلك بالدعاء على البايع لدينه وهو عمرو بعدم الظفر في الحرب وبالثمن بقوله فلا ظفرت يد البايع والحقه بالتوبيخ والذم للمبتاع بذكر هوان امانته عليه وهي بلاد المسلمين واموالهم التي افاءها الله عليهم ويحتمل ان يكون اسناد الخزي الى الامانة اسنادا مجازيا او على سبيل اضمار الفاعل هيئة المبتاع اي والخزي للمبتاع في امانته بخيانته لها وذهب بعض الشارحين الى ان المراد بالبايع معوية وبالمبتاع عمرو وهو ضعيف لان الثمن اذا كان

في بيان ترغيب الناس الى الجهاد

مصر فالمبتاع هو معوية ثم لما ظهرت دعوة معوية لاهل الشام ومبايعة عمرو له كان ذلك من دلائل الحرب فلذلك امر اصحابه بالتاهب لها واعداد عدتها وكنى بما ذكرناه من امارات وقوعها بقوله وقد شب لظاها وعلا سناها كناية بالمستعار ووجه المشابهة بين لهب النار وسناها وامارات الحرب كونها علامات على امرين هما مظنة الهلاك ومحل الفتنة ويحتمل ان يكون اطلاق لفظ السنا مجازا ثم اردف ذلك بالامر باستشعار الصبر واستشعاره اما ان يراد به اتخاذه شعارا على وجه استعارته من الثوب الملازم للجسد او يراد اتخاذه علامة لان اشعار القوم علاماتهم ايضا ويحتمل ان يكون اشتقاقه من الشعور اي ليكن في شعوركم الصبر وان كان الاشتقاقيون يردون الشعار بالمعنى الثاني الى الشعور وقوله فانه ادعى الى النصر بيان لفائدة اتخاذ الصبر شعارا او علامة اما ان كان المقصد الزموا انفسكم الصبر فظاهر ان لزوم الصبر من اقوى اسباب النصر وان كان المقصد اتخذوه علامة فلان من كان الصبر في الحرب علامة له يعرفه الخصم بها كان الخصم مقهورا منه ادعى الى الانقهار فكان استشعارهم لتلك العلامة ادعى الى القهر والنصر وان كان المراد اخطاره بالبال فلانه سبب للزومه وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** اما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فتحه الله لخاصة اوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة فمن تركه رغبة عنه البسه الله ثوب الذل وشمله البلاء وديث بالصغار والقماء وضرب على قلبه بالاسهاب وأديل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف ومنع النصف الا واني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا واعلانا وقلت لكم اغزوهم قبل ان يغزوكم فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات وملكت عليكم الاوطان هذا اخو غامد قد وردت خيله الانبار وقد قتل حسان بن حسان البكري وازال خيلكم عن مسالحها ولقد بلغني ان الرجل منهم كان يدخل على المراة المسلمة والاخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها ما تمتنع منه الا بالاسترجاع والاسترحام ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلا منهم كلم ولا اريق له دم فلو ان امرأ مسلما مات من بعد هذا اسفا ما كان به ملوما بل كان به عندي جديرا فيا عجبا عجبا والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون فاذا امرتكم بالسير اليهم في ايام الحر قلتم هذه حمارة القيظ امهلنا يسبخ عنا الحر واذا امرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتم هذه صبارة القر امهلنا ينسلخ عنا البرد كل هذا فرارا من الحر والقر فاذا كنتم من الحر والقر تفرون فانتم والله من السيف افر يا اشباه الرجال ولا رجال حلوم الاطفال وعقول ربات الحجال لوددت اني لم اركم ولم اعرفكم معرفة والله جرت ندما واعقبت سدما قاتلكم الله لقد ملاتم قلبي قيحا وشحنتم صدري غيظا وجرعتموني نغب التهمام انفاسا وافسدتم علي رايي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش ان ابن ابي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب لله ابوهم وهل احد منهم اشد لها مراسا واقدم فيها مقاما مني لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها انا ذا قد ذرفت على الستين ولكن لا راي لمن لا يطاع **اقول** هذه الخطبة مشهورة ذكرها ابو العباس المبرد وغيره والسبب المشهور لها انه ورد عليه علج من اهل الانبار فاخبره ان سفيان بن عوف الغامدي قد ورد في خيل لمعوية الى الانبار وقتل عامله حسان بن حسان البكري فصعد المنبر وخطب الناس وقال ان اخاكم البكري قد اصيب بالانبار وهو معتز لا يخاف ما كان واختار ما عند الله على الدنيا فانتدبوا اليهم حتى تلاقوهم فان اصبتم منهم طرفا انكلتموهم عن العراق ابدا ما بقوا ثم سكت رجاء ان يجيبوه بشيء فلم ينبس احد منهم بكلمة فلما راى صمتهم نزل وخرج يمشي راجلا حتى احاط به قوم من اشرافهم فقالوا ارجع يا امير المؤمنين ونحن نكفيك فقال ما تكفونني ولا تكفون انفسكم فلم يزالوا به حتى ردوه الى منزله فبعث سعيد بن قيس الهمداني في ثمانية الاف في طلب سفيان بن عوف فخرج حتى انتهى الى ادنى ارض قنسرين وقد فاتوه فرجع وكان علي في ذلك الوقت عليلا فلم يقو على القيام في الناس بما يريده من القول فجلس بباب السدة التي تصل الى المسجد ومعه الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر ودعا سعدا مولاه فدفع اليه كتابا كتب فيه هذه الخطبة وامره ان يقراها على الناس بحيث يسمع ويسمعون رده وفي رواية المبرد انه لما انتهى اليه ورود خيل معوية الانبار وقتل حسان بن حسان خرج مغضبا يجر رداءه حتى اتى النخيلة ومعه الناس فرقي رباوة من الارض فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال الخطبة ورواية المبرد اليق بصورة الحال واظهر وروي انه قام اليه رجل في اخر الخطبة ومعه ابن اخ له فقال يا امير المؤمنين اني وابن اخي هذا كما قال تعالى رب اني لا املك الا نفسي واخي فمرنا بامرك فوالله لننتهين اليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضا وشوك القتاد فدعا لهما بخير وقال واين تقعان مما اريد ثم رجع الى التفسير فقوله الجنة ما استتر به من سلاح او غيره وديث اي ذلل ومنه الديوث الذي لا غيرة له والصغار الذل والضيم والقماء ممدود مصدر قمؤ قماءة فهو قمئ الحقارة والذل وقد روي القماء بالقصر وهو غير معروف واسهب الرجل بالبناء للمفعول اذا ذهب عقله من اذى يلحقه وادِيل الحق من فلان اي غلب عليه عدوه وسامه خسفا بضم الخاء وفتحها اي اولاه ذلا وكلفه المشقة والنصف بكسر النون وسكون الصاد

من الانصار وضم النون لغة وفيه دعو الى الشيء اصله والتواكل ان يكل كل واحد منهم الامر الى صاحبه ويعتمد عليه فيه وشن الغارة وأشنها
فرقها عليهم من كل نحو وغامد قبيلة من اليمن وهي من الازد وشنوءة والمسالح جمع مسلحة وهي الحدود التي ترتب فيها ذوو الاسلحة
لمحافظة ثغر العدو كالثغر والمعاهدة الذمية والحجل بكسر الحاء وفتحها الخلخال والقلب السوار المصمت والرعاث جمع رعثة بفتح الراء
وسكون العين وفتحها وهي القرط والرعاث ايضا ضرب من الخرز والحلي والاسترجاع قول انا لله وانا اليه راجعون والاسترحام
مناشدة الرحم والوافر التام والكلم الجرح والترح الحزن والغرض الهدف وحمارة القيظ بتشديد الراء شدة حره وسبخ الحر
خفف وصبارة القر بتشديد الراء ايضا شدة البرد وينسلخ ينقضي وربات الحجال النساء والحجال جمع حجلة وهي بيت العروس يزين
بالستور والثياب والثكل الحزن على الولد والقيح ما يكون في القرحة من المدة والصديد شحنتم ملأتم والنغب جمع نغبة بضم النون
وهي الجرعة والتهمام بالفتح الهم والمراس العلاج وذرفت بتشديد الراء على الستين اي زدت واعلم ان قوله اما بعد الى قوله ربع النصف
صدر الخطبة بين فيه غرضه اجمالا وهو الحث على الجهاد فانه لما ذكر اكرام الجهاد وتعظيمه وحطا من قصر عنه علم من ذلك
انه يريد ان يحث السامعين على جهاد عدوهم فذكر من مدائح الجهاد امورا احدها انه باب من ابواب الجنة وبيانه ان الجهاد اما يراد
به جهاد العدو الظاهر كما هو الظاهر ههنا وتارة يعني به جهاد العدو الخفي وهو النفس الامارة بالسوء وكلاهما باب من ابواب الجنة والثاني
منهما يراد بواسطة الاول وهو لازم له وذلك انك علمت ان لقاء الله سبحانه ومشاهدة حضرة الربوبية هي ثمرة الجنة وغاية سعي عباد
الله الابرار ثم قد ثبت بالضرورة من دين محمد ان الجهاد احد العبادات الخمس وتبين ايضا في علم السلوك الى الله ان العبادات الشرعية هي المتممة
والمعينة على تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة وان التطويع كيف يكون وسيلة الى الجنة التي وعد المتقون فيعلم من هذه
المقدمات ان الجهاد الشرعي باب من ابواب الجنة نفسه يعبر المجاهد فيه الى الله الى اللقاء الاعظم للجنة وهو الرياضة وقهر الشيطان
ومن دخولها على هذا السر يعلم ان الصلوة والصوم وسائر العبادات كلها ابواب للجنة اذ كانت امثالها على الوجه المأمور بها مسلكا
للوصول الى الجنة فان باب كل شيء هو ما يدخل اليه منه ويتوصل به اليه ونحوه قول الرسول صلعم في الصلوة انها مفتاح الجنة وفي الصوم
ان للجنة بابا يقال له الريان لا يدخله الا الصائمون الثاني من اوصاف الجهاد انه باب فتحه الله لخاصة اوليائه والمراد بخواص الاولياء
المخلصون له في المحبة والعبادة وظاهر ان المجاهد لله لا لغرض آخر من خواص الاولياء وذلك ان المسلم اذا فارق اهله وولده واقدم
على من يغلب على ظنه انه اقوى منه كما امر المسلمون بان يثبت احدهم لعشرة من الكفار ثم يعلم انه لو قهره لقتله واستباح ذريته وهو
في كل تلك الاحوال صابر شاكر معترف بالعبودية لله مسلم امره الى الله فذلك هو الولي الحق الذي قد اعرض عن غير الله راسا
فهو شيطانه وقهره وابى ان يطيع لدبره فان قلت اذا كان الغرض من العبادات هو جهاد الشيطان والاخلاص لله وكان تخصيص الوصفين
المذكورين لا يستلزم امر ذلك المعنى لم يتوجه لسائر العبادات ترتب عليه فما معنى قول الصحابة وقد رجعوا من جهاد المشركين رجعنا من الجهاد
الاصغر الى الجهاد الاكبر قلت يحتمل معنيين احدهما ان الجهاد الظاهر ليس كل غرضه الذاتي هو جهاد النفس بل ربما كان من اعظم اغراضه الذاتية
هو قهر العدو الظاهر لتستقيم الناس على الدين الحق وينتظم امرهم في معاشهم ولذلك دخل فيه من لا يريد منه الا ذلك كالمؤلفة قلوبهم وان
كانوا كفارا وذلك بخلاف سائر العبادات اذ غرضها ليس الا جهاد النفس ولا شك انه هو الجهاد الاكبر اما اولا فباعتبار مضرة العدو
فان مضرة العدو الظاهر مضرة دنياوية فانية ومضرة الشيطان مضرة اخروية باقية ومن كانت مضرته اعظم كان جهاده اكبر واهم واما
ثانيا فلان مجاهدة الشيطان مجاهدة عدو ملازم ومع ذلك فلا يزال مخادعا غدارا لا ينال غرضه الا بالخروج في زي الناصحين الاصدقاء
ولا شك ان الاحتراز من مثل هذا العدو اصعب وجهاده اكبر من جهاد عدو مظهر للعداوة وربما لقيه الانسان في عمره مرة او مرتين فحسن لذلك
تخصيص الجهاد بالاصغر ومجاهدة النفس بالاكبر المعنى الثاني انا وان قلنا ان الغرض من الجهاد الاصغر هو جهاد النفس الا ان جهادها
في حال جهاد العدو الظاهر قد يكون اسهل لان القوى البدنية كالغضب والشهوة يثوران عند منازعة العدو طلبا لدفعه وتصيران
مطيعتين للنفس لا منازعتين فيما تراه وتأمر به فلا يكون عليها كثير كلفة في تطويع تلك القوى بخلاف سائر العبادات فان طباع تلك
القوى معاكسة فيها لراى النفس فلذلك كان جهادها في سائر العبادات اصعب واكبر من جهادها في حال الحرب والله اعلم الثالث كونه
لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة واستعار لفظ اللباس والدرع والجنة ثم رشح الاستعارتين الاخيرتين بوصفي
الحصانة والوثاقة ووجه المشابهة ان الانسان يتقي بالتقوى سوء العذاب يوم القيمة كما يتقي بثوبه ما يؤذيه من حر او برد وبدرعه وجنته
ما يخشاه من عدوهم ثم اردفه بمادح الجهاد بتوعد من تركه رغبة عنه من غير عذر بوجوب تخلفه بامور منفور عنها طبعا منها انه يستعد
بالترك لان يلبسه الله ثوب الذل واستعار لفظ الثوب للذل ولفظ اللباس لشموله له ووجه المشابهة احاطة الذل بالموصوف
كاحاطة الثوب بلابسه وان يشمله بلاء العدو ويضربه الله بالصغار والقماءة وان يضرب على قلبه بالاسهاب اي يذهب وجه عقله العملي
في تدبير مصالحه اما الخوف والذل فلان كثرة غارات العدو وتكررها منه موجب لتوهم قهره وتوقع ذلك ينفعل عنه النفس

بالاشتهار

بالاشتهار وما الذل وحج تدعو لشمول البلاء ويذهب وجه عقلها في استخراج وجوه المصالح في دفعه ومقاومته لاشتغالها بما يهلك
عن عمل طمعها في مقاومته او لتشويشها الخوف عن سبيل الخطة وجه المصلحة واطلاق لفظ الضرب على تلبيسه استعارة ثم وضربت عليهم الذلة والمسكنة
ووجه التشبيه فيهما المخالطة المضروبة بينهما او لزوم فلذا الفعل كلزوم الطين المضروب على الحائط ويحتمل ان يراد بالاسهاب كثرة
الكلام من غير فائدة فان الانسان حال الخوف والذلة كثيرا ما يخبط في القول ويكثره من غير اصابة وكذلك الخوف باقي الامور كادالة
الله الحق منه وغلبة العدو له وعدم انتصافه منه لما ترك من جهاد عدوه مع التمكن من ذلك وهي امور منفور منها طبعا ومضرة
بحال من تلحقه في الدارين وقد ورد في التنزيل الالهي من فضل الجهاد والحث عليه امور كثيرة كقوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين
غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وقوله وفضل الله المجاهدين
على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وقوله وجاهدوا في الله حق جهاده وقوله ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ونحو
ذلك قوله الا واني قد دعوتكم اه لما ذكر اصل الخطبة اردفه بتفصيل غرضه مما اجمله فيه وهو حثهم على الجهاد وتوبيخهم على تركه فنبههم
اولا على ما كان دعاهم اليه قبل من قتال معوية واصحابه مرارا كثيرة وذكرهم نصيحته لهم بقوله لهم في امرهم بغزوهم قبل ان يغزوهم
ونبه كونهم بما كان اعلمهم اولا من القاعدة الكلية المعلومة بالتجربة والبرهان وهو انه ما غزي قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا وقد اشرنا
الى علة ذلك وهو ان للاوهام اعمالا عجيبة في الابدان تارة بزيادة القوة وبنقصها تارة فان الوهم ربما كان سببا لمرض الصحيح لتوهمه
المرض وبالعكس فكان السبب في ذل من غزي في داره وان كان معروفا بالشجاعة هو الاوهام اما اوهامهم فلانها تحكم عليهم انهم
لم يقدموا على غزوهم الا لقوة غازيهم واعتقادهم فيهم الضعف بالنسبة اليه فينفعل انفسهم عن تلك الاوهام وتنقهر عن المقاومة
وتضعف عن الانبعاث وتزول عنهم ما رحمتها فيحصل على طرف رذيلة الذل واما اوهام عدوهم فلان الغزو الذي يلحقهم يكون
باعثا لكثير الاوهام على الحكم بضعفهم ومحركا للطمع كل الطمع فيهم فيشتد لذلك لهم حكامهم وهمتهم بعجزهم عن المقاومة ثم انه ارداف ذلك
بما نالوا به نصيحته من تواكلهم وتخاذلهم عن العمل بمقتضى امره الى غاية ظهور العدو عليهم وتفريق الغارات من كل جانب على
اوطانهم وحدودهم ثم عقب ذكر العدو المطلوب ذكره في شخص معين مشاهد ونبههم عليه ليكونوا الى التصديق بظهوره اقرب واعذر
عليهم اقبل وقص عليهم ما احدث من ورود خيله ديارهم وقتله لعاملهم وازالة الخيل عن ثغورهم ومسالحهم وهتك المسلمات والمعاهدات
وسلب اموال المسلمين وسائر ما عدده على الوجه المذكور مما هو مستغن عن الايضاح ثم ختم ذلك القصص بان الاولى ان يلحق المسلم الذي
ذا الغيرة والحمية لله من الاسف والحزن المميت له بسبب ما نبأ هذه من الاحوال المنكرة الواقعة بالمسلمين مع تقصيرهم عن مقاومة عدوهم
كل ذلك التقريع لهم وقد كانوا بحسن معرض توبيخهم وذمهم على التقصير فيما ينفعهم من امتثال امره وقبول مشورته فيما هو الاولى والاصلح
لهم ثم اردف ذلك بالتعجب من حالهم تأكيدا لذلك التمهيد فنادى بالعجب من حالهم بنكر التخصيص كانه غير متعين في حال ندائه
ثم عين بندائه وحصر فكرره ليصفه بالشدة ونصبه على المصدر كانه المصدر تعين قال لعجبت عجبا واشتقه كناه وهذا المنادي قوله
ثم بالبشرى في قراءة من قرء بغير اضافة ويحتمل ان يكون العجب الاول نصبا على المصدر ايضا والثاني للتاكيد او لما ذكرناه ويكون المنادي
محذوفا فانفذ بره يا قوم ونحوه واما وصفه بانه يميت القلب ويجلب الهم فاعلم ان السبب في التعجب من الامور عدم اطلاع النفس على اسبابها
لغموضها مع كونه في نفسه امرا غريبا ولذلك وضع اهل اللغة فوقهم ما افعل صيغة للتعجب كقولك ما احسن زيدا وعلمت ان التعجب
فيها السؤال عن اسبابها حسنه وكلما كان الامر غريب الاسباب اخفى كان اعجب فاذا كان امرا خطيرا مهما واشتغلت النفس في طلب سببه فعجزت
من تحصيله وتكل القوة المخيلة عن تفتيشه فيجد بسبب عدم الاطلاع على سببه هم وغم لانه كالمرض الذي لا يمكن علاجه الا بالوقوف على سببه
فيتبع ذلك الهم موت القلب تجوز بلفظ الموت عن الهم والغم تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه والملازم الاسم المسبب اذا عرفت ذلك فنقول ان اجتماع قوم
في نصرتهم عن حقهم مع علمهم بحقيته وحال خصمائهم على باطلهم مع اشتراكهم في الشجاعة وكون قومه ذا يقين برضاء الله لو امتثلوا امره من
العجب المميت للقلب لانه لا يهتدى بسببه واما انه يجلب الهم فظاهر اذ كان حاله معهم كحال الطبيب الشفيق الناصح لقوم مرضى معيضا لزمهم مخالفته
لما يلزمه من حمية او شرب دواء وظاهر ان تلك الحال مما يجلب الطبيب الهم ثم لما تمم التعجب وصفه بالشدة اعقبه بذكر الامر المتعجب منه ليكون في النفوس
اوقع ثم اردف ذلك التعجب بالدعاء عليهم بالبعد عن الخير والحزن بسبب تفريطهم واعقبه بالتوبيخ لهم والتبكيت بما يانف منه اهل المروة
والحمية ويوجب لهم الخجل والاستحياء من صيرورتهم بسبب تقصيرهم غرضا للرماة يغار عليهم وقد كان الاولى بهم ان يغزوا ويغيروا وقد كانوا هم اولى
بالنصر ويعصى الله مع رضاهم بذلك ثم حكى صور اعذارهم في التخلف عن امره وهي تارة شدة الحر وتارة شدة البرد من الاعذار التي يبدون العاقل
منها ملعم الكسل والعجز وانه لم يكن لهم بها مقصود الا المدافعة ثم نسب تلك الاعذار واستنبطها وجعلها مفادا للحجاج
عليهم بقوله فانتم والله من السيف افر وذلك ان الفار من الاهون فار من الاشد بطريق الاولى اذ هنا سبب

لشدة الحر والبرد مع القتل والمجالدة بالسيف ثم اردف ذلك تبكيت بالذم لهم بثلاثة اوصاف **احدها** انه نفى عنهم صفة الرجولية
لا شجاعتها ما ينبغي من صفات لكمال الانسان كالشجاعة والانفة والحمية والغيرة وعدم قبول الكمالات فيهم وان كانوا بالصورة
المحسوسة للرجال الموجبة لتشبههم بهم وذلك قوله يا اشباه الرجال ولا رجال **وثانيها** انه وصفهم بحلوم الاطفال وذلك
ان ملكة الحلم ليس بحاصل للطفل وان كانت قوة الحلم حاصلة له لكن قد يحصل له ما يتصور بصورة الحلم كعدم التسرع الى الغضب
عن خيال برضيه واغلب احواله ان يكون ذلك عن ضعف وليس يحصل له ما يكتسب نفسه طمأنينة كما في حق الكاملين فهو
انه نقصان ولما كان تاركوا امره عليه السلم بالجهاد قد تركوا القتال حلما عن اذى كثير لهم الحرب بصفين عن خدعة اهل الشام
لهم بالمسالمة وطلب المحاكمة الى كتاب الله ورفع المصاحف فقالوا اخواننا في الدين فلا يجوز لنا قتالهم كان ذلك حلما في غير موضعه
حتى كان من امرهم ما كان فاشبه رضى الصبيان فاطلق اسمه عليه **وثالثها** الحاق عقولهم بعقول النساء وذلك للمشاركة
في النقصان وعدم عقليتهم لوجوه المصالح المختصة بتدبير المدن والحرب ثم عرفهم محبته لعدم رؤيتهم وعدم معرفتهم لاستلزامها ندمه
على الدخول في امرهم والحزن من تقصيرهم في الذب عن الدين لان المتولي لامر يغلب على ظنه استقامته حتى اذا دخل فيه وطلب انتظامه
وجده غير ممكن له لا بد وان يندم على تضييع الوقت ويحزن على عدم امكانه وهذه حاله عليه السلم مع اصحابه ولذلك حزنت
الانبياء ع على تقصير اممها حتى عاتبهم الله تعالى على ذلك كقوله لمحمد صلعم ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون لعلك باخع
نفسك ان لا يكونوا مؤمنين ثم عاد الى الدعاء عليهم والتشكي منهم وذلك قوله قاتلكم الله الى اخره واعظم بما دعا عليهم فان المقاتلة
لما كانت مستلزمة للعداوة والعداوة مستلزمة لاحكام كاللعن والطرد والبعد من الشفقة والخير من جهة العدو وكان اطلاق
المقاتلة والعداوة على الله بحسب حقيقتهما غير ممكن كان اطلاق لفظ المقاتلة والعداوة مقصودا به لوازمهما كالابعاد عن الرحمة مجازا
قال المفسرون معنى قول العرب قاتلكم الله اي لعنكم قال ابن الانباري المقاتلة من القتل فاذا اخبر الله بها كان معناها اللعنة لان
من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك وقوله لقد ملأتم قلبي قيحا اشارة الى بلوغ الغاية في التألم الحاصل له من شدة الاهتمام بامرهم مع
تقصيرهم وعدم طاعتهم لاوامره فعبر بالقيح عن الم القلب مجازا من باب اطلاق اسم الغاية على ذي الغاية اذ كان غاية الم العضو ان يتقيح
وكذلك الحاق لفظ الشحن على فعلهم المؤلم لقلبه مجازا لان الشحن حقيقة في السفينة بين جسمين وكذلك قوله وجرعتموني نغب التهمام
انفاسا اي جلبتم لي الهم وقتا فوقتا مجازا لان التجرع عبارة عن ادخال الماء ونحوه في الحلق وطريان الهم على نفسه وما يلزم الهم من
الالام البدنية عليه بدنه وتكرار ذلك منهم يشبه طريان المشروب وتجرعه وقوله انفاسا مجاز في الدفعة لتشابههما فان النفس حقيقته
لغوية في الهواء الداخل والخارج في بدن الحيوان من قبل الطبيعة ثم استعمل عرفا في المقدار ما يشرب في مدة ادخال الهواء بعلاقة الحاجة
اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق ثم استعمل ههنا في كل مقدار من الهم يرد عليه من قبل اصحابه وقتا فوقتا وهي درجة ثانية من المجاز
وقوله وافسدتم علي رأيي بالعصيان من تمام تشكيه منهم ومعنى افسادهم له خروجه بسبب عدم انقيادهم له عن ان يكون منتفعا به لغيرهم حتى
قالت قريش انه وان كان رجلا شجاعا الا انه غير عالم بالحرب فان الخلق اذا راوا من قوم سوء تدبير او مقتضى رأي فاسد كان الغالب
ان ينسبوا الى رئيسهم ومقدمهم ولا يعلمون انه الا من الذي يرى الراي كان قد راى وقد سمع ان التقصير من قومه ثم اردف ذلك
بالرد على قريش في نسبتها له الى قلة العلم بالحرب بقوله لله ابوهم الى اخره وهي كلمة من مدائح العرب ثم سالهم عن وجود من هو اشد للحرب معالجة او
اقدم منه فيها مقاما سؤالا على سبيل الانكار عليهم ونبه على صدقه بنهوضه في الحرب ومعاناته احوالها عامة عمره وهو من قبل بلوغ العشرين
الى اخر عمره ثم بين ان السبب في فساد حال الصحابة ليس ما تخيله قريش فيه من ضعف الراي في الحرب كما يزعمون بل عدم طاعتهم لما يراه
ويشير عليهم به وذلك قوله ولكن لا راي لمن لا يطاع فان الراي الذي لا يقبل بمنزلة الفاسد وان كان صوابا والمثل له عليه السلم و

ومن خطبة له عليه السلام اما بعد فان الدنيا قد ادبرت واذنت بوداع وان الاخرة قد اقبلت واشرفت باطلاع الا وان
اليوم المضمار وغدا السباق والسبقة الجنة والغاية النار افلا تائب من خطيئته قبل منيته الا عامل لنفسه قبل يوم
بؤسه الا وانكم في ايام امل من ورائه اجل فمن عمل في ايام امله قبل حضور اجله فقد نفعه عمله ولم يضرره اجله ومن ٢
٢ خسر عمله وضره اجله الا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة الا واني لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها الا
وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ومن لا يستقيم به الهدى يجر به الضلال الى الردى الا وانكم قد امرتم بالظعن ودللتم
على الزاد وان اخوف ما اخاف عليكم اثنتان اتباع الهوى وطول الامل فتزودوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به انفسكم
غدا قال الرضي ره واقول انه لو كان كلام يأخذ بالاعناق الى الزهد في الدنيا ويضطر الى عمل الاخرة لكان هذا الكلام وكفى
به قاطعا لعلائق الامال وقادحا زناد الاتعاظ والازدجار ومن اعجبه قوله ع الا وان اليوم المضمار وغدا السباق والسبقة
الجنة والغاية النار فان فيه مع فخامة اللفظ وعظم قدر المعنى وصادق التمثيل وواقع التشبيه سرا عجيبا ومعنى لطيفا وهو

حيال لم

قصر في ايام امله قبل حضور اجله

ح ٩

قوله ع والسبقة الجنة والغاية النار فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين ولم يقل والسبقة النار كما قال والسبقة الجنة لان الاستباق
انما يكون الى امر محبوب وغرض مطلوب وهذه صفة الجنة وليس هذا المعنى موجودا في النار نعوذ بالله منها فلم يجز ان يقول والسبقة
النار بل قال والغاية النار لان الغاية قد ينتهي اليها من لا يسره الانتهاء اليها ومن يسره ذلك فصلح ان يعبر بها عن الامرين معا
فهي في هذا الموضع كالمصير والمآل قال الله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار ولا يجوز في هذا الموضع ان يقال فان سبقتكم الى
النار فتامل ذلك فباطنه عجيب وغوره بعيد لطيف وكذلك اكثر كلامه ع وقد جاء في رواية اخرى والسبقة بضم السين والسبقة
بضم السين والسبقة عندهم اسم لما يجعل للسابق اذا سبق من مال او عرض والمعنيان متقاربان لان ذلك لا يكون جزاء على فعل
الامر المذموم وانما يكون جزاء على فعل الامر المحمود **اقول** هذا الفصل من الخطبة التي اولها الحمد لله غير مقنوط من رحمته وسيجيء
بعد وانما قدمه الرضي عليها لما سبق من اعتذاره في خطبة الكتاب انه لا يراعي التتالي والنسق في كلامه وقوله ادبر ودبر اي ولى دبره
واذنت اي اعلمت واشرفت اي اطلعت والمضمار المدة التي يضمر فيها الخيل للمسابقة اي تعلف حتى تسمن ثم ترد الى القوت والمدة
اربعون يوما وقد يطلق على الموضع الذي يضمر فيه ايضا والسباق مصدر مرادف للمسابقة وهو ايضا جمع سبقة كنطفة ونطاف
او سبقة كحجلة وحجال او سبق كجمل وجمال والسبقة اسم لما يجعل للسابق من مال او عرض والمنية الموت والبؤس شدة الحاجة
وتحرزون تحفظون واعلم ان هذا الفصل يشتمل على احد عشر تنبيها **الاول** على وجوب النفار عن الدنيا وعدم الركون اليها وذلك
بقوله الا وان الدنيا قد ادبرت واذنت بوداع واشار بادبار الدنيا واعلامها بالوداع الى تقضي الاحوال الحاضرة بالنسبة الى كل شخص
شخص من الناس من صحة وشباب وجاه ومال وكل ما يكون سببا لصلاح حال الانسان وان كل تلك اجزاء للدنيا الدنية من الانسان
ولما كانت هذه الامور ابدا في التغير والتقضي المقتضي لمفارقة الانسان لها وبعدها عنه لا جرم حسن اطلاق اسم الادبار على
تقضيها وبعدها استعارة تشبيها لها بالحيوان في ادباره فقيل لكل امر يكون الانسان فيه من خير او شر اذا كان في اوله اقبل واذا كان
في اخره وبعد تقضيه ادبر وكذلك اسم الوداع فان التقضي لما استلزم المفارقة وكانت مفارقة الدنيا مستلزمة لاسف الانسان
عليها ووجده بها اشبه ذلك ما يفعله الانسان في حق صديقه المرتحل عنه في وداعه من الاسف على فراقه والحزن والبكاء
ونحوه فاستعير اسم الوداع له وكنى باعلامها بذلك عن الشعور الحاصل بمفارقتها من تقضيها شيئا ٢ وهو اعلام بلسان الحال **الثاني**
التنبيه على الاقبال على الاخرة والتيقظ للاستعداد لها بقوله الا وان الاخرة قد اقبلت واشرفت باطلاع ولما كانت الاخرة عبارة
عن الدار الجامعة للاحوال التي يكون الناس عليها بعد الموت من سعادة وشقاوة والم ولذة وكان تقضي العمر مقربا للوصول الى تلك
الدار والحصول فيها يشتمل عليه من خير او شر حسن اطلاق لفظ الاقبال عليها مجازا ثم نزلها لشرفها على الدنيا في حال اقبالها منزلة عال
عند سافل فاسند اليها لفظ الاشراف ولاجل احصاء الاعمال الدنيوية فيها منزلة عالم مطلع فاطلق عليها لفظ الاطلاع ويحتمل ان
يكون اسناد الاشراف بكيفية الاطلاع الى رب الاخرة وانما عبر بالاخرة عنه تعظيما لجلاله كما يكنى عن الرجل الفاضل بمجلسه وحضرته
ويكون كيفية الاطلاع قرينة ذلك **الثالث** التنبيه على وجوب الاستعداد بذكر ما يستعد لاجله وهو السباق وذكر ما
يستبق اليه وما هو غاية المقصر المتخلف عن نداء الله وذلك قوله الا وان اليوم المضمار الى قوله والغاية النار وكنى باليوم عن عمر الانسان الباقية
له واخبر بالمضمار عنها واعلم انه قد ورد المضمار والسباق مرفوعين ومنصوبين فاما رفع المضمار فلانه خبر ان واليوم اسمها وانما
اطلق اسم المضمار على تلك المدة لما بينهما من المشابهة فان الانسان في مدة عمره يستعد بالتقوى ويرتاض بالاعمال الصالحة لتكمل
قوته فيكون من السابقين الى لقاء الله والمقربين في حضرته كما يستعد الفرس بالتضمير لسبق مثله واما نصبه ففيه شك لا يحتمل
ان يقال ان المضمار زمان واليوم زمان فلو اخبرنا عنه باليوم لكان ذلك اخبارا بوقوع الزمان في الزمان فيكون للزمان محل
الى زمان اخر وذلك محال وجوابه لا نسلم ان الاخبار بوقوع الزمان محوج للزمان الى زمان اخر فان بعض اجزاء الزمان قد يخبر
عنها بالزمان بمعنى انها اجزاؤه والجزء في الكل لا بمعنى انها حاصلة في زمان اخر وان كان انما يحسن الاخبار عنها به اذا قيد بنوع
واشتملت على احداث يختص بها كما تقول ان مصطبح القوم اليوم فكذلك المضمار لما كان وقتا مشتملا او هو حدث صح الاخبار عنه باليوم
واما نصب السباق فلانه اسم ان اي وان غدا السباق وكنى بغد عما بعد الموت واما رفعه فلا وجه له الا ان يكون مبتدأ خبره غدا و
يكون اسم ان ضمير الشان وقال بعض الشارحين يجوز ان يكون خبر ان هو لفظ السباق لان الحكم بشيء على شيء اما بمعنى انه هو كما يقال
الانسان هو الضحاك وهو ما يسميه المنطقيون حمل المواطاة او على ان المحكوم عليه ذو المحكوم به كما يقال الجسم ذو بياض وهو ما يسمونه
حمل الاشتقاق ولا واحد من المعنيين بحاصل في الحكم بالسباق على غد فيمتنع ان يكون خبر ان اللهم الا على تقدير حذف المضاف و
اقامة المضاف اليه مقامه اي وان غدا وقت السباق لكن لا يكون السباق هو الخبر في الحقيقة ثم ان قلنا ان السباق مصدر كان تقديره
ضمروا انفسكم اليوم فانكم غدا تستبقون وتحقيق ذلك ان الانسان كلما كان اكمل في قوتيه النظرية والعملية كان وصوله الى حضرة

فشيئا

في الزمان

على التقدير

هو حد

قبل وصول من هو اقصر منه ولما كان سبب النقصان في هاتين الفريقين اتباعهم ومحبتهم ما عدا الحق الواحد واتباع الشهوات والميل الى
انواع اللذات المتباينة والاعراض الذي ينبغي لك عن تولي القبلة الحقيقية وسبب الكمال فيهما هو الاعراض عما عدا الواحد الحق من الامور
المتعددة والاقبال عليه بالكلية وكان الناس في محبة الدنيا وفي الاعراض عنها والاستكمال بطاعة الله على مراتب مختلفة ودرجات
متفاوتة كان كون اليوم هو المضمار ... السباق مصورا جليا فان كل من كان اكثر استعدادا واقطع لعلائق الدنيا عن قلبه
لم يكن له بعد الموت عائق يعوقه عن الوصول الى الله وما اعد له في الجنة من الثواب الجزيل بل كان خفيفا لظهره ناجيا من ثقل الاوزار
كما اشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله نجا المخففون كما سبق من اشارة علي عليه السلام الى ذلك بقوله تخففوا تلحقوا فيكون بعد الموت سابقا لمن كان
اضعف استكمالا منه ومن لبس عقاربه بالهيئات البدنية والملكات الردية قلبه واثقلت الاوزار ظهره واوجبت له التخلف عن درجة
السابقين الاولين وكذلك يكون سبق هذا بالنسبة الى من هو اقل استعدادا منه واشد علاقة للدنيا بقلبه فكان معنى المسابقة
ظاهرا وان كان استعارة من السباق المتعارف بين العرب فان قلنا ان السباق جمع سبقة اسم لما يستبق اليه ويجعل للسابق فالمعنى
ايضا ظاهر فان ما يستبق اليه انما يكمل الوصول اليه بعد المفارقة ويكون الاستباق اما قبل المفارقة وهو السعي في درجات الرياضات
كما اشار اليه سبحانه بقوله سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا الاية وقوله فاستبقوا
الخيرات او بعد المفارقة كما اشرنا اليه فيكون قوله بعد ذلك والسبقة الجنة تعيينا للمسبوق اليه بعد التنبيه عليه اجمالا او
اما قوله والغاية النار فالذي ذكره الرضي رضي الله عنه في تخصيص الجنة بالسبقة والنار بالغاية حسن وكاف في بيان مراده عليه السلام الا
انه يبقى ههنا بحث وهو ان هذه الغاية من اي الغايات هي وهل هي غاية حقيقية اولا ... غاية فنقول ان ما ينتهي اليه قد يكون بشوق
طبيعي وقد يكون بشوق ارادي في كل واحد منهما قد يكون ذاتيا وقد يكون عرضيا فالشوق الذاتي منهما يقال له غاية اما طبيعية
كاستقرار الحجر في حيزه عن حركته بشوق طبيعته له اليه واما ارادية كغايات الانسان من حركاته المنتهي اليها بشوق ارادته واما
المنتهى اليه بالشوق العرضي فهو من لوازم احدى الغايتين وقد يسمى غاية عرضية فاللازم عن الطبيعية كمنع الحجر غيره ان يحل
بحيث هو فان ذلك من لوازم استقراره في حيزه وعن الارادية كالاستظلال ... الجار بسراج جاره فان ذلك من لواحق استضاءته
وكهلاك الطاير في حبائل الصيادين بالميل الى اللقاط حبة اذا عرفت ذلك فنقول ان كون النار غاية بهذا المعنى للرابع وبيانه
ان محبة الدنيا والميل اليها والانهماك في مشتهياتها سواء كان معها مسكة للانسان بالله تعالى او لم يكن فانه من لوازمها الا
الى النار الا ان يشاء الله كما قال تعالى من يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وكان المقصود الاول للانسان
هو تناول اللذات الحاضرة لكن لما كان من لوازم الوصول الى تلك اللذات والاقبال عليها دخول النار والانتهاء اليها كانت
عرضية **الرابع** التنبيه على التوبة قبل الموت وهو قوله الا تايب من خطيئته قبل منيته ولا شك انها يجب ان تكون مقدمة
على الاعمال لانك علمت ان التوبة هي انزجار النفس العاقلة عن متابعة النفس الامارة بالسوء لجاذب الهي طلعت معه على قبح
ما كانت عليه من اتباع شياطينها وهو من مقام الزهد والتخلي وقد علمت في بيان كيفية السلوك الى الله تعالى ان مقام التخلية
فكان الامر بها مقدما على الامر بسائر الطاعات **الخامس** التنبيه على العمل للنفس قبل البؤس والاشارة الى ما بعد الموت
والعذاب اللازم للنفس اللازم عن التقصير في العمل اذ الواصل الى يوم بؤسه على غير عمل يسير في يد شياطينه وقد علمت ان غاية
الاسير سائقي بيد التسلط دخول النار والحجب عن لقاء رب العالمين ولما كان العمل هو المعين على قهر الشياطين والخلاص
من اسرهم نبه عليه ثم اردفه بالتنبيه على وجود الزمان الذي يمكنهم فيه العمل وهو ايام املهم للعمل وغيره على ان الزمان منقطع
بمجوف الاجل ثم اردفه ببيان فايدة العمل في ذلك الزمان وهي المنفعة بثواب الاخرة وما يلزمها من عدم مضرة الاجل وبيان
ثمرة المقصر في العمل فيه وهي خسران العمل المستلزم لمضرة الاجل ولحسن استعارته لفظ الخسران لفوات العمل فان الخسران لفوات
الكمال فان الخسران في البيع لما كان هو النقصان في راس المال او ذهابه جملة وكان العمل هو راس مال العامل الذي يكتسب
الكمال والسعادة الاخروية لا جرم حسنت استعارة لفظ الخسران لعدم العمل واما استلزام المنفعة لعدم مضرة الموت واستلزام
الخسران لمضرته فهو امر ظاهر اذ كان الكامل في قوتيه المعرض عن متاع الدنيا غير ملتفت اليها بعد المفارقة فلم يحصل له بسببها
تعذيب فكانت المضرة منتفية عنه وكان المقصر عن الاستكمال فيهما من ضرورة طباعه الميل الى اللذات الحسية فاذا قصر عن العمل والتعلق
بطاعة الله الجاذبة اليه فلا بد ان يستضر بحضور الاجل اذ كان الاجل قاطعا لزمان الاستكمال وحائلا بين الانسان وبين ما هو
معشوق له من حاضر اللذات **السادس** التنبيه على وجوب التسوية للعامل بين العمل في الرغبة والعمل في الرهبة وفيه تنبيه التوبيخ
للعبد على غفلته عن ذكر الله واعراضه عن عبادته في حال صفاء اللذات الحاضرة له وطمأنينته اليه وفزعه عند نزول الزمان ...
بيرنا ان ذلك ليس من شان العبودية الصادقة لله والى مثل هذا التوبيخ اشار التنزيل الالهي بقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل

مقدم على مقام التحلية

ذلك

من تدعون

من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا وغيرها من الآيات بل من شان العابد لله القاصد له ان يتساوى
عبادته في زمان شدته ورخائه فيقابل الشدة بالصبر والرخاء بالشكر وان يعبده لا لرغبة ولا رهبة وان عبده فيها **السابع**
قوله واني لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها واعلم ان الضمير في طالبها وهاربها يعودان الى المفعول الاول لارى المجرد
التشبيه في الموضعين والتقدير لم ار نعمة كالجنة نام طالبها ولا نقمة كالنار نام هاربها ونام في محل النصب مفعولا ثانيا ومعنى
هذا الكلام انه نفى علمه بما يشبه الجنة وما يشبه النار ولم ينف علمه بذات ذلك التشبيه بل علمه به من جهة الشبه وهي نوم
الطالب والهارب ولذلك استدعت ارى بمعنى اعلم هنا مفعولين اي لم ار نعمة كالجنة بصفة نوم الطالب لها فاثبته على وجه
التشبيه بقوله نام طالبها ثم نفى التشبيه من تلك الجهة وكذلك قوله ولا كالنار بصفة نوم هاربها والمفعول الثاني في الجملتين
صفة جارية على غير من هي له وهي تنبيه للموقنين بالجنة والنار على كونهم نائمين في مراقد الطبيعة لينتبهوا منها ويتيقظوا
للاستعداد بالعمل لما وراءهم من مرغوب فيه ومرهوب منه وفيه شبه التعجب من جمع الموقن بالجنة والنار بين علمه بما في الجنة من تمام النعمة
وتقصيره عن طلبها بما يؤدي اليها من الاعمال الصالحة وجمع الموقن بالنار بين علمه بما فيها من عظيم العذاب وبين تقصيره ثم
غفلته عن الهرب الى ما يخلص منها من ذلك **الثامن** قوله الا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل فالضمير في انه ضمير الشان واراد
بالحق الاقبال على الله بلزوم الاعمال الصالحة المطابقة للعقائد المطابقة وبالباطل الالتفات عنه الى غيره ثم لا يجدي نفعا
في الاخرة وهو تنبيه على استلزام عدم منفعة الحق لمضرة الباطل في صورة شرطية متصلة وبيان الملازمة فيها ظاهر فان وجود الحق
مستلزم لمنفعته فعدم منفعته اذن مستلزم لوجود الباطل لان اعتقاد المكلف وعمله اما ان يطابقا امر الله تعالى او لا والاول
هو الحق والثاني هو الباطل وظاهر انه عدم الاول مستلزم لوجود الثاني ثم ان وجود الباطل مستلزم لمضرته فيظهر بهذا البيان ان عدم
منفعة الحق مستلزم لوجود مضرة الباطل واذا ثبت ذلك فنقول المراد عكس المشهورة بلزوم الحق المستلزم لمنفعته ونفي الباطل
المستلزم لعدم مضرته فان لزوم الطاعة لله بامتثال اوامره والاقبال عليه مستلزم للوصول الى جواره المقدس والالتفات الى ما
عداه المعبر عنه بالباطل مستلزم للنقصان الموجب للتخلف عن السابقين والهوي في دركات الكين وذلك محض المضرة فظهر اذن
سر قوله انه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ومن غفلة بعض من يدعي العلم عن بيان هذه الملازمة ذهب الى ان الوعيدات الواردة في
الكتب الالهية انما جاءت للتخويف دون ان يكون هناك شقاوة للعصاة محتجا على ذلك بتمثيلات خطابية عن مشهورات في بادي الراي
اذا تعقبها النظر ... **التاسع** قوله ومن لا يستقم به الهدى يجر به الضلال الى الردى اراد بالهدى نور العلم والايمان وبالضلال
الجهل والخروج عن امر الله والمعنى ان من لم يكن الهدى دليله القائد له بزمام عقله في سبيل الله ويستقيم به في سلوك صراطه المستقيم فلا بد
وان ينحرف به الضلال عن سواء الصراط الى احد جانبي التفريط والافراط وملازمة هذه الشرطية ايضا ظاهرة لان وجود الهدى لما استلزم وجوب
استقامته بالانسان على سواء السبيل كان عدم استقامة الهدى به مستلزما لعدم الهدى المستلزم لوجود الضلال المستلزم للجور
بالانسان الى مهاوي الردى والعدول به عن الصراط المستقيم الى سواء الجحيم **العاشر** قوله الا وانكم قد امرتم بالظعن ودللتم على الزاد
وهو تنبيه على ملاحظة الاوامر الواردة بالظعن كقوله تعالى ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين وكقوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم
وعلى الامر باتخاذ الزاد كقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى واحسن باستعارته الظعن للسفر الى الله واستعارة الزاد لما يقرب اليه وجه
الاستعارة الاولى ان الظعن لما كان عبارة عن قطع المراحل المحسوسة بالرجل والجمل ونحوه فكذلك السفر الى الله عبارة عن قطع المراحل المعقولة
بقدم العقل ووجه الثانية ان الزاد لما كان انما يعد ليقوى به الطبيعة على الحركة الحسية وكانت الامور المقربة الى الله تعالى مما تقوى
به النفس على الوصول الى جنابه المقدس كان ذلك من اتم المشابهة التي يقرب معها اتحاد المتشابهين وبحسب قوة المشابهة يكون قوة
حسن الاستعارة **الحادي عشر** التنبيه على اخوف الامور التي ينبغي ان تخاف لتجتنب وهو الجمع بين اتباع الهوى وطول الامل وقد سبق كلامه
عليه السلام هذا الكلام في موضع اخر مع ذكر علة التحذير من هذين الامرين وشرح معناه هناك ويكفي ههنا ان يقال انما خص بهما
عقيب التنبيه على الظعن والامر باتخاذ الزاد لكون الجمع بينهما مستلزما للاعراض عن الاخرة فيكون مستلزما لعدم الظعن وعدم اتخاذ
الزاد مخوف منهما ليجتنبا فيحصل مع اجتنابهما الاقبال على اتخاذ الزاد والاهبة للظعن ولذلك اردف التخويف منهما بالامر باتخاذ الزاد
وفي قوله من الدنيا في الدنيا لطف فان الزاد الموصل الى الله تعالى اما علم او عمل وكلاهما يحصلان من الدنيا في الدنيا اما العمل فلا
شك انه عبارة عن حركات وسكنات تستلزم هيئات مخصوصة انما تحصل بواسطة هذا البدن وكل ذلك من الدنيا في الدنيا
واما العلم فلان الاستكمال به انما يحصل بواسطة هذا البدن ايضا اما بواسطة الحواس الظاهرة والباطنة وتفطن النفس لمشاركات بين
المحسوسات ومباينات بينها وظاهر ان ذلك من الدنيا في الدنيا واشار بقوله ما تحرزون به انفسكم غدا الى ان كل زاد عده الانسان لنفسه
للوصول الى جوار الله فقد تدرع به من عذابه وحفظ به نفسه يوم لا ينفع مال ولا بنون وقد اشتمل هذا الفصل على ستة اجناس

اي التشبيه

فيفطنوا ويتيقظوا

لعدمه وعدم يستلزم

في بيان خطبة خطبها بسبب غارة الضحاك بن قيس

لطيفة لا انفعال لا عن اوامر الله وزواجره واذا تاملت اسلوب كلامه وراعيت ما فيه من فخامة الالفاظ وجزالة المعاني المطابقة للبراهين العقلية
وحسن الاستعارات والتشبيهات ومواقعها وصحة ترتيب اجزائه ووضع كل مع ما يناسبه وجدته لا يصدر الا عن علم لدني وفيض رباني
وامكنك الفرق بين كلامه وكلام غيره والتمييز بينهما بسهولة وبالله العصمة والتوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ايها الناس
المجتمعة ابدانهم المختلفة اهواؤهم كلامكم يوهي الصم الصلاب وفعلكم يطمع فيكم الاعداء تقولون في مجالسكم كيت وكيت فاذا جاء
القتال قلتم حيدي حياد ما عزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم اعاليل باضاليل وسألتموني التطويل دفاع
ذي الدين المطول لا يمنع الضيم الذليل ولا يدرك الحق الا بالجد اي دار بعد داركم تمنعون ومع اي امام بعدي تقاتلون المغرور دار بعد
والله من غررتموه ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل اصبحت والله لا اصدق قولكم و
لا اطمع في نصركم ولا اوعد العدو بكم ما بالكم ما دواؤكم ما طبكم القوم رجال امثالكم اقولا بغير علم وغفلة من غير ورع
وطمعا في غير حق **اقول** روي ان السبب في هذه الخطبة هو غارة الضحاك بن قيس بعد قصة الحكمين وعزمه على المسير الى الشام
وذلك ان معوية لما سمع باختلاف الناس على علي ونفرتهم عنه وقتله من قتل من الخوارج بعث الضحاك بن قيس في نحو من اربعة
الاف فارس واوعز اليه بالنهب والغارة فاقبل الضحاك يقتل وينهب حتى مر بالثعلبية فاغار على الحاج فاخذ امتعتهم وقتل عمرو بن
عميس بن مسعود ابن اخي عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ص وقتل معه ناسا من اصحابه فلما بلغ عليا عليه السلام ذلك استصرخ اصحابه على اطراف اعماله و
استشارهم الى لقاء العدو فتلكأوا ورأى منهم تعاجزا وفشلا فخطبهم هذه الخطبة ولنرجع الى المتن فالاهواء الاراء والوهي الضعف وكيت
وكيت كناية عن الحديث وحاد عن الامر عدل عنه قال الجوهري قولهم حيدي حياد كقولهم فيحي فياح ونقل ان فياح اسم للغارة كقطام وحياد
ايضا اسم لها والمعنى اعدلي عنا ايتها الحرب ويحتمل ان يكون حياد من اسماء الافعال كنزال ويكون قد امر بالتنحي مرتين بلفظين مختلفين والاعاليل
والاضاليل جمع اعلال واضلال وهما جمع علة اسم لما يتعلل به من مرض وغيره وضلة اسم من الضلال ومعنى الباطل والمطول كثير المطال
وهو تطويل الوعد وتسويفه والجد الاجتهاد والاخيب الاخيبة خيبة وهي الحرمان والافوق السهم المكسور الفوق وهو موضع الوتر منه و
الناصل الذي لا نصل فيه والمقصد انه نبههم على ما يستقبح في الدين ومراعاة حسن السيرة من احوالهم واقوالهم وافعالهم اما احوالهم
فاجتماع ابدانهم مع تفرق ارائهم الموجب لتخاذلهم عن الذب عن الدين والمفرق لشمل مصلحتهم واما اقوالهم فكلامهم الذي يضعف عند
سماعه القلوب الصلبة الثابتة ويطمع سامعه ان تحته نجدة وثباتا وهو قولهم مثلا في مجالسهم انه لا محل لخصومنا وانا سنفعل بهم
كذا وسيكون منا كذا وكذا واستعار لفظ الصم الصلاب من الصفا للقلوب التي تضعف عن سماع كلامهم كما شبهه القران الكريم
بها فهي كالحجارة او اشد قسوة واما افعالهم فهو تعقيبهم هذه الاقوال عند حضور القتال ودعوتهم الى الحرب بالتخاذل وعدم التناصر و
التقاعد عن اجابة داعي الله وكراهية الحرب والفرار عن مقاتلة العدو وكنى بقوله قلتم حيدي حياد من ذلك وهي كلمة كانت تستعملها العرب عند الفرار
ثم اردف بما العادة ان يانف منه من يطلب الانتصار على وجه النصح منهم عن كثرة تقاعدهم عن صوته وذلك قوله ما عزت دعوة من دعاكم ذلك
المستلزم للحكم بذلة داعيهم والاستراح قلب من قاساكم المستلزم للحكم بتعبه وقوله اعاليل باضاليل خبر مبتدأ محذوف اي واذا
دعوتكم الى القتال تعللتم وهي اعاليل بالحلة ضلالا عن سبيل الله وسألتموني التاخير وتطويل المدة فاعاد وقوله دفاع ذي الدين المطول
يحتمل ان يكون تشبيها لدفاعهم له بدفاع ذي الدين فيكون منصوبا بحذف الجار ويحتمل ان يكون قد استعار دفاع ذي الدين
المطول لدفاعهم فيكون مرفوعا ووجه الاستعارة ان المدين المطول ابدا مشتهي لعدم المطالبة ويود بنفسه ان لا يرى غريمه فكذلك
هم عليه السلام منهم انهم كانوا يحبون ان لا يعرض لهم بذكر القتال ولا يطالبهم به فاستعار لدفاعهم الدفاع المذكور لمكان المشابهة ثم
نبههم على قبح الذل ليفيئوا الى فضيلة الشجاعة بذكر بعض لوازم الرذيلة وهوان صاحبه لا يتمكن من رفع الضيم نفسه وعلى قبح
التواني والتخاذل بانه لا يدرك الاستحقاق الا بالجد ذلك هو الجد والتشمير في طلبه ثم اعقب ذلك بالسؤال على جهة الانكار و
التقريع عن تعيين الدار التي ينبغي لهم حمايتها بعد دار الاسلام التي لا نسبة لغيرها اليها في العز والكرامة عند الله ووجوب الدفع عنها
والتي هي موطنهم ومحل دولتهم وكذلك قوله ومع اي امام بعدي تقاتلون وفيه تنبيه لهم على فضيلته وما وثقوا به من اخلاص نفسه لله
في جميع حركاته وتثبيتهم على طاعته ان كان يتوهم في بعضهم الميل الى معوية والرغبة فيما عنده من الدنيا ثم اردف ذلك بذم من اغتر
بكلامهم ونسبته الى الغرور والغفلة ثم بالاخبار عن سوء حال من كانوا لخيرته ومن يقاتل بهم **اما الاول** فهو قوله المغرور والله من
غررتموه والمقصود بالحقيقة ذمهم وتوبيخهم على خلفهم المواعيد والمماطلة بالقعاد عن الحرب لانه انما ينسب من وثق بهم الى الغرور بعد
خلفهم في وعدهم له بالنهوض معه وجعله المغرور مبتدأ ومن غررتموه خبره ابلغ في اثبات الغرة لمن اغتر بهم من العكس لاقتضاء الكلام اذن
انحصار المغرور فيمن اغتر بهم من العكس لاقتضاء الكلام اذن انحصار المغرور في من اغتر بهم ولا كذلك لو كانوا من مبتدأ **واما الثاني**
فهو قوله ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل وقد شبه نفسه وخصومه كاللاعبين بالميسر والخطر

شبه حصولهم

ج ٩ اسم جر

شبه حصولهم في حقه بخروج احد السهام الخائبة التي لا غنم لها كالاوغاد التي فيها غرم كالتي لم يخرج حتى استوفيت اجزاء الجزور فحصل لصاحبها
غرم وخيبة فلاجل ملاحظة هذا الشبه استعار لهم لفظ السهم بصفة الاخيب واطلاق الفوز هنا مجاز في حصولهم له من باب اطلاق احد
الضدين على الاخر كتسمية السيئة جزاء وكذلك لاحظ المشابهة بين رجال الحرب وبين السهام في كون كل منهما عدة للحرب ودفع العدو
ولاحظ ايضا بين ارسالهم في الحرب وبين الرمي بالسهام فلاجل ذلك استعار اوصاف السهم من الافوق والناصل واستعار لفظ الرمي
لمقاتلته بهم ثم خصصهم باردأ اوصاف السهم التي يبطل معها فائدته لمشابهتهم ذلك السهم في عدم الانتفاع بهم في الحرب وكما انه
خصص بعثه لهم الى الحرب باستعارة الرمي بالسهم الموصوف لزيادة الشبه وهي عدم انبعاثهم عن امره وتجاوزهم اوطانهم كما ان الرمي بالسهم الذي
لا فوق له ولا نصل فانه لا يكاد يتجاوز عن القوس مسافة وهي من لطائف ملاحظات المشابهة والاستعارة عنها والمعنى ان من حصلتم
في حوزته فالخيبة حاصلة له فيما يطلب بكم ومن قاتل بكم عدوه فلا نفع له فيكم ثم اردفه بالاخبار عن نفسه بامور نشأت عن اساءة
ظنه بهم وعدم وثوقه باقوالهم بكثرة خلفهم ومواعيدهم الباطلة بالنهوض معه وهي انه لا يصدقهم لانه لم ير اكثر من شيء عرف به ومن
امثالهم ان الكذوب لا يصدق وانه لا يطمع في نصرهم وانه لا يوعد بهم عدوهم اذ كان وعيده بهم مع طول تخلفهم وشعور العدو بذلك
مما يوجب جرأته وتسلطه واما نسبه من الغفلة ثم اردفه بالاستفهام على سبيل الاستنكار والتقريع عن حالهم التي توجب لهم التخاذل و
التقاعد عن ندائه وهو قوله ما بالكم ثم عن دوائهم الصالح لمرضهم الذي هم فيه ثم عن كيفية علاجهم منه بقوله وما دواؤكم ما طبكم وقيل
اراد بقوله ما طبكم اي ما عادتكم والاول اظهر والبيق ثم نبههم على ما عساهم يتوهمونه من قوة خصومهم وباسهم بانهم رجال امثالكم في
الرجولية التي هي مظنة الشجاعة والباس فلا مزية لهم عليكم فلا معنى للخوف منهم ثم عاد الى سؤالهم على جهة التقريع وتنبيههم
به على امور لا ينبغي منقود عنها مستقبحة في الشريعة والعادة فاولا عن قولهم ما لا يفعلون وهو اشارة الى ما يعدونه من النهوض
الى الحرب ثم لا يفعلون وذلك بقوله اقولا بغير عمل تذكيرا لهم بما يستلزم ذلك من المقت عند الله كما اشير اليه في القران الكريم لم
تقولون على الله ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وعلى الرواية الثانية وهي اقولا بغير علم اي تقولون بالسنتكم
ما ليس في قلوبكم ولا تعتقدونه وتجزمون به من انا سنفعل كذا وكذا ويحتمل ان يكون معناه انكم تقولون انا مخلصون لله وانا
مسلمون ولا تعلمون شرائط الاسلام والايمان وثانيا عن غفلتهم التي ليست عن ورع وهي عدم تعقلهم للمصالح التي ينبغي ان يكونوا عليها
وهي طرف التفريط من فضيلة الفطانة وهذه بخلاف الغفلة مع الورع فان تلك نافعة في المعاد اذ كان الورع عبارة عن لزوم الاعمال
الجميلة المسعدة في الاخرة فالغفلة معه عن الامور الدنيوية والمصالح المتعلقة بها الدنيوية ليست بضارة بل ربما كانت سببا للخلاص
من عذاب الاخرة وثالثا عن طمعهم في غير حق اي انهم يطمعون فيما لا يستحقونه لينهضوا معه ويجيبوا دعوته وكانه عقل من بعضهم ان
احد اسباب تخلفهم عن ندائه انما هو طمعهم في ان يوفر عطياتهم ويمنحهم زيادة على ما يستحقون كما فعل غيره مع غيرهم فاشار الى ذلك ونبههم
على قبحه من حيث انه طمع في غير حق والله اعلم **ومن كلام له عليه السلام** في معنى قتل عثمن لو امرت به لكنت قاتلا او نهيت عنه
لكنت ناصرا غير ان من نصره لا يستطيع ان يقول خذله من انا خير منه ومن خذله لا يستطيع ان يقول نصره من هو خير مني وانا جامع
لكم امره استأثر فاساء الاثرة وجزعتم فاسأتم الجزع ولله حكم واقع في المستأثر والجازع **اقول** المستأثر بالشيء المستبد به ومقتضى هذا
الفصل تبرئه عليه السلام من الدخول في دم عثمن بامر او نهي كما نسبه اليه معوية وغيره **وقوله** لو امرت به لكنت قاتلا قضية شرطية بين
فيها لزوم كونه قاتلا لكونه امرا وهذا اللزوم عرفي اذ يقال في العرف للامر بالقتل قاتل والامر شريك للفاعل وان كان الفاعل في اللغة
هو المباشر للفعل والقاصد له وكذلك بين في قوله لو نهيت عنه لكنت ناصرا لزوم كونه ناصرا لكونه ناهيا وقوعا ومع عرفت ان
استثناء نقيض اللازم يستلزم نقيض الملزوم واللازمان في هاتين القضيتين هما القتل والنصرة ومعلوم ان القتل لم يوجد منه
بالاتفاق فان غاية ما يقول الخصم ان قعوده عن نصرته دليل على ارادته لقتله وذلك باطل لان القعود عن النصرة قد يكون لاسباب اخرى
كما سنبينه ثم لو سلمنا ان القعود عن النصرة دليل ارادة القتل لكن ارادة القتل ليس بقتل فان كل احد يحب قتل خصمه لكن لا يكون
بذلك قاتلا وكذلك ظاهر كلامه يقتضي ان النصرة لم توجد منه واذا انتفى اللازمان استلزم نفي امره بقتله ونهيه عنه ويحتمل ان يريد
في القضية الثانية استثناء عين مقدمها لينتج تاليها اي لكني نهيت عنه فكنت ناصرا الا انه لا يخلو اما ان يكون مرتكب المنكر هو
عثمن او قاتليه وعلى التقديرين فيجب على علي ع القيام والانكار اما على عثمن بالمساعدة عليه ان كان هو مرتكب المنكر او على قاتليه بالانكار
عليهم ونصرته فقعوده عن احد الامرين يستلزم الخطاء لكنه لم يخط فلم يكن تاركا لاحد الامرين فالمثبت للتبري والجواب لتبرئة من العصبية
في هذا الموضع ان عثمن احدث امورا نقمها جمهور الصحابة عليه وقاتلوه لاجل احداث توجب انكارها واما احداث عثمن فلم يثبت في نظر علي الى
حد يلحق بها القتل وانما استحق في نظره ان ينبهه عليها فلذلك ورد في النقل انه انكرها عليه وحذره من الناس غير مرة كما سيجيء في
كلامه فان صح ذلك النقل ثبت انه انكر عليه ما احدثه لكنه لا يكون بذلك اخلالا في دمه لاحتمال انه لما احدث الناس ولم ينته اعتزله و

وان لم يثبت ذلك لتنقل فالانكار ليس من فرض الاعيان بل هو من فروض الكفايات اذا قام به البعض سقط عن الباقين وقد ثبت ان جمهور
الصحابة انكروا ذلك الاحداث من عثمن فلا يتعين وجوب الانكار على علي ع واما حديث فاتليه فهو قتله فان ثبت انه ع ما انكر عليهم قلنا
ان من جملة شروط انكار المنكرات ان يعلم المنكر او يغلب على ظنه قبول قوله او تمكنه من الدفع بيده فلعله ع علم من حالهم انه لا يفيد
انكاره معهم وظن ان الامر كان كلما عدم فايدة انكاره بالقول معهم فلانه نقل عنه ع انه كان يعد الناس بصلاح الحال بينهم وبين
عثمن وازالة ما نقموه عليه وينكر منه وعدهم بذلك ولم يتمكن منه وظنا انهم بعد تلك المواعيد لا يلتفتون الى قوله واما
انكاره بيده فمعلوم بالضرورة ان الانسان الواحد او العشرة لا يمكنهم دفع الجمع العظيم من عوام العرب ودعاتهم خصوصا عن هيجانهم عن غضبا
ثارت وتالفت وجمعها استد جامع وهو ما نسبوه اليه حقا وباطلا من التحمل من تفرقة مال المسلمين الذي هو قوام حيوتهم
سواء كان ما نسبوه اليه ان يكون قد غلب على ظنه انه لو قام في نصرته لقتل معه ولا يجوز للانسان ان يعرض نفسه للاذى
والقتل في دفع بعض المنكرات الجزئية واما ان ثبت انه انكر عليهم كما نقلنا حملنا ذلك النهي على نهيهم حال اجتماعهم لقتله
قبل حال قتله وكان قوله ولو نهيت عنه لكنت ناصرا والا على عدم المنع من قتله حال قتله لعدم تمكنه من ذلك وعدم افادة
قوله قال بعض الشارحين هذا الكلام بظاهره يقتضي انه ما امر بقتله ولا نهى عنه فيكون دمه عنده في حكم الامور المباحة التي
لا يومر بها ولا ينهى عنها قلت هذا سهو لان التبري من الامر بالشيء والنهي عنه غاية ما يفهم منه عدم الدخول فيه والسكوت
عنه ولا يلزم من ذلك الحكم بانه من الامور المباحة لاحتمال ان اعتزاله هذا الامر كان لاحد ما ذكرناه وبالجملة فان اهل التحقيق
متفقون على ان السكوت على الامر لا يدل على حال الساكت بمجرده وان تلك بقرينة اخرى ومما يدل على انه كان متبرئا من الدخول
في دم عثمن بامر او نهي ما نقل عنه لما سئل اساءك قتل عثمن ام سرك فقال ما ساءني ولا سرني وقيل له ارضيت بقتله فقال
لم ارض فقيل سخطت قتله فقال لم اسخط وهذا كله كلام حق يستلزم عدم التعرض بامره فان من اعرض عن شيء ولم يدخل فيه
بصدق ان يقول اني لم اسخط به ولم ارض ولم اسائه ولم اسر فان السخط والرضا والاساءة والسرور حالات تتوارد على النفس باسباب
تتعلق بها تخالع تلك الاسباع عن نفسه في امر من الامور كيف يعرض له احد هذه الحالات فيه فان قلت ان كان قتل عثمن منكرا
كان مستلزما لسخطه ع ومساءة مرمنه وقد نقل عنه انه لم يسخط له وذلك يقتضي احد الامرين احدهما انه ع لا يسخط للمنكر
وهو باطل بالاتفاق والثاني ان قتل عثمن لم يكن عنده منكرا والتقدير انه منكر قلت ان قتل عثمن يستلزم سخطه لكن لا من
حيث انه قتل عثمن بل من جهة كونه منكرا والمنقول انه لم يسخط لقتل عثمن ولا ساءه ذلك اي من جهة كونه قتل عثمن وذلك
لا ينافي ان يسوءه ويسخط من جهة كونه منكرا وفي الجواب غموض فليتفطن ولاجل اشتباه الحال خبط الجهال فيها يقول شاعر
اهل الشام وما في علي لمستعتب مقال سوى صحبه المحدثينا وايثاره اليوم اهل الذنوب ودفع القصاص عن القاتلينا
اذا سئل عنه حدا شبهة وعمى الجواب على السائلينا وليس براض ولا ساخط ولا في النهاة ولا الامرينا ولا هو ساء
ولا سره ولا بد من بعض ذا ان يكونا فاما تفصيل الاعتراضات والاجوبة في معنى قتل عثمن وما نسب الى علي من ذلك فمبسوط
في كتب المتكلمين كالقاضي عبد الجبار وابي الحسين البصري والسيد المرتضى وغيرهم فلا نطول بذكرها وربما اشرنا الى شيء
من ذلك فيما بعد وقوله غير ان من نصره لا يستطيع الى قوله خير مني فاعلم ان هذا الفصل ذكره ع جوابا لبعض من انكر تخصيصه بقعود
من قعد عن نصرة عثمان وجعلهم منشا الفتنة وقال انهم لو نصروه وهم اكابر الصحابة لما اجترى عليه طغام الامة وجفاتها
وان كانوا راوا ان قتله وقتاله هو الحق فقد كان يتعين عليهم ان يعرفوا الناس ذلك حتى يرتفع عنهم الشبهة وفهم عليه السلم
ان القايل يعنيه بذلك فاجاب بهذا الكلام تلويحا لا تصريحا اذ كان في محل الحرمة التوقي فقرره ولا انه امر في ذلك بامر ولا نهى ثم
عاد الى الاستثناء ففرق في ها بين القضيتين ان الذين خذلوه كانوا افضل من الناصرين له انه لا يستطيع ناصره كمروان و
اشباههم ان يفضلوا انفسهم على خاذليه كعلي وزبير وطلحة وسعد اكابر الصحابة اذ العقل والعرف يشهد بافضليتهم وكذلك
لا يستطيع الخاذلون ان يفضلوا الناصرين على انفسهم اللهم الا على سبيل التواضع وليس الكلام فيه فكانه ع سلم تسليما جدليا انه
دخل في امر عثمن وكان من الخاذلين له ثم اخذ في الرد على المنكر بوجه لطيف فقال غير اني لو سلمت اني ممن خذله لكن الخاذلون
له افضل من الناصرين وانت هذه المقدمة بها بين القضيتين وحذف الثانية للعلم بها وتقديرها والافضل يجب على
من عداه اتباعه والاقتداء به فينتج هذا القياس انه كان يتعين على من نصره ان يتبع من خذله وهذا عكس اعتقاد المنكر وقال بعض
ان هذه كلمة قرشية واراد بذلك انه عمى على الناس في كلامه فلم يرد التبري من امره وانما اراد الخاذلين لا يلحقهم المفضولية بكونهم
خاذلين له وان الناصرين له لا يلحقهم الافضلية بنصرته والذي ذكره بعيد الفهم من هذا الكلام ويمكن ان يحمل على وجه اخر وذلك
انه انما قرر افضلية الخاذلين على الناصرين ليسلم هو من التخصيص باللائمة في القعود عن النصرة فكانه قال واذا كان الخاذلون له

افضل من نصره تعين عليهم السوال عن التخلف وان يشهد عليهم بحال الناصرين له مع كونهم مفضولين فلم خصصتنا باللائمة من بينهم
والمطالبة به ولولا الاغراض الفاسدة وقوله وانا جامع لكم امره الى قوله الاثرة اشارة منه في هذا اللفظ الوجيز اجمالا الى ان كل واحد
من عثمن وقاتليه كانا على طرف الافراط من فضيلة العدل اما عثمن فاستيثاره واستبداده برايه فيما الامة شركاء فيه وخروجه
في ذلك الى حد الافراط الذي تسد معه نظام الخلافة عليه وادى الى قتله واما قاتلوه فلخروجهم في الجزع من فعله الى طرف
التفريط عما كان ينبغي لهم من التثبت وانتظار صلاح الحال بينهم وبينه بدون القتل حتى استلزم ذلك الجزع ارتكابهم لرذيلة
الجور في قتله فلذلك كان فعله اساءة للاستيثار وفعلهم اساءة للجزع وقيل اراد انكم اساتم الجزع عليه بعد قتله كما تنوحون
ولله حكم واقع في المستاثر والجازع المفهوم من ذلك انه يريد بالحكم الواقع لله في المستاثر هو الحكم المقدر اللاحق لعثمن بالقتل
المكتوب بقلم القضاء الالهي في اللوح المحفوظ وفي الجازع هو الحكم لقاتليه من كونهم قاتلين او قاتلين وجازعين وفي نسبة
هذه الاحكام الى الله تنبيه على تبريه من الدخول في امر عثمن وقاتليه بعد الاشارة الى اسباب المعد لوقوعها في حقهم وهو الا
في الاستيثار والجزع ويحتمل ان يريد الحكم في الاخرة اللاحق لكل من ثواب او عقاب عما ارتكبه من خطاء او ثواب كما قال
ثم الله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز كلا بما يستحقه من سعادة او شقاوة وبالله التوفيق والعصمة

ومن كلام له عليه السلم لما انفذ عبد الله بن عباس الى الزبير قبل وقوع حرب الجمل ليستفيئه الى طاعته لا تلقين طلحة فانك
ان تلقه تجده كالثور عاقصا قرنه يركب الصعب ويقول هو الذلول ولكن الق الزبير فانه الين عريكة فقل له يقول لك ابن
خالك عرفتني بالحجاز وانكرتني بالعراق فما عدا مما بدا قال الرضي ض وهو عليه السلم اول من سمعت منه هذه الكلمة اعني
فما عدا مما بدا اقول ليستفيئه اي يسترجعه من فاء اذا رجع وفي رواية ان تلقه تلقه من لقيته على كذا اذا وجدته عليه و
العقص الاعوجاج وعقص الثور قرنه بالفتح يعقد وعقص قرنه بالكسر لازم والصعب الدابة الجموح الشعبة والذلول السهلة
الساكنة والعريكة فعيلة بمعنى معقول والتاء لنقل الاسم من الوصفية الى الاسمية الصرفة واصل العراك دلك الجلد بالدباغ و
غيره وعدا جاوز وبدا ظهر واعلم انه ع لما نهى ابن عباس عن لقاء طلحة لما راى في ذلك من المصلحة نبهه على علة وجه نهيه عنه بقوله
فانك ان تلقه تجده كما وقد شبهه بالثور واشار الى وجه الشبه بعقص القرن واستعار لفظ القرن وكنى به عن شجاعته ولفظ
العقص لما يدع تعاطيه بالقوة والشجاعة من منع الجانب وعدم الانقياد بحسب طاعة الغير اللازم عن الكبر والعجب بالنفس لان
قد تعرض للشجاع ووجه الاستعارة الاولى ان القرن اله القوة للثور ويمنع ما يراد به عن نفسه وكذلك الشجاعة يلازمها الغلبة والقوة
ومنع الجانب ووجه الاستعارة الثانية ان الثور عند ارادة الخصام يعقص قرنيه اي يخرجهما ويعطف قرنيه ليصوبهما الى عنقه
خصمه ويقارب ذلك منه تهيؤه ما دعى توهم غلبته لمقاومه وشدته عليه وانه لا يقاد له عنده كل لشبه هاهنا علم منه ع انه عند
لقاء ابن عباس له يكون مانعا جانبه منتهيا للقتال مقابلا للخشونة وعدم الانقياد له صادر عن عجبه بنفسه وغروره بشجاعته
فلذلك حسن التشبيه ويحتمل ان يكون وجه الشبه هو التواء طلحة في اراءه واخلاقه عنده ع تشبيها بالتواء القرن وهو تشبيه للمعقول
بالمحسوس ويقال ان الكبر الذي تداخل طلحة لم يكن فيه قبل يوم احد وانما حدث بعد ذلك اليوم وذلك انه ابلى بلاء حسنا ثم انه
علي ابن عباس بلقاء الزبير واشار الى وجه الراي في ذلك وهو كونه الين عريكة وكنى بالعريكة عن الطبع والخلق كناية بالاستعارة فيقال
فلان لين العريكة اذا كان سهل الجانب لا يحتاج فيما يراد منه الى تكلف ومجاذبة تشبيها بالجلد اللين الذي يسهل عركه وفلان
شديد العريكة اذا كان بالضد من ذلك فلما كان الزبير سهل الجانب فلاجل ذلك امره بلقاءه لما عهد من طبعه انه قابل
للاستدراج واقرب الى الانفعال عن الموعظة وتذكر الرحم واحسن بهذه الاستمالة بذكر النسب المستلزم تصوره للميل والانعطاف
من الطبايع السليمة ونحوه قوله تعم حكاية قول هرون لموسى يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي قال يا ابن ام ان القوم استضعفوني
فان فيه من الاستمالة والاستعطاف بتذكره حق الاخوة ما يدعو الى عطفه عليه ما لم يوجد في كلام اخر ولما كون علي ع ابن خال
الزبير فان ابا طالب وصفية ام الزبير من اولاد عبد المطلب بن هاشم وقوله فما عدا مما بدا قال ابن ابي الحديد عدا بمعنى صرف
ومن هاهنا بمعنى عن ومعنى الكلام فما صرفك عما كان بدا منك اي ظهر اي ما الذي صدك عن طاعتي بعد اظهارك لها وحذف
الضمير المفعول كثير كقوله تعم واسئل من ارسلنا قبلك اي ارسلناه وقال القطب الراوندي له معنيان احدهما ما الذي منعك مما
كان قد بدا منك من البيعة قبل هذه الحالة الثاني ما الذي عاقك من البداء الذي يبدو للانسان ويكون المفعول الثاني
لعدا محذوفا وقد يدل عليه الكلام اي ما عداك عن ربيعا شغلك وما منعك عما كان بدا لك من نصرتي قال ابن ابي الحديد ليس
في الوجه الثاني مما ذكره القطب زيادة على الوجه الاول الا زيادة فاسدة اما انه لا زيادة فلانه فسره على الوجهين بمعنى منع و
فسره قوله مما كان بدا منك في الوجهين ايضا بتفسير واحد فلم يبق بينهما تفاوت واما الزيادة الفاسدة فظنه ان عدا يتعدى الى

وقد كان يمنع ... الجزع ... قبل قتله
بحسب
فيه
النفاد

معقولين وهو باطل باجماع النحاة واقول الوجه الذي ذكره ابن ابي الحديد هو الوجه الاول من الوجهين اللذين ذكرهما الراوندي لان الصرف والمنع لا يكثر تفاوت بينهما وان كان قد يتوهم ان المنع اتم واما اعتراضه عليه بانه لا فرق بين الوجهين اللذين ذكرهما فهو سهو عليه لان معنى بدء في الوجه الاول معنى ظهر للناس منك من التبغض ومراده به في الثاني ما ظهر لك في الراي من نصرتي وطاعتي وفرق بين ما يظهر من الانسان لغيره وبين ما يظهر له من نفسه او من غيره فاما ما ذكره انه زيادة فاسدة فالاظهر ان لفظة الثاني في قوله المفعول الثاني زيادة من قلمه او قلم الناسخ سهوا ويؤيده اظهاره المفعول الاول تفسيرا لقوله ويكون المفعول لعدا محذوفا ثم اقول وهذه الوجوه وان احتملت ان يكون تفسيرا الا ان كل واحد عدا ولا يعني الظم من وجه اما الوجه الذي ذكره المدايني فلانه لما حمل عدا على حقيقتها وهي المجاوزة وحمل ما بدا على الطاعة السابقة احتاج ان يجعل من بمعنى عن وهو خلاف الظم واما الراوندي فانه فسر عدا بمعنى منع او عاق وشغل وحمل ما بدا على الطاعة السابقة او على البيعة ولا يتم ذلك الا ان يكون من بمعنى عن والحق ان عدا بمعنى جاوز ومن لبيان الجنس والمراد ما الذي جاوز بك عن بيعتي مما بدا لك بعدها من الامور التي ظهرت لك وح يبقى الالفاظ على اوضاعها الاصلية مع استقامة المعنى وحسنه وروي عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلم عن ابيه عن جده قال سالت ابن عباس رض عن تلك الرسالة فقال بعثني فاتيت الزبير فقلت له فقال اني اريد ما يريد كانه يقول الملك ولم يزدني على ذلك فرجعت الى امير المؤمنين ع فاخبرته وعن ابن عباس ايضا انه قال قلت الكلمة للزبير فلم يزدني على ان قال انا مع الخوف الشديد لنطمع وسئل ابن عباس عما يعني الزبير بقوله هذا فقال يقول انا على الخوف لنطمع ان نلي من الامر ما وليتم وقد فسر غيره ذلك تفسيرا اخر فقال اراد انا مع الخوف الشديد من الله نطمع ان يغفر لنا هذا الذنب **ومن خطبة له عليه السلم** ايها الناس انا قد اصبحنا في دهر عنود وزمن كنود يعد فيه المحسن مسيئا ويزداد الظالم فيه عتوا لا ننتفع بما علمنا ولا نسأل عما جهلنا ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا فالناس على اربعة اصناف منهم من لا يمنعه من الفساد في الارض الا مهانة نفسه وكلالة حده ونضيض وفره ومنهم المصلت بسيفه والمعلن بشره والمجلب بخيله ورجله قد اشرط نفسه واوبق دينه لحطام ينتهزه او مقنب يقوده او منبر يفرعه ولبئس المتجر ان ترى الدنيا لنفسك ثمنا ومما لك عند الله عوضا ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الاخرة ولا يطلب الاخرة بعمل الدنيا قد طامن من شخصه وقارب من خطوه وشمر من ثوبه وزخرف من نفسه للامانة واتخذ ستر الله ذريعة الى المعصية ومنهم من اقعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه وانقطاع سببه فقصرته الحال على حاله فتحلى باسم القناعة وتزين بلباس اهل الزهادة وليس من ذلك في مراح ولا مغدى وبقي رجال غض ابصارهم ذكر المرجع واراق دموعهم خوف المحشر فهم بين شريد ناد وخائف مقموع وساكت مكعوم وداع مخلص وثكلان موجع قد اخملتهم التقية وشملتهم الذلة فهم في بحر اجاج افواههم ضامزة وقلوبهم قرحة قد وعظوا حتى ملوا وقهروا حتى ذلوا وقتلوا حتى قلوا فلتكن الدنيا اصغر في اعينكم من حثالة القرظ وقراضة الجلم واتعظوا بمن كان قبلكم قبل ان يتعظ بكم من بعدكم وارفضوها ذميمة فانها قد رفضت من كان اشغف بها منكم قال السيد رضي الله عنه وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له الى معوية وهي من كلام امير المؤمنين ع الذي لا شك فيه واين الذهب من الرغام والعذب من الاجاج وقد دل على ذلك الدليل الخريت ونقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ فانه ذكر هذه الخطبة في كتاب البيان والتبيين وذكر من نسبها الى معوية ثم تكلم من بعدها بكلام في معناها جملته انه قال وهذا الكلام بكلام علي اشبه وبمذهبه في تصنيف الناس وفي الاخبار عما هم عليه من القهر والاذلال ومن التقية والخوف اليق قال ومتى وجدنا معوية في حال من الاحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد ومذاهب العباد **اقول** عنود جائر وكنود كفور والعتو الكبر والقارعة الخطب العظيم ومهانة النفس حقارتها وكل حد السيف وغيره اذا وقف عن القطع ونضيض وفره قلة ماله والمصلت لسيفه الماضي في الامور معونة والمجلب المستعين على الامر بالجمع والرجل جمع راجل واشرط نفسه لكذا اي علمها واعدها له واوبق دينه اي اهلكه والحطام متاع الدنيا واصله ما تكسر من اليبس والانتهاز الاختلاس والاستلاب بقدر الامكان والمقنب بكسر الميم وفتح النون الجمع من الخيل ما بين الثلثين الى الاربعين وفرع المنبر يفرعه اي علاه وطامن من شخصه اي خفض والاسم الطمانينة وشمر من ذيله اذا رفعه وزخرف اي زين وموه وضؤولة نفسه حقارتها والمراح المكان الذي ياوي اليه الماشية بالليل والمغدى هو الذي ياوي اليه بالغداة والشريد المشرد وهو المطرود والناد الذاهب على وجهه والقمع الاذلال والمكعوم الذي لا يمكنه الكلام كانه سد فوه بالعكام وهو شيء يجعل في فم البعير عند الهياج والثكلان الحزين على فقد بعض المحبات واخملتهم اي اسقطتهم واذلتهم بين الناس والتقية والتقوى الخوف والاجاج الملح والضامزة بالزاي الساكنة والحثالة الثفل والقرظ ورق السلم يدبغ به والجلم المقراض يجز به اوبار الابل وقراضته ما تساقط من قرضه واعلم ان نسبة الخير الى بعض الازمنة والشر الى بعض اخر وتفضيل بعض الازمنة على بعض نسبة صحيحة لما ان الزمان من الاسباب المعدة لحصول ما يحصل في هذا العالم من الامتزاجات وما يتبعها مما يعد خيرا وشرا وقد

يتفاوت

ج ١٠

يتفاوت الازمنة في الاعداد لقبول الخير والشر ففي بعضها يكون بحسب الاستقراء ما يعد شرا اكثر فيقال زمان صعب نكد جائر خشن زمان ضعف الدين والنواميس الشرعية التي هي سبب نظام العالم وبقائه وسبب النجاة الابدية في الدار الاخرة وفي بعضها يكون ما يعد خيرا اكثر فيقال زمان حسن وزمان عادل وهو الزمان الذي يكون احوال الخلق فيه منتظمة صالحة خصوصا زمان قوة الدين وظهوره وبقاء ستر ناموس الشريعة مسدل ولا هذا وان كنا اذا اعتبرنا اجزاء الخير واجزاء الشر الواقعة في كل العالم بحسب كل زمان زمان لم يكن هناك كثير تفاوت بين الازمنة فيما يعد خيرا فيها وشرا ولذلك قال افلاطون الناس يتوهمون بكل زمان انه اخر الازمنة ويثبتون تقصيرا عما تقدمه وليس يوفون الزمان الماضي والمقيم حقهما من التامل وذلك انهم يقيسون الاحداث في الزمان المقيم بما شاهدت سنه وتجاربه في الزمان الماضي وينظرون الى قصور المروات في الزمان المقيم وابنائها في الماضي من غير ان ينظروا الى الاعراض في الزمانين وما يوجبه كل واحد منهما واذا تتبع هذا تعدل واستقصي تصفح الزمانين من القوى والحركات والارض والخوف والاستلاب و الاحوال كانا متقاربين اذا عرفت هذا فنقول قوله انا قد اصبحنا الى قوله حتى تحل بنا ذم للزمان بوصفي الجور والشدة لما اعد له ما عد له فيه من الاوصاف المعدودة شرا بالقياس الى نظام العالم وبقائه وذكر من تلك الاوصاف خمسة **اولها** انه يعد فيه المحسن مسيئا وذلك من حال السيئين الكسالى عن القيام بطاعة الله ويعدون انفاق المحسن لماله رياء وسمعة او خوفا او رغبة في مجازاة وكل ذلك نقصا له ورذائل كل ذلك طعنا في فضيلته وحسدا ان ينال رتبة اعلى منهم ليتوهموا رجحانهم في الاساءة **وثانيها** انه يزداد الظالم فيه عتوا وتجبرا وذلك ان منشا الظلم هو النفس الامارة بالسوء وهي في زمان العدل تكون مقهورة دائما وفي كثرة الجور وثورانها في ذلك الوقت طالبة للظلم يكون ظلمه وانتهازه فرصته فالظالم في زمان العدل ظلم او يجاوز حده فكالسارق الذي لا يامن في كل لحظة ان يقع به المكروه فكذلك الظالم في زمن العدل ممنوع بجهة الشريعة مرصود بعيون طلائعها اما في زمان ضعف الشريعة فالظالم فيه كالناهب مغتنم القوة سواها غير ملتفت الى وازع الدين فلا جرم كان عتوه فيه ازيد وقد كان في زمانه ع بالنسبة الى عهد الرسول ص كذلك **وثالثها** انه لا ينتفع اهله فيه بما علموا وهو توبيخ للمقصرين في اعمال الاخرة على ترك ما علموا من الشريعة مما ينبغي ان يعمل لها اذ الانتفاع بالعلم انما يكون اذا وافقه العمل واليه الاشارة بقوله ع في موضع اخر العلم مقرون بالعمل والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل فان المراد بارتحال العلم هو عدم الانتفاع به وبهتفه بالعمل اقتضاؤه ما ينبغي من مقارنة العمل له **ورابعها** انهم لا يسألون عما جهلوا وهو توبيخ للمقصرين في طلب العلم بعدم السؤال عما جهلوا منه وقلة الالتفات لقصورهم فهما منهم عن فضيلته واشتغالهم بحاضر اللذات الحسية **وخامسها** كونهم لا يتخوفون قارعة حتى تحل بهم وذلك لبعد فكرهم في عواقب امورهم واشتغالهم بحاضرها عن الالتفات الى مصالحهم وتدبيرها وهو توبيخ للمقصرين في امر المعاد وتنبيه لهم بذكر القارعة وحلولها بهم وكل هذه امور مضادة لمصلحة العالم فلذلك عد الزمان الواقعة فيه عنودا وشديدا **قوله** والناس على اربعة اصناف الى قوله قلوا **اقول** وجه هذه القسمة ان الناس اما مريدون للدنيا او لله اما المريدون للدنيا فاما قادرون عليها او غير قادرين وغير القادرين اما غير محتالين لها او محتالون والمحتالون اما ان يؤهلوا انفسهم للامرة والملك او لما هو دون ذلك فهذه اقسام خمسة مطابقة لما ذكره ع من الاوصاف الاربعة الذين عرضهم للذم مع الصنف الخامس الذين افرده بالمدح فالصنف الاول منهم المريدون للدنيا القادرون عليها هو المشار اليه في القسم الثاني من قسمته بقوله ومنهم المصلت بسيفه والمعلن بشره الى قوله يفرعه والمقصد بهذا الصنف القادرون على الدنيا المطلقون لعنان الشهوة والغضب في تحصيل ما يتخيل كالامن والقينات الدنيوية فاصلات السيف كناية عن التغلب وتناول الملك تناولها بالغلبة والقهر واعلان الشر المجاهرة بالظلم وغيره من رذائل الاخلاق والاجلاب بالخيل والرجل كناية عن جمع اسباب الظلم والغلبة والاستعلاء على الغير واشراط نفسه تاهيلها واعدادها للفساد في الارض وظاهر ان من كان كذلك فقد اوبق دينه وافسده وقوله لحطام ينتهزه او مقنب يقوده او منبر يفرعه اشارة الى بعض العلل الغائية للصنف المذكور من كونهم بالاوصاف المذكورة واستعار لفظ الحطام للمال وجه المشابهة ان اليبس من النبات كما انه لا نفع له بالقياس الى ما ينتفع بخضرته ونضارته ويكون ذا ثمرة كذلك المال بالنسبة الى الاعمال الصالحة الباقي نفعها في الاخرة وانما خص هذه الامور الثلثة لانها الاغلب فيما يبتغي اهل الدنيا لاجله او غاية ان السعي فيها اما لجمع المال او لرياسة دنيوية باقتناء الخيل والنعم ودينية كافتراع المنابر والتراس بناموس الدين مع قصد الدنيا وقوله ولبئس المتجر الى اخره تنبيه لهذا الصنف من الناس على خسرانهم في افعالهم الشبيهة بالتجارة الخاسرة فان طالب الدنيا المحصل لها كيف ما اتفق هو التاجر في الاخرة فهو كالبائع لها بما حصل من دنياه والمعتاض بما له عند الله من الاجر الجزيل لو اطاعه حطاما يفنى عينه ويبقى تبعته ولذلك استعار لفظ التجارة لها الصنف الثاني وهم المريدون لها غير القادرين عليها وغير المحتالين لها وهو المشار اليه بقوله ومنهم من لا يمنعه من الفساد في الارض الا مهانة نفسه وكلالة حده ونضيض وفره وكنى بقوله كلالة حده عن صرامته في الامور وضعفه عنها وظاهر ان المريد للدنيا المعرض عن الله لو خلي عن الموانع المذكورة ووجد الدنيا لم يكن سعيه فيها الا

والامن

في بيان اصناف تقسيم الناس

في بيان اقسام الناس

فـ الصنف الثالث الغير القادرين على الدنيا مع احتيالهم لها واعدادهم انفسهم لامور دون الملك وهو المشار اليه بقوله ومنهم من يطلب الدنيا
بعمل الاخرة ولا يطلب الاخرة بعمل الدنيا الى الاخرة فقوله يطلب الدنيا بعمل الاخرة اشارة الى الحيلة للدنيا كالرياء والسمعة وقوله لا يطلب
الاخرة بعمل الدنيا اشارة الى تزهده للدنيا فقط وقوله قد طامن من شخصه الى آخره تفصيل الحيلة فان خضوع الاذناب وتطامن لكيفيته
شخصه المقاربة بين خطوه وتشمير ثوبه وزخرفته لنفسه بما هو شعار الصالحين من عباد الله وستر الله الذي حمى به اهل التقوى من
بره وامواد الهلكة يقع من صنف من الناس لدخولهم في عيون اهل الدنيا وارباب اهل القينات ليسكنوا اليهم في الامانات
ونحوها ويجعلون ذلك ذريعة لهم الى ما املوه من الدنيا الفانية فيكونون قد اتخذوا ستر الله وظاهر دينه وسيلة الى معصيته
الصنف الرابع الغير القادرين عليها المحتالون لها المؤهلون انفسهم للملك لا لامرة وهم المشار اليهم بقوله ومنهم من اقعده عن
طلب الملك ضؤولة نفسه الى آخره وذكر من موانع هذا الصنف عما رامه مانعين احدهما ضؤولة نفسه وقصورها عن المناوأة وتحملها
العجز عن طلب الملك وان كان مطلوبا له الثاني سبب ذلك الضعف وهو انقطاع سببه من قلة المال وعدم الاعوان والانصار
في الطلب فلذلك وقفت به حال القدر على حالته التي لم يبلغ معها ما اراد وقصرت عليها فعدل لذلك الى الحيلة الجاذبة لرغبات
الخلق اليه من التحلي باسم القناعة والتزين بلباس اهل الزهادة من المواظبة على العبادات ولزوم ظواهر امر الله وان لم يكن ذلك عن اصل
واعتقاد فاده اليه وقوله وليس هو من ذلك في مراح ولا مغدى كناية عن انه ليس من القناعة والزهد في شيء اصلا ويحتمل ان
يكون هذا الصنف من غير القادرين وغير المحتالين الصنف الخامس وهم المريدون لله تعالى وهو المشار اليهم بقوله وبقي رجال
الى آخره وذكر لهم اوصافا الاول كونهم قد غض ابصارهم ذكر المرجع وذلك ان المريد لله اذا التفت الى جناب المقدس واستحضر انه
راجع اليه بل ماثل بين يديه فلا بد ان يعرض عن غيره حياء منه وابتهاجا بما يطالعه من انواره وخوفا ان يحجب بصره عن صعود مراتب
الاملاك الى مهاوي الهلاك ولان الحس تابع للقلب فاذا كان بصر القلب مشغولا غريقا في جلال الله كان مستتبعا للحس فلم يكن
له التفات من طريقه الى امر آخر وهو المراد بالغض الثاني كونهم قد اراق دموعهم خوف المحشر واعلم ان خوف الخائفين قد يكون
لامور مكروهة لذاتها وقد يكون لامور مكروهة لا لذاتها بل لادائها الى ما هو مكروه لذاته واقسام القسم الثاني كثيرة كخوف الموت قبل التوبة
او خوف نقض او خوف الانحراف عن القصد في عبادة الله او خوف استيلاء القوى الشهوانية بحسب مجرى العادة في استعمال الشهوات
المألوفة او خوف تبعات الناس عنده او خوف سوء الخاتمة او خوف سبق الشقاوة في علم الله تعالى وكل هذه ونحوها مخاوف عباد الله
الصالحين واغلبها على قلوب المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه خطر واعلى الاقسام وادلها على كمال المعرفة خوف السابقة لكون الخاتمة
تبعا لها ومظهرة لما سبق في اللوح المحفوظ وقد مثل من له خوف السابقة ومن له خوف الخاتمة برجلين وقع لهما ملك بتوقيع يحتمل
ان يكون لهما فيه غنى او هلاك فتعلق قلب احدهما بحال نشر التوقيع وما يظهر فيه من خير او شر وتعلق قلب الاخر بما خطر لذلك
حالة التوقيع من رحمة او غضب وهذا التفات الى السبب فكان اعلى فكذلك الالتفات الى القضاء الازلي الذي جرى بتوقيعه القلم الالهي
في اللوح المحفوظ اعلى من الالتفات الى الابد والى ذلك اشار الرسول صلى الله عليه وآله حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب الله
كتب فيه اهل الجنة باسمائهم واسماء آبائهم لا يزاد فيه ولا ينقص وليعملن اهل السعادة بعمل اهل الشقاوة حتى يقال كانهم منهم بل
هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة وليعملن اهل الشقاوة بعمل اهل السعادة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم
الله قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله والاعمال بالخواتيم واما اقسام القسم
الاول فمثل ان يتمثل في نفوسهم ما هو المكروه لذاته كسكرات الموت وشدته او سؤال منكر ونكير او عذاب القبر او هول الموقف
بين يدي الله تعالى والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير والخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه او من النار واغلالها
واحوالها او من حرمان الجنة او من نقصان الدرجات فيها او خوف الحجاب من الله تعالى وكل هذه الاسباب مكروهة في نفسها وتختلف
حال السالكين الى الله فيها واعلاها رتبة خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك وهو خوف العابدين
والصالحين والزاهدين ومن لم تكمل معرفته بعد اذا عرفت ذلك فنقول الخوف الذي اشار اليه عليه السلام من هذا القسم اذ خوف المحشر يشمل
ما ذكرناه من اقسامه الثالث كونهم بين شريد ناد اي مشرد في البلاد مطرود دائما لكثرة انكاره المنكر او لقلة صبره على مشاهدة
المنكر وخائف مقموع وساكت مكعوم وكان التقية سدت فاه عن الكلام وهو من باب الاستعارة وداع مخلص لله وثكلان موجع
اما لمصائبه في الدين او من كثرة اذى الظالمين وهذا تفصيل الحال احاد المتقين ويحتمل ان يكون ذلك تفصيلا لحالهم بالنسبة الى
خوف المحشر اي ان خوف المحشر اراق دموعهم وجعل كل واحد منهم ما ذكر عنه من الحالة التي هو عليها الرابع كونهم قد اخملتهم
التقية اي تقية الظالمين وهو ما كنى عنه بما سبق الخامس كونهم قد شملتهم الذلة اي بسبب التقية السادس كونهم في بحر اجاج
واستعار لفظ البحر بوصف الاجاج لما هم فيه من احوال الدنيا الباطلة ووجه المشابهة ان الدنيا كالاجاج لا تصلح للانتفاع والاستمتاع

بها بل يكون

في بيان خطبة خطبها عند خروجه لقتال اهل البصرة

ج ١

بها بل يكون سببا للعذاب في الاخرة كالبحر الاجاج لا يمكن شاربه وان بلغ به جهد العطش ان يرتوي به وقوله افواههم ضامزة و
قلوبهم قرحة اي انهم لما فطموا انفسهم عن لذاتها ومخالطة اهلها فيما هم فيه من الانهماك فيها لا جرم كانت افواههم ضامزة لكثرة
صيامهم بعيدة العهد بالمضغ وقلوبهم قرحة خوفا من الله وعطشا الى رحمته ورضوانه او لما يشاهدونه من كثرة المنكرات
وعدم تمكنهم من انكارها ومن روى ضامرة بالراء المعجمة اراد سكوتهم وقلة كلامهم السابع كونهم قد وعظوا حتى ملوا اي
ملوا وعظ الخلق لعدم نفعه فيهم الثامن كونهم قد قهروا حتى ذلوا التاسع كونهم قتلوا حتى قلوا اي قتلهم الظالمون لعدم
انتظامهم في سلكهم فان قلت كيف يقال قتلوا مع بقائهم قلت اسند القتل الى الكل لوجود القتل في البعض مجازا من باب اسناد
حكم الجزء الى الكل ولان الكل لما كان مقصودا بالقتل كان كونهم مقتولين علة غائية مجازا فاسناد القتل اليهم وان كان المقتول
بعضهم وقوله فلتكن الدنيا في اعينكم الى آخره امر للسامعين باستصغار الدنيا واستحقارها الى حد لا يكون في اعينهم ما هو
احقر منها فان حثالة القرظ وقراضة الجلم في غاية الحقارة والمراد من هذا الامر وغايته الترك لها فان استحقار الشيء واستصغاره
يستتبع تركه والاعراض عنه ثم امرهم بالاتعاظ بالامم السابقة فان في الماضين عبرة لاولي الابصار ومحل الاعتبار ما كانوا فيه من نعيم
الدنيا ولذاتها والمباهاة بكثرة قنياتها ثم مفارقتهم لذلك كله بالموت وبقاء الحسرة والندامة للمستكثرين منها حجابا حائلا
بينهم وبين الوصول الى حضرة جلال الله ونبههم بقوله قبل ان يتعظ بكم من بعدكم على انهم مضطرون الى مفارقة ما هم فيه
وسيصيرون عبرة لغيرهم وفائدة الامر بالاتعاظ ايضا الاعراض عنها والاقلاع والاغترار بها ثم لما امرهم بهذه الاوامر التي ليست صريحة
في الترك اردف ذلك بالامر الصريح بالترك فقال وارفضوها ذميمة اي اتركوها حال الحقارة والذم ثم نبه بعد ذلك على ما يصلح
علة لتركها وهو عدم دوام صحبتها وثباتها لمن كان احب منهم لها اي لو دام سرورها ونعيمها لاحد لدام لاحب الخلق لها و
احرصهم على المحافظة عليها فلما لم تدم لمن هو اشد حبا لها منكم فبالاولى ان لا تدوم لكم واذا كان طباعها رفض كل محب
فالاحرى بذوي المروة والالباب الترك والاعراض عمن لا تدوم صحبته ولا تصفو المحبة وبالله التوفيق ومن خطبة له
عليه السلام عند خروجه لقتال اهل البصرة قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه دخلت على امير المؤمنين عليه السلام بذي قار وهو يخصف
نعله فقال لي ما قيمة هذه النعل فقلت لا قيمة لها فقال والله لهي احب الي من امرتكم الا ان اقيم حقا او ادفع باطلا ثم خرج عليه السلام
فخطب الناس فقال ان الله بعث محمدا وليس احد من العرب يقرأ كتابا ولا يدعي نبوة فساق الناس حتى بوأهم محلتهم وبلغهم منجاتهم
فاستقامت قناتهم واطمأنت صفاتهم اما والله ان كنت لفي ساقتها حتى تولت بحذافيرها ما عجزت ولا جبنت وان مسيري
هذا لمثلها فلانقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه ما لي ولقريش والله لقد قاتلتهم كافرين ولاقاتلنهم مفتونين واني لصاحبهم بالامس
كما انا صاحبهم اليوم اقول ذو قار موضع قريب من البصرة وهو الموضع الذي نصرت فيه العرب على الفرس قبل الاسلام ويخصف
نعله اي يخرزها وبوأهم اسكنهم والمحلة المنزلة والمنجاة موضع النجاة والقناة الرمح وعمود الظهر المنتظم بالفقار والصفاة الحجر
الاملس المنبسط والساقة جمع سائق وتولت بحذافيرها اي باسرها والبقر الشق واعلم انه قدم لنفسه مقدمة من الكلام اشار
فيها الى فضيلة الرسول صلى الله عليه وآله في بعثه وهو سوقه للخلق الى الدين الحق ليبني عليها فضيلة لنفسه وكانت غايته من ذلك توبيخ
من خرج عليه من قريش والاستعداء عليهم فقوله ان الله بعث محمدا الى قوله صفاتهم صدر الكلام اشارة الى فضيلة الرسول صلى الله عليه وآله
والواوان الداخلتان على حرف النفي للحال فان قلت كيف يجوز ان يقال انه لم يكن احد من العرب في ذلك الوقت يقرأ كتابا وقد كانت
اليهود يقرؤون التوراة والنصارى الانجيل قلت ان الكتاب الذي تدعيه اليهود وتسميه في ذلك الوقت التوراة ليس هو الكتاب
الذي نزل على موسى عليه السلام فانهم كانوا حرفوه وبدلوه فصار كتابا آخر بدليل قوله تعالى قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا و
هدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وظاهر انه من حيث هو مبدل ومحرف ليس هو المنزل على موسى عليه السلام واما
الكتاب الذي تدعي النصارى بقاءه في ايديهم فغير معتمد على نقلهم فيه لكونهم كفارا بسبب القول بالتثليث وانما الناقلون
للتثليث منهم في غاية القلة فلا يفيد قولهم ان ما في ايديهم هو انجيل عيسى علما فاذن لا يكون المقروء لهم حال بعثة محمد صلى الله عليه وآله كتابا
هو من عند الله سلمناه لكن يحتمل ان يريد بالعرب جمهورهم فان اكثرهم لم يكن له دين ولا كتاب وانما كان بعضهم يتمسك بما بقي
من شريعة اسمعيل وبعضهم برسوم لهم وقوله فساق الناس حتى بوأهم محلتهم الاشارة بسوقهم الى سوقه العقلي لاذهانهم بحسب
المعجزات الى تصديقه فيما جاء به بحسب ما جاءهم من القرآن الكريم والسنة النبوية الى معرفة سبيل الله ثم بحسب الترغيب لبعضهم والترهيب
لبعض الى سلوك تلك السبيل فاصبحوا وقد تبوؤوا محلتهم المحمولة لهم ومرتبتهم التي خلقوا لاجلها وكانت هي مطلوب العناية الالهية
بوجودهم في هذه الدار وهي لزوم القصد في سبيل الله المسمى اسلاما ودينا وايمانا وهو في الحقيقة النجاة التي لا خوف على
سالكها ولا سلامة للمنحرف عنها فذلك معنى قوله وبلغهم منجاتهم وقوله واستقامت قناتهم والمراد بالقناة القوة والغلبة والدولة

التي حصلت لهم مجازا وهو من باب اطلاق اسم السبب على المسبب فان الروح او الظهر سبب للقوة والشدة ومعنى استماء الاستقامة لها انتظام قهرهم ودولتهم وقوله واطمأنت صفاتهم استعارة للفظ الصفات لحالهم التي كانوا عليها ووجه المشابهة انهم كانوا قبل الاسلام في مواطنهم وعلى احوالهم متزلزلين لا يقر بعضهم بعضا في موطن ولا على حال بل كانوا ابدا في الغارة والنهب والجلاء فكانوا كالواقف على حجر املس متزلزل مضطرب فاطمأنت احوالهم وسكنوا في مواطنهم من كل ذلك بسبب مقدم محمد صلى الله عليه وآله وقوله اما والله ان كنت لفي ساقتها الى قوله جبنت تقرير لفضيلته فاثبت لنفسه انه كان من ساقتها الى ان تولت باسرها من غير عجز اعتراه ولا جبن والضمير في ساقتها للكتائب المحاربة وان لم يجر لها ذكر صريح بل ما يحصل منه معنى المذكور وهو الناس فكانه قال فما في الناس وهم يومئذ كتائب عليه فكنت في ساقتها حتى تولت تلك الكتائب باسرها لم يبق منها من يغالبه وقد علمت ان السوق قد يكون سوقا الى الهدى وقد يكون سوق طرد وهزيمة والاول هو غايته من السوق الثاني اذ لم يكن مقصوده من حروبه الا السوق الى الدين ولما لم يكن يمكن حصول الهداية للخلق الا بوجود نبي وايضاح سبيل الحق كان ذبه وطرده الكتائب حتى تولت بحذافيرها حماية عن النبي ص وعن حوزة الدين مرادا لغيره لا لذاته لكن الغرض تمام الهدى الذي هو غايته وجود النبي ص وقوله ما عجزت ولا جبنت تمام لاثبات الفضيلة المذكورة له وتقرير لما علم من شجاعته وتاكيد لعدم العجز والجبن الذي هو طرف التفريط من فضيلة الشجاعة وقوله وان مسيري هذا لمثلها اي لمثل تلك الحال التي كنت عليها معهم زمان كفرهم من سوق كتائبهم وطردها من غير عجز ولا ضعف وهو في معنى التهديد لذي عسى ان يبلغ خصومه وتقوية لنفوس اوليائه وكذلك قوله ولابقرن الباطل حتى اخرج الحق من خاصرته ترشيح في معنى التهديد وتنبيه على ما عليه خصومه من الباطل واستعار هنا لفظ الخاصرة للباطل والبقر للتفريق الباطل وتمييز الحق منه تشبيها له في استشعار الحق وفيه عدم تمييزه منه بحيوان ابتلع جوهرا ثمينا اعز منه قيمة واتم فائدة فاحتيج الى شق بطنه في استخلاص ما ابتلع وقوله ما لي ولقريش استفهام على سبيل الانكار ... ومنهم لما يوجب الاختلاف وجحد فضيلته وحسد لاعدائهم في حربه وقوله والله لقد قاتلتهم كافرين اظهار للمنة عليهم بدعوتهم الى الدين اولا وتعييرهم بما كانوا عليه من الكفر ليعترفوا بفضيلته ونعم الله عليهم بما به ويخجلوا من مقابلته بالباطل وهو اظهار الانكار عليه اذ كانوا اولى باثبات المنكر منه وهو اولى بردهم عنه الى ما كان اولا وكذلك قوله ولاقاتلنهم مفتونين على احد الروايتين واما على رواية ولاقاتلنهم مفتونين فهو تهديد بان يوقع بهم القتال على فتنتهم وضلالتهم على الدين وكافرين ومفتونين نصب على الحال وفي ذكره هذين الحالتين تنبيه على علة قتاله لهم في الحالتين وهو طلبه لاستقامتهم على الدين ورجوعهم الى الحق عن الضلال واغراء السامعين بهم وقوله واني لصاحبهم بالامس كما انا صاحبهم اليوم اشارة الى انه لم يتغير حالته التي بها قاتلهم كافرين وفائدته تذكير الخصم الان بابتلاء الكفار به في ذلك الوقت لينفعهم واعن محاربته اذ في تذكر وقائعه في بدو الاسلام وشدة باسه ما تطير منه القلوب وتقشعر منه الجلود وقد نقلت في تمام هذه الخطبة في بعض النسخ لتضج قريش ضجيجها ان تكن فينا النبوة والخلافة والله ما اتينا اليهم الا انا اجترانا عليهم وذلك اشارة الى السبب الاصلي لخروج طلحة والزبير وغيرهما من قريش عليه وهو الحسد والمنافسة ان تكن الخلافة والنبوة في بني هاشم والتصحيح لضرائح القوى وهو كناية عن اشتد مخاصمتهم ومنافرتهم ... على هذا ... وقوله والله ما اتينا الى اخره تاكيد لما نسبهم اليهم من سبب الخروج بالقسم ابادة على انه لم يكن الباعث لهم على قتاله وعلى ... والبغي عليه امر من قبله سوى الاجتراء عليهم اي التشجاعة والاقدام عليهم في منعهم عما يريدون من قول وفعل لا يسوغ الشرع فانه لما لم يكن ذلك في الحقيقة اساءة في حقهم يستحقون بها المكافاة منهم بل احسان وردع عن سلوك طرق الضلال تعين ان السبب في الخروج عليه ونكث بيعته هو الحسد والمنافسة وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام

في استنفار الناس الى اهل الشام اف لكم لقد سئمت عتابكم ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة عوضا وبالذل من العز خلفا اذا دعوتكم الى جهاد عدوكم دارت اعينكم كانكم من الموت في غمرة ومن الذهول في سكرة يرتج عليكم حواري فتعمهون وكان قلوبكم مالوسة فانتم لا تعقلون ما انتم لي بثقة سجيس الليالي وما انتم بركن يمال بكم ولا زوافر عز يفتقر اليكم ما انتم الا كابل ضل رعاتها فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر لبئس لعمر الله سعر نار الحرب انتم تكادون ولا تكيدون وتنتقص اطرافكم فلا تمتعضون لا ينام عنكم وانتم في غفلة ساهون غلب والله المتخاذلون وايم الله اني لاظن بكم ان لو حمس الوغى واستحر الموت قد انفرجتم عن ابن ابي طالب انفراج الراس والله ان امرءا يمكن عدوه من نفسه يعرق لحمه ويهشم عظمه ويفري جلده لعظيم عجزه ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره انت فكن ذاك ان شئت فاما انا فوالله دون ان اعطي ذلك ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام وتطيح السواعد والاقدام ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء ايها الناس ان لي عليكم حقا ولكم علي حق فاما حقكم علي فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا وتاديبكم كيما تعلموا واما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب والاجابة حين ادعوكم والطاعة حين امركم **اقول** روي انه عليه السلام ... فرغ من امر الخوارج وقد كان قام بالنهروان فحمد الله واثنى عليه وقال اما بعد فان الله قد احسن نصركم

فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم من اهل الشام فقالوا له قد نفدت نبالنا وكلت سيوفنا ارجع بنا الى مصرنا لنصلح عدتنا ولعل امير المؤمنين ج ١٠ يزيد في عددنا مثل من هلك منا لنستعين به فاجابهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم الاية فتلكؤوا عليه وقالوا ان البرد شديد فقال انهم يجدون البرد كما تجدون ثم تلا قوله تعالى قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين الاية فقام منهم ناس واعتذروا بكثرة الجراح في الناس وطلبوا ان يرجع بهم الى الكوفة اياما ثم يخرج بهم فرجع بهم غير راض وانزلهم بالنخيلة وامرهم ان يلزموا معسكرهم ويوطنوا على الجهاد انفسهم ويقلوا زيارة اهلهم فلم يقبلوا وجعلوا يتسللون ويدخلون الكوفة حتى لم يبق معه الا القليل منهم فلما راى ذلك دخل الكوفة فخطب الناس فقال ايها الناس استعدوا للقتال عدو في جهادهم القربة الى الله ودرك الوسيلة عنده قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه موزعين بالجور والظلم لا يعدلون به جفاة عن الكتاب نكب عن الدين يعمهون في الطغيان ويتسكعون في غمرة الضلال فاعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلا قال فلم ينفروا فتركهم اياما ثم خطبهم هذه الخطبة فقال اف لكم الفصل اف كلمة تضجر من الشيء وغمرات الموت سكراته التي يغمر فيها العقل والذهول النسيان والسهو ويرتج عليكم اي يغلق والحوار المخاطبة وتعمهون تترددون والمالوس المجنون والمختلط العقل وسجيس الليالي وسجيس الاوجس ابدا مدى الليالي والزوافر جمع زافرة الرجل انصاره وعشيرته وسعر جمع ساعر واسعار النار تهييجها والهاب بها والامتعاض الغضب وحمس الوغى اشتد الحرب وجلبة الاصوات وعرقت اللحم اعرقه اذا لم ابق على العظم منه شيئا والمشرفية سيوف منسوبة الى مشارف قرى من ارض العرب تدنو من الريف وفراش الهام العظام الرقيقة تلي القحف واعلم انه عليه السلام لما اراد استنفارهم الى الحرب وكانوا كثيرا ما يتثاقلون عن دعوته استقبلهم بالتافيف للتضجر مما لا يرتضيه من افعالهم وقوله لقد سئمت عتابكم تفسير لبعض ما انف منه وقوله ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة عوضا وبالذل من العز خلفا استفهام على سبيل الانكار عليهم يستلزم الحث على الجهاد فان الجهاد لما كان مستلزما للثواب الاخرة والعزة الجانب وخوف الاعداء والقعود عنه يستلزم في الاغلب السلامة في الدنيا والبقاء فيها لكن مع طمع العدو فيهم وذلتهم له كانوا بقعودهم عنه كمن اعتاض الدنيا من الاخرة واستخلف الذل من العزة وذلك مما لا يرضى به ذو عقل سليم وعوضا وخلفا منصوبان على التمييز **قوله** اذا دعوتكم الى جهاد عدوكم الى قوله لا تعقلون تبكيت لهم وتوبيخ برذائل تعرض لهم عند دعائه لهم الى الجهاد **الاولى** انه تدور اعينهم حيرة وتزيدوا خوفا من اقدامهم الى القتال خوفهم او الاقدام على الموت في كلا الامرين ظاهر ثم شبه حالتهم تلك في دوران اعينهم وحيرتهم بحال المغمور في سكرات الموت الساهي بها عن حاضر احواله المشغول بما يجده من الالم ونحوه قوله تعالى ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت **الثانية** انه يرتج عليهم حواره اي يرتج في موضع الحال وتعمهون عطف عليه اي يرتج عليكم فتتحيرون ثم شبه حالهم عند دعائه الى الجهاد تشبيها ثانيا بحال من اختلط عقله اي انهم في حيرتهم وترددهم في جوابه كمختلط العقل ما يفقه ما يقول **الثالثة** انهم ليسوا بثقة ابدا وهو وصف لهم برذيلة الخلف والكذب المستلزم لعدم الثقة باقوالهم **الرابعة** كونهم ليسوا بركن يميل به المستند اليه في خصمه يقال فلان ركن شديد استعارة له من ركن الجبل وهو جانبه لما بينهما من المشاركة في الشدة وامتناع المعتصم به ونحوه قوله تعالى لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد اي قوي يمنعني منكم وهو وصف بالتخاذل والعجز **الخامسة** ولا زوافر عز يفتقر اليهم وهو وصف لهم برذيلة الذل والحقارة **السادسة** تشبيههم بابل ضل رعاتها والايماء الى وجه التشبيه وهو انها كلما جمعت من جانب انتشرت من جانب اشارة الى انهم ضعيفو العزوم متشتتو الاراء لا يجتمعون على مصلحة بها يكون نظام احوالهم في الدارين وقد علمت ان ذلك من نقصان القوة العقلية فكانوا منها على رذيلة البله **السابعة** كونهم ليسوا بسعر نار الحرب اي ليسوا من رجالها وذلك ان مدار الحرب على الشجاعة والراي وقد سبقت منه الاشارة الى ذمهم بالفشل وضعف الراي فاذن ليسوا من رجال الحرب ولما استعار لهيجان الحرب لفظ النار لما يستلزمانه من الاذى الشديد رشح تلك الاستعارة بذكر الاسعار ووصف رجالها به **الثامنة** كونهم يكادون ولا يكيدون اي يخدعون ويمكر بهم عدوهم في ايقاع الحيلة وليس لهم قوة المكر والحيلة وذلك ايضا من رذيلة ضعف الراي **التاسعة** كونهم تنتقص اطرافهم فلا يمتعضوا اي يغار العدو في كل وقت على بعض بلادهم فيحوزها فلا يشق ذلك عليهم ولا يدركهم منه انفة ولا حمية وهو وصف لهم برذيلة المهانة **العاشرة** كونهم في غفلة ساهون مع انتباه عدوهم وهو وصف لهم برذيلة الغفلة ايضا عما يراد بهم وقلة عقليتهم لمصالح انفسهم وكل هذا التوبيخ تثقيف لهم وتنبيه لنفوسهم الراقدة في مراقد الطبيعة على ما ينبغي لهم من المصالح التي يكون بها نظام احوالهم على قانون الدين وقوله غلب والله المتخاذلون تنبيه على انهم بتخاذلهم سيغلبون واورد الغلب المطلق بعلة التخاذل لانه الحكم العام اشد قبولا منهم له على انفسهم اذ لو خصصهم به فقال غلبتم والله او تخاذلتم لم يكن وقعه في الذوق كوقعه عاما وقوله وايم الله اني لاظن بكم ان لو حمس الوغى الى قوله انفراج الراس اشارة الى ظنه بهم انهم عند اشتداد الحرب وحرارة الموت سيتفرقون عنه انفراج الراس اي يتفرقون اشد تفرق وانفراج الراس مثل قيل اول من تكلم به اكثم بن صيفي في وصية له يا بني لا تنفرجوا عند الشدائد انفراج الراس فانكم بعد ذلك لا تجتمعون على عز وفي معناه اقوال **احدها** قال ابن دريد معناه ان الراس اذا انفرج عن البدن لا يعود

اليه ولا يكون بعده انفصال وذلك لشدة انفراج **الثاني** قال المفضل الرأس اسم رجل ينسب اليه قرية من قرى الشام يقال لها بيت الرأس
وفيها يباع الخمر قال حسان كان سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء وهذا الرجل قد انفرج عن قومه ومكانه فلم يعد اليه فضرب
به المثل في المباينة والمفارقة **الثالث** قال بعضهم معناه ان الرأس اذا انفرج بعض عظامه عن بعض كان ذلك بعيد الالتيام والعود الى
الصحة **الرابع** قال بعضهم معناه انفرجتم عني رأسا اي بالكلية **الخامس** قيل معناه انفراج من يريد ان يجوا برأسه **السادس** انه
قيل معناه انفراج المرأة عن رأس ولدها حالة الوضع فانه يكون في غاية من الشدة وتفرق الاتصال والانفراج ونحوه قوله في موضع
آخر انفراج المرأة عن قبلها وعلى كل تقدير فمقصوده شدة انفصالهم وتفرقهم عنه احوج ما يكون اليهم واستعار لفظ الجزر لما يحتمل ان ياخذ
به شدة التشبيه بالجزرة مجازا كما سبق ويحتمل ان يراد به خلوصه وحضوره فيكون اشتقاقه من الجزر والجملة الشرطية خبر ان
المخففة من المثقلة واسمها ضمير الشان وهي مع اسمها وخبرها فانه مقام مفعولي ظن وفيه توبيخ لهم على التقصير البالغ في حقه
الى حد ان يظن المذكور وقوله والله ان امرأ الى قوله ان شئت من لطيف الحيلة في الخطاب الموجب للانفعال عنه وذلك انه   بالظن
صور لهم افعالهم من التخاذل على العدو والضعف عنه شيئا افعالهم المذموم التي الزموا التوبيخ والتعنيف بعبارة توهمهم اياها في اقبح
صوره واشدها كراهة اليهم وابلغها نكاية فيهم وهو تمكينهم للعدو من انفسهم فان افعالهم من التخاذل ونحوه هي بعينها تمكين
للعدو فيما يريد بهم واعداد له وتقوية لحاله ولما كان من عادة ظفر العدو واجتياح المال والقتل وتمزيق الحال الكنى عن الاول
بقوله يعرق لحمه ووجه استعارة عرق اللحم لسلب المال بكليته ظ وكنى عن القتل وسائر اسباب الهلاك من فعل العدو بهشم
العظم وعن تمزيق الحال المنتظم بفري الجلد ثم لما كان من البين ان تخاذلهم تمكين لعدوهم منهم وكان تمكين الانسان لعدوه من
نفسه بفعل هذه الافعال المنكرة لا يكون الا عن عجز عظيم وضعف في القلب عن مقاومته لا جرم اثبت العجز وضعف القلب لمن
مكن عدوه من نفسه واكد ذلك بان وبالقسم البار وكنى بضعف القلب عن الجبن ولما ثبت تلك الاثبات على وجه عام لكل امر
فعل ذلك ولم يخصهم بالخطاب ولا نسب تمكين العدو اليهم صريحا وان كانوا هم المقصودين بذلك رجاء لنفارهم عن الدخول تحت
هذا العموم بالانقياد لامره والجهاد ثم اردفه بالامر ان يكون ذلك المرء الذي وصفه بما وصفه امرا على سبيل التهديد والتنفير وذلك
قوله انت فكن ذاك ان شئت اي ذاك المرء الموصوف بالعجز والضعف خطاب يشخص لمطلق السامع على اي واحد منهم كان وامره ان
يكون بصفة المرء الموصوف اولا تنفيرا له عما ذكره مما يلزم الانسان من الاحوال الرديئة عند تمكينه عدوه من نفسه وروى انه خاطب
بقوله انت فكن ذاك الاشعث بن قيس فانه روى انه قال له وهو يخطب ويلوم الناس عن تقاعدهم عن الحرب هلا فعلت فعل ابن
عفان فقال له ان فعل ابن عفان لمخزاة على من لا دين له ولا وثيقة معه وان امرأ امكن عدوه من نفسه يهشم عظمه ويفري جلده لضعيف
رايه مافوق عقله انت فكن ذاك ان شئت الفصل وقوله فاما انا الى قوله ما يشاء ولما خيرهم ان يكونوا ذلك المرء على سبيل التهديد
اردف ذلك بالتبرؤ من حال المرء المذكور ليكون لهم به عليه السلام اسوة في الانفار عن تمكين العدو من انفسهم الا بعد بذل النفس
في الجهاد اي على تقدير اختيار المخاطب تلك الحال فانه هو لا يختار ذلك الحال بل دون ان يعطي عدوه من نفسه ذلك التمكين ضرب
بالمشرفية يطير منه الهام وتطيح منه السواعد والاقدام وكل ذلك كناية عن اشد المجاهدة ويفعل الله بعد ذلك الجهاد والمنافحة
ما يشاء من تمكين العدو او عدم تمكينه فان اليه مصير الامور وعواقبها وقوله ايها الناس الى آخره ذكر ما لهم عليه من الحق وما له
عليهم منه ليعرفهم ان ادى ما عليه من الواجب لهم فينبغي لهم ان يخرجوا اليه من واجب حقه الذي فرض الله عليهم وبدأ ببيان حقهم عليه
ادبا واستدراجا لطباعهم فان البداءة بحق الغير قبل حق النفس اليق بالادب وهم السامعون قبل فذكر منها اربعة امور بها يكون صلاح
حالهم في الدارين **الأول** النصيحة لهم وهي حثهم على مكارم الاخلاق وجذبهم الى ما هو الاليق بهم في معاشهم ومعادهم **أحدها**
توفير فيئهم عليهم تبرك ظلمهم فيه وتفرقته في غير وجوهه مما ليس بمصلحة لهم كما تنسبوه الى من كان قبله **الثالث** تعليمهم كيلا يجهلوا
واتما الميقل كيما يعلموا الان ظهور المنة عليهم بذكر نفي الجهل عنهم اشد من ظهورها في ذكر غرض ايجاد العلم لهم وذلك كان تاذى
الرجل وانفته من ان يقال له يا جاهل اشد بكثير من نفاره من يقال له لست بعالم **الرابع** تاديبهم كيما يعملوا وهذه الامور
الاربعة هي الواجبة على الامام للرعية واحدها يرجع الى صلاح ابدانهم وقوامها وهو توفير فيئهم عليهم بضبطه وعدم التصرف
فيه لغير وجوه مصالحهم واثنان يرجعان الى صلاح حال نفوسهم اما من جهة اصلاح القوة النظرية وهو التعليم لغرض العلم
او من جهة اصلاح القوة العملية وهو التاديب لغرض العمل وواحد مشترك بين مصلحتي البدن والنفس ونظام احوالهما وهو النصيحة
لهم ثم اردف ذلك ببيان حقه وذكر ايضا اربعة **الاول** الوفاء بالبيعة وهي اهم الامور اذ بها النظام الكلي الجامع لهم **الثاني**
النصيحة له في غيبته وحضوره والذب عنه اذ بذلك نظم شمل المصلحة بينهم وبينه ايضا **الثالث** اجابته حين يدعوهم من غير
تثاقل عن نداءه فان التثاقل عن دعوته مما يمكن من قهر العدو وغلبته عليهم وفوات مصالح عظيمة **الرابع** طاعتهم له حين

ح

بامرهم وظاهر ان شمل المصلحة لا ينتظم بدون ذلك وانت تعلم بادنى تامل ان هذه الامور الاربعة وان كانت حقوقا له
عليهم الا انه انما يطلبها منهم لما يعود عليهم به من النفع في الدنيا والآخرة فان الوفاء ملكة تحت العفة والنصيحة لرسول كل شيطان هو
بيرد اجابة دعوته اجابة لداعي الله الجاذب الى الخير والمصلحة وكذلك طاعته امره طاعة لامر الله اذ هو الناطق به وقد علمت ما في
طاعة الله من الكرامة عنده وبالله التوفيق والعصمة **ومن خطبة له عليه السلام بعد التحكيم** الحمد لله وان اتى الدهر بالخطب
الفادح والحدث الجليل واشهد ان لا اله الا الله ليس معه اله غيره وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله اما
بعد فان معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة وقد كنت امرتكم في هذه الحكومة
امري ونخلت لكم مخزون رايي لو كان يطاع لقصير امر فابيتم علي اباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة حتى ارتاب
الناصح بنصحه وضن الزند بقدحه فكنت وإياكم كما قال اخو هوازن امرتكم امري بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصح
الا ضحى الغد **اقول** يروى ان عمرو بن العاص وابا موسى الاشعري لما التقيا بدومة الجندل وقد حكما في امر الناس
كان علي يومئذ قد دخل الكوفة ينتظر ما يحكمان به فلما تمت خدعة عمرو لابي موسى وبلغه ذلك عليه السلام اغتم له غما شديدا ووجم
منه وقام فخطب الناس فقال الحمد لله الفصل وزاد بعد الاستشهاد وبيت دريد في بعض الروايات الا ان هذين الرجلين اللذين
اخترتموهما قد نبذا حكم الكتاب واحييا ما امات واتبع كل واحد منهما هواه وحكم بغير حجة ولا بينة ماضية واختلفا فيما حكما
فكلاهما لم يرشد الله فاستعدوا للجهاد وتاهبوا للمسير واصبحوا في معسكركم يوم كذا واما قصة التحكيم وسببها فمذكور في التواريخ
والخطب الامر العظيم وفدحه الامر اذا غاله وبهضه والجاني خشن الطباع الذي ينبو طبعه عن الرقة فيقاطع ويباين فقوله
الحمد لله الى قوله الجليل وقد عرفت تنبيه الخير والشر الى الدهر على اي وجه هي ومراده لحمد الله على كل حال من السراء والضراء
وان هنا للغاية ويفهم من هذا الفصل وقوع الخطب الفادح وهو ما وقع من امر الحكمين رحمه الله عليه وقوله ليس معه اله غيره تاكيد
لمعنى كلمة التوحيد وتقرير لمقتضاها وقوله اما بعد الى قوله الندامة القيود الاربعة التي ذكرها من صفات المشير معتبرة في حسن
الراي ووجوب قبوله اما كونه ناصحا فلان الناصح يصدق الفكر ويمحض الراي وغير الناصح ربما يشير بغير الراي فيوقع في الضرر
واما كونه شفيقا فلان الشفقة تحمل على النصح وتحمل على حسن التروي في الامر وايقاع الراي فيه من تثبت واجتهاد والباعث
على هذين اعني النصح والشفقة اما الدين او محبة المستشير واما كونه عالما فلانه ابعد من اصابته لعلمه وجه المصلحة في الامر فان الجاهل
اعمى لا يبصر وجه المصلحة فيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا وقال عبد الله بن الحسين لابنه
تجنب مشورة الجاهل وان كان ناصحا كما تجنب عداوة العدو والعاقل فانه كما يوشك ان يقع بك مكر العاقل كذلك يوشك ان
يورطك شور الجاهل واما كونه مجربا فلانه لا يتم راي العالم ما لم ينضم اليه التجربة وذلك ان العالم وان علم وجه المصلحة في الامر
الا ان ذلك الامر قد يشتمل على بعض وجوه المفاسد لا يطلع عليه الا بالتجربة مرة ومرة فالمشورة من دون تجربة مظنة الخطاء وقيل
في منثور الحكم كل شيء محتاج الى العقل والعقل محتاج الى التجارب واذا عرفت ان طاعة المشير الموصوف بالصفات المذكورة
مستلزمة في اغلب الاحوال للسرور وتحسين ثمرة رايه والفوز بها لا جرم كان معصيته ومخالفة رايه مستلزمة للحسرة مستعقبة للندامة
وقوله وقد كنت امرتكم في هذه الحكومة امري لما قدم ان معصية المشير المذكور تعقب الحسرة والندامة ردف ذلك ببيان انه هو المشير
وانه اشار عليهم بخلافه ليتضح لهم انهم عصوا مشيرا قد استكمل شرائط الراي فيتوقعوا الندامة على معصيته وقوله ونخلت لكم مخزون رايي
استعارة للفظ النخل للاستخلاص اسد ارائه واجودها لهم بحسب اجتهاده ووجه المشابهة ان النخل ما ينتفع به مما ينخل من دقيق ونحوه
وهو المنخول كذلك الراي اجوده وانفعه ما استخلص وصفا من كدورات الشهوة والغضب وقوله لو يطاع لقصير امر مثل وقصير هذا
هو قصير بن سعد اللخمي مولى جذيمة الابرش بعض ملوك العرب واصل المثل ان جذيمة كان قتل ابا الزباء ملكة الجزيرة فبعثت اليه بعد
حين ليتزوج بها خدعة وسالته القدوم عليها فاجابها الى ذلك وخرج في الف فارس وخلف باقي جنوده مع ابن اخته عمرو بن عدي و
كان قصير اشار الى جذيمة ان لا يتوجه اليها فلم يقبل رايه فلما قرب جذيمة من الجزيرة استقبله جنود الزباء بالعدة ولم ير منهم اكراما
له فاشار عليه قصير بالرجوع عنها وقال انها امرأة ومن شان النساء الغدر فلم يقبل فلما دخل اليها غدرت به وقتلته فعندها قال
قصير لا يطاع لقصير امر فذهبت مثلا لكل ناصح عصي وهو مصيب في رايه وقد يتوهم ان جواب لو ههنا متقدم والحق ان جوابها محذوف
والمعنى تتضح بترتيب الكلام والتقدير اني كنت امرتكم امري في هذه الحكومة ونخلت لكم فلو اطعتموني لفعلتم ما امرتكم به ووجدتم
لكم النصيحة فيه وقولنا لفعلتم هو تقدير الجواب ومما ينبه عليه ان قوله فابيتم على اباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة وفي
في تقدير استثناء نقيض ذلك التالي وتقديره لكنكم ابيتم على اباء من خالف الامر وجفا المشير وعصاه حتى شك في نصحه ما بان
صوابا او خطاء وهذا الحكم حق فان المشير بالراي الصواب اذا كثر مخالفوه فيه قد يتهم نفسه في صحة ذلك الراي وصوابه لان تاسيس

في بيان خطبة خطبها في تخويف اهل النهروان

المصلحة في الامر اجتهادي يغلب على الظن بكثرة الامارات اللايحة للمشير فلا يجوز للمشير ان يكون خلاف ما راه هو المصلحة فلا مانع انه يعرض
لغيره امارات اخرى يغلب على ظنه ان ما راه هو ليس بمصلحة معارض بها ما راه الاول حقا ويخالفه في رايه فاذا كثرت تلك المخالفة
من جمع عظيم جاز ان يشكك الانسان فيما ظنه من المصلحة انه ليس بمصلحة وان الامارات التي اقتضت ذلك الظن غير صحيحة فلذلك
قال ع حتى ارتاب الناصح بنصحه وعني بالناصح نفسه او من راى رايه لاطباق اكثر اصحابه على مخالفتهم وقال بعض الشارحين يحمل ذلك
على المبالغة لانه ع منزه عن ان يشك فيما يراه صوابا بعد شوره بمواقعه حتى انه يفقد حد قيل هو مثل يضرب لمن يبخل بفوائده اذا لم
يجد لها قابلا كما فا بحيها اولم تمكن من افادتها فان المشير اذا اتهم واستغش وخطى في رايه ربما لا يتضح له بعد ذلك راي صالح
بحكم الغضب عليه من جهة مخالفته وعدم قبول رايه ولما كان غرضه ان يقرعهم لشدائد من جهة مخالفة رايه وبينهم ثمرة عصيانا امره
الصادر عن معاينة وجه المصلحة كما هو قال فكنت واياكم كما قال اخو هوازن امرتهم امري البيت وهو لدريد بن الصمة من قصيدة له
في الحماسة اولها نصحت لعارض واصحاب عارض ورهط بني السوداء والقوم شهدي وقصة هذه القصيدة ان اخاه عبد الله
بن الصمة غزا بني بكر بن هوازن بن غطفان فغنم منهم واستاق ابلهم فلما كان بمنعرج اللوى قال لا والله لا ابرح حتى انحر النقيعة وهي
ما يجزر من النهب قبل القسمة واجيل السهام فقال له اخوه دريد لا تفعل فان القوم في طلبك فابى عليه ونحر النقيعة وبات فلما اصبح
هجم القوم عليه وطعن عبد الله بن الصمة فاستغاث باخيه دريد فنهنه عنه القوم حتى طعن هو ايضا وصرع وقتل عبد الله وحال الليل
بين القوم فنجا دريد بعد طعنات وجراح حصل له فقال القصيدة وانما قال ع اخو هوازن للنسبة اليهم فان دريد بن الصمة من بني
جشم بن معوية بن بكر بن هوازن ونحوه قوله تعالى واذكر اخا عاد للنسبة فيهم وكذلك قال لهم اخوهم لوط ويكفي في الضلال الطلاق لفظ الاخو
بمجرد الاتصال بهم والملابسة لهم وقد عرفت ذلك ووجه تمثله ع بالبيت اني كنت واياكم في نصيحتي لكم ونهيي عن الحكومة ومخالفتكم
المستلزمة لندامتكم على التفريط كهذا القائل مع قوم حيث نصحهم فعصوه فلحقهم ما لحقهم من الندامة والهلاك واعلم ان الذي كان
اشار به على اصحابه هو ترك الحكومة والصبر على قتال اهل الشام ومخايل تشبث امارات الغلبة ليلة الهرير كانت لائحة على اهل
الشام فلما غابوا الهلاك استشار معوية بعمرو بن العاص في كيفية الخلاص فقال عمرو ان رجالك لا تقوم لرجاله ولست مثله تريقا تلك امه
وانت تقاتله على غيره وانت تريد البقاء وهو يريد الفناء واهل العراق يخافون منك ان ظفرت بهم واهل الشام لا يخافون عليا ان ظفر بهم
لكن الق الى القوم امرا ان قبلوه اختلفوا وان ردوه اختلفوا ادعهم الى كتاب الله حكما فيما بينك وبينهم فانك بالغ به حاجتك فاني لم ازل ادخر
هذا الامر لوقت حاجتك اليه فعرف معوية ذلك فلما اصبحوا رفعوا المصاحف على اطراف الارماح وكان عددها خمس مائة مصحف ورفعوا
المصحف الاعظم على ثلثة رماح مشدودة يمسكها عشرة رهط ونادوا باجمعهم الله الله معشر العرب في النساء والبنات الله الله في دينكم هذا كتاب
الله بيننا وبينكم فقال ع اللهم انك تعلم انهم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا وبينهم انك انت الحكم الحق المبين فاختلف اصحابه فقالت طائفة
القتال القتال وقال اكثرهم المحاكمة الى الكتاب ولا يحل لنا الحرب وقد دعينا الى حكم الكتاب ونادوا من كل جانب الموادعة فقال ع
في جوابهم ايها الناس اني احق من اجاب الى كتاب الله ولكن معوية وعمرو بن العاص وابن ابي معيط ليسوا باصحاب دين ولا قران اني اعرف بهم
منكم صحبتهم صغارا ورجالا فكانوا شر صغار وشر رجال ويحكم انها كلمة حق يراد بها باطل انهم ما رفعوها انهم يعرفونها ولا يعملون بها ولكنها
الخديعة والمكيدة والوهن عيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق الا ان يقطع دابر القوم الذين ظلموا
فجاءه عشرون الفا من اصحابه ونادوه باسمه دون امرة المؤمنين اجب القوم الى كتاب الله اذا دعيت والا قتلناك كما قتلنا عثمن فقال ع ويحكم انا
اول من اجاب الى كتاب الله واول من دعا اليه فكيف لا اقبله وانما قاتلتهم ليدينوا بحكم القران ولكني قد اعلمتكم انهم قد كادوكم وليس العمل
بالقران يريدون فقالوا ابعث الى الاشتر ياتيك وقد كان الاشتر صبيحة ليلة الهرير قد اشرف على عسكر معوية ليدخله ولاح له الظفر فبعث
اليه فرجع على كره منه ووقع بينه وبين من اجاب الى الحكومة من اصحابه على مسابة ومجادلات على ما اختاروا من ترك الحرب وتنادوا من كل
جانب رضي امير المؤمنين بالتحكيم وكتبوا كتاب عهد الرضا به وستذكر كيفيته اجمالا الا انشاء الله وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم**
في تخويف اهل النهر فانا نذير لكم ان تصبحوا صرعى باثناء هذا النهر واهضام هذا الغائط على غير بينة من ربكم ولا سلطان مبين معكم قد
طوحت بكم الدار واحتبلكم المقدار وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فابيتم علي اباء المخالفين المنابذين حتى صرفت رايي الى
هواكم وانتم معاشر اخفاء الهام سفهاء الاحلام ولم ات لا ابا لكم بجرا ولا اردت بكم ضرا **اقول** الخطاب للخوارج الذين قتلهم
بالنهروان وقد كان القضاء الالهي سبق فيهم بما كان منهم من الخروج روي في صحيح الاخبار ان رسول الله ص بينا هو يقسم قسما جاءه رجل
من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فقال اعدل يا محمد فقال ص قد عدلت فقال له ثانية اعدل يا محمد فانك لم تعدل فقال ص ويلك ومن
يعدل اذا لم اعدل فقام عمر فقال يا رسول الله ائذن لي في ضرب عنقه فقال دعه فسيخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما
يمرق السهم من الرمية يخرجون على خير فرقة من الناس يحتقر صلاتكم في جنب صلاتهم وصومكم عند صومهم يقرؤن القران لا يجاوز تراقيهم

منهم رجل

ج ١٠

فيهم رجل اسود مخدج اليد احدى يديه كانها ثدي امراة او بضعة قد يقتله اولى الفريقين بالحق وفي مسند احمد عن مسروق قال قالت لي
عائشة انك من ولدي واحبهم الي فهل عندك علم من المخدج فقلت نعم قتله علي بن ابي طالب على نهر يقال لاعلاه تامرا ولاسفله النهروان
بين لخافيق وطرفاء فقالت ابغني على ذلك بينة فاقمت رجالا شهدوا عندها بذلك قلت لها سالتك بصاحب القبر ما الذي سمعت
منه فيهم فقالت سمعته يقول انهم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة واقربهم عند الله وسيلة فاما سبب خروج هؤلاء القوم
فهو انه ع لما قهره اصحابه على التحكيم واظهروا عنه الرضى به بعد ان حذرهم ووعظهم فلم يلتفتوا كتبوا كتاب التحكيم واخذه الاشعث بن قيس
وطاف به على اصحاب معوية فرضوا به وطاف به على اصحاب علي فرضوا به حتى مر برايات عنزة وكان مع علي منهم بصفين اربعة الاف
فارس فلما اقرا الكتاب عليهم قال فتيان منهم لا حكم الا لله ثم حملا على اصحاب معوية فقتلا فهما اول من حكم ثم مر على مراد ثم على رايات
بني راسب ثم على بني تميم بكل فرقة قرا عليهم قالوا لا حكم الا لله لا نرضى ولا نحكم الرجال في دين الله فرجع الاشعث فاخبر عليا ع
بذلك فاستصغر امرهم وظن انهم قليلون فلما بلغهم امر الحكمين ملا اعداء ولتناس ينادون من كل جانب لا حكم الا لله الحكم لله يا علي
لا لك وقد كنا اخطانا حين رضينا بالحكمين فرجعنا الى الله وتبنا فارجع انت وتب الى الله كما تبنا والا برئنا منك فابى ع الرجوع وقال ويحكم
ابعد العهد نرجع فلما نضح بقوله نعم وارفوا بعهد اسنا ما هذه الاية وابت الخوارج الا تضليل التحكيم والطعن فيه وتبرؤا من علي وبرئ
منهم ثم كان اجتماعهم بحرور وبها هم عبد الله بن العباس رضي الله عنه فناظرهم بها فرجع منهم الفان ثم مضوا الى النهروان وكان اميرهم يومئذ عبد الله
الكوا وحين القتال عبد الله بن وهب الراسبي فسار اليهم فخطبهم وقال نحن اهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وعنصر الرحمة
ومعدن العلم والحكمة ايها القوم اني نذير لكم الفصل وروي انه ع لما قتلهم طلب ذا الثدية فيهم طلبا شديدا فلم يجده فجعل يقول والله
ما كذبت ولا كذبت اطلبوا الرجل وانه لفي القوم فلم يزل يطلبه حتى وجده في وهدة من الارض تحت القتلى وهو رجل مخدج اليد كانها
ثدي في صدره وعليها شعرات كسبال الهرة فكبر ع وكبر الناس معه وسروا بذلك كلا هضام جمع هضم وهو المطمئن من الوادي والغائط
ما سفل من الارض وطوحت بكم اي توهتكم في اموركم ورمت بكم المرامي واحتبلكم اوقعكم في الحبالة والنكر المنكر ويروى بجرا والبجر الامر
العظيم والداهية ويروى هجرا وهو الساقط من القول ويروى عرا والعر والمعرة الاثم والعر ايضا داء ياخذ الابل في مشافرها ويستعار
للداهية واعلم ان حاصل هذا الفصل تحذير للقوم من الهلاك وهم على غير بينة من ربهم ولا حجة واضحة يحتجون بها على ما يدعونه
ويقاتلون عليه وذلك مما يجب الحذر منه لقيد حرمان سعادة الدارين وانما سمى الحجة نفسها سلطانا لان بها الغلبة والتسلط وهو
من باب الاستعارة وقوله قد طوحت بكم الدار كنى بالدار عن الدنيا وانما نسب هلاكهم او ابعادهم ورميهم اليها لان المهلك لهم والموجب لبعدهم
انما هو اتباع اهوائهم الباطلة التي منشاؤها انما هو تحصيل امر دنيوي من مال وجاه ونحوه فكانت الدنيا هي التي رمت بهم المرامي
عن رحمة الله واخرجتهم عن طاعته وقوله واحتبلكم المقدار استعارة حسنة لاحاطة القدر بهم لما نالهم من قضاء الله فهو كحبالة الصائد التي لا
مخرج للطاير منها اذا نزلت به وقوله كنت نهيتكم عن هذه الحكومة الى قوله الى هواكم تقرير للحجة عليهم وكانه يقول لهم ان كان الحق هو عدم
الحكومة فلم طلبتموها وابيتم علي اباء المخالفين المنابذين لما نهيتكم عنها حتى صرت الى هواكم فيها وان كان الحق هو ايقاعها فلم شاققتموني
الان لما اوقعتها وجعلت لله علي بها عهدا وعلى المقدمين بلزمهم الخطاء وقوله وانتم معاشر اخفاء الهام سفهاء الاحلام الواو للحال
العامل صرفت والاضافة في اخفاء وسفهاء غير محضة ولذلك صح كونهما وصفين لمعاشر وخفة الهام كناية عن رذيلة الطيش المقابلة
لفضيلة الثبات والسفه رذيلة مقابلة للحلم والثبات الحلم فضلتان تحت ملكة الشجاعة ولما كانت لهاتين الرذيلتين نسبة الى الفعل
صح اضافتهما اليهما وقوله ولم ات لا ابا لكم نكرا ولا اردت بكم ضرا خرج مخرج الاعتذار اليهم واستدراجهم بتبيان حسن فعله ونفي المنكر
عنه وعدم قصد الاساءة اليهم ليرجعوا عما شبه اليهم وقوله لا ابا لكم كلمة اعتيدت في السنة العرب قال الجوهري يراد بها المدح وقال
غيره يراد بها الذم فان عدم اللحوق باب يستلزم العار والسبة وقيل هي دعاء عليه بانه لا يكون له اب يعزه ويشد ظهره ونفي الاب
يستلزم نفي العشيرة له فكانه دعاء بالذل وعدم الناصر والله اعلم **ومن كلام له عليه السلم** يجري مجرى الخطبة فقمت بالامر
حين فشلوا وتطلعت حين تقبعوا ونطقت حين تعتعوا ومضيت بنور الله حين وقفوا وكنت اخفضهم صوتا واعلاهم فوتا فطرت بعنانها
واستبددت برهانها كالجبل لا تحركه القواصف ولا تزيله العواصف لم يكن لاحد في مهمز ولا لقائل في مغمز الذليل عندي
عزيز حتى اخذ الحق له والقوي عندي ضعيف حتى اخذ الحق منه رضينا عن الله قضاءه وسلمنا له امره اتراني اكذب على
رسول الله والله لانا اول من صدقه فلا اكون اول من كذب عليه فنظرت في امري فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي واذا الميثاق في
عنقي لغيري **اقول** التعتعة الاضطراب في الكلام عن الحصر ونطلع الاخبار اختباره وتعرفه والتقبع التقبض يقال قبع القنفذ اذا ادخل
راسه بين كتفيه والاستبداد الانفراد والرهان ما يراهن ويستبق عليه والخطر الغاية وكلت الخطر قال بعض الشارحين هذا الفصل
فيه فصول التقطها الرضي رحمه الله من كلام طويل له قاله بعد وقعة النهروان ذكر فيه حاله منذ توفي رسول الله ص الى اخر وقته

الأول قوله فقمت بالأمر حين فشلوا الى قوله برهانها هذا الكلام مُورد معرض افتخاره واثبات فضيلته على سائر الصحابة لغاية قبول رأيه وقيامه بالامر حين فشلهم اشارة الى فضيلة شجاعة اى قمت بامر الله بين يدي رسوله وبعده في الحروب والمقامات الصعبة التي ضعفوا عنها والاوقات التي فشلوا فيها وامره في ذلك ظاهر وقوله ونطقت حين تعتعوا اشارة الى ملكة الفصاحة مستتبعة للملكة العلمية اى نطقت في القضايا المبهمة والاحكام المشكلة والمسائل التي تحصرت فيها البلغاء وهم تلكئ بسقطة وتعتعتهم عن فصاحتهم وعيهم وقوله تطلعت حين تقبعوا اشارة الى كبر الهمة في تحصيل ما ينبغي للانسان ان يحصله من تعرف الامور واخبارها والنظر في مصادرها ومواردها وهي ملكة تحت الشجاعة ولما كان التطلع على الامر يحتاج الانسان فيه الى نحو من التطاول ومد العنق وتحديق العين ونحوه وكان تعرف الامور واخبارها لابد فيه من بعث رائد الفكر الذي هو عين النفس التي بها يبصر وتحديقه نحو الامور المعقولة وارسال المخيلة لتفتيش خزائن المحسوسات اشبه ذلك التطلع فاستعار له لفظ التطلع وكنى به عنه وقوله حين تقبعوا اى كان تعرفي للامور حين قصورهم عن ذلك ولما كان التقبع يقابل مد العين والتطاول الى رؤية الاشياء المسمى تطلعا وكان قصور افكارهم وعدم اعتبارهم للاشياء يقابل مد الفكر وتطاول الذهن الى معرفة الامور وكان قصور الفكر ايضا والعجز عن المعرفة يشبه التقبع كنى به عنه وقوله ومضيت بنور الله حين وقفوا اشارة الى فضيلة العلم اى كان سلوكي لسبيل الحق على وفق العلم وهو نور الله الذي لا يضل من اهتدى به وذلك حين وقفوا حائرين مترددين جاهلين بالقصد وكيفية سلوك الطريق وانما اثبت لنفسه هذه الفضائل وقرن كل فضيلة له برذيلة منهم يقابلها فضلا بالنسبة اليهم انكان الغرض ذلك وقوله وكنت اخفضهم صوتا واعلاهم فوتا كنى بخفض الصوت عن ربط الجاش في الامور والثبات فيها والتصميم على فعل ما ينبغي من غير التفات الى الحوادث والموانع عن فعل ما هو خير ومصلحة فان كثرة الاصوات وعلوها في الافعال التي هي مظنة الخوف دليل الفشل ولا شك ان من كان اشد في ذلك كان اعلى فوتا واشد سبقا الى مراتب الكمال ودرجات السعادة ممن كان اضعف فيه قوله فطرت بعنانها واستبددت برهانها الضميران يعودان الى الفضيلة وان لم يجر لها ذكر لفظي فاستعار هيهنا لفظ الطيران للسبق العقلي لما بينهما من معنى السرعة واستعار لفظي العنان والرهان اللذين هما من متعلقات الخيل للفضيلة التي استكملها نفسه تشبيها لها مع فضائل نفوسهم بخيل الحلبة ووجه المشابهة ان الصحابة رضي الله عنهم لما كانوا يقتنون الفضائل ويستبقون بها الى رضوان الله وسعادات الآخرة كانت فضائلهم التي عليها يستبقون كخيل الرهان ولما كانت فضيلته عم اكمل فضائلهم واتمها كانت بالنسبة الى فضائلهم كالفرس السابق فلا جرم لا يليق عبارة احسن منه ان يستعير لسبقه بها لفظ الطيران ويجري عليها لفظ العنان والرهان

الفصل الثاني قوله كالجبل لا تحركه القواصف الى قوله آخذ الحق منه وهذا الفصل يحكي فيه قيامه باعباء الخلافة حين انتهائها اليه وجريه فيها على قانون العدل وموافقة الامر الالهي وقوله لم يكن لاحد فيّ مهمز ولا لقائل فيّ مغمز اى لم يكن فيّ عيب اعاب به وقد راعى في هذه القرائن الاربع مع الاربع الاخيرة من الفصل الاول السجع المتوازي وقوله الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له اعزازه للذليل اعتناؤه بحاله واهتمامه بامر ظلامته ومن اعتنى بحال انسان فقد اعزه ثم جعل لاعزازه غاية هي اخذ الحق له وكذلك قوله القوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه فان ضعف القوي هو قهره تحت حكمه الى غاية يستوفى منه حق المظلوم فان قلت يفهم من هاتين الغايتين ان نظره الى الذليل بعد استيفاء حقه والى القوي بعد اخذ الحق منه لا يكون على سواء بل يكون التفاته الى القوي اكثر وذلك ليس من العدل قلت انه لما لم يكن الغرض من الامر بمساواة النظر بين الخلق الا اخذ حق الضعيف من القوي وعدم التظالم بينهم لم يجب مساواة النظر بين الضعيف والقوي الا من تلك الجهة ولم يكن اعزازه للقوي واكرامه في غير جهة التظلم منبجا الجواز انفراده بفضيلة توجب اعزازه من جهة الدين ايضا

الفصل الثالث قوله رضينا عن الله قضاءه وسلمنا له امره الى قوله من يكذب عليه قيل ذكر ذلك عم لما تفرس في طائفة من قومه انهم يتهمونه فيما يخبرهم به عن النبي صلعم من اخبار الملاحم في الامور المستقبلة وقد كان منهم من يواجهه بذلك كما روي انه لما قال سلوني قبل ان تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مائة وتهدي مائة الا انبأتكم بناعقها وسائقها قام اليه انس النخعي فقال اخبرني كم في رأسي ولحيتي طاقة شعر فقال عم والله لقد حدثني حبيبي ان على كل طاقة شعر من رأسك ملكا يلعنك وان على كل طاقة شعر من لحيتك شيطانا يغويك وان في بيتك سخلا يقتل ابن رسول الله صلعم وكان ابنه سنان بن انس قاتل الحسين عم يومئذ طفلا يحبو وسيأتي بعض تلك الاخبار فقوله رضينا عن الله قضاءه وسلمنا له امره قد عرفت ان الرضا بقضاء الله والتسليم لامره باب من ابواب الجنة يفتحه الله لخواص اوليائه ولما كان عم سيد العارفين بعد رسول الله صلعم وكان علم القضاء الالهي قد جرى على قوم بالتكذيب له والتهمة فيما يقول لا جرم هو كان عم اولى الناس بلزوم باب الرضا وقوله اتراني اكذب الى قوله عليه استنكار للمناصبة منهم في حقه من التكذيب وايراد حجة لبطلان اوهامهم في حقه بصورة قياس الضمير مع نتيجة وتقديره والله لانا اول من صدقه وكل من كان اول مصدق لرجل فلن يكون اول مكذب له ينتج اني لا اكون اول مكذب له

ج ١٠

الفصل الرابع قوله فنظرت في امري الى آخره فيه احتمالان احدهما قال بعض الشارحين انه مقطوع من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاة الرسول صلعم وانه كان معهودا اليه ان لا ينازع في امر الخلافة بل ان حصل له بالرفق والا فليمسك فقوله فنظرت فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي اى طاعتي لرسول الله صلعم فيما امرني به من ترك القتال قد سبقت بيعتي للقوم فلا سبيل الى الامتناع منها وقوله واذا الميثاق في عنقي لغيري اى ميثاق رسول الله صلعم وعهده الي بعدم المشاقة وقيل الميثاق ما لزمه من بيعة ابي بكر بعد ايقاعها اى فاذا ميثاق القوم قد لزمني فلم يمكنني المخالفة بعده الاحتمال الثاني ان يكون ذلك في معرض تشكيه وتبرمه من ثقل اعباء الخلافة وتكلف مداراة الناس على اختلاف اهوائهم ويكون المعنى اني نظرت فاذا طاعة الخلق لي وانقيادهم علي قد سبقت بيعتهم لي واذا ميثاقهم قد صار في عنقي فلم اجد بدا من القيام بامرهم ولم يسعني عند الله الا النهوض بامرهم ولو لم يكن كذلك لتركت كما قال من قبل اما والله لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس اولها والاول اشهر بين الشارحين والله اعلم بالصواب

ومن خطبة له عم وانما سميت الشبهة شبهة لانها تشبه الحق فاما اولياء الله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى واما اعداء الله فدعاؤهم فيها الضلال ودليلهم العمى فما ينجو من الموت من خافه ولا يعطى البقاء من احبه **اقول** يحتمل ان يكون هذا الكلام فصلين احدهما قوله وانما سميت الشبهة الى قوله ودليلهم العمى والثاني الباقي فالفصل الاول اشارة الى علة تسمية الشبهة شبهة ثم الى بيان حال الناس فيها اما الاول فالشبهة عبارة عما يشبه الحق مما يختلج بالذهن في صورته اذ في مادته وفيها معالم ان علة تسميتها شبهة هو ذلك التشبه فلذلك حصرها فيه واما الثاني فلان الناس اما اولياء الله او اعداء له اما اولياؤه فلما كانت نفوسهم مشرقة بنور اليقين مستضيئة بمصباح النبوة في سلوك الصراط المستقيم كان تلك الانوار هداهم اذا هم في ظلمات الشبهات وحرزهم عن الهوى في مهاوي الجهالات كما قال تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار الآية وهو الهدى المأمور بلزوم سمته والسلوك له الى المطالب الحقة وهو المراد بقوله ضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى واما اعداؤه فليس دعاؤهم الى ما يدعون اليه الا ضلالا عن القصد القويم واضلالا للخلق عن الطريق الحق ولبس ما يعتقد ويتدينا يزعمون انهم يهدون به السبيل الا شبهة هي في نفسها عمى لابصارهم عن مطالعة نور الحق وطمس لاذهان من استجاب لهم عن اهتداء سلوك سبيل الله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور واما الفصل الثاني وهو قوله فما ينجو الى آخره فقصد ان القضية الاولى قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم وقوله اينما تكونوا يدرككم الموت الآية وحاصله التذكير بهادم اللذات والتخويف بذكره والتنفير عن محبته ما لابد منه وزواله ليفزع السامعون الى العمل لما بعده وياخذ التوفيق بازمة عقولهم فان خوفه ومحبة ضده وهو البقاء لا ينفعان في الخلاص منه لكونه ضروريا في الطبيعة ويحتمل ان يكون الكلام متصلا ويكون الفصل الثاني قد سبق له قبل الاول كلام يحسن ملائمته به وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام مُنيت بمن لا يطيع اذا امرت ولا يجيب اذا دعوت لا ابا لكم ما تنتظرون بنصركم ربكم اما دين يجمعكم ولا حمية تحمشكم اقوم فيكم مستصرخا واناديكم متغوثا فلا تسمعون لي قولا ولا تطيعون لي امرا حتى تكشف الامور عن عواقب المساءة فما يدرك بكم ثار ولا يبلغ بكم مرام دعوتكم الى نصر اخوانكم فجرجرتم جرجرة الجمل الاسر وتثاقلتم تثاقل النضو الادبر ثم خرج الي منكم جنيد متذائب ضعيف كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون

اقول روي ان هذه الخطبة خطبها في غزاة النعمان بن بشير الى عين التمر والسبب ان معاوية بعث النعمان بن بشير في الفي فارس لارهاب اهل العراق فاقبل حتى دنا من عين التمر وكان عاملها يومئذ من قبل علي عم مالك بن كعب الارحبي لم يكن معه اذ ذاك سوى مائة رجل ونحوها فكتب مالك اليه عليه السلام يعلمه الخبر فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اخرجوا هداكم الله الى مالك بن كعب اخيكم فان النعمان بن بشير قد نزل به في جمع من اهل الشام ليس بالكثير فانهضوا الى اخوانكم لعل الله يقطع بكم طرفا من الكافرين ثم نزل فتثاقلوا فارسل الى وجوههم فامرهم بالنهوض فتثاقلوا ولم يجتمع منهم الا نفر يسير نحو ثلثمائة رجل فقام عم وقال الا اني منيت الفصل وروي ان الدائرة كانت لمالك بن كعب على النعمان ومنيت ابتليت وتحمشكم اي تغضبكم والمستصرخ المستجلب بصوته من ينصره والغوث الصوت يستصرخ به وقيل هو قول الرجل واغوثاه والثار الذحل والجرجرة ترديد صوت البعير في حنجرته عند عسفه والسر داء ياخذ البعير في سرته يقال منه جمل اسر والنضو من الابل البالي من تعب السير والادبر الذي به دبر وهي القروح في ظهره وفي الفصل مطالب **الاول** قوله منيت بمن لا يطيع الى قوله دعوت وهو اظهار الحد نفسه على اصحابه بالنسبة اليهم التقصير ويقع عليهم لانه عزهم **الثاني** قوله لا ابا لكم الى قوله مرام وهو استنهاض لهم الى نصرة الله بسؤالهم عن سبب قعودهم عن نصرته والذب عن دينه سؤالا على سبيل الانكار للسبب وتنبيه لهم على الاسباب التي توجب اجتماعهم لنصرة الله والغضب له بسؤالهم عنها هل هي موجودة لهم ام لا سؤالا على سبيل الانكار ايضا اذ هم يدعون وجو

هم وهي للتذمر والملامة والاتخاذ فيه كما قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء الآية ثم الحمية وهي ملكة تحت الشجاعة وكذلك قوله اقوم فيكم الى قوله امر من الاسباب الباعثة لهم على الاجتماع فان ذكره له من استنصاره اياهم واستغاثته بهم مع ذكر حالهم في مقابلة ذلك من تثاقلهم عن ندائه وعدم طاعتهم له مما يبعثهم على خطائهم وتقصيرهم وقوله حتى تنكشف الامور عن عواقب المساءة ذكر لغاية تثاقلهم عن دعوته وتنبيه بذكر استعقاب المساءة على خطائهم فيه وكذلك قوله فما يدرك بكم ثار ولا يبلغ بكم مرام عتاب وتوبيخ يبعث طباع العرب على التآلف في النصرة اذ من شأنهم ثوران الطباع بمثل هذه الاقوال وقوله دعوتكم الى قوله الادبر استعار لفظ الجرجرة لكثرة تمللهم وقوة تضجرهم من ثقل ما يدعوهم اليه ولما كانت جرجرة الجمل الاسر اشد من جرجرة غيره لا جرم شبه ما تسمعه منهم من التضجر بها وكذلك تشبيهه تثاقلهم بتثاقل النضو الادبر وذكرهم ما دعاهم اليه من نصرة اخوانهم اعني اصحاب مالك بن كعب المذكور وجوابهم له بالتبرم من ذلك التثاقل ثم اردف ذلك بتصغير من خرج منهم من الجند ووصفه بالاضطراب في الضعف وتشبيههم بمن يساق الى الموت وهو ينظر في تثاقله واضطرابه وضعفه عن الحركة الى ما يساق اليه لشدة خوفه وفي ذلك ذم وتوبيخ بتشبيههم بطباعهم عما هي عليه من التثاقل عن ندائه والتقصير في اجابة دعائه وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام في معنى الخوارج لما سمع قولهم لا حكم الا لله فقال كلمة حق يراد بها باطل نعم انه لا حكم الا لله ولكن هؤلاء يقولون لا امرة وانه لا بد للناس من امير بر او فاجر يعمل في امرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ويبلغ الله فيها الاجل ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو وتأمن به السبل ويؤخذ به للضعيف من القوي حتى يستريح بر ويستراح من فاجر وفي رواية اخرى انه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال حكم الله انتظر فيكم ثم قال اما الامرة البرة فيعمل فيها التقي واما الامرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي الى ان تنقطع مدته وتدركه منيته **اقول** قوله كلمة حق يراد بها باطل هذه الكلمة رد لما انغرز في اذهان الخوارج من حقية دعاء اصحاب معاوية الى كتاب الله اي ان دعاءهم لكم الى كتاب الله كلمة حق لكن ليس مقصودهم بها كتاب الله بل غرض اخر باطل وهو فتور الحرب عنهم وتفرق اهوائكم ونحوه مما لا يجوز ان يفعل **قوله** لا حكم الا لله تصديق لقولهم لكن لما عليه الكلمة في نفس الامر لا لما ارادوه حقا من ظاهرها فان حصر الحكم ليس بحق على معنى انه ليس للعبد ان يحكم بغير ما نص كتاب الله عليه فان اكثر الاحكام الفروعية غير منصوص عليها مع انها احكام الله بل تكون مستنبطة بحسب الاجتهاد وسائر طرقها لمن كان اهلا لذلك ويجب على من ليس له اهلية الاجتهاد امتثالها ولما تصور الخوارج تلك الكلمة بمعنى انه لا يصح حكم لمن يوجد في كتاب الله ولا يجوز امتثاله والعمل به لا جرم قال نعم لا حكم الا لله لكن هؤلاء القوم يقولون لا امرة اي لما نفوا ان يكون لغير الله حكم بنص عليه فقد نفوا الامرة لان استنباط الاحكام والنظر في وجوه المصالح من لوازم الامرة التي هي حال الامير في رعيته ونفي اللازم يستلزم نفي الملزوم ولما كانوا قد نفوا الامرة كذبهم بقوله ولا بد للناس من امير بر او فاجر فكان جملة الكلام في معنى شرطية متصلة هكذا اذا قالوا لا حكم الا لله كما تصوروه فقد قالوا بنفي الامرة لكن القول بنفي الامرة باطل فالقول بنفي الحكم الا لله كما تصوروه باطل فقوله ولا بد للناس من امير في معنى استثناء نقيض تالي المتصلة وتقريره ان الانسان خلق مدنيا بمقارنة النفس الامارة بالسوء ومحتاجا الى مجموع قوى في بدنه هي منابع الشر فاهواء الخلق لذلك مختلفة ودواعيهم متفرقة فكانت تطمع في نظام احوالهم في معاشهم وبقائهم محوجة الى سلطان قاهر تأتلف برهبته الاهواء وتجتمع بهيبته القلوب وتنكف بسطوته الايدي العادية اذ في طباع الخلق من حب المغالبة على ما آثروه والقهر لمن عاندوه ما لا ينكفون عنه الا بمانع قوي ورادع ملي وقد افصح المتنبي عن ذلك حيث يقول لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم وهذه العلة المانعة من الظلم عند الاستقراء ترجع الى امور اربعة اما عقل زاجر او دين حاجز او عجز مانع او سلطان رادع والسلطان القاهر ابلغها نفعا لان العقل والدين ربما كانا مغلوبين بدواعي الهوى فيكون رهبة السلطان اقوى ردعا واعم نفعا وان كان جائرا فانه روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم في الآخرة وروي بالرجل الفاسق وروي عنه انه قال الامام الجائر خير من الفتنة فكل لا خير فيه وفي بعض الشر خيار اي ان وجود الامام وان كان جائرا خير من عدمه المستلزم لوجود الفتنة ووقوع الهرج والمرج بين الخلق اذ كان بوجوده صلاح بعض الامور على انه وان كان لا خير فيه ايضا من جهة ما هو جائر كما قال وكل لا خير فيه الا ان هيبته ووجوده بين الخلق مما يوجب الانزجار عن اثارة الفتن ويكون ذلك خيرا وقع بوجوده بوجوده لا يحصل مع عدمه فوجوده مطلقا واجب وذلك معنى قوله لا بد للناس من امير بر او فاجر وقوله يعمل في امرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر الضمير في امرته عائد الى الامير وكان لفظ الامير محتملا للبر والفاجر كان المراد بالامرة التي يعمل فيها المؤمن امرة الامير من حيث هو بر وبالتي يستمتع فيها الكافر امرته من حيث هو فاجر وهذا اولى من قول بعض الشارحين ان الضمير يعود الى الفاجر فان امرة الفاجر ليست مظنة تمكن المؤمن من عمله والمراد بعمل المؤمن في امرة البر عمله على وفق اوامر الله ونواهيه اذ ذلك وقت تمكنه منه والمراد باستمتاع الكافر في امرة الفاجر انهماكه في اللذات الحاضرة التي يخالف فيها اوامر الله وذلك في وقت تمكنه من مخالفة الدين وقوله ويبلغ الله فيها الاجل اي في امرة الامير سواء كان برا او فاجرا وفائدة هذه الكلمة تذكير العصاة ببلوغ الاجل وتخويفهم به وقوله ويجمع به الفيء الى قوله القوي الضمائر المجرورة كلها راجعة الى الامير المطلق انه تحصل الامور المذكورة كلها من وجوده كيف كان برا او فاجرا ومما

يؤيد ذلك

١٠ ومما يؤيد ذلك ان اكثر الخلق متفقون على ان امراء بني امية كانوا فجارا عدا رجلين او ثلاثة كعثمان وعمر بن عبد العزيز وكان الفيء يجمع بهم والبلاد تفتح في ايامهم والثغور الاسلامية محروسة والسبل آمنة والقوي مأخوذ بالضعيف ولم يضرهم فجورهم شيئا في تلك الامور وقوله حتى يستريح بر ويستراح من فاجر غاية من الامور المذكورة اي غاية صدور هذه الامور ان يستريح البر بوجودها ويستراح من تعدي الفاجر وبغيه وقيل اراد ان هذه الامور لا تزال تحصل بوجود الامير برا كان او فاجرا الى ان يستريح بر بموته ويستراح من فاجر بموته او بعزله واما الرواية الاخرى فمعنى الكلام فيها ظاهر وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام ان الوفاء توأم الصدق ولا اعلم جنة اوقى منه وما يغدر من علم كيف المرجع ولقد اصبحنا في زمان قد اتخذ اكثر اهله الغدر كيسا ونسبهم اهل الجهل فيه الى حسن الحيلة ما لهم قاتلهم الله قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونها مانع من امر الله ونهيه فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين **اقول** الجنة ما استترت به من سلاح ونحوه والحول القلب الذي يكثر تحوله وتقلبه في اختيار الامور وتعرف وجوهها والانتهاز المبادرة الى الامر والفرصة وقت الامكان والحريجة التحرج وهو التحرز من الحرج والاثم واعلم ان الوفاء ملكة نفسانية تنشأ من لزوم العهد كما ينبغي والبقاء عليه والصدق ملكة تحصل من لزوم الاقوال المطابقة وهما فضيلتان داخلتان تحت فضيلة العفة متلازمتان ولما كان التوأم هو الولد المقارن لولد اخر في بطن واحد اشبهه الوفاء لمقارنته الصدق تحت العفة فاستعار لفظه له ثم لما كانت فضيلة الوفاء مقابلة برذيلة الغدر وفضيلة الصدق مقابلة برذيلة الكذب وهي رذيلتا الغدر والكذب ايضا توأمين تحت رذيلة الفجور المقابلة لفضيلة العفة **قوله** ولا اعلم جنة اوقى منه حكم ظاهر فان الوفاء وفائدته للمرء اما في آخرته فللاستتار به من عذاب الله هو اعظم محذور واما في دنياه فللاستتار به من لسب والعار وما يلزمه عدم الوفاء من الغدر والكذب الملحقين للوصمة للنفس واذ علمت انه لا اشبه لشيء مما يجتن منه بالاسلحة وغيرها الى ما يتوقى بالوفاء علمنا انه لا جنة اوقى من الوفاء وممادح الوفاء ومذام الغدر كثيرة قال الله تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يوفون بعهدهم اذا عاهدوا الآية وقال في تمدحه بالوفاء ومن اوفى بعهده من الله وقال ومن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما ومن الخبر في ذم الغدر لكل غادر لواء يعرف به يوم القيمة وقوله وما يغدر من علم كيف المرجع اقول العلم بكيفية المرجع الى الله تعالى والاطلاع على منازل السفر اليه وعلى احوال الآخرة التي هي الثمرة صارف قوي عن ارتكاب الرذائل بل التي من جملتها الغدر وانما نص الغدر بنسبته اهله الى الجهل بأمر المعاد لكونه في معرض مدح الوفاء والترغيب فيه **قوله** ولقد اصبحنا في زمان الى قوله الحيلة **اقول** انما اتخذ اهل الزمان الغدر كيسا ونسبهم كثير الى حسن الحيلة لان الفريقين بجهلهم الغدر ولعدم تمييزهم بين الغدر والكيس فانه لما كان الغدر كثيرا ما يستلزم الدهاء والفطنة لوجه الحيلة وايقاعها بالمغدور وكان الكيس ايضا عبارة عن الفطانة والذكاء وجودة الرأي في استخراج وجوه المصالح التي ينبغي كانت بينهما مشاركة في استلزام مفهوميهما للتفطن والذكاء في استخراج وجه الحيلة وايقاع الآراء الا ان تفطن الغادر يستعمله في استنباط الحيلة وان خالفت القوانين الشرعية وفاتت المصالح الكلية في جنب مصلحة جزئية تخصه وتفطن الكيس انما يستعمله في ايقاع رأي او حيلة تنتظم مصلحة العالم وتوافق القوانين الشرعية ولدقة الفرق بينهما استعمل الغادرون غدرهم في موضع الكيس ونسبهم ايضا الجاهلون الى حسن حيلتهم كما نسب ذلك الى عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ونحوهما ولم يعلموا ان حيلة الغادر يخرج الى رذيلة الفجور وانه لا حسن في حيلة جرت الى رذيلة وقوله ما لهم قاتلهم الله قد يرى الى آخره دعاء عليهم بقتال الله لهم بعد استفهام عن خوضهم في امرهم استفهاما على سبيل الانكار وقد علمت ان قتال الله كناية عن عداوته والبعد عن رحمته وظاهر ان الغدر يبعد عن رحمة الله ثم اردف ذلك الدعاء بالاشارة الى انه لا فضيلة لهم فيما يفتخرون به من الذكاء في استنباط وجوه الحيلة اذ كانت غايتهم الغدر والخيانة فان الحول القلب في الامور قد يرى وجه الحيلة عيانا الا انه يرى امام العمل بها مانع من امر الله ونهيه عن ارتكابها لما يؤدي اليه من ارتكاب الرذائل الموبقة فيتركها رأي عين اي حال ما هي مرئية له وبعد القدرة عليها خوفا من الله تعالى ثم يراها من لا يعتقد اثما في خرم قواعد الدين فيبادر اليها حال امكانها وليس ذلك بفضيلة بل الفضل في الحقيقة لتاركها عن وازع الدين والاشارة بالحول القلب الى نفسه فان شيمته الكريمة كانت كذلك

ومن خطبة له عليه السلام ايها الناس ان اخوف ما اخاف عليكم اثنان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فيصد عن الحق واما طول الامل فينسي الآخرة الا وان الدنيا قد ولت حذاء فلم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء اصطبها صابها الا وان الآخرة قد اقبلت ولكل منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان كل ولد سيلحق بابيه يوم القيمة وان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل **اقول** الحذاء خفيفة مسرعة لا يتعلق احد منها بشيء والصبابة بقية الماء في الاناء والمقصد بهذا الفصل النهي عن الهوى وطول الامل في الدنيا فانهما من اشد اسباب الهلاك فكان التخلي عنهما من اشد اسباب النجاة كما قال تعالى فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى

النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ثم التذكير بامور الآخرة فاعلم ان الهوى هو ميل النفس الامارة بالسوء الى مقتضى طباعها من اللذات الدنيوية الى حد الخروج عن حدود الشريعة واما الامل فقد سبق بيانه ولما كانت السعادة التامة انما هي في مشاهدة حضرة الربوبية ومجاورة الملاء الاعلى في مقعد صدق عند مليك مقتدر وكان اتباع النفس الامارة بالسوء في مشتهياتها الطبيعية والانهماك في ملذاتها الفانية اشد مهلك جاذب للانسان عن قصد الحق وصادّ له عن سلوك سبيله وعن الترقي في ملكوت السموات الى حضيض جهنم كما قال سيد المرسلين ص ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وكما قال حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما يقرب له من احديهما يبعد من الاخرى لا جرم كان اخوف ما ينبغي ان يخاف من الامور المهلكة اتباع الهوى واما الامل فمراده به ايض الامل الذي لا ينبغي ان يمتد الامل فيه من المقتنيات الفانية وظاهر ان طول الامل فيها يكون مطلقا لاتباع الهوى وبه يكون نسيان الآخرة لان طول توقع الامور المحبوبة الدنيوية يوجب دوام ملاحظتها ودوام ملاحظتها مستلزم لدوام اعراض النفس عن ملاحظة احوال الآخرة وهو مستعقب لمحاء ما تصور في الذهن منها وذلك معنى النسيان لها وبذلك يكون الهلاك الابدي والشقاء الاشقى ولما كان ع هو المتولي لاصلاح حال الخلق في امور معاشهم ومعادهم كان الاهتمام باصلاحهم منوطا بهمته العلية فلا جرم نسب الخوف عليهم الى نفسه **قوله** الا وان الدنيا قد ولت الى قوله صبابها **اقول** الدنيا بالنسبة الى كل شخص مفارقة له وخفيفة سريعة الاجفال لم يبق منها بالقياس اليه الا اليسير واطلاق الصبابة هيهنا استعارة لبقيتها القليلة والقلة هي وجه تشبيهها بصبابة الاناء ايض وقوله الا وان الآخرة قد اقبلت تنبيه على ان الدنيا سريعة الاجفال اردف ذلك بالتنبيه على سرعة لحوق الآخرة واتيانها وكل ذلك قطع للآمال الفانية وردع عن اتباع الهوى ومن آثار الصالحين اذا كانا العمر في ادبار والموت في اقبال فما اسرع الملتقى والموت هو مبدأ الآخرة وقوله ولكل منهما بنون الى قوله يوم القيمة من لطائف كلامه فاستعار لفظ الابناء للخلق بالنسبة الى الدنيا والآخرة ولفظ الاب لهما ووجه الاستعارة ان الابن لما كان من شأنه الميل الى والده اما ميلا طبيعيا او بحسب توقع المنفعة منه وكان الخلق منهم من يريد الدنيا ومنهم من يريد الآخرة ويميل كل منهما الى مراده مع ما يحصل من طرف الدنيا للراغبين فيها مما تتوهمونه لذة وخيرا وما يحصل من طرف الآخرة للراغبين فيها من اللذة والسعادة اشبه كل بالنسبة الى ما رغب فيه واستفاد منه الخير الابن بالنسبة الى الاب فاستعير لفظه لذلك المشابهة ولما كان غرضه حث الخلق على السعي للآخرة والميل اليها والاعراض عن الدنيا قال فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا ثم ذكر فائدة امره عليهم بان يكونوا كذلك وهي ان كل ولد سيلحق بابيه يوم القيمة ونبّه بذلك الى ان ابناء الآخرة والطالبين لها والعاملين لاجلها مقربون في الآخرة لاحقون لمرادهم فيها ولهم فيها ما تشتهي انفسهم ولهم فيها ما يدعون نزلا من غفور رحيم واما ابناء الدنيا فان نفوسهم لما كانت مستغرقة في محبتها ناسية لطرف الآخرة ومعرضة عنها لا جرم كانت يوم القيمة مغمورة في محبة الباطل مغلولة بسلاسل الهيئات البدنية والملكات الرديئة المتمكنة من جواهرها فهي لتعلقها بمحبة الدنيا حيث لا يتمكن من محبوبها بمنزلة ولد لا يتعلق ولا مسكة الا بوالده ولا الف له الا هو ولا انس الا معه ثم حيل بينه وبينه مع شدة تعلقه به وشوقه اليه ولحق الى ضيق الاعجان وبدل بالعز الهوان فهو في اشد وله ويتم اعظم حسرة وغم واما ابناء الآخرة ففي حضانة ابيهم ونعيمه قد زال عنهم بؤس اليتم وشقاء اليتم وسوء الحضن فمن الواجب ان نعرف احوال الوالدين واتباع ابرهما وادومهما شفقة واعظمها بركة وما هي الا الآخرة فليكن ذو العقل من ابناء الآخرة وليكن بارا لوالده متوصلا اليه باقوى الاسباب وامتنها وقوله وان اليوم عمل الخ كنى باليوم عن مدة الحيوة وبغد عما بعد الموت وراعى المقابلة فقابل اليوم بالغد والعمل بلا عمل ولا حسنات بالحساب واليوم اسم ان وعمل قام مقام الخبر استعمالا للمضاف اليه مقام المضاف اي واليوم يوم العمل ويحتمل ان يكون اسم ان ضمير الشأن واليوم عمل جملة من مبتداء وخبر هي خبرها وكذا قوله وغدا حساب ولا عمل وصدق هذين الحكمين ظاهر وفائدتهما التنبيه على وقت العمل وعدمه ليبادروا الى العمل الذي به يكونون من ابناء الآخرة في وقت امكانه قبل مجيء الغد الذي هو وقت الحساب دون العمل وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلم وقد اشار اليه اصحابه بالاستعداد للحرب لاهل الشام بعد ارساله الى معوية جرير بن عبد الله البجلي ان استعدادي لحرب اهل الشام وجرير عندهم اغلاق للشام وصرف لاهله عن خير ان ارادوه ولكن قد وقّت لجرير وقتا لا يقيم بعده الا مخدوعا او عاصيا والرأي مع الاناة فارودوا ولا اكره لكم الاعداد ولقد ضربت انف هذا الامر وعينه وقلبت ظهره وبطنه فلم ار فيه الا القتال او الكفر بما جاء محمد ص انه قد كان على الامة وال احدث احداثا واوجد للناس مقالا فقالوا ثم نقموا فغيروا **اقول** وقد كان في ظن كثير من الصحابة بعد ولا بد على ع ان معوية لا يطيع له بامارات كثيرة ولذلك اشار عليه اصحابه بعد ارسال جرير اليه بالاستعداد لحربه وروي ان جريرا لما اراد بعثه قال والله يا امير المؤمنين ما ادخرك من نصرتي شيئا وما اطمع لك في معوية فقال ع قصدي حجة اقيمها ثم كتب معه اما بعد فان بيعتي بالمدينة لزمتك وانت بالشام لانه بايعني القوم الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب ان يرد وانما الشورى للمهاجرين والانصار اذا اجتمعوا على رجل

فسموه اماما كان ذلك رضا فان خرج من امرهم خارج بطعن او بدعة ردوه الى ما خرج منه فان ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى ويصليه جهنم وساءت مصيرا وان طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي فكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فان احب الامور الي فيك العافية الا ان تتعرض للبلاء فان تعرضت له قاتلتك واستعنت بالله عليك وقد اكثرت في قتلة عثمن فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم الي احملك واياهم على كتاب الله فاما تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني ابرء قريش من دم عثمن واعلم انك من الطلقاء الذين لا يحل لهم الخلافة ولا يعرض فيهم الشورى وقد ارسلت اليك جرير بن عبد الله وهو من اهل الايمان والهجرة فبايع ولا قوة الا بالله وربما جاء شيء من هذا الكتاب في كتبه ع الى معوية فاجابه معوية اما بعد فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وانت بريء من دم عثمن كنت كابي بكر وعمر وعثمن ولكنك اغريت بعثمن وخذلت عنه الانصار فاطاعك الجاهل وقوي بك الضعيف وقد ابى اهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمن فان فعلت كانت شورى بين المسلمين ولعمري ما حجتك علي كحجتك على طلحة والزبير لانهما بايعاك ولم ابايعك وما حجتك على اهل الشام كحجتك على اهل البصرة لانهم اطاعوك ولم يطعك اهل الشام فاما شرفك في الاسلام وقرابتك من النبي ص وموضعك من قريش فلست ادفعه وكتب في آخر الكتاب قصيدة كعب بن جعيل اوله ارى الشام تكره اهل العراق واهل العراق لها كارهونا وقد ذكرنا بعضها قبل ويروى ان الكتاب الذي كتبه عليه السلم مع جرير كانت صورته اني قد عزلتك ففوض الامر الى جرير والسلم وقال لجرير صن نفسك عن خداعه فان سلم اليك الامر وتوجه الي فاقم انت بالشام وان تعلل بشيء فارجع فلما عرض جرير الكتاب على معوية تعلل بمشاورة اهل الشام وغير ذلك فرجع جرير وكتب معوية في اثره على ظهر كتاب علي ع من ولاك حتى تعزلني والسلم **واقول** الاستعداد التهيؤ للامر والخداع الاخذ بالحيلة والاناة الاسم من التاني والرفق وارودوا امهلوا وتمخض الامر [illegible] فقوله ان استعدادي الى قوله ان ارادوه المراد ان اهل الشام في زمان كون جرير عندهم هم في مقام التردد والتفكر في اي الامرين يتبعون واذ لم يكن كلهم فبعضهم كذلك فلو اعتد هو للحرب في تلك الحال لبلغهم ذلك فاحتاجوا الى الاستعداد ايضا والتأهب للقاء [illegible] الاستعداد سببا لتعلق الشام بالكلية وصرفا لمن يكون في ذهنه تردد في هذا الامر وفي قلبه اللحوق به عما يريد [illegible] الحزم وقوله قد وقت الى قوله عاصيا اي قد وقت له وقتا يصل اليه بانتهائه لا يتخلف عنه الا لاحد مانعين اما خداع منهم له وهو اعتماد تخلفه بالجواب لهم او امورهم في تلك المدة واما عصيانا منه ومخالفة فان قلت حصر تخلف جرير في هذين المانعين غير صحيح لجواز ان يتخلف لمرض او موت او عرض اخر قلت [illegible] لم يقصد الحصر بنفسه وانما اراد الحصر بحسب غلبة الظن لما شاهد من الامارات والقرائن الحالية ثم كلامه ليرجح الاسباب الاضطرارية التي من قبل الله تعالى فان تلك مما لا يمنع منه ولا يحسن ذكره واما الموانع الاختيارية فاما منهم وغالب الظن هو الخداع واما منه وغالب الظن انه العصيان اذ لا يتصور من مثل جرير [illegible] فقد ارسل في هذا الامر المهم ان يعدل عنه الى شغل حينا اري بنفسه او لغيره الا ان يكون عاصيا وقوله والرأي مع الاناة رأي جوامع الحكم على صوابه فان اصابة المطالب والظفر بها في الغالب انما هو مع التثبت والتاني في الطلب وذلك ان اناة الطالب هي مظنة فكره في الاهتداء الى تلخيص الوجه الانفع والانفس والاسهل للمصلحة في تحصيل مطلوبه ولذلك اكد بعض الحكماء الامر بالتاني بقوله من لم يتثبت في الامور لم يعد مصيبا وان اصاب فالغرض وان كان هو الاصابة الا انها وان حصلت من غير التاني كان مفرطا وثمرة التفريط غالبا الندامة وعدم الاصابة والاصابة منه نادرة والنادر غير منتفع به ولا ملتفت اليه وقوله فارودوا ولا اكره لكم الاعداد لما نبههم على فضيلة الاناة امرهم بها وان لم يأمرهم بها مطلقا بل نبههم بقوله ولا اكره لكم الاعداد على امور ثلثة **احدها** انه ينبغي لهم ان يكونوا على تيقظ من هذا الامر حتى يكونوا حال اشارته اليهم قريبين من الاستعداد **الثاني** ان لا يتوهم احد منهم فيهم الخلل وضعف عن مفارقة اهل الشام فيداخلهم بسبب ذلك فشل وضعف عزيمة **الثالث** ذكر الشارح ابن ابي حديد وهو التقية وان كان كره الاستعداد الظاهر الآن قوله ولا اكره لكم الا[عداد] تنبيه لهم على الاستعداد الباطن والتهيؤ في السر وربما كان [illegible] بهذا الوجه ما يتوهم تناقضا وهو كونه قد اشار بترك الاستعداد ثم قال لاصحابه ولا اكره لكم الاعداد وقد علمت ان تركه للاستعداد في ذلك الوقت واختياره تركه لا ينافي تنبيههم على عدم كراهيته له ليكونوا منه على تيقظ كما مر وقوله ولقد ضربت الى قوله او الكفر تمثيل استعار لفظ العين والانف والظهر والبطن التي هي حقايق في الحيوان لحاله مع معوية في امر الخلافة وخلاف اهل الشام له استعارة على سبيل الكناية فكنى بالعين والانف عن المهم من هذا الامر وخالص صرفات العين والانف اعز ما في الوجه وكنى بالضرب بهما عن قصد المهم منه على سبيل الاستعارة ايض وكنى بلفظ الظهر والبطن لظاهر هذا الامر وباطنه ووجوه الرأي فيه ولفظ التقليب لتصفح تلك الوجوه وعرضها على العقل واحدا واحدا وقوله فلم ار الا القتال

او الكفر يتعين لما اختاره بعد التقليب والتصفح لوجوه المصلحة في امر مخالفيه وهو قتالهم ونبه على حد اختياره له بقوله او الكفر
اي ان احد الامرين لازم اما القتال او الكفر وذلك انه ان لم يختر القتال لزم تركه مستلزم للكفر لكن التزام الكفر منه محال تعين
اختياره للقتال ومراده بالكفر الجحود فانه صرح بمثله فيما قبل حيث يقول وقد قلبت هذا الامر بطنه وظهره حتى منعني النوم
فما وجدتني يسعني الا قتالهم او الجحود بما جاء به محمد ع فان قلت ما وجه الحصر في القتال والجحود مع ان ترك القتال ايدي
المجد ممكن قلت بيانه من وجهين احدهما قال الشارحون ان الرسول ع كان قد امره بقتال من خالفه لقوله امرت ان اقاتل
الناكثين والقاسطين والمارقين فلو ترك قتالهم مع ما عليه امر الاسلام من الخطر لكان قد خالف امر الرسول وطاعات مخالفة
مثله ع لاوامر الرسول لا يتصور الا عن عدم اعتقاد صحتها وذلك جحد به وكفر الثاني يحتمل ان يكون قد تلفظ بلفظ
المجوز في التهاون بهذا الامر تعظيما له في نفوس السامعين ومن المجازات الشايعة وقوله انه كان للحجة تنبيه على وجه
عذره عما نسبه اليه معوية وجعله سببا للعصيان وهو المطالبة بدم عثمان وتهمته له بذلك واراد بالوالي عثمان وبالاحداث التي
احدثها هو ما نسب اليه من الامور التي انكروها عليه كما سنذكرها واوجد الناس مقالا اي جعل لهم بتلك الاحداث طريقا
الى القول عليه فقالوا ثم انكروا ما فعل فغيروه وازالوه فاما الاحداث المنقولة عنه فالمشهور منها بين اهل السير عشرة الاول
توليته امور المسلمين من ليس اهلا من الفساق مراعاة للقرابة دون حرمة الاسلام كالوليد بن عقبة حتى ظهر منه شرب الخمر وسعيد بن العاص
حتى ظهرت عنه الامور التي اخرجه الكوفة منها بسببها وعبدالله بن ابي سرح مع قوة ظلمه وتظلم المصريين منه وهو الذي تمم المسلمون
بمكاتبته بقتل محمد بن ابي بكر ونقل انهم ظفروا بالكتاب ولاجله عظم التظلم وكثر الجمع واشتد الحصار عليه الثاني رده الحكم بن ابي
العاص الى المدينة بعد طرد رسول الله ص له وبعد امتناع ابي بكر وعمر من رده فخالف في ذلك سنة الرسول ص وسيرة الشيخين وعمل
بدعوى مجردة من البينة الثالث انه كان يؤثر اهله بالاموال العظيمة من بيت المال من غير استحقاق وذلك في صور منها انه دفع
الى اربعة نفر من قريش زوجهم بناته اربعمائة الف دينار ومنها اعطى مروان مائة الف دينار وروى خمس افريقية وذلك مخالف
لسنة الرسول ص ومن بعده من الخلفاء الرابع انه حمى الحمى عن المسلمين بعد تسوية الرسول بينهم في الماء والكلاء الخامس
انه اعطى من بيت مال الصدقة المقاتلة وغيرها وذلك مما لا يجوز في الدين السادس انه ضرب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه
وهو من اكابر الصحابة وعلمائها حتى كسر بعض اضلاعه وذلك ظلم ظاهر السابع انه جمع الناس على قراءة زيد بن ثابت خاصة و
احرق المصاحف وابطل ما لا شك انه من القرآن المنزل وذلك مخالفة لله وللرسول ومن بعده الثامن انه اقدم على عمار بن ياسر
بالضرب مع انه من اشرف الصحابة ومع علمه بما قال الرسول ص عمار جلدة ما بين عيني تقتله الفئة الباغية لا انالها الله شفاعتي
حتى اصابه الفتق ولذلك صار عمار مظاهرا لبعض المتظلمين منه على قتله وروى انه كان يقول قتلناه كافرا التاسع اقدامه على ابي
ذر مع ثناء الرسول ص وصحبته له وقوله فيه ما اقلت الغبراء ولا اظلت الخضراء على ذي لهجة اصدق من ابي ذر حتى نفاه الى الربذة
العاشر تعطيله الحد الواجب على عبيدالله بن عمر بن الخطاب فانه قتل الهرمزان مسلما بتهمة انه امر ابا لؤلؤة بقتل ابيه ثم لم يقد
به وقد كان علي ع يطلبه بذلك فهذه هي المطاعن المشهورة فيه وقد اجاب الناصرون لعثمان عن هذه الاحداث باجوبة مستحسنة
وهي مذكورة في المطولات من مظانها وانما ذكرنا هذه الاحداث واوردناها مختصرة لتعلق المتن بذكرها **ومن كلام**
له عليه السلم لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني الى معوية وكان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل امير المؤمنين ع واعتقهم فلما طالبه بالمال
خاس به وهرب الى الشام قبح الله مصقلة فعل فعل السادة وفر فرار العبيد فما انطق مادحه حتى اسكته ولا صدق واصفه
حتى بكته ولو اقام لاخذنا ميسوره وانتظرنا بماله وفوره **اقول** مصقلة هذا كان عاملا لعلي ع على اردشير خره وبنو
ناجية قبيلة نسبوا انفسهم الى سامة بن لؤي بن غالب فدفعتهم قريش عن هذا النسب وسمتهم بني ناجية وهي امهم امرأة سامة وانما سبب هربه
الى الشام فهو ان الخريت بن راشد احد بني ناجية كان قد شهد مع علي ع صفين ثم استهواه الشيطان فصار من الخوارج بسبب التحكيم وخرج
هو واصحابه الى المداين مفارقا لعلي ع فوجه اليهم معقل بن قيس في الفي فارس من اهل البصرة ولم يزل يتبعهم بالعسكر بعد العسكر حتى لحقوهم
بساحل فارس وكان به جماعة كثيرة من قوم الخريت وكان فيهم من اسلم عن النصرانية فلما رأوا ذلك الاختلاف ارتدوا ولحقوا عليه فزحف
اليهم معقل بمن معه فقتل الخريت وجماعة منهم وسبا من كان ادرك فيهم من الرجال والنساء ونظر فيهم فمن كان مسلما اخذ بيعته
وخلى سبيله واحتمل الباقين من النصارى وعيالهم معه وكانوا خمسمائة نفر حتى مروا بمصقلة فاستغاث اليه الرجال والنساء وبكوا وطلبوا
ان يعتقهم فاقسم ليتصدقن عليهم بذلك في اوقات خصوصية فلما قدم معقل على علي ع واخبره القصة شكر سعيه وانتظر المال من مصقلة
فابطأ به فكتب اليه بالاستعجال او يقدم عليه فلما قرأ كتابه قدم عليه وهو بالكوفة فاقره اياما ثم طالبه بالمال فادى منه مائتي الف درهم
وعجز عن الباقي وخاف فلحق بمعوية فبلغ ذلك عليا فقال القصة ولنرجع الى المتن فقبحه الله اي نحاه عن الخير والتبكيت كالتقريع والملامة

ثم بعث الى معقل بن قيس فابتاعهم بخمسمائة الف درهم [illegible]

والوقور

والوفور مصدر وفر المال اي تم وزاد ويروى موفوره ومقصوده ع بعد ان قدم الدعاء على مصقلة بيان خطائه فانه اشار الى جهة الخطاء
وهي جمعه بين امرين متنافيين في العرف وهما فعل السادة وذي المروءة والحمية حيث اشترى القوم واعتقهم مع الفرار الذي هو شيمة
العبيد ثم اكد ذلك بمثلين احدهما فما انطق مادحه حتى اسكته ويفهم منه معنيان احدهما ان يكون حتى بمعنى اللام اي انه لم
ينطق مادحه حتى يقصد اسكاته بهربه فان اسكات المادح لا يتصور قصده لو قصد الا بعد انطاقه وهو لم يتم فعله الذي يطلب
به انطاق مادحه بمدحه من الكرم والحمية والرقة ونحوها فكانه قصد اسكات مادحه بهربه فازرى عليه بذلك فقال لم يستنطقه
بمدحه فكيف يقصد اسكاته بهربه وان كان الغافل لا يتصور منه قصد اسكات مادحه عن مدحه الا انه لاستتباع الهرب
لاسكات المادح صار كالقاصد له فنسب اليه الثاني ان يكون المراد انه قد جمع بين غايتين متنافيتين انطاقه لمادحه بعتقه للاسرى
مع اسكاته بهربه قبل تمام انطاقه وهو وصف له بسرعة الحاقه لفضيلته برذيلته حتى كانه قصد الجمع بينهما وهذا كما تقول في وصف
سرعة تفرق الاحباب عن اجتماعهم ما اجتمعوا حتى افترقوا اي لسرعة افتراقهم كان الدهر قد جمع لهم بين الاجتماع والافتراق الثاني
قوله ولا صدق واصفه حتى بكته والمفهوم منه كالمفهوم من الذي قبله وقوله ولو اقام الى اخره لما اشار الى خطائه ارد فيه بما يصلح جوابا لما عسى
يكون عذرا له لو اعتذر وهو توهمه التشديد عليه في امر الباقي من المال حتى كان ذلك الوهم سبب هربه وفي بعض الروايات ولو
ولو اقام لاخذنا منه ما قدر عليه فان اعسر انظرناه فان عجز لم نأخذه بشيء والاول هو المشهور وبالله التوفيق **ومن خطبة له**
عليه السلم الحمد لله غير مقنوط من رحمته ولا مخلو من نعمته ولا مأيوس من مغفرته ولا مستنكف عن عبادته الذي
لا تبرح منه رحمة ولا تفقد له نعمة والدنيا دار مني لها الفناء ولاهلها منها الجلاء وهي حلوة خضرة وقد عجلت للطالب
والتبست بقلب الناظر فارتحلوا عنها باحسن ما بحضرتكم من الزاد ولا تسألوا فيها فوق الكفاف ولا تطلبوا منها اكثر من البلاغ
اقول هذا الفصل ملتقط من خطبة طويلة له ع خطب بها يوم الفطر وهو غير متسق بل بين قوله نعمة وقوله والدنيا فصل طويل
وهذه الخطبة تنتظم الفصل المتقدم وهو قوله اما بعد فان الدنيا قد ادبرت وهو بعد هذا الفصل ولم نذكرها كراهة التطويل
ولنعد الى الشرح فنقول القنوط الياس والاستنكاف الاستكبار ومني لها اي قدر والجلاء بالفتح والمد الخروج عن الوطن والتبست
امتزجت والكفاف ما كف عن الناس اي اغنى عنهم من المال والبلاغ ما بلغ مدة الحيوة منه وكفى واعلم انه نبه على استحقاق الله تعالى للحمد
ودوامه باعتبار ملاحظة ستة احوال فاشار الى الحالة الاولى بقوله غير مقنوط من رحمته مقررا لقوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء ولقوله
لا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وهذه الحال مما يشهد باثباتها العقل اذ كان العبد عند اخذ العناية
الالهية بضبعه يعلم استناد جميع الموجودات كلها وجريانها الى مدبر حكيم وانه ليس شيء منها خاليا عن حكمة فيستلزم من ذلك ان ايجاده
له واخذ العهد عليه بالعبادة ليس الا لينجذب الى موطنه الاصلي ومبدئه الاول [illegible] بيد المحقق والحمد المطلق عن نار الجحيم و
جحيم سعيره وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فلا ييأس من روح الله عند نزول امر واجب لنزوله مما يعده ثم لا يكون برحانه
او ثوق وقلبه يتوله العناية له على فانه لا ييأس من روح الله الا الذين عميت بصائرهم عن اسراره ثم هم في طغيانهم يعمهون واولئك
هم الخاسرون واشار الى الحالة الثانية بقوله ولا مخلو من نعمته تقريرا لقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله فيستوعب نعمته دائم الاثار فذلك ان التي يستلزم
طبايعها الحاجة اليه توجب لها فيض جوده فاستلزم ذلك وجوب تصريحها بلسان حالها ومقالها بالثناء المطلق عليه ودوام الشكر
له وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم واشار الى الحالة الثالثة بقوله ولا مأيوس من مغفرته تقريرا لقوله
لقوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية وهي شهادة ثم سول ستره وجميل عفوه وغفره لمن جذبت بعقله
ايدي شياطينه ليحطه الى مهاوي الهلاك فعجز عن مقاومتها بعد ان كانت له مسكة بجناب الله فضعفت تلك المسكة عن ان
تكون مجاذبة له حال انجذابه لهواه وان كان ذلك سبب الغفران فانه بحسب قوة تلك المسكة وضعفها والعقل مما يؤيد ذلك بحكم بصحة
هذه الشهادة فان كل ذي علاقة بجناب الله يتخلص من العقاب وان بعد خلاصه على ما نطق به البرهان في موضعه وذلك يستلزم
الاعتراف بالاحسان ودوام الثناء والحمد ثم اشار الى الرابعة بقوله ولا مستنكف عن عبادته تقريرا لقوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته ولا
يستحسرون وقوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون الآية وكونه غير مستنكف عن عبادته شاهد عظيم على كمال
عظمته وانه المستحق للعبادة دون ما عداه اذ هو المجمع للكمال المطلق فلا يوجد نقصان ينسب اليها فيكون سببا للاستنكاف والاستكبار
وغيرهم بحال السلوب الثلاثة بعدها مستويات على الحال وقوله الذي لا تبرح له رحمة ولا تفقد له نعمة اعتباران اخران يستلزمان في ملاحظتهما
وجوب شكره نعم وبينه بقوله لا تبرح على دوام رحمة الله لعباده وقوله لا تفقد له نعمة كقوله ولا مخلو من نعمته ثم اعقب ذلك بالتنبيه على معايب
الدنيا للتنفير عنها فذكر وجوب الفناء لها ثم حذر بذكر العيب لاكثرها الذي يرغب مع ذكره وملاحظة من له ادنى بصيرة عن الركون
اليها ومحبته فيها منها وهو مفارقتها الواجبة والجلاء عنها ثم اردف ذلك بذكر جهتين من جهات الميل اليها احدهما منسوبة الى القوة

الذائقة وهي حالة وبهما الاخرى الى القوة الباصرة وهي خضرتها واطلاق لفظهما مجاز كنى به عن جهات الميل اليهما من باب اطلاق لفظ الجزء
على الكل والمراد لهذين الوصفين اللذين هما وصفا مدح في معرض ذمها كفيه اعتراض على ذمها الغرض ان يجيب خضرة ولهذا اعقبت كونها
بما يصلح جوابا ويبينه على ما يصرف عن الميل اليهما من هاتين الجهتين وهو كونها معجلة للطالب اذ كان من شان المعجل ان ينتفع به حال تعجيله
دون ما بعده خصوصا في حق من احب تلك المعجل ولم يلتفت الى ما سواه والدنيا كذلك كما اشار اليه بقوله والتبست بقلب الناظر وانما خص الناظر
لتقدم ذكر الخضرة التي هي من حظ النظر فمن عجلت له تحيّر والتبست بقلبه وكان لا يؤثر مفارقتها لم ينتفع بما بعدها بل بقي في عذاب الفراق
منكوسا وفي ظلمة الوحشة محبوسا واليه اشار التنزيل الالهي من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصليها
مذموما مدحورا ثم انه عقبه على معايبها امرنا بالارتحال عنها ولم يامرهم بمطلق الارتحال بل امرهم بالارتحال باحسن الازواد اذ كانت الطريق الماموره بسلوكها
في غاية البعد مع طولها وقصر المدة التي يحصل الزاد فيها فلا ينفع الا الزاد الاقوى الابقى الذي لا يتطرق اليه فناء ولا يفنيهن اعد الله التي
لا فاضل رحمته من هذا الارتحال الحسي الحاصل لك من بعضها الى بعض ولا من الزاد الماكول المحبو فان احسن ما يحضرنا منه
ربما كان منهيا عنه بل المامور به ارتحال اخروي بنيته من تصور سلوك طريق الاخرة فانك لما علمت ان الغاية من التكاليف التي هي
الوصول الى حضرة الله ومشاهدة جلال كبريائه علمت من ذلك ان الطريق الى هذا المطلب هي اثار جوده وشواهد الايته وان القاطع لمراحل
تلك الطريق ومنازلها هو قدم عقلك مقتديا باعلامها الواضحة كلما نزل منها منزلا اعدته المعرفة به لاستقبال احد اعلام منزل اخر
اعلى واكرم منه كما قال لتركبن طبقا عن طبق الى ان يستقر في مقعد صدق عند مليك مقتدر واذا تصورت معنى الارتحال وقد
علمت ان لكل ارتحال وسفر زادا علمت ان اكرم الزاد واحسنه في هذا الطريق ليس الا التقوى والاعمال الصالحة التي هي غذاء للعقول
ومادة حيوتها واليه الاشارة بقوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واشار بقوله ما بحضرتكم الى ما يمكنكم ان تاتوا به من الاعمال الصالحة
في حيوتكم الدنيا ثم عقب الامر بالتزود بالنهي عن طلب الزيادة على ما يقوم به صورة البدن من متاع الدنيا اذ كان لا يتم زاد
نقطع به النفس مراحل طريقها فالزيادة على المحتاج اليه مما يحوج الراكب الى الاهتمام به والعناية بحفظه المستلزم لحيثيته وكل ذلك مثقل
للظهر ومشغل عن الجهة المقصودة وذلك معنى قوله ولا تسئلوا منها فوق الكفاف ولا تطلبوا منها اكثر من البلاغ ولا تمدن اعينكم
فيها الى ما متع المترفون فتقصروا في الرحيل وتشتغلوا بطلب مثل ما شاهدتم وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام**
عند عزمه على المسير الى الشام اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال اللهم انت الصاحب — والنفس والولد
في السفر وانت الخليفة في الاهل لا يجمعهما غيرك لان المستخلف لا يكون مستصحبا والمستصحب لا يكون مستخلفا قال السيد الرضي
رضي الله عنه وابتداء هذا الكلام مروي عن رسول الله ص وقد قفاه امير المؤمنين ع بابلغ كلام وتممه باحسن تمام من قوله ولا يجمعهما غيرك
الى اخر الفصل **اقول** روي انه ع دعا بهذا الدعاء عند وضعه رجله في الركاب متوجها الى حرب معوية ووعثاء السفر مشقته واصله
المكان المتعب لكثرة رمله وغوص الارجل فيه والكآبة الحزن ويشتمل هذا الفصل على الالتجاء الى الله في خلاص طريقه المتوجه فيها من ا
وعوده من الموانع الصارفة عن تمام المقصد وفي سلامة الاحوال المهمة التي يلتفت النفس بها عن المشغلات البدنية المعوقة عن عبادة الله
واعظمها احوال النفس ثم ما يصيبها من اهل ومال وولد ثم عقب ذلك بالاقرار بشمول عنايته وجميل رعايته وصحبته نفسه بالقول تعالى هو
معكم اينما كنتم اذ شان الصاحب العناية بامور صاحبه وشان الخليفة على الشيء العناية بذلك وحفظه مما يوجب له ضررا واستلزم جمعه
له بين هذين الحكمين وهما الخلافة والاستصحاب بقوله ولا يجمعهما غيرك كونه بريا عن الجهة والجسمية اذ كان اجتماعهما ممتنعا للاجسام
اذ لا يكون جسم مستصحبا مستخلفا في حال واحد واكد ذلك وبينه بقوله لان المستخلف لا يكون مستصحبا والمستصحب لا يكون مستخلفا
فان قلت هذا الحصر انما يتم لو قلنا ان كل ما ليس بذي جهة هو واجب الوجود وهذا مذهب خاص فما وجه صحته مطلقا قلت الحصر صادق
على كل تقدير فانه على تقدير ثبوت امور مجردة عن الجسمية والجهة سوى الحق سبحانه فالمستحق للجمع بين هذين الامرين بالذات والاولى هو الله
تعالى وما سواه فبالعرض فيحمل الحصر على ذلك الاستحقاق ولنبحث عن فائدة الدعاء وسبب اجابته فانه قد عرض لبعض الاذهان شبهة فقول
اما ان يكون المطلوب بالدعاء معلوم الوقوع لله او معلوم اللاوقوع وعلى التقديرين لا فائدة في الدعاء لان ما علم الله وقوعه وجب وما علم
عدمه امتنع فنقول في الجواب عن هذا الوهم ان كل كائن فاسد موقوف في كونه وفساده على شرائط توجد واسباب تعد لاحدهما لا يمكن
بدونها كما علمت ذلك في مظانه واذا جاز ذلك فلعل الدعاء من شرائط ما يطلب به وهما وان كانا معلومي الوقوع لله وهو سببهما و
علتهما الاولى الا انه هو الذي ربط احدهما بالاخر فجعل سبب وجود ذلك الشيء الدعاء كما جعل سبب صحة المريض شرب الدواء وما لم يشرب
الدواء لم يصح واما سبب اجابته فقال العلماء هو توافي الاسباب وهو ان يتوافى سبب دعاء رجل مثلا فيما يدعو فيه وسائر اسباب وجود ذلك
الشيء معا عن الباري تعالى لحكمة الهية على ما قدر وقضي ثم الدعاء واجب وتوقع الاجابة واجب فان انبعاثنا للدعاء سببه من هناك و
يصير دعاؤنا سببا للاجابة وموافاة الدعاء لحدوث الامر المدعو لاجله هما معلولا علة واحدة وقد يكون احدهما بواسطة الاخر وقد يتوهم

ان السماويات

في بيان خطبة خطبها عند المسير الى الشام

١٠١ ج

ان السماويات تنفعل عن الارضيات وذلك انا ندعو فيستجاب لنا مع ان الباطل ان المعلول لا ينفعل في علته النية واذا لم يستجب الدعاء لداع وان
كان يرى ان الغاية التي يدعو لاجلها نافعة فالسبب في عدم الاجابة ان الغاية التي لنا نافعة ربما لا تكون نافعة بحسب مراده بل بحسب نظام الكل فلذلك
تتاخر اجابة دعائه او لا يستجاب له وبالجملة يكون عدم الاجابة لفوات شرط من شروط ذلك المطلوب حال الدعاء واعلم ان النفس الزكية
عند الدعاء قد يفيض عليها من الاول قوة تصير بها مؤثرة في العناصر فتطاوعها منصرفة على ارادتها فيكون ذلك اجابة للدعاء
فان العناصر موضوعة لفعل النفس فيها واعتبار ذلك في ابداننا فانا ربما تخيلنا شيئا فتتغير ابداننا بحسب ما يقتضيه احوال نفوسنا
وتخيلاتها وقد يمكن ان تؤثر النفس في غير بدنها كما تؤثر في بدنها وقد تؤثر في نفوس غيرها وقد اشرنا الى ذلك في المقدمات
وقد يستجيب الله لتلك النفس اذا دعت فيما تدعو فيه اذا كانت الغاية التي تطلبها بالدعاء نافعة بحسب نظام الكل وبالله التوفيق ومن
في ذكر الكوفة — **كلام له عليه السلام** كاني بك يا كوفة تمدين مد الاديم العكاظي تعركين بالنوازل وتركبين بالزلازل واني لا
اعلم انه ما اراد بك جبار سوءا الا ابتلاه الله بشاغل ورماه بقاتل **اقول** عكاظ بالضم اسم موضع بناحية مكة كانت
العرب تجتمع به في كل سنة ويقيمون به سوقا مدة شهر فيتبايعون ويتناشدون الاشعار ويتفاخرون وفي ذلك يقول ابو
ذويب اذا بنى القباب على عكاظ وقام البيع واجتمع الالوف فلما جاء الاسلام رفع ذلك والاديم العكاظي منسوب اليها لكثرة
ما كان يباع منه بها والاديم واحد وجمعه ادم وربما جمع على ادمة كرغيف وارغفة والعرك الدلك والنوازل المصائب الخطب
وههنا الشاهد حال المدينة التي هي الكوفة وباب هو خبر كان وتمدين وتعركين وتركبين في موضع النصب على الحال وتقدير
الخطاب كاني [illegible] بك وشاهد لحالك المستقبلة حال انجذاب ايدي الظالمين لاهلك بانواع الظلم وهو المكنى عنه بمدها
وشبه ذلك بمد الاديم ووجه الشبه شدة ما يقع بهم من الظلم والبلاء كما ان الاديم مستحكم الدباغ يكون شديد المد والعرك
ملاحظة لتشبيهها بجنس المطايا وكنى بلفظ الزلازل ملاحظة لتشبيهها فيما يقع لهم من الشدائد الموجبة لاضطراب الحال بالارض ذات
الزلازل ثم اشار الى مشاهدة ثابتة لما يقع لمن اراد بهم سوءا واوقع بهم ما اوقع من البلاء فاشار الى كونهم جبابرة ثم الى ابتلاء الله
منهم بشاغل في نفسه عما يريد بهم من سوء او يهم به من حادث خراب ورميه بقاتل فاما المصائب التي ابتلي بها اهل الكوفة
والنوازل التي عركوا بها فكثيرة مشهورة في كتب التواريخ واما الجبابرة التي ارادوا بها سوءا واوطئوا واوقعوا بها فاكثر واما الفتنة
فصب عليهم زياد سوط عذاب واخذهم بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فمما [illegible] شاغل فيها زياد روي انه كان قد
جمع الناس في المسجد ليامرهم بسب علي ع والبراءة منه ويبتليهم بذلك فيقتل من يعصيه فبينما هم مجتمعون اذ خرج حاجبه فامرهم
بالانصراف وقال ان الامير مشغول عنكم وكان في تلك الساعة قد رمي بالفالج ومنهم ابنه عبيد الله وقد اصابه الجذام ومنهم الحجاج — اصاب
وقد تولدت في بطنه الحيات ولحقه دبره حتى هلك ومنهم عمر بن هبيرة وابنه يوسف وقد اصابهما البرص ومنهم خالد القسري
وقد ضرب وحبس حتى مات جوعا واما الذين رماهم الله بقاتل فعبيد الله بن زياد ومصعب بن الزبير والمختار بن ابي عبيد الثقفي
ويزيد بن المهلب واحوالهم مشهورة من رامها طالع التواريخ **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله كلما وقب ليل وغسق — عند المسير الى الشام
والحمد لله كلما لاح نجم وخفق والحمد لله غير مفقود الانعام ولا مكافأ الافضال اما بعد فقد بعثت مقدمتي وامرتهم
بلزوم هذا الملطاط حتى ياتيهم امري وقد رايت ان اقطع هذه النطفة الى شرذمة منكم موطنين اكناف دجلة فانهضهم
معكم الى عدوكم واجعلهم من امداد القوة لكم قال السيد رضي الله عنه يعني بالملطاط ههنا السمت الذي امرهم بلزومه وهو
شاطئ الفرات ويقال ذلك لشاطئ البحر واصله ما استوى من الارض ويعني بالنطفة ماء الفرات وهو من غريب العبارات
وعجيبها **اقول** روي ان هذه الخطبة خطب بها وهو بالنخيلة خارجا من الكوفة متوجها الى صفين لخمس بقين من شوال
سنة [illegible] وثلثين وقب الليل دخل وغسق اظلم وخفق النجم غاب ومقدمة الجيش اوله والامر هم النفر اليسير والاكناف النواحي
والحمد [illegible] استوطنها اتخذوها وطنا والامداد جمع مدد وهو ما يمد به الجيش من الجند واعلم انه قيد حمد الله باعتبار تكرر وقتين
ودوام [illegible] الصفة وان كان دوام الحمد لله الا ان في التقييد بالقيود المذكورة فوائد **الاولى** قوله كلما وقب ليل وغسق تنبيه
على كمال قدرة الله تعالى في تعاقب الليل والنهار واستحقاقه دوام الحمد بما يلزم ذلك من ضروب الامتنان **الثاني** قوله
كلما لاح نجم وخفق وفيه تنبيه على ما يلزم طلوع الكواكب وغروبها من الحكمة وكمال النعمة كما سبقت الاشارة اليه **الثالث** الحمد
له حال كونه غير مفقود الانعام وقد تكررت الاشارة الى فائدة هذا القيد **الرابع** كونه غير [illegible] تنبيه على كمال قدرة الله
في تعاقب الليل والنهار واستحقاقه دوام الحمد بما يلزم ذلك من ضروب الامتنان قوله تعالى كلما لاح نجم وخفق وفيه
تنبيه على ما يلزم طلوع الكواكب وغروبها من الحكمة وكمال النعمة كما سبقت الاشارة اليه الحمد له حال كونه غير مفقود
الانعام وقد تكررت الاشارة الى فائدة هذا القيد كونه غير مكافأ الافضال

الافضال وفايدته التنبيه على ان افضاله لا يمكن ان يقابل بجزاء اذ كانت القدرة على الحمد والثناء نعمة ثانية وقد سبق بيان ذلك ايضا
فاما قوله اما بعد الى اخره فحاصله انه لما اراد التوجه الى صفين بعث زياد بن النضر وشريح بن هاني في اثني عشر الف فارس
مقدمة له وامرهم ان يلزموا شاطئ الفرات فاخذوا شاطئها من قبل البر مما يلي الكوفة حتى بلغوا عانات فبلغه مخالفتهم
بلزوم الملطاط وهو سمت شاطئ الفرات واما هو فلما خرج من الكوفة انتهى الى المداين فحذرهم ووعظهم ثم سار عنهم وخلف عليهم
عدي بن حاتم فاشخص منهم ثمان مائة رجل فساروا بهم وخلف معهم ابنه زيد فلحقه في اربعمائة رجل منهم فذلك قوله وقد رايت
ان اقطع هذه النطفة اي الفرات الى شرذمة منكم موطنين اكناف دجلة وهم اهل المداين فاما المقدمة فانه لما بلغهم انه سار على
طريق الجزيرة وان معوية خرج في جموعه لاستقباله كرهوا ان يلقوهم وبينهم وبين علي الفرات مع قلة عددهم فرجعوا حتى عبروا
الفرات من هيت ولحقوا به فصوب رايهم في الرجوع اليه وباقي الكلام ظاهر **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله الذي بطن خفيات
الامور ودلت عليه اعلام الظهور وامتنع على عين البصير فلا عين من لم يره تنكره ولا قلب من اثبته يبصره سبق في العلو فلا شيء
اعلى منه وقرب في الدنو فلا شيء اقرب منه فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه ولا قربه ساواهم في المكان به لم يطلع العقول
على تحديد صفته ولم يحجبها عن واجب معرفته فهو الذي تشهد له اعلام الوجود على اقرار قلب ذي الجحود تعالى الله
عما يقول المشبهون والجاحدون له علوا كبيرا **اقول** يقال بطنت الوادي دخلته وبطنت الامر علمت باطنه وفي هذا الفصل
مباحث جليلة من العلم الالهي وجملة من صفات الربوبية **اولها** كونه تعالى بطن خفيات الامور وفيه منه معنيان احدهما
كونه داخلا في جملة الامور الخفية ولما كان بواطن الامور الخفية اخفى من ظواهرها كان المفهوم من كونه باطنها انه اخفى منها عند
العقول الثاني ان يكون المعنى انه نفذ علمه في بواطن خفيات الامور اما المعنى الاول فبرهانه انك علمت ان الادراك اما حسي او عقلي
ولما كان الباري تعالى مقدسا عن الجسمية منزها عن الوضع والجهة استحال ان يدركه شيء من الحواس الظاهرة والباطنة ولما كانت
ذاته بريئة عن انحاء التركيب استحال ان يكون للعقل اطلاع عليها بالكنه فخفاؤه اذن على جميع الادراكات ظاهر وكونه اخفى الامور الخفية
واضح واما الثاني فقد سبق منا بيان انه عالم بالخفيات والسراير **وثانيها** كونه تعالى قد دلت عليه اعلام الظهور وكنى باعلام الظهور
عن اياته واثاره في العالم الدالة على وجوده الظاهرة في كل صورة منها كما قال وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد وهي كتابه المبين
ووجه المشابهة ما بينهما من الاشتراك في الهداية والى هذه الاعلام الاشارة بقوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى
يتبين لهم انه الحق واعلم ان هذا الطريق من الاستدلال هي طريقة الملبين وسائر فرق المتكلمين فانهم يستدلون اولا على حدوث
الاجسام والاعراض ثم يستدلون بحدوثها وتغيراتها على وجود الخالق ثم بالنظر في احوال المخلوقات على صفاته واحدة واحدة مثلا
باحكامها واتقانها على كون فاعلها عالما حكيما وبتخصيص بعضها بامر ليس للاخر على كونه مريدا ونحو ذلك وكذلك الحكماء الطبيعيون
يستدلون ايضا بوجود الحركة على محرك وبامتناع اتصال المتحركات لا الى اول على وجود محرك اول غير متحرك ثم يستدلون من ذلك
على وجود مبدء اول واما الالهيون فلهم في الاستدلال طريق اخر وهي انهم ينظرون اولا في مطلق الوجود وانه واجب او ممكن و
يستدلون من ذلك على اثبات واجب ثم بالنظر في لوازم الوجوب من الوحدة الحقيقية على نفي الكثرة بوجه ما المستلزمة لعدم
الجسمية والعرضية والجهة وغيرها ثم يستدلون بصفاته على كيفية صدور افعاله عنه واحدا بعد اخر وظاهر ان هذه الطريق
اجل واشرف من الطريق الاولى وذلك لان الاستدلال بالعلة على المعلول اولى البراهين باعطاء اليقين لكون العلم بالعلة المعينة
مستلزما للعلم بالمعلول المعين من غير عكس ولما كان صدر الاية المذكورة اشارة الى الطريقة الاولى فتمامها اشارة الى هذه الطريقة و
هو قوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد قال بعض العلماء وانه طريق الصديقين الذين يستشهدون به لا عليه اي يستدلون
بوجوده على وجود كل شيء اذ هو منه ولا يستدلون عليه بوجود شيء بل هو اظهر وجودا من كل شيء فان خفي مع ظهوره فلشدة ظهوره
وظهوره سبب بطونه ونوره هو حجاب نوره اذ كل ذرة من ذرات مبدعاته ومكوناته فلها عدة السنة تشهد بوجوده وبالحاجة الى
تدبيره وقدرته لا يخالف شيء من الموجودات شيئا في تلك الشهادات ولا يختص بعدم الحاجات وقد ضرب العلماء الشمس
مثلا لنوره في شدة ظهوره فقالوا ان اظهر الادراكات التي يبنا عليها الوهم ادراكات الحواس واظهرها ادراك البصر و
اظهر مدركات البصر نور الشمس المشرق على الاجسام وقد اشكل ذلك على جماعة حتى قالوا الاشياء الملونة ليس فيها الا الوانها
فقط من سواد ونحوه فاما ان فيها مع ذلك ضوءا يقارن اللون فلا فاذا اريد تنبيه هؤلاء على سهوهم فطريقه التنبيه بالتفرقة التي يجدونها
بين غيبة الشمس بالليل واحتجابها عن الملونات وبين حضورها بالنهار واشراقها عليها مع بقاء الالوان في الحالين فان التفرقة بين
المستضيء بها وبين المظلم المحجوب عنها جلية ظاهرة فيعرف وجود النور اذن بعدمه ولو فرضت الشمس دائمة الاشراق على الجسم
الملون لا تغيب عنه لتعذر على هؤلاء معرفة كون النور شيئا موجودا زائدا على الالوان مع انه اظهر الاشياء وبه ظهورها ولو تصور

101

على الجسم الملون لا تغيب عنه لتعذر على هؤلاء معرفة كون النور شيئا موجودا زائدا على الالوان مع انه اظهر الاشياء وبه ظهورها ولو تصور
لله تعالى وتقدس عدم او غيبة لانهدت السموات والارض وكل ما انقطع نوره عنه ولادركت التفرقة بين الحالين وعلم وجوده
قطعا ولكن لما كانت الاشياء كلها في الشهادة متفقة والاحوال كلها على نسق واحد مطردة مستمرة كان ذلك سببا لخفائه فسبحان
من احتجب عن الخلق بنوره وخفي عليهم بشدة ظهوره **وثالثها** اشارة الى سلوب توجب ملاحظة تركيبها تعظيمه تعالى **احدها** كونه ممتنعا
على عين البصير اي لا يصح ان يدرك بحاسة البصر وصدق هذا السلب ظاهر بدليل هكذا الباري تعالى ليس بجسم وغيره ذي وضع وكل
ما كان كذلك فيمتنع رؤيته بحاسة البصر فينتج انه تعالى يمتنع الرؤية بحاسة البصر والمقدمة الاولى مستدل عليها والثانية ضرورية وقد اسند
عليها والمسئلة مستقصاة في الكلام والى ذلك اشار القرآن الكريم لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار **وثانيها** قوله فلا عين
من لم يره تنكره اي انه سبحانه مع كون البصير لا يدركه بحاسة بصره لا ينكره من جهة انه لا يبصره اذ كانت فطرته شاهدة بظهوره ووجوده
في جميع اثاره ومع ذلك ليس له سبيل الى انكاره من جهة عدم ابصاره اذ كان حظ العين ان يدرك بها ما صح ادراكه فاما ان ينفي بها
ما لا يدرك من جهتها فلا **وثالثها** قوله ولا قلب من اثبته يبصره اي من اثبته مع كونه مثبتا له بقلبه لا يبصره وانما اكد
بهذين السلبين الاخيرين لانهما يشتملان عند الوهم في مبدء سماعهما على منافاة وكذب اذ من يقهره العقل على التصديق
بهما فكان الوهم يقول في جواب قوله فلا عين من لم يره تنكره كيف لا تنكر العين شيئا لا تراه وفي جواب السلب الثاني كيف يثبت القلب ما لم
يبصر فلما كان في صدق هذين السلبين ادغاغ لاوهام السامعين مفزع لهم الى ملاحظة جلال الله وتنزيهه وعظمته عما لا يجوز
عليه كان ذكرهما من احسن الذكر ويحتمل ان يريد بقوله ولا قلب من اثبته يبصره اي انه وان اثبته من جهة وجوده فيستحيل ان يحيط
به علما **ورابعها** كونه تعالى قد سبق في العلو فلا شيء اعلى منه ونقرر ان العلو يقال بالاشتراك على معان ثلثة **الاول** العلو
الحسي المكاني كارتفاع بعض الاجسام على بعض **الثاني** العلو التخيلي كما يقال للملك الانساني انه اعلى الناس اي اعلاهم في الرتبة
المتخيلة كمالا **الثالث** العلو العقلي كما يقال في بعض الكمالات العقلية التي بعضها اعلى من بعض وكما يقال السبب اعلى من المسبب
اذا عرفت ذلك فنقول يستحيل ان يكون علوه تعالى بالمعنى الاول لاستحالة كونه في المكان ويستحيل ان يكون بالمعنى الثاني لتنزهه
سبحانه عن الكمالات الخيالية التي يصدق بها العلو الخيالي اذ هي كمالات اضافية تتغير وتتبدل بحسب الاشخاص والاوقات وقد يكون
كمالا عند بعض الناس ونقصانات عند اخر كلذة ولذة الدنيا بالنسبة الى العالم الزاهد ويتطرق اليه الزيادة والنقصان ولا شيء
من كمال الاول الواجب سبحانه كذلك لتنزهه عن النقصان والتغير بوجه ما فبقي ان يكون علوه علوا عقليا مطلقا بمعنى انه لا رتبة فوق رتبته
بل جميع المراتب العقلية منحطة عنه ولما كانت مراتب الكمال العقلي هو مرتبة العلية وكانت ذاته المقدسة هي مبدء كل موجود
حسي وعقلي وعلته التامة المطلقة لا يتصور النقصان فيها بوجه ما لا جرم كانت مرتبته اعلى المراتب العقلية مطلقا وله الفوق المطلق
في الوجود الباري عن الاضافة الى شيء وعن امكان ان يكون فوقه ما هو اعلى منه وذلك معنى قوله سبق في العلو فلا شيء اعلى منه
فسبقه في علوه تقدمه في العلو المطلق وفوائه لغيره ان يلحقه فيه **وخامسها** قربه في الدنو فلا شيء ادنى منه وقد اورد
القرب ههنا مقابلا للبعد اللازم عن السبق في العلو فانه مستلزم للبعد عن الغير فيه واورد الدنو مقابلا للعلو وكما علمت ان العلو
يقال على المعاني الثلثة المذكورة بحسب الاشتراك فكذلك الدنو يقال على معان ثلثة مقابلة لها فيقال مكان فلان ادنى من مكان
فلان اذا كان اسفل منه وان كان يقال بمعنى القرب ايضا ويقال رتبة الملك الفلاني ادنى من رتبة السلطان الفلاني اذا كان
في مرتبة اقل منه ويقال رتبة المعلول ادنى من رتبة علته ويقال على معنى رابع فيقال فلان ادنى الى فلان واقرب اليه اذا كان مخصوصا
به مطلعا على احواله اكثر من غيره والباري تعالى منزه عن ان يراد بدنوه احد المفهومات الثلثة الاولى بل المراد هو المفهوم الرابع فقربه
ودنوه اذن بحسب علمه الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر وبهذا الاعتبار هو اقرب كل
قريب وادنى كل دان كما قال تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وهو ادنى الى العبد من نفسه اذ نفس كل انسان لا تعرف نفسها
وهو سبحانه العالم بها الموجد لها فهو اذن الاقرب في دنوه الذي لا شيء اقرب منه وانما اورده بلفظ الدنو لتحصل المقابلة فتبرى
النفوس السليمة عند انكار الوهم لاجتماع القرب والبعد والعلو والدنو في شيء واحد الى توهم المقاصد بها وتطلع على عظمة الحق سبحانه
منها وقوله فلا استعلاؤه باعده من شيء من خلقه ولا قربه ساواهم في المكان به تاكيد لرد الاحكام الوهمية بالاحكام العقلية فان الوهم
يحكم بان ما استعلى على الاشياء كان بعده عنها بقدر علوه عليها وما قرب منها فقد ساواها في امكنتها وذلك لكونه مقصور الحكم على المحسوسات
ونحن لما بينا ان علوه على خلقه وقربه منهم ليس علوا وقربا مكانيين بل بمعان اخرى لا جرم لم يكن استعلاؤه مع ذلك بمعنى على مخلوقاته
مباعدا له عن شيء منها ولم يكن مساويا لقربه بالمعنى الذي ذكرناه بل كان الاستعلاء والقرب مجتمعين له ولم يكن قربه منها ايضا موجبا
لمساواته لها في المكان عنادا للوهم وهذه الاحكام الفاسدة في صفات الجلال ونعوت الكمال **وسادسها** كونه لم تطلع العقول على

تحديد صفته ولم يحجبها عن واجب معرفته وبينهم من صفته معنيان احدهما شرح حقيقة ذاته والثاني شرح ما لها من صفات الكمال اللطائف وظاهر ان العقول لم تطلع على حصر صفته وتحديدها بالمعنى الاول اذ لا حقيقة ولا بالمعنى الثاني ايضا اذ ليس لما بعين العقول من كماله سبحانه نهاية تقف عنده فتكون محددة له واما انه سبحانه مع ذلك لم يحجبها عن واجب معرفته فلانه تعالى وهب لكل نفس قسطا من معرفته هو الواجب لها بحسب استعدادها لقبوله حتى نفوس الجاحدين له فانها ايضا معترفة بوجوده لشهادة ذوات الوجود وآيات الصنع على نفس كل جاحد بصدوره عنه بحيث يحكم صريح عقلها وبديهتها بالحاجة لما تشاهد من تلك الآيات الى صانع حكيم فهو الذي تشهد له اعلام الوجود على اقرار قلب كل من يجحده بان يجحده لسانه اما هو اي اشبع فيه وهم مع اقرار قلبه بالتصديق به وشهادة آيات الصنع وشواهد الآثار على صحة ذلك الاقرار واعلم ان الجحود على نوعين احدهما جحود تشبيه اذ المشبهون لله بخلقه وان اختلفوا في كيفية التشبيه باسرهم جاحدون له في الحقيقة وذلك ان المعنى الذي يتصورونه ويثبتونه الها هو ليس هو نفس الاله مع انهم ينفون ما سوى ذلك فكانوا نافين للاله الحق في المعنى الذي يتصورونه والثاني جحود من لم يثبت صانعا وكلا الفريقين جاحد له من وجه اما المشبهون فيثبتون له صريحا جاحدون له لزوما واما الآخرون فبالعكس اذ كانوا جاحدين له صريحا من الجهة التي تثبته العقلاء بها ومقرون به التزاما واضطرارا لذلك نزهه عن احوال الفريقين فقال تعالى الله عما يقول المشبهون به والجاحدون له علوا كبيرا وحكي ان زنديقا دخل على الصادق جعفر بن محمد عليهما السلم فسأله عن دليل اثبات الصانع فاعرض عنه ثم التفت اليه وسأله من اين اقبلت وما قصتك فقال الزنديق اني كنت مسافرا في البحر فعصفت علينا الريح ذات يوم وتلعبت بنا الامواج من كل جانب فانكسرت سفينتنا فتعلقت بخشبة منها ولم تزل الامواج تقلبها حتى قذفت بها الى الساحل وسلمت عليها فقال له ع ارأيت الذي كان قلبك اذا انكسرت السفينة وتلاطمت عليكم امواج البحر فزعا اليه مخلصا في التضرع له طالبا للنجاة منه فهو الهك فاعترف الزنديق بذلك وحسن اعتقاده وبالجملة فاتفاق العقول على الشهادة بوجود الصانع سبحانه امر ظاهر وان خالطها غواشي الاوهام واليه الاشارة بقوله تعالى اذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا وقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلم انما بدء وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله ويتولى عليها رجال رجالا على غير دين الله فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين ولو ان الحق خلص من لبس الباطل انقطعت عنه السن المعاندين ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فهنالك يستولي الشيطان على اوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى **اقول** المرتاد الطالب والضغث القبضة من الشيء واعلم ان مبدء وقوع الفتن المؤدية الى خراب العالم وفساده انما هو اتباع الهوى والآراء الباطلة والاحكام المبتدعة الخارجة عن اوامر الله وتلك المفسدة من بعثة الرسل ووضع الشريعة انما هو نظام احوال الخلق في امر معاشهم ومعادهم فكان كل رأي ابتدع او هوى اتبع خارجا عن كتاب الله وسنة رسوله سببا لوقوع الفتنة وتبدد نظام الوجود في هذا العالم وذلك كاهواء البغاة وآراء الخوارج ونحوها وقوله فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق الى آخره اشارة الى سبب تلك الآراء الفاسدة ومدار تلك الاسباب على امتزاج المقدمات الحقة بالباطلة في الحجج التي يستعملها المبطلون في استعلام المجهول فبين ان السبب هو ذلك الامتزاج لشرطيتين متصلتين احديهما قوله فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين ووجه الملازمة في هذه المتصلة ظاهر فان مقدمات الشبهة اذا كانت كلها باطلة ادرك طالب الحق وجه فسادها بادنى سعي ولم يخف عليه بطلانها واما استثناء نقيض تاليها فلانه لما خفي وجه البطلان فيها على طالب الحق لم يكن الباطل فيها خالصا من مزاج الحق فكان ذلك هو سبب الغلط واتباع الباطل لان النتيجة تتبع اخس المقدمتين والثانية قوله ولو ان الحق خلص من لبس الباطل انقطعت عنه السن المعاندين ووجه الملازمة ايضا ظاهر لان مقدمات الحجة التي استعملها المبطلون لو كانت كلها حقة مرتبة ترتيبا حقا لكانت النتيجة حقا فتنقطع السنتهم عن العناد فيه ومخالفته وقد حذف كبرى هذين القياسين لانهما قياسا ضمير كما سبق ثم اتى بالنتيجة وما في معناها وهو قوله ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث اي من الحق والباطل فيمزجان ولفظ الضغث مستعار ومقصوده بذلك التصريح بلزوم الآراء الباطلة والاهواء المبتدعة لمزج الحق بالباطل ولذلك قال وهنالك يستولي الشيطان على اوليائه اي تتزين لهم اتباع الاهواء والاحكام الخارجة عن كتاب الله بسبب اغوائهم عن تمييز الحق من الباطل فيما سلكوه من الشبهة وينجو الذين سبقت لهم منا الحسنى اي من اخذت عناية الله بايديهم في ظلمات الشبهات فقادتهم فيها باضاءة نور الهداية عليهم الى تمييز الحق من الباطل واولئك عنها مبعدون

ومن كلام له عليه السلم لما غلب اصحاب معوية على شريعة الفرات بصفين ومنعوهم من الماء قد استطعموكم القتال فاقروا على مذلة وتأخير محلة او رووا السيوف من الدماء ترووا من الماء فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين

الا وان معوية قاد لمة من الغواة وعمس عليهم الخبر حتى جعلوا نحورهم اغراض المنية **اقول** اللمة بالتخفيف الجماعة القليلة وعمس بالتخفيف والتشديد عمى وابهم ومنه عمس الليل اظلم والمحلة المنزلة وفي الفصل لطائف **الاولى** قوله قد استطعموكم القتال استعار لفظ الاستطعام لتحرشهم بالقتال بمنعهم للماء ووجه الاستعارة استنهاضهم للقتال وطلبهم له بمنع الماء الذي هو في الحقيقة اقوى جذب للقتال من طلب المأكول بالاقوال ولانهم لما حازوا الماء شبهوا في ذلك من طلب الطعام له ولما استلزم ذلك المنع طلبهم للقتال تعين ان يشبه ما يطلبونه طعامه **الثانية** قوله فاقروا على مذلة وتأخير محلة الى قوله الماء امرهم باحد لازمين عن منعهم الماء واستطعامهم القتال بهما اما ترك القتال وايقاعه وانما اورد الكلام بصورة التخيير بين هذين اللازمين وان لم يكن مراده الا القتال لعلمه بانهم لا يختارون ترك القتال مع ما يلزمه من الاقرار بالعجز والمذلة والاستسلام للعدو وتأخير المنزلة عن رتبة اهل الشرف والتجاعز وانما اورد الوصفين اللازمين لترك القتال وهما الاقرار على المذلة وعلى تأخير المحلة ليستقر بهما عنه ويظهره لهم في صورة كريهة وانما جعل الري من الماء الذي هو مشتهى اصحابه في ذلك الوقت لازما لتروية السيوف من الدماء الذي يلزمها القتال ليريهم القتال في صورة محبوب يميل طباعهم اليها ونسبة التروية الى السيوف نسبة مجازية **الثالثة** قوله فالموت في حيوتكم مقهورين والحيوة في موتكم قاهرين من لطائف الكلام ومحاسنه وهو جذب الى القتال بابلغ ما يمكن من البلاغة فجذبهم اليه بتصويره لهم ان الغاية التي عساهم يفرقون من القتال خوفا منها وهي الموت موجودة في الغاية التي عساهم يطلبونها من ترك القتال وهي الحيوة الدنية حال كونهم مقهورين وزيادة الموت لهم في تلك الشدائد والاهوال التي تلحقهم من عدوهم لو قهرهم وهي عند العاقل اشد بكثير من موت البدن واقوى مقاساة فان المذلة وسقوط المنزلة والهضم والاستنقاص عند ذي اللب مؤنة متعاقبة ويحتمل ان يكون مجازا في ترك عبادة الله بالجهاد فانه موت بالنفس وعدم لحياتها برضوان الله وكذلك جذبهم الى الغاية التي يفرقون اليها من ترك القتال وهي الحيوة موجودة في الغاية التي يفرقون منها وهي الموت البدني حال كونهم قاهرين اما في الدنيا فمن وجهين احدهما الذكر الباقي والجميل الذي لا يموت ولا يفنى الثاني ان طيب حيوتهم الدنيا انما يكون بنظام احوالهم بوجود الامام العادل وبقاء الشريعة كما هي وذلك انما يكون بالقاء انفسهم في غمرات الحروب محافظة على الدين وموت بعضهم فيها ولفظ الموت مهمل بصدق نسبته الى الكل وان وجد في البعض واما في الآخرة فالبقاء الابدي بالمحافظة على وظائف الله والحيوة التامة في جنات عدن كما قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون وفي القرينتين الاوليين السجع المتوازي وفي اللتين بعدهما السجع المطرف وفي اللتين بعدهما المقابلة **الرابعة** قوله الا وان معوية ذكر للعدو برذيلتين ولاصحابه برذيلتين اما الاولتان فكونه قائد غواة وكونه قد لبس عليهم الحق بالباطل واراهم اياه في صورة الحق واما الاخريان فكونهم غواة عن الحق وكونهم قد انقادوا للباطل عن شبهة حتى صار جهلهم مركبا والغرض بذلك التنفير عنهم وقوله حتى جعلوا نحورهم اغراض المنية غاية لاصحاب معوية من تلبيسه الحق عليهم وكنى بذلك عن تضحيتهم للموت ولفظ الغرض مستعار لنحورهم ووجه المشابهة جعلهم لنحورهم بصدد ان تصيبها سهام المنية من الطعن والضرب والذبح ووجوه القتل فاشبهت ما ينصبه الرامي هدفا وهي استعارة بالكناية كانه حاول ان يستعير للمنية لفظ الرامي وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلم الا وان الدنيا قد تصرمت وآذنت بانقضاء وتنكر معروفها وادبرت حذاء فهي تحفز بالفناء سكانها وتحدو بالموت جيرانها وقد امر منها ما كان حلوا وكدر منها ما كان صفوا فلم يبق منها الا سملة كسملة الاداوة او جرعة كجرعة المقلة لو تمززها الصديان لم ينقع فازمعوا عباد الله الرحيل عن هذه الدار المقدور على اهلها الزوال ولا يغلبنكم فيها الامل ولا يطولن عليكم فيها الامد فوالله لو حننتم حنين الوله العجال ودعوتم بهديل الحمام وجأرتم جؤار متبتلي الرهبان وخرجتم الى الله من الاموال والاولاد التماس القربة اليه في ارتفاع درجة عنده او غفران سيئة احصتها كتبه وحفظها رسله لكان قليلا فيما ارجو لكم من ثوابه واخاف عليكم من عقابه وتالله لو انماثت قلوبكم انمياثا وسالت عيونكم من رغبة اليه او رهبة منه دما ثم عمرتم في الدنيا ما الدنيا باقية ما جزت اعمالكم عنكم ولو لم تبقوا شيئا من جهدكم انعمه عليكم العظام وهداه اياكم للايمان **اقول** آذنت اعلمت وتنكر معروفها جهل وحذاء سريعة خفيفة ويروى بالجيم اي مقطوعة الخير والعلاقة والحفز السوق الحثيث والحمز ايضا الطعن والسملة بفتح الميم البقية من الماء في الاناء والمقلة بفتح الميم وسكون القاف حصاة يقسم بها الماء عند قلته يعرف بها مقدار ما يسقى كل شخص والتمزز تمصص الشراب قليلا قليلا والصديان العطشان ونقع ينقع اي سكن عطشه وازمعت الامر وازمعت عليه اي ثبت عزمي على فعله والمقدور المقدر والقدر لا بد من كونه والوله العجال جمع واله وعجول وهما من الابل التي فقدت اولادها وهديل الحمامة نوحها والجؤار الصوت المرتفع والتبتل الانقطاع الى الله باخلاص النية وانماثت الشيء تحلل وذاب واعلم ان مدار هذا الفصل على امور ثلثة **احدها** التنفير عن الدنيا والتحذير منها والنهي عن تأميلها والامر بالرحيل عنها **الثاني** التنبيه على عظيم ثواب الله وما ينبغي ان يرجى منه وتلتفت اليه ويقصد بالرحيل التنبيه الى ما الناس فيه مما يتوهم خيرا في الدنيا ثم على عظيم عقابه وما

ينبغي ان يخاف منه **الثالث** التنبيه على عظم نعمة الله على الخلق وانه لا يمكن جزاؤها بابلغ المساعي واكثر الاجتهاد اما الاول فاشار بقوله الا وان الدنيا
قد تصرمت الى قوله فيها الامد وقد علمت ان تصرمها هو تقضي احوالها الحاضرة شيئا فشيئا بالنسبة الى من وجد فيها في كل حين وان اذنها
بالانقضاء هو اعلامها بلسان حالها لان المعتبرين انها لا تبقى لاحد فاما تنكر معروفها فمعناه تغيره وتبدله ومثاله ان الانسان اذا اصاب
لذة من لذات الدنيا كصحة او امن او مال وجاه ونحوه انس اليه وتوهم بقاءه له وكان ذلك معروفها الذي اسدته اليه وعرفه والفه
منها ثم انه عن قليل يزول ويتبدل بضده فيصير بعد ان كان معروفا مجهولا وتكون الدنيا كمن تنكر في صداقته ومن جهة بعدا فيه
وقوله وادبرت حذاء اي ولت حال ما لا تعلق بشيء منها مسرعة واستعار لفظ الادبار لانتقال خيراتها عمن انتقلت عنه بموته او غيره
ذلك من وجوه زوالها ملاحظة لشبهها بملك اعرض عن بعض رعيته برفده وماله وقوله فهي تحفز بالفناء سكانها وتحدو بالموت جيرانها
استعار لها وصفي السائق والحادي استعارة بالكناية ووجه المشابهة كونهم قاطعين لمدة العمر بالفناء والموت فهي مصاحبة لهم بذلك
كما يصحب السائق والحادي للابل بالسوق والحداء ولما ريد بالحفز الطعن فيكون قد تجوز بنسبته الى البلاء ملاحظة لشبه مصاحب
الدنيا بالرماح وكذلك استعار لفظ الفناء والموت كالة السوق والحداء ونزلهما منزلة الحقيقة ووجه المشابهة كون الموت هو السبب
في انتقال الانسان الى دار الاخرة كما ان الصوت والسوط مثلا اللذين هما الة الحداء والسوق هما اللذان بهما يحصل انتقال الابل
من موضع الى موضع وقوله وقد امر منها ما كان حلوا وكدر منها ما كان صفوا كقوله وتنكر معروفها اي ان الامور التي تنفع لذيذة
فيها ويجدها الانسان في بعض اوقاته صافية خلوة خالية عن كدورات الامراض ومرارة التنغيص بالعوارض لكن يفقدها في معرض
التغير والتبدل بالمرارة والكدر فما من شخص يخاطبه بما ذكر الا ويصدق عليه انه قد عرضت له من تلك اللذات ما استعقب صفوها
كدرا وحلاوتها مرارة اما من شباب تبدل بكبر او غنى بفقر او عز بذل او صحة بسقم وقوله فلم يبق منها الا سملة الى قوله لم ينفع تقليل
وتحقير لما بقي منها لكل شخص من الناس فان بقاء ما له على حسب بقائه فيها وبقاء كل شخص فيها يسير ووقته قصير واستعار لفظ
السملة لبقيتها وشبهها ببقية الماء في الاداوة وبجرعة المقلة ووجه الشبه ما اشار بقوله لو تمززها الصديان لم ينقع اي كما ان العطشان
الواجد لبقية الاداوة والجرعة لو تمصصها لم ينقع عطشه كذلك طالب الدنيا المتعطش اليها الواجد لبقية عمره وللميسر من الاستمتاع فيه
بلذات الدنيا لا يشفي ذلك غليله ولا يسكن عطشه منها فالاولى اذن تعويد النفس بالفطام عن شهواتها وقوله فازمعوا عباد الله
الرحيل عن هذه الدار الى آخره امرهم بعد تحقيرها والتنفير عنها بالازماع وتصميم العزم على الرحيل عنها بالالتفات الى الله والاقبال على قطع عقبات
الطريق اليه وهو الرحيل عن الدنيا وقوله المقدور على اهلها الزوال تذكير بالابد من مفارقتها ليخف الرغبة فيها ثم اعقب ذلك بالنهي
عن متابعة الامل فيها لانها فائدة بقي الاخرة كما سبقت الاشارة اليه وذكر لفظ المدة ليذكرها بالانقضاء واستثارة للحمية من نفوسهم
ثم بالنهي عن توهم طول مدة الحياة واستبعاد الغاية التي هي الموت فان ذلك يقسي القلب ويورث الغفلة عن ذكر الله كما قال تعالى فطال
عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون واما الثاني فهو التنبيه على عظيم ثواب الله وعقابه فاعلم انه لما حقر الدنيا وحذر
منها وامر بالارتحال عنها اشار بعد ذلك الى ما ينبغي ان يعظم ويلتفت اليه ويرجى ويخشى وهو ثواب الله وعقابه فاشار الى تعظيمهما
بتحقير الاسباب والوسائل التي يعتمد عليها العباد وهي غايات جهدهم بالنسبة الى ما ينبغي ان يرجى من ثوابه ويخشى من عقابه وتلك الاسباب
من شدة الحنين والوله الى الله والدعاء المستمر والتضرع المشبه لتبتل الرهبان هذا في طرف العبادة وانما خص التشبيه بمتبتلي الرهبان
لشهرتهم بشدة التضرع وكذلك الخروج الى الله من الاموال والاولاد وهو اشد الزهد ورتب لذلك صورة متصلة مقدمها قوله ولو حننتم
الى قوله رسله وتاليها قوله لكان ذلك قليلا الى قوله من عقابه والناس معقول له وخلاصة هذا المقصود بوجيز الكلام انكم لو اتيتم
بجميع اسباب التقرب الى الله الممكنة لكم من عبادته ونفقة ملتمسين بذلك التقرب اليه في ان يرفع لكم عنده درجة او يغفر لكم سيئة احصتها
كتبه والواحه المحفوظة لكان الذي ارجوه من ثوابه للمتقرب اليه في ان يرفع منزلته من حضرة قدسه اكثر مما يتصور المتقرب انه يصل اليه بعمله
ولكان الذي اخافه من عقابه على المتقرب في غفران سيئة عنده اكثر من العقاب الذي يتوهم انه يدفعه عن نفسه بتقربه فينبغي لطالب
الزيادة في المنزلة عند الله ان يخلص بكليته في التقرب اليه ليصل الى ما هو اعظم مما يتوهم انه يصل اليه من المنزلة عنده وينبغي للهارب
من ذنبه الى الله ان يخلص من هول ما هو اعظم مما يتوهم انه يدفعه عن نفسه بوسيلته اليه فان الامر في معرفة ما اعد الله لعباده الصالحين
من الثواب العظيم وما اعده لاعدائه الظالمين من العقاب الاليم اجل مما يتصوره عقول البشر ما دامت في عالم الغربة وان كان عقولهم في
ذلك الادراك متفاوتة ولما كانت نفسه القدسية اشرف نفوس الخلق في ذلك الوقت لاجرم نسب الثواب المرجو لهم والعقاب المخوف
عليهم الى رجائه هو وخوفه فقال ما ارجو لكم من ثوابه واخاف عليكم من عقابه وذلك لقوة اطلاعه من ذلك على ما لم يطلعوا عليه
واما الثالث وهو التنبيه على عظيم نعم الله على العباد فنبه عليه ان كل ما اتوا به من الاعمال التي يبذلون جهدهم فيها في طاعة الله
وما عساهم يمكنهم ان ياتوا به منها فهو قاصر عن مجازاة نعمه العظام وقد سبق بيان ذلك ورتب المطلوب في صورة شرطية متصلة ايضا

مقدمها مركب من امور احدها قوله لو انماثت قلوبكم اي ذابت خوفا منه ووجدا منه وكنى بذلك عن انفعال الخائف الراجي لربه
في عبادته الثاني قوله وسالت عيونكم دما وهو كالاول الثالث قوله ثم عمرتم في الدنيا ما الدنيا باقية اي مدة بقاء الدنيا و
تاليها قوله ما جزت اعمالكم الى آخره وانعمه منصوب مفعول جزت وهداه في محل النصب عطفا عليه وانما افرد الهدى بالذكر وان
كان من الانعم لشرفه انه هو الغاية المطلوبة من العبد بكل نعمة افيضت عليه فانه لم يخلق ولم تفض عليه انواع النعم الالهية الا
لتأهل قلبه ويستعد نفسه لقبول صورة الهدى من واهبها فيمشي بها في ظلمات الجهل الى ربه ويجوز بها عقبات صراطه
المستقيم واكبر ملازمه هذه المتصلة بالقسم البار وكذلك المتصلة السابقة وفائدة هذه التنبيه بعث الخلق على الشكر وتوفير
الدواعي على الاجتهاد في الاخلاص لله حياء من مقابلة عظيم نعامه بالتقصير في شكره والتشاغل بغيره وبالله التوفيق **ومن**
كلام له عليه السلام في يوم النحر في صفة الاضحية ومن تمام الاضحية استشراف اذنها وسلامة عينها فاذا سلمت الاذن والعين نخ تكرم
سلمت الاضحية وتمت وان كانت عضباء القرن تجر رجلها الى المنسك **اقول** الاضحية منسوبة الى الاضحى لكان ذبحها في
ضحى ذلك اليوم وقيل انه مشتق منها واستشراف اذنها طولها وكنى بذلك عن سلامتها من القطع او نقصان الخلقة والعضباء
مكسورة القرن وقيل القرن الداخل وكنى بجر رجلها الى المنسك عن عرجها والمنسك موضع النسك وهو العبادة والتقرب
بذبحها واعلم ان المعتبر في الاضحية سلامتها عما ينقص قيمتها وظاهر ان العمى والعور والهزال وقطع الاذن تشويه في خلقتها
ونقصان في قيمتها دون العرج وكسر القرن وفي فضل الاضحية اخبار كثيرة روي عن رسول الله ص قال ما من عمل يوم النحر احب
الى الله عز وجل من اراقة دم وانها لتأتي يوم القيمة بقرونها واظلافها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع الارض فطيبوا
بها نفسا وروي عنه ايضا ان لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وبكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع في الميزان فابشروا وقد
كانت الصحابة يبالغون في اثمان الهدي والاضاحي ويكرهون المماكسة فيها فان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه عند اهله
روي ان عمر اهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسال رسول الله ص ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك
وقال بل اهدها وسر ذلك ان الجيد القليل خير من الكثير الدون فثلثمائة دينار وان كانت قيمة ثلثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن
ليس المقصود اللحم بل المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله
التقوى منكم وذلك بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العدد ام قل واعلم انه ربما لاح من اسرار وضع الاضحية سنة باقية هو ان يدوم بها
التذكر لقصة ابرهيم وابتلائه بذبح ولده وقوة صبره على تلك المحنة والبلاء المبين ثم يلاحظ من ذلك حلاوة ثمرة الصبر على المصائب
والمكاره فيتأسى الناس به في ذلك مع ما في نحر الاضحية من تطهير النفس عن رذيلة البخل واستعداد النفس بها للتقرب الى الله تعالى و
بالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** فتداكوا علي تداك الابل الهيم يوم وردها قد ارسلها راعيها وخلعت مثانيها
حتى ظننت انهم قاتلي او بعضهم قاتل بعض لدي وقد قلبت هذا الامر بطنه وظهره حتى منعني النوم فما وجدتني يسعني
الا قتالهم او الجحود بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله فكانت معالجة القتال اهون علي من معالجة العقاب وموتات
الدنيا اهون علي من موتات الآخرة **اقول** تداكوا اي دق بعضهم بعضا اي دفعه بالضرب والهيم الابل العطاش والمثاني جمع
مثناة وهي الحبل يثنى ويعقل به البعير واعلم ان قوله فتداكوا الى قوله لدي اشارة الى صفة اصحابه بصفين لما طال منعه لهم
من قتال اهل الشام وكان منعهم من قتالهم لامرين احدهما انه كانت عادته في الحرب ذلك ليكون خصمه البادي فتركبه الحجة والثاني
انه كان يستخلص وجه المصلحة في كيفية قتالهم لا على سبيل شك في وجوب قتال من خالفه فانه مامور بذلك بل على وجه تحصيل
وجه الراي الاصلح او انتظارا لانجذابهم الى الحق ورجوعهم الى الطاعة لحقن دماء المسلمين كما سيصرح به في الفصل الذي ياتي ثم اكد
وصفهم بالزحام عليه بامرين احدهما تشبيهه بزحام الابل العطاش حين يطلقها رعاتها من مثانيها يوم توردها الماء ووجه الشبه
ما لهما من شدة الزحام الثاني غاية ذلك الزحام وهو ظنه ان يقتلوه او يقتل بعضهم بعضا وقوله وقد قلبت هذا الامر الى آخره
اشارة الى بعض علل منعه لهم من القتال وهو تقليبه لوجوه الآراء في قتالهم حتى يتبين له ما يلزم في ترك القتال من الخطر وهو الكفر
على ان في الامرين خطرا اما القتال ففيه بذل نفسه للقتل وهلاك جملة من المسلمين واما تركه ففيه مخالفة امر الله ورسوله المستلزمة
للعقاب الاليم لكن قد علمت ان الدنيا لا قيمة لسعادتها ولا نسبة لشقاوتها الى سعادة الآخرة وشقاوتها عند ذوي البصائر و
مثله فلذلك قال فكانت معالجة القتال اهون علي من معالجة العقاب وموتات الدنيا اهون علي من موتات الآخرة واستعار
لفظ الموتات للاهوال والشدائد في الدنيا والآخرة لما بين الموت وبينها من المناسبة في الشدة **ومن كلام له عليه السلام**
وقد استبطأ اصحابه اذنه لهم في القتال بصفين اما قولكم اكل ذلك كراهية الموت فوالله ما ابالي دخلت الى الموت او خرج
الموت الي واما قولكم شكا في اهل الشام فوالله ما دفعت الحرب يوما الا وانا اطمع ان تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشوا

على ظلال الهام

الى ضوئى فهو احب الىّ من ان اقتلها وان كانت تبوء باثامها اقول عشا الى النار استدل عليها ببصر ضعيف وباء باثمه اى رجع
به وهذا الفصل مناسب للذى قبله والسبب فيه ان اصحابه لما طال منعهم عن قتال اهل الشام الحوا عليه حتى نسبه بعضهم الى
العجز وكراهية الموت ونسبه بعضهم الى الشك فى وجوب قتال هؤلاء فاورد شبهة الاولين وهى قوله كل ذلك كراهية الموت
كراهية بالنصب على المفعول وسد مسد الخبر واجاب عنها بقوله فوالله ما ابالى الى قوله الىّ وصدق هذه الدعوى المؤكدة بالقسم
الباز ظاهر منه فان العارف بمعزل عن تقية الموت خصوصا نفسه القدسية كما سبق وتشبيه الدخول على الموت والخروج اليه تشبيه
مجازية تستلزم ملاحظة تشبيهه بحيوان مخوف ثم اورد الشبهة الثانية وهى قوله واما قولكم شكا فى اهل الشام واجاب عنها
بقوله فوالله ما دفعت الحرب الى آخره وتقريره ان المطلوب الاول من الانبياء والاولياء انما هو اهتداء الخلق بهم من ظلمة الجهل و
استقامة امورهم فى معاشهم ومعادهم بوجودهم واذا كان هذا هو المطلوب الذاتى له عم من طلب هذا الامر والقتال عليه وكان
تحصيل المطالب كلما كان الطف واسهل من القتل والقتال كان اولى لاجرم كان انتظاره بالحرب ومدافعتها يوما فيوما انما هو انتظار وطمع ان
يلحق به منهم من يجذب العناية الالهية بذهنه الى الحق فيهتدى به فى طريق الله ويعشو الى ضوء علمه وكماله وكان ذلك احب اليه من قتلهم
على ضلالهم وان كان كل ضال انما يرجع باثمه الى ربه ويكون رهين عمله كما قال تع كل نفس بما كسبت رهينة ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا
تزر وازرة وزر اخرى ومن كلام له عليه السلم ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا وابناءنا واخواننا و
اعمامنا ما يزيدنا ذلك الا ايمانا وتسليما ومضيا على اللقم وصبرا على مضض الالم وجدا فى جهاد العدو ولقد كان الرجل
منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان انفسهما ايهما يسقى صاحبه كأس المنون فمرة لنا من عدونا
ومرة لعدونا منا فلما رأى الله صدقنا انزل بعدونا الكبت وانزل علينا النصر حتى استقر الاسلام ملقيا جرانه
ومتبوئا اوطانه ولعمرى لو كنا نأتى ما اتيتم ما قام للدين عمود ولا اخضر للايمان عود وايم الله لتحتلبنها دما ولتتبعنها
ندما اقول المنقول ان هذا الكلام صدر عنه يوم صفين حين اقر الناس بالصلح وقوله ان هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا
الى الحق والى كلمة سواء حتى يرموا بالمناسر يتبعها العساكر وحتى يرجموا بالكتائب تقفوها الجلائب وحتى يجر ببلادهم الخميس كلمة سواء
يتلوه الخميس وحتى تدعق الخيول فى نواحى ارضهم وباعناء مشاربهم ومسارحهم وحتى تشن عليهم الغارات من كل فج وحتى
يلقاهم قوم صدق صبر لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم وموتاهم فى سبيل الله الا جدا فى طاعة الله وحرصا على لقاء الله ولقد
كنا مع رسول الله صلعم الفصل كلمة سواء اى عادلة والمنسر خيل من المائة الى المائتين ويقال بل الجيش ما يمر بشئ الا اقتلعه والخميس الجيش
وتدعق تغار على ارضهم فتؤثر فيها بحوافرها وشن الغارة اثارتها واللقم منهج الطريق والمضض حرقة الالم ويتصاولان يتحاملان
يتطاولان ويتخالسان ينتهز كل منهما فرصة صاحبه والمنون المنية والكبت الصرف والاذلال وجران البعير مقدم عنقه من مذبحه
الى منحره وتبوء وطنه سكن فيه ومقصوده فى هذا الفصل توبيخ اصحابه على ترك الحرب والتقصير فيه فقوله ولقد كنا الى قوله
اوطانه بيان لفضله وكيفية صنيعه هو وسائر الصحابة فى الجهاد بين يدى رسول الله صلعم لغرض قيام الاسلام وظهور امر الله ليتبين
للسامعين تقصيرهم بالنسبة الى ما كان اولئك عليه فى جهادهم يومئذ فبدأ بذكر ما كانوا يلحقونه من الشدائد وان احدهم كان
يقتل اباه وولده طلبا لرضا الله وذبا عن دينه ثم لا يزيده ذلك الا ايمانا وتسليما لقضائه ومضيا على واضح سبيله وصبرا فى طاعته
على مضض الالام المتواترة وان احدهم كان يصاول عدوه ويختطف كل روح صاحبه وتجوز بلفظ الكأس فيما يتجرعه الانسان من
غصص الالم حال القتل وتنبيه بقوله فمرة لنا ومرة لعدونا على ان اقدامهم على القتال يومئذ لم يكن عن قوة منهم على العدو ويقين
بغلبته بل مع غلبة العدو لهم وقهره ومرة منصوب على الظرف وتقدير فمرة الادالة تكون لنا من عدونا ومرة تكون له منا وقوله فلما
رأى الله صدقنا الى قوله النصر فيه تنبيه على ان الجود الالهى لا بخل فيه ولا منع من جهته وانما هو عام الفيض على كل قابل استعد
لرحمته واشار برؤية الله صدقهم الى علمه باستحقاقهم واستعدادهم بالصبر الذى عدهم به وبانزال النصر عليهم والكبت لعدوهم الى
افاضته على كل منهما ما استعد له وقوله حتى استقر الاسلام الى قوله اوطانه اشارة الى حصول غايتهم التى قصدوها بجهادهم العدو
وهى استقرار الاسلام فى قلوب عباد الله واستعار لفظ الجران ورشح تلك الاستعارة بالالقاء ملاحظة لتشبيهه بالبعير الذى اخذ
مكانه وكذلك استعار لفظ التبوء ونسبه الى الاوطان تشبيها له بمن كان من الناس خائفا متزلزلا ثم استقر له الامر ثم اطمأن واستقر فى وطنه
واستعار لفظ الاوطان لقلوب المؤمنين وكنى بتبوئها عن استقراره فيها وقوله ولعمرى لو كنا نأتى الى قوله عود رجوع الى المقصود
الاصلى وهو تنبيه اصحابه على تقصيرهم والمعنى لو قصرنا يومئذ كتقصيركم الان وتخاذلكم لما حصل ما حصل من استقامة الدين
وكنى بالعمود للدين عن قوته ومعظمه كناية بالاستعارة وكذلك باخضرار العود للايمان عن نضارته فى النفوس ولاحظ فى الاولى
تشبيه الاسلام بالبيت ذى العمود وفى الثانية تشبيه الايمان بالشجرة ذات الاغصان وقوله وايم الله لتحتلبنها دما استعار لفظ

حلب الدم

حلب الدم لثمرة تقصيرهم وتخاذلهم عما يدعوهم اليه من الجهاد ولاحظ فى تلك الاستعارة تشبيههم لتقصيرهم فى افعالهم بالناقة التى
اضيع ضرعها بافراط من تفريط صاحبها فيها والضمير المؤنث منهم يرجع فى المعنى الى فعالهم وكذلك الضمير فى قوله ولتتبعنها ندما فان
ثمرة التفريط الندامة ودما وندما منصوبان على التمييز وقد اتفق فى هذا الفصل توفيقات من التسجيع فاللقم والالم سجع متوازى وجرانه
واوطانه مطرف وكذلك عمود وعود ودما وندما وبالله التوفيق ومن كلام له عم لاصحابه اما انه سيظهر عليكم بعدى
رجل رحب البلعوم مندحق البطن ياكل ما يجد ويطلب ما لا يجد فاقتلوه ولن تقتلوه الا وانه سيامركم بسبى والبراءة
منى فاما السب فسبونى فانه لى زكاة ولكم نجاة واما البراءة فلا تتبرءوا منى فانى ولدت على الفطرة وسبقت الى
الايمان والهجرة اقول رحب البلعوم واسع مجرى الحلق وبطن مندحق نات بارز وفى هذا الفصل اخبار بما سيكون
لاصحابه من الابتلاء ليستعدوا والخطاب لاهل الكوفة وقوله اما يحتمل ان يكون مشددة والتقدير اما بعد انكذا ويحتمل ان يكون
مخففة وهى ما النافية دخلت عليها همزة الاستفهام والتقدير اما انه سيظهر واختلف فى مراده بالرجل فقال اكثر الشارحين
المراد معوية لانه كان بطينا كثير الاكل روى انه كان ياكل فيمل فيقول ارفعوا فوالله ما شبعت ولكن مللت وتعبت وكان ذلك
داء اصابه بدعاء الرسول صلعم روى انه بعث اليه مرة فوجده ياكل فبعث اليه ثانيا فوجده كذلك فقال اللهم لا تشبع بطنه وبعضهم
فى وصف آخر وصاحب بطنه كالها وتبركانى امعائه معاوية وقيل هو زياد بن ابى سفيان وهو زياد بن ابيه وقيل هو الحجاج وقيل
المغيرة بن شعبة وظهوره عليهم بعد استعلائه وتامره عليهم واكله ما يجد مع طلبه ما لا يجد كناية عن كثرة اكله وجعل ذلك
علامة له وقوله فاقتلوه اى لما هو عليه من الفساد فى الارض ولن تقتلوه حكم لدنى اطلع عليه وقوله الا وانه سيامركم بسبى
الى آخره اشارة الى ما سيامرهم به فى حقه من السب والبراءة ووصيته لهم بما هو المصلحة اذن وفرق بين سبه والبراءة منه بان
رخص فى سبه عند الاكراه عليه ولم يرخص فى التبرى منه وفى الفرق بينهما لطف وذلك ان السب من صفات القول اللسانى
وهو امر يمكن ايقاعه من غير اعتقاده مع احتمال التربص ومع ما يشتمل عليه من حقن دماء المامورين ونجاتهم بامتثال الامر به
واما التبرى فليس بصفة قولية فقط بل يعود الى المجانبة القلبية والمعاداة والبغض وهو المنهى عنه ههنا فانه امر باطن يمكنهم
الانتهاء عنه ولا يلحقهم بسبب تركه وعدم امتثال الامر به ضرر وكانه لحظ فيها قوله تع الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن
من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب الاية وقوله فى السب فانه لى زكاة ولكم نجاة اشارة الى اسباب ترخيصه فى سبه اما نجاتهم
بسبه فظاهرة واما كونه زكاة له فلوجهين احدهما ما روى فى الحديث ان ذكر المؤمن بسوء هو زكوة له وذمه بما ليس فيه زيادة
فى جاهه وشرفه الثانى ان الطباع تحرص على ما تمنع منه ولما كان الناس قد منعوا من ذكر فضائله والموالاة له والزموا سبه وبغضه
ازدادوا بذلك محبة له واظهارا لشرفه ولذلك انه لما سبه بنو امية الف شهر على المنابر فما ازداد ذكره على ذلك الا علوا ولا ازداد
الناس فى محبته الا غلوا والمنقول ان الذى رفع سبه عمر بن عبد العزيز ووضع مكان سبه من الخطبة ان الله يامر بالعدل والاحسان
الاية ولذلك قال كثير بن عبد الرحمن يمدحه وليت فلم تشتم عليا ولم تخف بريا ولم تقبل اساءة مجرم وفيه قول الرضى الموسوى
يا ابن عبد العزيز لو بكت العين فتى من امية لبكيتك انت نزهتنا عن الشتم والسب ولو كنت مجزيا لجزيتك غير انى اقول انك قد
طبت وان لم يطب ولم يزك بيتك وقوله فانى ولدت على الفطرة الى آخره تعليل لحسن الانتهاء عن البراءة منه ووجوبه اراد بالفطرة
فطرة الله التى فطر الناس عليها وهى بعثهم الى عالم الاجسام ماخوذا عليهم ميثاق العبودية والاستقامة على سنن العدل فى سلوك صراط
المستقيم واراد بسبقه الى الاسلام والهجرة سبقه الى طاعة رسول الله صلعم فيما جاء به من الدين وصحبته له ومهاجرته معه مستقيما فى كل
ذلك على فطرة الله لم يدنس نفسه بشئ من الملكات الردية مدة وقته اما زمان صغره فللخبر المشهور كل مولود يولد على الفطرة
واما بعده فلان الرسول صلعم كان هو المتولى لتربيته وتزكية نفسه بالعلوم والاخلاق من اول وقته الى ان توفى صلى الله عليه وآله
كما اشرنا اليه قبل وكما سيذكره هو بعد كيفيته وكان قبوله واستعداده لانوار الله امرا فطرت عليه نفسه وجبلت عليه طبيعته
حتى لم يلحقه فى ذلك احد من الصحابة وظاهر ان من كان بهذه الصفة من خلفاء الله واوليائه كان التبرى منه تبريا من الله ورسوله
فوجب الانتهاء عنه وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم كلم به الخوارج اصابكم حاصب ولا بقى منكم آبر ابعد ايمانى
بالله وجهادى مع رسول الله صلعم اشهد على نفسى بالكفر لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين فاوبوا شر مآب وارجعوا
على اثر الاعقاب اما انكم ستلقون بعدى ذلا شاملا وسيفا قاطعا واثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة قال الرضى رض
وقوله ولا بقى منكم آبر يروى بالراء من قولهم للذى يأبر النخل اى يصلحه ويروى آثر وهو الذى يأثر الحديث اى يرويه ويحكيه وهو اصح الوجوه اى يحكيه
عندى كانه قال لا بقى منكم من يروى حديثا ويروى آبز بالزاء المعجمة وهو الواثب والهالك ايضا يقال له آبز اقول المروى فى
السبب انه لما كتب عهد التراضى بين الحكمين بين على ومعوية اعتزلت الخوارج ونادوا من كل ناحية لا حكم الا الله الحكم لله يا على

لا للّه ان الله قد امضى حكمه في معوية واصحابه ان يدخلوا تحت حكمنا وقد كنا زللنا واخطأنا حين رضينا بالتحكيم وقد بان زللنا وخطأنا
ورجعنا الى الله وتبنا فارجع انت كما رجعنا وتب اليه كما تبنا وقال بعضهم اتل خطيئتك فاشهد على نفسك بالكفر ثم تب منه حتى
نطيعك فاجابهم بهذا الكلام والحاصب ريح شديدة ترمي بالحصباء وهي صغار الحصى والاثرة بالتحريك الاستبداد وقد دعا عليهم بان
يرمي بحصيهم ثم بالفناء غضبا من مقالتهم ثم اخذ في تقريعهم وانكار مقالتهم وطلبهم شهادته على نفسه بالكفر في صورة سؤال العقبه
تنبيههم على خطائهم في حقه ببيان غلطه على نفسه لو اجابهم الى ما سألوا فان شهادة الانسان على نفسه بالكفر ضلال عن الحق
وعدم اهتداء في سبيل الله ثم اردف ذلك بامرين احدهما جذبهم بالغضب والقهر وامرهم بالرجوع الى الحق على اعقابهم اي من حيث
خرجوا من الحق وفارقوه الثاني اخبارهم بما سيلقون بعده من الذل الشامل والسيف القاطع وهو كناية عمن يقتلهم بعده
كالمهلب بن ابي صفرة وغيره وهذا الاخبار لغرض استفائهم اليه وجذب لهم برذيلة غيره والاثرة التي تتخذها الظالمون فيهم
سنة اشارة الى ما لقيتهم به الملوك والعمال عليهم من الفيء والغنائم واهانتهم وقد كانت دعوته ع استجيب فيهم فانهم لم يزالوا
بعده في ذل شامل وقتل ذريع حتى افناهم الله تعالى واحوالهم في كيفية قتالهم وقتلهم ومن قتلهم مستوفى في كتاب الخوارج و
بالله التوفيق **وقال عليه السلام** لما عزم على قتال الخوارج وقيل له ان القوم قد عبروا جسر النهروان مصارعهم دون
النطفة والله لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة قال ع السيد يعني بالنطفة ماء النهر وهي افصح كناية عن الماء وان كان كثيرا جما
اقول خلاصة هذا الخبر انه ع لما خرج الى اصحاب النهر جاءه رجل من اصحابه فقال البشرى يا امير المؤمنين ان القوم عبروا
النهر لما بلغهم وصولك فابشر فقد منحك الله اكتافهم فقال له الله انت رايتهم قد عبروا فقال نعم فقال ع والله ما عبروه ولن يعبروه
وان مصارعهم دون النطفة والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لن يبلغوا الاثلاث ولا قصر بوران حتى يقتلهم الله وقد خاب من افترى
قال ثم جاءه جماعة من اصحابه واحدا بعد اخر كلهم يخبره بما اخبره الاول فركب وسار حتى انتهى الى النهر فوجد القوم باسرهم قد
كسروا جفون سيوفهم وعرقبوا خيولهم وجثوا على الركب وحكموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل وروى ان شابا من اصحابه
قال في نفسه حين حكم بما حكم من امرهم وسار الى النهر لئن صدق في حكمه والله لاكونن قريبا منه فان كانوا عبروا النهر لاجعلن
سنان رمحي في عينه ايدعي علم الغيب فلما وجدهم لم يعبروا نزل عن فرسه واخبره بما روى في نفسه وطلب منه ان يغفر له فقال ع ان الله
هو الذي يغفر الذنوب جميعا فاستغفره فاما حكمه بانه لا يفلت منهم عشرة ولا يقتل من اصحابه عشرة فروى انه قال لابي ايوب
الانصاري وكان على ميمنته لما بدات الخوارج بالقتال احملوا عليهم فوالله لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة فلما قتلهم
وجد المفلت منهم تسعة والمقتول من اصحابه ثمانية وهذان الحكمان من كراماته ع **وقال عليه السلام** لما قيل له يا امير المؤمنين
هلك القوم باجمعهم كلا والله انهم نطف في اصلاب الرجال وقرارات النساء كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون اخرهم لصوصا
سلابين **اقول** نجم طلع والسلاب المختلس وكلا رد لقائله من حكم بهلاكهم جميعا واشار بكونهم نطفا في اصلاب الرجال وقرارات
النساء الى انه لا بد من وجود قوم منهم يقولون بمثل مقالتهم وانهم الان موجودون في الاصلاب والارحام بالقوة انهم نطف
ستنتقل الى الارحام وكنى بالقرارات عنها او منهم نطف بعد في الاصلاب ثم الحقهم احكاما ما اخبر بانقطاعهم منها انه سيقوم منهم
تقسيم ذووا اتباع وعبر عمن يظهر منهم بالقرن استعارة مرشحا لتلك الاستعارة بقوله نجم وقطع لكونهما حقيقتين في النبات
وجعل انتهاءهم غاية هي كون اخرهم لصوصا سلابين اي قطاعا للطريق واما الذين ظهروا بعده من رؤسائهم فجماعة كثيرة وذلك
ان التسعة الذين سلموا يوم النهر تفرقوا في البلاد فانهزم اثنان منهم الى عمان واثنان الى كرمان واثنان الى سجستان واثنان
الى الجزيرة وواحد الى تل موزن وقد كان بعضهم منهم جماعة لم يظفر بهم ع فظهرت بدعتهم في اطراف البلاد بعده فكانوا نحو
من عشرين فرقة وكبار هذه الفرق ستة **احديها** الازارقة اصحاب نافع بن الازرق وكان اكبر الفرق خرجوا من البصرة الى الاهواز وغلبوا عليها
وعلى كورها وما وراءها من بلدان فارس وكرمان في ايام عبد الله بن الزبير وكان مع نافع من امراء الخوارج عشرة عطية بن الاسود
الحنفي وعبد الله بن ماحوز واخواه عثمن والزبير وعمر بن عمير العنبري وقطري بن الفجاءة المازني وعبيدة بن هلال الشيباني وصخر التميمي
وصالح العبدي وعبد ربه الكبير وعبد ربه الصغير في ثلثين الف فارس منهم فانفذ اليهم المهلب بن ابي صفرة ولم يزل في
حربهم هو واولاده تسع عشرة سنة الى ان فرغ من امرهم في ايام الحجاج ومات نافع قبل وقائع المهلب وبايعوا قطريا وسموه
امير المؤمنين **الثانية** النجدات رئيسهم نجدة بن عامر الحنفي وكان معه اميران يقال لاحدهما عطية والاخر ابو فديك
ففارقاه بشبهة ثم قتلا ابو فديك وصار لكل واحد منهما جمع عظيم وقتلا في زمن عبد الملك بن مروان **الثالثة**
البيهسية اصحاب ابي بيهس الهيصم بن جابر وكان بالحجاز وقتله عثمن بن حيان المزني بالمدينة بعد ان قطع يديه ورجليه وذلك
في زمن الوليد باشارة منه **الرابعة** العجاردة اصحاب عبد الكريم بن عجرد وتحت هذه الفرقة فرق كثيرة لكل منهم رئيس منهم

مشهور

ح

مشهور **الخامسة** الاباضية اصحاب عبد الله بن اباض في ايام مروان بن محمد فوجه اليه عبد الله بن محمد بن عطية فقاتله فقتله **السادسة**
الثعالبة اصحاب ثعلبة بن عامر وتحت هذه الفرقة ايضا فرق كثيرة ولكل منها رئيس مشهور وتفصيل رؤسائهم وفرقهم واحوالهم
ومن قتلهم مذكور في كتب التواريخ واما كون اخرهم لصوصا سلابين فاشارة الى ما كانوا يفعلونه في اطراف البلاد باصبهان
والاهواز وسواد العراق يعيثون فيها وينهبون اموال الخراج ويقتلون من لم يدخل في مذهبهم جهرا او غيلة وذلك بعد ضعفهم و
تفرقهم بوقائع المهلب وغيرها كما هو مذكور في مظانه **وقال ع** لا تقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الباطل
فادركه يعني معوية واصحابه **اقول** نهى عن قتل الخوارج بعده واومى الى علة استحقاق القتل بانها طلب الباطل لانه لا
باطل ليتبين انها منتفية في حقهم فينتفي لازمها وهو استحقاق القتل واشار الى ان الخوارج لم يطلبوا الباطل مع العلم بكونه
باطلا بل طلبوا الحق بالذات فوقعوا بالباطل بالعرض ومن لم يكن غرضه الا الحق لم يجز قتله وتحسين الكلام يظهر في تقدير
متصلة هكذا لو استحقوا القتل بسبب طلبهم لاستحقوه بسبب طلبهم للباطل من حيث هو باطل فلا يستحقون القتل و
فرق بين من يطلب الحق لذاته فيظهر عنده في صورة باطل وبين من يطلب الباطل لذاته فيظهره في صورة الحق حتى يدركه
فان الثاني هو المستحق للقتل دون الاول والمعني بمن طلب الباطل فادركه الى معوية واعلم ان هذا نص منه ع بانهم كانوا طالبين
للحق وبيانه ان معظم رؤسائهم كانوا على غاية من المحافظة على العبادات كما نقل عن الرسول ص حيث وصفهم فقال حتى ان
صلوة احدكم لتحتقر في جنب صلوتهم وكانوا مشهورين بالصلاح والمواظبة على حفظ القران ودرسه الا انهم بالغوا في التحري
وشدة طلب الحق حتى عبروا عن فضيلة العدل فيه الى رذيلة الافراط فوقعوا الى الفسق ومرقوا من الدين فان قلت كيف
نهى عن قتلهم قلت جوابه من وجهين احدهما انه ع انما نهى عن قتلهم بعده على تقدير ان يلزم كل منهم نفسه ويشتغل بها ولا
يعيث في الارض فسادا وهو انما قتلهم حيث فسدوا في زمانه وقتلوا جماعة من الصالحين كعبد الله بن خباب وشقوا بطن
امراته وكانت حاملا ودعوا الناس الى بدعتهم ومع ذلك كان يقول لاصحابه حين سار اليهم لا تبدؤهم بالقتال حتى يبدؤكم
بها ولم يشرع في قتلهم حتى بدؤه بقتل جماعة من اصحابه الثاني انه يحتمل ان يقال انه انما قتلهم لانه امام عادل راى الحق في
ذلك وانما نهى عن قتلهم بعده لانه علم انه لا يلي هذا الامر بعده من له بحكم الشرع ان يقتل ويتولى امر الحدود ومن لا يعرف
مواضعها وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما خوف من الغيلة وان علي من الله جنة حصينة فاذا جاء يومي
انفرجت عني واسلمتني فحينئذ لا يطيش السهم ولا يبرأ الكلم **اقول** قد كان ع خوف من غيلة ابن ملجم لعنه الله مرارا وروي
ان الاشعث لقيه متقلدا سيفه فقال له ما يقلدك السيف وليس باوان حرب فقال اردت ان انحر به جزور القرية فاتى الاشعث
عليا ع فاخبره وقال قد عرفت ابن ملجم وفتكه فقال ع ما قتلني بعد وروي ان عليا ع كان يخطب مرة ويذكر اصحابه وابن ملجم
تلقاء المنبر فسمع وهو يقول والله لاريحنهم منك فلما انصرف علي ع اتوا به ملببا فاشرف عليهم وقال ما تريدون فخبروه بما سمعوا
منه فقال ما قتلني بعد خلوا عنه وان علي من الله جنة الفصل والغيلة القتل على غفلة والجنة ما استتر به من سلاح وطاش
السهم انحرف عن الغرض والكلم الجرح وكنى بالجنة عن عناية الله بحفظ اسباب حيوته في المدة المكتوبة له في القضاء الالهي كناية
بالمستعار ووجه الاستعارة ان مع بقاء اسباب الحيوة محفوظة لا يؤثر في الانسان شيء من سهام المنية ابدا كما ان لابس الجنة محفوظ
بها من اثار السهام ونحوها ووصفها بالحصينة ترشيحا للاستعارة وكنى بها ايضا عن قوة ذلك الحفظ وكنى بيومه عن وقت ضرورة
موته وبانفراج الجنة عنه عن عدم بعض اسباب الحيوة المستلزم للحوق سائر سهام الامراض وهو ترشيح للاستعارة ايضا ونسب اليها الاسلام
له ملاحظة لتشبيهها بمن يحفظه ثم يسلمه للقتل وقوله لا يطيش السهم استعار لفظ السهم للامراض التي هي اسباب الموت وكنى بعدم طيشه
عن اتيانه وحصول الموت عنده ولفظ الكلم للاثر الحاصل عن تلك الاسباب ووجه التشبيه في الاول كونهما سببين للهلاك وفي الثاني
ما يستلزمانه من الالم ورشح الاول بذكر الطيش والثاني بذكر البرء ومن المنسوب اليه في ذلك عن اي يومي من الموت افر ايوم
لم يقدر ام يوم قدر فيوم لم يقدر لا ارهبه ويوم قد قدر لا يغني الحذر وهو في ذلك ملاحظ لقوله تعالى وما كان لنفس ان تموت
الا باذن الله كتابا مؤجلا ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وبالله التوفيق **ومن خطبة له ع**
الا وان الدنيا دار لا يسلم منها الا فيها ولا ينجى بشيء كان لها ابتلي الناس بها فتنة فما اخذوه منها لها اخرجوا منه وحوسبوا عليه
وما اخذوه منها لغيرها قدموا عليه واقاموا فيه وانها عند ذوي العقول كفيء الظل بينا تراه سابغا حتى قلص وزائدا حتى
نقص **اقول** بينا اصله بين بمعنى التوسط فاشبعت الفتحة فحدثت الالف وقد تزاد ما فيقال بينما والمعنى واحد وتحقيق الكلام
هنا ان الظل دائر بين السبوغ والتقلص والزيادة والنقصان وقلص الظل نقص وغرض هذا الفصل التحذير من الدنيا والتنبيه
على وجوب لزوم اوامر الله فيها واشار الى ذلك في اوصاف لها **الاول** كونه لا يسلم منها الا فيها وتحقيق ذلك ان الدار الا الدنيا

والاخرة وقد علمت ان اسباب السلامة هي الزهد والعبادة وسائر اجزاء الرياضة وشيء منها لا يمكن في الاخرة بل كلها اعمال متعلقة بالبدن
فاذن لا يتحقق ما يلزم منها من السلامة من الدنيا الا في الدنيا **الثاني** كونها لا ينجي شيء كان لها وفيها بناء الى ام الربا في الاقوال و لا نفا
ويحذر من كل عمل وقوله فضله الدنيا فان شيئا من ذلك لا حظ له في استلزام النجاة في الاخرة بل ربما كان سببا للهلاك فيها الا ان
الاشتغال بمهمات الدنيا سبب للاخرة **الثالث** كونها قد ابتلى الناس بها فتنة وفتنة منصوب بالمفعول له ويحتمل ان يكون مصدرا
سد مسد الحال ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالخير والشر فتنة والينا ترجعون ولنبحث عن معنى الابتلاء بالدنيا وكونها فتنة واعلم انه ليس
المراد ان الله تعالى لا يعلم ما يؤول اليه احوال العباد وما يكون منهم بعد خلقهم وابتلائهم بالدنيا فانه تعالى العالم بما كان وما يكون قبل كونه
كما قال تعالى وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين وقوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في السماء ولا في انفسكم الا في كتاب
من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير بل لكشف عن حقيقة الابتلاء انه لما كان الانسان انما يكون انسانا بما خلق فيه من القوى الشهوية
والغضبية وما يتبعهما وكان لهذه القوى ميول طبيعية الى حاضر اللذات الدنيوية فهي محركة مشتهياتها ولا ابتهاج لها الا بها ولا حظ
لها من غيرها وكانت النفوس الانسانية مخالطة لهذه القوى وهي الانها ولا وجد لها في تصرفاتها غالب الاحوال الا هي وكانت تلك القوى
في اكثر الخلق جاذبة لنفوسها الى مشتهياتها الطبيعية بالطبع وكانت تلك النفوس في اكثر الناس منقادة لقواها معرضة عن الاخرة مشغولة
بحاضر ما وجدته من اللذات الدنيا عن تصور ما ورائها ثم مع ذلك كان المطلوب منها ما يضاد ذلك وهو ترك حاضر الدنيا ومنازعة
هذه القوى في مشتهياتها وجذبها عن التوجه بكليتها اليها لما تاخر الغير لتفاتها عن ذلك الى امر لا يتصور في الدنيا الا بالاوصاف
الخيالية كما هو وظيفة الانبياء عن الخلق كانت ارادته تعالى لذلك الالتفات مع ما هم فيه من دعة الهوى فان اطاعوه هلكوا وان
عصوه يحوا صورة امتحان فاشبه ذلك ما يفعله احدنا عند عبده اذا اراد مثلا اختبار صبره ومحبته له فوهب له جميع ما يشتهيه ثم كلفه
مع ذلك تركا لبعض شاقة لا يتمكن من فعلها الا بالتفاته عن مشتهاه وتنغيصه عليه فلا جرم صدقت صورة الابتلاء والاختبار من
الشيء الموجود وكذلك ظهر معنى كونها فتنة فان الفتنة الامتحان والاختبار وان قد نا ها خالا فتى بمعنى الضلال يعود الى
جذبها للنفوس الى حاضر لذاتها عن سنن الحق **الرابع** كونهم ما اخذوه منها لها اخرجوا منه وحوسبوا عليه وهو تنبيه على وجوب
ضد الاخرة من الدنيا والتصرف فيه والتقرب ان يجعل الماخوذ منها المجرد التمتع بها بذكر وصفين احدهما وجوب مفارقة الماخوذ
منها والاخراج منه والثاني الحساب عليه في الاخرة واعلم على راي المليين ظ قالوا ان الله تعالى قادر على حساب الخلق دفعة واحدة ولا يشغله
كلام عن كلام كما قال وهو سريع الحساب اما الحكماء فقالوا ان لله الحساب معنى وتقريره بتقديم مقدمات **الاولى** ان كثرة الافعال و
تكررها يوجب حدوث الملكات في النفوس والاستقراء التام يكشف عن ذلك ومن كان مواظبته على عمل من الاعمال اكثر كان رسوخ
تلك الملكة الصادرة عن تلك الافعال في نفسه اقوى **الثانية** انه لما كان تكرر العمل يوجب حصول الملكة وجب ان يكون لكل عمل يفعله
الانسان اثر في حصول تلك الملكة بل يجب ان يكون لكل جزء من اجزاء العمل الواحد اثر في حصول لها بوجه ما وضربوا لذلك مثالا فقالوا ان
لو فرضنا فرضية سفينة عظيمة بحيث لو القي فيها مائة الف من فانها تغوص في الماء قدر شبر واحد ولو لم يكن فيها الا حبة واحدة من الحنطة
فذلك القدر من الجسم الخفيف فيها يوجب غوصها في الماء بمقدار ما له من الثقل وان بلغ في القلة الى حيث لا يدركه الحس اذا عرفت
ذلك فنقول ما من فعل من الخير والشر قليل ولا كثير الا ويفيد حصول اثر في النفس اما سعادة او شقاوة وعند هذا ينكشف سر قوله تعالى
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكل لما ثبت ان الافعال انما تصدر بواسطة الجوارح من اليد والرجل وغيرها
لا جرم كانت الايدي والارجل شاهدة على الانسان يوم القيمة بلسان حالها على معنى ان تلك الاثار النفسانية انما حصلت في جواهر النفوس
بواسطة الافعال الصادرة عنها فكان صدور تلك الافعال من تلك الجوارح جاريا مجرى الشهادة على النفس بما اكتسبته بها اذا عرفت ذلك
فنقول لما كانت حقيقة المحاسبة تعود الى تعريف الانسان ما له وما عليه من مال ونحوه وكان ما يحصل من النفوس من الملكات الخيرية
والشريرة امورا مضبوطة في جوهرها محصاة عليها وانما تنكشف لها كثرة تلك الهيئات وتمكنها من ذواتها وتصورها في الان الذي
ينقطع فيه علاقة النفس مع البدن اشبه ذلك ما يتبين للانسان عند المحاسبة مما احصى عليه ولم فاطلق عليه لفظ الحساب وذلك
اليقين والاطلاع هو المشار اليه بقوله تعالى وجدوا ما عملوا حاضرا وليس المراد ان ما يقدم عليه في الاخرة هو عين ما اخذ من الدنيا بل امر في غاية
من خير او شر فالذي يتناوله الحاملون منها المجرد التمتع بها فهو الذي يتمكن عنه هيئات السوء في جواهر نفوسهم فيعذبون عليها ويقيمون
بها في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون **الخامس** كونها عند ذوي العقول كفيء الظل وتشبيهها بهذا الوصف على سرعة
زوالها وانما خص ذوي العقول بذلك لامرين احدهما ان المتبرز والها عاملي بحكم عقله دون هواه فلذلك نسب الى العقل الثاني ان
حال ذوي العقول هو بينه لمن سمعه ولما كان مقصوده تحذير السامعين من سرعة زوالها ليعلموا انها لما تبعها نسب ذلك الى
ذوي العقول فيه ليقتضي السامعون اثرهم ثم اشار الى وجه شبهها بالظل بقوله بينا تراه الى اخره اي انها سريعة الزوال كما يسرع زوال الفيء

معنى الابتلاء بالدنيا

بما يوجد

ان الحساب

معنى الحساب على راي الحكماء

من التشبيهات السائرة ومثله قول الشاعر الا انما الدنيا كظل غمامة اظلت يسيرا ثم خفت وولت **ومن خطبة له عليه السلام**
فاتقوا عباد الله وبادروا آجالكم باعمالكم وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم وترحلوا فقد جد بكم واستعدوا للموت
فقد اظلكم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا وعلموا ان الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا فان الله لم يخلقكم عبثا ولم يترككم
سدى وما بين احدكم وبين الجنة او النار الا الموت ان ينزل به وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة
بقصر المدة وان غائبا يحدوه الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الاوبة وان قادما يقدم بالفوز او الشقوة لمستحق
لافضل العدة فتزودوا من الدنيا في الدنيا ما تحرزون به نفوسكم غدا فاتقى عبد ربه نصح نفسه قدم توبته غلب
شهوته فان اجله مستور عنه وامله خادع له والشيطان موكل به يزين له المعصية ليركبها ويمنيه التوبة ليسوفها
حتى تهجم منيته عليه اغفل ما يكون عنها فيا لها حسرة على كل ذي غفلة ان يكون عمره عليه حجة وان تؤديه ايامه الى
شقوة نسال الله سبحانه ان يجعلنا واياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة ربه غاية ولا تحل به بعد الموت ندامة
ولا كآبة **اقول** المبادرة المسارعة والاستعجال وجد بكم اي اولع بكم وحري حقيق والتسويف في الامر ان يقول سوف افعل
وهو كناية عن التمادي في الامر والبطر تجاوز الحد في الفرح والكآبة الحزن وحاصل هذه الموعظة التنفير عن الدنيا والترغيب في الاخرة
وما يكون وسيلة الى نعيمها والترهيب مما يكون سببا للشقاء فيها فقوله فاتقوا الله الى قوله باعمالكم فيه تنبيه على وجوب لزوم الاعمال
الصالحة وحث عليها بالامر بمسابقة الاجال وعلى توقع سرعة الاجل وانتظاره بالبال وهو من الجواذب للقربة الى الله تعالى ونسبة المسابقة
الى الاجال ملاحظة لشبهها بالمراهن اذ كان تحوطها لهم حائلا بينهم وبين الاعمال الصالحة التي يشبه بما يشتمل عليه من رهن وقوله
ابتاعوا اما يبقى الى قوله عنكم اشارة الى لزوم الزهد في الدنيا والتخلي عن متاعها الفاني وان يشتري به ما يبقى من متاع الاخرة وقد
عرفت غير مرة اطلاق لفظ البيع هنا وقيد المشتري بما يبقى والثمن بما يزول ليكون المشتري حبيبا الى النفوس لبقائه وقوله فترحلوا فقد
جد بكم امر بالترحل وهو قطع منزل منزل من منازل السفر الى الله تعالى في مراتب السلوك لطريقه وتنبيه على وجوب الترحل بقوله فقد
جد بكم اي في السير الى آجالكم بقوة وذلك الجد يعود الى سرعة توارد الاسباب التي تعد المزاج للفساد وتقربه الى الاخرة ملاحظة
لشبهها بسائق الابل ونحوها وقوله واستعدوا للموت فقد اظلكم الاستعداد له هو باستكمال النفوس كمالها الذي ينبغي حتى لا ينبغي
للموت عندها كثير وقع بل يكون محبوبا لكونه وسيلة الى المحبوب هو لقاء الله والسعادة الباقية في حضرة الملأ الاعلى ونبه بقوله فقد
اظلكم على قربه واستلزم ذلك تشبيهه بالسحاب المطر فاستعير له وصف الاظلال وقوله وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا تنبيه لهم على
الالتفات الى منادي الله وهو لسان الشريعة والانتباه من مرقد الطبيعة وقوله وعلموا الى قوله فاستبدلوا تنبيه لهم على ان الدنيا ليست
بدار لهم ليلتفتوا عن الركون اليها ويتوقعوا الاخراج منها ثم امرهم بالاستبدال بها لتذكروا ان هناك عوضا منها يجب ان يلتفت اليه وهو الدار
الاخرة ونبه بقوله فان الله لم يخلقكم عبثا الى الاخرة على وجوب العمل لذلك التبدل فانهم لم يخلقوا الا لامر وراء ما هم فيه وقوله وما بين احدكم
الى قوله ينزل به تعيين لما خلقوا له ووعد بالوصول اليه وانه لا حائل بينهم وبينه الا الموت قال بعض الشارحين وهذا الكلام تمام على
مسلك الحكماء في تفسيرهم للجنة والنار فانهم لما قالوا ان الجنة تعود الى المعارف الالهية ولوازمها والنار تعود الى حب الدنيا والميل الى
مشتهياتها وتمكن الهيئات الرديئة في جوهر النفس وعشقها بعد المفارقة لما لا تتمكن من العود اليه كمن نقل عن مجاورة معشوقه والالتذاذ
به الى موضع ظلماني شديد الظلمة مع عدم تمكنه من العود اليه كما قال تعالى قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا الاية وكان ادراك
لذة المعارف التامة والم النار بالمعنى المذكور معنى امرا يتحقق حال مفارقة هذا البدن اذ كان الانسان في عالم الشهادة غير مدرك لما حصل
في نفسه وتمكن من الهيئات كعضو مفلوج غطي جذوه على الكيه فاذا زال الخدر احس بالالم فكذلك النفس بعد الموت تدرك ما لها من لذة
او الم كما هو لزوال الشواغل البدنية عنها قلت وهذا الكلام ايضا ظاهر على مذهب المتكلمين اذ جاء في الخبر ان العبد يكشف له عند الموت
عما يستحقه من جنة او نار ثم يؤجل ذلك الى قيام القيمة الكبرى وقوله وان غاية الى قوله المدة كنى بالغاية عن الاجل المعلوم للانسان ثم نبه
على قصره وحقارته بامرين احدهما كونه تنقصه اللحظة الى النظرة وهو ظاهر فان كل جزء من الزمان فرض قد مضى من مدة الانسان ينقص
منها الثاني كونه تهدمه الساعة كنى بالساعة عن وقت الموت ولا شك ان الان الذي ينقطع فيه علاقة النفس مع البدن غاية لاجل الانسان وغاية البدن
فكنى بالهدم عن ذلك الانقطاع والانتهاء كناية بالمستعار وظاهر ان مدة هذا شانها في غاية القصر وقوله وان غائبا الى قوله الاوبة اشار
بالغائب الى الانسان اذ كان في الدنيا غائبا عن بيته ومحل سفره ومنزله الحقيقي انما هو منشاؤه وما اليه مرجعه وانما سمي الليل والنهار جديدين
لتعاقبهما فليس احدهما مختلفا للاخر واستعار لفظ الحادي لهما باعتبار كونهما من اعداد الانسان لقرب اجله المشبه لصوت الحادي الذي يعد الابل
لسرعة سيرها وقربها من المنزل المقصود لها وظاهر ان من كان الليل والنهار حاديين له فهو في غاية سرعة الرجوع الى مبدئه ووطنه الاصلي
وقال بعض الشارحين اراد بالغائب الموت وهو وان كان محتملا الا انه لا يطابقه لفظ الاوبة لان الموت لم يكن حتى يرجع وقوله وان

هي ما تعلق عندها الي

نادما الى قوله العزة اشار بالقادم بالفوز والشقوة الى الانسان حين قدومه على ربه بعد المفارقة فانه اما الفوز بالسعادة الباقية والحصول على الجنة والشقوة وبه بذكر القدوم على ان هذا اشارة فالواجب عليه ان يستعد بافضل عدة يصل بها الى جهة الدهر ويبتعد بها عن اكرههما عنده وقوله فتزودوا الى قوله عدة فصل نوع تفضيل افضل العدة وهو الزاد الذي يجهز الانسان به نفسه يوم القيمة من النقب في نار جهنم وغليل حرها واشار بذلك الزاد الى تقوى الله وخشيته وقد علمت حقيقة الخشية والخوف وانه انما يحصل في الدنيا واما كونه من الدنيا فلان الاثار الحاصلة للنفس من الحالات والملكات كالخشية والخوف وسائر ما يتزوده وتستصحبه بعد المفارقة امور انما حصلت عن هذا البدن واستفيدت من الدنيا بواسطته والمشابهة التي لاجلها استعار لفظ الزاد هنا هو ما يشترك فيه الزاد المحسوس والتقوى من سلامة المتزود بهما كل منهما بحسبه فالاول في المنازل المحسوسة من عذاب الجوع والعطش المحسوسين وهذا في المنازل المعقولة ومراتب السلوك ومراحل السفر الى الله تعالى من عذاب الجوع المعقول وقوله فاتقى عبد ربه الى قوله تهونوا ورد بلفظ الماضي خاليا عن العطف وهي بلاغة ترتيب المعنى في احسن صورة فالامر بالتقوى تفسير بالامر بالزاد كما قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى والامر بنصيحة النفس بالنظر في مصالحها والتوفر عليها ان تعمل ما هو الاولى بها من التمسك بحدود الله والوقوف عندها والامر بتقديم التوبة وغلب الشهوة هو من جملة الامر بالنصيحة كالتفسير له ومن لوازم التقوى ان يدفعهما واراد بتقديم التوبة على الورود بالنسبة الى كل وقت سيحضر وقوله فان اجله الى قوله شقوة حث على امتثال اوامره السابقة الى التوبة وغيرها وتحذير من هجوم المنية على غفلة لما يستلزم ذلك من شدة الحسرة وطول الندم على التفريط وذلك ان ستر الاجل عن الانسان موجب للغفلة عنه فاذا انضاف الى ذلك خداع الامل الناشئ عن وساوس الشيطان في تزيينه المعصية وتسويفه التوبة مع كونه موكلا به وقرينا له كما قال سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا ويولد معه قرين من الشيطان كانت الغفلة اشد والنسيان اكد واستعار لفظ الخداع لصورته من النفس الامارة بالسوء وهو قولها للانسان مثلا تمتع من شبابك واغتنم لذة العيش ما دمت في مهلة وستقبل من عمرك وستلحق بالتوبة ونحو ذلك من الاباطيل فان هذه صورة خداع من الشيطان واما نسبة ذلك الى الامل فلان الامل هو عزم النفس على فعل تلك الامور وامثالها في مستقبل الاوقات عن توهم طول الحيوة واتباعها لما تفعله فيهما من معصية وتوبة وذلك العزم من اسباب الانخداع للشيطان وغروره فلذلك نسب الخداع الى الامل مجازا وجعل غاية ذلك الخداع هو ان تهجم على المخدوع منيته حال ما هو في اشد غفلة عنها واشتغال بما يؤمله فيكون ذلك مستلزما لاعظم حسرة واكبر ندامة على ان يكون عمره عليه حجة شاهدا بلسان حاله على ما اكتسب فيه من الاثام فصار بعد ان كان وسيلة اسعاده سببا لشقاوته وتعقل نصب على الحال وحسرة على التمييز للمتعجب منه المدعو واللام في لها قيل للاستغاثة كانه قال يا للحسرة على الغافلين ما اكثرك وقيل بل لام الجر فتحت لدخولها على الضمير والمنادى محذوف وتقديره يا قوم ادعوكم لها حسرة وان في موضع النصب بحذف الجار كانه قيل فعلام تقع عليهم الحسرة فقال على كون اعمارهم حجة عليهم يوم القيمة وقوله نسأل الله تعالى الى قوله كابة خاتمة الخطبة وسأل الله الخلاص عن امور ثلثة **الاول** ان يخلصه من شدة الفرح بنعمة الدنيا فان ذلك من لوازم محبتها المستلزمة للهلاك الابدي **الثاني** ان لا تقصر به غاية عن طاعة ربه اي لا يقصر عن غاية من غايات الطاعة فيقال قصرت هذه الغاية به فلان اذا لم يبلغها **الثالث** ان لا تحل به بعد الموت ندامة ولا حزن وذلك سؤال الحسم اسبابهما وهو اتباع الهوى في الدنيا والعدول عن طاعة الله وبالله العصمة

ومن خطبة له عليه السلم الحمد لله الذي لم يسبق له حال حالا فيكون اولا قبل ان يكون اخرا ويكون ظاهرا قبل ان يكون باطنا كل مسمى بالوحدة غيره قليل وكل عزيز غيره ذليل وكل قوي غيره ضعيف وكل مالك غيره مملوك وكل عالم غيره متعلم وكل قادر غيره يقدر ويعجز وكل سميع غيره يصم عن لطيف الاصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها وكل بصير غيره يعمى عن خفي الالوان ولطيف الاجسام وكل ظاهر غيره غير باطن وكل باطن غيره غير ظاهر لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان ولا تخوف من عواقب زمان ولا استعانة على ند مثاور ولا شريك مكاثر ولا ضد منافر ولكن خلائق مربوبون وعباد داخرون لم يحلل في الاشياء فيقال هو فيها كائن ولم ينأ عنها فيقال هو منها بائن لم يؤده خلق ما ابتدأ ولا تدبير ما ذرأ ولا وقف به عجز عما خلق ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدر بل قضاء متقن وعلم محكم وامر مبرم المأمول مع النقم المرهوب مع النعم **اقول** المثاور المواثب والداخر الذليل وذرأ الامر انقله وذرأ خلق والمبرم المحكم وقد اشتملت هذه الخطبة على مباحث لطيفة من العلم الالهي ايضا لا يطلع عليها الا المبرهنون فيه **الاول** الذي لم يسبق الى قوله باطنا اقول انه لما ثبت ان السبق والمقارنة والقبلية والبعدية امور تلحق الزمان لذاته وتلحق الزمانيات به وثبت انه تعالى منزه عن الزمان اذ كان من لواحق الحركة المتاخرة عن وجود الجسم المتاخر عن وجود الله سبحانه كما علم ذلك في موضعه لا جرم لم تلحق ذاته المقدسة وما لها من صفات الكمال

ونعوت الجلال شيء من لواحق الزمان فلم يجز اذن ان يقال مثلا كونه عالما قبل كونه قادرا او قبل كونه مريدا او كونه حيا قبل كونه عالما ولا كونه اولا للعالم قبل كونه اخرا له قبلية وبعدية زمانية بمعنى ان يقال ان القبلية والبعدية قد تطلق بمعان اخر كالقبلية بالشرف والفضيلة والذات والعلية وقد بينا في الخطبة الاولى ان كل ما يلحق ذاته المقدسة من الصفات فاعتبارات تحدثها العقول عند مقايسته الى مخلوقاته وشيء من تلك الاعتبارات لا يتفاوت ايضا بالقبلية والبعدية باحد المعاني المذكورة بالنظر الى ذاته المقدسة فلا يقال مثلا هو المستحق لهذا الاعتبار قبل هذا الاعتبار او بعده والا لكان كماله قابلا للزيادة والنقصان بل استحقاقه بالنظر الى ذاته لما يصح ان يعتبر لها استحقاق واحد لجميعها دائما والاحال ان يعرض الا وهو يستحق فيه ان له الاولية والاخرية معا استحقاقا اوليا ذاتيا لا على نحو الترتيب وان تفاوتت الاعتبارات بالنظر الى عقولنا وهذا بخلاف غيره من الامور الزمانية فان الجوهر مثلا يصدق عليه كونه اولا من العرض ولا يصدق عليه مع ذلك انه اخر له حتى لو فرضنا عدم جميع الاعراض وبقاء الجوهر بعدها لم يكن استحقاقه للاعتبارين معا بل استحقاقه لاعتبار الاولية متقدم اذ كان بعض احواله سابقة على بعض ولا استحقاقه لهما لذاته بل بحسب بقاء اسبابه ولا العرض لما صدق عليه انه بعد الجوهر يصدق عليه انه قبله باعتبار ما وخلاف المختلفين في نفي الصفات اقدم مبني على سوء تصورهم لصانعهم سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا اذا عرفت ذلك فنقول اوليته هو اعتبار كونه مبدأ لكل موجود واخريته هو كونه غاية لكل ممكن وقد سبق معنى كونه ظاهرا وباطنا في الخطبة التي اولها الحمد لله الذي بطن خفيات الامور **الثاني** كل مسمى بالوحدة غيره قليل مقصود هذه الكلمة انه تعالى لا يوصف بالقلة وان كان واحدا وتقريره ان الذات الواحد يقال بمعان والمشهور منها المتعارف بين الخلق كون الشيء مبدأ الكثرة ويكون عادا لها ومكيالا وهو الذي يلحقه القلة والكثرة الاضافيتان فان كل واحد بهذا المعنى قليل بالنسبة الى الكثرة التي يصلح ان يكون مبدأ لها والمتصور لاكثر اهل اللغة لم يصدق هذا الاعتبار على الله بل ربما لا يتصور بعضهم كونه تعالى واحدا الا بهذا الوجه ولما كان تعالى منزها عن القلة والكثرة لما يستلزمانه من الحاجة والنقصان اللازمين لطبيعة الامكان اثبت القلة لكل ما سواه فاستلزم مباينتها لغيره في معرض المدح له ونفيها عنه واستلزم ذلك تنزيهه تعالى عن الواحدية بالمعنى المذكور اذ سلب اللازم يستلزم سلب ملزومه وليس اذا بطل كونه واحدا بهذا المعنى بطل كونه واحدا فانا بينا صدق الواحد عليه بمعان اخر في الخطبة الاولى وقد يفهم من هذا انه لما نفي عنه القلة استلزم ذلك ان يثبت له الكثرة وهو من سوء الفهم وقلة العلم فان عدم القلة انما يستلزم ثبوت الكثرة عند تقابلهما على محل من شانه قبولهما وربما قيل ان المراد بالقليل هنا الحقير وهو غير مناسب لذكر الوحدة وانما قال كل مسمى بالوحدة ولم يقل كل واحد ليشعر بان قولنا الوحدة على واحد يقال عليه تعالى وعلى واحد غيره فقول بحسب اشتراك الاسم **الثالث** وكل عزيز غيره ذليل فقول رسم العزيز بانه الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول ثم في كل واحد من هذه القيود الثلثة كمال ونقصان فالكمال في قلة الوجود ان يرجع الى واحد ويستحيل ان يوجد مثله وليس ذلك الا الله سبحانه والكمال في النفاسة وشدة الحاجة ان يحتاج كل شيء في كل شيء وليس ذلك على الكمال الا الله تعالى والكمال في صعوبة المنال ان لا يوصل الى حقيقته على معنى الاحاطة بها وليس ذلك على الكمال الا الله تعالى فهو اذن العزيز المطلق الذي كل موجود سواه ففي ذل الحاجة اليه وحقارة العبودية بالنسبة الى كمال عزته فاما العزيز من الخلق فهو الذي توجد له تلك الاعتبارات لكن لا مطلقا بل بالقياس الى من هو دونه في الاعتبارات المذكورة فهو وان صدق عليه انه عزيز بتلك الاعتبارات الا انه في ذل الحاجة الى من هو اعلى رتبة منه واكمل في تلك الاعتبارات وكل من هو اعلى منه الى ان ينتهي الى العزيز المطلق الذي لا يلحقه ذل باعتبار ما فلذلك ثبت ان الذل لكل عزيز سواه **الرابع** وكل قوي غيره ضعيف القوة تعود الى تمام القدرة ويقابلها الضعف ولما كان استناد جميع الموجودات الى تمام قدرته علمت انه لا تام من قدرته فكل قوة وصف بها غيره فبالنسبة الى ضعف يقابلها لمن هو دونه واذا قيس بالنسبة الى من هو فوقه كان ضعيفا بالنسبة اليه وكل من هو فوقه الى ان ينتهي الى تمام قدرة الله فهو القوي الذي لا يلحقه ضعف بالقياس الى احد غيره وكل قوله وكل مالك غيره مملوك فان معنى المالك يعود الى القادر على الشيء الذي ينفذ مشيته فيه باستحقاق دون غيره وغيره بانه لما ثبت ان كل موجود سواه فهو في تصريف قدرته ومشيته لانه مستند وجوده ثبت انه هو المالك المطلق الذي ليس له مملوكية بالقياس الى شيء اخر وان كل ما سواه فهو مملوك له وان صدق عليه بالعرف انه مالك بالقياس الى من هو دونه ثم لا يخفى علينا مما سلف ان قوله القوي والمالك عليه وعلى غيره قول بحسب اشتراك الاسم عليه **الخامس** وكل عالم غيره متعلم لما ثبت ان علمه تعالى بالاشياء على ما مر من التفصيل انما هو لذاته ولم يكن شيء منه مستفادا من امر اخر وكان علم من سواه انما هو مستفاد بالتعلم من الغير ثم العلم من الغير الى ان ينتهي الى علمه تعالى الفائض بالخيرات لا جرم كان كل عالم سواه متعلما وان سمي عالما فحصول العلم له وكان هو العالم المطلق الذي لا حاجة به في تحصيل العلم الى امر اخر **السادس** وكل قادر غيره يقدر ويعجز اقول قدرة الله تعالى تعود الى

كونه مصدرا للاثارة تاما فقدرة الغير فقد يراد بها قوة جسمانية منبثة في الاعضاء محركة لها نحو الافاعيل الاختيارية بالجرمانية يقابل القدرة بهذا المعنى وهو عدمها عما من شانه ان يقدر كما في حق الواحد منا وقد يراد بهما اعتباران اخران يتقابلان اذا عرفت ذلك فنقول القادر المطلق على كل تقدير هو مستند كل مخترع وموجود اختراعا بتفرده ويستغني فيه عن معاونة غيره وذلك انما يتحقق في حق الله سبحانه فاما كل ما نسب الى القدرة سواه فهو وان كان بالجملة ذا قدرة الا انها ناقصة لتناولها بعض الممكنات فقط وقصورها عن البعض الاخر وعدم تناولها له اذ كانت لا تصلح للمخترعات وان نسب اليه ايجاد شيء فلانه فاعل اقرب وواسطة بين القادر الاول سبحانه وبين ذلك الاثر لا لذاته استقلالا وتفردا به على ما علم في مظانه فكل قادر سواه فلذاته يستحق العجز وعدم القدرة بالنسبة الى ما يمكن تعلق قدرته به من سائر المخترعات والممكنات وانما يستحق القدرة من وجوده نعم فهو ان الفاعل المطلق الذي لا يعجزه شيء عن شيء ولا يستعصي على قدرته شيء **السابع** وكل سميع غيره يصم عن لطيف الاصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها اقول حس السمع في الحيوان عبارة عن قوة تنفذ من الدماغ الى الاذن في عصبة نابتة منه الى الصماخ مبسوطة عليه كجلد الطبل وهذه العصبة الة هذه القوة والصوت هيئة تحصل في الهواء عن تموجه بحركة شديدة اما من قرع يحصل من اصطكاك جسمين صلبين فينضغط الهواء بينهما وينفلت بشدة واما من قلع شديد فينفلج الهواء بين الجسمين المنفصلين الصلبين ويحصل عن السببين تموج الهواء على هيئة مستديرة كما يفعل وقوع الحجر في الماء فاذا انتهى ذلك التموج الى الهواء الذي في الاذن تحرك ذلك الهواء الراكد حركة مخصوصة بهيئة مخصوصة فتنفعل العصبة المفروشة على الصماخ عن تلك الحركة وتدركها القوة السامعة هناك فهذا الادراك يسمى سماعا اذا عرفت ذلك فاعلم ان ادراك هذه القوة للصوت يكون على قرب وبعد وحد من القوة والضعف مخصوص فانه ان كان الصوت ضعيفا او بعيد المحل لم يحصل بسببه تموج الهواء فلم يصل الى الصماخ فلم يحصل السماع وذلك معنى قوله يصم عن لطيف الاصوات ويذهب عليه ما بعد منها فان قلت لم خص اللطيف بالصمم عنه والبعيد بالذهاب عليه قلت يشبه ان يكون لان البعيد في مظنة ان يسمع وانما يفوته بسبب عدم وصول الهواء الحامل له اليه واما الخفي فلما لم يكن من شانه ان تدركه القوة السامعة اشبه عجزها عن ادراكه الصمم فاستعير لفظه له واما ان كان الصوت في غاية القوة والقرب فربما احدث الصمم وذلك لشدة قرعه للصماخ وتفرق اتصال الروح الحامل لقوة السمع عنه بحيث يبطل استعدادها لتادية القوة الى الصماخ وكل ذلك من نقصان الحيوان وضعفه ولما كان الباري تعالى منزها عن الجسمية ولواحقها لاجرم كانت هذه اللواحق من الصمم عن لطيف الاصوات وذهاب بعيدها والصمم من كبيرها مخصوصة بمن له تلك القوة المذكورة والسمع المخصوص فكل سامع غيره فهو كذلك واستلزم ذلك في معرض مدحه تنزيهه سبحانه عنها وانه ليس سميعا بالمعنى المذكور وقد نطق القران باثبات هذه الصفة له فهو سميع بمعنى انه لا يعزب عن ادراكه مسموع وان خفي فيسمع السر والنجوى بل ما هو ادق واخفى حمد الحامدين ودعاء الداعين وذلك هو السميع الذي لا يتطرق اليه الحدثان اذ لم يكن باله واذان **الثامن** وكل بصير غيره يعمى عن خفي الالوان ولطيف الاجسام اقول خفي الالوان مثلا كاللون في الظلمة واللطيف قد يكون بمعنى عديم اللون كما في الهواء وقد يكون بمعنى رقيق القوام كالجوهر الفرد عند المتكلمين وكالذرة واللطيف بالمعنيين غير مدرك للحيوان واطلاق لفظ العمى مجاز اذ كان عبارة اما عن عدم البصر مطلقا او عن عدمه عما من شانه ان يبصر ولا واحد من هذين الاعتبارين بموجود للبصير غير الله فلم يكن عدم ادراكهما عمى حقيقيا بل لكون العمى من اسباب عدم الرؤية اطلق لفظه عليه اطلاقا لاسم السبب على المسبب وهذا الحكم في معرض مدحه يستلزم تنزيه بصره عن لواحق العمى ومظنه اذ كان سبحانه منزها عن معروض العمى والبصر ومتعاليا عن ان يكون ادراكه بحدقة واجفان وانطباع الصور والالوان وان كان شاهدا ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى واذ ليس بصيرا بالمعنى المذكور فهو البصير عندنا انه مدرك لكمال الصفات المبصرات وتلك الاعتبارات اوضح واجلى مما يفهم من ادراك البصر القاصر على ظواهر المرئيات **التاسع** وكل ظاهر غيره باطن اقول ظهور الاشياء هو انكشافها للحس وللعقل انكشافا بينا ويقابله بطونها وهو خفاؤها عن احدهما ولما ثبت انه تعالى منزه عن الجسمية ولواحقها علم كونه منزها عن ادراك الحواس ولما قام البرهان على انه تعالى بريء عن انحاء التراكيب الخارجية والعقلية وجب تنزه ذاته المقدسة عن اطلاع العقول عليها فعلم من هذا الترتيب انه لا يشارك الاشياء في معنى ظهورها وقد وصف نفسه بالظاهر فيجب ان يكون ظهوره عبارة عن انكشاف وجوده في جزئيات اثاره كما قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وان كانت مشاهدة الحق له على مراتب متفاوتة ودرجات متصاعدة كما اشار اليه بعض محققي السالكين ما راينا شيئا الا ورأينا الله بعده فلما ترقوا عن تلك المرتبة درجة من المشاهدة والخلوص قالوا ما راينا شيئا الا ورأينا الله فيه فلما ترقوا قالوا ما راينا شيئا الا ورأينا الله قبله فلما ترقوا قالوا ما راينا شيئا سوى الله والاولى مرتبة الفكر والاستدلال عليه والثانية مرتبة الحدس والثالثة مرتبة المستدلين به لا عليه والرابعة مرتبة الفناء في سلاسل عزته

بيان معنى الظهور لله

الوحدة

الوحدة المطلقة بحث وقاعها كل الاحق واذا عرفت معنى ظهوره علمت ان شيئا من الممكنات لا يكون له الظهور المذكور فانه وان كان لبعض الاشيا في عقل وحس الا انه ليس في كل عقل وفي كل حس اذ كل مطلع على شيء فالذي يخفى عنه اكثر مما اطلع عليه فكل ظاهر غيره فهو باطن بالقياس اليه وهو تعالى الظاهر لكل شيء وفي كل شيء لكونه مبدأ كل شيء ومرجع كل شيء **العاشر** وكل باطن غيره فهو ظاهر وقد علمت معنى البطون للممكنات وظهورها وعلمت ايضا مما سبق ان كونه باطنا يقال بمعنيين احدهما انه الذي خفي قدس ذاته عن اطلاع العقول عليه الثاني انه الذي بطن جميع الاشياء خبرة ونفذ فيها علمه ثم علمت المقابل للمعنى الاول واما المقابل للثاني فهو الذي لم يطلع الا على ظواهر الاشيا لم يكن له اطلاع على بواطنها يقال فلان ظاهر وظاهري اذا عرفت ذلك فنقول ان كل باطن غيره سواء كان المراد بالبطون خفاء المتصور او نفوذ العلم في البواطن فهو ظاهر بالقياس اليه تعالى ظهورا بالمعنى الذي يقابله اما الاول فلان كل ممكن وان خفي على بعض العالمين لم يخف على غيره وان خفي على الكل فظاهر في علمه تعالى ويمكن الظهور في علم غيره فليس اذن بخفي مطلقا وهو تعالى الباطن الذي لا ابطن منه وكل باطن غيره فهو ظاهر بالقياس اليه واما الثاني فلان كل عالم وان جل قدره فلا احاطة له ببعض المعلومات وهو قاصر عن بعضها وبعضها غير ممكن له وهو تعالى الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر وكل ظاهر بالقياس اليه وفي بعض النسخ وكل ظاهر غيره غير باطن وكل باطن غيره غير ظاهر ومعنى القضيتين ان كل ممكن ان كان ظاهرا منكشفا للعقل والحس لم يوصف مع ذلك بانه باطن كالشمس مثلا وان كان باطنا خفيا عن العقل والحس لم يوصف مع ذلك بانه ظاهر وهو تعالى الموصوف بانه الباطن الظاهر معا وفي هذه النسخة نظر فانا انما اثبتنا كونه تعالى ظاهرا وباطنا معا باعتبارين وفي بعض الممكنات ما هو كذلك كالزمان مثلا فان كل عاقل يعلم بالضرورة وجود الزمان وان خفيت حقيقته على جمهور الحكما واضطربت عليه اقوال العلماء وكذلك العلم فليس اذن كل ظاهر غيره غير باطن ولا كل باطن غيره غير ظاهر والله اعلم **الحادي عشر** لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان الى قوله مناقر اقول انه تعالى لا يفعل لغرض ومتى كان كذلك كان منزها عن خصوصيات هذه الاغراض اما الاول فبرهانه انه لو فعل لغرض لكان وجود ذلك الغرض وعدمه بالنسبة اليه تعالى اما ان يكونا على سواء او لم يكن والاول باطل والا لكان حصول الغرض له ترجيحا من غير مرجح والثاني باطل لانهما اذا لم يستويا كان حصول الغرض معتبرا في كماله فيكون بدونه ناقصا تعالى الله عن ذلك لا يقال ليست اولوية الغرض بالنسبة الى ذاته بل بالنسبة الى العباد اذ غرضه الاحسان الى الغير لانا نقول الاحسان الى الغير وعدمه ان كانا بالنسبة اليه على سواء عاد حديث الرجحان بلا مرجح وان كان احدهما اولى به عاد حديث الكمال والنقصان واذا عرفت انه تعالى لا يفعل لغرض فكل ما ذكره عليه السلام في هذا الفصل من تشديد سلطان وتقوية او تخوف عاقبة زمان او استعانة على ند وشريك وضد اغراض علمت صدق قوله انه لم يخلق شيئا مما خلقه لشيء من هذه الامور وهذا تنزيه من طريق نفي الغرض المطلق واما تنزيهه تعالى عن خصوصيات هذه الاغراض فلان تشديد السلطان انما يحتاج اليه ذو النقصان في ملكه ولما كان تعالى هو الغني المطلق في كل شيء صدق ان تشديد السلطان ليس غرضا له مما خلق واما التخوف عن عواقب الزمان فلان التضرر والانتفاع ولواحقهما من الخوف والرجاء ونحوهما انما هي من لواحق الممكنات القابلة للنقصان والكمال بما هو في معرض التغير والزوال ولما ثبت تنزيهه تعالى عن الانفعال عن شيء لم يتصور ان يكون احد هذه الامور غرضا له وكذلك الاستعانة على الند والضد والشريك فان الاستعانة هي طلب العون من الغير وذلك من لوازم الضعف والعجز والخوف وانه لا عجز فلا استعانة ولا ند ولا شريك ولا ضد وكذلك نقول لا ند ولا شريك ولا ضد فلا استعانة ولا غرض تنزيه سبحانه عن صفات المخلوقين وخواص المحدثين وقوله لكن خلائق مربوبون وعباد داخرون اي بل خلائق خلقهم بمحض جوده وهو فيضان الخير عنه على كل قابل بقدر ما يقبله من غير بخل ولا منع ومعوق وبذلك الاعتبار كان كل شيء مربوبا له وهو رب كل شيء وكل عبد ذليل هو مالكه ومولاه. وقوله لم يحلل في الاشيا فيقال هو فيها كائن اشارة الى صفة سلب كونه ذا محل وللتكلم في تنزيهه تعالى عن المحل كلام طويل والمعقول من الحلول عند الجمهور قيام موجود بموجود على سبيل التبعية له وظاهر ان الحلول بهذا المعنى على واجب الوجود محال لان كونه تبعا للغير يستلزم حاجته اليه وكل محتاج ممكن قال افضل المتاخرين نصير الدين الطوسي ابقاه الله والحق ان حلول الشيء في الشيء لا يتصور الا اذا كان الحال بحيث لا يتعين الا بتوسط المحل واذ لا يمكن ان يتعين واجب الوجود بغيره فاذن يستحيل حلوله في غيره اذا عرفت ذلك فنقول لما كان الكون في المحل والتنائي عنه والمباينة له امورا انما يقال على ما يصح حلوله فيه ومحله وكان هو تعالى منزها عن الحلول وجب ان يمتنع عليه اطلاق هذه الامور فاذ ليس هو بحال في الاشياء فليس هو بكائن فيها واذ ليس بكائن فيها فليس بناء عنها ولا مباين لها وقوله لم يؤده خلق ما ابتدأ ولا تدبير ما ذرأ الاعيا انما يقال للذي له اعضاء من الحيوان واذ ليس تعالى بجسم ولا ذي اعضاء ثبت انه لم يلحقه بسبب فعله اعياء وانما قال ما ابتدأ ليكون سلب الاعياء عنه ابلغ اذ ما ابتدئ من الافعال يكون المشقة فيه اتم وتدبيره يعود الى تصريفه لجميع الذوات والصفات دائما تصريفا كليا وجزئيا على وفق حكمته وعنايته ونحوه قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن وقوله ولا وقف به عجز عما خلق اشارة الى كمال قدرته وان العجز عليه محال وقد سبق بيانه وقوله ولا ولجت

عن كل شيء

اذ عرض له اذا علم ان الشبهة

عليه شبهة فيما مضى وقد ر اشارة الى كمال علمه ونفى الشبهة انما تدخل على العقل في الامور المعقولة الصرفة بغير الصرفة وتقرير ذلك انك علمت ان
الوهم لا يصدق في حكم الا في المحسوسات فاما الامور المعقولة الصرفة فحكمه فيها كاذب فالعقل حال استنقاصه له وجد الحق فيها يكون معارضا
بالاحكام الوهمية فاذا كان المطلوب غامضا فربما كان في الاحكام الوهمية ما يشبه بعض اسباب المطلوب فتصوره النفس بصورته وتعتقده
مبدا فينتج الباطل في صورة الباطل المطلوب لشبهه به ولما كان الباري تعالى منزها عن القوى البدنية وكان علمه لذاته لم يجز ان يعرض
لقضائه ولا قدره شبهة ويدخل عليه فيه شك لكونهما عوارضهما وقد عرفت معنى القضاء والقدر فيما سبق وقوله بل قضاء متقن
وعلم محكم اي بريء من فساد الشبهة والغلط وقوله ولم تمزجه اشارة الى قدره الذي هو تفصيل قضائه المحكم وظاهر ان تفصيل الحكم لا يكون
الا محكما وقوله المأمول مع النقم المرهوب مع النعم اقول منبع هذين الوصفين هو كمال ذاته وعموم فيضه وانه لا غرض له وانما الجود المطلق والهبة
لكل ما يستحقه ولما كان العبد حال حلول نقمته به قد يستعد بالاستغفار والشكر لافاضة الغفران ورفع النقم فيفيضها عليه مع
بقاء كثير من نعمه لديه كان تعالى مظنة الامل والفزع اليه في رفع ما الفي وابقاء ما ابقى حتى انه تعالى هو المفيض لصورة الامل واليه اشار بقوله
تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وكل حال افاضته نعمه لما كان العبد قد يستعد بالغفلة للاعراض عن شكرها
كان تعالى في تلك الحال اهلا لان يفيض عليه بوادر نقمته بسلبها فكان هو المأمول مع النقم المرهوب مع النعم فهو المستعان به عليه وهو
الذي لا مفر منه الا اليه ومن عداه فمأمول نعمه غير تام الامل رحمته وقيام نعمته معاند لشمول رهبته فلا مأمول ولا مرهوب في
كل الحالين سواه وبالله العصمة والتوفيق **ومن كلام له عليه السلام** كان يقول لاصحابه في بعض ايام صفين معاشر المسلمين استشعروا
الخشية وتجلببوا السكينة وعضوا على النواجذ فانه انبى للسيوف عن الهام واكملوا اللامة وقلقلوا السيوف في اغمادها قبل
سلها والحظوا الخزر واطعنوا الشزر ونافحوا بالظبى وصلوا السيوف بالخطى واعلموا انكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله
فعاودوا الكر واستحيوا من الفر فانه عار في الاعقاب ونار يوم الحساب وطيبوا عن انفسكم نفسا وامشوا الى الموت مشيا سجحا
وعليكم بهذا السواد الاعظم والرواق المطنب فاضربوا ثبجه فان الشيطان كامن في كسره قد قدم للوثبة يدا واخر للنكوص
رجلا فصمدا صمدا حتى ينجلي لكم عمود الحق وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم **اقول** المشهور ان هذا الكلام
قاله عليه السلام لاصحابه في اليوم الذي كان مساؤه ليلة الهرير وروي انه قال في اول اللقاء بصفين وذلك في صفر سنة سبع وثلثين استشعرت
الشيء اتخذته شعارا وهو ما يلي الجسد من الثياب والجلباب الملحفة والسكينة الثبات والوقار والنواجذ اقصى الاضراس ونبا السيف اذا
رجع في الضريبة ولم يعمل واللامة بالهمزة الساكنة الدرع وبالمد وحذف الهمزة مع تضعيف الميم جميع آلات الحرب والقلقلة التحريك والخزر بفتح
الزاي ضيق العين وصغرها وكذلك تضييقها والنظر بمؤخرها عند الغضب والطعن الشزر بسكون الزاي الضرب على غير استقامة بل
يمينا وشمالا والظبى جمع ظبة وهو طرف السيف والمنافحة المناولة باطراف السيوف والاعقاب جمع عقب وجمع عقب وهو العاقبة
والسجح اي سهلا والسواد الجمهور الكثير والرواق بيت كالفسطاط يعمل على عمود واحد والثبج وسطه والكسر جانب الخباء والنكوص الرجوع
والصمد القصد ولن يتركم اي ينقصكم واعلم ان الاوامر مشتملة على تعليم الحرب والمقاتلة وهي كيفية يستلزم الاستعداد بها افاضة النصر
لا محالة **فاولها** الامر باستشعار خشية الله كما يلزم الشعار الجسد وهو استعارة كما سبق وفائدة هذا الامر الصبر على الحرب والقتال
جميع امور الباقية او خشية الله مستلزمة لامتثال اوامره ومن ذلك قدمه **الثاني** الامر باتخاذ السكينة جلبابا اي تزيلا للثبات له
لذاته منزلة الملحفة في شمولها للبدن والشمول هو وجه الاستعارة وفائدة هذا الامر طرح الفشل وارهاب العدو فان الطيش والاضطراب
يستلزمان الفشل وطمع العدو **الثالث** الامر بالعض على النواجذ وفائدته ما ذكره وهو ان ينبو السيف عن الهامة وعلته ان العض على
النواجذ يستلزم تصلب العضلات والاعصاب المتصلة بالدماغ فيقاوم ضربة السيف ويكون نكايته فيه اقل والضمير في قوله فانه يعود
الى المصدر الذي دل عليه عضوا كقولك من احسن كان خيرا له وقال بعض الشارحين عض النواجذ كناية عن تسكين القلب وطرد الرعدة
ليس المراد حقيقته قلت هذا وان كان محتملا لو قطع عن التعليل الا انه غير مراد هاهنا لانه يضيع تعليله بكونه انبى للسيوف عن الهام **الرابع**
الامر باكمال اللامة وكمال الدرع البيضة والسواعد ويحتمل ان يريد باللامة جميع آلات الحرب وما يحتاج اليه فيه وفائدته شدة التحصن
الخامس الامر بقلقلة السيوف في الاغماد وفائدته سهولة جذبها حال الحاجة فان طول مكثها في الاغماد يوجب صداها وصعوبة مخرجها   البهام
حال الحاجة **السادس** الامر بلحظ الخزر وذلك من هيئات الغضب فان الانسان اذا نظر من غضب عليه نظره خزرا وفائدته امور احدها حماء
الطبع واستثارة الغضب والثاني ان النظر بكلية العين الى العدو امارة الفشل ومن عوارض الطيش والخوف وذلك يوجب طمع العدو
الثالث ان النظر بكليتها اليه يوجب له التفطن والحذر واخذ الاهبة والتحرز والنظر خزرا استغفال له ومظنة لاخذ غرته **السابع**
الامر بالطعن الشزر وذلك ان الطعن يمينا وشمالا يوسع المجال على الطاعن ولان اكثر المناوشة للخصم في الحرب يكون عن يمينه وشماله
الثامن الضرب باطراف السيوف وفائدته ان مخالطة العدو والقرب الكثير منه يشغل عن التمكن من ضربه **التاسع** الامر بوصل السيوف

بالخطى وله فائدتان احدهما ان السيف ربما يكون قصيرا فلا ينال الغرض به فاذا اضاف اليه مد اليد والخطوات بلغ به المراد وفيه قول الشاعر
اذا قصرت اسيافنا كان وصلها خطانا الى اعدائنا فنضارب وقول الآخر نصل السيوف اذا قصرن بخطونا يوما ونلحقها اذا لم تلحق
وقيل لرجل ما اقصر سيفك فقال اطوله بخطوة الثانية ان التقدم في الحرب الى العدو والتقدم اليه خطوات في حال المكافحة يكسر توهم الضعف
في عدوه ويلقي في قلبه الرعب ويداخله الرهبة واليه اشار حميد بن ثور الهلالي ووصل الخطا بالسيف والسيف بالخطا اذا ظن
ان المرء ذا السيف قاصر ثم لما اراد تاكيد تلك الاوامر في قلوبهم وان يزيدهم اوامر اخرى ردف ذلك بامرين احدهما ان الله تعالى
يراهم وينظر كيف يعملون وذلك قوله واعلموا انكم بعين الله والباء هنا كهي في قولك انت مني بمرأى ومسمع الثاني تذكيرهم بكونهم مع
ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله تنبيها لهم على فضيلته وان طاعته كطاعة رسول الله وحربه كحربه كما هو المنقول عنه حربك يا علي حربي ليثبتوا على قتال   حيث من
عدوهم كما ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله **العاشر** الامر بمعاودة الكر وذلك عند التحرف للقتال والانحياز الى الفئة وان
يستحيوا من الفرار ثم نبههم على قبحه بامرين احدهما انه عار في الاعقاب اي انه عار باق في اعقابكم وسنة باقية خلفكم والعرب تنفر من العار
كثيرا الثاني كونه نارا يوم الحساب اي يوجب استحقاق النار وهو من كبائر المعاصي وجعله نارا مجازا تسمية له باسم غايته وهو تذكير
لهم بوعيده تعالى ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير **الحادي عشر**
قوله وطيبوا عن انفسكم نفسا وهو تسهيل للموت عليهم لتهون عليهم شدة ما يلقونه من الشدائد في الحرب بالبشارة بما هو اعظم واجل
من الحيوة الدنيا المطلوبة بترك القتال وهو ما اعد لهم من الثواب الباقي وهو كما يقول احدنا للمنفق ماله مع حبه له طب نفسا
عما ذهب منك فان الصدقة مضاعف لك عند الله وتجده خيرا واعظم اجرا ونفسا منصوب على التمييز واشار بها الى النفس المدبرة
لهذا البدن وبالاولى الى الشخص الزائل بالقتل **الثاني عشر** الامر بالمشي الى الموت سجحا اي مشيا سهلا لا تكلف فيه ولا تخشع
فان المتكلف سريع الفرار وهو امر لهم بالمشي الى غاية ما يخافون من القتال ليوطنوا انفسهم عليه وليتمرنوا على الحرب زمن العادة ان
يستقر الشجاع بمثل ذلك فيسارع الى داعيتها لما يتصوره فيه من جميل الذكر وحسن الاحدوثة وروي سمحا والمعنى واحد وقوله عليكم
بالسواد الاعظم الى قوله الجبناء اقول لما شحذهم بالاوامر المذكورة عين مقصدهم واشار بالسواد الاعظم الى اهل الشام مجتمعين وبالرواق
المطنب الى مضرب معوية وكان معوية اذ ذاك في مضرب عليه قبة عالية باطناب عظيمة وحوله من اهل الشام مائة الف قد تعاهدوا ان لا
ينفرجوا عنه حتى يقتلوا وعين لهم وسط الرواق واغراهم به بقوله ان الشيطان كامن في كسره واراد بالشيطان معوية وقيل عمرو بن العاص وذلك
ان الشيطان لما كان عبارة عن شخص يضل الناس عن سبيل الله وكان معوية في اصحابه كذلك عنده لا جرم اطلق عليه لفظ الشيطان وقد
سبقت الاشارة الى معنى الشيطان ويحتمل ان يريد الشيطان ولما كانت محال الفساد هي مظنة ابليس وكان المضرب قد ضرب على غير   الملتزم
طاعة الله كان محلا للشيطان فلذلك استعار له لفظ الجلوس في كسره وقوله وقد قدم للوثبة يدا واخر للنكوص رجلا كناية عن تردد معوية
وانتظاره لامرهم ان جبنوا وثب وان شجعوا نكص وهرب وعبر عن الشيطان على سبيل الاستعارة الوثبة والنكوص باليد والرجل ويكون تقديم يده
للوثبة كناية عن تزيينه لاصحاب معوية الحرب والمعصية وتاخيره للنكوص الرجل كناية عن تهيئته للفرار اذا التقى الجمعان كما حكى الله سبحانه عنه فلما
تراءى الجمعان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم الآية فان قلت فما معنى نكوص الشيطان على رأي من فسره بالقوة الواهمة ونحوها قلت
لما كانت وسوسته مقودا لها ثم الى النفس صورة ما يحكم بحسنه لها فقط دون امر آخر كما حكى الله تعالى عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا
ان دعوتكم الآية كان نكوصه يعود الى اعراض الوهم عند عض الحرب ومشاهدة المكروه عن ذلك الحكم ورجوعه عنه وهو معنى قوله اني ارى
ما لا ترون وقد ذكر ان الوهم اذن يحكم بالهرب والاندفاع عن المخوف بعد ان كان قد زين الدخول فيه فيكون اذن قوله اني اخاف الله
والله شديد العقاب هو اذعانه لحكم العقل فيما كان يراه من طاعة الله بترك المعصية بالحرب وكل ذلك من تمام اغراء اصحابه باهل الشام
وتنبيههم على ان باعثهم في الحرب ليس الا الشيطان وانه لا غرض له الا فتنتهم ثم الرجوع والاعراض عنهم **الثالث عشر** امرهم
بقصد عدوهم مؤكدا له بتكريره اي اصمدوا والصمد الى غاية ان يظهر لكم نور الحق بالنصر واستعار لفظ العمود للحق الظاهر عن الصبح
للمشاركة بينهما في الوضوح والجلاء فالصبح للحس والحق للعقل ولفظ التجلي ترشيح الاستعارة كنى به عن ظهوره ووضوحه والمعنى الى ان
يتضح لكم ان الحق معكم بظفركم بعدوكم وقهره اذ الطالب لغير حقه سريع الانفعال قريب الفرار في المقاومة وقوله وانتم الاعلون الآية
تسكين لنفوسهم وبشارة بالمطلوب بالحرب وهو العلو والقهر كما بشر الله تعالى به الصحابة في قتال المشركين وتثبيت لهم على المضي في طاعته فان
حزب الله هم الغالبون وقوله ولن يتركم اعمالكم تذكير لهم بجزاء الله لهم اعمالهم في الآخرة وبعث لهم بذلك على لزوم العمل له وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلام قالوا لما انتهت الى امير المؤمنين عليه السلام انباء السقيفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله قال عليه السلام ما قالت الانصار قالوا
قالت منا امير ومنكم امير قال فهلا احتججتم عليهم بان رسول الله صلى الله عليه وآله وصى بان يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم قالوا وما في هذا من الحجة
عليهم فقال عليه السلام لو كانت الامارة فيهم لم تكن الوصية بهم ثم قال فماذا قالت قريش قالوا احتجت بانها شجرة الرسول صلى الله عليه وآله فقال احتجوا بالشجرة

واضاعوا الثمرة **أقول** الانباء التي بلغته عليه السلام هي اخبار ما جرى بين الانصار والمهاجرين من المشاجرة في امر الامامة وايقاعهم
البيعة لابي بكر وخلاصة القصة انه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة وهي صفة كانوا يجتمعون
بها فخطبهم سعد بن عبادة ومدحهم في خطبته واغراهم بطلب الامامة وقال ان لكم سابقة في الاسلام ليست لقبيلة من العرب ان رسول الله صلى الله عليه وآله
لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم الى عبادة الرحمن فما آمن به من قومه الا قليل والله ما كانوا يقدرون ان يمنعوه ولا يدفعوا عنه ضيما
حتى اراد الله بكم خير الفضيلة وساق اليكم الكرامة ورزقكم الايمان به والاقرار بدينه فكنتم اشد الناس على من تخلف عنه منكم واثقله
على عدوه من غيركم حتى استقاموا لامره ودانت لاسيافكم العرب وانجز الله لنبيه بكم الوعد وتوفاه وهو عنكم راض فشدوا ايديكم بهذا الامر
فانتم احق الناس به فاجابوه جميعا ان وفقت واصبت ولم نعد وانا نوليك هذا الامر وانمى الخبر ابا بكر وعمر فجاءا مسرعين الى السقيفة فتكلم
ابو بكر وعمر فجاءا مسرعين الى السقيفة فتكلم ابو بكر فقال للانصار الم تعلموا انا معاشر المهاجرين اول الناس اسلاما ونحن عشيرة رسول الله صلى الله عليه وآله
وانتم انصار الدين ووزراء رسول الله صلى الله عليه وآله واخواننا في كتاب الله وانتم المؤثرون على انفسهم واحق الناس بالرضا بقضاء الله والتسليم لما ساق
الله الى اخوانكم وان لا يكون انتقاض هذا الدين على ايديكم وانا ادعوكم الى بيعة ابي عبيدة او عمر فكلاهما قد رضيت لهذا الامر فقال عمر وابو
عبيدة ما ينبغي لاحد من الناس ان يكون فوقك انت صاحب الغار ثاني اثنين وامرك رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلوة فانت احق بهذا الامر فقالت
الانصار نحن انصار الدار والايمان لم يعبد الله علانية الا عندنا وفي بلادنا ولا عرف الايمان الا من اسيافنا ولا جمعت الصلوة الا في مساجدنا
فنحن اولى بهذا الامر فان ابيتم فمنا امير ومنكم امير فقال عمر هيهات لا يجتمع سيفان في غمد ان العرب لا ترضى ان تؤمركم ونبيها من غيركم فقال
الحباب بن المنذر نحن والله احق بهذا الامر انه قد دان لهذا الامر باسيافنا من لم يكن يدين له ولئن لم ترضوا اخلينا لكم عن بلادنا انا جذيلها
المحكك وعذيقها المرجب ان شئتم لنعيدنها جذعة والله لا يرد علي احد ما اقول الا حطمت انفه بسيفي هذا فقام بشير بن سعد الخزرجي
وكان يحسد سعد بن عبادة ان يصل اليه هذا الامر وكان سيدا في الخزرج وقال انا لم نرد بجهادنا واسلامنا الا وجه ربنا لا عرضا من
الدنيا وان محمدا رجل من قريش وقومه احق بميراث امره واتقوا الله ولا تنازعوهم معشر الانصار فقام ابو بكر فقال هذا عمر وابو عبيدة بايعوا
ايهما شئتم فقالا لا والله لا نتولى هذا الامر عليك وانت احق به ابسط يدك فبسط يده فبايعاه وبايعه
بشير بن سعد وبايعه الاوس كلهم وحمل سعد بن عبادة وهو مريض فادخل منزله وقيل انه بقي ممتنعا من البيعة حتى مات بحوران في طريق الشام
ولنرجع الى المتن فنقول اما الخبر الذي رواه عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله فحجة عليهم وهو صحيح اخرجه مسلم والبخاري في مسنديهما
عن انس قال ابو بكر والعباس بمجلس من مجالس الانصار في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يبكون فقالا ما يبكيكم فقالوا ذكرنا مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله
فدخلا على الرسول فاخبراه بذلك فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله معصبا على راسه حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله واثنى
عليه ثم قال اوصيكم بالانصار فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم فاما
وجه احتجاجه بهذا الخبر فهو في صورة شرطية متصلة تستثني فيها نقيض تاليها وتقريرها لو كانت الامامة حقا لهم لما كانت الوصية
بهم لكنها بهم فليست الامامة لهم بيان الملازمة ان العرف قاض بان الوصية والشفاعة ونحوها انما يكون الى الرئيس في حق المرؤس من غير عكس
واما بطلان التالي فالخبر المذكور واما قوله احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة فاشار بالثمرة اما الى نفسه واهل بيته فانهم ثمرة الغصن المورق
المثمر لتلك الشجرة ولما استعير لفظ الشجرة لقريش استعار لفظ الثمرة لنفسه وقد عرفت قرابته عن رسول الله صلى الله عليه وآله وكونه ثمرة واضاعتهم
لها اهمالهم له من هذا الامر ويحتمل ان يريد بالثمرة التي اضاعوها سنة الله الموجبة في اعتقاده استحقاقه لهذا الامر وكونها ثمرة الرسول
صلى الله عليه وآله واهمالهم لها تركهم العمل بها في حقه وهو كلام في قوة احتجاج له على قريش بمثل ما احتجوا به على الانصار وتقديره انهم ان
كانوا اولى من الانصار لكونهم شجرة رسول الله صلى الله عليه وآله فنحن اولى لكوننا ثمرة وللثمرة اختصاص بالشجرة من وجهين احدهما القرب ومزيته ظاهرة و
الثاني ان الثمرة هي المطلوبة بالذات من الشجرة وغرسها فان كانت الشجرة معتبرة فبالاولى اعتبار الثمرة وان لم يلتفت الى الثمرة فبالاولى
ان لا يلتفت الى الشجرة ويلزم من هذا الاحتجاج احد امرين اما بقاء الانصار على حجتهم لقيام هذه المعارضة او كونه عليه السلام احق بهذا الامر وهو المطلوب
والله اعلم بالصواب **ومن كلام له عليه السلام** لما قلد محمد بن ابي بكر مصر فملكت عليه وقتل وقد اردت تولية مصر هاشم بن عتبة
ولو وليته اياها لما خلى لهم العرصة ولا انهزهم الفرصة بلا ذم لمحمد بن ابي بكر ولقد كان الي حبيبا وكان لي ربيبا **اقول** كان عليه السلام
ولى محمد بن ابي بكر مصر فلما اضطرب الامر عليه بعد صفين وقوي امر معاوية طمع في مصر وقد كان عمرو بن العاص بايعه على ان يكون بعد
ان قاتل عليا ويكون مصر له طعمة فبعثه اليها بعد صفين في ستة الاف فارس وقد كان فيها جماعة عظيمة ممن يطلب بدم عثمن وكانوا
يزعمون ان محمدا قتله فانضافوا الى عمرو وكان معاوية كتب الى وجوه اهل مصر اما الى شيعته فبالترغيب واما الى اعدائه فبالترهيب وكتب
محمد بن ابي بكر الى علي بالقصة يستمده بالمال والرجال فكتب اليه يعده بذلك فجعل محمد يدعو اهل مصر لقتال عمرو فانتدب معه
منهم اربعة الاف رجل فوجههم الى الفين عند كنانة بن بشر لاستقبال عمرو وبقي هو في الفين فابلى كنانة في ذلك اليوم بلاء حسنا وقتل

من عسكر عمرو

من عسكر عمرو خلقا كثيرا ولم يزل يقاتل حتى قتل هو ومن معه فلما قتل تفرق الناس عن محمد واقبل عمرو وطلب محمد فهرب منه مختفيا فالتجأ ج
الى خربة فاختفى فيها فدخل عمرو فسطاطه وخرج معاوية بن خديج الكندي وكان من امراء جيش عمرو في طلب محمد فظفر به وقد كاد يموت عطشا ٣٢
فقدمه فضرب عنقه ثم اخذ جثته فحشاها في جوف حمار ميت واحرقه وقد كان علي عليه السلام وجه لنصرته مالك بن كعب الى مصر نحوا من الفي رجل فسار
بهم خمس ليال وورد الخبر الى علي بقتله واخذ مصر فجزع عليه جزعا ظهر اثره في وجهه ثم قال رحم الله محمدا كان غلاما حدثا وقد كنت اردت
الفصل والنهض لتناول الشيء والفرصة النهضة وهي ما امكنك من نفسك وانما اراد تولية هاشم لقوته على هذا الامر وكثرة تجاربه وهاشم الممهر
هذا ابن عتبة بن ابي وقاص الذي كسر رباعية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد وكلم شفته وكان هاشم من شيعة علي والمخلصين في ولائه شهد معه حرب صفين
وابلى فيه بلاء حسنا واستشهد بين يديه بها وقوله لما خلى لهم العرصة اي عرصة الحرب كما فر محمد وظن انه ينجو بفراره ولو ثبت لثبت معه الناس
وقتل كريما وقوله ولا انهزهم الفرصة كنى بالفرصة عن مصر اي ولم يمكنهم من تناولها كما تمكنوا مع محمد وقوله بلا ذم لمحمد اي لست في مدحي
لهاشم ذاما لمحمد ونبه على برائته من استحقاق الذم بوجهين الاول انه كان لي حبيبا وطاعته لا يحب الا مرضيا لله ورسوله بريئا من العيوب
الفاضحة وقد كان محمد رضي الله عنه من نساك قريش وعبادها الثاني انه كان ربيبا له وذلك مما يستلزم محبته وعدم ذمه فاما كونه ربيبا
فلان ام محمد هي اسماء بنت عميس وكانت تحت جعفر بن ابي طالب وهاجرت معه الى الحبشة فولدت له عبد الله بن جعفر وقتل عنها يوم موتة فتزوجها
ابو بكر فولدت له محمدا ثم لما مات عنها تزوجها علي فكان محمد ربيبه ونشأ على ولايته منذ صبا وكان علي عليه السلام يحبه ويكرمه ويقول محمد ابني من ظهر
ابي بكر وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** في ذم اصحابه كم اداريكم كما تدارى البكار العمدة والثياب المتداعية كلما
حيصت من جانب تهتكت من آخر كلما اطل عليكم منسر من مناسر اهل الشام اغلق كل رجل منكم بابه وانجحر انجحار الضبة في جحرها والضبع
في وجارها الذليل والله من نصرتموه ومن رمي بكم فقد رمي بافوق ناصل انكم والله لكثير في الباحات قليل تحت الرايات واني
لعالم بما يصلحكم ويقيم اودكم ولكني والله لا ارى اصلاحكم بافساد نفسي اضرع الله خدودكم واتعس جدودكم لا تعرفون الحق
كمعرفتكم الباطل ولا تبطلون الباطل كابطالكم الحق **اقول** البكار جمع بكر وهو الفتي من الابل والعمدة هي التي يشدخ سنامها اسمنها
ثقل الحمل والحوص الخياطة وتهتكت تخرقت واطل اشرف والمنسر بكسر الميم وفتح السين والعكس القطعة من الجيش من المائة الى المائتين وقد
سبق وانجحر الضب دخل جحره وهو في بيته وبيت الضبع وجاره والافوق الناصل السهم لا فوق له ولا نصل والباحة ساحة الدار والاود الاعوجاج
واضرع اذل واتعس اهلك وهذا الفصل يشتمل على توبيخ اصحابه لتقاعدهم عن النهوض معه الى حرب اهل الشام وذكر وجوه التوبيخ **الاول**
حاجتهم الى المداراة الكثيرة وليس ذلك من شيم الرجال ذوي العقول بل من شان البهائم ومن لا عقل له وشبههم في حاجتهم الى المداراة بشيئين
احدهما بالبكار التي قد انهكها حملها ووجه الشبه بينها وبينهم هو قلة صبرهم وشدة اشفاقهم وفرارهم من التكليف بالجهاد واستغاثتهم
كما يشتد ضجرة البكر العمد وفراره من معاودة الحمل الثاني بالثياب المتداعية وهي التي يتبع ما لم يتخرق منها ما انخرق وفي مثل حاله ووجه
الشبه ما ذكره وهو قوله كلما حيصت من جانب تهتكت من آخر اي كما ان الثياب المتداعية كذلك فكذا اصحابه كلما اصلح حال بعضهم جمعهم
للحرب فسد بعض آخر عليه **الثاني** شهادة حالهم عليهم بالجبن والرعب وهو قوله كلما اطل الى قوله وجارها وكنى باغلاق كل منهم بابه بسبب
قرب بعض جيوش الشام منهم عن فرارهم من القتال وكراهية سماعهم للحرب وشبههم في ذلك الخوف والفرار بالضبة والضبع حين ترى الصياد
او امر المخافة وانما خص الاناث لانها اولى بالمخافة من الذكران **الثالث** وصفهم بالذلة وقلة الانتفاع بهم فنبه على وصف الذل بقوله الذليل
والله من نصرتموه فانه انما يكون ذليلا لكونهم كذلك ويحتمل ان يشير بذلك الى سوء ارائهم في التفرق والاختلاف ثم بالغ في ذلك بحصر الذل
المنتصر بهم فيمن نصروه ونبه على قلة الانتفاع بهم بقوله ومن رمي بكم فقد رمي بافوق ناصل استعار لهم من اوصاف السهم اردءها وكنى بذلك
عن عدم فايدتهم ونكايتهم في العدو كما لا فائدة في الرمي بالسهم الموصوف **الرابع** وصفهم بالكثرة في المجامع والاندية مع قلتهم في الحرب وتحت
الالوية وذلك يعود الى الذم بالجبن ايضا والعار به فان قلة الاجتماع في الحرب والتفرق عنه من لوازم الخوف وكما ان مقابل هذا الوصف وهو
الاجتماع والكثرة في الحرب مع القلة في غيره مدح كما قال ابو الطيب ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا فبالحري
ان كان هذا الوصف ذما كما قال عويف القوافي لستم اقل الناس عند لوائهم واكثرهم عند الذبيحة والقدر وقوله واني لعالم الى قوله اودكم
اراد انه لا يصلحهم الا السياسة بالقتل ونحوه كما فعل الحجاج حين ارسل المهلب الى الخوارج روي انه نادى في الكوفة من تخلف عن المهلب بعد ثلث
فقد احل دمه فقتل جماعة فخرج الناس الى المهلب يهرعون وكما يفعله كثير من الملوك وقوله ولكني لا ارى اصلاحكم بافساد نفسي اي لما لم يكن
ليستحل من دماء اصحابه ما يستحل ملوك الدنيا من رعيتهم لارادة اثبات ملكهم ولو فعل ذلك لاجرم لم ير اصلاحهم بالقتل اذ كان اصلاحهم
بذلك سببا لفساد نفسه بلزوم اثامهم لها ولما كان من الواجب في الحكمة ان يكون اصلاح الانسان للغير فرعا على اصلاح نفسه اولا لم يتصور
من مثله عليه السلام ان يفعل فعلا يستلزم فساد نفسه وان اشتمل على وجه من المصلحة فان قلت الجهاد بين يدي الامام العادل واجب فلم لا يحملهم عليه
فلم لا يجيز قتلهم قلت الجواب من وجهين احدهما انه ليس كل واجب يجب في تركه القتل كالحج الثاني لعله لو شرع في عقوبتهم بالقتل على تركه

الجهاد معه لشر تواعد الى خصمه او سلموه اليه واتفقوا على قتله وكل هذه مفاسد اعظم من تقاعدهم عن دعوته لهم في بعض الاوقات وقوله
اضرع الله الى آخره دعا عليهم بالذل وهلاك الحظ ثم نبههم على علة استحقاقهم لدعائه وهي الجهل ثم ما ينشأ عنه من ظلم انفسهم اما الجهل فعدم
معرفتهم بالحق كمعرفتهم الباطل وادبارهم عن امر الله واراد بمعرفتهم الباطل معرفتهم باحوال الدنيا وباطلها والاشتغال بها عن امر الله
ويحتمل ان يشير به الى ما يعرض لبعضهم من الشبهة الباطلة في قتال اهل القبلة فيوجب لهم التوقف والتخاذل عن الحرب ويكون مكاثرتهم معرفتهم
للباطل والحق تنبيها على قوة جهلهم المركب هو اشد الجهل وغاية توبيخهم بكونهم عن قسمي الجهل فالبسيط هو عدم معرفتهم للحق والمركب هو
تصديقهم بالباطل واما الظلم فهو ابطالهم للحق وذلك اشارة الى تخاذلهم عن طاعة الله وتصامهم عن سماع مناديه واجابته وعدم ابطالهم
للباطل اشارة الى عدم انكارهم للمنكر من انفسهم وغيرهم وبالله التوفيق **وقال عليه السلام** في سحرة اليوم الذي ضرب فيه ملكتني عيني وانا جالس
فسنح لي رسول الله ص فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من امتك من الاود واللدد فقال ادع عليهم فقلت ابدلني الله بهم خيرا لي منهم وابدلهم بي
شرا لهم مني **اقول** السحرة السحر الاعلى واما كيفية قتله ع فمذكور في التواريخ وقوله ملكتني عيني استعارة حسنة ويجوز في التركيب اما الاستعارة
فلفظ الملك للنوم ووجه الاستعارة دخول النائم في غلبة النوم وقهره ومنعه له ان يتصرف في نفسه كما يمنع الملك العبد من التصرف في امره
واما التجوز ففي العين وفي الاسناد اليها اما الاول فاطلاق لفظ العين على النوم لما بينهما من الملابسة اذ اطباق الجفون من عوارضهما واما الثاني
فاسناد الملك الى النوم المتجوز فيه بلفظ العين وقوله وانا جالس وقوله فسنح الى آخره اراد بالسنح حضور صورة رسول الله ص في لوح خياله
كما علمت وشكايته منهم وجواب الرسول له يستلزم امرين احدهما انه ع كان في غاية الكرب من تقصيرهم في اجابته ودعوته الى الجهاد حتى
انتهت حاله الى مثله الثاني عدم رضا رسول الله ص عنهم وقوله ابدلهم بي شرا لهم مني لا يستلزم ان فيه شرا كما قدمنا بيانه وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلام في ذم اهل العراق اما بعد يا اهل العراق فانما انتم كالمرأة الحامل حملت فلما اتمت املصت ومات قيمها و
طال تأيمها وورثها ابعدها اما والله ما اتيتكم اختيارا ولكن جئت اليكم سوقا لقد بلغني انكم تقولون يكذب قاتلكم الله
فعلى من اكذب على الله فانا اول من آمن به ام على نبيه فانا اول من صدقه كلا والله ولكنها لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من اهلها ويل امه
كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء ولتعلمن نبأه بعد حين **اقول** املصت سقطت والايم التي لا بعل لها واللهجة اللسان والقول الفصيح
وهذا الكلام صدر عنه بعد حرب صفين وفيه مقصودان الاول توبيخهم على تركهم للقتال بعد ان شارفوا النصر على اهل الشام وتحاكمهم الى
التحكيم وابرز هذا المقصود في تشبيههم بالمرأة الحامل وذكر لها اوصافا خمسة وهي وجوه الشبه بينها وبينهم فالحمل يشبه استعدادهم وتعبئتهم للحرب
الاتمام يشبه مشارفتهم للظفر والاملاص يشبه رجوعهم عن عدوهم بعد طمعهم في الظفر به وذلك رجوع غير طبيعي للحامل ولا معتاد لها ثم موت
القيم بامورها وهو زوجها وطول تأيمها وذلك يشبه عدم طاعتهم له الجاري مجرى موته عنهم وطول ضعفهم لذلك ودوام عجزهم وذلتهم بعد
رجوعهم لتفرقهم الى خوارج وغيرهم فان موت قيم المرأة مستلزم لضعفها ودوام عجزها وذلتها ثم كونها قد استحق ميراثها البعيد منها لعدم
ولدها وزوجها وذلك يشبه من حالهم اخذ عدوهم الذي هو ابعد الناس عنهم ما لهم من البلاد واستحقاقه ذلك بسبب تقصيرهم عن مقاومته
وبهذه الوجوه من الشبه اشبهوا المرأة المذكورة وتم توبيخهم من هذه الجهة ثم اخبرهم على وجه التضجر من حاله معهم بانه لم يأتهم ايثارا للمقام بينهم
ولكن سوقا فقد ربما اضطره الى ذلك وصدق اذ لم يكن خروجه من المدينة التي هي دار الهجرة ومفارقته منزل رسول الله ص وقبره الى الكوفة الا
لقتال اهل البصرة وحاجته الى الاستنصار باهل الكوفة عليهم اذ لم يكن جيش الحجاز وافيا بمقاتلتهم ثم اتصلت تلك الفتنة بفتنة اهل الشام
فدامت حاجته الى المقام بينهم وروي ولا جئت اليكم شوقا بالشين المعجمة والمقصود الثاني توبيخهم على ما بلغه من تكذيبهم له ومقابلتهم على
ذلك برد احكام اوهامهم الفاسدة في حقه وذمهم بجهلهم وقصور افهامهم عما يفيده من الحكمة وهو قوله ولقد بلغني انكم تقولون يكذب
صورة دعواهم المقولة وقد كان جماعة من منافقي اصحابه اذا اخبر عن امور ستكون وكانت ثم اخبر عنها واسند ذلك الى رسول الله ص يتغامزون
فيما بينهم بتكذيبه فيما بعد ذلك كاخباره عن قصة الخوارج وما يكون منهم وعن ذي الثدية وانه سيقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين
ونحو ذلك من الامور الغريبة التي تستنكرها طباع العوام ولا يعقل اسرارها الا العالمون بل كانوا يكذبونه بحضرته روي انه لما قال لو
كسرت لي الوسادة لحكمت بين اهل التورية بتوريتهم وبين اهل الانجيل بانجيلهم وبين اهل القرآن بقرآنهم والله ما من آية نزلت في
بر او بحر او سهل او جبل ولا سماء ولا ارض الا وانا اعلم فيمن نزلت وفي اي شيء انزلت قال رجل من تحت المنبر يا لله وللدعوى الكاذبة
وكذلك لما قال سلوني قبل ان تفقدوني اما والله لتشعرن الفتنة الصماء برجلها وتطأ في خطامها يا لها فتنة شبت نارها بالحطب الجزل
مقبلة من شرق الارض رافعة ذيلها داعية ويلها بدجلة او حولها ذلك اذا استدار الفلك وقلتم مات او هلك باي واد سلك فقال
قوم من تحت منبره لله ابوه ما افصحه كاذبا وكأنها اشارة الى وقائع التتار وقابل دعواهم بامرين احدهما الدعاء عليهم بقوله قاتلكم الله وقد
علمت ان قتاله يعود الى مقته وابعاده عن رحمته الثاني الحجة وتقريرها ان الذي اخبركم به من هذه الامور انما هو عن الله وعن رسوله ص فلو
كذبت فيه لكذبت اما على الله وهو باطل لاني اول من آمن به واول مؤمن به لا يكون اول مكذب له او على نبيه وهو باطل لاني اول من صدقه

ما قال له بعض منافقي اصحابه

دائع

ج ١٢

واني مثله وقوله كلا والله تشدد لصدق دعواه بعد الحجة كانه قال فاذن دعواكم علي الكذب فيما اخبركم به باطلة وقوله ولكنها لهجة غبتم عنها
ولم تكونوا من اهلها يريد به بيان منشأ دعويهم الفاسدة لتكذيبه وذلك كون ما يقوله ويخبر به من الامور المستقبلة ونحوها طورا
وراء عقولهم الضعيفة التي هي بمنزلة اوهام سائر الحيوان ولبسوا لفهم اسرارها باهل واشار باللهجة الى تلك الاقوال واسرارها وبغيبتهم
عنها الى غيبة عقولهم عن ادراكها ومعرفة امكانها في حق مثله او الى غيبتهم عنها عند القاء الرسول ص قوانينها الكلية اليه وتعليمه لابوابها
وتفصيل ما اصل منها له وظاهر لما كانت عقول اولئك وامثالهم مقهورة تحت سلطان اوهامهم كانت اوهامهم مكذبا ومنكرا لمثل هذه
الاحكام لا جرم لم تنهض عقولهم لتصديقه فيها ولم تجوز اطلاعه عليها بل تابعت اوهامهم في الحكم بتكذيبه وحاله في ذلك مختصرة
من حال رسول الله ص مع منافقي قومه وقوله ويل امه قال الويل في الاصل دعاء بالشر وخبر به واضافته الى الام دعاء عليها ان تصاب باولادها
وقيل انها تستعمل للرحمة وقيل تستعمل للتعجب واستعظام الامر وقوله كيلا بغير ثمن اشارة الى ما يفيضه عليهم من الاخلاق الكريمة والحكم
البالغة التي لا يريد بها جزاء ولا ثمنا ثم لا يفقهونها ولا يجدون بها انفسهم لكون نفوسهم غير مستعدة لقبولها فليس لها اذن من تلك
الانفس دعاء يقبلها واستعار لفظ الكيل وكنى به عن كثرة ما يلقيه اليهم منها وهو مصدر استغنى به عن ذكر فعله فعلى هذا يحتمل ان يكون
ويل امه دعاء بالشر على من لم يفهم مقاله ولم يقتبس الحكمة منه والضمير لاثبات ذلك لو تعين وان لم يجر له ذكر سابق ومرجعه يعود اليه لكنه
موجود في كل شخص منهم وكانه قال ويل لامهم ويحتمل ان يكون ترحما لهم فان الجاهل مرحوم ويحتمل ان يكون تعجبا من قوة جهلهم
او من كثرة كيله للحكم عليهم مع اعراضهم عنها وقوله ولتعلمن نبأه بعد حين اقتباس لهذه الآية المفصحة عن مقصوده اي ولتعلمن نبأ
جهلكم واعراضكم عما امركم به وافيته اليكم من الحكم والآراء الصالحة ويكشف لهم ثمرة ذلك بعد حين واشار بالحين اما الى مدة الحياة
الدنيا وثمرة اعمالهم اذن الندامة والحسرة على ما فرطوا في جنب الله حيث لا ينفع الا الاعمال الصالحة وذلك حين تزول عنهم غواشي
ابدانهم وتطرح نفوسهم جلابيبها بالموت واما الى مدة قريبة وهي ما ستعلمون عاقبة فعلكم هذا بعد مفارقتي لكم ولما ثبت من استيلاء
بني امية من بعده وغيرهم بالقتل والذل والصغار وبالله العصمة والتوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** علم فيها الصلوة على النبي ص
اللهم داحي المدحوات وداعم المسموكات وجابل القلوب على فطراتها شقيها وسعيدها اجعل شرائف صلواتك ونوامي
بركاتك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق والفاتح لما انغلق والمعلن الحق بالحق والدافع جيشات الاباطيل
والدامغ صولات الاضاليل كما حمل فاضطلع قائما بامرك مستوفزا في مرضاتك غير ناكل عن قدم ولا واه في عزم واعيا لوحيك
حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبس القابس واضاء الطريق للخابط وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن
والآثام الى موضحات الاعلام ونيرات الاحكام فهو امينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك بالحق
ورسولك الى الخلق اللهم افسح له مفسحا في ظلك واجزه مضاعفات الخير من فضلك اللهم واعل على بناء البانين بناءه و
اكرم لديك منزلته واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة مرضي المقالة ذا منطق عدل وخطبة فصل اللهم اجمع بيننا وبينه
في برد العيش وقرار النعمة ومنى الشهوات واهواء اللذات ورخاء الدعة ومنتهى الطمأنينة وتحف الكرامة **اقول** المدحوات المبسوطات
والمسموكات المرفوعات ودعمها حفظها بالدعامة وجبل خلق والفطرات جمع فطرة وهي الخلقة والدمغ كسر عظم الدماغ وجيشات جمع جيشة
من جاشت القدر اذا ارتفع غليانها واضطلع بالامر قوي على حمله والقيام به من الضلاعة وهي القوة والاستيفاز الاستعجال والنكول
الرجوع والقدم التقدم والوهي الضعف ووعى الامر فقهه والقبس شعلة النار واورى ذكى اشعل وقد اشتملت هذه الخطبة على ثلثة فصول
الاول في صفات المدعو وتمجيده وهو الله سبحانه **الثاني** في صفات المدعو له وهو النبي ص **الثالث** في انواع المدعو به وذلك
الترتيب الطبيعي فبدأ بمجد الله تعالى باعتبارات ثلثة **احدها** كونه داحي المدحوات اي باسط الارضين السبع وظ كونها مدحوات فان كل
طبقة منها اذا اعتبرت كانت مبسوطة فاما صدق البسط على جملة الارض مع انها كرة وشهادة ظ قوله والارض بعد ذلك دحيها فذلك
وقوله والارض مددناها فهو باعتبار طبقاتها وقد يصدق عليها البسط باعتبار سطحها البارز من الماء الذي يتصرف عليه الحيوان
فانه في الاوهام سطح مبسوط وان كان عند الاعتبار العقلي محدبا واليه الاشارة بقوله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا والله جعل
لكم الارض بساطا **الثاني** داعم المسموكات اي حافظ السموات ان تقع على الارض فان قلت فقد قال في الخطبة الاولى بلا عمد تدعمها
ثم جعلها هاهنا مدعومة وهو الجمع قلت لم ينف هناك الا كونها مدعومة بعمد والاثبات كونها مدعومة بغير العمد وقد بينا هناك
ان الدعامة التي تقوم بها السموات قدرته تعالى **الثالث** كونه جابل القلوب على فطراتها شقيها وسعيدها اي خالق النفوس على ما خلقها
عليه من التهيؤ والاستعداد لسلوك سبيلي الخير والشر واستحقاق الشقاوة والسعادة بحسب القضاء الالهي كما قال تعالى ونفس وما سويها
فالهمها فجورها وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وقوله وهديناه النجدين اي الهمناه معرفة سلوك طريقي الخير
والشر واهل العرفان كثيرا ما يعبرون عن النفس بالقلب فقوله شقيها بدل من القلوب اي خالق شقي القلوب وسعيدها على فطراتها المكونة

صفات م

في اللوح المحفوظ فمن أخذت العناية الإلهية بزمام عقله على وفق ما كتب له قاعدة لقبول الهداية لسلوك سبيل الله فهو السعيد
ومن لحقته حبائل القضاء الإلهي تجذبه إلى مهاوي الهلكة فذلك هو الشقي البعيد وإليه الإشارة بقوله تعالى فمنهم شقي وسعيد
الآية وقوله واجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك بعض مطلوبات من هذا الدعاء وشرائف
صلواته ما عظم من رحمته وكمال جوده على النفوس المستعدة لها ونوامي بركاته ما زاد منها **الفصل الثاني** في ذكر النبي صلى الله عليه وآله
احد وعشرين وصفا على جهات استحقاق الرحمة من الله وزيادة البركة المدعو بها **الأول** كونه عبد الله وظاهر كون العبودية جهة
لاستحقاق الرحمة **الثاني** كونه رسولا له والرسالة نوع خاص من الاستعباد توجب مزيد الرحمة والشفقة **الثالث** كونه خاتما
لما سبق من أنوار الوحي والرسالة بنوره وما جاء من الدين الحق فظاهر كون ذلك جهة استعداد لقبول الرحمة وقد جاءت الكمال
الرابع كونه فاتحا لما انغلق من سبيل الله قبله وطريق جنته وحضرة قدسه بأنه رأس الشرائع فقد فتح تلك السبيل بشرعه وكيفية
هداية الخلق فيها **الخامس** كونه قد أظهر الحق بالحق والأول هو الدين وما يدعو إليه والثاني فيه أقوال فقيل هو المعجزات
إذ بسببها تمكن من إظهار الدين وقيل الحرب والخصومة يقال فلان حاق فلانا فحقه أي خاصمه فغلبه وقيل هو البيان أي
أظهر الدين بالبيان الواضح والأقوال الأشبه أنه أراد أظهر الحق بعضه ببعض وكل جزئي من الحق حق وذلك أن الدين لم يظهر دفعة
وإنما بني الإسلام على خمس ثم كثرت فروعه وهو بالأصل يظهر الفرع وظاهر كون إظهاره للحق جهة لاستحقاق الرحمة **السادس** كونه
دافعا لجيشات الأباطيل أي ثوران فتن المشركين وابتغائهم لإطفاء أنوار الله ولفتنتهم السابقة التي كانت معتادة من الغارات
وحروب بعضهم لبعض فإن كل تلك أمور باطلة على غير قانون عقلي من الله وذلك الدفع من جهات قبول الرحمة **السابع** كونه دامغا صولات
الأضاليل وهو قريب من السادس استعار لفظ الدمغ لإهلاك الضلال بالكلية بحركة مقدمة صلى الله عليه وآله ووجه الاستعارة
كون الدمغ مهلكا للإنسان فأشبه ما أهلك الباطل ومحاه من أفعال الرسول والضلال هنا الآراء المنحرفة عن طريق الله اللازم عن
الجهل بها واستعار لفظ وصف الصولات لملاحظة تشبيه المنحرفين عن سبيل الله إلى الفساد في قوة انحرافهم وشدة فسادهم بالفحل
الصائل **الثامن** كونه حمل الرسالة فقام بما كلف به وقوي عليه وقام على الحال وكل المضمونات بعده وهي مستوفرة عنه
ناكل وكلك محل الأوامر وواعيا وحافظا وماضيا وفي قوله كما حمل لطف أي صل عليه صلاة مناسبة مشابهة لتحميلك له
الرسالة وقيامه بها لأن الجزاء من الحكيم العدل يكون مناسبا للفعل المجزي ولأجل كونها جهة استحقاق في طلب ما يناسبها
التاسع كونه عجلا في رضا الله بامتثال أوامره **العاشر** كونه غير ناكل عما ينفذه فيه من طاعة الله **الحادي عشر** كونه ماضيا لتقدم
في القيام بأوامر الله غير واهن **الثاني عشر** كونه واعيا لوحيه ضابطا له قوي النفس على قبوله **الثالث عشر** كونه حافظا لعهده الذي أخذ
عليه من تبليغ الرسالة وأداء الأمانة وقد سبق بيان معنى العهد في الخطبة الأولى **الرابع عشر** كونه ماضيا على إنفاذ أمره
في العالم وجذب الخلق إلى سلوك سبيله **الخامس عشر** ما انتهى إليه من الغاية باجتهاده في رضا الله وهو كونه
أورى قبس القابس أي شعل أنوار الدين وقدح زناد الأفكار حتى أظهر أنوار العلوم منها للمقتبسين واستعار لفظ القبس
لنور العلم والحكمة ولفظ الوري لإظهار الرسول لتلك الأنوار في طريق الله وقد سبق وجه الاستعارة **السادس عشر**
كونه أضاء الطريق للخابط فالطريق هي طريق الجنة والحضرة الإلهية وإضاءته لها بإظهار تلك الأنوار وبيانها بتعليم كيفية سلوكها
والإرشاد إليها والخابط هو الجاهل الذي فقد الحكمة الإلهية والإرشاد حيث كان يخبط في ظلمات الجهل **السابع عشر**
كونه قد هديت به القلوب إلى موضحات الأعلام أي الأدلة الواضحة على الحق ونيرات الأحكام أي المطالب الحقة الواضحة اللائقة
من تلك الأدلة بعد ما كانت القلوب فيه من خوضات الفتن والآثام اللازمة عما اجترحته من السيئات وذلك من لوازم **الثامن عشر**
كونه أمين الله أي على وحيه ورسالته والمأمون تأكيد الأمانة وقد عرفت معنى الأمانة **التاسع عشر** كونه خازن علمه المخزون
أي علومه اللدنية الغيبية التي لا يناهل لحملها كل البشر المشار إليها بقوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول
العشرون كونه شهيدا يوم الدين كقوله تعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا أي شاهدا يوم القيامة
على أمته بما علم منهم من خير أو شر فإن قلت ما حقيقة هذه الشهادة وما فائدتها مع أن الله تعالى عالم الغيب والشهادة قلت أما
حقيقتها فيعود إلى اطلاعه صلى الله عليه وآله على أفعال أمته وبيان ذلك أنك علمت فيما سلف أن للنفوس القدسية الاطلاع على
الأمور الغائبة والانتقاش بها مع كونها في جلابيب من أبدانها فكيف بها إذا فارقت هذا العالم والجسم المظلم فإنها إذن تكون مطلعة
على جميع أفعال أممها ومشاهدة لها من خير أو شر وأما فائدتها فقد علمت أن أكثر أحكام الناس وهميه والوهم منكر للإله على الوجه
الذي هو الإله الحق أن ينكر كونه عالما بجزئيات أفعال عباده ودقائق خطرات أوهامهم وظاهر أن ذلك الإنكار يستتبع عدم المبالاة
بفعل القبيح والانهماك في الأمور الباطلة التي نهى الله تعالى عنها فإذا ذكرهم أن عليهم شهداء ورقباء وكتابا لما يفعلون مع صدق كل

ج
١٠٢

ذلك بالحسن يأويل كان ذلك مما يعين العقل على كسر النفس الأمارة بالسوء وقهر الأوهام الكاذبة وردع النفس عن متابعة الهوى ثم لا بد
لكل رسول من أمناء على دينه وحفظة لهم لا هم شهداء أيضا على من بعده إلى قيام الساعة وإذا كان معنى الشهادة يعود إلى اطلاع الشاهد
على ما في ذمة المشهود عليه وعلمه بحقيقته ففائدتها حفظ ما في ذمة المشهود عليه وتخوفه أن يجحده أو لم يوصله إلى مستحقه أن يشهد
عليه الشاهد فيفضحه وينتزع منه على أقبح وجه كان هذا المعنى والفائدة قائمين في شهادة الأنبياء عليهم السلام إذ بها تحفظ أوامر الله
وتكاليفه التي هي حقوقه الواجبة ويحصل الخوف للمقصرين فيها بذكر شهادة الرسل عليهم بالتقصير فيفتضحوا في محفل القيامة ويستوفى
منهم جزاء ما كلفوا به فقصروا فيه بالعقاب الأليم لا جرم ظهر معنى كونهم شهداء الله على خلقه **الحادي والعشرون** كونه مبعوثا
بالحق وهو الدين الثابت المبلغ نفعه وثمرته في الآخرة أعاد ذكر كونه رسول الله إلى خلقه وإنما كرره لأنه الأصل في باقي الأوصاف وظاهر
أن كل هذه الأوصاف جهات استحقاق الرحمة والبركة وإفاضة الصلوات الإلهية على نفسه المقدسة **الفصل الثالث** في تفصيل
المطلوب من هذا الدعاء وهو كونه اللهم افسح له في الآخرة وطلب أمورا **أحدها** أن تفسح له مفسحا في ظله أي مكانا متسعا في حضرة قدسه
وظل جوده ولفظ الظل مستعار للجود ووجه المشابهة أن المستظل بالظل من حر الشمس فأشبههما راحة الملتجئ إلى جود الله
المستظل به من حرارة جهنم وسعيرها عذابه وإليه الإشارة بقوله تعالى في ظل ممدود **الثاني** أن تجزيه مضاعفات الخير من فضلك أي
يضاعف له الكمالات من نعمك وقد علمت أن مراتب استحقاق نعم الله غير متناهية **الثالث** أن تعلي على بناء البانين بناءه ويحتمل
أن يريد ببنائه ما شيده من الدين فيكون إعلاء المطلوب هو تمام دينه وإظهاره على الأديان كلها ويحتمل أن يريد به ما شيده
من الملكات الخيرية واستحقه من مراتب الجنة وقصورها **الرابع** أن تكرم لديه منزلته وهو أن تنزله المنزل المبارك الموعود وقل
رب أنزلني منزلا مباركا **الخامس** أن تتم له نوره وهو إما النور الذي بعث به وإتمامه انتشاره في قلوب العالمين وإما النور الذي
في جوهر ذاته وتمام زيادة كماله **السادس** أن تجزيه عن بعثته قبول شهادته ورضا مقالته ومقبول الجزاء منطوق نصب على الحال وقبول
شهادته كناية عن تمام الرضى عنه إذ من كان مقبول الشهادة مرضي القول فلا بد وأن يكون بريئا من جهات الرذائل المسقطة وكناية عن
كون معتقداته ومشاهداته من أعمال أمته وغيرها بريئة عن كدر الأغاليط وشوائب الأوهام وكذلك رضا أقواله في شفاعته و
غيرها وكونه ذا منطق عدل أي لا جور فيه عن الحق وخطبة فصل أي مميزة للحق فاصلة له من الباطل وكل هذه الاعتبارات وإن اختلفت
مفهوماتها فهي ترجع إلى مطلوب واحد وهو طلب زيادة كماله وقربه من الله تعالى وقوله اللهم اجمع إلى آخره سأل الله أن يجمع بينه وبين
الرسول في أمور **أحدها** برد العيش والعرب يقول عيش بارد إذا كان لا كلفة فيه من حرب وخصومة وهو في الآخرة يعود إلى المراتب
المرتضية في الجنة من كدر الأتعاب **الثاني** قرار النعمة أي مستقرها وهو الجنة وحضرة رب العالمين **الثالث** منى الشهوات وهو ما تتمناه
النفس من المشتهيات وهواه من اللذات بنعيم الأبد **الرابع** رخاء الدعة ومنتهى الطمأنينة أي قناع سكون النفس بالله مفارقة
الحق والأنس بالملأ الأعلى وإنها من مرغبات الدنيا وأخسها من معانا الآفات **الخامس** تحف الكرامة وهي ثمرات الجنة وطرفها
الدائمة وسائر ما أعده للمتقين ولنا أنه الآن ثمة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر **ومن كلام له عليه السلام**
قال لمروان بن الحكم بالبصرة قالوا لما أخذ مروان بن الحكم أسيرا يوم الجمل فاستشفع بالحسن والحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين فكلماه
فيه فخلى سبيله فقالا له يبايعك يا أمير المؤمنين فقال لم يبايعني بعد قتل عثمان لا حاجة لي في بيعته إنها كف يهودية لو بايعني بيده
لغدر بسبته أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه وهو أبو الأكبش الأربعة وستلقى الأمة منه ومن ولده موتا أحمر **أقول** السبت
الاست والإمرة بالكسر الولاية وكبش القوم رئيسهم ولما امتنع من بيعة مروان نبه على سبب امتناعه من ذلك وهو أنه مظنة الغدر وذلك
قوله إنها كف يهودية إذ من شأن اليهود الخبث والمكر والغدر ثم قرر ذلك لكنايته بقوله لو بايعني بيده لغدر بسبته وذكر السبة إهانة له
لأن الغدر من أقبح الرذائل فنسبه إلى السبة أولى والسب والعرب تسلك مثل ذلك في كلامها قال المتوكل يوما لأبي العيناء إلى متى تمدح
الناس وتذمهم فقال ما أحسنوا وأساؤوا ثم قال يا أمير المؤمنين إن الله تعالى رضي فمدح فقال نعم العبد إنه أواب وسخط فذم فقال عتل بعد
ذلك زنيم والزنيم ولد الزنا ثم ذكر ما سيكون من أمر مروان ثلاثة أمور **أحدها** أنه سيصير أمير المسلمين ونبه على قصر مدة إمارته
بتشبيهها بلعقة الكلب أنفه ووجه الشبه هو القصر وكانت مدة إمارته أربعة أشهر وعشرا وروي ستة أشهر وإنما خصه بلعقة الكلب لأنه
في معرض الذم والخبث فيما كهو في قوله أما إنه سيظهر عليكم **الثاني** أنه سيكون أبا للأكبش الأربعة وكان له أربعة ذكور
لصلبه وهم عبد الملك ولي الخلافة وعبد العزيز ولي مصر وبشر ولي العراق ومحمد ولي الجزيرة ويحتمل أن يريد بالأربعة أولاد
عبد الملك وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام كلهم ولي الخلافة ولم يلها أربعة إخوة إلا هم **الثالث** إخبارها بما يصيب الناس من
ذريته من الفساد في الأرض وما يلقى الناس منهم من القتل وانتهاك الحرم وكنى عن قتلهم للناس وشدائد ما يلقون منهم بالموت
الأحمر ومن لسان العرب وصف الأمر الشديد بالأحمر ولعله لكون الحمرة وصف الدم كنى به عن القتل وروي موتا أحمر وهو كناية عن مدة

مرهم ووصفه ما حرزه كتابه عن شدة وقبائح بني امية ودمارهم للاسلام واهله مشهور وفي كتب التواريخ مسطور **ومن كلام له عليه السلم**
في بيعة عثمن لقد علمتم اني احق بها من غيري والله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين ولم يكن فيها جور الا علي خاصة التماسا لاجر ذلك
وفضله وزهدا فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه **اقول** الزخرف الزينة ويقال الذهب والزبرج النقش والزينة
بالحلية ايضا وقوله لقد علمتم اني احق بها يشير الى ما علموه من وجه استحقاقه للخلافة وهو استجماعه للفضائل الداخلية والخارجية
والضمير في بها للخلافة وهو اما ان يعود الى ذكرها في فصل تقدم متصلا بهذا الفصل او لشهرتها وكون الحديث فيها من قرينة معينة
لها كما قال قبل لقد تقمصها وقوله والله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين اي لا تركن المنافسة في هذا الامر مهما سلمت امور المسلمين من
الفتنة وهذا اشارة الى ان غرضه من المنافسة في هذا الامر هو صلاح حال المسلمين واستقامة امورهم وسلامتهم عن الفتن وقد كان لهم
بمن سلف من الخلفاء قبله استقامة امر وان كانت لا تبلغ عنده كمال استقامتها لو ولي هو هذا الامر فلذلك اقسم ليسلمن ذلك الامر ولا
ينازع فيه اذ لو نازع فيه لثارت الفتنة بين المسلمين وانشقت عصا الاسلام وذلك ضد مطلوب الشارع وانما يتعين عليه النزاع
والقتال عند خوف الفتنة وقيامها فان قلت السؤال من وجهين الاول انا وجدنا منافسته في هذا الامر مع انه منصب يتعلق بامور
الدنيا وصلاحها مع ما اشتهر منه عم من الزهد فيها والاعراض عنها وذمها ورفضها الثاني كيف سلم ههنا خوف الفتنة ولم يسلم
معوية وطلحة والزبير مع قيام الفتنة في حربهم قلت الجواب عن الاول ان منصب رسول الله صلعم ليس منصبا دنياويا وان كان متعلقا
باصلاح احوال الدنيا لكن لا لكونها دنيا بل لانها مضمار الاخرة ومزرعتها والغرض من اصلاحها انما هو نظام احوال الخلق في معاشهم و
معادهم فمنافسته عم في هذا الامر على هذا الوجه من الامور المندوب اليها اذا اعتقد ان غيره لا يغني غناءه في القيام به فضلا ان يقال
انها لا تجوز وعن الثاني ان الفرق بين الخلفاء الثلثة وبين معوية في اقامتهم حدود الله والعمل بمقتضى
اوامره ونواهيه ظاهر وقوله ولم يكن فيها جور الا علي خاصة تظلم من عدل جماعته ونسبتهم الى الجور دون من استحقها في انظارهم واصلوا
اليه من ساير الخلفاء وخاصة نصب على الحال وقوله التماسا لاجر ذلك الى اخره والتماسا مفعول له والعامل لاسلمن اي التمس ثواب
الله وفضله بتسليمي وصبري وكذلك قوله وزهدا مفعول له وفيه ايماء الى ان مقصود غيره من طلب هذا الامر والمنافسة فيه ليس الا الدنيا
وزخرفها وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** لما بلغه اتهام بني امية له بالمشاركة في دم عثمن اولم ينه امية علمها بي عن قرفي
او ما وزع الجهال سابقتي عن تهمتي ولما وعظهم الله به ابلغ من لساني انا حجيج المارقين وخصيم المرتابين على كتاب الله تعرض الامثال
وبما في الصدور تجازى العباد **اقول** قرفني بكذا اي اتهمني به ونسبه الي ووزع كف وحجيجهم محاجهم والخصيم المخاصم وقوله اولم
ينه اوما وزع استفهام من عدم انتهائهم عن نسبته الى دم عثمن مع علمهم بحاله وقوته في الدين وعصمته عن دم حرام فضلا عن قتل عثمن
استفهاما على سبيل الانكار عليهم والتعجب منهم ونسبتهم الى الجهل لجهلهم بما نسبته حاله وسابقته في الاسلام ابراءته عما قرفوه به و
قوله ولما وعظهم الله به ابلغ من لساني تقدير لنفسه في عدم ردعهم عن الغيبة وامثالها اي اذ كان وعظ الله لهم مع كونه ابلغ من كلامي
لا يردعهم فكلامي بطريق الاولى وزواجر كتاب الله كقوله ان بعض الظن اثم وقوله ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه
ميتا الاية وقوله والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ونحوه من القران كثير واراد بلسانه
وعظه مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب وقوله انا حجيج المارقين اي الخوارج او كل من خرج عن دين الله وخصيم المرتابين اي الشاكين
في نسبة هذا الامر الي وقيل المنافقين الشاكين في صحة الدين وقوله على كتاب الله تعرض الامثال الى اخره اشارة الى الحجة التي يحج بها
ويخاصم وتقرير وجهها ان تعلق هذا المنكر به اما من جهة اقواله وافعاله او اعتقاده وارادته والثلثة باطلة فتعلق هذا المنكر به ونسبته اليه
باطلة بيان الحصر ان هذه الجهات هي جهات صدور المنكر عن الانسان بيان بطلان الاول والثاني انه ان كان قد حصل في اقواله و
افعاله ما يشبه الامر بالقتل او فعله فاوقع في نفوس الجهال شبهة القتل نحو ما روي عنه لما سئل عن قتل عثمن الله قتله وانا معه وتخلفه
في داره يوم قتل عن الخروج فينبغي ان يعرض ذلك على كتاب الله تعالى فانه عليه تعرض الامثال والاشباه فان دل على كون شيء من ذلك
قتلا فليحكم به والا فلا ولن يدل ابدا فلا يبقى لهم ان يحكموا بالقتل من جهة قول وفعل واما بطلان الثالث فلان علم ما في القلوب الى
الله وهو المجازي بما فيها من خير او شر ولستم مطلعين على ما هنالك حتى تحكموا بالقتل من جهتها فاذا حكمهم بتعلق هذا المنكر به باطل
بالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** رحم الله امرا سمع حكما فوعى ودعي الى رشاد فدنا واخذ بحجزة هاد فنجا راقب
ربه وخاف ذنبه قدم خالصا وعمل صالحا اكتسب مذخورا واجتنب محذورا ورمى غرضا واحرز عوضا كابر هواه وكذب
مناه جعل الصبر مطية نجاته والتقوى عدة وفاته ركب الطريقة الغراء ولزم المحجة البيضاء اغتنم المهل وبادر الاجل وتزود
من العمل **اقول** الحجزة معقد الازار والمحجة المحافظة والغراء البيضاء واعلم ان هذا الفصل يشتمل على شرائط الرحمة للعبد
يستجمع ما ذكر من الامور وهي عشرون وجها **الاول** ان يسمع الحكم فيعيه والحكم الحكمة ودعاؤه لسامعها ولحفظها يستلزم امره بتعلمها

وتعلمها

وتعليمها وهي اتم من العلمية والعملية وعامها اي نفعها كالقياسية **الثاني** كونه اذا دعي الى رشاد دنا من الداعي اليه واجاب دعاؤه والرشاد
يعود الى ما يهديه ويرشده الى طريق معاشه ومعاده من العلوم والاعمال التي وردت بها الشريعة **الثالث** ان ياخذ بحجزة هاد فينجو اي
يكون في سلوكه لسبيل الله مقتديا باستاد مرشد عالم تحصل به نجاته واستعار لفظ الحجزة لاثر الاستاد وسنته ووجه المشابهة كون
ذهن المقتدي لانما لسنة متحير في مضايق طريق الله وظلماتها يتجوه كما يلزم الطريق مظلم اذا سلكه مثل الحجزة اخر في سلك
تلك الطريق وصار دليلا فيها يهتدى به ويجوز التشبه في ظلماتها وبين اهل السلوك خلاف في انه هل يضطر المريد الى الشيخ في سلوكه
ام لا واكثرهم يرى وجوبه وبينهم من كلامه عم وجوب ذلك ويمثل بها دين نهج الوجوب له اذ كان لسان العارفين ومنتهى طبقاتهم و
ظاهر ان طريق المريد مع الشيخ اقرب الى الهداية وبدونه اطول واقرب الى الضلال عنها فلذلك قال عم فنجا اي ان النجاة معلقة
به وقد ذكرنا ما احتج به الفريقان في كتاب مصباح العارفين **الرابع** ان يراقب ربه واعلم ان المراقبة احدى ثمرات الايمان و
هي رتبة عظيمة من رتب السالكين قال رسول الله صلعم اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال تع افمن هو قائم على كل
نفس بما كسبت وقال ان الله كان عليكم رقيبا قال الامام الغزالي وحقيقتها انها حالة للنفس يثمرها نوع من المعرفة وتثمر اعمالا
في الجوارح والقلب اما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به واما العلم المثمر لها فهو العلم بان الله تع مطلع على الضماير
والسرائر قائم على كل نفس بما كسبت وان سر القلوب مكشوف له كظاهر البشرة للخلق بل هو اشد فهذه المعرفة اذا استولت على
القلب ولم يبق فيها شبهة فلا بد ان تجذبه الى مراعاة الرقيب والموقنون بهذه المعرفة منهم الصديقون ومراقبتهم التعظيم والاجلال
واستغراق القلب بملاحظة ذلك الجلال والانكسار تحت الهيبة والعظمة بحيث لا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير اصلا وهي
مراقبة مقصورة على القلب اما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعة كانت
كالمستعمل لها فلا تصلح لغيرها ولا يحتاج الى تدبير في ضبطها على سنن السداد ومن نال هذه الرتبة فقد يغفل عن الخلق حتى لا
يبصرهم ولا يسمع اقوالهم ومثل هذا بمن يحضر في خدمة ملك عظيم فان بعضهم قد لا يحس بما يجري في حضرة الملك من استغراقه
بهيبته وبمن يشغله امر مهم يفكر فيه وروي ان يحيى بن زكريا عليهما السلم مر بامراة فدفعها على وجهها فقيل له لم فعلت فقال ما ظننتها
الا جدارا الثانية مراقبة الورعين من اصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله تعالى على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل
بقيت قلوبهم على الاعتدال متسعة للتلفت الى الاقوال والاعمال الا انها مع مدارستها للعمل لا تخلو عن المراقبة وقد غلب الحياء
من الله على قلوبهم فلا يقدمون ولا يحجمون الا عن تثبت فيمتنعون عن كل امر فاضح في القيمة اذ يرون الله تعم مشاهدا لاعمالهم في الدنيا
كما يرونه في القيمة ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج ان يراقب جميع حركاته وسكناته ولحظاته وجميع اختياراته ويرصد كل خاطر
يسنح له فان كان الهيا يعجل مقتضاه وان كان شيطانيا بادر الى قمعه واستحيا من ربه ولام نفسه على اتباع هواه فيه وان شك
فيه توقف الى ان يظهر له بنور الله سبحانه من اي جانب هو كما قال عم الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ولا يهمل
شيئا من اعماله وخواطره وان قل ليسلم من مناقشة الحساب فقد قال الرسول صلعم ان الرجل ليسئل عن كحل عينيه وعن فت الطين باصبعيه
وعن لمسه ثوب اخيه **الخامس** ان يخاف ذنبه واعلم ان الخوف ليس مما هو ذنب بل من المعاقب على الذنب لكن لما كان الذنب
سببا موجبا لسخط المعاقب وعقابه نسب الخوف اليه وقد سبق منا بيان حقيقتي الخوف والرجاء **السادس** ان يقدم خالصا
ان يكون اعماله كلها خالصة لله من قول وعمل وخاطر بريئة عن الالتفات الى غيره فيها وقد سبق معنى الاخلاص في الخطبة الاولى
السابع ان يعمل صالحا وصلاح العمل الاتيان به كما امر به وهو نوع مما تقدم **الثامن** ان يكتسب مذخورا وهو امر بما امرت
الشريعة باكتسابه ونبه على وجوب السعي فيه بانه يبقى ذخرا ليوم الفاقة اليه **التاسع** ان يجتنب محذورا وهو امر باجتناب ما نهت
الشريعة عنه ونبه على وجوب اجتنابه بكونه محذورا يستلزم العقاب في الاخرة **العاشر** ان يرمي غرضا اي يجد في اعراض الدنيا
عن درجة الاعتبار وهو اشارة الى الزهد والتخلي عن موانع الرحمة والوصول **الحادي عشر** ان يحرز عوضا اي يحرز في جوهر نفسه ملكات
الخير ويوجه سره الى مطالعة انوار كبرياء الله ويحرز ما يفاض عليه من الحسنات ويثبتها بتكررها فنعم العوض من متاع الدنيا
واعراضها الفانية **الثاني عشر** ان يكابر هواه اي يطوع نفسه الامارة بالسوء بالاعمال الدينية ويراقبها في كل خاطر يلقيه
الى نفسه ويقابلها بتكثيره ومنعه **الثالث عشر** ان يكذب مناه اي يقابل ما يلقيه اليه الشيطان من الاماني ويعده به
بالتكذيب لئلا يطمع له بتجويز عدم نيلها ويحسم مادة ذلك بالمراقبة فان الوساوس الشيطانية يتبع بعضها بعضا ومن اشاراته عم الى
ذلك اياكم والمنى فانها بضائع النوكى اي الحمقى **الرابع عشر** ان يجعل الصبر مطية نجاته والصبر هو مقاومة النفس لئلا
تنقاد الى قبائح اللذات ولما علمت ان الانقياد في سلكها الى اللذات القبيحة هو سبب الهلاك في الاخرة علمت ان مقاومتها
ودفعها عنها هو سبب النجاة هناك وقد استعار لفظ المطية للصبر ووجه المشابهة كون لزومه سببا للنجاة كما ان ركوب المطية والهرب

ملهما سبب النجاة من العذاب و الخامس عشر ان يجعل التقوى عدة وفاته ولما كان التقوى قد يراد به الزهد وقد يراد به الخوف من الله
المستلزم للزهد كما علمت وكانت العدة هو ما استعد به الانسان للقاء الحوادث وكان الموت اعظم حادث يستقبل الى الانسان
من احوال الآخرة كان التقوى عدة للموت اذ كان المتقي مشغول السر بعظمة الله وهيبته عن كل حالة تلحقه فلا يكون للموت عنده كثير
وقع ولا عظيم كرب قد يراد بالتقوى مطلق الايمان وبالوفاة ما بعدها مجازا والظاهر كون الايمان عدة واقية من عذاب الله
السادس عشر ان يركب الطريقة الغراء وهو ان يسلك الى الله تعالى الطريقة الواضحة المستقيمة وهي شريعته السابع عشر
وان يلزم المحجة البيضاء والفرق بين هذا الامر والذي قبله ان الاول امر بركوب الطريقة الغراء والثاني امر بلزومها وعدم مفارقتها
وانها كانت واضحة الا انها طويلة كثيرة المخاوف وسالكها ابدا محارب للشيطان وهو في معرض ان يستزله عنها الثامن عشر
ان يغتنم المهل اي ايام مهلته وهي حيوته الدنيا واغتنامه العمل فيها قبل يوم الحساب التاسع عشر ان يبادر الاجل اي يسابقه
الى العمل قبل ان يسبقه فيقطعه عنه العشرون ان يتزود من العمل وهو الامر بان يبادر له بمن اتخاذ العمل زادا وقد سبق
وجه استعارة الزاد له وقد راعى عليه السلام في كل مرتبتين من هذا الكلام السجع المتوازي وجعل الصلة ثلثا والاخرتان و عطف
كل قرينة على مشاركتها في الحرف الاخير منها وحلى حرف العطف من الباقي ليتميز ما بينا سبعها عن غيره وكل ذلك بلاغة ومن
كلام له عليه السلام ان بني امية ليفوقونني تراث محمد صلى الله عليه وآله تفويقا والله لئن بقيت لهم لانفضنهم نفض
اللحام الوذام التربة ويروى التراب الوذمة وهو على القلب قوله ليفوقونني اي يعطونني من المال قليلا قليلا كفوق
الناقة وهي الحلبة الواحدة من لبنها والوذام جمع وذمة وهي الحزة من الكرش والكبد تقع في التراب فتنفض اقول
استعار لفظ التفويق لعطيتهم له المال قليلا ووجه المشابهة هو قلة ما يعطونه مع كونه في دفعات كما يعطي الفصيل ضرع
امه ثم يدفع عنها ليحلب ثم يعاد اليها لتدر وتراث محمد اشارة الى الفيء الحاصل ببركة محمد صلى الله عليه وآله وهو التراث اللغوي
المكتسب عنه بسبب بوجه ما ثم اقسم ان بقي لبني امية ليحرمنهم التقدم في الامور واستعار لفظ النفض لابعادهم عن ذلك وشبه نفضه لهم
بنفض القصاب القطعة من الكبد والكرش من التراب اذا اصابته وهذه الرواية هو الحق والثانية سهو من الناقلين وقد روي
هذا الكلام بزيادة ونقصان في رواية اخرى وذلك ان سعيد بن العاص حيث كان امير الكوفة من قبل عثمان بعث اليه بصلة فقال
والله لا يزال غلام من غلمان بني امية يبعث الينا ما افاء الله على رسوله بمثل قوت الارملة والله لئن بقيت لانفضها نفض القصاب
الوذام التربة ومن كلمات كان يدعو بها اللهم اغفر لي ما انت اعلم به مني فان عدت فعد علي بالمغفرة اللهم اغفر لي
ما وأيت من نفسي ولم تجد له وفاء عندي اللهم اغفر لي ما تقربت به اليك بلساني ثم خالفه قلبي اللهم اغفر لي رمزات
الالحاظ وسقطات الالفاظ وشهوات الجنان وهفوات اللسان اقول الوأي الوعد والرمزات جمع رمزة وهي الاشارة
بالعين او الحاجب والهفوة والسقطة من الشيء رديه والهفوة الزلة وقد سأل الله سبحانه في جميع هذا الفصل المغفرة ومغفرة
الله للعبد تعود الى ستره عليه ان يقع في مهاوي الهلكة في الآخرة او يكشف مقابحه لاهل الدنيا فيها وكل ذلك يعود الى توفيقه
لاسباب السعادة وجذبه بها عن متابعة الشيطان في المعاصي قبل صدورها منه او قبل صيرورتها ملكات في جوهر نفسه والمطلوب
مغفرته امور الاول ما الله اعلم به منه مما هو عند الله معصية وسيئة في حقه وهو لا يعلمها فيفعلها ثم طلب تكرار مغفرة الله لما
يعاوده ويتكرر منه كلما وان تصورت معنى المغفرة تصورت كيف تكرارها الثاني ما وعد من نفسه ان يفعله لله ثم لم يوف به
وما هيهنا مصدرية ولا شك ان مطال النفس بفعل الخير وعدم الوفاء به انما يكون عن خاطر شيطاني يجب ان يستغفر الله لرد بلا
ستره بعث الدواعي الجاذبة عن متابعة الشيطان الجالب له الثالث تقرب النفس ما يتقرب به من الاعمال الى الله بالرياء والسمعة
وطلبا لقربة الخلق اليه بقصد غيره بها ولا شك ان ذلك شرك خفي جاذب عن الترقي في درجات العلي ويحتاج الى تدارك
الله بالمغفرة والجذب عنه قبل تمكنه من النفس الرابع الاشارة باللحظ وهو الايماء الخارج عن حدود الشريعة كما يفعل عند
التنبيه على نقص لعاب وليضحك منه او يظلم وكل تلك عن خواطر شيطانية ينبغي ان يسأل الله تعالى رفع اسبابها وستر النفس عن
اللذة بها الخامس سقطات الالفاظ والردي من القول هو ما تجاوز حدود الله وخرج بها الانسان عن مستقيم صراطه
السادس شهوات القلوب فمن روى بالشين المعجمة فالمراد حب لقوة الشهوية للنفس اي مشتهياتها ومن روى بالسين فسهوات
القلب خواطره التي لا يشعر بتفصيلها اذا خالفت اوامر الله وقد يستتبع حركة بعض الجوارح الى فعل خارج عن حدود الله ايضا وذلك
وان كان لا يوجب اثرا في النفس ولا يؤخذ به الا انه ربما يقوى بقوة اسبابه وكثرتها فينقطع العبد عن سلوك سبيل الله كما في
حق المنهمكين في لذات الدنيا المرتدين لها فان احدهم ربما رام التشبه بمن يصلي الفرض فيصلي الصلوة الواحدة مرتين او مرارا
ولا يستشعر عدد ركعاتها وسجداتها وغير ومثل ذلك يجذب العبد عن الاسباب الموجبة له السابع هفوات اللسان

الجزء ١٠٣

اي الزلل الحاصل من قبله ومادته ابدا خاطر شيطاني وغفره توفيقه لها وقد هواه واعلم ان الشيعة لما اوجبوا عصمته عن المعاصي حملوا طلبه
لمغفرة هذه الامور على وجهين احدهما وهو الادق ان طلبه لغفرانها انما هو على تقدير وقوعها منه فكانه قال اللهم ان صدر عني
شيء من هذه الامور فاغفره لي وقد علمت انه لا يلزم من صدق الشرطية صدق كل واحد من جزئيها فلا يلزم من صدق كلامه صدور
شيء منها حتى يحتاج الى المغفرة الثاني انهم حملوا ذلك على تاديب الناس وتعليمهم كيفية الاستغفار من الذنوب وعلى التواضع
والاعتراف بالعبودية وان البشرية مظنة التقصير والاساءة واما من لم يوجب عصمته فالامر معه ظاهر وبالله التوفيق ومن كلام
له عليه السلام قاله لبعض اصحابه لما عزم على المسير الى الخوارج فقال له يا امير المؤمنين ان سرت في هذا الوقت خشيت ان لا
تظفر بمرادك من طريق علم النجوم فقال عليه السلام اتزعم انك تهدي الى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء و
تخوف الساعة التي من سار فيها حاق به الضر فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن واستغنى عن الاستعانة بالله في نيل المحبوب (ما شئتم)
ودفع المكروه وينبغي في قولك للعامل بامرك ان يوليك الحمد دون الله لانك بزعمك انت هديته الى الساعة التي
نال فيها النفع وامن فيها الضر ثم اقبل على الناس فقال ايها الناس اياكم وتعلم النجوم الا ما يهتدى به في بر او بحر فانها تدعو
الى الكهانة المنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار سيروا على اسم الله اقول حاق به احاط وبوبه (والكاهن)
كذا يعطيه اياه ويجعله اولى به وروي ان المشير عليه بذلك كان عفيف بن قيس اخا الاشعث بن قيس وكان يتعاطى علم النجوم واعلم
ان الذي يلوح من سر نهي الحكمة النبوية عن تعلم النجوم امران احدهما اشتغال متعلمها بها واعتماد كثير من الخلق الساعين لاحكامها
فيما يرجون ويخافون عليه فيما يسنده الى الكواكب والاوقات والاشتغال بالفزع اليه والى ملاحظة الكواكب عن الفزع الى الله
والغفلة عن الرجوع اليه فيما يهمهم من الاحوال وقد علمت ان ذلك يضاد مطلوب الشارع اذ كان غرضه ليس الا دوام التفات الخلق
الى الله وتذكرهم لمعبودهم بدوام حاجتهم اليه الثاني ان الاحكام النجومية اخبارات عن امور سيكون وهي تشبه الاطلاع على
الامور الغيبية واكثر الخلق من العوام والنساء والصبيان لا يتميزون بينها وبين علم الغيب والاخبار به فكان تعلم تلك الاحكام والحكم
بها سببا لضلال كثير من الخلق وموجبا لاعتقادهم في المخبرات اذ الاخبار عن الكائنات منها وكل ذلك يخل عظمة الله ويدخلهم في عموم
صدق قوله تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقوله ان الله عنده علم الساعة
وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت فالمنجم اذا حكم لنفسه بانه يصيب
كذا في وقت كذا فقد ادعى ان نفسه تعلم ما تكسب غدا وباي ارض تموت وذلك عين التكذيب للقرآن وكان هذين الوجهين هما
المقتضيان لتحريم الكهانة والسحر والعزائم ونحوها واما مطابقة لسان الشريعة للعقل في تكذيب هذه الاحكام فبيانها ان اهل
النظر اما متكلمون واما معتزلة او اشعرية اما المعتزلة فاعتمادهم في تكذيب المنجم على احد امرين احدهما ان الشريعة كذبته وعندهم
ان كل حكم شرعي فيشتمل على وجه عقلي وان لم يعلم عين ذلك الوجه والثاني مناقشته في ضبطه الاسباب لما اخبر عنه من كون او فساد
واما الاشعرية فهم وان قالوا انه لا مؤثر الا الله وزعم بعضهم انهم تخلصوا بذلك من اسناد التاثيرات الى الكواكب الا انهم لا مانع على
مذهبهم ان يجعل الله تعالى اتصال نجم بنجم او حركته علامة على كون كائن او فساده وذلك مما لا يبطل على المنجم قاعدة فيرجعون ايضا الى بيان
عدم احاطته باسباب كون ما اخبر عنه ومناقشته في ذلك واما الحكماء فاعلم انه قد ثبت في اصولهم ان كل كائن فاسد في هذا
العالم فلا بد له من اسباب اربعة فاعلي ومادي وصوري وغائي اما السبب الفاعل القريب فالحركات السماوية والذي هو اسبق منها
فالحركات لها اما ان ينتهي الى الجود الالهي المعطي لكل قابل ما يستحقه واما سببه المادي فهو القابل لصورته وينتهي القوابل الى القابل
الاول وهو مادة العناصر المشتركة بينها واما الصوري فصورته التي يقبلها مادته واما الغائي فهي التي لاجلها وجد ما الحركات
السماوية فان من الكائنات ما يحتاج في كونه الى دورة واحدة للفلك ومنها ما يحتاج الى جملة من ادواره واتصالاته واما القوابل
للكائنات فقد تقرر عندهم ايضا ان قبولها لكل كائن معين مشروط باستعداد معين له وذلك الاستعداد يكون بحصول صورة
سابقة عليه وهكذا قبل كل صورة صورة معدة لحصول الصورة بعدها وكل صورة منها ايضا تستند الى الاتصالات والحركات الفلكية
ولكل استعداد معين زمان معين وحركة معينة واتصال معين يخصه لا يفي بادراكها القوة البشرية اذا عرفت ذلك فنقول الاحكام
النجومية اما ان تكون جزئية واما كلية اما الجزئية فان يحكم مثلا بان هذا الانسان يكون من حاله كذا وكذا ونظامه مثل
هذا الحكم لا سبيل الى معرفته اذ العلم به انما هو من جهة اسبابه اما الفاعلية فان يعلم ان الدورة المعينة والاتصال المعين سبب لملك
هذا الرجل للبلد المعين مثلا وانه لا سبب فاعلي لذلك الا هو والاول باطل لجواز ان يكون السبب غير ذلك الاتصال وهو مع غيره
ايضا فانه لا يكفي في ان يقال انما كانت هذه الدورة وهذا الاتصال سببا لهذا الكائن لانها كانت سببا لمثله في الوقت الفلاني
لكن هذا ايضا باطل لان كونها سببا للكائن السابق لا يجب ان يكون لكونها مطلق دورة واتصال بل لعله ان يكون لخصوصية

قال هذا الكلام لبعض اصحابه لما عزم المسير الى اصحابـ

كون تلك المعينة التي لا تعود بعينها فيما بعد ذلك وح لا يمكن الاستدلال بحصولها على كون هذا الكاين لان المؤثرات المختلفة لا يجب تشابه
آثارها والثاني ايضا باطل لان العقل يجزم بانه لا اطلاع له على انه لا يقتضي لذلك الكاين من الاسباب الفاعلة الا الاتصال المعين وكيف وقد
ثبت ان من الكاينات ما يفتقر الى اكثر من اتصال واحد بدورة واحدة او اقل واما القابلية فان يعلم ان المادة قد استعدت لقبول
مثل هذا الكاين واستجمعت جميع شرايط قبوله الزمانية والمكانية والسماوية والارضية وظاهر ان الاحاطة بذلك مما لا يفي به القوة البشرية
واما الصورية والغائية فان يعلم ما يقتضيه استعداد مادة ذلك المعين وقبولها من الصورة وما يستلزم من الشكل والمقدار وان
يعلم ما غاية وجوده وما اعدته العناية له وظاهر ان الاحاطة بذلك غير ممكنة للانسان واما احكامهم الكلية فكان يقال كلما حصلت الدورة
الفلانية كان كذا والمنجم انما يحكم بذلك الحكم من جزئيات من الدورات تشابهت آثارها فظنها متكررة ولذلك يعدلون ان تحقق
القول عليهم الى دعوى التجربة وقد علمت ان التجربة تعود الى تكرر مشاهدات يضبطها الحس والعقل يحصل منها حكما كليا كالحكم
بان كل نار محرقة فانه لما امكن العقل استثبات الاحراق بواسطة الحس امكنه الجزم الكلي بذلك فاما التشكلات الفلكية والاتصالات
الكوكبية المقتضية لكون ما يكون فليس شيء منها يعود بعينه كما علمت وان جاز ان يكون تشكلات وعودات متقاربة الاقوال
ومتشابهة الا انه لا يمكن الانسان ضبطها ولا الاطلاع على مقدار ما بينهما من المشابهة والتفاوت وذلك ان حساب المنجم مبني على
قسمة الزمان بالشهور والايام والساعات والدرج والدقايق واجزائها وتقسيم الحركة بازائها ورفع نسبة بعضها الى بعض وكل هذه
امور غير حقيقية وانما تؤخذ على سبيل التقريب فضلا عما في الباب ان التفاوت فيها لا يظهر في المدد المتقاربة لكنه يشبه ان يظهر
في المدد المتباعدة ومع ظهور التفاوت في الاسباب كيف يمكن دعوى التجربة وحصول العلم الكلي الثابت الذي لا يتغير باستمرار
اثرها على وتيرة واحدة ثم لو سلمنا انه لا يظهر تفاوت اصلا الا ان العلم بعود مثل الدورة لا يقتضي بمجرده العلم بعود مثل الاثر
السابق لتوقف العلم بذلك على عود امثال الامور القابلة للاثر السابق من الاستعداد وساير الاسباب العلوية والسفلية وعلى ضبطها فان
العلم التجربي انما يحصل بعد حصر ما يتعلق بعودها وتكررها وكل ذلك مما لا سبيل للقوة البشرية الى ضبطه فكيف يمكن دعوى التجربة
اذا عرفت ذلك فنقول قوله الى قوله الضر استثبات لما في العادة ان يدعيه الاحكاميون كما ادعاه المنجم المشير بعدم المسير في ذلك
الوقت وقوله فمن صدق بهذا الى قوله الضر الزامات له على ما يعتقده تنفر بها عن قبول احكام المنجم والاعتماد فيها اولها ان
من صدقه فقد كذب القرآن ووجه التكذيب ما ذكرناه الثاني كون مصدقه يستغني عن الاستعانة بالله في نيل محبوبه ودفع مكروهه
اي التضرع اليه في كل امر يهم به ويجعلهم عمدة له فيعرض عن الفزع الى الله كما سبق الثالث انه ينبغي للعامل ان يوليه الحمد دون ربه
وعلل هذا الالزام بقياس ضمير من الشكل الاول صورته انه يزعم انك تهدي الى ساعة النفع والضر وكل من زعم ذلك فقد اهل نفسه لاستحقاق
الحمد من مصدقه دون الله فينتج انه قد اهل نفسه لاستحقاق الحمد من مصدقه دون الله والكبرى من المخيلات وقد بسطها
الخطيب للتنفير عن بعض الامور التي يقصد النهي عنها وقوله ايها الناس الى قوله او بر تحذير عن تعلمها لما ذكرناه واستثنى من ذلك
تعلمها للاهتداء بها في السفر واعلم ان الذي ذكرناه ليس الا بيان ان الاصول التي يبني عليها الاحكاميون وما يخبرون به في المستقبل اصول
غير موثوق بها فلا يجوز الاعتماد عليها في تلك الاحكام والجزم بها وهذا لا ينافي كون تلك القواعد ممهدة بالتقريب كقسمة الزمان
وحركة الفلك بالسنة والشهر واليوم مأخوذا عنها حسابا يبنى عليه مصالح دينية كمعرفة اوقات العبادات كالصوم والحج ونحوهما او دنيوية
كآجال المداينات وساير المعاملات وكمعرفة الفصول الاربعة ليعمل في كل منها ما يليق به من الحراثة والسفر واسباب المعاش وكل معرفة
قوانين تقريبية من اوضاع الكواكب وحركاتها يهتدي بقصدها وعلى سمتها المسافر في بر او بحر فان ذلك القدر غير محرم بل العلم بها
من الامور المستحبة لخلو المصالح المذكورة فيه عن وجوه المفاسد التي تشتمل عليها الاحكام كما سبق ولذلك من الله سبحانه على عباده
بخلق الكواكب في قوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وقوله لتعلموا عدد السنين والحساب وقوله فانها
الى آخره تعليل للتحذير عن تعلمها والتنفير عنها بقياس آخر موصول ينتج منه ان المنجم في النار وعلى تقدير تفصيله فالنتيجة الاولى
كون المنجم كالساحر وهي مع قوله والساحر كالكافر وهذه النتيجة مع قوله والكافر في النار ينتج المطلوب وهو ان المنجم في النار والقياسان
الاولان من قياس المساواة وقد علمت انه عند الانحلال الى الحدود المرتبة في القياس المنتج لان موضوع الكبرى جزء من محمول الصغرى
فليس الاوسط بمشترك فهو معدول عن وجهه الى وقوع التركيز في بعض الاوسط ولذلك يستحق ان يفرد باسم ويجعل لتحليله قانون
يرجع اليه في امثاله وقد سبق مثله في الخطبة الاولى واذا حمل على القياس الصحيح كان تقديره المنجم يشبه الكاهن المشبه للساحر
ومشبه الكاهن للساحر مشبه للساحر فينتج ان المنجم يشبه الساحر وهكذا في القياس الثاني المنجم يشبه الساحر المشبه للكافر ومشبه
الساحر المشبه للكافر يشبه الكافر فالمنجم يشبه الكافر في النار فالمنجم كذلك وهو القياس الثالث وينتجه فاما بيان معنى الكاهن و والكافر في
الساحر والاشارة الى وجوه التشبيهات المذكورة فاعلم انا قد اشرنا في المقدمة الى امكان وجود نفس تقوى على الاطلاع فاسيكون

وعلى التصرفات

في ذم النساء

وعلى التصرفات العجيبة في هذا العالم فتلك النفس ان كانت كاملة خيرة مجذوبة من الله بعناية داعية للسلوك الى سبيله وما يقود اليه فهي
نفوس الانبياء والاولياء ذوي المعجزات والكرامات وان كانت ناقصة شريرة مجذوبة عن تلك الجهة وغير طالبة لتلك المرتبة بل مقتصرة
على رذائل الاخلاق وخسايس الامور كالتكهن ونحوه فهي نفوس الكهنة والسحرة واعلم ان اكثر ما تظهر قوة الكهانة ونحوها من قوى
النفوس في اوقات الانبياء وقبل ظهورهم وذلك ان الفلك اذا اخذ في التشكل بشكل يتم به في العالم حدث عظيم عرض من ابتداء ذلك
التشكل وغايته احداث في الارض شبيهة بما يريد ان يتم ولكنها تكون غير تامة تنزلات شبيها غير تام فاذا استكمل ذلك التشكل في الفلك
تم وحدث في العالم ما يقتضيه في اسرع زمان لسرعة تبدل اشكال الفلك ثم تظهر تلك القوة التي يوجبها ذلك التشكل في شخص
واحد او شخصين او اكثر على حسب ما يقتضيه العناية الالهية ويتنوع في تلك الشخص تلك القوة على الكمال فاما من قرب من ذلك
التشكل ولم يستوفه فانه يكون ناقص القوة بحسب بعده من التشكل ويظهر ذلك النقصان بظهور النبوة المقصودة من ذلك التشكل فيتبين
قصور القوى المتقدمة على النبي والمتأخرة عنه ونقصانها عن ذلك التمام فاما صفة الكاهن من اصحاب تلك القوى فان صاحب
قوة الكهانة اذا احس بها من نفسه تحرك اليها بالارادة ليكملها فيبرزها في امور حسية ويبرزها في علامات تجري مجرى الفال والزجر و
طرق الحصى ونحوها استعانة بالكلام الذي فيه سجع وموازنة او بحركة عنيفة من عدو وحثيث كما حكي عن كاهن من الترك وكما نقل الي
من شاهد كاهنا كان في زماننا وتوفي منذ عشر سنين يكنى بابي بكر وكان بناحية من ساحل البحر يقال لها قلهات وانه كان
اذا سئل عن امر استعان بتحريك راسه تحريكا يقوى ويضعف بحسب الحاجة واجاب عقيب ذلك وقيل انه كان قد يستعين في بعض
الاخبارات عن تلك الحركة والغرض من ذلك اشتغال النفس عن المحسوسات فتداخل نفسه ويقوى بها ذلك الاثر ويحس في نفسه عن تلك
الحركة ما تنطق به على لسانه وربما صدق الكاهن وربما كذب وذلك انه يتمم نقصه بامر مباين لكماله غير داخل فيه فيعرض له الكذب و
يكون غير موثوق به ويعود بما تممه الكذب خوفا من كساد بضاعته فيتعلل الزرق ويخبر بما لا اثر له في نفسه ويتخطى الى التخمين وهؤلاء
متفاوتة بحسب قربهم من الافق الانساني وبعدهم منه وبقدر قبولهم للاثر العلوي وتميزهم عن الانبياء بالكذب وما يدعونه من المحال
فان اتفق ان يلزم احدهم الصدق فانه لا يتجاوز قدره في قوته ويبادر الى التصديق باول ما يلوح من النبي ويعرف فضله كما روي
عن طليحة وسواد بن قارب ونحوهما من الكهنة في زمان الرسول ص اذا عرفت ذلك فنقول اما قوله فانها تدعو الى الكهانة اي انها تدعو
الى الكهانة اي انها تدعو المنجم في آخر امره الى ان يصير نفسه كالكاهن في دعوى الاخبار عما سيكون ثم اكد كونها داعية الى التكهن
بتشبيهه بالكاهن واعلم ان الكاهن يتميز عن المنجم بكون ما يخبر به من الامور الكائنة انما هو عن قوة نفسانية له وظاهر ان ذلك داعي
الى فساد اذهان الخلق واغوائهم لزيادة اعتقادهم فيه على المنجم واما الساحر فيتميز عن الكاهن بان له قوة على التاثير في امر خارج
عن بدنه آثارا خارجة عن الشريعة مؤذية للخلق كالتفريق بين الزوجين ونحوه وتلك زيادة شر آخر على الكاهن داعية الى فساد اذهان
الناس وزيادة اعتقادهم فيه وانفعالهم عنه خوفا ورغبة واما الكافر فيتميز عن الساحر بالبعد الاكبر عن الله تعالى وعن دينه وان شاركه
في اصل الانحراف عن سبيل الله وح صار الضلال والفساد في الارض مشتركا بين الاربعة الا انه مقول عليهم بالاشد والاضعف فا
لكاهن اقوى في ذلك من المنجم والساحر اقوى من الكاهن والكافر اقوى من الساحر ولذلك التفاوت جعل الكاهن اصلا في
التشبيه للمنجم لزيادته عليه ثم الحقه به وجعل الساحر اصلا للكاهن والكافر اصلا للساحر لان التشبيه ينبغي ان يكون المشبه
به اقوى في الوصف الذي فيه التشبيه واحق به وقد لاح من ذلك ان وجه التشبيه الكلي هو ما يشتركون فيه من العدول والانحراف عن
طريق الله بالتنجيم والكهانة والسحر والكفر وما يلزم من ذلك من صد كثير من الخلق عن سبيل الله وان اختلفت جهات هذا العدول
بالشدة والضعف كما بيناه ولما فرغ عليه السلام من تنفير اصحابه عن تعلم النجوم وقبول احكامها وغسل اذهانهم من ذلك بالتخويف المذكور
امرهم بالمسير الى الحرب وروي انه سار في تلك الساعة الى الخوارج وكان منه ما علمت من الظفر بهم وقتلهم حتى لم يفلت منهم غير تسعة
نفر ولم يهلك من رجاله غير ثمانية نفر كما سبق بيانه وذلك يستلزم خطأ دلالات المنجم وتكذيبه في مقالته وبالله التوفيق **ومن**
كلام له عليه السلام بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء معاشر الناس ان النساء نواقص الايمان نواقص الحظوظ
نواقص العقول فاما نقصان ايمانهن فقعودهن عن الصلوة والصيام في ايام حيضهن واما نقصان عقولهن فشهادة
امرأتين منهن كشهادة الرجل الواحد واما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الانصاف من مواريث الرجال فاتقوا شرار
النساء وكونوا من خيارهن على حذر ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر **اقول** لما كانت واقعة الجمل
وما اشتملت عليه من هلاك جمع عظيم من المسلمين منسوبا الى رأي امرأة اراد ان ينبه على وجوه نقصان النساء واسباب ذلك
نقصانهن من وجوه ثلثة **احدها** كونهن نواقص الايمان واشار الى جهة النقص فيه بقعود احديهن عن الصلوة والصوم ايام
الحيض فلما كان الصوم والصلوة من كمال الايمان ومتممات الرياضة كان قعودهن عن الارتياض بالصوم والصلوة في تلك الايام

نقصانا الايمان واتمام نقصان الشريعة التكاليف عنهن بالعبادتين المذكورتين لكونهن في حال مستقذرة لا يناسب اهلها مناجاة الله وفي الوقوف بين يدي الملك الجبار وتعقل الصوم وجه آخر وهو انه تزيد الحايض الى ضعفها ضعفا فيجب حفظ ذلك واسرار الشريعة ادق واجل ان يطلع عليها عقول سائر الخلق الثاني كونهن نواقص حظ واشار الى جهة نقصانه بان ميراثهن على النصف من ميراث الرجال كما قال تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين والذي يلوح من سر ذلك كثرة المؤنة على الرجل فهو اصل التصرف وكون المرأة من شأنها ان تكون مكفولة محتاجة الى قيم هو لها كالخادم الثالث كونهن نواقص عقول ولذلك سبب من داخل وهو نقصان استعداد امزجتهن وقصورهن عن قبول تصرف العقل كما يقبله مزاج الرجل كما نبه تعالى عليه بقوله فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى فانه نبه على ضعف القوة الذاكرة فيهن ولذلك جعل شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد ولهن سبب عارض من خارج وهو قلة معاشرتهن لاهل العقل والتصرفات وقلة رياضتهن لقواهن الحيوانية بلزوم القوانين العقلية في تدبير امر المعاش والمعاد ولذلك كانت احكام القوى الحيوانية فيهن اغلب على احكام عقولهن فكانت المرأة ارق وابكى واحسد والج وابغى واجزع واوقح واكذب وامكر وامثل للمكر واذكر لمحقرات الامور ولكونها بهذه الصفة اقتضت الحكمة الالهية ان يكون عليها حاكم ومدبر لمعيشتها بيده وهو الرجل فقال تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم ولشدة قبولها وقلة طاعتها للعقل مع كونها مشركة وداعية الى نفسها اقتضت ابعاد النفس عنها الشر والحذر وقوله فاتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر لما نبه على جهة نقصانهن وقد علمت ان النقصان يستلزم الشر لا جرم نفر عنهن فامر اولا بالخشية من شرارهن وهو يستلزم الامر بالهرب منهن وعدم مقاربتهن فاما خيارهن فانه امر بالكون منهن على حذر ويفهم من ذلك انه لا بد من مقاربتهن وكان الانسان انما يحتاج مقاربة الخيرة منهن فينبغي ان يكون معها على تحرز وتثبت في سياستها وسياسة نفسه معها اذ لم تكن الخيرة منهن خيرة الا بالقياس الى الشريرة ثم نهى عن طاعتهن بالمعروف كيلا يطمعن في المنكر واشار به الى طاعتهن فيما يشرن به ويأمرن مطلقا وان كان معروفا صوابا وفيما يطلبنه من زيادة المعروف والاحسان اليهن واكرامهن بالزينة ونحوها فان طاعتهن لرأيهن فيما يشرن به من معروف تدعوهن الى الشروع بما لا ينبغي والتسلط على الامر به فان فعل فلم يفعل لانه معروف لا لانه مقتضى رأيهن وزيادة اكرامهن من مقويات دواعي الشهوة والشر فيهن حتى ينتهي بهن الطمع الى الاقتراح وطلب الخروج الى المواضع التي يرى فيها زينتهن ونحو ذلك اذ العقل مغلوب فيهن بدواعي الشهوات وفي المثل المشهور لا تعط عبدك كراعا فيأخذ ذراعا وروي ان رسول الله صلعم كان يخطب يوم عيد فالتفت الى صفوف النساء فقال معاشر النساء تصدقن فاني رأيتكن اكثر اهل النار عددا فقالت واحدة منهن ولم يا رسول الله فقال لانكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير وتمكث احداكن شطر عمرها لا تصوم ولا تصلي **ومن خطبة له عليه السلم** ايها الناس الزهادة قصر الامل والشكر عند النعم والورع عن المحارم فان عزب ذلك عنكم فلا يغلب الحرام صبركم ولا تنسوا عند النعم شكركم فقد اعذر الله اليكم بحجج مسفرة ظاهرة وكتب بارزة العذر واضحة **اقول** عزب ذهب وبعد واعذر اظهر عذره ومسفرة مشرقة واعلم ان قوله ايها الناس الى قوله عند المحارم تفسير الزهد وقد رسمه بثلثة لوازم له **الاول** قصر الامل ولما علمت فيما سلف ان الزهد هو اعراض النفس عن متاع الدنيا وطيباتها وقطع الالتفات الى ما سوى الله تعالى وظاهر ان ذلك الاعراض مستلزم لقصر الامل في الدنيا اذ كان الامل انما يتوجه نحو مأمول والملتفت الى الدنيا كيف يتصور طول امله لشيء منها **الثاني** الشكر على النعم وذلك ان العبد بقدر التفاته عن اعراض الدنيا يكون محبته لله واقباله عليه واعترافه بالحق بالاثر وذلك ان الشكر حال للقلب يثمرها العلم بالمشكور وهو في حق الله ان يعلم انه لا منعم سواه وان كل منعم يقال في العرف فهو واسطة مسخرة من نعمته وتلك الحال تثمر العمل بالجوارح **الثالث** الورع وهو لزوم الاعمال الجميلة والوقوف على حدود الله عن التورط في محارمه وهو ملكة تحت العفة وقد علمت ان الوقوف على التورط في المحارم ولزوم الاعمال الجميلة لازمة للالتفات عن محاب الدنيا ولذاتها المنهي عن الميل اليها وهذا التفسير منه عم مستلزم للامر به وقوله بعد ذلك فان عزب عنكم الى آخره يحتمل تعيينه احدها وهو الظاهر انه ان بعد عليكم وشق اجتماع هذه الامور الثلثة فالزموا منها الورع والشكر وكانه رخص لهم في طول الامل وذلك لانه قد يتصور طوله فيما ينبغي من عمارة الارض لغرض الآخرة ولان قصر الامل لا يحصل الا عن غلبة الخوف من الله تعالى على القلب والاعراض بالكلية عن الدنيا وذلك في غاية الصعوبة فلذلك نبه على لزوم الشكر والورع ورخص في طول الامل وعبر عن الورع بالصبر اذ كان لازما للورع وهما تحت ملكة العفة ثم حجبهم بذكر الغلبة عن مقاومة الهوى ونبههم بذكر النسيان على لزوم التذكر الثاني يحتمل ان يكون لما فسر الزهد باللوازم الثلثة في معرض الامر بلزومها قال بعد ذلك فان صعب عليكم لزوم الشكر والثناء لله ولزوم الاعمال الجميلة فاعدلوا الى امور اسهل منها فرخص لهم في طول الامل لما ذكرناه ثم في التذكر

لنعم الله

ج ١٠٣

لنعم الله بحيث لا ينسى بالكلية ويلتفت عنها عوضا عن دوام الحمد والثناء ثم في الصبر عند المحارم وعند الانتهاء لغلبة دواعي الشيطان عوضا من لزوم الاعمال الجميلة عندها فان الصبر عند شرب الخمر مثلا عند حضورها اهون على الطبع من الصوم عن شأن المباحات ولزوم شأن الاعمال الجميلة وقوله فقد اعذر الى آخره تأكيد لما سبق من امره بالزهد وجذب اليه واشار بالحجج الى الرسل لقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولفظ الحجج مستعار ووجه المشابهة انه لما كان ظهور الرسل قاطعا لاستدلال الظالمين لانفسهم في محفل القيمة عن ان يقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى اشبه الحجة القاطعة فاستعير لفظها له وباسفارها وظهورها الى اشراق انوار الدين عن نفوسهم الكاملة على نفوس الناقصين وهو استعارة ايضا واشار بمبرز عذره الكتب الى ظهور اعذار الله الى خلقه بتخويفهم وترغيبهم وارشادهم الى طريق النجاة واسناد الاعذار الى الله تعالى استعارة من الاقوال المخصوصة التي يبدي بها الانسان عذره الا فعال الله واقواله التي عرف خلقه فيها صلاحهم واشعرهم فيها بلزوم العقاب لهم لو لم يلتفتوا اليها وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** في ذم صفة الدنيا ما اصف من دار اولها عناء واخرها فناء في حلالها حساب وحرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها فاتته ومن قعد عنها واتته ومن ابصر بها بصرته ومن ابصر اليها اعمته قال السيد ره واذا تأمل المتأمل قوله عم ومن ابصر بها بصرته وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد ما لا يبلغ غايته ولا يدرك غوره لا سيما اذا اقترن اليه قوله ومن ابصر اليها اعمته فانه يجد الفرق بين ابصر بها وابصر اليها واضحا نيرا عجيبا باهرا صلوات الله وسلامه عليه **اقول** العناء التعب وقد ذكر للدنيا في معرض ذمها والتنفير عنها اوصافا عشرة **الاول** كون اولها عناء واشارة الى ان الانسان من لدن ولادته في تعب وشقاء ويكفي في الاشارة الى متاعب الانسان فيها ما ذكره الحكيم برزويه في صدر كتاب كليلة ودمنة في معرض تطويع نفسه بالصبر على عيش النساك في البيت الدنيا كلها اذى وبلاء اوليس الانسان ينقلب في ذلك من حين يكون جنينا الى ان يستوفي ايامه فانا قد وجدنا في كتب الطب ان الماء الذي يقدر منه الولد السوي اذا وقع في رحم المرأة اختلط بمائها ودمها وغلظ ثم الريح تمخض ذلك الماء والدم حتى تتركه كالرائب الغليظ ثم تقسمه في اعضائه لا ناء ايامه فان كان ذكرا فوجهه قبل ظهر امه وان كان انثى فوجهها قبل بطن امها ونفقه على ركبتيه ويداه على جنبيه مقبض في المشيمة كانه مصرور وتنفس من متنفس شاق وليس منه عضو الا كانه مقموط فوقه حر البطن وتحته ما تحته وهو منوط بمعاء من سرته الى سرة امه ومنها يمص ويعيش من طعام امه وشرابها فهو بهذه الحالة في الغم والظلمات والضيق حتى اذا كان يوم ولادته سلط الله الريح على بطن امه وقوي عليه التحريك فتصوب راسه قبل المخرج فيجد من ضيق المخرج وعصره ما يجده صاحب الرهق فاذا وقع على الارض فاصابته ريح او مسته يد وجد من ذلك من الالم ما لم يجده من سلخ جلده ثم هو في الوان من العذاب ان جاع فليس له استطعام وان عطش فليس له استسقاء او وجع فليس له استغاثة مع ما يلقى من الرفع والوضع واللف والحل والدهن والمسح اذا انيم على ظهره لم يستطع تقلبا فلا يزال في اصناف هذا العذاب ما دام رضيعا فاذا افلت من ذلك اخذ بعذاب الادب فاذيق منه الوانا وفي الحمية والادواء والاوجاع والاسقام فاذا ادرك فهم المال والاهل والولد والشره والحرص ومخاطرة الطلب والسعي وكل هذا ينقلب معه فيها اعداؤه الاربعة المرة والبلغم والدم والريح والسم المميت والحيات اللادغة مع خوف السباع والناس وخوف البرد والحر ثم الوان عذاب الهرم لمن بلغه **الثاني** كون آخرها فناء وهو تنفير عنها بذكر غايتها وهو الموت وما يستصحبه من فراق الاهل والاحبة والاشراف على اهوال العظيمة المعضلة **الثالث** كونها في حلالها حساب وهو اشارة الى ما يظهر في صحيفة الانسان يوم القيمة من الآثار المكتوبة عليه مما خاض فيه من مباحات الدنيا وتوسع فيه من المآكل والمشارب والمناكح والمراكب وما يظهر في لوح نفسه من محبة ذلك فيعوقه عن اللحوق بالمجردين عنها الذين لم يتصرفوا فيها تصرف الملاك فلم يكتب عليه في شيء منها ما يحاسبون عليه واليه اشارة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ان الفقراء ليدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام وان فقراء امتي ليدخلون الجنة سعيا وعبد الرحمن يدخلها حبوا وما ذاك الا لكثرة حساب الاغنياء وتعويقهم بثقل ما حملوا من محبة الدنيا وقنياتها عن اللحوق بدرجة المخفين منها وقد عرفت كيفية الحساب **الرابع** كونها في حرامها عقاب وهو تنفير عما يوجب العقاب من الآثام بذكره **الخامس** كونها من استغنى فيها فتن اي كانت محبته لما اقتني فيها سببا لفتنته وضلاله عن سبيل الله كما قال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة **السادس** كونها من افتقر فيها حزن وظاهر ان الفقير الطالب للدنيا يعز الواحد لها في غاية المحنة والحزن على ما يفوته منها وخاصة ما يفوته بعد حصوله له **السابع** من ساعاها فاتته وقد علمت ان اقوى اسباب هذا الفوات ان تحصيلها اكثر ما يكون بمنازعة اهلها عليها ومجاذبتهم اياها وقد علمت ثوران الشهوة والغضب والحرص عند المجاذبة للشيء وقوة منع الانسان له ومجاذب الخالق للشيء وعزته عندهم سبب لتفويت بعضهم له على بعض وفيه تنبيه على وجوب ترك الحرص عليها والاعراض عنها اذ كان فواتها اللازم عن شدة السعي في طلبها مكروها للساعين **الثامن** كونها من قعد عنها واتته وهو ايضا جذب الى القعود عنها وتركها وان كان الغرض مواتاتها كما يفعله اهل الزهد الظاهري المشوب بالرياء

وقد علمت ان الزهد الظاهري مطلوب ايضا للشارع اذ كان وسيلة الى الزهد الحقيقي كما قال الرسول صلى الله عليه وآله فنظرة الاخلاص وقد راعى في
القرائن السجع المتوازي **التاسع** من ابصر بها بصرته اى من جعلها سبب هدايته وبصره استفاد منها البصر والهداية وذلك انك
علمت ان مقصود الحكمة الالهية من خلق هذا البدن وما فيه من الالات والمنافع انما هو استكمال نفسه باستخلاص العلوم
الكلية وفضايل الاخلاق من تصفح جزئيات الدنيا ومقايسة بعضها الى بعض كالاستدلال بحوادثها وعجائب مخلوقات الله فيها
على وجوده وحكمته وجوده وتحصيل الهداية بها الى اسرار ملكه فكانت سببا مادبا لذلك فلاجل صدق انها تبصر من ابصر بها
العاشر ومن ابصر اليها اعمته اى من مد اليها بصر بصيرته وتطلع اليها بعين قلبه محبة وعشقا اعمته عن بصيرته عن ادراك انوار الله
والاهتداء لكيفية سلوك سبيله والبه الاشارة بالنهي في قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا
لنفتنهم فيه وقد ظهر الفرق بين قوله من ابصر بها ومن ابصر اليها ومدح السيد لهذا الفصل مدح في موضعه **ومن خطبة**
له عليه السلم وهي من الخطب العجيبة وتسمى الغراء اعلم ان في هذه الخطبة فصولا **الفصل الاول** قوله الحمد لله الذي علا
بحوله ودنا بطوله مانح كل غنيمة وفضل وكاشف كل عظيمة وازل احمده على عواطف كرمه وسوابغ نعمه واومن به
اولا باديا واستهديه قريبا هاديا واستعينه قاهرا قادرا واتوكل عليه كافيا ناصرا واشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله
عبده ورسوله ارسله لانفاذ امره وانهاء عذره وتقديم نذره **اقول** الحول القوة والطول الفضل والمنة العظيمة
والازل الشدة والنذر الانذار وقد اثنى على الله تعالى في هذا الفصل باعتبارات نعمة من نعوت جلاله **الاول** كونه
عليا واذ ليس المراد به العلو المكاني لتقدسه تعالى عن الجسمية كما سبق فالمراد العلو المعقول له باعتبار كونه مبدأ كل موجود
ومرجعه فهو العلي المطلق الذي لا اعلى منه في وجود وكمال رتبة وشرف كما سبق بيانه ولما كان ذلك باعتبار الحقيقة بالقياس
الى كل موجود صدر عن قدرته وقوته لا جرم جعل الحول له مبدأ هو حوله **الثاني** كونه دانيا بطوله ولما عرفت ان معنى الدنو
والقرب في حقه تعالى ليس مكانيا ايضا كان اعتبار المجد يعقولنا له من قرب افاضة نعمه على قوابلها وقربه من ابصار البصائر
في صورة نعمة منها ولذلك جعل طوله مبدأ لدنوه **الثالث** كونه مانح كل غنيمة وفضل **الرابع** كونه كاشف كل عظيمة
وازل هما اشارة الى كل نعمة صدرت عنه على قابلها مبدأها جوده ورحمته سواء كانت وجودية كالصحة والمال والعقل و
غيرها او عدمية كدفع البأساء والضراء واليه الاشارة بقوله وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون ثم اذا كشف الضر
عنكم الاية وقوله امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض وقوله احمده الى قوله نعمه تنبيه للسامعين على
مبدأ استحقاقه لاعتبار الحمد وهو كرمه قال بعض الفضلاء الكريم هو الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفا واذا اعطى زاد على
منتهى الرجاء ولم يبال كم اعطى ولا لمن اعطى وان رفعت الى غيره حاجة لا يرضى واذا جفي عاتب وما استقصى من لاذ به والتجا
ويغنيه عن الوسائل والشفعاء فمن اجتمعت له هذه الاعتبارات حقيقة من غير تكلف فهو الكريم المطلق وليس ذلك الا الله
تعالى قلت والاجمع الامنع في رسم هذا الاعتبار يعود الى فيضان الخير عنه من غير بخل ومنع ويعود على كل من يقدر ان يقبله
بقدر ما يقبله وعواطف كرمه وهي نعمه وآثاره الخيرية التي تعود على عباده مرة بعد اخرى وسوابغ نعمه نعمه السابغة التي لا تضيق
فيها عن قبول قابلها وقوله واومن به اولا باديا نصب اولا باديا على الحال واشار بهذين الوصفين الى الجهة التي هي مبدأ الايمان
اذ كان منه باعتبار كونه اولا هو مبدأ لجميع الموجودات وكونه باديا هو كونه ظاهرا في العقل في جميع آثاره وباعتبار ظهوره
مع كونه مبدأ الكل موجود واولا له يجب الايمان به والتصديق بالهيته وقوله واستهديه قريبا هاديا فاستهداؤه طلب الهداية
منه وقربه هو دنوه بجوده من قابل فضله وهدايته هبته الشعور لكل ذي ادراك بما هو اليق به لمطالبه دون ما ليس اليق به وظ
انه باعتبار هذين الوصفين مبدأ لطلب الهداية منه وقوله واستعينه قاهرا قادرا استعانته طلب المعونة منه على ما ينبغي من
طاعته وسلوك سبيله والقاهر هو الذي لا يجري في ملكه بخلاف حكمه نفس بل كل موجود مسخر تحت حكمه وقدرته وحقير في
قبضته والقادر هو الذي اذا شاء فعل واذا لم يشأ لم يفعل وان لم يلزم انه لا يشاء فلا يفعل وانه لم يلزم انه لا يشاء فلا يفعل كما
سبق بيانه وظ انه باعتبار هذين الوصفين مبدأ للاستعانة وقوله اتوكل عليه كافيا ناصرا التوكل كما علمت يعود الى اعتماد الانسان
فيما يرجو او يخاف على غيره والكافي باعتبار كونه معطيا لكل قابل من خلقه ما يكفي استحقاقه من منفعة ودفع مضرة والناصر
هو باعتبار اعطائه النصر لعباده على اعدائهم بافاضة هدايته وقوته وظاهر انه باعتبار هذين الوصفين مبدأ لتوكل عباده
عليه والقاء مقاليد امورهم اليه وقوله واشهد الى اخره تقرير للرسالة وتعيين لاغراضها وذكر منها ثلثة **احدها** انفاذ امره
والضمير للثانية لله وانفاذ امره اجراؤه لاحكامه على قلوب الخلق ليعرفوا ويعودوا له **الثاني** انهاء عذره في اقواله و
افعاله وقد سبق بيان وجه استعارة العذر **الثالث** تقديم نذره وهو التخويفات الواردة على السنة الرسل عليهم السلم

الى الخلق قبل لقائه المجاذبة لهم الى لزوم طاعته وظاهر كون الثلثة اغراضا للبعثة **الفصل الثاني** قوله اوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي
ضرب لكم الامثال ووقت لكم الاجال والبسكم الرياش وارفغ لكم المعاش واحاط بكم الاحصاء وارصد لكم الجزاء واثركم بالنعم السوابغ
والرفد الروافغ وانذركم بالحجج البوالغ واحصاكم عددا ووظف لكم مددا في قرار خبرة ودار عبرة انتم مختبرون فيها ومحاسبون
عليها **اقول** الرياش اللباس الفاخر وقيل الغنى بالمال وارصد اعد والرفد جمع رفدة وهي العطية والروافغ الواسعة الطيبة
وهذا الفصل يشتمل على الوصية بتقوى الله وخشيته والانجذاب اليه باعتبار امور **الاول** ضرب الامثال والامثال التي
ضربها الله لعباده في القران كثيرة منها قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم الى قوله لا يرجعون
والاشارة بهذا المثل الى من كان قد طلب اظهار المعجزات من الرسول صلى الله عليه وآله فلما ظهرت لهم لم يقبلوها ورجعوا الى ظلمة جهلهم فهم
صم عن سماع دواعي الله باذان قلوبهم بكم عن مناجاة الله باسرارهم عمي عن مشاهدة انوار الله بابصار بصائرهم فهم لا يرجعون
عن عنادهم في غيهم وكفرهم ومنها قوله او كصيب من السماء قوله فاموا وهو مثل شبه فيه القران بالمطر النازل من السماء وشبه ما
في القران من الوعد والوعيد بما في المطر من الرعد والبرق وشبه تباعد المنافقين عن الاصغاء الى القران وتغافلهم عن سماع
الوعظ بمن يجعل اصابعه في اذانه خوف الصواعق وقوله يكاد البرق الى اخره اشارة الى من كان برق قلبه لسماع الوعظ البالغ اذا
وزعه ويميل الى التوبة ويتجلى عن قلبه بعض الظلمة فاذا رجعوا الى قرنائهم اشاروا عليهم بالعود الى دينهم وبذلوا لهم الجهد
في النصيحة وخوفوهم بالفقر فتضعف قصودهم وتظلم عليهم شبهات الباطل فتغطي ما كان ظهر لهم من نور الحق وكذلك باقي امثال
الله في كتابه الكريم **الثاني** قوله ووقت لكم الاجال اى كتبها بقلم القضاء الالهي في اللوح المحفوظ كل الى اجل مسمى ثم يرجع اليه
فيحاسبه باعلانه واسراره فيناله الحق ان يتقيه ويعمل للقائه **الثالث** كونه قد البسهم الرياش وهو اظهار للمنة عليهم كما قال يا بني
ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم وريشا ولباس التقوى الاية ليذكروا انواع نعمه فيستحيوا من مجاهرته بالمعصية **الرابع**
كونه قد ارفغ لهم المعاش اى اطاب معايشهم في الدنيا كما قال تعالى ورزقكم من الطيبات وهو كالثالث **الخامس** احاطته بهم احصاء
كقوله تعالى لقد احصيهم وعدهم عدا اى احاط بهم علمه واحصاء منصوب على المصدر من غير لفظ فعله او على التمييز وظ ان علم العصاة
بانه لا يشذ احد منهم عن احاطة علمه جاذب لهم الى تقواه **السادس** كونه قد ارصد لهم الجزاء كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها
وهم من فزع يومئذ امنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون **السابع** ايثاره لهم بالنعم
السوابغ والرفد الروافغ كقوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة **الثامن** انذاره بالحجج البوالغ وهي رسله ومواعظ رسله
ما جذب به عباده الى سلوك سبيله وهو حجة على عصاة امره ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين **التاسع** احصاؤه
لعددهم كقوله تعالى واحصى كل شيء عددا **العاشر** توظيفه لهم المدد وهو كتوقيته لهم الاجال وانما كرر وصف الاحصاء والعدد في هذين
الوصفين ايضا لان الوهم كثيرا ما ينكر احاطته تعالى بالجزئيات مع عدم تناهيها فيكون ذلك منبها على النفس بتوقيت الاجال لكل شخص
شخص ويقدح في امر المعاد والعقوبات اللازمة لكل احاد الخلق بحسب كل ذرة من الاعمال الظاهرة فكرر ليطرد الوهم وكرر الحكمة في
ذكر توقيت الاجال من اشد الجواذب عن الدنيا الى الله وقوله في قرار خبرة ودار عبرة اى محل اختبار الله لخلقه ومحل عبرتهم اى تفكرهم
اذهانهم فيما يجري فيها من ايات العبرة واثار القدرة والاستدلال بها على وحدانية مبدعها كما سبقت الاشارة الى معنى الاختبار
والاعتبار وكذا قوله فانتم فيها مختبرون وعليها محاسبون قد سبقت الاشارة اليه في قوله الا وان الدنيا دار لا يسلم منها الا فيها
وفي هذين القرينتين مع السجع المتوازي نوع من التجنيس بين خبرة وعبرة والاختلاف بالحرف الاول **الفصل الثالث** قوله
فان الدنيا رنق مشربها ردغ مشرعها يونق منظرها ويوبق مخبرها غرور حائل وضوء افل وظل زائل وسناد مائل
حتى اذا انس نافرها واطمأن ناكرها قمصت بارجلها وقنصت باحبلها واقصدت باسهمها واعلقت المرء اوهاق المنية
قائدة له الى ضنك المضجع ووحشة المرجع ومعاينة المحل وثواب العمل وكذلك الخلف بعقب السلف لا تقلع المنية
اخترا ما ولا يرعوي الباقون اجتراما يحتذون مثالا ويمضون الى غاية الانتهاء وصبور الفناء **اقول** الرنق الكدر
والردغ الوحل والتراب المختلط بالماء ويونق يعجب ويوبق يهلك والغرور الخداع مستغفلة للاذهان والحائل المتغيرة
المتحولة وقمصت الدابة رفعت يديها وطرحتهما وعجست برجلها وقنصت صادت واقصدت اصابت المقصد والاوهاق جمع
وهق بالفتح وهو الحبل والضنك الضيق واقلع عن الشيء امتنع منه والاخترام الموت بغتة لمدة الطبيعة وارعوى كف وحار احد
وفلان فعل فعله والارسال جمع رسل بالفتح وهو القطيع من الغنم ينبع القطيع وصبور الامر ما يرجع اليه منه ومدار هذا الفصل
على التنفير عن الدنيا بذكر معايبها وما يؤول اليه وذكر لها اوصافا **الاول** كونها رنق مشربها وهو كناية عن كدر لذاتها
بشوائب المصائب من الهموم والاحزان والاعراض والامراض **الثاني** كونها ردغ مشرعها ومشرعها محل الشروع في تناولها والورود

ردع ر

ردع الغنية
ردع كرمعابها

في اسـ... الخ وكونه ردغا وصف للطريق المحسوس استعير له ووجه المشابهة كون طريق الانسان في استعمال الدنيا والتصرف فيها ذات مزالق ومزال اقدام تهوي به الى جهنم لا يثبت فيها الا قدم عقل قد مهر في ضبط قواه وقهر سطوة شياطينه كما ان الطريق ذات الوحل كذلك وهو من التابع ... **الثالث** كونها يونق منظرها ويوبق مخبرها وهو اشارة الى اعجابها لذوي الغفلة بزينتها الحاضرة مع ملاكهم باخبارها ... لحلاوتها وعرض الالتذاذ بها **الرابع** كونها غرورا حائلا يروى بفتح الغين وضمها ومعنى الاول ذات غرور اي تغر الخلق بزخارفها فيتوهمون بقاءها فتنتقل عنهم وتحول ومن روى بالضم جعلها نفسها غرورا والغرور يطلق على ما يغتر به حقيقة عرفية **الخامس** كونها ضوءا آفلا استعار لفظ الضوء لما يظهر منها من الحسن في عيون الغافلين يقال على فلان ضوء اي له منظر حسن او لما ظهر لهم من وجوه مسالكها فاهتدوا به الى تحصيلها ومداخلها ومخارجها وعلى التقديرين فهو ضوء آفل لا يدوم ولفظ الافول ايضا مستعار **السادس** وظل زائل استعار لفظ الظل لما ياوي اليه الانسان من نعيمها فيستظل به من حرارة بؤسها وقطع كونه زائلا **السابع** كونه سنادا مائلا استعارة ايضا للفظ السناد فيما يعتمد الغافلون عليه من قنياتها وخيراتها التي لا اصل لها ولا ثبات بل هي كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وذكر الميل ترشيح للاستعارة **الثامن** كونها تغر الناس بضوئها وظلها وبهجة منظرها الى غاية ان يستانس بها من كان بعقله نافرا عنها ويطمئن اليها من كان بمقتضى فطرته منكرا لها حتى اذا كان ذلك منه طوعا لها فعلت به افعال العدو والخدوع ونسب اليها من الافعال امورا **احدها** قمصها بالارجل واستعار لفظ القمص لامتناعها على الانسان حين حضور اجله كانها تدفعه برجلها مولية عنه كما تفعل الدابة ورشح بذكر الارجل وانما جمع لاعتبار اليدين مع الرجلين وذكره بلفظ الرجلين لان القمص اليها انسب **الثاني** قنصها له باحبلها وهو كناية عن تمكن حبائل محبتها والهيئات الردية المكتسبة منها في عنق نفسه كناية بالمستعار **الثالث** كونها اقصدته باسهمها واستعار لفظ الاسهم للامراض واسباب الموت واقصادها كناية عن اصابتها بالمستعار لاوصاف الرامي تنزيلا للدنيا منزلته **الرابع** كونها اعلقته حبال المنية وحبالها استعارة لما يجذب به الى الموت من سائر اسبابه ايضا وكنى لفظ القائد استعارة كني بها عن انسياق المريض في حبال عرضه الحاصل فيها الى الامور المذكورة من ضنك المضجع وهو القبر ووحشة المرجع وهو اشارة الى ما تجده النفوس الجاهلة عند رجوعها من وحشة فراق ما كان محبوبا لها في الدنيا وما كانت الفته من منزل واهل وسند وهي استعارات لاوصاف الصائد تنزيلا للدنيا منزلته ومعاينة المحل اي مشاهدة الاخرة التي هي محل الجزاء وثواب العمل اي جزاؤه من خير وشر وقوله وكذلك الخلف الى اخره اي على الاحوال المذكورة للدنيا مضى الخلق يتبع خلفهم من سلف منهم لا المنية تقصر عن اخترام نفوسهم ولا الباقون منهم يرجعون عما هم عليه من ارتكاب الجرائم فيها والغرور بها بل يقتدون بامثالهم الماضين في ذلك ويمضون عليه اتباعا الى غاية مسيرهم مطايا الابدان ومصيرهم وهو الفناء والعرض على الملك الديان وقد راعى ... السجع التجنيس في قوله يونق ويوبق ونافرها وناكرها وقمصت وقنصت والاختلاف بحرف وسط وبالله التوفيق

الفصل الرابع في الاشارة الى ما يلحق الناس بعد الموت من احوال القيمة تذكيرا لهم قوله حتى اذا تصرمت الامور وتقضت الدهور وازف النشور اخرجهم من ضرائح القبور واوكار الطيور واوجرة السباع ومطارح المهالك سراعا الى امره مهطعين الى معاده رعيلا صموتا قياما صفوفا ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي عليهم لبوس الاستكانة وضرع الاستسلام والذلة قد ضلت الحيل وانقطع الامل وهوت الافئدة كاظمة وخشعت الاصوات مهينمة والجم العرق وعظم الشفق وارعدت الاسماع لزبرة الداعي الى فصل الخطاب ومقايضة الجزاء ونكال العقاب ونوال الثواب **اقول** تصرمت تقضت وازف دنا والضرائح جمع ضريح وهو الشق في وسط القبر واوكار الطيور اعشاشها والاوجرة جمع وجار وهو بيت السبع مهطعين مقبلين ورعيلا مجتمعين واللبوس ما يلبس والضرع الخضوع والانكسار وكاظمة ساكنة والهينمة صوت خفي والجم العرق بلغ الفم فصار كاللجام والشفق الاشفاق وهو الخوف والزبرة الانتهار والمقايضة المعاوضة والنكال تنويع العقوبة واعلم انه قد تطابقت السنة الانبياء والرسل عليهم السلام على القول بالمعاد الجسماني ونطق به الكتاب العزيز كقوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة الاية ونحوه واتفق المسلمون على القول به واما الحكماء فالمشهور من مذهبهم منع المعاد الجسماني بناء على ان المعدوم لا يعاد بعينه لامتناع عود اسبابه باعيانها من الوقت والدورة الفلكية المعينة وغيرهما وربما قال بعض حكماء الاسلام بجواز عود المثل وربما الجا بعضهم ظاهر الشريعة الى الاقرار بالمعاد الجسماني واثبات السعادة والشقاوة البدنية مع الروحانية وقال الرئيس ابو علي بن سينا في كتاب الشفاء ما هذه حكاية الفاظه يجب ان يعلم ان المعاد منه ما هو مقبول من الشرع ولا سبيل الى اثباته الا من طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة وهو الذي للبدن عند البعث وخيرات البدن وشروره معلومة لا يحتاج الى ان نعلم وقد بسطت الشريعة الحقة التي اتانا بها سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله حال السعادة والشقاوة اللتين بحسب البدن ومنه ما هو مدرك

بالعقل

بالعقل والبرهان القياسي وقد صدقته النبوة وهو السعادة والشقاوة الثابتتان بالمقاييس اللتان للانفس وان كانت الاوهام منا تقصر عن تصورها الان لما نوضح من العلل والحكماء الالهيون رغبتهم في اصابة هذه السعادة اعظم من رغبتهم في اصابة السعادة البدنية بل كانهم لا يلتفتون الى تلك وان اعطوها ولا يستعظمونها في جنبة هذه السعادة التي هي مقاربة الحق الاول واعلم ان الذي ... ههنا صريح في اثبات المعاد الجسماني ولواحقه فقوله اخرجهم من ضرائح القبور واوكار الطيور واوجرة السباع ومطارح المهالك اشارة الى جمعه لاجزاء ابدان الناس بعد تشذبها وتفرقها فاخرج من كان قبر من ضريح قبره ومن كان اكيل طير او سبع او مقتولا في مطارح الهلاك من معركة الحرب او غيرها اخرجه من ذلك المكان وجمع اجزاءه والف بينها فان قلت اذا اكل انسان انسانا واغتذى به ... صارت اجزاؤه اجزاء بدنه البدن كله فكيف يمكن اعادتهما لان تلك الاجزاء في اي بدن منهما اعيدت لزم نقصان الاخر وبطلانه ... مذهب محققي المتكلمين ان في كل بدن واحد اجزاء اصلية باقية من اول العمر الى اخره لا تتغير ولا تتبدل واجزاء فضلية فاذا اعيد يوم القيمة فما كان اصليا من الاجزاء البدن الماكول فهو فضلي لبدن الاكل فيرد اليه من غير ان ينقص من الاجزاء الاصلية للاكل شيء ولا عبرة بالفاضلة وتمامه في الفصل غني عن البيان وقال بعض الفضلاء انه ربما احتملت هذه الالفاظ ان يسلط عليها من التاويل ما يناسب مذهب القائلين بالمعاد الروحاني فقوله حتى اذا تصرمت الامور اي احوال كل واحد من الخلق في الدنيا وقوله وتقضت الدهور اي انقضت مدة كل شخص منهم وقوله وازف النشور اي دنا انتشار كل واحد في عالم الاخرة من قبور الابدان وقوله اخرجهم من ضرائح القبور استعار لفظة القبور للابدان وضرائحها ترشيح للاستعارة ووجه المشابهة ان النفس تكون منغمسة في ظلمة البدن وكدر الحواس متوحشة عن عالمها كما ان المقبور متوهم لظلمة القبر ووحشة منقطع عن الاهل والمال وضمير اخرجهم يعود الى الله في صدر الخطبة وقوله واوكار الطيور فاعلم ان العارفين واهل الحكمة كثيرا ما يستعيرون لفظ الطير واوصافه للنفس الناطقة وللملائكة كما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله في قوله حتى اذا حمل الميت على نعشه رفرفت روحه فوق النعش ويقول يا اهلي ويا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي والرفرفة انما يكون لذي الجناح من الطير وكما جاء في التنزيل الالهي في وصف الملائكة اولي اجنحة مثنى وثلث ورباع وكما اشار اليه ابو علي في قصيدته التي اولها هبطت اليك من المكان الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع واشار بالورقاء الى النفس الناطقة وكما اشار اليه في رسالته المسماة برسالة الطير وقوله برزت طائفة تقنص فنصبوا الحبائل ورتبوا الشرك وهياوا الطعم وتواروا في الحشيش واني في سرب طير ونحوه ووجه المشابهة في هذه الاستعارة ما تشترك فيه النفس والطير من سرعة التصرف والانتقال النفس بانتقال عقلي والطير بانتقال حسي واذا استعير لفظ الطير للنفس فبالحري ان يستعار الوكر للبدن لما بينهما من المشاركة وهو كونهما مسكنا لا ينتقل مفارقته وقوله واوجرة السباع استعارة للابدان ايضا والسباع اشارة الى النفوس المطيعة لقواها الغضبية التي شانها محبة الغلبة والانتقام كما ان السبع كذلك وقوله ومطارح المهالك اشارة الى الابدان ايضا فانها مطارح مهالك الغافلين الذين اتبعوا الشهوات على ابدانهم وقوله سراعا الى امره نصب على الحال بقوله اخرجهم وكذلك ما بعده من المنصوبات وامره هو حكم قضائه الازلي عليهم بالرجوع اليه وعودهم الى مبدئهم وسرعتهم اليه اشارة الى قرب وصولهم وهو في ان انقطاع علاقة النفس مع البدن وهو على غاية من السرعة وقوله مهطعين الى معاده اشارة الى اقبال النفوس بوجوهها على محل عودها وما اعد لها فيه من خير وشر وقوله رعيلا اشارة الى اجتماعهم في حكم الله وقبضته ومحل الاستحقاق لثوابه وعقابه وقوله صموتا اذ لا السنة لهم اذن ينطقون بها ويحتمل ان يكون الصمت كناية عن خضوعهم وانقيادهم في ذل الحاجة وهيبة الجلال وقوله قياما صفوفا فقيامهم استعارة لاستعداد النفوس لهيبة الله لعظمته وقيامها بما يصلح لها من مراسم العبودية وذل الامكان وصفوفا استعارة لانتظامهم اذ هي في سلك علمه ثم اذ الكل بالنسبة الى علمه على سواء كما يستوي الصف المحسوس ويحتمل ان يكون الصف استعارة لترتيبهم في القرب الى الله ثم منازلهم ومصاعدهم وقوله ينفذهم البصر اشارة الى علمه بهم وقوله ويسمعهم الداعي فالداعي هو حكم القضاء عليهم بالعود واسماعهم عموم ذلك الحكم لهم بحيث لا يمكن ان يخرج عنه منهم احد وقوله عليهم لبوس الاستكانة وضرع الاستسلام والذلة اشارة الى حالهم التي يخرجون من الاجداث عليها من ذل الامكان ورق الحاجة والخوف في قبضة الله وهو كقوله تعالى يوم يدع الداع الى شيء نكر خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث وقوله قد ضلت الحيل اي حيل الدنيا فلا حيلة لهم في الخلاص مما هم فيه كما كانوا يخلصون بحيل الدنيا من بعض شرورها وانقطع الامل اي املهم فيها لامتناع عودهم اليها وانقطاع طمعهم في ذلك وقوله وهوت الافئدة كاظمة اي سقطت النفوس في حضيض الذل والفاقة الى رضا الله وعفوه ولفظ الكظم مستعار كما سبق وقوله وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا وهو اشارة الى سؤالهم بلسان حالهم عفو الله ورحمته على وجه الذلة والضعف ورق العبودية في ملاحظة جلال الله وقوله والجم العرق وعظم الشفق استعار لفظ العرق وكنى به عن غاية ما تجده النفس من كرب الم الفراق وهيبة الله وعدم الانس بعد الموت اذ غاية الخائف التاعب ان يعرق ويشفق من نزول العقاب به ونسبة الالجام الى العرق نسبة مجازية وقوله وارعدت الاسماع لزبرة الداعي اشارة الى ما تجده النفس عند يقينها المفارقة واستعار لفظ الزبرة لقهر حكم القضاء للانفس على مرادها قهرا لا يمكن معه من الجواب بالامتناع وفصل الخطاب

هو امضاء احكام الله على نفوس عباده عند الرجوع اليه بتوفيته ما لها واستيفاء ما عليها ومقابضة الجزاء معاوضها بما اثت به امام الملكات الردية فينكال العقاب واما من الملكات الفاضلة فبنوال الثواب وهبة كل بقدر استعداده وقبوله واعلم ان العدول الى المجازات والاستعارات عن حقايق الالفاظ والى التاويل عن الظواهر مما يجوز خصوصا في كلام الله وكلام رسوله واوليائه اذا اعضده دليل عقلي يمنع من اجراء الكلام على ظاهره ولما اعترف القوم بجواز المعاد الجسماني تقليدا للشريعة ولم يقم دليل عقلي يمنع منه لم يمكننا الجزم اذن بصحة هذه التاويلات وامثالها وبالله التوفيق والعصمة

الفصل الخامس في تنبيه الخلق على اوصاف حالهم

لما هم عليه من التخيير والاغراض عما خلقوا لاجله لعلهم يتذكرون بقوله عباد مخلوقون اقتدارا ومربوبون اقتسارا ومقبوضون احتضارا ومضمنون اجداثا وكائنون رفاتا ومبعوثون افرادا ومدينون جزاء ومميزون حسابا قد امهلوا في طلب المخرج وهدوا سبيل المنهج وعمروا مهل المستعتب وكشفت عنهم سدف الريب وخلوا لمضمار الجياد ورويّة الارتياد واناة المقتبس المرتاد في مدة الاجل ومضطرب المهل **اقول** القسر القهر والجبر والاجداث القبور واحدها جدث والرفات الفتات من العظم ونحوه ومدينون مجزيون والمستعتب المسترضى والسدف جمع سدفة وهي ظلمة الليل والريب الشبه والشكوك والارتياد الطلب وذكر من ثلاثة اوصافا ثلثة عشر وصفا **الاول** كونهم مخلوقون اقتدارا اي خلقهم ليس لعذر انهم بل بقدرة بارئ مستقلة عن مشاركة الغير وذلك من العصيانهم **الثاني** كونهم مربوبون اقتسارا اي ليس ملك ما لكهم لهم عن اختيار منهم حتى يكون لهم الخيرة في معصيته وطاعته **الثالث** كونهم مقبوضون احتضارا اي مستحضرون بالموت مقبوضون به الى حضرة جلال الله **الرابع** كونهم من شانهم ان يضمنوا الاجداث **الخامس** من شانهم ان يصيروا رفاتا **السادس** من شانهم ان يبعثوا افرادا كما قال تعالى وكلهم آتيه يوم القيمة فردا اي مجردا عن استصحاب عترة معهم من اهل ومال **السابع** انهم مدينون جزاء ومن شانهم ذلك والجزاء مصدر نصب بغير فعله **الثامن** ان من شانهم ان يميزوا حسابا اي يحصون عددا كقوله تعالى لقد احصيهم وعدهم عدا وحسابا ايضا مصدر انتصب عن غير فعله **التاسع** كونهم قد امهلوا في طلب المخرج اي انما مهلوا في الدنيا لطلب خلاصهم وخروجهم من ظلمات الجهل وورطات المعاصي الى نور الحق ومتسع الجود **العاشر** كونهم قد هدوا سبيل المنهج اي الهموا باصل فطرتهم ودلوا بالاعلام الواضحة من الانبياء والشرايع على الطريق الى حضرة قدس الله والجنة **الحادي عشر** كونهم قد عمروا مهل المستعتب اي كان من طلب استعتابه ويقصد رجوعه عن غيّه تمهل ويداري طويلا امهلهم الله سبحانه لحلفه مدة اعمارهم ليرجعوا الى طاعته ويعملوا صالحا نشبه ذلك فنزلت منزلته ومهل نصب على المصدر لان التعمير امهال **الثاني عشر** كونهم قد كشفت عنهم سدف الريب اي زال عن ابصار بصائرهم ظلم الشكوك والشبهات والجهالات بما وهب لهم من العقول وايدهم من بعث الرسل **الثالث عشر** كونهم قد خلوا لمضمار الجياد اي تركوا في الدنيا لتضمير انفسهم بازواد التقوى ولما استعار لفظ المضمار رشح بذكر الجياد واشار بالمضمار الى ان تخليهم في الدنيا الحبل وفيه تنبيه لهم على ان يكونوا من جياد مضمارهم وقد سبق وجه الاستعارة ومعنى التضمير في قوله الا وان اليوم المضمار وغدا السباق وكذلك خلوا لروية الارتياد اي لتفكروا في طلب ما يخلصون به الى الله تعم من شانهم طاعاته وكذلك ليتأنوا اناة المقتبس للانوار الالهية الطالب لان يستنار بها في مدة اجالهم ومحل اضطرابهم في مهلهم وتحصيلهم لما ينبغي لهم من الكمالات ومن ملك من عبيده هذه الحالات وافاض عليهم ضروب هذه الانعامات فكيف يليق باحدهم ان يجاهره بالعصيان او يجاسر ان يقابله بالكفران ان الانسان لكفور مبين

الفصل السادس في التنبيه على فضل موعظته وتذكيره ومدحها بالبلاغة والتعريض بعدم القلوب الحاملة لها

ثم الحث على التقوى بقوله فيا لها امثالا صائبة ومواعظ شافية امثالا ومواعظ نصب على التمييز وصواب الامثلة مطابقتها للممثل به وشفاء الموعظة تاثيرها في القلوب بازالة مرض الجهل والرذائل الخلقية ورجوع المتعظ بها منيبا الى ربه وقوله لو صادفت قلوبا زاكية واسماعا واعية وآراء عازمة والبابا حازمة فزكاء القلوب استعدادها لقبول الهداية وفهمها من ذلك ووعي الاسماع فهم القلوب عنها وانما وصفها بالوعي لانها ايضا قابلة لقشور المعاني مؤدية لها الى قوة الحس ثم الخيال وعزم الآراء توجيه الهمة الى ما ينبغي والثبات على ذلك وحزامة الالباب جودة راي العقول فيما تختاره وظاهر ان هذه الثلثة هي اسباب نفع الموعظة وقوله فاتقوا الله الى قوله مقامه امر بتقوى الله تقية كتقوى من اجتمع جميع هذه الاوصاف **احدها** تقية من سمع فخشع اي تقية من استغل قلبه بسماع الموعظة فخشع عنها الله **الثاني** تقية من اقترف فاعترف اي اكتسب الذنوب فاعترف بها واناب الى الله **الثالث** تقية من وجل اي خاف ربه فاقلقه خوفه فعمل اي فالتجا الى الاعمال الصالحة لينجو بها **الرابع** تقية من حاذر اي عقاب ربه فبادر الى طاعته **الخامس** تقية من ايقن اي الموت ولقاء ربه فاحسن اي فاحسن العمل واخلص له **السادس** تقية من عبر اي رمى بالعبر وذكر بها فاعتبر اي جعلها سبيلا لعبوره بها ذهنه الى تعلم ما ينبغي له **السابع** وحذر اي من سخط الله وعقابه فازدجر اي فرجع عن معصيته **الثامن** تقية من اجاب اي اجاب داعي الله فاناب اي رجع اليه بسره وامتثل امره **التاسع** تقية من راجع فكره وعقله فتاب اي فاستعان به على شياطينه وقهر نفسه الامارة بالسوء فتاب من متابعتها **العاشر** تقية من اقتدى اي بانبياء الله واوليائه وهداهم الذي تواتر فاحتذى

اي حذا منهم

ج ٢٣ اي حذا احدهم في جميع احوالهم وطلب قصدهم وعمل بعملهم **الحادي عشر** تقية من اري اي اري الحق فاظهرت بعين بصيرته طريق الله وسبيله فراى اي نفع بها واسرع طالبا لما تسلك له ونجا بها هاربا من ظلمات جهله وثمراته فافاد ذخيرة اي فاستفاد بسلوكه لها وطاعته لربه في ذلك ذخيرة لمعاده والطلب بسلوكها سيرته عن نجاسات الدنيا وعمرها بما يكتسبه في سلوكها من الكمالات المستعدة لمعاده واستظهر بزاد البوم رحيله من دنياه واستعد به لوجه سبيله التي هو سالكها ومسافر فيها ولحال حاجته ولموطن فاقته فان كل مرتبة من الكمالات حصلت للانسان فهي تعد لرتبة اعلى منها لو لم يحصلها لظهرت له حاجة في الآخرة الى تلك منها حيث لا يجد اليها سبيلا وكذلك قوله وقدم اي ما استظهر به زادا امامه اي تلقاء وجهه التي هو مستقبلها ومنته اليها لدار مقامه اي الآخرة وقوله فاتقوا الله جهة ما خلقكم له اي باعتبار ما خلقكم له ولما كان ما خلقهم له انما هو عبادته والوصول اليه كان التقي اجعلوا تقواكم لله نظرا الى تلك الجهة والاعتبار لا للرياء والسمعة وجهة منصوب على الظرف ويحتمل ان يكون مفعولا به لفعل مقدر اي واقصدوا بتقويكم جهة ما خلقكم وقوله واحذروا منه كنه ما حذركم من نفسه اي اسلكوا في حذركم منه حقيقة تحذيره لكم من نفسه بما توعد به وذلك الحذر انما يحصل بالبحث عن حقيقة الحذر وعن معرفة والتالي لكون الى الله في تصور ذلك على مراتب منقاوته وقوله واستحقوا منه ما اعد لكم بالتنجز لصدق ميعاده استحقاق ما وعد به الله تعم من جزيل الثواب انما يحصل بالاستعداد له بقوام بالاستعداد له والاستعداد محتاج الى اسباب فذكرها عليه السلم في امرين احدهما التنجز لصدق ميعاده والتنجز طلب نجاز الوعد وقضائه وذلك انما هو بالاقبال على طاعته كما قال تعم وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار الآية ونحوها والثاني الحذر من اهوال معاده وذلك باجتناب مناهيه والارتداع بزواجره ونواهيه منها قوله جعل لكم اسماعا اعلم ان في هذا الفصل فصلين **الفصل الاول** في تذكير عباد الله بضروب نعمته عليهم والتنبيه على الغاية منها ثم التذكير بحال الماضين من الخلق والتنبيه على الاعتبار بهم وهو في معرض الامتنان فذلك قوله جعل لكم اسماعا لتعي ما عناها وابصارا لتجلو عن عشاها واشلاء جامعة لاعضائها ملائمة لاحنائها في تركيب صورها ومدد عمرها بابدان قائمة بارفاقها وقلوب رائدة لارزاقها في مجللات نعمه وموجبات مننه وحواجز عافيته وقدر لكم اعمارا سترها عنكم وخلف لكم عبرا من آثار الماضين قبلكم من مستمتع خلاقهم ومستفسح خناقهم ارهقتهم المنايا دون الآمال وشذ بهم عنها تخرم الآجال لم يمهدوا في سلامة الابدان ولم يعتبروا في انف الاوان فهل ينتظر اهل بضاضة الشباب الا حواني الهرم واهل غضارة الصحة الا نوازل السقم واهل مدة البقاء الا آونة الفناء مع قرب الزيال وازوف الانتقال وعلز القلق والم المضض وغصص الجرض وتلفت الاستغاثة بنصرة الحفدة والاقرباء والاعزة والقرناء فهل دفعت الاقارب او نفعت النواحب وقد غودر في محلة الاموات رهينا وفي ضيق المضجع وحيدا قد هتكت الهوام جلدته وابلت النواهك جدته وعفت العواصف آثاره ومحا الحدثان معالمه وصارت الاجساد شحبة بعد بضتها والعظام نخرة بعد قوتها والارواح مرتهنة بثقل اعبائها موقنة بغيب انبائها لا تستزاد من صالح عملها ولا تستعتب من سيئ زللها اولستم ابناء القوم والآباء واخوانهم والاقرباء تحتذون امثلتهم وتركبون قدتهم وتطأون جادتهم فالقلوب قاسية عن حظها لاهية عن رشدها سالكة في غير مضمارها كان المعني سواها وكان الرشد في احراز دنياها **اقول** عناها اهمها والعشى ظلمة تعرض للعين بالليل والاشلاء جمع شلو وهو العضو وهو ايضا القطعة من اللحم وكني به عن الجسد والحنو الجانب والارفاق المنافع ويروى بارماقها والرمق بقية الروح والخلاق النصيب والخناق بالكسر حبل يخنق به والارهاق الاعجال والتشذب التفريق ومهد الامر مخففا ومشددا اي هياه وانف الاوان اوله والبضاضة امتلاء البدن وقوته والهرم الكبر وغضارة العيش طيبه والآونة جمع اوان كازمنة جمع زمان والزيال المزايلة وازوف قرب والعلز كالرعدة ياخذ المريض والحريص ان يتبلع ريقه على هم وحزن والحفدة الاعوان وغودر ترك والنهك الخلق والابلاء والمعالم الآثار والشحبة الهالكة لنا اهل والنخرة البالية والاعباء الاثقال والقدة بكسر القاف والذال المهملة الطريقة وروي بضم القاف والذال المعجمة والاول اصح ولنرجع الى المعنى فقوله جعل لكم الى قوله بارفاقها تذكير بنعمة الله تعم بخلق الابدان وما اشتمل عليه من المنافع ففائدة الاسماع ان تعي ما خلقت لاجله وفائدة الابصار ان يدرك بها الانسان عجائب مصنوعات الله تعم فيحصل له منها عبرة ولفظ العشا ويحتمل ان يكون مستعارا لظلمة الجهل العارض لابصار القلوب حتى يكون التقدير لتجلو عشا قلوبها وح فادراك البصر المحصل عبرة يحصل للقلب به جلاء لذلك العشا فصح اسناد الجلاء الى الابصار ويحتمل ان يكون مستعارا لعدم ادراكها لما يحصل منه العبرة اذ كانت فائدتها ذلك فاذا لم يحصل منها ذلك الادراك كانت كبصر صاحبه العشا ووجه المشابهة عدم الفائدة ونسبة الجلاء اليها بوجود الادراك المفيد عبرة عنها وهو استعارة ايضا وعن ليست زائدة لان الجلاء يستدعي مجلوا عنه فلذكره المجلو واقامه مقام المجلو عنه فكانه قال لتجلو عن قواها عشاها واما فائدة البدن واعضائه فقد اشرنا اليه قبل مفصلا وقوله قائمة بارفاقها اي ان كل بدن قائم في الوجود بحسب ما عين له من ضروب المنافع وقوله وقلوب رائدة الى قوله سترها عنكم اظهار

معلوم

منة الله تعالى على عباده بخلقه لهم وهدايته لنفوسهم لارشاده وارزاقهم التي بها قوام حيوتها الدنيا وتمكنها من اصلاح معادها ثم باعبائه وفى نعم وسوابغها فمنها ستره عليهم قبائح اعمالهم ان تظهر وهواجس خواطرهم بعضهم لبعض بحيث لو اطلع كل على ما في ضمير صاحبه من الغل و الحسد وتمنى زوال نعمته لافنى بعضهم بعضا وخرب نظام وجودهم وموجبات منته نعمة التي توجب ان يمن بها ومن يرى بفتح الجيم فالمراد بالمنن اذن النعم وموجبات ما سقط منها وافيض على العباد وهواجز عافيته ما منع منها عوائل الامراض والمضار المتدفعة بها وانما ذكر كثيرة الاعمار في معرض المنة لانه من النعم العظيمة على العبد اذ كان اطلاع الانسان على كثير عمره مما يوجب اشتغال خاطره بخوفه من الموت من عمارة الارض ويبطل بسببه نظام هذا العالم وقوله وخلق لكم عبرا وجه من من الله تعالى ان ابقاه احوال الماضين وما خلفوه عبرة للاحقين سبب عظيم لجذبهم عن دار الغرور ومهاوى الهلاك الى سعادة الابد ومستمتع خلاقهم ما استمتعوا به مما كان نصيبا لكل منهم في مدة بقائه من متاع الدنيا ومستفسح خناقهم محل الفسحة لاعناقهم من ضيق حبائل الموت واغلال الجحيم وذلك المستفسح هو مدة حيوتهم ايضا ثم اردف ذلك بوصف حال الماضين في غرورهم وذكر اعجال الموت لهم عن بلوغ امالهم وتشذيبه لهم باخترامهم عنها وتنبيه على وجوب تقصير الامل والاستعداد للموت وكنى عنهم بقوله لم يمهد والى قوله الاوان على تقصير الماضين في اصلاح معادهم حيث امكنهم ذلك في سلامة ابدانهم واوائل زمانهم ليحصل لهم بذلك التذكر نفرة عن حال السابقين وانزعاج عن الغرور الى الاستعداد بالتقوى والاعمال الصالحة ثم استفهمهم عما ينتظر الشباب بشبابهم غير حوانى الهرم واهل الصحة بصحتهم من غير الاستقام والمعرون بطول اعمارهم غير الفناء استفهاما على سبيل الانكار لما ينتظرونه غير هذه الامور وتقريعا على ترك الانتظار فيستفر عنه بذكر غايات التي حصره فيها واعلم ان ذلك ليس انتظارا حقيقيا لكن لما كان المنتظر لامر والمترقب له تاركا في احواله لما يعنيه من الاشتغال الى غاية ان يصل اليه ما ينتظره وكانت غاية الشباب ان يجيء ظهور الهرم وغاية الصحيح ان يسقم وغاية المعمر ان يفنى اشبه تركهم للعمل عباده الله الى غاياتهم المذكورة الانتظار لها فاستعير لهم لفظ الانتظار ثم كنى عن شدة حال المفارق في سكرات الموت باوصاف تعرض له كالرعدة والقلق والغم والخوف والغصص بالريق والتلفت للاستغاثة بالاعوان والاقرباء والاعزة ثم نبه بقوله فهل دفعت الاقارب او نفعت النواحب اى البواكي على ان ما ينفع عند نزول الموت من تلك الاحوال لا ينفع في دفعه قريب ولا حبيب على طريق الاستفهام و الانكار وقوله قد غودر الجملة في محل النصب على الحال والعامل نفعت اى لم ينفعه البكاء حال ما غودر في محل الاموات بالاوصاف الكريهة تنفيرا عن احواله وجذبا الى الخلاص من اهوالها بالعمل له والاخلاص له ورهينا اى مقيما او مرتهنا بذنوبه وموثوق بها ونصبه على الحال وكذلك وحيدا وموضع قوله قد هتكت وبالى الافعال المعطوفة عليه والهوام الديدان المتولدة من جيفة وغيرها وقوله والارواح مرتهنة بثقل اعبائها اشارة الى اشتغال النفوس وانحطاطها الى الجهة السافلة بثقل ما حملته من الاوزار واكتسبته من الهيئات الرديئة وما يتحقق غيبته من الانباء هناك هو الاخبار من الاحوال اللاحقة بها بعد الموت من خير وشر فانها يتحقق غيبتها عن اهل الدنيا وابناء ما خلفته من اللواحق الدنيوية وانها يتحقق بعد الموت غيبتها وانقطاعها عنها والاول اولى وقوله لا تستزاد من صالح عملها ولا تستعتب من شيء زللها اى لا يطلب منها زيادة من العمل الصالح ولا يقال من شيء زللها ويرضى عنها كقوله تعالى وان يستعتبوا فما هم من المعتبين وذلك لعدم آلة العمل وامتناع الرجوع اليه وعدم تمكنها من نزع ما دمها في عنقها من اطواق الهيئات البدنية كما قال تعالى قال رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون وقوله اولستم اباء القوم والابناء واخوانهم والاقرباء اى وليس فيكم من هو اب لاحد اولئك وابن له واخوه او قريبه وهو تنبيه للسامعين على وجه العبرة فانه لما شرح حال الماضين في الموت وما بعده نبههم على انهم امثالهم في كل تلك الاحوال ليرجعوا الى تقوى الله الذي هو سبب النجاة من تلك الاهوال وقوله تحتذون مثلهم اى تقتدون بهم في افعالهم وتسلكون مسالكهم في غرورهم ونحوه كما قال تعالى حكاية انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون وقوله فالقلوب قاسية عن حظها اى لا استعداد لها تقبل به حظها الذي ينبغي لها طلبه عن رشدها غافلة عن طلب هدايتها سالكة في غير مضمار ها والمضمار ههنا هو الشريعة واوامر الله وسلوكها لغيره ارتكابها لمناهى الله ورياضتها بالاعمال الصالحة التي هي طريق الجحيم وقوله كان المعنى سواها وكان الرشد في احراز دنياها في ذكر اعراض القلوب وغفلتها عن المواعظ وانهماكها في تحصيل الدنيا وجمعها الذي جذبت عنه وحذرت منه **الفصل الثاني** في التذكير بامر الصراط والتحذير من اهواله والحث على التقوى وذلك قوله واعلموا ان مجازكم على الصراط ومزالق دحضه واهاويل زلله وتارات اهواله فاتقوا الله تقية ذي لب شغل التفكر قلبه وانصب الخوف بدنه واسهر التهجد غرار نومه واظمأ الرجاء هواجر يومه وظلف الزهد شهواته واوجف الذكر بلسانه وقدم الخوف لامانه وتنكب المخالج عن واضح السبيل وسلك اقصد المسالك الى النهج المطلوب ولم تفتله فاتلات الغرور ولم تعم عليه مشتبهات الامور ظافرا بفرحة البشرى وراحة النعمى في انعم نومه وامن يومه وقد عبر معبر العاجلة حميدا وقدم زاد الآجلة سعيدا وبادر من وجل واكمش في مهل ورغب في طلب وذهب عن هرب وراقب في يومه غده ونظر قدما امامه فكفى بالجنة ثوابا

ونوالا وكفى بالنار عقابا ووبالا وكفى بالله منتقما ونصيرا وكفى بالكتاب حجيجا وخصيما اوصيكم بتقوى الله الذي اعذر بما انذر واحتج بما نهج وحذركم عدوا نفذ في الصدور خفيا ونفث في الآذان نجيا فاضل واردى ووعد فمنى وزين سيئات الجرائم وهون موبقات العظائم حتى اذا استدرج قرينته واستغلق رهينته انكر ما زين واستعظم ما هون وحذر ما امن **اقول** المزالق الموضع الذي لا تثبت عليه قدم والدحض الزلق والتقحيم المبادرة بالمبيل والعذار النوم القليل والوجيف سرعة السير والمخالج الامور المشغلة الجاذبة واكمش امضى عزمه ومضى قدما لم يعرج واعلم ان الصراط الموعود به في القرآن الكريم حق يجب الايمان به وان اختلف الناس في حقيقته وظاهر الشريعة والذي عليه جمهور المسلمين ومن اثبت المعاد الجسماني يقتضي انه جسم في غاية الدقة والحدة ممدود على جهنم وهو طريق الى الجنة يجوزه من اخلص لله ومن عصاه سلك عن جنبيه احد ابواب جهنم واما الحكماء فقالوا حقيقته وما يقال من حدته انه كالشعر والدقة فهو ظلم بل نسبة الشعرة اليه كنسبتها الى الخط الهندسي الفاصل بين الظل والشمس الذي ليس من احدهما فهو كالخط الذي لا عرض له اصلا وحقيقته هو الوسط الحقيقي بين الاخلاق المتضادة كالسخاوة بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن والاقتصاد بين الاسراف والتقتير والتواضع بين التكبر والمهانة والعفة بين الشهوة والخمود والعدالة بين الظلم والانظلام فالاوساط بين هذه الاطراف المتضادة هي الاخلاق المحمودة ولكل واحد منها طرفا تفريط وافراط هما مذمومان وكل واحد منها هو غاية البعد بين طرفيه وليس هو من طرف الزيادة ولا من طرف النقصان قالوا وتحقيق ذلك ان كمال الانسان في التشبه بالملائكة وهم منفكون عن هذه الاوصاف المتضادة وليس في امكان الانسان الانفكاك عنها بالكلية فغايته التباعد عنها الى الوسط تباعدا يشبه الانفكاك عنها فالسخي كانه لا بخيل ولا مبذر فالصراط المستقيم هو الوسط الحق الذي لا ميل له الى احد الجانبين ولا عرض له وهو ادق من الشعر ولذلك قال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل وروى عن الصادق عليه السلام وقد سئل عن قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم قال يقول ارشدنا للزوم الطريق المؤدي الى محبتك والمبلغ دينك المانع من ان نتبع اهواءنا فنعطب او ناخذ باراءنا فنهلك وعن الحسن العسكري الصراط صراطان صراط في الدنيا وصراط في الآخرة فاما الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير واستقام فلم يعدل الى شيء من الباطل والصراط الآخر هو طريق المؤمنين الى الجنة لا يعدلون عن الجنة الى النار ولا الى غير النار سوى الجنة والناس في ذلك متفاوتون فمن استقام على هذا الصراط وتعود سلوكه مر على صراط الآخرة مستويا ودخل الجنة امنا اذا عرفت ذلك فنقول مزالق الصراط كناية عن المواضع التي هي مظان انحراف الانسان عن الوسط بين الاطراف المذمومة وتلك المواضع هي مظان الشهوات والميول الطبيعية واهاويل زلله هي ما يستلزم العبور الى احد طرفي الافراط والتفريط من العذاب العظيم في الآخرة وتارات اهواله تكرار ذلك تارة بعد اخرى وقوله فاتقوا الله عود الى الامر بتقوى الله تقية من استجمع اوصاف الايمان **احدها** تقية من شغل التفكر قلبه اى في امر معاده عن محبة الدنيا وباطلها **الثاني** وانصب الخوف بدنه اى اتعبه وتحلله خوف الله تعالى وما اعد للعصاة من الاهوال **الثالث** واسهر التهجد للعبادة غرار نومه اى لم يترك له نوما **الرابع** واظمأ الرجاء هواجر يومه اى اظماه رجاء ما اعد الله لاوليائه الابرار عوضا من الطيبات هذه الدار وظماؤه في هواجر يومه كناية عن كثرة صيامه في اشد وقت حرارة وانما جعل الهواجر مفعولا افادة للظرف مقام المظروف وهو من وجوه المجاز **الخامس** وظلف الزهد شهواته استعار لفظ الاطفاء للزهد وهو من اوصاف الماء ونسبته الى النار ونسبة الزهد الى الشهوات فلاحظ الشبه بين الشهوات والنار في تاثيرهما المؤذي وبين الزهد والماء فيما يلزمهما من كون الاعراض عن الدنيا يستتبع خمود الشهوات ودفع مضارها كما يفعله الماء بالنار **السادس** واسرع الذكر الى لسانه اى لتعوده اياه وادمانه فيه **السابع** وقدم الخوف لامانه اى خوف ربه فعمل صالحا ليأمن عذاب **الثامن** وتنكب المخالج اى عدل عن الامور المشغلة الى واضح سبيل الله **التاسع** وسلك اقصد المسالك اى اولاها بالقصد الى النهج الواضح الطريق المطلوب لله من خلقه وهو سبيله المستقيم فان للناس في سلوك سبيل الله مذاهب كثيرة ولكن احبها اليه اولاها بالقصد الى طريقه الموصل اليه **العاشر** ولم تفتله فاتلات الغرور اى لم يهلك غفلة انه في لذات الدنيا عن ربه انا لم يغفل عن طاعته **الحادي عشر** ولم تعم عليه مشتبهات الامور اى لم تظلم في وجهه شبهة على حق فيشتد عليه وجه تخليصه **الثاني عشر** ظافرا بفرحة البشرى اى بشرى الملائكة يومئذ بشريكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار **الثالث عشر** وراحة النعمى في الدنيا ومتاعها بنعيم الآخرة ونعيم الله في الآخرة الجنة **الرابع عشر** في انعم نومه اى اطيب راحته واطلق لفظ النوم على الراحة في الجنة مجازا اطلاقا لاسم الملزوم على اللازم **الخامس عشر** وامن يومه اى امن اوقاته واطلق لفظ اليوم على مطلق الوقت مجازا اطلاقا لاسم الجزء على الكل **السادس عشر** قد عبر معبر العاجلة اى الدنيا حميدا اى محمود الطريقة **السابع عشر** وقدم زاد الآجلة سعيدا اى عمله للآخرة فحصل على السعادة الابدية وحميدا وسعيدا حالان **الثامن عشر** وبادر من وجل اى الى الاعمال الصالحة من وجل خوف الله **التاسع عشر** واسرع في مهل الى طاعة ربه ايام مهلته وهي حيوته

الدنيا **العشرون** وراغب طلب اى كان طلبه لله عن رغبته له **الحادي والعشرون** وذهب عن هرب اى كان ذهابه عما يبعد عن الله
عن هرب من خوف الله وفي كل قرينين من هذه العشر السجع المتوازي **الثاني والعشرون** وراغب يوم معاده اى توقع في ايام حيوته يحو
اخرته **الثالث والعشرون** ونظر قدما امامه اى لم يلتفت في نظره عن قصد الله الى غيره ثم نبه بقوله فكفى بالجنة ثوابا ونوالا
على وجوب السعي لها دون غيرها ثم تكون النار وبالا وعقابا على وجوب الهرب منها دون غيرها وكفى بالله منتقما ونصيرا على وجوب
الاقتصار على خشيته والاستعانة به وبقوله وكفى بالكتاب حجيجا اى محتجا وخصيما على وجوب لا انفعال عنه وملاحظة شهادته في الاخرة
على من لم يتبعه ونسبة الاحتجاج والخصام الى الكتاب مجازا والمنصوبات يكفي على التميز وقوله اوصيكم بتقوى الله عود الى الحث على تقوى
الله باعتبار امور ثلثة **احدها** اعذاره الى الخلق بما انذرهم من العقوبات **الثاني** احتجاجه عليهم بما اوضح بالدلائل والبينات **الثالث**
تحذيره لهم ابليس وعداوته وقد سبق معناه في الخطبة الاولى وذكر له اوصافا فهي كونه نفذ في الصدر وحفيا والاشارة به الى النفس الامارة
بالسوء وتجوز بلفظ الصدر وفي القلوب طلاقا الاسم لمكان على المتمكن وكونه نفث في الاذان نجيا وهو اشارة الى ما تلقنه شياطين
الانس بعضهم الى بعض من زخرف القول وغروره وقد سبق ذلك في الخطبة الاولى وكونه اضل اى جذب عن طريق الحق واردى اى فادهم
في قرار الجحيم ووعد ومنى اى بلوغ الامال لكاذبة وزين سيئات الجرائم اى قبائح المعاصي وهون موبقات العظائم اى ما يهلك من عظيم
الذنوب وتهوينه لها بمثل تمنيه التوبة ومساعدة العقل له بقوله ان الله عفور رحيم وبمثل الاقتداء بالغير لانه هو اولى بالعفة مثلا
او اكثر قدرا في الدنيا وسائر اوصاف النوسوس كما عرفت حقيقتها وقوله حتى اذا استدرج قرينته واستغلق رهينته فقرينته هي
النفس الناطقة باعتبار موافقته وهي رهينته باعتبار احاطة الذنوب بها من قبله كما يستغلق الرهن بما عليه من المال ولفظ الرهينة
مستعار واستدراجها ترتيبه حالا بعد حال وتعويدها طاعته وقوله انكر ما زين الى اخره اشارة الى غايته من وسوسته وتعود من
النفس الامارة بالسوء الى موافقتها الحكم العقلي في قبح ما كانت امرته واستعظام خطره ومساعدتها على التحذير منه بالامتناع من خشية بعد
ان كانت تحث عليه وتزينه وتؤمن منه وذلك اما عند التوبة وقهر العقل لها او عند معاينة المكروهات من جزئيها من العقوبات والالام
اثناء الدنيا وبعد المفارقة والحصول في عذاب الجحيم بسبب لانها لما تريه من الباطل وذلك ان النفس اذا فارقت البدن حملت معها
القوة المتوهمة فتدرك ما يلحقها من خبثات العقوبات كعذاب القبر وما يتنوع منه كما سبقت الاشارة اليه وقد يتصور ذلك من شياطين
الانس في تزيينهم الجرائم واما من الشيطان المتاثم فظاهر **الفصل الخامس** قوله
ام هذا الذي انشاه في ظلمات الارحام وشغف الاستار نطفة دفاقا وعلقة محاقا وجنينا وراضعا ووليدا ويافعا ثم منحه
قلبا حافظا ولسانا لافظا وبصرا لاحظا ليفهم معتبرا ويقصر مزدجرا حتى اذا قام اعتداله واستوى مثاله نفر مستكبرا
وخبط سادرا ماتحا في غرب هواه كادحا سعيا لدنياه في لذات طربه وبدوات اربه ولا يحتسب رزية ولا يخشع تقية فمات في
فتنته غريرا وعاش في هفوته يسيرا لم يفد عوضا ولم يقض مفترضا دهمته فجعات المنية في غبر جماحه وسنن مراحه فظل
سادرا وبات ساهرا في غمرات الالام وطوارق الاوجاع والاسقام بين اخ شقيق ووالد شفيق وداعية بالويل جزعا ولادمة للصدر قلقا
والمرء في سكرة ملهية وغمرة كارثة وانة موجعة وجذبة مكربة وسوقة متعبة ثم ادرج في اكفانه مبلسا وجذب منقادا
سلسا ثم القي على الاعواد رجيع وصب ونضو سقم تحمله حفدة الولدان وحشدة الاخوان الى دار غربته ومنقطع
زورته حتى اذا انصرف المشيع ورجع المتفجع اقعد في حفرته نجيا لبهتة السؤال وعثرة الامتحان واعظم ما هنالك بلية
نزول الحميم وتصلية الجحيم وفورات السعير لا فترة مريحة ولا دعة مزيحة ولا قوة حاجزة ولا موتة ناجزة ولا سنة مسلية بين اطوار الموتات
وعذاب الساعات انا بالله عائذون **اقول** اعلم ان مدار هذا الفصل على وصف حال الانسان من مبدء عمره بالتفصيل وبيان
نعم الله بترديده في اطوار الخلقة وتمكينه بمقابلة نعمه بالكفر والغفلة في متابعة الشيطان ونذكيره بما يكون غايته من جحوده الدنيا
وهو الموت وما يتبعه من احوال الميت بين اهله واقاربه وحالهم معه وما يكون بعد الموت من العذاب في القبر والسؤال والحساب وسائر
ما ينفر طبعه منه ويوجب له الالتفات الى اصلاح معاده ونذكر هيهنا امورا لعله يتذكر او يخشى والشغف بالغين المعجمة جمع شغاف بالفتح وهو
غلاف القلب والدفاق المفرغة والمحاق الناقصة واليافع الغلام المرتفع والسادر اللاهي الذي لا يهتم بشيء والماتح الجاذب للدلو
من البئر والبدوات الخطرات التي تبدو اى تظهر للخاطر ودهمته بالكسراى غشيته وغبر البئي بقيته وجماحه سعيه في ركوب هواه والسنا
ثانيا والمتحير واللدم ضرب الصدر والكارثة موجبة لشدة الغم والابلاس اليأس والرجيع من الابل المردد في الاسفار والنضو الذي قد
اهزلته والحفدة الولدان اعوانهم والحشدة مع الجماعة والسنن الجمعون والمتفجع المتوجع وفي تفصيل هذا الفصل نكت الاولى ام للاستفهام
وهو استفهام في معرض التقريع للانسان وامره باعتبار حال نفسه وكيفية خلقته على جزئيات نعم الله عليه مع كفرانه لها وكان ام معادلة
لهمزة الاستفهام قبلها والتقدير اليس فيما اظهره الله لكم من عجائب مصنوعاته عبرة ام هذا الانسان وتنقله في اطوار خلقته وحالاته الى

يوم نشوره كقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وفي بعض النسخ او هذا والمعنى واحد اعلم انه يجب ملاحظة خلقة الانسان وما جمع فيها من
اللطائف والاسرار وعجائب نعم الله حتى كان عالما مختصرا كما اومأنا اليه قبل كما وسيأتي **الثانية** قبل واول احوال تكون الانسان زبدية المني
وانتفاخ يظهر فيه فيهوا بر واول ما يتكون فيه وقتا الروح يفعل الملك المصور ثم تحدث ريح من قبل الطبيعة فتنقب ثقبا اما
فوهات العروق حيث انخلقت محسوسة صارت عروقا ثم تنبسط النطفة في اقطارها وتحدث في الغشاء ثقبا موازية
لثقب العروق التي في الرحم تنفتح عند الحيض ويحصل لمنبعها مجاري في الغشاء المذكورة تؤدي الى مجرى واحد نافذ الى عمق النطفة
مؤديا الى باطنه الدم في عرقين او عرق النفس في عرقين فاذا انخلقت هذه المجاري منصت النطفة الغذاء من فوهات تلك
العروق ونفذ في الصفاق دم تستحيل عن قريب الى جواهر المني وتحدث فيها خطوط لها مبادى دموية ونقطة اولى هي القلب
ثم لا تزال الدموية تزداد في النطفة حتى تصير علقة وتكون مثل الرغوة في الاكثر لستة ايام وابتداء الخطوط الحمر والنقطة بعد ثلثة
ايام اخرى ثم بعد ستة ايام وهو الخامس عشر من حين العلوق تنفذ الدموية في الجميع فتصير علقة وبعد ذلك باثني عشر يوما تصير
لحما وتتميز وتظهر لحم هي المضغة وتتميز الاعضاء الرئيسة وتمتد رطوبة النخاع ثم بعد تسعة ايام ينفصل الرأس عن المنكبين والاطراف عن
الضلوع والبطن يميز الحس في بعضهم ويخفى في بعض حتى يحس به بعد اربعة ايام اخرى تمام الاربعين فيصير جنينا وقد يتم ذلك
في ثلثين يوما وقد يتم في خمس واربعين يوما وقيل العدل في ذلك ذلك خمسة وثلثون يوما فيتحرك في سبعين يوما ويولد في مائتين
وعشرة ايام وذلك سبعة ايام اشهر واذا كان الاكثر خمسة واربعين يوما فيتحرك في تسعين يوما ويولد في مائتين وسبعين يوما
وذلك تسعة اشهر فهذه اشارة الى تنقله في ظلمات الرحم بتدبير الملك المقدر وواسطة الملك المصور ولو كشف الغطاء لرائينا
هذا التخطيط والتصوير يظهر عليه شيأ فشيأ مع انا لا نرى المصور ولا الة فسبحان المقدر على ما يشاء **الثالثة** انما وصف العلقة
بالمحاق لانها لا تنقص عليها بعد صورة شخص الانسان فهي بعد منحقة **الرابعة** الولد ما دام يرضع فهو رضيع وبعده وليد فاذا
ارتفع قبل يافع فاذا طر شاربه فهو غلام فاذا ادرك فهو رجل الرجولية ثلثة حدود الشباب وهو الى تمام النمو وبعده الكهولة وبعدها
الشيخوخة **الخامسة** ذكر الحفظ للقلب واللفظ اللسان واللحظ للبصر بيان لفوائدها ثم ذكر غاياتها لتلك الفوائد ومقصودها وهو
ان يفهم الانسان معتبرا اى يستنبط من شواهد الاء الله دلائل وحدانيته وسائر نعوت جلاله ويعرفها اى استكمال الفضائل النفسانية
ويقصر مزدجرا اى يكف عما لا ينبغي من موبقات الاثام وعن الخوف فيما لا يعنيه مزدجرا عنها **السادسة** قوله حتى اذا قام اعتداله واستوى مثاله
نفر مستكبرا الى اخر الاوصاف مما يعرض فيقال ان كثيرا من الناس لا يكون بهذه الصفة فلا يصدق عليهم هذه الاحكام فالجواب انه
اشارة الى الانسان المطلق الذي هو في قوة البعض لا الانسان العام وذلك ان الاوصاف المذكورة اذا صدقت على المطلق على بعض الناس
وذلك لبعضهم العصاة المراد بهذه الاوصاف والتوبيخ بها لهم وفيه تنبيه للباقين على وجوب دوام شكر الله والبقاء على امتثال اوامره
ونواهيه **السابعة** ما تحا في غرب هواه لما استعار لفظ الغرب لهواه الذي يملاء به صحايف اعماله من الماثم كما يملاء ذو الغرب
غربه من الماء رشح تلك الاستعارة بذكر المتح **الثامنة** المنصوبات العشر من نطفة وعلقة وجنينا وراضعا ووليدا ويافعا ومعتبرا
ومزدجرا ومستكبرا وسادرا وما تحا وكادحا وغريرا ومبلسا ومنقادا وسلسا ورجيع وصب ونضو سقم ونجيا كلها احوال والعامل في
كل حال ما يليه من الافعال وسعيا اما مفعول به والعامل كادحا او مصدر استغنى عن ذكر فعله ويسيرا صفة ظرف محذوف اى يمث
مقاما اى زمانا يسيرا وروى اسيرا فعلى هذا يكون حالا وجزعا وقلقا ونقية مفعول له واستعار اسيرا للعاصي على الرواية الثانية ووجه
المشابهة ان صاحب الزلة يقوده هواه الى هواه كما يقاد الاسير الى ما يكره **التاسعة** لم يفد عوضا اى لم يستفد في الدنيا عوضا مما
يعوض منها في الاخرة والعوض الذي ضيعه هو الكمال الذي خلق ليستفيده فما وفرض عليه والجذبة المكربة اى جذب الملائكة للروح
كما قال تعالى ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملئكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم الاية وروى عن رسول الله صلى الله عليه واله قال
ان المؤمن اذا احضر اتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال ايتها النفس المطمئنة ارجعي
الى ربك راضية مرضية الى روح الله وكرامته فاذا اخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليه الحريرة وبعث بها الى عليين
وان الكافر اذا احضر امر الله الملئكة بمسح فيه جمرة فينزع روحه انتزاعا شديدا ويقال ايتها النفس الخبيثة ارجعي ساخطة مسخوطا عليك الى
هوان الله وعذابه فاذا اخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وكان لها نشيش ويطوى عليها ذلك المسح ويذهب بها الى سجين واعلم ان تلك
الجذبة تعود الى ما يجده الميت حال النزع وهو عبارة عن الم ينزل بنفس الروح يستغرق في جميع اجزائه المنتشرة في اعماق البدن وليس هو كسائر ما
يجده الروح المختص ببعض الاعضاء كعضو شاكته شوكة ونحوه لاختصاص ذلك بموضع واحد فالم النزع يهجم على الاقل نفس الروح ويستغرق في جميع اجزائه
وهو المجذوب من كل عرق وعصب وجزء من الاجزاء ومن اصل كل شعرة وبشرة الانسان عن بدنه يجد فيه في كل عرق من عروقه وقد يمثل
ذلك بجمرة شوك كانت داخل البدن ثم جذبت منه وهي الجذبة المكربة ولما كان موت كل عضو من البدن عقيب الامراض التي ربما طالت

فتلك هي السوءة المتعبة **الحادي عشر** قوله رجيع وصب بضوء سقم استعاله وصفي الجمل فالرجيع باعتبار كونه تردد في اطوار المرض وتواتر عليه كما يردد الجمل في السفر مرة بعد اخرى ولفظ النضو باعتبار نحوله من الاسقام كما يحل الاسفار الجمل **الثانية عشر** قوله اضغط في حفرته نجيا ببهت السؤال الى اخره **اقول** القول بعذاب القبر وسؤال منكر ونكير حق روي عن رسول الله صلعم انه قال لعمر بن الخطاب كيف بك اذا انت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلثة اذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب فيه فتولوا عنك فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر منكر ونكير اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف يجران اشعارهما ويحيثان القبر بانيابهما فيتلتلانك ويزلزلانك فيقولان لك من ربك ومن نبيك وما دينك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر ويكون معي عقلي الآن قال صلى الله عليه وآله نعم قال فاذن اكفيكهما وفي وصفهما عنه صلى الله عليه وآله انهما ملكان اسودان ازرقان احدهما منكر والآخر نكير واعلم ان الايمان بما جاء من ذلك على ثلث مراتب **احدها** وهو الاظهر الاسلم ان تصدق بانها موجودة وان هناك ملكين على الصورة المحكية وحيات وعقارب تلدغ الميت وانكنا لا نشاهدها اذ لا تصلح هذه العين لمشاهدة الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت كما كانت الصحابة يؤمنون بنزول جبرئيل وكان النبي صلعم يشاهده وان لم يكونوا يشاهدونه وكما ان جبرئيل لا يشبه الناس فكذلك منكر ونكير وفعلهما والحيات والعقارب في القبر ليس من جنس حيات عالمنا فتدرك بعين اخرى **المقام الثاني** ان يتذكر ما قد يراه النائم من صورة شخص هائل يضربه او يقتله او حية تلدغه وقد ينام بين يديك حتى تراه في نومه يصيح ويعرق جبينه وينزعج من مكانه كل ذلك يدرك من نفسه ويشاهده ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وانت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حوله شخصا ولا حية والحية موجودة في حقه متخيلة له ولا فرق في بيان ان يتخيل عدوا وحية او يشاهده **المقام الثالث** ان تعلم ان منكرا ونكيرا وسائر احوال القبر غايته الايلام والمولم في الحقيقة ليس هو الشخص المشاهد ولا الحية بل ما يحصل منه من العذاب فالنفس العاصية اذا فارقت البدن حملت القوة المتخيلة معها ولم تتجرد عن البدن منزهة عن الهيئات البدنية والاخلاق الردية المهلكة من الكبر والرياء والحسد والحقد والحرص وغيرها وهي عند الموت عالمة بمفارقة البدن متوهمة لنفسها الانسان الذي مات وعلى صورته كما كان في الرؤيا يتخيل ويتوهم بدنها مقبورة ويتخيل الآلام الواصلة اليها على كل خلق ردي على سبيل العقوبة الحسية لها كما قررته الشريعة الحقة وانغرس في الاذهان عنها على صورة شخص منكر هائل الصورة يعنف في السؤال ويبهته بسوء منظره وهول اصواته ويمتحنه فيتلجلج لسانه فيضربه ويعذبه وعلى مثال ذلك ايضا ان كانت النفس سعيدة تخيلت الملذات الحاصلة لها من كل خلق حسن وعمل صالح فتمثلت في صورة ملك فوق ما كانت تعتقده مما كان يوصف لها من صور اشخاص بهية تدخل عليهم وتتلقاهم بالبشارة كمبشر وبشير وسائر الملائكة الذين يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ومن فسحة القبر والروح والريحان وشاما وعد فيه فهذا عذاب القبر وثوابه واليه الاشارة بقول الرسول صلعم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار فان قلت لم جعل اول داخل على الانسان في قبره سواء كان سعيدا او شقيا ملكين ولم يكن ثلثة او واحدا مثلا قلت قال بعض العلماء انه لما كانت السعادة والشقاوة الحاصلتين للنفس انما يحصل من جهة قوتين نظرية وعملية جعل ما يكتسب عن كل واحدة منهما ملكا فان كان المكتسب جهلا مركبا ورذائل اخلاق فمنكر ونكير وان كان علما ومكارم فمبشر وبشير والله اعلم باسرار شريعته واعلم ان معنى تصور مغمض ثواب القبر وعذابه في المقامات تصورت معنى ثواب الجنة وعذاب النار **الثالث عشر** لا فترة مزيحة ولا قوة حاجزة يجري مجرى ايات الوعيد الناطقة بالتخليد وهي مخصوصة بالكفار الذين لا سكنة لنفوسهم بعالم الملكوت ونحوه قوله تعالى ان المجرمين في عذاب جهنم لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون واما انه ليس لهم قوة حاجزة فلان القوة الحاجزة بينهم وبين العذاب مقصورة في حقهم وهي التمسك بالله تعالى ومحبة الالتفات الى عالم الغيب والملاء الاعلى واما عدم الموتة الناجزة فلان الانسان غير قابل للفناء كما علم ذلك في موضعه واما سلب السنة عنهم اشارة الى شدة الالم وما يلقونه من الم العذاب لان الالم الشديد يستلزم عدم النوم فلا سلوة اذن بين حالات سكرات العذاب باطلاق لفظ الموتات مجاز في شدة العذاب اطلاقا لاسم الغاية على ما يصلح غاية له وقد لاحظ في كثير هذا الفصل السجع المتوازي وبالله التوفيق

الفصل الثاني قوله عباد الله الذين عمروا فنعموا وعلموا ففهموا وانظروا فلهوا وسلموا فنسوا امهلوا طويلا ومنحوا جميلا وحذروا اليما ووعدوا جسيما احذروا الذنوب المورطة والعيوب المسخطة اولي الابصار والاسماع والعافية والمتاع هل من مناص او خلاص او معاذ او ملاذ او فرار او محار ام لا فانى تؤفكون ام اين تصرفون ام بماذا تغترون وانما حظ احدكم من الارض ذات الطول والعرض قيد قده متعفرا على خده الآن عباد الله والخناق مهمل والروح مرسل في فينة الارشاد وراحة الاجساد ومهل البقية وانف المشية وانظار التوبة وانفساح الحوبة قبل الضنك والروع والزهوق وقبل قدوم الغائب المنتظر واخذة العزيز المقتدر **اقول** وقد عظم في الامر خلعته منه المناص الملجأ والمحار المرجع وافك صرف وقيد قده مقدار قامته والمعفر المترب والعفر التراب والفينة الحين وانف الشيء اوله والحوبة الحاجة والمسكنة والضنك الضيق وفي هذا الفصل فوائد **الاولى** التنبيه والتقريع على كفران جملة من نعم الله فمنها ان عمرهم فنعموا وعلمهم ففهموا وانظرهم فلهوا

من الآفات وامهلهم طويلا ومنحهم الجميل وحذرهم اليم العذاب ووعدهم وعدا حسنا ومن كفرانهم لتلك النعم ان اشتغلوا بلذات الدنيا عن اوامره ولهوا عن الالتفات اليه ونسوا ما ذكرهم به وغرهم **الثانية** التحذير من الذنوب المورطة في موارد الهلكة وانواع العذاب ثم من العيوب المسخطة لله وهي اكتساب رذائل الاخلاق **الثالثة** تنبيه اولي الابصار والاسماع والعافية والمتاع في الدنيا على انه لا مناص اي من امر الله ولا خلاص اي من عذابه لمن حصل فيه وكذلك لا معاذ ولا ملاذ منه لمن استعد له ولا فرار اي من حكمه ولا مرجع اي بعد الموت وانما خص اولي الابصار والاسماع والعافية لكونهم اهل التكاليف التامة والعقول داخلة في اشارته اما بالابصار والاسماع مجازا او في العافية وانما خص اولي المتاع لان اهل الاستمتاع بالدنيا هم المجذوبون عنها من جهة اشتغالهم بمتاعها عن سلوك سبيل الله وهل استفهام عن الامور المذكورة على سبيل الانكار لها ثم استفهمهم عن وقت صرفهم وعن مكان ذلك على سبيل التقريع لهم ثم عما يغترون به بعد لقاء الله في ترك اوامره على سبيل الانكار للاعتذار بهم وام معادلة لهل الاستفهامية **الرابعة** التذكير بامر القبر وبتعفير الخد فيه مما هو منفور عنه طبعا وفيه تنبيه على وجوب الانتهاء عن الاستكثار من قينات الدنيا وجنانها لوجوب مفارقتها وانه لا نصيب للميت في محصلها منها الا مقدار قامته وهو كناية عن قبره **الخامسة** التنبيه على وقت العمل والاحوال التي يمكنهم فيها وكنى بالآن عن زمان الحيوة الدنيا وبالخناق عما يؤخذ به اعناق النفوس الى بارئها وهو الموت كناية بالمستعار ووجه المشابهة كون كل واحد منهما مكروها مقادا به الى مكروه ووجه الاستعارة بذكر الاهمال وكنى به عن مدة الامهال في الحيوة الدنيا وكذلك اراد بارسال الروح اهمالها ويكون ذلك الارسال في فينة الارشاد اي في زمان ارشاد النفوس وطلبها لما تستعد به من الكمال للقاء الله وروي الارشاد اي ارشاد النفوس الى سبيل الله وجهة السعادة الابدية وكذلك مهل البقية اي بقية الاعمار **السادسة** قوله وانف المشية اي اول الارادة للنفوس فذلك انه ينبغي ان يكون اول زمان الانسان واول ميول قلبه الى طاعة الله والانقياد لاوامره ليكون ما يرد على لوح نفسه من الكمالات المسعدة في الآخرة واردا على لوح صاف عن كدر الباطل وانه متى عكس ذلك فجعل اول ميوله واراداته لمعاصي الله تنور وجه نفسه بملكات السوء فلم يكد يقبل بعد ذلك الاستضاءة بنور الحق فكان من الاخسرين اعمالا **السابعة** انظار التوبة امهال الله لعصاة اهلها ولما كان غرض العناية الالهية سوق كل ناقص الى كماله حسن ان يعبر عن بقاء العاصي بانه انظار للتوبة **الثامنة** وانفساح الحوبة اي تمكن زمان العمل للحاجة في الآخرة والاضافة يكفي فيها ادنى ملابسة وذلك ان كل حاجة فرضها الانسان في الدنيا فقد لا يكون في محل الضرورة والضيق الكلي منها وان كانت في محل الضرورة لكنها في مظنة ان يرجى زوالها بخلاف الحاجة والضرورة في الآخرة الى صالح الاعمال فانها لا يمكن زوالها بعد المفارقة ولا متسع للعمل الا في الدنيا وكان اهلها منها في شدة ضرورة واضيق حال واقبح صورة واشار بالضنك والضيق الى محض الانسان في اغلال الهيئات البدنية وسجن جهنم وبالروع والزهوق الى الفزع الاكبر من اهوال الموت وما بعده **التاسعة** الغائب المنتظر كناية عن الموت وقدومه هجومه ولما استعار لفظ الغائب لمشابهته بما ينتظر رشح تلك الاستعارة بلفظ القدوم **العاشرة** اخذة العزيز المقتدر جذب الارواح بحكم قدرة الله العزيز الذي لا يجتنبه ذلال قام المقتدر الذي لا امتناع له لقدرته فاذروا بالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلم في ذكر عمرو بن العاص عجبا لابن النابغة يزعم لاهل الشام ان في دعابة واني امرء تلعابة اعافس وامارس لقد قال باطلا ونطق اثما اما وشر القول الكذب انه ليقول فيكذب ويعد فيخلف ويسأل فيلحف ويسأل فيبخل ويخون العهد ويقطع الال فاذا كان عند الحرب فاي زاجر وآمر هو ما لم تأخذ السيوف ماخذها فاذا كان ذلك كان اكبر مكيدته ان يمنح القوم سبته اما والله اني ليمنعني من اللعب ذكر الموت وانه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة انه لم يبايع معوية حتى شرط له ان يؤتيه اتية ويرضخ له على ترك الدين رضيخة **اقول** النابغة اسم ام عمرو وسميت بها لشهرتها بالفجور وتظاهرها به والدعابة المزاح والتلعابة كثير اللعب والتاء للمبالغة والمعافسة المداعبة والممارسة المعالجة بالمصارعة والقرص ونحوه والال القرابة وسبته سوءته والاتية العطية والوزن واحد وكذلك الرضيخة واعلم ان في هذا الفصل ثلثة فصول **الاول** ذكر دعوى عمرو في حقه من كونه لعابا مزاحا مكثرا المعالجة والمصارعة وذكر هذه الدعوى مصدرة بالتعجب من صدورها في حقه مخصوصة بالكذب لمدعيها والرد لقائله وذلك قوله عجبا الى قوله ونطق اثما وباطلا وصف المصدر واثما حال وانما كنى عنه بابن النابغة لان من عادة العرب النسبة الى الام اذا كانت مشهورة بشرف او خسة ونحوها واعلم انه قد كان يصدر عنه المزاح بالقدر المعتدل الذي لا يخرج به الى حد رذيلة الافراط فيه فمن ذلك ما روي انه كان جالسا يوما على دكة من الارض وكان ابوهريرة جالسا معه واخذ منه لقمة وجعل فيها سوءة فالتفت اليه ابوهريرة فتبسم فقال ابوهريرة هذا الذي اخرك عن الناس فقد علمت ان ذلك من توابع حسن الخلق ولين الجانب فهو اذن فضيلة وليس برذيلة والمدعى لعمرو انما هو ضد في ذلك الحد الافراط الذي يصدق عليه انه لعب وهزل وروي انه كان يقول لاهل الشام انا انما اخرنا عليا لان فيه هزلا لا جد معه ونحوه ما كان يقول ابوه العاص لرسول الله صلعم انه ساحر ومن اشبه اباه فما ظلم وتكذيبه لعمرو انما هو فيما ادعاه من الخروج الى اللعب واما اصل المزاح فلم ينكره وكيف وقد كان يصدر عن رسول الله صلعم كما روي انه قال يوما لعجوز ان العجائز لا يدخلن الجنة فبكت فتبسم وقال ان الله يجعلهن شوابا ثم

يدخلهن الجنة واهل الجنة شباب جرد مرد وان الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وكان يقول المزح ولا يقول الا حقا **الثاني** قوله ما وشرة
القول الى وزر سلبه ويشتمل على ذكر ما اجتمع في هذا المدعي من الرذائل التي توجب فسقه وسقوط دعواه لقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم
فاسق بنبأ فتبينوا الآية وذكر من تلك الرذائل خمسا **الاولى** الكذب وخطر كونه شر القول وانه مفسدة مطلقة في الدين والدنيا اما الدين
فللمنقول والمعقول اما المنقول فقول الرسول عم الكذب راس النفاق واما المعقول فلان الوجدان شاهد بان الكذب مما يسود لوح
النفس ويمنع ان ينتقش بصور الحق والصدق ويفسد المنامات والالهامات واما الدنيا فلانه سبب عظيم لخراب البلاد وقتل النفوس
وسفك الدماء وانواع الظلم ولذلك اتفق اهل العالم من ارباب الملل وغيرهم على تحريمه وادعى المغرور فيه بالضرورة وهو رذيلة
مقابلة للصدق داخلة تحت رذيلة الفجور **الثانية** الخلف في الوعد **الثالثة** الغدر في العهد وهما رذيلتان مقابلتان
للوفاء داخلتان تحت رذيلة الفجور ايضا والغدر يستلزم رذيلة الخبث وهو طرف الافراط من فضيلة الذكاء وهما يستلزمان الكذب ايضا
الرابعة قطع الرحم وهي رذيلة الافراط من فضيلة صلة الرحم وحقيقتها عدم مشاركة ذوي اللحمة في الخيرات الدنيوية وهي رذيلة تحت الظلم
مستلزمة للبخل **الخامسة** رذيلة الجبن وهي طرف التفريط من فضيلة الشجاعة ونبه عليها بقوله فلو كان عند الحرب فاي ناجر
وامر هو الى قوله سبته وفيه تنبيه على دناءة همته ومهانة نفسه اذ كان على الهمة شهم النفس لا يفر من قراع الاقران الى التخلص من الموت
باقبح فعل يكون من كشف سوءته وبقاء ذلك سبة في عقبه على مر الدهور والدناءة والمهانة رذيلتان تحت الجبن وقوله فاي
زاجر وامر هو استفهام على سبيل التعجب والمبالغة في امره ونهيه وذكره في معرض الذم هنا وان كان من المادح لغرض ان يردفه برذيلته
ليكون ذلك خارجا مخرج الاستهزاء فيكون ابلغ وقعا في النفوس واشد عارا عليه اذ كان الامر والنهي في الحرب مما يحسن ممن يشتهر با
بالشجاعة والاقدام لا ممن يامر وينهى فاذا اشتد القتال فر فرار الحمار من السبع واجتهد في البقاء ولو باقبح مذمة فان عدم الامر والنهي
والخمول بمثل هذا اليق واولى من وجودها وكان ابا الطيب حكى صورة حاله اذ قال واذا ما خلا الجبان بارض طلب الطعن وحده
والنزالا واما صورة هذه الرذيلة منه فروي ان عليا عم حمل عليه في بعض ايام صفين فلما تصور انه قاتله القى نفسه عن فرسه وكشف
سوءته مواجها له عم فلما راى ذلك منه غض بصره عنه وانصرف عمرو مكشوف العورة ونجا بذلك فصار مثلا لمن يدفع عن نفسه مكروها
بارتكاب المذلة والعار وفيه يقول ابو فراس ولا خير في دفع الاذى بمذلة كما ردها يوما بسوءته عمرو وروي مثل ذلك لبسر بن ارطاة معه عم
فانه حمل على بسر فسقط بسر على قفاه ورفع رجليه فانكشفت عورته فصرف عم وجهه عنه فلما قام سقطت البيضة عن راسه فصاح اصحابه
يا امير المؤمنين انه بسر بن ارطاة فقال ذروه لعنه الله فلقد كان معوية اولى بذلك منه فضحك معوية وقال لا عليك يا بسر ارفع طرفك
ولا تستحي فلك بعمرو اسوة وقد اراك الله منه واراه منك فصاح فتى من اهل الكوفة ويلكم يا اهل الشام اما تستحيون لقد علمكم
عمرو كشف الاستاه ثم انشد افي كل يوم فارس وكريهة له عورة وسط العجاجة باديه يكف لها عنه علي سنانه ويضحك منها في الخلاء
معوية بدت امس من عمرو فقنع راسه وعورة بسر مثلها حذو حاذيه فقولا لعمرو وابن ارطاة ابصرا سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه ولا
تحمدا الا الحيا وخصاكما هما كانتا والله للنفس واقيه ولولاهما لم تنجوا من سنانه وتلك بما فيها عن العود ناهيه وكان بسر ممن يضحك من عمرو
فصار ضحكة له ايضا **السادسة** نبه بها على حقارة ما ادعى عمرو في حقه وهو مستند المنع وذكر وجهين احدهما يرجع اليه وهو انه عم دائم الذكر
والتفكر في احوال المعاد والوجدان شاهد بان المتفكر من انتظار الموت عليه يكون ابدا قصير الامل وجلا من الله مترصدا لهجوم الموت
عليه مشغولا بذلك عن الالتفات الى حظ الشهوات من اللعب ونحوه فكيف يتصور اللعب ممن هذه حاله الثاني يرجع الى حال عمرو وهو
انه ممن نسي الآخرة وظاهر ان نسيانها مستلزم للكذب وسائر وجوه خداع ابناء الدنيا عنها بالمكر والحيلة وما لا ينبغي من مناهي الله
ومن كانت هذه حاله كيف يوثق بقوله ثم نبه بقوله ولم يبايع معوية الى آخره على بعض لوازم نسيان الآخرة وهو اخذه لبيعته وقتاله مع
الامام الحق الذي يخرج به عن ربقة الدين عوضا وثمنا وذلك لعطية هي مصر كما سبقت الاشارة اليه وبالله العصمة والتوفيق **ومن**
خطبة له عليه السلم وَاَشْهَدُ اَنْ لا اِلٰهَ اِلّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ الاَوَّلُ لا شَيْءَ قَبْلَهُ وَالآخِرُ لا غايَةَ لَهُ لا تَقَعُ الاَوْهامُ
لَهُ عَلى صِفَةٍ وَلا تَعْقِدُ القُلُوبُ مِنْهُ عَلى كَيْفِيَّةٍ وَلا تَنالُهُ التَّجْزِئَةُ وَالتَّبْعِيضُ وَلا تُحِيطُ بِهِ الاَبْصارُ وَالقُلُوبُ **اقول**
هذا الفصل يشتمل على اثبات ثماني صفات من صفات الجلال **الاولى** الوحدانية مؤكدة بنفي الشركاء وذلك قوله لا شريك له
وقد اشرنا الى معقد البرهان العقلي على الوحدانية ولما لم تكن هذه المسئلة مما يتوقف اثبات النبوة عليها جاز الاستدلال عليها بالسمع
كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقوله والهكم اله واحد لا اله الا هو **الثانية** اثبات كونه اولا غير مسبوق بالغير **الثالثة** اثبات
كونه آخرا غير منته وجوده الى غاية يقف عندها وقد سبق البحث عنهما مستقصى ونفي قبلية شيء له والغاية عنه تاكيد لذلك **الرابعة** من
السلوب انه لا تلحقه الاوهام فتقع منه على صفة وقد علمت فيما سبق ان الاوهام لا يصدق حكمها الا فيما كان محسوسا او متعلقا بمحسوس فاما
الامور المجردة من علائق المادة والوضع فالوهم ينكر وجودها اصلا فضلا ان يصدق في اثبات صفة لها وانما الحاكم باثبات صفة له

العقل

العقل الصرف وقد علمت ان ما يثبته منها ليست حقيقته خارجية بل امورا اعتبارية تحدثها عقولنا عند مقايسته الى الغير ولا يفهم من هذا
انه اثبت له صفة بل معناه ان الاوهام لا يصدق حكمها في وصفه تعالى **الخامسة** كونه تعالى لا يعقل له كيفية يكون عليها وبيان ذلك ببيان
معنى الكيفية فنقول انها عبارة عن هيئة قارة في المحل لا يوجب تصورها قسمة ولا نسبة ولما بينا انه تعالى ليس له صفة تزيد على
ذاته وهي محل لها استحال ان يعقد القلوب منه على كيفية **السادسة** كونه تعالى لا تناله التجزئة والتبعيض وهو اشارة الى نفي
الكمية عنه اذ كانت التجزئة والتبعيض من لواحقها وقد علمت ان الكم من لواحق الجسم والباري تعالى ليس بجسم وليس بكم فليس بقابل
للتبعيض والتجزئة ولان كل قابل لهما منفعل عن غيره والمنفعل عن الغير ممكن على ما مر **السابعة** كونه تعالى لا تحيط به الابصار وهو
كقوله تعالى لا تدركه الابصار وهذه المسئلة مما اختلف فيها علماء الاسلام وقد سبق فيها الكلام وخلاصته ان المدرك بحاسة
البصر بالذات انما هو الالوان والاضواء وبالعرض المتلون والمضيء ولما كان اللون والضوء من خواص الجسم وكان تعالى منزها عن
الجسمية ولواحقها وجب كونه منزها عن الادراك بحاسة البصر **الثامنة** كونه تعالى لا تحيط به القلوب والمراد ان العقول البشرية
قاصرة عن الاحاطة بكنه ذاته المقدسة وقد سبق تقرير ذلك وبالله التوفيق **اقول** فاتعظوا عباد الله بالعبر النوافع والآي منها
السواطع وازدجروا بالنذر البوالغ وانتفعوا بالذكر والمواعظ فكان قد علقتكم مخالب المنية وانقطعت منكم علائق الامنية
ودهمتكم مفظعات الامور والسياقة الى الورد المورود وكل نفس معها سائق وشهيد سائق يسوقها الى محشرها وشاهد ومن خطبة له عليه السلم
يشهد عليها بعملها **اقول** الآي جمع آية والساطع المرتفع والنذر جمع نذير ومفظعات الامور شدائدها والورد المورود
وفي هذا الفصل فوائد **الاولى** الامر بالاتعاظ بالعبر النوافع واسم العبرة حقيقة في الاعتبار وقد يطلق مجازا فيما يعتبر به
ويحتمل ان يراد هاهنا اطلاقا لاسم الحال على المحل والاتعاظ سبب وحقيقة وثمرة اما سببه فالنظر في آثار الماضين وتدبر
قصصهم وتصفح قضاء الله وقدره لاحوالهم وهو الاعتبار واما حقيقته فالخوف الحاصل في نفس المعتبر من اعتباره وتاثره عن
ان يلحقه ما لحقهم اذ هو مثلهم واولى ببلاغهم واما ثمرته فالانزجار عن مناهي الله واجابة داعيه والانقياد لسلوك سبيله
الثانية الامر بالاعتبار بالآي السواطع وهو ارداف للامر بالاتعاظ بالامر بسببه واراد بالآي آيات آثار الله وعجائب مصنوعاته
او آيات القرآن المعدودة والمذكورة واستعار لها لفظ السطوع ووجه المشابهة ظهور اشراق انوار الحق منها على مرايا قلوب عباد
الله كاشراق نور الصبح وسطوعه وهو استعارة لفظ المحسوس للمعقول واعتباره بها انتقال ذهنه فيها في مقام النظر والاستدلال
كما سلف بيانه **الثالثة** الامر بالازدجار بالنذر البوالغ وهو امر بغاية الاتعاظ والنذر هي زواجر الله ووعيداته البالغة حد
الكمال في التخويف والزجر عند اعتبارها **الرابعة** الامر بالانتفاع بالذكر والمواعظ وهو امر بتحصيل ثمرة الذكر والموعظة عنها
وختم هذه الاوامر بذكر الانتفاع ترغيبا وجذبا للنفوس الى التذكر وقبول المواعظ **الخامسة** التخويف والتذكير بالموت وما يتبعه
ليبادروا الى امتثال الاوامر السابقة فقوله فكان قد علقتكم مخالب المنية استعار لفظ المخالب للمنية استعارة بالكناية
ورشح بذكر العلوق ملاحظا في ذلك تشبيه المنية بالسبع الذي يهجم ويتوقع افتراسه وكان مخففة من كان واسمها ضمير
الشان ويحتمل ان يكون ان الناصبة للفعل دخلت عليها كاف التشبيه وقوله وانقطعت عنكم علائق الامنية اشارة الى ما ينقطع
عن الميت بانقطاع امله من مال وجاه وسائر ما كان يتعلق به امله من علائق الدنيا ومتاعها وقوله قد دهمتكم مفظعات
الامور اشارة الى ما يهجم على الميت من سكرات الموت وما يتبعها من عذاب القبر واهوال القيمة الاخرى وقوله والسياقة الى الورد المورود
فالسياقة هي السوقة المتعبة التي سلف ذكرها والورد المورود هو المحشر وقوله وكل نفس معها سائق وشهيد اقتباس للآية
وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد فالسائق الذي يسوقها الى المحشر هو حكم القضاء الالهي واسباب الموت القريبة
الحاكمة على النفس برجوعها الى معادها فان كانت من اهل الشقاوة فيا لها من سوقة متعبة وجذبة مزعجة وسيق الذين كفروا
الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم الآيات وان كانت من اهل السعادة فسائقها سائق
رؤف سوقا لطيفا ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها
وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين واما الشاهد عليها بعملها فقد سبقت الاشارة اليه
وبالله التوفيق **منها** في صفة الجنة دَرَجاتٌ مُتَفاضِلاتٌ وَمَنازِلُ مُتَفاوِتاتٌ لا يَنْقَطِعُ نَعِيمُها وَلا يَظْعَنُ مُقِيمُها وَلا يَهْرَمُ
خالِدُها وَلا يَيْأَسُ ساكِنُها **اقول** اعلم ان الثمار الجنة هي المعارف الالهية بالنظر الى وجه الله ذي الجلال والاكرام والسعادة
في الوصول الى نيل هذه الثمرة على مراتب متفاوتة ودرجات متفاضلة **فالاولى** مرتبة من اوتي الكمال في حدس القوة
النظرية حتى استغنى عن معلم بشري رأسا واوتي مع ذلك ثبات قوته المتفكرة واستقامة وهمه لانقياد تحت قلم العقل
فلا يلتفت الى العالم المحسوس بما فيه حتى يشاهد العالم المعقول بما فيه من الاحوال ويثبتها في اليقظة فيصير العالم وما يجري بيان طريق السلامة

في بيان بعض أوصاف الحق

فيه متمثلا في نفسه فيكون لقوته النفسانية أن يوثر في عالم الطبيعة حتى ينتهي الى درجة النفوس السماوية وتلك هي النفوس القدسية
أولات المعارج وهم السابقون أولئك المقربون وهم افضل النوع البشري واحقهم باعلى درجات السعادة في الجنة المرتبة الثانية
مرتبة من له الامرات الاولان دون الثالث اعني التأثير في عالم الطبيعة وهذه مرتبة اصحاب اليمين وتحتها مراتب فاحدها
مرتبة من له استعداد طبيعي لاستكمال قوته النظرية دون العملية الثانية مرتبة من اكتسب ذلك الاستكمال في قوته النظرية
اكتسابا تكلفيا دون تهيؤ طبيعي ولا حصة له في امر القوة العملية الثالثة مرتبة من ليس له تهيؤ طبيعي ولا اكتساب تكلفي في
قوته النظرية ولذلك التهيؤ في قوته العملية الرابعة مرتبة من له تكلف في اصلاح الاخلاق واكتساب الملكات الفاضلة
دون تهيؤ كذلك اذا عرفت ذلك فاعلم ان للمقربين البالغين في الملكات الشريفة لذات عظيمة في الجنة فقد فازوا بنعيم الابد
والسرور الدائم في حضرة جلال رب العالمين في مقعد صدق عند مليك مقتدر غير محجوبين عن لذاتهم لهم فيها ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين وهم فيها خالدون كما قال ع لا يطمئن مقيمها مجرد عن عوارض الابدان وشوائب المواد مرود عن مزاحمة القوى المتغالبة
المتجاذبة المؤدية الى الهرم والموت مكحلين بانوار الساطعة ينظرون الى ربهم بوجوههم الفارقة واما اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب
اليمين ولهم لذات دون الوصول الى مرتبة السابقين وقد يخالط لذات هؤلاء شوب من لذات المقربين كما اشير اليه في التنزيل
الالهي في وصف شراب الابرار ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ولكل من المراتب كمال يخصه ودرجة من السعادة في
الجنة يخصه كما قال هم درجات عند الله وقال يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال لهم غرف مبنية
من فوقها غرف تجري من تحتها الانهار واذا عرفت ذلك فلنرجع الى المتن فنقول اما قوله لا ينقطع نعيمها فلقوله تعالى اما الذين
سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ وقوله ان هذا لرزقنا ما له من
نفاد ولان الكمال الذي يحصل للانسان فاستحق به سعادة في الجنة ملكات ثابتة في جوهره لا تزول ولا تتغير ومهما دام مستحقا
القابل الجواد الله ونعمته وجب دوام ذلك الجود وفيض تلك النعمة اذ هو الجواد المطلق الذي لا بخل من جهته ولا منع واما قوله ولا يظعن
مقيمها فلقوله تعالى لهم جنات النعيم خالدين فيها ابدا وقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين
فيها لا يبغون عنها حولا ولان النعيم الابدي مطلوب بالذات غير ممنوع منه فلا يكون مهروبا عنه بالذات واما قوله ولا يهرم خالدها
ولا يبأس ساكنها اي لا يصيبه بؤس فلان الهرم مستلزم للتعب والنصب كما ان البؤس عن الضعف وهذه اللوازم منفية عن اهل الجنة
لقوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب
وبانتفاء هذه اللوازم ينتفي عنهم ملزومها وهو الهرم وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** وفيها فصول **الاول** قوله قد علم
السرائر وخبر الضمائر له الاحاطة بكل شيء والغلبة لكل شيء والقوة على كل شيء **اقول** هذا الفصل يشتمل على بعض اوصاف الحق سبحانه
الاول كونه عالما بالسرائر وهو كقوله يعلم سركم ونجواكم **الثاني** كونه خبيرا بالضمائر وهو قريب من المرادف للعالم بالسرائر فان
الخبير هو الذي لا يعزب عنه الاخبار الباطنة ولا تضطرب نفس ولا تسكن الا ويكون عنده خبرها وذلك بعينه هو العالم مضافا
الى السرائر والخفايا الباطنة وان كان مطلق العلم اعم **الثالث** كونه محيطا بكل شيء وهو اشارة الى علمه بكليات الاشياء و
جزئياتها وعليه اتفاق جمهور المتكلمين والحكماء اما المتكلمون فظ واما المحققون من الحكماء فلمحض كلامهم اجمالا في كيفية علمه تعالى
انه يعلم ذاته بذاته ويتحد هناك المدرك والمدرك والادراك ولا يتعدد الا بحسب الاعتبارات العقلية التي تحدثها العقول
البشرية واما المعلولات القريبة منه فيكون باعيان ذواتها ويتحد هناك المدرك والادراك ولا يتعدد الا بالاعتبار العقلي وبعدها
المدرك واما المعلولات البعيدة كالماديات والمعدومات التي من شانها امكان ان توجد في وقت ويتعلق بموجود فيكون بارتسام
صورها المعقولة من المعلولات القريبة التي هي المدركات لها اولا وبالذات وكذا الى ان ينتهي الى ادراك المحسوسات بارتسامها في
الالات مدركة لها فالوا وذلك لان الموجود الحاضر حاضر والمدرك للحاضر مدرك لما يحضر معه فانه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في
السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر لكون ذوات معلولاته القريبة مرتسمة بجميع الصور وهي التي يعبر عنها تارة بالكتاب المبين
وتارة باللوح المحفوظ ويسمى عندهم عقولا فعالة **الرابع** كونه تعالى غالبا لكل شيء **الخامس** كونه قويا على كل شيء وهما اشارتان الى وصف
قدرته تعالى بالتمام على كل مقدور فان القوة عليها والغلبة لها من تمام القدرة ويفهم من الغالب زيادة على القوي ويعود الى معنى القاهر وقد
سبق بيانه واما بيان صدق هاتين الصفتين فيبان انه تعالى مبدأ كل موجود وان كل ممكن مفتقر في سلسلة الحاجة اليه وقد فرغ من
ذلك الكتب الكلامية **الفصل الثاني** قوله فليعمل العامل منكم في ايام مهله قبل ارهاق اجله وفي فراغه قبل اوان شغله وفي
متنفسه قبل ان يؤخذ بكظمه وليمهد لنفسه وقدمه وليتزود من دار ظعنه لدار اقامته فالله الله عباد الله فيما استحفظكم من كتابه
واستودعكم من حقوقه فان الله سبحانه لم يخلقكم عبثا ولم يترككم سدى ولم يدعكم في جهالة ولا عمى قد سمى اثاركم وعلم اعمالكم وكتب

في بيان علمه تعالى بالاسرار

في بيان الخطبة المشتملة على المواعظ والنصائح

اجالكم وانزل عليكم الكتاب تبيانا وعمر فيكم نبيه ازمانا حتى اكمل له ولكم فيما انزل من كتابه دينه الذي رضي لنفسه وانهى اليكم على
لسانه محابه من الاعمال ومكارهه ونواهيه واوامره فالقى اليكم المعذرة واتخذ عليكم الحجة وقدم اليكم بالوعيد وانذركم
بين يدي عذاب شديد فاستدركوا بقية ايامكم واصبروا لها انفسكم فانها قليل في كثير الايام التي تكون منكم فيها الغفلة والتشاغل
عن الموعظة ولا ترخصوا لانفسكم فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة ولا تداهنوا فيهجم بكم الادهان على المعصية عباد الله ان انصح
الناس لنفسه اطوعهم لربه وان اغشهم لنفسه اعصاهم لربه والمغبون من غبن نفسه والمغبوط من سلم له دينه والسعيد من وعظ
بغيره والشقي من انخدع لهواه وغروره واعلموا ان يسير الرياء شرك ومجالسة اهل الهوى منساة للايمان ومحضرة للشيطان
جانبوا الكذب فانه مجانب للايمان الصادق على شفا منجاة وكرامة والكاذب على شرف مهواة ومهانة ولا تحاسدوا فان الحسد
ياكل الايمان كما تاكل النار الحطب ولا تباغضوا فانها الحالقة واعلموا ان الامل يسهي العقل وينسي الذكر فاكذبوا الامل فانه غرور
وصاحبه مغرور **اقول** الفصل الى اخره شروع في الموعظة والمشورة لما قدم الاشعار بان الله تعالى عالم بما في الصدور وغالب على كل مقدور
امرهم بعده بالعمل والمراد الاعمال الصالحة المطلوبة بالتكاليف الشرعية وان يجعلوها بما او الثبات اقدامهم على الصراط المستقيم الماسور به كم
ثم تلطف بالجذب الى العمل بتذكيرهم بانهم في ايام مهلة وفراغ ومتنفس خناقهم يمكنهم فيه العمل وان الذي يعملونه من الصالحات هو زادهم
في سفرهم الى الله والى دار اقامتهم وان وراء هذه المهلة ادراك الاجل بعده شغل باهوال الاخرة والاخذ بالكظم وكنى به عن عدم التمكن من العمل
اذ لم تكن الاخرة دار عمل ثم ابتدأ التاس حذرهم ربهم ان يخالفوا فيما امرهم بحفظه وهو كتابه ووعى بحفظه تدبر ما فيه والمحافظة على العمل باوامره
ونواهيه وهي حقوقه التي استودعهم اياها ثم علل ذلك بتنبيههم على ان الله تعالى لم يخلقهم عبثا خاليا عن وجه الحكمة بل خلقهم ليستكملوا الفضائل
النفسانية بواسطة الالات البدنية ولم يجعلهم في وجودهم مهملين بل ضبط اثارهم واعمالهم وكتب اجالهم في كتابه المبين واللوح المحفوظ
الى يوم الدين ونظم وجودهم برسول كريم عمره فيهم وكتاب اوضح لهم فيه السبيل التي لسلوكها خلقهم واكمل لهم ولنبيه دينهم الذي ارتضى لهم وما
اهلهم له من الكمالات المسعدة في الاخرة كما قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وبلغهم على لسانه ما
احبه لهم من الخيرات الباقية وكرهه لهم من الشرور المشقية في الاخرة كما اشتملت عليه اوامره ونواهيه وابان لهم فيه الاعذار واوضح فيه الحجج وتهددهم
بالوعيد والنذر بين يدي عذاب شديد واستعار لفظ اليدين للعذاب وكنى بين يديه عن الوقت المتقدم على عذاب الاخرة المشار
له ووجه المشابهة ان الانذار بالمخوف يكون من ذي سطوة وباس شديد فكانه نزل العذاب الشديد بمنزلة المعذب فاستعار اليدين
جعل الانذار والتخويف منه متقدما لما بين يديه وذلك من الجواذب اللطيفة ثم عاد الى امرهم باستدراك بقية اوقاتهم في الدنيا وان يصبروا
لها انفسهم اي يلزموا انفسهم فيها الصبر على الاعمال الصالحة وفي لفظ الاستدراك اشعار بسبق تفريطهم في جنب الله ولذلك قال فانها
قليل في كثير الايام التي تكون منكم فيها الغفلة والتشاغل عن الموعظة وانما قال لها لان كل وقت يستحق ان يوقع فيه ما ينبغي من الافعال فصدق
عليها ان ذلك الفعل لها **قوله** ولا ترخصوا لانفسكم الى قوله المعصية **اقول** ليس المقصود بالرخصة هنا الشرعية مما يباح لاهل الاديان
فيه مع نفسه من تنويع الماكل والمشارب والمناكح والخروج فيها الى ما لا ينبغي في نفس الامر وينال له تاويلا وحيلة يتخيل انها جائزة في
الشريعة ويروج بها اتباعه لهواه ونحو الاجتماع في السماع لغير اهله وحضور مجالس الفساق ومعاشرة الظالمين والضابط الكلي في هذا الباب
هو توسع الانسان في الامور المباحة واستيفاؤه حده فانه من فعل ذلك شارف المكروه ثم ربما احتاط الاعقاب في فعله فقاده شهوته الى
فعله فاستوفى حده فشارف المحظور وذلك ان العقل اذا اطاع النفس الامارة بالسوء فيما تامر به مرة ومرة لم يبق له نفار عما تقوده اليه لو قوي
الانس به وظاهر ان ارتكاب بعض ما توارى به يجر الى ارتكاب بعض ويؤدي ذلك الى تجاوز الحد الشرعي وعبورها الى الوقوع في حبائل الشيطان
والتهور في المحظورات التي هي مهاوي الهلاك ولذلك ما ورد في الخبر من رتع حول الحمى اوشك ان يقع فيه وقد شبه العارفون القلب
بالحصن والشيطان بعدو يريد ان يدخله ولم يمكن دفع ذلك العدو والتحفظ منه الا بضبط ابواب ذلك الحصن التي منها الدخول اليه و
حراستها وهي ابواب كثيرة كاكتساب المحرمات ومساهلة النفس في التوسع في المباحات والدخول في الامور المشتبهة من اعظم تلك الابواب ودخول
الشيطان منه اسهل وهو عليه اقدر وكذلك قال عليه السلام فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة ويهجم بكم الادهان على المعصية ومذاهب الظلمة مسالكها
وطرقها العادلة عن العدل وقد روي ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا ع فراى عليه معاليق كل شيء فقال له يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه هي
الشهوات التي اصيب بهن قلوب بني ادم فقال هل لي فيها شيء قال نعم ربما شبعت فشغلناك عن الصلوة وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا
قال لله علي ان لا املا بطني من طعام ابدا فقال ابليس لله علي ان لا انصح مسلما ابدا ولا تداهنوا اي لا تسالموا الظلمة ونساهلوا معهم
في السكوت عما تروه من منكراتهم فيهجم بكم الادهان على المعصية اي اذا استمر بينا هذه المعاصي والفتم تكرارها كنتم بذلك عصاة
وربما سابكم ذلك الى فعل المنكر ومشاركتهم فيه وقوله عباد الله الى اخره اختبارات في معنى الاوامر والنواهي فاوامر ونواهي صريحة مشتملة
على جواذب الى طاعة الله ولزوم دينه **فالاول** ان انصح الناس لنفسه اطوعهم لربه وبيانه انه لما كان الغرض من النصح انما هو جلب الخير والمنفعة

الى المنصوح وكان اجل خير ومنفعة هو السعادة الباقية الابدية ومشاهدة الحضرة الربوبية وكانت تلك السعادة انما تنال بطاعة الله ثم كل من
كانت طاعته لله اتم كانت سعادته اتم فكان هو انصح الناس لنفسه ثم بالغة في طاعته لربه الثاني قوله وان اغشهم لنفسه اعصاهم لربه وهو ظاهر مما قررنا
فانه لما كانت غاية الغش انما هو جلب الشر والمضرة الى المغشوش وكان اعظم شر وضرر يلحق العبد هو الشقاوة الابدية في قرار الجحيم وكانت تلك
انما يحصل للانسان عليها بمعصية الله ثم فكل من كانت معصيته اتم كانت شقاوته اتم فكان هو اغش الناس لنفسه ثم بالغة في معصيته
وحاصل القضية الاولى الامر بالطاعة اتم ما يمكن والثانية النهي عن المعصية اتم ما يمكن ورغب في الطاعات بذكر نصيحة النفس لما ان النصيحة
محبوبة ونفر عن المعصية بذكر غشها الثالث قوله والمغبون من غبن نفسه والمراد من غبنها بالمعصية المستلزمة لدخول النار فكان
الانسان بما معه شيطانه خادع لنفسه وقد بخسها ما تستحقه من ثواب الله ولما كانت السعادة الاخروية اعظم ما يتنافس فيه لا جرم كان
اعظم مغبون من لم يفز بها فلذلك حصر المغبون فيه على طريق المبالغة ومرجع معنى النهي عن المعصية ونفر عنها بذكر غبن النفس
الرابع قوله والمغبوط من سلم له دينه والغبطة ان يتمنى الانسان مثل ما لغيره من حال او مال مع قطع النظر عن تمني زوال تلك الحال
عمن هي له وبهذا القيد يتميز عن الحسد والقضية ظاهرة تماثلها فانه لما كان من سلم دينه فائزا بالسعادة الكبرى الباقية مع كونها
اجل ما يغبط به ويتنافس فيه لا جرم كان هو اعظم مغبوط ولذلك حصر المغبوط فيه مبالغة ورغب في المحافظة على الدين بكون من سلم
له مغبوطا الخامس قوله والسعيد من وعظ بغيره وقد صارت هذه القضية في معنى المثل اي السعيد في الاخرة من اعتبر حال غيره فشاهد
بعين بصيرته مصير الظالمين فخاف عاقبتهم وتذكر مآل المتقين فسلك مسالكهم ورغب في الاتعاظ بالغير بذكر استلزامه
للسعادة السادس وكذلك الشقي في الاخرة من انخدع لهواه وغروره ونفر عن اتباع الهوى بذكر الخداع والغرور السابع التنبيه على ان يسير
الرياء شرك وقد سبق منا بيان ان الرياء في العبادة وان قل التفات مع الله الى غيره وادخال له في القصد بالعمل والطاعة وذلك حقيقة
شرك خفي اتفقت عليه ارباب القلوب الثامن قوله ومجالسة اهل الهوى منساة للايمان ومحضرة للشيطان اراد باهل الهوى الفساق
المنقادين لدواعي انبساطهم الى الشهوات الخارجة عن حدود الله ونفر عن مجالستهم بانها محل للامرين احدهما انساء الايمان وهو ظاهر فان اهل الهوى
انما مشغولون بذكر ما هم فيه من لعب ولهو خائضون في اصناف الباطل وانواعه فمجالستهم عن رغبة مظنة الغفلة عن ذكر الله والانجذاب الى طاعتهم
عليه عن الاعمال الصالحة وتلك اركان الايمان وقواعده وقد علمت ان كثرة الغفلات عن الشيء تؤول الى نسيانه وانمحائه عن لوح الخيال والذكر
وربما تجوز في مطلق الغفلة عن اوقات العبادة والاذكار بالنسيان تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه الثاني كونها محلا لحضور الشيطان وقد علمت
معنى الشيطان وان كل محل عصي الله فيه فهو محضر للشيطان وموطن له التاسع الامر بمجانبة الكذب ونفر عنه بقوله فانه مجانب للايمان و
هو حديث نبوي ومعنى المجانبة كون كل منهما في جانب فان كانت الاعمال الصالحة داخلة في مسمى الايمان فالصدق من جملتها ومضاد الصدق
مضاد للايمان واحد الضدين مجانب للآخر في الكذب مجانب للايمان وان لم يكن كذلك قلنا ان الكذب اعظم الرذائل الموبقة والايمان اعظم
الفضائل المنقذة وبين الفضائل والرذائل منافاة ذاتية فالكذب مناف للايمان ومجانب له ويحتمل ان يكون معنى مجانبته كونه غير
لائق ان يجامعه في محل واحد عبر هنا بسبب الملائمة كونه ليس منه في شيء وقد بينا ما يشتمل عليه الكذب من المضار المهلكة ثم اردف ذلك
بالترغيب في الصدق بكون الصادق على شفا منجاة اي مشارف لنجاة وكرامة او لمحلها وهو الجنة اذ الصدق باب من ابوابها ثم بالتنفير عن الكذب
بكون الكاذب على شرف مهواة ومهانة اي هوى وهوان او محلها وهو حضيض الجحيم لانه هو محل الهوان اذ الكذب باب من ابوابها ومن انتهى الى
الباب فقد شارف الدخول وعن الرسول صلى الله عليه وآله اياكم والكذب فانه يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى
يكتب عند الله كذابا وعليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليتحرى الصدق حتى يكتب عند الله
صديقا وقال صلى الله عليه وآله الكذب راس النفاق وهو ظاهر فان مدار النفاق على المصانعة بالقول الغير المطابق لما في نفس الامر وهو حقيقة
الكذب العاشر النهي عن الحسد وقد اتفق ارباب القلوب على انه من اعظم ابواب الشيطان التي يدخل بها على القلب وهو احد العوارض
الرديئة للنفس ويتولد من اجتماع البخل والشره فيها لنفس ماغي بالشره من تلك طباعها بمضار نفع بالناس ويكره ما يوافقهم وان كانوا
من لا يرونه ولم يسيئوا اليه وقد علمت ان من هذه صفته مستحق للمقت من الله عز وجل وذلك انه مضاد لارادته اذ هو نعمه المتفضل على العبد
للخير المطلق للكل وقد رسم الحسد بانه اغتمام الانسان بخير يناله غيره من حيث لا مضرة منه عليه منه وقد يوجد الحسد ممن له نفع ما من المحسود
ويسمى الحسد البالغ واما تعليله وجوب تركه بانه ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب فان علماء العلماء قد اتفقوا على ان الحسد مضر بالنفس
والجسد اما بالنفس فلانه يذهب اهلها ويعرف فكرها بالاهتمام بامر المحسود حتى لا يفرغ للتصرف فيما يعود نفعه عليها بل ويمحو ما حصلت
عليه من الملكات الخيرية التي هي الحسنات المنقوشة في جوهرها ويتجلى على طول تعود الحسد واشتغال الفكر فيه وطول الحزن والهم لان
نعم الله على عباده اكثر من ان تحصى فاذا كان الحسد بها دائما فانقطع وقت الحاسد به عن تحصيل الحسنات واما بالجسد فلانه يعرض عنه
حدوث هذه الاعراض للنفس طول السهر وسوء الاغتذاء ويعقب ذلك رداءة اللون وسوء السحنة وفساد المزاج اذا عرفت ذلك فنقول انه قد

فغفل عن طريقهم

استعار

استعار هيهنا لفظ الاكل لكون الحسد ماحيا لما في النفس من الخيرية التي هي الحسنات ومانعا من صيرورتها ملكات وذلك بسبب استغراقها
في حال المحسود واشتغالها به وشبه ذلك باكل النار الحطب ووجه الشبه ما يشترك فيه الحسد والنار من افناء الحسنات والحطب و
استهلاكهما الحادي عشر النهي عن التباغض وتعليله ذلك بانها الحالقة وعلم انه لما كان نظام العالم لا ينتظم الا بالتعاون والتناصر
وكان التعاون انما يتم بالالفة وكان اقوى اسباب الالفة هو المودة والمواخاة بين الخلق كانت المودة من المطالب المهمة للشارع
ولذلك اخا رسول الله صلى الله عليه وآله بين اصحابه لتخلص محبتهم وتصفو الفتهم ويصدق بينهم التعاون والتناصر والاتحاد في الدين وقال صلى الله عليه وآله
المرء كثير باخيه ولا خير في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له فلذلك كان التباغض بينهم منهيا عنه مكروها في الشريعة
لما يستلزمه من التقاطع بينهم وعدم تعاونهم وتناصرهم وبسبب ذلك تتخطف كلا منهم ايدي حاسديه وتتحكم فيه اهواء اعاديه
فلم يسلم له نعمة ولا تصفو له مدة بل يكون بذلك بواره واضمحلال النوع وهلاكه ولذلك قال عليه السلام فانها الحالقة واصل هذا اللفظ
مستعمل فيما يحلق الشعر كالموسى ونحوها للدواهي واسباب الشر ثم صار مثلا وقد وقع هيهنا موقعه من الاستعارة ووجه المشابهة ان
الموسى مثلا كما انها سبب لحلق الشعر واستيصاله كذلك التباغض سبب لاستيصال الخلق بعضهم بعضا الثاني عشر التنبيه
على مضار الامل للدنيا تنفيرا عنه والامر بتكذيبه المستلزم للنهي عنه فاما مضاره فاحدها انه يوجب سهو العقل عما هو
الاولى بالانسان في معاشه ومعاده وهو ظاهر فان الامل ابدا مشغول الفكر بما يامله ويرجوه وفي كيفية تحصيله وكيفية العمل
به بعد حصوله وشغله بذلك يستلزم اعراضه عن غيره اذ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه الثاني انه ينسي الذكر اي ذكر الله
ثم بعد الموت من احوال الاخرة وذلك باستغراقه فيما يامله من احوال الدنيا كما مر الثالث انه غرور وصاحبه مغرور وقد يجي
بفتح الغين من غره وكلاهما وجه الفتح ان الامل ليس هو نفس الغفلة عن الذكر وغيره بل مستلزم لها فلذلك صدق نسبة الغرور
اليه ووجه الضم انه مجاز من باب اطلاق اسم اللازم على ملزومه واما تكذيبه فبذكر الموت ودوام احضاره بالبال وملاحظة
المرجع والمعاد وانما سمي رد الامل تكذيبا له لان النفس حال توقعها للمأمول تكون حاكمة حكما وهميا ببلوغه ونيله فاذا
رجعت الى صرف العقل وملاحظة الموت وجواز الانقطاع به عن بلوغ ما رجته كان تجويزها ذلك مكذبا بالجزم بما توهم
من الاحكام ورادا له وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** وفيها فصول **الفصل الاول** في صفات المتقين
وهو قوله عباد الله ان من احب عباد الله اليه عبدا اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه واعد القرى
ليومه النازل به فقرب على نفسه البعيد وهون الشديد نظر فابصر وذكر فاستكثر وارتوى من عذب فرات سهلت
له موارده فشرب نهلا وسلك سبيلا جددا قد خلع سرابيل الشهوات وتخلى من الهموم الا هما واحدا انفرد به فخرج
من صفة العمى ومشاركة اهل الهوى وصار من مفاتيح ابواب الهدى ومغاليق ابواب الردى قد ابصر طريقه وسلك
سبيله وعرف مناره وقطع غماره واستمسك من العرى باوثقها ومن الحبال بامتنها فهو من اليقين على مثل
ضوء الشمس قد نصب نفسه لله سبحانه في ارفع الامور من اصدار كل وارد عليه وتصيير كل فرع الى اصله مصباح
ظلمات كشاف عشوات مفتاح مبهمات دفاع معضلات دليل فلوات يقول فيفهم ويسكت فيسلم قد اخلص لله
فاستخلصه فهو من معادن دينه واوتاد ارضه قد الزم نفسه العدل فكان اول عدله نفي الهوى عن نفسه يصف
الحق ويعمل به لا يدع للخير غاية الا امها ولا مظنة الا قصدها قد امكن الكتاب من زمامه فهو قائده وامامه يحل
حيث حل ثقله وينزل حيث كان منزله **اقول** القرى الضيافة والقرآن صار القرى للعدو والنهل الشرب في اول الورود
والجدد الارض المستوية والسرابيل القمصان والمنار الاعلام والغمار جمع غمرة وهي الزحمة من كثرة الناس والماء ونحوه والعشوات
جمع عشوة وهي ركوب الامر على جهل به والغشوة بالغين المعجمة هي الغطاء والمبهمة الامر الملتبس والمعضلات الشدائد وذكر من
صفاتهم التي هي سبب محبة الله لهم اربعين وصفا وقد علمت ان محبة الله تعود الى افاضة الكمالات النفسانية على نفس العبد
بحسب قربه بالاستعداد لها الى جوده فمن كان استعداده اتم كان استحقاقه اوفى فكانت محبة الله له اكمل فالاول من تلك
الاوصاف كونه اعانه الله على نفسه اي افاض قوة عملية استعد بها يقوى به عقله على قهر نفسه الامارة بالسوء الثاني انه استشعر الحزن
اي تجدده شعارا له والحزن على ما فرط في جنب الله واكتسب من الآثام فانه من جملة ما اعد به المعونة الالهية لاستعارة و
يستعد به لكمال على الثالث انه تجلبب الخوف وهو اتخاذه جلبابا باستعار لفظ الجلباب وهو الملحفة للخوف من الله والخشية
من عقابه ووجه المشابهة ما يشتركان فيه من كون كل منهما ملابسا به وهو ايضا معونة من الله للعبد على تحصيل السعادة و
الرابع زهرة مصباح الهدى في قلبه وهو اشارة الى شروق نور المعارف الالهية على مرآة سره وهو ثمرة الاستعداد بالحزن
والخوف ولذلك عطفه بالفاء واستعار لفظ المصباح لنور المعرفة لما يشتركان فيه من كون كل منهما سببا للهدى وهو استعارة

ان من احب عباد الله

لفظ المحسوس للمعقول الخامس كونه اعد القرى ليومه النازل به استعار لفظ القرى للاعمال الصالحة واراد باليوم النازل به يوم القيمة واستلزم
الاستعارة تشبيهه لذلك اليوم بالضيف وبيوم القرى للضيف المتوقع نزوله ووجه المشابهة ان القرى كما يبيض به وجه القارى عند ضيفه
ويخلص به من ذمه ويكسبه المحمدة والثناء منه كذلك الاعمال الصالحة في ذلك اليوم تكون سببا لخلاص العبد من اهواله وتكسبه رضاء
الحق سبحانه والثواب الجزيل منه السادس وقرب على نفسه البعيد وجهين احدهما ان يشير بالبعيد الى رحمة الله فانها بعيدة من غير مستحقها
والمستحق لقبولها قريبة ممن حسن عمله وكمل قبوله فالعبد اذا راض بالاعمال الصالحة نفسه واعدها فقد قرب بوصفه كانت رحمة الله على غاية من
القرب منه كما قال تعم ان رحمة الله قريب من المحسنين الثاني يحتمل ان يريد بالبعيد امله الطويل في الدنيا وبتقريبه له على نفسه تقصيره
له بذكر الموت دون بلوغه كما سبق السابع كونه قد هون الشديد ويحتمل ايضا معنيين احدهما ان يريد بالشديد اهوال الاخرة وعذاب
الجحيم وتهوينه لها بالاعمال الصالحة واستشراق انوار الحق وظ كونها مهونة شديد عذاب الله الثاني ان يريد بالشدائد شدايد الدنيا
من الفقر والاهتمام بالمصائب التي تنزل به من الظلم وفقد الاحبة والاقرباء ونحو ذلك وتهوينه لذلك تسهيله على خاطره واستحقاره
في جنب ما يتصوره من الفرحة بلقاء الله وما اعد له من الثواب الجزيل في الاخرة كما قال تعم وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا
انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون الثامن كونه نظر اي تفكر في ملكوت السموات
والارض وما خلق الله من شيء فابصر اي فشاهد الحق سبحانه في عجائب مصنوعاته بعين بصيرته التاسع وذكر فاستكثر اي ذكر ربه
ومعاده فاستكثر من ذكره حتى صار الذكر ملكة له ويجلى المذكور في اطوار ذكره لمرآة سره والاستكثار من الذكر باب عظيم من ابواب
الجنة العاشر كونه ارتوى من عذب فرات شبه العلوم والكمالات النفسانية التي تفاض على العارف بالماء الزلال فاستعار له
لفظ العذب ورشح تلك الاستعارة بذكر الارتواء وقد سبق وجه هذه الاستعارة مرارا يا كونه سهلت له موارده الفايزون لقصب
السبق في طاعة الله لا يتفكرون عن تأييد الالهي بخاصية مزاجيتهم بها سرعة الاستعداد لقبول الكمالات الموصلة اليه اذا عرفت ذلك
فنقول موارد تلك الكمالات من العلوم والاخلاق هي معادنها ومواطنها المنتزعة منها وهي النفوس الكاملة التي يهتدى بها ويؤخذ عنها
انوار الله كالانبياء ونص في تلك الموارد ايضا على بدايع صنع الله التي يرد بها ذهن العبد وتكتسب بها الملكات الفاضلة وسهولة تلك
الموارد لهم هو سرعة قبولهم لاخذ الكمالات عنها بسهولة باذهان صافية هيأتها العناية الالهية لقبولها وشدتها لذلك يب فشرب
نهلا اي اخذ تلك الكمالات سابقا اليها كثيرا من ابناء نوعه ومتقدما فيها لسهولة موردها عليه وفي لفظ مستعارة لاخذه لها وسبقه
اليها ملاحظة لشبهه بشرب السواقي من الابل الى الماء يج كونه قد سلك سبيلا جددا اي سبيل الله الواضح المستقيم العدل بين طرفي التفريط
والافراط يد كونه قد خلع سرابيل الشهوات اكثر الاوصاف السابقة اشارة الى تحصيل العلم والاستعداد له واشار بهذا الوصف الى
طرف الزهد واستعار لفظ السرابيل للشهوات ووجه المشابهة تلبس صاحبها بها كما يتلبس بالقميص ورشح بلفظ الخلع وكنى به عن طرحه لها
الشهوة والتفاته عنها بما يخرج به عن حد العدل يه وتخلى من الهموم الا هما واحدا اي من هموم الدنيا وعلائق احوالها وطرح كل
مقصود عن مقصده الا هما واحدا انفرد به وهو الوصول الى حاصل عزة الله وتوجيه سره الى مطالعة انوار كبريائه واستشراقها وهو تمام
الزهد الحقيقي وظ كونه منفردا عن غيره من ابناء نوعه يو فخرج عن صفة العمى اي عن الجهل بما حصل عليه من فضيلة العلم والحكمة وعن مشاركة
اهل الهوى في افراطهم وتجورهم اذ هو على حاق الوسط من فضيلة العفة يز فصار من مفاتيح ابواب الهدى فابواب الهدى هي
طرقه وسبله المعدة لقبول من واهبه وقد وقف عليها العارفون ودخلوا منها الى حضرة جلال الله ووقفوا على مراحلها ومنازلها وبها
فصاروا مفاتيح لما انغلق منها على اذهان الناقصين ومصابيح بها النفوس الجاهلين ولفظ المفتاح مستعار للعارف ووجه المشابهة ظ
يح ومغاليق ابواب الردى فابواب الردى هي اطراف التفريط والافراط والمسالك التي يخرج منها عن حدود الله المرتبي سلوكها في قرار
الجحيم والعارف لما سد ابواب المنكرات التي يسلكها الجاهلون ولزم طريق العدل لا جرم اشبه المغلاق الذي يكون سببا لسد الطريق
ان تسلك فاستعير لفظه له وفي القرينتين مطابقة فالمغاليق بازاء المفاتيح والردى بازاء الهدى يط قد ابصر اي بنور بصيرته طريقه
اي المامور بسلوكها والمجذوب بالعناية الالهية اليها وهي صراط الله المستقيم ك وسلك سبيله اي لما ابصر السبيل سلكها اذ كان
السلوك هو المقصد الاول كا وقد عرف مناره لما كان السالك الى الله قد يستقيم بطريق الحق اتفاقا فذلك كسلوك من لم تشتمل
قوته النظرية بالعلوم وقد يكون سلوكه بعد استكماله بها فالسالك كك قد عرف بالبرهان مناره اي اعلام المقصودة في طريقه التي هي سبب
هدايته وهي القوانين الكلية العلمية ويحتمل ان يريد بالمنار ما يقصده بسلوكه وهو حضرة جلال الله وملائكته المقربون كب
قد قطع غماره واشار بالغمار الى ما كان مغمورا فيه من مشاق الدنيا وهمومها والتألم بسبب فقدها ومجاذبة اهلها لها فان العارف
بمعزل عن ذلك والتألم بسببه كج واستمسك من العرى باوثقها ومن الحبال بامتنها اراد باوثق العرى وامتن الحبال سبيل الله ودوام
استعاره ووجه المشابهة ان العروة كما تكون سببا للنجاة لمن يتمسك بها كذلك الحبل وكان اجودها ما ثبت وتمتن ولم ينفصم كك طريق الله المؤدي

اليه يكون لزومه والتمسك باوامره سببا للنجاة من اهوال الاخرة وهي عروة لا انفصام لها واوامرها حبال لا انقطاع لها واليها الاشارة بقوله
تعم فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها كد فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس اي وكان تمسكه
باوامر الله ونواهيه ومجاهدته في سبيله فقد استشرقت انوار اليقين فصار شاهدا بعين بصيرته عالم الملكوت رائيا بها الجنة والنار عين
اليقين كما يرى بصره الظاهر نور الشمس في الوضوح والجلاء كه قد نصب نفسه لله سبحانه في ارفع الامور من اصدار كل وارد عليه وتصيير
كل فرع الى اصله اي لما كمل في ذاته نصب نفسه لارفع الامور من هداية الخلق وارشادهم لقوانين طريق الله فصار كالمصباح يقتبس منه انوار
العلم فهو لكونه متلبسا بها قايم باصدار الاجوبة عن كل ما ورد عليه من الاسولة التي استبهم امرها على الاذهان وان يرد كل فرع من فروع العلم الى
اصله المتشعب عنه كو كونه مصباح ظلمات اي يهتدى به الناس وهم في ظلمات الجهل الى الحق ولفظ المصباح مستعار له كما سبق كز كونه
كشاف عشوات اي موضحا لما اشكل امره ووكتب فيه الجهل من الاحكام الملتبسة مميز وجه الحق منها من وراء الغين العجمة فلفظ كشاف عظيمة الجهالات
عن ابصار البصائر كح وكان كونه مفتاح مبهمات اي فاتح لما انغلق على اذهان الخلق واستبهم وجه الحق فيه من الاحكام كط كونه دفاع معضلات
اي يدفع كل حيرة في معضلة من معضلات الشرع صعب على الطالبين تمييز وجه الحق فيه ويحميهم ببيانه عن التيه في مهاوي الجهل ل و
كذلك كونه دليل فلوات واستعار لفظ الفلوات لموارد السلوك وهي الامور المعقولة ووجه المشابهة ان الفلوات كما لا يهتدى لمسالكها
الا الادلاء الذين اعتادوا سلوكها وضبطوا مراحلها ومنازلها حتى كان من لا قائد له منهم لا بد وان يتيه فيها ويكون عطبه فيها سببا
لهلاكه كذلك الامور المتصورة المعقولة لا يهتدى لطريق الحق فيها الا من اخذت العناية الالهية بضبعيه فالتفت بزمام عقله الى مشارشده ووجهه
سبيل الحق منها ومن لم يكن كذلك حاد عن طريق الحق فيها وخبط في ظلمات الجهل خبط عشواء وسلكت به شياطينه ابواب جهنم والعارفون هم
ادلاء هذا الطريق والواقفون على خطرها ومنازل السلامة فيها يعبون بصائرهم لا كونه يقول فيفهم ذلك لمشاهدته عين الحق من غير شبهة تعرض له
فيما يقول ولا اختلاف عبارة عن جهل بالمقول لب كونه يسكت فيسلم اي من خطر القول ولما كانت فائدة القول الافهام والافادة وفائدة السكوت
السلامة من آفات اللسان وكان كلامه في معرض المدح لا جرم ذكرهما مع فائدتيهما والمقصود ان العارف يستعمل كلا من القول والسكوت في موضعه
عند الحاجة اليه فقط لج كونه قد اخلص لله فاستخلصه وقد عرفت ان الاخلاص لله هو التفات اليه معرضا عن كل خاطر سواه عن درجة الاعتبار
واستخلاص الحق للعبد هو اختصاصه من بين ابناء نوعه بما يرضي عنه وافاضة انواع الكمال عليه وادنائه الى حضرة قدسه وانفراده بمناجاته وكان
اخلاصه سبب استخلاصه كما قال تعم واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا لد
فهو من معادن دينه استعار لفظ المعدن له ووجه المشابهة اشتراكهما في كون كل منهما اصلا ينتزع منه الجوهر فمن المعادن انواع الجواهر المحسوسة
ومن نفس العارف جواهر العلوم والاخلاق وسائر ما اشتمل عليه دين الله كونه من اوتاد ارضه استعار لفظ الوتد ووجه المشابهة كون كل منهما
سببا لحفظ ما يحفظ به فبالوتد يحفظ الموتود وبالعارف يحفظ نظام الارض واستقامة امور هذا العالم وقد سبق مثله في الخطبة الاولى وتد
بالقطب ومبدأ ارضه لو كونه الزم نفسه العدل فكان اول عدله نفي الهوى عن نفسه لما كان العدل ملكة تنشأ عن الملكات الثلث وهي الحكمة والعفة
والشجاعة وكان العارفون قد راضوا انفسهم بالعبادة وغيرها حتى حصلوا على هذه الملكات الخلقية لا جرم كان بعينه حصولها قد الزم نفسه
العدل ولما كان العدل في القوة الشهوية ان يصير بها عفيفا لا خامد الشهوة ولا فاجرا اصعب من العدل على سائر القوى لكثرة موارد الشهوة وميلها الى الاثنا
الى طرف الافراط ولذلك كان اكثر المناهي الواردة في الشريعة هي موارد الشهوة لا جرم كان مقتضى المدح ان يبدأ بذكر نفي الهوى عن نفسه ولان
الثالث اول ما يبدأ في تكميل القوة العملية باصلاح القوة الشهوية فيقف عند حدود الله ولا يتجاوزها في ماكول ومنكوح او كسب ونحوه
لز كونه يصف الحق ويعمل به اي يتبع قول الحق بعمله فان الخلف في القول عند الخلق قبيح ومع الله اقبح ولذلك عاتب الله المؤمنين يا ايها
الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وكانوا قالوا لو نعلم اي الاعمال في سبيل الله احب اليه ورضاه فلما كان
يوم احد لم يثبتوا واكد عتابه بشدة مقته لخلفهم وعدم مطابقة اقوالهم لافعالهم لح كونه لا يدع للخير غاية الا امها اي لما فرغ من جزئيات اوصاف
العارف شرع فيها اجمالا فذكر انه طالب لكل غاية خيرية اي لا يقنع ببعض الحق ويقف عنده بل يبتغي في ضمنه ويستقصي غاياته لط و
كذلك هو قاصد لكل مظنة له ومظنته كل محل امكن ان ينتزع منه ويستفيده كالاولياء ومجالس الذكر وغيرها م كونه قد امكن الكتاب
من زمامه فهو قائده وامامه الى الاخرة فتمكينه الكتاب كناية عن انقياده لما اشتمل عليه من الاوامر والنواهي واستعار لفظ الزمام لعقله ووجه المشابهة
ما بينهما كان بين كون كل منهما الة للانقياد وهي استعارة لفظ المحسوس للمعقول وكذلك استعار لفظ القائد للكتاب لكونه جاذبا بزمام
عقله الى جهة واحدة مانعا عن الانحراف عنها وكذلك لفظ الامام لكونه مقتديا به وقوله يحل حيث حل ثقله وينزل استعار وصفي الحلول والنزول
اللذين هما من صفات المسافر وكنى بحلوله حيث حل عن لزوم اثره والعمل بمقتضاه ومتابعته له في طريق سفره الى الله بحيث لا ينفك عنه وعن وعده
ووعيده وبالله التوفيق الفصل الثاني قوله واخر قد تسمى عالما وليس به فاقتبس جهائل من جهال واضاليل من ضلال
ونصب للناس اشراكا من حبال غرور وقول زور قد حمل الكتاب على آرائه وعطف الحق على اهوائه يؤمن من العظائم ويهون كبير

في صفات بعض الكشاف

١

الجرائم يقول اقف عند الشبهات وفيها وقع ويقول اعتزل البدع وبينها اضطجع فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان لا يعرف باب
الهدى فيتبعه ولا باب العمى فيصد عنه فذلك ميت الاحياء **اقول** وهذا الفصل من صفات بعض الكشاف في مقابلة الموصوف
الثاني مخصص من تسمى عالما وليس بعالم بالذكر في معرض الذم لانه اشد فتنة واقوى فسادا للدين لتعدي فتنته من نفسه الى غيره ذكر
له اوصافا **الاول** كونه قد تسمى عالما وليس بعالم لطلب الرياسة وتحصيل الدنيا وهذا الصنف من الناس كثير والعلماء فيهم مغمورون **الثاني**
كونه قد اقتبس جهائل من جهال وضلائل من ضلال والجهائل جمع جهالة واراد الجهل المركب وهو الاعتقاد الغير المطابق لما في نفس الامر
وهذا الوصف حد سبب الاول ونسبة الاقتباس الى الجهل نسبة مجازية لما ان الجهل يشبه العلم في كونه مستفادا على نحو التعلم والتعليم و
الاضاليل من لوازم الجهالات وهو الانحراف عن سواء السبيل وانما قال من جهال وضلال ليكون اثبات الجهل والضلال له اكد فان
تلقيهما عن الجهال الضلال واعتقادهما اثبت وارسخ في النفس من سائر الجهالات **الثالث** كونه نصب للناس اشراكا من حبائل غرور و
قول زور استعار لفظ الاشراك والحبائل المانعة علماء السوء به الناس من الاقوال الباطلة والافعال المزخرفة ووجه المشابهة
ما تشترك فيه الشرك من الحبائل وغيره وسائر ما يجذب به الخلق من اقوالهم وافعالهم في كونها محصلة للغرض فانه ... للصيد وغرور وهؤلاء
لقلوب الخلق ورشح تلك الاستعارة بذكر النصب **الرابع** قد حمل الكتاب على ارائه الجاهل وتفسير كتاب الله نعم مذاهب مجسمة ويكفيك
منها ما تعتقد المجسمة من ظواهر ما المشعرة بتجسيم الصانع جلت قدرته وتفسيرهم للكتاب على ما اعتقدوه من باطلهم **الخامس** عطف الحق
على اهوائه من فسر الفاظ القران على حسب عقيدته الفاسدة ورايه الباطل فقد عطف الحق على هواه اي جعل كل هوى له حقا يتبع
بتاويل ما ولوازم الحق اهواؤهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن **السادس** كونه يؤمن الناس من العظائم ويهون كبير الجرائم اي يسهل
على الناس امر الاخرة في موضع يحتاجون فيه الى ذكر وعيد الله وتذكيرهم باليم عقابه كما يخطئ الجاهلون ويعرضون عن اوامر الله نعم ونواهيه
فاذا حضروا مجالس جهال الواعظين والزهاد توسلوا الى استجلاب قلوبهم وتشييد مناصبهم باجتماعهم عليهم بان ذكروا لهم سوابق الله
كقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا ونحوه يهونون عليهم بذلك عظيم الوعيد واهوال الاخرة ويصغر عندهم جرائمهم التي ارتكبوها في حين ما
تصوروه من الوعد الكريم ويأمنون ميل طباعهم الى الشهوات الخارجة عن حدود الله فيعاودوا ما اقترفوه ولا كل العالم الذي من شانه ان
يستعمل كلا من ايات الله الوعد والوعيد في موضعها ليبقى السامعون بين خوف ورجاء فلا ينهمكوا في اللذات الفانية اتكالا على الوعد ولا
يقنطوا من رحمة الله نظرا الى الوعيد **السابع** يقول اقف عند الشبهات اي اذا انتهيت الى امر فيه شبهة لا اقدم عليه وفيها وقع وذلك لجهله بمواقع
الشبهة وغيرها **الثامن** يقول اعتزل البدع اي ما يبتدع من الامور المخالفة لقوانين الشريعة وبينها اضطجع كني باضطجاعه بين البدع عن توطنه
فيها كناية بالمستعار وذلك لجهله باصول الشريعة وكيفية تفريعها **التاسع** فالصورة صورة الانسان والقلب قلب حيوان اراد بالحيوان
غير الانسان كما هو مختص في العرف واطلق على قلبه انه قلب حيوان كالحمار ونحوه لما بينهما من المناسبة وهو عدم صلاحيتهما لقبول المعارف والعلوم
مع ميلهما الى الشهوات **العاشر** كونه لا يعرف باب الهدى فيتبعه ولا باب الردى فيصد منه اي لا يعرف بجهله قانون الهداية الى طرق الحق فيسلكه
ولا وجه دخوله في الباطل فيعرض عنه وذلك ان الجاهل الجهل المركب لما حاد عن سبيل الله وجزم بما اعتقده من الباطل امتنع مع ذلك الجزم
ان يعرف باب الهدى ومبدأ الدخول اليه فامتنع منه اتباعه ولما اعتقد ان ما جزم به من الباطل هو الحق امتنع ان يعرف مبدأ دخوله في الجهل
وهو باب العمى فامتنع منه ان يصد عنه ثم حكم عن تلك الاوصاف انه ميت الاحياء اما كونه ميتا فلان الحيوة الحقيقية التي تطلب لكل عاقل
والتي وردت الشرائع والكتب الالهية بالامر بتحصيلها هي حيوة النفس باستكمال الفضائل التي هي سبب السعادة الباقية وقد علمت ان الجهل
المركب هو الموت المضاد لتلك الحيوة فالجاهل بالحقيقة ميت واما انه ميت الاحياء فلانه في صورة الحي **الفصل الثالث** قوله
فاين تذهبون واني تؤفكون والاعلام قائمة والايات واضحة والمنار منصوبة فاين يتاه بكم بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم
وهم ازمة الحق والسنة الصدق فانزلوهم باحسن منازل القران وردوهم ورود الهيم العطاش ايها الناس خذوها عن خاتم النبيين
صلى الله عليه وآله انه يموت من مات منا وليس بميت ويبلى من بلي منا وليس ببال فلا تقولوا بما لا تعرفون فان اكثر الحق فيما
تنكرون واعذروا من لا حجة لكم عليه وانا هو الم اعمل فيكم بالثقل الاكبر واترك فيكم الثقل الاصغر وركزت فيكم راية الايمان ووقفتكم
على حدود الحلال والحرام والبستكم العافية من عدلي وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي واريتكم كرائم الاخلاق من نفسي فلا
تستعملوا الراي فيما لا يدرك قعره البصر ولا يتغلغل اليه الفكر **اقول** تؤفكون تصرفون والتيه الضلال والعمه الحيرة والتردد
وعترة الرجل اقاربه من ولده وولد ولده وادنى بني عمه والهيم الابل العطاش اعلم انه لما قدم المتقين بصفاتهم والفاسقين بصفاتهم كان
في ذكرهما تنبيه على وصفي طرفي الحق والباطل ولوازمهما فلذلك عقبها بالتنبيه على كونهم في ضلال وتيه وعمى عن الحق ثم بالتخويف
والتبكيت والتذكير بكتاب الله وعترة رسوله ليلزموا سمتهم ويسلكوا بهم طريق اهل التقوى ويفيئوا عن ضلالهم الى اقتباس انوار الحق
من اهله فقوله فاين تذهبون الى قوله تعمهون سؤال عما يذهبون اليه وعن وقت صرفهم عن ذلك النهج سؤالا على سبيل الانكار لما هم عليه

اعلام

من الطريق

من الطريق الجائرة والواو في قوله والاعلام للحال واشار بالاعلام الى ائمة الدين ووضوحها ظهور ما بينهم ووجودهم فيهم ثم اردف ما انكره من ذهابهم
والتعجب منه بتفسيره فقال فاين يتاه بكم وكيف تعمهون وشبه به الحالة التي هم عليها بالتيه ... شبه غير هو يتيه في الضلال وحيرة الجهل والتردد
في العمى ويتبين منه ان قوله واني تؤفكون اي متى تصرفون عن نهجكم وذهابكم في الضلالة **وقوله** وبينكم عترة نبيكم الواو للحال ايضا فالعامل
تعمهون او يتاه بكم وكذلك الواو في قوله وهم ازمة الحق والمعنى كيف يجوزان يتيهوا في ظلمات الجهل مع ان فيكم عترة نبيكم واراد بعترته اهل بيته
واليه الاشارة بقول الرسول صلى الله عليه وآله خلفت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض واستعار
لفظ الازمة ووجه المشابهة كونهم قادة للخلق الى طريق الحق كما يقود الزمام الناقة الى الطريق وكذلك استعار لهم لفظ الالسنة ووجه المشابهة
كونهم تراجمة الوحي الصادق كما ان اللسان ترجمان النفس ويحتمل ان يريد بكونهم السنة الصدق انهم لا يقولون الا صدقا وقوله فانزلوهم
باحسن منازل القران فاعلم ان للقران منازل **الاولى** القلب وهو فيه بمنزلتين احدهما منزلة الاكرام والتعظيم والثانية منزلة التصور
فقط من دون تعظيم الثالثة منزلته في الوجود اللساني بالتلاوة الرابعة منزلته في الدفاتر والكتب واحسن منازله هي الاولى فالمراد اذن
الوصية باكرامهم ومحبتهم وتعظيمهم كما يكرم القران بالمحبة والتعظيم وقوله وردوهم ورود الهيم العطاش ارشادهم الى اقتباس العلوم والاخلاق
منهم اذ كانوا معادنها ولما كانت العلماء والائمة تشبه بالينابيع والعلم يشبه بالماء العذب وغارسه بالعطشان حسن منه ان يامرهم بورودهم
وان يشبه الورود المطلوب منهم بورود الابل العطاش وقوله ايها الناس الى قوله ببال لما كان في معرض ذكر الفائدة فكانها قد تقدم
ذكرها فلذلك حسن ايراد الضمير في قوله خذوها وان لم يسبق لها ذكر واشاره النبي بهذه الكلمة تفسير لقوله تعم ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين ولما اتفقت عليه كلمة العلماء ونطقت به البراهين العقلية ان اولياء الله لا يموتون
ولا يبلون وان بليت اجسادهم قال بعض الخائضين فيما لا يعنيه قوله ويبلى من بلي منا نص جلي على ان اجساد الاولياء تبلى ضد لما يخالف
ما يعتقده الناس من اجسادهم باقية الى يوم القيمة بحالها فلك الاعتقاد المذكور لبعض الناس مما نشاء من قول الرسول صلعم في قتلى بدر
زملوهم بكلومهم ودمائهم فانهم يحشرون يوم القيمة واوداجهم تشخب دما وقوله تعم ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء
الاية وليس ولا واحد منهما يدل على ان الاجساد لا تموت ولا تبلى اما الخبر فليس مقتضاه انها تبقى صحيحة تشخب دما الى يوم القيمة بل ذلك
مما يشهد ببطلانه الحس بل يحمل على انها كما تعاد يوم القيمة تعاد مجروحة تشخب جراحها وما كتبتها يوم موتها واما الاية فالذي اجمع عليه
علماء المفسرين ان الحياة المذكورة فيها هي حيوة النفوس وهو ظاهر في سببه فلها عن ابن عباس رضه قال قال رسول الله صلعم لما اصيب اخوانكم
باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طيور خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا
طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله عز
وجل انا ابلغهم عنكم فنزلت ولا تحسبن الذين قتلوا الاية فاذن لا منافاة بين كلامه وما ورد في القران والخبر ومقصوده بهذه الكلمة
تقرير فضيلتهم وانهم وان ماتوا فهم احياء عند ربهم في ظل كرامته وقوله فلا تقولوا بما لا تعرفون تنبيه على الرجوع الى العترة العارفين بما ينبغي
ان يقال وقوله فان اكثر الحق فيما تنكرون تاكيد للامر بالتثبت في الاقوال والنهي عن التسرع اليها والجاهل قد ينكر الحق اذا خالف طبعه
او ما عند نفسه او سبق اعتقاد ضده اليه لشبهة او تقليد فنبه على ان اكثر الحق فيما ينكرونه لئلا يتسرعوا الى القول من غير علم ولذلك ذكر
هذه القضية مرتبة بفاء التعليل وقوله واعذروا من لا حجة لكم عليه وهو انا طلب العذر منهم فيما يلحقهم من عذاب الله بسبب تقصيرهم فان الضرر
الذي يلحقهم قد انذروا به ونوعدوا فلو قصرهو عليه السلام في تذكيرهم بتلك الوعيدات والانذارات مع كون ذلك ماخوذا عليه من الله تعم
لكانت حجتهم عليه قائمة ولما كان له عذر لكنه بلغ وحذر ووعد واوعد وانما ذكرهم بطلب الحجة عنه في ذلك ليتذكروا اخطاءهم
ولعلهم يرجعون وقوله الم اعمل فيكم الى قوله من نفسي تفصيل لما جاءهم به من الجواذب الى الله فاعذر اليهم بها واتى بلفظ الاستفهام على سبيل
التقريع والتبكيت والثقل الاكبر كتاب الله واشار بكونه اكبر الى انه الاصل المتبع المقتدى به والثقل الاصغر الائمة من ولده عليهم السلام وكني
براية الايمان عن سنة المتبعة وطريقته الواضحة في العمل بكتاب الله وسنة رسوله كناية بالمستعار ووجه المشابهة كون طريقته يهتدى بها
الى سلوك سبيل الله كما يهتدى بالاعلام والرايات امام الجيش وغيره ولفظ الركز ترشيح للاستعارة كني به عن ايضاحها لهم وتوقيفه على
حدود الحلال والحرام تعريفهم اياها واراد بالعافية السلامة عن الاذى الحاصل من ايدي الظالمين واستعار لفظ اللباس لها ووجه
الاستعارة ان العافية تشمل المعافى كالقميص وكذلك استعار لفظ الفرش للمعروف لكونه اذا وطئت قواعده يستراح به كالفراش وقوله
واريتكم كرائم الاخلاق من نفسي اي وضحتها لكم وشاهدتموها مني مكررة وقوله فلا تستعملوا الراي الى اخره نهي لهم عن الاشتغال بالخوض
في صفات الله والبحث عن ذاته بغير قانون واستاد مرشد بل بحسب الراي والتخمين فان تلك لدقائق لما كانت لا ساحل لها ولا غاية يقف
الفكر عندها وان تغلغل في اعماقها وكانت مع ذلك في غاية العسر والدقة وكثرة الاشتباكات تداولهم للاشتغال بها موديا الى الخبط
وافتراق المذاهب وتشتت الكلمة والاشتغال بذلك عن الانتظام في سلك الدين والاتحاد فيه كما عليه من ينتسب الى العلم بعده وكل ذلك

وكذلك المناد ونصبها بنام الائمة منهم

ضد مطلوب الشارع فان الالفة والاتحاد في الدين من اعظم مطلوباته ويحتمل ان يريد مطلق دقايق العلم وتفريع الفقه على غير قانون من
امام هدى بل الرأي عن ادنى وهم منها حتى يظن الظان ان الدنيا معقولة على بني امية يمنحهم درّها وتوردهم صفوها ولا يرفع
عن هذه الامة سوطها ولا سيفها وكذب الظان لذلك بل هي مجة من لذيذ العيش يتطعمونها برهة ثم يلفظونها جملة
اقول معقولة محبوسة والمجة الفعلة من مج الشراب اذا قذفه من فيه والبرهة المدة من الزمان فيها طول ولفظ كذا القاه من فيه
وهذا الكلام من فصل يذكر فيه حال بني امية وطول مدتهم وبلاء الخلق بهم فقوله يظن الظان الى قوله سيفها غاية من غايات
طول عناء الناس واستعار رضعهم للدنيا اوصافا فاحدها كونها معقولة ووجه الاستعارة ملاحظة شبهها بالناقة في كونها
محبوسة في ايديهم كما تحبس الناقة بالعقال الثاني كونها ذات درّ يمنحهم اياه ووجه الاستعارة تشبيهها بالناقة في كون ما فيها
من فوائدها وخيرها مهيأة لهم ومصبوبة عليهم كما تبذل الناقة درّها الثالث كونها توردهم صفوها وكنّى بالايراد
اليها مجاز ويجوز بالسوط والسيف فيما فيه الامة معهم من العذاب والقتل ونحوه استعمالا للفظ السبب في المسبب وقوله وكذب
الظان لذلك الى آخره رد لما عساه يظن من ذلك بتحقير ما حصلوا عليه من الامر لذتهم به وتحقيره من حيث استعار لذلك
لفظ المجة وكنى بكونها مطعومة لهم عن تلك اللذة هاهنا مدة امرتهم وبكونها ملفوظة عن زوال الامرة عنهم واكد ذلك لزوالها بقوله
جملة اي بكليتها وهي كناية بالمستعار تشبيها لها باللقمة التي لا يمكن اساغتها وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم
اما بعد فان الله سبحانه لم يقصم جباري دهر قط الا بعد تمهيل ورخاء ولم يجبر عظم احد من الامم الا بعد ازل وبلاء
وفي دون ما استقبلتم من عتب واستدبرتم من خطب معتبر وما كل ذي قلب بلبيب ولا كل ذي سمع بسميع ولا كل ذي ناظر
ببصير فيا عجبا وما لي لا اعجب من خطاء هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها لا يقتصون اثر نبي ولا يقتدون بعمل
وصي ولا يؤمنون بغيب ولا يعفون عن عيب يعملون في الشبهات ويسيرون في الشهوات المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر
عندهم ما انكروا مفزعهم في المعضلات الى انفسهم وتعويلهم في المهمات على آرائهم كان كل امرئ منهم امام نفسه قد اخذ
منها فيما يرى بعرى وثيقات واسباب محكمات اقول القصم بالقاف الكسر والازل بفتح الهمزة الضيق والشدة وافضل آثره تبعه
ومقصود هذا الفصل توبيخ الامة على اختلاف آرائهم في الدين واستبداد كل منهم بمذهب يحبب اليه في المسائل الفقهية ونحوها
مع وجود من بينهم واعراضهم عن مراجعته مع علمهم بقيامه بذلك فقوله اما بعد الى قوله ببصير صدر الخطبة وكانه فهم من خوف
هذه الخطبة تنبيه انهم انما يستبدون بآرائهم من دون مراجعة عن كثير منهم على التعلم والاستفادة ومحبة الراحة من تحمل كلفة
التحري في التحرز من الغلط فيه ومشقة الطلب فلذلك خوفهم من حال الجبابرة وان تضييعهم بترك قواعد الدين الى آرائهم المفرقة
فاستعد والا للهلاك بقوله انه لم يقصم جباري دهر الا بعد امهالهم ورخائهم فانهم اذا امهلوا وانغمسوا فيما هم فيه من الرخاء
والترف اعرضوا عن الآخرة ونسوا ذكر الله تعالى فاستعدوا بتركهم لقوانين الدين التي بها نظام العالم للهلاك ونحوه قوله تعالى
واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكذلك قوله ولم يجبر عظم احد من الامم
الا بعد ازل وبلاء كنى بجبران العظم عن قوتهم بعد الضعف كناية بالمستعار وصدق هذه القضية ظ فان احدا من الامم المتغيرة
لا نبيائهم او لملوكهم في اظهار دين او طلب ملك لم يصلوا الى مطلوبهم الا بعد قوتهم وضعفهم وتظاهر بعضهم ببعض ومعاناة
بلاء وازل لاجل انهم يستعدون بذلك للفزع الى الله تعالى فيتهيأ قلوبهم لقبول الالفة وبعد ذلك باجتماع عزائمها لقبول صورة النصر
وفيه تنبيه على وجوب الاتحاد في الدين وعدم تشتت الآراء فيه فان ذلك يدعو الى التحزب والتفرق ويدخل عليهم الوهن والضعف
وكل ذلك ضد مطلوب الشارع كما سبق ويحتمل ان يكنى بقوله لم يقصم جباري دهر عن جباري وقته كمعوية واصحابه وبقوله لم يجبر
احدا من الامم الا بعد ازل وبلاء عن اصحابه فنبههم بالكلمة الاولى على ان اولئك الجبارين وان طالت مدتهم وقويت شوكتهم
فانما ذلك املاء من الله لهم ليستعدوا به للهلاك وبالكلمة الثانية على انكم وان ضعفتم وابتليتم فذلك عادة الله فيمن يريد
ان ينصره ثم عقب ذلك بتوبيخهم على الاختلاف وتشعب الآراء والمذاهب في الدين لما ان ذلك يؤدي الى طول محنتهم وضعفهم
عن مقاومة عدوهم وقوله وفي دون ما استقبلتم من عتب اي من عتابي لكم واستدبرتم من خطب اي من الاهوال التي كنتم ترونها
من المشركين في مبدأ الاسلام حيث كنتم قليلين وامرتم ان يثبت الواحد منكم لعشرة منهم ثم ايدكم الله بنصره بالتأليف بين قلوبكم
وجبر عظمكم بمن اسلم ودخل في دينكم وذلك اي معتبر وعبرة فيه اي عبرة فانكم لو لم تتحدوا في الدين وتتفقوا سواء اراد ذلك التفصيل
واختلفت آراؤكم في ذلك لوقت كاختلافها الآن وكنتم اذن على غاية من الكثرة لم تغن عنكم كثرتكم شيئا فكانه قال فيجب من ذلك
الاعتبار ان لا تفترقوا في الرأي وان تتحدوا في الدين وتراجعوا علمكم بأصوله وفروعه وقوله فما كل ذي قلب بلبيب الى
قوله ببصير اراد بذلك نفي القلب الانساني وظاهر الانسان قد يخلوا عن اللب واراد باللب العقل والذكاء واستعمالها فيما ينبغي على الوجه

ج ٢

الذي ينبغي وبالجملة فما للبيب من ينتفع بعقله فيما خلق لاجله وكذلك السميع والبصير اللذان يستعملان سمعهما وبصرهما في استفادة العبرة
واصلاح امر المعاد ونحوه قوله تعالى الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم آذان يسمعون بها وقوله فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور وفائدة هذه الكلمات جذب النفوس الى الاعتبار كيلا يبعد التارك له عن اللبيب والسميع والبصير وقوله فيا عجبا الى آخره
اردف التعجب بما يصلح جواب سؤال مقدر عما يتعجب منه فكانه فهم من تقدير ذلك السؤال التعجب كسؤال من يتعجب المستلزم للتبرم وتضجره
كان السائل قال ومم تتعجب وعلام هذا التبرم والاسف فقال ما لي لا اعجب من خطاء هذه الفرق الفصل ثم شرع في تفصيل الخطايا و
المذام التي كان اجتماعها فيهم سببا للتعجب منهم فاشار الى تركهم لما ينبغي ثم اردفه بذكر فعلهم لما لا ينبغي وقدم على الكل ذكر اختلاف
حججهم في دينهم وذلك هو الاصل الذي نشأت عنه اكثر هذه الرذائل فاما تركهم لما ينبغي ففي صور احدها تركهم لاقتصاص اثر
نبيهم فانهم لو اقتصوا اثره لما اختلفوا اذ لا اختلاف فيما يقتصوا اثر نبيهم الثانية تركهم الاقتداء بعمل الوصي وهو اشارة الى نفسه
وهذه اقطع لاعذارهم فان الاختلاف في الدين قد يعرض عن ضرورة وهي عدم اصابة الكل للحق مع عدم الشارع الذي يرجع اليه في
التوقيف على اسرار الشريعة فاما اذا كان الموقف موجودا بينهم كمثله عم امتنع ان يقعوا في تلك الضرورة فيعتذروا بها في الاختلاف
الثالثة تركهم الايمان بالغيب اي التصديق به والما يثبت في اعتقاده وللمفسرين في تفسير الغيب قول احدها عن ابن عباس هو ما جاء
به من عند الله الثاني عن عطاء هو الله سبحانه الثالث عن الحسن هو الدار الآخرة والثواب والعقاب والحساب الرابع قيل
يؤمنون بظهر الغيب كقوله تعالى يخشون ربهم بالغيب اي لا يحفظون شرائط الايمان في غيب بعضهم على بعض الخامس عن ابن عيسى
الغيب ما غاب عن الحواس مما يعلم بالدليل السادس عن الاخفش يؤمنون بما غاب عنهم من متشابهات القرآن احدها تركهم العفة عن
عيب وهو اشارة الى الغيبة وظاهر انها تجور وعبور الى طرف الافراط من فضيلة العفة واما فعلهم لما لا ينبغي فامور احدها انهم يعملون في
الشبهات اي لا يتوقفون فيما اشتبه عليهم امره ولا يبحثون عن وجه الحق فيه بل يعملون فيه بما قادهم اليه الهوى الثاني كونهم يسيرون
في الشهوات لما لحظ مشابهة ميل قلوبهم الى شهواتها الدنيوية وانهماكها فيها قاطعة مراحل الاوقات بالتلذذ لسلوك السائر في الطريق
ونحوها استعار لذلك السلوك لفظ السير الثالث كون المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر ما انكروا اي ان المعروف والمنكر تابعان لارادتهم
وميولهم الطبيعية فما انكرته طباعهم كان هو المنكر بينهم وان كان معروفا في الشريعة وما اقتضته طباعهم وما لت اليه كان هو المعروف
بينهم وان كان منكرا في الدين والواجب ان يكون ارادتهم وميولهم تابعة لنواميس الشريعة في اتباع ما كان فيها معروفا وانكار ما كان فيها
منكرا الرابع كون مفزعهم في المعضلات الى انفسهم وتعويلهم في المهمات الى آرائهم وهو كناية عن كون احكامهم في كل ما يرد عليهم من مشكلات
الدين وتبينهم من احكامه تابعة لاهوائهم لا يجرونها على قانون شرعي يعرف حتى اشبهت نفوسهم الامارة بالسوء التي هي منبع الاهواء المخالفة
للشريعة الائمة التي يرجع اليهم في استفادة الاحكام فكل منهم يأخذ عن نفسه اي يتمسك فيما يراه ويحكم به بآراء كانها عنده عرى ثيقة
اي لا يضل من تمسك بها واسباب محكمات اي نصوص جلية وظواهر واضحة لا اشتباه فيها وقد عرفت معنى الحكم ولفظ العرى مستعار
وقد سبق وجه الاستعارة وبالله العصمة والتوفيق ومن خطبة له عليه السلم ارسله على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الامم
واعتزام من الفتن وانتشار من الامور وتلظ من الحروب والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور على حين اصفرار من ورقها واياس من
ثمرها واغورار من مائها قد درست اعلام الهدى فظهرت اعلام الردى فهي متجهمة لاهلها عابسة في وجه طالبها ثمرها الفتنة
وطعامها الجيفة وشعارها الخوف ودثارها السيف فاعتبروا عباد الله واذكروا تيك التي آباؤكم واخوانكم بها مرتهنون وعليها
محاسبون ولعمري ما تقادمت بكم ولا بهم العهود ولا خلت فيما بينكم وبينهم الاحقاب والقرون وما انتم اليوم من يوم كنتم
في اصلابهم ببعيد والله ما اسمعهم الرسول شيئا الا وها انا ذا مسمعكموه وما اسماعكم اليوم بدون اسماعهم بالامس ولا
شقت لهم الابصار ولا جعلت لهم الافئدة في ذلك الاوان الا وقد اعطيتم مثلها في هذا الزمان ووالله ما بصرتم بعدهم شيئا
جهلوه ولا اصفيتم به وحرموه ولقد نزلت بكم البلية جائلا خطامها رخوا بطانها فلا يغرنكم ما اصبح فيه اهل الغرور فانما هو
ظل الله ممدود الى اجل معدود اقول الفترة ما بين زماني الرسالة والهجعة والاعتزام العزم وروي اعترام الفتن بالراء المهملة اي
كثرتها وروي اعتراض من اعترض الفرس في الطريق اذا مشى عرضا من غير قصد وتلظت الحرب تلهبت والتجهم العبوس والاحقاب جمع حقب
بضم الحاء والقاف وهو الدهر والبطان حزام البعير للقتب وصورة هذا الفصل تذكيرهم بنعمة الله تعالى التي نفت ما كانوا فيه من بؤس وهي
بعثة الرسول وما استلزمته من الخيرات ليعتبروا فيشكروا ويخلصوا التوجه الى الله تعالى فاشار اولا الى النعم المذكورة ثم اردفها بالاحوال
المذمومة التي شدت تلك النعم الجسيمة وعد منها امورا احدها الفترة من الرسل وظاهر ان خلو الزمان عن رسول فيه يستلزم وجود
الشرور ووقوع الهرج والمرج وتلك احوال مذمومة يلحق ذلك الزمان بها من الذم بمقدار ما يلحق زمان وجود الرسول صلى الله عليه وآله من
المدح الثاني طول الهجعة من الامم وكنى بالهجعة عن الغفلة في امر المعاد وسائر المصالح التي ينبغي الثالث الاعتزام من الفتن اما على الرواية

ام لهم اعين يبصرون بها

فيما جاء به كما سبق بيانه لكنهم اختلفوا

الاقوال في تفسير الغيب الرابعة

التوبة

الاولى فنسبة العزم الى الفتن مجاز كني به عن وقوعها بين الخلق المشبه لقصدها اياهم وعلى الرواية الثانية اى على كثرة من الفتن وعلى الرواية الثالثة
فالمغيرات الفتن لما كانت تغيرهم وانعقد على قانون شرعي ولا نظام مصلحي ولذلك سميت فتنة لاجرم اشبهت المعترض في الطريق من الحيوان الماشي
على غير استقامة ولذلك ستعير لها لفظ الاعتراض **الرابع** وعلى انتشار من الامور اى تفرق امور الخلق واحوالهم وجريانها على غير قانون
عدلي **الخامس** التلظي من الحروب وقد سبق تشبيه الحرب بالنار فلذلك استعار لها التلظي على سبيل الاستعارة وكنى بها عن هيجانها
ووجودها بينهم زمان الفترة **السادس** والدنيا كاسفة والواو للحال اى كاسفة النور ونور الدنيا كناية عن وجود الانبياء وما ياتون به من الشرايع
وما ينتج عنهم من الاولياء والعلماء كناية بالمستعار ووجه المشابهة ما يستلزم النور ووجود الانبياء والشرايع من الاهتداء بهما ورشح تلك
الاستعارة بذكر الكسوف وعبر به عن عدم ذلك النور منها ملاحظة لشبهها بالشمس **السابع** ظاهرة الغرور اى كل من اغتر بها وانهمك
في مشتهياتها وجد غشه بجوار عنها **الثامن** كونه ارسل على حين اصفرار من ورقها واياس من ثمرها واعورار من مائها استعار لفظ الثمرة
والورق لمتاعها وزينتها ولفظ الاصفرار لتغير تلك الزينة العربية في ذلك الوقت وعدم طلاوة عيشهم اذن وخشونة مطاعمهم كما يذهب
حسن الشجرة باصفرار ورقها فلا يلتذ بالنظر اليها وعنى بالاياس من ثمرها انقطاع امال العرب اذن من الملك والدولة وما يستلزم من
الحصول على طيبات الدنيا وكذلك استعار لفظ الماء لمواد متاع الدنيا وطرق لذاتها ولفظ الاعورار لعدم تلك المواد من ضعف التجارات و
المكاسب وعدم التمليك للمعصا وكل ذلك لعدم النظام العدلي بينهم وكلها استعارات بالكناية ووجه الاستعارة الاولى ان الورق كما انه
زينة للشجرة وبه كماله كذلك اللذات للدنيا وزينتها ووجه الثانية ان الثمر كما انه مقصود الشجرة غالبا وغايتها كذلك متاع الدنيا والانتفاع به
هو مقصودها المطلوب منها لاكثر الخلق ووجه الثالثة ان الماء كما انه مادة الشجرة وبه حياتها وقيامها في الوجود كذلك مواد تلك اللذات
هي المكاسب والتجارات والصناعات وقد كانت العرب خالية من ذلك ووجوه باقي الاستعارات ظاهرة **التاسع** دروس اعلام الهدى وكنى
باعلام الهدى عن ائمة الدين وكتبه التي بها يهتدى لسلوك سبيل الله وبدروسها عن موتهم ولذلك عدمهم كناية بالمستعار كما سبق **العاشر** ظهور اعلام
الردى وهم ائمة الضلال الداعين الى النار **الحادي عشر** كون الدنيا متجهمة لاهلها عابسة في وجوه طلابها وكنى بذلك عن عدم صفائها لهم لان
طيب العيش في الدنيا انما يكون مع وجود نظام العدل والنصفة بين اهلها وعدم النظام وذلك في زمان الفترة مفقود بين العرب فهو كناية بالمستعار
ووجه المشابهة بلزوم الاستعارة عنه وله من عدم تحصيل المطلوب منهما **الثاني عشر** كون ثمرها الفتنة اى غاية سعيهم فيها على خبط في ظلمات جهلهم
انما هو الفتنة اى الضلال عن سبيل الله والتيه من ظلمات الباطل وغاية كل شيء هو مقصوده فتشبه الثمرة التي هي مقصود الشجرة فلذلك استعير لها
لفظها **الثالث عشر** وطعامها الجيفة يحتمل ان يكون لفظ الجيفة هنا مستعار الطعام الدنيا ولذاتها ووجه المشابهة انه لما كانت الجيفة
عبارة عما انتن وتغير من جثة حيوان ونحوها تجتنب ماكله وتنفر الطبع عنه كذلك طعام الدنيا ولذاتها في زمان الفترة اكثرها يكون من
النهب والغارة والسرقة ونحوهما مما يجب تناوله شرعا وينفر العقل منه وتاباه كرائم الاخلاق فاشبه ما يحصل من متاعها اذن الجيفة في خبثها وسوء
مطعمها وان كان احد الخبيثين عقليا والاخر حسيا فاستعير لفظها له ويحتمل ان يكنى بالجيفة عما كانوا ياكلون في الجاهلية من الحيوان غير مزكى وهو
ما حرمه القران الكريم من ذلك في قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة اى المضروبة بالخشب حتى تموت
وسمي الدم فيها فيكون اطيب كالدم المجوس والمتردية اى التي تردت من علو فماتت فان كل ذلك زمان فكثيرا ما يتفق ويوكل فيصدق
ان طعامهم كان الجيفة **الرابع عشر** كون شعارها الخوف **الخامس عشر** كون دثارها السيف استعار لفظ الشعار للخوف والدثار
للسيف ووجه الاستعارة الاولى ان الخوف وان كان من العوارض القلبية الا انه كثيرا ما يستتبع اضطراب البدن وانفعاله بالرعدة فيكون شاملا
لشمول ما يتخذه الانسان شعارا ووجه الثانية ان الدثار والسيف يشتركان في مباشرة العدو والضروب من فوقهما وقوله فاعتبروا عباد الله
شروع في المقصود وقوله واذكروا تيك اشارة الى وجه العبرة من قبائح الاعمال اى تلك الاعمال التي كانت عليها اباؤكم واخوانكم زمان الفترة
وزمان دعوة الرسول لكم وقوله فهم بها مرتهنون اى محبوسون في سلاسل الهيئات الرديئة واغلال ما اكتسبوا منها ومحاسبون عليها
وقوله ولعمري الى قوله بعيد الحاق بهم باباءهم في تشبيه زمانهم بزمانهم وتقارب ما بين الزمانين وتشبيه احوالهم بحالهم في امور احدها
ان اولئك كانوا اباءكم وليس زمان الابن وحاله ببعيد الحاقهم باباءهم من حال ابيه فما ابي وبدر **الثاني** ان الرسول صلى الله عليه وآله لم يسمعهم
شيئا الا واسمعتكم اياه فلا فرق بينكم وبينهم من هذه الجهة **الثالث** انه لا تفاوت بين اسماعكم واسماعهم **الرابع** ان ساير الالات البدنية
التي كانت لاولئك فاكتسبوا بها كما لاوم لم تكتسبوا حاصلة لكم ايضا **الخامس** انكم لم تعلموا شيئا كان اباؤكم جهلوه حتى يكون ذلك سببا
للفرق بينكم وبينهم **السادس** ولا اصفيتم من الدنيا بشيء لم يكن لاباءكم مثله وغرضه من الحاقهم باباءهم في هذه الاحوال امران احدهما التنفير عن حال
من سبق من العاصين بمخالفة اوامر الله تعالى الثاني الجذب والترغيب في حال من سبق ممن اطاع الله والرسول فانه اذا حصلت المشابهة بينهم وبين
السابقين والمتشابهات يتحدان في اللوازم كان من تشبه بسابق في عصيانه لزمه ما لزمه من اليم العقاب ومن تشبه في طاعته وانقياده لله لزمه
ما لزمه من الوصول الى جزيل الثواب وقوله ولقد نزلت بكم البلية يشبه ان يكون انذارا بابتلاء الخلق بدولة بني امية وملوكها وقوله جائلا

خطامها

خطامها كناية بالمستعار عن خطرها وصعوبة حال من ركن اليها فانها لما كانت دولة خارجة عن نظام الشريعة جارية على وفق الاوهام كان الراكن
اليها على خطر في دينه ونفسه كان من ركن الى الناقة التي جال خطامها اى لم يثبت في رحلها وانحى حزامها فركبها كان على خطرات تصرعه
فيهلك ثم اردف ذلك بالنهي عن الاغترار بما اصبح فيه اهل الغفلة من متاع الدنيا وطيباتها ونفر عنه باستعارة لفظ الظل له ووجه المشابهة
ما تنبه كان فيه من كونه ممدودا الى انتهى عند اجل وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** المعروف من غير رؤية والخالق من
غير روية الذي لم يزل دائما قائما اذ لا سماء ذات ابراج ولا حجب ذات ارتاج ولا ليل داج ولا بحر ساج ولا جبل ذو فجاج ولا
فج ذو اعوجاج ولا ارض ذات مهاد ولا خلق ذو اعتماد ذلك مبتدع الخلق ووارثه واله الخلق ورازقه والشمس والقمر دائبان في مرضاته يبليان
كل جديد ويقربان كل بعيد قسم ارزاقهم واحصى اثارهم واعمالهم وعدد انفاسهم وخائنة اعينهم وما تخفي صدورهم من
الضمير ومستقرهم ومستودعهم من الارحام والظهور الى ان تتناهى بهم الغايات هو الذي اشتدت نقمته على اعدائه في سعة
رحمته واتسعت رحمته لاوليائه في شدة نقمته قاهر من عازه ومدمر من شاقه ومذل من ناواه وغالب من عاداه من توكل عليه
كفاه ومن ساله اعطاه ومن اقرضه قضاه ومن شكره جزاه عباد الله زنوا انفسكم من قبل ان توزنوا وحاسبوها من قبل ان
تحاسبوا وتنفسوا قبل ضيق الخناق وانقادوا قبل عنف السياق واعلموا انه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ و
زاجر لم يكن له من غيرها زاجر ولا واعظ **اقول** الارتاج الاغلاق والساجي الساكن والفجاج الاتساع والفج الواسع ودائبان
مجدان في سيرهما وعازه غالبه والمناواة المعاداة وقد قصد هذا الفصل باعتبارات اضافية للحق سبحانه في معرض تمجيده **فالاول**
كونه تعالى معروفا من غير رؤية وقد سبق معنى معرفته تعالى ومراتبها وبيان كونه منزها عن الرؤية بحاسة البصر **الثاني** كونه تعالى خالقا من غير روية
وقد سبق ايضا بيانه في قوله في الخطبة الاولى بلا روية اجالها **الثالث** كونه لم يزل دائما وذلك لكون وجوب وجوده مستلزما لاستحالة عدمه
ازلا وابدا **الرابع** كونه قائما يجوز ان يريد به معنى الدائم الباقي ويجوز ان يريد به القائم بامور العالم والمدبر فيه على هذا الوجه اقوال
الاول عن ابن عباس رض كونه عالما بالخلق بما كانوا وضابطا لاحوالهم **الثاني** فيما توكل بحفظه عليهم وهو المشار اليه بقوله تعالى
افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت **الثالث** القائم على الشيء هو الحافظ له والمدبر لامره **الرابع** هو المجازي بالاعمال **الخامس**
هو القاهر لعباده المقتدر عليهم وقوله اذ لا سماء الى قوله ذو اعتماد اشارة الى جهة اعتبار ازليته وقيامه بذاته وسبقه لكل ممكن وقدمه تنبيها
لقول الرسول كان الله ولا شيء فاما الحجب ذات الارتاج فيحتمل ان يريد بها السموات على ظاهر الشريعة وانه تعالى في السماء فاشبهت الحجب له
فاطلق له لفظها عليها وكونها ذات ارتاج كناية عن عدم التمكن من فتحها والدخول فيها كناية بالمستعار وقال بعض الفضلاء اراد بها الهيات
البدنية ومحبة الدنيا والظلمات الحاصلة للنفس الحاجبة لها عن مشاهدة انوار جلال الله حتى كانها اقفال عليها كما قال تعالى ام على قلوب اقفالها
وقوله ولا خلق ذو اعتماد اى قوة وبطش **السادس** كونه مبدع الخلق اى مخترعه على غير مثال سبق **السابع** كونه وارثه اى كما انه مبدؤه فهو
ماله ومرجعه وذلك اشارة الى كونه دائما قائما لم يزل ولا يزال **الثامن** كونه اله الخلق وهو اعتبار له بالقياس الى ايجاده لهم واستعباده اياهم
التاسع كونه رازقهم وهو اعتبار له بالقياس الى افاضته سائر نعمه عليهم **احدهما** كون الشمس والقمر دائبين في مرضاته اى على وفق ارادته الحكمة
المطلق والنظام الكلي وذكرهما في معرض تمجيده لكونهما من اعظم ايات ملكه وقوله يبليان كل جديد نسب الابلاء اليهما لكون حركاتهما من
الاسباب لحدوث الحوادث في هذا العالم وتغيراته وكذلك قوله ويقربان كل بعيد وفيه جذب الى ذكر المعاد والتعمل له فكونهما يبليان كل
جديد مبنية على عدم الثقة والاعتماد على ما يروق ويعجب من حسن الابدان وجدتها وكل ما يحدث ويتجدد من قينات الدنيا ولذاتها والوثوق
دخولها فيما يبلى وكونهما يقربان البعيد تنبيه مع ذلك على الحذر مما يستبعده اهل الغفلة من الموت والفناء في صحة ابدانهم وسلامتهم في
حيوتهم الدنيا **العاشر** كونه تعالى قسم ارزاقهم كقوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا اى وهب لكل من الخلق ما كتب له في اللوح المحفوظ
الحادي عشر كونه احصى اثارهم الى قوله من الارحام والظهور اى احصى كل ذلك منهم بقلم القضاء الالهي في الالواح المحفوظة والبداية بقوله تعالى
والله يعلم اعمالكم وقوله وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين وقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وقوله وما من دابة في
الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وقوله الى ان تتناهى بهم الغايات اى يعلم كل احوالهم من حين ابتدائهم
الى ان يقف كل عند غايته المكتوبة له من خير او شر **الثاني عشر** هو الذي اشتدت نقمته على اعدائه في سعة رحمته واتسعت رحمته لاوليائه
في شدة نقمته واشار بذلك الى كماله بالتنبيه الى ملوك الدنيا فان احدهم في حالة غضبه على عدوه لا يتسع لرحمته ولا رحمة غيره وكذلك
في حال رحمته لاوليائه لا يجتمع معها غضبه عليهم ولما ثبت انه تعالى هو الغني المطلق المنزه عن صفات المخلوقين وانه المعطي لكل قابل ما يستحقه من غير
توقف في وجوده على امر من ذاته وكان اعداء الله مستعدون لسعيهم عنه لقبول سخطه وشدة نقمته في الاخرة لاجرم اولاهم ذلك وان كانوا
في الدنيا في سعة رحمته وشمول نعمته وكذلك اولياؤه لما استعدوا لقبول رحمته وشمول نعمته افاضها عليهم فهم في حضرة قدسه على غاية
من البهجة والسعادة وضروب الكرامة وان كانوا باجسادهم في ضروب من العذاب وشقاوة الفقر والفضل في الدنيا وذلك لا يملكه الا

ووارثه واله
الخلق

حلم لا يشغله غضب عن رحمته عدل حكيم لا يمنعه رحمته عن انزال عقوبته سبحانه ليس الا هو **الثالث عشر** قاهر من عاداه انه تعالى قاهر باعتبار انه قاصم ظهور الجبابرة من اعدائه فيقهرهم بالموت والاذلال كفرعون اذ قال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى وهو الذي بهذا الاعتبار مطلقا اذ كل موجود فهو مسخر تحت قدرته وقهره عاجز في قبضته **الرابع عشر** ومدمر من شاقه **الخامس عشر** ومذل من ناواه **السادس عشر** وغالب من عاداه من شاقه الله اتباع غير سبيله من بعد ما تبين للمسخر الهدى ومنا واة الاعراض عن اوامره واتباع الشهوات وانها لا تبرح هو اقاضته لصورة الحاجد الى غيره **السابع عشر** كاف من توكل عليه **الثامن عشر** ومعط من سأله **التاسع عشر** وقاض من اقرضه **العشرون** ومجاز من شكره وهذه الاعتبارات تعود الى حرف واحد وهو ان العبد اذا استعد بحسن التوكل والسؤال والصدق والشكر لنعم الله وجب في جود الله وحكمته افاضة كفايته فيما توكل عليه منها وكفاية من الكمالات افاضة تمامها عليه ومن رفع النقصانات دفعها عنه ثم اعطاؤه ما سأل اذا استعد لقبوله ثم اداؤه عن قرضه اضعافه ثم جزاؤه على شكره زيادة انعامه والملق لفظ القرض لما يعطي الفقير مجازا كما قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا الى يربا من جهات الرباء والسمعة خالصا لوجه الله مضاعفة له اضعافا كثيرة ووجه المناسبة كون الفقراء اهل الله وعياله فكان المعطي هو الله تعالى وقوله عباد الله الى اخره شروع في التسور والموعظة فقوله زنوا انفسكم من قبل ان توزنوا امر للنفوس في الدنيا اعتبار اعمالها وضبطها بميزان العدل اي مراعاة استقامتها على حاق الوسط من طرفي الافراط اللذين هما ككفتي الميزان بهما يحب احدهما في النقصان لازم والخسران قائم واما الميزان الاخروي فاما على راي المتكلمين وظاهر الشريعة فظاهر واما على راي محققي السالكين من الصوفية فما اشار اليه الامام الغزالي رضه كاف في بيانه فقال ان تعلق النفس بالجسد كالحجاب لها عن حقائق الامور وبالموت ينكشف الغطاء كما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ومما ينكشف له تاثير اعماله فيما يقربه الى الله تعالى ويبعده عنه ومقادير تلك الاثار وان بعضها اشد تاثيرا من بعض وفي قدرة الله تعالى ان يجري شيئا يعرف الخلق به في لحظة واحدة مقادير الاعمال بالاضافة الى تاثيرها في التقريب والابعاد فحد الميزان ما به يتميز الزيادة والنقصان وان اختلف مثاله في العالم المحسوس فمنه الميزان المعروف ومنه القبان والاصطرلاب لحركات الفلك والمسطرة لمقادير الخطوط والعروض لمقادير حركات الاصوات فهذه كلها امثلة للميزان الحقيقي وهو ما يعرف به الزيادة والنقصان وهو موجود فيها باسرها وصورته تكون للحس عند التشكيك وللخيال بالتمثيل وقوله وحاسبوه قبل ان تحاسبوا محاسبة النفس ضبط الانسان على نفسه اعمالها الخيرية والشرية لتزكيتها بما ينبغي لها وعقابها على فعل ما لا ينبغي وهي باب عظيم من ابواب المرابطة في سبيل الله فان للعارفين في سلوك سبيل الله ومرابطتهم مع انفسهم مقامات خمسة **الاولى** المشارطة ثم المراقبة ثم المحاسبة ثم المعاتبة المجاهدة والمعاقبة وضربوا لذلك مثالا فقالوا ينبغي ان يكون حال الانسان مع نفسه كحال التاجر مع شريكه اذا سلم اليه ما لا يتجر به فالعقل هو التاجر في طريق الاخرة ومطلبه وربحه تزكية النفس اذ بذلك فلاحها كما قال تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة فالعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة اذ يستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وكما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاتبه او يعاقبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس اولا فيوظف عليها الوظائف ويامرها بسلوك طريق الحق ويرشدها اليها ويحرم عليها سلوك غيرها كما يشرط التاجر على شريكه **الثانية** ان لا يغفل عن مراقبتها لحظة فلحظة عند خوضها في الاعمال ويلاحظها بالعين الكالئة والى مقام المراقبة الاشارة بقوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون وقوله صلى الله عليه وآله اعبد الله كانك تراه وقد سبق بيان حقيقة المراقبة ولا بد منها فان الانسان لو غفل عن نفسه واهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع راس المال كالعبد الخائن اذا انفرد بمال سيده **الثالثة** بعد الفراغ من العمل ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى فتدقيق الحساب في هذا اهم من التدقيق في ارباح الدنيا لحقارتها بالنسبة الى نعيم الاخرة فلا ينبغي ان يهمل من انفاسها في ذرة من حركاتها وسكناتها وخطراتها ولحظاتها فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشتري بها كنزا من كنوز الاخرة لا يتناهى قالوا وينبغي للانسان ان يخلو عقيب فريضة كل صبح مع نفسه بالوصية ويقول اي نفس ليس لي بضاعة الا العمر ومهما فني فقد فني راس مالي ووقع الياس من التجارة وطلب الربح وهذا يوم جديد قد امهلني الله فيه وهو صاحب البضاعة ورده ولو توفاني لقلت رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت فاحسبي انك رددت فاياك وتضييع هذا اليوم والغفلة فيه واعلمي ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه يفتح للعبد في كل يوم وليلة اربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له فيها خزانة فيراها مملوة نورا من حسنات عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار ما لو قسم على اهل النار لاغناهم عن الاحساس بالامها ويفتح له خزانة اخرى فيراها سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله تعالى فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة اخرى فارغة

والتفريط

بيان ميزان الحساب

محاسبة النفس

وصية الانسان للنفس في كل صباح

لعيننا

في بيان الخطبة الاشباح

الحرق ١٥

ليس فيها ما يسره وما يسوؤه وهي الساعة التي نام فيها او غفل في شيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من الغبن الفاحش ما يناله من قدر على ربح كثير ثم ضيعه والية الاشارة بقوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن وقال بعضهم هب ان المسيء قد عفي عنه اليس قد فاته ثواب المحسنين وهو اشارة الى الغبن والحسرة يومئذ ثم يستانف وصيته لاعضائه السبعة وهي العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل ويسلمها اليها فانها رعايا خادمة لها في التجارة وبها تتم اعمال هذه التجارة وان لجهنم سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما يتعين تلك الابواب لمن عصى الله تعالى بهذه الاعضاء ويوصي كل عضو بما ينبغي له وينهاه عما لا ينبغي له ويرجع في تفصيل تلك الاوامر والنواهي الى مراسم الشريعة ثم يشترط عليها ان خالفت ذلك عاقبها بالمنع من شهواتها وهذه الوصية قد تكون بعد العمل وقد تكون قبله للتحذير كما قال تعالى فاعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه **الرابعة** المجاهدة والمعاقبة وهو بعد المحاسبة اذا راى نفسه قد قارفت معصية فينبغي ان يعاقبها بالصبر عن امثالها ويضيق عليها في موردها وما يعود اليها من الامور المباحة وان راها توانت وكسلت عن شيء من الفضائل وورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الطاعات جبرا لما فات روي ان ابن عمر اخر صلوة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين **الخامسة** توبيخ النفس ومعاتبتها وقد علمت ان لك نفسا امارة بالسوء ميالة الى الشر وقد امرت بتقويمها وتسليسها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها ولذاتها المالوفة فان اهملتها شردت وجمحت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة واللائمة كانت نفسك هي النفس اللوامة وسبيل المعاتبة ان تذكر النفس عيوبها وما هي عليه من الجهل والحمق وما بين يديها من مقاصد الموت وما تؤول اليه من الجنة والنار وما عليه اتفاق كلمة اولياء الله الذين هم بمنزلتها سادات الخلق ورؤساء العالم من وجوب سلوك سبيل الله ومفارقة معاصيه وتذكيرها بايات الله واحوال الصالحين من عباده فهذه محاسبات النفس ومرابطاتها واما حسابها الاخروي فقد سبقت الاشارة اليه وقوله وتنفسوا من قبل ضيق الخناق استعار لفظ التنفس لتحصيل الراحة والبهجة في الجنة بالاعمال الصالحة في الدنيا المستلزمة لها كما يستلزم التنفس راحة القلب من الكرب واستعار لفظ الخناق من الحبل المخصوص للموت ووجه المشابهة ما يستلزمه ضيق الخناق والموت من عدم التمكن والتصرف والعمل اي انتهزوا الفرصة للعمل قبل تعذره بزوال وقته وضيقه وقوله وانقادوا وامثل عنف السياق اي انقادوا لاوامر الله الى طاعته مثل السوق العنيف وهو سوق ملك الموت بالجذبة المكربة كما سبق وقوله واعلموا انه من لم يعن على نفسه الى اخره اي من لم يعنه الله على نفسه واعانته له هو اعداد ان لم الالهية لنفسه الناطقة ان تقبل السوانح الخيرية وتاييدها بها على النفس الامارة بالسوء لتقوى بتلك السوانح على قهرها وعلى الانزجار عن متابعتها والانجذاب الى ما تدعوها اليه من الشهوات فانه متى لم يكن لها ذلك الاستعداد والقبول لم ينفعها وعظ ولم يقبله اذ لا قبول بدون استعداد للقبول وفي ذلك تنبيه على وجوب الاستعانة بالله في احوال النفس ودفع الشيطان عنها وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** تعرف بخطبة الاشباح وهي من جلائل خطبه وكان سائل سأله ان يصف الله تعالى حتى كانه يراه عيانا فغضب لذلك وقال الخطبة روى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام انه قال خطب امير المؤمنين عم هذه الخطبة على منبر الكوفة وذلك ان رجلا اتاه فقال له يا امير المؤمنين صف لنا ربنا لنزداد له حبا وبه معرفة فغضب ونادى الصلوة جامعة فاجتمع الناس حتى غص المسجد باهله فصعد المنبر وهو مغضب متغير اللون فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلعم ثم خطبها واعلم ان الخطبة فصولا **الفصل الاول** قوله الحمد لله الذي لا يفره المنع ولا يكديه الاعطاء والجود اذ كل معط منتقص سواه وكل مانع مذموم ما خلاه هو المنان بفوائد النعم وعوائد المزيد والقسم عياله الخلائق ضمن ارزاقهم وقدر اقواتهم ونهج سبيل الراغبين اليه والطالبين ما لديه وليس بما سئل باجود منه بما لم يسئل الاول الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله والاخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده والرادع اناسي الابصار عن ان تناله او تدركه ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال وضحكت عنه اصداف البحار من فلز اللجين والعقيان ونثارة الدر وحصيد المرجان ما اثر ذلك في جوده ولا انفد سعة ما عنده ولكان عنده من ذخائر الانعام ما لا تنفده مطالب الانام لانه الجواد الذي لا يغيضه سؤال السائلين ولا يبخله الحاح الملحين **اقول** الاشباح الاشخاص ويفره يزيد ماله وفورا ويثمه ويكديه ينقص خيره وتنفست عنه انفرجت والفلز ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض والعقيان الذهب الخالص والمرجان صغار اللؤلؤ والحاح في سؤاله اذا دام عليه وقد شرع في وصف الله سبحانه باعتبارات له الى تاره **الاول** انه لا يزيد بما حرمه ومنعه من فضله **الثاني** ولا ينقصه عطاؤه وجوده ثم رد حكم الوهم عليه سبحانه بدخوله في عموم المنتقصين بالاعطاء بقوله اذ كل معط منتقص سواه وكذا نزهه عن الدخول في زمرة المذمومين بمنعهم ما في ايديهم عن طالبه بقوله وكل مانع مذموم ما خلاه فكانت هاتان القضيتان مؤكدتين للاوليين وبرهانهما ان التزيد بالمنع والتنقص بالاعطاء انما يطلق في حق من ينتفع ويتضرر بالزيادة والنقصان والانتفاع والتضرر على الله محال فالتزيد والتنقص عليه محال وكذا نهما بقضيتا عليه بالحاجة والامكان ولان

ان/

تقويمها

عزمها

والمؤمن

الخلق

فيكانا

١

مقدوراته غير متناهية وتنبيه بقوله اذ على جهة الفرق بينه وبين خلقه انما ينقص المعطي من خلقه لحاجته الى ما يعطيه وانتفاعه به وانما
يستحق المانع منهم الذم دونه سبحانه لكون ما يصدر عنه من منع واعطاء مضبوطا بنظام الحكمة والعدل دون غيره من المانعين فان
غالب منعهم يكون عن شح وهوى متبع واعلم ان صدق الكلية في المنقصين بالعطاء ظاهر واما في الممنوعين بالمنع فتحقيقها ان كل
مانع للمال فهو انما يمنعه خوف الفقر وتخوفه وظاهر ان الخائف من الفقر في الدنيا محب لها وهو بمعزل عن عباد الله المتوكلين عليه الزاهدين
في متاع الدنيا وقنياتها واذا كان العبد مأمورا بان يكون من هؤلاء وفي زمرتهم فبالحري ان يكون مستحقا للذم على ما يمنعه من
ماله فيكون حجابا له لوجهه عن النظر الى وجه الله الكريم فصدقت الكلية اذن ظاهر وفي ادعية زين العابدين يا من لا يزيده كثرة العطاء
الا كرما وجودا وفيه سر لطيف فانه لما كان جوده سبحانه غير متوقف الا على وجود الاستحقاق وكانت كل نعمة صدرت عنه معدة لمحلها
ومهيئة له لقبول نعمة اخرى كانت كثرة عطائه مستلزمة لكثرة الاعداد المستلزمة لزيادة الجود الثالث انه المنان بفوائد النعم والمنة
تذكير النعم للمنعم عليه بنعمته والتطاول عليه بها كقوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم في غير موضع من كتابه وهي صفة
مدح للحق سبحانه وان كانت صفة ذم للخلق والسبب الفارق كون كل منعم سواه فيحتمل ان يتوقع لنعمته جزاء ويستفيد كمالا يعود اليه
مما افاده واليه توقع الذكر ويفرح ممن دنيا بل بنعمته ويتوقع لها جزاء ان يمن بها لما يستلزمه المن من التطاول والكبر وتوقع الجزاء والحاجة
اليه مع التطاول والكبر مما لا يجتمعان في العرف اذ التطاول والكبر انما يليقان بالغني عن ثمرة ما يتطاول به ولان التطاول مما يتأذى
به المنعم عليه فيبطل بذلك استعداد نفس المنعم لقبول نعمة الله وجزائه ولذلك ورد النهي عن المنة في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى فجعلهما سببا لبطلان الصدقة اي عدم استحقاق ثوابها وفوائد النعم ما افادها وعوائد المزيد والقسم بعضها
الرابع كون الخلائق عياله ضمن ارزاقهم وقدر اقواتهم واستعار لفظ العيال للخلق بالنسبة الى ربهم ووجه المشابهة ان عيال الرجل هو
من جمعهم وكفيلهم ويصلح حالهم كذلك الخلق مما خلقهم وجمعهم تحت عنايته ليصلح احوالهم في معاشهم ومعادهم وكذلك استعار لفظ الضمان
في الحكمة الالهية من وجود ما لابد منه في تدبير اصلاح حالهم من الاقوات والارزاق ونفذ بها اقواتهم اعطاء كل ما كتب له في اللوح المحفوظ
من زائد وناقص الخامس كونه نهج سبيل الراغبين اليه والطالبين ما لديه وذكر اولا ما يصلح حالهم في الدنيا وهو ضمان الارزاق
ونفذ به الاقوات ثم اردفه بما هو سبب صلاح حالهم في الآخرة من نهج السبيل وايضاحه واشار به الى ايضاح الشريعة لطريق السالكين الراغبين
في النظر الى وجهه الكريم والطالبين لما عنده من النعيم المقيم السادس كونه ليس بما سئل باجود منه بما لم يسأل ويستلزم بيان هذا
الوصف اشارة لطيفة وهو ان فيضان ما صدر عنه سبحانه له اعتباران احدهما بالنظر الى جوده وهو من تلك الجهة غير مختلف في جميع
الموجودات بل نسبتها اليه على سواء بذلك الاعتبار فلا يقال هو بكذا اجود منه والا لاستلزم ذلك ان يكون بعض الاشياء ابخل واليها
احوج فيلزمه النقصان تعالى الله عن ذلك الثاني بالنظر الى الممكن نفسه والاختلاف الواقع في القرب والبعد الى جوده انما هو من تلك
الجهة فكل ممكن كان اتم استعدادا واقبل للوجود واقل شرطا ومعاندا كان اقرب الى جوده اذا عرفت ذلك فاعلم ان السائل وان حصل
له ما سأل من الله تعالى دون ما لم يسأل فليس منعه ما لم يسأله لعزته عند الله وليس بينه وبين ما سأل بالنسبة الى جود الله تعالى فرق وتفاوت
بل انما خص بما سأل لوجوب وجوده له عند تمام قبوله له بسؤاله دون ما لم يسأله ولو سأل ما لم يسأله واستحق وجوده لما كان في الجود
الالهي بخل به ولا منع في حقه وان عظم خطره وجل قدره ولم يكن له اثر نقصان في خزائن ملكه وعموم جوده والى هذا اشار علي بن موسى الرضا وقد
سئل عن الجواد فقال لسؤالك وجهان ان اردت المخلوق فالذي يؤدي ما افترض الله عليه والبخيل الذي يمنع ما افترض الله عليه وان اردت الخالق
فهو الجواد ان اعطى وان منع لانه ان اعطى اعطى من له وان منع منع من ليس له فقوله له وليس له اشارة الى ان الجود الالهي انما يهب ويتوقف
في هبته على وجود المستحق وقد نزهه بهذا الوصف عن صفة الخلق اذ كان من شأنهم ان يكونوا بما سئلوا اجود منهم بما لم يسألوا لكونه
اسهل عليهم ومن شأن السائل ان لا يسألهم ما هو اعز عندهم ولذلك كانوا بما سئلوا اجود السابع الاول الذي لم يكن له قبل فيكون
شيء قبله الثامن والآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده وقد اشرنا الى هذين الوصفين فيما سلف ونزيدهما بيانا فنقول الاولية
والآخرية اعتباران اضافيان تحدثهما العقول لذاته المقدسة وذلك انا اذا لاحظنا ترتيب الوجود في سلسلة الحاجة اليه سبحانه وجدناه
تعالى بالاضافة اليها اول اذ كان انتهاؤها في سلسلة الحاجة الى غناه المطلق فهو اول بالعلية والذات والشرف واذ ليس بذي مكان
فالتقدم بالمكان منفي عنه والزمان متأخر عنه اذ هو من لواحق الحركة المتأخرة عن الجسم المتأخر عن علته فلم يلحقه القبلية الزمانية فضلا
ان تسبق عليه فلم يكن شيء قبله مطلقا لا من الزمانيات ولا من غيرها واذا اعتبرنا بالنظر الى ترتيب السلوك ولاحظنا مراتب السالكين ومن
في منازل عرفانه وجدناه آخرا اذ هو آخر ما ترتقي اليه درجات العارفين ومعرفته هي الدرجة القصوى والمنزل الآخر ولان كل موجود
سواه فهو ممكن العدم فله من ذاته ان لا يستحق وجودا فضلا ان يستحق الآخرية والبعدية المطلقة وهو تعالى الواجب لذاته فهو المستحق
لمعنى الوجود والآخرية لذاته وبالقياس الى كل موجود فاذن هو الاول المطلق الذي لا شيء قبله والآخر المطلق الذي لا شيء بعده التاسع

العاشر

١٥ ج

العاشر انه تعالى الابصار عن ان تناله او تدركه وقد سبق ان القوة الباصرة انما تتعلق بذي وضع وجهة والباري تعالى منزه عنهما فيستحيل
ان يدرك بحاسة البصر ودعواها قهرها بتلك النقصان عن قبول ادراكه الحادي عشر كونه لم يختلف عليه دهر فيختلف عليه الحال لما كان
الزمان مبدأ للتغيرات واختلاف الاحوال وكانت ذاته سبحانه منزهة عن لحوق الزمان كانت منزهة عن تغير الاحوال الجارية على الزمانيات
واختلافها الحادي عشر ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال لما كان من شأن ذي المكان جواز ان ينتقل عن مكانه وكان سبحانه
منزها عن المكان واله لزمه النقصان اللازم للامكان لا جرم لم يجز عليه الانتقال الثاني عشر كونه لو وهب ما تنفست عنه معادن
الجبال وضحكت عنه اصداف البحار من فلز اللجين والعقيان الى قوله مطالب الانام انما عدد هذه الاشياء في معرض المدح له تعالى لكونها
اعظم ما يقتدر عليه الانسان ويهتم به واجل ما يتنافس فيه ابناء الدنيا فنبه بها على كمال قدرته وعدم تناهي مقدوراته وانه
انما يتأثر بجوده مثل ذلك جوع المحتاجين الذين يتعاقب عليهم الانتفاع والتضرر واستعار لفظ الضحك للاصداف ووجه الشبه
انفتاح الصدفتين واستنارتهما عن اللؤلؤ المشبه في بدوه باسنان الانسان حال الضحك وعن لحمة تشبه اللسان في رقة طرفه ولطافته
ومن صادف الصدفة عند فتحها وجدها كانسان يضحك وكذلك استعار لفظ الحصيد لصغار اللؤلؤ ملاحظة لشبهه بما يحصد من
الحنطة وغيرها واعلم ان الصدف وان كان حيوانا ذا حس وحركة الا ان له شبها بالنبات ولحوقا به من جهة انه ذو عرق في الارض يغتذي
به وقد اجمل ما يخرج من معادن البر والبحر لهيمنه الشاسعين بينهما وقوله لان الجواد الذي لا يغيضه سؤال السائلين ولا يبخله الحاح الملحين
انما كان هذا علة لعدم تأثر جوده بهبة ما يعظم قدره ونقصان خزائنه باخراجه منها لان الجواد الذي شأنه ما ذكر انما كان كذلك لكونه
ليس من شأنه ان يلحقه النفع والضرر والنقص بل نعمه غير متناهية واستعار لفظ الغيض لنعمه ملاحظة لشبهها بالماء الذي له مادة تامة
لا ينقص بالنزح ومن روى يغضبه فلان الغضب من لواحق المزاج والباري تعالى منزه عنه فينزه عن لواحقه وكذلك البخل رذيلة مكتسبة
من البدن والمزاج نبه عليها ايضا الحاجة والنقصان من لا يزيد ولا ينقص فلا يؤثر في ملكه ان يهب الدنيا لمن سألها الفصل الثاني
قوله فانظر ايها السائل فما دلك القرآن عليه من صفته فائتم به واستضئ بنور هدايته وما كلفك الشيطان علمه مما ليس
في الكتاب عليك فرضه ولا في سنة النبي صلى الله عليه وآله وائمة الهدى اثره فكل علمه الى الله سبحانه فان ذلك منتهى حق
الله عليك واعلم ان الراسخين في العلم هم الذين اغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره
من الغيب المحجوب فمدح الله تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه
رسوخا فاقتصر على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين هو القادر الذي اذا ارتمت الاوهام
لتدرك منقطع قدرته وحاول الفكر المبرأ من خطرات الوساوس ان يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته وتولهت القلوب اليه لتجري
في كيفية صفاته وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته ردعها وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب
متخلصة اليه سبحانه فرجعت اذ جبهت معترفة بانه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته ولا تخطر ببال اولي الرويات خاطرة من
تقدير جلال عزته الذي ابتدع الخلق على غير مثال امتثله ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله وارانا من ملكوت قدرته
وعجائب ما نطقت به آثار حكمته واعتراف الحاجة من الخلق الى ان يقيمها بمساك قوته ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته وظهر
في البدائع التي احدثها آثار صنعته واعلام حكمته فصار كل ما خلق حجة له ودليلا عليه وان كان خلقا صامتا فحجته بالتدبير
ناطقة ودلالته على المبدع قائمة فاشهد ان من شبهك بتباين اعضاء خلقك وتلاحم حقاق مفاصلهم المحتجبة لتدبير حكمتك
لم يعقد غيب ضميره على معرفتك ولم يباشر قلبه اليقين بانه لا ند لك وكانه لم يسمع تبرؤ التابعين من المتبوعين اذ يقولون تالله
ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين كذب العادلون بك اذ شبهوك باصنامهم ونحلوك حلية المخلوقين باوهامهم
وجزؤوك تجزئة المجسمات بخواطرهم وقدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم فاشهد ان من ساواك بشيء من خلقك
فقد عدل بك والعادل بك كافر بما تنزلت به محكمات آياتك ونطقت به شواهد حجج بيناتك وانك انت الله الذي لم تتناه
في العقول فتكون في مهب فكرها مكيفا ولا في رويات خواطرها محدودا مصرفا اقول الاقتحام الدخول في الامر بشدة
والسدد جمع سدة وهي الابواب والحجب والسدف جمع سدفة وهي الظلمة والجبه الرد واحتذى عليه اي سلك
مسلكه والحقاق جمع حق وهو اطراف عظام المفاصل والعادل الجاعل لله عديلا والقريحة قوة الفكر وقصده بهذا الفصل تأديب الخلق
في وصفهم لله سبحانه وتعليمهم كيفية السلوك في مدحه والثناء عليه بما هو اهله وان كان الخطاب للسائل اذ هو السبب في هذه الخطبة
وذلك على طريقة قولهم اياك اعني واسمعي يا جارة فارشده في ذلك الى كتاب الله وامره ان يجعله اماما يقتدي به ويستضيء بانواره
في سلوك سبيل الله وكيفية وصفه فان اولى ما وصف به تعالى هو ما وصف به نفسه وامره بان يكل علم ما لم يجده مفروضا عليه علمه
في كتاب الله او في سنة رسوله وآثار ائمة الهدى القائمين مقامه في ايضاح الدين وحفظه الى علم الله تعالى وهو المراد بالتفويض وذلك

تنبيه

ان ائمة الهدى اعلم بوجوه تنبيه ثم الى خلقه وبما يناسب تلك الاعتبارات من الالفاظ وبعيدها فيطلق عليه وينفر عن طلب تلك والبحث عنه باشارته الى ان تكليف الشيطان وطلب واحدة والشريعة التي تمنع عن تجاوزها انما هو بسبب وسوسة الشيطان وحرص الطبع على ما يمنع منه ثم اعلم ان ذلك هو منتهى حق الله عليه ومطلوبه منه ولما كان مطلوب الشارع حين وضع الشريعة ونفرته وقواعدها هو جمع قلوب العالم على قانون واحد واتخاذهم فيه بحيث لا يفترقوا في اعتقاد امرها لئلا يكون ذلك الافتراق سببا لضعف الدين وعدم صفائهم على تشييده كما سبق بيانه لاجرم وجب في الحكمة ان يحرج عليهم الخوض فيما وراء ذلك لئلا يتشتت قواعد الدين في قلوبهم وترسخ ولا يخرج بهم البحث عن ماوراءها الى اطراحها وعناد اعتقاد كثير من الخلق لها ولغيرها مما وراءها اذ لم يكن فيهم من يستعد لقبول ما وراء تلك الظواهر الا الفرد النادر وان كنا نعلم انه كان اذا علم من احد استعدادا لقبول شيء من اسرار الشريعة دون بيان بجملة القاه اليه كعلي عليه السلام دون ابي هريرة وامثاله ثم وصف له بعد ذلك الراسخين في العلم الممدوحين في القران الكريم بقوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك الآية وقوله والراسخون في العلم يقولون امنا وفسر معنى الرسوخ فقال هم الذين اغناهم الله عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا فلما اشار الى السدد المضروبة وحجب الغيوب فلنشر الى ما كشف عنه بعض علماء الصوفية منها واشار اليه الخبر عن سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره ولما ثبت ان الله تعالى متجل لذاته بذاته فالحجاب لابد وان يكون بالنسبة الى المحجوبين فاقسام المحجوبين ثلثة ومنهم من حجب بمجرد ظلمة ومنهم من حجب بمجرد نور ومنهم من حجب بنور مقرون بظلمة وتحت كل قسم من هؤلاء اقسام كثيرة لا تحصى فيكفينا الاشارة الى اصولها فنقول **القسم الاول** المحجوبون بمجرد الظلمة وهؤلاء هم الملحدة الذين لا يؤمنون بالله وهم صنفان صنف منهم طلبوا للعالم سببا فاحالوه على الطبع وقد علمت ان الطبع صفة جسمانية مظلمة خالية عن المعرفة والادراك وصنف منهم لم يتفرغوا لذلك ولم ينتبهوا للطلب للسبب بل تشاغلوا بانفسهم وعاشوا عيش البهائم فكانوا محجوبين بكدورات نفوسهم وشهواتهم المظلمة ولا ظلمة اشد من الهوى ولذلك قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وقال النبي صلى الله عليه وآله الهوى ابغض اله عبد على وجه الارض وتحت هؤلاء فرق كثيرة لا حاجة الى ذكرها **القسم الثاني** المحجوبون بنور مقرون بظلمة وهم ثلثة اصناف فصنف منهم منشاؤها الحس وصنف منهم منشاؤها الخيال وصنف منشاؤها مقايسات عقلية فاسدة فالاولون ايضا طوائف **الاولى** عبدة الاوثان فانهم علموا على الجملة ان لهم ربا واوجبوا ايثاره على انفسهم واعتقدوا انه اعز وانفس من كل شيء ولكنهم حجبوا بظلمة الحس عن ان يتجاوزوا العالم المحسوس في اثبات ربهم فاتخذوا من انفس الجواهر كالفضة والذهب والياقوت اشخاصا مصورة باحسن صورة وجعلوها الهة فهؤلاء محجوبون بنور العز والجلال من صفات الله لكنهم وضعوها في الاجسام المحسوسة وصارت حجبهم انوارا مكدرة بظلمة الحس اذ الحس ظلمة بالاضافة الى عالم المعقولات **الثانية** طائفة ترقوا عن رتبة الاحجار وكانوا ادخل من عبدة الاوثان في ملاحظة الانوار كما يحكى عن قوم من اقاصي الترك ليس لهم ملة ولكن يعتقدون ان لهم ربا هو اجمل الاشياء فاذا راوا انسانا في غاية الجمال وفرسا او شجرا عبدوه وقالوا هو ربنا فهؤلاء محجوبون بنور الجمال مع ظلمة الحس ايضا **الرابعة** طائفة ترقوا عن هؤلاء وقالوا ينبغي ان يكون الرب نورانيا في صورته ذا سلطنة في نفسه مهيبا لا يطاق القرب منه ولم يترقوا عن درجة المحسوس فعبدوا النار اذ وجدوها بهذه الصفات فهؤلاء محجوبون بنور السلطنة والبهاء وكل ذلك من انوار الله مع ظلمات حسهم **الخامسة** طائفة ترقوا عن ذلك فراوا ان النار يطفى وتقهر فلا تصلح للالهية بل ما يكون بهذه الصفات ولكن تكون تحت تصرفه ويكون مع ذلك موصوفا بالعلو وكان المشهور بينهم علم النجوم واضافة التاثيرات اليها فعبدوا النجوم فمنهم عبدة المشتري ومنهم عبدة الشعرى وغيرهم فهؤلاء محجوبون مع ظلمة الحس بنور الاستعلاء والاشراق وهي من انوار الله تعالى **السادسة** طائفة ترقوا عن هؤلاء فقالوا وان وجب ان يكون الرب بالصفات المذكورة الا انه ينبغي ان يكون اكبر الكواكب فعبدوا الشمس فهؤلاء محجوبون مع ظلمة الحس بنور الكبرياء والعظمة مع بقية الانوار **السابعة** طائفة ترقوا عن ذلك فقالوا ان الشمس لا تنفرد بالنور بل لغيرها انوار والاله لا يجوز ان يكون له شريك في نورانيته فعبدوا النور المطلق على كل نور وزعموا انه اله العالم والخيرات كلها منسوبة اليه ثم راوا في العالم شرورا فلم يستحسنوا اضافتها الى ربهم تنزيها له فجعلوا بينه وبين الظلمة منازعة واحالوا العالم الى النور والظلمة وهؤلاء الثنوية **الصنف الثاني** المحجوبون ببعض الانوار مقرونة بظلمة الخيال وهم الذين جاوزوا الحس واثبتوا وراء المحسوس امرا لكنهم لم يهتدوا الى مجاوزة الخيال فعبدوا موجودا قاعدا على العرش واخصهم رتبة المجسمة ثم اصناف الكرامية واصل درجة من نفي الجسمية وجميع عوارضها الا الجهة فخصصوه بجهة فوق وهؤلاء لم يثبتوا موجودا غير محسوس ولا متخيل حتى نزهوه عن الجهة **الصنف الثالث** المحجوبون بانوار الهية مقرونة بمقايسات عقلية فاسدة مظلمة فعبدوا الها سميعا بصيرا متكلما عالما قادرا منزها عن الجهات لكن فهموا هذه الصفات على حسب مناسبة صفاتهم وربما صرح بعضهم فقال كلامه صوت مثل كلامنا مناسبا لهم

وربما زاد بعضهم فقال لا بل هو كحديث انفسنا لا صوت ولا حرف ولذلك اذا حقق القول عليهم رجعوا الى التشبيه في المعنى وان انكروه لفظا اذ لم يدركوا كيفية اطلاق هذه الالفاظ في حق الله فهؤلاء محجوبون بجملة من الانوار مع ظلمات المقايسات العقلية **القسم الثالث** المحجوبون بمحض الانوار وهم اصناف لا تحصى لكن نذكر منهم ثلثة اصناف **الاول** الذين عرفوا معاني هذه الصفات وعرفوا ان اطلاق اسمائها على الله تعالى وبين اطلاقها على البشر فتحاشوا من تعريفه بهذه الصفات وعرفوه بالاضافة الى المخلوقات فقالوا ربنا رب السموات والارض الذي تعالى عن ان ندعو من دونه الها وهو الرب المنزه عن هذا المفهوم الظاهر وهو محرك السموات ومدبرها **الصنف الثاني** الذين عرفوا ان في السموات ملائكة كثيرة وان محرك كل سماء منها موجود اخر يسمى ملكا وان هذه السموات في ضمن فلك يتحرك الجميع بحركته في اليوم والليلة مرة واحدة والرب تعالى هو المحرك للفلك الاقصى منها المشتمل عليها **الصنف الثالث** الذين ترقوا عن هؤلاء وقالوا ان تحريك الاجسام الفلكية من الملائكة يكون خدمة لرب العالمين وعبادة له ويكون الرب تعالى هو المحرك للكل بطريق الامر فهؤلاء كلهم محجوبون بانوار محضة ووقفت بهم عما وراءها ووراء هؤلاء صنف رابع تجلى لهم ان هذا المطاع موصوف بصفة الوحدة المطلقة والكمال البالغ وكشف عنهم حجب المقايسات والاعتبارات الى الغير وهم الواصلون فمنهم من احرق ذلك التجلي في تلك الانوار جميع ما ادركه بصره بالكلية وبقي ملاحظا لنور الحق فيها فامحقت فيه المبصرات دون المبصر ومنهم من تجاوز هؤلاء وهم خواص الخواص فاحرقتهم سبحات وجهه وغشيهم سلطان الجلال فامحقوا وتلاشوا في انفسهم فلم يبق لهم التفات الى انفسهم وملاحظة لفنائهم عن انفسهم ولم يبق الا الواحد الحق وهؤلاء هم الواصلون كما سبقت الاشارة اليه ومنتهى الكل الى حجاب الامكان الذي يهلك فيه كل موجود ولا يبقى الا وجه الله ذي الجلال والاكرام اذا عرفت ذلك فنقول السدد المضروبة وحجب الغيب التي اشار اليها هي درجات الانتقالات في مفهومات صفات الله تعالى ومراتب عرفانه ومعرفته ملكته ومراتبهم وكمالاتهم ومشاهدتهم الانوار التي يحجب بها اهل القسم الثالث والراسخون الذين اشار اليهم في كلامه والواقفون في المرتبة الاولى وهم الذين اقتصروا في صفات الله تعالى وملائكته وعالم غيبه على ما وقفهم الشريعة عليه على سبيل الجملة كما وصل الى افهامهم الرسول وعقلوا في وصفه تعالى بصفات الكمال ونعوت الجلال انه ليس على حد وصف البشر بها ورسخ في اذهانهم ما تصوروه اجمالا لو فصل لكان مطابقا ومن اعدته العناية الالهية لقبول التفصيل وصل اليه بقي هيهنا بحث لطيف وهو انه لما كان التكليف في نفس الامر انما هو على قدر العقول وتفاوت مراتبها ولذلك قال صلى الله عليه وآله بعثت لاكلم الناس على قدر عقولهم كان كل عقل قوي على رفع حجاب من حجب الغيب وقصر عما وراءه واعترف به وبالعجز عنه فذلك تكليفه وهو من الراسخين فعلى هذا الرسوخ ليس مرتبة واحدة هي تقليد ظواهر الشريعة واعتقاد حقيتها فقط بل تقليدها مرتبة اولى من مراتب الرسوخ وما وراءها مراتب غير متناهية بحسب مراتب السلوك وتفاوت السالكين على رفع حجب الانوار التي اشرنا اليها وكلامه لا ينافي ما قلناه بل يصدق اذا نزل عليه فان قوله سمى ترك التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا صادق ايضا على من قطع جملة من منازل السلوك وعجز عما وراءها فوقف ذهنه عن التعمق فيه والبحث اذ لا يكلف بما لا يفي به قوته وقوله فاقتصر على ذلك اي على ما نطق به الكتاب العزيز ودلت عليه السنة النبوية وارشد اليه ائمة الهدى وقوله ولا تقدر عظمة الله تعالى على قدر عقلك فتكون من الهالكين فالمقدر لعظمة الله بقدر عقله هو المعتقد ان عقله قدره واحاط به علما وهو تصغير لعظمة الله بحسب عقله الضعيف وعظمة الله تعالى اعظم واجل من ان يضبطها عقل بشري وانما منشأ ذلك الحكم لمن حصل له هو الوهم الحاكم على عقلية الله تعالى لما ادركه من الاجسام والجسمانيات وذلك في الحقيقة كفر لاعتقاد غير الصانع صانعا وضلال عن طريق معرفة الله وهو مستلزم للهلاك في تيه الجهل واعلم ان في احالته الطالب للمعرفة على الكتاب والسنة وبيان الائمة دلالة على ان مقصوده ليس ان يقتصر على ظاهر الشريعة فقط بل يتبع انوار القران والسنة وآثار ائمة الهدى فقد ورد في القران الكريم والسنة وكلام الائمة من الاشارات والتنبيهات على منازل السلوك ووجوب الانتقال في درجاتها ما لا يحصى كثرة وينبه على كل مقام اهله واخفوه من غير اهله اذ كانوا اطباء النفوس كما ان الطبيب يرى ان بعض الادوية لبعض المرضى ترياق وشفاء وذلك الدواء لشخص اخر سم وهلاك كذلك كتاب الله والوضوح لمقاصده من الانبياء والاولياء يرون ان بعض الاسرار الالهية شفاء لبعض الصدور فيلقونها اليهم وربما كانت تلك الاسرار باعيانها لغير اهلها سببا لضلالهم وكفرهم اذا القيت اليهم فاذن مقصوده قصر كل عقل على ما هو الاولى به وما يحتمله والجمع العظيم المخاطبون هم اصحاب الظاهر الذين يجب قصرهم عليه والله اعلم وقوله هو القادر الذي اذا ارتمت الاوهام الى اخره اشارة الى اعتبارات اخر جليلة في وصفه تعالى نبه فيها على ان غاية استقصاء العقول وتعمقها وخوض فطنها طالبة لتفصيل صفات كماله ونعوت جلاله ان تقف خاسئة وترجع حسيرة معترفة بالعجز والقصور فقوله اذا ارتمت الى قوله ردعها شرطية متصلة في قوة شرطيات صغرى هذه المقدمات وتاليها واحد فالمقدمة الاولى قوله اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع قدرته وارتمت اسبابها الجيدة في المطالعة والتفتيش ومنقطع قدرته منتهاها والمقدمة الثانية قوله وحاول الفكر المبرأ عن خطرات وساوس الشيطان وشوائب الوهم ان يقع عليه فكيف ذاته وحيثيتها بكل ما ينبغي لها من الكمالات في عميقات غيوب ملكوته اي في اسرار عالم الغيب العميقة المقدمة الثالثة قوله وتولهت القلوب اي اشتد شوقها اليه لتجري في كيفية صفاته المقدمة الرابعة قوله وغمضت مداخل العقول اي دقت مواقع دخولها حيث لا تبلغه

الصفات اي نهت العقول الى حد انها الا تعتبر مع انها ملاحظة ذات الحق صفة له بل يجدون كل خاطر وكل عينا من صفة وعيرها من ملاحظة وقد سبه
لينال علم ذاته بالكنه وقوله ردعهما هو ناالى هذه الشرطيات وردعها هو ردها خاسئة حسيرة وتسبب ذلك في كل من هذه المدركات هو خلقها
قاصرة عن ادراك ما تطلبه من هذه المطالب العظيمة فالاوهام لقصورها عن ادراك ما ليس بمحسوس ولا متعلقا بالمحسوس وردع الفكران
بفع عليه والقلوب لن تجري في كيفية صفاته فتحدتها وبحصرها لخلقها قاصرة عن الاحاطة بما لا نهاية له اذ كانت صفات الكمال ونعوت
الجلال كذلك وردع العقول ان يحيط بكنه ذاته لخلقها قاصرة عن ادراك كنه ما ليس بذي حد وتركيب فكان مستند ذلك الردع هو تقدير
فلذلك قدم على الشرطية اعتبار كونه قادرا فقال هو القادر الذي من شانه كذا وقوله وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب متخلصة اليه
سبحانه الجملة في موضع الحال والعامل ردعها واستعار لفظ السدف لظلمات الجهل بكل معنى غيبي من صفات جلاله وطبقات حجبها
اي ردعها عن تلك المطالب حال ما هي قاطعة لمهاوي تلك الظلمات ووجه الاستعارة ما يشتركان فيه من عدم الاهتداء ومتخلصة حال
ايضا والعامل ما تجوب او ردعها وتخلصها اليه توجهها بكليتها في طلب ادراكه وقوله فرجعت اذ جبهت الى قوله عزته معرفة حال والعامل
ردعها وجور الاعتساف شدة جولانها في تلك المنازل وظاهر ان جور الاعتساف غير نافع في تحصيل ما لا يمكن واولوا الروايات اصحاب الفكر
اي رجعت معترفة بامرين احدهما انه لا ينال كنه معرفته والثاني ان الفكر لا يفيد جلال عزته اي لا يحيط بكماله خبرا وظاهر ان صدق
هذه الاحكام للنفس موقوف على ادمانها افكارها في طلب هذه المعارف وعجزها عنها وقوله الذي ابتدع الخلق على غير مثال الى قوله فعلم
ان الصنائع البشرية انما تحصل بعد ان يرتسم في الخيال صورة المصنوع بل وكل فعل لا يصدر الا عن تصور وصفة وكيفية ولا ولك
التصورات تارة تحصل عن امثلة للمصنوع ومقادير له خارجية يشاهدها الصانع ويحذو حذوها وتارة تحصل بمحض الالهام والاختراع
كما يفاض على اذهان كثير من الاذكياء صورة شكل لم يسبق الى تصوره فيتصوره ويبرز تصويره الى الخارج وكيفية صنع الله للعالم وجزئياته
منزهة عن الوقوع على احد هذين الوجهين اما الاول فلانا بينا انه لا مثل له فلا مثل لمصنوعاته فلا امتثال امثلة اي عمل مثله ولا قصد
احتذي حذوه واما الثاني وان سمي الفاعل على وفقه مخترعا لكن التحقيق يشهد بانه انما فعل على وفق ما حصل في ذهنه من الشكل
والهيئة وهما مستفادان من الصانع الاول جلت عظمته فكان في الحقيقة فاعلا على غير مثال سابق يحتذيه بامداد غيره وعلم الاول تعالى
على النحو المذكور من حصول صورة مساوية للمعلوم في ذاته كما حققته من قبل فاذن فعله بمحض الابداع الاختراع على بعد ما يكون عن لبس
حد ومثال وقوله واراناه من ملكوت قدرته الى قوله معرفته ملكوت قدرته ملكها وانما نسبه الى القدرة لان اعتبارها مبدا الوجود كله
فهي مبداه الملكية واثار حكمته ما صدر عنها من الافعال والاحكام وانقياد كل ناقص الى كماله واستعار لفظ النطق للسان حال تارة نعم
المفصحة على كمال الحكمة المعجبة بتمام النظام وحسن الترتيب ووجه المشابهة ما اشرنا من النطق وحال مصنوعاته من ذلك الافصاح والبيان
واعتراف عطف على عجائب والتي متعلق بالحاجة وما في قوله ما دلنا هي المفعول الثاني لارانا اي وارانا من اعتراف الخلق بحاجتهم الى
ان يقيمهم في الوجود بمساك قدرته التي بها امسك السموات والارض ان تزولا وما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته وقوله على معرفته متعلق
بدلنا اي ما دلنا على معرفته فلزمت قيام الحجة له بالضرورة وقوله وظهرت في البدائع الى قوله قائمة استعار لفظ الاعلام لما يدل على حكمة
الصانع في فعله من الاتقان والاحكام واعلم ان كل ما ظهرت فيه اثار حكمة الله فهو ناطق بربوبيته وكمال الوهيته فبعض ناطق بلسان حاله
ومقاله كالانسان وبعض بلسان حاله فقط اذ لا عقل له ولا لسان كالجماد والنبات والضمير المضاف اليه في قوله الحجة يحتمل عوده الى الله
ويحتمل ان يعود الى الخلق الصامت وقد علمت ان النسا لكين في سماع هذا النطق من اثار الله ومشاهدته في مصنوعاته على درجات ومنا
منقاوتة كما اشرنا اليه غير مرة وقوله واشهد ان من شبهك الى قوله برب العالمين التفات الى خطاب الله تعالى على طريق قوله مالك يوم
الدين اياك نعبد والمشبه به في الحقيقة هو الخلق وانما جعل المشبه به هو تباين اعضائهم وتلاحم حقاق مفاصلهم لانه في معرض ذم
المشبه والمشبه على وجوه اغلاطهم وتباين الاعضاء وتلاحمها من لوازم المشبه به وهما مستلزمان للتركيب واجتماع المفردات المستلزم
لظهور الحاجة الى المركب الجامع ويمتنع على محل يظهر حاجته ان يتشبه به الصانع المطلق البرئ عن الحاجة بوجه ما فقد منهما الجزاء بهما مجرى
الاوسط في لزوم التركيب للمشبه به فيظهر تنزيه الله عن التشبيه به وان كان التقدير من شبهك بخلقك في اعضائهم المتباينة المتلاحمة
والذي يقال من وجه الحكمة في احتجاب المفاصل هو انها لو خلقت ظاهرة عريه عن الاغشية لتيبست رباطاتها وقست فيتعذر تصرف الحيوانات
بها كما هو الان وانها كانت معرضة للافات المفسدة لها وغير ذلك من خفي تدبيره ولطيف حكمته وقد شهد على المشبه لله بخلقه
بامرين احدهما انه لم يعرفه والثاني انه لم يباشر قلبه اليقين بانه لا ند له عن المثل والقران والبرهان مصدق فان الشهادة في الموضعين اما القران فانه
عليه بقوله وكانه لم يسمع تبرؤ التابعين المتبوعين اذ يقولون الاية ووجه الاستدلال على المطلوب ان القول ان المشبهة وعبدة الاصنام
يكشف لهم في الاخرة انهم كانوا ضالين في تشبيه اصنامهم برب العالمين فيترتب دليل هكذا المشبهة ضالون من جهة تشبيههم الله
بخلقه وكل من كان كذلك فليس بعارف له واما البرهان فلان الله سبحانه لما انفرد عن ان يشبه خلقا في شيء كان المشبه له بخلقه والكيفية

ح له بكيفية مجوبها وهو غير عارف به بل متصور لامر اخر هو في الحقيقة غير الله وانما صدق في القضية الثانية فلان المشبه لله ضال من جهة ما هو
مشبه له وكل من كان كذلك فليس بمنزه له عن الند والمثل وضد ذلك الاولى ظاهر من الاية واما الثانية فلانه لو كان منزها له عن الند لكونه مشبها
له لما كان ضالا من تلك الجهة لكنه ضال منها فليس بمنزه له عنه واما البرهان العقلي فلان الند والمثل هو الشبيه وكلاهما في المشبه وفي
الاية تنفير عن مذهب التشبيه بذكر تبرؤ التابعين ممن اتبعوه وشبهوا ايضا الفهم ونداماتهم على تفريطهم في ذلك وحسرتهم على الرجعي لتدارك
الاعمال والاعتقادات الصالحة واعترافهم بانهم كانوا بتشبيههم في ضلال مبين وقوله كذب العادلون الى قوله عقولهم تكذيب العادلين به
الاية يرتفع ولا واشار الى تفصيل جهات كونهم عادلين والى سبب ذلك هو الوهم وقد علمت ان منشا التشبيه هو الوهم اذ كان حكمه لا يرتفع عن المحسوسات
وما يتعلق بها فان حكمه في المجردات بحكم ما يتذكرها محسوسة ذات اجسام والحقها احكام المحسوس ولذلك لم يرتفع المشبهة لله عن تشبيهه
بالاصنام والاشخاص كاصنام الاجسام كصورة الانسان واعضائه وكل غير عبدة الاوثان من سائر فرق المشبهة حتى كانه لم يغاير تنزيهه
من نزهه منهم ان توهمه في جهة فوق وقد علمت ان الجهة والكون فيها من عوارض الاجسام المخلوقة فكانوا على اختلافهم قد نحلوه حلية
المخلوقين ووصفاتهم باوهامهم الفاسدة فمنهم من اثبت له اعضاء من يد ورجل وعين ووجه وسائر ما ورد في القران الكريم والسنة النبوية
حملا على ظاهرها ومنهم من تجاسر على وصف هيئته فقال انه مجوف الاعلى مصمت الاسفل وانه فطط الشعر الى غير ذلك من هذيانهم وكفرهم
تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وتجزيته بخواطرهم تجزية المجسمات هو اثباتهم الاعضاء المذكورة وذلك عن تقديرهم له على الخلقة
المختلفة القوى بقرائح عقولهم الجامدة مما تعيد لا وهامهم الفاسدة وتقليد من سلف من ابائهم فان الاعضاء انما تتولد وتكمل بواسطة
قوى طبيعية ونباتية وحيوانية وغيرها وهي قوى مختلفة بحقائقها ومتضادة في افعالها محتاجة الى الجامع والمركب فهو متناه بالامكان
الذي تنزه قدس الصانع ان يتطرق اليه بوجه وقوله فاشهد ان من ساواك بشيء من خلقك الى قوله بينات شهادة ثابتة على من
شبهه وجعل له مثلا بالكفر واشارة الى برهانها بقياس من الشكل الاول استند بيان كبراه الى كتاب الله ونصوص ايات المحكمة وبيانات
الانبياء وشواهد حججهم هي تلك الايات اي حججهم الشاهدة هي كقوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا
وقوله ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون الاية الى الكفر ونحو ذلك واما
المقدمة الاولى فلان المشبه هو المثل والعدل بل وقد علمت ان برهان العقل ايضا يشهد بصدق هذه الشهادة فان المشبه لله بخلقه مع
براءته عن شبهة الغير اذا اعتقد ان الذي يشير اليه بوهمه هو صانع العالم فقد اعتقد غير الصانع صانعا وذلك عين الكفر والضلال
وقوله وانك انت الله الذي لم تتناه في العقول الى قوله مصرفا شهادة ثانية هي خلاصة الشهادتين الاولتين تتضمن تنزيهه عن تناهيه في العقول
البشرية وافكارها اي حاطتها بحقيقته وما لها من صفات الكمال ونعوت الجلال بحيث لا يكون وراء ما ادركته شيء اخر ونبه في هذه
الشهادة على ما يلزم ذلك التناهي من كونه ذا كيفية تكيفه بها القوى المتخيلة المستثبتة بها العقول ومهابة تفكرها بها ثم من كونه محدودا
اذ كانت الحقائق انما تدرك بكيفيتها من حدودها وقوله مصرفا اي محكوما في ذاته بالتجزية والتحليل والتركيب اذ كان من شان المحدود
ذلك ولما كانت هذه اللوازم باطلة لتنزهه عن الكيفية والاجزاء والتركيب كان ملزومها وهو التناهي في العقول باطلا **الفصل الثاني** منها
قدر ما خلق فاحكم تقديره ودبره فالطف تدبيره ووجهه لوجهته فلم يتعد حدود منزلته ولم يقصر دون الانتهاء الى غايته
ولم يستصعب اذ امر بالمضي على ارادته وكيف وانما صدرت الامور عن مشيئته المنشئ اصناف الاشياء بلا روية فكر ال اليها
ولا قريحة غريزة اضمر عليها ولا تجربة افادها من حوادث الدهور ولا شريك اعانه على ابتداع عجائب الامور فتم خلقه واذعن لطاعته واجاب
الى دعوته لم يعترض دونه ريث المبطئ ولا اناة المتلكئ فاقام من الاشياء اودها ونهج حدودها ولائم بقدرته بين متضادها ووصل
اسباب قرائنها وفرقها اجناسا مختلفة في الحدود والاقدار والغرائز والهيئات بدايا خلائق احكم صنعها وفطرها على ما اراد
وابتدعها اقول الرجع واذعن خضع وذل والريث البطوء وكذا الاناة والتلكؤ التباطؤ عن الامور والتوقف فيه والاود الاعوجاج
والبدايا جمع بديئة وهي الخلقة العجيبة وقوله قدر ما خلق فاحكم تقديره اشارة الى ان كل مصنوع قدره في الوجود فعلى وفق حكمته بحيث
لو زاد على ذلك المقدار او نقص منه لاختلت مصلحة ذلك المقدر وتغيرت منفعته وقوله ودبره فالطف تدبيره ايجاده على وفق المصلحة
ولطفه في ذلك تصرفه في جميع الذوات والصفات تصرفات كلية وجزئية من غير شعور غيره بذلك وقوله ووجهه لوجهته الى قوله الى
غايته اي الهم كلا ويسره لما خلق له وما كتب له في اللوح المحفوظ فلم يتجاوز مرسوم تلك المنزلة المعلومة له اي لم يتعدها ولم يقصر دونها اذ ذلك
التغير في علمه سبحانه وانه محال وقوله ولم يستصعب الى قوله على ارادته اي لما امر المخلوق بالتوجه الى وجهته على وفق ارادته الله وسابق
حكمته الالهية كان الى غايته لم يمكن تخلفه واستصعابه عن ذلك الامر وامره له اشارة الى توجيه اسبابه بحسب القضاء الالهي عليه بذلك
وقوله وكيف وانما صدرت الامور عن مشيئته اي وكيف يستصعب ثم اشار الى علة عدم استصعابه وسرعة طوعه وانقياده بذكر علته وهو
استناد جميع الاثار الى مشيئته اذ كل اثر فهو واجب عن مؤثره والكل منتهية في سلسلة الحاجة الى ارادته وواجب عنها وقد علم ذلك في العلم الالهي ولو

المنشئ اصناف الاشياء الى قوله عجائب الامور وقد سبق في الخطبة الاولى بيان ان الروية والفكر والتجربة مما يلحق الانسان ويخصه وان الباري
سبحانه منزه عن شيء منها في كيفية ابداع الخلقة واما التراب فمنزه عنه ببرهان الوحدانية كما سبقت الاشارة اليه بعد فرجه
العزيزة قوة الفكر للعقل وقوله فاتم خلقه واذعن لطاعته واجاب الى دعوته اه مخلوقاته من جهة جوده بافادتها ما ينبغي لها فان نقص
بشيء منها عن كمال فلعدم استعداده وقوله لدنا وادعانه فلتمتثل في الحاجة والامكان وتصريفها لقدرته واجابته الى دعوته
كونه في الوجود عن قوله كن وقوله لم يعترض دونه ريث المبطئ ولا اناة المتلكئ تنزيه لفعله تعالى وامره ان يعترض في طاعة الاشياء له شيء من هذه
الكيفيات ذكل شيء في قهره وعلى غاية من السرعة الى اجابة امره ولما كان تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وفي قوله كن هيئة
ما ينبغي لذلك لما هو نفا بعده لاجابة امره بالكون في الوجود ويجب عنه فكيف يمكن ان يعترض في اجابة الامر بطوء او تلكئ بل يكون كلمح البصر قال تعالى وما
امرنا الا كلمح بالبصر ويحتمل ان يكون ذلك تنزيها له تعالى ان يعرض له من جهة ما هو فاعل شيء من هذه الكيفيات فان البطوء والاناة والتلكئ من
من عوارض الحركة التي هي من عوارض الجسم واعراضها فيمن يفعل بالالة وتشتد حركته وتضعف وقد علمت تنزيه الله تعالى عن جميع ذلك و
قوله فاقام من الاشياء اودها الى قوله والهيئات القائمة وقد تقدم ان الاعوجاج كل شيء باعداده لما ينبغي له وافاضته كما له ويخصه لحده وحدها
على الروابين هو ايضا خاصة لكل شيء وجهته وغايته خاله وملائمته بين متضادها كجمعه العناصر الاربعة على تضاد كيفياتها في مزاج
واحد وقد سبق بيانه ووصله لاسباب قراينها اشارة الى ان الموجودات الانتقال عما شيئا نفترن بها من هيئة او شكل او غريزة ونحوها او قران
الشيئين لا محالة يستلزم لاقتران اسبابهما واقترانهما وانصالهما الا اسبابه فيتم الوجود بعد واسبابه وذلك الوصل مستند الى كمال قدرته فهو
مسبب الاسباب وقال بعض الشارحين اراد بالقراين النفوس وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى وصله لاسبابها هدايتها الى عبادته وما هو الاولى بها
في معاشها ومعادها وسوقها الى ذلك اذ المفهوم من قول القائل وصل الملك اسباب فلان اذا انعم عليه ووصله الى بره وانعامه والاول اظهر وقوله
وفرقها اجناسا مختلفات في الحدود والاقدار والغرائز والهيئات الاربعة بالاجناس والحدود ما اصطلح عليه قوم في عرفهم بل ما اختلف بالصور المذكورة
كلها او بعضها فهو مختلف الجنس لغة وحد الشيء منتهاه وما يحيط به والاقدار المقادير والاشكال ايضا والغرائز القوى النفسانية والاخلاق
والهيئات والصفات وان حملنا الحدود على ما هو المتعارف كان حسنا فان حكمة الخالق سبحانه اقتضت تمييز بعض الموجودات عن غيرها بحدودها
وحقايقها وبعضها باشكالها وهيئاتها وسقاديرها وغرائزها واخلاقها كما تقتضيه نظام الوجود واحكام الصنع وحكم الارادة الالهية وقوله
بدايا خلائق احكم صنعها وفطرها على ما اراد وابتدعها اي هي بدايا اي عجائب مخلوقات احكم صنعها على وفق ارادته وبالله التوفيق منها
في صفة السماء ونظم بلا تعليق رهوات فرجها ولاحم صدوع انفراجها ووشج بينها وبين ازواجها وذلل للهابطين بامره والصاعدين
باعمال الخلق حزونة معراجها وناداها بعد اذ هي دخان فالتحمت عرى اشراجها وفتق بعد الارتتاق صوامت ابوابها واقام رصدا
من الشهب الثواقب على نقابها وامسكها من ان تمور في خرق الهواء بايده وامرها ان تقف مستسلمة لامره وجعل شمسها اية
مبصرة لنهارها وقمرها اية ممحوة من ليلها فاجراهما في مناقل مجراهما وقدر مسيرهما في مدارج درجهما ليميز بين الليل والنهار
بهما وليعلم عدد السنين والحساب بمقاديرهما ثم علق في جوها فلكها وناط بها زينتها من خفيات دراريها ومصابيح كواكبها ورمى مسترقي
السمع بثواقب شهبها واجراها على اذلال تسخيرها من ثبات ثابتها ومسير سائرها وهبوطها وصعودها ونحوسها وسعودها اقول
الرهوات جمع رهوة وهي الفرجة المتسعة والمكان المرتفع والمنخفض والوشج الاشتباك والصدوع الشقوق ووشج بالتشديد اي
شبك والحزونة الصعوبة والاشراج جمع شرج بالفتح وهي عرى العيبة التي تخاط بها وتقفل ويطلق ايضا على حروفها التي تخاط والارتتاق
الالتصاق والنقاب جمع نقب بفتح النون وهو الطريق في الجبل والدراري الكواكب المضيئة وهذا الفصل يشتمل على كيفية خلق السماء
فقوله ونظم بلا تعليق الى قوله انفراجها يقتضي نظامه ان السماء كانت ذات فرج وصدوع وهذا على راي المتكلمين ظاهر فان الاجسام لما كانت
عندهم مركبة من الاجزاء التي لا تتجزى كانت قبل تاليفها ذات فرج وصدوع واما على راي غيرهم فقالوا يحتمل امرين احدهما انه لما كانت
السموات مركبة من اجزاء وكانت بين اجزاء كل مركب مباينة لولا المركب والمؤلف استعار لفظ الرهوات والفرج لما يتصور من المباينة بين
اجزاء السماء عند قطع النظر عن صانعها ومركبها سبحانه ونظامه للرهوات وفرجها افاضته لصورها على قوابلها حتى صارت كلا منتظما ملا
ملائم الصدوع والفرج الثاني يحتمل ان يشير بالفرج الى ما بين اطباق السموات من التباين ونظمه لرهواتها وملائمه صدوعها خلقها اكرا
متماسة لا خلاء بينها ونبه على كمال قدرته تعالى بقوله بلا تعليق فان الاوهام حاكمة بان السماء جرم واقف في خلاء كما يقف الحجر في الهواء ولذلك
مشاهدتها ونجمها الحركة بها كذلك لقول الى النجم الاستظام وقوله ووشج بينها وبين ازواجها اراد بازواجها نفوسها التي هي الملائكة
السماوية بمعنى قرائنها وكل قرين زوج اي ربط ما بينها وبين نفوسها بقبول كل جرم سماوي لنفسه التي لا يقبلها غيره وقوله وذلل للهابطين
بامره الى قوله انفراجها فقد سبقت الاشارة الى ان الملائكة ليست اجساما كسائر الحيوانات ليس هبوطها وصعودها الهبوط والصعود
المحسوسين والاتكان لكان الباري جل قدسه عن اوهام المتوهمين في جهة اليه يصعد وعنه ينزل فاذن هو استعارة لفظ النزول من الجهة

المحسوسة الى سفال النزول المعقول من سماء الجود الالهي الى اراضي المواد القابلة للافاضات العالية وبذلك المعنى يكون هبوط الملائكة عبارة عن ايصالها
الى كل ما دونها كماله متوسطة بينه وبين مبدعه وموجده وهم المرسلون من الملائكة بالوحي وغيره وكذلك الصاعدون باعمال الخلق هم
الملائكة ايضا واما معنى الصعود بها فيعود الى كونها منقوشة في ذوات الصاعدين بها وقد لاح فيما سبق ان علمه تعالى بمعلولاته البعيدة كالزمانيات
والمعدومات وما التي من شانها ان توجد في وقت وتتعلق بزمان يكون بارتسام صورها المعقولة في تلك الالواح وهو ايضا يستعار كلفظ
الهبوط للمعنى الذي ذكرناه من اداء النفوس الى الالواح المحفوظة فاما الانفراج الذي ذلل حزونته لهم وسهل عليهم سلوكه فيعود الى عدم حجبها
ومنعها لنفوذ علوم الملائكة باعمال الخلائق وما يجري في هذا العالم وكما ان الجسم المتصدع لا يمنع نفوذ جسم اخر فيه من حيث هو متصدع
والوصول الى ما وراءه كذلك السماء لا تحجب علوم الملائكة ان تتعلق بما في هذا العالم من الموجودات فجرت مجرى المنفرج من الاجسام فاطلق عليه لفظ
الانفراج وقد يلبله لحرونه نيز ذلك الانفراج لهم هو كونها غير مانعة بوجه ما لجريان علوم الملائكة المقربين في هذا العالم وقوله وناداها بعد اذ هي
دخان فالتحمت عرى اشراجها وفتق بعد الارتتاق صوامت ابوابها فيراجعها الان الا وكانك قد علمت ما سبق من كون السماء من دخان
فاما نداؤه لها فاشارة الى امره لها بالاتيان والكون في قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين واما التحامها
فاعتبار تركيبها بانضمام جزئيها الصوري الى جزئيها القابل كما يلتحم طرفا العيبة بتشريج عراها وفتق صوامت ابوابها بعد ذلك الارتتاق
هو جعلها اسبابا لنزول رحمته ومبدءات تنزل بواسطة حركاتها على هذا العالم انواع رحمة الله فكانت حركاتها تشبه الابواب اذ هي ابواب
رحمته ومفاتيح جوده الثاني ان العرب تقول لكل ما علاك فهو سماؤك وعلى هذا يحتمل ان يكون المراد بالسماء ما هو اعم من السماء المعهودة و
يكون قوله وناداها اشارة الى سماء السحاب وكونها دخانا هو كونها بخارا قبل الانعقاد يشبه الدخان فاستعير له لفظه والتحام عرى اشراجها
اشارة الى التحام تلك الاجزاء البخارية وانعقادها سحابا وافتتاق صوامت ابوابها هو انزال المطر منها كما قال تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء
منهمر وقوله واقام رصدا من الشهب الثواقب على نقابها له معنيان احدهما ان يكون استعار لفظ النقاب لكونها بحيث لا يمنع تعلق العلوم
بما ورائها من الاجسام والمجردات وقد سبق معنى الشهب وانها رصد الثاني ان يكون استعار لفظ الرصد لهذه الشهب المحسوسة وشبه
بذلك النقاب اذ شان الرصد والحرس حفظ الفرج والابواب ويكون سر ذلك ووجه الحكمة فيه ان العرب كانت تعتقد ان الشياطين
تصعد الى السماء فتسترق الغيب من الملائكة ثم تلقيه الى الكهنة والسحرة ونحوهم فلما ان دور الستر والنهي عن التكهن ونحوه لما بينا فيه من
اذهان الخلق وصرف قلوبهم عن غرض الشريعة القي الوحي اليهم ان هذه الشهب التي تنقض انما جعلت رجوما للشياطين من السمع فكل
من استمع منهم رمي بشهاب منها وحجبت السموات عنهم فلا يصلون اليها ليتقرر في اذهان الخلق انقطاع مادة الكهانة ونحوها فينسوا عنها فيهم
فيه فيكون ذلك كسرا لاوهامهم التي بينا انها شياطين النفوس ومنعا لها وبالله التوفيق وقوله وامسكها ان تمور في خرق الهواء بايده وامرها
ان تقف مستسلمة اي حفظها عن ان تحركها الريح المخترقة فيهلك جميعا او يذهبا وحكمت الحكمة الالهية عليها بالاستقرار وانقياد القهرة والامر الازلي
اشارة الى حكم القضاء والامر الثاني اشارة الى اعتبار القدرة وقوله وجعل شمسها اية مبصرة لنهارها وقمرها اية ممحوة من ليلها كقوله تعالى وجعلنا
الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة وكونهما ايتين اي علامتين لانهما على كمال قدرته ونقل عن ائمة التفسير ابصار اية
النهار ومحو اية الليل وجوه احدها ان انصاف اية النهار هو بقاء الشمس بحالها وتمام ضيائها في كل حال ومحو اية الليل هو اختلاف
احوال القمر في اشراقه ومحاقه بحيث لا يبقى ليلتين على حالة واحدة بل كل ليلة في منزل بزيادة او نقصان الثاني ما نقل ان ابن الكواء سئل
عليا عن اللطخ الذي في وجه القمر فقال ذلك محو اية الليل الثالث عن اكثر ان الايتين هما ظلمة الليل وضياء النهار والتقدير وجعلنا
الليل والنهار ذوي ايتين فقوله فمحونا اية الليل اي لم يجعل للقمر نورا من ذاته بل من ضوء الشمس ونصب اية النهار كون الشمس مضيئة بذاتها و
من عنا الابتداء العائد الى بيان الجنس بمحوه او يجعل وقيل اراد من اياته ليلها وقوله فاجراهما في مناقل مجراهما وقدر مسيرهما في مدارج درجهما
التي قدر مسيرهما فيها هي بروجهما ومنازلها والى هذا مفهومات الدرج والبروج والمنازل وهو ان الناس قسموا دور الفلك الذي يسيرها الكواكب
باثني عشر قسما وسموا كل قسم برجا وقسموا كل برج بثلاثين قسما وسموا تلك البروج اسماء الحمل الثور الجوزاء السرطان الاسد السنبلة
الميزان العقرب القوس الجدي الدلو الحوت والشمس تسير كل برج منها في شهر واحد والقمر يسير كل برج منها في ازيد
من يومين وينقص من ثلثة ايام واما منازل القمر فثمانية وعشرون واسماؤها الشرطين البطين الثريا الدبران الهقعة
الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة
النعايم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية الفرغ المقدم الفرغ المؤخر الرشاء والقمر يكون
كل يوم في منزل منها وكل في فلك يسبحون ذلك تقدير العزيز العليم وقوله ليميز بين الليل والنهار الى قوله بمقاديرها اي مقادير سيرهما
وقد سبق بيانه في الخطبة الاولى وقوله ثم علق في جوها فلكها لما اشار اولا الى تركيبها الى اشار الى قرارها في احيازها وهو المشار
اليه بتعليق فلكها في جوها فان قلت فقد قال اولا بلا تعليق ثم قال هاهنا وعلق فما وجه الجمع قلت التعليق امر اضافي يصدق سلبه وثبوته

كل قسم درجة وسموها [marginal note beside the line beginning "باثني عشر قسما"]

باعتبار ان المراد بالاولى انها غير معلقة بعمد تمسكها وبالثانية انه علقها في جوها بقدرته فلا منافاة واراد بالفلك اسم الجنس وهو اجسامها المستديرة التي جعلت عليها [illegible] وفيه ان فوق طبقاتها زينها من جهة انه زينها بالكواكب كقوله تعالى وزينا السماء الدنيا بمصابيح وقوله تعالى في السماء بروجا شبهها بالكواكب [illegible] وقد تقدم [illegible] ذكر [illegible] قصدا [illegible] الذي جعلها رصدا له اي لمن مسترق السمع بها وقوله واجراها على ذلال تسخيرها كقوله تعالى والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره والذلة ذلة الامكان والحاجة الى الايجاد والتدبير واما الثابت والسائر منها فالسائر هي الكواكب السبعة زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر ويسمى الشمس والقمر بالنيرين والخمسة الباقية بالمتحيرة لان لكل واحد منها استقامة ثم وقوفا ثم رجوعا ثم وقوفا ثانيا ثم عودا الى الاستقامة وليس للنيرين غير الاستقامة وباقي الكواكب التي على السماء غير هذه السبعة يسمى بالثوابت وفلكها الثامن ولكل واحد من السبعة فلك يحركه حركة مخصوصة [illegible] واما صعودها وهبوطها فصعودها طلبها اشرفها وشرف الشمس في الدرجة التاسعة عشر من الحمل وشرف القمر في الدرجة الثالثة من الثور وشرف زحل في الحادية والعشرين من الميزان وشرف المشتري في الخامسة عشر من السرطان وشرف المريخ في الثامنة والعشرين من الجدي وشرف الزهرة في السابعة والعشرين من الحوت وشرف عطارد في الخامسة عشر من السنبلة وشرف الراس في الثالثة من الجوزا وشرف الذنب في الثالثة من القوس وبرج الشرف كله شرف الا ان تلك الدرجات تماما مادام الكوكب متوجها الى قوة الشرف فهو في الازدياد والصعود فاذا جاز صار في الانتقاص والهبوط وهبوط كل كوكب يقابل شرفه وصعوده [illegible] نحوسها وسعودها فقالوا زحل والمريخ نحسان اكبرهما زحل والمشتري والزهرة سعدان اكبرهما المشتري عطارد سعد مع السعود ونحس مع النحوس والنيران سعدان من التثليث والتسديس نحسان من المقابلة والتربيع والمقارنة والراس سعد والذنب والكيد نحسان ومعنى سعودها ونحوسها كونها اسبابا لصلاح حال شيء من الاشياء من احوال هذا العالم وبالله التوفيق

منها في صفة الملائكة عليهم السلام ثم خلق لاسكان سمواته وعمارة الصفيح الاعلى من ملكوته خلقا بديعا من ملائكته فملأ بهم فروج فجاجها وحشا بهم فتوق اجوائها وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم في حظائر القدس وسترات الحجب وسرادقات المجد ووراء ذلك الرجيج الذي تستك منه الاسماع سبحات نور تردع الابصار عن بلوغها فتقف خاسئة على حدودها انشاهم على صور مختلفات واقدار متفاوتات اولي اجنحة تسبح جلال عزته لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعه ولا يدعون انهم يخلقون شيئا معه مما انفرد به بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون جعلهم فيما هنالك اهل الامانة على وحيه وحملهم الى المرسلين ودائع امره ونهيه وعصمهم من ريب الشبهات فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته وامدهم بفوائد المعونة واشعر قلوبهم تواضع اخبات السكينة وفتح لهم ابوابا ذللا الى تماجيده ونصب لهم منارا واضحة على اعلام توحيده لم تثقلهم موصرات الاثام ولم ترتحلهم عقب الليالي والايام ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة ايمانهم ولم تعترك الظنون على معاقد يقينهم ولا قدحت قادحة الاحن فيما بينهم ولا سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته بضمائرهم وسكن من عظمته وهيبة جلالته في اثناء صدورهم ولم تطمع فيهم الوساوس فتقترع برينها على فكرهم منهم من هو في خلق الغمام الدلح وفي عظم الجبال الشمخ وفي قترة الظلام الابهم ومنهم من قد خرقت اقدامهم تخوم الارض السفلى فهي كرايات بيض قد نفذت في مخارق الهواء وتحتها ريح هفافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية قد استفرغتهم اشغال عبادته ووصلت حقائق الايمان بينهم وبين معرفته وقطعهم الايقان به الى الوله اليه ولم تجاوز رغباتهم ما عنده الى ما عند غيره قد ذاقوا حلاوة معرفته وشربوا بالكاس الروية من محبته وتمكنت من سويداء قلوبهم وشيجة خيفته فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم ولم ينفد طول الرغبة اليه مادة تضرعهم ولا اطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم ولم يتولهم الاعجاب فيستكثروا ما سلف منهم ولا تركت لهم استكانة الاجلال نصيبا في تعظيم حسناتهم ولم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم ولم تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربهم ولم تجف لطول المناجاة اسلات السنتهم ولا ملكتهم الاشغال فتنقطع بهمس الجؤار اليه اصواتهم ولم تختلف في مقاوم الطاعة مناكبهم ولم يثنوا الى راحة التقصير في امره رقابهم لا تعدو على عزيمة جدهم بلادة الغفلات ولا تنتضل في هممهم خدائع الشهوات قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم ويمموه عند انقطاع الخلق الى المخلوقين برغبتهم لا يقطعون امد غاية عبادته ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته الا الى مواد من قلوبهم غير منقطعة من رجائه ومخافته لم تنقطع اسباب الشفقة منهم فينوا في جدهم ولم تاسرهم الاطماع فيؤثروا وشيك السعي على اجتهادهم ولم يستعظموا ما مضى من اعمالهم ولو استعظموا ذلك لنسخ الرجاء منهم شفقات وجلهم ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ الشيطان عليهم ولم يفرقهم سوء التقاطع ولا تولاهم غل التحاسد ولا تشعبتهم مصارف الريب ولا اقتسمتهم اخياف الهمم فهم اسراء ايمان لم يفكهم من ربقته زيغ ولا عدول ولا ونى ولا فتور وليس في اطباق السموات موضع اهاب الا وعليه ملك ساجد او ساع حافد يزدادون على طول الطاعة بربهم علما وتزداد عزة ربهم في قلوبهم عظما

اقول الصفيح السطح والفجاج الطريق الواسع والجو المكان المتسع العالي والفجوة الفرجة والزجل الاصوات والسرادق الذي يمد فوق البيت والرجيج الزلزلة والاضطراب واستكاك الاسماع صممها وخاسئة متحيرة والاخبات التذلل والاستكانة [illegible] موصرات المثقلات والعقب جمع عقبة وهي النوبة من التعاقب والنوازع بالعين المعجمة المفسدة وبالمهملة الفتنة والاحن جمع احنة وهي الحقد وكان المدة [illegible]

لشق

٤٥

[illegible] جمع [illegible] والرتق العلبة والتغطية والدلح جمع دالح وهي الثقال والشمخ العالية وقترة الظلام سواده والابهم الذي لا يهتدي فيه والتخوم جمع تخم بفتح التاء وهي منتهى الارض وحدودها والريح الهفافة الساكنة الطيبة والوشيجة عروق الشجرة والربق جمع ربقة وهي الحلقة من الحبل والدؤوب الجد في العمل والاسلة طرف اللسان والجؤار رفع الصوت بالدعاء ونحوه والهمس الخفي من الصوت والانتضال الرمي بالسهم واستهتر بالامر اعجبه وتظاهر به وشيك السعي سريعه والنسخ الازالة والاستحواذ على الشيء الاحاطة به والغلبة عليه والاخياف الهمم مختلفاتها واحدها خيف والحفد السرعة اعلم ان هذا الفصل يشتمل على وصف الملائكة الذين هم اشرف الموجودات الممكنة بكمال العبودية لله اذ كان في معرض تمجيده ووصف عظمته وقد سبق ذكر انواع الملائكة واسكانهم اطباق السموات وبينا مقاصده بقدر الامكان ولنشر ههنا الى ما يختص بهذا الموضع من كلامه **الاول** ثم خلق سبحانه الى قوله من ملائكته يحتمل ان يشير بالصفيح الاعلى الى الفلك التاسع وهو العرش لكونه اعظم الاجرام واعلاها وسكانه الملائكة المدبرون له ويحتمل ان يريد محل عبادة الملائكة من حضرة جلال رب العالمين وعالم الملكوت ومقعدهم الصدق من معرفته فان خلقهم انما كان لعمارة ذلك المحل وهو البيت المعمور بجلال الله تعالى بعباداتهم له ولما كانوا من اشرف الموجودات كانوا هم الخلق البديع التام العجب **الثاني** فملأ بهم فروج فجاجها وحشا بهم فتوق اجوائها استعار لفظ الفروج والفجاج والفتوق لما يتصور بين اجزاء الفلك من التباين لولا الملائكة الذين [illegible] وبها قام وجودها وبقاء جواهرها محفوظة بها ووجه المشابهة [illegible] ورشح تلك الاستعارة بذكر الملء والحشو [illegible] الى ما يعقل بين اجزائها واجوائها المنتظمة من التباين لولا الناظم لها بوجود الملائكة فيكون حشو تلك الفروج بالملائكة كناية عن [illegible] بوجودها وجعلها مدبرة لها **الثالث** وبين فجوات تلك الفروج الى قوله المجد استعار لفظ الزجل لكمال عباداتهم [illegible] في رفع صوته بالتضرع والتسبيح والتهليل وكذلك لفظ الحظائر لمنازل الملائكة من عالم الغيب مقامات عباداتهم ووجه كونها حظائر القدس لطهارتها وبراءتها عن نجاسات الجهل والنفس الامارة بالسوء وكذلك استعار لفظ سترات الحجب والسرادقات لما [illegible] عليه من حجب النور التي حجب بها عن الاذهان وتجردهم عن المواد والاوضاع المحسوسة ووجه المشابهة كونهم محتجبين بذلك عن [illegible] الابصار والاوهام كون تلك الحجب سرادقات المجد لكمال ذواتهم وشرفهم بها على من دون تلك الحجب **الرابع** ووراء ذلك الرجيج الذي تستك الى قوله حدودها استعار لفظ الترجيج لعبادات الملائكة كما استعار لفظ الزجل ورشح استعارة الرجيج بقوله تستك منه الاسماع وكنى به عن كمال [illegible] ويحتمل ان يشير بذلك الزجل والرجيج الى ما يسمعه الانبياء من اصوات الملائكة كما علمت كيفيته في سماع الوحي [illegible] سبحات النور التي وراء ذلك الرجيج الى جلال وجه الله وعظمته وتنزيهه ان يصل اليه ابصار البصائر وبه يكون ذلك وراء رجيجهم اي ان معارفهم لا تتعلق به كما هو بل وراء علومهم وعباداتهم اطوار اخرى من جلاله تقصر معارفهم عنها وتردع ابصار البصائر عن ادراكها فترجع حسيرة متحيرة واقفة عند حدودها وغاياتها من الادراك **الخامس** انشاهم على صور مختلفات الى قوله عزته اختلاف صورهم كناية عن اختلافهم بالحقائق وتفاوت اقدارهم تفاوت مراتبهم في الكمال والقرب منه ولفظ الاجنحة مستعار لقواهم التي بها حصلوا على المعارف الالهية وتفاوتها بالزيادة والنقصان كما قال تعالى اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع كناية عن تفاوت ادراكهم لجلال الله وعلومهم بما ينبغي له ولذلك جعل الاجنحة هي التي تسبح جلال عزته فان علمهم بجلاله منزه عما لا ينبغي لكرم وجهه ولا يناسب جلال عزته **السادس** ولا ينتحلون الى قوله يعملون اي لا ينسبون بعض مصنوعاته الى قدرهم وان كانوا وسائط فيها ولا يدعون انهم يقدرون على شيء منها الا باذنه لهم بل غاياتهم [illegible] في اضافة الجود على مستحقه وما لم يجعلهم وسائط فيه بل انفرد بذاته في ابداعه فلا يدعون القدرة عليه اصلا وذلك لكمال معارفهم [illegible] ونسبتهم الى ربهم وقد اكرمهم الله تعالى بالتقديس عن النفوس الامارة بالسوء التي هي مبدأ مخالفة امره ونهيه [illegible] **السابع** جعلهم فيما هنالك الى قوله ونهيه اي في مقاماتهم من حضرة قدسه وقد سبقت الاشارة الى كل ذلك في الخطبة الاولى **الثامن** وعصمهم الى قوله مرضاته منشأ الشكوك والشبهات والخروج عن سبيل الله هو معارضة النفس الامارة للعقل وجذبها له الى طرف الباطل والملائكة مبرءون عنها فكانوا معصومين ممنوعين مما تقود اليه وتامر به من الضيق والانحراف عن قصد الله وامدادهم بفوائد المعونة زيادتهم في كمالاتهم على غيرهم ودوام ذلك بدوام وجوده **التاسع** واشعر قلوبهم تواضع اخبات السكينة استعار لفظ التواضع والاستكانة لحالهم من الاعتراف بذل الحاجة والامكان الى وجوده والانفعال تحت عظمته اي جعل ذلك الاعتراف شعارا لازما لذواتهم ومن الشعور وهو الادراك **العاشر** وفتح لهم ابوابا الى قوله تماجيده الابواب وجوه معارفهم الالهية التي بها يمجد ويستحق تمجيده وهي ابوابهم ووسائلهم الى تمجيده وتعظيمه وكونها سهلة [illegible] ليس اكتسابا عن طرق وتوعرت بتراكم الشكوك والشبهات ومنازعات الاوهام والخيالات كما عليه علومنا **الحادي عشر** ونصب لهم منارا واضحة على اعلام توحيده قيل استعار المنار الواضحة للوسائط من الملائكة المقربين بينهم وبين الحق سبحانه او اخباره عن الملائكة السماوية ولفظ الاعلام لصور المعقولات في ذواتهم المستلزمة لتوحيده وتنزيهه عن الكثرة ووجه المشابهة ان المنار والاعلام كما يكون وسائط

في حصول العلم بالمطلوب كذلك الملئكة المقربون والمعارف الحاصلة بواسطتهم يكونون وسائط في الوصول الى المطلوب الاول ومحل
الكل عز سلطانه **الثاني عشر** لم تشغلهم موصرات الاثام لما لم يكن النفوس الامارة بالسوء موجودة لهم استلزم عدمها
نفي اثارها عنهم من الاثام والتردد **الثالث عشر** ولم ترحلهم عقب الليالي والايام اي لم يستلزم تعاقب الزمان رحيلهم
عن الوجود وذلك لتجردهم وبراءة المجردات عن لحوق الزمان تحيلهم عن الوجود لتجردهم وبراءة المجردات عن لحوق الزمان والتغيرات
الحادثة بسببه **الرابع عشر** ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة ايمانهم ولم تعترك الظنون على معاقد يقينهم عزيمة ايمانهم ما
لزم ذواتهم من التصديق بمبدعهم مما ينبغي له ومعاقد يقينهم اعتقاداتهم اليقينية واعتراك الشكوك والظنون ومنشاءه
الاوهام والخيالات وعلوم الملئكة المجردين مبراة عنها ولفظ الرمي مستعار لانبعاثات النفوس الامارة بالسوء والقائها الخواطر
الفاسدة الى النفس المطمئنة ومن ذوي النوازع بالعين المهملة فهو ترشيح للاستعارة وكذلك استعار لفظ الاعتراك لاختلاط
الظنون والاوهام على القلوب وجولانها في النفوس ووجه المشابهة ظاهرة **الخامس عشر** ولا قدحت قادحة الاحن فيما
بينهم اي لم تثر بينهم الاحقاد شيئا من التردد كما تثير النار زنادها لبراءتهم عن قوى الغضب والشهوة **السادس عشر** ولا
سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته بضمائرهم الى قوله عبدوه لما كانت الحيرة تردد العقل في اي الامرين اولى بالطلب والاختيار
وكان منشاء ذلك هو معارضات الوهم والخيال للعقل حيث لا وهم ولا خيال فلا حيرة تخالط معارفهم وتزيل هيبة عظمته
من صدورهم والهيبة كناية عن استشعار عظمته ولفظ الصدور مستعار لذواتهم **السابع عشر** ولم يطمع فيهم الوساوس
فيقترع برينها على فكرهم وقد عرفت تفسير الوسوسة وفاعل الطمع ههنا اما مضمر على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه
اليه مقامه اي اهل الوساوس وهم الشياطين او يكون الفاعل هو الوساوس واسناد الطمع اليه مجازا كقوله نعم ولتخرجن
الارض اثقالها واخرجت الارض اثقالها وريبها غلبت الشكوك اللاحقة عنها على وجوه عقولهم وابصار ذواتهم التي بها ينظرون
الى وجه ربهم وانتفاؤها عنهم لانتفاء اسبابها وهي النفوس الامارة **الثامن عشر** منهم من هو في خلق الغمام الى قوله
الاتهم هذا التقسيم يعود الى جنس الملائكة فاما الاوصاف السابقة فكانت خاصة بسكان السموات منهم وقد وردت في
الشرع عبارات في الغمام ملئكة تسبح الله وتقدسه وكذلك في الجبال والاماكن المظلمة وهم من الملائكة الارضية وقد علمت ما قيل
فيها في الخطبة الاولى **التاسع عشر** ومنهم من خرقت اقدامهم تخوم الارض السفلى الى قوله المتناهية تشبيه ان يكون هذا القسم
من الملائكة السماوية واستعار لفظ الاقدام لعلومهم المحيطة باقطار الارض السفلى ونهاياتها ووجه المشابهة كون العلوم
قاطعة للمعلوم وسارية فيه وواصلة الى نهايته كما ان الاقدام تقطع الطريق وتصل الى الغاية منها وشبهها بالرايات البيض النافذة
في مخارق الهواء من وجهين احدهما ان البياض لما استلزم الصفاء عن الكدر والسواد كذلك علومهم صافية من
كدورات الباطل وظلمات الشبهة الثاني في نفوذها في اجزاء المعلوم كما تنفذ الرايات في الهواء واستعار الريح التي تحبس الاقدام
على حيث انتهت من الحد وهي حكمة الله التي اعطت كلا ما يستحقه وقصرت كل موجود على حده ووقفوها الى لطف تصرفها وجريانها
في المصنوعات **العشرون** قد استفرغتهم اشغال عبادته الى قوله وشيجة خيفته اي لم تجعلهم يجعل لهم فراغا لغيرها وقد علمت ان
محركي الملائكة السماوية للاجرام الافلاك الجارية لمجاري الابدان متحركة ارادية عشوقية للتشبه بالملائكة المتوسطة بينها وبين الحق
سبحانه في كمال عبادتهم لله وتلك الحركات الدائمة والعبادة مستفرغة لهم عن الاشتغال بغيرها كما قال يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وحقائق الايمان تصديقهم الحق بوجوده عن شاهد وجودهم وكونهم سببا لارادة معرفته التامة والدوام عليها وابرازها في
قوتهم من الكمال بها الى الفعل فان التصديق بوجود الشيء الواجب تحصيله اقوى الاسباب الباعثة على طلبه وقصدا الايمان التصديق
الحق اليقين بوجوده وسيلة جامعة بينهم وبين معرفته والاستكمال بها وقاطعا لهم الى الوله اليه والعشق له وثبات الرغبات على
ما عنده دون غيره ولما استعار لفظ الدوق لتعقلاتهم ولفظ الشرب بما تمكن في ذواتهم من عشقه وكمال محبته رشح الاستعارة
الاولى بذكر الحلاوة وكنى بها عن كمال ما يجدونه من اللذة بمعرفته كما يلتذ ذائق الحلاوة بها والثانية بذكر الكاس الروية اذ من كمال
الشرب ان يكون بكاس روية اي من شانها ان تروي وكنى بها عن كمال معرفتهم بالتسبيه الى غيرهم وكذلك رشح استعارة لفظ القلوب
بذكر سويدائها اذ كان من كمال تمكن العوارض القلبية كالمحبة والخوف ان يبلغ الى سويدائها واشار بوشيجة خيفته الى العلاقة
المتمكنة من ذواتهم لخيفته وهي كمال علمهم بعظمته ولفظ الخيفة مستعار كما سبق لانفعالهم في ذل الامكان عند اعتباره وقهره
الحادي والعشرون فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم تجوز باستثناء الظهور في كمال خضوعهم في عبادتهم وهو اطلاق لاسم المسبب
على السبب **الثاني والعشرون** ولم ينفد طول الرغبة اليه مادة تضرعهم لما كان من شان احدنا اذا رغب في امر الى بعض الملوك
وتمرع فيه اليه بالتضرع والخدمة ان ينقطع تضرعه بانقطاع مادته ومادة ذلك دواعي نفسه الى الطلب وقيودها وانقطاعها باستيلاء

سويدائها

الملال على

١٥
ج

الملال على نفسه وضعفها عن تحمل المشقة ومطلوبه وبتصوره لا امكان تناوله وانقطاعه اما بالياس منه او باعطائه اياه وكانت مادة تضرعهم
وعباداتهم له نعم على التقدير بن بريئة عن القواطع اما من ذواتهم فلان الكلال والملال من عوارض المركبات العنصرية واما مطلوبهم فلانه
كمال معرفة الله تعالى بعد تصورهم لعظمة ذلك المطلوب وعلمهم ان درجات الوصول اليه غير متناهية لاجرم سلب عنهم في معرض مدحهم
انقطاع مادة تضرعهم ليستلزم ذلك سلب انقطاع تضرعهم وعباداتهم له **الثالث والعشرون** ولا اطلق عنهم عظيم الزلفة
ربق خشوعهم لما كان من قرب من السلطان مثلا من شانه ان يقوى نفسه ويخف هيبته منه وكان ذلك لتناهي ملك ملوك
الدنيا وكونه مكتسبا لهم وتصور المتقرب اليهم مشابهته لهم وامكان وصوله الى ما وصلوا اليه وكان سلطان الله لا يتناهى عظمته وعزة
وعرفانهم بتصور من العارف المتقرب اليه ان يخف هيبته او ينقص خشوعه وعبادته بل كلما ازدادت معرفته به ازدادت عظمته
في نفسه اذ كان يقدر رتبته ساوكه عظمة الله بعد درجة عرفانه به فكلما عبر منزلا من منازل المعرفة علم عظمة خالقه فكمل عقد يقينه
بذلك وعلم نقصان ذاته فكمل خشوعه وصدق خضوعه واستعار لفظ الربق لما حصلوا فيه من الخشوع **الرابع والعشرون** ولم
يتولهم الاعجاب الى قوله حسناتهم اي لم يستول عليهم ولا عجاب هو استعظام الانسان نفسه عما يتصوره انه فضيلة له ومنشاء ذلك
الحكم هو النفس الامارة فيتوهم الانسان ان تلك الفضيلة حصلت له عن استحقاق وجب له بسعيه وكده مع قطع النظر عن واهب النعم
ومفيضها والملائكة السماوية مبرؤن عن الاوهام واحكامها عزته في قوله ولم يدع دوام ظالعة الانة والاستكانة من حلال عزته فلم
يستكثرون ما سلف منهم من عبادته ولا يتعظمون ما صدر عنهم من خير **الخامس والعشرون** ولم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم
وقد ثبت ان الملائكة السماوية دائمة التحريك لاجرامها حركة لا يتخللها سكون ولا يكلها ويفترها اعياء وتعب وبيان ذلك بالبرهان
اصول ممهدة في مواضعها واما بالقران فلقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقد سبق **السادس والعشرون** ولم تغض
رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربهم الخالق عن الشيء العدول عنه وقد سبق ان رغبات الملائكة السماوية واشواقها الى كمالاتها دائمة
ثابتة فكانت لذلك دائمة الرجاء لها من واهبها ولفظ الغيض مستعار كما سبق **السابع والعشرون** ولم تجف لطول المناجاة
اسلات السنتهم طول مناجاتهم يعود الى توجيه وجوههم دائما اليه واستعار لفظ الالسنة وذكر الاسلات ملاحظة للتشبيه بما هو
في مناجاة وكنى بعدم جفاف السنتهم عن عدم فتورهم وعدم لحوق الكلال والاعياء لهم وظاهر انه لا السنة لجسمانية لهم فلا جفاف
الثامن والعشرون ولا ملكتهم الى قوله اصواتهم اي لم تضعفهم العبادة فتنقطع اصواتهم فتضعف فيخفى بالتضرع اليه وهو تنزيه لهم عن
الاحوال البشرية العوارض البدنية من الضعف والاعياء وكلال الاعضاء عند كثرة الاشغال وفوتها وقد عرفت ان الملائكة السماوية لا يجوز
عليها شيء من تلك العوارض واستعار لفظ الاصوات كما استعار لفظ الالسنة **التاسع والعشرون** ولم يختلف في مقادم الطاعة مناكبهم الى
قوله وفاتهم استعار لفظ المقادم من ريش الطائر وهي عشرة في كل جناح لما سبق وجوبه من طاعة الله وكان اتم عباداته كمعرفته في التوحيد له ولفظ
المناكب وهي اربع ريشات بعد القوادم في كل جناح لذواتهم ووجه المشابهة ان المناكب تالية للقوادم وعلى نظامها وترتيبها لا يخالف صفوفها
ولسنها كذلك الملائكة لا تختلف ذواتهم واجرامهم في نسق ما امر من عبادة ربهم ومعرفته بل صافون لا يخالف بعضهم بعضا في استقامة
طريقهم اليه ولا يخرجون عن نظام ترتيبه لهم في التوجيه اليه كما اشار اليه في الخطبة الاولى وصافون لا يتزايلون وكذلك استعار لفظ الرقاب
ولفظ الثني لم يلتفتوا الى الراحة من تعب العبادة في اوامره والمقصود نفي الاحوال البشرية عنهم من التعب والراحة لكونهما من توابع هذه
الابدان **الثلثون** لا تعدو الى قوله الشهوات قد عرفت معنى الغفلة فيما سبق والبلادة هي طرف التفريط من فضيلة الذكاء وكلاهما من عوارض
هذا البدن وبواسطته وكذلك الشهوات والملئكة السماوية بريئة عنها فلم يجز ان يطرء على قصودهم لما توجهوا له غفلة ولا بلادة حتى يكون
ذلك سببا لاعراضهم عن التوجه فيه ولم يجز ان ترمي الشهوات هممهم بسهام حدائعها ولفظ الانتضال مستعار لنوازع جواذب الشهوة
على النفس الناطقة مع كونها موذية لها ومردية في قرار الجحيم **الحادي والثلثون** قد اتخذوا الى قوله رغبتهم اشار بيوم فاقتهم الى حال حاجتهم
في الاستكمال الى جوده وان كان ذلك دائما فهو ذخرهم الذي اليه يرجعون وكذلك الاشارة بقوله عند انقطاع الخلق الى المخلوقين الى
حال الحاجة ايضا فانه انما يكون ذخرا لهم لرجوعهم اليه فيما يحتاجون وانما يتحقق قصدهم له برغبتهم حال الحاجة اليه **الثاني والثلثون**
لا يقطعون الى قوله ومخافته لما كانت غاية عبادتهم الوصول الى كمال معرفته وكانت درجات المعارف الالهية غير متناهية لم يكن
قطعهم لتلك الغاية ممكنا ولما كانوا اغرقوا في محبته عالمين بكمال عظمته وان ما يرجونه من تمام جوده اشرف المطالب وارجح المكاسب بها
يخشى من انقطاع جوده ونزول حرمانه اعظم المهالك والمعاطب لاجرم دام رجاؤهم له وخضوعهم في رق الحاجة اليه والفزع من حرمانه وكان
ذلك الرجاء والخوف هو مادة استهتارهم بلزوم طاعته التي يرجعون اليها من قلوبهم فلم ينقطع استهتارهم بلزومها **الثالث والثلثون**
لم ينقطع اسباب الشفقة عنهم فينوا في جدهم الشفقة الاسم من الاشفاق اي لم ينقطع اسباب خوفهم له واسباب حاجتهم الى القيام في الوجود الى الاستكمال
بجوده فان الحاجة الغرض وتبر الى الغير مطلوب يستلزم الخوف منه في عدم قضائه فيوجب الاقبال على الاستعداد بجوده بلزوم طاعته وحاجتهم اليه

فيقصروا

دائمة فجدهم في عبادته دائم فالتواني فيه مفقود **الرابع والثلثون** ولم يأسرهم الى قوله اجتهادهم سلب لبعض اوصاف البشر عنهم فان كثيرا من العابدين قد يصرفهم عن الاجتهاد في طاعة الله سبحانه ما يظهر لهم من كمالات الدنيا وزينتها فيؤثرون ما قرب من السعي في تحصيله على ما يستبعدونه من تحصيل السعادة الاخروية الباقية وقد عرفت ان ذلك من جواذب الشهوات والغفلة عما وراء هذه الدار والملئكة منزهون عن الشهوات وما يلزمها من اسر الاطماع الكاذبة لهم ولفظ الاسر استعارة لقود الاطماع الى ما يطمع فيه **الخامس والثلثون** ولم يستعظموا ما مضى من اعمالهم الى قوله وجلهم معنى هذه الشرطية انهم لو استعظموا ذلك لكان رجاؤهم لثواب عبادتهم عظيما فكان لقوته ماحيا لاشفاقهم وخوفهم منه وهذا كما ان الانسان اذا عمل لبعض الملوك عملا يستعظمه فانه يرى في نفسه استحقاقا واتم جزاء له ويجد التطاول بما له عليه فيهون ذلك ما يجده من خوفه وكلما ازداد استعظاما لخدمته ازداد اعتقاده في قربه من الملك قوة ويعتقد ان ذلك ينقص خوفه ويقلل هيبته لكن الملئكة خائفون ابدا كما قال تعالى يخافون ربهم من فوقهم والملئكة من خيفته فينتج انهم لا يستعظمون سالف عبادتهم **السادس والثلثون** ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ الشيطان عليهم اى في اثباته واستحقاقه كمال العبادة وذلك لعدم سلطانه عليهم وهو سلب لبعض احوال البشر وكذلك قوله ولم يفرقهم الى قوله اخياف لهم تنزيه لهم عن امور من عوارض البشر احدها سوء التقاطع وهو كتقاطع المتعادين وتباينهم لما ينشأ عن الغضب والشهوة التابعين للحسد وقد علمت ان الحسد رذيلة نفسانية تنبعث عن البخل والشره ومنبعهما النفس الامارة الثالث تشعب مصارف ريبهم والريب الشكوك والشبه ومصارفها هي الامور الباطلة التي ينصرف اذهانهم اليها عن الشبهة وتلك الشبهة والشكوك انفسها وتشعبها لهم اقسامها بحيث يذهب كل واحد من شبهته الى باطل وقد علمت ان منشأ الشكوك والشبهات هو الوهم والخيال ولما كانوا منزهين عن النفوس الامارة وجب تنزيههم عن هذه الامور الثلثة الرابع لما كان معبودهم واحدا وهو غاية مطلوبهم كانت هممهم فيه واحدة فلم يلتفتوا الى شيء آخر ولم يفرقوا فيها **السابع والثلثون** تنزيههم عن الايمان الى قوله ولا فتورا استعار لفظ الاسر ورشح بذكر الربقة ونزههم عن ان يجذبهم عن الايمان احد الامور الاربعة وقد سبق وجه تنزيههم عنها **الثامن والثلثون** ولبني اطباق السموات الى قوله عظما المراد ان السموات مملوة بالملئكة فبين ساجد لوجه ربه ومن ساع مجد في امره واعلم ان في السماء ملائكة مباشرة لتحريكها وملائكة على رتبة من اولئك هم الآمرون لهم بالتحريك فيشبه ان يكون الاشارة بالساجدين منهم الى الآمرين والسجود كناية عن كمال عبادتهم كناية بالمستعار ويكون الاشارة بالساعين المسرعين الى المتولين التحريك فاما زيادتهم بطول الطاعة علما بربهم فلما ثبت ان حركاتهم انما هو شوقية للتشبه بملئكة اعلى رتبة منهم في كمالهم بالمعارف الالهية وظهور ما في ذواتهم بالقوة الى الفعل وزيادة عزة ربهم عندهم عظما بحسب زيادتهم معرفتهم له نعما تعبدها كما بيناه عليه قيل وبالله التوفيق **منها**

في صفة الارض ودحوها على الماء كبس الارض على مور امواج مستفحلة ولجج بحار زاخرة تلتطم اواذي امواجها وتصطفق متقاذفات اثباجها وترغو زبدا كالفحول عند هياجها فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها وسكن هيج ارتمائه اذ وطئته بكلكلها وذل مستخذيا اذ تمعكت عليه بكواهلها فاصبح بعد اصطخاب امواجه ساجيا مقهورا وفي حكمة الذل منقادا اسيرا وسكنت الارض مدحوة في لجة تياره وردت من نخوة بأوه واعتلائه وشموخ انفه وسمو غلوائه وكعمته على كظة جريته فهمد بعد نزقاته ولبد بعد زيفان وثباته فلما سكن هيج الماء من تحت اكنافها وحمل شواهق الجبال الشمخ على اكتافها فجر ينابيع العيون من عرانين انوفها وفرقها في سهوب بيدها واخاديدها وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها وذوات الشناخيب الشم من صياخيدها فسكنت من الميدان برسوب الجبال في قطع اديمها وتغلغلها متسربة في جوبات خياشيمها وركوبها اعناق سهول الارضين وجراثيمها وفسح بين الجو وبينها واعد الهواء متنسما لساكنها واخرج اليها اهلها على تمام مرافقها ثم لم يدع جرز الارض التي تقصر مياه العيون عن روابيها ولا تجد جداول الانهار ذريعة الى بلوغها حتى انشأ لها ناشئة سحاب تحيي مواتها وتستخرج نباتها الف غمامها بعد افتراق لمعه وتباين قزعه حتى اذا تمخضت لجة المزن فيه والتمع برقه في كففه ولم ينم وميضه في كنهور ربابه ومتراكم سحابه ارسله سحا متداركا قد اسف هيدبه تمريه الجنوب درر اهاضيبه ودفع شآبيبه فلما القت السحاب برك بوانيها وبعاع ما استقلت به من العب المحمول عليها اخرج به من هوامد الارض النبات ومن زعر الجبال الاعشاب فهي تبهج بزينة رياضها وتزدهي بما البسته من ريط ازاهيرها وحلية ما سمطت به من ناضر انوارها وجعل ذلك بلاغا للانام ورزقا للانعام وخرق الفجاج في آفاقها واقام المنار للسالكين على جواد طرقها فلما مهد ارضه وانفذ امره اختار آدم خيرة من خلقه وجعله اول جبلته واسكنه جنته وارغد فيها اكله واوعز اليه فيما نهاه عنه واعلمه ان في الاقدام عليه التعرض لمعصيته والمخاطرة بمنزلته فاقدم على ما نهاه عنه موافاة لسابق علمه فاهبطه بعد التوبة ليعمر ارضه بنسله وليقيم الحجة به على عباده ولم يخلهم بعد ان قبضه مما يؤكد عليهم حجة ربوبيته ويصل بينهم وبين معرفته بل تعاهدهم بالحجج على السن الخيرة من انبيائه ومتحملي ودائع رسالاته قرنا فقرنا حتى تمت بنبينا محمد صلى الله عليه وآله حجته وبلغ المقطع عذره ونذره وقدر الارزاق فكثرها وقللها وقسمها على الضيق والسعة فعدل فيها ليبتلي

ج من اراد بميسورها ومعسورها وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها ثم قرن بسعتها عقابيل فاقتها وبسلامتها طوارق آفاتها وبفرج افراحها غصص اتراحها وخلق الآجال فاطالها وقصرها وقدمها واخرها ووصل بالموت اسبابها وجعله خالجا لاشطانها وقاطعا لمرائر اقرانها عالم السر من ضمائر المضمرين ونجوى المتخافتين وخواطر رجم الظنون وعقد عزيمات اليقين ومسارق ايماض الجفون وما ضمنته اكنان القلوب وغيابات الغيوب وما اصغت لاستراقه مصائخ الاسماع ومصائف الذر ومشاتي الهوام ورجع الحنين من المولهات وهمس الاقدام ومنفسح الثمرة من ولائج غلف الاكمام ومنقمع الوحوش من غيران الجبال واوديتها ومختبأ البعوض بين سوق الاشجار والحيتها ومغرز الاوراق من الافنان ومحط الامشاج من مسارب الاصلاب وناشئة الغيوم ومتلاحمها ودرور قطر السحاب في متراكمها وما تسفي الاعاصير بذيولها وتعفو الامطار بسيولها وعوم نبات الارض في كثبان الرمال ومستقر ذوات الاجنحة بذرى شناخيب الجبال وتغريد ذوات المنطق في دياجير الاوكار وما اوعبته الاصداف وحضنت عليه امواج البحار وما غشيته سدفة ليل او ذر عليه شارق نهار وما اعتقبت عليه اطباق الدياجير وسبحات النور واثر كل خطوة وحس كل حركة ورجع كل كلمة وتحريك كل شفة ومستقر كل نسمة ومثقال كل ذرة وهماهم كل نفس هامة وما عليها من ثمر شجرة او ساقط ورقة او قرارة نطفة او نقاعة دم ومضغة او ناشئة خلق وسلالة لم تلحقه في ذلك كلفة ولا اعترضته في حفظ ما ابتدع من خلقه عارضة ولا اعتورته في تنفيذ الامور وتدابير المخلوقين ملالة ولا فترة بل نفذهم علمه واحصاهم عدده ووسعهم عدله وغمرهم فضله مع تقصيرهم عن كنه ما هو اهله اللهم انت اهل الوصف الجميل والتعداد الكثير ان تؤمل فخير مأمول وان ترج فاكرم مرجو اللهم وقد بسطت لي فيما لا امدح به غيرك ولا اثني به على احد سواك ولا اوجهه الى معادن الخيبة ومواضع الريبة وعدلت بلساني عن مدائح الآدميين والثناء على المربوبين المخلوقين اللهم ولكل مثن على من اثنى عليه مثوبة من جزاء او عارفة من عطاء وقد رجوتك دليلا على ذخائر الرحمة وكنوز المغفرة اللهم وهذا مقام من افردك بالتوحيد الذي هو لك ولم ير مستحقا لهذه المحامد والممادح غيرك وبي فاقة اليك لا يجبر مسكنتها الا فضلك ولا ينعش من خلتها الا منك وجودك فهب لنا في هذا المقام رضاك واغننا عن مد الايدي الى سواك انك على كل شيء قدير **اقول** كبسها اغاصها في الماء بقوة والمور التردد في الحركة ومستفحلة صائلة والتلاطم التراد والاواذي جمع آذي وهو ما عظم من موج البحر والاصطفاق التراد والاثباج جمع ثبج وهو معظمها وعواليها وهيج الفرس اذا غلب صاحبه فلم يملكه والارتماء التقاذف والترادد والكلكل الصدر والمستخذي الخاضع والتمعك التمرغ واصطخاب امواجه غلبتها واصواتها والساجي الساكن والحكمة ما احاط من اللجام بحنك الدابة والدحو البسط والتيار الموج والنخوة الكبر والنزوع والباو الفخر والشمخ بالانف تكبرا والغلواء تجاوز الحد وكعمته سددت فاه والكظة شدة البطنة وهمد سكن وخمد والنزق الخفة والطيش ولبد لصق بالارض ساكنا والزيفان التبختر والبذخ العالية والعرنين اعلى الانف عند ملتقى الحاجبين والسهوب جمع سهب وهو الفلاة الواسعة والبيد جمع بيداء وهي الفلاة ايضا والاخدود الشق في الارض والجلاميد الصخور والشناخيب رؤوس الجبال والشم العالية والصيخود الصخرة الصلبة واديمها سطحها وتغلغله دخوله في اعماقها والتسرب الدخول في السرب والجوبة الفرجة في الارض وجراثيم الارض غالبها وما اجتمع منها والارض الجرز التي لا تنبت بها لانقطاع الماء عنها والروابي ما علا من الارض والقزع قطع السحاب الرقيقة الواحدة قزعة والكفة بالضم ما استطال من السحاب وما استدار فبالكسر والوميض اللمعان والكنهور العظيم من السحاب والرباب الغمام الابيض والسح الصب واسف دنا من الارض لثقله والهيدب ما تهدب منه الى الارض اى تدلى وتمريه تستخرج ما فيه من الماء والدرر جمع درة بالكسر وهي كثرة اللبن وسيلانه والاهاضيب جمع هضاب وهو جمع هضب وهو حلبات القطر بعد القطر والشآبيب جمع شؤبوب وهو الرشقة القوية من المطر والبرك الصدر والبواني ما يلي الصدر من الاضلاع وبعاع السحاب ثقله بالمطر والعب الثقل وجبلة زعراء لا نبت بها وتزدهي تتكبر والريط جمع ريطة وهي الازاهير المنيرة وسمطت زينت بالسمط وهو العقد ومن روى شمطت بالشين المعجمة اراد خلطت والجبلة الخلقة واوعز اليه تقدم اليه والعقابيل بقايا المرض والترح الحزن والغصص الغم والخلج الجذب والانتزاع والاشطان جمع شطن وهي الحبال والمرائر الحبال اللطيفة الفتل والتخافت المسارة والرجم بالظن القول عنه والغيابة ظلمة قعر البئر ومصائخ الاسماع خروقها والاصاخة التسمع والولائج المداخل والاكمام جمع كم بالكسر وهو غلاف الطلع والمنقمع محل الانقماع وهو الارتداع ولحاء الشجرة قشرها والافنان الاغصان والامشاج النطفة المختلطة بالدم وتعفو تمحو وشناخيب الجبال رؤوسها وذراها اعاليها والتغريد تصويت الطائر والدياجير جمع ديجور وهو الظلام والسدفة الظلمة وذر الشارق طلع ورجع الكلمة جوابها والنقاعة نقرة يجتمع فيها الدم واعورته اعاطت به والعارفة المعروف والخلة الفقر وتعشه انهضه من عثرته واعلم ان هذا الفصل يشتمل على فصول **الفصل الاول** في تمجيد الله تعالى باعتبار خلقه للارض في الماء وجملة من احوالها الى قوله جواد طرقها وفيه ابحاث **البحث الاول** في الاستعارات والتشبيهات والمجازات اللفظية **الاول** استعاره

لفظ الكبس لخافه لها غائصًا معظمها في الماء كما يغوص بعض الزق المنفوخ ونحوه بالاعتماد عليه **الثاني** استعارة لفظ الاستفحال للموج
ملاحظة المشابهة مما اشتمل فيه الموج من التخلل من الاضطراب والهيجان والصولة **الثالث** تشبيهه بالفحول ووجه الشبه ما يظهر على رؤس الموج
عند اضطرابه وغليانه من رغوة الزبد كما يظهر من فم الفحل عند هياجه **الرابع** استعار لفظ الجماح لحركة الماء على غير نسق واضطراب
لا يملك معه تصريفه كما يجمح الفرس **الخامس** استعار أوصاف لبنائه من الكلكل والكاهل للأرض ورشح ذلك لاستعارة بالوطى
والمعك وانما خص الصدر والكاهل لقوتهما وكنى بالمجوع عن الخافه بالنافر **السادس** استعار للماء لفظ الاستخذاء والقهر ولفظ
الحكمة والانقياد والاسر وكنى بها عن الحافه جبنًا بعد ما كان كالفرس الجموح والانقياد والاسر وكنى بها الى الذل والصغار
ما سبب السبب **السابع** استعار لفظ النخوة والبأو وشموخ الانف والعلواء والنزق والزيفان والوثبات للماء في هيجانه
واضطرابه ملاحظة لتشبيهه بالانسان المتجبر المتباهي في حركاته لموزنته بتكبره وزهوه **الثامن** استعار لفظ الاكناف للارض
المشابهة كون الارض محلا لحمل ما يثقل من الجبال كما ان كتف الانسان وغيره محل لحمل الاثقال **التاسع** استعار لفظ العرنين
والانف لاعالي رؤس الجبال كناية عن الحاقها بالانسان **العاشر** كنى بالتغلغل والتسرب عما يتوهم من نفوذ الجبال في الارض
وغوصها فيها واستعار لفظ الخياشيم لتلك الاسراب ثم ما جعل للجبال انوفا جعل تلك الاسراب المتوهمة في الجبال خياشيم
الحادي عشر استعار لفظ الركوب للجبال والاعناق للارض كناية عن الحاقها بالقاهر والمقهور **الثاني عشر** استعار لفظ
الوحدان والذريعة للجبل كناية عن الحاقها بالانسان العظيم الوسيلة الى مطلوبه **الثالث عشر** الضميران في تغلغلها
وركوبها للجبال والضمير في خياشيمها يعود الى الارض وباقي الضمائر ظاهر **الرابع عشر** تجوز في اسناد لفظ الهبا
والاستخراج الى السحاب ذا المخرج هو الله تعالى **الخامس عشر** كنى بعدم النوم عن عدم الخفاء ووميض البرق في السحاب كناية بالنشاط
السادس عشر استعار لفظ الهدب لقطرات المطر المتصلة يتلو بعضها بعضا ملاحظة لشبهها بالخيوط المتدلية **السابع
عشر** استعار لفظ الدرر والاهاضيب وهي الحلبات للغمام كناية عن الحاقها بالناقة **الثامن عشر** اسند المري الى الجنوب مجازا
اولانها سببه ما في نزول الغيث وانما خص الجنوب لانها في اكثر البلاد حارة رطبة اما الحرارة فلانها تاتي من الجهة المسخنة
بمقارنة الشمس واما الرطوبة فلان البحار اكثرها جنوبية والشمس تفعل فيها بقوتها وتبخر عنها ابخرة تخالط الرياح واذا كان كذلك كانت
الجنوب اولى بالذكر من وجهين احدهما انها اكثر استصحابا للابخرة فلذلك كان السحاب اكثر انعقادا معها ومصاحبة لها الثاني انها
لحرارتها تفتح المسام ولرطوبتها ترخي فكان ذرور المطر عنها اكثر **التاسع عشر** استعار لفظ البرك لبواني السحاب ونسبة
الالقاء كناية عن الحاقه بالجمل الذي اثقله الحمل فرمى بصدره الى الارض نسب الابتهاج والازدهاء والتجلي الى الارض وذات الازاهير مجازا
ملاحظة لشبهها بالمرأة المبتهجة بما عليها من فاخر الملبوس وجميل الثياب **البحث الثاني** ان مقتضى الكلام ان الله خلق الماء قبل
الارض ثم دحاها فيه وسكن بها مستفحل امواجه وهذا مما يشهد به البرهان العقلي فان الماء لما كان حاويا لاكثر الارض كان سطحه
الباطن المماس لسطحها الظاهر مكانا لها وظاهر ان للمكان تقدما باعتبار ما على المتمكن فيه وان كان اللفظ يعطي تقدم خلق الماء على
خلق الارض تقدما زمانيا كما هو المقبول عند السامعين **البحث الثالث** انه اشير الى كونها مدحوة في القرآن الكريم ايضا والارض
بعد ذلك دحيها مع ان الارض كرة كما ثبت بيانه في علم الهيئة فلا بد من التأويل وقد بينا التأويل في قوله اللهم داحي المدحوات وقد
ورد في الخبر ان الارض دحيت من تحت الكعبة قال بعض العارفين الاشارة بالكعبة الى كعبة وجود واجب الوجود التي هي مقصد وجوه
المخلصين التي جعلت هذه الكعبة في عالم الشهادة مثالا لها ونحوها من تحتها عبارة عن وجودها عن ذلك المبدأ **البحث الرابع**
الاشارة الى خلق الجبال فيها وكونها سببا لسكونها وللناس في تكوين ما تكون من الجبال فيها وجوه احدها انه قد يكون عن تجارب
ميلها الثاني قد يكون عن زلزلة فصلت قطعة على ناحية فارتفعت الثالث قد تكون عن رياح جمعت بهبوبها ترابا فتراكم وعلا الرابع
قد تكون لعمارات تراكمت فخربت فاما كونها اسبابا لسكون الارض فقد سبقت الاشارة اليه في الخطبة الاولى واعلم ان البرهان
مطابق على الشهادة بسكونها كما اشير اليه في مظانه **البحث الخامس** في تفجيره ينابيع العيون في الجبال وغيرها وقد اشار
العلماء الى سببه فقالوا ان الادخنة والابخرة ما يحتبس منها تحت الارض وفيه ثقب وفرج فيها هواء او بخار ومياه فقد تبرد
الابخرة والهواء فيصيرها ماء فما له قوة ومدد ينفجر عيونا ويجري على الولاء لعدم مدخل الهواء بين الخارج وما يتصل به ويتبعه
وما لا مدد له من العيون يركد وما له مدد الا ان اجزاءه مبددة والارض واهية لا تحتاج الى مقاومة تحصل منه القنوات
وماء الشرايع من قبيل ما له مدد لكنه لم يجد سبيلا الى احد الجوانب لعدم رخاوة ارضه بخلاف القنوات وانما خص الجبال
بتفجير العيون منها لان العيون اكثر ما تتفجر من الجبال والاماكن لم تنفعه وذلك لشدة احتقان الابخرة تحتها ... النسبة الى سائر
الاماكن لهابطة الرخوة فان الارض اذا كانت رخوة نفضت البخار عنها فلا يكاد يجتمع منه قدر ما يعتد به ولان هذا التخصيص دل
منه

على حكمة الصانع وعنايته بالخلق وهو في معرض تمجيده وتعظيمه لانه **البحث السادس** انه اعد الهواء لساكنها واعلم انه سبحانه كما جعل
الهواء عنصرا لابدان الحيوان وارواحه لبدنية كذلك جعله مددا يصل الى الارواح ويكون علة لصلاحها وبقائها بالتعديل وذلك
التعديل يكون بفعلين احدهما الترويح والثاني التنقية اما الترويح فهو تعديل مزاج الروح الحار اذا افرط بالاحتقان في الاكثر فان الهواء
الذي يحيط بنا ابرد بكثير من ذلك المزاج فاذا وصل اليه باستنشاق الرية ومن مسام منافس النبض وصدمه وخالطه منعه عن الاستحالة
الى التاثير الاحتقانية المؤدية الى سوء مزاج يزول به عن الاستعداد لقبول التاثير النفساني الذي هو سبب الحياة واما التنقية فهي
باستصحابه عند رد النفس لما سلمته اليه القوة المميزة من البخار الدخاني الذي نسبته الى الروح نسبة الخلط الفضلي الى البدن كما
ان التعديل هو بورود الهواء على الروح عند الاستنشاق فالتنقية بصدوره عنه عند رد النفس وذلك ان الهواء المستنشق انما
يحتاج اليه في تعديله اول وروده لكونه باردا بالفعل فاذا استحال الى كيفية الروح بالتسخين لطول مكثه بطلت فائدته فاستغني
عنه واحتيج الى هواء جديد يدخل ويقوم مقامه فدعت الضرورة الى اخراجه لاخلاء المكان لمعاقبه وليندفع معه فضول جوهر الروح
فهذا معنى قوله عليه السلام واعد الهواء متنسما لساكنها واعلم ان اعداده لتنفس الحيوان اعم مما ذكرنا فانه ايضا معد لنشأة الامزجة المعدنية والنباتية
والحيوانية التي يحتاج الانسان في بقائه اليها وكونه عنصر الحياة ومعتبرا في بقائها وعند ملاحظة هذه المنافع عن الهواء يظهر سر
اثر نعمة الله به **البحث السابع** في اخراجه تعالى اهل الارض اليها بعد تمام مرافقها كما قال تعالى والارض مددناها والقينا فيها رواسي
وانبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين والاشارة باهلها المخرجين اليها آدم واعلم ان اول
انعامه بها ان جعلها قرارا لهم صالحا للسكنى عليها كما قال تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا ولكونها فراشا شرائط **احدها** ان تكون
ساكنة ليصح الاستقرار عليها والتصرف فيها بحسب الاختيار وموافقة الصلاح دون كونها متحركة **الثاني** ان تكون خارجة من الماء
وذلك ان الانسان وغيره من الحيوان البرية لا يمكنه ان يعيش في الماء فاقتضت عناية الحق سبحانه بالحيوان ابراز بعضها من الماء
ليعيش فيه فيستقر عليه **الثالث** ان لا يكون في الغاية الصلابة كالحجر والا لكان النوم والمشي عليها مؤلما وايضا لم يكن
لينبت فيها انواع النبات والاشجار وايضا لكانت تسخن في الصيف كثيرا وتبرد كثيرا في الشتاء فما كانت تصلح لسكنى الحيوان
كان يتعذر حفرها وتركيب بعضها ببعض **الرابع** ان لا يكون في غاية الرخاوة كالماء وغيره من المايعات التي يغوص فيها
الانسان **الخامس** انه سبحانه لم يخلقها في غاية الشفافية واللطافة فانها ان كانت مع ذلك جسما سيالا كالهواء لم تتمكن
من الاستقرار عليه وان كان جسما ثابتا صقيلا براقا احترق الحيوان وما عليها بسبب انعكاس اشعة الشمس عليها كما يحترق القطن
اذا قرب من المرايا المحاذية للشمس والبلور ولكنه خلقها غبراء ليستقر النور على وجهها فيحصل فيها نوع من التسخين وجعلها كثيفة
لئلا ينعكس الاشعة منها على ما فيها فتحرقه فصارت معتدلة في الحر والبرد تصلح ان تكون فراشا ومسكنا للحيوان **المنفعة الثانية** خلق الجبال
فيها وتفجيرها بالماء كما سبقت الاشارة اليه **المنفعة الثالثة** ما يتولد فيها من المعادن والنبات والحيوان وفي انواع كل
من هذه الموجودات واختلاف اصنافه والوانه وروائحه وطعومه ولينه وصلابته وملاسته وخشونته ما لا يحصى من المنافع التي
يحتاج اليها الانسان في بقائه وصلاح حاله **المنفعة الرابعة** كونها اصلا لبدن الانسان وذلك ان الماء لرقته ورطوبته
لا يحفظ التشكل والتصور فاذا خلط بالتراب حصل له قوام واستمساك وحصل قبول الاشكال والتخطيط كما قال تعالى اني خالق
بشرا من طين **المنفعة الخامسة** قبولها تحيى بعد الموت كما قال تعالى واية لهم الارض الميتة احييناها **البحث الثامن**
في تمجيده تعالى باعتبار انشائه للسحاب البرق والنظر في وجه الحكمة فيه وفي ايصاله وفي حبوة الارض به اما وجه الحكمة في
انشائه فكونه مادة لما ينبت في الارض الجرز مما هو قوام بدن الحيوان وغذاء له كما اشار اليه تعالى بقوله ثم لم يدع جرز الارض التي
تقصر مياه العيون والانهار عنها ولا تجد جداول الارض ذريعة الى بلوغها الى قوله وجعل ذلك بلاغا للانام ورزقا للانعام
ونحوه قوله تعالى اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون **البحث التاسع**
في تمجيده باعتبار تخديده للفجاج في آفاقها اي الطرق والسعة في نواحيها كما قال تعالى وجعل لكم فيها فجاجا سبلا لعلكم تهتدون
ثم باعتبار اقامته المنار للسالكين فيها والاشارة بالمنار اما الى النجوم كما قال تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون او الى الجبال **الفصل
الثاني** في تمجيده تعالى باعتبار خلقه لآدم واختياره له واتمام نعمته عليه ومقابلته بالعصيان وعفوه بعد عصيانه بقبول توبته واهباطه الى الارض
واكرام ذريته بعده ببعثة الانبياء منهم واليهم وقسمته بينهم معايشهم وآجالهم بالقلة والكثرة وابتلائهم بذلك وهو من قوله فلما مهد
ارضه وانفذ امره الى قوله تعالى قاطعا لمرائر اقرانها واعلم ان الكلام في قصة آدم عليه السلام قد سبق في الخطبة الاولى مستوفى فلا نعيده غير ان
في هذا الكلام فوائد **الفائدة الاولى** معنى قوله مهد ارضه اي جعلها مهادا كقوله تعالى الم نجعل الارض مهادا وجعلها مهدا كقوله
تعالى جعل لكم الارض مهدا وعلى التقديرين الاول والثاني انه لما خلقها بحيث يسهل على العباد ان يتصرفوا فيها بالقعود والقيام والزراعة

وسائر جهات المقعد وانفذ امره في خلق آدم خلقه بعد ذلك وعلى التقدير الثاني يكون لفظ المهد استعارة لها ملاحظة لتشبيهها بمهد الصبي في كونه محل الراحة والنوم **الفائدة الثانية** قوله وانفذ امره اي في ايجاد مخلوقاته وانما هنا الحكم على العالم بالتمام باحتيائه نوع الانسان الذي هو تمام دائرة الوجود فقال له كن فكان **الفائدة الثالثة** قوله خيرة من خلقه نصب على الحال ويحتمل النصب على المصدر فهذا كونه خيرة الله من خلقه قوله تعم ان الله اصطفى آدم وقوله ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا وبيان هذا التكريم من وجهين احدهما قال ابو يزيد البسطامي ان انواع كرامات الله تعم في حق البشر عن ممن هنا هنية كما قال تعم وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها هذا على سبيل الاجمال اما التفصيل فمن وجوه **الاول** انه سبحانه يمطر كل ساعة على المتوكلين مطر الكفاية كما قال تعم ومن يتوكل على الله فهو حسبه **الثاني** انه يمطر كل ساعة على المطيعين مطر المودة كما قال تعم سيجعل لهم الرحمن ودا **الثالث** انه يمطر على المجتهدين مطر الهداية كما قال تعم والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا **الرابع** انه يمطر على الشاكرين مطر الزيادة كما قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم **الخامس** انه يمطر على المتذكرين مطر البصيرة كما قال تعم ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون الثاني ان التكريم لآدم عم وذريته اما باحوال داخلة في الانسان او خارجة عنه والداخلة فيه اما بدنية او غيرها اما البدنية التي اكرم بها فامور **الاول** الصورة الحسنة كما قال تعم وصوركم فاحسن صوركم **الثاني** حسن القامة والتعديل كما قال تعم لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وذلك ان الشيء كلما كان اكثر علوا وارتفاعا كان اشرف في نوعه فان احسن الاشجار اعلاها امتدادا **الثالث** انه اكرمه بتمكينه من القيام والقعود والاستلقاء والانبطاح والاضطجاع وذلك انه تعم ركب الخلق على اصناف فبعضها ما يشبه القائمين كالاشجار وبعضها ما يشبه الراكعين كالبهائم وبعضها ما يشبه الساجدين كالحشرات التي تدب على وجوهها وبطونها ومنها ما يشبه القاعدين كالجبال ثم انه سبحانه خلق الانسان قادرا على جميع هذه الهيئات ومكنه من ذكره على جميع هذه الاحوال كما قال تعم الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم واما الاحوال التي اكرم بها غير بدنية فامور احدها الروح التي هي محل العلم باشرف الموجودات ومبدئها وهو الله تعم كما قال ونفخت فيه من روحي وشرفه باضافته روحه اليه وبهذا التشريف تميز عن سائر الموجودات في هذا العالم الثاني العقل وشرفه من وجوه **الاول** روي ان الله تعم اوحى الى داود ع اذا رأيت عاقلا فكن له خادما **الثاني** قول الرسول صلعم اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك آخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب واعلم ان للعقل بداية ونهاية وكلاهما يسميان عقلا اما الاول فهو القوة المهيئة للعلوم الكلية الضرورية كما للطفل وهو المشار اليه بقول النبي صلعم الثاني العقل المستفاد وهو المشار اليه بقوله صلعم لعلي ع اذا تقرب الناس الى خالقهم بابواب البر فتقرب انت اليه بعقلك تسبقهم بالدرجات والزلفى عند الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة **الثالث** العلم والحكمة التي هي ثمرة العقل كما قال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب وسماه حيوة ونورا فقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واما التكريم الخارجة عنه فامور **احدها** انه خلق ما سواه منفعة له فقال هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فرش الارض وجعل السماء سقفا محفوظا وجعل ما اخرج من الارض رزقا وما ارسله من السحاب من مائه مادة لذلك كما قال تعم وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار واكرمه بخلق الشمس والقمر والنجوم كما قال وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وقوله وجعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وقال ولتعلموا عدد السنين والحساب واكرمه بخلق الانعام فجعل منها غذاءه وملبوسه وراحته وجماله وزينته فقال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون الى قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون **الثاني** روي عن امير المؤمنين ع في تفسير قوله تعم ولقد كرمنا بني آدم قال بالدعوة الى الجنة كما قال والله يدعوا الى دار السلام **الثالث** انه اكرمهم بتخيير قلوبهم لمعرفته والسنتهم لشهادته وابدانهم لخدمته فشرفهم بتكليفه وبعثة الانبياء اليهم من انفسهم كما قال تعم لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ثم جعل آدم والانبياء من ذريته اكرم عباده لديه بحبائهم بالنبوة والرسالة كما قال تعم ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض ثم فضل اولي العزم منهم فقال واصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ثم فضل بعضهم على بعض وهو الخليل والكليم والروح والحبيب فقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس ثم فضل محمدا صلعم على الكل فقال وكان فضل الله عليك عظيما وجعله غاية طينتهم وخاتمهم كما قال ولكن رسول الله وخاتم النبيين **الفائدة الرابعة** قوله وجعله اول جبلته اشارة الى ان آدم اول شخص تكون في الوجود من نوع الانسان وقوله والخاطرة بمنزلة اي عند الله وكونه مستحقا للقرب منه وقوله موافاة لسابق علمه اشارة الى ان وقوعه في الوجود بعد عن ضابط القلم والقضاء الالهي السابق **الفائدة الخامسة** قوله فاهبطه بعد التوبة من قال ان المراد بآدم نوع النفوس البشرية وقد بينا انه حادث والشخص الاول منها

قال انّ

قال ان التوبة قبل الاهباط هي التوبة بالقوة المعلومة لله من قضائه وولادة اولاد آدم التائبين الذين اهبطت نفوسهم من درجات عرفانه والتفات وجوههم الى عمارة الارض والاشتغال بالحرث والنسل والانبياء عليهم السلم يرجعون عن المباحات الى ما هو الاولى والاهم من عبادة الله وملاحظة انوار كبريائه ويعدون ما رجعوا عنه ذنوبا ورجوعهم عنه توبة كما قال النبي صلعم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة وليس ذلك المستغفر منه الا الاشتغال عنه بتدبير امور الارض وعمارتها واشتغاله به عن الخلوة بالله واستشراق انواره قدس سره **الفائدة السادسة** قوله ولتقيم الحجة به على عباده الذين بعث ثم حجة عليهم اي اولاده الموجودين في زمانه والمنقول انه مات عن اربعين ولدا او من بلغته سنته منهم بعده وفائدة المنقول ان الله تعم انزل من الاحكام تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف المعجم في احد وعشرين ورقة وهو اول كتاب كان في الدنيا اجرى الله عليه الالسنة كلها **الفائدة السابعة** قوله ولم يخلهم بعده فيما يؤكد عليهم حجة ربوبيته اي من حجة ربوبيته قائمة عليهم في كيفية تخليقهم وخلق ما يستدلون عليه من صنعه كما قال تعم سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق الآية وغيرها من الآيات وانما يكون بعثة الانبياء مؤكدة لتلك الحجج مذكرة للغافلين عنها بها ومنبهة على وجودها وموصلة بينهم وبين معرفتها بما جاءت به من الكتب المنزلة والسنن بالترغيب وقوله بلغ المقطع عذره ونذره اي اعذاره الى الخلق وانذاره لهم بلغ الغاية ومقطع كل شيء غايته **الفائدة الثامنة** تقدير الله ارزاقهم بقسمتها واعطاء كل مخلوق ما كتب له في اللوح المحفوظ منها من قليل وكثير وضيق وواسع ومتيسر ومتعسر ومعاقبة الاضداد عليهم من تنغيص سعة الغنى بلواحق الفقر والفاقة كما قال ويلهما الانسان في ملكه اصبح محتاجا الى الفلس وكذلك الحاقه السلامة في النعم بطوارق الآفات من غرق او حرق او غصب ظالم وغلب غاشم وكذلك سعة الارزاق وفرج افراحها وتكديرها بغصص احزانها واتراحها ثم خلقة الآجال مختلفة بالطول والقصر والتقدم والتأخر **الفائدة التاسعة** تقديره للموت متصلا باسبابها ولما كان الاجل عبارة عن وقت ضرورة الموت وكانت اسباب حلول تلك الآفات هي بعض الامراض او القتل مثلا لاجرم صدق ان الموت الذي هو عبارة عن مفارقة الارواح لاجسادها متصلا بتلك الاسباب واستعار لفظ الخلج وهو الجذب للموت ورشح بذكر الاشطان ووجه المشابهة ما يستلزم الموت من قرب الاجل كما يستلزم الجاذب من قرب المجذوب اليه فقد دل الموت جاذبا للاجل بالحبال كما يجذب بها الانسان ما يريد ولما كونه قاطعا لمرائر اقرانها فاستعار لهم لفظ المرائر الاسباب العلاقة بين اقران الآجال وهم المتقاربون في الزمان الواحد الذي يتصل بهم الاجل فتلك الاسباب كالصداقة والاخوة وسائر اسباب العلاقة بين الناس وذكر كونه قاطعا لتلك المرائر **الفائدة العاشرة** انه عم جعل منه الله تعم للارزاق وتقديرها بالكثرة والقلة والضيق والسعة صورة ابتلاء من الله للشكر من الاغنياء والصبر من الفقراء وقد اشار في قوله الا ان الدنيا دار لا يسلم منها الا فيها الى ان المراد بالابتلاء من الله معاملته تعم لعباده معاملة المبتلين المختبرين لانه سبحانه عالم الخفيات والسرائر لا يفوته شيء في حقه الاختبار حقيقة الا انا نريد ههنا بيانا فنقول ان العبد اذا تمكن في خاطره ان ما يفعله الله من افاضة نعمه عليه وحرمانه لها ابتلاء لشكره او صبره فشكر او صبر حصل من شكره او صبره على ملكات فاضلة في نفسه فيستعد بها لمزيد الكمال وتمام النعمة كما قال تعم لئن شكرتم لازيدنكم وقال وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون واما التحقيق في امثال هذه الفتنة من ضيق رزق وسعة او طول اجل او قصره ومعاقبة شدة لرخاء وحزن لفرح فهو ان لكل واحد من هذه الامور اسباب قد تخفى على من تعرض له ولا بد من انتهائها الى قضاء الله فما عد منها خيرا فهو داخل في الارادة الكلية للخير المطلق بالذات وما عد منها شرا فداخل في القضاء الالهي بالعرض كما علم ذلك في مظانه وبالله التوفيق **الفصل الثالث** في تمجيده سبحانه باعتبار كونه عالما بالاشياء وعد من جزئياتها جملة هي من قوله عالم السر من ضمائر المضمرين الى قوله او ما شئت من خلق وسلالة ولنشر الى ما عساه يشكل من الفاظه **الاول** خواطر رجم الظنون لما كان الخاطر الظني للانسان يتعلق بمظنون لا محالة بعد ان لم يكن اشبه تعلقه بالرجم وهو الرمي بالحجر ونحوه فاستعير لفظه له وانما خص الظن بذلك دون العلم لان اكثرها بالظن ما لا يجوز ظنا غير مطابق كما يظن بعض الناس ما يقبح منه ويصل اليه بسببه اذى وان لم يكن صدقا فكان اشبه الاشياء برميه بالحجر المستلزم للاذاه **الثاني** عقد عزيمات اليقين ما انعقد في النفس من العزم عن يقين **الثالث** ومسارق ايماض الجفون لما اشبه شعاع البصر البرق في وميضه واختفائه عند فتح الجفون وطبقها استعار لفظ الوميض له ولفظ المسارق لمخارجه **الرابع** استعار لفظ الاكنان للقلوب بالنسبة الى ما اخفته من الاسرار ولفظ الغيابات للغيوب ووجه المشابهة كون القلوب حافظة كالبيوت وكون الظلمات مانعة من ادراك المبصرات كما تمنع الغيوب ذلك ما فيها **الخامس** مصائف الذر ومشاتي الهوام بيوتها واشرها الصيفية والشتوية من بطن الارض لو اوتيه لها حر الصيف وبرد الشتاء ورجع الحنين من المولهات ترديد صوت الثكلى في بكائها وحنينها الى من تفقده **السادس** ولائج غلف الاكمام انما حسنت الاضافة هنا لان كل كم غلاف ولا ينعكس فجاز تخصيص العام بالاضافة الى بعض جزئياته **السابع** محط الامشاج محل نزول النطف من الاصلاب ومسار بها وهي الاوعية التي تنتشر فيها المني والاخلاط التي تتولد عنها **الثامن** وما نشئ الاعنها

قبل م
التشعير ن
الوميض

بد بولها اي ما تثيره وتذروه من التراب واستعار لفظ الذيول لما اخذ الارض منها **التاسع** استعار لفظ العوم لدخولها وفي النبات في
نواحي الارض لملاحظة شبهها بالماء ودوي نبات الارض ينفذ كباء وهي الهوام التي تنشأ في الرمل وتغوص فيه وتشبه الحلكة وهي دويبة
كالعظاءة دون الشبر صفراء ملساء تستعملها العرب للسمنة وكنوع من الحيات وغيرها **العاشر** ونحوه وفات المنطق استعار لفظ المنطق
للطير وجبل الشاهقات مدلول نعم ما معلوم لله فاشبه النطق المفيد من الانسان **الحادي عشر** ما ادعت الاصداف كاللؤلؤ
والمرجان وما حضنت عليه امواج البحار من لؤلؤ وحيوان وغيرهما لفظ الحضن مستعار للامواج ملاحظة لشبهها بالحواضن في انطباقها
على البيض والفراخ **الثاني عشر** سبحان النور ما تنزه منه عن كدر الظلمة ولفظ النور مستعار لمعارف جلال الله والضمير في قوله
عليها يرجع الى الارض وقراره النطفة مستقرها من الارحام ولفظ النقامة استعارة لمحل الحيض ودم المضغة الولد في بعض اطوار خلقته
كما عرفناه قبل وناشئة الخلق ما نشأ من مخلوقاته **الثالث عشر** لم يلحقه في ذلك كلفة الى قوله ولا فترة الكلفة كون الفعل
مستلزما لفاعله نوع مشقة وتلك المشقة اما لضعف قوة الفاعل او ضعف آلته او قصور علمه عن تصور ما يفعل والبارئ تعالى منزه
عن هذه الامور لا يستلزمها الحاجة وكل العارضة من عوارض موانع العلوم ونفوذها يستلزم وجود المقام والمثل وقد نزه تقدس
الحق عنهما واما الملالة فالمفهوم انصراف النفس عن الفعل بسبب تحلل الارواح الدماغية وضعفها عن العمل والعوارض اخر لها وقد
علمت انها من لواحق الاجسام وكذلك الفترة والباري منزه عنها **الرابع عشر** قوله بل نفذهم علمه الى قوله وعزهم فضله اثبت
كل واحدة من هذه القرائن الاربع مقابلة للاربع التي نفاها فنفاذ علمه فيهم مقابل لما نفاه من لحوق الكلفة في علمه بهم ومنه
بعده مقابل للاعراض العارضة في حفظ خلقه ووسع عدله لهم مقابل لنفي عنوان الملالة في تنفيذ اموره وتأتيه مخلوقاته
اذ كان معنى عدله فيهم وضعه لكل موجود في مرتبته وهبته له ما يستحقه من زيادة ونقصان مضبوطا بنظام الحكمة واعتراض الملالة
سبب لاختلال نظام الفعل وقوله وعزهم فضله مقابل لنفي الفترة فان فتور الفاعل عن الفعل مانع عن تتمة فعله وتمام وجوده
وقوله مع تقصيرهم عن كنه ما هو اهله تنبيه على حقارة عبادتهم في جنب عظمته واستحقاقه لما هو اهله لئلا يدم شكرهم وثناؤهم
ولا يستكثروا شيئا من طاعاتهم وبالله التوفيق **الفصل الرابع** في تمجيده خطابا له ودعاء وطلبا لجزاء ما سبق من ثنائه
بعد بالاوصاف الجميلة وهو رضاه عنه واغناؤه عن غيره وفيه اشارات **الاولى** قوله انت اهل الوصف الجميل والتعداد الكثير
الى انه تعالى بحسب استحقاقه الوصف باشرف طرفي النقيض كان اهل الوصف الجميل وباعتبار تعدد ثنائه وحمده بالنظر الى كل جزئي من
جزئيات نعمه هو اهل التعداد الكثير **الثانية** وقد بسطت لي فيما لا امدح به غيرك ولا اثني به على احد سواك اشارة الى ذنه
له في شكره والثناء عليه بالاوصاف الجميلة التي لا يستحقها حقيقة الا هو ولا ينبغي الا هو ان تطلق الا له ومعنى هذا الاذن ما الهام
حسن شكر المنعم ومدحه واذ لا منعم في الحقيقة الا هو فلا يستحق التمجيد المطلق الا هو ومخاطبته له بايجاب الشكر كقوله نعم واشكروا لله
ان كنتم اياه تعبدون وفي قوله نعم ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقوله وسبحوه بكرة واصيلا واستعار لفظ المعادن — وبالتسبيح
للخلق ووجه المشابهة ان معدن الشيء كما انه مظنة المطلوب منها كذلك الخلق ارباب النعم الفائتة مظان خيبة طالبها من ايديهم وحرمانها
وكذلك مواضع الريبة اي الشك في منعهم وعطائهم لها ولذلك فسره بقوله وعدلت بلسانا عن مدائح الادميين والثناء على المربوبين
المخلوقين **الثالثة** قوله دليلا نصب على الحال او المفعول والمراد برجائه اني على ذخائر الرحمة ورجاؤه ان يتوقف هدايته الى وجوه
الاستعداد الى رحمته وبشره عليه بشبه للالتفات لنه عن كل خاطر سواه فان كل خاطر سوى الحق سبحانه ذنب في حق مثله عليه السلام
ولفظ الذخيرة والكنوز مستعاران لجوده **الرابعة** قوله هذا مقام من افردك بالتوحيد اشارة الى مقامه بين يديه بهذا الذكر والتوحيد
وهو توطئة لذكر مطلوبه واستنزال رحمة الله ثم قال وبي فاقة اليك قد كرر حيرا استحقاقه لجوده اولا وحضرت بذلك الفاقة على فضله
اذ لم تكن فاقته امر يسوى بمكن المخلوقين لا يأتيان به ثم ارد فيه بذكر مطلوبه وهو رضا الله واغناؤه عن سواه وظاهر حصولها مستلزم لما
رجاء الله دليلا عليه من ذخائر رحمته وكنوز مغفرته وبالله العصمة والتوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما اريد على البيعة بعد
قتل عثمان دعوني والتمسوا غيري فانا مستقبلون امرا له وجوه والوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول وان الآفاق قد
اغامت والمحجة قد تنكرت واعلموا اني ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم ولم اصغ الى قول القائل وعتب العاتب وان تركتموني فانا
كاحدكم ولعلي اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه امركم وانا لكم وزيرا خير لكم مني اميرا **اقول** حاصل هذا الفصل انه لا بد
لكل مطلوب على امر من تعز زمينه وتمنع والحكمة في ذلك ان الطالب له يكون بذلك راغب فيما يطلبه فان الطبع حريص على ما منع سريع النفرة
عما سورع الى اجابته فيه فاراد عليه السلام التمنع عليهم لتقوى رغبتهم اليه فانه لم يصل اليه هذا الامر الا بعد اضطراب في الدين في قتل عثمان والجراءة
على الله فاحتاج في تقويم الخلق وردهم الى قواعد الحق ان يزدادوا فيه رغبة بهذا الكلام ومثله فقال دعوني والتمسوا غيري لانه
انه يعلم بعد هذا التمنع على ان هاهنا امورا مختلفة يريدان ينكرها عليهم ويقاوم بعضهم ببعض ويحملهم على الصلاح

١٦ ج

استقباله الملك للامور الصعبة علة لاستقالته من هذا الامر فقال فانا مستقبلون امرا له وجوه والوان لا تقوم له القلوب ولا تصبر
ولا تثبت عليه العقول بل تنكره وتاباه لمخالفته الشريعة ومضادته لنظام العالم وذلك الامر هو ما كان يعلمه من اختلاف الناس
عليه بعضهم ببعض من الانا وبلائه الفاسدة والشبهات الباطلة كنهم معوية واهل البصرة لدم عثمن وكقول الخوارج عليه في الرضا
بالتحكيم ونحو ذلك وهو المكنى عنه بالوجوه والالوان كناية بالاستعارة وقوله وان الافاق قد غامت والمحجة قد تنكرت استعار لفظ الغيم
لما غشي آفاق البلاد وافطار القلوب لتغيره العارضة على الفساد من ظلمات الظلم والجهل ووجه المشابهة ما يستلزمه هذه الظلمات
من توقع نزول الشرور منها كما يتوقع نزول المطر والصواعق من الغيم واشار بالمحجة الى واضح طريق الشريعة ونكرها جهل الناس بها وعدم
سلوكهم لها وقوله واعلموا الى قوله عتب العاتب لما تمنع عليهم وعلم صدق رغبتهم فيه شرع في تقرير ما يريد ان يفعله تقريرا لما عليهم
مع تمنع دونها الاول فاعلمهم انه على تقدير اجابتهم الى هذا الامر لا يركب بهم الا ما يعلم من امر الشريعة ولا يصغي الى قول قائل خالف امر الله
لتبتغي هواه ولا عتب عاتب عليه في انه لم يفضله او لم يرضه بما يخالف ما يعلم من الشريعة اذ القائل والعاتب في ذلك مفتر على الله وعاتب
عليه ولقد وفى عليه السلام بما وعدهم به من ذلك كما سنذكره في قصة اخيه عقيل لما استماحه صاعا من بر او شعير حتى لحد يده وقربها اليه
فان عقيل فقال له ثكلتك الثواكل أتئن من حديدة احماها انسانها للعبه ولا تئن من نار احماها جبارها لغضبه ولفظ الركوب مستعار
لاستوائه على ما يعلم وقوله وان تركتموني الى آخره اي كنت كاحدكم في الطاعة لاميركم بل لعلي اكون اطوعكم له اي لقوة علمه بوجوب طاعة
الامام وانما قال لعلي لانه على تقدير ان يولوا احدا يخالف امر الله لا يكون اطوعهم له بل اعصاهم واحتمال تولينهم لمن هو كذلك قائم فاحتمال
طاعته وعدم طاعته له قائم فحسن ايراد لعل والواو في قوله وانا للحال ووزيرا واميرا حالان والعامل ما تعلق به الجار والمجرور واراد
الوزير اللغوي وهو المعين والظهير الحامل لوزر من يظاهره وثقله وظاهر انه عليه السلام كان وزير المسلمين وعضدهم والخيرية هاهنا تعود
الى سهولة الحال عليهم في امر الدنيا فانه اذا كان اميرهم حملهم على ما نكره طباعهم من المصابرة في الحروب والتسوية في العطايا ومنعهم ما يطلبونه
مما فيه للشريعة ادنى منع ولا كذلك اذا كان وزيرهم فان خطأ الوزير ليس الا المشورة والراي الصالح والمعاضدة في الحروب وقد يخالف في رايه
حيث لا يتمكن من الزام العمل به وانما كان هذا التمنع دون الاول لان قوله ان اجبتكم فيه اطماع لهم بالاجابة وبالله التوفيق **ومن خطبة**
له عليه السلام اما بعد ايها الناس فانا فقأت عين الفتنة ولم يكن ليجترئ عليها احد غيري بعد ان ماج غيهبها واشتد
كلبها فاسئلوني قبل ان تفقدوني فوالذي نفسي بيده لا تسئلوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي
مائة وتضل مائة الا انباتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها ومن يقتل من اهلها قتلا ومن يموت
منهم موتا ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الامور وحوازب الخطوب لاطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسئولين
وذلك اذا قلصت حربكم وشمرت عن ساق وكانت الدنيا عليكم ضيقا تستطيلون ايام البلاء
عليكم حتى يفتح الله لبقية الابرار منكم ان الفتن اذا اقبلت شبهت واذا ادبرت نبهت ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات
يحمن حوم الرياح يصبن بلدا ويخطئن بلدا الا ان اخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني امية فانها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها — عليكم
وخصت بليتها واصاب البلاء من ابصر فيها واخطأ البلاء من عمي عنها وايم الله لتجدن بني امية لكم ارباب سوء بعدي
كالناب الضروس تعذم بفيها وتخبط بيدها وتزبن برجلها وتمنع درها لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم الا نافعا لهم او غير ضار بهم
ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار احدكم منهم الا مثل انتصار العبد من ربه والصاحب من مستصحبه ترد عليكم فتنتهم شوهاء — استصحابه
مخشية وقطعا جاهلية ليس فيها منار هدى ولا علم يرى نحن اهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة ثم يفرجها الله عنكم — يفرج
كتفريج الاديم بمن يسومهم خسفا ويسوقهم عنفا ويسقيهم بكاس مصبرة لا يعطيهم الا السيف ولا يحلسهم الا الخوف فعند ذلك
تود قريش بالدنيا وما فيها لو يرونني مقاما واحدا ولو قدر جزر جزور لاقبل منهم ما اطلب اليوم بعضه فلا يعطونيه **اقول**
فقأت عينه عورتها وماج اضطرب والغيهب الظلمة والكلب الشر والكلب داء معروف والفئة الطائفة وناعقها الداعي لها والمناخ بالضم
محل البروك وحوازب الخطوب ما حزب اي اصاب والتقلص التقبض وشبهت اشتبهت واوقعت الشبهة وحام الطائر دار والخطة الحال والامر
والناب الناقة المسنة والضروس التي تعض حالبها والعذم العض وهو الكدم ايضا والزبن الدفع وشوها قبيح شوهاء وهي قبيحة المنظر
خسفا اي ذلا والعنف شدة السوق ويحلسهم اي يلبسهم الحلس وهو الكساء تحت برذعة البعير والجزر القطع ومنه سميت الجزور لما ينحر من الابل
ومقصود هذا الفصل التنبيه على فضيلته وشرفه وفتنه به وعلى رذيلة بني امية بذكر فتنتهم وما يكون منهم ليشتد النفار عنهم وتقوى الرغبة
اليه من وجهين احدهما باخباره عما سيكون والثاني بذكر الشر من غيره فقوله فانا فقأت عين الفتنة اشارة الى فتنة اهل البصرة وغيرها
واستعارها لفظ العين لانها اشرف عضو في الوجه وبها يعرف التشخص وحركته ورشح الاستعارة بذكر الفقأ وكنى به عن زوال فتنتهم
بسيفه وقوله ولم يكن ليجترئ عليها احد غيري اي ان الناس كانوا لا يتجاسرون على قتال اهل القبلة ويخافون من ذلك الحرج والاثم ولا

[illegible] — [illegible]

يعلمون كيفية قتالهم هل يتبعون مدبرهم وهل يجهزون على جريحهم وهل تسبى ذراريهم وتقسم اموالهم ام لا حتى اقدم عليه السلام على قتالهم وفقاء عينها سكنت بعد هياجها ومبدء ذلك حرب عايشة وقد صرح عليه السلام بذلك في الفاظ اخرى فقال اما بعد فانا فقأت عين الفتنة شرقيها وغربيها ومنافقها وما دونها لم يكن ليجترئ عليها غيري ولو لم اكن لما قوتل اصحاب الجمل ولا صفين ولا اصحاب النهر ويحتمل ان يكون المراد فقأت عين اهل الفتنة بحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ويكون فقاؤه لعيونهم كناية عن قتلهم وروى ان من المتوقفين عن الحرب الاحنف بن قيس وجماعة معه وكيف يتوجه عليهما عن انتشار ظلمات الشبهة عن تلك الفتن في اذهان الناس فجهلوا ان خلاف طلحة وخروج عايشة كان حقا او باطلا فكان ذلك سببا لاضطرابهم في قتالهم وقتلهم وكلب كني باشتداد كلبها عن شدة ما وقع منها من الشرور وكلب اهلها وحرصهم على القتل والقتال كناية بالمستعار في الموضعين و قوله فاسئلوني الى قوله ومن يموت موتا تعرض للاسولة عما سيكون ولم يكن ليجترئ على ذلك احد غيره من بين سائر الصحابة والتابعين ولو ادعى غيره ذلك لكذبه العيان وفضحه الامتحان وروى ان قتادة دخل الكوفة فالتفت عليه الناس فقال سلوني عما شئتم وكان ابو حنيفة حاضرا وهو اذ غلام حدث السن فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسئلوه فانقطع فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له بم عرفت ذلك فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كان ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة تقع على الذكر والانثى كالحمامة والشاة وانما يميز بينهما بعلامة التانيث فانظر الى هذا المعجب بنفسه كيف انقطع عن سؤال يمكن الفطن ان يجيب عنه بادنى سعي فكيف بمن اذا سئل عن الامور المستقبلة التي لا يشتر لها من عالم الغيب الا من ايد بقوة الهية تكشف لنور بصيرته معها حجاب السر وقد بينا فيما سبق وجه تمكنه من الاخبار عما سيكون وكيفية ذلك واراد بالناعقة الفئة واستعار اوصاف الابل ورغائها واصحابها من الناعق والقائد والسائق والمناخ و الركاب والرحال للفئة المهتدية والضالة ومن يهديهم ويضلهم ملاحظة لشبههم بالابل في الاجتماع والانقياد للقائد و داعي والضمير في اهلها يعود الى الفئة وقوله ولو قد فقدتموني الى قوله المسؤلين كراية الامور ما يكرهون منها وحوازب الخطوب ما يصيبهم من الامور العظيمة المهمة واطراق السائلين لحيرتهم في عواقب تلك الخطوب وما يكون منها وكيفية الخلاص وفشل كثير من المسؤلين اي جبنوا عن رد الجواب لجهلهم بعواقبها وما يسئلون عنه منها وقوله وذلك اسا في اطراق السائلين وفشل المسؤلين وقوله اذا قلصت حربكم تفسير لكراية الامور النازلة بهم واستعار لفظ التقليص والتشمير عن ساق الحرب ووجه الاستعارة تشبيهها بالمجد في الامر المشايع فيه وكما انه اذا اراد ان يتوجه قلص ثيابه وشمرها عن ساقه لئلا تعوقه وتعثيا واجمع عليه كلب الحرب فيكونها مجمعة عن النزول بهم والتحول لهم والواو في قوله وضاقت للعطف على شمرت وموضع تستطيلوا النصب على الحال وقوله حتى يفتح الله لبقية الابرار منكم اي الذين يسلمون من بني امية في دينهم واعمارهم وبفتح الله لهم بهلاكهم وزوال دولتهم وقوله ان الفتن اذا اقبلت شبهت اي يكون في مبداها متشبهة بالحق في اذهان الخلق واذا ادبرت نبهت الاذهان على كونها فتنة بعد وقوع الهرج والمرج بين الناس واضطراب امورهم بسببها واكثر ما يكون ذلك عند ادبارها كالفتن في الدول مثلا الذي يعرف به عامة الخلق كونها فتنة وضلالا عن سبيل الله اكثر ما يكون في اخرها فيكون موذنا بزوالها والامة مشبهة وقوله ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات تفسير له اي لا يعرف في مبداء الحال كونها فتنة وتشبه بكونها حقا ودعاة هدى فاذا انقضت عرفت انها عن الحق بمعزل وان دعاتها كانوا دعاة ضلالة وقوله يحمن حوم الرياح استعار لها لفظ الحوم ملاحظة لشبهها في دورانها الموهوم ووقوعها عن قضاء الله من دعاة الضلال في بلد دون بلد بالطائر والريح وكذلك شبهها بحومها كان لفظ الحطاء وقوله الا ان اخوف الفتن عندي الى اخره شروع في تعيين ما يريد ان يخبر به وهو بعض ما تعرض للسؤال عنه وانما كانت هذه الفتن اخوف الفتن لشدتها على الاسلام واهله وكثرة بلوى اهل الدين فيها بالقتل وانواع الاذى ويكفي في عظم تلك الفتنة هتكهم حرمة رسول الله صلعم وقتل الحسين ع وذريته وهتك حرمة الاسلام بهدم الكعبة وحرقها وقتل ابن الزبير وسب علي ع ثمانين سنة وما انتشر من البلاء وعم بتوليتهم الحجاج دماء المسلمين الى غير ذلك من منكراتهم المسطورة في التواريخ واشار بكونها فتنة عمياء الى ذلك واستعار لفظ العمى لها لجريانها على غير قانون حق كالاعمى المنصرف في حركاته في غير جهة اولكونها لا يسلك فيها سبيل الحق كما لا يهتدي بالعين العمياء وكذلك لفظ المظلمة وقوله عمت خطتها لكونها ولاية عامة وخصت بليتها اي باهل التقوى وشيعة علي ع ومن بقي من الصحابة والتابعين الذين هم اعيان الاسلام وقوله اصاب البلاء من ابصر فيها واخطاء من عمي عنها اي من اهتدى لكونها فتنة كان فيها في بلاء من نفسه ومنهم اما من نفسه فبالحزن الطويل من مشاهدة المنكر واما منهم فلان المتقي العالم بكونهم ائمة ضلال منحرف عنهم وغير داخل في نصرتهم الباطل وكان من شانهم تتبع من هذا حاله بالاذى والقتل فكان البلاء به احق واما من لم يهتد لكونها فتنة بل كان في عمى الجهل عنها فهو منقاد لدعوتهم

الباطلة

16 ج

الباطلة منساق تحت راياتهم ضلالتهم جار على وفق اوامرهم فكان سالما من بلائهم ثم اردف ذلك بالقسم انها ليجدنهم الناس ارباب سوء وشبههم في اضرارهم بالناب الضروس لحالبها واشار الى وجه الشبه باوصاف فكدمها وعضها وخبطها بيدها وزبنها برجلها ومنعها درها ثم اشار الى جميع حركاتها الموذية الردية وهي تشبه حركاتهم في الخلق بالاذى والقتل ومنع الوفد والاستحقاق من بيت المال ثم اردف ذلك بذكر غايتين من حركاتهم الشريرة وبلائهم للناس احديهما انهم لا يتركون منكم الا احد رجلين اما نافع لهم سالك مسلكهم او من لا يضرهم بانكار منكر عليهم ولا يخافون عليه والثانية من سائر العوام والسوقة الثانية لا يكون انتصارهم مثل انتصار العبد من سيده والصاحب ممن استصحبه اي كما لا يمكن العبد ان ينتصر من سيده والتابع المستصحب الذي من شانه الضعف وعدم الاستقلال بنفسه ممن يستصحبه كذلك لا يمكن بقية هؤلاء ان ينتصر من بني امية ضلالا ويحتمل ان يريد هناك ما يشبه الانتصار من الغيبة ونحوها كما قال عليه السلام في موضع اخر كذلك لا يمكن بقية هؤلاء ان ينتصر من بني امية اصلا ويحتمل ان يريد هناك ما يشبه الانتصار من الغيبة ونحوها كما قال في موضع اخر ويكون نصرة احدكم كنصرة العبد من سيده اذا شهد اطاعه واذا غاب اغتابه ثم اردف ذلك بذكر فتنتهم وانها مشتملة على فتن واحدة تاتي شوها مبيت وقطعا كقطع الليل المظلم ومن روى فتنتهم بلفظ الجمع فاراد جزئيات شرورهم في دولتهم واستعار لفظ الشوها لقبحها عقلا وشرعا ووجه المشابهة كونها منفورا عنها كما ان قبيحة المنظر كذلك وكذلك استعار لفظ القطع لورودها عليهم دفعات كقطع الحبل المقبلة في الغارة والحرب واشار بكونها جاهلية الى كونها على غير قانون عدلي كما ان حركات اهل الجاهلية كانت كذلك ولذلك قال ليس فيها منار هدى ولا علم يرى اي ليس فيها امام عدل ولا قانون حق يتمسك به وقوله نحن اهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة اي انا ناجون من اثامها والدخول فيها والدعوة الى مثلها وليس المراد انا سالمون من اذاهم غير داعين فيها الى الحق لشهادة دعوة الحسين ع الى نفسه وقتله واولاده وهتك ذريته ويحتمل ان يريد انا بمنجاة من اثامها ولسنا فيها دعاة مطلقا والحسين ع لم يكن داعيا مبتغيا من نفسه للدعوة وانما كان مدعوا الى القيام من اهل الكوفة مجيبا لهم وقوله ثم يفرجها الله كتفريج الاديم الى قوله الا الخوف اشارة الى زوال دولتهم بظهور بني العباس عليهم وقتلهم واستيصالهم وتتبعهم لاثارهم وحصول الفرج منهم لبقية الابرار من عباد الله المغضوبين باذاهم كما يفرج الجلد اي يشق عما فيه ولقد اولاهم بنوا العباس من الذل والهوان واذاقوهم كاس العذاب طعوما مختلفة واوردهم عيانا الموت لونا شتى كما هو مذكور في كتب التاريخ ولفظ الكاس والتصبير والتطيير مستعار وكذلك لفظ التحليس ووجه المشابهة جعلهم الخوف شعارا لهم كما ان حلس البعير كذلك وقوله حتى تود قريش الى اخره اشارة الى غاية هذه الفرقة المتغلبة من قريش على هذا الامر ان حالهم في التزلزل والضعف عن محاربتهم ينتهي الى ان يحبوا رؤيته مقاما واحدا مع انه ابغض الخلق اليهم ليقبل منهم ح ما يطلب اليوم بعضه من نصرتهم له واتباعهم لامره وانقيادهم لهداه ويمنعونه اياه وكنى عن قصر ذلك المقام المتمني له بجزر جزور وصدقه في هذا الخبر ظاهر فان ارباب السير نقلوا ان مروان بن محمد اخر ملوك بني امية قال يوم الزاب حين شاهد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس مارا في صف خراسان لوددت ان علي بن ابي طالب تحت هذه الرايات بدلا من هذا الفتى والقصة مشهورة وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلم فتبارك الله الذي لا يبلغه بعد الهمم ولا يناله حدس الفطن الاول الذي لا غاية له فينتهي ولا اخر له فينقضي **اقول** تبارك تفاعل مشتق من البركة المستلزمة للمقام في موضع واحد والثبات فيه وقيل البركة وهي الزيادة وبالاعتبار الاول يكون اشارة الى عظمته باعتبار دوام بقائه واستحقاقه قدم الوجود لذاته وبقاءه وجوده لا عن استفتاح ولا انقطاع وبالاعتبار الثاني اشارة الى فضله واحسانه ولطفه وهدايته ونحو ما ثناء عليه وقوله الذي لا يبلغه الهمم ولا يناله حدس الفطن كقوله في صدر الخطبة الاولى الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن الا انه ابدل الغوص هنا بالحدس والحدس في اللغة الظن وفي اصطلاح العلماء لما كان الفكر عبارة عن حركة الذهن منتقلا من المطالب الى المبادي ثم منها الى المطالب كان الحدس عبارة عن جودة هذه الحركة الى اقتناص الحد الاوسط من غير طلب وتجشم كلفة وهو مقول بحسب التشكيك وهو بجميع اعتباراته وباعلى درجته قاصر عن نيل ذات الحق تع كما سبق وقوله الاول الى اخره فقد مر تفسيره اوليته واخريته عز وجل وبالله التوفيق **منها** فاستودعهم في افضل مستودع واقرهم في خير مستقر تناسختهم كرائم الاصلاب الى مطهرات الارحام كلما مضى سلف قام منهم بدين الله خلف حتى افضت كرامة الله سبحانه الى محمد صلى الله عليه واله فاخرجه من افضل المعادن منبتا واعز الارومات مغرسا من الشجرة التي صدع منها انبياءه وانتجب منها امناءه عترته خير العتر واسرته خير الاسر وشجرته خير الشجر نبتت في حرم وبسقت في كرم لها فروع طوال وثمر لا ينال فهو امام من اتقى وبصيرة من اهتدى سراج لمع ضوءه وشهاب سطع نوره وزند برق لمعه سيرته القصد وسنته الرشد وكلامه الفصل وحكمه العدل ارسله على حين فترة من الرسل وهفوة عن العمل وغباوة من الامم اعملوا رحمكم الله على اعلام بينة فالطريق نهج يدعو الى دار السلام وانتم في دار مستعتب على مهل وفراغ والصحف منشورة

والاقلام جارية والابدان صحيحة والالسن مطلقة والتوبة مسموعة والاعمال مقبولة **اقول** النسخ النقل وافضت انتهت والارومة الاصل
الاصل والصدع الشق وعترة الرجل نسله ورهطه الادنون واسرته قومه وبسقت طالت والزند العود الاعلى يقدح به وبهج واضح وقوله واستودعهم
الى قوله خلف اشارة الى الانبياء عليهم السلام القائمين بدين الله وقد علم ان دين الله واحد بعث جميع الانبياء لتسليك الخلق اياه وله اصل
وفروع فاصله الطريق الى معرفته والاستكمال بها وجماع مكارم الاخلاق في معاشهم ومعادهم وهذه الامور هي المراد من الشرع وهو اصل ونظام امر الخلق
لا يخالف فيه نبي نبيا فاما الاختلافات الواقعة في الشرائع فهي امور جزئية بحسب مصالح جزئية يتعلق بوقت الرسول المعين وحال الخلق
المرسل اليهم يوقع عليها ذلك الاصل وتكون كالمتممات له والعوارض التي يختلف بها الطبيعة الواحدة النوعية وافضل مستودع استودعهم
فيه حظائر قدسه ومنازل ملائكته وخير مستقر اقرهم فيه ومحل كرامته في مقعد صدق عند مليك مقتدر وتناسخ الاصلاب لهم
الى مطهرات الارحام نقلهم اليها نطفا وكرائم الاصلاب ما كرم منها وخواص الاصلاب سمت بمثلهم ان توصف بالكرم ومطهرات الارحام ما طهر منها
وحق لما استعد منها لانتاج مثل هذه الامزجة وقبولها ان تكون طاهرة من كدر الفساد والشبهة يطهرون اصول الانبياء من طرف
الاباء والامهات عن الشرك ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله نقلنا من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الزكية ويحتمل ان يريد بافضل
مستودع وخير مستقر مبدا بهم اصلاب الاباء وارحام الامهات ويكون قوله تناسختهم تفسيرا له وبيانا وقوله كلما مضى منهم سلف قام
بدين الله منهم خلف اشارة الى ضرورة وجود الانبياء عند الحاجة اليهم على التعاقب وقد سبقت الاشارة اليه وقوله حتى افضت كرامة الله
الى محمد صلى الله عليه وآله الى قوله امناءه اشارة الى غاية سلسلة الانبياء عليهم السلام وكنى بكرامة الله عن النبوة واستعار لفظ المعادن والمنابت
والمغارس لطينته النبوة وهي مادته الزكية التي استعدت لقبول مثله ووجه الاستعارة ان تلك المادة منشأ لمثله كما ان الارض معدن الجواهر
ومغرس الشجر الطيب ولاحظ ان اصلا سمح بمثله افضل المعادن واعز الاصول وقيل اراد بذلك مكة شرفها الله تعالى وقيل يثرب وقبيلته منه بما
اخص واشرف فقال من الشجرة التي صدع منها انبياءه فاستعار لفظ الشجرة لصنف الانبياء وكما ان الشجرة اشرف من طينتها كان صنف
الانبياء اشرف من قوابل صورهم ووجه الاستعارة هو ما كنى بالانصداع عنه من تفرع اشخاص الانبياء عن صنفهم كما يتفرع اغصان الشجرة منها
وامناءه اي على رسالته وقوله عترته خير العتر واسرته خير الاسر يدل بالعترة المعروفة انها اخص واقرب من الاسرة وقصد الى فضيلة عترته
قوله صلى الله عليه وآله سادة اهل المحشر سادة اهل الدنيا انا وعلي وحسن وحسين وحمزة وجعفر ووجه افضلية اسرته قوله ان
الله اصطفى من العرب الناس واصطفى من معد بني كنانة واصطفى هاشما من بني النضر واصطفاني من بني هاشم وقوله صلى الله عليه وآله قال معداً
لي جبرئيل يا محمد قد طفت الارض شرقا وغربا فلم اجد فيها اكرم منك ولا اكرم بيتا اكرم من بني هاشم وقوله صلى الله عليه وآله نسخ قريش
برتهم لبرتهم وفاجرهم لفاجرهم وقوله وشجرته خير الشجر قيل اراد بالشجرة في الموضعين ابرهيم وقيل اراد هاشما وولده وقوله نبتت في حرم واراد لفاجرهم
مكة ورشح تلك الاستعارة بوصف الانبات والبسوق وكنى بالكرم الذي فيه عن زكاء اصله وما استلزم من الفضل وكنى بالفروع عن اهله
صلى الله عليه وآله وذريته وسائر النجباء من بني هاشم وبوصفهم بالطول عن بلوغهم في الشرف والفضل الغاية البعيدة وهو ترشيح للاستعارة
وكنى بالثمر وكنى به عن العلوم والاخلاق المنتفع بها عنه وعن الائمة من ذريته وبكونها لا ينال عن شرفها وغموض اسرارها اي انها لشرفها وعلوها
لا يمكن ان يطاول فيها ولغموض اسرارها لا تتصل الاذهان اليها وقوله فهو امام من اتقى الى قوله لمعه استعار لفظ البصيرة والسراج والشهاب
والزند له صلى الله عليه وآله ووجه الاستعارة كونه سبب هداية الخلق كما ان هذه الامور للتلك وقد رشح استعارة السراج بلمعان الضوء والشهاب بسطوع
النور والزند ببروق اللمع ويحتمل ان يكون وجه استعارة الزند هو كونه مثيرا لانوار العلم والهداية وقوله سيرته القصد اي طريقته العدل و
الاستواء على الصراط المستقيم وعدم الانحراف الى احد طرفي الافراط والتفريط وسنته الرشد اي سلوك طريق الله عن هداية وكلامه الفصل
اي الفاصل بين الحق والباطل كقوله تعالى انه لقول فصل وحكمه العدل الواسط بين رذيلتي الظلم والانظلام وقوله ارسله على حين فترة من
الرسل وهفوة من العمل اي زلة وغباوة من الامم اي جهل منهم وعدم فطنة لما ينبغي وقد سبق بيان الفترة وقوله اعملوا رحمكم الله على اعلام
بينة استعار لفظ الاعلام لائمة الدين وما بايديهم من مصابيح الهدى وكنى بكونها بينة عن وجودها وظهورها بين الخلق وقوله والطريق
نهج يدعوا الى دار السلام فالطريق الشريعة ونهجه وضوحها في زمانه وقرب العهد بالرسول صلى الله عليه وآله ولاحظ كون الشريعة داعية الى الجنة واسند
الدعوة الى الطريق مجازا اذ الداعي حينئذ اهل الطريق وواضعها وقوله وانتم في دار مستعتب اي دار الدنيا التي يمكن ان تستعتبوا فيعتبوا اي يطلبوا
رضا الله بطاعته فيرضى عنكم وعلى مهل اي امهال وانظار وفراغ من عوائق الموت وما بعده وقوله والصحف منشورة الى آخره لواحق
السبع للحال والمراد صحائف الاعمال واقلام الحفظة على الخلق اعمالهم وفائدة التذكير بهذه الامور التنبيه على وجوب العمل معها وتذكر
اضدادها مما لا يمكن معه العمل ولا ينفع الندم من الموت وطي الصحف وجفاف الاقلام وفساد الابدان وخرس الالسنة وعدم سماع
التوبة كما قال تعالى يومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** بعثه
والناس ضلال في حيرة وخابطون في فتنة قد استهوتهم الاهواء واستزلتهم الكبرياء واستخفتهم الجاهلية الجهلاء حيارى

في زلزال

في زلزال من الامر وبلاء من الجهل فبالغ صلى الله عليه وآله في النصيحة ومضى على الطريقة ودعا الى الحكمة والموعظة **اقول** الفضل
لتغيير وفضيلة الرسول صلى الله عليه وآله والواو في والناس للحال اي في حال ما هم ضالون عن سبيل الله في حيرة من امرهم ماذا يتبعون وخابطون
في فتنة اي كانت حركاتهم على غير نظام في ضلال البدع ومن روى حاطبون فهو استعارة ووجهها كونهم يجمعون في ضلالهم وفتنتهم
ما اتفق من اقوال وافعال كما يجمع الحاطب ومنه المثل حاطب ليل لمن جمع الغث والسمين والحق والباطل في اقواله وقوله قد استهوتهم
الاهواء اي جذبتهم الآراء الباطلة الى مهاوي الهلاك او الى نفسها واستزلتهم الكبرياء اي قادتهم الى الزلل والخطل عن طريق العدل و
اقتفاء آثار الانبياء في التواضع ونحوه واستخفتهم الجاهلية الجهلاء فطارت بهم الى ما لا ينبغي من الغارات والفساد في الارض كما تطير ذو
خفة وطيش ولفظ الجهلاء تأكيد للاول كما يقال ليل اليل ووتد واتد وقوله حيارى في زلزال من الامر وبلاء من الجهل اي لا يهتدون لجهلهم اليل و
الى مصالحهم فهو منشأ اضطراب امورهم وبلائهم بالغارات وسبي بعضهم بعضا وقتلهم وقوله فبالغ الى آخره مضيه على الطريقة سلوكه
لسبيل الله من غير انحراف ودعوته الى الحكمة والموعظة هي دعوته الى سبيل الله بهما امتثالا لقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة فالدعوة بالحكمة الدعوة بالبرهان وبالموعظة الدعوة بالخطابة وقد سبقت الاشارة الى ذلك في المقدمات والله ولي التوفيق
ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الاول فلا شيء قبله والآخر فلا شيء بعده والظاهر فلا شيء فوقه والباطن فلا شيء دونه ومن اخرى منه
اقول اثنى على الله سبحانه باعتبارات اربعة الاولية والآخرية والظاهرية والباطنية واكد كل واحد منها بما له فكمال الاولية بسلب
قبلية شيء عنه وكمال الآخرية بسلب بعدية كل شيء له والظاهرية بسلب فوقية شيء له والباطنية بسلب شيء دونه والمراد بالظاهر هنا
العالي فلذلك حسن تأكيده بسلب فوقية الغير له وبالباطن الذي بطن خفيات الامور علما وهو بهذا الاعتبار اقرب الاشياء اليها فلذلك
حسن تأكيده بسلب ما هو دونه اي ما هو اقرب اليها منه ومصطلح المقابلة بين الداني والعالي ويحتمل ان يريد بالظاهر البين ويكون
معنى قوله فلا شيء فوقه اي لا شيء يوازي وجوده ويحجبه عن معرفة خلقه به وبالباطن الخفي ومعنى فلا شيء دونه اي في الخفاء وقد سبق
بيان هذه الاعتبارات الاربعة غير مرة وبالله التوفيق **منها** في ذكر الرسول صلى الله عليه وآله مستقره خير مستقر ومنبته اشرف منبت في معادن الكرامة
ومماهد السلامة قد صرفت نحوه افئدة الابرار وثنيت اليه ازمة الابصار دفن به الضغائن واطفأ به النوائر والف به
اخوانا وفرق به اقرانا اعز به الذلة واذل به العزة كلامه بيان وصمته لسان **اقول** المماهد جمع ممهد والميم زائدة وثنيت اي
صرفت والضغائن الاحقاد والنوائر جمع نائرة وهي العداوة والمخاصمة والاقران الاخوان المقترنون واشار بمستقره الى مكة وكونها
خير مستقر لكونها ام القرى ومقصد خلق الله ومحل كعبته ويحتمل ان يريد محله من جود الله وعنايته وظاهر كونه خير مستقر واستعار لفظ
المنبت والمعدن وقد مر بيان وجه استعارتهما ومماهد السلامة محال التوطئة لها وهي كناية عن مكة والمدينة وما حولها فانها محل العبادة
لله والخلوة به التي هي مهاد السلامة من عذابه وانما كانت كذلك لكونها دار القفر خالية عن المشتهيات واللذات الدنيوية ويحتمل ان يريد
بمماهد السلامة ما تقلب فيه ونشأ عليه من مكارم الاخلاق الممهدة للسلامة من سخط الله وفي قوله وقد صرفت نحوه افئدة الابرار
تنبيه على ان الصارف هو لطف الله وعنايته بهم بالتفات قلوبهم الى محبته للاستضاءة بانوار هداه ولما استعار لفظ الازمة للابصار
ملاحظة لشبهها بها ورشح تلك الاستعارة بذكر الثني وكنى بذلك عن التفات الخلق اليه بابصارهم وتلقي الرحمة الالهية منه
ثم استعار لفظ الدفن لاخفاء الاحقاد بعد ان كانت ظاهرة مجاهرا بها ولفظ الاطفاء لازالة العداوة بين العرب بالتأليف بين قلوبهم
كما قال تعالى في اظهار المنة على عباده واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا والاقران المفرق هم المتالفون
على الشرك وقوله اعز به الذلة اي ذلة الاسلام واهله واذل به العزة اي عزة الشرك واهله وبين كل قرينتين من هذه الست مقابلة و
مطابقة فقابل المفرق بها التاليف وبالذلة الاعزاز وبالعزة الاذلال وقوله وكلامه بيان اي لما انغلق من احكام كتاب الله كقوله تعالى لتبين
للناس ما نزل اليهم وقوله وصمته لسان استعار لفظ اللسان لسكوته ووجه المشابهة ان سكوته صلى الله عليه وآله مستلزم للبيان من وجهين
احدهما انه كان يسكت عما لا ينبغي من القول فيعلم الناس السكوت عن الخوض فيما لا يعنيهم الثاني ان الصحابة كانوا اذا فعلوا فعلا على
سابق عادتهم فسكت عنهم ولم ينكره عليهم علموا بذلك انه على حكم الاباحة فكان سكوته عنهم في ذلك بيانا له واشبه سكوته عند ذلك اللسان
المعرب عن الاحكام وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** ولئن امهل الله الظالم فلن يفوت اخذه وهو له بالمرصاد على مجاز مر
طريقه وبموضع الشجا من مساغ ريقه اما والذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم ليس لانهم اولى بالحق منكم ولكن
لاسراعهم الى باطل صاحبهم وابطائكم عن حقي ولقد اصبحت الامم تخاف ظلم رعاتها واصبحت اخاف ظلم رعيتي استنفرتكم للجهاد
فلم تنفروا واسمعتكم فلم تسمعوا ودعوتكم سرا وجهرا فلم تستجيبوا ونصحت لكم فلم تقبلوا اشهود كغياب وعبيد كارباب اتلوا
عليكم الحكم فتنفرون منها واعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها واحثكم على جهاد اهل البغي فما آتي على آخر قولي حتى
اراكم متفرقين ايادي سبا ترجعون الى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم اقومكم غدوة وترجعون الي عشية كظهر الحية عجز

المقوم واعضل المقوم ايها الشاهدة ابدانهم الغائبة عقولهم المختلفة اهواؤهم المبتلى بهم امراؤهم صاحبكم يطيع الله وانتم تعصونه وصاحب اهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه لوددت والله ان معوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم فاخذ مني عشرة منكم واعطاني رجلا منهم يا اهل الكوفة منيت منكم بثلث واثنتين صم ذوو اسماع وبكم ذوو كلام وعمي ذوو ابصار لا احرار صدق عند اللقاء ولا اخوان ثقة عند البلاء تربت ايديكم يا اشباه الابل غاب عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من آخر والله لكاني بكم فيما اخال لو حمس الوغى وحمى الضراب قد انفرجتم عن ابن ابيطالب انفراج المرأة عن قبلها اني لعلى بينة من ربي ومنهاج من نبيي واني (انّ) لعلى الطريق الواضح القطه لقطا انظروا الى اهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا اثرهم فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى فان لبدوا فالبدوا وان نهضوا فانهضوا ولا تسبقوهم فتضلوا ولا تتاخروا عنهم فتهلكوا ولقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما ارى احدا يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا قد باتوا سجدا وقياما يراوحون بين جباههم وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم كان بين اعينهم ركب المعزى من طول سجودهم اذا ذكر الله هملت اعينهم حتى تبل جيوبهم ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفا من العقاب ورجاء للثواب **اقول** المرصاد الطريق يرصد بها والرصد الراقب والشجا الغصص بلقمة وغيرها والحث السوق الشديد واعضل اشكل والجبنة القوس ومنى ابتلى وتربت اصابت التراب دون الخير واخال احسب ولو حمس الحرب واصله من الاصوات وحمس اشتد والسمت الطريقة ولبد الطاير لصق بالارض فقوله ولئن امهل الله الظالم الى قوله ريقه في معرض التهديد لاهل الشام بأخذ الله لهم وعدم فوتهم ولمزلهم بالرصد على جميع حركاتهم وعلى مجاز طرقهم التي هم سالكوها مثلا وعلى موضع الشجى من مساغ ريقهم وهو الحلق وفي ذكر الشجى وكون الله بالرصد تنبيه على ان الله نعم في مظنة ان يجي الظالم بعفو بانه عنه اطلاع على ظلمه كما قال نعم او يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف ثم اردف ذلك بالقسم ليظهرن اصحاب معوية عليهم تنفيرا لهم الى مقاومتهم ثم نفى ما عساهم يتوهمه انه علة غلبتهم لهم كيلا يتخاذلون بسبب ذلك وهو قوله ليس لانهم اولى بالحق منكم واردفه بتعيين السبب الحق في ذلك وهو قوله لكن لاسراعهم الى باطل صاحبهم اي امره الباطل وابطائكم عن حقي اذ كانت النصرة باجتماع الكلمة وطاعة الامام كما باعتقاد حقيته امرنه مع التخاذل عنه ثم اردف ذلك بتوبيخهم وتنفيرهم عما هم عليه من مخالفة امره بقوله ولقد اصبحت الامم الى قوله رعيتي لان شان الرعية الخوف من سلطانها فاذا كان حاله مع رعيته بالعكس كانت الائمة عليهم بعصيانه دون جنسهم عليه واما التنفير فهذا كانهم في محل ظالم نفسه ولقد اشفق عليه السلم منهم في مواطن كثيرة كيوم التحكيم اذ قالوا له ان لم ترض فعلنا وفعلنا بك كما فعلنا بعثمن ونحو ذلك ثم اردف وجوه تنفيرهم ببيان ما فعل في حقهم من الايادي الجميلة والهداية الى وجوه المصالح من (بيان) استنفارهم لجهاد عدوهم وحفظ بلادهم واسماعهم لدعوة الى مصالحهم سرا وجهرا ونصيحته لهم بالوجوه الصائبة من لوايح وهو كقوله نعم حكاية من نوح قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا الى قوله اسرارا ثم شبههم بالغياب مع شهادتهم وبالارباب مع كونهم عبيدا لتنجيه الشبهات القائمة في مشاهدة الموعظة دون الغايب عنها وهو سماعها والانتفاع بها فاذ ليسوا كك فهم كالغياب عنها في عدم الانتفاع بها واما الثانية فلانهم رعيته من شانهم التعبد لاوامره ثم انهم لتعززهم وشموسهم كبرا وعدم طاعتهم كالارباب الذين من شانهم ان يامروا ولا ياتمروا ثم وبخهم بنفارهم عما يتلوا عليهم من الحكم ونفرتهم عن مواعظه البالغة ثم واهل الشام البغي اشارة الى اهل الشام وايادي سبا مثل يضرب في شدة التفرق فتضربه لتفرقهم عن مجالس الذكر وهما لفظان جعلا اسما واحدا كمعدي كرب وسبا قبيلة من اولاد سبا ابن يشجب بن يعرب بن قحطان واصل المثل ان هذه القبيلة كانت بمارب فلما ان وقت انفتاح سد مارب رأت طريفة الكاهنة ذلك الامر وعرفته الى عمرو بن عامر الملقب مزيقياء فباع امواله بمارب وارتحل الى مكة فاصابته هؤلاء الحي وكانوا لا يعرفونها ففزعوا الى الكاهنة فاخبرتهم بما سيقع وقالت انه مفرق بيننا و فاستشاروها في امرهم فقالت من كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ومراد جديد فليلحق بقصر عمان المشيد فكانت ازد عمان ثم قالت ومن كان منكم ذا جلد وصبر على ازمات الدهر فعليه بالاراك من بطن مر فكانت خزاعة ثم قالت ومن كان منكم يريد الراسيات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فكانت الاوس والخزرج ثم قالت ومن كان منكم يريد الخمر والخمير و الملك والتامير ويلبس الديباج والحرير فليلحق ببصرى وعوير وهما من ارض الشام فكان الذين يسكنونها آل جفنة من غسان ثم قالت ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق وكنوز الارزاق والدم المهراق فليلحق بارض العراق فكان آل جذيمة الابرش ومن كان بالحيرة وآل محرق فضربت العرب بتفرقهم في البلاد هذا المثل وسارت بتفرق بعد الاجتماع ثم لما كانت المخادعة هي الاشتغال عن المصلحة قال يتخادعون اذا رجعوا من مجلس وعظه اخذ كل منهم يشتغل صاحبه عن تذكر الموعظة وشغله بغير (اي انهم) ذلك من الاحاديث وان لم يكن عن قصد خداع بل نفع منهم صورة المخادعة ونفوسهم بالغدوة اصلاح اخلاقهم بالحكم والمواعظ و رجوعهم اليه عشية كظهر الحنية اي معوجين كظهر القوس وهو تشبيه للمعقول من اعوجاجهم وانحرافهم عن جميل الاخلاق بالمحسوس

وقوله عج

وقوله عجز المقوم اشارة الى نفسه واعتراف بعجزه عن تقويمهم واعضل المقوم اي اشكل امرهم واعيته ادواؤهم علاجا ثم عاد الى ذمهم وتنبيههم بذكر معايبهم ليتفرغوا فهم عنها فوصفهم بشهادة الابدان مع غيبة العقول ثم باختلاف الاهواء ثم بكونهم ممن ابتلي بهم امراؤهم ثم نبههم على رذيلتهم من مخالفة امره مع كونه مطيعا لله وما عليه خصومهم من فضيلة طاعة امامهم مع كونه عاصيا لله وجعل ذلك مقايسة بينهم لتظهر الفرق بينه وبينهم للعبرة ثم اردفه بتحقيرهم وتفضيل عدوهم عليهم في الباس والنجدة واستقامة الحال فاقسم انه ليود ان يصارفه معوية بهم صرف الدينار بالدرهم وذلك قوله ايها القوم الى قوله رجلا منهم ثم اردف ذلك ببيان ما ابتلي به منهم واشار الى خمس خصال و انما قال بثلث واثنتين لتناسب الثلث وكون الثنتين من نوع اخر فالثلث الصم مع كونهم ذوي اسماع والبكم مع كونهم ذوي كلام والعمي مع كونهم ذوي ابصار وجمعه لهذه الثلث مع اضدادها هو سبب التعجب منهم والتوبيخ لهم واراد بها عدم انتفاعهم في مصالحهم الدينية ونظام امور دولتهم بالة السمع واللسان والعين فان من لم ينفعه سمعه وبصره وغيره من تلك الامور فيما لا ينبغيه كان كفاقد هذه الالات في عدم الانتفاع بها بل كان فاقدها احسن حالا منه لان وجودها اذا لم يفد منفعة اكسب مضرة فقد منها عادمها واما الثنتان فكونهم لا احرار صدق وعند اللقاء اي انهم عند اللقاء لا تصدق حريتهم ولا ينفي عنهم من مخالطة الجبن والتخاذل والفرار فالحر الخالص من شوب الرذائل والمطاعن ثم كونهم غير اخوان ثقة عند البلاء اي ليسوا ممن يوثق باخوتهم في الابتلاء بالنوازل ثم عاد الى الدعاء عليهم على وجه التضجر منهم وتشبيههم بالنعم فقوله تربت ايديكم دعاء بعدم اصابة الخير وقوله يا اشباه الابل غاب عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من جانب اخر للتشبيه والمشبه به وجه التشبيه اذ ذهب بكره وذيله بظهامتهم باما رانها وهي تفرقهم عنه على تقدير اشتداد الحرب شبه انفراجهم عنه بانفراج المرءة عن قبلها لم يرجعوا الى الانفة وتسليم المرءة لقبلها وانفراجها عنه اما وقت الولادة او وقت الطعان ثم عاد الى ذكر فضيلته ليستثبت قلوبهم وينافقها والبينة التي هو عليها من ربه ايات الله وبراهينه الواضحة على وجوده والتفقه بما هو عليه من سلوك سبيله وهو كقوله نعم قل اني على بينة من ربي والمنهاج من نبيه طريقه وسنته والطريق الواضح الذي هو سبيل الله وشريعته ودينه والتقاطه له لقطا تتبعه وتميزه على طريق الضلال بالسلوك له ثم اردف فضيلته بالامر باتباع اهل البيت ولزوم سمتهم واقتفاء اثرهم واشار الى جهة وجوب اتباعهم بكونهم يسلكون بهم سبيل الهدى لا يخرجون عنه ولا يردونهم الى ردى الجاهلية والضلال القديم وقيد امامه الى ان اتباع غيرهم يرد الى ذلك وقوله فان لبدوا اي ان سكنوا واحبوا لزوم البيوت عن طلب امر الخلافة والقيام فيه فتابعوهم في ذلك فان سكونهم قد يكون لمصلحة يغيب علمها عن غيرهم وان نهضوا الى ذلك فانهضوا معهم ثم نهاهم عن ان يسبقوا فيضلوا اي الحكم لم يتقدموا عليهم فان متقدم الدليل شانه الضلال عن القصد وان لا يتأخروا عنهم فيهلكوا اي لا يتاخروا عن متابعتهم في اوامرهم وافعالهم بالمخالفة لهم فيكونوا من الهالكين في تيه الجهل وعذاب الاخرة والامامية تخص ذلك بالاثني عشر من اهل البيت عليهم السلم وقوله ولقد رايت اصحاب رسول الله ص الى اخره مدح لخواص الصحابة وذكر مكانهم من خشية الله ودينه ترغيبا في مثل تلك الفضائل وحركة بقوله فما ارى احدا يشبههم ما عساه يبدو لدى السامعين من الغيرة على تلك الفضائل ان يختصوا بها دونهم وذكر من محامدهم اوصافا **احدها** الشعث والاغبرار وهو اشارة الى تقشفهم وتركهم زينة الدنيا ولذاتها **الثاني** بياتهم سجدا وقياما واشار به الى احيائهم الليل بالصلوة وهو كقوله نعم والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما **الثالث** مراوحتهم بين جباههم وخدودهم وقد كان احدهم اذا تعبت جبهته من طول السجود راوح بينها وبين خده **الرابع** وقوفهم على مثل الجمر من ذكر معادهم واشار به قلقهم ووجدهم من ذكر المعاد واهوال يوم القيمة كما يقلق الواقف على الجمر مما يجده من حرارته **الخامس** كان بين اعينهم ركب المعزى من طول سجودهم ووجه المشابهة ان محال سجودهم من جباههم كانت قد اسودت وماتت جلودها وقست كما ان ركب المعزى كك **السادس** انهم كانوا اذا ذكر الله هملت اعينهم حتى تبل جيوبهم ومن روى جباههم فذلك في حال سجودهم ممكن ومادوا كما يميد الشجر بالريح العاصف خوفا من عقاب ربهم ورجاء للثواب فتارة يكون ميدانهم وقلقهم عن خوف الله وتارة يكون عن ارتياح و اشتياق الى ما عنده من عظيم ثوابه وهو كقوله نعم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم**

والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرما الا استحلوه ولا عقدا الا حلوه وحتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم وحتى يقوم الباكيان باك يبكي لدينه وباك يبكي لدنياه وحتى تكون نصرة احدكم من احدهم كنصرة العبد من سيده اذا شهد اطاعه واذا غاب اغتابه وحتى يكون اعظمكم فيها عناء احسنكم بالله ظنا فان اتاكم الله بعافية فاقبلوا وان ابتليتم فاصبروا فان العاقبة للمتقين **اقول** نبا به المنزل اذا لم يوافقه والعناء التعب ولا شك في هذا الفصل الى بني امية فاقسم لا يزالون ظالمين وحذف الخبر للعلم به وذكر لظلمهم غايات **احدها** انهم لا يدعون محرما الا استحلوه واعظم كبائر المحرمات الظلم وقتل النفس وما لهم فيهما مشهور فما ظنك بغيرهما ومعنى قوله استحلوه استعملوه كاستعمال الحلال في عدم التحرج والتاثيم **الثانية** ان لا يدعوا عقدا الا حلوه اي من عقود الاسلام التي نظم بها امر العالم من قوانين الشرع

وضوابطه وحله كناية عن خرم تلك القواعد بمخالفتها الثالث انه لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا ادخله ظلمه وهو كناية عن عموم عدوانهم وبغيهم على جميع الخلق من البدو والحضر وقوله ونبا به سوء رعيهم اى رحب بهم سوء رعيهم لاهله ونبوهم عنه الرابع ان يقوم الباكيان باكي يبكي لدينه وباكي يبكي لدنياه الخامس وحتى يكون نصرة احدكم من احدهم كنصرة العبد من سيده ذكر المشبه والمشبه به ثم اشار الى وجه الشبه بقوله اذا شهد اطاعه واذا غاب اغتابه العاشر وحتى يكون اعظمكم فيها عناء احسنكم بالله ظنا وانما كان كذلك
لان حسن الظن بالله اشد الناس تعبدا منهم وتوكلا عليه فيكون عليه اشد كلبا وله اقوى
طلبا فكان منهم اكثر تعبا ثم اردف ذلك بامرهم بسؤال العافية ان يقبلوها ويشكروا الله
عليها ثم واراد العافية من الابتلاء بشرورهم لبعض الناس
او بقيام عدل مخلص من بلائهم وبامر من ابتلى
بهم بالصبر على ما ابتلى به ووعده
على ذلك بحسن العاقبة
لازما للتقوى
والصبر كما قال تعالى واصبروا ان العاقبة للمتقين هذا آخر المجلد الثاني من كتاب ابن ميثم في سنة ١٢٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

ومن خطبة له عليه السلام نحمده على ما كان ونستعينه من امرنا على ما يكون ونسأل الله المعافاة في الاديان كما نسأله المعافاة في الابدان اوصيكم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم وان لم تحبوا تركها والمبلية لاجسامكم وان كنتم تحبون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كسفر سلكوا سبيلا فكأنهم قد قطعوه وأمّوا علما فكأنهم قد بلغوه وكم عسى المجري الى الغاية ان يجري اليها حتى يبلغها وما عسى ان يكون بقاء من له يوم لا يعدوه وطالب حثيث يحدوه في الدنيا حتى يفارقها ولا تنافسوا في عز الدنيا وفخرها ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها ولا تجزعوا من ضرائها وبؤسها فان عزها وفخرها الى انقطاع وزينتها ونعيمها الى زوال وضراءها وبؤسها الى نفاد وكل مدة فيها الى انتهاء وكل حي فيها الى فناء اوليس لكم في آثار الاولين وفي آبائكم الماضين تبصرة ومعتبر ان كنتم تعقلون اولم تروا الى الماضين منكم لا يرجعون والى الخلف الباقين لا يبقون اولستم ترون اهل الدنيا يمسون ويصبحون على احوال شتى فميت يبكى وآخر يعزى وصريع مبتلى وعائد يعود وآخر بنفسه يجود وطالب للدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وعلى اثر الماضي ما يمضي الباقي الا فاذكروا هادم اللذات ومنغص الشهوات وقاطع الامنيات عند المساورة للاعمال القبيحة واستعينوا الله على اداء واجب حقه وما لا يحصى من اعداد نعمه واحسانه **اقول** الرفض الترك والسفر المسافرون وامّوا قصدوا ويعدوه يتجاوزه ويحدوه يسوقه والمساورة المواثبة فقوله نحمده الى قوله في الابدان خصص الحمد بما كان لان الشكر على النعمة مترتب على وقوعها والاستعانة على ما يكون لانها طلب العون على امر هو بصدد ان يفعل ثم سأل المعافاة في الاديان كما سألها في الابدان لان لها سقاما هو في الحقيقة اشد وقيل لاعرابي ما تشتكي قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال الجنة قيل افلا ندعو لك طبيبا فقال الطبيب امرضني وسمعت عصرة العابدة البصرية رجلا يقول ما اشد العمى على من كان بصيرا فقالت يا عبد الله غفلت عن مرض الذنوب واهتممت بمرض الاجساد وعمى القلب عن الله اشد والمعافاة فيها بامداد العناية

عباد الله

الدم
مزدجركم

معاذة

١٦
ج

الالهية ببقائها سليمة وبتداركها المذنبين بجذبهم الى التوبة ثم اردف ذلك بالرأي الصالح والوصية التامة برفض الدنيا ونفر عنها بذكر معايب احدها تركها لهم ومن اكبر المصائب ترك محبوب لا بد من مفارقته تركا باستدراج النفس واستعقابها الى الاتفاق حتما مفارقته دفعة مع تمكن محبته عن جوهرها فيبقى كمن نقل من معشوقه الى موضع ظلماني شديد الظلمة الثاني كونها مبلية للاجسام وان احبوا تجديدها وابلاؤها بالامراض والهرم ومن شأن المؤذي ان يجتنب لا ان يحب اصلاحه ثم اردف ذلك بتمثيلهم في الكون بها فمثلهم في الكون بالسفر ومثلها بسبيلهم سالكوه ومن سلك سبيلا فكأنهم قطعوه فالمشبه   سبا سرعة سيرهم وقرب الاخرة منهم وقطع منازل الاعمار والمشبه به قاطع ذلك السبيل اى من سلك سبيلا اشبه في سرعة سيره من قطعه ثم لما كان لا بد لكل طريق سلك من غاية مقصد فمن سلك سبيلا فكأنهم بلغوا تلك الغاية اى اشبه في قرب وصولها من بلغها وهو تخويف بالموت وما بعده وتحقير لمدة البقاء في الدنيا والمقام فيها واكد ذلك بقوله وما عسى المجري الى الغاية ان يجري اليها حتى يبلغها اى اجراؤه اليها يسير سريع وفي بعض النسخ وكم عسى والتقدير وكم يرجو الذي يجري الى غاية من الجري اليها حتى يبلغها وهو استفهام في معنى التحقير لما يرجوه من مدة الجري وهي مدة الحيوة الدنيا ومفعول المجري محذوف والتقدير المجري مركوبه ولما لم يكن الغرض الا ذكر الاجراء لا جرم حذف المفعول وقد يجيء لازما وكذلك قوله وما عسى ان يكون مقام من له يوم لا يعدوه الى قوله يفارقها اى وما يرجى ويؤمل ان يكون من ذلك البقاء وكان هنا تامة وهو في الموضعين استفهام على سبيل التحقير لما يرجى من البقاء في الدنيا والانكار على المؤمل الراجي له وعنى بالطالب الحثيث الموت واسند اليه الطلب مجازا واستعار له لفظ الحدو وقد علمت وجه هذه الاستعارة وكنى بذلك الحدو عما يتوهم من سوق اسباب الموت للبدن البدن وقوله ولا تنافسوا الى قوله الى فناء نهي عن اعتبار شيء من احوالها خيرها وشرها فمن خيرها عزها وفخرها وزينتها ونعيمها ونهى عن المنافسة فيه والاعجاب به واما شرها فضراؤها وشدائدها نهى عن الجزع منها وعلل وجوب الانتهاء عما نهى عنه بانقطاع وزوال لما كان من شأنه الزوال والانقطاع فمن الواجب ان لا يبتأس منه ولا يعجب به وان عد نافعا وان لا يجزع من وجوده وان عد ضارا وقوله اوليس لكم في آثار الماضين الى قوله لا يبقون تذكرة لهم بآثار السابقين لهم والماضين من آبائهم على سبيل استفهامهم عن حصول العبرة لهم بهم استفهام انكار عليهم ان لا ينتفعوا وامر ذلك عبرة على تقدير انهم عقلاء كما يزعمون ذلك ثم نبههم على وجه الاعتبار والاتعاظ وهو عدم رجوع الماضي منهم وعدم بقاء الباقي فان ذلك محل العبرة ثم نبههم على ما يرون من احوال اهل الدنيا المختلفة ليستدلوا على عدم بقائها باختلاف احوالها وعلى انها لا تصلح قرارا فاهلها ميت يبكى وآخر يعزى وآخر صريع مبتلى بالامراض والاسقام وآخر يعوده مشغول الخاطر به وآخر في المعاوقة والاحتضار والسالم من تلك الامور طالب للدنيا والموت من ورائه طالب له غافل عما يراد به وليس الله بغافل عنه ثم لا بد له وان يمضي على اثر من مضى وان طال بقاؤه وما في يمضي مصدرية وانما قدم الميت في اصناف اهل الدنيا لان ذكره اشد موعظة واستعار لفظ الجود للمحتضر ووجه المشابهة انه يسمح بنفسه ويسلمها كما يسلم الجواد ما يعطيه من ماله ثم امرهم بذكر الموت ووصفه بلوازمه المنفرة عنه وهي كونه هادما للذات الدنيوية ومنغصا لشهواتها وقاطعا للامنيات فيها وعين لهم وقت ذكره وهو عند وثباتهم الى الاعمال القبيحة ليكون ذكره زاجرا لهم عنها والرغبة الى الله في طلب معونته بجواذب عنايته وجميل لطفه على اداء واجب حقوقه التي كلفنا القيام بها بالمواظبة عليها واداء ما لا يحصى من نعمه بدوام شكرها والاعتراف بها ملاحظين لجلال كبريائه باعتبار كل جزئي منها وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الناشر في الخلق فضله والباسط فيهم بالجود يده نحمده في جميع اموره ونستعينه على رعاية حقوقه ونشهد ان لا اله غيره وان محمدا عبده ورسوله ارسله بامره صادعا وبذكره ناطقا فادى امينا ومضى رشيدا وخلف فينا راية الحق من تقدمها مرق ومن تخلف عنها زهق ومن لزمها لحق دليلها مكيث الكلام بطيء القيام سريع اذا قام فاذا انتم النتم له رقابكم واشرتم اليه باصابعكم جاءه الموت فذهب به فلبثتم بعده ما شاء الله حتى يطلع الله لكم من يجمعكم ويضم نشركم فلا تطمعوا في غير مقبل ولا تيأسوا من مدبر فان المدبر عسى ان تزل به احدى قائمتيه وتثبت الاخرى فترجعا حتى تثبتا جميعا الا ان مثل آل محمد صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء اذا خوى نجم طلع نجم فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع واراكم ما كنتم تأملون **اقول** مرق خرج من الدين وزهق هلك والمكيث البطيء المتأني وخوى النجم سقط للمغيب والصنيعة النعمة وهذا الفصل يشتمل على اعلامهم بما يكون بعده من امر الائمة وتعليمهم ما ينبغي ان يفعل الناس معهم وبشرتهم بظهور امام من آل محمد عقيب آخر ووعدهم بتكامل صنائع الله فيهم بما يأملونه من ظهور امام منتظر فقوله الحمد لله الى قوله حقوقه شكر لله تعالى باعتبار امرين احدهما نشره لفضله في خلقه الثاني بسطه فيهم بالجود يده ويده نعمته مجاز النقد نعم عن الجارحة وهو من باب اطلاق اسم السبب على المسبب لكون الجود مبدأ للنعمة والنشر والبسط وان كانا حقيقة في الاجسام الا انهما من الاستعارات الشائعة التي قاربت الحقيقة ثم اكد ذلك الحمد بتعميمه باعتبار كل صادر عنه من رخاء وشدة اذ الشدائد لله تعالى من نعمه ايضا فانها اذا قوبلت بصبر جميل استلزمت ثوابا جزيلا كما قال تعالى وبشر الصابرين الآية وكانت اسباب النعم نعم والحمد على

من به

طلع نجم

ما الحق من نعمائه وطلب منه المعونة على رعاية واجب حقوقه واستعار لفظ الصادع للرسول ووجهها انه شق بامر الله بيضة الشرك وقلوب المشركين فاخرج ما كان فيها من الكفر والجهل ونطق بذكره نعم فادعها ايا دافادنا ما امره امينا عليه وقبضه الله اليه مرشدا اله الى حضرة قدسه ومنازل الابرار من ملئكته وصار دعا وناطقا واميناو رشيدا احوال واشار برآية الحق التي خلفها رسول الله صلى الله عليه وآله الى كتاب الله وسنته والمشار بتقدمها والتخلف عنها الى طرفي الافراط والتفريط من فضيلة الاستقامة عليهما اى ان من كان تخلفا فيها فهو على حاق الوسط من الفضائل ومن تقدمها كان على طرف الافراط وقد تعمق في طلب الدين واغلى فيه على جهل فمرق منه كما فعلت الخوارج ومن تخلف عنها كان على طرف التفريط والتقصير فهلك في طرف الضلال والحيرة ولفظ الراية مستعار ووجه المشابهة كون الكتاب والسنة مقصدين لنا يتبعهما ويهتدى بهما في سبيل الله كالراية كذلك واشار بدليلها الى نفسه استعارة ووجهها ان الامام مظهر ومبين لاحكام الكتاب والسنة وما خفي منها للسالكين الى الله كما يرفع الراية حاملها لنا بعيه ليقتدوا به ثم اشار الى صفات ذلك الدليل وكنى بقوله مكيث الكلام عن تدبره ونشره في اقواله وما يشير به ويحكم ونبه بقوله بطئ القيام عن تأنيه وتفكره في وجوه المصالح الحسن استنباطه الراى الاصلح ووجه المصلحة وبقوله سريع اذا قام عن مبادرته الى وجوه المصلحة وانتهاضه لغرض ثم اخذ يذكرهم بموته وكنى بقوله الثمتم له رقابكم عن خضوعهم لطاعته وانقيادهم لامره وبقوله واشرتم اليه بالاصابع عن اشتهاره فيهم وتعينه وتعظيمه له واشار الى انه اذا تم الاسلام به توفى بقوله فلبثتم بعده ما شاء الله الى انتم تخلون عن امام يجمعهم مدة والاشارة الى مدة بني امية وبقوله حتى يطلع الله لكم الى قوله نشركم على انه لا بد لهم بعد تلك المدة من شخص يجمعهم وطلوعه ظهوره وتعينه للرياسة بعد اختفاء فقيل هو الامام المنتظر وقيل هو قائم بني العباس بعد انقضاء دولة بني امية وقوله فلا تطمعوا في غير مقبل اى من لم يقبل على طلب هذا الامر من هو اهله ومتعين له وانزعجه الى الحلوة بالله فلا تطمعوا فيه فان له بالله شغلا عن كل شئ وقيل المراد بغير المقبل من انحرف عن الدين بارتكاب منكر فانه لا يجوز الطمع في ان يكون اميرا لكم وروى فلا تطمعوا في غير مقبل اى من اقبل عليكم من اهل البيت طالبا لهذا الامر وهو اهل له فكونوا معه وكنى بالطعن في عينه عن دفعه عما يريد وقوله ولا تيأسوا من مدبر الى قوله فتثبتا جميعا اراد ان من ادبر عن طلب الخلافة ممن هو اهل لها فلا ينبغي ان يحصل الاياس من عوده واقباله على الطلب فلعله انما ادبر عن ذلك لاختلال بعض الشرائط التي تتعين عليه معها القيام وكنى عن اختلال بعض احواله من قلة ناصر ونحوه بزوال احدى قائمتيه وبثبات الاخرى عن وجود بعض الشرائط كثبات اهليته للطلب وبعض انصار معه وبقوله فترجعا حتى تثبتا عن تكامل شرائطه قيامه ولا يناقض النهي عن الياس ههنا النهي عن الطمع في غير المقبل لجواز ان نهى عن الطمع فيه حال اعراضه وادباره عن الطلب لاختلال بعض شرائطه والنهي عن الاياس منه لجواز حصول شرائط القيام فيه وتكاملها وقوله الا ان مثل آل محمد صلى الله عليه وآله الى قوله طلع نجم فتعيين للائمة من آل محمد فالذين قالت الامامية هم الاثنى عشر من اهل البيت وشبههم بالنجوم ووجه التشبيه امران احدهما انهم يستضاء بانوار هداهم في سبيل الله كما يستضئ السارى بالنجوم في سفره ويهتدى بها الثاني ما اشار اليه بقوله كلما خوى نجم طالع طلع نجم وهو كناية عن كونهم كلما خلا منهم سيد قام سيد والامامية يستدلون بهذا الكلام منه عليه السلام على انه لا يخلو زمان من وجود قائم من اهل البيت يهدى في سبيل الله وقوله فكانكم الى آخره اشارة الى منة الله عليهم بظهور الامام المنتظر واصلاح احوالهم بوجوده ووجدت له عليه السلام في اثناء بعض خطبه في اقتصاص ما يكون بعده فصلا يجرى مجرى الشرح لهذا الوعد وهو ان قال يا قوم اعلموا علما يقينا ان الذي يستقبل قائمنا من امر جاهليتكم ليس بدون ما استقبل الرسول من امر جاهليتكم وذلك ان الامة كلها يومئذ جاهلية الا من رحم الله فلا تعجلوا فيعجل الخرق بكم واعلموا ان الرفق يمن وفي الاناة بقاء وراحة والامام اعلم بما ينكر ولعمري لينزعن عنكم قضاة السوء وليقبضن عنكم المراضين وليعزلن عنكم امراء الجور وليطهرن الارض من كل غاش وليعملن فيكم بالعدل وليقومن فيكم بالقسطاس المستقيم وليتمنن احياؤكم لاموانكم رجعة الكرة عما قليل فيبعثوا اذن فان ذلك كائن لله انتم باحلامكم كفوا السنتكم وكونوا من وراء معايشكم فان الحرمان سيصل اليكم وان صبرتم واحتسبتم واستيقنتم انه طالب وتركم ومدرك لثاركم واخذ بحقكم واقسم بالله قسما حقا ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

ومن خطبة له عليه السلام يشتمل على ذكر الملاحم الاول قبل كل اول والاخر بعد كل آخر باوليته وجب ان لا اول له وباخريته وجب ان لا آخر له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يوافق فيها السر الاعلان والقلب اللسان ايها الناس لا يجرمنكم شقاقي ولا يستهوينكم عصياني ولا تتراموا بالابصار عند ما تسمعونه مني فوالذي فلق الحبة وبرء النسمة ان الذي انبئكم به عن النبي صلى الله عليه وآله ما كذب المبلغ ولا جهل السامع لكأني انظر الى ضليل قد نعق بالشام وفحص براياته في ضواحي كوفان فاذا فغرت فاغرته واشتدت شكيمته وثقلت في الارض وطاته عضت الفتنة ابناءها بانيابها وماجت الحرب بامواجها وبدا من الايام كلوحها ومن الليالي كدوحها فاذا اينع زرعه وقام على ينعه وهدرت شقاشقه وبرقت بوارقه عقدت رايات الفتن المعضلة واقبلن كالليل المظلم والبحر الملتطم هذا وكم يخرق الكوفة

١٤ ج

من قاصف ويمر عليها من عاصف وعن قليل تلتف القرون بالقرون ويحصد القائم ويحطم المحصود **اقول** يجرمنكم يحملنكم عليكم واستهواه امال له والضليل الكثير الضلال ونعق صاح وفحص الطائر الارض برجله بحثها والضواحي البارزة وكوفان اسم للكوفة وفغر فوه انفتح وفلان شديد الشكيمة اذا كان قوى النفس ابيا والكلوح تكشر في عبوس والكدح فوق الخدش واينع الزرع نضج وحطم الدق ومضمون هذا الفصل بعد توحيد الله تحذير السامعين من عصيانه وعن التعامز بتكذيبه فيما ينبئهم فيما كان يخبرهم به من الامور المستقبلة فقوله الاول والاخر قد مضى تفسيرهما وقوله باوليته وجب ان لا اول له لما اراد باوليته كونه مبدء الكل شئ وباخريته كونه غاية ينتهي اليها كل شئ في جميع احواله كان بدء تلك الاعتبارات يجب ان لا يكون له اول هو مبدؤه ولا آخر يقف عنده وينتهي وقوله ووصف شهادته بانها التي يوافق السر الاعلان والقلب اللسان كناية عن خلوصها عن شائبة النفاق والجحود بالله ثم انذر الناس وحذرهم من شقاقه وعصيانه وتكذيبه فيما يقول وهو تعريض لمن ضعفت عقيدته عن ادراك فضله وامكان الاخبار بما سيكون من مثله ثم اسند ما يريد ان يخبر به من ذلك وما اخبر به الى النبي صلى الله عليه وآله ليكون ذلك شهادة لصدقه واكد ذلك بتنزيهه صلى الله عليه وآله وتنزيه السامع يعني نفسه من الكذب فيما يبلغ عن ربه وفيما سمع هو منه وقد بينا كيفية اخذه لهذه العلوم عنه في المقدمات وقوله كاني انظر الى ضليل قد نعق بالشام من جملة اخباره بما سيكون والضليل قيل انه اشارة الى السفياني الدجال وقيل انه اشارة الى معوية فان مبدء ملكه بالشام وقد تقدم ذكره وبعد موته بها وانتهت غاراته الى نواحي الكوفة والى الانبار في حياته كما عرفت ذلك من قبل وكنى بفحصه براياته عن بلوغه الى الكوفة ونواحيها كناية بالمستعار ملاحظة لشبهه بالقطاة المتخذة مفحصا وكذلك نغرت فاغرته كناية بالمستعار عن اقتحامه للناس كناية بالمستعار ايضا لشبهه بالاسد في اقتحام فريسته واشتداد شكيمته كناية عن قوة راسه وشدة باسه واصله ان الفرس الجموح قوي الراس يحتاج الى قوة الشكيمة وشدتها وكذلك ثقل وطاته كناية عن شدة باسه في الارض على الناس والاشبه انه اشارة الى عبد الملك وقد عرفت احواله وثقل وطاته في الارض فيما سبق واستعار لفظ العض للفتنة ووجه المشابهة ما يستلزمانه من الشدة والالم ورشح تلك الاستعارة بذكر الانياب وابناء الفتنة اهلها وكذلك استعار لفظ الموج للحرب وكنى به عن الاختلاط الواقع فيها من القتل والاهوال وللايام لفظ الكلوح وكنى به عن شدة ما يلقى فيها من العيش المكدر وكذلك لفظ الكدوح استعارة لما يلقى فيها من المصائب لتشبيهه بها ولفظ الزرع استعارة لاعماله ولفظ الاينع كناية عن بلوغ غايته افعاله وكذلك لفظ الشقاشق والبروق استعارة لحركاته الهائلة واقواله المخوفة تشبيها بالسحاب ذى الشقاشق والبروق وقوله عقدت رايات الفتن المعضلة اى ان هذه الفتنة اذا قامت ثارت فتنا كثيرة بعدها يكون فيها الهرج والمرج وشبه تلك الفتن في اقبالها بالليل المظلم ووجه المشابهة كونها لا يهتدى فيها الحق كما لا يهتدى في ظلمة الليل المظلم وبالبحر الملتطم في عظمها وخلطها للخلق بعضهم ببعض وانقلاب قوم على قوم بالمحو لهم والهلاك كما يلتطم بعض امواج البحر ببعض ثم اشار الى ما يلحق الكوفة بسبب تلك الفتنة بعدها من الوقايع والفتن وقد وقع فيها من اخباره وقايع جمة وفتن كثيرة كفتنة الحجاج والمختار بن ابي عبيدة وغيرهما واستعار لفظي القاصف والعاصف من الريح لما يمر بها من ذلك ويجرى على اهلها من الشدائد وقوله وعن قليل تلتف القرون بالقرون الى آخره اى عن قليل يجتمع قرن من الناس بقرن وكنى بالتفات بعضهم ببعض عن اجتماعهم في بطن الارض واستعار لهم لفظ الحصد والحطم لمشابهتهم الزرع بحصد قائمه ويحطم محصوده فكنى بحصدهم عن موتهم وقتلهم ويحطم محصودهم عن فنائهم وتفرق اوصالهم في التراب واعلم انه ليس في اللفظ دلالة واضحة على ان المراد بالضليل المذكور معوية بل يحتمل ان يريد به شخصا آخر يظهر فيما بعد بالشام كما قيل انه السفياني الدجال وان كان الاحتمال الاول اغلب على الظن وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** يجرى هذا المجرى وذلك يوم يجمع الله فيه الاولين والاخرين لنقاش الحساب وجزاء الاعمال خضوعا قياما قد الجمهم العرق ورجفت بهم الارض فاحسنهم حالا من وجد لقدميه موضعا ولنفسه متسعا **اقول** اشار باليوم الى يوم القيمة ونقاش الحساب المناقشة والتدقيق فيه وقد عرفت كيفية ذلك اليوم فيما سبق ونحوه قوله تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم الاية وخضوعا كقوله تعالى خاشعة ابصارهم وقياما كقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وهما كنايتان عن كمال براءتهم من حولهم وقوتهم انت وتيقنهم ان لا سلطان الا لسلطانه والجمهم العرق بلغ منهم مكان اللجام وهو كناية عن بلوغهم الغاية من الجهد اذ كانت غاية الشاغب ان يكثر عرقه وقوله ورجفت بهم الارض كقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا قال بعضهم المراد بالارض الراجفة والمرتجة ارض القلوب عن نزول خشية الله عليها وشدة اهوال يوم القيمة وقال آخرون ان ذلك صرف للكلام عن ظاهره من غير ضرورة فلا يجوز اذ كل ما اخبر القرآن عنه من جزئيات احوال القيمة امور ممكنة والقدرة الالهية وافية بها وقوله فاحسنهم حالا من وجد لقدميه موضعا ولنفسه متسعا قيل المراد من وجد لنفسه ملعقلة موضعا من معرفة الله تعالى وعبادته ومن وجد لنفسه متسعا في حظائر قدس الله وسعة رحمته وظاهر ان اولئك احسن الخلق حالا يوم القيمة وحمله على ظاهره موافق لظاهر الشريعة ممكن **منها** فتن كقطع الليل المظلم لا تقوم لها قائمة ولا ترد لها راية تاتيكم مزمومة مرحولة يحفزها قائدها ويجهدها راكبها اهلها قوم شديد كلبهم قليل سلبهم يجاهدهم في سبيل الله قوم اذلة عند المتكبرين في الارض مجهولون

في البناء سيعرفون قوبل تلك بالبصرة عند ذلك من جيش من نقم الله لا رهج له ولا حس وسيبتلى اهلك بالموت الاحمر والجوع الاغبر
اقول مرهبا بهما من خلف والكلب الشره والاذلة جمع ذليل والرهج الغبار والحس الصوت الخفي وقد نبه في هذا الفصل على ما
سيقع بعده من الفتن وبعض منها فتنة صاحب الزنج بالبصرة وشبه تلك الفتن بقطع الليل المظلم ووجه الشبه ظاهر ولا تقوم لها قائمة اي
لا يمكن مقابلتها بما يقاومها ويدفعها وانما انث لكون القائمة في مقابلة الفتنة وقيل لا ينبت لها قائمة فرس واستعار لفظ الزمام
والرحل والخطم والقائد والراكب وخيل لها ملاحظة لشبهها بالناقة وكنى بالزمام والرحل عن تمام اعداد الفتنة وتعبيتها كما ان كمال
الناقة للركوب ان تكون مزمومة مرحولة وبقائدها عن اعوانها وبراكبها عن منشئها المتبوع فيها ويحفزها وجهدها عن سرعتهم فيها و
اهلها اشارة الى الزنج وظ شدة كلبهم وقلة سلبهم اذ لم يكونوا اصحاب حرب وعدة وخيل كما يعرف ذلك من قصتهم المشهورة وكما سنذكر
طرفا منها فيما ينقل من كلامه في فصل اخر وقد وصف مقاتليهم في الله بكونهم اذلة عند المتكبرين وكونهم مجهولين في الارض اي الخلق
من ابناء الدنيا المشهورين بينهم بها وكونهم معروفين في السماء هو اشارة الى كونهم من اهل العلم والايمان يعرفهم ربهم بطاعتهم وتعرفهم
ملائكته بعبادة ربهم ثم اردف ذلك باخبار البصرة مخاطبا لها والخطاب لاهلها بما سيقع بها من فتنة الزنج وظ انهم لم يكن لهم غبار ولا
اصوات اذ لم يكونوا اهل خيل ولا قعقعة لجم فاذن لا رهج لهم ولا حس وظاهر كونهم من نقم الله للعصاة وان عمت الفتنة اذ قلما تخص العقوبة
المذنب دون غيره كما قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وقوله وسيبتلى اهلك بالموت الاحمر والجوع الاغبر قيل
فالموت الاحمر اشارة الى قتلهم بالسيف من قبل الزنج او من قبل غيرهم ووصفه بالحمرة كناية عن شدته وذلك ان اشد الموت ما كان
بسفك الدم واقول لعد فتنة تم بهلاكهم من قبل الغرق كما نحكيه وهو ايضا في غاية الشدة لاستلزامه زهوق الروح وكذلك وصف الاغبر
لان اشد الجوع ما اغبر معه الوجه وعدم السمنة الصافية لفقد ما دة الغذاء او دائما فلذلك سمي اغبر وقيل لانه يلتصق بالغبراء وهي
الارض ونحن نشارع الى هذه القضية في فصل من خطبة خطب بها عند فراغه من حرب البصرة وفيها وهي خطبة طويلة حكينا منها ما هو
يتعلق بالملاحم من ذلك فصل يخبر حال غرقها ثم فرغ من ذلك الفصل قام اليه الاحنف بن قيس فقال له يا امير المؤمنين
ومتى يكون ذلك قال يا ابا بحر انك لن تدرك ذلك الزمان وان بينك وبينه لقرونا ولكن ليبلغ الشاهد منكم الغائب عنكم لكي يبلغوا
اخوانهم اذا هم راو البصرة قد تحولت اخصاصها دورا واجامها قصورا فالهرب الهرب فانه لا بصيرة لكم يومئذ ثم التفت عن يمينه فقال
كم بينكم وبين الابلة فقال المنذر بن الجارود فداك ابي وامي اربعة فراسخ قال له صدقت فوالذي بعث محمدا واكرمه بالنبوة وخصه
بالرسالة وعجل بروحه الى الجنة لقد سمعت منه كما تسمعون مني ان قال يا علي هل علمت ان بين التي تسمى البصرة والتي تسمى الابلة اربعة
فراسخ وقد يكون في التي تسمى الابلة موضع اصحاب العشور يقتل في ذلك الموضع من امتي سبعون الفا شهيدهم يومئذ بمنزلة شهداء
بدر فقال له المنذر يا امير المؤمنين ومن يقتلهم فداك ابي وامي قال يقتلهم اخوان الجن وهم جيل كانهم الشياطين سود الوانهم منتنة ارواحهم
شديد كلبهم قليل سلبهم طوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه ينفر لجهادهم في ذلك الزمان قوم هم اذلة عند المتكبرين من اهل ذلك الزمان مجهولون
في الارض معروفون في السماء تبكي السماء عليهم وسكانها والارض وسكانها ثم هملت عيناه بالبكاء ثم قال ويحك يا بصرة ويلك يا بصرة من جيش
لا رهج له ولا حس قال له المنذر يا امير المؤمنين وما الذي يصيبهم من قبل الغرق مما ذكرت وما الويح وما الويل فقال هما بابان فالويح باب
الرحمة والويل باب العذاب يا ابن الجارود نعم ثارات عظيمة منها عصبة يقتل بعضها بعضا ومنها فتنة تكون بها اخراب منازل وخراب ديار و
انتهاك اموال وقتل رجال وسبي نساء يذبحن ذبحا يا ويل امرهن حديث عجب منها ان يستحل بها الدجال الاكبر الاعور الممسوح العين اليمنى
والاخرى كانها ممزوجة بالدم لكانها في الحمرة علقة ناتي الحدقة كهيئة حبة العنب الطافية على الماء فيتبعه من اهلها عدة من قتل بالابلة من
الشهداء اناجيلهم في صدورهم يقتل من يقتل ويهرب من يهرب ثم رجف ثم قذف ثم خسف ثم مسخ ثم الجوع الاغبر ثم الموت الاحمر وهو الغرق
يا منذر ان للبصرة ثلاثة اسماء سوى البصرة في الزبر الاول لا يعلمها الا العلماء منها الخريبة ومنها تدمر ومنها المؤتفكة يا منذر والذي
فلق الحبة وبرئ النسمة لو اشاء لاخبرتكم بخراب العرصات عرصة عرصة متى تخرب ومتى تعمر بعد خرابها الى يوم القيمة وان عندي من ذلك علما
جما وان تسألوني تجدوني به عالما لا اخطئ منه علما ولا وافيا ولقد استودعت علم القرون الاولى وما كان الى يوم القيمة فقام اليه رجل
فقال يا امير المؤمنين اخبرني من اهل الجماعة ومن اهل الفرقة ومن اهل السنة ومن اهل البدعة فقال ويحك اذا سالتني فافهم عني ولا عليك ان
لا تسال احدا بعدي اما اهل الجماعة فانا ومن اتبعني وان قلوا وذلك الحق عن امر الله وامر رسوله واما اهل الفرقة فالمخالفون لي ولمن اتبعني
وان كثروا واما اهل السنة فالمتمسكون بما سنه الله ورسوله الا العاملون برايهم واهوائهم وان كثروا وقد مضى الفوج الاول وبقيت افواج
وعلى الله فصمها واستيصالها عن جدبة الارض وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** ايها الناس انظروا الى الدنيا نظر الزاهدين
فيها الصادفين عنها فانها والله عما قليل تزيل الثاوي الساكن وتفجع المترف الامن لا يرجع ما تولى منها فادبر ولا يدرى ما هو آت
منها فينتظر سرورها مشوب بالحزن وجلد الرجال فيها منسوب الى الضعف والوهن فلا تغرنكم كثرة ما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم

١٧

الجزء

منها رحم الله امرا تفكر فاعتبر واعتبر فابصر فكان ما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن وكان ما هو كائن من الاخرة عما قليل لم يزل
وكل معدود منقض وكل متوقع آت وكل آت قريب دان **اقول** صدف اعرض وثوى بالمكان اقام به والجليد المصيبة
والجلد القوة وحاصل الفصل التزهيد للدنيا والتحذير منها فامرهم ان ينظروا اليها نظر الزاهدين فيها المعرضين عنها امرهم بتركها
واحتقارها الا بمقدار الضرورة الى ما تقوم به الضرورة ثم اردفه بذكر معايبها المنفرة **فالاول** انها للمقيم بها المطمئن اليها تاركا
ركنا ليس منها **الثاني** تجبعها المترف المتنعم بها الذي هو يعتمد بما فيها حتى امن فيها يسلبه ركن اليه وامن عليه **الثالث** كونها
لا يرجع ما تولى منها فادبر من شباب وصحة ومال وعمر ونحوه **الرابع** كونها لا يدرى ما هو آت من مصائبها فينتظر ويحترز منه **الخامس**
شوب سرورها بالحزن اذ كان سرورها لا يبعد في كل اوان فوت مطلوب او فقد محبوب **السادس** انتهاء قوة اهلها وجلدهم
الى الضعف كما قال تعالى ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة وقد قال بعض الصالحين في الدنيا فقال عيش مشوب وتنغص ثم يبتسم
الى هرم مختوم بعدم مستعقب بندم فهل يجوز التنافس فيه ثم نهى عن الاغترار بكثرة ما يعجبهم منها وعلل حسن ذلك لانتهاء بقلة ما
يصحبهم منها فان المنافسة انما ينبغي ان يكون باقيا للانسان حيث كان وانشار بقليل ما يصحبهم منها الى الكفن ونحوه ثم دعا الى
تفكر فافاده فكره عبرة اي انتقال ذهن الى ما هو الحق من وجوب ترك الدنيا والعمل للاخرة فافاده ذلك الانتقال ادراكا للحق ومشاهدة
ببصر البصيرة له ثم اردفه بتشبيه وجود متاع الدنيا الحاضر بعدمه تنبيها على سرعة لحوق عدمه لوجوده فكان وجوده شبيه بان لم يكن
لسرعة زواله وكذلك تشبيه عدم الاخرة الان وما يلحق فيها من الثواب والعقاب بوجودها الدائم اي كانها لسرعة وجودها ولحوقها
لم تزل موجودة ونبه بقوله وكل معدود منقض على انقضاء مدد الاعمار لكونها معدودة بالايام والساعات والانفاس وقوله وكل
متوقع آت وكل آت قريب دان في صورة الضرب الاول من الشكل الاول ونتيجته فكل متوقع قريب دان والاشارة به الى الموت وما بعده
منها العالم من عرف قدره وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره وان من ابغض الرجال الى الله لعبدا وكله الله الى نفسه
جائر عن قصد السبيل سائر بغير دليل ان دعي الى حرث الدنيا عمل وان دعي الى حرث الاخرة كسل كان ما عمل له واجب عليه
وكان ما ونى فيه ساقط عنه **اقول** حصر العالم فيمن عرف قدره واراد بقدره مقداره من ملك الله ومحله من الوجود ولما كان
عرفانه بذلك مستلزما لمعرفته بنسبته الى مخلوقات الله في العالمين وانه اي شيء هو منها ولاي شيء وجد لا جرم كان هو العالم اللازم لجده
الشامل لما امر به غير المتعدي طوره المرسوم له في كتاب ربه وسنن انبيائه وقوله وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره لما كان العالم مستلزما
لمعرفة القدر كان معرفة عدم القدر مستلزما لعدم العلم وهو الجهل لان نقيض اللازم يستلزم نقيض الملزوم وقوله وكفى بذلك الجهل اشارة
الى نقيضه واستلزامه للعذاب وقوله وان من ابغض الرجال الى الله الى قوله قصد السبيل قد سبق بيانه وقوله سائر بغير دليل كنى بالدليل
عن ائمة الهدى والمرشدين الى الله ويدخل في ذلك الكتاب والسنة فان من سار في معاملة الله او لعباده بغير دليل منهما كان من الهالكين
وقوله ان دعي الى حرث الاخرة استعار لفظ الحرث لاعمال الدنيا واعمال الاخرة ووجه المشابهة كونها مستلزمة للمكاسب الاخروية والدنيوية كما ان الحرث
كذلك ثم شبه ما عمل له من حرث الدنيا بالواجب عليه في مبادرته اليه ومواظبته عليه وشبه ما ضيعه من حرث الاخرة بالساقط عنه في ضعفه وكاسله
وعوده عنه مع ان الامر منه ينبغي ان يكون بالعكس وبالله التوفيق **منها** وذلك زمان لا ينجو فيه الا كل مؤمن نومة ان شهد لم يعرف وان
غاب لم يفتقد اولئك مصابيح الهدى واعلام السرى ليسوا بالمساييح ولا المذاييع البذر اولئك يفتح الله لهم ابواب رحمته ويكشف
عنهم ضراء نقمته ايها الناس سياتي عليكم زمان يكفا فيه الاسلام كما يكفا الاناء بما فيه ايها الناس ان الله تعالى قد اعاذكم من
ان يجور عليكم ولم يعذكم من ان يبتليكم وقد قال جل من قائل ان في ذلك لايات وان كنا لمبتلين قال السيد اما قوله كل مؤمن نومة
فانما اراد به الخامل الذكر القليل الشر والمساييح جمع مسياح وهو الذي يسيح بين الناس بالفساد والنمائم والمذاييع جمع مذياع وهو الذي اذا سمع
لغيره بفاحشة اذاعها ونوه بها والبذر جمع بذور وهو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقه **اقول** النومة كثير النوم وروي نومة بسكون الميم
وهو الضعيف وكفات الاناء قلبته لوجهه وكنى بالنومة عن خامل الذكر بين الناس لاشتغاله بربه عنهم كما فسره بقوله ان شهد لم يعرف وان غاب
لم يفتقد واشار باولئك الى كل مؤمن كذلك واستعار لهم لفظ المصابيح والاعلام لكونهم اسباب الهداية في سبيل الله وقد سبق ذلك وقوله ليسوا
بالمساييح الى قوله ضراء نقمته ظ وقد فسر السيد رضه مشكله وقوله ايها الناس الى قوله الاناء بما فيه اخبار بما سيكون من فساد اهل الزمان وما يكون
فيه من الفتن وترك الدين كما سبق من اشاراته وشبه قلبهم للزمان بقلب الاناء بما فيه ووجه الشبه خروج الاسلام عن كونه منتفعا به بعد تركهم
للعمل به كما يخرج ما في الاناء الذي كب عن الانتفاع واحسن بهذا التشبيه فان الزمان للاسلام كالاناء للماء واشار الى ان ذلك ليس بظلم بقوله
ان الله قد اعاذكم من ان يجور عليكم في قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وان تلك بلاء منه يبتلي به عباده كما قال تعالى ان في ذلك لايات وان كنا
لمبتلين فمن صبر فعمر صبره ومن كفر فعليه كفره وقد عرفت معنى ابتلاء الله خلقه وفائدته فلا وجه لاعادته وبالله التوفيق **ومن خطبة
له عليه السلم** وقد تقدم مختارها بخلاف هذه الرواية اما بعد فان الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وآله وليس احد من العرب

يفزع كبابا ولا يدعي نبوة ولا رجاء فقاتل بمن اطاعه من عصاه يسوقهم الى منجاتهم ويبادر بهم الساعة ان تنزل بهم يحسر الحسير ويقف الكسير فيقيم عليه
حتى يلحقه غايته الا هالكا لا خير فيه حتى اراهم منجاتهم وبوأهم محلتهم فاستدارت رحاهم واستقامت قناتهم وايم الله لقد كنت
من ساقتها حتى تولت بحذافيرها واستوسقت في قيادها ما ضعفت ولا جبنت ولا خنت ولا وهنت وايم الله لابقرن الباطل حتى
اخرج الحق من خاصرته **اقول** لنشرح ما انفردت هذه الرواية من الزيادة على الفصل المتقدم فالحسير الذي اعيا في طريقه والرحا قطعة
من الارض تستدير وترتفع على ما حولها واستوسقت اجتمعت وانتظمت وخنت جبنت فقوله فقاتل بمن اطاعه من عصاه معناه وقوله ويبادر
بهم الساعة ان تنزل بهم اى يسارع الى هدايتهم وسلوكهم سبيل الله كيلا تنزل بهم الساعة على عمى منهم عن صراط الله فيقعوا في مهاوي الهلاك
وقوله يحسر الحسير ويقف الكسير الى قوله لا خير فيه اشارة الى وصفه بالشفقة على الخلق في حال اسفارهم معه في الغزوات ونحوها اى انه كان
يسير في اخرهم ويتفقد المنقطع منهم عن اعياء او انكسار مركوب فلا يزال يلطف به حتى يبلغه اصحابه الا ما لا يمكن ايصاله ولا يرجى قال بعض الشارحين
كنى بالحسير والكسير عمن عجز ووقف قدم عقله في الطريق الى الله لضعف في عين بصيرته واعوجاج في الادراك وبقيا مع عليه يلحقه الى غاية عن اخذه
له بوجوه الحيل والجواذب الى الدين حتى يوصله الى ما يمكن من العقيدة المرضية والاعمال الزكية التي هي الغاية من طريق الشرع المطلوب سلوكها
وقوله الا هالكا لا خير فيه اراد به من كان مايوسا من رشده لعلمه بان نفوسهم غير ممكن كابي لهب وابي جهل ونحوهما وقوله فاستدارت رحاهم
استعار لفظ الرحا لاجتماعهم وارتفاعهم على غيرهم كما يرتفع القطعة من الارض عن نائل التراب ونحوه وقوله واستوسقت في قيادها
اشارة الى طاعة من اطاع من العرب وانقاد للاسلام واستعار لفظ الاتساق والقياد ملاحظة لتشبيههم بالابل المجتمعة لسائقها والمنظمة
في قيادها لها واستعار لفظ الخاصرة للباطل ورشح تلك الاستعارة بذكر الخاصرة ملاحظة لتشبيهه بالحيوان المبتلع ما هو اعز فيه منه وكنى به عن تميز
الحق منه وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله شهيدا وبشيرا ونذيرا خير البرية طفلا
وانجبها كهلا واطهر المطهرين شيمة واجود المستمطرين ديمة فما احلولت لكم الدنيا في لذاتها ولا تمكنتم من رضاع اخلافها
الا من بعد ما صادفتموها جائلا خطامها قلقا وضينها قد صار حرامها عند اقوام بمنزلة السدر المخضود وحلالها بعيدا غير
موجود وصادفتموها والله ظلا ممدودا الى اجل معدود فالارض لكم شاغرة وايديكم فيها مبسوطة وايدي القادة
عنكم مكفوفة وسيوفكم عليهم مسلطة وسيوفهم عنكم مقبوضة الا ان لكل دم ثائرا ولكل حق طالبا وان الثائر في دمائنا كالحاكم
في حق نفسه وهو الله الذي لا يعجزه من طلب ولا يفوته من هرب فاقسم بالله يا بني امية عما قليل لتعرفنها في ايدي غيركم وفي دار عدوكم
الا ان ابصر الابصار ما نفذ في الخير طرفه الا ان اسمع الاسماع ما وعى التذكير وقبله ايها الناس استصبحوا من شعلة مصباح واعظ
متعظ وامتاحوا من صفو عين قد روقت من الكدر يا عباد الله لا تركنوا الى جهالتكم ولا تنقادوا الى اهوائكم فان النازل بهذا المنزل
نازل بشفا جرف هار ينقل الردى على ظهره من موضع الى موضع لرأي يحدثه بعد رأي يريد ان يلصق ما لا يلتصق ويقرب ما لا يتقارب
فالله الله ان تشكوا الى من لا يشكي شجوكم ولا ينقض برأيه ما قد ابرم لكم انه ليس على الامام الا ما حمل من امر ربه الابلاغ في الموعظة والاجتهاد
في النصيحة والاحياء للسنة واقامة الحدود على مستحقيها واصدار السهمان على اهلها فبادروا العلم من قبل تصويح نبته ومن قبل ان
تشغلوا بانفسكم عن مستثار العلم من عند اهله وانهوا غيركم عن المنكر وتناهوا عنه فانما امرتم بالنهي بعد التناهي **اقول**
الشيمة الخلق واحلولى حلا والخلف جمع خلف وهو ضرع الناقة والوضين حزام الهودج والمخضود الذي لا شوك فيه والماتح الجاذب للدلو من البئر وشعر
الكلب رفع احدى رجليه ليبول والترويق التصفية والجرف المكان ياكله السيل وهار اصله هائر وهو المنهدم نقلت من الثلاثي الى الرباعي
كسائل وشاكي والشجو الهم والحزن وصوح النبت يبس وقوله حتى بعث الله محمدا ص الى قوله من بعده افتخار به ص ومدح له بالقوة في الدين
وتوبيخ لجمع الدنيا ومحبيها بعده وهو غاية الفصل سابق كانه ذكر فيه ما كانوا عليه من سوء الحال والقشف والفقر ومن عليهم بذكر هذه
الغاية الحسنة لتلك الاحوال ووصفه باوصاف احدها كونه شهيدا اى على الخلق باعمالهم يوم القيمة كما قال تع فكيف اذا جئنا من كل امة
بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقد عرفت كيفية هذه الشهادة الثاني وبشيرا للخلق بما اعدهم من الثواب العظيم الثالث ونذيرا
لهم بما اعد للعصاة من العذاب الاليم وينتظم هذه الاوصاف قوله تع انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا والثالثة احوال الرابع خير البرية طفلا
ولما علمت ان الافضلية انما هي بالاعمال الصالحة والتشديد لسلوك سبيل الله وكان هو ص منذ صباه وطفوليته افضل الخلق في
لزوم ذلك لا جرم كان خير الناس طفلا الخامس وانجبها كهلا ولما كانت النجابة مستلزمة لكرم الخصال والتقاط الفضائل وتتبعها وكان
هو ص في كهوليته ودعوته متبع كل فضيلة لا جرم كان انجبهم كهلا وطفلا وكهلا منصوبان على الحال السادس كونه اطهر المطهرين
شيمة ولما كانت ص متممة مكارم الاخلاق الطاهرة وكل خلق عدل في قسمه مكتسب لا جرم كان اطهر الشيمة واكرم الخلق السابع اجود المستمطرين ديمة
استعار له وصف السحاب المرجو منه نزول الديمة وهي المطر الذي لا رعد فيه ولا برق ورشح بلفظ الديمة وكنى بذلك عن غاية جوده و
كرمه وقد كان ص اذا امسى واوى الى البيت فلا يجد فيه شيئا من فضة او ذهب الا تصدق به ولم يبت في بيته منه شيء وشيمة وديمة تميزان

وقوله فما احلولت لكم الدنيا في لذاتها الى قوله من بعده الخطاب لبني امية ونحوهم وهو تبكيت لهم بتطعيمهم لذة الدنيا وابتهاجهم بها وتمكنهم
منها بعد الرسول ص وتذكير لهم بحالهم تشبيه في ذلك واستعار لفظ الاخلاف وكنى به عن وجوه مكاسب الدنيا ولذاتها ورشح تلك
الاستعارة بذكر الرضاع وكنى به عن تناولهم لها ملاحظة لتشبيهها بالناقة وقوله وصادفتموها الى قوله غير موجود استعار لها لفظ الخطام
والوضين ورشحهما بالقلق والجولان وكنى بذلك عن مصادفتهم للدنيا بعد رسول الله ص غير منظومة الحال ولا مضبوطة على ما ينبغي لضعف
ولاتها على اصلاح حالها كما ان الناقة قلقة الحزام وجائلة الخطام غير منظومة الالة ولا مضبوطة الحالة فهي بمعرض ان تشتي وتضرب
على غير استقامة فتهلك راكبها ثم ذكر رذيلة القوم فشبه حرامها بالسدر المخضود معهم ووجه الشبه ان نواهي الله ووعيداته على فعل المحرمات
تجري مجرى الشوك للسدر في كونها مانعة منه كما تمنع شوك السدر جانبه من تناول ثمرته ولما كان بعض الامة قد طرح اعتبار النواهي و
الوعيد جانبا عن نفسه وفعل ما حرم عليه جرى ذلك عنده مجرى تناوله للسدر الخالي عن الشوك في استسهاله تناوله واقدامه عليه
وكون حلالها بعيدا غير موجود اى بين اولئك الناس اليهم وجائلا وقلقا حالان وقوله وصادفتموها والله الى قوله معدود واستعار لفظ
الظل لها ورشح بالممدود وكنى بذلك عن زوالها بعد حين تهديدا لهم به ثم استعار لفظ الشاغرة للارض وكنى به عن خلوها لهم يقال بقي
الامر بفلان شاغرا برجله اذا لم يكن له طالب ولا حاكم يحميه وكنى ببسط ايديهم فيها عن قدرتهم على التصرف واراد بالقادة الخلفاء وبسلطة
سيوفهم على القادة جرائمهم وحكمهم عليهم وبقبض سيوف القادة عدم تمكنهم منهم وقوله الا ان لكل دم ثائرا الى قوله من هرب تهديد بالله
لبني امية وتخويف باخذه وعقابه وبها بان لكل من ظاهر بالصدق فانه تع هو الثائر لكل دم معصوم والطالب به ان عدم طالبه وضعف
ولما كان دم مسلم عليهم السلام وسائر الصحابة من عصمه الله دمه ومنع منه وجوبه يجري مجرى الحق الثابت المتعلق بالله في كونه يطلبه ولا يهمله وهو
الحاكم المطلق لا جرم استعار لفظ الثائر وانما قال كالحاكم لان اطلاق لفظ الحق لله تع ليس بحقيقة اذ الحق من شأنه ان ينتفع باخذه
وينضر بتركه والباري منزه عن ذلك لما جرى تلك الدم مجرى الحق له تع شبه بالحاكم في استيفاء الحق ووصفه تع بانه لا يعجزه مطلوب ولا
يفوته هارب في معرض التهديد لهم باخذه وقوته ثم اردف ذلك بالقسم البار مخاطبا لبني امية لتعرفنها اى الدنيا والامرة في يد غيرهم من
اعدائهم وذلك الخط الصدق بانتقالها الى بني عباس ثم شرع بعده في التنبيه على الفكر في تحصيل السعادة الباقية والخير الدائم وعلى
قبول الوعظ والتذكر فاشار الى ان ابصر الابصار ما نفذ في الخير طرفه واسمع الاسماع ما وعى التذكير وقبله واراد بطرف البصر العقل
وسمعه استعارة لوجه البصر والسمع على معنى ان افضل ابصار البصر وسماع السمع ما على المبصر والسامع بالفائدة المطلوبة منهما وهي
تحصيل الكمالات النفسانية من العلوم والاخلاق ولما قدم ذلك تمام مقصوده امر بالناس بعده الى قوله والاستصباح بنوره
واستعار لنفسه لفظ المصباح ورشح بذكر الشعلة والاستصباح واستعار لفظ العين ورشح بذكر الصفو والترويق والمتح ووجه الاستعارة الاولى
كونه مقتدى كالمصباح ووجه الثانية كون العلم المستفاد منه مادة الحيوة الابدية كما ان ماء العين مادة الحيوة الدنيوية وكنى بترويقها
من الكدر عن رسوخه فيما علم بحيث لا يتطرق اليه فيه شبهة تكدر يقينه وهو امر لهم بالاهتداء به واخذ العلوم عنه ثم لما امرهم باخذها عنه نهاهم
بالنهي عن الجهل والركون اليه ثم عن الانقياد للاهواء الباطلة المخرجة عن كرائم الاخلاق الى رذائلها وعن حق المصالح الى باطلها وقوله
فان النازل بهذا المنزل اى المنزل المشير المدعي النصيحة لهم عن جهل منه بوجوه المصالح وذلك انه ع كان يرى الراي الصالح ويشير عليهم
به فاذا اخلا بعض الى بعض مما كان من ذلك فيه مشقة عليهم من جهاد وموافقته على عمل شاق اشار منافقوهم المبغضون له عليهم
لقائه بعكس ما راى فيه واشاروردهم عنه الى ما يوافق اهواءهم ويلائم طباعهم افسادا في الدين واشارة الى ما نزل نفسه منزلة
المشير الناصح مع ان كل ما يشير به عن هوى متبع وجهل فهو على شفا جرف هار واستعار لفظ الجرف للاراء الفاسدة الصادرة فانها
لم تبن على نظام العقل ولم ترخص فيه الشريعة فكانت منهارة لا يبنى عليها الا ما كان بصدد ان ينهار وكان المشير بها واقفا على شفا جرف
هار منها بينها دبر في نار جهنم او في الهلاك الحاضر يقال لمن فعل فعلا على غير اصل او يتوقع له منه عقوبة مثلا انه على شفا جرف هار
ونحوه قوله تع امن اسس بنيانه على شفا جرف هار الاية وقوله ينقل الردى على ظهره من موضع لما كان الرأي على الهلاك وكان الرأي
الفاسد يستلزم الهلاك للمشار عليه وللمشير كان المشير على الخلق به عن هوى عن الناقل للهلاك من شخص الى غيره والمقسم على من يشير
عليهم به وهو في معرض التنفير عنه وقوله لرأي يحدثه بعد رأي يريد ان يلصق ما لا يلتصق ذكر غاية نقله من موضع الى اخر فان نقله للردى
يستلزم ان ينقله ويروى والراي بالواو وعلى هذا يكون كلاما مستانفا والتقدير انه يحسب اى يحدث بريئا الصاق ما لا يلتصق واستعار
لفظ اللصق للصلح اى يريد ان يصلح بينكم وبين عدوكم وذلك امر لا يصلح ووجه المشابهة كون المخصمين في طرفين يجمعهما الصلح ويوجب
لهما الاتحاد كما يجمع اللصاق بين الملتصقين ويحتمل ان يريد ان يلصق بكم من الاراء الفاسدة ما لا ينبغي ان يلتصق بكم وكذلك قوله ويقرب
ما لا يتقارب ويقرب عليكم ما بينكم وبينهم من البعد والافتراق وذلك امر لا يتقارب وبينهم من هذا ان من كان بها مع عن الركون الى
استشارته كان يخذلهم عن الحرب بذكر الصلح بينهم وبين معونة الدخول فيه ثم حذرهم الله وعقابه في ان يشكوا الى ما لا يشكي همهم وذلك

ان المنتكي اليه والمستشار اذا لم يشام الشاكي همه ولم يكن اهلا للراي في مثل ذلك الامر المشكوك فيه الا ان كان معروفا بجودة الراي وسر
ذلك ان الاهتمام بالامر يبعث زائد الفكر على الاستقصاء في تفتيش وجوه الاراء الصالحة فيه فيكون بصدد ان يستخرج منها اصلحها
وانفعها وان كان دون غيره في جودة الراي بخلاف الخلي الغير الباعث على طلب الاصلح واردفهم منهيهم عن ان ينقص برايه الفاسد
ما فاته بوهم هو هم من الراي الصائب في الجد والحرب ثم اردفه ببيان ما يجب على الامام مما هو تكليفه بالتشمير الى الترغيب وفائدة ذلك
الاعذار اليهم فيما لم علام ينسبوا اليه من تقصير من كونه الى غيره في الراي ونحوه وذكر امورا خمسة الابلاغ في موعظة العباد ثم
الاجتهاد في النصيحة لهم ثم الاحياء لسنة الله ورسوله فيهم ثم اقامة الحدود التي يستحقونها بجناياتهم ثم اصدار السهمان على اهلها و
السهمان جمع سهم وهو النصيب المخرج من المسلم من بيت المال ثم لما سبق يحثهم على الركون الى الجهل امرهم بالمبادرة الى العلم من قبل
تصويح نبته واستعار لفظ النبت ورشح بذكر التصويح وكنى به عن عدمه بموته وقوله ومن قبل ان تشغلوا بانفسكم اي تبلغ صيهام من
شرور الفتن التي تستنزل بهم من بغي امر يتنزع معادنها ومستثار العلم ما استخير منه واستخرج واهله هو ع في معناه ثم امرهم بالانهاء
عن المنكر ثم نهى غيرهم فان النهي عن التنهي بعد الانتهاء عنه هو النهي المثمر المطابق لمقتضى الحكمة اذ كان انفعال الطباع عن مثل هذه
الافعال والاقتداء بها اقوى واسرع منها عن سماع النهي خصوصا اذا خالفه فعل القائل وذلك امر ظاهر شهدت به العقول السليمة
والتجارب وتوافقت عليه الاراء والشرائع والبلاغة الشاعر لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم **ومن**
خطبة له عليه السلام الحمد لله الذي شرع الاسلام فسهل شرائعه لمن ورده واعز اركانه على من غالبه فجعله امنا
لمن علقه وسلما لمن دخله وبرهانا لمن تكلم به وشاهدا لمن خاصم به ونورا لمن استضاء به وفهما لمن عقل ولبا لمن تدبر
واية لمن توسم وتبصرة لمن عزم وعبرة لمن اتعظ ونجاة لمن صدق وثقة لمن توكل وراحة لمن فوض وجنة لمن صبر فهو ابلج
المناهج واوضح الولائج مشرف المنار مشرق الجواد مضيء المصابيح كريم المضمار رفيع الغاية جامع الحلبة متنافس السبقة شريف
الفرسان التصديق منهاجه والصالحات مناره والموت غايته والدنيا مضماره والقيامة حلبته والجنة سبقته **منها**
في ذكر النبي صلى الله عليه وآله حتى اورى قبسا لقابس وانار علما لحابس فهو امينك المامون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك
بالحق رحمة اللهم اقسم له مقسما من عدلك واجزه مضاعفات الخير من فضلك اللهم اعل على بناء البانين بناءه واكرم
لديك نزله وشرف عندك منزلته واته الوسيلة واعطه السناء والفضيلة واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا نادمين و — ولا ضالين
لا ناكبين ولا ناكثين ولا ضالين ولا مضلين ولا مفتونين وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم الا انا كررناه ههنا لما في الروايتين من
الاختلاف **منها** في خطاب اصحابه وقد بلغتم من كرامة الله لكم منزلة تكرم بها اماؤكم وتوصل بها جيرانكم ويعظمكم من لا فضل لكم عليه ولا
يد لكم عنده ويهابكم من لا يخاف لكم سطوة ولا لكم عليه امرة وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون وانتم
لنقض ذمم ابائكم تانفون وكانت امور الله عليكم ترد وعنكم تصدر واليكم ترجع فمكنتم الظلمة من منزلتكم
والقيتم اليهم ازمتكم واسلمتم امور الله في ايديهم يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات وايم الله لو فرقوكم تحت
كل كوكب لجمعكم الله لشر يوم لهم **اقول** ابلج الواضح المشرق والوليجة بطانة الرجل وخاصته والمضمار محل تضمير الخيل
للسباق والحلبة خيل تجتمع من مواضع متفرقة للسباق وقد تطلق على مجمعها والسبقة ما يستبق عليه من الخطر وقد حمد الله
سبحانه باعتبار ما انعم به من وضع شريعة الاسلام للعقول لتسلك بها اليه واشار بشرعه الى موارد العقول من اركانه وتسهيله
لها ايضاح قواعده وخطابه بحيث يفهمها الفصيح والالكن ويشارك الغبي في ورود مناهلها الفطن الذكي واعزاز اركانه حمايتها و
دفعها على من قصد هدمه واطفاء نوره مغالبة من المشركين والجاهلين ثم مدح الاسلام باوصاف اسندها الى مفيضه وثمانية
سبحانه ونعم احدها جعله امنا لمن علقه وظ كونه امنا لمن تعلق به في الدنيا من القتل وفي الاخرة من العذاب الثاني وكونه
سلما لمن دخله اي مسالما وفي الاول ملاحظة لتشبيهه بالحرم باعتبار دخوله وفي الثاني ملاحظة لتشبيهه بالمغالب من الشجعان
باعتبار سلامته ومعنى مسالمته الاستسلام له كونه يحقنون الدم معززا على ما كان يملكه فكان الاسلام مسالمة او مصالحة لكونه
يقتضي ما يوذيه بعد دخوله فيه الثالث كونه برهانا لمن تكلم به اي فيهما هو برهان الرابع كونه شاهدا لمن خاصم به والشاهد
اعم من البرهان لتناوله الجدل والخطابة الخامس كونه نورا لمستضيء به فاستعار له لفظ النور ورشح بذكر الاستضاءة ووجه
المشابهة كونه مهتديا به في طرق الله الى جنته السادس كونه فهما لمن عقل ولما كان الفهم عبارة عن جودة تهيؤ الذهن لقبول
ما يرد عليه كان الدخول في الاسلام ورياضة النفس بقواعده واركانه سببا عظيما لتهيؤ الذهن لقبول الانوار الالهية وفهم الايات
لا جرم اطلق عليه لفظ الفهم مجازا اطلاقا لاسم المسبب على السبب السابع كونه لبا لمن تدبر ولما كان اللب هو العقل اطلق عليه
لفظ العقل وان كان سببا له كالمجاز الاول واراد العقل بالملكة وما يوخذ من مراتب العقل فان الاسلام وقواعده اقوى

ج ١٧

الثامن

الاسباب لحصول العقل عن امثاله كونه اية لمن توسم واراد من تفرس طرق الخير ومقاصده فان الاسلام اية وعلامة لذلك المتفرس
اذا اهتدى بها فقد وقع في طريق الهدى التاسع كونه تبصرة لمن عزم واراد من عزم على امر وقصده فان الاسلام تبصرة
لكيفية فعله على الوجه الذي ينبغي العاشر كونه عبرة لمن اتعظ وذلك ظ فان الاسلام نعم المعبر بنفس المتعظ الى حضرة قدس
الله بما فيه من احوال الماضين وتصرف الزمان بهم الحادي عشر كونه نجاة لمن صدق الرسول صلى الله عليه وآله فيما جاء به فان دخوله في الاسلام
سبب نجاته من سخط الله في الدنيا وعذابه في الاخرة واطلق عليه اسم النجاة اطلاقا لاسم المسبب على السبب الثاني عشر
كونه ثقة لمن توكل اي هو سبب ثقة المتوكلين على الله لاشتماله على الوعد الكريم وبه يكون استعدادهم للتوكل الثالث عشر
كونه راحة لمن فوض اي من البحث والاستقصاء في الدلائل والتمسك باحكام الاسلام ودلائل القران والسنة المتداولة
بين اهله وفوض امره اليه استراح بذلك التفويض وقيل بل المراد منه ندب الى تفويض الامور الى الله وعلم ما لم يعلم منها
وترك التكليف به وذلك راحة وقيل بل المراد ان المسلم اذا كمل اسلامه وفوض امره الى الله كفاه الله جميع اموره واراحه من
الاهتمام بها الرابع عشر كونه جنة لمن صبر اي صبر على العمل بقواعده واركانه وظ كونه جنة من عذاب الله ولفظ الجنة مستعار
الخامس عشر ابلج المناهج ومناهج الاسلام طرقه واركانه التي يصدق على من سلكها انه مسلم وهي الاقرار بالله ورسوله و
التصديق بما ورد به الشرع كما مر وهو يبين وظ كونها انوار واضحة الهدى السادس عشر كونه واضح الولائج واضح البواطن و
الاسرار لمن نظر اليه بعين الاعتبار السابع عشر كونه مشرف المنار ومنار الاسلام الاعمال الصالحات التي يقتدى بها السالكون
كالعبادات الخمس ونحوها وظ كونه مشرفة عالية على غيرها من العبادات السالفة الثامن عشر كونه مشرق الجواد وهو قريب
من ابلج المناهج التاسع عشر كونه مضيء المصابيح وكنى بها عن علماء الاسلام وائمته كما مر فاستعار ورشح بذكر الاضاءة وكنى
بها عن ظهور العلم عنهم واقتداء الخلق بهم ويحتمل ان يريد بالمصابيح ادلة الاسلام كالكتاب والسنة العشرون كونه كريم المضمار
ومضمار الاسلام الدنيا كما سنذكره ولا شك في كونها كريمة باعتبار اقتباس الانوار منها والعبور بها الى الله تع ولفظ
المضمار مستعار لها وقد سبق بيانه الحادي والعشرون كونه رفيع الغاية ولما كانت غايته الوصول الى حضرة رب العالمين التي هي
جنة الماوى لا جرم كان رفيع الغاية اذ لا غاية ارفع منها واعلى مرتبة الثاني والعشرون كونه جامع الحلبة واستعار لفظ الحلبة للقيمة
فانها حلبة الاسلام كما سنبينه ووجه الاستعارة كونها محل الاجتماع بها للسباق الى حضرة الله التي هي الجنة كاجتماع الخيل للسباق
الى الرهن الثالث والعشرون كونه متنافس السبقة ولما كانت سبقته الجنة كانت اشرف ما يتنافس فيها الرابع والعشرون كونه
شريف الفرسان واستعار لفظ الفرسان لعلمائه الذين هم فرسان العلوم ورجالها ملاحظة لشبهه بالفرس الجواد الذي لا
يجارى راكبه الخامس والعشرون التصديق منهاجه وهي الى اخره تفسير لما اهمل تفسيره من مناهجه ومناره وغايته ومضماره وحلبته
وسبقته وانما جعل الموت غايته اي الغاية القريبة التي هي باب الوصول الى الله تع ويحتمل ان يريد بالموت الشهوات فانها غاية قريبة — موته
للاسلام ايضا وكذا استعار لفظ السبقة للجنة لكونها الثمرة المطلوبة الغائية من الدين كالسبقة غاية سعي المتراهنين **منها**
في ذكر الرسول صلى الله عليه وآله حتى اورى قبسا لقابس وانار علما لحابس فهو امينك المامون وشهيدك يوم الدين وبعيثك
نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم اقسم له مقسما من عدلك واجزه مضعفات الخير من فضلك اللهم اعل على بناء
البانين بناءه واكرم لديك نزله وشرف عندك منزلته واته الوسيلة واعطه السناء والفضيلة واحشرنا في زمرته
غير خزايا ولا نادمين ولا ناكبين ولا ناكثين ولا ضالين ولا مضلين ولا مفتونين قال السيد رضي وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم
الا انا كررناه ههنا لما في الروايتين من الاختلاف **اقول** القبس الشعلة واورى اشعل والحابس الواقف بالمكان والتزامها
هيبا للنزيل من ضيافة ونحوها والسنا الرفعة والزمرة الجماعة والناكب المنحرف من الطريق فقوله حتى اورى الى قوله الحابس غاية
لكلام مدح فيه النبي صلى الله عليه وآله وذكر جهاده واجتهاده في الدين للغاية المذكورة واستعار لفظ القبس لانوار الدين المشتعلة لتقتبس منها
نفوس الخلائق انوار الهدى وكذلك استعار لفظ العلم واسند اليه تنويره ويفهم منه امران احدهما انه اظهر انوارا جعلها اعلاما يهتدى
بها في سبيل الله من حبسته ظلمة الحيرة والشبهة عن سلوكها فهو واقف على ساق التحير كقوله تع واذا اظلم عليهم قاموا وكنى بتلك
الاعلام عن ايات الكتاب والسنن الثاني ان يكون المراد بالاعلام ائمة الدين وتنويره لها تنوير قلوبهم بما ظهر عن نفسه القدسية
من الكمالات والعلوم وقوله فهو امينك المامون اي على وحيك وشهيدك يوم الدين اي على خلقك وبعيثك نعمة اي مبعوثك
اليهم نعمة عليهم لهدايتهم الى جنتك ورسولك بالحق رحمة لعبادك ان يقعوا في مهاوي الهلاك بسخطك وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين ثم اردفه بالدعاء له صلى الله عليه وآله فدعا الله ان يقسم له قسما من عدله ولما كان مقتضى عدل الله ان يبلغ نفسا هي محل الرسالة اقصى ما
استعدت له من درجات الكمال وبعد هذا بذلك لكمال العلى وعاله ان يقسم له نصيبا وافرا من عدله بعده به الدرجات من رتب الوصول

العز المتنا هية وقوله واجزه مضاعفات الخير من فضلك ما دعا له بما يستحقه تاكد على ذلك فدعا له بان يفضل عليه بزيادة من فضله مضاعفا لما يستحقه من الخيرات وقوله اللهم اعل على بناء البانين بناءه دعاء لتشييد ما بناه من قواعد الدين على سائر بنينا والبانين للشرائع من الرسل قبله واراد ما بناه وتلقته من مراتب الكمال ولفظ البناء مستعار ثم دعا ان يكرم لديه ما هياه له من الثواب الجزيل وان يشرف مقامه ويحضر فدمه وان يوتيه ما يتوسل به اليه ويقربه منه ومن هوان يكمل استعداده لما هو اتم القوة على الوصول اليه ومن يعطيه الرفعة ويشرفه بالفضيلة التامة وان يحشره في زمرته على احوال غير خازين ولا نادمين على التفريط في جنب الله والتقصير في العمل بطاعته ولا ناكبين منحرفين عن سبيله الى احد طرفي التفريط والافراط ناكثين لعهوده ومواثيقه التي واثق بها خلفائه بعده ومحاسبوله الذين ولا ضالين عن سواء السبيل العدل ولا مفتونين بشبهات الاباطيل وبالله التوفيق **ومنها** في خطاب اصحابه وقد بلغتم من كرامة الله منزلة تكرم بها اماؤكم وتوصل بها جيرانكم ويعظمكم من لا فضل لكم عليه ولا يد لكم عنده ويهابكم من لا يخاف لكم سطوة ولا لكم عليه امرة وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون وانتم لنقض ذمم ابائكم تانفون وكانت امور الله عليكم ترد وعنكم تصدر واليكم ترجع فمكنتم الظلمة من منزلتكم والقيتم اليهم ازمتكم واسلمتم امور الله في ايديهم يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات وايم الله لو فرقوكم تحت كل كوكب لجمعكم الله لشر يوم لهم **اقول** صدر هذا الفصل بتذكيرهم المنزلة التي اكرمهم الله بها من الاسلام والهداية والايمان وما تلك المنزلة من الفضل حتى عمت حرمتها اماءهم وجيرانهم وان كانوا غير مسلمين وعظمهم من لا فضل لهم عليه ولا يد لهم عنده وهابهم من لا يخاف سطوتهم وظاهر ان سبب ذلك كله هو كرامة الله لهم بالاسلام والهداية للايمان ثم لما قرر نعمة الله عليهم اردف ذلك بالتوبيخ لهم على التقصير في اداء واجب حقه واشار الى تركهم لبعض شكر تلك النعمة وهو عدم انكارهم لما يرون من نقض عهود الله وسكوتهم عليها وعدم غضبهم كالراضين بذلك واراد بذلك بغي البغاة وخروج الخوارج وسائر المنكرات التي وقعت من اهل الشام وغيرهم مما خالفوا فيه امر الله ونكثوا بيعته التي هي عهد من عهود الله عليهم فان السكوت على مثل ذلك مع التمكن من ازالته وانكاره بالجهاد منكر هم راكبوه والواو في قوله وانتم للحال اي انتم مع ذلك تانفون لنقض ذمم ابائكم فكان يجب منكم بطريق الاولى ان تانفوا لعهود الله ان تنقض وذمته ان تخفر ثم ذكرهم تفريطهم وتفاقدهم في الامور التي كانت لله سبحانه فرضها اليهم وجعلهم موردها ومصدرها من امور الاسلام واحكامه والتسلط به على سائر الناس وتمكينهم الظلمة في منزلتهم تلك من الاسلام واراد بالظلمة معاوية وقومه وتمكينهم لهم تخاذلهم عنهم والقائهم ازمة الامور اليهم بذلك ولفظ الازمة مستعار والامور التي سلموها اليهم احوال بلاد الاسلام كل ذلك بالتقصير عن مجاهدتهم وعلمهم بالشبهات عملهم على وفق ارائهم الفاسدة واراؤهم الباطلة التي يتوهمونها حججا فيما يفعلون وسيرهم في الشهوات قطع اوقاتهم بالانهماك في مقتضيات الشهوة وقوله وايم الله الى اخره تخاب لهم وانذار بما سيكون من بني امية من جمع الناس في بلائهم وشرورهم وعموم فتنتهم وكنى باليوم عن مدة خلافتهم التي كانت شر الاوقات على الاسلام واهله ولما نسب التفريق اليهم والجمع الى الله نفرها لما سينزل به فقدرة من ابتلاء الخلق بهم فانهم لو فرقوهم في اطراف البلاد لجمعهم ذلك التفريق عن الحق فدل الله لهم ولم يمنعهم من نزوله تجمعهم بما يراد لهم من الابتلاء به وله بني امية وشرورها واحوال دولتهم مع الخلق خصوصا الصالحين من عباد الله ظاهرة وبالله العصمة والتوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** في بعض ايام صفين وقد رايت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم تحوزكم الجفاة الطغام واعراب اهل الشام وانتم لهاميم العرب ويافيخ الشرف والانف المقدم والسنام الاعظم ولقد شفى وحاوح صدري ان رايتكم باخرة تحوزونهم كما حازوكم وتزيلونهم عن مواقفهم كما ازالوكم حسا بالنصال وشجرا بالرماح تركب اولاهم اخراهم كالابل الهيم المطرودة ترمى عن حياضها وتذاد عن مواردها **اقول** الجولة الدولة والانحياز والتحاوز والطغام اوغاد الناس واللهاميم جمع لهموم وهو الجواد من الناس واليافيخ جمع يافوخ وهو اعلى الدماغ والوحاوح جمع وحوحة وهو صوت معه بحح يصدر عن المتالم والحس الاستيصال والنضال جمع نصل للسيف والشجر الطعن وتذاد تساق وتطرد وفي هذا الفصل تبكيت لاصحابه بانحيازهم عن عدوهم وتقريع ثم تحميد واغراء كيلا يعاودوا الى الفر وذلك قوله قد رايت الى قوله اهل الشام وقد تخاذلكم حتى حازكم ارذل اهل الشام مع انكم اهل الشرف وسادات العرب واستعار لفظ اليافيخ لهم اذ كانوا بالنسبة الى العرب في علوهم وشرفهم كاليافيخ بالنسبة الى الابدان وكذلك استعار لفظ الانف والسنام ووجه المشابهة عزهم وشرفهم كعزة الانف وتقدمه وحسن الوجه به بالنسبة الى باقي الاعضاء وكعزة السنام وعلوه بالنسبة الى باقي الاعضاء وكعزة السنام وعلوه بالنسبة الى باقي اعضاء الجمل ثم اردف ذلك التبكيت والتذكير بالرذيلة بذكر فضيلتهم التي ختموا بها وهي حوزهم لعدوهم بالاخرة كحوزهم لهم وازالتهم عن مواقفهم كما ازالوهم وحسهم استيصالا وطعنا بركب مقدمهم تاليهم والهم اخرهم ليثبتوا على مثل هذه الافعال في مثل تلك المواقف وعلى ذلك شفاء الوحاوح صدره وكنى بالوحاوح عما كان يجده من الالم بسبب انهزامهم وغلبة عدوهم لهم وشبههم في تضعضعهم وركوب بعضهم لبعض مولين بالابل العطاش التي اجتمعت على الحياض ليشرب ثم طردت ورميت عنها بالسهام ونهيت عما وردته فان طردها على تلك الاجتماع يوجب لها ان يركب بعضها بعضا ويقع بعضها على بعض وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** وهي من خطب الملاحم الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه والظاهر لقلوبهم بحجته خلق الخلق من غير

روية اذ كانت الرويات لا تليق الا بذوي الضمائر وليس بذي ضمير في نفسه خرق علمه باطن غيب السترات واحاط بغموض عقائد السريرات **اقول** حمد الله تعالى باعتبارات خمسة احدها اعتبار تجليه لخلقه بخلقه وقد علمت غير مرة ان تجليه لخلقه بخلقه وقد علمت غير مرة ان تجليه يعود الى جلاء معرفته من مصنوعاته لقلوب عباده حتى اشبه كل ذرة من مخلوقاته مراة ظهر فيها لهم فهم بتفاوتهم فمنهم من يشاهده ويرى على قدر قبولهم لمشاهدته وتفاوت تلك المشاهدة بحسب تفاوت اشعة ابصار بصائرهم فمنهم من يرى الصانع اولا ومنهم من لا يرى مع الصانع غيره الثاني الظاهر لقلوبهم بحجته اي الواضح وجوده لقلوب منكريه باوهامهم والسنتهم بقيام حجته عليهم بذلك وهي احكام الصنع واتقانه في انفسهم وان احتاجوا الى تنبيه ما كقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وكذلك في ملكوت السموات والارض كقوله تعالى اولم يتفكروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء الاية وهو قريب مما مر الثالث خلقه الخلق بلا روية وفكر في كيفية خلقه واشار الى برهان سلب الروية عنه بقوله اذ كانت الرويات لا تليق الا بذوي الضمائر اي بذي قلب وحواس بدنية وليس بذي ضمير في نفسه والقياس من الشكل الثاني وتركيبه كل روية فلذي ضمير ولا شيء من واجب الوجود بذي ضمير فينتج انه لا شيء من الروية لواجب الوجود سبحانه والمقدمتان جليتان لما سبق غير مرة مرة الرابع كون علمه خارقا لباطن غيب السترات وهو اشارة الى نفوذه في كل مستتر وغائب بحيث لا يحجبه ستر ولا يستره حجاب الخامس كونه محيطا هو بغموض عقائد السريرات اي بما دق من عقائد اسرار القلوب كقوله تعالى يعلم السر واخفى **منها** في ذكر النبي صلى الله عليه وآله اختاره من شجرة الانبياء ومشكاة الضياء وذؤابة العلياء وسرة البطحاء ومصابيح الظلمة وينابيع الحكمة **اقول** الذؤابة ما تدلى من الشعر ونحوه وبطحاء مكة بسيط واديها وسرة الوادي اشرف موضع فيه وفي الفصل استعارات الاولى الشجرة لصنف الانبياء ووجه المشابهة كون ذلك الصنف ذا ثمرة وفروع هم اشخاص الانبياء وثمرة العلوم والكمالات النفسانية كما ان الشجرة ذات غصون وثمر الثانية لفظ المشكوة لال ابرهيم ووجه المشابهة ان هؤلاء قد ظهرت منهم الانبياء وسطع من بينهم ضياء النبوة ونور الهداية كما يظهر نور المصباح من المشكاة الثالثة لفظ الذؤابة وبشبه ان يشير به الى قريش ووجه المشابهة تدليهم في اغصان الشرف والعلو عن اباءهم كتدلي ذؤابة الشعر على الراس الرابعة سرة البطحاء واشار به الى اختياره من افضل بيت في مكة الخامسة استعارة لفظ المصابيح للانبياء ووجه المشابهة ظ وقد مر غير مرة كونهم مصابيح ظلمات الجهل السادسة استعارة لفظ الينابيع ووجه المشابهة فيضان العلم والحكمة عنهم كفيضان الماء عن ينابيعه **منها** طبيب دوار بطبه قد احكم مراهمه واحمى مواسمه يضع من ذلك حيث الحاجة اليه من قلوب عمي واذان صم والسنة بكم متتبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة لم يستضيئوا باضواء الحكمة ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة فهم في ذلك كالانعام السائمة والصخور القاسية قد انجابت السرائر لاهل البصائر ووضحت محجة الحق لخابطها واسفرت الساعة عن وجهها وظهرت العلامة لمتوسمها ما لي اراكم اشباحا بلا ارواح وارواحا بلا اشباح ونساكا بلا صلاح وتجارا بلا ارباح وايقاظا نوما وشهودا غيبا وناظرة عمياء وسامعة صماء وناطقة بكماء راية ضلال قد قامت على قطبها وتفرقت بشعبها تكيلكم بصاعها وتخبطكم بباعها قائدها خارج من الملة قائم على الضلة فلا يبقى يومئذ منكم الا ثفالة كثفالة القدر او نفاضة كنفاضة العكم تعرككم عرك الاديم وتدوسكم دوس الحصيد وتستخلص المؤمن من بينكم استخلاص الطير الحبة البطينة من بين هزيل الحب اين تذهب بكم المذاهب وتتيه بكم الغياهب وتخدعكم الكواذب ومن اين تؤتون وانى تؤفكون فلكل اجل كتاب ولكل غيبة اياب فاسمعوا من ربانيكم واحضروه قلوبكم واستيقظوا ان هتف بكم وليصدق رائد اهله وليجمع شمله وليحضر ذهنه فلقد فلق لكم الامر فلق الخرزة وقرفه قرف الصمغة فعند ذلك اخذ الباطل ماخذه وركب الجهل مراكبه وعظمت الطاغية وقلت الداعية وصال الدهر صيال السبع العقور وهدر فنيق الباطل بعد كظوم وتواخى الناس على الفجور وتهاجروا على الدين وتحابوا على الكذب وتباغضوا على الصدق فاذا كان ذلك كان الولد غيظا والمطر قيظا وتفيض اللئام فيضا وتغيض الكرام غيضا وكان اهل ذلك الزمان ذئابا وسلاطينه سباعا واوساطه اكالا وفقراؤه امواتا وغار الصدق وفاض الكذب واستعملت المودة باللسان وتشاجر الناس بالقلوب وصار الفسوق نسبا والعفاف عجبا ولبس الاسلام لبس الفرو مقلوبا **اقول** المواسم المسامير التي تكوى بها والمجانبة انكشفت والموسم المتعرض والضلة الضلال والعكم بكسر العين العدل والبطينة الممتلئة والغياهب الظلم وتؤفكون تصرفون والفنيق الفحل المكرم وكظوم الجمل سكونه عن الجرة فقوله طبيب دوار بطبه كناية عن نفسه كناية بالمستعار فانه طبيب مرضى الجهل ورذائل الاخلاق وكنى بدورانه بطبه تعرضه لعلاج الجهال من ذاته ونصب نفسه لذلك واستعار لفظ المراهم لما عنده من العلوم ومكارم الاخلاق ولفظ المواسم لما يتمكن منه من اصلاح من لا ينفع فيه الموعظة والتعليم بالجلد وسائر الحدود فهو كالطبيب الكامل الذي يملك المراهم والادوية والمكاوي لمن لا ينفع فيه المراهم يضع كل واحد من ادويته ومواضع الحاجة اليه من قلوب عمي تعمى عما هداها اعدادها لقبول انوار العلم والهداية لسلوك سبيل الله ومن اذان صم بعدها القبول المواعظ ويجوز بلفظ الصم في عدم انتفاع النفس بالموعظة من جهتها فهي كالصماء الملازم على الازمة كان الصم يستلزم ذلك العدم ومن السنة بكم يطلبها بطلبها بذكر الله والحكمة واطلق لفظ البكم مجازا في عدم المطلوب منها بوجودها وهو التكلم بما ينبغي فانها لفقدها ذلك المطلوب كالبكم وقوله متتبع صفة الطبيب ومواضع الغفلة ومواطن الحيرة كناية عن قلوب الجهال

ولقد للت شار اليهم بانهم لم يستضيئوا باضواء الحكمة اى لم يكتسبوا شيئا من العلوم والاخلاق ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة التي تثقب سرادق الحجب كما يستخرج بالزناد النار وقوله ثم في ذلك اى في عدم استضائهم باضواء الحكمة كالانعام السائمة والصخور القاسية ووجه المشابهة بينهم وبين الانعام استواؤهم في الغفلة والانخراط في سلك الشهوة والغضب دون اعتبار شيء من حظ العقل وعدم التقيد به كالاوابد للانعام السائمة وبينهم وبين الصخور قساوة قلوبهم وعدم لينها وخشيتها من ذكر الله وآياته كما قال تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وقوله قد تجاب لسائر الامل النصا اشارة الى انكشاف ما يكون بعده لنفسه القدسية فلمن تقرب مما يكون من ملوك بني امية وعموم ظلمهم من اولى التجارب والفطن السليمة ويحتمل ان يريد بالسرائر اسرار الشريعة وانكشافها لاهلها وقوله ووضحت محجة الحق لخابطها اشارة الى وضوح الشريعة وبيان طريق الله وفائدة التاسية الجذب الى اتباع الدين وسلوك سبيل الله لا عذر للخابطين في جهالاتهم بعد وضوح دين الله وقوله واسفرت عن وجهها اى بدت مقبلة ولما كان وجه الشيء اول ما يبدو منه وينظر كنى به عما بدا من امر الساعة وهو قيام الفتن وادبا لها وقوله وظهرت العلامة لمتوسمها اى علامة قيام الساعة وهى الفتن المتوقعة والمنتظرة من بني امية ومن بعدهم وذكره لاستفاد الساعة ظهور علاماتها تنبيها على ترغيب العمل لها وقوله مالي اراكم اشباحا بلا ارواح شبههم في عدم انتفاعهم بالعقول وعدم تحريك المواعظ والتذكير لهم بالجمادات الخالية من الارواح كما قال تعالى كانهم خشب مسندة وقوله وارواحا بلا اشباح قيل فيه وجوه الاول ان ذلك للقبلة اشارة الى بعضهم اى ان منهم من هو شبح بلا روح كما سبق ومن كان له روح وفهم فلا قوة له بامر الحرب ولا نهضة معه فهو كروح خلت عن بدن فهم في طريقي تفريط وافراط الثاني قيل كنى بذلك عن عدم نهضة بعضهم الى الحرب فمن بعض اذا دعوا اليه كما لا يقوم البدن بدون الروح ولا الروح بدون البدن الثالث قال بعضهم لانهم ان خافوا هلكت عقولهم وطارت البابهم فكانوا كالاجسام بلا ارواح وان امنوا تركوا الاهتمام باموره وضيعوا الفرض ومصالح الاسلام حتى كانهم في ذلك ارواح لا تعلق لها بما يحتاج الاجسام اليه وقوله ونساكا بلا صلاح اشارة الى من تزهد منهم فزهده ظاهري ليس عن صلاح سريرته وقيل اراد من تزهد منهم عن جهل فانه وان عمل الا ان اعماله لما لم تكن عن علم كانت ضائعة واقعة على غير الوجه المرضي والمامور به كما روى عن الرسول صلعم الزاهد الجاهل مسخرة الشيطان وقوله وتجارا بلا ارباح اشارة الى من يتاجر منهم بالاعمال الفاسدة وهو يعتقد كونها قربة الى الله مستلزمة للثواب وليس كذلك ولفظ التجار والربح مستعاران ووجه الاستعارة بين ظ وقوله وايقاظا نوما اى نوبهم عن نوم نفوسهم في مراقد الطبيعة وما هدا لغفلة فهم بعد الاعتبار ايقاظ العيون نوم العقول وقوله وشهودا غيبا اى شهودا بابدانهم غيبا بعقولهم عن التفطن لمقاصد الله وتلقي انواره من المواعظ والاوامر الالهية وقوله وناظرة عميا اراد وعيونا ناظرة عميا اى عن تصفح آثار الله للعبرة بها والانتفاع في امر الآخرة فهي تشبه العمى في عدم الفائدة بها وقوله وسامعة صما اى واذانا سامعة للاصوات صما عن نداء الله والنافع من كلامه فهي تشبه الصم في عدم الفائدة المقصودة وقوله وناطقة بكما اى والسنة ناطقة بكما عن النطق بما ينبغي فاشبهت البكم ولفظ العمى والصماء والبكم مستعار للمشابهة المذكورة وقد راعى في ذلك التضاد في الالفاظ واراد ذوى عيون واذان والسنة بالصفات المذكورة اى خالية عن الفائدة وقوله راية ضلالة لما سبهم ويقطعهم بالتوبيخ والتقريع والتنقيص لهم انهم ما ينبغي ان يحذروا منه ويأخذوا الاهبة له من ظهور الفتن المتوقعة لبني امية وكنى عن ظهورها بقوله راية ضلالة والنقب رهقة راية ضلالة وكنى بقيامها على قطبها عن اجتماع اهلها على قائد الفتنة وتسيبهم فيها وكنى بالقطع عن كثرة المستعان وتفرقها وتشعبها انتشارها في الآفاق وقوله فمن اخرى عنها ثم استعار لفظ الكيل لاخذهم وهلاكهم زمرة زمرة ملاحظة لشبهها بالكيال في اخذه لما يكيل جملة جملة ورشح بلفظ الصاع وكذا استعار لفظ الخبط لايقاع التسف والاحكام الجائرة فيهم على غير قانون ديني ولا نظام حق لشبهها بالمكرة النفور من الابل التي تخبط ما تلقاه بيديها ورشح الاستعارة بذكر الباع ولم يقل بيديها لان ذكر الباع ابلغ في التعبير عن قوة الخبط وقوله قائدها خارج عن الملة اى خارج عن الدين والشريعة فاسق عن امرها قائما على الضلالة اى مقيم على الضلالة وقوله فلا يبقى يومئذ منكم الا ثفالة كثفالة القدر استعار لفظ الثفالة وكنى به عمن لا خير فيه من الارذال ومن لا ذكر له ولا شهرة وشبه اولئك بثفالة القدر في كونهم غير معتبرين ولا ملتفت اليهم وكذلك نفاضة العكم وهو ما يبقى في اسفل العدل من اثر الزاد والحنطة ونحوها ثم استعار لفظ العرك لتقليب الفتن لهم ووسمهم وتذليلهم بها كما يذلل ويلين الاديم وكذلك استعار لفظ الدوس لاهانتهم لهم وشدة امتهانهم اياهم بالبلاء وشبه ذلك بدوس الحصيد من الحنطة ونحوها وهو ظاهر ثم اشار الى استقصاء اهل تلك الضلالة على المؤمنين واستخلاصهم لهم لايقاع المكروه بهم وشبه ذلك الاستخلاص باستخلاص الطير الحبة السمينة الممتلية من الفازعة الهزيلة وذلك ان الطير تلتقط بمنقاره السمين من الحب من هزيله فيخلي عن الهزيل منه ثم اخذ يلومهم على سبيل التهكم والتقريع لهم ببقائهم على غوايتهم فسالهم عن غاية اخذ مذاهب الضلال وعما نتيه بهم ظلم الجهالات اليه من المطالب وعما تخدعهم اوهامهم الكواذب جاذبة لهم اليه سلكا عليهم مطلوبا آخر غير الله تعالى من طريق غير شريعته ثم سالهم عن الجهة التي يؤتون منها اى من اين اتتكم هذه الامراض وهو يعلم ان الداخل لما دخل عليهم من جهلهم لكن هذا نوع من البلاغة وذكر ما انه يسمى تجاهل العارف

الفصيلة الاولى التنبيه على النظر في العواقب

التهكم

وهو كقوله تعالى فاين تذهبون وكذا قوله فانى تؤفكون اى متى يكون انصرافكم عما انتم عليه من الغفلة وقوله ولكل اجل كتاب ولكل غيبة اياب هذا بالاشارة الى قرب الموت وانهم بمعرض ان يأخذهم على غفلتهم فيكونوا من الاخسرين اعمالا ثم امرهم باستماع الموعظة منه والرباني العالم علم الربوبية المتبحر فيه ثم باحضار قلوبهم وهو التفاتهم باذهانهم الى ما يقوله ثم بالاستيقاظ من نوم الغفلة عند هتفه بهم وندائه لهم وليصدق رائد اهله مثل نزل هنا على مراده واصله لا يكذب رائد اهله فاستعار لفظ الرائد للفكر ووجه المثل ان الرائد لما كان هو الذي يبعثه القوم لطلب الكلا والماء اشبه الفكر في كونه مبعوثا من قبل النفس في طلب مرعاها وماء حياتها من العلوم وسائر الكمالات وكنى به عنه واهله على هذا البيان هو النفس وكانه قال فليصدق فكاركم ومتخيلاتكم نفوسكم وصدقها اياها هو تصرفها على حسب اشارة العقل فيما تقوله وتشير به دون التفاتها الى مشاركة الهوى فان الرائد اذا ارسلته لم تمس عن مشاركة ميل شهواني كذبها وولها بغرور ويحتمل ان يريد بالرائد اشخاص من حضر عنده فان كلا منهم له اهل وقبيلة يرجع اليهم فامرهم ان يصدق فهم امرهم بتبليغ ما سمع على الوجه الذي ينبغي والنصيحة بها والدعوة اليه كما يرجع طالب الكلا والماء اذا وجدهما الى قومه فيبشرهم به ويحملهم اليه وقوله وليجمع شمله اى ما تفرق وتشعب من خواطره في امور الدنيا ومهماتها وليحضر ذهنه اى يوجهه الى ما اقول وقوله ولقد فلق لكم الامر فلق الخرزة اى وضح لكم امر ما جهلتموه من الدين واحكام الشريعة وقيل امر ما سيكون من الفتن وشق لكم ظلمة المجهل عنه كما يتضح باطن الخرزة لشقها وقرفه قرف الصمغة اى الق اليكم علمه بكليته والنصيحة فيه حتى لم يدخر عنكم شيئا من ذلك كما يقرف الصمغة فارقها يقال تركته على مثل مقرف الصمغة اذا لم تترك له شيئا لان الصمغة تقتلع من شجرها حتى لا يبقى عليها علقة وقوله فعند ذلك متصل بقوله من بين هزيل الحب اى فعند ما تفعل بكم تلك الفتن ودائرة الضلال ما تفعل قد اخذ الباطل ماخذه اى استحكم وثبت واخذ مقاره وكذا قوله وركب الجهل مراكبه اى كان ذا ثبات وقوة حملته ملاحظة لتشبيهه بالمستعد للغارة قد ركب خيله وكنى بمراكبه عن الجهال وقوله وعظمت الطاغية اى الفئة الطاغية التي تجاوزت في عظمها الحد والمقدار وقلت الداعية اى رعاة الدين واهله الذين يحمون حوزته الى الفرقة الراعية وروى الداعية الى الله وقوله وصال الدهر صيال السبع العقور استعار وصف الصيال للدهر ملاحظة لشبهه بالسبع ووجه الاستعارة كون اهله مبدءا قويا للملك الشرور الواقعة فاشبه السبع الضاري العقور في شدة صياله ثم استعار لفظ الفنيق للباطل ورشح الاستعارة بذكر الهدير والكظوم ووجه المشابهة ظهور الباطل واكرام اهله وتمكنهم من الامر والنهي كالفحل المكرم ذي الشقشقة وعنى بالهدير ظهورهم وتمكنهم وبالكظوم خفاء الباطل وخمول اهله في زمان ظهور الحق وقوته وقوله وتواخى الناس على الفجور اى كان اتصالهم ومحبة بعضهم لبعض على الفجور واتباع الاهواء وتهاجروا على الدين اى من حصل منه قوة في دينه هجروه ورفضوه فهجرهم والتحاب على الكذب داخل تحت التواخي على الفجور والتباغض على الصدق داخل تحت التهاجر وعلى الدين والغرض بعد ذلك تنفير السامعين عن تلك الرذائل وتخويفهم بوقوعها وقوله فاذا كان ذلك كان الولد غيظا اى اذا حدث ذلك شغل كل امرئ بنفسه وبنجوته فيكون الولد الذي هو اعز محبوب غيظا لوالده اى من اسباب المحنة وغيظه واطلق لفظ الغيظ عليه اطلاقا لاسم المسبب على السبب وقوله والمطر قيظا جعل وقوع المطر قيظا من علامات تلك الشرور وهو ايضا مما يعد شرا لانه لا يثير نباتا ولا يقوم عليه زرع ويفسد الثمار والغلات وكانه كنى به عن انقلاب احوال الخير شرورا وقوله وكان اهل ذلك الزمان الى قوله امواتا اهل كل زمان ينقسمون الى ملوك اكابر واوساط وادانى فاذا كان زمان العدل كان اهله في نظام سلكه فيفيض عدل الملوك على من يليهم ثم بواسطتهم على من يليهم حتى ينتهي الى ادان الناس واذا كان زمان الجور فاض الجور كذلك فكانت السلاطين سباعا ضارية مفترسة لكل ذي سمن وكان اهل ذلك الزمان واكابره ذئابا ضارية على اوساط الناس وكانت الاوساط اكالا لهم وكانت الفقراء امواتا لانقطاع مادة حياتهم ممن هو اعلى منهم رتبة وتجوز بلفظ الاموات عن غاية الشدة والبلاء لكون الموت غاية ذلك اطلاقا لاسم السبب الغائي على مسببه ثم استعار لفظ الغيض لقلة الصدق والفيض لظهور الكذب وكثرته ملاحظة لشبههما بالماء واستعمال المودة باللسان اشارة الى النفاق وهو التودد بالقول مع التباعد بالقلوب وعقدها على البغض والحسد واستعار لفظ التشاجر بالقلوب ملاحظة لشبهها بالرماح فكما ان الرمح يشجر به فكذلك قلوب بعضهم تعقد على هلاك بعض والطعن فيه بانواع المهلكات وكذلك لفظ النسب للفسوق ووجه المشابهة كون الفسق بينهم يؤلف هو سبب التواصل والتزاور والتحاب كما ان النسب كذلك وصار العفاف عجبا لقلة وجوده وندرته بينهم ولبس الاسلام لبس الفرو مقلوبا من احسن التشبيه وابلغه والمشبه به ههنا هو لبس الفرو ووجه التشبيه كونه مقلوبا وبيانه انه لما كان الغرض من الاسلام ان يكون باطنا ينتفع به القلب ويظهر فيه ومنفعته فقلب المنافقون غرضه واستعملوه بظاهر السنتهم دون قلوبهم اشبه قلبهم له لبس الفرو اذ كان اصله ان يكون خمله الى داخل للمنفعة للحيوان الذي هو لباسه فاستعمله الناس مقلوبا وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام كل شيء خاشع له وكل شيء قائم به غنى كل فقير وعز كل ذليل وقوة كل ضعيف ومفزع كل ملهوف من تكلم سمع نطقه ومن سكت علم سره ومن عاش فعليه رزقه ومن مات فاليه منقلبه لم ترك العيون فتخبر عنك بل كنت قبل الواصفين من خلقك لم تخلق الخلق لوحشة ولا استعملتهم لمنفعة

اى النفرة منه الله

ولا يفوتك من طلبت ولا يفلتك من اخذت ولا ينقص سلطانك من عصاك ولا يزيد في ملكك من اطاعك ولا يرد امرك من سخط
قضاءك ولا يستغني عنك من تولى عن امرك كل سر عندك علانية وكل غيب عندك شهادة انت الابد فلا امد لك وانت المنتهى
فلا محيص عنك وانت الموعد لا منجا منك الا اليك بيدك ناصية كل دابة واليك مصير كل نسمة سبحانك ما اعظم ما نرى من خلقك وما
اصغر عظمه في جنب قدرتك وما اهول ما نرى من ملكوتك وما احقر ذلك فيما غاب عنا من سلطانك وما اسبغ نعمك في الدنيا
وما اصغرها في نعم الآخرة **اقول** هذا الفصل من اشرف الفصول المشتملة على توحيد الله وتنزيهه واجلاله واللهف الحزن والملهوف
المظلوم يستغيث والابد الدائم والامد الغاية ومحاص عن الشيء عدل ومهرب والمحيص المهرب وفيه اعتبارات ثبوتية وسلبية اما الثبوتية
فعشرة الاول خشوع كل شيء له والخشوع هاهنا بحسب الاشتراك اللفظي اذ الخشوع من الناس يعود الى تطامنهم وخضوعهم لله ومن الملائكة دوام
في عباداتهم ملاحظة لعظمته ومن ساير الممكنات انفعالها عن قدرته وخضوعها في رق الامكان والحاجة اليه والتسخير وان كان لا يستعمل في
جميع مفهوماته حقيقة فقد بينا انه يجوز استعماله مجازا فيها بحسب القرينة وهي هاهنا اضافته الى الكل ولانه في قوة المتعدد كقوله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي فكانه قال الملك خاشع له والبشر خاشع له وهذا الاعتبار يستلزم وصفه تعالى باعتبارين احدهما كونه عظيما والثاني كونه
غنيا اما العظيم فينقسم الى ما يكبر حاله في النفس ولكن يتصور ان يحيط بكماله العقول ويقف على كنه حقيقته والى ما يمكن ان يحيط به بعض
العقول وان فات اكثرها وهذان القسمان مما يطلق عليهما لفظ العظمة بالاضافة وقياس كل الى ما دونه فيما هو عظيم فيه والى ما لا يتصور
ان يحيط به العقل اصلا وذلك هو العظيم المطلق الذي جاوز حدود العقول ان يقف على صفات كماله ونعوت جلاله وليس هو الا الله تعالى
واما الغني فسنذكره والثاني قيام كل شيء به واعلم ان جميع الممكنات اما جواهر او اعراض وليس شيء منها يقوم بذاته في الوجود اما الاعراض فظاهر
لظهور حاجتها الى المحل الجوهري واما الجواهر فلان قوامها في الوجود انما يكون بقيام عللها وينتهي الى الفاعل الاول جلت عظمته فهو
اذن الفاعل المطلق الذي به قوام كل موجود في الوجود واذ ثبت انه تعالى غني عن كل شيء في كل شيء وثبت انه به قوام كل شيء ثبت انه القيوم المطلق
اذ مفهوم القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره وكان هذا الاعتبار مستلزما لهذا الوصف الثالث كونه تعالى غنى كل فقير ويجب ان يحمل الفقر على
ما هو اعم من الفقر المتعارف وهو مطلق الحاجة ليتم التمجيد كما ان الغنى هو سلب مطلق الحاجة واذ ثبت ان كل ممكن فهو مفتقر في طرفيه
في سلسلة الحاجة اليه وانه تعالى المقيم له في الوجود ثبت انه رافع حاجة كل موجود بل كل ممكن وهو المراد بكونه غنى له واطلق عليه تعالى لفظ
الغنى وان كان الغنى به مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب الرابع كونه عز كل ذليل وقد سبق ان معنى العزيز هو الخطير الذي يقل
وجود مثله وتشتد الحاجة ويصعب الوصول اليه فما اجتمعت فيه هذه المفهومات الثلثة سمي عزيزا وسبق ايضا ان هذه المفهومات
معقولة بالزيادة والنقصان على ما نصدق عليه ولا تليق بالكمال في واحد منها الا الله سبحانه وقيا بله الذليل وثبت انه تعالى عز كل موجود
لان كل موجود سواه انما يتحقق فيه هذه المفهومات الثلثة منه سبحانه الناظم لسلسلة الوجود والواضع لكل من الموجودات في رتبته من
النظام الكلي فمنه عز كل موجود وكل موجود ذليل في رق الامكان والحاجة اليه في افاضة المفهومات الثلثة عليه فهو اذن عز كل ذليل واطلاق
لفظ العز عليه كاطلاق لفظ الغنى الخامس وقوة كل ضعيف القوة تطلق على كمال القدرة وعلى شدة الممانعة والدفع ويقابلها الضعف وهما
معقولان بالزيادة والنقصان على من يطلقان عليه اذ ثبت انه تعالى مستند جميع الموجودات والمفيض على كل قابل ما يستعد له ويستحقه فهو المعطي
لكل ضعيف عادم القوة من نفسه كماله وقوته فمنه قوة كل ضعيف بالمعنيين المذكورين لهما وروي ان الحسن قال واعجبا للنبي لوط اذ
قال للقوم لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد اتراه اراد ركنا اشد من الله تعالى والطلاق لفظ القوة عليه كاطلاق لفظ الغنى ايضا السادس
كونه مفزع كل ملهوف اي الذي اليه ملجا كل مضطر في ضرورته حال حزن وخوف وظلم كما قال تعالى واذا مسكم الضر فاليه تجارون واذا مسكم الضر في
البحر ضل من تدعون الا اياه فكل مفزع وملجا غيره فللمضطر الاكل مضطر ومجاز مفتقر واضافي لا حقيقي وهذا الاعتبار يستلزم كمال
القدرة لله لشهادة فطرة ذي الضر وغيره بنسبة جميع احوال وجوده الى جوده ويستلزم كمال العلم لشهادة فطرته باطلاعه على ضره وقدرته وكذلك كونه
سميعا بصيرا رحمانا وقويا مجيبا للدعوات وفيوما ونحوها من الاعتبارات السابع كونه من تكلم سمع نطقه الثامن من سكت علم سره وهما اشارتان
الى وصفي السميع العليم ولما كان السميع يعود الى العلم بالمسموعات استلزم الوصفان الاحاطة بما اظهر العبد وابداه وما اسره واخفاه في حالي
نطقه وسكونه وقد سبقت الاشارة الى ذلك التاسع ومن عاش فعليه رزقه العاشر ومن مات فاليه منقلبه وهما اشارتان الى كونه
تعالى مبدأ للعباد في وجودهم وما يقوم به عاجلا ومنتهى لهم وغايتهم اجلا فاليه رجوع الاحياء منهم والاموات وبه قيام وجودهم حالتي
الحياة والممات الحادي عشر من الاعتبارات السلبية لم ترك العيون فتخبر عنك وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب كقوله اياك اياك
نعبد وهذا الالتفات وعكسه يستلزم شدة عناية المتكلم بالمعنى المنتقل اليه وحسنه معلوم في علم البيان واعلم ان هذا الكلام لا بد
فيه من تجوز او اضمار وذلك انا نجعل الرائي هو العيون كما عليه اللفظ ويصدق حقيقة لزم اسناد قوله فتخبر اليها مجازا لكون الاخبار
ليس لها وان راعينا عدم المجاز لزم ان يكون التقدير لم ترك اهل العيون فتخبر عنك اربابها ولم تراك ارباب العيون فتخبر عنك فيلزم الاضمار ويلزم

التعارض بينه وبين المجاز لكن قد علمت في مقدمات اصول الفقه انهما سيان في المرتبة وغرض الكلام تنزيهه تعالى عن وصف المشبهة وتوهم
واخبارهم عنه بالصفات التي من شانها ان يخبر عنها الراوون عن مشاهدة حسية مع اعترافهم بان اخبار ذلك من غير رؤية ولما كان الاخبار
عن المحسوسات وما من شانه ان يحس انما يصدق اذا استند الى الحس لا جرم استلزم سلبه رؤية العيون له سلب الاخبار عنه من جهتها
وكذب الاخبار عنه بما لا يعلم الا من جهتها ويخبر وان كان في صورة الاثبات الا انه منفي لنفي لازمه وهي رؤية العيون له اذ كان الاخبار حينئذ
يستلزم رؤيتها ونصبه باضمار ان عقيب الفاء في جواب النفي والكلام في تقدير شرطية متصلة صورتها لو صح اخبار العيون عنك لكانت
قد رأتك لكنها لم ترك فلم يصح ان تخبر عنك فاما قوله بل كنت قبل الواصفين من خلقك فتعليل لسلب الرؤية المستلزم لسلب الاخبار
عنها بقياس ضمير تقديره كبراه وكل من كان قبل واصفيه لم يروه فلم يخبروا عنه وهذه الكبرى من المظنونات المشهورات في بادي النظر و
هي كما علمت من مواد قياس الخطيب وان كانت اذا تعقبت لم توجد كلية اذ ليس كلما وجد قبلنا بطل اخبارنا عنه ويمكن حمل هذا القول
على وجه التحقيق وهو ان نقول المراد بقبليته تعالى للواصفين قبلية وجوده بالعلية الذاتية وهي بهذا الاعتبار مستلزمة لتنزيهه تعالى
عن الجسمية ولواحقها المستلزمة لامتناع الرؤية المستلزم لكذب الاخبار عنه من وجه المشاهدة الحسية الثاني عشر كونه لم تخلق لوحشة وهو
اشارة الى تنزيهه عن الطبع المستوحش والمستانس وقد سبق بيان ذلك في الخطبة الاولى الثالث عشر ولا استعملتهم لمنفعة اي لم يكن خلقه لهم
لمنفعة تعود اليه وقد سبق بيان ان جلب المنفعة ودفع المضرة من لواحق المزاج المنزه قدس الله تعالى عنه الرابع عشر ولا يفوتك من طلبت اي
لا يفوتك هربا الخامس عشر ولا يفلتك من اخذت اي لا يفلت منك بعد اخذه فحذف حرف الجر وعدى الفعل بنفسه كما قال تعالى واختار موسى قومه
وهذان الاعتباران يستلزمان كمال ملكه وتمام قدرته واحاطة علمه اذ اي ملك فرض فقد يتجوز من يده الهارب ويفلت من اسره الماخوذ بحيلة
ونحوها السادس عشر ولا ينقص سلطانك من عصاك السابع عشر ولا يزيد في ملكك من اطاعك وهما تنزيه له تعالى عن احوال ملوك الدنيا
اذ كان كمال السلطان احدهم بزيادة جنوده وكثرة مطيعه وقلة المخالف والعاصي له ونقصان ملكه بعكس ذلك وهو سبب للتسلط عليه ثم
عليه وطمعهم فيه فاما سلطانه تعالى فلما كان لذاته وكمال قدرته مستوليا وهو مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويذل
من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير لم يتصور خروج العاصي بعصيانه عن كمال سلطانه حتى يؤثر في نقصانه ولم يكن لطاعة الطائع تاثير
في زيادة ملكه الثامن عشر ولا يرد امرك من سخط قضاءك يريد بالامر هاهنا القدر النازل على وفق القضاء الالهي وهو تفصيل القضاء كما
بيناه وهذا الاعتبار ايضا يستلزم تمام قدرة الله وكمال سلطانه اذ كان ما علم وجوده فلا بد من وجوده سواء كان محبوبا للعبد او مكروها
له كما قال تعالى ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان
يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وانما خص المتسخط للقضاء بالعجز عن رد الامر اذ كان من شانه ان لو قدر لرد القدر التاسع عشر ولا يستغني
عنك من تولى عن امرك اراد بالامر هاهنا ظاهره وهو امر عباده بطاعته وعبادته وظاهر ان من تولى عن امر الله فهو اليه اشد فقرا وانقص
ذاتا ممن تولى امره وهذا الاعتبار يستلزم كمال سلطانه وغناه المطلق العشرون كل سر عندك علانية الحادي عشر والعشرون وكل غيب عندك
شهادة هذان الاعتباران يستلزمان كمال الاحاطة وعلمه بجميع المعلومات ولما كانت نسبة علمه تعالى الى المعلومات على سواء لا جرم استوى
بالنسبة اليه السر والعلانية وايضا فان السر والغيب انما يطلقان بالقياس الى مخفي عنه وغائب عنه وهي القلوب المحجوبة بالطبيعة واستار
الهيئات البدنية والارواح المستولي عليها نقصانات الامكان الحاكم عليها بمجمل احوال ما هو كمل منها وكل ذلك مما تنزه قدس الصانع عنه الثاني
والعشرون انت الابد فلا امد لك اي انت الدائم فلا غاية لك يقف عندها وجودك وذلك لاستلزام وجوب وجوده امتناع عدمه او تناهيه
بالغاية وقال بعض الشارحين اراد انت ذو الابد كما قيل انت خال اي ذو خال من الخيلاء وهو الكبر واقول تقرير ذلك انه لما كان الازل
والابد لازمين لوجود الله تعالى اطلق الابد على وجوده مجازا للمبالغة في الدوام كان احدهما هو بعينه الآخر كقولهم انت الطلاق للمبالغة
في البينونة الثالث والعشرون وانت المنتهى فلا محيص عنك الرابع والعشرون وانت الموعد فلا منجا منك الا اليك اما انه تعالى المنتهى
والموعد فلقوله تعالى وان الى ربك المنتهى وقوله الى الله مرجعكم جميعا والمنتهى في كلامه عام الغاية وقد سبق بيان انه تعالى غاية الكل ومرجعه
واما انه لا معدل عنه ولا ملجا منه الا اليه فاشارة الى ضرورة لقائه كقوله تعالى وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه الخامس والعشرون بيدك
ناصية كل دابة اي في ملكك وتحت تصريف قدرتك كقوله تعالى ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها وانما خصت الناصية لحكم الوهم بانه تعالى
في جهة فوق فيكون اخذه بمبادي الناصية ولانها اشرف ما في الدابة فسلطانه تعالى على الاشرف يستلزم القهر والغلبة وتمام القدرة السادس
والعشرون واليك مصير كل نسمة وقد سبق انه تعالى منتهى الكل واليه مصيره وقوله سبحانك ما اعظم ما نرى من خلقك الى آخره تنزيه
وتقديس لله تعالى عن الاحكام الاوهام على صفاته بتشبيه من ذكاتها وتعجب في معرض التمجيد من عظم ما يشاهد من مخلوقاته كالافلاك
والعناصر وما يتركب عنها ثم من حقارة هذه العظمة بالقياس الى ما تعتبره العقول من مقدوراته وما يمكن في كمال قدرته
من الممكنات الغير المتناهية وظاهر ان نسبة الموجود الى الممكن في العظم والكثرة يستلزم حقارته وصغره ثم من هول ما وصلت اليه العقول من

الا اليك
وتعظيمه
يحجب
ذلك

عظمة ملكوته من حقارة ما بالقياس الى ما غاب عنها وحجبت عن ادراكه باستار القدرة وحجب العزة من الملاء الاعلى وسكان حظاير القدس
وعالم العالم العلوي ثم من سبوغ نعمة الله تعالى على عباده في الدنيا وحقارة تلك النعم بالقياس الى النعم التي اعدها لهم في الاخرة وظاهر
ان الدنيا اذا اعتبرت الى نعم الاخرة في الدوام والكثرة والشرف كانت بالقياس اليها في غاية الحقارة وبالله التوفيق **منها** من ملائكة
اسكنتهم سمواتك الى اخره في هذا الفصل فصول **الاول** قوله من ملائكة اسكنتهم سمواتك ورفعتهم عن ارضك هم اعلم
خلقك بك واخوفهم لك واقربهم منك لم يسكنوا الاصلاب ولم يضمنوا الارحام ولم يخلقوا من ماء مهين ولم يتشعبهم ريب
المنون وانهم على مكانهم منك ومنزلتهم عندك واستجماع اهوائهم فيك وكثرة طاعتهم لك وقلة غفلتهم عن امرك لو عاينوا
كنه ما خفي عليهم منك لحقروا اعمالهم ولازروا على انفسهم ولعرفوا انهم لم يعبدوك حق عبادتك ولم يطيعوك حق طاعتك
اقول المهين الحقير والتشعب الانقسام والتفريق والمنون الدهر وريبه ما يكره من حوادثه والمكانة المنزلة وكنه الشيء نهاية حقيقته
وزرى عليه عتب فعله واعلم انه في صدد هذا الفصل لبيان الجنس وذلك انه لما شرع في بيان عظمة الله تعالى وجعل مادة ذلك
التعظيم تعديد مخلوقاته وذكر الاشرف فالاشرف منها فذكر الملائكة السماوية واشار الى فضيلتهم باوصاف الاول كونهم اعلم خلق الله به
وهو ظاهر اذ ثبت ان كل مجرد كان علمه ابعد من منازعة النفس الامارة بالسوء التي هي مبدأ الغفلة والسهو والنسيان كان اكمل في معارفه وعلومه
ممن عداه ولان الملائكة السماوية وسائط لغيرهم في وصول العلم وسائر الكمالات الى الخلق فكانوا كالاستاذين لمن عداهم وظاهر ان الاستاذ
اعلى درجة من التلميذ وقد عرفت في الخطبة الاولى ان المعارف مقولة بحسب التشكيك الثاني كونهم اخوف له وذلك لكونهم اعلم بعظمة
الله وجلاله وكل من كان اعلم بذلك كان اخوف واشد خشية اما الاولى فلما مر واما الثانية فلقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
حصر الخشية في العلماء ويحسب تفاوت العلم بالشدة والضعف يكون تفاوت الخشية بهما الثالث كونهم اقرب منه والمراد القرب المكاني
لتنزهه تعالى عن المكان بل قرب المنزلة والرتبة منه وظاهر ان من كان اعلم به واخوف منه كان اقرب منزلة عنده لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله
اتقيكم الرابع من سلب النقصانات البشرية عنهم كونهم لم يسكنوا الاصلاب ولم يضمنوا الارحام ولم يخلقوا من ماء مهين ولم يختلف
عليهم حوادث الدهر ووجه كون هذه الامور الاربعة نقصانات تلزم الحيوان العنصري لاستلزامها التغير ومخالطة المحال المستقذرة و
معاناة الاسقام والامراض وساير الهيئات البدنية المانعة عن التوجه الى الله فكان سلبها عمن لا يجوز من كمالاته وقوله وانهم على مكانهم
منك الى اخره لما بين عظمة الملائكة بالنسبة الى من عداهم شرع في المقصود وهو بيان عظمة الله تعالى بالنسبة اليهم وحقارتهم على عظمتهم بالنسبة
الى عظمته وكبريائه اي انهم مع كونهم على هذه الاحوال التي توجب لهم العظمة والاجلال من قرب منزلتهم منك وكمال محبتهم لك وغرقهم في
انوار كبريائك عن الالتفات الى غيرك لو عرفوا كنه معرفتك لصغرت في اعينهم اعمالهم وعلموا ان لا نسبة لعبادتهم الى عظمتك وجلالتك
ولما كان كمال العبادة ومطابقتها للامر المطاع بحسب العلم بعظمته وكانت ذات الحق سبحانه اعظم من ان يطلع عليها بالكنه ملك مقرب او
نبي مرسل لاجرم كانت عبادة الملائكة بحسب معارفهم القاصرة عن كنه حقيقته فكل من كانت له كانت عبادته من دونه مستحقرة في جانب
عبادته حق لو زادت معارفهم به ولمكن اطلاعهم على كنه حقيقته لزادت عبادتهم وكانت كمل فاستحقروا ما كانوا فيه وعابوا انفسهم بقصور
الطاعة والعادة والعبادة عما يستحقه كاله المطلق وعبر بقلة الغفلة عن عدمها في حقهم مجازا اطلاقا لاسم الملازم على ملزومه اذ كان كل
معدوم قليل ولا ينعكس وجعل قلة الغفلة في مقابلة كثرة الطاعة ويحتمل ان يريد بقلة الغفلة قوة معرفة بعضهم بالنسبة الى بعض
مجازا ايضا اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه اذ كانت قلة الغفلة مستلزمة لقوة المعرفة وزيادتها وقد سبق ذكر انواع الملائكة السماوية وغيرهم
وذكر نكت من احوالهم في الخطبة الاولى **الفصل الثاني** قوله سبحانك خالقا ومعبودا بحسن بلائك عند خلقك خلقت دارا وجعلت
فيها مادبة مشربا ومطعما وازواجا وخدما وقصورا وانهارا وزروعا وثمارا ثم ارسلت داعيا يدعو اليها فلا الداعي اجابوا
ولا فيما رغبت رغبوا ولا الى ما شوقت اليه اشتاقوا اقبلوا على جيفة قد افتضحوا باكلها واصطلحوا على حبها ومن عشق شيئا
اعشى بصره وامرض قلبه فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع باذن غير سميعة قد خرقت الشهوات عقله وامات الدنيا قلبه و
ولهت عليها نفسه فهو عبد لها ولمن في يديه شيء منها حيث ما زالت زال اليها وحيث ما اقبلت اقبل عليها لا ينزجر
من الله بزاجر ولا يتعظ منه بواعظ وهو يرى المأخوذين على الغرة حيث لا اقالة ولا رجعة كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون وجاءهم
من فراق الدنيا ما كانوا يامنون وقدموا من الاخرة على ما كانوا يوعدون فغير موصوف ما نزل بهم اجتمعت عليهم سكرة الموت و
حسرة الفوت ففترت لها اطرافهم وتغيرت لها الوانهم ثم ازداد الموت فيهم ولوجا فحيل بين احدهم وبين منطقه وانه لبين اهله
ينظر ببصره ويسمع باذنه على صحة من عقله وبقاء من لبه يفكر فيم افنى عمره وفيم اذهب دهره ويتذكر اموالا جمعها اغمض
في مطالبها واخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها قد لزمته تبعات جمعها واشرف على
فراقها تبقى لمن وراءه يتنعمون فيها ويتمتعون بها فيكون المهنا لغيره والعبء على ظهره والمرء قد غلقت رهونه بها فهو يعض

بيده ندامة

ج

بيده ندامة على ما اصحر له عند الموت من امره ويزهد فيما كان يرغب فيه ايام عمره ويتمنى ان الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد
دونه فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتى خالط سمعه فصار بين اهله لا ينطق بلسانه ولا يسمع بسمعه يردد طرفه بالنظر في وجوههم
يرى حركات السنتهم ولا يسمع رجع كلامهم ثم ازداد الموت التياطا به فقبض بصره كما قبض سمعه وخرجت الروح من جسده فصار
جيفة بين اهله قد اوحشوا من جانبه وتباعدوا من قربه لا يسعد باكيا ولا يجيب داعيا ثم حملوه الى مخط من الارض واسلموه
فيه الى عمله وانقطعوا عن زورته **اقول** المادبة بضم الدال وفتحها الطعام يصنع ويدعى الناس اليه والوله التحير لشدة الوجد والحزن
اغمض اي تساهل من مطالبها وتساهل في وجوه اكتسابها ولم يحفظ وتبعتها ما يلحق من اثم وعقاب والمهنا المصدر من هنوء بالضم
وهنى بالكسر والعبء الحمل واصحر انكشف ورجع الكلام جوابه وترديده والالتياط الالتصاق والمخط موضع الخط كناية عن القبر يخط اولا
ثم يحفر ويروى بالخاء ومحط القوم منزلهم وفي هذا الفصل نكت الاولى ان خالقا ومعبودا حالان انتصبا عما في سبحانك من معنى الفعل
اي اسبحك خالقا ومعبودا واشار بذلك الى وجوب تنزيهه في هذين الاعتبارين اعني اعتبار كونه خالقا للخلق ومعبودا لهم من الشركاء و
الانداد فانه لما فرضناه انفرد بالابداع والخلق واستحق بذلك لتفرده تفرده بعبادة الكل له وجب تنزيهه عن شريك ولهذين الاعتبارين الثانية
قوله بحسن بلائك عند خلقك خلقت دارا الجار والمجرور متعلق بخلقت ولفظ الدار مستعار للاسلام انما الى دار للجنة والداعي
هو الرسول صلعم وقد جمعها الخبر في بعض الفاظه صلعم ان الله جعل الاسلام دارا والجنة مادبة والداعي اليها محمد ووجه الاستعارة الاولى ان
الاسلام يجمع اهله ويحميهم كالدار ووجه الثانية ان الجنة مجتمع الشهوات ومنتجع اللذات كالمادبة ويحتمل ان يريد بالدار الاخرة
باعتبار كونها مجمعا ومستقرا والمادبة فيها الجنة والمنصوبات لتماثيله مميزات لتلك المادبة وظاهر ان وجود الاسلام والجنة و
الدعوة اليها بلاء حسن من الله لخلقه وقد عرفت معنى ابتلائه تعالى وقال بعض الشارحين ان قوله بحسن بلائك متعلق بسبحانك
او بمعبود وهو بعيد الثالثة قوله فلا الداعي اجابوا الى قوله بواعظ شرح لحال العصاة الذين لم يجيبوا داعي الله وبيان لعيوبهم
وغرقهم في حب الباطل من الدنيا وفائدته اما للمنتهين اللازمين لاوامر الله المجيبين لدعوته فتنفيرهم عن الركون الى هؤلاء والوقوع
فيما وقعوا فيه واما لهؤلاء فتنبيههم من مراقد غفلاتهم بتذكيرهم عيوبهم لعلهم يرجعون واستعار لفظ الجيفة للدنيا ووجه المشابهة
ان لذات الدنيا وقنياتها في نظر العقلاء واعتبار الصالحين منفور عنها ومهروب منها ومستقذرة كالجيفة والى ذلك اشار الواصف لها
وما هي الا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها فان تجتنبها كنت سلما لاهلها وان تجتذبها نازعتك كلابها ويمكن
اخذ معنى البيت الثاني في وجه الاستعارة المذكورة وكذلك استعار لفظ الافتضاح للاشتهار باقتنائها وجمعها والخروج عن شعار
الصالحين ووجه الاستعارة انه لما كان الاقبال على جمع الدنيا والاشتغال بها عن الله من اعظم الكباير والمساوي في نظر الشارع
والسالكين لطريق الله وكان الافتضاح عبارة عن انكشاف المساوي المتعارف فيها الاجرام شبه الاشتهار بجمعها وانكشاف الحرص عليها
الافتضاح ويمكن ان يصدق الافتضاح ههنا حقيقة وكنى باكلها عن جمعها وتجوز بلفظ الاصطلاح في التوافق على محبتها اطلاقا لاسم
الملزوم على لازمه فان الاصطلاح عبارة عن التراضي بعد التغاضب ويلزمه الاتفاق على الاحوال وقوله من عشق اعمى بصره وامرض
قلبه كبرى قياس دل على صغراه قوله واصطلحوا على حبها لان الاصطلاح على محبة الشيء يستلزم شدة محبته وهو العشق ونتيجته
ان المذكورين في معرض الذم قد اعشت الدنيا ابصارهم وامرضت قلوبهم واستعار لفظ البصر لنور البصيرة ملاحظة لشبه المعقول
بالمحسوس ولفظ العشا لظلمة الجهل ملاحظة للشبه بالظلمة العارضة للعين بالليل واسناد الاعشا الى الدنيا يحتمل ان يكون
حقيقة لما يستلزم حبها من الجهل والغفلة عن احوال الاخرة ويحتمل ان يريد بالبصر حقيقته ويكون لفظ العشا مستعارا لعدم
استفادتهم بابصارهم عبرة بصرفهم عن حب الدنيا الى ملاحظة احوال الاخرة ويؤيده قوله فهو ينظر بعين غير صحيحة وكنى بعدم صحتها
عما يلزم العين غير الصحيحة من عدم الانتفاع بها في تحصيل الفائدة وكذلك استعار لفظ المرض للداء الاكبر وهو الجهل استعارة لفظ المحسوس
للمعقول وقوله فهو يسمع باذن غير سميعة كنى بذلك عن عدم افادتها عبرة من المواعظ والزواجر الالهية كما سبق وكذلك استعار لفظ
التخريق لتفرق عقله في مهمات الدنيا ومطالبها ووجه الاستعارة ان العقل اذا استعمل فيما خلق لاجله من اتخاذ الزاد ليوم المعاد
واقتباس العلم والحكمة من تصفح جزئيات الدنيا والاستدلال بها على وجود الصانع وما ينبغي له ونحو ذلك مما هو كماله المستعد له في الاخرة
فانه يكون منتظما منتفعا به واما ان استعمل فيما لا ينبغي من جميع متفرقات الدنيا وتوزيع الهمة في تحصيل جزئياتها وضبطها حتى يكون
ابدا في الحزن والاسف على فوات ما فات وفي الخوف من زوال ما يحصل وفي الهمة والحرص على جميع ما لم يحصل بعد فانه يكون كالثوب
المخرق الذي لا ينتفع به صاحبه ونحوه قول الرسول صلعم من جعل الدنيا اكبر همه فرق الله عليه همه وجعل فقره بين عينيه الحديث
تشبيه ذلك التخريق الى الشهوات اذ كان زمام عقله بيد شهوته فهي تفرقه وتمزقه على حسب تفرقها وميولها الى انواع المشتهيات وكذلك
استعار لفظ الامانة للقلب ووجه المشابهة خروجه عن الانتفاع به الانتفاع الحقيقي الباقي كالميت والضمير في قوله عليها يعود الى الدنيا

مى ولهت على نفسها بنفسه وكنى بالتولة عن شدة المحبة لها واطلقه مجاز التسمية للشئ بما هو من غاياته وكلف استعار لفظ العبد له
كون محبها والمجرد لتحصيلها متصرفا بحسب تصريفها ودائرا في حركاته حيث دارت فان كانت في يده اقبل عليها بالعمارة والحفظ وان
زالت عنه انصب الى تحصيلها وخدمة من كانت في يده لغرضها فهو في ذلك كالعبد لها بل احسن حالا كما قال ع في موضع اخر عبد
الشهوة اذل من عبد الرق اذ الباعث لعبد الرق على الخدمة والانقياد قد يكون قسرا والباعث لعبد الشهوة طبيعي وشتان ما هما
الرابعة قوله وهو يرى المأخوذين على الغرة فالواو في قوله وهو للحال وهو شروع في وصف نزول الموت بالغافلين عن الاستعداد
له ولما وراءه من احوال الاخرة وكيفية قبض الموت لارواحهم من مبدء نزوله بهم الى اخره وكيفية احوالهم مع اهلهم واخوانهم معه وهو
وصف لا مزيد على وضوحه وبلوغه وفائدته تذكير الغفلة باهوال الموت وتنبيههم من غفلتهم في الباطل بدلالة على وجوب العمل لما بعد الموت من الأهوال والاستعداد — بالغفرمر
للسالكين الى الله على ما هم عليه ومراده بقوله ما كانوا يجهلون الا الموت فانه معلوم لكل احد بل تفصيل سكراته واهواله وما كانوا يأمنون
اشارة الى الموت وما بعده فان الغافل حال انهماكه في لذات الدنيا لا يعرض له خوف الموت بل يكون في تلك الحال امنا منه وقوله
غير موصوف ما نزل بهم اي ليس ذلك مما يمكن استقصاؤه بوصف بل غايته التمثيل كما ورد في التوراة ان مثل الموت كمثل شجرة شوك
ادرجت في بدن ابن ادم فتعلقت كل شوكة بعرق وعصب ثم جذبها رجل شديد الجذب فقطع ما قطع وابقى ما ابقى واستعار لفظ
الولوج لما يتصور من فراق الحيوة لعضو عضو فاشبه ذلك دخول جسم في جسم اخر وكذلك استعار لفظ العب للاثام التي تحملها النفس
ورشح بذكر الظهر استعارة لفظ المحسوس للمعقول الخامسة قوله والمرء قد غلقت رهونه بما ضربه مثلا الحصول المرء في تبعات ما جمع
وارتباطه عن الوصول الى كماله وانبعاثه الى سعادته بعد الموت وقد كان يمكنه فكاكها بالتوبة والاعمال الصالحة فاشبه ما يجمع من
الهيئات الردية في نفسه عن اكتساب الاموال اذا رهنت بها ما على الرهن من المال وقال بعض الشارحين اراد انه لما اشفى على
الفراق صارت الاموال التي جمعها مستحقة لغيره ولم يبق له فيها تصرف فاشبهت الرهن الذي غلق على صاحبه فخرج عن كونه مستحقا
لصاحبه وصار مستحقا للمرتهن وهذا وان كان محتملا الا انه يستبع تضييع فائدة قوله بها لان الضمير يعود الى الاموال المجموعة وهو
اشارة الى المال الذي انغلق الرهن به فلا تكون هي نفس الرهن وقوله وهو يعض يده كناية عما يلزم ذلك من الاسف والحزن والندم
على تفريطه في جنب الله حيث انكشف له حال الموت انقطاع سببه من الله وفوت ما كان يتوهم بقاءه عليه مما اشتغل به عن ربه وحيث
يتحسر على ذلك التفريط كما قال تعالى ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين ويتمنى هداية الله فيقول لو
ان الله هداني لكنت من المتقين والرجعة الى الدنيا لامتثال ما فرط فيه من الاوامر الالهية فيقول حين يرى العذاب لو ان لي كرة
فاكون من المحسنين وكما قال تعالى ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا وقد نبه ع في هذا الكلام على
ان آلة النطق تبطل من الانسان حال الموت قبل آلتي السمع والبصر بقوله فحيل بين احدهم وبين منطقه وانه لبين اهله ينظر ببصره
ويسمع باذنه على صحة من عقله ثم نبه على بطلان آلة السمع بعدها قبل آلة البصر وان آلة البصر تبطل مع المفارقة بقوله حتى
خالط سمعه الى قوله يرى حركات السنتهم ولا يسمع رجع كلامهم وذلك لعلة باسرار الطبيعة وليس كلامه مطلقا بل في بعض الناس
والغالب ان يكون ذلك فيمن تعرض له الموت الطبيعي لا لانه والا فقد تعرض آفة لقوة البصر والة قبل آلة السمع وآلة النطق و
الذي يلوح من اسباب ذلك انه لما كان السبب القريب للموت هو انطفاء الحرارة الغريزية عن فناء الرطوبة الاصلية
التي منها خلقنا وكان فناء تلك الرطوبة عن عمل الحرارة الغريزية فيها بالتجفيف والتحليل وقد تعينها على ذلك الاسباب الخارجة
من الاهوية واستعمال الادوية المجففة وساير المجففات كان كل عضو ايبس من طبيعته وابرد اسرع الى البطلان واسبق الى
الفناء اذا عرفت ذلك فنقول اما ان آلة النطق اسرع فسادا من آلة السمع فلان آلة النطق مبنية على الاعصاب المحركة ومركبة
منها وآلة السمع من الاعصاب المفيدة للحس واتفق الاطباء على ان الاعصاب المحركة ايبس وابرد لكونها منبعثة من مؤخر الدماغ
دون الاعصاب المفيدة للحس فان جلها منبعث من مقدم الدماغ فكانت لذلك اقرب الى البطلان ولان النطق اكثر شرائطا من السماع لتوقفه — الى البطلان م
مع الآلة وسلامتها على الصوت وسلامة مخارجه ومجاري النفس والاكثر شرطا اسرع الى الفساد واما بطلان آلة السمع قبل البصر
فلان منبت الاعصاب التي هي محل القوة السامعة اقرب الى مؤخر الدماغ من منابت محل القوة الباصرة فكانت ايبس وابرد
واقبل لانطفاء الحرارة الغريزية ولان العصبة المفروشة على الصماخ الذي تنبث فيه قوة السمع احتاج ان يكون مكشوفا غير
مسدود عن سبيل الهواء بخلاف العصبة التي هي آلة البصر فكانت لذلك اصلب وابيس واسرع فسادا هذا مع
مع انه قد يكون تلك لتحلل الروح الحامل للسمع قبل الروح الحامل للبصر ولغير ذلك والله اعلم واما سبب النفرة الطبيعية عن
الميت والتوحش من قربه فحكم الوهم على المتخيلة بمحاكاة حاله في نفس المتوهم وعزل العقل في ذلك حتى ان المجاور للميت في موضع — الموضع
منفرد متخيل ان الميت يجذبه اليه ويصيره بحالة مثل حالته المنفور عنها طبعا السادسة قوله واسلموه الى عمله اشارة الى ان

كل ثواب

ج

كل ثواب وعقاب اخروي يفاض على النفس بحسب استعدادها باعمالها السابقة الحسنة والسيئة فعمل الانسان هو النافع والضار
له حين لا ناصر له ولما كان مبلغه ع في هذا الكلام الى الانذار والتخويف لا جرم ذكر اسلامهم له الى عمله لان الاسلام انما يكون
الى العدو فلما حاول ان يقرر عن قبح الاعمال نبه على ان عمل الانسان القبيح يكون كعدوه القوي عليه يسلم اليه **الفصل**
الثالث قوله حتى اذا بلغ الكتاب اجله والامر مقاديره والحق آخر الخلق باوله وجاء من امر الله ما يريده من تجديد خلقه
اماد السماء وفطرها وارج الارض وارجفها وقلع جبالها ونسفها ودك بعضها بعضا من هيبة جلالته ومخوف سطوته واخرج — نفرقهم صر
من فيها فجددهم بعد اخلاقهم وجمعهم بعد تفرقهم ثم ميزهم لما يريده من مسائلتهم عن خفايا الاعمال وخبايا الافعال و
جعلهم فريقين انعم على هؤلاء وانتقم من هؤلاء فاما اهل الطاعة فاثابهم بجواره وخلدهم في داره حيث لا يظعن النزال — لكم ح
ولا يتغير بهم الحال ولا تنوبهم الافزاع ولا تنالهم الاسقام ولا تعرض لهم الاخطار ولا تشخصهم الاسفار واما اهل المعصية
فانزلهم شر دار وغل الايدي الى الاعناق وقرن النواصي بالاقدام والبسهم سرابيل القطران ومقطعات النيران في عذاب
قد اشتد حره وباب قد اطبق على اهله في نار لها كلب ولجب ساطع وقصيف هائل لا يظعن مقيمها ولا يفادى اسيرها — ولهب صح
ولا تفصم كبولها لا مدة للدار فتفنى ولا اجل للقوم فيقضى **اقول** الرج والرجف الاضطراب الشديد والتوى جمعا بغير
همزة وهو الاشهر ونسفها قلعها من اصولها ودكها دك بعضها بعضا تصادمت وتنوبهم تعودهم والخطر الاشراف على الهلاك ويخص
خرج من منزله الى اخر وانخفض عنه والكلب الشدة واللجب الجلبة الصوت والقصيف الصوت الشديد والكبول الاغلال واحدها كبل وفصمها
كسرها واشار الى بقوله حتى اذا بلغ الكتاب اجله الى غاية الناس في موتهم وبلوغ الوقت المعلوم الذي يجمع له الناس وهو يوم القيمة
واراد بالامر القضاء ومقاديره وتفاصيله من الاثار التي توجد على وفقه كما سبق بيانه ولحوق الخالق باوله اشارة الى تواقفهم في الموت وتساويهم
فيه كما نطقت الشريعة به ويجدد بيان الخالق بعثهم واعادتهم واما اماده السماء وشقها وارجاج الارض ونسف الجبال فظاهر الشريعة الناطق
بخراب هذا العالم ناطق به واما من زعم بقاءه فربما عدلوا الى التاويل والذي يحتمل ان يقال في ذلك وجوه احدها ان القيمة لما كانت
عندهم عبارة عن موت الانسان ومفارقته لهذا البدن ولما يدرك بواسطته من الاجسام والجسمانيات ووصوله الى مبدئه الاول
كان عدمه عن هذه الاشياء مستلزما لغيبوبتها عنه وعدمها وخرابها بالنسبة اليه وعليه انه اذا انقطع نظره عن جميع الموجودات سوى
مبدئه الاول حلت عظمته انها قد عدمت وتفرقت وكذلك اذا انقطع نظره عن عالم الحس والخيال ومتعلقاتهما من الاجسام والجسمانيات
واتصل بالملاء الاعلى فبالحري ان يتبدل الارض والسموات بالنسبة اليه فيصير عالم الاجسام والجسمانيات رضا له وعالم المفارقات سماء
الثاني ان هذه الموجودات المشار اليها لما كانت مقهورة بلجام الامكان في قبض القدرة الالهية كان ما نسب اليها من الانشقاق والانفطار
والارجاج والنسف وغيرها امورا ممكنة في نفسها وان امتنعت بالنظر الى الاسباب الخارجية فعبر عما يمكن بالواقع مجازا وحسنه في المرتبة
معلوم وفائدته التهويل بما بعد الموت والتخويف للعصاة تلك الاهوال الثالث قالوا ويحتمل ان يريد بالارض القوابل للجود الالهي استعدادا
فعلى هذا امادة السماء عبارة عن حركاتها وانتصالات كواكبها التي هي اسباب معدة لقوابل هذا العالم وانفطارها افاضة الجود بسبب تلك
تلك المعدات على القوابل وارجاج الارض اعداد المواد لاعادة امثال هذه الابدان ولنوع اخر بعد فناء النوع الانساني وقلع الجبال و
نسفها ودكها اشارة الى زوال موانع الاستعدادات لنوع اخر ان كان او لاعادة ابناء هذا النوع استعارة وجهها ان الارض ينسف الجبال يستوي
سطحها ويعتدل فكذلك قوابل الجود يستعد ويعتدل لان يفاض عليها صورة نوع اخر او صور اخرى لابناء هذا النوع الرابع قالوا ويحتمل
ان يريد بالسماء سماء الجود الالهي وبالارض عالم الانسان فعلى هذا يكون اماده السماء عبارة عن ترتيب كل استحقاق لقابله في القضاء الالهي والنظر
عبارة عن الفيض وارجاج الارض وارجافها عن الهرج والمرج الواقع بين ابناء نوع الانسان وقلع جبالها ونسفها ودك بعضها بالبعض عبارة — عبارة
عن اهلاك الجبابرة والمعاندين للناموس الالهي وقتل بعضهم ببعض كل ذلك باسباب قهرية مستندة الى الهيبة جلال الله وعظمته واخراج من فيها
وتجديدهم اشارة الى ظهور ناموس اخر وتجديده لهذا الناموس والمتبع له اذن قوم لحوقهم كنوع جديد وتميزهم فريقين منعم عليهم ومنتقم — المنتقم
منهم طرفان المستعدين لاتباع الناموس الشرعي والقائلين به هم المنعم عليهم المثابون والتاركين له المعرضين عنه هم المعاقبون واما
الفريقين وما اعد لكل منهم بعد الموت فعلى ما نطق به الكتاب العزيز وعصمته هذه الالفاظ الكريمة وعلى تقدير التاويلات السابقة لمن
عدل عن الظواهر فثواب اهل الطاعة جوار بارئهم وملاحظة الكمال المطلق وخلودهم في داره بقاؤهم في تلك النعمة عن جائز عليهم الفنا
كما تطابق عليه الشرع والبرهان وكونهم غير ظاعنين ولا متغيري الاحوال ولا فزعين ولا ينالهم سقم ولا خطر ولا يشخصهم سفر فلان
كل ذلك من لواحق الابدان والكون في الحيوة الدنيا بحيث زالت عوارضها ولواحقها واما جزاء اهل المعصية فانزالهم شر دار
هي جهنم التي هي ابعد بعيد عن جوار الله وغل ايديهم الى اعناقهم اشارة الى قصور قوام العقلية عن تناول ثمار المعرفة واقتران النواصي
بالاقدام اشارة الى انتكاس رؤسهم عن مطالعة انوار الحضرة الالهية والباسهم سرابيل القطران استعار لفظ السرابيل للهيئات البدنية

في بعض اخلاق النبي

المتمكنة من جواهر نفوسهم ووجه المشابهة اشتمالها عليها وتمكنها منها كالسربال للبدن وتشبيهها الى القطران اشارة الى شدة استعدادهم للعذاب وذلك ان اشتعال النار فيما يمسح بالقطران اشد ونحوه قوله تعالى سرابيلهم من قطران وكذلك مقطعات النيران اشارة الى تلك الهيئات التي تمكنت من جواهر نفوسهم ونسبتها الى النار لكونها ملبوس اهلها فهي منها كما قال تعالى قطعت لهم ثياب من نار ولما كان سبب الخروج من النار هو الخروج الى الله من المعاصي بالتوبة والرجوع الى تدبر الآيات والعبر النوافع وكان البدن وحواسه ابواب الخروج الى الله فبعد الموت تغلق تلك الابواب فلا جرم بقي الكفار وراء طبق تلك الابواب في شدائد حرارة ذلك العذاب ولهب النار وزجلها واصواتها الهائلة واستعار الاوصاف النار المحسوسة المستلزمة للهيبة والخوف حسا للنار المعقولة التي هي في الحقيقة اشد نعوذ بالله منها وانما عدل الى المحسوس للغفلة عن صفات تلك النار وعدم تصور اكثر الخلق لها الا من هذه الاوصاف المحسوسة وكونها لا يظعن مقيمها كناية عن التخليد وذلك في حق الكفار ولفظ الاسير والقديد استعارة وكذلك لفظ الكبول استعارة لقيود الهيئات البدنية المتمكنة من جواهر نفوس الكفار وكما لا ينفصم القيد الوثيق من المقيد به كذلك لا ينفك المكبل بكل النفوس المقيدة بالهيئات الرديئة البدنية عن المشي في سبيل جلال الله وعظمته وتنزه في جنات حظائر قدسه ومقامات صفيانه ولما كان الاجل مقدار زمن البدن لم يكن لهم بعد موتهم اجل اذ لا ابدان بعد الابدان ولا خلاص من العذاب للزوم الملكات الرديئة لاعناق نفوسهم وتمكنها منها فهذا ما عساهم يتأولونه او يعبرون به عن الاسرار التي يدعونها تحت هذه العبارات التي وردت الشريعة بها لكنك قد علمت ان العدول الى هذه التأويلات وامثالها مبني على امتناع المعاد البدني وذلك مما صرحت به الشريعة تصريحا لا يجوز العدول عنه ونصوصا لا تحتمل التأويل واذا حملنا الكلام على ما وردت به الشريعة فهذا الكلام منه افصح ما يوصف به حال القيمة والمعاد والتعرض لشرحه يجري مجرى ايضاح الواضحات وبالله التوفيق **منها** فذكر النبي صلعم قد حقر الدنيا وصغرها واهونها وهونها وعلم ان الله زواها عنه اختيارا وبسطها لغيره احتقارا فاعرض عن الدنيا بقلبه وامات ذكرها من نفسه واحب ان تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها رياشا او يرجو فيها مقاما بلغ عن ربه معذرا ونصح لامته منذرا ودعا الى الجنة مبشرا نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكم ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة وخاذلنا ومبغضنا ينتظر السطوة **اقول** الرياش اللباس والفصل اقتصاص لحال الرسول صلعم واوصافه الحميدة ليبني عليها مادحه نفسه بعد تحقيره للدنيا وتصغيرها وتهوينها اشارة الى ما كان يجذب بخلق عنها من تركه مذامها وتعديد معايبها واهونها بها اشارة الى زهده فيها وعلمه بان زوى الله اياها عنه اختيارا اشارة الى ان زهده فيها كان عن علم منه باختيار الله له من ذلك وتسبيب ابعادها عنه ووجه مصلحته ليستعد نفسه بذلك لكمال النبوة والقيام باعباء الخلافة الارضية وبسطها لغيره احتقارا لها وعلى الروايات الثانية فقد عرفت معنى الاحتقار من الله لخلقه غيره فكان اعراضه عنها بقلبه واماتة ذكرها عن نفسه ومحبته ان تغيب زينتها عن عينه لئلا يتخذ منها رياشا ولا يرجو فيها مقاما جذبا للعناية الالهية له الى الالتفات بها الى الكمالات المعلومة له وعن ان يحط المحبتها عن مقام الكمال وقضت العناية الالهية بنظام العالم بنبيه ثم اعقب تلك بذكر ثلثة احوال هي ثمرة النبوة التي هي ثمرة الزهد المشار اليه وهي تبليغ رسالة ربه اعذارا الى خلقه ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين والنصح لهم انذارا بالعذاب الاليم في عاقبة الاعذار عن الله ودعاؤه الى الجنة مبشرهم المرسلك سبيل الله ونهجه المستقيم بما اعد لهم فيها من النعيم المقيم ثم عقب فاقتصاص تلك المدائح بالاشارة الى فضيلة نفسه مترفي معرض المفاخرة بينه وبين مشاجريه كمعاوية فاشار الى فضيلته من جهة اتصاله بالرسول صلعم اذ كان من البيت الذي هو شجرة النبوة ومحط الرسالة ومعدن العلم وينبوع الحكمة بافضل مكان بعد الرسول صلعم كما سبق بيانه في بيان فضايله ولفظ الشجرة والمعادن والينابيع مستعار كما سبق واذا كان من تلك الشجرة كما علمت وبكل غصن من الشجرة قسط من الثمرة بحسب قوته وقربه من الاصل وعناية الطبيعة به علمت مقدار فضيلته ونسبتها الى الرسول صلعم وقوله بعد ذلك ناصرنا ومحبنا الى اخره ترغيب في نصرته ومحبته وجذب اليهما بالوعد برحمة الله والاصة بركاته وتنفير عن عداوته وبغضه وخذلانه بالوعيد بسطوة الله ولعل ذلك هو غاية هنا من ذكر فضيلته وبالله التوفيق والعصمة

ومن خطبة له عليه السلم ان افضل ما توسل به المتوسلون الى الله سبحانه الايمان به وبرسوله والجهاد في سبيله فانه ذروة الاسلام وكلمة الاخلاص فانها الفطرة واقام الصلوة فانها الملة وايتاء الزكوة فانها فريضة واجبة وصوم شهر رمضان فانه جنة من العقاب وحج البيت واعتماره فانهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب وصلة الرحم فانها مثراة في المال ومنسأة في الاجل وصدقة السر فانها تكفر الخطيئة وصدقة العلانية فانها تدفع ميتة السوء وصنايع المعروف فانها تقي مصارع الهوان افيضوا في ذكر الله فانه احسن الذكر وارغبوا فيما وعد المتقين فان وعده اصدق الوعد واقتدوا بهدي نبيكم فانه افضل الهدي واستنوا بسنته فانها اهدى السنن وتعلموا القران فانه احسن الحديث وتفقهوا فيه فانه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فانه شفاء الصدور واحسنوا تلاوته فانه انفع القصص وان العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله بل الحجة عليه اعظم والحسرة له الزم وهو عند الله الوم **اقول** ذروة الشيء اعلاه والملة الدين والجنة الوقاية

في وجه فضيلة الجهاد

ويرحضان بفتح الضاد يغسلان والرحض الغسل والثراة المكثرة وهي محل الكثرة المال والثروة به والمنساة محل النساء وهو التأخير والافاضة في الذكر الاندفاع فيه والهدى ضد الاضلال وهو مصدر وقد اشار في هذا الفصل الى ان افضل الوسائل الموصلة الى الله سبحانه هو الايمان الكامل فالايمان بالله هو التصديق بوجوده وهو اشارة الى الاصل الايمان ثم له لواحق وكمالات احدها التصديق برسوله وانما قدمه على ساير العبادات لانه اصل لها لا ينفع بدونه الثاني الجهاد في سبيله وقد عرفت فضايل الجهاد فيما سلف واشار الى وجه فضيلته بكونه ذروة الاسلام واستعار لفظ الذروة له ملاحظة لشبهه في العلو ولم يبق في الاسلام بالسنام للبعير وانما قدمه على الصلوة لكون سالكه على يقين من لقاء الله وقوة من التصديق بما جاء به الرسول حيث يلقي نفسه الى التهلكة الحاضرة التي ربما يغلب على ظنه او يتيقنها ولانه الاصل الاعظم في جمع العالم على الدين الثالث كلمة الاخلاص وهي كلمة التوحيد المستلزمة لنفي الشركاء والانداد وهي معنى الاخلاص ولذلك اضيفت اليه ووجه فضيلتها كونها فطرة الله التي فطر الناس عليها فان العقول السليمة البرية عن شوائب العلايق البدنية وعوارض التربية شاهدة ومقرة بما اخذ عليها من العهد القديم من توحيد صانعها وبراءته عن الكثرة واطلق عليها اسم الفطرة وان كانت الفطرة عليها مجازا اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه الرابع اقامة الصلوة وانما جعلها الملة وان كانت بعض اركان الدين لانها الركن الاقوى من اركانه فاطلق عليها ذلك اللفظ اطلاقا لاسم الكل على الجزء مجازا واعلم ان للصلوة فضايل واسرارا يجب التنبه عليها اما فضيلتها فقد وردت فيها اخبار كثيرة بعد تأكيد القران الكريم للامر بها كقوله صلعم الصلوة عمود الدين من تركها فقد هدم الدين وقوله مفتاح الجنة الصلوة وقوله في فضل اتمامها ان الرجلين من امتي يقومان في الصلوة وركوعهما وسجودهما واحد وانما بين صلاتيهما ما بين السماء والارض وقوله اما يخاف الذي يحول وجهه في الصلوة ان يحول الله وجهه وجه حمار وقوله من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر الله له ذنوبه واما اسرارها فينقسم الى عامة والى خاصة اما العامة فقد بيناها فيما سلف في ذكر الحج في الخطبة الاولى الى السر العام لجميع العبادات وهي كونها متممة للغرض الثاني من اغراض العارف من الرياضة ومعينة على تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة وثمرتها على موافقتها واذا لاح لك هذا السر فقد علمت ان جميع الآيات والاخبار الواردة في فضلها يرجع معناها اليه ككونها تنهى عن الفحشاء والمنكر في قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر اذ كان سببهما القوة الشهوية اذا خرجت عن حكم العقل فاذا كانت الصلوة هي التي توجب دخولها تحت حكم العقل والعقل ناه عن الفحشاء والمنكر فقد كانت الصلوة هي السبب في الانتهاء فكانت ناهية فظهر ايضا معنى كونها عماد الدين اذ قال بني الاسلام على خمس وكل منها عماد وبحسب سقوطه فمن اخل بها فقد هدم بنيانه الذي يصعد به الى الله وكذلك كونها مفتاح الجنة اذ بها ينفتح باب من ابواب الوصول الى الله ولذلك ظهر التفاوت الذي بينه النبي صلعم في صلوة الرجلين من امته فانه اذا كانت فايدة الصلوة هو الالتفات الى الله تعالى بقمع الشيطان وكان احد الرجلين في صلوته خاشعا الخشية لله مستحضرا لعظمته والاخر غافلا عن هذه الجهة قد صرف الشيطان وجه قلبه الى غير القبلة فاين احدهما من الاخر وكذلك ما اشار اليه من التخويف لمن يحول وجهه في الصلوة فانها تنهى عن الغفلة عن الالتفات الى الله وملاحظة عظمته في حال الصلوة فان الملتفت يمينا وشمالا ملتفت عن الله وغافل عن مطالعة انوار كبريائه ومن كان كذلك فيوشك ان يدوم تلك الغفلة عليه فيتحول وجه قلبه كوجه قلب الحمار في قلة عقليته للامور العلوية وعدم اكرامه بشيء من العلوم المقربة الى الله وكذلك غفران ذنب المصلي بسبب عدم حديث نفسه بشيء من الدنيا فانه في تلك الحال ملتفت الى الله تعالى غافل عن غيره والالتفات اليه روح العبادة وخلاصتها ولذلك قال صلعم انما فرضت الصلوة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله فاذا لم يكن في قلبك المذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمته ولا هيبته فما قيمة ذكرك وعن عايشة قالت كان رسول الله صلعم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه شغلا بالله عن كل شيء وكان علي عم اذا حضر وقت الصلوة يتململ ويتزلزل ويتلون فيقال له ما لك يا امير المؤمنين فيقول جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارضين فابين ان يحملنها واشفقن منها وكان علي بن الحسين عم اذا حضر للوضوء اصفر لونه فيقول اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول ما تدرون بين يدي من اقوم وكل ذلك اشارة الى تحقق عظمة الله والالتفات اليه حال العبادة والانقطاع عن غيره واما ما يخصها من الاسرار فقد علمت ان الصلوة ليست الا ذكرا وقراءة وركوعا وسجودا وقياما وقعودا اما الذكر فلانه محاورة ومناجاة لله تعالى وغايتها استلزام الالتفات اليه وتذكر ما يجذب القوى الشيطانية تحت قياد العقل والتمييز وتعودها بذلك وهو المقصد من القراءة والاذكار والحمد والثناء والتضرع والدعاء وليس المقصد منه الحرف والصوت امتحانا للسان بالعمل وان تحصلت الغفلة فان تحريك اللسان بالهذيان خفيف على اللسان لا كلفة فيه من حيث هو عمل وسنبين حال الذكر وفضيلته وفايدته في موضع اللائق به ان شاء الله تعالى واما الركوع والسجود والقيام والقعود فالغرض بها التعظيم لله تعالى المستلزم للالتفات اليه وذكره ايضا ولو جاز ان يكون معظما لله بفعله وهو غافل عنه لجاز ان يعظم صنما موضوعا بين يديه وهو غافل عنه ويؤيد ذلك ما روي عن معاذ بن جبل عن رسول الله من على يمينه وشماله متعمدا في الصلوة فلا صلوة له وقال عم ان العبد ليصلي الصلوة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلوته ما عقل منها ولما عرفت ان الاصل من اركانها هو الالتفات الى الله تعالى فاعلم ان الالتفات اليه مستلزم للتأكيد للتذكر والتفهم

لان الالتفات اليه تعالى انما يكون لمطالعة كبريائه وعظمته ومطالعة الكبرياء انما هو بعين البصيرة وحدقة العقل الانساني ثم ان التذكر والتفهم مستلزم للتعظيم فان مطالعة عظمة الله اعظم من ان لا يعظمها العارف بها والتعظيم مستلزم للخوف والرجاء فانا نجد عند عظمة تصور ملك من ملوك الدنيا وجدانا ضروريا انا نستهر عن مكالمته ومحاورته ويلزم معه السكون والخضوع وربما يتبع ذلك رعدة البدن وتلعثم اللسان ومنشأ كل ذلك الخوف الحادث عن تصور عظمته فكيف بتصور جبار الجبابرة وسلطان الدنيا والاخرة وكذا الرجاء فانا عند تصور عظمة الله نتصور ان الكل منه وذلك باعث على رجاء محض وصادق وقد تاكد ذلك بالايات الواردة في باب الخوف والرجاء وكل نتذكر الحياء لان المتصور لعظمة الله الاحد لا يزال مستشعرا تقصيره متوهما ذنبا وذلك الاستشعار والتوهم يوجب الحياء من الله سبحانه الخامس ايتاء الزكوة وهي ركن قوي من اركان الدين واشار الى وجه فضيلتها بكونها فريضة واجبة قال قطب الدين الراوندي اراد بالفريضة السهم المقطع من المال للفقراء المستحقين الذي ذكره فقال وهو عرف شرعي لان الفريضة بمعنى الواجب فان كل العبادات الواجبة كذلك ولان الفرض والواجب بمعنى فيكون قوله فريضة واجبة تكرارا واقول ما ذكره وجه حسن وهو اشارة الى بعض اسرارها كما نبينه ولهذه العبادة مع السر العام الشامل لجميع العبادات وهو الالتفات الى الله تعم ومحبته اسرار منها الاول ان المراد بكلمة الشهادة التوحيد المطلق وافراد المعبود بالتوحيد لانه وذلك لا يتم الا بان يبقى كل محبوب سواه فان المحبة لا تحتمل الشركة والتوحيد باللسان قليل الفائدة في الباطن وانما تمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة عند الخلق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يانسون بهذا العالم ويفرون عن الموت فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو معشوقهم كما قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ولما فهم الناس هذا المعنى انقسموا اقساما ثلاثة منهم قسم اخلصوا واحبوا معشوقهم ووفوا بعهده فبذلوا اموالهم ولم يدخروا منها شيئا حتى قيل لبعضهم كم يجب الزكوة في مائتي درهم فقال اما على العوام بحكم الشرع خمسة دراهم واما علينا فيجب بذل الجميع ومنهم من نقص عن هذه المرتبة وامسكوا اموالهم وراقبوا مواقيت الحاجة ومواسم الخيرات وجعلوا قصدهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه البر وهؤلاء لا يقتصرون على واجب الزكوة كالنخعي والشعبي ومجاهد وقيل للشعبي هل في المال حق سوى الزكوة فقال نعم اما سمعت قوله تعالى واتى المال على حبه ذوي القربى الاية واستدلوا بقوله تعم ومما رزقناهم ينفقون ولم يجعلوا ذلك مخصوصا باية الزكوة بل هو داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته عما يفضل عن مال الزكوة ومنهم من اقتصر على اداء الواجب من الزكوة من غير زيادة ولا نقصان وهي ادون الرتب وقد اقتصر مع العوام على ذلك لجهلهم بسر البذل وبخلهم بالمال وضعف حبهم للاخرة ويلزم السر تطهير ذوي الاموال عن رذيلة البخل فانها من المهلكات قال عم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وكونه مهلكا انه انما يحصل عن محبة المال وقد علمت ان الدنيا والاخرة ضرتان بقدر ما يقرب من احديهما يبعد من الاخرى فكانت محبته المال صارفة عن التوجه الى الله مبعدة منه وذلك يستلزم الهلاك الاخروي وانما تزول هذه الرذيلة بتعود البذل اذ حب الشي لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته بالتدريج حتى يصير ذلك عادة فالزكوة بهذا المعنى طهور اي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله وفرحه واستبشاره بصرفه في جنب الله طاعة ومحبة له وملاحظة لحد فكل محبوب عداه عن سمت القبلة السر الثاني شكر النعمة فان لله على العبد نعمة في نفسه وشكرها العبادات البدنية ونعمة في ماله وشكرها العبادات المالية وليس احد اخس وابعد عن رحمة الله ممن ينظر الى الفقير قد ضيق عليه في الرزق ثم اضطر اليه فلم يسمح نفسه بان يؤدي شكرا لله تعالى على ما اغناه عن السوال واحوج غيره اليه بعشر ماله او بربع عشره السر الثالث يتعلق باصلاح المدن وتدبير احوال اهلها وهو ان جعل الله هذا الفرض في اموال الاغنياء شركة للفقراء لان يسد به خلتهم واليه اشارة بكونه فريضة واجبة وفي هذا السر سران احدهما ان يكون ذلك عونا لهولاء على عبادة الله كي لا يشتغلوا بالطلب عنها الثاني ان تنكسر همهم عن حسد اهل الاموال والسعي بالفساد في الارض فلا ينتظم امر المدينة وتكون قلوبهم ساكنة الى ذلك القدر معلقة به مستمدة من الله نعم بالدعاء في حفظه منا لقدم مع اهل الاموال محبة لبيرقينم بذلك امر المشاركة والمعاونة والانس والمحبة الموجبات للالفة الموجبة لنظام العالم وقوام امر الدين وبقاء نوع الانسان لما لاجله السادس صوم شهر رمضان وتخصيصه بكونه جنة من العقاب دون سائر العبادات كذلك لما انه اشدها وقاية وبيان ذلك انه مستلزم لقهر اعداء الله التي هي الشياطين المطيفة بالانسان فان وسيلة الشيطان هي الشهوات وانما يقوى الشهوة ويشبهها الاكل والشرب ولذلك قال رسول الله صلعم ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وقال عم لعائشة داومي قرع باب الجنة فقالت بماذا قال بالجوع فكان الصوم على الخصوص اشد منعا للشيطان واسد لمسالكه وتضييق مجاريه لما كان العقاب انما يلحق الانسان ويتفاوت في حقه بالشدة والضعف بحسب تفاوت قربه من الشيطان وبعده وكانت هذه العبادة تبعد بعيدا عن الشيطان كان بسببها العبد بعيدا عن العقاب فلذلك خصت بكونها وقاية منه واعلم ان هذه العبادة وان كانت عدمية الا انها ليست عدما صرفا بل عدم ملكة بحركة من الطبيعة تحركها كاشد يدا بتنبيه صاحبه انه على جملة من الامر يشبه ذلك انه كسبب ما ينويه من ذلك وانه التقرب الى الله سبحانه كما هو غاية السر العام للعبادات السابع حج البيت واعتماره وقد سبقت منا الاشارة الى اسراره

كما بيناه

البهم

في الخطبة

١٨

ح

في الخطبة الاولى والذي ذكره هيهنا كونهما ينفيان الفقر ويغسلان الذنب فيجمع فيه بين منفعة الدنيا ومنفعة الاخرة اما منفعة الدنيا فكونهما ينفيان الفقر وذلك بسبب التجارة الحاصلة في موسم الحج وقيام الاسواق بمكة واما منفعة الاخرة فلكونهما يغسلان الذنب عن لوح النفس كما علمته في اسرار العبادات وهي المنافع المشار اليها في القران الكريم بقوله ليشهدوا منافع لهم قال اكثر المفسرين هي منافع الدنيا من التجارة وهو المنقول عن سعيد بن جبير وابن عباس في رواية ابي رزين عنه ومنهم من جعلها عامة في منافع الدنيا والاخرة كالتجارة والثواب وهو المنقول عن مجاهد وابن عباس في رواية عطاء عنه الثامن صلة الرحم وذكر من فوائدها امرين احدهما كونها مثراة في المال وذلك من وجهين احدهما ان العناية الالهية قسمت لكل حي قسطا من الرزق يناله مدة الحيوة الدنيا ويقوم بصورة بدنه فاذا اعدت شخصا من الناس للقيام بامر جماعة وكفلته بامدادهم ومعونتهم وجب في العناية ارزاقهم على يديه وما يقوم بامدادهم بحسب استعداده لذلك سواء كانوا ذوي ارحام او مرحومين في نظره حتى لو نوى قطع احد منهم فربما نقص ماله بحسب قدر ذلك المقطوع وذلك معنى كونه مثراة للمال الثاني ان صلة الرحم من الاخلاق الجميلة التي يستمال بها طباع الخلق والواصل رحمه مرحوم في نظر الكل فيكون ذلك سببا لامداده ومعونته من ذوي الامداد والمعونات كالملوك ونحوهم فكانت صلة الرحم مظنة لزيادة المال والثاني كونه منساة في الاجل وهو من وجهين احدهما ان صلة الرحم توجب تعاطف ذوي الارحام وتوازرهم ومعاضدتهم لواصلهم فيكون عن اذى الاعداء ابعد وفي ذلك مظنة تاخره وطول عمره الثاني ان مواصلة ذوي الارحام توجب تعلق هممهم ببقاء واصلهم وامداده بالدعاء ويكون دعاؤهم له وتعلق هممهم ببقائه من شرائط بقائه ونسأ اجله فكانت مواصلتهم منساة في اجله التاسع صدقة السر وذكر من فوائدها كونها تكفر الخطيئة وانما خصها بذلك مع ان سائر العبادات كذلك لكونها ابعد عن الرياء وتخالطه ما لا يراد به وجه الله تعم فكان الاخلاص فيها اتم فكانت اولى بالتقريب من الله ومحو الخطيئة العاشر صدقة العلانية وذكر من فوائدها انها تدفع ميتة السوء وبيان ذلك ان صدقة العلانية تستلزم الشهرة بفعل الخيرات وتوجب الذكر الجميل للمتصدق ولما كانت ميتات السوء كالحرق والغرق والصلب والقتل ونحو ذلك من الاحوال الشنيعة التي تكثر نفرة الناس عن الموت عليها وكان قليلا ما يقع شي منها بقصد من الناس لمن احبوه واشتهر بالرحمة واستجلاب قلوب الفقراء بالصدقة والايثار فلا جرم كانت تلك الصدقة مظنة لدفع ميتات السوء الحادي عشر صنايع المعروف وذكر من فوائدها انها تقي مصارع الهوان وتقريره قريب مما قبله اذ كان اصطناع المعروف مستلزما لتالف قلوب الخلق واجتماعهم على محبة المصطنع فقلما يقع مع ذلك فيسلمهم في مصرع هوان ثم لما فرغ من تعداد كمالات الايمان امر بما يوكده في القلوب ويثبته وهي امور احدها الاندفاع في ذكر الله وهو من موكدات الايمان بورود عقيبه مكونه احسن الذكر وذلك لما يستلزم من الحصول على الكمالات المسعدة في الاخرة والوصول الى الله كما ستبين فائدته وفضيلته في موضع التوبة الثاني الرغبة فيما وعد المتقين من ثواب الاخرة والتواعد وهو ايضا من موكدات طاعته والعمل له ولما كان الخلف في خبره تعم محالا كان وعده اصدق الوعود الثالث الاقتداء بهدى النبي صلعم الرابع اتباع سنته ولما كان افضل الانبياء كانت سنته اشرف السنن والاقتداء به واتباع سنته اهدى الطرق الى الله الخامس تعلم القران ووجه كونه من موكدات الايمان بالله ورسوله واستعار له لفظ الربيع ووجه المشابهة كون القران جامعا لانواع العلوم الشريفة والاسرار العجيبة اللطيفة التي هي متنزه القلوب كما ان زمن الربيع محل الازهار الرايقة التي هي مجمع النظر ومطرح السرور السادس الاستشفاء بنوره ووجه كونه شافيا للقلوب من ظلمة الجهل السابع حسن تلاوته وذلك لان حسن تلاوته مظنة تفهم معانيه وتدبرها وبحسن تلاوته يظهر فايدته ويحصل منفعة قصصه وانما يكون نفع القصص اذا تلى حق تلاوته كما سبق بيانه ثم اكد الاوامر المذكورة بالاعمال التي عددها فانما ينبغي ان يعمل على وفق العلم بالتنبيه على نقصان العالم الذي لا يعمل بعلمه فسوى فلا بينه وبين الجاهل الغافل عن سواء سبيل الله ووجه التسوية اشتراكهما في حيرة الجهل وهو الجور عن قصد السبيل وفي عدم الانتفاع بفائدة العلم وثمرته وهي الاعمال الصالحة ثم جعل حال العالم اخس لثلثة اوجه احدها ان الحجة عليه اعظم لان للجاهلين ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين وليس للعالم ذلك وروي عن الرسول صلعم انه قال العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن ادم وعلم في القلب فذلك العلم النافع اي الذي يستلزم الطاعة بالعمل الثاني ان الحسرة له الزم وذلك ان النفوس الجاهلة عن غاية بمقدار ما يفوتها من الكمال بالتفصيل فاذا فارقت ابدانها فهي وان كانت محجوبة عن ثمار الجنة وما اعد الله فيها لاوليائه العلماء الا انها لما لم تحصل لذتها ولم تطعم حلاوة المعارف الالهية لم تكن لها كثيرة حسرة عليها ولا اسف على التقصير في تحصيلها بخلاف العارف بها العالم بنسبتها الى اللذات الدنيوية فانه بعد المفارقة اذا علم وانكشف له ان التارك له والمانع عن الوصول الى حضرة جلال الله هو تقصيره في العمل بما علم مع علمه بمقدار ما فاته من الكمالات والابتهاجات كان اسفه وحسرته على ذلك اشد الحسرات وجرى ذلك مجرى من علم قيمة جوهرة ثمينة تساوي جملة من المال ثم اشتغل عن تحصيلها ببعض لعب حتى فاتته فانه يعظم حسرته عليها وندمه على التفريط فيها بخلاف الجاهل بقيمتها الثالث انه يكون عند الله الوم واشد ملامة لبعد المفارقة مجاز في انقطاع لسان حاله عن العذر في معصيته عن علم وانما يكون الوم لان اقدام العالم على المعصية التي علم نهيها انما يكون عن في غاية الانقياد للنفس الامارة بالسوء والطاعة لابليس وجنوده طاعة تفضل على طاعة الجاهل وانقياده لقيام الصارف في حق العالم دون

علمه ببغضها وترجح الداعي اليها عليه وعدم الصارف في حق الجاهل ولا شك ان اشد تبرا للاثم ناعم لا اشد تبرا الانقياد لابليس خصوصا مع العلم
بما يلزمه منا نعمة من الهلاك وظاهر ان كونه الوم عند الله وبالله التوفيق والعصمة **ومن خطبة له عليه السلام** اما بعد فاني احذركم
الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وتحببت بالعاجلة وراقت بالقليل وتحلت بالآمال وتزينت بالغرور لا تدوم حبرتها
ولا تؤمن فجعتها غرارة ضرارة حائلة زائلة نافدة بائدة اكالة غوالة لا تعدو اذا تناهت الى امنية اهل الرغبة فيها والرضا بها
ان تكون كما قال الله تعالى كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا
لم يكن امرؤ منها في حبرة الا اعقبته بعدها عبرة ولم يلق من سرائها بطنا الا منحته من ضرائها ظهرا ولم تطله فيها ديمة رخاء الا هتنت
عليه مزنة بلاء وحري اذا اصبحت له منتصرة ان تمسي له متنكرة وان جانب منها اعذوذب واحلولى امر منها جانب فاوبى لا ينال
امرؤ من غضارتها رغبا الا ارهقته من نوائبها تعبا ولا يمسي منها في جناح امن الا اصبح على قوادم خوف غرارة غرور ما فيها فانية فان
من عليها لا خير في شيء من ازوادها الا التقوى من اقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه وزال عما قليل عنه
كم من واثق بها قد فجعته وذي طمأنينة اليها قد صرعته وذي ابهة قد جعلته حقيرا وذي نخوة قد ردته ذليلا سلطانها دول
وعيشها رنق وعذبها اجاج وحلوها صبر وغذاؤها سمام واسبابها رمام حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم ملكها مسلوب
وعزيزها مغلوب وموفورها منكوب وجارها محروب الستم في مساكن من كان قبلكم اطول اعمارا وابقى آثارا وابعد آمالا
واعد عديدا واكثف جنودا تعبدوا للدنيا اي تعبد وآثروها اي ايثار ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلغ ولا ظهر قاطع فهل بلغكم
ان الدنيا سخت لهم نفسا بفدية او اعانتهم بمعونة او احسنت لهم صحبة بل ارهقتهم بالقوادح واوهنتهم بالقوارع وضعضعتهم
بالنوائب وعفرتهم للمناخر ووطئتهم بالمناسم واعانت عليهم ريب المنون فقد رأيتم تنكرها لمن دان لها وآثرها واخلد اليها
حتى ظعنوا عنها لفراق الابد هل زودتهم الا السغب او احلتهم الا الضنك او نورت لهم الا الظلمة او اعقبتهم الا الندامة افهذه
تؤثرون ام اليها تطمئنون ام عليها تحرصون فبئست الدار لمن لم يتهمها ولم يكن فيها على وجل منها فاعلموا وانتم تعلمون بانكم تاركوها
وظاعنون عنها واتعظوا فيها بالذين قالوا من اشد منا قوة حملوا الى قبورهم فلا يدعون ركبانا وانزلوا فلا يدعون ضيفانا
وجعل لهم من الصفيح اجنان ومن التراب اكفان ومن الرفات جيران فهم جيرة لا يجيبون داعيا ولا يمنعون ضيما ولا يبالون
مندبة ان جيدوا لم يفرحوا وان قحطوا لم يقنطوا جميع وهم آحاد وجيرة وهم ابعاد متدانون لا يتزاورون وقريبون لا يتقاربون
حلماء قد ذهبت اضغانهم وجهلاء قد ماتت احقادهم لا يخشى فجعهم ولا يرجى دفعهم استبدلوا بظهر الارض بطنا وبالسعة ضيقا
وبالاهل غربة وبالنور ظلمة فجاءوها كما فارقوها حفاة عراة قد ظعنوا عنها باعمالهم الى الحيوة الدائمة والدار الباقية كما قال سبحانه
كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين **اقول** الحبرة السرور والفجعة الرزية وغوالة اي تاخذ على غرة واودى اهلكه والغضارة
والغضارة طيب العيش وقوادم الطير مقاديم ريش جناحه واوبقه اهلكه والابهة العظمة والرنق الكدر والرمام البالية المتقطعة والمحروب المسلوب ماله والمغنم
عشيتهم وفدحه الامر اعياه واثقله والقارعة الداهية الشديدة وضعضعتهم ذللتهم والمناسم اخفاف الابل والسغب الجوع والاجنان جمع جنن جمع
جنة وهي الستر واعلم ان مدار هذا الفصل على التحذير من الدنيا والتنفير عنها بذكر معايبها وفيه نكت فالاولى استعار لفظ الحلاوة والخضرة
المتعلقين بالذوق والبصر لما يرونها ويلتذ النفس وجه المشابهة المشاركة في الالتذاذ بهما وخص متعلق هذين الحسين لاكثرية ادراكهما الى
والالتذاذ بواسطتهما دون سائر الحواس الثانية وصف الدنيا بكونها محفوفة بالشهوات وفي الخبر حفت الجنة بالمكاره وحفت النار
بالشهوات قال اصحاب المعاني وفي ذلك تنبيه على ان النار هي الدنيا ونحنها بعد الفناء فهو سبب عذابها قلت ان ذلك غير مفهوم من
كلامه واما معنى الخبر فجاز ان يراد فيه النار المعقولة فيكون قريبا مما قالوا وجاز ان يراد بالنار المحسوسة ويكون المعنى على التقدير ان النار
انما تدخل بالانهماك في مشتهيات الدنيا ولذاتها والخروج في استعمالها عما ينبغي الى ما لا ينبغي فكانها لذلك محفوفة ومحاطة بالشهوات
لا يدخل اليها الا منها واراد بالعاجلة اللذات الحاضرة التي مالت القلوب الى الحيوة الدنيا بسببها فاشبهت المرأة المتحببة بمالها وجمالها
فاستعير لها لفظ التحبب وكذلك قوله راقت بالقليل اي اعجبت بزينتها القليلة بالنسبة الى متاع الآخرة كمية وكيفية وكذلك تحليها بالآمال
الكاذبة المنقطعة وتزينها بما هو في نفس الامر غرور وباطل فانه لولا الغرور والغفلة عن عاقبتها لما زانت في عيون طالبيها الثالثة
استعار لها اوصاف المحتالة الخدوع وهي كونها غرارة وغوالة اي كثيرة الاستغفال لاهلها والخداع لهم ووصف السبع العقور لكونها اكالة
لهم وكنى بالاولين عن كونها كالمخادع في كونها سببا لغفلتهم عما خلقوا لاجله بالاشتغال بها والانهماك في لذاتها وبالاكالة عن كونها كالسبع
في افنائها لهم بالموت وطحنهم تحت التراب الرابعة معنى قوله لا تعدو الى قوله مقتدرا ان غاية صفاتها للراغبين فيها والراضين بها و
موافقتها لهم لا يجاوز المثل وهو ان تزهر في عيونهم وتروقهم محاسنها ثم عن قليل تزول عنهم فكانها لم تكن كما هو معنى المثل المضروب لها في
القرآن الكريم واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء الآية الخامسة كنى بالعبرة عن الحزن المعاقب للسرور وخصص البطن بالسراء والظهر بالضراء

يحتمل ان

يحتمل امرين احدهما ان يريد بطن المجن وظهره وذلك من العادة في حال الحرب ان يلقى الاذى ظهر المجن وفي حال السلم ان يلقى المجن فيكون بطنه اماما
فجرى المثل به في حق المتكبرين والمخاصمين بعد سلم فقيل قلب له ظهر المجن كما قال علي لابن عباس في بعض كتبه اليه قلبت لابن عمك ظهر المجن فكذلك
استعمل هيهنا لفظ هما للمرء ببطنها في اقبالها عليه ولقائه منها ظهرا في ادبارها عنه ومحاربتها له الثاني يحتمل ان يريد بطنها وظهرها ودل
ان العادة فيمن يلقى صاحبه بالبشر والسرور ان يلقاه بوجهه وبطنه وفيمن يلقاه بالتنكير والادبار ان يلقى بظهره موليا عنه فاستعير لذلك
وعبر به عن اقبالها وادبارها **السادسة** وانما خص منها بالجناح لان الجناح محل التغير بسرعة فشبه على سرعة تغيرها وانما خص الخوف
بالقوادم من الجناح لان القوادم هي رأس الجناح وهي الاصل في سرعة حركته وتغيره وهو في سياق ذمها والتخويف منها فحسن ذلك التخصيص
ومراده انه وان حصل فيها امن فهو في محل التغير السريع والخوف السريع لتخصيصه بالقوادم السابعة لا خير في شيء من ازوادها الا التقوى استثنى
ما هو المقصود من خلق الدنيا ووجود هذا النوع فيها وهو التقوى الموصل الى الله سبحانه وانما كان من ازواد الدنيا لانه لا يمكن تحصيله
الا فيها وقد سبقت الاشارة اليه في قوله فتزودوا من الدنيا ما تحرزون به انفسكم غدا وظاهر انه لا خير فيما عداه من ازوادها لفنائه ومضرته
في الآخرة الثامنة من اقل منها استكثر مما يؤمنه اي من الزهد فيها وقد عرفت كيفية الامان من عذاب الله ومن استكثر منها استكثر مما
يوبقه وهو ملكات السوء الحاصلة عن حب قنياتها وملذاتها الفانية الموجبة للهلاك بعد مفارقتها وزوالها التاسعة استعار لفظ
العذب والحلو للذاتها ولفظي الاجاج وهو الملح والصبر لما يشوب لذاتها من الكدر بالامراض والتغيرات ووجه الاستعارات الاشتراك
في الالتذاذ والايلام العاشرة استعار لفظ الغذاء وكنى به عن لذاتها ايضا ولفظ السمام له ووجه الاستعارة ما يستعقب الانهماك في
لذاتها من الهلاك في الآخرة كما يستعقبه شرب السم والسمام جمع سم ثم اعقب التحذير منها بالتنبيه على مصارع السابقين فيها ممن كان
اطول اعمارا واشد باسا من تغيراتها وتنكرها لهم مع شدة محبتهم وتعبدهم لها والسؤال على سبيل الانكار عن دوام سرورها وحسن
صحبتها اياهم وصرح بعده بالانكار بقوله بل ارهقتهم بالفوادح واستعار لها لفظ الارهاق والضعضعة والتعفير والوطئ واعانة ريب
المنون عليهم واسند اليها افعال الاحياء ملاحظة تشبيهها بالمرأة المتزينة لخداع الرجال عن انفسهم واموالهم ونحو ذلك الحادي عشر لما
فرغ من ذمها والتنفير عنها بعد بيد مذامها استفهم السامعين على سبيل التقريع لهم عن ايثارهم لها بهذه المذام واطمئنانهم اليها وحرصهم
عليها ثم عاد الى ذمها مجملا بقوله بئست الدار لمن لم يتهمها اي لمن اعتقد نصحها وانها مقصودة بالذات ولكن ايها فانها بدلك الاعتبار
مذمومة في حقه اذ كانت سبب هلاكه في الآخرة فاما المتهم لها بالخديعة والغرور فانه يكون فيها على وجل منها عاملا لما بعدها فكانت
محمودة له اذ كانت سبب سعادته في الآخرة ثم شرع في الامر بالعمل على وفق العلم بمفارقتها وذلك ان ترك العمل للآخرة انما يكون للاشتغال
بالدنيا فالعالم بضرورة مفارقتها له وبما اعد للتارك العمل من العذاب الاليم اذا نبه على تلك الحال كان ذلك صارفا له عنها وسببا
للعمل لغيرها واكد التنبيه على مفارقتها بالتذكير باحوال المفارقين لها بعد مفارقتها المضادة للاحوال المعتادة للاحياء التي الفوها
واستراحوا اليها اذ كان من عادتهم اذا حملوا ان يسموا ركبانا واذا نزلوا ان يسموا ضيفانا واذا تجاوروا ان يجيبوا داعيهم ويمنعون عنهم
الضيم وان يفرحوا ان جادهم الغيث ويقنطوا ان يخطوا منه وان يتزاوروا في التداني ويحملوا عند وجود الاضغان ويجهلوا عند نشام
الاحقاد ويخشوا ويرجوا فسلبت عنهم تلك الصفات وعرفوا باضداد تلك السمات الثانية عشر مجيئهم اليها كما فارقوها اي شبه مجيئهم
اليها ووجودهم منها يوم مفارقتهم لها ووجه التشبيه كونهم حفاة عراة وهو كناية عن التفرد منها ودل على ذلك استشهاده بالآية الكريمة ومع
قوله قد ظعنوا عنها النصب على الحال كما انتصب حفاة عراة والعامل فارقوها ولا يقدر مثله بعد جاؤها وان قدر مثل الحال من التفات
قال الامام الوبرية فراقهم من الدنيا ان خلقوا منها ومجيئهم اليها ان دفنوا فيها قال الله تعالى هو الذي خلقكم من تراب ثم قلت وكانت
الحامل لهذا الامام على هذا التاويل انه لو كان مراده مجيئهم اليها هو دخولهم فيها حين الولادة مع انه في ظاهر الامر هو المشبه ومفارقتهم هي
المشبه به لانعكس الغرض اذ المقصود تشبيه المفارقة بالمجيء وذلك يستلزم كون المشبه هو المفارقة والمشبه به هو المجيء لكن ينبغي ان يعلم ان
المشابهة اذا حصلت بين الشيئين في نفس الامر جاز ان يجعل احدهما اصلا والآخر فرعا وجاز ان يقصد اصل المساواة بينهما من دون
ذلك فحمله هنا على الوجه الثاني اولى من التعسف الذي ذكره فاما الآية فان من فيها لبيان الجنس فلا تدل على المفارقة والانفصال وبالله
التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ذكر فيها ملك الموت وتوفيه الانفس هل تحس به اذا دخل منزلا ام هل تراه اذا توفى احدا
بل كيف يتوفى الجنين في بطن امه ايلج عليه من بعض جوارحها ام الروح اجابته باذن ربها ام هو ساكن معه في احشائها
كيف يصف الهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله **اقول** هذا الفصل من خطبة طويلة ذكره في معرض التوحيد والتنزيه لله تعالى
عن اطلاع العقول البشرية على كنه وصفه فقدم التنبيه بالاستفهام على سبيل الانكار عن الاحساس به في دخوله منازل المتوفين
وذلك قوله هل تحس به الى قوله احدا ونبه باستنكار الاحساس به على انه ليس بجسم اذ كان كل جسم من شانه ان يحس باحدى الحواس
الخمس ثم عن كيفية توفيه للجنين في بطن امه وهو استفهام من قبيل تجاهل العارف بالنسبة اليه وذلك قوله بل كيف يتوفى الجنين

قوله في احشائها وجعل الحق من هذه الاقسام في الوسط وهو اجابتها باذن ربها لينبغي الجاهل في محل الحيرة متردد دائم لما بين ان ملك
الموت لا يتمكن الانسان من وصفه نبه على عظمة الله سبحانه بالنسبة اليه وانه اذا عجز الانسان عن وصف مخلوق مثله فبالاولى ان يعجز عن
صفة خالقه ومبدعه الذي هو ابعد الاشياء عنه مناسبة وتقدير البيان بذلك لتنبيه ان العبد عاجز عن صفة مخلوق مثله فهو من
صفة خالق ذلك المخلوق ومبدعه اشد عجزا ولنشر اشارة خفيفة الى حقيقة الموت الى ما عسى يلوح من وصف ملك الموت ثم نعم
اما حقيقة الموت فاعلم ان الذي نطقت به الاخبار وشهدت به الاعتبار ان الموت ليس الا عبارة عن تغير حال وهو مفارقة الروح لهذا
البدن الجاري مجرى الآلة لذي الصنعة وان الروح باقية بعده كما شهدت به البراهين العقلية من مظانها والآثار النبوية المتواترة
ومعنى مفارقتها له هو انقطاع تصرفها فيه لخروجه عن حد الانتفاع به فما كان من الامور المدركة لها تحتاج في ادراكه الى آلة
فهي متعطلة عنه بعد مفارقة البدن الى ان تعاد اليه في القبر او يوم القيمة وما كان مدركا لها لنفسها من غير آلة فهو باق معها
يتنعم به ويفرح او يحزن من غير حاجة الى هذه الآلة في بقاء تلك العلوم والادراكات الكلية لها هناك وقد ضرب للمفارقة
التي سميناها بالموت مثالا فقيل كما ان بعض اعضاء المريض تتعطل بحسب فساد المزاج يقع فيه او بحسب شدة تعرض للاعصاب
تمنع نفوذ الروح فيها فتكون النفس مستعملة لبعض الاعضاء دون ما استعصى عليها منها فكذلك الموت عبارة عن استعصاء جميع
الاعضاء كلها وتعطلها وحاصل هذه المفارقة يعود الى سلب الانسان عن هذه الاعضاء والآلات والهيئات الدنيوية من الاهل
والمال والولد ونحوها ولا فرق بين ان تسلب هذه الاشياء عن الانسان او يسلب هو عنها اذ كان المولم هو الفراق وقد يحصل ذلك
بنهب مال الرجل وسبي ذريته وقد يحصل بسلبه ونفيه عن ماله واهله فالموت في الحقيقة هو سلب الانسان عن امواله بازعاجه
الى عالم آخر فان كان له في هذا العالم شيء يأنس به ويستريح اليه ويعتد به عظم خطره عنده بعظم تحسره عليه في الآخرة وتصعب شقاوته في
مفارقته ويكون سبب عظم خطره عنده ضعف صورته لما اعد للابرار المتقين في الآخرة مما يحقر في القليل منه اكثر نفائس الدنيا
فاما ان كانت عين بصيرته مفتوحة حتى انه لم يفرح الا بذكر الله ولم يأنس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذ خلي بينه وبين محبوبه
وانقطع علائقه وعوائقه الشاغلة له عنه ووصل اليه وانكشف له هناك ما كان يدركه من قبل اذ يجب الوصف انكشاف مشاهدة كانتباه
المستيقظ من نومه صورة ما رآه في النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا اذا عرفت ذلك فاعلم ان ملك الموت عبارة عن الروح المتولي
لافاضة صورة العدم على اعضاء هذا البدن والحال مفارقة النفس له ولعله هو المتولي لافاضة صورة الوجود عليها لكنه باعتبار
الاول يسمى ملك الموت ثم لما كانت النفوس البشرية انما تدرك المجردات ما دامت في هذا العالم وتشبثها بان تستصحب
القوة المتخيلة معها فيحاكي ما كان محبوبا منها للنفس ومستبشرا بلقائه بصورة بهية كتصور جبرئيل في صورة دحية الكلبي
وغيره من الصور البهية الحسنة وما كان مستنكرا لها مخوفا منفورا من لقائه بصورة هائلة لا جرم اختلف رؤية الناس لملك الموت فمنهم
من يراه على صورة بهية وهم المستبشرون بلقاء الله الذين قلت رغبتهم في الدنيا ورضوا بالموت ليصلوا الى لقاء محبوبهم
وقرب جواره لكونه وسيلة اليه كما روي عن ابرهيم عليه السلام انه لقي ملكا فقال له من انت فقال انا ملك الموت فقال اتستطيع ان تريني
الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم اعرض عني فاعرض عنه فاذا هو شاب فذكر من حسنه وثيابه وطيب ريحه فقال مشبابه
يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن من البشرى الا حسن صورتك لكان حسبه ومنهم من يراه على صورة قبيحة هائلة المنظر وهم الفجار
الذين اعرضوا عن لقاء الله ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها كما روي عن ابرهيم ايضا انه قال لملك الموت فهل تستطيع
ان تريني الصورة التي تقبض فيها روح الفاجر فقال لا تطيق ذلك فقال بلى قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت اليه فاذا
رجل اسود قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومناخره النار والدخان فغشي على ابرهيم ثم افاق وقد عاد
ملك الموت الى حالته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته الا هذه الصورة لكفته وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام واحذركم الدنيا فانها منزل قلعة وليست بدار نجعة قد تزينت بغرورها وغرت
بزينتها دار هانت على ربها فخلط حلالها بحرامها وخيرها بشرها وحيوتها بموتها وحلوها بمرها لم يصفها الله
لاوليائه ولم يضن بها على اعدائه خيرها زهيد وشرها عتيد وجمعها ينفد وملكها يسلب وعامرها يخرب
فما خير دار تنقض نقض البناء وعمر يفنى فناء الزاد ومدة تنقطع انقطاع السير اجعلوا ما افترض الله عليكم من طلبتكم نقض البناء
واسألوه من اداء حقه ما سألكم واسمعوا دعوة الموت آذانكم قبل ان يدعى بكم ان الزاهدين في الدنيا تبكي
قلوبهم وان ضحكوا ويشتد حزنهم وان فرحوا ويكثر مقتهم انفسهم وان اغتبطوا بما رزقوا قد غاب عن قلوبكم
ذكر الآجال وحضرتكم كواذب الآمال فصارت الدنيا املك بكم من الآخرة والعاجلة اذهب بكم من الآجلة وانما
انتم اخوان على دين الله ما فرق بينكم الا خبث السرائر وسوء الضمائر فلا توازرون ولا تناصحون ولا تباذلون ولا

لانتباه من العجز عن صفة ملك الموت عالم بتعلق من صفة مخلوق مثله

ح

توادون ما بالكم تفرحون باليسير من الدنيا تدركونه ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه ويقلقكم اليسير من
الدنيا يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم وقلة صبركم عما زوي منها عنكم كانها دار مقامكم وكان
متاعها باق عليكم وما يمنع احدكم ان يستقبل اخاه بما يخاف من عيبه الا مخافة ان يستقبله بمثله قد تصافيتم
على رفض الآجل وحب العاجل وصار دين احدكم لعقة على لسانه صنيع من قد فرغ من عمله واحرز رضا سيده
اقول يقال هذا منزل قلعة بضم القاف اي لا يصلح للاستيطان والنجعة بضم النون طلب الكلاء واللعقة المصدر المعد
واللعقة بالضم اسم لما يأخذه الملعقة وفي هذا الفصل نكت فالاولى التحذير من الدنيا والاستدراج الى الحذر كما يذكر معايبها
وذلك من اول الفصل الى انقطاع السير فاشار اولا الى انها لا تصلح للاستيطان وطلب الكلاء وكنى به عما ينبغي ان يطلب من خيرها
الباقية التي هي محل الامن والسرور الدائم وثانيا الى ان زينتها سبب لاستغفالها الخلق والاغترار بها سبب لاستهانتها فان
قلت فقد جعل الزينة سببا للغرور والغرور سببا للزينة وذلك دور قلت ثم جعل الزينة سببا للاغترار والغرور سببا
لاستهانتها وعدم التفاته لغاية بها فلا دور وثالثا انها هانت على ربها اي لم تكن العناية الالهية بها بالذات فلم تكن خيرا محضا
بل كان كل ما فيها مما يعد خيرا مشوبا بشر يقابله وذلك بحسب الممكن فيها وبهذا خيرها بالنسبة الى خير الآخرة الثابتة دائما
با دوام احدها ان يجعلوا فرائض الله عليهم من جملة ما يطلبونه منه والغرض ان تصير محبوبة لهم كمحبتهم لما يسألونه من مال وغيره
فيواظبوا على العمل بها الثاني ان يسألوه اداء حقه عنهم وذلك بالاعانة والتوفيق والاعداد لذلك كما سألهم اداء حقه والغرض
ان يصير الاداء مهما لهم محبوبا اليهم ونحوه في الدعاء المأثور اللهم انك سألتني من نفسي ما لا املكه الا بك فاعطني منها ما يرضيك
عني الثالث ان يسمعوا دعوة الموت آذانهم اي يقصدون سماع كل لفظ يخوف الموت وذلك بالجلوس في مجالس الذكر ومحاضرة واهوال
الزاهدين في الدنيا وفائدة ذكر الموت تنغيص اللذات الدنيوية كما قال عليه السلام اكثروا ذكر هادم اللذات الثالثة شرح حال الزاهدين في
الدنيا ليهتدي من عساه يجذب بحبل الله الى كيفية طريقتهم فيقتدي بهم فذكر لهم اوصافا الاول انهم تبكي قلوبهم وان ضحكوا وذلك
اشارة الى دوام حزنهم بملاحظتهم الخوف من الله فان ضحكوا مع ذلك فمعاملة مع الخلق الثاني انهم يشتد حزنهم وان فرحوا وهو قريب
مما قبله الثالث انهم يكثر بغضهم لانفسهم ويتركون الالتفات اليها بالزينة وطاعتها فيما تدعوهم اليه من متاع الحيوة الدنيا الحاضرة
وان غبطهم غيرهم بما نيلهم من رزق الرابعة تعنيف للسامعين على ما هم عليه من الاحوال المضرة في الآخرة وذلك بالغفلة عن ذكر الآجال واستحضار
للآمال الكاذبة وغيرها من الاحوال المذكورة الى آخر الفصل ومحل تدركونه وتحرمونه ويفوتكم النصب على الحال وقلة صبركم عطف على
وجوهكم اي حتى يتبين ذلك القلق في وجوهكم وفي قلة صبركم عما غيب عنكم منها وقوله وما يمنع احدكم ان يستقبل اخاه الى آخره اي ما يمنع احدكم
من لقاء اخيه بعيبه ولا ثمة عليه الا الخوف منه ان يلقاه بمثله لمشاركته اياه فيه كما صرح به في قوله تصافيتم على رفض الآجل الى آخره
واستعار لفظ اللعقة لما ينطق به من شعار الاسلام والدين كالشهادتين ونحوهما من دون ثبات ذلك في القلب ورسوخه والعمل على وفقه و
صنيع نصب على المصدر اي صنعتم صنيعا مثل صنيع من احرز رضا سيده بقضاء اوامره ووجه التشبيه الاشتراك في الترك والاعراض عن
العمل وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله الواصل الحمد بالنعم والنعم بالشكر نحمده على آلائه كما نحمده على
بلائه ونستعينه على هذه النفوس البطاء عما امرت به السراع الى ما نهيت عنه ونستغفره مما احاط به علمه واحصاه كتابه علم غير
قاصر وكتاب غير مغادر ونؤمن به ايمان من عاين الغيوب ووقف على الموعود ايمانا نفى اخلاصه الشرك ويقينه الشك ونشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله شهادتين تصعدان القول وترفعان العمل لا يخف ميزان
توضعان فيه ولا يثقل ميزان ترفعان عنه اوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاذ زاد مبلغ ومعاذ منجح دعا
اليها اسمع داع ووعاها خير واع فاسمع داعيها وفاز واعيها عباد الله ان تقوى الله حمت اولياء الله محارمه والزمت قلوبهم
مخافته حتى اسهرت لياليهم واظمأت هواجرهم فاخذوا الراحة بالنصب والري بالظماء واستقربوا الاجل فبادروا العمل وكذبوا
الامل فلاحظوا الاجل فبادروا العمل وكذبوا الامل فلاحظوا الاجل ثم ان الدنيا دار فناء وعناء وغير وعبر فمن الفناء ان الدهر
موتر قوسه لا تخطئ سهامه ولا تؤسى جراحه يرمي الحي بالموت والصحيح بالسقم والناجي بالعطب آكل لا يشبع وشارب لا
ينقع ومن العناء ان المرء يجمع ما لا يأكل ويبني ما لا يسكن ثم يخرج الى الله لا مالا حمل ولا بناء نقل ومن غيرها انك ترى المرحوم
مغبوطا والمغبوط مرحوما ليس ذلك الا نعيما زل وبؤسا نزل ومن عبرها ان المرء يشرف على امله فيقتطعه حضور اجله فلا
امل يدرك ولا مؤمل يترك فسبحان الله ما اغر سرورها واظمأ ريها واضحى فيئها لا جاء يرد ولا ماض يرتد فسبحان الله فيهما
ما اقرب الحي من الميت للحاقه به وابعد الميت من الحي لانقطاعه عنه انه ليس شيء بشر من الشر الا عقابه وليس شيء بخير من الخير بشر
الا ثوابه وكل شيء من الدنيا سماعه اعظم من عيانه وكل شيء من الآخرة عيانه اعظم من سماعه فليكفكم من العيان السماع

من الدنيا

ومن العيب الخبر واعلموا ان ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة وزاد في الدنيا فكم من منقوص رابح ومزيد خاسر ان الذي امرتم به اوسع مما نهيتم عنه وما احل لكم اكثر مما حرم عليكم فذروا ما قل لما كثر وما ضاق لما اتسع قد تكفل لكم بالرزق وامرتم بالعمل فلا يكونن المضمون لكم طلبه اولى بكم من المفروض عليكم عمله مع انه والله لقد اعترض الشك ودخل اليقين حتى كان الذي ضمن لكم قد فرض عليكم وكان الذي فرض عليكم قد وضع عنكم فبادروا العمل وخافوا بغتة الاجل فانه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق ما فات اليوم من الرزق رجي غدا زيادته وما فات امس من العمر لم يرج اليوم رجعته الرجاء مع الجائي واليأس مع الماضي فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون **اقول** لا تؤسي اي لا تداوي ولا ينفع لا يسكن عطشه واضحى برز لحر الشمس وفي الخطبة لطائف الاولى انه صدر الخطبة بحمد الله تعالى باعتبار احدهما وصله حمد حامديه بافاضة نعمه عليهم كما قال لئن شكرتم لازيدنكم وسره ان العبد يستعد لشكر النعمة الثاني وصله النعم التي يفيضها على عباده بافاضة الاعتراف بها على اسرار قلوبهم وقد علمت ان الاعتراف بالنعم هي حقيقة الشكر فظهر اذن معنى وصله النعم بالشكر وان الشكر والتوفيق له نعم اخرى كما سبقت الاشارة اليه في الخطبة الاولى ويحتمل ان يريد الشكر منه نعم لعباده الشاكرين كما قال نعم والله شاكر عليم وقام ان وصله نعمه لشكره في نهاية التفضل والانعام فان الاحسان المتعارف يستتبع الشكر من المحسن اليه فاما من المحسن فذلك نفضل لخو ورتبه اعلى الثانية انه نبه بتسويته بين حمده على النعماء وحمده على البلاء تنبيها منه على وجوب ذلك لان النعمة قد تكون بلاء من الله كما قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة والبلاء منه ايضا نعمة يستحق بها الثواب الاجل وسبب النعمة نعمة وبهذا الاعتبار يجب الشكر على البلاء ايضا كما يجب على النعماء اذ الكل نعمة الثالثة نبه على وجوب استعانته تعالى على النفوس وذكر ما لاجله الاستعانة عليها وهو كونها ابطاء عما امرت به من سائر التكاليف وذلك لحاجة النفوس الى مقاومة الطبيعة سراعا الى ما نهيت عنه من المعاصي وذلك لموافقتها مقتضى الطبيعة الرابعة نبه على وجوب طلب المغفرة من الله لكل ذنب صغيرا وكبيرا مما احاط به علمه واحصاه كتابه المبين ولوحه المحفوظ خير سبيل الامتنين علما احاط بكل شيء وكتاب غير مغادر لشيء الخامسة انما خص ايمان من عاين الغيوب ووقف على الموعود اي وقف على ما وعد به المتقون بعين الكشف لكونه اقوى درجات الايمان فان من الايمان ما يكون بحسب التقليد ومنه ما يكون بحسب البرهان وهو علم اليقين واقوى منه الايمان بحسب الكشف والمشاهدة وهو عين اليقين وذلك هو الايمان الخالص وبحسب الاخلاص فيه يكون نفيه للشرك وبحسب يقينه يعني اعتقادات الامر كذا مع اعتقاد انه لا يمكن ان يكون الا كذا يكون نفي الشك وقد علمت ان من اهل هذه المرتبة السادسة كون الشهادتين تصعدان القول وترفعان العمل وذلك ان اخلاص الشهادتين اصل لقبول الاقوال والاعمال الصالحة لا يصح بصعدها الى الله قول وعمل الا بكونهما اصلا له واشار الى ذلك بقوله لا يخف ميزان توضعان فيه ولا يثقل ميزان ترفعان منه وقد اشرنا الى معنى الوزن فيما سبق وسنزيده بيانا السابعة ان تقوى الشاعر اراد بكون تقوى الله هي الزاد اي الزاد ما بلغ المطلوب وان بها المعاد اي المعاد المنجح ولذلك وردها نفيسة الثامنة اراد باسمع داع اسمع الداعين اسماعا وبليغا وهو الرسول صلى الله عليه واراد بخير واع السامعين الى داعي الله الذين هم افضل القوابل الانسانية التاسعة وصف ما يستلزم تقوى الله من الاعمال في اولياء الله ووصف الليالي بالسهر والهواجر بالظماء لكونهما ظرفين فالليالي لقيام الصلوة والنهار للصوم فكان من باب اطلاق صفة المظروف على الظرف وهو كقولهم نهاره صائم وليله قائم واخذهم الراحة اي في الآخرة بالنصب اي بتعب الابدان من القيام والري من عطش ذلك سبيل بالاستعداد لذلك القصا والفناء في فبادروا ولاحظوا في التعليل فان اقتراب الاجل مستلزم للعمل له والمبادرة وكذ تكذيب الامل وانقطاعه ملازم لملاحظة الاجل العاشرة ذكر مذام الدنيا اجمالا وهو كونها دار فناء وعناء وغير وعبر ثم اعقب ذلك الاجمال بتفصيل كل جملة وذلك الى قوله ولا مؤمل بمتروك واستعار لفظ الايتار لكون الدهر [illegible] ورشح بذكر القوس ووجه الاستعارة ان الدهر كالرجل بحباشة المستندة الى القضاء الالهي الذي لا يتغير كالرامي الذي لا يخطي وكذلك استعار لفظ الجراح لنوائب الدهر لاشتراكهما في الايلام ورشح بذكر عدم المداواة وكذلك استعار لفظ الاكل والشارب بعد لاحي التنعم والري ووجه المشابهة كونه بائنا على الخلق ويفنيهم [illegible] الاكل والشارب المذكوران على الطعام والشراب ويفنيانهما واراد بالمرحوم الذي يرى مغبوطا اهل المسكنة والفقر الذي يبيد لعلهم بالغنى مغبوطون وبالمغبوط الذي يرى مرحوما اهل الغنى المبتلين بفقر الجسد [illegible] ان تصاريف الدهر ويصير في محل الرحمة وقوله ليس ذلك الا نعيما زل اي عن المغبوطين وبؤسا نزل بهم الحادية عشر نسب الغرور الى سرورها والظماء الى ريها والضحى الى فيئها والى ملفظ النتيجة وكنى بها عن استتمام لذاتها وبفيئها عن الركون الى قنياتها والاعتماد عليها ووجه هذه النسبة ان سرورها وفيئها هي الصوارف عن العمل للآخرة والملفتات عن الاقبال على الله فكان سرورها اقوى سبب للغرور بها وريها وفيئها اقوى الاسباب للظماء منهمك فيها من شرار الابرار اذ لا براد الى حر الجحيم فلهذه النسبة جازت اضافة الغرور والظماء والضحى الى سرورها وريها وفيئها وقوله لا جاي يرد اي من فات الدهر كالموت والقتل ونحوهما والماضي يرتد اي من الاموات والفائت من القينات الثانية عشر قوله انه ليس شيء بشر من الشر الا عقابه الى قوله سماعه يحتمل ان يريد الشر والخير المطلقين ويكون ذلك للمبالغة اذ يقال للامر الشريف هذا اشد من الشيء واجود من الجيد

ويحتمل ان يريد بشر الدنيا وخيرها فان اعظم شر في الدنيا مستحقر في عقاب الله واعظم خير فيها مستحقر بالنسبة الى ثواب الله ثم اكد ذلك باعظمية احوال الآخرة بالنسبة الى احوال الدنيا ومصداق كلامه ان اعظم شر يتصوره الانسان بالسماع ويستهوله ويستنكره من يفعله صورة القتل والجراح فاذا وقع في مثل تلك الاحوال وشاهدها واضطر الى المخاصمة والمحاربة سهل عليه ما كان يستصعبه منها وهان في عينه ذلك الوقع والخوف وكذلك لا يزال الانسان يتخوف المثول بين يدي الملوك ويتصور عظمتهم وبطشهم الى ان يصل الى مجالسهم فانه يجد من نفسه زوال ذلك الخوف فكانت مشاهدة ما كان يتصوره شرا عظيما اهون عنده من تصوره والسماع له وكذلك حال الخير فان الانسان لا يزال يحرص على تحصيل الدرهم والدينار وغيرهما من سائر مطالب الدنيا ويكون قلبه مشغولا بتحصيله فرحا بانتظار وصوله فاذا وصل اليه هان عليه وهو امر وجداني واما احوال الآخرة فالذي يسمع من شرورها وخيراتها انما يلاحظها بالنسبة الى خيرات الدنيا وشرورها وربما كانت في اعتقاد اكثر الخلق اهون من خيرات الدنيا وشرورها لقلة تقرب الخلق من المحسوس وقرب الدنيا منهم وذوقهم لها دون الآخرة مع قيام البرهان العقلي على ضعف الاحوال الحاضرة من خير وشر بالقياس الى احوال الآخرة فلذلك كان عيان احوالها اعظم من سماعها واذا كانت الحال كذلك فينبغي ان يكتفى من العيان بالسماع ومن الغيب بالخبر حيث لا يمكن الاطلاع على الغيب ومشاهدة العيان لتلك الاحوال في هذا العالم ثم نبه على افضلية الآخرة بان ما زاد فيها مما يقرب الى الله نعم فان استلزم نقصان الدنيا من بذل مال وجاه خير من العكس وبيان هذه الخيرية كون خيرات الدنيا في معرض الزوال مشوبة بالاوجاع والاوجال وكون تلك باقية على كل حال مع كونها في نهاية الكمال ضرب المثل باكثرية المنقوص من الدنيا الرابح في الآخرة وهم اولياء الله احباؤه الذين اشترى منهم انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وباكثرية المزيد الخاسر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ثم اكد الحث على سلوك طريق الآخرة ببيان اتساعها بالنسبة الى طريق الدنيا فقال ان الذي امرتم به اوسع من الذي نهيتم عنه وذلك ظ فان كبائر ما نهينا عنه حمية القتل وفي الحلم والعفو والقبر التي هي من اشرف الاخلاق المحمودة سعة عنه ثم الظلم وفي العدل والانصاف على تناول الامور المباحة التي هي اكثر واوسع سعة عنه ثم الكذب الذي هو رأس النفاق وعليه مبنى خراب العالم وفي المعاريض والصدق الذي هو يقتضي في عمارة العالم مندوحة عنه ثم الزنا ولا شك ان في سائر وجوه النكاحات مع كثرتها وكثرتها وسلامتها عن المفاسد اللازمة عن الزنا سعة عنه ثم شرب الخمر التي هي ام الخبائث ومنشأ كثير من الفساد وفي تركها الى ما يقارب فعالها التي تدعي كونها تحمر وهن سائر الاشربة وغيرها معدل عنها وسعة وكذلك قوله وما احل لكم اكثر مما حرم عليكم فان الواجب والمندوب والمباح والمكروه يصدق على جميعها اسم الحلال وهي اكثر من الحرام الذي هو قسم واحد من الاحكام ثم لما نبه على رغبة المصلحة في ترك المنهي والمحرم اردف ذلك بالامر بتركهما لان العقل اذا لاحظ طريقا مخوفا واحدا بين طرق كثيرة امنة اقتضى العدول عن المخوفة لضرورة الثالثة عشر نبه بالنهي عن ترجيح طلب الرزق على الاشتغال بفرائض الله وعلى ان الاشتغال بها اولى بكون الرزق مضمونا فالسعي في تحصيله يجري مجرى تحصيل الحاصل ثم اردف ذلك بما يجري مجرى التوبيخ للسامعين على ترجيحهم طلب الرزق على الاشتغال بالفرائض فانه [illegible] ذلك منهم عن اعتراض الشك لهم فيما يتقوه من تكفل الله سبحانه بارزاقهم ووعده وضمانه لهم بقوله وفي السماء رزقكم وما توعدون ونحو [illegible] وقد علمت ان الجد في طلب الرزق يستند الى ضعف التوكل على الله وهو مستند الى ضعف اليقين فيه وسوء الظن به وذلك يستلزم اسناد العبد الى نفسه وتوكله عليها وجعلهم في طلب الرزق كان يتقي المضمون له مفروضا طلبه عليه والمفروض عليه طلبه موضوعا عنه مبالغة في [illegible] احتفالهم بفرائض الله عليهم واشتغالهم عنها بطلب الدنيا الرابعة عشر نبه على وجوب المحافظة على العمر بالعمل فيه للآخرة وعلى اولوية مراعاته بالنسبة الى مراعاة طلب الرزق بكون العمر لا يرجى من رجعته ما يرجى من رجعة الرزق فان العمر في نقص ونقصانا وما فات منه غير عائد بخلاف الرزق فلذلك يرجى زيادته وجبران ما نقص منه في الماضي ولما كان العمر الذي من شأنه ان لا يعود ما فات منه ظرفا للعمل ويفوت بفواته وجب تدارك العمل فيه تداركا وقوله الرجاء مع الجائي يريد الرزق واليأس مع الماضي يريد العمر وهو مؤكد لما قبله الخامسة عشر انه ختم بالاية اقتباسا من نور القرآن ووجه هذا الاقتباس انه لما كان الكلام في معرض جذب السامعين الى العمل الذي هو سبب تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة الذي هو جزء من الرياضة وكان التقوى عبارة عن الزهد في الدنيا الذي حقيقته حذف الموانع الداخلية والخارجة عن القلب الذي هو الجزء الثاني من الرياضة وكان الاسلام هو الدين الحق المركب من ذينك الجزئين لا جرم حسن ايراد الآية المشتملة على الامر بالتقوى والموت على الاسلام بعد الامر بالعمل ليكون ذلك امرا باكمال الدين واتمامه وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** في الاستسقاء اللهم قد انصاحت جبالنا واغبرت ارضنا وهامت دوابنا وتحيرت في مرابضها وعجت عجيج الثكالى على اولادها وملت التردد في مراتعها والحنين الى مواردها اللهم فارحم انين الآنة وحنين الحانة اللهم فارحم حيرتها في مذاهبها وانينها في موالجها اللهم خرجنا اليك حين اعتكرت علينا حدابير السنين واخلفتنا مخائل الجود فكنت الرجاء للمبتئس والبلاغ للملتمس ندعوك حين قنط الانام ومنع الغمام وهلك السوام ان لا تؤاخذنا باعمالنا ولا تأخذنا بذنوبنا وانشر علينا رحمتك بالسحاب المنبعق والربيع المغدق

والنبات الموثق منا وأحي به ما قد مات وترد به ما قد فات اللهم سقيا منك محيية مروية تامة عامة طيبة مباركة هنيئة مريعة زاكيا نبتها ثامرا فرعها ناضرا ورقها تنعش بها الضعيف من عبادك وتحيي بها الميت من بلادك اللهم سقيا منك تعشب بها نجادنا وتجري بها وهادنا وتخصب بها جنابنا وتقبل بها ثمارنا وتعيش بها مواشينا وتندى بها أقاصينا وتستعين بها ضواحينا من بركاتك الواسعة وعطاياك الجزيلة على بريتك المرملة ووحشك المهملة وأنزل علينا سماء مخضلة مدرارا هاطلة يدافع الودق منها الودق ويحفز القطر منها القطر غير خلب برقها ولا جهام عارضها ولا قزع ربابها ولا شفان ذهابها حتى يخصب لإمراعها المجدبون ويحيى ببركتها المسنتون فإنك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا وتنشر رحمتك وأنت الولي الحميد قال السيد ره تفسير ما في هذه الخطبة من الغريب قوله ع انصاحت جبالنا أي تشققت من المحول يقال انصاح الثوب إذا انشق وانصاح النبت وصاح وصوح إذا جف ويبس وقوله وهامت دوابنا أي عطشت والهيام العطش وحدابير السنين جمع حدبار وهي الناقة التي أنضاها السير فشبه بها السنة التي فشا فيها الجدب قال ذو الرمة حدابير ما تنفك إلا مناخة على الخسف أو نرمي بها بلدا قفرا وقوله ولا قزع ربابها القزع القطع الصغار المتفرقة من السحاب وقوله ولا شفان ذهابها فإن تقديره ولا ذات شفان ذهابها والشفان الريح الباردة والذهاب الأمطار اللينة فحذف ذات لعلم السامع به أقول اعتكرت وازدحمت والمخايل جمع مخيلة للسحاب التي يرجى المطر والمبتئس الحزين والمنعق والمنبعج السحاب المنصب بشدة والربيع هنا المطر والسقيا بالضم الاسم من السقي والمريع الخصب والنجاد جمع نجد وهو المرتفع من الأرض والضواحي النواحي البارزة أي قل نواحينا والمرملة القليلة المطر والمخضلة الرطبة والودق القطر والجهام المظلم الذي لا ماء فيه والخلب التي يكذب برقها والمسنتون الذين أصابتهم شدة السنة واعلم أنه نبه بقوله ندعوك أن لا تؤاخذنا بأعمالنا ولا تأخذنا بذنوبنا على أن للذنوب والأعمال الخارجة عن أوامر الله تأثيرا في منع الرحمة وسر ذلك أن الجود الإلهي لا بخل فيه ولا منع من قبله وإنما يكون ذلك بحسب عدم الاستعداد وقلته وكثرته وظاهر أن المقبلين على لذاتها المرتكبين لمحارم الله معرضون عنه غير ملتفتين إلى آثار رحمته بل مستعدون لضد ذلك من سخطه وعذابه بحسب استعدادهم بالانهماك في محارمه والجور عن سبيله وحري بمن كان كذلك أن لا تناله بركة ولا يفاض عليه أثر رحمة وغضب تجاوزوا بلا على الحال والعامل أنشر وإدرارا والسماء المخضلة هنا السحاب والعرب تقول كل ما علاك فهو سماؤك ومعنى إنزاله إرسال ما منه دراره ويحتمل أن يريد بالسماء المطر نفسه ونحوه أرسل علينا الغيث وقد اقتبس من القرآن الكريم ختام هذا الفصل أيضا ووجه مناسبته للانقطاع وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** أرسله داعيا إلى الحق وشاهدا على الخلق فبلغ رسالات ربه غير وان ولا مقصر وجاهد في الله أعداءه غير واهن ولا معذر إمام من اتقى وبصر من اهتدى **أقول** الواني الضعيف والمعذر بالتشديد المقصر واعلم أن الأوصاف التي ذكرها للنبي ص ظاهرة وقد سبقت الإشارة إليها غير مرة فأما كونه إمام من اتقى فلأنه سن لأهل التقوى السنن في كيفية سلوك سبيل الله التي هي التقوى وقد استعار لفظ البصر له ووجه المشابهة كونه سببا لاهتداء الخلق إلى سبيل الرشاد كما يهتدي صاحب البصيرة في طريقه المحسوس وبالله التوفيق **منها** ولو تعلمون ما أعلم مما طوي عنكم غيبه إذن لخرجتم إلى الصعدات تبكون على أعمالكم وتلتدمون على أنفسكم ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا خالف عليها ولهمت كل امرئ منكم نفسه لا يلتفت إلى غيرها ولكنكم نسيتم ما ذكرتم وأمنتم ما حذرتم فتاه عنكم رأيكم وتشتت عليكم أمركم لوددت أن الله فرق بيني وبينكم وألحقني بمن هو أحق بي منكم قوم والله ميامين الرأي مراجيح الحلم مقاويل بالحق متاريك للبغي مضوا قدما على الطريقة وأوجفوا على المحجة فظفروا بالعقبى الدائمة والكرامة الباردة أما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذيال الميال يأكل خضرتكم ويذيب شحمتكم إيه أبا وذحة قال السيد رضه الوذحة الخنفساء وهذا القول يومي به إلى الحجاج وله مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره **أقول** الصعدات جمع صعيد وهو وجه الأرض والالتدام ضرب الوجه ونحوه ورأي ميمون مبارك وقدما بضم القاف والدال أي متقدموا ولم ينثنوا والوجيف ضرب من السير فيه قوة والوذحة كما قيل أنها كنية للخنفساء ولم ينقل ذلك في المشهور من كتب اللغة وإنما المشهور أنها القطعة من بعر الشاة تنعقد على أصواف أذنابها وتتعلق بها وهذا الفصل من خطبة له بالكوفة يستنهض فيها أصحابه إلى حرب الشام ويتبرم من تقاعدهم عن نصرته فنبههم أولا على جهلهم بما سيقع من الفتن في الإسلام مما غاب عنهم علمه وعلمه هو من الله ورسوله بحيث لو تصوروا ما علمه منها لاحتال كل منهم في الخلاص لنفسه ولهاموا على وجه الأرض باكين من تقصيرهم في أعمالهم على وفق أوامره التي بها يكون نظام العالم التي لا بد للأمن من تلك الفتن لو فعلوها ولكنهم نسوا ما ذكروا به من آيات الله وأمنوا المحن فضلت عنهم آراؤهم الصالحة التي يكون بها نظام أمورهم فاستعقب ذلك تشتت أمورهم وغلبة العدو على بلادهم وقيل أراد بما طوي عنهم غيبه وعلمه هو ما يلقى المقصرون من أهوال الآخرة والأول أنسب لسياق الكلام ثم عقب

ذلك

ذلك بالتبرم منهم وطلب فراقهم واللحاق بإخوانه من أولياء الله مباركي الآراء ثقال الحلوم لا يستخفهم جهل الجهال ما لا ترى الصدق ونصيحة من شأنهم ترك البغي على أنفسهم وغيرهم مضوا على الطريقة الحميدة سالكين لمحجة الله غير ملتفتين عنها فوصلوا إلى الصواب الدائم والنعيم المقيم وقرينة الظفر تخصص العقبى بالثواب والعرب تصف النعمة والكرامة بالبرد ثم بين لهم بعض ما سيلحقهم من الفتن لعلها مما طوي عنهم غيبه وهي فتنة الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن الأحلاف قوم من ثقيف وكان ضعيف العين دقيق الصوت ذيالا أي طويل الذيل يسحبه تجبرا ميالا أي كثير التمايل كبرا وأخبر أنه يأكل خضرتهم وكنى بها عما عليه من الأبهة وسلامة النفوس والأموال وحسن الأحوال وبأكله لها عن إزالته لذلك وتغييرها إلى أضدادها ولفظ الأكل مستعار لذلك ووجه الاستعارة ظ وكذلك استعار الشحم لثرائهم وقوتهم ووصف الإذابة لإفناء ذلك بالقتل والإهانة ومصداق ذلك المشهور من فعله بأهل العراق كما سبق بيانه في ذكر الكوفة ثم قال إيه أبا وذحة وكلمة إيه من أسماء فعل الأمر يستدعي بها الحديث المعهود من الغير إن سكنت وإن نونت كانت لاستدعاء قول وفعل ما وقيل التسكين للوقف والتنوين للدرج فأما تلقيبه له بأبي وذحة فروي في سبب ذلك أنه كان يوما يصلي على سجادة له فدبت إليه خنفساء فقال نحوها عني فإنها وذحة من وذح الشيطان وروي أنه قال قاتل الله قوما يزعمون أن هذه من خلق الله فقيل له فما هي فقال من وذح إبليس وكأنه شبهها بالوذحة المتعلقة بذنب الشاة في حجمها أو شكلها فاستعار لها لفظها ونسبتها إلى إبليس لاستقذاره إياها واستكراهه لصورتها أو لأنها تشوشه في الصلاة وروى أبو علي بن مسكويه أنه نحاها بقضيبه وقال لعنك الله وذحة من وذح الشيطان ونقل بعض الشارحين ودجة بالدال والجيم وكنى بذلك عن كونه سفاكا للدماء قطاعا للأوداج وفيه بعد **ومن كلام له عليه السلام** فلا أموال بذلتموها للذي رزقها ولا أنفس خاطرتم بها للذي خلقها تكرمون بالله على عباده ولا تكرمون الله في عباده فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم وانقطاعكم عن أصل إخوانكم **أقول** مدار هذا الفصل على التوبيخ بالبخل بالأموال والأنفس وفي قوله للذي رزقها وخلقها إسناد راجح حسن فإن البخيل إنما يستقبح بذل ملاحظة أمرين أحدهما خوف الفقر والثاني أنه كثيرا ما يتوهم الأشحاء أن لا مستحق للمال إلا هم فيكون ذلك وأمثاله عذرا لهم مع أنفسهم في عدم البذل وكذلك الشحيح بنفسه إنما يشح بها خوف الموت وأن لا يكون له من هذه الحياة عوض يساويها فإذا علم أن بذل المال لرازقه إياه يقطع أن يكون حسن الظن برازقه عذره في البخل لعلمه بعوضه خيرا منه وبأنه أحق منه إذ كان المالك وما يملك لمولاه وكذلك ينقل عذر الشحيح بنفسه لعلمه أن الطالب لبذلها هو الأحق بها وأنه القادر على أن يوصله إلى ما هو خير له من هذه الحيوة الفانية وفي انقطاع ما يتوهمه عذرا في البخل بالمال والنفس يكون سهولة بذلهما في سبيل الله وقوله تكرمون بالله على عباده أي تعززون وتشرفون على الخلق بأنكم أهل طاعته وعباده ثم لا تكرمونه فيما يدعوكم إليه ولا تجيبون داعيه في إكرام عباده والالتفات إلى فقرائهم باليسير مما رزقكم ثم أمرهم بالاعتبار بنزولهم منازل الماضين وانقطاعهم عن أوصل إخوانهم تنبيها لهم على أنهم أمثالهم في اللحاق بمن سلف والانقطاع عمن بقي وروي عن أصل إخوانكم أي أقربهم أصلا إليكم وفائدة هذا الاعتبار تذكر الموت والعمل لما بعده **ومن كلام له عليه السلام** أنتم الأنصار على الحق والإخوان في الدين والجنن يوم البأس والبطانة دون الناس بكم أضرب المدبر وأرجو طاعة المقبل فأعينوني بمناصحة جلية من الغش سليمة من الريب فوالله إني لأولى الناس بالناس **أقول** الجنن جمع جنة وهي ما استترت به من سلاح وبطانة الرجل خاصته وقد اشتمل هذا الفصل على استمالة طباع أصحابه إلى مناصحته في الحرب بمدحهم بكونهم من أهل الدين ثم بالشجاعة ثم بأنهم أمنهم من أهل خاصته الذين يعتمد عليهم في ضرب المدبر وطاعة المقبل وطلب منهم الإعانة بمناصحة صادقة سليمة من الشك في صحة إمامته وأنه أولى بالأمر من غيره فلذلك أقسم أنه كذلك وقد سبق بيانه **ومن كلام له ع** وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا مليا فقال ع ما بالكم أمخرسون أنتم فقال قوم منهم يا أمير المؤمنين إن سرت سرنا معك فقال ع ما بالكم لا سددتم لرشد ولا هديتم لقصد أفي مثل هذا ينبغي لي أن أخرج إنما يخرج في مثل هذا رجل ممن أرضاه من شجعانكم وذوي بأسكم ولا ينبغي لي أن أدع الجند والمصر وبيت المال وجباية الأرض والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق المطالبين ثم أخرج في كتيبة أتبع أخرى أتقلقل تقلقل القدح في الجفير الفارغ وإنما أنا قطب الرحا تدور علي وأنا بمكاني فإذا فارقته استحار مدارها واضطرب ثفالها هذا لعمر الله الرأي السوء والله لولا رجائي الشهادة عند لقائي العدو ولو قد حم لي لقاؤه لقربت ركابي ثم شخصت عنكم فلا أطلبكم ما اختلف جنوب وشمال **أقول** الكتيبة الجيش والقدح السهم قبل أن يراش والجفير كالكنانة أوسع منها والثفال الجلد الذي يوضع عليه ليسقط عليه الدقيق وحم الأمر قدر ومدار هذا الفصل على الدعاء عليهم مصدرا بالاستفهام عن حالهم القبيحة التي هم عليها من مخالفته على سبيل الإنكار عليهم ثم عما أشاروا به من خروجه بنفسه إلى الحرب منكرا لذلك أيضا ثم على الإشارة إلى من ينبغي أن يخرج عوضا منه ثم بين وجه المفسدة في خروجه

بنفسه وهو تركه للمصالح التي عددها مما يقوم به امر الدولة ونظام العالم وخروجه على الوجه المذكور فنج ذلك وشبه خروجه معهم
بالقدح في الجفير ووجه الشبه انه كان قد نفذ الجيش قبل ذلك واراد ان يجهز من بقي من الناس في كتيبة اخرى فشبه نفسه في خروجه
في تلك الكتيبة وخروجه مع تقدم اكابرها عنه وتخلفها بالقدح في الجفير الفارغ في كونه يتقلقل وحق العرف انه قال للشئ اذا
مشى في حاجة يتوب منها من هو دونه وهو ترك المهام التي لا تقوم الا به ترك المهم القلاق وشئ يتقلقل على كذا ثم استعار لفظ
القطب ملاحظة لدوران الاسلام ومصالحه عليه كما تدور الرحى على قطبها وذلك هو وجه الاستعارة واستلزم ذلك التشبيه
الاسلام واهله بالرحى وانه اذا فارقها تحرك وجال الحرب واضطرب كاضطراب الرحى بخروج مدارها واستعار لفظ الحركة المستديرة
الى السيف وبما بين وجه المفسدة في رأيهم حكم براءته وأكد ذلك بالقسم البار ثم اقسم انه لولا رجاؤه لقاء الله بالشهادة في لقاء
العدو ولو قدر له ذلك لفارقهم غير مأسوف عليهم ولا طالب للقائهم ابدا تبرما من سوء صنيعهم وكثرة مخالفتهم لأوامره وبالله
التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** تالله لقد علمت تبليغ الرسالات واتمام العدات وتمام الكلمات وعندنا اهل البيت
ابواب الحكم وضياء الامر الا وان شرائع الدين واحدة وسبله قاصدة من اخذ بها لحق وغنم ومن وقف عنها ضل وندم
اعملوا ليوم تذخر له الذخائر وتبلى فيه السرائر ومن لا ينفعه حاضر لبه فعازبه عنه اعجز وغائبه اعوز واتقوا نارا
حرها شديد وقعرها بعيد وحليتها حديد الا وان اللسان الصالح يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه من لا
يحمده **اقول** صدر الفصل بذكر فضيلته وهي علمه بكيفية تبليغ الرسالات وادائها وعلمه باتمام الله نعمه ما وعده المتقين
في دار القرار فتمام وعده ان لا خلف فيه وتمام اخباره ان لا كذب فيها وتمام اوامره ونواهيه اشتمالها على المصالح الخالصة والغالبة وهكذا
ينبغي ان يكون اوصياء الانبياء وخلفاؤهم في ارض الله وعباده ثم اردف ذلك بالاشارة الى فضل اهل البيت عاما واراد بضياء الامر انوار
العلوم التي ينبغي عليها الامور والاعمال الدينية والتدبير وما ينبغي ان يهتدي الناس به فيجري كما هو من قوانين الشريعة وما يستقيم به
نظام الامر من قوانين السياسات وتدبير المدن والمنازل ونحوها اذ كان كل امر شرع فيه على غير ضياء من الله ورسوله او احد اهل بيته
وخلفائه الراشدين فهو محل التيه والزيغ عن سبيل الله واستعار لفظ الشرائع وهي موارد الشاربة لاهل البيت ووجه الاستعارة كونهم
موارد لطلاب العلم كما ان الشرائع موارد طلبة الماء وكونها واحدة اشارة الى ان قوانينه لا تختلف في الدين بل ما علموا اسراره لم يختلف
كلهم فيه فكلهم كالشريعة الواحدة وكذلك استعار لهم لفظ السبل ووجه المشابهة كونهم موصلين الى المطالب على بصيرة وقصده كما تؤدي
الطريق الواضح وقوله من اخذ بها لحق اي من اخذ عنهم واقتدى بهم لحق بالسابقين من سالكي سبيل الله وندم على تفريطه بتخلفه وقيل
اراد بشرائع الدين وسبله قوانينه الكلية فان اي قانون عمل به منها فانه مستلزم لثواب الله فهي واحدة في ذلك وموصل الى الجنة
من غير جور ولا عدول وذلك معنى كونها قاصدة والاول اظهر لكونه في معرض ذكر فضيلتهم ولما كان غرض الخطيب من اظهار فضيلته
قبول قوله شرع في الامر بالعمل ليوم القيامة والذخائر الاعمال الصالحة ومعنى قوله ومن لا ينفعه حاضر لبه الى قوله اعوز ان عقله الحاضر
حضور عقولكم فانها ان لم ينفعكم الان كانت اعوز واعجز عن نفعكم اذا غربت عند حضور الموت ومقاساة اهواله وما بعده من احوال
الاخرة ثم اكد التخويف بمناقشة الحساب بالتخويف بالنار واراد بحليتها من الحديد ما اعد فيها للعصاة من الاغلال والاصفاد والمقامع
والسلاسل التي تشبه الحلية وقوله الا وان اللسان الى اخره تنبيه لهم على طلب الذكر الجميل من الناس في العفو وتهوين للمال وقد سبقت
الاشارة الى هذا في قوله اما بعد فان الامر ينزل من السماء الى الارض **ومن خطبة له عليه السلام** وقد قام رجل من اصحابه فقال
نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها فما ندري اي الامرين ارشد فصفق عليه السلام باحدى يديه على الاخرى ثم قال هذا جزاء من ترك
العقدة اما والله لو اني حين امرتكم بما امرتكم به حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيرا فان استقمتم هديتكم وان
اعوججتم قومتكم وان ابيتم تداركتكم لكانت الوثقى ولكن بمن والى من اريد ان اداوي بكم وانتم دائي كناقش الشوكة
بالشوكة وهو يعلم ان ضلعها معها اللهم قد ملت اطباء هذا الداء الدوي وكلت النزعة باشطان الركي اين القوم الذين
دعوا الى الاسلام فقبلوه وقرأوا القرآن فاحكموه وهيجوا الى الجهاد فولهوا وله اللقاح الى اولادها وسلبوا السيوف اغمادها و
اخذوا باطراف الارض زحفا زحفا وصفا صفا بعض هلك وبعض نجا لا يبشرون بالاحياء ولا يعزون عن القتلى مره العيون
من البكاء خمص البطون من الصيام ذبل الشفاه من الدعاء صفر الالوان من السهر على وجوههم غبرة الخاشعين اولئك اخواني
الذاهبون فحق لنا ان نظمأ اليهم ونعض الايدي على فراقهم ان الشيطان يسني لكم طرقه ويريد ان يحل دينكم عقدة عقدة
ويعطيكم بالجماعة الفرقة فاصدفوا عن نزغاته ونفثاته واقبلوا النصيحة ممن اهداها اليكم واعقلوها على انفسكم **اقول** الضلع بفتح
الضاد وسكون اللام الميل الهوى والداء الدوي للتشديد وصف بما هو من لفظه والدوي اسم فاعل من دوي اذا مرض والنزع المستقي
والركي جمع ركية وهي البئر ومره جمع امره وهي العين التي فسدت اي عيونهم مارهة وسني له كذا احسنه وسهله وعقلت عليه كذا اي

حبسته عليه وكان هذا الكلام منه بصفين حين امرهم بالحكومة بعد ان نهاهم عنها والسبب ان معوية لما احس بالعجز وظهر علي عليه السلام ليلة الهرير
راجع عمرو بن العاص في الرأي فقال لي خبأت لك رأيا لمثل هذا الوقت وهو ان تأمر اصحابك برفع المصاحف على الارماح ويدعون اصحاب
علي الى المحاكمة الى كتاب الله فانهم ان فعلوا افترقوا وان لم يفعلوا افترقوا وكان الاشتر صبيحة تلك الليلة قد اشرف على الظفر فلما اصبحوا
رفعوا المصاحف والمصحف الكبير بالجامع الاعظم على عشرة ارماح وهم يستغيثون معاشر المسلمين الله في اخوانكم في الدين حاكمونا الى كتاب
الله الله الله في النساء والبنات فقال اصحاب علي اخواننا واهل دعوتنا استقالونا واستراحوا الى كتاب الله فالرأي التنفيس عنهم فنفس
من هذا الرأي فقال انها كلمة حق يراد بها باطل كما سبق القول فيه فافترق اصحابه فريقين فمنهم من رأى بايثار الامر على الحرب ومنهم
من رأى ترك الحرب والرجوع الى الحكومة وكانوا اكثرين فاجتمعوا اليه فقالوا ان لم تفعل قتلناك كما قتلنا عثمان فرجع الى قولهم وامر الاشتر
عن الحرب ثم كتبوا كتاب الصلح وطافوا به في اصحابه واتفقوا على الحكومة فخرج بعض اصحابه من هذا الامر فقالوا لو كنت نهيتنا عن الحكومة
ثم امرتنا بها فما ندري اي الامرين ارشد وهذا يدل على انك شاك في امامتك بنفسك فصفق باحدى يديه على الاخرى فعل النادم
غضبا من قولهم وقال هذا جزاء من ترك العقدة اي عقدة الامر الذي عقده واحكمه وهو الرأي في الحرب الاصرار عليها والذي كان امرهم
به هو البقاء على الحرب وهو المكروه الذي يجعل الله فيه خيرا من الظفر وسلامة العاقبة وقومتكم اي بالقتل والضرب ونحوه وكذلك معنى قوله
تداركتكم وقوله لكانت الوثقى اي الفعلة المحكمة وقوله ولكن بمن اي بمن كنت استعين عليكم والى من اي الى من ارجع في ذلك وقوله اريد
ان اداوي بكم اي اريد ان اداوي ما بي من بعضكم ببعض وانتم دائي فاكون في ذلك كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم ان ضلعها معها وهذا
مثل تضربه العرب لمن يستعين في اصلاح من يريد اصلاحه وميله الى من يستعان عليه يقال لا تنقش الشوكة بالشوكة فان ضلعها معها
يقول ان استعانتي ببعضكم في اصلاح بعض كنقش الشوكة ووجه المشابهة ان طباع بعضكم يشبه طباع بعض ويميل اليها كما تنكسر الشوكة
وتميل اليها فربما انكسرت معها في العضو واحتاج الى منقاش اخر ثم رجع الى الشكاية الى الله واراد بالداء الدوي ما هم عليه من عيابهم
المخالفة لامره ونشاقلهم عن صوته بالاطباء نفسه فان داء الجهل وما يستلزمه اعظم من سائر الادواء المحسوسة وفضل اطباء النفوس على
الابدان وهي استعارة تكاد ان تكون حقيقة وكذلك استعارة لفظ النزعة له مثل ضربه لنفسه معهم فكانه عن اصلاحهم في غرب عشو وقد نزع
كل هو من جذبه ثم اخذ في السؤال عن اخوانه من اكابر الصحابة الذين بذلوا جهدهم في نصرة الدين واعرضوا عن الدنيا وشهواتها
على سبيل التوجع لفقدهم وهذا كما يقول احدنا اذا وقع في شدة ابن اخي عنه ثم وصفهم بالاوصاف الحميدة ترغيبا للسامعين في مثل حالهم و
ازدراء عليهم حيث لم يكونوا بهذه الاوصاف وذلك يظهر في فهمه وقوله والوله ذهاب العقل والوله الحزن لسقاط الحاد اذا القتل وهو قوله ولهوا عن متعدين الى
مفعولين بنفسه وفي الخبر لا تولّه والدة بولدها وتولههم لما يركونهم اياها عند خروجهم للجهاد وقوله واخذوا باطراف الارض اي اخذوها
باطرافها زحفا زحفا وصفا صفا مصدران مؤكدان بمثليهما فاما مقام الحال وقوله لا يبشرون بالاحياء ولا يعزون عن القتلى اي كانوا
في تلك الحال غير ملتفتين الى حياتهم ولا راغبين ومحافظين على حياتهم حتى يبشرون بسلامة او يجزعون لموته فيعزون عليه بل مجردون للجهاد في
سبيل الله ولعلهم يفرحون بقتل من يقتلونه في سبيله وان كان ولدا لوالده او بالعكس واما كان السهر موجبا الصفرة للون لانه يهيج الحرارة
ويفسد السحنة وبحف البدن ويكثر فيه المرة والصفرة من توابع ذلك سيما في الابدان النحيفة كما عليه اهل المدينة ومكة والحجاز وغيرهم
الخاشعين فشمائل الزاهدين الخائفين من الله لعدم تخليهم بالدنيا واستعار لفظ الظماء للشوق اليهم ملاحظة لتشبههم بالماء في شدة
الحاجة اليه فنزل الشوق اليهم الحاجة الى لقائهم منزلة العطش الى الماء فاعطاه لفظه واراد بعقد الدين ما احكم منه من القوانين والقواعد
ويحل الشيطان لها تزيينه ترك قانون قانون وسنة الاجماع عقدة عقدها الشارع لما سوى منها من المصالح واكدها فكانت الفرقة
حلا لتلك العقدة ونزغات الشيطان حركاته بالافساد ونفثاته القاؤه الوسوسة في القلوب مرة بعد اخرى وعني بمن اهدى اليهم النصيحة نفسه
وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** للخوارج وقد خرج الى معسكرهم وهم مقيمون على انكار الحكومة فقال عليه السلام اكلكم شهد معنا
صفين فقالوا منا من شهد ومنا من لم يشهد قال فامتازوا فرقتين فليكن من شهد صفين فرقة ومن لم يشهدها فرقة
حتى اكلم كلا بكلامه ونادى الناس فقال امسكوا عن الكلام وانصتوا لقولي واقبلوا بافئدتكم الي فمن نشدناه شهادة
فليقل بعلمه فيها ثم كلمهم عليه السلام بكلام طويل من جملته ان قال الم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة ومكرا و
خديعة اخواننا واهل دعوتنا استقالونا واستراحوا الى كتاب الله فالرأي القبول منهم والتنفيس عنهم فقلت لكم هذا
امر ظاهره ايمان وباطنه عدوان واوله رحمة واخره ندامة فاقيموا على شأنكم والزموا طريقتكم وعضوا على الجهاد بنواجذكم
ولا تلتفتوا الى ناعق نعق ان اجيب اضل وان ترك ذل وقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وان القتل ليدور بين الاباء
والابناء والاخوان والقرابات فما نزداد على كل مصيبة وشدة الا ايمانا ومضيا على الحق وتسليما للامر وصبرا على مضض
الجراح ولكنا انما اصبحنا نقاتل اخواننا في الاسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل فاذا طمعنا في خصلة

بلم الله بها شعثنا ونتدانى بها الى البقية فيما بيننا رغبنا فيها وامسكنا عما سواها **اقول** التنفيس التفريج واكثر هذا الفصل ظاهر وما سبق
وقوله هذا امر ظاهره ايمان اى رفع اولئك للمصاحف وطلبهم للحكومة فان ظاهره منهم الاجتهاد في الدين بالرجوع الى كتاب الله وباطنه منهم عدوان اى
حيلة للظلم والغلبة واوله رحمة منكم لهم برجوعكم الى قولهم ولحوقه ندامة لكم عند تمام الحيلة عليكم فاقيموا شأنكم اى ما كنتم عليه من الاجتهاد في الحرب
والناعق اشارة الى طالبي الحكومة او المشير عليهم بذلك الرأي هو عمرو بن العاص ولعن جد في اوصاف الدين وقوله بعد ذلك ولقد كنا مع رسول
الله صلى الى قوله ومضض الجراح استدراج لهم بشرح حاله وحال الصحابة وحيث كانوا في الجهاد مع الرسول صلى كذلك على الحالة التي شرحها لعلهم
يتأسون بالماضين فيها وقوله ولكنا انما اصبحنا نقاتل اخواننا في الاسلام الى آخره تنبيه على اعتراض عسى ان يقولوه وجواب عنه وهو ان
يقولوا انما فعل اخواننا السابقون ما فعلوا ليقينهم بما هم عليه من الدين الحق وبيقينهم ضلال الكفار والمحاربين لهم فاما نحن فانما نقاتل
بعضنا بعضا فكيف يجوز لنا قتل قوم مسلمين استسلموا الينا ودعونا الى المحاكمة الى كتاب الله فاجاب بما معناه انا انما نقاتل في مبدأ
الامر ومنتهاه دعوة الى الاسلام وزيادة في رسوخ قواعده ففي المبدأ قاتلنا لتحصيل ماهيته في الوجود وفي الثاني قاتلنا لحفظ ماهيته
وبقائها وحيث دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل ما دخل فاذا طمعنا في خلة محمودة يجمع الله بها تفرقنا ونتقارب بها الى
ما بقي فيما بيننا من الاسلام والذين رغبنا فيها وقاتلنا طمعا في تحصيلها وكانه عنى بالخصلة رجوع محاربيه الى طاعته وانقيادهم عليه وهذا
الكلام في قوة صغرى قياس ضمير احتج عليهم به وتقديرها انكم حين قلت لكم ان رفعهم للمصاحف خدعة منهم اجبتموني بهذا الجواب وتقدير
الكبرى وكل من اجاب بهذا الجواب فليس له ان ينكر الحكومة اذ كان قد رضي بها فينتج انه ليس لهم ان يأبوا الحكومة وبالله التوفيق **ومن كلام**
له عليه السلم قاله لاصحابه في وقت الحرب وأي امرئ منكم احس من نفسه رباطة جأش عند اللقاء ورأى من احد من اخوانه فشلا
فليذب عن اخيه بفضل نجدته التي فضل بها عليه كما يذب عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله ان الموت طالب حثيث لا يفوته
المقيم ولا يعجزه الهارب ان اكرم الموت القتل والذي نفس ابن ابي طالب بيده لالف ضربة بالسيف اهون من ميتة على
الفراش **اقول** نجدته شجاعته والتذبيب الدفع وقدامهم في هذا الفصل بمساعدة بعض لبعض في الحرب ومنع بعضهم عن بعض منعا
صادقا كما يمنع عن نفسه وبذلك يكون انعقاد الاجتماع وتعاون الهمم حتى يكون الجميع كنفس واحدة وبذلك يكون الظفر والغلبة واشمال
ذوي النجدة بذكر فضيلة يخصهم دون من يدفعون عنه استثارة لحميتهم وتعظيما لهم وقوله ان الموت طالب حثيث الى قوله ان اكرم الموت القتل تهوين
للقتل والموت بذكر انه لا بد منه تسهيل للحرب عليهم واما ان اكرم الموت القتل في سبيل الله وذلك لاستلزامه الذكر الجميل في الدنيا والثواب
الدائم في الاخرى ثم اكد ذلك بالقسم لالف ضربة بالسيف اهون من ميتة على الفراش وصدق ذلك في حق من نظر الى الدنيا بعين الاعتبار
في جنب نعيم الابد في الاخرة والذكر الجميل في الدنيا وحصلت له ملكة الشجاعة وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** وكأني
انظر اليكم تكشون كشيش الضباب لا تأخذون حقا ولا تمنعون ضيما قد خليتم والطريق فالنجاة للمقتحم والهلكة للمتلوم
اقول كشيش الضباب صوت جلودها بعضها بالبعض عند الازدحام والتلوم الانتظار والتوقف واشار بهذا الكلام الى [illegible]
غلبة من العدو وبعضهم الحرب بحيث يعضون ويأخذون في الهرب الخفي فلا ينتفع بهم في اخذ حق او دفع ضيم ووصف الكشيش مستعار
لهم باعتبار هيئاتهم في الحيد عن العدو والهرب منه وهو وجه الشبه بكشيش الضباب وقوله قد خليتم والطريق اي وطريق الآخرة فالنجاة للمقتحم
اي مقتحمها والمبادر الى سلوكها والهلكة للمتوقف عن ذلك والطريق منصوب على المفعول معه **ومن كلام له عليه السلم**
في حض اصحابه على القتال فقدموا الدارع واخروا الحاسر وعضوا على الاضراس فانه انبى للسيوف عن الهام والتووا في اطراف الرماح فانه امور
للاسنة وغضوا الابصار فانه اربط للجاش واسكن للقلوب واميتوا الاصوات فانه اطرد للفشل ورايتكم فلا تميلوها ولا تخلوها
ولا تجعلوها الا بايدي شجعانكم والمانعين الذمار منكم فان الصابرين على نزول الحقائق هم الذين يحفون براياتهم ويكتنفونها حفافيها
ووراءها وامامها لا يتأخرون عنها فيسلموها ولا يتقدمون عليها فيفردوها اجزأ امرؤ قرنه وآسى اخاه بنفسه ولم يكل قرنه الى
اخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن اخيه وايم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآخرة انتم لهاميم العرب والسنام
الاعظم ان في الفرار موجدة الله والذل اللازم والعار الباقي وان الفار لغير مزيد في عمره ولا محجوز بينه وبين يومه من الرائح
الى الله كالظمآن يرد الماء الجنة تحت اطراف العوالي اليوم تبلى الاخبار اللهم فان ردوا الحق فافضض جماعتهم وشتت
كلمتهم وابسلهم بخطاياهم انهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطيح العظام
ويندر السواعد والاقدام وحتى يرموا بالمناسر تتبعها المناسر ويرجموا بالكتائب تقفوها الحلائب وحتى يجر
ببلادهم الخميس يتلوه الخميس وحتى تدعق الخيول في نواحر ارضهم وباعنان مساربهم ومسارحهم قال السيد رضه الدعق
الدق اي تدق الخيول بحوافرها ارضهم ونواحر ارضهم متقابلها يقال منازل بني فلان تتناحر اي تتقابل **اقول**
هذا الكلام قاله بصفين وامور اشد حركة ونفوذا والجاش ربع القلب واضطرابه عند الخوف والذمار ما وراء الرجل مما يجب

عليه حمايته

ج ١٨

عليه حمايته وحفظه فانه الذي يحميه ولهاميم العرب اجوادهم والموجدة الغضب وابسلهم اسلمهم للهلكة والعوالي جمع عالية الرمح وهو ما
دخل منه الى ثلثه والنسيم النفس والمنسر القطعة من الجيش وكذلك الخميس الجيش والنواحر ايضا جمع نحيرة وهي آخر ليلة من الشهر مع يومها
كأنها تنحر الشهر المستقبل فيكون مراده بنواحر ارضهم اقاصيها واعنان مساربهم اطرافها وما اعترض منها ومساربهم مراعيهم واعلم
انه ارشدهم وقدامهم في مصلحة الحرب وكيفيتها وتفهيمهم ما هي اولها الامر بتقديم الدارع وتأخير الحاسر والمصلحة فيه ظاهرة الثاني
العض على الاضراس وحكمته ما سبق في قوله معاشر المسلمين استشعروا الخشية وفي قوله لابنه محمد بن الحنفية تزول الجبال ولا
تزل وقد كرره هنا ايضا الثالث الالتواء في اطراف الرماح وعلته ما ذكروه من ان التواء الانسان مع الرمح حال الارسال له كان ارمى
به واشد وذلك لحركة صدر الانسان بعد التوائه مع حركة يده حين الارسال فكانت حركته اشد واقوى نفوذا الرابع غض الابصار و
فائدته ما ذكر من كونه اربط لاضطراب الجأش واسكن وضده ذلك مد البصر الى القوم فانه مظنة الخوف والفشل وعلامة لهما عند
العدو والخامس اماتة الاصوات وفائدته انها طرد الفشل اذ كانت كثرة اللغط والصياح علامة الخوف الصائح وذلك مستلزم
لطمع العدو فيه وجرأته عليه السادس قوله وراياتكم فلا تميلوها فان امالتها مما يظن به العدو ذهوبا واضطراب حال فيطمع ويقدم
ولانها اذا اميلت تغيب عن عيون الجيش فربما لا يهتدي كثير منهم للوجه المطلوب السابع ولا تخلوها وسيفسره وهو التخلية الثامن ولا تجعلوها
الى قوله منكم وذلك لانها اصل نظام العسكر وعليها يدورون وبها يقوى قلوبهم ما دامت قائمة فيجب في ترتيب الحرب ان يكون حاملها اشجع القوم
وقوله فان الصابرين الى قوله فيفردوها تخصيص لمن يحفظ الراية ويحفها بوصف الصبر على نزول الحقائق اي الشدائد الحقة المتيقنة
التي لا شك في نزولها كي يتداعوا الى حفظها والاحاطة بها رغبة في تلك المحمدة وبين بقوله لا يتأخرون عنها الى قوله فيفردوها معنى
التخلية التي نهاهم عنها وقوله فيسلموها ويفردوها نصب الفعلان باضمار ان عقيب الفاء في جواب النفي التاسع قوله اجزأ امرؤ قرنه الى
آسى اخاه بنفسه وفعلان ماضيان في معنى الامر والتقدير وليجز امرؤ قرنه وهو خصمه وكفوه في الحرب اي ليقاومه وليواس اخاه بنفسه
في الذب عنه ولا يفرغ من قرنه اعتمادا على اخيه في دفعه فيجتمع على اخيه قرنه وقرن اخيه ثم ذكرهم عدم الفائدة في الفرار اذ كانت غاية الفرار
السلامة من الموت وهو لا بد منه كقوله تعالى قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا واستعار لفظ
سيف الآخرة للموت ووجه المشابهة كونهما مبطلين للحياة وانما كان سيف الآخرة لانها غايته ثم مدحهم باوصاف تستتبع معها الفرار
وهي كونهم اجواد العرب والسنام الاعظم واستعار لهم لفظ السنام لمشاركتهم اياه في العلو والرفعة ثم اكد تقبيح الفرار بذكر معايبه وثمرته فابتدأ
فيه ايضا اما معايبه فكونه يستلزم غضب الله فان الفار من الجهاد في سبيله عاص لامره والعاصي له مستحق لغضبه وعقابه ثم كونه مستلزما
للذل اللازم والعار الباقي في الاعقاب وهو ظاهر واما انه لا فائدة فيه فلان الفار لا يزاد في عمره بفراره اذ علمنا بفراره انه لم يبلغ اجله ولكونه
له مكان بقاؤه في مدة الفرار من عمره لا زيادة فيه وان له يوما في القضاء الالهي لا يحجز بينه وبينه فراره وفيه تخويف بالموت وقوله من رائح
الى الله كالظمآن يرد الماء استفهام عمن يسلك سبيل الله ويروح اليه كما يروح الظمآن استفهاما على سبيل العرض لذلك الرواح ووجه
الشبه القوة في السير والسعي الحثيث واشار بقوله الجنة تحت اطراف العوالي الى ان مطلوب الرواح الى الله بالجهاد وجذب اليه بذكر
الجنة وخصها بجهة تحت لان دخول الجنة غاية من الحركات بالرماح في سبيل الله وتلك الحركات انما هي تحت العوالي وقد اطلق لفظ
الجنة على تلك الافعال التي هي غاية منها مجازا تسمية باسم غايتها ثم اعقب ذلك بدعاء الله على محاربيه ان ردوا دعوته الحق بالتفريق
والاهلاك ثم حكم بانهم لن يزولوا عن مواقفهم دون ما ذكر حكما على سبيل التهديد والوعيد لهم والطعن الدراك المتدارك وكنى بخروج النسيم
منه عن كونه يخرق الجوف والامعاء بحيث يتنفس المطعون من الطعنة وروي النسم وروي القسيم بالقاف والشين المعجمة وهو اللحم والشحم وهو
بعيد وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** في التحكيم انا لم نحكم الرجال وانما حكمنا القرآن وهذا القرآن انما هو خط
مسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان وانما ينطق عنه الرجال ولما دعانا القوم الى ان نحكم بيننا القرآن
لم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله وقال سبحانه فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول فرده الى الله ان نحكم بكتابه ورده
الى الرسول ان نأخذ بسنته فاذا حكم بالصدق في كتاب الله فنحن احق الناس به وان حكم بسنة رسول الله فنحن اولاهم
به واما قولكم لم جعلت بينكم وبينهم اجلا في التحكيم فانما فعلت ذلك ليتبين الجاهل ويتثبت العالم ولعل الله ان يصلح
في هذه الهدنة امر هذه الامة ولا تؤخذ باكظامها فتعجل عن تبين الحق وتنقاد لاول الغي ان افضل الناس عند الله من كان العمل بالحق
احب اليه وان نقصه وكرثه من الباطل وان جر اليه فائدة وزاده فاين يتاه بكم ومن اين اتيتم استعدوا للمسير الى قوم حيارى
عن الحق لا يبصرونه وموزعين بالجور لا يعدلون به جفاة عن الكتاب نكب عن الطريق ما انتم بوثيقة يعلق بها ولا زوافر
عز يعتصم اليها لبئس حشاش نار الحرب انتم اف لكم لقد لقيت منكم برحا يوما اناديكم ويوما اناجيكم فلا احرار صدق عند
النداء ولا اخوان ثقة عند النجاء **اقول** هذا الفصل من كلام له بعد سماعه لامر الحكمين وخدعة عمرو بن العاص لابي موسى

كرثه الامر اشتد عليه واوزع له بكذا فهو موزع اذا اغرى به فكتب يتشايد الكاف جمع ناكث وهو الغادر عن الطريق كما ذل وبرل
ونذوا فراالرجل انصاره وعشيرته والحشاش جمع حاش وهو موقد النار وكذلك الحشاش بكسر الحاء وتخفيف الشين كنائم ونوام ونيام
هو ما يحش به النار اي يوقد والبرح بسكون الراء الشدة والاذى يقال لقيت منه برحا بارحا وروى ترحا وهو الحزن وهذا الفصل
من قوله الى قوله اولا هم به جواب له عن شبهة التحكيم للخوارج عن امره بالحرب بعد ان رضي بالتحكيم وتقدير الشبهة انك رضيت بتحكيم
رجلين في هذا الامر وعاهدت على ذلك وكل من رضي بامر وعاهد عليه فليس له ان ينقض بعده فقدح في صغرى هذه الشبهة بقوله
انا لم نحكم الرجال الى لكونهما رجالا وانما حكمنا القران لما كان القران لا بد له من ترجمان يبين مقاصده ودعانا القوم الى تحكيم
القران لم نكن نحن الفريق المتولي عن كتاب الله المتولي عند تعدد امر نعم بالرجوع اليه والى رسوله في الكتاب والسنة فيما اشتبه امره بقوله
فان تنازعتم الاية فاذا حكم بالصدق عن علم بكتابه فنحن احق الناس به اي ولاهم باتباعه وولاهم بان ينص على كون الامر لنا كما في
قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين الى قوله حتى تفيء الى امر الله وقد كونوا اولئك بعد عقد الامامة بغاة عليه فوجب بنص الكتاب
قتالهم وكذلك الايات الدالة على وجوب الوفاء بالعهود والعقود وكان هو اولى بالحق الذي يجب قتالهم عليه فكان الحاكم له مخطئا مخالفا
لكتاب الله غير عامل به فوجب مخالفة الحكم وان حكم بسنة رسول الله فنحن اولى الناس برسول الله للقرابة وللعمل بسنته لموافقتها الكتاب ونصه على
وجوب متابعة الامام العادل فكان الحاكم لغيره مخالفا للسنة ايضا فصارت خلاصة هذا الجواب انا لم نرض بتحكيم رجلين لكونهما رجلين و
ينفذ حكمهما بكتاب الله الذي هما ترجمان عنه وهو الحاكم الذي دعانا الخصم اليه وحيث خالفاه لم يجب علينا قبول قولهما وقوله واما قولكم
الى قوله لاول التقى وتقدير سؤال الخوارج مع جوابه وذلك انهم حين اتفقوا على التحكيم كتبوا كتاب الصلح وضربوا للحكم الحكمين اجلا مدة سنة
صورة الكتاب هذا ما تقاضى عليه علي بن ابي طالب ومعوية بن ابي سفيان قاضى علي بن ابي طالب على اهل العراق ومن كان معه من شيعته
من المؤمنين والمسلمين وقاضى معوية بن ابي سفيان على اهل الشام ومن كان من شيعته من المؤمنين والمسلمين انا ننزل عند حكم الله تعالى
وكتابه ولا يجمع بيننا الا اياه وان كتاب الله سبحانه بيننا من فاتحته الى خاتمته نحيي ما احيى القران ونميت ما امات القران فان وجد
الحكمان ذلك في كتاب الله اتبعاه وان لم يجداه اخذا بالسنة العادلة غير المفرقة والحكمان عبد الله وعمرو بن العاص فقد اخذ الحكمان
من علي ومعوية ومن الجندين انهما امينان على انفسهما واموالهما واهلهما والامة لهما انصار وعلى الذي يقضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين
من الطائفتين عهد الله ان يعمل بما يقضيان عليه مما وافق الكتاب والسنة وان الامن والموادعة ووضع السلاح متفق عليه بين الطائفتين
الى ان يقع الحكم وعلى كل واحد من الحكمين عهد الله ليحكمن بين الامة بالحق لا بما يهوى واجل الموادعة سنة كاملة فان احب الحكمان
ان يعجلا الحكم عجلاه وان توفي احدهما فلامير شيعته ان يختار مكانه رجلا لا يالو الحق والعدل وان توفي احد الاميرين كان نصب غيره
الى اصحابه ممن يرضون امره ويحمدون طريقته اللهم انا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة واراد فيها الحادا وظلما وشهد فيه من
اصحاب علي عشرة ومن اصحاب معوية عشرة فذلك معنى الاجل في التحكيم وتقدير هذا السؤال انك حين رضيت بالتحكيم لم ضربت بينهم
اجلا وما الحكمة في ذلك فاجاب انما فعلت ذلك ليتبين الجاهل اي وجه الحق ويتثبت العالم اي في امره بحيث يخلص من الشبهة ورجا ان يصلح
الله الامة بعد الصلح وقوله ولا نؤخذ باكظامها فيعجل الى اخره تعبير باخذ الكظم على الاخذ بعنف وعلى غرة وقوله ان القوم لما اخذوا الاول شبهة
عرضت من رفع المصاحف وهو اول الغي ولم يتثبتوا في امرهم اشبهوا من اخذ بمجرى نفسه فلم يتمكن من الاستراحة الى التنفس فاستعير وصف
الكظم لهم وقوله ان افضل الناس الى قوله وزاده جذبه الى الحق وان ادى الى الغاية المذكورة وتنفيره عن الباطل وان استلزم الغاية المذكورة
بذكر الافضلية عند الله وقوله من الباطل متعلق باحب اليه وقوله وان نقصه وكرثه اعتراض بينهما والحكم في هذه القضية الصدق اذ كان ملازم
الحق اتقى الخلق والاتقى الافضل عند الله تعالى كما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم وقوله فاين يتاه بكم يريد الى اي غاية يكون هذا التيه
الكبير الذي اخذتم فيه وفيه تنبيه على ان ذلك ليس فعل الغير بهم ومن اين اتيتم اي من اي وجه دخلت عليكم الشبهة وتنبيه هذا السؤال
تجاهل العارف اذ كان يعلم وجه الداخل عليهم ثم اعقب ذلك لتنبيههم بالامر بالمسير الى اهل الشام ووصفهم بالجبر عن الحق والعمى عنه
والاغراء بالجور عن طريق الله بحيث لا مثل للجور عندهم ومجافاة الطباع عن فهم كتاب الله ونبو الافهام عنه وعدلهم عن طريقه كل ذلك
اغراء بهم وقوله ما انتم بوثيقة اي بعروة وثيقة الى اخره وهو عتاب لهم وتضجر منهم على قلة طاعته وقوله يوما اناديكم اي ادعوكم الى النصرة
واستغيث بكم ويوما اناجيكم اي اشاوركم واذاكركم في تفصيل كره وقوله فلا احرار عند النداء لان الحر من شانه اجابة الداعي والوفاء بالوعد
وليسم كذلك ولا اخوان ثقة عند النجاء لان اخا الثقة اذا اتيت وعوتب من الغير تعتب واذا اخوج واعتذر الى رجع الى صفاء الاخوة
لكان وثاقيها ولستم من ذلك في شيء وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما عوتب على التسوية في العطاء اتامروني ان
اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه والله لا اطور به ما سمر سمير وما ام نجم في السماء نجما لو كان المال لي لسويت بينهم
فكيف وانما المال مال الله الا وان اعطاء المال في غير حقه وغيره غير اهله تبذير واسراف وهو يرفع صاحبه في الدنيا

عدله

لكن

لكن

وتضعه في الاخرة ويكرمه في الناس ويهينه عند الله ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه وعند غير اهله الا حرمه الله شكرهم وكان لغيره
ودهم فان زلت به النعل يوما فاحتاج الى معونتهم فشر خليل والام خدين **اقول** لا اطور به اي لا اقربه والسمير الدهر يقال دل
لا افعله ما سمر سمير اي الدهر كله وكذلك لا افعله ما سمر ابنا سمير اي الدهر كله وكذلك لا افعله ما سمر ابنا سمير وابناه الليل والنهار والخدن خليل
الصديق والتسوية في العطاء من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر كذلك على تلك السنة فلما فضل من بعدهما اهل السابقة والشرف تعظيما
على غيرهم لفضلهم عنادا الى زمانه عليه السلام ولما كان سالكا مسالك الرسول صلى الله عليه وسلم مقتفيا اثر سنته لم يمكنه الا التسوية فطلب المفضلو
عادتهم من التفضيل عنده ولا ينتهي لهذا الامر فقال هذا الكلام فقوله اتامروني ان اطلب النصر بالجور جواب لمن اشار عليه بالتفضيل وكان المشير
قال له ان فضلت هؤلاء كانوا معك يقاتلون ونصروك فاجابهم بذلك والجور العدول عن سبيل الله بالتفضيل حيث كان خارجا عن
سنة الرسول صلى الله عليه وسلم اقسم لا يقرب التفضيل ابدا ان المال لو كان له لكان من العدل ان يسوي بينهم فيه فكيف والمال لله ولهم ووجه ذلك ان
التسوية هي العدل الذي يجتمع به النفوس على النصرة وتتالف هم على مفارقة العدل ودون التفضيل المستلزم لانكسار قلوب المفضول
مع كثرتهم فلو كان المال له مع كونه بطباع البشرية الميالة الى تخصيص دون تخصيص لسوى بينهم فكيف والمال لله الذي تساوي نسبة الخلق
اليه وما لهم الذي فرضه الله لهم على سواء وهو كالاعتذار الحاسم لمادة الطمع في التفضيل ثم نبه على قبح وضع المال في غير اهله وعلى غير
وجهه وغير اهله هم غير المفروض لهم وغير وجهه هم الذي لم يفرضه الشارع واشار الى وجوه المفاسد ففي غير اهله تبذير وفي غير وجهه
اسراف وعرفتهما طرفا الافراط من فضيلة السخاء وقوله يرفع صاحبه في الدنيا اي يحصل له بين بذكر الكرم بين العوام والغاغة و
من لا يعرف حقيقته ويضعه في الاخرة اذ كان به على رذيلة وكذلك يكرمه عند الناس ويهينه عند الله واما حكمه بان الواضع له في غير حقه الكرم
وعند غير اهله محروم شكرهم ولغيره ودهم على تقدير وقوع الزلة منه التي يحتاج الى مساعدتهم يتقاعدون عنه فذلك مما يحصل بالاستقراء
ومما يبلغ التجربة واما سر ذلك فيحتمل ان يكون لانهم لما كانوا غير اهل لوضع المعروف لم يكونوا اهلا للاعتراف به لجهلهم وغفلتهم ولاعتقادهم
ان المسدي اليهم غير اهل لشكرهم وانهم على مرتبة واحق بالمال منه واكثر ما يكون عدم الشكر من هؤلاء لنظر كل منهم الى ان غيره من المسدى
اليه من غير اهل وانه هو احق فيرى نفسه دائما مبخوس الحظ من باذل المعروف فلا يزال متسخطا عاتبا عليه ذاما للزمان ومع ذلك لا يخلو عن
بغض الباذل فاذا اصابه من غيره ادنى معروف ولم ينسب بل يسمع مدح احد وشكر الناس له ساعد على مدحه واظهر فضله وفاز بما في
المعروف في اهله فيكون ذلك كالمستنقص لهذا الباذل وكالمزري عليه والمنابذ له وكنى بزلل النعل عن خطائه وعثاره في المصائب وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام ايضا للخوارج فان ابيتم الا ان تزعموا اني اخطأت وضللت فلم تضللون عامة امة محمد صلى الله عليه واله بضلالي
وتاخذونهم بخطاي وتكفرونهم بذنوبي سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم وتخلطون من اذنب بمن لم يذنب
وقد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه واله رجم الزاني ثم صلى عليه ثم ورثه اهله وقتل القاتل وورث اهله ميراثه وقطع السارق
وجلد الزاني غير المحصن ثم قسم عليهما من الفيء ونكحا المسلمات فاخذهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذنوبهم واقام حق الله فيهم ولم يمنعهم سهمهم
من الاسلام ولم يخرج اسماءهم من بين اهله ثم انتم شرار الناس ومن رمى به الشيطان مراميه وضرب به تيهه وسيهلك في صنفان
محب مفرط يذهب به الحب الى غير الحق ومبغض مفرط يذهب به البغض الى غير الحق وخير الناس في حالا النمط الاوسط فالزموه
والزموا السواد الاعظم فان يد الله على الجماعة واياكم والفرقة فان الشاذ من الناس للشيطان كما ان الشاذ من الغنم للذئب الا من دعا الى
هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه وانما حكم الحكمان ليحييا ما احيى القران ويميتا ما امات القران واحياؤه الاجتماع
عليه واماتته الافتراق عنه فان جرنا القران اليهم اتبعناهم وان جرهم الينا اتبعونا فلم ات لا ابا لكم بجرا ولا ختلتكم عن امركم
ولا لبسته عليكم انما اجتمع راي ملائكم على اختيار رجلين اخذنا عليهما الا يتعديا القران فتاها عنه وتركا الحق وهما
يبصرانه وكان الجور هواهما فمضيا عليه وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكومة بالعدل والصمد للحق سوء رايهما وجور حكمهما
اقول البجر الشر والامر العظيم والختل الخداع والصمد القصد وهذا الفصل مشاجرة مع الخوارج وهو منع لشبهتهم التي يما كرها بها
اصحابه وصورتها انكم ضللتم بالتحكيم وكل ضال كافر فينتج انهم كفار وقوله فان ابيتم الى قوله وضللت يجري مجرى تسليم جدلي لما منعه
اولا في الفصول السابقة من صغرى شبهتهم وبين ان التحكيم لم يكن منه خطاء ولا ضلالا فكانه يقول وهب اني اخطأت كما زعمتم فلم
فلم تضللون عامة امة محمد بضلالي فمنع لصغرى هذه الشبهة وقوله وتكفرونهم بذنوبي الى قوله بمن لم يذنب منع للكبرى فكانه يقول وهب
انكم ضللتموهم بضلالي فلم تكفرونهم وتقتلونهم بسبب تكفيرهم المذنب غير المذنب وقوله وقد علمتم الى قوله من بين اهله استشهاد عليهم بفعل
بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم بين خطائهم انه لم يكفرهم بذنوبهم بل اجرى عليهم احكام الاسلام ولم يسلبهم اسمه وهذا الاستشهاد يجري مجرى ذكر
مستند المنع والزاني الذي رجمه هو المحصن ولم يمنعه استحقاقه الرجم صدق الاسلام عليه ولحوق احكامه من الصلوة عليه وتوريث
ماله لاهله وكذلك الباقون من اهل الكبائر من الامة لم يمنعهم ذلك من اجراء احكام الاسلام عليهم وصدق اسمه المنافي للصدق والكفر

دل

خليل

الكرم

بها

عليهم وضمير الاثنين في نكحا الى السارق والزاني اي لم يمنعهم استحقاق القتل والجلد من حصتهما من الفيء ومن نكاح المسلمات وضمائر الجمع في قوله فاخذهم الله بذنوبهم الى قوله بين اهله راجعة الى كل من جرى ذكره من المذنبين والكلام المذكور حكاية لحالهم والضمير في اهله يرجع الى الاسلام ثم لما فرغ من بيان غلطهم ذمهم ونبههم الى الانفعال عن الشيطان اذ كانت وساوسه مبادي الاغلاط والشبه ثم عقب ذلك بالاخبار عن هلاك من سلك طرفي الافراط في حبه او بغضه لخروجهما عن الحق والعدل الى الباطل والجور وافراط الحب ان جعل الها كالمنسوب الى النصيرية ونحوهم من الغلاة وافراط البغض ان نسب الى الكفر كالمنقول عن الخوارج وجعل خير الناس فيه حالا النمط الاوسط في المحبة وهم اهل العدل فيه النمط الاوسط الجماعة من الناس امرهم واحد وفي الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط يلحق بهم التالي ويرجع اليهم الغالي فالتالي هو المقصر الواقف في طرف التفريط والغالي هو العابر الى طرف الافراط وامر بلزوم ذلك النمط ولزوم طريقة السواد الاعظم اي اكثر المسلمين المتفقين على راي واحد ورغب في لزوم طريقتهم بان يد الله على الجماعة فتجوز بلفظ اليد في قدرة الله وحراسته للجماعة اذ كانوا امنع وابعد عن الانفعال للعدو وامن من الغلط والخطاء لكثرة ارائهم واتفاقها فلا تكاد تتفق على امر الا مصلحة فيه مع كثرتها واختلافها وحذر من الفرقة والشذوذ عن الجماعة بان الشاذ من الناس اي المنفرد المستبد برايه للشيطان اي محل يطرقه الشيطان لانفراده وشبهه لذلك بالشاذ من الغنم ووجه الشبه كون انفراده محلا لتطرق الهلاك اليه باستغواء الشيطان له كان الشاة المنفردة في مظنة الهلاك لانفرادها وحدها للذئب ثم امر بقتل من دعا الى هذا الشعار وهو مفارقة الجماعة والاستبداد بالراي في قوله ولو كان تحت عمامتي هذه مبالغة في الكلام كنى بها عن اقصى القرب من عنايته اي ولو كان ذلك الداعي الى هذا الحد من عنايتي به وقيل اراد ولو كان ذلك الداعي انا وقوله وانما حكم الحكمان اعتذار عن شبهة التحكيم واسند اليهما لفظي الاحياء والامانة مجازا باعتبار كونهما في الاجماع عليه والعمل به مظهرين لمنفعته وفايدته كما يفعل مميت الشيء ومبطل حياته وقوله فلم آت لا ابا لكم بجرا الى آخره لما بين وجه عذره في التحكيم انه لم يكن فعله ذلك مشتملا على قصد شر او ختل لهم وتلبيسا عليهم في التحكيم من غير اتفاق منهم ومراجعتهم بل انما كان ذلك عن اجتماع اراء قومهم على اختيار حكمين اخذت عليهما الشرائط المعدودة في كتاب الصلح وفي نسبة اختيار الحكمين الى ملائهم ونسبة اخذ العهد عليهما في اتباع الكتاب الى نفسه والى الجماعة هو واحدهم تنبيه على ان اخذ العهد عليهما كان منه او بشركة دون تعيينهما للحكومة لما نقل انه كان غير راض بنصب ابي موسى تباعته وانما اكره على ذلك وكان ميله واختياره في ذلك لابن عباس وتلخيص الكلام انا انما رضينا بالحكمين بشرط ان يعملا بكتاب الله والمشروط بالشرط عدم عند عدم ذلك الشرط فحيث خالفا الشرط عمدا بعد ان سبق استظهارنا عليهما سوء رايهما وخبث مخالفتهما وانفسخ عقدهما لانه معقول به عن سبق وبالله التوفيق والعصمة

ومن كلام له عليه السلم وهو مما كان يخبر به عن الملاحم بالبصرة يا احنف كاني به وقد سار بالجيش الذي لا يكون له غبار ولا لجب ولا قعقعة لجم ولا حمحمة خيل يثيرون الارض باقدامهم كانها اقدام النعام يومي بذلك الى صاحب الزنج ثم قال ع ويل لسكككم العامرة والدور المزخرفة التي لها اجنحة كاجنحة النسور وخراطيم كخراطيم الفيلة من اولئك الذين لا يندب قتيلهم ولا يفقد غائبهم انا كاب الدنيا لوجهها وقادرها بقدرها وناظرها بعينها

اقول الملحمة الوقعة العظيمة وهذا الفصل من خطبة له ع بالبصرة بعد وقعة الجمل ذكرنا منها فصولا فيما سبق والخطاب مع الاحنف بن قيس لانه كان رئيسا ذا عقل وسابقة في قومه وكان اسمه صخر بن قيس بن معوية بن حصين بن عباد بن مرة بن عبيد بن تميم وقيل اسمه الضحاك وكنيته ابو بحر وبسببه كان اسلام بني تميم حين دعاهم رسول الله ص فلم يجيبوا فقال لهم الاحنف انه يدعوكم الى مكارم الاخلاق وينهاكم عن ملائمها فاسلموا واسلم الاحنف وشهد مع علي ع صفين ولم يشهد الجمل مع احد الفريقين والضمير في قوله كاني به لصاحب الزنج واسمه علي بن محمد علوي النسب والجيش المشار اليه هم الزنج ووقايعهم بالبصرة مشهورة واخبارهم وبيان احوالهم وتفصيل وقايعهم يشتمل عليها كتاب منفرد في نحو من عشرين كراسة فليطلب علمها من هناك واما وصف ذلك الجيش بالاوصاف المذكورة فلان الزنج لم يكونوا اهل خيل ولا احد من قبل حتى يكون بالاوصاف المشار اليها واثارتهم التراب باقدامهم كناية عن كونهم حفاة في الاغلب مشققي الاقدام فهي من اعتياد الحفا ومباشرة الارض كالخشب ونحوه وكانت مظنة اثارة التراب عوضا من حوافر الخيل ووجه شبهها باقدام النعام ان اقدامهم في الاغلب قصار عراض منتشرة الصدور ومفرقات الاصابع فهي من عرضها لا يتبين لها طول فاشبهت اقدام النعام في بعض تلك الاوصاف ثم اخبر بالويل لحال البصرة ودورها المزخرفة من اولئك واستعار لدورها لفظ الاجنحة واراد بها القطانيات التي تعمل من الاخشاب والبواري بارزة عن السقوف كالوقاية للمشارف والحيطان عن اثار الامطار وهي اشبه الاشياء في هيئتها وصورتها ووضعها باجنحة كبار الطير كالنسور وكنى ايضا بلفظ خراطيم الفيلة بالميازيب التي تعمل من الخوص على شكل خرطوم الفيل وتطلى بالقار يكون نحوا من خمسة اذرع او ازيد تدلى من السطوح حفظا للحيطان من اذى السيل ايض وهي اشبه الاشياء في صورتها بخراطيم الفيلة واما وصفه لهم بانه لا يندب قتيلهم ولا يفقد غائبهم قال بعض الشارحين ذلك وصف لهم بشدة الباس والحرص على الحرب والقتال وانهم لا يبالون بالموت فلا يأسف

على من فقد

على من فقد منهم واقول والاشبه ان ذلك لكونهم لا اصول لهم لاكثرهم من ارقاء واخلاط وعبيد فلك ممن عادته ان ينوح ويندب قتيله ويفقد ولا اهل غائبه لكون اكثرهم غرباء في البصرة ممن قتل منهم لا يكون له من يندبه ومن غاب لا يكون له من يفقده وقوله انا كاب الدنيا لوجهها اشارة الى زهده فيها وتنبيه على فضيلته يقال كببت فلانا لوجهه اذا تركته ولم التفت اليه وقادرها بقدرها اي معاملها بمقدارها واي مقدارها حقير اعنده كان اليقين الذي بها ابقا لا يحقر احسب هذه البقاء فيها وناظرها بعينها معتبرها بالعين التي ان تعتبر بها الدنيا من كونها غرارة غدارة زائلة الى غير ذلك من اوصافها وانها غدارة وطريق الى غيرها لا مطلوبة لذاتها وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلم يومي به الى وصف الاتراك كاني اراهم قوما كان وجوههم المجان المطرقة يلبسون السرق والديباج ويعتقبون الخيل العتاق ويكون هناك استحرار قتل حتى يمشي المجروح على المقتول ويكون المفلت اقل من الماسور فقال له بعض اصحابه لقد اعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب فضحك ع وقال للرجل وكان كلبيا يا اخا كلب ليس هو بعلم غيب وانما هو تعلم من ذي علم وانما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه وتعالى بقوله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام من ذكر او انثى وقبيح او جميل وسخي او بخيل وشقي او سعيد ومن يكون للنار حطبا او في الجنان للنبيين مرافقا فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه احد الا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه صلى الله عليه وآله فعلمنيه ودعا لي بان يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي

اقول المجان بالفتح جمع مجن بكسر الميم وهو الترس والمطرقة بفتح الراء والتخفيف التي تطبق وتخصف كطبقات النعل يقال اطرقت بالجلد اذا البست والسرق بفتح السين والراء شقق الحرير واحدتها سرقة قال ابو عبيد هي البيض منها وهي فارسية معرب اصله سره اي جيد كالاستبرق الغليظ من الديباج ويعتقبون الخيل يحتبسونها ويربطونها واستحرار القتل شدته اي اشتد واعلم انه ع من عادته اذا اراد الاخبار عن امر سيكون فانه يصدره بقوله كاني كما سبق من اخباره عن الكوفة كاني بك يا كوفة وكقوله كاني به وقد نعق بالشام وسر ذلك ان مشاهدته بعين بصيرته لما افيض على نفسه القدسية من انوار الغيب على سبيل الالهام بواسطة الاستاد المرشد ص تشبه المشاهدة بعين البصر في الجلاء والظهور الخالي عن الشك فلذلك حسن حرف التشبيه صدره وضماير الجمع في الفصل تعود الى الاتراك وشبه وجوههم بالترس المطرقة ووجه الشبه في تشبيهها بالترس الاستدارة والعظم والانبساط وفي كونها مطرقة الخشونة والغلظة وهو تشبيه محسوس واما وصفهم بمراعاة لبس السرق والديباج واعتقاب الخيل فاعتبار احوال الترك تشهد بصدقه واما اخباره عن استحرار القتل الى الغاية المذكورة حين ظهورهم فمما تشهد به التواريخ بالوقايع المشهورة بينهم وبين العرب وغيرهم من المسلمين في ايام عبد الله بن الزبير وفي ايام قتيبة بن مسلم ويكفي في صدق ذلك الى الغاية المذكورة ما شهدناه من وقايع التتار مع المسلمين وقتلهم اياهم بالعراقين وخراسان وغيرها من البلاد فاما جوابه ع للكلبي ان ذلك ليس بعلم غيب انما هو تعلم من ذي علم وتحديده للمعلومات بعلم الغيب التي لا يعلمها الا الله سبحانه فحق وصدق وقد نبهنا على الفرق بين علم الغيب والاخبار عن المغيبات في المقدمات لكن ينبغي ان يعلم ان التعلم الحاصل له من قبل الرسول ص ليس على سبيل ان كل ما القى اليه صور جزئية ووقايع جزئية بل معناه هو اعداد نفسه القدسية على طول الصحبة من حيث كان طفلا الى ان توفي الرسول ص لهذه العلوم بالرياضة التامة وتعليم كيفية السلوك واسباب تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة حتى استعدت نفسه الشريفة للانتقاش بالامور الغيبية وانتقشت فيها الصور الكلية فامكنه الاخبار عنها وبها ولذلك قال ع ودعا لي بان يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي اي يضبطه قلبي ويشتمل عليه وكنى بالجوانح عن القلب لاشتمالها عليه ولو كانت تلك العلوم صورا جزئية لم يحتج الى مثل هذا الدعاء فان فهم الصور الجزئية وضبطها والاخبار عنها ممكن لكل الصحابة من العوام وغيرهم وانما الصعب المحتاج الى الدعاء بان يعيه الصدر ويستعد الاذهان لقبوله هو القوانين الكلية وكيفية انشعابها وتفصيلها واسباب تلك الامور المعدة لادراكها حتى اذا استعدت النفس بها امكن ان ينتقش بالصور الجزئية من مفيضها كما سبقت الاشارة اليه

ومن كلام له عليه السلم في ذكر المكاييل والموازين عباد الله انكم وما تأملون من هذه الدنيا اثوياء مؤجلون ومدينون مقتضون اجل منقوص وعمل محفوظ فرب دائب مضيع ورب كادح خاسر وقد اصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا اقبالا والشيطان في هلاك الناس الا طمعا فهذا اوان قويت عدته وعمت مكيدته وامكنت فريسته اضرب بطرفك حيث شئت من الناس فهل تبصر الا فقيرا يكابد فقرا او غنيا بدل نعمة الله كفرا او بخيلا اتخذ البخل بحق الله وفرا او متمردا كان باذنه عن سمع المواعظ وقرا اين خياركم وصلحاؤكم واين احراركم وسمحاؤكم واين المتورعون في مكاسبهم والمتنزهون في مذاهبهم اليس قد ظعنوا جميعا عن هذه الدنيا الدنية والعاجلة المنغصة وهل خلفتم الا في حثالة لا تلتقي بذمهم الشفتان استصغارا لقدرهم وذهابا عن ذكرهم فانا لله وانا اليه راجعون

ظهر الفساد فلا منكر مغيّر ولا زاجر مزدجر أفبهذا تريدون أن تجاوروا الله في دار قدسه وتكونوا أعزّ أوليائه عنده هيهات لا يخدع الله
عن جنّته ولا تنال مرضاته إلّا بطاعته لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر العاملين به **أقول** أثوياء جمع
ثوي على فعيل وهو الضيف والدائب المجدّ في العمل والكادح العامل والوفر التام والحسالة الحقير الثقل والسقط الرديّ من كلّ شيء وقد نفّر
عن الدنيا بذكر عدّة من معايبها أحدها كونهم فيها ضيفانًا واستعار لهم لفظ الضيف لكنّهم لما يأملون منها أو وجه الاستعارة مشابهتهم
للضيف في تأجيل الإقامة وانقطاع المدّة وقرب الرحيل وموجلون ترشيح للاستعارة الثانية كونهم مدينون فيها واستعار لفظ الدين باعتبار
وجوب الفرائض المطلوبة منهم وعهد الله المأخوذ عليهم أن يرجعوا إليه طاهرين عن نجس الملبس ورشّح بذكر المقبضين لما أن شأن المدين
أن يقتضى منه الدين ثمّ لما ذكر كونهم مؤجلين ومدينين كرّر ذكر الأجل بوصف النقصان ولا شكّ في نقصانه إلّا ينبغي وذكر الأمل الذي العمل له
فالصدق وصالحه هو الدين المقتضى منهم بوصف كونهم محفوظًا عليهم ليجتنب بنقصان الأجل إلى العمل ونبّه بلفظ العمل إلى الاستعداد والإخلاص فيه
وأجل وعمل خبران حاذف مبتدؤهما أي أجلكم أجل منقوص وعملكم عمل محفوظ ونبّه بقوله فربّ دائب مضيّع ربّ كادح خاسر إلى أنّ الأمل
وإن قصد فيه الصلاح أيضًا الأثر قد يقع على وجه الغلط فيحصل به كالانحراف عن الدين وضلال الرأي فيضيع العمل ويخسر الكادح كدأب
الخوارج ونحوهم وربّما دخل الكادح في قوله تعالى هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالًا الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعًا
وذلك كالكادح من أهل الكتاب ونحوهم وقوله قد أصبحتم إلى قوله فيها لا شكاية للزمان وذمّ له وهو كقوله أنّا قد أصبحنا في زمن كنود
ودهر عنود وذلك لأخذ الزمان في البعد عن وقت ظهور الشريعة وطراوتها وجرأة الناس على هتك الدين وارتكاب مناهي الله وكثرة
طمع الشيطان في هلاكهم أي في هلاك دينهم الذي يكون غايته هلاكهم في الآخرة وأشار إلى أنّ ذلك الوقت هو أوان قوّة عدوّهم ومكيدته
وإمكان عمله فما ظنّك بزماننا هذا وما بعده واستعار لفظ الفريسة لما وعى الشيطان والمنفعلين عنه ووجه الاستعارة بلوغه منهم مراده
وتصريفه لهم لغاية هلاكهم كالأسد مع فريسته وقوله اضرب بطرفك إلى قوله وفرًا شرح لما أجمله أوّلًا من إدبار الخير وإقبال الشرّ وكفر
الغنيّ تركه وإعراضه عن شكر نعم الله سبحانه عليه وقوله بخل بحقّ الله تعلّق بالبخل أنّ البخيل بعضه بخله بحقّ الله على مستحقّه لتوفير المال وزيادة
فيه وقوله أين خياركم إلى قوله مذاهبهم سؤال عن باب تجاهل العارف شبهها لهم على ما فاتوا إليه من الفناء وفراق الدنيا وعلى أنّه لم
يبق فيهم من أولي الأعمال الصالحة أحد لعلّهم يرجعون إلى لزوم الأعمال الصالحة ونبّه بالأحرار الكرماء والمتورّعون في مكاسبهم
الملازمون للأعمال الجميلة بها من التقوى والمسامحة وإخراج حقوق الله والمتنزّهون في مذاهبهم المتنزّهون عن ولوج أبواب المحارم والشبهات
في مسالكهم وحركاتهم وقوله أليس إلى قوله المنغّصة سؤال على سبيل التقرير لما نبّههم عليه من تراثة الدنيا ودناءتها بالنسبة إلى عظيم
ثواب الآخرة وتنغيصها بالآلام ونحوها حتّى قال بعض الحكماء إنّ كلّ لذّة في الدنيا إنّما هي خلاص من ألم وقوله أم هل خلفتم إلى قوله عن
ذكرهم سؤال على سبيل التقرير لما ذكر أيضًا واستعار لفظ الحثالة لرعاع الناس وعجبهم وقوله لا يلتقي بذمّهم الشفتان أي أنّهم لحقرهم من أن تشتغل
الإنسان بذمّهم وانتصب تصغيرًا وذهابًا على المفعول له وحسن اقتباس القرآن فيها لما أنّ هذه الحال التي الناس عليها من فقد
خيارهم وبقاء شرارهم مصيبة لحقتهم ومن آداب الله للصابرين على نزول المصائب أن يثبّتوا أنفسهم ويعلّمهم اليقين فقولوا عندها إنّا لله وإنّا
إليه راجعون كما قال سبحانه وبشّر الصابرين الآية ثمّ حكم على سبيل التوجّع والأسف بظهور الفساد وبقي المنكر المغيّر والمزدجر عنه تنبيهًا لهم
على أنّهم وإن كان فيهم من ينكر ويزجر إلّا أنّه لا يغيّر ما ينكره ولا يزدجر عن مثله وذلك من قبائح الأعمال والرذائل وقوله أفبهذا أي أعمالكم هذه
المدخولة وتقصيركم ومجاورة الله الوصول إليه والمقام مقعد في جنّته التي هي مقام الطهارة عن نجاسات الهيئات الرديّة ومقام تنزيه ذات
الله تعالى وطهارتها عن اتّخاذ الشركاء والأنداد وهو استفهام على سبيل الإنكار لذلك عليهم وقوله هيهات إلى آخره ولمّا كان ذلك يجري
مجرى الزهد لهم مع النفاق في الباطن أعني أعمالهم المدخولة من إنكار المنكر وارتكابهم نبّههم على أنّ ذلك لم يخدع الله عن جنّته وصرّح
بأنّ الله لا يخدع لعلمه بالسرائر وأنّه لا تنال إلّا بطاعته أي الطاعة الحقيقيّة الخالصة دون الظاهرة ثمّ ختم بلعن الآمرين بالمعروف مع تركهم
للعمل به والناهين عن المنكر المرتكبين له لأنّهم منافقون مراؤون بل للعن يقتضى بهم النفاق مستلزم اللعن والبعد عن رحمة الله
وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لأبي ذرّ لمّا أخرج إلى الربذة يا أبا ذرّ إنّك غضبت لله فارج من غضبت له
إنّ القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فاترك في أيديهم ما خافوك عليه واهرب منهم بما خفتهم عليه فما أحوجهم إلى ما
منعتهم وما أغناك عمّا منعوك وستعلم من الرابح غدًا والأكثر حسدًا ولو أنّ السموات والأرض كانتا على عبد رتقًا ثمّ اتّقى
الله لجعل الله له منهما مخرجًا لا يؤنسنّك إلّا الحقّ ولا يوحشنّك إلّا الباطل فلو قبلت دنياهم لأحبّوك ولو قرضت منها لأمنوك **أقول**
أبو ذرّ اسمه جندب بن جنادة وهو من بني غفار قبيلة من كنانة وأسلم بمكّة ولم يشهد بدرًا ولا الخندق لأنّه حين أسلم رجع إلى بلاد قومه فأقام حتّى
مضت هذه المشاهد ثمّ قدم المدينة على رسول الله صلّى الله عليه وآله وكان يتولّى عليًّا وأهل بيته وهو الذي قال الرسول صلّى الله عليه وآله في حقّه ما أقلّت الغبراء ولا
أظلّت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ وروى ابن المعرعة قال رأيت أبا ذرّ آخذًا بحلقة باب الكعبة وهو يقول أنا أبو ذرّ الغفاري من لم

العمل له

رضاته

عليهم

يعرفني فأنا جندب صاحب رسول الله صلّى الله عليه وآله سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلّف عنها غرق وكان قد أخرجه
عثمان إلى الربذة وهي موضع قريب إلى المدينة واختلف في سبب إخراجه فروى عن زيد بن وهب أنّه قال قلت لأبي ذرّ وهو بالربذة ما أنزلك
هذا المنزل قال أخبرك إنّي كنت بالشام في أيّام معاوية فذكرت قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضّة ولا ينفقونها في سبيل الله الآية فقال
معاوية هذه نزلت في أهل الكتاب قلت بل فينا وفيهم فكتب معاوية إلى عثمان يشكوني في ذلك فكتب إليّ أن أقدم عليّ فقدمت عليه فانثال
الناس عليّ كأنّهم لم يعرفوني فشكوت ذلك إلى عثمان فخيّرني فقال انزل حيث شئت فنزلت الربذة وهذا قول من نزّه عثمان عن ظلم أبي ذرّ ونفيه
إذ كان خروجه إلى الربذة باختياره وقيل بل كان يغلظ القول في إنكار ما يراه منكرًا في حقّ عثمان ويقول لم يبق أصحاب محمّد على ما عهد وينفر
بهذا القول وأمثاله عنه فأخرجه لذلك وخطابه لأبي ذرّ يبقى بالقول الثاني فقوله إنّك غضبت لله شهادة له بأنّ إنكاره لما ينكره إنّما
يقصد به وجه الله تعالى وقوله إنّ القوم خافوك على دنياهم أي أن يحملهم الخلق بالتنفير عنهم وخفتهم على دينك بأن تجيبنا موافقتهم وأخذ عطائهم على
غير السنّة وقوله فاترك إلى قوله منعوك أي اترك لهم دنياهم واهرب بدينك فما أحوجهم إلى دينك وأغناك عن دنياهم وقوله ستعلم من الرابح
غدًا والأكثر حسدًا إلى يوم القيمة وظ كون تارك الدنيا أربح من المقبل عليها وأكثريّة الحسد من لواحق أكثريّة الربح وقوله ولو أنّ السموات
إلى قوله مخرجًا بشارة له بخلاصه ممّا هو فيه من ضيق الحال بسبب الإخراج وشرط في ذلك تقوى الله إشارة إلى قوله تعالى ومن يتّق الله يجعل له
مخرجًا قال ابن عبّاس قرأ رسول الله صلّى الله عليه وآله ومن يتّق الله يجعل له مخرجًا قال من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت وشدائد يوم القيمة وظ كون
التقوى عند استعدادها سببًا قاطعًا للطمع اللفظي من الدنيا وفيها إنّما هو مستلزم للخير من مجاذبة النفس الأمّارة بالسوء والوقوع في
شبهات الدنيا وهو في استلزام الخلاص من غمرات الموت وشدائد يوم القيمة أظهر وكنّى بالغايات المذكورة وهي رتق السموات والأرض
على العبد عن غاية الشدّة مبالغة لتبيين فضل التقوى ثمّ أمره بالاستيناس بالحقّ وحده والاستيحاش من الباطل وحده وكذا الحصر
في الموضعين بقوله وحده تنفيرًا عن أن يستوحش من حقّ ما فيتركه وينفر عنه وإن صعب وشقّ على النفس أو يستأنس بباطل ما فيفعله أو
يسكت عليه وإن لذّ لها ونبّه على علّة بغضهم وإخافتهم له وهو عدم مشاركته في دنياهم والانفراد بالإنكار وغلظة القول عليهم وكنّى بالقرض
من الدنيا عن الأخذ وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** أيّتها النفوس المختلفة والقلوب المتشتّتة الشاهدة أبدانهم والغائبة
عنهم عقولهم أظأركم على الحقّ وأنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الأسد هيهات أن أطلع بكم سرار العدل أو أقيم اعوجاج الحقّ
اللّهمّ إنّك تعلم أنّه لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر
الإصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطّلة من حدودك اللّهمّ إنّي أوّل من أناب وسمع وأجاب لم يسبقني إلّا رسول
الله صلّى الله عليه وآله بالصلوة وقد علمتم أنّه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل
فتكون في أموالهم نهمته ولا الجاهل فيضلّهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الحائف للدول فيتّخذ قومًا دون قوم ولا
المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع ولا المعطّل لأمّه
للسنّة فيهلك الأمّة **أقول** أظأركم أعطفكم ووعوعة الأسد صوته وسرار العدل ما خفي منه والتهمة الحرص على الدنيا وقد نبّه النفوس
بصفة الاختلاف أي اختلاف الأهواء والقلوب المتشتّتة المتفرّقة عن مصالحها وما خلقت لأجله وأراد بغيبة عقولهم ذهولها عن رشدها
وإصابة وجه الحقّ بانصرافها عن دعائه إلى ما ينبغي عنه وشبّه نفارهم بنفور المعزى من صوت الأسد ووجه التشبيه شدّة نفارهم عن الحقّ
ثمّ استبعد إظهاره للعدل وإقامة الدين بمثلهم على ما هم عليه من قلّة طاعته ثمّ عقّب ذلك باستشهاد الله سبحانه على أنّ قصده بمنافسته
في أمر الخلافة لم يكن في سلطان ولا لفضل حطام دنيوي ولكن للغاية التي ذكرها من ردّ معالم الدين وهي الآثار التي يهتدى بها وكذا
سائر ما عدّه من المصالح ثمّ تلا ذلك الاستشهاد باستشهاده على أنّه أوّل من أناب أي رجع إلى الله تعالى عمّا عليه كان يعبد في حقيقتنا وسمع أي
أطاع الله وأجاب أي داعي الله ثمّ استثنى سبق الرسول صلّى الله عليه وآله إلى الدين بالصلوة وذلك أمر معلوم من حاله وإنّما يقول خصمه إنّه حين تبع الرسول
كان طفلًا لا اعتداد بإسلامه وسنذكر ذلك في موضعه من الخطبة المسمّاة بالقاصعة وغرضه من هذا الاستشهاد مع ما بعده من الإشارة إلى الرذائل
التي ينبغي أن يكون الإمام منزّهًا عنها تقرير فضيلته وتنبيه على أنّ فيه من الفضائل ما يقابل تلك الرذائل بنعد يذكرها وينفيها عن الإمام الوالي لأمور
المسلمين والإشارة إلى وجوه المفاسد اللازمة عنها وتذكيرهم بما علموه من ذلك بقوله وقد علمتم إلى آخره أمّا البخيل فلشدّة حرصه على ما في
أيدي الناس من الرعيّة وقد عرفت ما يستلزمه من نفارهم عنه وعدم انتظام الأحوال وأمّا الجاهل فلأنّه لجهله بقوانين الدين وتدبير أمور العالم
ضالّ وضلاله يستلزم ضلال من اقتدى به وذلك ضدّ مقصود الشارع وأمّا الجافي فلأنّ جفاءه يستلزم التفرّق والانقطاع عنه وذلك
ضدّ الألفة والاجتماع المطلوب للشارع وأمّا الخائف من الدول فيختصّ بعنايته من يخافه دون غيره وذلك ظلم لا ينتظم معه نظام العالم وأمّا
المرتشي في الحكم فلظهور ذهابه بالحقوق والوقوف بها على الحيف دون المقاطع الحقّة فترى أحد هؤلاء إذا أراد فصل قضيّة دافع بها طويلًا
وصعب الحقّ وعرض بعوض وأشار بالصلح بين الخصمين مع ظهور الحقّ لأحدهما وكانت غايته من ذلك تخويف صاحب الحقّ من فوات ليلجئه إلى

الصلح

الصلاح والرضى ببعض حقه مع انه قد يأخذ منه رشوة واثمه وربما كانت في المدارك شوة المبطل منهما وهم في ذلك جبل تبعه فهام عاثم والله المستعان على ما يصفون واما المعطل للسنة فلتضييعه قوانين الشريعة واهمالها المستلزم لفساد النظام في الدنيا والهلاك الدائم في الاخرى وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام نحمده على ما اخذ واعطى وعلى ما ابلى وابتلى الباطن لكل خفية الحاضر لكل سريرة العالم بما تكن الصدور وما تخون العيون ونشهد ان لا اله غيره وان محمدا نجيبه وبعيثه شهادة يوافق فيها السر الاعلان والقلب اللسان **اقول** الضمير في قوله نحمده يعود الى اسم الله في كلام سابق لم يذكر وقد علم شكر الله تعالى على اخذه وعطائه وعلى بلائه بالخير وابتلائه بالشر وتنبيه بذلك على وجوب شكر الله في طوري السراء والضراء وحالتي الشدة والرخاء فاما وصفه له بالباطن والحاضر والعالم فقد سبق شرحه غيره وقصدا في الوصفين الاولين قوله تعالى يعلم السر واخفى ومصداق الاخير قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وكذلك سبقت الاشارة الى سر الشهادتين ونجيبه وبعيثه منتجبه ومبعوثه فعيل بمعنى مفعول وقوله شهادة يوافق فيها الى اخره اي شهادة خالصة من النفاق والرياء وبالله التوفيق

منها فانه والله الجد لا اللعب والحق لا الكذب وما هو الا الموت اسمع داعيه واعجل حاديه فلا يغرنك سواد الناس من نفسك وقد رايت من كان قبلك ممن جمع المال وحذر الاقلال وامن العواقب طول امل واستبعاد اجل كيف نزل به الموت فازعجه عن وطنه واخذه من مأمنه وحمولا على اعواد المنايا يتعاطى به الرجال حملا على المناكب وامساكا بالانامل اما رايتم الذين يأملون بعيدا ويبنون مشيدا ويجمعون كثيرا اصبحت بيوتهم قبورا وما جمعوا بورا وصارت اموالهم للوارثين وازواجهم لقوم اخرين لا في حسنة يزيدون ولا من سيئة يستعتبون فمن اشعر التقوى قلبه برز مهله وفاز عمله فاهتبلوا هبلها واعملوا للجنة عملها فان الدنيا لم تخلق لكم دار مقام بل خلقت لكم مجازا لتزودوا منها الاعمال الى دار القرار فكونوا منها على اوفاز وقربوا الظهور للزيال **اقول** المشيد المعلى والاهتبال الاغتنام وهبلها بتحريك الهاء وبسكونها مصدر مضاف الى ضمير التقوى مؤكد للفعل اي احكموها احكامها والاوفاز جمع وفزة وهي العجلة والضمير في قوله فانه اما ان يرجع الى مذكور سابق او الى معنى كلامه وهو التحذير والانذار وكذلك الذي في قوله وما هو الا الموت يحتمل ان يعود الى ملفوظ به سابق ويحتمل ان يعود الى المعنى بالتحذير منه والانذار به اي وما الذي احذركم هجومه عليكم الا الموت واسمع واعجل محلهما النصب على الحال من معنى الاشارة وقوله فلا يغرنك الى قوله وامن العواقب اي فلا يغرنك من نفسك الامارة بالسوء وسوسها واستغفالها لك عن ملاحظة الموت برؤيتك سواد الناس اي كثرتهم اذ كثيرا ما يرى الانسان الميت محمولا فيتداركه من ذلك رقة وروعة فيعاوده الوسواس الخناس ويأمره باعتبار كثرة الشيئين لمن الناس وان يجعل نفسه من الاحياء الكثيرين بملاحظة شبابه وصحته ويأمره باعتبار اسباب موت ذلك الميت من القتل وسائر الامراض وباعتبار زوال تلك الاسباب في حق نفسه وبالجملة فيبعد في اعتباره عنه الموت بكل حيلة فنهى السامعين عن الانخداع للنفس بهذه الخديعة واسند الغرور الى سواد الناس لانه مادته ثم نبههم بقوله وقد رايت الى قوله يستعتبون على كذب تلك الخديعة بمشاهدة والواو في قوله وقد واو الحال ومن في قوله من جمع بدل البعض من الكل من قوله من كان قبلك والمعنى انه كما نزل باولئك الموت وازعجهم عن اوطانهم كذلك انتم وقوله طول امل نصب على المفعول له اي فعلوا ذلك لاجل طول الامل ويحتمل ان يكون مصدرا سد مسد الحال ويحتمل ان يكون ظرفا والعامل امن وقيل هو بدل من قبله قوله من كان قبلك اي رايت طول امل من كان قبلك ويروى بطول امل واعواد المنايا النعوش ويتعاطى به الرجال اي يتداولونه بعضهم الى بعض والخطاب بالكاف لنوع المخاطب والتخصيص على طريقة قولهم اياك اعني واسمعي يا جارة وقوله اما رايتم استفهام على سبيل التقرير واتما كانوا لا يستطيعون زيادة في حسنة ولا استعتابا من سيئة لان محل الاعمال هي الدنيا دون ما بعدها وقوله فمن اشعر التقوى قلبه اي من القى تقوى حقيقته ويرزت توريته اي ظهرت عليه اثار الرحمة الالهية في السكينة والوقار والحلم والاناة عن التسرع الى مطالب الدنيا وعلت درجته في الاخرة وفاز عمله فيها بالجزاء الاوفى ثم امرهم باحكام التقوى اي ان تتقوا الله تقوى حقيقته فانها التي تستحق بها الثواب الدائم وان يعملوا للجنة عملها الذي تستحق به ثم نبههم على وجوب العمل للجنة بالتصريح بما لاجله خلقت الدنيا وانها لم تخلق دار اقامة بل طريقا يعبر بها الى الاخرة كما يعبر المسافرون ويتزودون منها الاعمال الصالحة الموصلة الى الجنة وامرهم ان يكونوا منها على سرعة في قطع عقباتها وعجلة في الارتحال عنها لان التاني فيها يستلزم الالتفات الى لذاتها والغفلة عن المقصد الحق واستعار لفظ الظهور وهي الركوب لمطايا الاخرة وهي الاعمال الصالحة وتقريبها للزيال هو الاعتناء بالاعمال المقربة الى الاخرة المستلزمة للبعد عن الدنيا والاعراض عنها ومفارقتها

ومن خطبة له عليه السلام وانقادت له الدنيا والاخرة بازمتها وقذفت اليه السموات والارضون مقاليدها وسجدت له بالغدو والاصال الاشجار الناضرة وقدحت له من قضبانها النيران المضيئة واتت اكلها بكلماته الثمار اليانعة **اقول** المقاليد المفاتيح جمع مقلدة بكسر الميم واليانع من الثمار المدرك وهذا الفصل يشتمل على تمجيد الله سبحانه واظهار عظمة سلطانه فانقياد الدنيا والاخرة له باعتبار دخولها في ذل الامكان والحاجة اليه وقوله وقذفت اليه السموات والارضون مقاليدها كقوله تعالى له مقاليد السموات والارض قال ابن عباس ومقاتل المراد مفاتيح السموات والارض بالرزق والرحمة وقال الليث المقلاد الخزانة ومقاليد السموات والارض خزائنهما اقول لفظ القذف مجاز في تسليمها وانقيادها بوما

الحاجة والامكان الى قدرته مع جميع ما هي سبب في وجوده في هذا العالم تماما من رزق ورحمة الخلق وكذلك لفظ المفاتيح على راي ابن عباس ثم استعار للاسباب المعدة للارزاق والرحمة من تلك الاسباب كحركات السموات واتصالات بعض الكواكب ببعض وكاستعدادات الارض للنبات وغيره ووجه الاستعارة ان هذه الاسباب باعدادها المواد الانسانية تفتح بها خزائن الجود الالهي كما تفتح الابواب المحسوسة عما فيها وكلها مسلمة الى حكمه وجريانها بمشيته وعلى قول الليث فلفظ الخزائن استعارة في موادها استعداداتها ووجه الاستعارة ان تلك المواد واستعداداتها تكون فيها بالقوة والفعل جميع المحدثات من الارزاق وغيرها كما يكون في الخزائن ما يحتاج اليه وسجود الاشجار الناضرة له والاصال خضوعها وذلها تحت قدرته وحاجتها الى جوده وتسبيح قدح النيران اليها لما انها السبب المادي وان كان القدح حقيقة في فعال السبب الفاعلي القريب وجعل ذلك له تعالى لانه الفاعل الاول وقوله واتت الى اخره فالمراد بكلماته اوامره واحكامه فقدرته المعبر عنها بقوله كن واطلاق الكلمات عليها استعارة وجهها نفوذ تلك الاحكام في المحكومات كنفوذ الاوامر القولية في المامورات واراد باتيان الثمار دخولها طوعا في الوجود المعبر عنه بقوله تعالى فيكون وبالله التوفيق والعصمة

منها وكتاب الله بين اظهركم ناطق لا يعيا لسانه وبيت لا تهدم اركانه وعز لا تهزم اعوانه **اقول** هذا الفصل كانه في معرض التوبيخ على ترك اوامر الله ومخالفة احكامه ويشبه ان يكون الواو للحال كانه يقول تفعلون كذا وكتاب الله بين اظهركم ناطق وكونه وكونه بين اظهركم كناية عن وجوده بينهم مع ان من شانه ان يسند اليه واستعار لفظ الناطق للكتاب باعتبار المكتوب يعبر عن المقصود كما ان الناطق كذلك ولفظ اللسان واثره لا يعيا ترشيح للاستعارة كنى بها عن بيان الكتاب على مرور الاوقات ويحتمل ان يريد باللسان نفسه مجازا اذ كان هو لسان الكتاب الذي لا يفتر ولا يقصر عن بيان مقاصده وكذلك استعار لفظ البيت باعتبار كونه حافظا للحافظين والعاملين به كما يحفظ البيت اهله واركانه قواعده الكلية التي يبنى عليها نظام العالم من الاوامر والنواهي والمواعظ والحكم وتلك القواعد لا تكاد تنهدم في وقت من الاوقات اذ الحكم الكلية صالحة لجميع الاوقات وكونه عزا مجاز اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه اذ كان حفظه والعمل به مستلزما للعز الدائم الذي لا يعرض له ذل واعوانه هم الله وملئكته ورسله واولياؤه واولئك اعوان لا خوف عليهم ولا انهزام لجمعهم من امر وبالله التوفيق

علاء

منها ارسله على حين فترة من الرسل وتنازع من الالسن فقفى به الرسل وختم به الوحي فجاهد في الله المدبرين عنه والعادلين به **اقول** فقي به اتبع به من قبله وعرض الفصل الثناء على الرسول صلى الله عليه وآله فقوله ارسله الى قوله الالسن بيان لبعض امارات النبوة فان منها الزمان المتطاول الذي تندرس فيه الشريعة السابقة والقوانين التي بها نظام العالم ويحتاج الخلق الى قوانين مجددة لنظام احوالهم وتجب بعثة رسول وكان الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ستمائة وعشرين سنة ومنها تنازع الالسن واختلاف الخلق في الاراء والمذاهب وقلة الاتفاق على قانون شرعي جامع لهم وقوله وقفى به الرسل كقوله تعالى وقفينا من بعده بالرسل وقوله وختم به الوحي كقوله وخاتم النبيين وهذا الختام مستفاد من الشريعة وليس للعقل في الحكم بانقطاع الرسل فيما بعد مجال بل ذلك من الامور الممكنة عنده والمدبرون عن الله المعرضون عن اتباع اوامره ونواهيه والعادلون به الجاعلون له عديلا وهو الند والمثل كالمشركين تعالى عما يقولون علوا كبيرا ونسبة المجاهدة الى الله تعالى استعارة ووجهها انه تعالى رمى محمدا صلى الله عليه وآله المشركين كما يرمي المجاهد بنفسه واعوانه مجاهديه وبالله التوفيق

منها وانما الدنيا منتهى بصر الاعمى لا يبصر مما وراءها شيئا والبصير ينفذها بصره ويعلم ان الدار وراءها فالبصير منها شاخص والاعمى اليها شاخص والبصير منها متزود والاعمى لها متزود **اقول** الشاخص للتامل والمسافر والشاخص ايضا الذي يرفع بصره الى الشيء ويمده اليه وهذا الفصل مع قلة الفاظه يشتمل على لطائف فالاولى ان الدنيا منتهى بصر الاعمى شيئا واستعار لفظ الاعمى للجاهل كقوله تعالى لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ووجه الاستعارة ان الجاهل لا يدرك بعين بصيرته الحق كما ان الاعمى من البصر لا ابصار واشار بقوله لا يبصر من ورائها شيئا الى جهله باحوال الموت وما بعده من سعادة الاخرة وشقاوتها فان قلت انه اثبت للاعمى العمى واثبت انه يبصر الدنيا وذلك نوع مناقضة قلت انه لما اراد بالاعمى اعمى البصيرة وهو الجاهل استعارة لم يكن في اثبات البصر الحسي له ونظر الدنيا به مناقضة ويحتمل ان يريد ببصره البصر بصيرته استعارة وكان منتهى بصر بصيرة الجاهل التعرف في احوال الدنيا وكيفية تحصيلها والتمتع بها دون ان ينفذه غيرها لما وراءها من احوال الاخرة الثانية قوله والبصير ينفذها بصره استعار لفظ البصير للعالم ونفوذ بصره كناية عن ادراكه ما وراء الدنيا من احوال الاخرة وعلمه انها دار القرار الثالثة قوله فالبصير منها شاخص اي يرحل منها لجعلها طريقا له الى الاخرة والاعمى اليها شاخص اي متطلع اليها بعين بصيرته ووهمه وان كان اعمى عن مصالحه الحقيقية وعن افاتها وطرقها المخوفة وفي هذه الكلمة مع التي قبلها من اقسام البديع التجنيس التام والمطابقة بين الاعمى والبصير الرابعة قوله والبصير منها متزود اي متخذ للزاد الحق المسافر في سفره الى الله تعالى والاعمى لها متزود اي متخذ للذاتها وقيناتها زادا له في قطعها مدة عمره وجعل ذلك هو المراد الحقيقي والكمال الذي ينبغي له وهي في البديع كالتي قبلها وبالله التوفيق

منها واعلموا انه ليس من شيء الا ويكاد صاحبه يشبع منه ويمله الا الحيوة فانه لا يجد في الموت راحة وانما ذلك بمنزلة الحكمة التي هي حياة للقلب الميت وبصر للعين العمياء وسمع للاذن الصماء وري للظمآن وفيها الغنى كله والسلامة كتاب الله تبصرون به وتنطقون به وتسمعون به وينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض ولا يختلف في الله ولا يخالف بصاحبه عن الله قد اصطلحتم على الغل فيما بينكم ونبت المرعى

فانهام
لا يدرك

وتنطقون به

على دمنكم تصافيتم على حب الآمال وتعاديتم في كسب الأموال لقد استهام بكم الخبيث وتاه بكم الغرور والله المستعان على نفسي وأنفسكم
أقول الدمن آثار الناس مما سودوا والجمع دمنة والغل الغش والحقد وقد استعير الحياة لما يتبع منه ويمل ثم علل عدم ملال الجنوة بفقدان
الراحة في الموت قال بعض الشارحين ان فقدان الراحة في الموت مخصوص بأهل الشقاوة في الآخرة فأما أولياء الله وعباده الصالحون فلهم
في الموت الكبرى كما أشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله وقال بعضهم بل يحمل على العموم مراعاة لظاهر
الكلام وذلك من وجهين أحدهما ان بالموت يفوت متجر الآخرة وينقطع الاستعداد لكمال أشرف مما حصل عليه الميت وان كان وليا فلا جرم
لا يجد الراحة التي تحصل له بما يفوته من ذلك الكمال الثاني ان النفوس البشرية لما لم يكن معارفها ضرورية ولم تتمكن مادامت في هذه الأبدان
من الاطلاع على ما بعد الموت من سعادة أو شقاوة فبالضرورة لا تجد لها راحة متصورة في الموت قال وذلك لا ينافي الخبر ليس للمؤمن
راحة دون لقاء الله أما على الوجه الأول فلأن الراحة الحاصلة من الكمال الفائت بالموت لا تحصل له وان حصل على راحة ما بحسب طاعته
السابقة وأما على الثاني فلأن المؤمن لا يجد له مادام في الدنيا راحة في الموت وذلك لا ينافي أن يحصل له الراحة عند لقاء الله كما
نقل ان الحسن عليه السلام لما أن حضره الموت الى الآخرة بكى فقال له أخوه الحسين ع ما لي أراك تكاد تجزع مع يقينك بانك تقدم حيث تقدم
على جدك وأبيك فقال نعم يا أخي لا شك في ذلك الا أني سالك مسلكا لم أسلكه من قبل وأقول ان كان مراده ع بقوله لا يجد في الموت راحة
أي في نفس الموت مع قطع النظر عن غيره من أحوال الآخرة فالحق قول من عمم فقدان الراحة في حق الجميع اذ الموت من حيث هو موت لا راحة
فيه لأحد من الناس كافة وان كان مراده فقدان الراحة في الموت وما بعده فالحق التخصيص بأهل الشقاوة الدائمة فان شدة محبة الحياة
ونقصانها منهما أو بحسب تصور ذلك الراحة في الآخرة ونقصانها وذلك عند اعتبار أهل الدنيا المقبلين عليها بالكلية وأهل الآخرة
المقبلين عليها بالكلية ومن بينهم من طبقات السالكين وقوله وانما ذلك أي الأمر الذي هو أحق بأن لا يمل ولا يشبع منه بمنزلة الحكمة أي
كان بمنزلة الحكمة والحكمة في لسان الشريعة هي العلم النافع في الآخرة وقد يطلق على ما هو أعم من ذلك ثم ذكر لها أوصافا الأول انها حياة
للقلب الميت وقد مر ان القلب في عرف العارفين هي النفس الانسانية واستعار للحكمة لفظ الحياة ووجه المشابهة كون الحياة بها وجود
القلب وبقاؤه كما ان الحكمة بها بقاء الانسان وسعادته في الدارين وكذلك استعار لفظ الميت للقلب الجاهل باعتبار انه غير مطلع على وجوه
مصالحه ومفاسده في الدارين وغير مهتد لانتفاع أو دفع ضرر كالميت الثاني استعار لفظ البصر للحكمة ووصف العمياء للعين الجاهل
ويجوز أن يكون لفظ العين أيضا استعارة في بصيرة الجاهل ويجوز أن يكون المراد حقيقة ووجه الاستعارة الأولى ان بالحكمة يبصر الانسان
مفاسده ويهتدي وجوه مصالحه الدنيوية والأخروية كما يهتدي البصير بعينه وجوه منافعه ومقاصده ووجه الثانية ان بصيرة الجاهل
لا تهتدي لتلك الوجوه كما لا تهتدي العين العمياء الى شيء ووجه الثالثة ان بصر الجاهل تابع لبصيرته فاذا صار أعمى وبصيرته المنوية
الى حس البصر وغيره تابعة لما يتصوره فلما كانت تلك التصرفات غير نافعة في الأكثر بل قد يكون ضارة لا جرم أشبهت عين الباصر التي وقع
بها سوء ذلك التصرف العين العمياء فاستعير لها لفظها وكذلك استعار لفظ السمع ولفظ الصماء للأذن ووجه الاستعارات ما سبق فان
المراد بالسمع ادراك البصيرة والأذن يحتمل أن يراد بها البصيرة استعارة والأذن الحس وكذلك استعار لفظ الري للحكمة ولفظ الظمآن للجاهل
ووجه الأول ان الحكمة تملأ النفس وتجد بها شفاء لها من داء الجهل كما يملأ الماء جوف الظمآن وينقع غلته ويشفي من ألم الظماء ووجه الثانية ان
الجاهل يلحقه ألم الجهل ويكون سببا للموت في الآخرة كما يلحق الظمآن ألم الظماء الثالث أن فيها الغنى كله والسلامة وأراد بالغنى غنى النفس عن
كل شيء وكمالها بها فان غاية الحكمة الوصول الى الحق سبحانه والغرق في بحار معرفته وفي ذلك غنى العارفين عن كل شيء وأراد بالسلامة
سلامة النفوس من عذاب الجهل اذ ثبت في أصول الحكمة انه السبب الأكبر في الهلاك الأخروي وقوله كتاب الله خبر مبتدأ ما أخبر ثان له
وما كان بمنزلة الحكمة خبر أول لمبتدأ محذوف تقديره وهو كتاب الله ويحتمل أن يكون عطف بيان لما كان بمنزلة الحكمة وذكر له أوصافا
الأول قوله تبصرون به اشارة الى اشتمال الكتاب على الحكمة ووجه شبهه بها فان أيضا الجاهلين لمقاصدهم الدنيوية والأخروية لما فيه
من الحكمة الثاني وكذلك تنطقون به الثالث وتسمعون به الرابع قوله ينطق بعضه ببعض أي يفسر بعضه بعضا كالمبين المفسر للمجمل والمقيد
المبين للمطلق والمخصص المبين للعام الخامس ويشهد بعضه على بعض أي يستشهد ببعضه على أن المراد ببعض كذا وهو قريب مما قبله السادس
قوله ولا يختلف في الله أي لما كان مدار الكتاب على بيان القواعد الكلية التي بها يكون صلاح حال نوع الانسان في معاشه ومعاده وكان
غاية ذلك الجذب الى الله سبحانه والوصول الى جواره لم يكن فيه لفظ يختلف في الدلالة على هذه المقاصد بل كله متطابق الألفاظ على
مقصود واحد وهو الوصول الى الحق سبحانه بصفة الطهارة عن نجاسات هذه الدار وان تعددت الأسباب الموصلة الى ذلك المقصود السابع
قوله ولا يخالف بصاحبه عن الله أي لا يجوز بالمهتدين بأنواره في سلوك سبيل الله عن الغاية الحقيقية وهو الله سبحانه وقوله قد اصطلحتم
الى آخره توبيخ للسامعين على ارتكاب رذائل الأخلاق واستعار لفظ الاصطلاح لسكوتهم عن انكار بعضهم على بعض ما يصدر عنه من المنكر
كالغش والحقد والحسد واشتراككم في تلك الرذائل وقوله ونبت المرعى على دمنكم يضرب مثلا للمتصالحين في الظاهر مع غل القلوب فيما بينهم ووجه

مطابقة

ج

مطابقة المثل ان ذلك الصلح سريع الزوال لا أصل له كما يسرع جفاف النبات في الدمن وقوله تصافيتم على حب الآمال اشارة الى وجه الصلح
الذي ذكره ولذلك سقط حرف العطف هنا وقوله وتعاديتم في كسب الأموال اشارة الى وجه الغل الذي أشار اليه أما الأول فلأن الجامع لكم
في الظاهر هو ما يؤمل كل من صاحبه من الانتفاع به أو دفع شره فيما هو بصدده من المأمولات الدنيوية وان انطوى له على غل كما هو المشاهد
في زماننا وأما الثاني فلأن الأحقاد والعداوات أغلب ما تكون على التجاذب لأموال الدنيا وقيناتها وقوله لقد استهام بكم الخبيث
أي اشتد عشقه لكم ولازمكم وأراد بالخبيث ابليس وذلك تنبيه على ما يظهر منهم من آثار وسوسته وملازمتهم لما ينهون عنه
كل قوله وتاه بكم الغرور أي اشتغلكم فتهتم في اشتغالكم عن سواء سبيل الله والغرور هو الشيطان كما قال تعالى ولا يغرنكم بالله
الغرور ثم ختم بالاستعانة بالله تعالى له ولهم على النفوس الأمارة بالسوء أما في حقه ع ففي دوامها مقهورة لعقله وأما في حقهم فقهرها
وقمعها وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** وقد شاوره عمر في الخروج الى غزو الروم بنفسه وقد توكل الله لأهل
هذا الدين باعزاز الحوزة وستر العورة والذي نصرهم وهم قليل لا ينتصرون ومنعهم وهم قليل لا يمتنعون حي لا يموت
انك متى تسر الى هذا العدو بنفسك فتلقهم فتنكب لا تكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم ليس بعدك مرجع
يرجعون اليه فابعث اليهم رجلا محربا واحفز معه أهل البلاء والنصيحة فان أظهر الله فذاك ما تحب وان تكن الأخرى
كنت ردءا للناس ومثابة للمسلمين **أقول** ذلك حين خرج قيصر الروم في جماهير أهلها الى المسلمين وانزوى خالد بن الوليد
فلازم بيته وصعب الأمر على أبي عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة وغيرهما من أمراء سرايا الاسلام والحوزة كل شيء بيضته وجمعته وكنفه
حفظه ولواه والمحرب بكسر الميم الرجل صاحب حروب والحفز الحث والدفع وحفزه ضمه الى غيره وأظهر الله على فلان نصره عليه والردء العون
والمثابة المرجع وقوله وقد توكل الله الى قوله لا يموت صدر لهذه النصيحة والرأي فيه على وجوه التوكل على الله والاستناد اليه في هذا
وخلاصتها انه ضمن اقامة هذا الدين واعزاز حوزة أهله وكنى بالعورة عن هتك الستر في النساء ويحتمل أن يكون استعارة لما يظهر عليهم
من الذل والقهر لو أصيبوا فضمن سبحانه ستر ذلك بافاضة النصر عليهم وهذا الحكم من قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا
وقوله والذي نصرهم الى آخر الفصل احتجاج في هذه الخطابة لبيان يكون تمثيلا والمخصصات التي نصرهم حال قلتهم حي لا يموت
فهو ينصرهم حال كثرتهم فأصل التمثيل هو حال قلتهم وفرعه حال كثرتهم وحكمه النصر وعلة ذلك الحكم هو حياته الباقية التي لا
يعتريها موت وقوله انك متى تسر الى آخره نقض الرأي وخلاصة المشورة بعدم خروجه بنفسه ووجه هذا الرأي يحوز النكبة انها
عند ملاقاة العدو مع انه يومئذ ظهر المسلمين الذين يلجؤون اليه فلو انكسر لم يثبتهم كانفة تقوم بحفظهم ولا جمع يستندون اليه ثم
باخراج من يقوم مقامه من أهل التجربة ممن عرف بكثرة الوقائع والحروب ويتكلون على بصيرة في أمر الحرب وان يضم اليه أهل البلاء أي المجربة
في النصيحة والمجربون في الوقائع ثم استنتج من هذا الرأي أنه ان نصر الله المسلمين فذلك الذي يحب وان تكن الأخرى أي الانكسار
وعدم الانتصار كان للمسلمين ظهر يستندون اليه ومأمن يأوون اليه **ومن كلام له عليه السلام** وقد وقعت مشاجرة بينه
وبين عثمان فقال المغيرة بن الأخنس لعثمان أنا أكفيكه فقال أمير المؤمنين عليه السلام يا ابن اللعين الأبتر والشجرة التي لا أصل
لها ولا فرع أنت تكفيني فوالله ما أعز الله من أنت ناصره ولا قام من أنت منهضه أخرج عنا أبعد الله نواك ثم ابلغ جهدك
فلا أبقى الله عليك ان أبقيت **أقول** هذه المشاجرة كانت في زمن ثوران الفتنة على عثمان في خلافته وكان الناس ينسبونه
اليه والأبتر كل أمر انقطع من الخير أثره والنوى القصد الذي ينويه المسافر من قرب وبعد والنوى لغة في النأي وهو البعد وقد ذم المغيرة
بسقوط الأصل ولعنه واستعار لبنيه لفظ الشجرة وكنى بنفي أصلها وفرعها عن سقوط بيته ودناءته وحقارته في الناس ثم استفهم عما
ادعى من الكفاية له استفهاما على سبيل الانكار والاستحقار له وأفهم أن الله لا يعز من هو ناصره وانما يعز الله من نصره أولياء الله أهل
عنايته ومن لم يعز الله من لطفه كقوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ثم دعا عليه بابعاد
الله مقصده وقوله ابلغ جهدك أي في الأذى فلا أبقى الله عليك ان أبقيت أي لا رعاك ولا رحمك ان راعيتني يقال أبقيت على فلان اذا
راعيته ورحمته **ومن كلام له عليه السلام** لم تكن بيعتكم اياي فلتة وليس أمري وأمركم واحدا اني أريدكم لله وأنتم تريدونني
لأنفسكم أيها الناس أعينوني على أنفسكم وايم الله لأنصفن المظلوم ولأقودن الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق وان كان كارها
أقول الفلتة الأمر يقع بغير تدبر ولا روية والخزامة الحلقة من الشعر في أنف البعير ومفهوم قوله لم تكن بيعتكم اياي فلتة انها لما كانت
عن تدبر واجتماع رأي منكم لم يكن لأحدكم بعدها أن يخالف أو يندم عليها وفيه تعريض ببيعة أبي بكر حيث قال عمر فيها كانت بيعة أبي بكر
فلتة وقى الله شرها وقوله وليس أمري وأمركم واحدا اشارة الى الاختلاف بين حركاته ومقاصدهم ثم بين الفرق بقوله اني أريدكم لله
أي انما أريد طاعتكم لاقامة دين الله واقامة حدوده وأنتم تريدونني لأنفسكم أي لحظوظ أنفسكم من العطاء والتقريب وسائر منافع الدنيا

ثم لما وبخهم بذلك نبههم وطلب منهم الاعانة على نفسه اي بالطاعة له وامتثال اوامره فاقسم لينصفن المظلوم وليقودن الظالم بخزامته واستعار لفظ القود في تذليل الظالم وانقياده للحق ورشح بذكر الخزامة وكذلك استعار لفظ المنهل للحق ووجه الاستعارة كونه موردا يشتفي به الظمآن كما يشتفي به العطشان وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** في معنى طلحة والزبير والله ما انكروا علي منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وانهم ليطلبون حقا هم تركوه ودما هم سفكوه فان كنت شريكهم فيه فان لهم نصيبهم منه وان كانوا ولوه دوني فما الطلبة الا قبلهم وان اول عدلهم للحكم على انفسهم وان معي لبصيرتي ما لبست على نفسي ولا لبس علي وانها للفئة الباغية فيها الحما والحمة والشبهة المغدفة وان الامر لواضح وقد زاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه عن شغبه وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون عنه بري ولا يعبون بعده في حسي **اقول** النصف النصفة والطلبة بكسر اللام المطلوب والحما الطين الاسود المنتن كما قال تعالى من حمإ مسنون ويروى الحما بالالف المقصورة والحمة بضم الحاء وتخفيف الميم بعضها اسم العقرب والمغدفة بالدال والفاء المظلمة يقال اغدف الليل اذا اشتد ظلامه وروي المغدفة بفتح الدال الخفية واصله ان المرأة تغدف وجهها بالقناع وزاح الباطل انحرف ونصابه اصله ومقره ولافرطن لاملان والشغب بالتسكين المشاغبة وتهييج الشر والماتح بنقطتين من فوق المستقي وبنقطتين من تحت الذي يملأ الدلو في البئر والعب الشرب والحسي بكسر الحاء وسكون السين الماء الذي يشربه الرمل فينتهي الى ارض صلبة تحفظه ثم يحفر عنه فيستخرج واعلم ان قوله والله الى قوله ولا لبس علي قد تقدم تفسيره في قوله الا وان الشيطان قد ذمر حزبه وفي فصل قبله برواية اخرى فلا حاجة الى اعادته واما قوله وانها للفئة الباغية فيها الحما والحمة فقال بعض الشارحين في تعريف الفئة بالالف واللام تنبيه على انه كان عنده علم من الرسول صلى الله عليه وآله انه سيبغى عليه فئة من غير تعيين لها فلما خرجت هذه الفئة علم انها اياها وقد سبق ايضا تفسير الحما والحمة على بعض الروايات واما على هذه الرواية فاستعارة للغل والفساد الذي كان في صدور هذه الفئة ووجه الاستعارة استلزامه لتكدير الاسلام واثارة الفتنة بين المسلمين كما تكدر الحماة الماء وتخبثه واستلزامه للاذى والقتل كما يستلزم سم العقرب واشار بالشبهة المغدفة الى شبهتهم في الطلب بدم عثمان واستعار لها وصف الظلمة لعدم اهتداء اكثر الخلق فيها حتى قتلوا ابيها كما لا يهتدى في الليل المظلم وقوله وان الامر لواضح الى قوله شغبه نفي لتلك الشبهة عن نفسه وكلامه فان الحق واضح في حاله لا اصل للباطل فيه ولا لسان يشغب به ولفظ اللسان استعارة والشغب ترشيح لها وباقي الفصل قد تقدم تفسيره ايضا في الفصل المذكور **منها** فاقبلتم الي اقبال العوذ المطافيل على اولادها تقولون البيعة البيعة قبضت كفي فبسطتموها ونازعتكم يدي فجاذبتموها اللهم انهما قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي والبا الناس علي فاحلل ما عقدا ولا تحكم لهما ما ابرما وارهما المساءة فيما املا وعملا ولقد استثبتهما قبل القتال واستانيت بهما امام الوقاع فغمطا النعمة وردا العافية **اقول** العوذ جمع عوذة وهي الناقة الحديثة النتاج والمطافيل جمع مطفل بضم الميم وهي قريبة العهد بالنتاج والتأليب التحريض وابرمت الامر احكمته واستثبتهما بالثاء المثلثة طلبت رجوعهما وثبوتهما على التوبة واستانيت انتظرت وهذا الفصل احتجاج على طلحة والزبير ومن تابعهما على نكث بيعته فقوله فاقبلتم الى قوله فجاذبتموها يجري مجرى صغرى قياس ضمير من الشكل الاول وتلخيصها انكم اجتهدتم علي في طلب البيعة حتى بايعتكم واخذت عهودكم وتقدير الكبرى وكل من اجتهد اجتهادكم الى تلك الغاية فيجب عليه الوفاء بعهده والصغرى مسلمة منهم وبرهان الكبرى الكتاب يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم الاية وقد شبه اقبالهم عليه طالبين للبيعة باقبال مسنات النوق على اطفالها ووجه التشبيه شدة الاقبال والحرص على متابعته وخص المسنات لانها اقوى حنة على اولادها ونصب البيعة على الاغراء وفائدة التكرير في الاغراء تاكيد الامر الدال على شدة الاهتمام بالمامور به وقال بعض الشارحين فائدة التكرار دلالة المنصوب الاول على تخصيص الامر الاول بالحال ودلالة الثاني على تخصيص الامر الثاني بالمستقبل اي خذ البيعة في الحال وخذها للاستقبال قال وكذلك الله في قوله الله الله اي اتقوا الله في الحال واتقوه في الاستقبال واقول ان ذلك غير مستفاد من اللفظ باحد الدلالات وقوله اللهم الى قوله على شكايته الى الله منهما في امور ثلاثة قطع رحمه وظلمهما له بمطالبتهما له بغير حق اما عنده ونكث بيعته ثم جمع الناس على قتاله وقوله فاحلل دعاء عليهما بامور ثلاثة ان يحل ما عقدا من العزوم الفاسدة التي فيها هلاك المسلمين وان لا يحكم ما ابرماه من الاراء في خروجهما وان يريهما المساءة في امالهما واعمالهما اي عكس اغراضهما فيهما واستجابة دعاءه ظاهرة بقتلهما وقوله ولقد استثبتهما الى قوله الوقاع اظهار لعذره من الناس في حقهما قبل وقاع الحرب بما ينبغي في حقهما واستعطافهما الى الرجوع الى الحق واستانيته لهما من ذنبهما في نكث البيعة وقوله فغمطا الى اخره بيان لجوابهم عن اعذاره اليهم وهو مقابلتهم نعمة الله اي قسمها من الفيء بالاحتقار لها والنظر عليها اذ كان احد الاسباب الباعثة لهما على منافرته هو التسوية بينهم وبين غيرهم في العطاء وكذلك مقابلتهم السلامة والعافية من بلاء الحرب والشقاق وهلاك الدين والنفس في عاقبته فعلهما بردهما لها والاصرار على الحرب والمنابذة من غير نظر في عاقبة امرهما وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام يومي فيها الى ذكر الملاحم يعطف الهوى على الهدى اذا عطفوا الهدى على الهوى ويعطف الراي على القران اذا عطفوا القران على الراي **اقول** الاشارة في هذا الفصل الى وصف الامام المنتظر في اخر الزمان الموعود به في الخبر والاثر فقوله يعطف

الهوى على

الهوى على الهدى اي يرد النفوس الجائرة عن سبيل الله المتبعة لظلمات اهوائها عن طرقها الفاسدة ومذاهبها المختلفة الى سلوك سبيله واتباع انوار هداه وذلك اذا ارتدت تلك النفوس عن اتباع انوار هدى الله في سبيله الواضح الى اتباع اهوائها في اخر الزمان وحين ضعفت الشريعة وزعمت ان الحق والهدى هو ذلك وكذلك قوله ويعطف الراي على القران اذا عطفوا القران على الراي اي يرد على راي غيره الى القران فيحملهم على ما وافقه منها دون ما خالفه وذلك اذا تاول الناس القران وحملوه على ارائهم وردوه الى اهوائهم كما عليه اهل المذاهب المتفرقة من فرق الاسلام كل على ما خيل اليه وكل يزعم ان الحق الذي يشهد به القران هو رايه وانه لا حق وراه سواه وبالله التوفيق **منها** حتى تقوم الحرب بكم على ساق باديا نواجذها مملوءة اخلافها حلوا رضاعها علقما عاقبتها الا وفي غد وسياتي غد بما لا تعرفون ياخذ الوالي من غيرها عمالها على مساوي اعمالها وتخرج له الارض افاليذ كبدها وتلقي اليه سلما مقاليدها فيريكم كيف عدل السيرة ويحيي ميت الكتاب والسنة **اقول** اخلاف الناقة حلمات ضرعها والافاليذ جمع الجمع لفلذة وهي القطعة من الكبد وجمعها فلذ فقوله حتى تقوم الحرب بكم على ساق الى قوله عاقبتها كانه غاية لتخاذلهم عن طاعته في ايام الحرب ولقاء العدو كانه يقول انكم لا تزالون متخاذلين متقاعدين حتى يشتد العدو ويقوم بكم الحرب على ساق وقيامها على الساق كناية عن بلوغها الغاية في الشدة وبدو نواجذها كناية عما يستلزم من الشدة والاذى وهو من اوصاف الاسد عند غضبه لانه حاول ان يستعير لها لفظ الاسد فاتى بوصفه وقال بعض الشارحين بدو النواجذ في الضحك اي تبلغ بكم الحرب الغاية كما ان غاية الضحك ان تبدو النواجذ وهي اقصى الاضراس فكنى بذلك عن امتلائها وهذا وان كان محتملا الا ان الحرب مظنة اقبال الغضب لا اقبال الضحك فكان الاول انسب وكذلك قوله مملوءة اخلافها استعارة لوصف الناقة للحال استعداد الحرب واستكمالها عدتها ورجالها كاستكمال ضرع الناقة اللبن وقوله حلوا رضاعها استعارة لوصف المرضع لها وكنى بحلاوة رضاعها عن اقبالها لاهل النجدة في اول الحرب عليها فكل منهم يحب ان يتاجر فيها ويستحلي مقابلته كما يستحلي الراضع لبن امه وكذلك استعار لفظ العلقم لعاقبتها ووجه الاستعارة المشابهة بين المرارتين الحسية والعقلية والمنصوبات الاربعة باديا ومملوءة وحلوا وعلقما احوال والمرفوعات بعد كل منها فاعل وانما ارتفع عاقبتها عن علقما مع انه اسم صريح لقيامه مقام اسم الفاعل كانه قال مرة عاقبتها وقوله الا وفي غد اخبار عن بعض الامور التي ستكون وقوله وسياتي غد بما لا تعرفون المراد به تعظيم شان الموعود بمجيئه وبيان لفضيلته بعلم ما يجهلونه وهو جملة اعتراضية كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران كريم فقوله وانه لقسم اعتراض وقوله ياخذ الوالي من غيرها عمالها ذيبه ان يكون قد سبقه ذكر طائفة من الناس ذات ملك وامرة فاخبر ان الوالي من غير تلك الطائفة ويومي به الى الامام المنتظر يأخذ عمالها على مساوي اعمالها اي يواخذهم بذنوبهم وقوله وتخرج الارض افاليذ كبدها استعار لفظ الكبد لما في الارض من الكنوز والخزائن ووجهها مشابهة الكنوز للكبد في العزة والخفاء ورشح بذكر الافاليذ وقد عبر عن ذلك في الخبر بقوله ومن لفظه وقاءت له الارض افلاذ كبدها وفسر بعضهم قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها بذلك فاما كيفية ذلك الاخراج فقال بعض المحققين هو اشارة الى ان جميع ملوك الارض تسلم اليه فيقال مما لكها طوعا وكرها وتحمل اليه الكنوز والذخائر واسند الاخراج الى الارض مجازا لان المخرج اهلها واستبعد ان تكون الارض بنفسها هي المخرجة لكنوزها ولاهل الظاهر ان يقولوا ان المخرج يكون هو الله تعالى ويكون ذلك من معجزات الامام ولا مانع وقوله وتلقي اليه سلما مقاليدها اسند ايضا لفظ الالقاء الى الارض مجازا لان الملقي للمقاليد مسالما هو اهل الارض وكنى بذلك عن طاعتهم وانقيادهم اجمعين لاوامره ونواهيه وحكمه وسلما مصدر سد مسد الحال ثم اخبر انه سيريهم عدل سيرته وانه يحيي ميت الكتاب والسنة ولفظ الميت استعارة لما ترك منهما فانقطع اثره والانتفاع به كما ينقطع اثر الميت فان قلت قوله فيريكم يدل على ان المخاطبين يبعد كون المخبر عنه يبرون عدله مع انكم قلتم انه يكون في اخر الزمان فكيف وجه ذلك قلت خطاب للحاضرين من الامة كالعام لكل الامة وذلك كسائر خطابات القران الكريم مع الموجودين في عصر الرسول فانه يتناول الموجودين الى يوم القيمة ثم يخرج المخاطبون بدليل العادة اذ من عادتهم ان لا تمتد اعمارهم الى وقت ظهوره فيبقى الموجودون في زمانه وبالله التوفيق **منها** كاني به قد نعق بالشام وفحص براياته في ضواحي كوفان فعطف عليها عطف الضروس وفرش الارض بالرؤس قد فغرت فاغرته وثقلت في الارض وطاته بعيد الجولة عظيم الصولة والله ليشردنكم في اطراف الارض حتى لا يبقى منكم الا قليل كالكحل في العين فلا تزالون كذلك حتى تؤوب الى العرب عوازب احلامها فالزموا السنن القائمة والاثار البينة والعهد القريب الذي عليه باقي النبوة واعلموا ان الشيطان انما يسني لكم طرقه لتتبعوا عقبه **اقول** نعق الغراب ونعق الراعي بغنمه بالعين والغين صاح وفحص المطر التراب قلبه والفحص البحث وكوفان اسم للكوفة وضواحيها البارزة والضروس الناقة السيئة الخلق تعض حالبها وفغرت فاغرته انفتح فوه واكد الفعل بذكر الفاعل من لفظه ويسني يسهل والعقب بكسر القاف مؤخر القدم واخبر في هذا الفصل انه سيظهر رجل بهذه الصفات قال بعض الشارحين هو عبد الملك بن مروان وذلك لانه ظهر بالشام حين جعله ابوه الخليفة من بعده وسار لقتال مصعب بن الزبير الى الكوفة بعد ان قتل مصعب المختار بن ابي عبيدة الثقفي فالتقوا بارض مسكن بكسر الكاف من نواحي الكوفة ثم قتل مصعبا ودخل الكوفة فبايعه اهلها وبعث الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن الزبير بمكة فقتله وهدم الكعبة وذلك سنة ثلث وسبعين من الهجرة وقتل خلقا عظيما من العرب في وقايع عبد

الرحمن بن الاشعث ورمى الناس بالحجاج بن يوسف ولنا الفصل لطايف الاولى اطلق لفظ التيوس لظهور اوامره ودعوته بالشام مجازا وكك استعار
لفظ الفحص لقلبه اهل الكوفة بعضهم على بعض وتفحصه لاحوالهم التي كانوا عليها ثم شبه عطفه وحمله عليها بعطف الناقة الضروس ووجه الشبه
شدة الغضب والحنق والاذى الحاصل منهما الثانية فرشه الارض بالرؤس كناية عن كثرة القتل فيها وذلك مما يشهد به التواريخ وفغر فيه استعار [قبله]
لبعض اوصاف السبع الضاري كنى به عن شدة اقدامه على القتل واقباله على الناس بشدة الغضب والاذى وكك ثقل وطاته في الارض
كناية عن شدة باسه وتمكنه في الارض الثالثة بعد جولته كناية عن اتساع ملكه وجولان خيله ورجاله في البلاد البعيدة وبعيد
عظيم حالان ومن روى بالرفع فهما خبر مبتداء محذوف الرابعة لما فرغ من صفات الغاشم بين لهم ما سيفعله معهم من التشريد
والطرد في اطراد البلاد واكد ذلك بالقسم البار وذلك اشارة الى ما فعله عبد الملك ومن ولى الامر من ولده في بقايا الصحابة
والتابعين واحوالهم معهم في الاستئصال والاحتقار والطرد والقتل ظاهرة وشبه البقية منهم بالكحل الذي يكون في العين من الكحل
ووجه التشبيه الاشارة الى القلة الخامسة اخبرهم لابتلائهم بالحال الموصوف مع عبد الملك ومن بعده من ولده حتى
يعود الى العرب عوازب احلامها اي ما كان ذهب من عقولها العاملة في نظام احوالهم والعرب هم بنو العباس ومن معهم من العرب ايام
ظهور الدولة كقحطبة بن شبيب الطائي وابنيه حميد والحسن وكبني رزيق ابي طاهر بن الحسين واسحق بن ابرهيم المصعبي وعدادهم في
خزاعة وغيرهم من العرب من شيعة بني العباس وقيل ان ابا مسلم اصله عربي وكل هؤلاء مستضعفين مقهورين في دولة [كانوا]
بني امية لم ينهض منهم ناهض الى ان اتاه الله نعمه عليهم بما كان عزب عنهم من حميتهم فغاروا للدين وللمسلمين من جور بني مروان واقاموا
الامر وازالوا تلك الدولة فان قلت ان قوله يؤب يدل على ان انقطاع تلك الدولة بظهور العرب وعود عوازب احلامها وعبد الملك
مات وقامت بنوه بعده بالدولة ولم يزل الملك عنه بظهور العرب فاين فائدة الغاية قلت ان تلك الغاية ليست غاية لدولة عبد
الملك بل غاية من كونهم لا يزالون مشردين في البلاد وذلك لانفها وان كان اصله من عبد الملك الا انه استمر في زمن اولاده الى
حين انقضاء دولتهم فكانت غايته ما ذكر وقال بعض الشارحين في الجواب ان ملك اولاده ملكه ومازال الملك عن بني مروان حتى
الى العرب عوازب احلامها وهذا جواب من لم يتدبر كلامه ولم يتتبع الفاظ الفصل حتى يعلم ان هذه الغاية لاي شئ منه فليحفظها
ثم امرهم بلزوم سنن الله ورسوله القائمة فيهم من بعده واثاره البينة فيهم وعهده القريب منهم ونبيه ووجه عليهم ذلك الامر في الحال وعند
نزول تلك الشدائد بهم اي اذا نزل بكم منه ما وصف فلتكن وظيفتكم لزوم ما ذكرت ثم نبههم على ما في سهولة المعاصي وفي تسهيل نفوسهم
الامارة بالسوء عليهم طرق المحارم من الحذر وهو ان تنقاد لها النفوس الغافلة فتضلها عن سبيل الله ويقودها الضلال الى الهلاك
الاخروي وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** وقت الشورى لن يسرع احد قبلي الى دعوة حق وصلة رحم وعائدة كرم فاسمعوا
قولي وعوا منطقي عسى ان تروا هذا الامر من بعد هذا اليوم تنتضى فيه السيوف وتخان فيه العهود حتى يكون بعضكم ائمة
لاهل الضلالة وشيعة لاهل الجهالة **اقول** هذا من جملة كلام قاله لاهل الشورى وقد ذكرنا طرفا من اخبارها فقوله لن يسرع
احد الى قوله تقرير لفضيلته ليسمع قوله ولذلك قوله قال بعده فاسمعوا قولي وعوا منطقي وذكر فضائل ثلثا الدعوة الى الحق الذي
لن يسارعه احد اليها الا سرعه وهي ثمرة العدل وصلة الرحم وعائدة الكرم وهما فضيلتان تحت ملكة العفة والذي امرهم بسماعه هو التنبيه
على عاقبة امرهم الخلافة وما يقع فيها من الهرج والمرج بعدهم بناء على ما حضر من الخبط والاختلاط فيها فكانه يقول اذا كان حال هذا
الامر هذه الحال من الخبط ومجاذبة من لا يستحقه والتغلب به على اهله فعسى ان تروه بعد هذا اليوم بحال يختصم الناس فيه بالسيوف [لم يستحقه]
وتخان فيه العهود وهو اشارة الى ما علم من حال البغاة والخوارج عليه والناكثين لعهد بيعته فقوله حتى يكون بعضهم ائمة لاهل
الضلالة وشيعة لاهل الجهالة غاية للتغالب على هذا الامر واشار بالائمة الى طلحة والزبير وباهل الضلالة الى اتباعهم وباهل الجهالة
الى معوية ورؤساء الخوارج وسائر امراء بني امية وبشيعة اهل الجهالة الى اتباعهم وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم**
في النهي عن غيبة الناس وانما ينبغي لاهل العصمة والمصنوع اليهم في السلامة ان يرحموا اهل الذنوب والمعصية ويكون الشكر هو الغالب
عليهم والحاجز لهم عنهم فكيف بالعائب الذي عاب اخاه وعيره ببلواه اما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه مما هو اعظم من الذنب الذي عابه
به وكيف يذمه بذنب قد ركب مثله فان لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه مما هو اعظم منه وايم الله لئن لم يكن [ذلك به]
عصاه في الكبير وعصاه في الصغير لجرأته على عيب الناس اكبر يا عبد الله لا تعجل في عيب احد بذنبه فلعله مغفور له ولا تأمن على نفسك
صغير معصية فلعلك معذب عليه فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه وليكن الشكر شاغلا له على معافاته مما ابتلي به غيره **اقول** [احد]
اهل العصمة هم الذين اعانهم الله سبحانه على قهر نفوسهم الامارة بالسوء حتى صارت اسيرة في ايدي نفوسهم العاقلة فحصلوا من ذلك [امعانانه]
على ملكة ترك الذنوب والانزجار عن ولوج ابواب المحارم واولئك هم الذين اصطنع الله اليهم السلامة من الانحراف عن سبيله و
الوقوع في مهاوي الهلاك فنبههم اولا على ما ينبغي لهم وهو ان يرحموا اهل الذنوب وحصول تلك الرحمة منهم باعتبارهم حال العصاة وتوهم

في مهاوي

١٩ ج

في مهاوي الهلاك ومن عادة عباد الله الرحمة لمن يرونه في مهلكة بانقاذه واعانته على الخروج منها وان يكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم وذلك
باعتبارهم عند مشاهدة اهل المعاصي لما انعم الله به عليهم من اعانته لهم على قهر شياطينهم التي هي مواد الذنوب وقوله فكيف بالعائب شروع في تنبيه
من هو دون اهل العصمة ممن يرتكب كبيرة او صغيرة على ما ينبغي له من ترك الغيبة فكانه قال فهذا هو ما ينبغي لاهل العصمة فكيف يليق بغيرهم
ممن يعيب اخاه ويعيره ببلواه بل ينبغي لمثله ان يترك الغيبة ويشكر الله بالطريق الاولى وذلك باعتبار ستر الله عليه من ذنوبه ما هو اعظم
مما عير اخاه به وذلك نعمة الله يجب شكره عليها واشار بموضع ستر الله عليه الى النعمة المصطنعة عنده وهي تاهيله واعداده له والاستفهام على
سبيل الانكار اخذ يتعجب من ذم العائب لاخيه من ذنب هو في صورة تحتاج عليه في ارتكابه لهذا الذنب وذلك قوله وكيف يذمه
الى قوله ما عند الله فكانه يقول لا يجوز لاحد ان يعيب اخاه لانه اما ان يكون بذنب قد ركب العائب مثله او اكبر منه او اصغر فان كان
بذنب قد ركب مثله او اكبر كان له في عيبه لنفسه شغل عن عيب غيره وان كان ارتكب اصغر منه فهو ممنوع على تقدير جرأته على الغيبة وقصده
عنه لانها من الكباير وانما قال هي اكبر عند الله اما مبالغة واما لان المفاسد التي تشتمل عليها ارتكاب ساير المنهيات جزئية ومفسدة
الغيبة كلية لانه لما كان من المقاصد المهمة للشارع اجتماع النفوس على هم واحد وطريقة واحدة وهي سلوك سبيل الله بسائر وجوه الاوامر
والنواهي ولن يتم ذلك الا بتعاون هممهم وتصافي بواطنهم واجتماعهم على الالفة والمحبة حتى يكونوا بمنزلة عبد واحد في طاعة مولاه ولن
يتم ذلك الا بنفي الضغاين والاحقاد والحسد ونحوه وكانت الغيبة من كل منهم لاخيه مثيرة لضغنه ومستدعية منه مثلها في حقه لاجرم
كانت ضد المقصود الكلي للشارع فكانت مفسدة كلية ولذلك اكثر الله تعالى ورسوله من النهي عنها كقوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا حتى
استعار لما يفترضه العائب من عرض اخيه لفظ اللحم وزاده تقبيحا وتكريها بصفة الميت فقال ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا وقال صلعم اياكم
والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل يزني فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وعنه صلعم مررت ليلة اسري بي
فرايت قوما يخمشون وجوههم باظافيرهم فسالت جبرئيل عنهم فقال هؤلاء الذين يغتابون الناس وفي حديث البراء بن عازب خطبنا رسول الله
حتى اسمع العواتق في بيوتهن فقال الا لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فمن تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه
في جوف بيته ثم نهى عن الاستعجال والتسرع الى العيب ونبه على وجوب ذلك الانتهاء باحتمال ان يكون الذنب الذي يعيب اخاه به مغفورا وان كان [الانتهاء عن]
كبيرا وذلك لاحتمال ان يكون حالة له تمكن من جوهر نفسه ونهى عن ان يامن على نفسه صغير معصية يرتكبها لاحتمال ان يعذب عليها لسببية وقوعها
ملكة متمكنة من جوهر نفسه ثم عاد الى الامر بالكف عن العيب باعتبار ما يعلم الانسان من عيب نفسه وان يكون الشكر لله دابه على السلامة من التورط
في مورد الهلكة الذي سلكه صاحب الذنب وابتلاه الله به واعلم ان تعريف الغيبة يعود الى ذكر الانسان بما يكره نسبته اليه مما يعد نقصانا
في العرف ذكرا على سبيل قصد الانتقاص والذم سواء كان ذلك النقصان عدم كمال بدني كالعور والعمى او نفسانيا كالجهل والشره والظلم او عدم
كمال من خارج كسقوط الاصل ودناءة الاباء واحترزنا بالقيد الاخير في تعريفها وهو قصد الانتقاص عن ذكر العيب للطبيب مثلا او لاستدعاء
الرحمة من السلطان في حق الزمن والاعمى بذكر نقصانهما ثم الغيبة قد تكون باللسان وهي الحقيقية وقد تكون بالاشارة وغيرهما من ساير
ما يعلم به انتقاص اخيك والتنبيه على عيبه ويلحق بها مجازا لقيامها مقام الغيبة ولها اسباب غائية احدها شفاء الغيظ فان الانسان
كثيرا ما يشفي غيظه بذكر مساوي من غاظه الثاني المباهاة والتفاضل كما يقول من يتعاطى الانشاء والشعر كلام فلان ركيك وشعره بارد
الثالث اللعب والهزل وتزجية الوقت فيذكر غيره بما يضحك الحاضرين الرابع ان يستشعر من غيره انه سيذمه عند السلطان مثلا فيقصد
بذكر مساويه ليسقط شهادته عنده عليه وقد تكون لها غايات اخر وقد وردت الرخصة في غيبة الفاسق المتجاهر بفسقه كالخمار والمخنث و
العشار الذي ربما يفتخر بعيبه ولا يستحيي منه قال النبي صلعم من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له لكن تركها الى السكوت اولى وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلم ايها الناس من عرف من اخيه وثيقة دين وسداد طريق فلا يسمعن فيه اقاويل الرجال اما انه قد يرمي
الرامي وتخطئ السهام ويحيك الكلام وباطل ذلك يبور والله سميع وشهيد اما انه ليس بين الحق والباطل الا اربع اصابع فسئل [يحيل له]
عليه السلم عن معنى قوله هذا فجمع اصابعه ووضعها بين اذنه وعينه ثم قال الباطل ان تقول سمعت والحق ان تقول رايت **اقول**
احاك الكلام يحيك اذا عمل واثر وكك حاك وروي يحيل ان يبطل ولا يصيب هذا الفصل نهى عن التسرع الى التصديق بما يقال في حق
مستور الظاهر المشهور بالصلاح والتدين من العيب القادح في دينه وهو نهي عن سماع الغيبة هذا بعينه عنها نفسها واليها الاشارة بقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ثم نبه على جواز الخطا على المتسرعين
الى الغيبة بالمثل فقال اما انه قد يرمي الرامي وتخطئ السهام ووجه مطابقة هذا المثل ان الذي يرمي بعيب قد يكون بريا منه فيكون الكلام
في حقه غير مطابق ولا صائب كما لا يصيب السهم الذي يخطئ الغرض وعلى الرواية بالكاف ويحيك الكلام اي ان السهم قد يخطئ
فلا يوثر والكلام يوثر على كل حال وان لم يكن حقا فانه يسود العرض ويلوثه في نظر من لا يعرفه وقوله وباطل ذلك يبور والله سميع وشهيد
يجري مجرى التهديد به وتحقير ثمرة ذلك القول الكاذب الذي لا ينفع من مال او جاه ونحوهما بالنسبة الى عظم عقوبة الله وغضبه الباقي فان

سمعه وشهادته متلازمان لعصمته المستلزمة لعدم تبدله وقوله اما انه ليس بين الحق والباطل الا مقدار اربع اصابع فتفسير الفعل المذكور بقوله
ذلك الفعل هو قوله الباطل ان يقول سمعت والحق ان يقول رايت ثم ههنا لطيفتان فالاولى ان قوله الباطل ان يقول سمعت لا ينبغي
الكلية حتى يكون كل ما سمعه باطلا فان الباطل والمسموع مهملات الثانية ان الحق ليس هو قوله رايت بل المرئي له والباطل هو قوله سمعت
بل القول المسموع له وانما قوله رايت وسمعت اخبار عن وصول المرئي الى بصره والمسموع الى سمعه فاقام هذين الخبرين مقام المخبر عنهما مجازا
وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** وليس لواضع المعروف في غير حقه وعند غير اهله من الحظ فيما اتى الا محمدة اللئام وثناء
الاشرار ومقالة الجهال ما دام منعما عليهم ما اجود يده وهو عن ذات الله بخيل فمن اتاه الله مالا فليصل به القرابة وليحسن
منه الضيافة وليفك به الاسير والعاني وليعط منه الفقير والغارم وليصبر نفسه على الحقوق والنوائب ابتغاء الثواب
فان فوزا بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الاخرة ان شاء الله **اقول** لما كان لواضع المعروف سواء كان في
اهله او غير اهله ثناء من الناس ومدح له بالكرم والبذل كان تمايزه به وضعه في غير اهله عن وضعه في اهله ان الاول انما يحصل
بواضعه الحمد من لئام الناس اي سفلة الاصول والسفهاء والاشرار والجهال لعدم معرفتهم بوضع الاشياء في مواضعها التي
هي مقتضى العقل الذي به نظام امور الدنيا وقوام نوع الانسان في الوجود مع انه في الحقيقة وعند اولي الالباب العارفين بمواقع
المعروف بخيل في جنب الله تعالى واما الثاني فيحصل له المحمدة من الكل في الدنيا محمدة مطابقة للحق مع الثواب الجزيل في الاخرى فلا جرم
اشار الى الاول بقوله فليس لواضع المعروف الى قوله وهو عن ذات الله بخيل وقوله ما اجود يده متعلق بمقالة اي ذلك هو الامر
الذي يقولونه ما دام منعما عليهم وانما قيد بهذا القيد لان الجاهل قد يعتقد ان ما يبدى اليه حق له فربما دام حمده بدوام ذلك
الانعام لكن ينقطع بانقطاعه واما الجاهل الشرير فكثيرا ما يعتقد ان ما يبدى اليه لشره وخوف اذاه فربما ينكر المنعم ما دام منعما حتى اذا
انقطع انعامه جعل شره عوض شكره استجلابا لذلك الانعام المنقطع واستعادة له واما الثاني فنبه اولا على مواضع المعروف وامر
بوضعه فيها وذكر منها خمسة الاول صلة الرحم الثاني حسن الضيافة الثالث فك الاسير وهو العاني وانما اختلف اللفظ والرابع اعطاء
الفقير والغارم وهو من عليه دين الخامس الحقوق الواجبة على اهلها كالزكوة والمستحبة كالصدقات واشار بالنوائب الى ما يلحق الانسان
من المصادرات والالزامات التي يفك بها الانسان ايدي الظالمين والسنتهم والانفاق في ذلك من الحقوق الواجبة على الانسان
والفضائل المحمودة [illegible] فضيلة الكرم والاشارة الى ذلك بقوله فمن اتاه الله الى قوله ابتغاء الثواب ونبه بهذه الغاية على المعقول
له على ان الانفاق في هذه الوجوه انما يكون وضعا للمعروف في موضعه اذا قصد به وجه الله تعالى فاما اذا قصد به الرياء والسمعة فهو وان
عد في ظاهر الشرع مجزيا الا انه غير مجز ولا مقبول في باطنها ثم اشار بقوله فان فوزا بهذه الخصال الى اخره الى ما يتميز به وضع المعروف في
اهله وهو مكارم الدنيا من الذكر الجميل بين الناس والجاه العريض ودرك فضائل الاخرة وهي درجات الثواب الجزيل الموعود شرفه
الفضائل النفسانية وانما نكر الفوز لان تنكيره يفيد نوع الفوز فقط الذي يحصل باي شخص كان من اشخاصه وهذا وان كان حاصلا
مع الالف واللام لتعريف تلك الطبيعة الا ان ذلك التعريف مشترك بين تعريف الطبيعة والمعهود الشخصي موهما الفوز الشخصي ولذلك كان الاتيان
به منكرا افصح وابلغ وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** في الاستسقاء الا وان الارض التي تقلكم والسماء التي تظلكم مطيعتان تحملكم ز
لربكم وما اصبحتا تجودان لكم ببركتهما توجعا لكم ولا زلفة اليكم ولا لخير ترجوانه منكم ولكن امرتا بمنافعكم فاطاعتا و
اقيمتا على حدود مصالحكم فقامتا ان الله يبتلي عباده عند الاعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات واغلاق خزائن
الخيرات ليتوب تائب ويقلع مقلع ويتذكر متذكر ويزدجر مزدجر وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سببا لدرور الرزق
ورحمة الخلق فقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين فرحم الله امرءا استقبل
توبته واستقال خطيئته وبادر منيته اللهم انا خرجنا من تحت الاستار والاكنان وبعد عجيج البهائم والولدان راغبين اليك
في رحمتك وراجين فضل نعمتك وخائفين من عذابك ونقمتك اللهم فاسقنا غيثك ولا تجعلنا من القانطين ولا تهلكنا
بالسنين ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا يا ارحم الراحمين اللهم انا خرجنا اليك نشكو اليك ما لا يخفى عليك
حين الجأتنا المضايق الوعرة واجاءتنا المقاحط المجدبة واعيتنا المطالب المتعسرة وتلاحمت علينا الفتن المستصعبة اللهم
انا نسألك ان لا تردنا خائبين ولا تقلبنا واجمين ولا تخاطبنا بذنوبنا ولا تقايسنا باعمالنا اللهم انشر علينا غيثك وبركتك
ورزقك ورحمتك واسقنا سقيا نافعة مروية معشبة تنبت بها ما قد فات وتحيي بها ما قد مات نافعة الحيا كثيرة المجتنى
تروي بها القيعان وتسيل البطنان وتستورق الاشجار وترخص الاسعار انك على ما تشاء قدير **اقول** اقلع عن خطيئته المثاور
اذا رجع عنها وتاب والمثاور المواثب والزلفة القربى والواجم الذي اشتد حزنه حتى سكت من الكلام والنافعة المروية والقيعان
جمع قاع وهو المستوي من الارض والبطنان جمع البطن وهو المنخفض من الارض واعلم انا بينا فيما سبق ان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع
ولا

من جهته وانما

١٩ ح

من جهته وانما يكون منع الكمالات في هذه الوجوه بعدم الاستعدادات لها فكل مستعد لامر ملاق له وفائض عليه اذا عرفت ذلك فاعلم انه
عليه السلام صدر هذا الفصل بتنبيه العباد على وجوب الاستعداد لرحمة الله التي ارتفعت عنهم بحبس المطر ونبه في قوله الا وان الارض الى قوله
[illegible] منبهتهم وكلا في ذلك لتصل على ان الارض التي هي كالام للنبات والزرع والسماء التي هي كالاب مطيعتان لربهم واشار بالسماء
الى السحاب والى السموات لكونها بحركاتها اسبابا معدة لكل ما في هذا العالم من الحوادث واشار بطاعتهما الى دخولهما تحت حكم القدرة
الالهية واشار بقوله وما اصبحتا الى قوله ترجوانه منكم الى لطيفة وهي ان الحوادث الحادثة في هذا العالم من العالميات ليست مقصودة
بالذات لها فيكون ذلك منها لاجل توجع للناس ولا لاجل قرابة ومنزلة بينهم وبينها ولا لخير ترجوانه منهم كما هو المتعارف من منافع
الناس بعضهم لبعض لان السموات والارض غنية عنها لكن لما كانت السموات متحركة دائما طلبا لكمالاتها اللائقة بها واشباهها جل
وعلا ومسخرة بامره عرض عن هذه الحركات والاتصالات اعداد الارض لقبول النبات والزرع ووجود الحيوانات التي هي ارزاقها بها
قوام وجودها فكانت مصالح هذه الحيوانات منوطة بتلك الحركات وجارية على وفقها باذن المدبر الحكيم سبحانه والى ذلك اشار العزيز ز
بقوله ولكن الى قوله فقامتا وغرضه مما سبق الى ههنا ان يقرر في النفوس عظمة الله سبحانه وان الارزاق واسبابها منسوبة اليه ومنه
حتى تتوجه النفوس اليه بالاقلاع عن الذنوب التي هي حجب لها عن افاضة الرحمة عليها منه ثم بين بعد ان الله سبحانه انما يفعل ما يفعل
من نقص الثمرات وحبس البركات واغلاق خزائن الخيرات عن الخلق عند اعمالهم السيئة ابتلاء لهم كقوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع
ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين وقد علمت معنى ابتلائه لهم ثم بين ان غاية العناية الالهية من ذلك الابتلاء رفع
حجب النفوس التي هي الذنوب والمعاصي واستعدادها بذلك لقبول رحمة الله بالتوبة والاقلاع منها والازدجار عنها والتذكر للمبدأ
الاول وجلية عظمته وما اعد لاوليائه الابرار في دار القرار ولاعدائه الاشرار في دار البوار ثم بين لهم ان الله سبحانه جعل الاستغفار سببا
لدرور الرزق والرحمة ولما كان الاستغفار هو طلب غفر الذنوب وسترها على العبد ان يفتضح بها وذلك مما يكون بمحوها من لوح نفسه
لا جرم كان المستغفر المخلص ماحيا لخطيئته باستغفاره عن لوح نفسه وبذلك يكمل استعداده لافاضة رحمة الله عليه في الدنيا بانزال البركات
وفي الاخرة برفع الدرجات والى ذلك الاشارة بالشاهد العدل وهو قوله تعالى فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الاية
وقوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض الاية وقوله ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم
من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقوله وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا ثم دعا لمن استقبل توبته وشرع في
الاستعداد بها ولمن استقال خطيئته اي طلب الاقالة من الزام بعاقبتها وتبعتها وهو العقاب عليها والمؤاخذة بها ولمن واثب منيته وعاجلها
قبل ادراكها له بالتوبة كل ذلك تنبيه على الاستعداد وطلب منهم ذلك بابتغاء المطلوب به ومنه ولفظ الاقالة استعارة ووجهها ان المخطئ كالعاقد
والملتزم لعقاب اخروي بلذة عاجلة لما علم من استلزام تلك اللذة المنهي عنها للعقاب فهو يطلب الاقالة من تلك المعاهدة كما يطلب المشتري المعاصي له
الاقالة من البيع وقوله اللهم الى اخره لما قدم الامر بالاستعداد لرحمة الله رجع الى استنزالها عليهم فقدم في الدعاء ما عادته ان يقدم بين
يدي الملوك من الكلام المرقق للطباع والموجب للعطف والرحمة فذكر الخروج من تحت الاستار والاكنان التي ليس من شانها ان يفارق
الا لضرورة شديدة وكذلك عجيج البهائم والولدان ولضمانها الرغبة بالبكاء وذكر الغاية من ذلك وهي الرغبة في رحمته والرجاء لفضل
نعمته والخوف من عذابه ونقمته وهذه جهات [illegible] ثم سال بعد ذلك المطالب [illegible] السقيا وعدم الهلاك بالجدب وان لا يؤاخذهم بافعال
السفهاء من المعاصي المبعدة عن رحمته كقوله تعالى حكاية عن موسى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ثم عاد الى ذكر شكوى الجدب بذكر اسبابها الحاملة عليها
ليكون ادوم للعطف والمقحط اما [illegible] القحط او سنى القحط وظاهر كون الجوع والعري وسائر المصائب عن القحط فتنة اي ارق للقلوب مما يراد
بها ثم عاد الى طلب اجابة دعائه وقوله ولا تخاطبنا بذنوبنا ولا تقايسنا باعمالنا اي لا تجعل فعلك بنا مقايسا لاعمالنا السيئة ومشابها
لها ومساويا مثلها ثم عاد الى طلب انواع ما طلب منه سبحانه باتم ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي الى اخره وهو ظاهر وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**
بعث رسله بما خصهم به من وحيه وجعلهم حجة له على خلقه لئلا تجب الحجة لهم بترك الاعذار اليهم فدعاهم بلسان الصدق الى سبيل
الحق الا ان الله قد كشف الخلق كشفة لا انه جهل ما اخفوه من مصون اسرارهم ومكنون ضمائرهم ولكن ليبلوهم ايهم احسن عملا فيكون
الثواب جزاء والعقاب بواء اين الذين زعموا انهم الراسخون في العلم دوننا كذبا وبغيا علينا ان رفعنا الله ووضعهم واعطانا وحرمهم
وادخلنا واخرجهم بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى ان الائمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح
الولاة من غيرهم **اقول** هذا الفصل منافرة بينه وبين جمع من الصحابة الذين كانوا ينازعونه الفضل [illegible] فقوله بعث رسله
الى قوله سبيل الحق كقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولسان الصدق [illegible]
من مصباح النبوة المشتعل عن نور الحق سبحانه وسبيل الحق هو الطريق الموصلة اليه تعالى التي تطابقت على هدايتها السنة الرسل والاول
وصدر الفصل بذلك لاشتماله على فضيلة الانبياء ليبني عليه فضيلة نفسه وقوله الا ان الله الى قوله بواء كلام يجري مجرى التمهيد لمن [illegible]

بإطلاع الله على أسرارهم وأن ما كلفهم به إنما هو ابتلاء منه لهم أيهم أحسن عملا وقد عرفت معنى ابتلاء الله لخلقه مرارا وأراد بالكشف الاختبار والابتلاء أيضا ثم عقب ذلك بالاستفهام عن الذين زعموا أنهم أفضل منه وذلك أن قوما من الصحابة كان منهم من يدعي الأفضلية في فن من العلم فمنهم من كان يدعي أنه أفرض ومنهم من كان يدعي أنه أقرأ ومنهم من كان يدعي أنه أعلم بالحلال والحرام ورووا أفرضكم زيد بن ثابت وأقرأكم أبي ورووا مع ذلك أقضاكم علي وذلك الاستفهام على سبيل الإنكار عليهم ولذلك أردفه بالتكذيب لهم فيما ادعوه من الأفضلية ثم إن كان ما رووه حقا مع أن القضاء يحتاج إلى جميع ما ادعوه بفضله لم تثبت لهم أفضليتهم لاستجماعه ما تفرق فيهم من الفضائل فيهم وإن لم يكن حقا مع أن أنوار فضائله مستطيرة في آفاق الصدر فقد ظهر فضله عليهم وبذلك وجه التكذيب لهم ثم أشار إلى العلة الحاملة لهم على الكذب فيما ادعوه وهو قوله أن رفعنا الله أي في درجاتنا في الدنيا والآخرة على الكافة ووضعهم دوننا وأن وما بعدها نصب على المفعول له وأعطانا أي الملك والنبوة وحرمهم ذلك كما أدخلنا بعنايته الخاصة بنا فيما أعطانا وأخرجهم من ذلك وقوله بنا يستعطى الهدى وبنا يستجلى العمى فاستعار لفظ العمى للجهل ورشح بذكر الاستجلاء ولما كانوا عليهم السلام المعدين لأذهان الخلق لقبول أنوار الله والمرشدين لنفوسهم إلى سبيل الله لاجرم كان بهم يستعطى الهدى من الله إذ بواسطة استعدادهم يفاض على النفوس هداها وبواسطة إعطائهم القوانين الشرعية الكلية والجزئية يستجلى الجهل من واهب الجلاء وهو كناية عن الاستعداد أيضا وقوله إن الأئمة من قريش إلى آخره لفظ النص المشهور عن الرسول صلى الله عليه وآله الأئمة من قريش وتخصيصه ذلك بهذا البطن من هاشم أما على مذهب الشيعة فهو نص يجب اتباعه كما يجب اتباع نص الرسول صلى الله عليه وآله لاعتقادهم عصمته وأما على مذهب الباقين من المسلمين فواجب الاتباع أيضا لقوله عليه الصلاة والسلام إنه لمع الحق وإن الحق معه يدور حيث دار ومراده بذلك البطن أما على مذهب الاثني عشرية فنفسه مع الأحد عشر من ولده بنص كل منهم على من بعده مع كونهم معصومين وأما على مذهب الباقين من الإمامية فكل منهم حمل هذا الكلام على من اعتقد إمامته لا يصلح على سواهم أي لا يكون لها صلاح على يد غيرهم **منها** آثروا عاجلا وأخروا آجلا وتركوا صافيا وشربوا آجنا كأني أنظر إلى فاسقهم وقد صحب المنكر فألفه وبسئ به ووافقه حتى شابت عليه مفارقه وصبغت به خلائقه ثم أقبل مزبدا كالتيار لا يبالي ما غرق أو كوقع النار في الهشيم لا يحفل ما حرق أين العقول المستصبحة بمصابيح الهدى والأبصار اللامحة إلى منار التقوى أين القلوب التي وهبت لله وعوقدت على طاعة الله ازدحموا على الحطام وتشاحوا على الحرام ورفع لهم علم الجنة والنار فصرفوا عن الجنة وجوههم وأقبلوا إلى النار بأعمالهم دعاهم ربهم فنفروا وولوا ودعاهم الشيطان فاستجابوا وأقبلوا **أقول** بسئ به ألفه واستأنس به واعلم أن ضمير الجمع في آثروا وأخروا وما بعدها ضمائر مهملة يصدق إطلاقها على الجماعة وإن كان المعني بها بعضهم وهذا الكلام في صدد على من تخلف من الناس إلى زمانه ممن هو غير مرضي الطريقة وإن كان معدودا من الصحابة كالمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم ومعاوية ونحوهم من أمراء بني أمية ممن آثر عاجل الدنيا ولذاتها وأقبل عليه وأخر آجل ثواب الأخرى فنبذه وراء ظهره وترك ما وعد به من تلك اللذات الصافية عن كدورات الدنيا والعلائق البدنية إلى اللذات الوهمية الآجنة لشوب الأعراض والأمراض والتغير والزوال واستعار لفظ الآجن للذات الدنيا ملاحظة لتشبيهها بالماء الذي لا يسوغ شربه لتغير طعمه ورشح بذكر الشرب وقوله كأني أنظر إلى فاسقهم يحتمل أن يريد فاسقا معينا كعبد الملك بن مروان ويكون الضمير عائدا إلى بني أمية ومن تابعهم ويحتمل أن يريد مطلق الفاسق أي من يفسق من هؤلاء فيما بعده ويكون بالصفات التي ذكرها من صحبة المنكر وإلفه وموافقته لطبعه إلى غاية عمره وكنى عن تلك الغاية بشيب المفارق وصبغت به خلائقه أي صار المنكر ملكة له وخلقا واستعار لفظ الإزباد تشبيها له بالبحر الطامي ووجه التشبيه كونه عند غضبه لا يحفل بما يفعله في الناس من المنكرات كما لا يحفل البحر بمن غرق فيه وكذلك شبه حركته في المنكرات والظلامات بوقع النار في الحطب ووجه الشبه كونه لا يبالي بتلك الحركات كما لا يبالي النار بما احترق ثم أخذ يسأل عن العقول المستكملة بأنوار الله واستعار لفظ مصابيح الهدى إما لأئمة الدين أو لقوانينه الكلية والاستصباح بها الاقتداء بها وعن الأبصار اللامحة لمنار التقوى أي الناظرة إلى أعلام التقوى واستعاره لفظ المنار كاستعارة لفظ المصابيح ثم عن القلوب التي وهبها أهلها لله أي جعلوا هممهم مطالعة أنوار كبريائه والتوجه إلى كعبة وجوب وجوده وعوقدت على طاعة الله أي أخذ خلفاء الله عليهم العهد بطاعته والمواظبة عليها ثم عاد إلى ذم الباقين وتوبيخهم بازدحامهم على حطام الدنيا واستعار لفظ الحطام لمقتنيات الدنيا ووجه الاستعارة سرعة فنائها وفسادها كسرعة فساد الهشيم اليابس وتكسيره وبتشاحهم على الحرام أي كل واحد يشاح صاحبه على الحرام ويبخل به عليه وأشار بعلم الجنة إلى قانون الشريعة القائد إلى الجنة وبعلم النار إلى الوساوس المزينة لقينات الدنيا والعلم الأول بيد الدعاة إلى الله وهم الرسول صلى الله عليه وآله ومن بعده من أولياء الله من أهل بيته والتابعين لهم بإحسان والعلم الثاني بيد إبليس وجنوده من شياطين الإنس والجن الداعين إلى النار ثم ذمهم بصرفهم وجوههم عن الجنة وإقبالهم بأعمالهم على النار حين رفع العلمين من قبل الدعاة وإنما قال وأقبلوا بأعمالهم ولم يقل بوجوههم كما قال فصرفوا وجوههم لأن إقبالهم بوجوه نفوسهم على لذات الدنيا وقيناتها يستلزم صرفها عن الأعمال الموصلة إلى الجنة وذلك يستلزم إعراضها عن الجنة ثم لما كانت الغاية التي يطلبها الإنسان من الدنيا هو الحصول على لذاتها وكانت النار لازمة لتلك الأعمال الموصلة إلى تلك الغاية لزوما عرضيا لم تكن النار غاية ذاتية فلم يقبلوا بوجوههم عليها بل كان إقبالهم عليها بأعمالهم إذ كانت هي المستلزمة لها ثم أخبر في معرض الذم عن مقابلتهم لدعاء ربهم بالنفار عنه ولدعاء الشيطان لهم باستجابتهم لدعوته و

ولا يصلح الولاة غيرهم

اقبالهم

الجزو

وإقبالهم إليه وفي قوله دعاهم إلى آخره تنبيه على أن الرافع لعلم الجنة هو الله بأيدي خلفائه والرافع لعلم النار هو الشيطان بأيدي أوليائه وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام أيها الناس إنما أنتم في هذه الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا مع كل جرعة شرق وفي كل أكلة غصص لا تنالون منها نعمة إلا بفراق أخرى ولا يعمر معمر منكم يوما من عمره إلا بهدم آخر من أجله ولا تجدد له زيادة في أكله إلا بنفاد ما قبلها من رزقه ولا يحيى له أثر إلا مات له أثر ولا يتجدد له جديد إلا بعد أن يخلق له جديد ولا تقوم له نابتة إلا وتسقط منه محصودة وقد مضت أصول نحن فروعها فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله **أقول** الغرض الهدف وغرض هذا الفصل ذم الدنيا وتنفيرها بذكر معايبها لتحقر الرغبات فيها وتصرف إلى ما وراءها من الأمور الباقية فاستعار لهم لفظ الغرض ووجه الاستعارة كونهم مقصودين لسهام المنية من الأمراض والأعراض كما يقصد الغرض بالسهام وأسند الانتضال إلى المنايا مجازا لأن القاصد لهم بالأمراض هو فاعلها بهم فكان المجاز ههنا في الإفراد والتركيب ثم كنى بالجرعة والأكلة عن لذات الدنيا وبالشرق والغصص عما في كل منها من شوب الكدورات اللازمة لها طبعا من الأمراض والمخاوف ونسبة المنقصات لها وقوله لا تنالون منها نعمة إلا بفراق أخرى فيه لطف وهو إشارة إلى أن كل نوع من نعمة فإنما يتجدد شخص منها ويلتذ به بعد مفارقة مثله كلذة اللقمة مثلا فإنها تستدعي فوت اللذة بأختها السابقة وكذلك لذة ملبوس شخصي أو مركوب شخصي وشبه ما بعد نعم دنيوية ملتذ بها فإنها إنما تحصل بعد مفارقة ما سبق من أمثالها بل وأتم من ذلك فإن الإنسان لا يتهيأ له الجمع بين الملاذ الجسمانية في وقت واحد بل ولا اثنين منها فإنه حال ما يكون آكلا لا يكون مجامعا أو حال ما هو في لذة الأكل لا يكون ملتذا بمشروب ولا حال ما يكون خاليا على فراش وثير يكون راكبا للتنزه ونحو ذلك وبالجملة لا يكون مشغولا بنوع من الملاذ الجسمانية إلا وهو تارك لغيره وما استلزم مفارقة نعمة أخرى لا تعد في الحقيقة نعمة ملتذا بها وكذلك قوله ولا يعمر معمر منكم إلى قوله أجله لأن السرور بالبقاء إلى يوم معين لا يصل إليه إلا بعد انقضاء ما قبله من الأيام المحسوبة من عمره فإذا قدم من عمره يوما فيكون لذته في الحقيقة ببقائه مستلزمة لقربه من الموت وما استلزم القرب من الموت فلا لذة فيه عند الاعتبار وكذلك قوله ولا يجدد له زيادة في أكله إلا بنفاد ما قبلها من رزقه أي من رزقه المعلوم أنه رزقه وهو ما وصل إلى جوفه مثلا فإن ما لم يصل جاز أن يكون رزقا لغيره وقد علمت أن الإنسان لا يأكل لقمة حتى يفنى ما قبلها فهو إذن لا يجدد له زيادة في أكله إلا بنفاد رزقه السابق وما استلزم نفاد الرزق لم يكن لذيذا في الحقيقة وروي أكلة ويحتمل أن يريد إذا عدت لجهة رزق فتوجه فيها طالبا له كان ذلك التوجه مستلزما الانصراف عما قبلها من الجهات وانقطاع رزقه من جهتها واللفظ مهمل يصدق ولو في بعض الناس فلا يجب الكلية وكذلك قوله ولا يحيى له أثر إلا مات له أثر وأراد بالأثر الذكر والفعل فإن كان ما يعرف به الإنسان في وقت ما من فعل محمود أو مذموم أو ذكر حسن أو قبيح ويحيى له بين الناس يموت منه ما كان معروفا به قبله من الآثار وينسى وكذلك لا يتجدد له من زيادات بدنه ونقصانه وأوقاته جديد إلا بعد أن يخلق له جديد يتحلل بدنه ومعاقبة شيخوخته شبابه ومستقبل أوقاته لسالفها وكذلك لا يقوم له نابتة إلا بعد أن تسقط منه محصودة واستعار لفظ النابتة لمن ينشأ من أولاده وأقربائه ولفظ المحصودة لمن يموت من آبائه وأهله ولذلك قال وقد مضت أصول يعني الآباء ونحن فروعها استفهم على سبيل التعجب عن بقاء الفرع بعد ذهاب أصله وقد صرح أبو العتاهية بهذا المعنى حيث قال:

كل حياة إلى ممات وكل ذي جدة يحول
كيف بقاء الفروع يوما وقد ذوت قبلها الأصول

منها وما أحدثت بدعة إلا ترك بها سنة فاتقوا البدع والزموا المهيع إن عوازم الأمور أفضلها وإن محدثاتها شرارها **أقول** المهيع الطريق الواسع والعوازم جمع عوزم وهي العجوز المسنة والمراد بالبدعة كل ما أحدث مما لم يكن على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وقد اشتمل هذا الفصل على ذم ترك البدعة وبرهان استلزام إحداث البدعة لترك السنة أن عدم إحداث البدع سنة لقوله صلى الله عليه وآله كل بدعة حرام فكان إحداثها مستلزما لترك تلك السنة ثم على أمرهم بتقوى البدع أي خشية عواقبها ثم بلزوم الطريق الواضح وهي سبيل الله وشرعه وأراد بعوازم الأمور ما قدم منها وهو ما كان عليه عهد النبوة وأما جوازمها وهي المقطوع بها دون المحدثات منها التي هي محل الشبهة والشك ويرجح الأول لمقابلته بمحدثاتها ووصفها بكونها شرارا لكونها محل الشبهة وخارجة عن قانون الشريعة فكانت مستلزمة للهرج وأنواع الشرور وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلة وهو دين الله الذي أظهره وجنده الذي أعده وأمده حتى بلغ ما بلغ وطلع حيث ما طلع ونحن على موعود من الله والله منجز وعده وناصر جنده ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه فإن انقطع النظام تفرق وذهب ثم لم يجتمع بحذافيره أبدا والعرب اليوم وإن كانوا قليلا فهم كثيرون بالإسلام عزيزون بالاجتماع فكن قطبا واستدر الرحى بالعرب وأصلهم دونك نار الحرب فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدا يقولوا هذا أصل العرب فإذا اقتطعتموه استرحتم فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين فإن الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك وهو أقدر على تغيير ما يكره وأما ما ذكرت من عددهم فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة **أقول** اختلف الناقلون لهذا الكلام في الوقت الذي قاله فيه فقيل إنه قاله في غزاة القادسية وهو المنقول عن المدائني في كتاب الفتوح وقيل في غزاة نهاوند وهو نقل محمد بن جرير الطبري فأما وقعة

إلا مات له أثر

له جديد

زيادة

لما له

الخرز

القادسية فكانت سنة اربع عشرة للهجرة استشار عمر المسلمين في خروجه فيها بنفسه فاشار عليه علي با الراي المسطور فاخذ عمر به ورجع عن عزمه
المسير بنفسه وامر سعد بن ابي وقاص على المسلمين ويروى في تلك الوقعة ان رستم امير العسكر من قبل يزدجرد اقام بريدا من الرجال الواحد
منهم الى جانب الاخر من القادسية الى المداين كلما تكلم رستم بكلمة اداها بعضهم الى بعض حتى يصل الى سمع يزدجرد وقصص الوقعة مشهور
في التواريخ واما وقعة نهاوند فانه لما اراد عمران يغزو العجم وجيوش كسرى قد اجتمعت بنهاوند استشار اصحابه فاشار عثمان عليه بان يخرج
بنفسه بعد ان يكتب الى جميع المسلمين من اهل الشام واليمن والحرمين والكوفة والبصرة ويامرهم بالخروج واشار علي بالراي المذكور وقال اما
بعد فان هذا الامر لم يكن نصره ولا خذلانه الفصل فقال اجل هذا الراي وقد كنت احب ان اتابع عليه فاشيروا علي برجل اوليه ذلك الثغر
فقالوا انت افضل رايا فقال اشيروا علي به واجعلوه عراقيا فقالوا انت اعلم باهل العراق وقد وفدوا عليك فرايتهم وكلمتهم فقال اما والله لاولين
امرهم رجلا يكون غدا اول الاسنة قيل ومن هو فقال النعمن بن مقرن فقالوا هو لها وكان النعمن يومئذ بالبصرة فكتب اليه عمر فولاه امر
الجيش ولنرجع الى المتن فقوله بحذافيره اي باسره وقوله ان هذا الامر الى قوله للاجتماع صدر الكلام اورده ليبني عليه الراي فقرر فيه اولا
ان هذا الامر اي امر الاسلام ليس نصره بكثرة ولا خذلانه بقلة ونبه على صدق هذه الدعوى بانه دين الله الذي اظهره وجنوده هي جنده
الذي اعده وامده بالملائكة والناس حتى بلغ هذا المبلغ وطلع في افاق البلاد حيث طلع ثم وعدنا بموعود هو النصر والغلبة والاستخلاف
في الارض كما قال وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الاية وكل وعد من الله فهو
منجز لعدم الخلف في خبره وقوله وناصر جنده يجري مجرى التنجيز اذ من جملة وعده نصر جنده وجنده هم المؤمنون فالمؤمنون منصورون
على كل حال وان كانوا قليلين او كثيرين ثم شبه مكان القيم بالامر بمكان الخيط من العقد ووجه التشبيه هو قوله يجمعه ويضمه الى قوله ابدا وكذلك
وقوله لم يجتمع بحذافيره ابدا وذلك انهم عند فقد نظامهم بقتل الامام مثلا يقع بهم طمع العدو وظفره فيكون ذلك سبب شتاتهم ثم نبه
عند الشهيد في عدم الحاجة الى اجتماع كل العرب في هذه الوقعة وذلك لكثرتهم بالاسلام واستقبال الدولة وعزتهم باجتماع الراي واتفاق القلوب
الذي هو خير من استحقاق كثرة الاشخاص واراد بالكثرة القوة والغلبة مجازا اطلاقا لاسم مظنة الشيء على الشيء وقوله فكن قطبا شروع
في الراي الخاص بعمر فاشار عليه ان يجعل نفسه مرجعا للعرب نزول البر وقد وعليه واستعار له لفظ القطب ولهم لفظ الرحا ورشح
بالاستدارة فكونه بذلك عن جعل العرب دريئة دونه وجنة له ولذلك قال واصلهم دونك نار الحرب لانهم ان سلموا وغنموا فذلك
الذي ينبغي وان انهزموا كان هو مرجعا لهم وسندا يقوى ظهورهم بخلاف شخوصه معهم فانهم ان ظفروا فذلك وان انهزموا لم يكن
لهم ظهر يلجاون اليه كما سبق بيانه وقوله فانك ان شخصت الى قوله فيك بيان للمفسدة في خروجه بنفسه من وجهين احدهما ان الاسلام
كان في تلك الوقت غضا وقلوب كثير من العرب ممن اسلم غير مستقرة بعد فاذا انضاف الى من لم يسلم منهم وعلموا خروجه وتركه للبلاد
كثر طمعهم وهلكت فتنتهم على الحرمين وبلاد الاسلام فيكون ما تركه وراءه اهم عنده مما استقبله ويطلبه ويلتفت عليه الفريقان من الاعداء
الثاني ان الاعاجم اذا خرج اليهم بنفسه طمعوا فيه وقالوا المقالة فكان خروجه محرضا لهم على القتال وهم اشد عليه كلبا واقوى فيه
طمعا وقوله فاما ما ذكرت من مسير القوم الى اخره فهو انه قال له ان هؤلاء الفرس قد قصدوا المسير الى المسلمين وقصدهم اياهم
دليل قوتهم وانا اكره ان يغزونا قبل ان نغزوهم فاجابه بانك ان كرهت ذلك فان الله نعم اشد كراهية واقدر عليك على التغيير
والازالة وهذا الجواب يدور على حرف وهو ان مسيرهم الى المسلمين وان كان مفسدة الا ان لقائه لهم بنفسه اكبر واذا كان كذلك فينبغي ان يدفع
العظمى ويكل دفع المفسدة الاخرى الى الله تعالى فانه كان لها ومع كراهيته لها فهو اقدر على ازالتها وقوله واما ما ذكرت من عددهم الى اخره فهو
ان عمر ذكر كثرة القوم وعددهم فاجابه عم بذكر قتال المسلمين في صدر الاسلام فانه كان من غير كثرة وانما كان بنصر الله ومعونته فينبغي
ان يكون الحال الان كذلك وهو يجري مجرى التمثيل كما اشرنا اليه في المشورة الاولى وبوعد الله تعالى المسلمين بالاستخلاف في الارض وتمكين
دينهم الذي ارتضى لهم وتبديلهم بخوفهم امنا كما هو مقتضى الاية **ومن خطبة له عليه السلام** فبعث محمدا صلى الله عليه واله بالحق
ليخرج عباده من عبادة الاوثان الى عبادته ومن طاعة الشيطان الى طاعته بقران قد بينه واحكمه ليعلم العباد ربهم اذ جهلوه
وليقروا به بعد اذ جحدوه وليثبتوه بعد اذ انكروه فتجلى لهم سبحانه من غير ان يكونوا راوه بما اراهم من قدرته وخوفهم
من سطوته وكيف محق من محق بالمثلات واحتصد من احتصد بالنقمات وانه سياتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه
شيء اخفى من الحق ولا اظهر من الباطل ولا اكثر من الكذب على الله ورسوله وليس عند اهل ذلك الزمان سلعة ابور من
الكتاب اذا تلي حق تلاوته ولا انفق منه اذا حرف عن مواضعه ولا في البلاد شيء انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر فقد
نبذ الكتاب حملته وتناساه حفظته فالكتاب يومئذ واهله منفيان طريدان وصاحبان مصطحبان في طريق واحد
لا يؤويهما مؤو فالكتاب واهله في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم ومعهم وليسا معهم لان الضلالة لا توافق الهدى وان
اجتمعا فاجتمع القوم على الفرقة وافترقوا عن الجماعة كانهم ائمة الكتاب وليس الكتاب امامهم فلم يبق عندهم منه الا اسمه ولا يعرفون

٢٠
ح

الا خطه وزبره ومن قبل ما مثلوا بالصالحين كل مثلة وسموا صدقهم على الله فرية وجعلوا في الحسنة عقوبة السيئة وانما هلك
من كان قبلكم بطول امالهم وتغيب اجالهم حتى نزل بهم الموعود الذي ترد عنه المعذرة وترفع عنه التوبة وتحل معه القارعة
والنقمة ايها الناس انه من استنصح الله وفق ومن اتخذ قوله دليلا هدي للتي هي اقوم فان جار الله امن وعدوه خائف
وانه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله ان يتعظم فان رفعة الذين يعلمون ما عظمته ان يتواضعوا له وسلامة الذين يعلمون ما قدرته
ان يستسلموا له فلا تنفروا من الحق نفار الصحيح من الاجرب والباري من ذي السقم واعلموا انكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا
الذي تركه ولن تاخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه فالتمسوا ذلك من عند
اهله فانهم عيش العلم وموت الجهل هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم وظاهرهم عن باطنهم لا يخالفون الدين
ولا يختلفون فيه فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق **اقول** الاوثان الاصنام وزبره كتبه ومثلوا بفتح الميم والثاء
اي نكلوا والاسم المثلة بضم الميم وسكون الثاء والقارعة الشديدة من شدائد الدهر ومدار هذا الفصل على بيان بعثة الرسول
وبيان غاية البعثة والسبب المعد للوصول الى تلك الغاية ثم بيان غاية تلك الغاية والاشارة الى البعثة بقوله فبعث الى قوله بالحق و
اشار الى غايتها بقوله ليخرج الى قوله الى طاعته وقد علمت ان طاعته بسلوك الصراط المستقيم في الدنيا وهو اتباع الدين القيم والعدول
عن طاعة الشيطان التي هي بالخروج الى احد طرفي الافراط والتفريط فاشار الى سبب تلك الغاية بقوله بقران قد بينه واحكمه وذلك
اشتمال القران الكريم على الجواذب الالهية الى طاعة الله وسلوك صراطه المستقيم فاشار الى غاية تلك الغاية اعني غاية طاعته
بقوله ليعلم العباد الى قوله انكروه وهي مستلزمات من مهمات العلم الالهي فالاولى معرفتهم له بعد جهلهم والثانية الاقرار به بعد
جحدهم له والثالثة اثباتهم له بعد انكارهم اياه والمعنى واحد وان اختلفت العبارات وهو التصديق بوجوده الا ان يحمل الاقرار على اللسان
والجحد به ويحمل الاثبات والانكار على اثباته بالقلب بعد الانكار به فيتغاير المعنيان واشار بتجليه سبحانه في الكتاب الى ظهوره لهم
في تذكيرهم فيه بما اراهم من عجائب مصنوعاته وما خوفهم به من وعيده وتذكيرهم انه كيف محق من محق من القرون الماضية
بالعقوبات واحتصد من احتصد منهم بالنقمات كل ذلك للظهور والجلاء من غير رؤية له اذ تعالى عن ادراك الحواس وقال بعض الفضلاء
يحتمل ان يريد بتجليه في كتابه ظهوره في عجائب مصنوعاته ومكوناته ويكون لفظ الكتاب استعارة في العالم ووجه المشابهة كونه
محلا قابلا لاثار الصنع المختلفة وعجائب الصور المنقوشة فيه كما ان الكتاب محل لنقش الحروف كل ذلك من غير رؤية بحاسة البصر له
لتعاليه وتقدسه عن ذلك وقوله سياتي الى قوله المنكر اخبار عن زمان ياتي بعده بالصفات المذكورة وقد رايناه وراه من قبلنا
فان خفاء الحق وظهور الباطل عليه امر ظاهر وكون الحق لا شيء اخفى منه والباطل لا شيء اظهر منه على سبيل المبالغة وكذلك لا اكثر من
الكذب على الله وعلى رسوله روي عن شعبة وكان امام المحدثين انه قال تسعة اعشار الحديث كذب وعن الدارقطني ما الحديث الصحيح
الا كالشعرة البيضاء في الثور الاسود وقوله وليس عند اهل الاخرة قد مر تفسيره في الفصل الذي بدا من يتصدى للحكم بين الامة وليس له
باهل ونبذ حملة الكتاب له اعراض قرائه عن تدبر ما فيه والعمل به وتناسي حفظته ايضا تغافلهم عن اوامره ونواهيه وتغافلهم عن اتباعها
وقوله فالكتاب الى قوله وان اجتمعا فاهل الكتاب الملازمون للعمل به وحيث كان اهل ذلك الزمان المشار اليه غير ملتفتين الى الكتاب
كانوا ايضا غير ملتفتين الى اهله ومن يعمل به بل يؤذونهم ويخالفونهم فيما يقتضيه احكام الكتاب ويوجبه اتباعه فكان اعراضهم
عنهم ابعادا لهم ونفيا وطردا والطريق الذي اصطحب فيه الكتاب واهله هو طريق الله الواحد وصدق انه لا يؤويهما مؤو من اهل
ذلك الزمان الا هم الا اذا وافقا غرضه لكن ذلك ليس للكتاب وللعامل به بل لموافقتهما الغرض وكونهما في الناس اي بوجودهما
وكونهما ليسا فيهم لعدم اتباعهما والعناية بهما فانهما فاشبها ما ليس بموجود ولا تنافي بين الوجودين ينتفع به وكذلك معهم بالمصاحبة
الاتفاقية في الوجود وليسا معهم لان ضلالتهم لا تجامع هدى الكتاب واهله فكانا متضادين لهم وان اجتمعا في الوجود وقوله فاجتمع
القوم على الفرقة اي اتفقوا على مفارقة الاجتماع وما عليه الجماعة اما في وقته فكالخوارج والبغاة واما فيما يستقبل من الزمان
بعده فكالاخذين بالاراء والمذاهب المتفرقة المحدثة في الدين والاجتماع على الفرقة يلازم الافتراق عن الجماعة وقوله كانهم
ائمة الكتاب تشبيه لهم بالائمة في الجراءة على مخالفة ظواهره والاختلاف فيه وتفريعه على حسب اغراضهم اذ شان الامام مع المامون
ذلك مع انه امامهم الذي يجب ان يتبعوه ويقفوا اثره واذ خالفوه ونبذوه وراء ظهورهم فلم يبق معهم من متمسكهم به الا اسمه وعلى
خطه وزبره دون اتباع مقاصده وقوله ومن قبل ما مثلوا بالصالحين اشارة الى من بني امية الكائن قبل زمن من يخبر عنهم وتمثيل
بني امية بالصالحين من الصحابة والتابعين وحملهم لهم على المكروه ونسبتهم له الى الكذب على الله وجعلهم في الحسنة عقوبة السيئة
ظاهر منهم وتعصف لمن ياتي في ذلك الزمان بالاوصاف المذكورة لا ينافي وصف من قبلهم من بني امية بتلك الاوصاف وما
مع الفعل في حكم المصدر ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من قبل وقوله وانما هلك الى اخره تنبيه على وجوب تقصير الامال في الدنيا

لاستلزام طلبها الهلاك الاخروى واشار الى القرون الماضية من قبل واراد الهلاك الاخروى وجعل سبب هلاكهم طول املهم الذى الهاهم
الموجب للاستغراق فى لذاتها المبعدة عن الله تعالى مع تغيب اجالهم عنهم اى غفلتهم عنها وتركهم فيها وعدم علمهم بتعينها فان استشعار الاجل منها
موجب للاقلاع عن الانهماك فى اللذات الحاضرة وتنغيصها وقوله حتى نزل بهم الموعود الى الاخرة ذكر غاية طول املهم والموعود هو الموت
وترد عنه المعذرة اى لا تقبل فيه معذرة معتذر وترفع عنه التوبة اى بسد بابها حين نزوله كقوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون
السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الان ولا الذين الاية وتحل معه القارعة اى تنزل بمن نزل به الشدائد الاهوال
وتبعها العقوبات الاخروية ثم عاد الى الرأى الصالح للسامعين فانهم نبههم وشبههم على وجوب استنصاح اى اتخاذه ناصحا فى قبول
اوامره ونواهيه واتخاذ قوله دليلا الى المطالب المهمة فان استنصاحه يستلزم التوفيق واتخاذه دليلا يستلزم الهدى فهى اقوم الطرق
ثم نبه على حسن جوار الله بالامن الذى هو غاية الجوار وعلى قبح عداوته بذكر الخوف الذى هو غاية عداوة الملوك خصوصا جبار
الجبابرة وملك الدنيا والاخرة واراد بجواره القرب منه بالطاعة وبعداوته البعد عنه بالمعصية ومخالفة اوامره ولا شك فى كون الاول امنا
من اهوال الاخرة وفى كون الثانى فى محل الخوف والخطر وقوله وانه لا ينبغى لمن عرف الى اخره ارشادهم الى التواضع لله ولمن ارشد الحق اليه
ونهى عن التكبر عليهم والنفار عن قبول الحق منهم وخاطب من يعرف عظمة الله لاحتقاره نفسه عند ملاحظته لنفسه ونسبتها الى جلال
الله فهو اسرع انفعالا واحقر فى نفسه ان يتكبر على الله ونبه على حسن التواضع له بذكر عظمته ورفعة للعالمين بعظمته فانه لما كان هو العظيم
المطلق وكل عظمة ورفعة لعظيم مستفادة من جوده والقرب منه وكانت العادة جارية من الملوك فى حق من يتواضع لهم ويوفيهم حقهم من
الاجلال والاكرام وحسن الانقياد ان يرفعوه ويعظموه فبالحرى ان يكون رفعة المتواضع للملك المطلق والعظيم المطلق لازمة عن التواضع
له وكما ان العادة جارية منهم بسلامة من يستسلم لهم عن معرفته بانقيادهم فبالحرى ان يكون سلامة المستسلم لله عن العلم بغلبته وقدرته واستيلاء
سلطانه لازمة عن استسلامه له واذ امرهم بالتواضع لله ولاوليائه ندبهم الى قبول الحق منهم وعدم النفار منه التشبيه بنفار الصحيح من
الاجرب والبارى من السقيم ووجه التشبيه هو شدة النفار ثم عاد الى تنفيرهم عن ائمة الضلال وذلك بتنبيههم على انهم ليسوا عارفين
بالرشد فى المعرفة الصحيحة ولا اخذين بميثاق الكتاب ولا متمسكين به الاخذ والتمسك التام ما لم يعرفوا اولئك الضالين وانما شرط معرفتهم
للرشد بمعرفتهم لتاركه لان المعرفة التامة للرشد بل بكل شىء تستند الى معرفة ما عليها من الشكوك والشبهات التى هى سبب التشكيك فيها
وترك العمل على وفقها ولما كان الرشد وهو الحق الذى هو عليه هو وتابعوه وكان التارك له الذين هم مخالفوه وخصومه فى الامر من ائمة
الضلال لا جرم كان من تمام معرفة الحق فى بدايته والرشد الذى يدعوا اليه معرفة خصومه وانهم على خصومه شبهة اذا عرفها طالب الحق تمت
معرفته بطريق الرشد فسلكها ونفر عمن نكب وكذلك شرطه لاخذهم بميثاق الكتاب والعمل بما فيه بمعرفتهم لمن نقضه من خصومه اى ان اخذهم
بما يعمل به منه لا يتم منهم الا ان يعرفوا شبهة ناقضه وهو العامل بخلاف حكمه على وفق الكتاب لشبهة حتى اذا اطلعوا على كيفية فسادها
وضلاله بها اخذوا بميثاق الكتاب على بصيرة وعلموا انه ناقض له فنفروا عنه وكذلك شرطه لتمسكهم بالكتاب ولزومهم بميثاقه بمعرفة نابذه
وانه ضال ليحصل التبرى عنه فيتم التمسك به ويتأكد لزوم ميثاقه وغاية كل ذلك التنفير عن ائمة الضلال بمعرفتهم ومعرفة ما هم عليه
من الشبه والتبرى منهم ثم نعتهم بان نبه على تلك المعرفة امر بالتماسها عند اهلها والاشارة بهم الى نفسه واهل بيته عليهم السلام واستعار
وصفى عيش العلم اى حيوته وموت الجهل ووجه الاستعارة الاولى انهم يكون وجود العلم والانتفاع به كما يكون بحياة الحى الانتفاع به ووجه
الثانية انهم يكون عدم الجهل وعدم التضرر به كما يكون بموت الشرير عدمه وعدم مضرته وقوله هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم اى بدل لكم
منطقهم بالحكمة وسيرتهم على وفقها على كمال نفوسهم بالعلوم وصمتهم عن منطقهم فان الصمت المنطبق للسن ذى الحكمة العزيزة وقتا وهيئة
ومحال له تكون قرائن دالة على حسن منطقه وعلمه بما يقول وكذلك ظاهرهم عن باطنهم وقوله لا يخالفون الدين اشارة الى لزومهم لاوامر الله
وطريق شريعته ولا يختلفون فيه اشارة الى اتفاقهم على احكامه عن كمال علومهم به فانه لما كان طريقا واحدا واتفقنا على معرفته وجب
ان لا يختلفوا فيه ولا يصل احدهم عن حكم من احكامه حتى يخالف صاحبه فيه وقوله فهو بينهم شاهد صادق اى شاهد يستدلون
به على الاحكام والوقايع النازلة وتعبيرهم لا يكذب من حيث هو شاهد وصامت ناطق لكونه حروفا واصواتا وانما ينطق بالسنتهم فهو
بمنزلة الناطق واطلقوا استعارة ووجهها الافادة مع النطق به وعدمها مع السكوت عنه كافادة الناطق وعدم افادة الصامت

ومن كلام له عليه السلم فى ذكر اهل البصرة كل واحد منهما يرجو الامر له ويعطفه عليه دون صاحبه لا يمتان الى الله بحبل
ولا يمدان اليه بسبب كل واحد منهما حامل ضب لصاحبه وعما قليل يكشف قناعه به والله لئن اصابوا الذى يريدون لينتزعن
هذا نفس هذا وليأتين هذا على هذا قد قامت الفئة الباغية فاين المحتسبون وقد سنت لهم السنن وقدم لهم الخبر ولكل
ضلة علة ولكل ناكث شبهة والله لا اكون كمستمع اللدم يسمع الناعى ويحضر الباكى ثم لا يعتبر **اقول** يكنى اى تقرب
اليه بدوا الضب الحقد والغل والمحتسبون طالبوا الاجر والثواب واللدم ضرب الصدر باليد فعل الحزين والضمير فى منهما راجع الى

لينزعن

لطلحة والزبير والامر الامرة والخلافة وذلك حين خرجا الى البصرة مع عائشة ويعطفه اى يجذبه الى نفسه ويزعم انه احق به من صاحبه وقوله لا يمتان الى قوله
بسبب اى لا حجة لهما يعتذران الى الله تعالى بها فى قتالهما له وهلاك المسلمين فيما بينهم وقوله كل واحد منهما حامل ضب لصاحبه اى فى صدره غل
عليه وعما قليل يظهر وينكشف واستعار لفظ القناع لظاهر الشىء الساتر لباطنه وذلك مثل يضرب لمن ينافق صاحبه ويظهر له الصداقة مع حسد
وعقوق له فى الباطن والعرب تضرب بالضب المثل فى العقوق فيقال اعق من ضب وذلك انه ربما يأكل حسوله ثم اقسم لئن اصابوا بغيتهم
لينزعن هذا ولياتين عليه اى يسعى كل منهم فى قتل صاحبه وهذا مما لا شك فيه فان العادة جارية بعدم قيام الامر برئيسين متعاسرين
ان الطباع البشرية متشاحة على الكمال ويتفاوت ذلك التشاح بحسب تفاوت النفوس فى قوتها وضعفها ولا شىء فى نفوس طالبى الدنيا
اعظم من الملك خصوصا فى نفس من يعتقد انه يقدر على تحصيل الاخرة فيه ايضا فان تحصيل الدنيا والاخرة هى كمال الكمالات المطلوبة
للانسان ولا شىء يقاوم هذا المطلوب فى النفوس فهى تسعى فى تحصيله بكل ممكن من قتل الولد والوالد والاخ ولذلك قيل الملك عقيم وقد نقل
عن هذين الرجلين الاختلاف قبل اصابتهما بغيتهما وقبل وقوع الحرب فاختلفا فى التقدم فى الصلوة فاقامت عائشة محمد بن طلحة
وعبد الله بن الزبير يصلى هذا يوما الى ان ينقضى الحرب ثم ان عبد الله بن الزبير ادعى ان عثمن نص عليه بالخلافة يوم الدار واحتج على ذلك
باستخلافه له فى الصلاة واخرج تارة نصا صريحا ادعاه وطلب طلحة ان يسلم الناس عليه بالامرة وادلى اليها بالتسمية وادلى الزبير اليها باخته
اسماء فامرت الناس ان يسلموا عليهما بالامرة واختلفا فى تولى القتال فطلبه كل واحد منهما اولا ثم نكل عنه واحوالهم فى ذلك ظاهرة وقوله قد قامت
الفئة الباغية اشارة اليهم وهم الناكثون الذين نقل فيما سبق فيهم الخبر امرت ان اقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين وقوله فاين المحتسبون
وقد سنت لهم السنن اى اين طالبوا الثواب من الله تعالى بعد وضوح الطريق وروى فاين المحتسبون وقوله وقدم لهم الخبر اى اخبرهم الرسول صلعم عن خروج
فئة باغية وانكثة فبالحرى ان يجد هؤلاء ان يكونوا من اخبر عنهم وقوله ولكل ضلة علة اى لكل خروج عن سبيل الله علة والمشار اليه خروج
هذه الفرقة عن الدين وتلك العلة هى البغى والحسد وكذلك لكل ناكث شبهة تغطى عين بصيرته عن النظر الى وجه الحق كطلبهم بدم عثمن
وقوله والله لا اكون الى اخره اقسم انه لا يكون كذلك اى انه بعد سماعه لغلبة هؤلاء وجلبهم عليه وتهديدهم اياه لا يتنام عنهم ويصبر لهم حتى
يوافوه فيكون فى الغرور كمن يسمع الضرب والبكاء الذى هو مظنة الخطر ثم لا يصدق حتى يجيء لمشاهدة الحال ويحضر الباكى وقد كان
الاولى به ان يكتفى بذلك السماع لظهور دلالته ويأخذ فى الاستعداد للعدو والهرب منه **ومن كلام له عليه السلم** قبل موته
ايها الناس كل امرئ لاق ما يفر منه فى فراره والاجل مساق النفس والهرب منه موافاته كم اطردت الايام ابحثها عن مكنون هذا الامر
فابى الله الا اخفاءه هيهات علم مخزون اما وصيتى فالله لا تشركوا به شيئا ومحمد فلا تضيعوا سنته اقيموا هذين العمودين واوقدوا
هذين المصباحين وخلاكم ذم ما لم تشردوا حمل كل امرئ منكم مجهوده وخفف عن الجهلة رب رحيم ودين قويم وامام عليم غفر الله لى
ولكم انا بالامس صاحبكم وانا اليوم عبرة لكم وغدا مفارقكم ان تثبت الوطأة فى هذه المزلة فذاك وان تدحض القدم فانا كنا فى افياء
اغصان ومهاب رياح وتحت ظل غمام اضمحل فى الجو متلفقها وعفا فى الارض مخطها وانما كنت جارا جاوركم بدنى اياما وستعقبون منى
جثة خلاء ساكنة بعد حراك وصامتة بعد نطوق ليعظكم هدوى وخفوت اطرافى وسكون اطرافى فانه اوعظ للمعتبرين من المنطق
البليغ والقول المسموع وداعيكم وداع امرئ مرصد للتلاقى غدا ترون ايامى ويكشف عن سرائرى وتعرفوننى بعد خلو مكانى وقيام
غيرى مقامى **اقول** اطردت الايام صيرتها طريدة لى وشرد الجمل نفر ولا وجه له وقد دحضت القدم زلقت واضمحل فنى والمخط الاثر وهذا
الفصل محل الوعظ والاعتبار فابتدأ بالناس ونبههم على خوف ضرورة الموت المنفور منه طبعا وحسن بقوله فى فراره فانه لما كان الانسان دائما فارا من
الموت ومتوقيا له وكان لا بد منه لا جرم كان ضروريا اللقاء له فى فراره والاجل قد يراد به غاية الحيوة الدنيا كما قال تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
وقد يراد به المدة المضروبة للانسان وهى مدة عمره واياها عنى ههنا بقوله والاجل مساق النفس فان مدة بقائها فى هذا البدن هو مساقها الى غايتها
لا محل قرارها وقوله والهرب منه موافاته فى غاية اللطف وذلك ان الفار من الموت مثلا ما بحركات والعلاجات ونحوها يستلزم حركاته فى
ذلك فناء الاوقات وتصرمها وقطع تلك الاوقات مستلزم للملاقاة والموافاة فاطلق لفظ الموافاة على الهرب مجازا اطلاقا لاسم اللازم على
الملزوم وقوله كم اطردت الايام اى صيرتها طريدة الى تبع بعضها بعضا بالبحث وتعرف مكنون هذا الامر الذى وقع له من القتل وذلك المكنون
هو وقته المعين بالتفصيل ومكانه فان ذلك مما استأثر الله تعالى بعلمه كقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وقوله وما تدرى نفس باى ارض تموت
وان كان قد اخبره الرسول صلعم بكيفية قتله مجملا كما روى عنه انه قال ستضرب على هذه واشار الى هامته فتخضب منها هذه واشار الى لحيته وعنه
انه قال اتعلم من اشقى الاولين قال نعم عاقر الناقة فقال اتعلم من اشقى الاخرين قال لا قال من يضربك ههنا فتخضب هذه ولما بحثه هو عن
تفصيل الوقت والمكان ونحوهما من القرائن المشخصة فذلك البحث اما بالسؤال من الرسول صلعم مدة حياته وكتمانه اياه او بالفحص والتفرس
من قرائن احواله فى سائر اوقاته مع الناس فابى الله الا ان يخفى عنه تلك الحال هيهات اى بعد ذلك العلم فهو علم مخزون ثم شرع فى الوصية
مبتدئا بالاهم فالاول هو الاخلاص لله بالاعراض عن كل ما سواه وفى ذلك لزوم اوامره ونواهيه وسائر ما نطق به كتابه العزيز والثانى لزوم سنته

محمد صلى الله عليه واله وعلم اهلها وانما قدم اسم الله ومحمد لما بينا ان الواجب في علم البيان تقديم الاهم ثم اكد القول في الامر باتباع التوحيد
المطلق والسنة النبوية واستعار لهما لفظ العمودين ورشح بذكر الاقامة ولفظ المصباحين ورشح بذكر الايقاد ووجه الاستعارة الاولى ان مدار
الاسلام ونظام امور المسلمين في معاشهم ومعادهم على توحيد الله ولزوم ما جاء به رسوله كما ان مدار الخيمة وقيامها بالعمد ووجه الثانية
ان توحيد الله والاقتداء بما جاء به رسوله مستلزمان للهداية في طريقه من ظلمات الجهل فابدا الى جواره في جنات النعيم وهو المطلوب
الحقيقي كما يهدي المصباح في الظلام على الطريق الى المطلوب وقوله وخلاكم ذم اي عداكم وهي كلمة تجري مجرى المثل اي عند لزومكم لتوحيد الله
وسنة رسوله لا ذم عليكم واول من قالها قصير مولى جذيمة حين حث عمرو بن اخت جذيمة على طلب ثاره من الزباء فقال له عمرو وكيف لي بذلك
والزباء امنع من عقاب الجو فقال قصير اطلب الامر وخلاك ذم وقوله ما لم تشردوا اي تنفروا وتتفرقوا عن ذلك الامر بل لزمتموه
فيا دمتم هذين الامرين اللذين بدو وعليهما التكليف بين لهم بقوله حمل كل امرئ منكم الى قوله الجهلة ان التكليف بذلك يتفاوت بكل
امرئ من العلماء واهل النباهة ومن هو بصدد العلم يحمل مجهوده وطاقته بالتنبيه على الادلة وتعليمها واما الجهال كالنساء
واهل البادية والزنج ونحوهم من اهل الغباوة فتكليفهم دون ذلك وهو بالمحسوس من العبادات دون الامر بالتفكر في مقاصدها
ثم ذكر وصف الرحمة للرب لمناسبة ما سبق من ذكر التخفيف عن الجهلة في التكليف ودين قويم لا عوج فيه ولا زيغ عن القصد الحقيقي وامام عليم
اشارة الى الرسول العالم بكيفية سلوك طريق الله ومراحلها ومنازلها والهادي فيها بما يقتضيه حكمته من القول والعمل او الى نفسه لكونه
وارث علمه وسالك مسالكه ورب خبر مبتداء محذوف تقديره وذلك المكلف رب رحيم ويجوز ان يكون فاعلا لفعل بعده تقديره حمل
وخففها اي يحملكم رب كقوله نعم يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال ثم ختم الوصية بالدعاء لهم وله وبطلب المغفرة ثم تمم بالتنبيه لهم على وجه
الاعتبار وهو تصرف حال الامس بحسب الازمان فقد كان بالامس صاحبهم في الحرب ومنازعة الاقران وصاحب الامر والنهي فيهم واليوم
عبرة لهم بحال مصرعه وضعفه عن الحركة وعدم مفارقتهم بالموت وكل هذه التغيرات محل الاعتبار يجب التنبيه لها واراد بعدا ما حقيقة
ان كان قد غلب على ظنه موته في تلك الواقعة او ما يستقبل من الزمان وان بعد وهذا ارجح لقوله ان تثبت الوطاة في هذه المزلة اي ان
يكن لي ثبات في الدنيا وبقاء في هذه المنزلة اي محل الزوال عن الحيوة فذاك المرجو وكنى بثبات الوطاة عما ذكرناه وبدحض القدم عن
عدم ذلك بالموت وقوله في جواب الشرط فانا كنا في افياء اغصان الى قوله مخطها اي وان يمت فانا كنا في كذا وكنى بالامور المذكورة عن
احوال الدنيا وملذاتها وبقائه فيها ومتاعه بها وقيل استعار لفظ الاغصان للاركان من العناصر ولفظ الافياء لما تشرح فيه النفوس
من تركيبها في هذا العالم ووجه الاستعارة ان الاركان في مادتها كالاغصان للشجرة ووجه الثانية ان الافياء محل الاستراحة واللذة كما
ان الكون في هذا البدن حين صحة التركيب واعتدال المزاج من هذه الاركان كذلك وكذلك استعار لفظ مهاب الرياح للابدان ولفظ الرياح للارواح
النفخات الالهية عليها في هذه الابدان ووجه الاولى قبول الابدان لنفحات الجود كقبول مهاب الرياح لها استعارة لفظ المحسوس للمعقول ووجه
الثانية اظهر من ان يذكر وكذلك لفظ الغمام للاسباب العلوية من الحركات السماوية والاتصالات الكوكبية والارزاق المفاضة على الانسان في هذا
العالم التي هي سبب بقائه وتوجيهها الاشتراك في الافاضة والسببية وكنى بظلها عما يستراح اليه منها كما يقال فلان يعيش في ظل فلان اي في
عيشه وعنايته وكنى باضمحلال متلفقها في الجو عن تفرق الاسباب العلوية للبقاء وفنائها وبعفاء مخطها في الارض عن فناء اثارها
في الابدان والضمير في متلفقها يعود الى الغمام وفي مخطها يعود الى مهاب الرياح وقوله فانما كنت جارا جاوركم بدني اياما فيه تنبيه على
ان نفسه القدسية كانت متصلة بالملأ الاعلى ولم يكن لها ميل الى البقاء في الدنيا ومجاورة اهلها فيها فكانت مجاورته لهم ببدنه فقط
وايضا فان المجاورة من عوارض الجسمية فيحتمل ان يكون ذلك تنبيها منه على وجود امر اخر غير البدن وهو النفس وكنى بالايام عن مدة حيوته
الدنيا وقوله وستعقبون اي توجدون في عاقبة امركم مني جثة خالية لا روح بها ولا حراك فذا فقرة من تلك المعاني المعهودة لكم من
العقل والنطق والقوة فهي متبدلة بالحركة السكون وبالنطق السكوت ثم علا الى امرهم بالاتعاظ بتلك الهدأة وخفوت الاطراف وسكون
الاطراف بالموت وقوله فانه اوعظ للمعتبرين من النطق البليغ صاحب اللسن والفصاحة كلام حق فان الطباع اكثر انفعالا واعتبارا عن ما هيد
ما فيه العبرة من الوصف له بالقول المسموع ولو بلغ عبارة ثم اخذ في توديعهم فقوله وداعيكم انشاء الاخير وقوله وداع امرئ مرصد
للتلاقي اي معد ومهيأ للقاء الله وقوله غدا ترون ايامي الى اخره تذكير لهم بفضيلته وتنبيه عليها لميث متبوعه على اتباعه والغافلون
عن فضله ومحله بينهم اذا فارقهم وولي امرهم الظالمون بعده فلا بد ان يكشف لهم ما كان مغطى عن اعين بصائرهم من لزومه للقصد في سبيل
الله ونجريون منزلته وفضله حين مشاهدة المنكرات ممن يقوم مقامه خلفا في الناس وان وقائعه وحروبه وحرصه على هذا الامر لم يكن
لنيل دنيا الا فانه سنن العدل ورضا الله تعالى

ومن خطبة له عليه السلام يومي فيها الى الملاحم وأخذوا يمينا وشمالا طعنا في
مسالك الغي وتركا لمذاهب الرشد فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد ولا تستبطئوا ما يجيء به الغد فكم من مستعجل بما ان ادركه
ود انه لم يدركه وما اقرب اليوم من تباشير غد يا قوم هذا ابان ورود كل موعود ودنو من طلعة ما لا تعرفون الا وان من ادركها منا

كك فلا ذم يلحقكم الان تشردوا اي تنفروا فانتم عليه لما كان نظامهم بلزومه

بخ عك

٢٠ ج

يسري فيها بسراج منير ويحذو فيها على مثال الصالحين ليحل فيها ربقا ويعتق رقا ويصدع شعبا ويشعب صدعا في سترة عن الناس لا يبصر
القائف اثره ولو تابع نظره ثم ليشحذن فيها قوم شحذ القين النصل تجلى بالتنزيل ابصارهم ويرمى بالتفسير في مسامعهم ويغبقون
كاس الحكمة بعد الصبوح **اقول** اءبان الشيء بكسر الهمزة وتشديد الباء وقته والربق بكسر الراء وسكون الباء حبل فيه عدة عرى يشد به
البهم والصدع الشق والشعب صلاحه والشحذ التحديد والقين الحداد والغبوق الشرب بالعشي والصبوح الشرب بالغداة فقوله واخذوا
يمينا وشمالا الى قوله الرشد اشارة الى من ضل من فرق الاسلام عن طريق الهدى التي عليها الكتاب والسنة وسلكوا طرفي الافراط والتفريط
منها كما قال عليه السلام فيما قبل اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة وقد سبق تفسير تلك مستوفى ومسالك الغي طرف الرذائل من
الفضائل التي عددناها كالحكمة والعفة والشجاعة والعدالة وما تحتها ومذاهب الرشد هي تلك الفضائل وطعنا وتركا مصدران
قاما مقام الحال وقوله فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد فذلك الاستعجال اشارة الى ما كانوا يتوقعونه من الفتن التي اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن وقوعها
في المستقبل وكانوا في اكثر الوقت تسالون عنها فقال لا تستعجلوا ما هو كائن اي لا بد من وقوعه وهو مرصد معد ولا تستبطئوا
ما يجيء به الغد اي من الفتن والوقائع وقوله فكم من مستعجل الى قوله لم يدركه ذم للاستعجال والاستبطاء لهذا المدعو كقوله فعسى ان تحبوا
شيئا وهو شر لكم وما اقرب اليوم من تباشير غد اي من التبشير به كقوله غدا ما غدا ما اقرب اليوم من غد وكقوله وان غدا للناظر قريب
ثم اخذ في تقريب ذلك الموعود من الفتن فقال هذا ابان كل موعود بورود ودنو ظهور ما لا تعرفون من تلك الامور بالتفصيل وقوله
الا وان من ادركها منا اي من ادرك تلك الفتن من اهل بيته الائمة الاطهار يسري فيها بسراج منير واستعار لفظ السراج لكمالات نفسه التي استنار
بها في طريق الله من العلوم والاخلاق الفاضلة ولفظ المنير ترشيح وهو اخبار عن معرفته للحق وتمييزه من الباطل وان تلك الفتن لا توقع له شبهة
ولا تاثير لها في عقيدته الصادقة الصافية بل يتصرف فيها مستفيدا الانوار الله على صراط المستقيم لا يلويه عنه ملو بل يقتفي فيه اثار ائمة الصالحين
ويلزم مكارم الاخلاق فيحل ما انعقد فيها واشكل على الناس من الشبه ويحل ربق الشك من اعناق نفوسهم او يفك فيها الاسير فيطلق ربقة
اسره ويعتقهم ويصدع ما انشعب والتام من ضلال يمكنه صدعه ويشعب ما انصدع من امر الدين ما امكنه شعبه في سترة عن الناس لا يبصر
القائف اثره ولو تابع اليه نظره وما زالت ائمة اهل البيت عليهم السلام مغمورين في الناس لا يعرفهم الا من عرفوه انفسهم حتى لو تعرفهم من لا يريد
معرفتهم لم يعرفهم. ولست اقول لم يعرفوا اشخاصهم بل لا يعرفون انهم اهل الحق والاحقون بالامر وقوله ثم ليشحذن فيها قوم اي في اثناء ما ياتي
تشحذ اذهان قوم وتعد لقبول العلوم والحكمة كما يشحذ الحداد النصل ولفظ الشحذ مستعار لاعداد الاذهان ووجه الاستعارة الاشتراك
في الاعداد التام النافع فهو مخصوص في مسائل الحكمة والعلوم كمضي النصل فيما يقطع به وهو وجه التشبيه المذكور ثم اخذ في تفسير ذلك الشحذ
والاعداد فقال تجلى بالتنزيل ابصارهم اي بتدبر ما في القران الكريم ودراسته وتدبره انصار بصائرهم لادراك الحكمة واسرار العلوم وذلك لاشتمال
التنزيل الالهي عليها ويرمى بالتفسير في مسامعهم اي يلقى اليهم تفسيره على وجهه من امام الامام الوقت ثم عبر عن اخذهم الحكمة ومواظبتهم على تلقفها
بعد استعدادهم لها بالغبوق والصبوح ولفظ الصبوح والغبوق مستعاران لكونهما حقيقيين في الشرب المخصوص المحسوس وهؤلاء المشار
اليهم بالاستعداد للحكمة واخذها هم علماء الامة من جاء منهم قبلنا ومن في اخر الزمان من المتبحرين لكمال النفوس السالكين لسبيل الله
المرتضين في نظره ونظر الائمة من ولده **منها** وطال الامد بهم ليستكملوا الخزي ويستوجبوا الغير حتى اذا اخلولق الاجل واستراح
قوم الى الفتن واشتالوا عن لقاح حربهم لم يمنوا على الله بالصبر ولم يستعظموا بذل انفسهم في الحق حتى اذا وافق وارد القضاء انقطاع
مدة البلاء حملوا بصائرهم على اسيافهم ودانوا لربهم بامر واعظهم حتى اذا قبض الله رسوله رجع قوم على الاعقاب وغالتهم السبل
واتكلوا على الولائج ووصلوا غير الرحم وهجروا السبب الذي امروا بمودته ونقلوا البناء على رص اساسه فبنوه في غير موضعه معادن
كل خطيئة وابواب كل ضارب في غمرة قد ماروا في الحيرة وذهلوا في السكرة على سنة من ال فرعون من منقطع الى الدنيا راكن او مفارق
للدين مباين **اقول** الامد الوقت والاشتيال الرفع والوليجة البطانة وهي خاصة الرجل من اهله وعشيرته ورص الاساس احكامه
ماروا تحركوا وهذا الفصل يستدعي كلاما منقطعا قبله لم يذكره الرضي رض قد وصف فيه فئة ضالة قد استولت وملكت واملى لها الله
سبحانه وقوله وطال الامد بهم ليستكملوا الخزي كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا
فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وقوله حتى اذا اخلولق الاجل اي صار خلقا وهو كناية عن بلوغهم غاية مدتهم المكتوبة بقلم القضاء
الالهي في اللوح المحفوظ وقوله واستراح قوم الى الفتن اشارة الى من يعتزل الوقائع التي ستقع في اخر الزمان من شيعة الحق وانصار دينه
اليها اي يجد في اشتغال القوم بعضهم ببعض راحة له في الانقطاع والعزلة والخمول واشتيالهم عن لقاح حربهم رفعهم لانفسهم عن ايقادها
استعار لفظ اللقاح بفتح اللام لاثارة الحرب ملاحظة لشبهها بالناقة وقوله لم يمنوا جواب قوله حتى اذا اخلولق والضمير في يمنوا قال بعض الشارحين
انه غائد قال بعض الشارحين انه عائد الى العارفين الذين تقدم ذكرهم في الفصل السابق بقوله حتى اذا القى هؤلاء السلم الى هذه
الفئة الضالة عجزوا واستراحوا من منابذتهم الى فتنتهم منهم نهض الله اولئك الذين حضتهم حكمته واطلعهم على اسرار العلوم فنهضوا ولم

مراجعة

في وصف فتنة ضالة ومهالكها

يمنوا على الله نعم بالصبر في طاعته وفي روايته بالنصراى بنصرهم له ولم يستعظموا ما بذلوه من نفوسهم في طلب الحق حتى اذا وافق القدر الذي هو وارد
القضاء وتفصيله انقطاع مدة هذه الفتنة وارتفاع ما كان يشمل الخلق من بلائها حمل هؤلاء العارفون بصائرهم على اسيافهم وفيه معنى
لطيف يريد انهم اظهروا اعتقاداتهم وقلوبهم للناس وكشفوها وجردوها مع تجريد سيوفهم فكانهم حملوها على سيوفهم فترى في غاية الجلاء والظهور
كما ترى السيوف المجردة ومنهم من قال اراد بالبصائر جمع بصيرة وهو الدم فكانه اراد طلبوا ثارهم والدماء التي سفكتها تلك الفتنة فكانت
تلك الدماء المطلوب ثارها محمولة على اسيافهم المجردة للحرب واشار بواعظهم الى الامام القائم والقول يحتمل ان يريد بالضمير في يمنوا وما
بعده القوم الذين اشرأبوا الى الفتنة واشتملوا عن لقاح الحرب وذلك انهم لم يفعلوا ذلك الا لانهم لم يؤذن لهم في القيام حين اشرأبهم
والقائم السابق لهذه الفتنة ولم يتمكنوا من مقاومتهم لعدم قيام القائم بالامر فكانوا حين مسالمتهم صابرين على مضض من الم المنكر الذي
يشاهدونه غير مستعظمين لبذل انفسهم في نصرة الحق لو ظهر من يكون لهم ظهيرا يلجأون اليه حتى اذا ورد القضاء الالهي بانقطاع مدة
بلاء هذه الفتنة وظهور من يقوم بنصر الحق ودعا اليه حمل هؤلاء بصائرهم على اسيافهم وقاموا لربهم بامر من يقوم فيهم واعظا وتخويفا
وداعيا وهذا الحمل يرجحه عود الضمير الى الاقرب وهم القوم وقوله حتى اذا قبض الله رسوله الى اخره هذا الفصل منقطع عما قبله لانه
صرح بذكر غاية الانقضاض حال حياة الرسول صلعم وحال الناس بعده ومعه ولعل في الكلام المتقدم شيء من الملك ثلث الكلم الا
ان يحمل من قال الاقرب منهم في الكلام المتقدم على من كان من اهل الضلال قبل الاسلام حتى اذا اخلولق اجلهم واشرأب قوم منهم
الى الفتن والوقائع بالنهب والغارة واشتملوا عن لقاح حربهم اي عدوا انفسهم لها كما تعد الناقة نفسها لتبول ذنبها للقاح اي
مر فعروا نسمى بها الا ويكون الضمير في قوله لم يمنوا راجعا الى كر سنين للصحابة في هذه الخطبة حين قام الرسول صلعم فيهم وهم للحرب لم
يمنوا على الله بصبرهم معه ولن نصرة الحق ولم يستعظموا بذل انفسهم له حتى اذا وافق وارد القضاء انقطاع مدة البلاء بدولة الجاهلية
والكفر حمل هؤلاء الذين لم يمنوا على الله بنصرهم بصائرهم اي ما كانوا يخفونه من الاسلام في قلبه على سيوفهم اي كشفوا اعتقاداتهم
كما سبق القول فيه ودانوا لربهم بامر واعظهم وهو الرسول صلعم ويصلح قوله حتى اذا قبض الله رسوله غاية
لذلك الكلام على هذا التاويل وقوله رجع قوم على الاعقاب الى اخره اما على المذاهب الامامية فاشارة الى عدول الصحابة بالخلافة
عنه وعن اهل بيته الى الخلفاء الثلاثة واما على مذهب من صحح امامة الخلفاء الثلاثة فيحتمل ان يريد بالقوم الراجعين على الاعقاب
من خرج عليه في زمن خلافته من الصحابة كمعوية وطلحة والزبير وغيرهم وزعموا ان غيره احق بها منه ومن اولاده والرجوع على الاعقاب
كناية عن الرجوع عما كانوا عليه من الانقياد للشريعة واوامر الله ورسوله ووصيته باهل بيته وغيلة السبل لهم كناية عن اشتباه طرق الباطل
بالحق واشراف طرق الباطل بهم واهلاكها اياهم وهي الشبه المستلزمة للاراء الفاسدة كما يقال لمن اخذته الطريق الى المضيق وهي
مجاز في المفرد والمركب اما في المفرد فلان سلوكهم لسبيل الباطل لما كان عن غير علم منهم بكونه باطلا ناسب الغيلة فاطلق عليه لفظها واما
في المركب فلان اسناد الغيلة الى السبل ليس حقيقة اذ الغيلة من فعل العقلاء واتكالهم على الولائج اعتماد كل من راى منهم رايا فاسدا
على اهله وخواصه في نصرة ذلك الراي ووصلوا غير الرحم اي غير الرسول صلعم وترك المضاف لبيه للعلم به وكل هم والسبب الذي امروا
بمودته ولعله يريد اهل البيت ايضا وكونهم سببا لمن اهتدى بهم في الوصول الى الله سبحانه قال الرسول صلعم خلفت فيكم الثقلين كتاب
الله وعترتي اهل بيتي حبلان ممدودان من السماء الى الارض لن يفترقا حتى يردا على الحوض فاستعار لهم لفظ الحبل والسبب في اللغة
الحبل ولعلهم بمودته كما في قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقوله ونقلوا البناء عن رص اساسه فبنوه في غير موضعه
اشارة الى العدول بامر الخلافة عنه وعن اهل بيته الى غيرهم وصلة غير الرحم خروج عن فضيلة العدالة الى رذيلة الظلم وعدم مودة
اولي القربى رذيلة التفريط من تلك الفضيلة الداخلة تحت العفة وكان نقل البناء عن موضعه دخول في رذيلة الظلم ثم وصفهم توصيفا
اجماليا بكونهم معادن كل خطيئة اي انهم مستعدون لفعل كل خطيئة ومهيئون لها فهم مظانها ولفظ المعادن استعارة وكذلك
ابواب كل ضارب في غمرة واستعار لفظ الابواب لهم باعتبار ان كل من دخل في غمرة جهالة او شبهة تثيرها فتنة واستعان بهم فتحوا
له ذلك الباب وساعدوه وحسنوا له رايه به فكانهم تلك الابواب الى مراده الباطل يدخل منها وقوله قد ماروا في الحيرة اي
ترددوا في امرهم فهم حائرون لا يعرفون جهة الحق فيقصدونه وذهلوا اي غابت اذهانهم في سكرة الجهل فهم على سنة من ال فرعون
وطريقته وانما ذكر السنة لانه يريد بها مشابهتهم في بعض طرائقهم وال فرعون ابناعه وقوله من منقطع الى الدنيا الى اخره تفصيل
لهم باعتبار كونهم على سنة من ال فرعون فمنهم المنقطع الى الدنيا المنهمك في لذاتها المكب على تحصيلها ومنهم المفارق للدين المباين
له وان لم يكن له دنيا والمنفصلة مانعة الخلو بالنسبة الى المشار اليهم ويحتمل ان يريد مانعة الجمع ويشير بمفارق الدين الى من ليس
براكن الى الدنيا ككثير ممن يدعي الزهد مع كونه جاهلا بالطريق فتراه يتفرق من الدنيا ويحسب انه على شيء مع ان جهله بكيفية
سلوك سبيل الله يقوده يمينا وشمالا عنها وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** واستعينه على مداحر الشيطان ومزاجره

والاعتصام

في الاستغاثة بالله في ما يدحر الشيطان

٢٠
والاعتصام من حبائله ومخاتله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ونجيبه وصفوته لا يوازى
فضله ولا يجبر فقده اضاءت به البلاد بعد الضلالة المظلمة والجهالة الغالبة والجفوة الجافية والناس يستحلون الحريم ويستذلون
الحليم يحيون على فترة ويموتون على كفرة ثم انكم معشر العرب اغراض بلايا قد اقتربت فاتقوا سكرات النعمة واحذروا بوائق
النقمة وتثبتوا في قتام العشوة واعوجاج الفتنة عند طلوع جنينها وظهور كمينها وانتصاب قطبها ومدار رحاها تبدو
في مدارج خفية وتؤول الى فظاعة جلية شبابها كشباب الغلام وآثارها كآثار السلام تتوارثها الظلمة بالعهود اولهم
قائد لآخرهم وآخرهم مقتد باولهم يتنافسون في دنيا دنية ويتكالبون على جيفة مريحة وعن قليل يتبرأ التابع من المتبوع
والقائد من المقود فيتزايلون بالبغضاء ويتلاعنون عند اللقاء ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف والقاصمة
الزحوف فتزيغ قلوب بعد استقامة وتضل رجال بعد سلامة وتختلف الاهواء عند هجومها وتلتبس الآراء عند عنده
نجومها من اشرف لها قصمته ومن سعى فيها حطمته يتكادمون فيها تكادم الحمر في العانة قد اضطرب معقود الحبل
وعمي وجه الامر تغيض فيها الحكمة وتنطق فيها الظلمة وتدق اهل البدو بمسحلها وترضهم بكلكلها يضيع في غبارها
الوحدان ويهلك في طريقها الركبان ترد بمر القضاء وتحلب عبيط الدماء وتثلم منار الدين وتنقض عقد اليقين
تهرب منها الاكياس وتدبرها الارجاس مرعاد مبراق كاشفة عن ساق تقطع فيها الارحام ويفارق عليها الاسلام
بريئها سقيم وظاعنها مقيم **اقول** المداحر جمع مدحر وهي الامور التي يدحر اي يطرد بها ومخاتلها حال غروره التي يختل الى الذنب
بها ويوهمهم انها نافعة والبوائق جمع بائقة وهي الداهية والقتام الغبار والعشوة بكسر العين الامر الملتبس وضوح و
الفصاحة تجاوز الامر الشديد الحد والمقدار والسلام بكسر السين الحجارة الصم واحدها سلمة بكسر اللام والمريحة المنتنة ويتزايلون يتفارقون
ونجومها طلوعها واشرف لها اي انتصب لدفعها والتكادم التعاض بادنى الفم والعانة القطيع من حمر الوحش والمسحل المبرد والمحل
تكون في طرف شكيمة اللجام مدخلة في مثلها والوحدان جمع واحد والعبيط الخالص الطري وصدر هذا الفصل باستعانة الله تعالى على
ما يدحر الشيطان ويزجره وذلك هو العبادات والاعمال الصالحة المستلزمة لطرده وزجره وتطويعه وعلى الاعتصام من حبائله وهو في م
الشهوات واللذات الدنيوية واستعار لها لفظ الحبائل وهو اشتراك الصائد لمشابهتها اياها في استلزام الحصول فيها للبعد عن السلامة و
الحصول في العذاب ومن مدائح الرسول صلعم كونه نجيبا لله اي مختارا ودوي نجيبه وصفوته له من خلقه لا يوازى فضله اي لا يحصل مثله في احد
اذ كان كماله في قوتيه النظرية والعملية غير متناه لاحد من الخلق ومن كان كذلك لم يجبر فقده الا بقيام مثله من الناس واذ لا مثل له فلا
جبران لفقده وقوله اضاءت به البلاد بعد الضلالة اي ضلالة الكفر ووصفها بالظلمة لعدم الاهتداء فيها للحق والوصف مستعار وكذلك وصف
الاضاءة به مستعار لاهتداء الخلق به في معاشهم ومعادهم واسناد الاضاءة الى البلاد مجاز والجهالة الغالبة على اكثر الخلق وطرد الجهل بالطريق
الى الله تعالى وبكيفية نظام المعاش مما بينه هو وكشفه بشريعته والجفوة الجافية يريد غلظة العرب وما كانوا عليه من قساوة القلوب وسفك
الدماء ووصفها بما اشتق منها مبالغة وتاكيدا لها واراد بالجفوة القوية والناس يستحلون الحريم او اراد الحال والعامل اضاءت ويستذلون
الحليم وذلك من عادة العرب الى الآن ستذل الا من غفل منهم وحلم عن الغارة والنهب واثارة الفتن واستهضما وتنسبه الى الجبن والضعف ويحيون
على فترة اي على حالة انقطاع الوحي والرسل وتلك حال انقطاع الخير وموت النفوس بداء الجهل ويموتون على كفرة وهي الفعلة من الكفر
لاهل كل قرن حيث لا هادي لهم ثم اخذ عنها انذار السامعين باقتراب حوادث الوقائع المستقبلة التي يرمون بها كما يرمى الغرض بالسهام واستعار لفظ
الفتن م الغرض لهم ولما كانت الحادثة تزكية لكثير قوم واهلاكهم مثلا يحسب استعدادهم لذلك وكان اكبر الاسباب المعدة لها هي الغفلة عن ذكر الله بالانهماك
في نعيم الدنيا ولذاتها استعار للغفلات لفظ السكرات ثم امر باتقائها وحذر من دواهي النقمات بسبب كفران النعم ثم امر بالتثبت والتبين على
الروايات عند اشتباه الامور عليهم وظهور الشبهة المثيرة للفتن كشبهة قتل عثمان التي نشأت منها وقائع الجمل وصفين والخوارج واستعار
لفظ القتام لذلك الامر المشتبه ووجه المشابهة كون ذلك الامر مما لا يهتدي فيه خاصته كما لا يهتدي القائم في القتام عند ظهوره ونوجه
اعوجاج الفتنة اتيانها على غير وجهها ولفظ الجنين يحتمل ان يكون حقيقة اي عند طلوع ما اجتن منها وخفي عليكم وكذلك كمينها اي ما كمن منها
واستتر ويحتمل ان يكون استعارة وعنى بقطبها من تدور عليه من بغاة المنافرين استعارة وانتصابا قيامه لذلك الامر وكان استعار لفظ
الرحى لدورانها على من تدور عليه من انصار ذلك القطب وعسكره الذين تدور عليهم الفتنة ثم اخبر انها تبدو في مدارج خفية واراد بالمدارج
يقصد له صدور من ينوي القيام فيها ويقصد على ثارها وكان هذا اشارة الى فتنة بني امية وقد كان مبدأها شبهة قتل عثمان ولم يكن احد من الصحابة
يتوهم حصول مثل هذه الفتنة وانما كانوا علموا من الرسول صلعم حدوث وقائع وفتن غير معينة الازمان ولا من يثيرها ويكون قطبا لها فخفاه
مدارجها كتمان معوية وطلحة والزبير وغيرهم لامورهم وما عزموا عليه من اقامة الفتنة والطمع في الملك والدولة حتى آل ذلك الطمع الى الامور
الفظيعة الواضحة بعد الخفاء واستعار لفظ الشباب لقيامها وظهورها في الناس ووجه المشابهة السرعة في الظهور ولذلك اكدها بتشبيه

ذلك الظهور لتبيا الغلام اى في السرعة ومع سرعتها لها اثار في هيكل الاسلام كاثار الجراحة الصالحة في الجلد وجد الشبه انسدادها اللبين ولفظ المسلمين
كانت الجرح ما يقع عليه بالرض والكسر واشار بالظلمة التي يتوارثونها الى بني امية بعهد الاول منهم الى اخرهم وتذكر قود اولهم لاخرهم الى النار والدخول
في الظلم والضلال لزوال ثار به تلك الفتن واستعار لفظ القود لتهيئة الاول منهم اسباب الملك لمن بعده واقتداء اخرهم باولهم في ذلك في ضمير المفعول
في يتوارثونها يرجع الى تلك الفتنة ثم اشار الى صفة حالهم في اثار تلك الفتن وتوارثها وهي المنافسة في الدنيا الدنية في نظر العقلاء و
استعار لفظ التكالب لتجاذبهم بعضهم لبعض عليها كالمجاذبة بين الكلاب على الميتة واستعار لها لفظ الجيفة ورشح بذكر المرجع للتنفير عنها
ووجهها كونها مستلزمة لانه طالبها مهروبا منها للعقلاء كالهرب من الجيفة المنتنة والابروا عنها ثم اخبر بانقضائها عن قليل وكنى عن ذلك
تبرء التابع من المتبوع والقايد من المقود اي يتبرء كل من الفريقين من الاخر كما قال تعالى اذ تبرء الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وقوله وقالوا
ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا وذلك التبرء وقيل عند ظهور الدولة العباسية فان العادة جارية بتبرء الناس من الولاة
المعزولين خصوصا عند الخوف ممن تولى عزلهم وتلك وقلتهم فيتباينون بالبغضاء اذ لم يكن الفهم ومحبتهم الا لغرض زائل و
يتلاعنون عند اللقاء وقيل ذلك يوم القيامة وقوله عن قليل الى قوله عند اللقاء جملة اعتراضية مؤكدة بها معنى بتجيبة منهم فكانه قال انهم
على تكالبهم عليها عن قليل يتبرء بعضهم من بعض وذلك دعى لهم الى ترك التكالب عليها وقوله ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف وكان
هذه الفتنة هي فتنة التتار الذين وردوا على العرب قال بعض الشارحين بل ذلك اشارة الى الملحمة الكائنة في اخر الزمان كفتنة الدجال
وكنى عن اهوالها واضطراب امر الاسلام فيها بكونها رجوفا اى كثيرة الرجف وطالعها مقدماتها واوائلها وكنى بقصمها عن اهلاك
الخلق فيها واستعار لها لفظ الزحوف ملاحظة لشبهها بالرجل الشجاع كثير الزحف في الحرب الى اقرانه اي يمشي اليهم قدما ثم شرع في بيان
افعال تلك الفتنة بالناس من ازاغة قلوب قوم عن سبيل الله تعالى بعد استقامتها عليه وضلال رجال اى هلاكهم في الاخرة بالمعاصي
بعد سلامة منها واختلاف الاهواء عن ارادة الله بهجومها والتباس الاراء الصحيحة بالفاسدة على الناس فلا يعرفون وجه المصلحة من غيره من عند ظهورها
يطلع الى مقاومتها وسعى في دفعها هلك واستعار لفظ التكادم اما لمغالبة مثيري هذه الفتنة بعضهم لبعض ومغالبتهم لغيرهم وشبه ذلك
تكادم الحمر في العانة ووجه التشبيه المغالبة مع الابهام اى خلعهم ربق التكليف من اعناقهم وكثرة غفلتهم عما يراد بهم في الاخرة واستعار الحبل
لما كان ابرم من دولة الاسلام واستعار لفظ الحبل للدين وكنى باضطرابه عن عدم استقرار قواعد الدين عند ظهور اول هذه الفتنة وعمى
وجه هذا الامر اى عدم الاهتداء الى وجه المصلحة واشار بالحكمة التي تغيض فيها الى الحكمة الخلقية التي عليها مدار الشريعة ونظمها واستعار لفظ معقوده
الغيض لعدم ظهورها والانتفاع بها وينطق فيها الظلمة بالامر والنهي وما يقتضيه اراؤهم الخارجة عن العدل واستعار لفظ المسحل لما تؤذي به العرب
واهل البادية ووجه المشابهة اشتراك المبرد وشكيمة اللجام وما تؤذي به العرب من هذه الفتنة في الايذاء فكانها شجاع ساق عليهم فدقهم بشكيمة
فرسه او نحو ذلك وكذلك استعار لفظ الكلكل لما يلحقهم البلاء ومنها ملاحظة لشبهها بالناقة التي تبرك على الشيء فتمحقه وقوله يضيع في غبارها
الوحدان ويهلك في طريقها الركبان كناية عن عظمها اي لا يقاومها احد ولا يخلص منها الوحدان والركبان ولفظ الغبار مستعار للقليل
من حركة اهلها اي ان القليل من الناس اذا ارادوا دفعها هلكوا في غبارها من دون ان يدخلوا في غمارها اما الركبان وكنى بهم عن الكثير من
الناس فانهم يهلكون في طريقها وعند خوضها وقيل اراد بالوحدان فضلاء الوقت اذ يقال فلان واحد وقته وبالغبار الشبه التي تغطي الحق
عن اعينهم ويكون الركبان كناية عن الجماعة اهل القوة واذا كان هؤلاء يهلكون في طريقها اى عند الخوض لعمرانها فكيف بغيرهم وكنى بمر قضائها
عن القتل والاسر ونحوها وقط كونها الواردات الموذية الواردة عن القضاء الالهي معلوم الكون وكذلك استعار وصف الحلب لها ملاحظة
لشبهها بالناقة وكنى بذلك عن سفك الدماء فيها ومنار الدين علامه وهم علماؤه ويحتمل ان يريد قوانينه الكلية وثلمها عبارة عن قتل العلماء
وهدم قواعد الدين وترك العمل به وعقد اليقين هو الاعتقاد الموصل الى علم اليقين او الى عين اليقين وهو اعتقاد الشريعة وايصال ذلك الى
جوار الله تعالى والقرب منه ونقضه هو ترك العمل على وفقه وتبدله والاكياس الهاربون منها هم العلماء واهل العقول السليمة وكل هذه الاشارات من تغيره
معلومة من فتنة من ذكرنا وظاهر كونهم ارجاس النفوس رجس الشيطان انجاسها بالهيئات البدنية والملكات الرديئة انجاس لا بد ان يحكم
الشريعة وكنى عن شدتها وكونها محل المخاوف بوصفي الرعاد والبراق وهما مستعاران ملاحظة لشبهها بالسحاب كثيرة البرق والرعود ووصف
كشفها عن ساق عن ابنائها مجردة كالمشمر للحرب ولا مرهم وقط كونها تقطع منه الارحام ويفارق عليها الاسلام واشار ببريئها الى من يتنفذ في
هذه الدولة وزائره وصلاح بري من المعاصي والاثام مع كونه ليس كذلك اذ من الظن ان السالم في هذه الفتنة من معصية الله قليل بل اقل من القليل
ولعله عند الاستقراء لا يوجد واشار بظاعنها الى من يعتقد انه متخلف عنها وغير داخل فيها وكونه غير متخرج عنها ويحتمل ان يريد بها من
ارتحل عنها خوفا لا يخرج منها وبالله التوفيق **منها** بين قتيل مطلول وخائف مستجير يختلون بعقد الايمان وبغرور الايمان فلا تكونوا
انصاب الفتن واعلام البدع والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة وبنيت عليه اركان الطاعة واقدموا على الله مظلومين ولا تقدموا
عليه ظالمين واتقوا مدارج الشيطان ومهابط العدوان ولا تدخلوا بطونكم لعق الحرام فانكم بعين من حرم عليكم المعصية وسهل لكم سبيل الطاعة على الله

٢٠ ح

اقول يقال طل دم فلان فهو مطلول اذا اهدر وهم الطلب ويختلون يخدعون والعقد جمع عقدة وهي ما تشد وله المعقد مرة فقوله بين قتيل الى
قوله مستجير تقسيم بكون صفة حال المتمسكين بالدين في زمان الفتنة الاولى وقوله يختلون الى قوله بغرور الايمان صفة حال اصحاب هؤلاء
المقتولين اى انهم يخدعون باعطاء الاقسام والعهود الكاذبة وذلك كخداع الحسين ع عن نفسه واصحابه وروى يختلون بالبناء للفاعل
فيكون وصف حال اهل الفتنة واتباعهم ثم اخذ في نهي السامعين ان يكونوا انصابا للفتن التي يذكرونها واعلاما للبدع اي رؤساء
اليهم فيها ويقتدى بهم كما يشار الى الاعلام المبينة ويقتدى بها وفي الخبر كن في الفتنة كابن لبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب وقوله و
اقدموا على الله مظلومين ليس المراد منه الامر بالانظلام فان ذلك طرف التفريط من فضيلة العدالة وهي رذيلة بل المراد انكم اذا كانت لكم مكنة
من الظلم فلا تظلموا ولو استلزم ترك الظلم انظلامكم وهو كسر للنفوس عن رذيلة الظلم خصوصا نفوس العرب فانها اكثر تطاولا الى الظلم و
امنع عن قبول الانظلام والانفعال عند ان استلزم الظلم كما اشار اليه العرب ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومدارج الشيطان طرقه وهي الرذائل التي يجتنبها ويقود وكذلك مهابط العدوان محاله التي يهبط فيها وهي من طرق الشيطان ايضا ولعق الحرام
كناية عن غنائم يكتسبه الانسان من الدنيا ومتاعها على غير الوجه الشرعي وتنبه باللعق على قلتها وحقارتها بالنسبة الى متاع الاخرة وتنبه على وجوب
الانتهاء عما نهى عنه بقوله فانكم بعين من حرم عليكم الى اخره يقال فلان من فلان بمرأى ومسمع وبعين منه اذا كان مطلعا على امره اى فانه
حرم عليكم المعصية واوجب عليكم طاعته مطلع عليكم وعالم بما تفعلون وذلك ردع لهم من النهي المجرد ولفظ العين مجاز في العلم **ومن خطبة**
له عليه السلام الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على ازليته وباشتباههم على ان لا شبه له لا تستلمه المشاعر ولا تحجبه
السواتر لافتراق الصانع والمصنوع والحاد والمحدود والرب والمربوب الاحد لا بتاويل عدد والخالق لا بمعنى حركة ونصب والسميع
لا باداة والبصير لا بتفريق الة والشاهد لا بمماسة والبائن لا بتراخي مسافة والظاهر لا برؤية والباطن لا بلطافة بان من الاشياء
المقدرة له بالقهر لها والقدرة عليها وبانت الاشياء منه بالخضوع له والرجوع اليه من وصفه فقد حده ومن حده فقد عده ومن عده فقد ابطل
ازله ومن قال كيف فقد استوصفه ومن قال اين فقد حيزه عالم اذ لا معلوم ورب اذ لا مربوب وقادر اذ لا مقدور **اقول** المشاعر
الحواس اذ هي محل الشعور وحمد الله تعالى باعتبارات من اوصافه وفي الفصل ابحاث من العلم الالهي الاول الاشارة الى وجوده تعالى الواجب للناس في
اثباته طريقان احدهما اثبات وجوده بالنظر في نفس الوجود وقسمته الى قسميها حاصره وتقرير هذه الطريقة ان يقال لا شك في وجود موجود
فذلك الموجود ان كان واجب الوجود فهو المطلوب وان كان ممكنا افتقر الى مؤثر بناء على ان العلة المحوجة الى المؤثر هي الامكان وذلك المؤثر
ان كان ممكنا افتقر الى غيره ولزم الدور او التسلسل وكلاهما باطلان اما الاول فلانه لو افتقر كل واحد من الامرين الى الاخر باعتبار واحد لزم تقدم كل
منهما على المتقدم على نفسه فيلزم تقدمه على نفسه بمراتب واما الثاني فلانه لو كانت سلسلة من علل ومعلولات لا نهاية لها في الوجود لكان
مجموعها ممكنا لافتقاره الى الاجزاء التي هي غيره فلمجموعها علة تامة فهي اما نفسه وهو محال بالبديهة او لامر داخل فيه وهو باطل لان العلة التامة
للمركب علة اولا لاجزائه والا لتوقف على علة اجزائه فلم تكن علة تامة له بل هي مع علة اجزائه هف واذا كانت علة المركب علة اولا لاجزائه لزم ان يكون
كون ذلك الجزء المؤثر في المجموع مؤثرا في نفسه اولا وفي علله السابقة فيلزم تقدمه على نفسه بمراتب غير متناهية وذلك باطل بالبديهة فبقي ان يكون
المؤثر في ذلك المجموع اما امرا خارجا عنه او ما يتركب من الداخل والخارج عنه لكن القسم الثاني ايضا باطل لان الداخل لما كان جزءا من العلة المركبة
فله تقدم عليها فهي متقدمة على مجموع الممكنات فلها تقدم عليه وعلى اجزائه فجزؤها كذلك فله تقدم على نفسه وعلى علله وهو باطل فبقي الاول لكن
الموجود الخارج عن كل الممكنات لا يكون ممكنا بل واجب الوجود وهو المطلوب وهذه طريقة العلماء الذين يستدلون به على خلقه فانه ويسمونه
برهان اللم واما الطريق الثانية فهي الاستدلال بالنظر في المخلوقات وطبائعها وامكانها وتكثرها وقبولها للتغير والتركيب على مباديها ثم على
المبدء الاول جلت عظمته وهي طريق الطبيعيين وهي التي اشار اليها بقوله الدال على وجوده بخلقه والمتكلمون فرعوا منه الطريق الى اربع طرق
احدها انهم استدلوا بحدوث هذه الذوات على امكانها وبامكانها على حاجتها الى موجد ومؤثر وهي طريق الاشعري وابي الحسين البصري والثاني
من المتكلمين الثانية استدلوا بحدوث هذه الذوات فقط على وجود محدث لها من غير نظر الى الامكان فقالوا الاجسام محدثة وكل محدث فله محدث فيه
والمقدمة الاولى استدلالية والثانية عندهم بديهية الثالثة استدلالهم بامكان الصفات وذلك انهم بينوا ان الاجسام الفلكية والعنصرية
متماثلة ثم قالوا ان اختصاص بعضها بصفات ليست للاخر فذلك التخصيص ليس للجسمية ولا للوازمها والا لوجب في كل جسم ذلك ولا لعارض
من عوارضها لان الكلام في تخصيصه بذلك العارض كالكلام في الاول ويلزم التسلسل ولا للطبيعة كما يقول بعض الناس لانها لا تفعل في المادة
البسيطة كالنطفة مثلا اشياء مختلفة فبقي ان يكون ذلك التخصيص لمدبر حكيم وهو مرادنا بالصانع الرابعة الاستدلال بحدوث الصفات وهو
ظ وتنقيح هذه الطرق وما لها وعليها في الكتب الكلامية وينبغي ان يخص المتكلم قوله على وجوده بخلقه الطريقة الاولى لهم والثالثة فانه جعل الدال
الحدوث دليلا على الازلية البحث الثاني في ازليته وبيانه ما ذكره بقوله وبمحدث خلقه على ازليته وتقرير هذه الدلالة انه قد ثبت في
موضعه ان جميع المحدثات صادرة عنه تعالى ومنتهية عنده فلو كان هو محدثا لكان محدثا لنفسه وهو باطل بالضرورة البحث الثالث انه لا مثل محدثا

لمولا شبيه واليه الاشارة بقوله وباشتباههم على انه لا شبيه له واذا اشتباههم في الحاجة الى المؤثر والمدبر وتقرير هذه الطريق ان يقول ان
كان تعم غنيا عن المؤثر فلا شبيه له في الحاجة اليه لكن المقدم حق فالتالي مثله وقيل اراد اشتباههم في الجسمية والجنس والنوع والاشكال
والمقادير والالوان ونحو ذلك اذ ليس داخلا تحت جنس لبراءته عن التركيب المستلزم للامكان ولا تحت النوع لافتقاره في التخصيص بالعوارض
الى غيره ولا بذي مادة لاستلزامها التركيب فليس بذي شبيه في شيء من الامور المذكورة والاول اعم في نفي التشبيه البحث الرابع ان
المشاعر لا تبلغه وبيانه ان استلام المشاعر مستلزم للجسمية والاعراض القائمة بها واذ قد ثبت قدسه تعم عن الجسمية ولواحقها فقد
تنزه عن ادراك المشاعر ولها البحث الخامس ان السموات لا تحجبه وبيانه ان الحجاب والستر من لواحق ذي الجهة والجسمية واذ تنزه عنهما فقد تنزه عن الحجب بالستر المحسوسين وقوله لافتراق الصانع والمصنوع الى قوله والمربوب لتعليل راجع الى الجمل المتقدمة كلها
اذ كان لكل من الصانع والمصنوع صفات تخصه وتميز بها وهي الكون بحيث يفارق الآخر فالمخلوقية والحدوث والاشباه والملموسية
والمشاعر والحجب بالستر من لواحق الامور الممكنة المصنوعة ومما ينبغي لها ويليق بها والوجود الازلي الذي لا شبيه له المنزه عن المشاعر
وحجب الستور من لواحق الصانع الاول الواجب وهو الذي ينبغي له ويليق به ويضاده ما سبق من صفات الممكنات واراد بالحادث
المحدود والنهايات وهو الصانع واعتبار الصانع غير اعتبار الرب لدخول المالكية في مفهوم الربوبية دون الصنع البحث السادس في وحدانيته
وقد سبق برهانها واراد بقوله ليس بمعنى العدد ان وحدانيته ليس بمعنى كونه مبدأ لكثرة تعد به كما يقال به في اول العدد واحد وقد علمت
فيما سبق ان الواحد يقال بالاشتراك اللفظي على معان عدة عرفنا وعرفنا اطلاق الواحد عليه تعم باي معنى هو وانه لا يجوز ان يكون مبدأ
للعدد بل هو تعم واحد بمعنى انه لا ثاني له في الوجود وبمعنى انه لا كثرة في ذاته بوجه لا ذهنا ولا خارجا وبمعنى انه لم يفته من كماله شيء بل كل
ما ينبغي ان يكون له فهو له بالذات والفعل البحث السابع في كونه تعم خالقا منزها عن الحركات والمتاعب وقد عرفت لمية ذلك في الخطبة الاولى
وهو كونهما من لواحق الاجسام المنزه قدسه عنها البحث الثامن كونه سميعا لا باداة اي لا يسمع وقد سبق بيانه في الخطبة الاولى البحث التاسع
كونه بصيرا لا بتفريق الالة وتفريقها اما عبارة عن نفث القوة الباصرة وتوزيعها على المبصرات وهذا المعنى على قول من جعل الابصار بالة
الشعاع الخارج من العين المتصل بسطح المرئي الظاهر فان توزيعا اوضح من توزيع الالة على قول من يقول ان الادراك يحصل بانطباع صورة المرئي
في العين ومعنى التفريق على القول الثاني هو تقليب الحدقة وتوجيهها مرة الى هذا المبصر ومرة الى ذلك كما يقال فلان مفرق الهمة والخاطر
اذا وزع فكره على حفظ اشياء متباينة ومراعاتها كالعلم وتحصيل المال وظاهر تنزهه تعم عن الابصار بالة الحس لكونها من توابع الجسمية ولواحقها
البحث العاشر كونه تعم شاهدا اي حاضرا لا بمماسة شيء والمراد تنزيه حضوره عن مماثلة حضور الجسمانيات المستلزم للقرب المستلزم لمماسة الاجسام
وتقارب بين من اين فهو تعم الحاضر بعلمه عند كل شيء والشاهد لكل شيء من غير قرب ولا مماسة ولا اين مطلقا لتنزهه عن الجسمية ولواحقها
البحث الحادي عشر انه تعم مباين للاشياء الابمسافة اي ان مباينته للاشياء الا بتميز بالوضع والاين بل بذاته فقط وقد سبق
تقرير ذلك في الخطبة الاولى ايضا البحث الثاني عشر انه الظاهر لا برؤية والباطن لا بلطافة وذلك ان الظاهر من الاجسام ما كان منها مرئيا بحاسة
البصر والباطن منها ما كان لطيفا اما لصغر حجمه او لطافة قوامه كالهواء وظهوره تعم وبطونه منزه عن هاتين الكيفيتين وقد شرحنا هذين
الوصفين عنه البحث الثالث عشر كونه بائن من الاشياء بالقهر لها والقدرة عليها الى قوله اليه ذكر في بينونته تعم من مخلوقاته ما ينبغي له
من الصفات وفي بينونتها منه ما ينبغي لها فالذي ينبغي له كونه قاهرا لها غالبا عليها ومستوليا وكونه قادرا على ايجادها واعدامها والذي
ينبغي لها كونها خاضعة في ذل الامكان والحاجة لعزته وقهره وراجعة في وجودها وكمالاتها الى وجوده وبذلك حصل التباين بينهما وبينه
البحث الرابع عشر تنزيهه عن الصفات الزائدة بالقياس الى ما ذكره بقوله من وصفه فقد حده ومن حده فقد عده وقد قرر هذا القياس بعينه في
الخطبة الاولى بان تنزيهه وابلغ تحقيق عبارته قال هناك ومن اشار اليه فقد حده وقال ههنا ومن وصفه فقد حده لكن المراد بوصفه هنا هو
اشارة الوهم اليه واستثباته بكيفيات وصفات فيكون معنى العبارتين واحدا وقوله ومن عده فقد ابطل ازله لما كان تعده عبارة عن جعله
مبدأ لكثرة معدودة او عن كونه ذا اجزاء معدودة وكان ذلك من لواحق الممكنات والمحدثات الغير المستحقة للازلية بالذات لا جرم كان
من عده باحد الاعتبارين مبطلا ازله الذي يستحقه لذاته البحث الخامس عشر تنزيهه ان يسأل عنه بكيف لانها سؤال عن الكيفية والصفة
وهو معنى قوله فقد استوصفه وقد بينا تنزيهه تعم عن الكيفيات والصفات البحث السادس عشر تنزيهه عن السؤال عنه باين وذلك لانها
سؤال عن الحيز والجهة اللذين هما من لواحق الاجسام وقد بينا تنزيهه تعم عن الجسمية وما ينبغي لها فليس هو سبحانه في مكان وهو في كل
مكان بعلمه واحاطته البحث السابع عشر كونه تعم عالما اذ لا معلوم الى قوله مقدور وقد علمت معنى علمه وربوبيته وقدرته وعلمت ان
الاشارة بإذ الى اعتبار نفسه بذاته على معلوم انه معلوم لانه وقط عند ذلك الاعتبار انه لا معلوم في الوجود سوى ذاته لذاته ولا مربوب
ولا مقدور موجود هناك بل هي ولحيثية التاخر عن ذلك الاعتبار سواء كانت بعد ذلك محدثة كلها كما عليه المتكلمون او بعضها كما عليه
الاوايل وبالله التوفيق والغضب منها قد طلع طالع ولمع لامع ولاح لائح واعتدل مائل واستبدل الله بقوم قوما وبيوم يوما

وانظرنا الغير انتظار المجدب المطر وبما الائمة قوام الله على خلقه وعرفاؤه على عباده لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار الا من
انكرهم وانكروه ان الله قد خصكم بالاسلام واستخلصكم له وذلك لانه اسم سلامة وجماع كرامة اصطفى الله منهجه وبين حججه من ظاهر
علم وباطن حكم لا تفنى غرائبه ولا تنقضي عجائبه فيه مرابيع النعم ومصابيح الظلم لا تفتح الخيرات الا بمفاتيحه ولا تكشف الظلمات
الا بمصابيحه قد احمى حماه وارعى مرعاه فيه شفاء المشتفي وكفاية المكتفي **اقول** العرفاء جمع عريف وهو النقيب وهو دون الرئيس
واشار بطلوع الطالع الى ظهور الامر والخلافة عليه وانتقالها اليه وبلموع اللامع الى ظهورها من حيث هي حق له وسطوع انوار العدل بينها
اليه وبلوح اللائح الى ما يحصل انتقالها اليه من الفتن والحروب الموعودة التي لا حذ ما رانها يومئذ وقال بعض الشارحين المراد بالثلثة
معنى واحد وهو انتقال الخلافة اليه وقوله واعتدل مائل فالمائل الخلافة فيمن كان قبله في نظره اذ كان لمعتقده انه اولى بها وان
العدل ان يكون فيه واعتدال ذلك المائل بانتقالها اليه واستبدل الله بقوم اي من سبق عليه قوما اي هو وتابعوه وبيوم يوما كانا
عن زمانهم وقوله وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر اشارة الى ما كان يتوقعه من انتقال هذا الامر اليه واراد بالغير تغيرات الدهر و
تقلبات الاحوال فان قلت اليس هو المطلق للدنيا فاين هذا القول من طلاقها ثلثا قلت انه طلقها من حيث هي دنيا ولم يردها لذاتها
ولم يطلقها من حيث يعمر بها الاخرة بانكار المنكرات واظهار العدل واقامة عمود الدين وحراسته فان طلبه لها انما كان لذلك كما
سبق في قوله لابن عباس بذي قار وهو يخصف نعله وشبه انتظاره للغير بانتظار المجدب للمطر ووجه الشبه شدة التوقع والتطلع
ويمكن ان يلاحظ في وجه الشبه لواحق الامرين المنتظرين اذ من لواحق ما انتظره هو عن الغير وانتقال الامر اليه شمول العدل وظهور
الحق في موارده المشتبه لوقع المطر في الارض المجدبة واستلزام الخير والبركة ثم شرع في تعريف حال الائمة وما نصبوا له وقوله لا يدخل
الجنة الا من عرفهم وعرفوه معناه ان اهل كل عصر لا بد خلوص الجنة الا بمعرفة امامهم ومعرفته لهم واراد الائمة من ولده وبيانهم لمعرفتهم
معرفة حق ولانهم وصدق امامتهم وبيان الحصر من وجهين احدهما ان دخول الجنة لا يمكن لاحد من هذه الامة الا باتباع الشريعة
ولزوم العمل بها ولا يمكن الا بمعرفتها ومعرفة كيفية العمل بها ولا يمكن ذلك الا ببيان صاحب الشريعة القائم مقامه وارشاده وتعليمه
وذلك لا يمكن الا بمعرفة المأموم للامام وحقية امامته وصدقه ولاته له ومعرفة الامام للمأموم ليهديه فاذن دخول الجنة مستلزم لمعرفة
الامام للمأمومين ومعرفتهم له الثاني ان معرفة هؤلاء الائمة على ما هو المشهور المنقول عنه ومعرفة حقية امامتهم وصدق ولايتهم
ركن من اركان الدين فلا يدخل الجنة الا من اقامه ومن عرفهم كذلك وجبت معرفتهم له بذلك فان قلت فنحن نرى كثيرا من شيعة هؤلاء
الائمة ومحبيهم لا تعرفهم الائمة ولا يرون اشخاصهم قلت لا تشترط في معرفتهم لمحبيهم ومعرفة محبيهم لهم المعرفة الشخصية العينية بل الشرط
المعرفة على وجه كلي وهو ان يعلموا ان كل من اعتقد حق امامتهم واقتدى بما انتشر من هديهم فهو وليهم ومقيم لهذا الركن من الدين فيكونون
عارفين بمن يتولاهم على هذا الوجه ومن يتولاهم عارفا بهم لمعرفة حقية ولايتهم واعتقاد ما يقولون وان لم تشترط المشاهدة والمعرفة الشخصية
واما انه لا يدخل النار الا من انكرهم وانكروه فهو ايضا حق وذلك ان دخول الجنة مستلزم لمعرفتهم على الوجه الذي قررناه ومحصر فيه
فكل واحد ممن يدخل الجنة عارف بهم وذلك يستلزم انه لا واحد ممن يدخل الجنة بمنكر لهم لان معرفتهم وانكارهم مما لا يجتمعان
في ملزوم واحد اذا عرفت ذلك فنقول ان من انكرهم فانكروه لا يجوز ان يكون اعم من يدخل النار اما اولا فللخبر المشهور من مات ولم
يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية دل الخبر على ان انكارهم مستلزم للميتة الجاهلية المستلزمة لدخول النار واما ثانيا فلانه لو كان اعم
لصدق على بعض من يدخل الجنة فبعض المنكر لهم يدخل الجنة فينعكس بعض من يدخل الجنة منكر لهم وقد بينا انه لا واحد ممن يدخل الجنة
بمنكر لهم هف وكذا لا يجوز ان يكون اخص والا لصدق على بعض من يتولاهم ويعترف بصدق امامتهم انه يدخل النار لكن ذلك باطل
لقول الرسول صم يحشر المرء مع من احب ولقوله لو احب احدكم حجرا لحشر معه دل الخبر على ان محبة الانسان لغيره مستلزمة لحشره معه وقد
ثبت انهم عليهم السلم الى الجنة يحشرون فكذلك من احبهم واعترف بحقية امامتهم ودخول الجنة مع دخول النار مما لا يجتمعان فثبت انه لا واحد
ممن يحبهم ويعترف بحقهم يدخل النار فقد ظهر اذن صدق هذه الكلية ايضا ووجه الحصر فيها ثم لما اخذ في اظهار منة الله تعم عليهم بالقرآن
الكريم وتخصيصهم به من شاء الكتب واستخلاصهم له واعدادهم لقبول من شاء الاسلام ثم نبه على بعض اسباب اكرامه تعم لهم به اما من جهة اسمه
فلانه مشتق من السلامة بالدخول في الطاعة واما من معناه فمن وجوه احدها انه مجمع كرامة من الله لخلقه لان مدار جميع اياته على هداية
الخلق الى سبيل الله القائدة الى جنته الثاني ان الله تعم اصطفى منهجه وهو طريقه الواضحة او دينه لسالكين به ليسعى الى رضوان
الله الثالث انه تعم بين حججه وهي الادلة والامارات ومن للتمييز والتقسيم هنا تقسيم الحجج الى ظاهر علم واشار به الى ظواهر الشريعة واحكامها
الفقهية وما لذلك الاحكام وباطن حكم واشار به الى ما تشتمل عليه الكتاب العزيز من الحكم الالهية واسرار التوحيد وعلم الاخلاق و
السياسات وغيرها الرابع انه لا تفنى غرائبه واراد بالغرائب هنا ايات الحكمة وبراهينه الغائبة اي القاطعة وعدم فنائها اشارة اما الى
ثباتها واستقرارها على طول المدة وتغير الاعصار واما الى كثرتها عند البحث والتفتيش عنها الخامس ولا تنقضي عجائبه وذلك انه

بزمانهم

ذلك ... لبقية ...

في صفة مطلق الضال ومدة عمره

كلما تأمله الانسان استخرج منه بفكره لطائف معجبة من انواع العلوم لم يكن عنده من قبل السادس فيه مرابيع النعم واستعار لفظ المرابيع
وهي الامطار التي في زمن الربيع فتحيى الارض وتنبت الكلأ لما يحصل على الانسان من النعم ببركة القران ولزوم اوامره ونواهيه وحكمه
وادابه اما في الدنيا فالنعم التي تحصل ببركته لحامليه من القراء والمفسرين وغيرهم ظاهرة الكثرة واما بالنسبة الى الاخرة فما يحصل
عليه مقتبسوا انواره من الكمالات المسعدة في الاخرة من العلوم والاخلاق الفاضلة اعظم نعمة واتم فضل ووجه الاستعارة ظاهر السابع
ان فيه مصابيح الظلم واستعار لفظ المصابيح لفوائده وقواعده الهادية الى الله في سبيله كما يهدي المصباح في الطريق المظلمة الثامن
انه لا يفتح الخيرات الا بمفاتحه واراد الخيرات الحقيقية الباقية واستعار لفظ المفاتح لمناهجه وطرقه الموصلة الى تلك الخيرات ووجه
الاستعارة كونها اسبابا موصلة اليها كما ان المفاتح اسباب موصلة الى خيرات الخزائن مثلا التاسع ولا ينكشف الظلمات الا بمصابيحه واراد
ظلمات الجهل وبالمصابيح قوانينه كما سبق استعارة العاشر كونه قد احمى حماه اي هيأه وعرضه لان يحمى كما يقال اقتل فلانا واضربه اذا
هيأه للقتل وعرضه للضرب واستعار لفظ الحمى لحفظه وتدبره والعمل بقوانينه ووجه الاستعارة ان بذلك يكون حفظ الشخص و
حراسته اما في الدنيا فمن ايدي كثير من الظالمين لاحترامهم حملة القران ومفسريه ومن يتعلق به واما في الاخرة فلحمايته حفظته ومدبريه
والعامل به من عذاب الله كما يحمي الحمى من يلوذ به ونسبة الاحماء اليه مجاز اذ المعرض له ان يتدبر ويعمل به هو الله تعالى ورسوله صلى الله عليه
واله وحملته وقيل اراد بحماه محارمه واحماه اي منع بنواهيه وزواجره ان يستباح محارمه وهو اخص مما قلناه اولا الحادي عشر كونه قد
ارعى مرعاه اي هيأه لان يرعى واستعار لفظ المرعى للعلوم والحكم والاداب التي يشتمل عليها القران ووجه المشابهة ان هذه مراعي عليهما م
النفوس الانسانية وغذاؤها الذي به يكون نشوها العقلي ونماؤها الفعلي كما ان المراعي المحسوسة من النبات والعشب غذاء للابدان
الحيوانية التي بها يقوم وجودها الثاني عشر فيه شفاء المستشفي اي طالب الشفاء منه اما في الابدان فبالتعوذ به مع صدق النية
فيه وسلامة الصدور واما في النفوس فاشفاؤها به من امراض الجهل الثالث عشر وكفاية المكتفي واراد بالمكتفي طالب الكفاية اما
من الدنيا فلان حملة القران الطالبين به المطالب الدنيوية هم افضل اكثر الناس على الاحتيال به في تحصيل مطالبهم وكفايتهم بها
واما في الاخرة فلان طالب الكفاية مما يكفيه تدبر القران ولزوم مقاصده في تحصيل مطلوبه منها وبالله التوفيق ومن خطبة له عم منها م
وهو في مهلة من الله يهوي مع الغافلين ويغدو مع المذنبين بلا سبيل قاصد ولا امام قائد اقول هذا الفصل يشتمل على صفة مطلق
الضال واشار بالمهلة الى مدة عمره المضروبة له من الله تعالى ويهوي يسرع مع الغافلين الى سقوطه وانخراطه في سلكهم بسبب جهله وغفلته عما
يراد به واستعار لفظ الهوي لذلك الانخراط وتلك المتابعة ووجه المشابهة ان المنهمك في مجاري الغفلة ومسالك الجهل ينحط بها
عن درجة اهل السلامة ويهوي في مهابط الهلاك وهي الرذائل المبعدة عن الله تعالى كما ان الهاوي من علو كذلك ويغدو مع المذنبين اي
موافقتهم فيما هم فيه ومسارعته الى المعاصي من غير ان يسلك سبيلا قاصدا للحق ويتبع اماما يقوده اليه من استاد مرشد وكتاب
او سنة وبالله التوفيق منها حتى اذا كشف لهم عن جزاء معصيتهم واستخرجهم من جلابيب غفلتهم استقبلوا مدبرا واستدبروا
مقبلا فلم ينتفعوا بما ادركوا من طلبتهم ولا بما قضوا من وطرهم فاني احذركم ونفسي هذه المنزلة فلينتفع امرؤ بنفسه
فانما البصير من سمع فتفكر ونظر فابصر وانتفع بالعبر ثم سلك جددا واضحا يتجنب فيه الصرعة في المهاوي والضلال
في المغاوي ولا يعين على نفسه الغواة بتعسف في حق او تحريف في نطق او تخوف من صدق فافق ايها السامع من سكرتك
واستيقظ من غفلتك واختصر من عجلتك وانعم الفكر فيما جاءك على لسان النبي الامي صلى الله عليه واله مما لا بد منه
ولا محيص عنه وخالف من خالف ذلك الى غيره ودعه وما رضي لنفسه وضع فخرك واحطط كبرك واذكر قبرك فان عليه ممرك
وكما تدين تدان وكما تزرع تحصد وما قدمت اليوم تقدم عليه غدا فامهد لقدمك وقدم ليومك فالحذر الحذر ايها المستمع
والجد الجد ايها الغافل ولا ينبئك مثل خبير ان من عزائم الله في الذكر الحكيم التي عليها يثيب ويعاقب ولها يرضى ويسخط انه لا
ينفع عبدا وان اجهد نفسه واخلص فعله ان يخرج من الدنيا لاقيا ربه بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها ان يشرك بالله
فيما افترض عليه من عبادته او يشفي غيظه بهلاك نفسه او يقر بامر فعله غيره او يستنجح حاجة الى الناس باظهار بدعة
في دينه او يلقى الناس بوجهين او يمشي فيهم بلسانين اعقل ذلك فان المثل دليل على شبهه ان البهائم همها بطونها وان
السباع همها العدوان على غيرها وان النساء همهن زينة الحيوة الدنيا والفساد فيها ان المؤمنين مستكينون ان المؤمنين
مشفقون ان المؤمنين خائفون اقول الجلباب الملحفة والوطر الحاجة والجدد الطريق الواضح واستنجح الحاجة استقضاها
وصدر هذا الفصل صفة غاية الغافلين عن احوال الاخرة المنهمكين في طلب الدنيا وفاعل كشف ضمير يعود الى اسم الله تعالى فيما سبق من
الكلام وقد علمت ان للنفس جهتين جهة تدبير احوالها البدنية بما لها من القوة العملية وجهة استكمالها بقوتها النظرية التي تطلع
بها من الغايات كمالها وعلمت ان بقدر خروجها عن حد العدل في استكمال قوتها العملية تنقطع عن الجهة الاخرى وتكتسب الهيئات

البدنية فتكون

في التفكر في كلام الله ورسوله

٢٠

ج البدنية فتكون في غطية منها وجلابيب من الغفلة عن الجهة الاخرى بالانصباب الى ما يقتنيه مما تعده خيرا في الدنيا وتحتجب بها في هذه الجهة
وتمكن تلك الهيئات البدنية منها يكون بعدها عن بارئها ونزولها في دركات الجحيم عن درجات النعيم وبالعكس كما قال صلى الله عليه واله
الدنيا والاخرة ضرتان بقدر ما تقرب من احديهما تبعد من الاخرى وظاهر ان بالموت تنقطع تلك الغفلة وتنكشف تلك الحجب فيومئذ
يتذكر الانسان وانى له الذكرى ويكون ما اثبته له بوصة من تعلق تلك الهيئات ببقيته وحطها له عن درجات الكمال وما تشاهده
من السلاسل والاغلال هو جزاء معصيتهم المنكشف لهم ولفظ الجلابيب استعارة لفظ المحسوس للمعقول ووجه المشابهة حجب الغفلة لابصار
بصائرهم عن النظر بانوار الله كحجب الوجه بالجلباب والمدبر الذي استقبلوه هو العذاب الاخروي والاهوال التي كانت غائبة عنهم والمقبل
الذي استدبروه هو ما كانوا فيه من مامولاتهم وانواع لذاتهم الدنيوية وظاهر انهم لم ينتفعوا اذن بما ادركوا من طلباتهم الدنيوية ولا بما قضوا
من اوطارهم وحاجاتهم الحاضرة فيها ثم عاد الى التحذير من هذه المنزلة اي الحالة التي هؤلاء الموصوفون عليها من الغفلة فانها مقام صعب
ومزلة قدم وشرك نفسه في التحذير لانه ادخل في جذب نفوس السامعين الى طاعته ثم امر كلا بالانتفاع بنفسه وشرح كيفية الانتفاع
بشرح حال البصير لانه لا ينتفع بنفسه الا البصير وذكر امورا فالاول ان يتفكر فيما يسمعه من كلام الله ورسوله والمواعظ البالغة فانه لا ينتفع
بها بدون الفكر كما علمته الثاني ان ينظر بعين حسه وبصيرته فيتوجه المقاصد التي فكر فيها فيبصرها ويدرك بعقله منها العبر الثالث ان ينتفع
بما يدركه من العبر وذلك بالعمل على وفق ما علم وادرك الرابع ان يسلك الصراط المستقيم الذي ورد به الشرع وهو الجدد الواضح ويجتنب
فيه العدول والانحراف فانه ان انحرف عنه ولو باليسير تصرع في مهاوي الهلاك ويضل في مغاويه وقد نبهنا فيما سلف على ذلك بالمثل الذي ضربه النبي
صلى الله عليه واله حيث قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط ابواب مفتحة وعليها ستور مرخاة وعلى راس الصراط داع يقول
جوزوا ولا تعرجوا قال فالصراط هو الدين وهو الجدد الواضح هنا والداعي هو القران والابواب المفتحة محارم الله وهي المهاوي والمغاوي هنا والستور
المرخاة هي حدود الله ونواهيه ثم نهى ان يعين الانسان على نفسه الغواة باحد امور ان يتعسف في حق اي يحملهم على مر الحق وصعبه فان الحق لا يدرك
بعضها سهل من بعض فالاستقصاء فيه على غير اهله يوجب لهم النفرة ممن يقوله ويامرهم والعداوة له والقول فيه ويحتمل ان يريد بالتعسف في الحق
التكلف في العمل به مع نوع من التقصير فيه فان الغواة هم تاركوا الحق فاذا وجدوا ركيكا فيه ومتكلفا للعمل به مقصرا طمعوا في الانتباه للباطل
فكان قد اعانهم على نفسه بذلك وكذلك اذا اتوا منه الكذب والتحريف في القول والتخوف من الصدق كان ادعى لهم من الطمع في انفعاله بالظلم
وادخاله فيه فكان معينا لهم على اغواء نفسه بذلك ثم عاد الى امر السامع بامور احدها الافاقة من سكرة الجهل والتيقظ من الغفلة في الدنيا ولفظ
السكرة مستعار ووجه المشابهة كون الغفلة مستلزمة لترك اعمال العقل كما ان السكر كذلك الثاني بالاختصار من العجلة واراد بالعجلة سرعة الحركة
في طلب الدنيا والاهتمام بها وباختصارها تخفيف تلك الحركة وتقليلها الثالث بانعام الفكر فيما دار على لسان الرسول صلعم وكثيرا من ذكر
الموت وعرض النفوس على ديانها وانعام الفكر في ذلك تدقيق النظر في حال الموت وما بعده والاعتبار بما لا بد منه ولا محيص عنه من ذلك الرابع
بمخالفة من خالف ذلك ونظر في غيره مما عنده من احوال الدنيا وزينتها وان يدع ذلك المخالف وما رضي لنفسه من التعوض بالامور لعله ان ندعه
الفانية عن الامور الباقية وما يستلزم ذلك من الشقاوة الاخروية الخامس ان يضع الفخر ويحط الكبر وقد سبق بيان ما في الكبر من الافات و
الفخر مستلزم للكبر اذ كل مفتخر متكبر ومثلا زمان السادس ان يذكر قبره لان في ذكره عبرة تامة وقوله فان عليه ممرك تنبيه له على وجوب الذكر
له فان السالك لطريق لا بد له من سلوكها اذا كان فيها منزل موحش مظلم وجب الاستعداد له بحمل الضوء للاستنارة فيه والانسان في سلوكه
لطريق الاخرة لا بد له من المرور بالقبر واحكام الشارع اكثرها ثم تنبيهه بالمثلين المشهورين كما تدين تدان على وجوب حسن المعاملة مع الله سبحانه اذ
كان حسن جزائه بقدر حسن معاملة العبد وقبحه بقبحها وكذلك قوله كما تزرع تحصد ولفظ الزرع مستعار لما يفعله الانسان فيكسب نفسه ملكة خيرية
او شرية وكذلك لفظ الحصد للحصول على ما تثمره تلك الاثار ويستلزمه من ثواب وعقاب ووجه الاستعارة ظاهر وقوله وما قدمت اليوم تقدم
عليه غدا ظاهر فان الهيئات النفسانية التي هي ثمرات الافعال المستلزمة للسعادة او الشقاوة وان كانت مستصحبة للنفس مقترنة بها في الدنيا
ايضا الا انها لا تنكشف لها الا بعد المفارقة كما سبق بيانه فتكون حالة الانكشاف بمنزلة من قدم على امر لم يكن معه واذا كان كذلك فينبغي للانسان
ان يمهد لقدمه اي يوطئ موضع قدمه في الاخرة بطيب الاعمال ويقدم صالحها اليوم فيما منه ثم عاد الى التحذير من حيث هو موضع للموعظة
والحذر بالجد في العمل لما بعد الموت واليقظة من الغفلة ونبه باقتباس الاية على ان الواعظ الخبير باحوال طريق الاخرة واهوالها لا يخبر مخبر في
الامور كالعارف بها ثم عاد الى التحذير من بعض الكبائر التي نص القران المجيد انها مستلزمة للعقاب لا محالة والذكر الحكيم هو القران وقد سبق
بيان معنى العزائم منه وقيل هو اللوح المحفوظ واسم ان انه لا ينفع والضمير في انه ضمير الشان وفاعل ينفع ان يخرج ولاقيا نصب على الحال واراد من جملة
نصوص الله سبحانه التي هي في محكم كتابه العزيز التي باعتقادها والعمل على وفقها يثيب ويرضى وبتركها يعاقب ويسخط انه لا ينفع عبدا
خروجه من الدنيا لاقيا ربه باحد الخصال المذكورة وان اجهد نفسه في العمل واخلص فيه احدها الشرك بالله تعالى وقد سبق منا بيان درجات
الشرك ويتفاوت قوته وضعفه بكون قوة العقاب وضعفه والنص الدال على مضرته المستلزم لعدم نفعه قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به وقوله

فيما افترض عليه من عباداته بهم سنة انداد الشرك بالرياء في العبادة لا اتخاذ الاوثان وهذه الآفة تلحق النفس تارة من غلبة الجهل عليها واستيلاء الغفلة وترك النظر في المعرفة والتوحيد وتارة من غلبة الشهوة كما تلحق بعض المرائي تعبدا لطلب الدنيا الثالثة ان يشفي غيظه بهلاك نفس ولي نسخة نفسه ونفس اعم ذلك الهلاك تارة في الدنيا كما يستلزمه السعي بالنميمة الى الملوك ونحوه وفي الآخرة باكتساب الآثام المستلزم لشفاء الغيظ والنص فيه قوله تعم ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الآية وهذه الآفة تلحقها بواسطة القوة الغضبية الثالثة ان يعر بامر يفعله غيره اي يتم على غيره بامر يفعله ذلك الغير فيستلزم اهلاكه واذاه فيدخل فيمن يسعى في الارض فسادا والنص عليه قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا الآية وروى بعض الشارحين يعر بالعين المهملة قال ومعناه ان يفعل غيره بامر قد فعله هو فيكون غيره مضمونا مفعولا بدل الفاعل يعر بها لغيره بعرة غراي غابر ولطخه فعلى هذا يكون داخلا في جملة الفاسقين والكاذبين والموذين للمؤمنين بغير ما اكتسبوا وهذه الآفة تلحق النفس لتركبها من الشهوة والغضب الرابعة ان يستنجح حاجة الى الناس باظهار بدعة في دينه كشاهد الزور لغاية يصل اليها والمرتشي في الحكم والقضاء الخامسة ان يلقى الناس بوجهين ويمشي فيهم بلسانين اي يلقى كلام الصديق مثلا بغير ما يلقى به الآخر ليفرق بينهما او بين العدوين ليضري بينهما وبالجملة ان يقول بلسانه ما ليس في قلبه فيدخل في زمرة المنافقين ووعيد المنافقين في القرآن ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ومطابقة ذلك من العقل ان من انتقش لوح نفسه بهيئات الكسوة ولم يمحها بالتوبة الحقة فهو من اصحاب النار وقوله اعقل ذلك اي المثل واحمل عليه ما يشبهه فان المثل دليل على شبهه وذلك المثل قوله ان البهائم الى قوله الفساد فيها فقوله ان البهائم همها بطونها اشارة الى ان الانسان المتبع لشهوته بمنزلة البهيمة في اتباع قوته الشهوية والاهتمام بالطعام والشراب دون المطالب الحقيقية وقوله ان السباع همها العدوان على غيرها اشارة الى ان متبع القوة الغضبية بمنزلة السبع في اتباعها ومحبة الاستعلاء والانتقام والغلبة على الغير وقوله وان النساء همهن زينة الحيوة الدنيا والفساد فيها اشارة الى ان النساء متبعة للقوتين الشهوية ولهذا كان همهن زينة الحيوة الدنيا والغضبية ولهذا كان همهن الفساد في الدنيا فالتابع لشهوته وغضبه لاحق بالنساء في ذلك ثم لما حصر منابع الشر في قوتي الشهوة والغضب ذكر المؤمنين بصفات ثلث كل منها يستلزم كسر تينك القوتين وهي الاستكانة لله والخضوع له ثم الاشفاق من غضبه ثم الخوف من عقابه وظاهر كون كل واحد من هذه الصفات جاذبا لهم عن طرف الافراط في القوتين والخروج عن حد العدل فيهما وغاية هذا المثل التنفير عن طاعة الشهوة والغضب والتنبيه على ان الخارج فيهما عن حد العدل الى ما لا ينبغي اما ان يشبه البهيمة او السبع او المرأة وكل منها مما يرغب العاقل عنه وهو اللائق بعقليته فانظر الى ما اشتمل عليه هذا الكلام من الاشارة اللطيفة التي يشهد عليه بمشاهدة الحق كما هو واذا اعتبرت ذلك وامثاله من الحكم البالغة ونظرت الى انه لم يرجع فيه الى مطالعة كتاب واستفادة بحث علمت انه فيض رباني بواسطة اعداد سيد البشر والانبياء المرشد صلى الله عليه واله قال الشارح الفاضل عبد الحميد بن ابي الحديد ره انما رمز بباطن هذا الكلام الى رؤساء يوم الجمل لانهم حاولوا ان يشفوا غيظهم باهلاكه واهلاك غيره من المسلمين وعيروه عليه السلم بامر هم فعلوه وهو التاليب على عثمن وحصره واستنجحوا حاجتهم الى اهل البصرة باظهار البدعة والفتنة ولقوا الناس بوجهين ولسانين لانهم بايعوه واظهروا الرضا به ثم نكثوا به من وجه آخر فجعل ذنوبهم هذه بمنزلة الشرك في انها لا تغفر الا بالتوبة قال وهذا معنى قوله اعقل فان المثل دليل على شبهه وبالله التوفيق

ومن خطبة له ع

وناظر قلب اللبيب به يبصر امده ويعرف غوره ونجده داع دعا وراع رعا فاستجيبوا للداعي واتبعوا الراعي قد خاضوا بحار الفتن واخذوا بالبدع دون السنن وارز المؤمنون ونطق الضالون المكذبون نحن الشعار والاصحاب والخزنة والابواب ولا تؤتى البيوت الا من ابوابها فمن اتاها من غير ابوابها سمي سارقا **اقول** الامد الغاية وغوره ونجده منخفضه ومرتفعه وارز بتقديم الراء اي انقبض وتجمع وناظر قلب اللبيب عين بصيرته وظاهر انه يبصر بها طريقه وغايته التي هي متوجه اليها ومطلوبه منها وغوره ونجده طريقاه للخير والشر وهما النجدان في قوله تعم وهديناه النجدين وعبارة القران المجيد احسن وهذه العبارة انسب الى الغور فان الغور هو المنخفض والمستفل انسب الى ان يعبر به عن رذيلة التنازل في دركات الجحيم من النجد واشار بالداعي الى الرسول ص وما جاء به القران الكريم والسنة وبالراعي الى نفسه والامر بالاستجابة للاول والاتباع للثاني وظ وجوب الاستجابة لله ورسوله لقوله تعم يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فيجب اتباع من اوجبا اتباعه وقوله قد خاضوا بحار الفتن يحتمل ان يكون النعت الى صفة قوم معهودين للسامعين كمعوية واصحاب الجمل والخوارج ويحتمل ان يكون منقطعا عما قبله متصلا بكلام لم يحكه الرضي رض والبتة بعض الشارحين قال وهو ذكر قوم من اهل الضلال قد كان اخذ في ذمهم وعيبهم ولفظ البحار مستعار لما عظم من الفتن والحروب وقد عرفت وجه الاستعارة قبل ورشح بذكر الخوض والبدعة قد يراد بها ترك السنة وقد يراد بها امر آخر يفعل مع ترك السنة وهو الاظهر في العرف ثم انتقل الى ذكر فضيلته فاستعار لفظ الشعار لنفسه واهل بيته ووجه المشابهة ملازمتهم للرسول ص واختصاصهم به كما يلزم الشعار الجسد ثم ذكر كونهم اصحابا له ثم كونهم خزنة علمه كما نقل عن الرسول ص هو خازن علمي وفي رواية عيبة علمي وقيل خزنة الجنة على معنى ان من جاء يوم القيمة بولايتهم دخل الجنة والا فلا ولفظ الخزنة على التقديرين مستعار ووجه المشابهة بعضهم بمنع العلم

(الحواشي: متعمدا — اي اعقل ما امر به لك — والعصمة — ونجده — اي خزنة)

وعطائه

واعطائه او بمنع الجنة بسببهم واعطائها كما ان الخازن للشيء كذلك ثم كونهم الابواب اي ابواب العلم قال ص انا مدينة العلم وعلي بابها والابواب للجنة على الاستعارة السابقة وقوله ولا تؤتى البيوت الا من ابوابها وذلك لوجوه احدها العادة الجارية على وفق الحكمة الثاني النص وأتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله الثالث العرف وهو من اتاها من غير ابوابها سمي سارقا والتقبيح العرفي يستلزم التزام ومراده ان من طلب العلم والحكمة واسرار الشريعة فليرجع الينا وبالله التوفيق **منها** فيهم كرائم الايمان وهم كنوز الرحمن ان نطقوا صدقوا وان صمتوا لم يسبقوا فليصدق رائد اهله وليحضر عقله وليكن من ابناء الآخرة فانه منها قدم واليها ينقلب فالناظر بالقلب العامل بالبصر يكون مبتدأ عمله ان يعلم اعمله عليه ام له فان كان له مضى فيه وان كان عليه وقف فان العامل بغير علم كالسائر على غير الطريق فلا يزيده بعده عن الطريق الا بعدا عن حاجته والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح فلينظر ناظر اسائر هو ام راجع واعلم ان لكل ظاهر باطنا على مثاله فما طاب ظاهره طاب باطنه وما خبث ظاهره خبث باطنه وقد قال الرسول صلى الله عليه واله ان الله يحب العبد ويبغض عمله ويحب العمل ويبغض بدنه واعلم ان لكل عمل نباتا وكل نبات لا غنى به عن الماء والمياه مختلفة فما طاب سقيه طاب غرسه وحلت ثمرته وما خبث سقيه خبث غرسه وامرت ثمرته **اقول** الاشارة الى فضائل اهل البيت فالاول فيهم كرائم الايمان اي نفائسه المستلزمة لاشدية القرب من الله تعم كالاخلاق الفاضلة والاعتقادات الحقة المطابقة لما عليه الامر نفسه الثانية وهم كنوز الرحمن اي خزائن علمه وسائر ما امر به من مكارم الاخلاق الثالثة ملازمة نطقهم للصدق والرابعة اختصاصهم بالحكمة التي لا يتمكن غيرهم من النطق بها ولا يسبق اليها حال سكوتهم فهم ان نطقوا فبحكمة وان صمتوا فبحكمة ووضع للصمت في موضعه وانما ذكر هذه الفضائل لنفسه واهل بيته جذبا الى سماع قوله ودعوته الى الله ولذلك عقب بالمثل فليصدق رائد اهله واشار به الى من يحضرنا طلبا لاختيارنا فليصدق من يبعثه امره انا اهل الحق وينابيع العلوم والحكمة والادلاء الى الله كما يصدق الرائد لطلب الكلاء والماء اهله مبشرا بهما وليحضر عقله لما يقوله ليعرف صحة ما ادعيناه ثم شرع فيما ينبغي ان يقوله امثاله وهو التنبيه على احوال الآخرة وان يكون العاقل من ابنائها ووجه استعارة البنوة هيهنا قوله فانه منها قدم واليها ينقلب اي كما ان الابن ينقلب عن الام واليها ولهذه ورجوعه كذلك الانسان مبدأه الحضرة الالهية فعنها ينقلب واليها يعود فينبغي ان يكون من ابنائها بالرغبة فيها والولوع اليها والعمل لها ثم نبه العاقل ذا الفكر السليم الناظر بعين بصيرته على ما ينبغي له ان يبدأ به في حركاته وسكناته وهو ان يتفقد احوال نفسه فيما يهم به ويتثبت في تحديه ويذكر ويعلم ان ذلك الخاطر او تلك الحركة مقربة له من الله تعم فيكون له فينبغي ان يمضي فيها او مبعدة له عن رضاه ومستلزمة لسخطه فيكون عليه فيقف عنها ثم شبه الجاهل في حركاته وسكناته بالسائر على غير طريق واشار الى وجه التشبيه بقوله فلا يزيده بعده عن الطريق الا بعدا عن حاجته اذ كان بعده عن مطلوبه بقدر بعده عن طريق ذلك المطلوب وبضده العامل بالعلم في سلوكه وقربه من مطلوبه وتقربه بذلك لنبته عن الجهل وزاد في التنفير بقوله فلينظر ناظر اسائر هو ام راجع فانه اذا علم انه سائر وجب ان يعلم كيف يسير ويشتعل مصباح العلم من الضلال والصرعة في مهاوي الهلاك وقوله واعلم ان لكل ظاهر باطنا الى قوله ويبغض بدنه فاعلم ان هذه القضية الكلية صادقة وذلك انه لما صدر عن الجود الالهي عالما الغيب والشهادة وان شئت عالم الخلق والامر وان شئت العالم الروحاني والجسماني اقتضت الحكمة الالهية كون عالم الشهادة طريقا للنفوس البشرية الى عالم الغيب ولولاها لتعذر السفر الى الحضرة الالهية والسلوك لطريق التزهي الى الله فكان جميع ما ظهر في عالم الشهادة مثالا ومناسبا لامر باطن من عالم الغيب هو الطريق اليه والدليل عليه عبرات المفهوم من كلامه هنا تخصيص تلك الكلية بلحاظ مر فلتر اما ان يشير بالظاهر الى اشخاص الناس اولي وفعالهم الظاهرة والباطن اشارة الى الاخلاق واعمال القلوب وما في الامزجة المختلفة من الخير والشر وقيل اشارة الى ما يخفى من الثواب والعقاب في الآخرة وقد دل الاستقراء والقياس على ان حسن الصورة او حسن الاعمال الظاهرة التي تبدو من الانسان حسن الاخلاق طيب العشرة مستقيم السيرة وعلى ان قبيحها سيئ الاخلاق شريرا اما الاستقراء فظ واما القياس فلان حسن الاخلاق وقرب النفس من الاستعداد على طلب الحق مقتضى قرب المزاج من الاعتدال وكذلك حسن الصورة يترتب عليه هكذا لحسن الصورة معتدل المزاج وكل معتدل المزاج حسن الاخلاق فحسن الصورة حسن الاخلاق وان شئت هكذا معتدل المزاج حسن الصورة ومعتدل المزاج حسن الاخلاق والقضيتان اكثريتان فان بعض حسن الصورة قبيح الباطن وبعض خبيث الظاهر حسن الباطن ولذلك استشهد بما رواه عن الرسول ص فان الله يحب العبد من حيث صورته الحسنة لكونها مقتضى الحكمة الالهية والسابق الى الوجود من القبيح التي هي انسب الى العدم الذي هو الشر المحض ويبغض عمله من جهة ما هو شر وكذلك يحب العمل الحسن الباطن الطيب ويبغض بدنه القبيح لنسبته الى العدم الذي هو شر ولقا النص في دلالة الظاهر على الباطن فما نطق به القران الكريم والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا اي عسرا مشوما قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدي هذا مثل ضربه الله تعم للمؤمن والكافر بالارض العذبة الزكية وبالارض السبخة المالحة شبه فيه المؤمن الذي اذا سمع القران وعاه وعقله وانتفع به فبان اثره عليه بحسن الاعمال وطيبها بالبلد الطيب اذ كان البلد الطيب يمرع ويخصب ويحسن اثر المطر عليه وشبه الكافر الذي يسمع القران فلا يؤثر فيه اثرا محمودا بالبلد الخبيث اذ كان لا يمرع

(الحواشي: كما — عمده — كل عمل نبات — يسلم — الى نواله)

ولا يحصى لا يتبين اثر المطر فيه واما البغض والمحبة فقد علمت انهما يعودان في الله سبحانه الى ارادته وكراهته فما كان خيرا محضا او الخير غالب عليه
فهو مراد له بالذات وما كان شرا محضا او غالبا فهو مراد له بالعرض مكروه له بالذات وقوله واعلم ان لكل عمل نباتا استعار لفظ النبات
لزيادة الاعمال ونموها ورشح تلك الاستعارة بذكر الماء وكنى به عن المادة القلبية للاعمال ووجه المشابهة ان الحركات في العبادة لما
انما تكون بالميول القلبية والنيات كان حركة النمو للنبات انما تكون بالماء وظاهر ان اختلاف المياه في الحلاوة والملوحة سبب لاختلاف
استعداد النبات لطيب المغارس والثمار فما طاب سقيه اي نصيبه من الماء طابت ثمرته وما خبث خبثت ثمرته فكذلك ما يشبه النبات وهي الاعمال يكون
طيب ثمارها وهي ثمار الجنة وانواع لذاتها بحسب طيب مادتها من الاخلاص لله وخبثها بحسب خبث مادتها من الرياء وحب الشهرة وتكون ثمرتها آثار
الآثام وهذا فان من عذاب النار وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** يذكر فيها بديع خلقة الخفاش الحمد لله الذي انحسرت الاوصاف
عن كنه معرفته وردعت عظمته العقول فلم تجد مساغا الى بلوغ غاية ملكوته هو الله الحق المبين احق وابين مما ترى العيون
لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبها ولم تقع عليه الاوهام بتقدير فيكون ممثلا خلق الخلق على غير تمثيل ولا مشورة مشير
ولا معونة معين فتم خلقه بامره واذعن لطاعته فاجاب ولم يدافع وانقاد ولم ينازع ومن لطائف صنعته وعجائب خلقته ما ارانا
من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء ويبسطها الظلام القابض لكل حي وكيف عشيت اعينها
عن ان تستمد من الشمس المضيئة نورا تهتدي به في مذاهبها وتتصل بعلانية برهان الشمس الى معارفها وردعها بتلألؤ ضيائها
عن المضي في سبحات اشراقها واكنها في مكامنها عن الذهاب في بلج ائتلاقها فهي مسدلة الجفون بالنهار على حداقها وجاعلة الليل
سراجا تستدل به في التماس ارزاقها فلا يرد ابصارها اسداف ظلمته ولا تمتنع من المضي فيه لغسق دجنته فاذا القت الشمس
قناعها وبدت اوضاح نهارها ودخل من اشراق نورها على الضباب في وجارها اطبقت الاجفان على مآقيها وتبلغت بما اكتسبته
من المعاش في ظلم لياليها فسبحان من جعل الليل لها نهارا ومعاشا والنهار سكنا وقرارا وجعل لها اجنحة من لحمها تعرج
بها عند الحاجة الى الطيران كأنها شظايا الآذان غير ذوات ريش ولا قصب الا انك ترى مواضع العروق بينة اعلاما لها
جناحان لما يرقا فينشقا ولم يغلظا فيثقلا تطير وولدها لاصق بها لاجئ اليها يقع اذا وقعت ويرتفع اذا ارتفعت
لا يفارقها حتى تشتد اركانه ويحمله للنهوض جناحه ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه فسبحان البارئ لكل شيء على غير مثال
خلا من غيره **اقول** الخفاش مفرد جمعه خفافيش وهو من الخفش وهو ضعف البصر خلقة وانحسرت كلت وردعت كفت والمساغ
المسلك وسبحات اشراقها جلالته وبهاؤه والبلج جمع بلجة وهو اول ضوء الصبح وقد يكون مصدرا والائتلاق اللمعان والاسداف مصدر
اسدف الليل اظلم والغسق الظلمة والدجنة ظلام الليل ووضح النهار ضوؤه ووجار الضبع بيته والشظايا القطع وقد حمد الله تعالى باعتبارات الاول
انحسار الاوصاف عن كنه معرفته ولما كانت ذاته تعالى بريئة من انحاء التركيب لم يمكن العقول ادراكها بشيء من الاوصاف بالكنه وقد سبق
ذلك مرارا الثاني ردع عظمته العقول عن بلوغ غاية ملكوته وذلك ان ظاهر الادراك للاشياء بحقائقها انما يتم بادراك حقائق عللها واذا استلزم
عظمته وارتفاعه عن ادراك العقول ردعها عن معرفة كنهه فظاهر انها لا تجد مسلكا الى غاية ملكوته وما عليه نظام الوجود الاعلى والاسفل كما هو
الثالث قوله هو فهو المطلق وهو الذي لا يكون هويته موقوفة على غيره ومستفادة منه فان كل ما كان مستفادا من الغير فما لم يعتبر غيره لم يكن هو فلم
يكن هو هو المطلق وكل ما كان هو هو لذاته فسواء اعتبر غيره او لم يعتبر فهو هو لكن كل ممكن فوجوده من غيره فكل ما كان وجوده من غيره فخصوصيته وجوده
وتعينه من غيره وهو الهوية فاذن كل ممكن فهويته من غيره فلا يكون هو هو لذاته لكن المبدأ الاول هو هو لذاته فلا يكون من غيره فلا يكون
ممكنا فهو واجب لذاته فاذن واجب الوجود هو الذي لذاته هو هو بل ذاته انه هو ولبراءته عن التركيب المستلزم للامكان الرابع تعقيبه لذكر الهوية
باسم الله وذلك لانه لما كانت تلك الهوية والخصوصية علته الاسم لا يمكن شرحها الا بلوازمها واللوازم منها اضافية ومنها سلبية واللوازم
الاضافية اشد تعريفا والاكمل في التعريف هو اللازم الجامع لنوعي الاضافة والسلب وذلك هو كون تلك الهوية الها فان الاله هو الذي ينسب
اليه غيره ولا ينسب هو الى غيره فانتساب غيره اليه اضافي وعدم انتسابه الى غيره سلبي فلا جرم عقب ذكر الهوية بما يدل على ذلك اللازم لا كلية في
التعريف من غيره ليكون كالكاشف لما دل عليه لفظ هو وفيه سر آخر وهو انه لما عرف تلك الهوية بلازمها وهو الالهية نبه على انه لا جزء لتلك
الهوية والا لكان لعدل الى التعريف باللازم الخامس ذكر الحق وهو الثابت الوجود فانه لما اشار الى الهوية وشرح اسمها عقب ذلك
بالاشارة الى كونها حقا موجودا وجودها عند العقول احق وابين مما ترى العيون وذلك ظ فان العلم بوجود الصانع جلت عظمته نظري
للعقول وان احتاج الى تنبيه ما والعلوم التي مستندها الحس قد يقع الخلل فيها بسبب ما يقع للوهم من اشتباه المحسوسات وعدم ضبطها وبسبب
تقصير الحس في كيفية الاداء لصورة المحسوس فكانت المعقولات الصرفة احق بالادراك العقلي لها مما تبناه السادس ان العقول لم تبلغه بتحديد فيكون
مشبها وفيه اشارة لطيفة تدل على كمال علمه وذلك انك علمت في المقدمات ان العقول اذا قويت على الاتصال بالامور المجردة وكانت القوة
المتخيلة بحيث تقوى على استخلاص الحس المشترك وضبطه عن الحواس الظاهرة فان النفس والحال هذه اذا توجهت لاقتناص امر معقول واتخذت

القوى المعاونة آثارها انتقشت بتلك المعقولات انها تستعين في ضبط ذلك الامر بالقوة المتخيلة فتحاكيه بما يشبهه من امور محسوسة ثم تحطه الى خزانة
الخيال فيصير مشاهدا ممثلا لو اعرفت ذلك فنقول لو كان البارئ تعالى مما تدركه العقول وتتشبثه بحد وصفة لكان تستثبتها له على التحديد كذلك
فيلزم ان يكون مشبها بغيره من الاجسام والجسمانيات ليثبت صورته عند العقل وقد تنزه وتقدس الله عن التشبيه بشيء منها السابع وكذلك
لم تقع الاوهام عليه بتقدير فيكون ممثلا اذ الوهم لا يدرك الا المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات ولا بد له في ادراك ذلك المدرك من بعث المتخيلة
على تشبيهه بمثال من الصور الجسمانية فلو وقع عليه وهم لمثله في صورة حسية حتى ان الوهم انما يدرك نفسه في مثال من صورة وحجم ومقدار
الثامن خلقه الخلق على غير مثال الى قوله معين وقد سبق تفسيرنا له في الخطبة الاولى وغيرها وتمام خلقه بامره وبلوغه الى غايته في الكمال الممكن
لها فظاهر البراهين العقلية ان كل ما امكن لشيء وصل اليه من الجود الالهي المنزه عن البخل والمنع من جهته واذعانه لطاعته دخوله تحت القدرة
الالهية وكذلك اجابته من غير مدافعة وانقياده من غير منازعة ثم شرع في مقصود الخطبة وهو حمد الله تعالى باعتبار بعض لطائف صنعته وعجائب
خلقته والتنبيه على غوامض حكمته في خلقة هذا الحيوان المخصوص مبتدئا بالتعجب من مخالفتها في قبض الضياء لابصارها مع بسطها لسائر
ابصار الحيوانات واعداده لانبساط النبات ونموه وغيره ثم من بسط الظلام لابصارها مع قبضه لسائر الابصار ثم نبه على العلة الطبيعية لذلك
وهو عشاء اعينها وضعفها ان تستمد من نور الشمس المضيئة نورا تهتدي به والذي ذكر في علة ذلك الضعف هو افراط التحلل في الروح الحامل
للقوة الباصرة من هذا الحيوان اذا لقي حر النهار فيضعف لذلك لتحلل ضعف يحتاج معه الى تعويض ما يتحلل فيرجع من العضو الباصر
منها طلبا لبدل ما يتحلل فيستكمل بالليل بقرب الليل لمكان برده وضعف حرارة النهار فتعود الابصار وصفة بهذه الخاصية منها وكيفية
حالها منها الى قوله ظلم لياليها وصف لا مزيد على فصاحته وقوله وتتصل بعلانية برهان الشمس الى معارفها في غاية الفصاحة ومعارفها
ما عرفته من مذاهبها ووجوه تصرفاتها وتتصل عطف على قوله تستمد واما اسدال جفونها على حداقها فلان تحلل الروح الحامل
للقوة الباصرة سبب للنوم ايضا فيكون ذلك الاسدال ضروريا من النوم وكثيرا ما يلحق كثيرا من الحيوان بسبب ما ذكرناه واستعار لفظ القناع للشمس
ملاحظة لشبهها بالمرأة ذات القناع وكنى بالقائه عن بروزها من حجاب الارض ثم ثنى بتسبيح الله وتعظيمه باعتبار امرار لها على سبيل التعجب
وهو خلق اجنحتها من لحم بلا ريش ولا قصب كما لاجنحة الطير بل من عروق وجلد تبسطه وتقبضه على مفاصل مخصوصة من غير رقة توجب
له الانشقاق عند الطيران ولا غلظ يوجب له الثقل ثم ثلث بتعجب حالها مع ولدها وذلك انه يلصق بها فيرضعها ولا يفارقها في حال
وقوعها وطيرانها حتى يشتد ويمكنه الطيران والتصرف بنفسه وذلك امر مخالف به لبقية الحيوان وهو محل التعجب ثم ختم الفصل بتسبيح
الله تعالى باعتبار خلقه لكل شيء من غير مثال سبق من غيره ومن الامثال العامية قيل للخفاش لماذا لا جناح لك قال لاني تصوير مخلوق قيل
فلماذا لا تخرج نهارا قال حياء من الطيور يريد ان المسيح صوره وان فيه اشارة بقوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ
فيها فتكون طيرا باذني وفي الطير عجائب لا تهتدي لها العقول بل وفي كل ذرة من ذرات مبدعاته ومكوناته لطائف واسرار كالنحل والبعوض
والنمل تعجز عن ادراكها واستقصاء اوصافها الباب الالباب وحكمة الحكماء فسبحانه ما اعظم شانه وابهر برهانه **ومن خطبة له عليه السلام**
خاطب بها اهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم فمن استطاع عند ذلك ان يعتقل نفسه على الله فليفعل فان اطعتموني فاني حاملكم ان شاء الله
على سبيل الجنة وان كان ذا مشقة شديدة ومذاقة مريرة واما فلانة فادركها رأي النساء وضغن غلا في صدرها كمرجل القين
ولو دعيت لتنال من غيري ما اتت الي لم تفعل ولها بعد حرمتها الاولى والحساب على الله **اقول** اعتقل نفسه اي ضبطها وحبسها
والضغن الحقد والمرجل القدر ومحمد ذلك يقتضي انه سبق منه قبل هذا الفصل ذكر فتن وحروب تقع بين المسلمين وجب على من ادركها
ان يحبس نفسه على طاعة الله دون مخالطتها والدخول فيها وسبيل الجنة هو الدين القيم وظاهر حمله لهم عليه بالطاعة فلا رأي لمن لا يطاع
ونبه على ان من الدين الحق ما هو ذو مشقة شديدة ومذاقة مريرة كالجهاد وكف النفس عن الفتنة مشقة وفلانة كناية عن عائشة و
ادراك رأي النساء لها في حربه بالبصرة وقد علمت ان رأي النساء يرجع الى افن وضعف وفي الخبر لا يفلح قوم اسندوا امرهم الى امرأة وجاء انهن ناقصات
عقل ودين كما سبق بيان اخلاقهن واما الضغن فقد نقل له اسباب منها ما كان بينها وبين فاطمة بسبب تزويج الرسول صلى الله عليه وآله لها عقيب
موت خديجة ام فاطمة واقامتها مقامها ومن المعلوم المعتاد ما يقع بين المرأة وابنة زوجها من غيرها من الكدر وكان سبب البغض من المرأة لابنة
الزوج حركة المتخيلة لها فان البنت مقام الام التي هي ضرة لها وتشبيهها بها فيقيمها مقام الضرة وتتوهم فيها العداوة والبغضاء ثم يشتد ذلك
الخيال ويقوى باسباب تجري فيما اكد ذلك البغض خصوصا ان كان الزوج اكرام لابنته كما هو المنقول من الرسول صلى الله عليه وآله في حق فاطمة واما من جهة البنت
فلتخيلها انها ضرة امها وتوهمها بسبب ذلك بغضها لها والباغض يلام باغض للبنت لا محالة وقد تأكد ذلك بالميل المنقول عن الرسول صلى الله عليه وآله
في حق عائشة وايثارها على سائر نسائه والنفوس البشرية خصوصا نفوس النساء يغيظها دون ذلك فكيف بمثل ذلك منه ولا شك
في تعدي ذلك الى نفس بعلها عليه السلام فان النساء كثيرا ما يحصل بسببهن الاحقاد في قلوب الرجال وعن بعض الحكماء اذا رايت خلافا بين اثنين
حضونه لست بسبب امرأة فاحمد الله تعالى فانها امر عجيب وكثيرا ما كانت فاطمة تشكو الى بعلها من عائشة ومنها ما كان من امر قذف عائشة ونقل

ان علياً كان من المشيرين بطلاقها تنزيهاً لعرض الرسول من اقوال المنافقين وقال له لما استشاره ان هي الا شسع نعلك وقال سل الخادم وخوفها
فان اقامت على الجحود فاضربها وبلغها كل ذلك الكلام وسمعت ضغاً في الغير ثم جرت عادة الناس ان يتبدلوا في مثل هذه الوقائع ونقل
اليها النساء ان علياً وفاطمة سرا بذلك فتفاقم الامر وغلظ ثم لما نزلت براءتها وصالحها الرسول ظهر منها ما جرت العادة بظهوره من تشفي
بعد ظلم وتبصر بعد غلبة من بسط اللسان والتبجح بالبراءة من العيب وفلتات القول في اثناء ذلك وبلغ ذلك الى علي وفاطمة ومنها كون
النبي ص سد باب ابي بكر من المسجد وفتح باب صهره ومنها بعث اباها بسورة براءة ثم اخذها منه ودفعها الى علي الى غير ذلك من الاسباب
الجزئية التي تشهد بها قرائن الاحوال ولا تكاد تنتهي بالاقوال فان كل ذلك مما يثير الاحقاد ويؤكد الاضغان وقوله لو دعيت ودعي
الى غيره كلام حق لمكان الباعث لها في حقه دون غيره وقوله ولها بعد حرمتها الاولى وجه اعتذاره في الكف عن اذاها بعد استحقاقها
للاذى في نظره وحرمتها بنكاح رسول الله ص وكونها زوجته وقوله والحساب على الله تنبيه على انه وان سامحها في الدنيا بما فعلت فان
الله تعالى هو المتولي لحسابها في الاخرة ولعل هذا الكلام منه عم قبل اظهارها التوبة وعلمه بذلك لانه في معنى اظهار الوعيد لها من الله

منها سبيل ابلج المنهاج انور السراج فبالايمان يستدل على الصالحات وبالصالحات يستدل على الايمان وبالايمان يعمر العلم وبالعلم
يرهب الموت وبالموت تختم الدنيا وبالدنيا تحرز الاخرة وبالقيامة تزلف الجنة للمتقين وتبرز الجحيم للغاوين وان الخلق
لا مقصر لهم عن القيامة مرقلين في مضمارها الى الغاية القصوى **اقول** ازلفت قدمت وقربت والارقال ضرب من الخبب ولا
مقصر له عن كذا اي محبس ومبدأ الفصل في وصف الايمان والمراد بالايمان التصديق القلبي بالتوحيد وبما جاء به الرسول ص ولا شك
في كونه سبيلا ابلج واضح المسلك الى الجنة انور السراج في ظلمات الجهل ولفظ السراج مستعار والصالحات هي الاعمال الصالحات من
العبادات ومكارم الاخلاق التي ورد بها الترغيب وظ كونها معلولات الايمان وثمرات له يستدل بوجوده في قلب العبد على ملازمته
لها استدلالا بالعلة على المعلول ويستدل بصدورها من العبد على وجود الايمان في قلبه استدلالا بالمعلول على العلة واما قوله
فبالايمان يعمر العلم فلان الايمان بالتفسير المذكور اذا اعتضد بالبرهان كان علما فهو روح العلوم ويطلق اسم الايمان عليه مع ثمرته
وهي الاعمال الصالحة لانها من كماله ولا تمام له ولا ينتفع به دونها فان العلم اذا لم يعتضد بالعمل فهو قليل الفائدة في الاخرة بل لا ثمرة
له فهو كالخراب الغير الصالح للاقتناء فكما لا يصلح الخراب للسكنى فكذلك العلم الخالي عن الاعمال الصالحة ولذلك قال عم في موضع اخر
العلم مقرون بالعمل والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل واما قوله وبالعلم يرهب الموت فلان العلم بالله تعالى وغاية خلقه للانسان
وملاحظة نسبة الدنيا الى الاخرة والعلم باحوال المعاد يستلزم ذكر الموت ودوام ملاحظته وذلك مستلزم لرهبته والعمل له ولما بعده
وقوله وبالموت تختم الدنيا ظاهر اذ الدنيا عبارة عما فيه الانسان قبل الموت من التصرفات البدنية وقوله وبالدنيا تحرز الاخرة اشارة الى ان الدنيا
محل الاستعداد لتحصيل الزاد ليوم المعاد وفيها يحصل كمال النفوس الذي تحرز به سعادة الاخرة وقد سبق بيانه وقوله وبالقيامة تزلف الجنة
للمتقين وتبرز الجحيم للغاوين اشارة لطيفة ذكرناها غير مرة وهو ان بالموت وطرح جلباب البدن تتبين ما للانسان وما عليه مما قدم من
خير او شر وان كانت ثمرة ذلك تراخيا حاصلا للنفس في الدنيا لان لذاتها انما يحصل لها بعد طرح البدن والى هذه الاشارة بقوله
تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ولفظ الازلاف والبروز يشهد بذلك
لان فيه معنى الظهور اي ظهور الادراك انه وقوله وان الخلق لا مقصر لهم عن القيامة الى اخره كلام في غاية الحسن مع غزارة الفائدة وهو
اشارة الى انه لابد لهم من ورود القيامة ومضمارها مدة الحيوة الدنيا وهو لفظ مستعار ووجه المشابهة كون تلك المدة محل استعداد النفوس
للسباق الى حضرة الله كما ان المضمار محل استعداد الخيل للسباق وقد سبق بيان ذلك في قوله الا وان اليوم المضمار وغدا السباق ومرقلين حال وارقالهم
كناية عن سيرهم المتوهم في مدة اعمارهم الى الاخرة وسرعة حثيث الزمان بهم في اعداد ابدانهم للخراب والغاية القصوى هي السعادة والشقاوة
الاخروية **منها** قد شخصوا من مستقر الاجداث وصاروا الى مصاير الغايات لكل دار اهل لا يستبدلون بها ولا ينقلون عنها
وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لخلقان من خلق الله وانهما لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق وعليكم بكتاب الله فانه
الحبل المتين والنور المبين والشفاء النافع والري الناقع والعصمة للمتمسك والنجاة للمتعلق لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستعتب
ولا تخلقه كثرة الرد وولوج السمع من قال به صدق ومن عمل به سبق وقام اليه عليه السلام رجل فقال اخبرنا عن الفتنة وهل سالت
عنها رسول الله ص فقال عم لما انزل الله سبحانه الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون علمت ان الفتنة لا تنزل بنا
ورسول الله ص بين اظهرنا فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة التي اخبرك الله بها فقال يا علي ان امتي سيفتنون من بعدي فقلت يا رسول
الله او ليس قد قلت لي يوم احد حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحيزت عني الشهادة فشق ذلك علي فقلت لي ابشر فان
الشهادة من ورائك فقال لي ان ذلك لكذلك فكيف صبرك اذن فقلت يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن
البشرى والشكر وقال يا علي ان القوم سيفتنون باموالهم ويمنون بدينهم على ربهم ويتمنون رحمته ويامنون سطوته ويستحلون حرامه

وانهما

حيزت عني

تبعته

بالشبهات

ج

بالشبهات الكاذبة والاهواء الساهية فيستحلون الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع فقلت يا رسول الله فباي المنازل انزلهم عند
ذلك ابمنزلة فتنة ام بمنزلة ردة فقال بمنزلة فتنة **اقول** صدر هذا الفصل صفة حال اهل القبور في القيمة ومصاير الغايات الجنة
والنار ومظاهرها لكل دار منهما اهل لا يستبدلون بها ويجب ان يعنى باهل النار الكفار ليتم قوله لا يستبدلون ولا ينقلون عنها فان
العصاة من اهل القبلة وان صح انهم يعذبون لكن ثبت انهم ينقلون عنها وقوله وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى قوله من رزق جعلهما
من بكر كونهما خلقين من خلق الله واعلم ان اطلاق لفظ الخلق على الله استعارة لان حقيقة الخلق انه ملكة نفسانية تصدر عن الانسان
بها افعال خيرية او شرية واذ قد تنزه قدسه تعالى عن الكيفيات والهيئات لم يصدق هذا اللفظ عليه حقيقة لكن لما كان الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر من الاخلاق الفاضلة اشبه ما تعتبره له تعالى من صفات الكمال ونعوت الجلال التي ينسب اليها ما يصدر عنه من الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر والافعال الخيرية التي بها نظام العالم وبقاؤه وكحكمته وقدرته وجوده وعنايته وعدم حاجته مما يتعارف من
الاخلاق الفاضلة التي تصدر عنها الافعال الخيرية والشرية فاستعير لها لفظ الاخلاق واطلق عليه فاما كونهما لا يقربان الاجل ولا ينقصان
الرزق فلان كثيرا من ضعفاء الاعتبار العقلي يمنعهم عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر توهم احد الامرين وخصوصا ترك نهي الملوك من
المنكرات ثم شرع في الحث على لزوم كتاب الله باوصاف نبه بها على فضيلته الاول الحبل المتين ولفظ الحبل مستعار له ووجه المشابهة
كونه سببا لنجاة المتمسك به من الهوي في دركات الجحيم كالحبل في نجاة المتمسك به ورشح بذكر المتانة الثاني كونه نورا مبينا ولفظ
النور ايضا استعارة له باعتبار الاهتداء به الى المقاصد الحقيقية في سلوك سبيل الله الثالث كونه الشفاء النافع اي من الم الجهل وكذلك
الري الناقع اي للعطشان من ماء الحيوة الابدية كالعلوم والكمالات الباقية الرابع كونه عصمة للمتمسك ونجاة للمتعلق ومعناه كما سبق
في كونه حبلا الخامس لا يعوج فيقام اذ ليس هو كسائر الالات المحسوسة السادس ولا يزيغ فيستعتب اي يطلب منه العتبى والرجوع الى
الحق كما يفعله سائر الحكام من الناس السابع كونه لا تخلقه كثرة الرد اي الترديد في الالسنة وولوج الاسماع وهو من خصائص القرآن الكريم
فان كل كلام نثرا ونظما اذا كثرت تلاوته مجته الاسماع واستهجن الا القرآن الكريم فانه لا يزال غضا طريا يزداد على طول التكرار في كل
الاعصار محبته في القلوب وحسنا ولذة يلهج من سر ذلك كثرة اسراره وغموضها التي لا يطلع عليها الا الافراد مع كونه في غاية من فصاحة
الالفاظ وعذوبة المسمع فاما ما حكاه من سؤاله الرسول ص وجواب الرسول له فقد روى كثير من المحدثين عنه عم عن النبي ص انه قال
ان الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب علي جهاد المشركين قال فقلت يا رسول الله وما هذه الفتنة التي كتب علي فيها الجهاد
قال فتنة قوم يشهدون ان لا اله الا الله واني رسول الله وهم مخالفون للسنة فقلت يا رسول الله فعلام اقاتلهم وهم يشهدون كما
اشهد قال على الاحداث في الدين ومخالفة الامر فقلت يا رسول الله انك كنت وعدتني بالشهادة فاسال الله ان يعجلها لي بين يديك
قال فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين اما اني وعدتك الشهادة وستشهد تضرب على هذه فتخضب هذه فكيف صبرك اذن
فقلت يا رسول الله ليس ذا بموطن صبر هذا موطن شكر قال اجل اصبت فاعد للخصومة فانك مخاصم فقلت يا رسول الله لو بينت لي قليلا فقال
ان امتي ستفتن من بعدي فتتأول القرآن وتعمل بالرأي وتستحل الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع وتحرف الكتاب عن مواضعه
وتغلب كلمة الضلال فكن حلس بيتك حتى تقلدها فاذا قلدتها جاشت عليك الصدور وقلبت لك الامور فقاتل على تأويل
القرآن كما قاتلت على تنزيله فليست حالهم الثانية دون حالهم الاولى فقلت يا رسول الله فباي المنازل هؤلاء المفتونين بمنزلة فتنة
ام بمنزلة ردة فقال بمنزلة فتنة يعمهون فيها الى ان يدركهم العدل فقلت يا رسول الله ايدركهم العدل منا ام من غيرنا قال بل منا فبنا
فتح وبنا يختم وبنا الف الله بين القلوب بعد الفتنة فقلت الحمد لله على ما وهب لنا من فضله واعلم ان في هذا الفصل غريبة عليه
سؤال وهي قوله ليس هذا من مواطن الصبر فانك علمت فيما سلف ان الصبر والشكر من ابواب الجنة والمقامات العالية للسالك الى الله تعالى
لكن علمت ان مقام الشكر ارفع من مقام الصبر ولما كان هو عليه السلام سيد العارفين بعد سيد المرسلين لا جرم كان اولى من صدر
عنه هذه الاشارة فاما اخبار الرسول ص بان الناس سيفتنون باموالهم ويمنون بدينهم على ربهم ويتمنون رحمته ويامنون سطوته
وسائر ما اخبر به الى قوله بالبيع فكل ذلك مشاهد في زماننا وقبله بقريب واما كون ذلك منزلة فتنة لا منزلة ردة فلبقائهم
على الاقرار بالشهادتين وان ارتكبوا من المحارم ما ارتكبوا لشبهة غطت على اعين ابصارهم وبالله التوفيق **ومن خطبة له عم**
الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحا لذكره وسببا للمزيد من فضله ودليلا على آلائه وعظمته عباد الله ان الدهر يجري
بالباقين كجريه بالماضين لا يعود ما قد ولى منه ولا يبقى سرمدا ما فيه اخر فعاله كاوله متشابهة اموره متظاهرة
اعلامه فكانكم بالساعة تحدوكم حدو الزاجر بشوله فمن شغل نفسه بغير نفسه تحير في الظلمات وارتبك في الهلكات
ومدت به شياطينه في طغيانه وزينت له سيئ اعماله فالجنة غاية السابقين والنار غاية المفرطين اعلموا عباد الله
ان التقوى دار حصن عزيز والفجور دار حصن ذليل لا يمنع اهله ولا يحرز من لجأ اليه الا وبالتقوى تقطع حمة الخطايا

كونه

موطن

من

الشركة

الصبر يكن
مواطن

في صفة اهل القبور في القيمة

وما ليقين تدرك الغاية القصوى عباد الله الله الله في اعز الانفس عليكم واحبها اليكم فان الله قد اوضح لكم سبيل الحق وابان طرقه
فشقوة لازمة او سعادة دائمة فتزودوا في ايام الفناء لايام البقاء فقد دللتم على الزاد وامرتم بالظعن وحثثتم على
المسير فانما انتم كركب وقوف لا تدرون متى تؤمرون بالمسير الا فما يصنع بالدنيا من خلق للآخرة وما يصنع بالمال من عما
قليل يسلبه وتبقى عليه تبعته وحسابه عباد الله انه ليس لما وعد الله من الخير مترك ولا فيما نهى عنه من الشر مرغب
عباد الله احذروا يوما تفحص فيه الاعمال ويكثر فيه الزلزال وتشيب فيه الاطفال اعلموا عباد الله ان عليكم رصدا من انفسكم
وعيونا من جوارحكم وحفاظ صدق يحفظون اعمالكم وعدد انفاسكم لا تستركم منهم ظلمة ليل داج ولا يكنكم منهم
باب ذو رتاج وان غدا من اليوم قريب يذهب اليوم بما فيه ويجيء الغد لاحقا به فكان كل امرئ منكم قد بلغ من الارض
منزل وحدته ومخط حفرته فياله من بيت وحدة ومنزل وحشة ومفرد غربة وكان الصيحة قد اتتكم والساعة قد غشيتكم
وبرزتم لفصل القضاء قد زاحت عنكم الاباطيل واضمحلت عنكم العلل واستحقت بكم الحقائق وصدرت بكم الامور مصادرها
فاتعظوا بالعبر واعتبروا بالغير وانتفعوا بالنذر **اقول** الشول النوق التي جف لبنها وارتفع ضرعها واتى عليها من نتاجها
سبعة اشهر الواحدة شائلة على غير قياس والارتباك الاختلاط وحمة العقرب ابرتها وهي محل سمها والرتاج الغلق وقد حمد الله تعالى
باعتبارات احدها جعله الحمد مفتاحا لذكره في عدة سور الثاني كونه سببا للمزيد من فضله والمراد بالحمد هنا الشكر لقوله تعالى ولئن
شكرتم لازيدنكم وقد عرفت علاوة لزيادة النعم الثالث وتليلا على الائه لاختصاص الشكر بمولي النعم وتذكر عظمته لاختصاص مستحقا
ذلك لذاته هو وصفه لكل نعمة ولان الحمد لا يتبع الا لم ثم اخذ في الموعظة فنبه السامعين على فعل الدهر بالماضين ليتذكروا انهم
امثالهم ولاحقون بهم فيقيسهم واعتبرهم ويعلموا ما بعد الموت ثم نبه على حاله في تقضيه بان كل وقت مضى منه لا يعود ولذلك وقت منه
له اهل ومتاع من الدنيا انما يكون في الوجود بوجود ذلك الوقت وظاهر انه تنقضي بتقضيه ولا يبقى سرمدا ما فيه وان اثاره متشابهة
اخرها كاولها اي يوجد ما يكون بعد وقت منه بوجود ذلك الوقت وينقضي بانقضائه فحاله دائما على وتيرة واحدة وكذلك قوله
متشابهة اموره ثم كما كان ولا يبعد قوما للفقر وقوما للغنى وقوما للضعة وقوما للرفعة وقوما للوجود واخرين للعدم كل هو
اخر وقوله متظاهرة اعلامه اي لا لائه على شيمته وطبيعته وافعاله التي يعامل الناس بها فانما تجدها متعاضدة يشبه بعضها بعضا
ونسبة هذه الامور الى الدهر جريا على ما في اوهام وان كان الفاعل هو الله تعالى وانما الدهر الاعداد كما سبق ثم نبه على قرب الساعة وشبه حدوها
اي سوقها لهم بسوق الزاجر للنوق في حثه لها وقد عرفت كيفية ذلك السوق ووجه الاستعارة فيه في قوله وان الساعة من ورائكم تحدوكم
وجه الشبه هو السرعة والحث وانما خص الشول من النوق لخلوها من العنا فيكون سوقها بعنف واسرع ولما نبههم على قربها ونبه لتحذيرهم
نبههم على وجوب اشتغال كل بنفسه اذ كان مشتغل بنفسه بغير نفسه غير محصل لنور يهتدي به في ظلمات طريق الاخرة بل انما على قطعته و
اغشية من الهيئات البدنية اكتسبها عما اشتغل به من متاع الدنيا والعمل لها وعلمات تلك الاغطية مغشية لنور البصيرة فلا جرم يحير في
تلك الظلمات ويرتبك في مهالك تلك الطريق ومغاويها ويمده شياطينه ونفسه الامارة في طغيانه ويزين له سيء اعماله ثم ذكر
غاية وجود الانسان وخص الجنة بالسابقين والنار بالمفرطين وقد كان ذكر الجنة كافيا في الجذب اليها والنار كافيا في الجذب عنها فقرن ذكر
الجنة بفضيلة السبق وذكر النار برذيلة التفريط ليقوى الباعث على طلب شرف الغايتين والهرب من اخستهما وايضا فلان السبق والتفريط
علتان للوصول الى غايتيهما المذكورين يهدي الى طلب احدهما والهرب من الاخرى بذكر سببيهما ثم عاد الى التنبيه على فضيلة التقوى
واستعار لها لفظ الدار الحصينة التي تعز من تحصن بها ووجه الاستعارة كونها محصنة للنفس مما في الدنيا من الرذائل الموبقة المقتضية
لكثير من الهلكات الدنيوية واما في الاخرة فمن ثمرات الرذائل وملكات السوء المستلزمة للعذاب الاليم ثم على رذيلة الفجور وهو طرف الافراط
من فضيلة العفة واستعار لفظ الدار وصفه بكونها حصنا ذليلا ووجه الاستعارة كونه مستلزما للصدق ما استلزم التقوى ويجب ان يخص
التقوى هنا بفضيلة القوة البهيمية وهي العفة والزهد لمقابلة الفجور للعفة ثم نبه على فضيلة اخرى للتقوى وهي كونها قاطعة لحمة الخطايا
ولفظ الحمة مستعار لها باعتبار كونها سببا مستلزما للاذى في الاخرة كما يستلزم ابرة العقرب وسمها الاذى ومن روى حمة مشددة
اراد شدة الخطايا وبأسها لان حمة الحر معظمه وظاهر كون التقوى قاطعا لبأس الخطايا وماحيا لاثارها ولما اشار الى كون التقوى حاسما
الخطايا وكان بذلك اصلاح القوة العملية اشار الى ان اليقين لذي اصلاح القوة النظرية سبيل ذلك الغاية القصوى فان الانسان
اذا حصل على كمال القوة النظرية باليقين وعلى كمال القوة العملية بالتقوى بلغ الغاية القصوى من الكمال الانساني ثم عقب بتحذير الناس
من الله تعالى في اعز نفس عليهم واحبها اليهم وفي الكلام اشارة الى ان للانسان نفوسا متعددة وهي باعتبار مطمئنة وامارة بالسوء ولوامة
وباعتبار عاقلة وشهوية وغضبية والاشارة الى التي للآخرة واعزها النفس العاقلة اذ هي الباقية بعد الموت ولها الثواب وعليها العقاب
وفيها الوصية وقد التحذير بحفظ كل نفسه بما يوبقها في الاخرة وذلك بالاستقامة على سبيل الله ولذلك قال فقد اوضح لكم سبيل

فيه تنبيه على فضيلة الرسول

الحق وابان طرقه وروى انار طرقه اي الايات والنذر ثم نبه على غايتي سبيل الحق وسبيل الباطل بقوله فشقوة لازمة او سعادة دائمة ثم عاد الى
الحث على اتخاذ الزاد بعد ان ذكر التقوى منبها على ان الزاد هو التقوى كما قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى وايام البقاء الحال التي بعد
الموت ودلالتهم على الزاد في الاية التي دلهم الله تعالى بها عليه وامرهم بالظعن كقوله تعالى سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الاية وقوله ففروا الى
الله وبالجملة فكل امر بالاعراض عن الدنيا والتنفير عنها فهو مستلزم للحث على الظعن والامر بالمسير عن الدنيا بالقلوب لان الظعن هنا
هو قطع درجات المعارف والاعمال في سبيل الله وصراطه المستقيم والمسير فيها ويحتمل ان يريد بالحث على المسير حث الليل والنهار بتعاقبهما
على الاعمار فانهما سائقان حثيثان عنيفان فيجب التنبيه لسوقهما على اتخاذ الزاد لما يسوقان اليه وقوله وانما انتم كركب الى اخره وجه التشبيه
ظاهر فالانسان هو النفس والمطايا هي الابدان والقوى النفسانية والطريق هي العالم الحسي والعقلي والسير الذي ذكره قبل الموت هو تصرف
النفس في العالمين لتحصيل الكمالات المسعدة وهي الزاد لغاية السعادة الباقية واما السير الثاني الذي هم وقوف ينتظرونه ولا يدرون
متى يؤمرون به فهو الرحيل الى الاخرة من دار الدنيا وطرح البدن وقطع عقبات الموت والقبر اذ الانسان لا يعرف وقت ذلك وقد يتبين
لك من سر هذا الكلام ان قوله وامرتم بالظعن مع قوله لا تدرون متى تؤمرون بالمسير ليسا متنافيين كما ظنه بعضهم ثم اخذ في تزهيد الدنيا
والتنفير عنها بذكر ان الانسان غير مخلوق لها بل لغيرها ومقتضى العقل ان يعمل الانسان لما خلق له وفي تزهيد المال بتذكير سلبه عن
قليل بالموت وبقاء الحساب عليه وتبعاته من عقاب الهيئات الحاصلة بسبب محبته وجمعه والتصرف الخارج عن العدل فيه لا بسبب انفاقه ثم
عقب بالترغيب في وعد الله بانه ليس منه مترك اي ليس منه عوض وبدل في النفاسة وبالتنفير عما نهى الله عنه بكونه لا رغبة فيه اي ليس فيه مصلحة
ينبغي ان يجعلها العاقل غاية مقصودة له اذ هو تعالى اعلم بالمصالح فلا يليق بجوده ان ينهى العبد عما فيه مصلحة راجحة ثم عقب بالتحذير من يوم
الوعيد ووصفه بالصفات التي باعتبارها يجب الخوف منه والعمل وهي تفحص الاعمال فيه ونقاش الحساب عليه كقوله تعالى ولتسئلن عما كنتم تعملون
وظهور الزلزال كقوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وتشيب الاطفال كقوله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا واعلم ان هذه الصفات في يوم القيمة
ظاهرة في الشريعة وقد سلط التأويل عليها بعض من تحذلق فقال اما الفحص عن الاعمال فيرجع الى احاطة اللوح المحفوظ بها وظهورها للنفس
عند مفارقتها للبدن او الى انتقاش النفوس بها كما تقدم شرحه كقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الاية واما ظهور الزلزال فيجوز
ان يريد التغير الذي لا بد منه والاضطراب العارض للبدن عند مفارقة النفس والتشويش لها ايضا على ما تقدم من الاشارة الى ان الدنيا هي
مقبرة النفوس ولحدها واما مشيب الاطفال فكثيرا ما يكنى به عن غاية الشدة يقال هذا امر تشيب منه النواصي ويهرم فيه الاطفال اذا كان
صعبا ولا اصعب على النفس من حال المفارقة وما بعدها ثم عقب التحذير من المعاصي بالتنبيه على الرصد القريب الملازم واشار بالرصد الى الجوارح
كما قال تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقوله وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا الاية والشهادة هنا بلسان الحال والنطق
برهان كل عضو لما كان مباشرا للفعل من الافعال كان حضور ذلك العضو وما تمكن فيه في علم الله تعالى بمنزلة الشهادة القولية بين يديه واكد في الله
واشار بحفاظ الصدق الى الكرام الكاتبين وقد سبقت الاشارة الى ذلك في الخطبة الاولى وظاهر كونهم لا يسترهم ساتر ثم بالتحذير بغد وكنى
به عن وقت الموت ثم ببلوغ منزل الوحدة وكنى به عن القبر ووصفه بالاوصاف الموحشة المنفرة المستلزمة للعمل لحلوله ولما بعده ثم بالصيحة وهي الصيحة
الثانية ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون والنفخة الثانية ونفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون ثم بالقيمة الكبرى والبروز
لفصل القضاء وهو حال تحقق كل نفس ما لا بد لها منه من دوام عذاب ودوام نعيم بحكم القضاء الالهي وذلك بعد زوال الهيئات الباطلة
الممكنة الزوال من النفوس لانها استكمالها ومحوها تبعا لمحوها واضمحلال العلل الباطلة للنفوس واستحقاق الحقائق بالخلق ورجوع كل امر
الى ثمرة ما قدم ثم عاد الى الموعظة الجامعة الكلية فامر بالاتعاظ بالعبر وكل ما يفيد تنبيها على احوال الاخرة فهو عبرة وبالاعتبار بالغير وهي
جمع غيرة فعلة من التغير واعتبارها طريق الاتعاظ والازدجار ثم بالانتفاع بالنذر جمع نذير وهو اعم من الانسان بل كل ما افاد تخويفا باحوال
الاخرة فهو نذير والانتفاع به حصول الخوف عنه وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ارسله حين فترة من الرسل وطول
هجعة من الامم وانتقاض من المبرم فجاءهم بتصديق الذي بين يديه والنور المقتدى به ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن
اخبركم عنه الا ان فيه علم ما ياتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم ما بينكم **اقول** الهجعة النومة والمبرم الحبل المحكم الفتل
وثمرة الفصل التنبيه على فضيلة الرسول صلى الله عليه وآله والفترة الزمان بين الرسولين وكنى بالهجعة عن الامم عن سنتهم في مراقد الطبيعة ونوم الغفلة
عما خلقوا لاجله في مدة زمان الفترة واشار بالمبرم الى ما كان الخلق عليه من حفظ نظام الحال بالشرائع السابقة وابرام امورهم بوجودها وانتقاض
ذلك النظام بتغير الشرائع واضمحلالها والذي صدقه بين يديه هو التورية والانجيل كما قال تعالى مصدقا لما بين يديه من الكتاب وكل امر
منتظر قريبا منه يقال انه جاء بين يديه واستعار لفظ النور للقرآن ووجه الاستعارة ظاهر ثم امر باستنطاقه وفسر ذلك الاستنطاق باستماع ما
عنه اذ هو لسان الكتاب والسنة وذكرهم انهم لن يسمعوا ما تستنكره امره باستنطاقه بقوله فلن ينطق ونبه على ما فيه من علم الاولين واخبار عن
القرون الماضية وعلم ما ياتي من الفتن واحوال القيمة وان فيه دواء دائهم وذلك لانه هو المزيل للرذائل المنقضة وداء ذلك للداء موتهم.

الفضائل العلمية والعملية التي اشتمل عليها القرآن الكريم ونظام ما بينهم اشارة الى ما اشتمل عليه من القوانين الشرعية والحكمة السياسية التي بها نظام العالم
واستقامة اموره **منها** فعند ذلك لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا وادخله الظلمة ترحة واولجوا فيه نقمة فيومئذ لا يبقى لهم في السماء
عاذر ولا في الارض ناصر اصفيتم بالامر غير اهله واوردتموه غير ورده وسينتقم الله ممن ظلم ماكلا بماكل ومشربا بمشرب من مطاعم العلقم ومشارب
الصبر والمقر ولباس شعار الخوف ودثار السيف وانما هم مطايا الخطيئات وزوامل الاثام فاقسم ثم اقسم لتنخمنها امية من بعدي
كما تلفظ النخامة ثم لا تذوقها ولا تطعم بطعمها ابدا ما كر الجديدان **اقول** لترحة الحزن والمقر المر والزاملة الجمل يستظهر به
الانسان في حمل متاعه وتنخمت النخامة لفظتها وسياق الكلام الاخبار عن حال بني امية وما يحدث في دولتهم من الظلم وكنى ببيت المدر والوبر
عن البدو والحضر وعن استحقاقهم عند فعلهم ذلك للتغير وزوال الدولة بعدم العاذر في السماء والناصر في الارض ثم عقب بتوبيخ الناس
على اصفائهم بامر الخلافة غير اهله والخطاب عام مخصص بالعقل بمن هو راض بولاية معوية وذريته وتارك الحق من متقاعد عن القيام معه في قتاله الان
القعود عن دفع الظالم ونتاله مستلزم لقوته ويجري مجرى نصرته واعانته على ظلمه وانما يقصد القاعد عنه ذلك ثم اخبر ان الله سينتقم منهم
وماكلا ومشربا منصوبان بفعل مضمر والتقدير ويبدلهم ماكلا بماكل واستعار لفظ العلقم والصبر والمقر لما يتجرعونه من شدائد القتل و
اهوال العدو ومرارات زوال الدولة وكذلك لفظ الشعار للخوف ورشح بذكر اللباس ولفظ الدثار للسيف ووجه الاستعارة الاولى ووجه
الثانية ملازمة الخوف لهم كملازمة الشعار للجسد وافاد بعض الشارحين انه انما خص الخوف بالشعار لانه باطن في القلوب والسيف بالدثار
لانه ظاهر في البدن كما ان الشعار مما كان يلي الجسد والدثار ما كان فوقه واستعار لهم لفظ المطايا والزوامل ووجه الاستعارة حملهم للاثام وفي
ملفظ وانما اشارة الى تحصيل حركاتهم ونصرفاتهم على غير قانون شرعي فيكون خطيئة واثماثم اقسم لتنخمنها امية من بعده فاستعار لفظ التنخم
لزوال الخلافة عنهم فكانهم فارقوها وقذفوها من صدورهم ملاحظة لشبهها بالنخامة وكنى بعدم ذوقها وتطعمها عن عدم رجوعها اليهم وما هنا
بمعنى المدة والجديدان الليل والنهار وكنى بذلك وهو اخبار منه عما سيكون وروي عن الرسول ص انه اخبر ان بني امية تملك الخلافة بعده مع
ذم منه لهم نحو ما روي عنه في تفسير قوله وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم قال المفسرون انه
راى بني امية ينزون على منبره نزو القردة وبهذا اللفظ فسر الاية وساءه ذلك ثم قال الشجرة الملعونة بنو امية وبنو المغيرة وروي عنه انه
قال اذا بلغ بنو ابي العاص ثلثين رجلا اتخذوا مال الله دولا وعباده خولا وكما روي عنه في تفسير قوله ليلة القدر خير من الف شهر قال
الف شهر يملك فيها بنو امية ونحو قوله ابغض الاسماء الى الله الحكم وهشام والوليد الى غير ذلك **ومن خطبة له عليه السلام** ولقد
احسنت جواركم واحطت بجهدي من ورائكم واعتقتكم من ربق الذل وحلق الضيم شكرا مني للبر القليل واطراقا عما ادركه البصر و
شهده البدن من المنكر الكثير **اقول** احاطته بجهده من ورائهم اشارة الى حفظه وحراسته لهم واعتاقهم من ربق الذل وحلق الضيم حمايته لهم
من عدوهم واعزازهم بدولته نبههم على شكره للقليل من برهم اي بقدر انقياعهم لله في طاعته واطراقه عن كثير منكرهم مما شاهده منا عليهم بالمسامحة
والعفو فان قلت فكيف يجوز له ان يسكت عن انكار المنكر مع مشاهدته له قلت يحمل ذلك منه على عدم التمكن من ازالته بالعنف والقهر لجواز
ان يستلزم ذلك مفسدة اكبر مما هم عليه من المنكر وظاهر انهم غير معصومين ومحال ان تستقيم دولة او يتم ملك بدون الاحسان الى المحسنين
من الرعية والتجاوز عن بعض المسيئين وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** امره قضاء وحكمة ورضاه امان ورحمة يقضي بعلم
ويعفو بحلم اللهم لك الحمد على ما تاخذ وتعطي وعلى ما تعافي وتبتلي حمدا يكون ارضى الحمد لك واحب الحمد اليك وافضل
الحمد عندك حمدا يملأ ما خلقت ويبلغ ما اردت حمدا لا يحجب عنك ولا يقصر دونك حمدا لا ينقطع عدده ولا يفنى مدده فلسنا
نعلم كنه عظمتك الا انا نعلم انك حي قيوم لا تاخذك سنة ولا نوم لم ينته اليك نظر ولم يدركك بصر ادركت الابصار واحصيت
الاعمال واخذت بالنواصي والاقدام وما الذي نرى من خلقك ونعجب له من قدرتك ونصفه من عظيم سلطانك وما تغيب عنا منه
وقصرت ابصارنا عنه وانتهت عقولنا دونه وحالت ستور الغيوب بيننا وبينه اعظم فمن فرغ قلبه واعمل فكره ليعلم كيف اقمت عرشك
وكيف ذرأت خلقك وكيف علقت في الهواء سمواتك وكيف مددت على مور الماء ارضك رجع طرفه حسيرا وعقله مبهورا وسمعه
والها وفكره حائرا **اقول** امره هو حكم قدرته الالهية وكونه قضاء كونه حكما لازما لا يرد وكونه حكمة كونه على وفق الحكمة الالهية والنظام
الاكمل ورضاه يعود الى علمه بطاعة العبد له على وفق امره ونهيه وقوله يقضي بعلم اعادة لمعنى قوله امره قضاء وحكمة يجري مجرى التفسير له
وقوله ويعفو بحلم فالعفو يعود الى الرضا بالطاعة بعد تقدم الذنب انما يتحقق العفو مع تحقق القدرة على العقاب اذ العاجز لا يسمى عفوا
فلذلك قال ويعفو بحلم ثم عقب بخطاب الله بالاعتراف بحمده والحمد له باعتبار ضروب من السراء والضراء اشارة الى حمده على كل حال وهي
الاخذ والاعطاء والعافية والابتلاء ثم باعتبار كيفيته وهو كونه ارضى الحمد لله واحبه اليه وافضله عنده اي اشده وقوعا على الوجه اللائق
المناسب لعظمته ثم باعتبار كميته وهو كونه يملأ المخلوق ويبلغ ما اراده ثم باعتبار غايته وهو كونه لا يحجب عنه ولا يقصر دونه ثم باعتبار مادته
وهو كونه لا ينقطع عدده ولا يفنى مدده وقد يكون التفصيل في القول في بعض المواضع ابلغ واوقع في النفوس والذ وقد يكون الاجمال والاختصار

انفع وابلغ ثم شرع في الاعتراف بالعجز عن ادراك كنه عظمته وفي بيان وجه معرفته الممكنة للخلق وهي اما بالصفات الحقيقية او الاعتبارات السلبية
او الاضافية واشار الى الاعتبارات الثلثة فكونه حيا قيوما اشارة الى الصفات الحقيقية وقد عرفت انها تستلزم ان الوجود القيوم
هو القائم بذاته المقيم لغيره وكل قائم بذاته فهو موجود واجب الوجود وكونه لا تاخذه سنة ولا نوم ولا ينتهي اليه نظر عقلي وبصري ولا
يدركه بصر اعتبارات سلبية وكونه مدركا للابصار محصيا للاعمال اخذا بالنواصي والاقدام اي محيط القدرة بها اعتبارات اضافية
ثم انه اشار الى استحقار ما عدده مما ادركه بالنسبة الى ما لم يدركه من عظيم ملكوته وما في قوله وما الذي نرى استفهامية على سبيل الاستحقار لما
استفهم عنه وما الثانية وما في قوله وما يغيب عنا منه بمعنى الذي محلها الرفع بالابتداء وخبره اعظم والواو فيها للحال ثم عقب بالحكم
على من فرغ قلبه واعمل فكره ليصل الى كنه معرفته وعلم كيفية نظامه للعالم الاعلى والاسفل برجوع كل من الالات ادراكه حسيرا مقهورا عن
ادراك ما كلفه ادراكه من ذلك وقد سبقت الاشارة الى براهين هذه الاحكام غير مرة وبالله التوفيق **منها** يدعي بزعمه انه يرجو الله
كذب والعظيم ما باله لا يتبين رجاؤه في عمله فكل من رجا عرف رجاؤه في عمله وكل رجاء الا رجاء الله فانه مدخول وكل
خوف محقق الا خوف الله فانه معلول يرجو الله في الكبير ويرجو العباد في الصغير فيعطي العبد ما لا يعطي الرب فما بال الله عز
وجل يقصر به عما يصنع بعباده اتخاف ان تكون في رجائك له كاذبا او تكون لا تراه للرجاء موضعا وكذلك ان هو
خاف عبدا من عبيده اعطاه من خوفه ما لا يعطي ربه فجعل خوفه من العباد نقدا وخوفه من خالقهم ضمارا ووعدا وكذلك
من عظمت الدنيا في عينه وكبر موقعها من قلبه اثرها على الله فانقطع اليها وصار عبدا لها ولقد كان في رسول الله ص كاف لك
في الاسوة ودليل لك على ذم الدنيا وعيبها وكثرة مخازيها ومساويها اذ قبضت عنه اطرافها ووطئت لغيره اكنافها وفطم من
رضاعها وزوي عن زخارفها وان شئت ثنيت بموسى كليم الله اذ يقول رب اني لما انزلت الي من خير فقير والله ما ساله
الا خبزا ياكله لانه كان ياكل بقلة الارض ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذب لحمه
وان شئت ثلثت بداود صاحب المزامير وقاري اهل الجنة فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده ويقول لجلسائه ايكم
يكفيني بيعها وياكل قرص الشعير من ثمنها وان شئت قلت في عيسى بن مريم ع فلقد كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن وكان ادامه
الجوع وسراجه بالليل القمر وظلاله في الشتاء مشارق الارض ومغاربها وفاكهته وريحانه ما تنبت الارض للبهائم ولم تكن
له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال يلفته ولا طمع يذله دابته رجلاه وخادمه يداه فتاس بنبيك الاطهر الاطيب
صلى الله عليه واله فان فيه اسوة لمن تاسى وعزاء لمن تعزى واحب العباد الى الله المتاسي بنبيه والمقتص لاثره قضم الدنيا قضما
ولم يعرها طرفا اهضم اهل الدنيا كشحا واخمصهم من الدنيا بطنا عرضت عليه الدنيا فابى ان يقبلها وعلم ان الله ابغض شيئا
فابغضه وحقر شيئا فحقره وصغر شيئا فصغره ولو لم يكن فينا الا حبنا ما ابغض الله ورسوله وتعظيمنا ما صغر الله لكفى به شقاقا
لله ومحادة عن امر الله ولقد كان صلى الله عليه واله ياكل على الارض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه
ويركب الحمار العاري ويردف خلفه ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول يا فلانة لاحدى ازواجه غيبيه عني
فاني اذا نظرت اليه ذكرت الدنيا وزخارفها فاعرض عن الدنيا بقلبه وامات ذكرها من نفسه واحب ان تغيب زينتها عن عينه
لكيلا يتخذ منها رياشا ولا يعتقدها قرارا ولا يرجو فيها مقاما فاخرجها من النفس واشخصها عن القلب وغيبها عن البصر و
كذلك من ابغض شيئا ابغض ان ينظر اليه وان يذكر عنده ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه واله ما يدلك على مساوي الدنيا
وعيوبها اذ جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته فلينظر ناظر بعقله اكرم الله محمدا بذلك ام اهانه فان
قال اهانه فقد كذب والعظيم وان قال اكرمه فليعلم ان الله قد اهان غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن اقرب
الناس منه فتاسى متاس بنبيه واقتص اثره وولج مولجه والا فلا يامن الهلكة فان الله تعالى جعل محمدا صلى الله عليه واله
علما للساعة ومبشرا بالجنة ومنذرا بالعقوبة خرج من الدنيا خميصا وورد الاخرة سليما لم يضع حجرا على حجر حتى مضى لسبيله واجاب
داعي ربه فما اعظم منة الله عندنا حين انعم علينا به سلفا نتبعه وقائدا نطا عقبه والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى
استحييت من راقعها ولقد قال لي قائل الا تنبذها عنك فقلت اغرب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى **اقول**
المدخول الذي فيه شبهة وريبة وكذلك المعلول الغير الخالص والضمار الذي لا يرجى من الموعود والمقتص التابع له والقضم الاكل
باطراف الفم والهضيم الخميص لقلة الاكل والمحادة المخالفة والرياش الزينة والمدرعة الدراعة واغرب اي تباعد وسياق الكلام
يقتضي ذم من يدعي رجاء الله ولا يعمل له وتنبيهه ان رجاءه ليس بخالص فيكذب به وبيان تقصيره في العمل فقوله يدعي بزعمه انه يرجو الله
ذكر صورة الدعوى الخالية او الحالية وقوله كذب والعظيم رد لتلك الدعوى مؤكدا بالقسم البار وانما قال والعظيم دون الله
لان ذكر العظمة هنا انسب للرجاء وقوله ما باله الى قوله عرف رجاؤه في عمله قياس من الشكل الثاني بين فيه انه غير راج وتلخيصه انه هذا

في بيان العجز عن ادراك كنهه

١ ٢ المدعي للرجاء غير راج ومراده الرجاء التام الذي يجتهد في العمل له ولذلك قال الا رجاء الله فانه مدخول فتنبه بان فيه دخلا على وجوده الا انه
غير خالص وبيان الدليل ان كل من رجا امرا من سلطان او غيره فانه يجد له اتماما ويبالغ في طلبه ضنا ويكون عمله له بقدر قوة رجائه
له وخلوصه ويرى هذا المدعي للرجاء غير عامل فليستدل بتقصيره في الاعمال الدينية على عدم رجائه الخالص في الله وكذلك قوله وكل
خوف محقق الا خوف الله فانه معلول توبيخ للسامعين في رجاء الله ثم مع تقصيرهم في الاعمال الدينية وتقدير الاستثناء الاول مع المستثنى
منه وكل رجاء لراج يعرف في عمله اي يعرف خلوص رجائه فيما يرجوه الا رجاء الراجي لله فانه غير خالص وروى وكل رجاء الا رجاء الله فانه
مدخول والتقدير وكل رجاء محقق او خالص لتطابق الكلمتين على مساق واحد وينبه على الاضمار في الكلمة الاولى قوله في الثانية
محقق فانه يفسر المضمر هناك وقوله يرجو الله في الكبير الى قوله يعطي الرب في قوة قياس ضمير صغراه قوله يرجو الى قوله الصغير وتقدير كبراه
وكل من كان كذلك فينبغي ان يعطي الله الذي هو رب من رجائه والعمل له ما لا يعطي المخلوقين الذين هم عباده والصغرى مسلمة فان
الحس يشهد باكثرية اعمال الخلق لما يرجوه بعضهم من بعض بالنسبة الى اعمالهم لما يرجونه من الله ثم واما الكبرى فبيانها ان المقرر في
الفطر ان المرجو الكبير يستدعي ما يناسبه مما هو وسيلة اليه كمية وكيفية وقوله فيعطي العبد ما لا يعطي الرب نقض للكبرى وقوله
فما بال الله الى قوله بعباده توبيخ وتشنيع على من خالف العمل بالنتيجة المذكورة وقوله تخاف الى قوله موضعا استفسار عن علة التقصير المذكور
في رجاء الله والعمل له بالنسبة الى رجاء العباد والعمل لهم استفسارا على سبيل الانكار وتقريعا على ما عساه يدعي من احد العلتين المذكورتين
وهما خوف الكذب في رجاء الله او ظنه غير اهل للرجاء والامر الاول خطاء عظيم لزم عن التقصير في معرفة الله والثاني كفر صراح وانما خصص
ها تين العلتين بالذكر لانهما المشهورتان في عدم رجاء الخلق بعضهم لبعض او ضعفه وانتفاؤهما في حق الله ثم ظ فانه تع الغني المطلق الذي
لا بخل فيه ولا منع من جهته فان العبد اذا استعد بقوة الرجاء له والعمل لما يرجوه منه وجب فاضة الجود عليه ما يرجوه فلا يكذب
رجاؤه وهو تع الموضع التام له وقوله وكذلك ان هو خاف الى قوله يعطي ربه قياس ضمير استثنائي بين فيه قصور خوف الخائف
من الله بالنسبة الى خوفه من بعض عبيده والضمير في عبيده لله وفي خوفه للخائف ويحتمل عوده الى العبد والملازمة الشرطية ظاهرة و
كبرى القياس استثناء المقدم لينتج عين التالي وقوله فجعل الى قوله وعدا توبيخ وتشنيع على من لزمه ذلك لا احتجاج وانه من القبح
المشهوران يجعل الانسان خوفه من عبيده شبه نقد حاضرا وخوفه من خالقه وعدا غير حاضر وقوله وكذلك من عظمت الدنيا الى
اخره اشارة الى علة ايثار الناس المحبين للدنيا على ما عند الله تعالى وعدمه وانقطاعهم اليها وصيرورتهم عبيدا لها وذكر جزء العلة القريبة
وهو عظمة الدنيا في اعينهم وتمام هذه العلة حقارة ما تصوروه من الوعد الاخروي بالنسبة الى الدنيا وعلة هذه العلة الذات
العاجلة كما هي وعيبوبة الذات الموعودة وتصورها الضعيف بحسب الوصف الذي غايته ان يوجب في اذهانهم مشابهة ما وعدوا
به لما حضر لهم الان فلذلك كانت العاجلة اعظم في نفوسهم واكبر وقعا في قلوبهم ولذلك اثروها وانقطعوا اليها فاستعبدتهم
وغاية هذا التوبيخ التنفير عن الدنيا والجذب عنها الى الرغبة فيما عند الله ولذلك عقب بالتنبيه على ترك الدنيا من الرسول صم
وسائر الانبياء والمرسلين الذين هم القدوة للخلق واعراضهم عنها وعلى كونهم محل الاسوة الكافية لهم في ذلك وهو كقوله تع لقد كان
لكم في رسول الله اسوة حسنة الاية والدليل التام على ذمها وعيبها وكثرة مساويها ومخازيها واشار بقوله اذ قبضت عنه اطرافها
الى مقدمة من مقدمات الدليل على حقارتها وخبثها وذلك الى قوله وخاده بداه وقبض اطرافها عنه كناية عن منعها عنه
بالكلية لعدم استعداده لها وقبوله اياها وتوطيه جوانبها لغيره كناية عن اعطائه اياها وتذليلها له كالملوك واستعار لفظ العظم
للغيره منها وكذلك لفظ الرضاع لها ملاحظة لمشابهتها للام وله بالابن ووجه المشابهة ظ والذي ذكره ع والله ما سأله الا خبزا هو تفسير
الاية كما نقله المفسرون ايضا وصفاق بطنه هو الجلد الباطن وشفيفه ما رق منه فلم يحجب البصر عن ادراك ما وراءه وتشذب
لحمه تفرقه واستعار لفظ المزامير لاصوات داود ع ولفظ الادام للجوع والسراج للقمر والظلال لمشارق الارض ومغاربها والفاكهة
والريحان لما تنبت الارض والدابة للرجلين والخادم لليدين ووجه الاولى مشاركة صوته للمزمار وهي الالة التي يزمر بها في الحسن
روي ان الوحش والطير كانت تقع عليه حال القراءة في محرابه لاستغراقها في لذة صوته ونغمته ووجه الثانية قيام ذلك مقام الادام
بالجوع كقيامه بالادام ووجه الثالثة مشاركة القمر للسراج في الضوء ووجه الرابعة استتاره عن البرد بالمشارق والمغارب كاستتاره
بالظلال ووجه الخامسة لذة ذوقه وشمه بما تنبت الارض كلذة غيره بالفاكهة والريحان ووجه السادسة والسابعة قيام
انتفاعه برجليه ويديه كقيامه بالدابة والخادم وبالجملة فحال الانبياء المذكورين سلام الله عليهم اجمعين في التقشف وترك
الدنيا والاعراض عنها ظ معلوم بالتواتر فاما كون داود قاري اهل الجنة كما ورد في الخبر فلان كل امر حسن ينسب الى الجنة في
العرف او لانه مع حسنه جاذب الى الجنة وداع الى الله تع ولما وصف حالهم عاد الى الامر بالتاسي بالرسول صم لانهم المامورون
بالاقتداء به ومظنة الاسوة الكافية لمن تاسى به ولا اثر اقرب عهدا ممن سبق وحث على التاسي به بكون المتاسي به المقتص لاثره

احب العبد

في التأسي بالنبي في ترك الدنيا

ح

احب العباد الى الله وذلك من قوله تع قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ثم عاد الى اقتصاص حاله صلى الله عليه وآله في ترك الدنيا
والاقتصار منها على قدر الضرورة لتبيين ما يكون فيه التاسي به وكنى عن ذلك بقضمها ثم كنى عن عدم التفاته اليها بعدم اعارتها
طرفه وعن كونه اقل الناس شبعا فيها والتفاته الى الدنيا كلها وتنزيهها بكونه اخمصهم خاصرة وبطنا روي عنه ع انه كان اذا اشتد جوعه
يربط حجرا على بطنه وتسمية المشبع مع ملكه قطعة ولسعة من الدنيا وروي انه ما شبع آل محمد من لحم قط وان فاطمة وبعلها وبنيها
كانوا يصومون على اقراص من الشعير كانوا يعدونها لافطارهم وربما اثروا بها السائلين وطووا ثم يعيى بهم فعلوا ذلك ثلث ليال
طووا في ايامها حتى كان ذلك سبب نزول سورة هل اتى في حقهم كما هو المشهور في التفاسير واما قوله وعرضت عليه فابى ان يقبلها
فكما روي عنه صلى الله عليه وآله انه قال عرضت علي كنوز الارض ودفعت الي مفاتيح خزائنها فكرهتها واخترت الدار الاخرة وقوله وعلم ان الله
ابغض شيئا الى قوله فصغره فبغض الله لها عدم ارادتها لاوليائه دارا واشارة الى انها مقصود وجودها بالعرض وتحقيرها وتصغيرها
بالقياس الى ما عدلهم في الاخرة ثم نفر عن محبتها بعد ان اشار الى بغض الله لها وتصغيره اياها بحجة اعتراضية يتلخص منها قياس هكذا انا
معاشر المحبين لما ابغض الله وتعظيمنا لما صغر وكل محبة وتعظيم كذلك يكفي به شقاقا له ومحادة عن امره فينتج ان فينا ما يكفينا في
بكفينا في شقاق الله ومحادته ثم اردف ذلك بتمام اوصافه في ترك الدنيا والتكلف لها فقوله ولقد كان ياكل على الارض ويجلس جلسة العبد
كما روي عنه ع انه قال انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس جلسة العبيد وغاية ذلك هو التواضع وكذلك غاية خصف نعله بيده و
ترقيع ثوبه بيده وركوبه للحمار العاري وارداف خلفه اما امره بتغييب التصاوير فمحافظة من حركة الوسواس الخناس وكما ان الانبياء عليهم السلام
كانوا اكثر من النفس الامارة بالسوء وقاهرين لشياطينهم كانوا ايضا محتاجين الى مراعاتها ومراقبتها وتفقد احوال نفوسهم في كل لحظة
وطرفة فانها كاللصوص الخادعين للنفوس المطمئنة متى اركنت وغفل عن قهرها وانحفظ منها عادت الى طباعها وقوله فاعرض عن
الدنيا بقلبه الى قوله ان تذكر عنده اشارة الى الزهد الحقيقي وهو حذف الموانع الداخلة النفسية عن النفس وما قبله من الاوصاف اشارة
الى زهده الظاهري وهو حذف الموانع الخارجية عنه ثم عاد الى التذكير بالمقدمات المنبهة للدليل على حقارة الدنيا وخبثها فاعاد ذكر تجوعه
هو وخاصته من اهل بيته مع عظيم زلفته ونفعه منزلته عند الله وازوائها عنه ولما ذكر تلك المقدمة شرع في الاستدلال بقوله فلينظر ناظر الى
قوله او رب الناس اليه وهو بقياس شرطي متصل مقدمة حملية وتاليه قضية شرطية منفصلة وتلخيصه اذا كان محمد صم جاع في الدنيا مع خاصته
وزوى الله عنه زخارفها مع عظيم زلفته عنده فلا يخلو فعله به ذلك اما ان يكون اكرامه له او اهانة له والقسم الثاني ظاهر البطلان لان اظ
شانه صلى الله عليه وآله انه اخص خواص الله واذا كان احقر ملك في الدنيا لا يقصد باحد من خاصته اذا كان مطيعا له الاهانة فكيف يقصد ذلك
من جبار الجبابرة ومالك الدنيا والاخرة حكيم الحكماء وارحم الرحماء في حق احق خواصه واشدهم طاعة له ولاجل وضوح ذلك اقتصر على تكذيب
من قال به وكذا بالقسم الباقي واما القسم الاول وهو انه اكرمه بذلك فمن المعلوم ان الشيء اذا كان عدمه اكراما وكمالا كان وجوده نقصا واهانة
فكان وجود الدنيا في حق غيره وازواؤها عنه مع قربه منزلته اهانة لذلك الغير وذلك يستلزم حقارتها وخبثها لعاقل عرف علته للتعظيم عنها ثم عاد
الى الامر بالتاسي به صلى الله عليه وآله في ترك الدنيا تاكيدا لما سبق بعد بيان وجوه التاسي وهو امر في صورة الخبر مع زيادة تنبيه على ان الميل اليها محل الهلكة
فمن لم يتاس بالنبي صلى الله عليه وآله في احواله في الدنيا وخالفه في الميل الى شيء منها لم يامن الهلكة اذ قد عرفنا ان حب الدنيا راس كل خطيئة وهي
الجاذبة عن درجات دار النعيم الى دركات دار الجحيم وقوله فان الله جعل محمدا الى قوله داعيا بربه صورة احتجاج على قوله والا فلا يامن الهلكة وتقريره
ان الله تع جعله علما للساعة وامارة على قربها ومبشرا بالجنة ومنذرا بالعقوبة والمطلع على احوال الاخرة ثم خرج من الدنيا بهذه الاحوال المستلزمة
المستلزمة للنفار عنها والبغض لها والحذر منها فلو لم يكن الركون اليها وارتكاب ضد هذه الاحوال فيها مظنة الهلكة لما نفر النبي صم منها ولم
يركن اليها لكنه نفر عنها فكانت مظنة الهلكة فوجب التاسي به في نفاره عنها والا لم يامن غير المتاسي به الهلكة وقد روي علما للساعة بكسر العين
وهو مجاز اطلاقا لاسم السبب على المسبب اذ هو صلى الله عليه وآله سبب للعلم بالساعة وكنى بوضع الحجر على الحجر عن البناء ثم عقب بتعظيم منة الله تع على
الناس حين انعم عليهم به سلفا يتبعونه وقائدا يقتفون اثره واردف ذلك بذكر بعض احواله التي تاسى به عليه السلام فيها من ترك الدنيا والاعراض
عن الاستمتاع بها الى غاية ترقيع مدرعته حتى استحيا من راقعها وقول من قال الا تنبذها وقوله فيها وجواب الحسن وقوله فعند الصباح يحمد القوم
السرى مثل يضرب لمحتمل المشقة ليصل الى الراحة فاصله ان القوم يسيرون في الليل فيحمدون عاقبة ذلك بقربهم المنزل اذا اصبحوا ومطابقته الصبا
لمفارقة النفس البدن او لاعراضها عنه واتصالها بالملاء الاعلى بحسب ملك الرياضة الكاملة واشراق انوار العالم العلوي عليها التي عندها يحمد
عواقب الصبر على مكاره الدنيا وترك لذاتها ومعاناة شدايدها مطابقة ظاهرة واعظم موقعها وروي انه رسل ع رفعت قميصك فقال يخشع
لها القلب ويقتدي بها المؤمنون ومما نقل في زهده ع ما رواه احمد في مسنده عن ابي النوار الحوار بالكوفة قال جاء في علي بن ابي طالب عليه السلام الى
السوق ومعه غلام له وهو خليفة فاشترى مني قميصين وقال لغلامه اختر ايهما شئت فاخذ احدهما واخذ علي الاخر ثم لبسه ومد يده فوجد
كمه فاضلا فقال اقطع الفاضل فقطعه ثم كفه وذهب وروى احمد ايضا قال لما ارسل عثمان الى علي وجده مؤتزرا بعباءة محتجزا بعقال وهو

ومن خطبة له عليه السلام بعثه بالنور المضيء والبرهان
الجلي والمنهاج البادي والكتاب الهادي اسرته خير اسرة وشجرته خير شجرة اغصانها معتدلة وثمارها متهدلة مولده بمكة وهجرته بطيبة
علا بها ذكره وامتد منها صوته ارسله بحجة كافية وموعظة شافية ودعوة متلافية اظهر به الشرائع المجهولة وقمع به البدع
المدخولة وبين به الاحكام المفصولة فمن يبتغ غير الاسلام دينا تتحقق شقوته وتنفصم عروته وتعظم كبوته ويكن مآبه
الى الحزن الطويل والعذاب الوبيل واتوكل على الله توكل الانابة اليه واسترشده السبيل المؤدية الى جنته القاصدة الى محل
رغبته اوصيكم عباد الله بتقوى الله وطاعته فانها النجاة غدا والمنجاة ابدا رهب فابلغ ورغب فاسبغ ووصف لكم الدنيا وانقطاعها
وزوالها وانتقالها فاعرضوا عما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها اقرب دار من سخط الله وابعدها من رضوان الله فغضوا عنكم
عباد الله غمومها واشغالها لما قد ايقنتم به من فراقها وتصرف حالاتها فاحذروها حذر الشفيق الناصح والمجد الكادح واعتبروا
بما قد رأيتم من مصارع القرون قبلكم قد تزايلت اوصالهم وزالت ابصارهم واسماعهم وذهب شرفهم وعزهم وانقطع سرورهم ونعيمهم
فبدلوا بقرب الاولاد فقدها وبصحبة الازواج مفارقتها لا يتفاخرون ولا يتناسلون ولا يتزاورون ولا يتحاورون فاحذروا
عباد الله حذر الغالب لنفسه المانع لشهوته الناظر بعقله فان الامر واضح والعلم قائم والطريق جدد والسبيل قصد **اقول**
اسرته اهله والمتهدلة المتدلية وطيبة اسم للمدينة سماها به رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كان اسمها يثرب وروى انه سماها طيبة
سماها طيبة والمتلافية التي تتلافى ما فسد والكبوة العثرة والوبيل المهلك والكادح الساعي العامل وخلاصة الفصل ذكر مدائح النبي صلى الله عليه وآله ثم الوصية
بالتقوى والتنفير عن الدنيا والنور المضيء نور النبوة والبرهان الجلي المعجزات والآيات الموضحة لنبوته والمنهاج البادي هو شريعته ودينه الواضح
والكتاب الهادي القرآن الهادي الى سبيل الجنة وظاهر كون اسرته خير الاسر ولفظ الشجرة مستعار لاصله وظاهر كون قريش افضل العرب ولفظ
الاغصان مستعار للاشخاص منهم كعلي واولاده وزوجته واعمامه واخوته واعتدال هذه الاغصان تقاربهم في الفضل والشرف وثمارها مستعار
لفضائلهم العلمية والعملية وتهدلها كناية عن ظهورها وكثرتها وسهولة الانتفاع بها وذكر مولده بمكة وهجرته بالمدينة في معرض مدحه
لشرف مكة بالبيت العتيق وشرف المدينة باهلها حيث آووه ونصروه حين هاجر اليها فعلا بها ذكره وانتشر فيها صيته وامتدت دعوته لانه
هاجر اليها وهي بلد مجدب قليل الخصب ضعيف الاهل مع غلبة خصومه وقوة المشركين عليه في ذلك الوقت ثم انه مع ذلك علا بها ذكره وانتشر فيها صيته
فكان ذلك من آيات نبوته وآيتها والحجة الكافية ما جاء به من الآيات التي قهر بها اعداء الله والموعظة الشافية ما اشتمل عليه القرآن العظيم
والسنة الكريمة من الوعد والوعيد وضرب الامثال والتذكير بالقرون الماضية والآراء المحمودة الجاذبة للناس في ارشاد الطرف الى جناب
ربهم وكفى بها شفاء للقلوب من ادواء الجهل والدعوة المتلافية فانه استدرك بها ما فسد من نظام الخلق وتلافى بها ما هلك من قلوبهم و
اسود من الواح نفوسهم والشرائع المجهولة طرائق دينه وقوانين شريعته التي لم يكن ليهتدي اليها الا بظهوره والبدع ما كانت عليه اهل الجاهلية
من الآثام والفساد في الارض والاحكام المفصولة ما فصله وبينه لنا من احكام دين الاسلام الذي من ابتغى غيره دينا ضل عن سواء طريق
النجاة فتحققت شقوته في الآخرة وانفصمت عروته اي انقطع متمسك النجاة في يده فعظمت عثرته في سفره الى الآخرة وكان مآبه الحزن الطويل
على ما فرط في جنب الله ومصيره الى العذاب المهلك في دار البوار ثم انشأ بتوكل على الله توكل المنيب اليه اي الملتفت بقلبه عن غيره المسلم بجميع امره
اليه وطلب له الارشاد الى سبيله القاصدة الى جنته التي هي محل الرغبة اليه ثم عقب بالموعظة فبدأ بالوصية بتقوى الله وطاعته واطلق
عليها لفظ النجاة مجازا اطلاقا لاسم المسبب على السبب المادي لكونها معدة لافاضة النجاة من عذاب يوم القيامة وقيل النجاة الناقة التي ينجى
عليها فاستعار لفظها للطاعة لانها كالمطية يجوز بها المطيع من العطب ولفظ المنجاة اذ هي محل النجاة دائما والضمير في رهب ورغب لله اي فابلغ
في وعيده واسبغ الترغيب فاتمه ووصف الدنيا بالاوصاف الموجبة للرغبة عنها ثم امرهم بالاعراض عن زينتها وعلل حسن ذلك الاعراض بقلة
ما يصحب الانسان منها الى الآخرة واراد الاعراض بالقلب الذي هو الزهد الحقيقي وانما قال لقلة ذلك ولم يقل لعدمه لان الناس لا بد ان
يستصحبوا منها شيئا وهو ما يكتسبه احدهم من الكمالات الى الآخرة لكن القدر الذي يكتسبه المترفون من الكمالات اذا قصدوا باموالهم وسائر زينة
الحيوة الدنيا الوصول الى الله نعم قليل نزر ومع ذلك فهم في غاية الخطر من مزلة القدم في كل حركة وتصرف بخلاف اهل التقشف الذين
اقتصروا منها على مقدار الضرورة البدنية ويحتمل ان يريد بالقليل الذي يصحبهم منها كالكفن ونحوه وانما كانت اقرب دار من سخط الله وابعدها
من طاعة الله لان الميل فيها الى اللهو واللعب والاستمتاع بزينتها المستلزم لسخط الله اغلب من الانتفاع بها في سلوك سبيل الله وقوله فغضوا
اي فكفوا عن انفسكم الغم لاجلها والاشتغال بها لما تيقنتم من فراقها لان الغم انما ينبغي ان يوجه نحو ما يبقى ثم حذر منها حذر الشفيق على نفسه
الناصح المجد الكادح لها ثم حث في الامر بالاعتبار بما هو مشاهد من مصارع القرون الماضية واحوالها الحالية من تفرق اوصالهم وزوال اسماعهم
وابصارهم الى سائر ما عدده من الاحوال التي نزلت بهم واستبدلوها من احوالهم الدنيوية التي كانوا عليها ثم حذر منها حذر الغالب لنفسه
الامارة بالسوء والناظر بعين عقله مقابح شهوته المانع لها عن التعدي الى حد الافراط من فضيلة العفة فان امر الدنيا والآخرة واضح لمن اعتبر

ومن كلام له عليه السلام حالها وعلم الشريعة الهادي الى الحق قائم والطريق الى الله سهل مستقيم قاصد اي فلان يكن امركم عليكم غمة
لبعض اصحابه وقد سأله كيف دفعكم قومكم عن هذا الامر وانتم احق به فقال عليه السلام يا اخا بني اسد انك لقلق الوضين ترسل في غير
سدد ولك بعد ذمامة الصهر وحق المسألة وقد استعلمت فاعلم اما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الاعلون نسبا والاشدون
بالرسول صلى الله عليه وآله نوطا فانها كانت اثرة شحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين والحكم الله والمعود اليه القيامة
ودع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل وهلم الخطب في ابن ابي سفيان فلقد اضحكني الدهر بعد ابكائه
ولا غرو والله فيا له خطبا يستفرغ العجب ويكثر الاود حاول القوم اطفاء نور الله من مصباحه وسد فواره من ينبوعه وجدحوا بيني
وبينهم شربا وبيئا فان ترتفع عنا وعنهم محن البلوى احملهم من الحق على محضه وان تكن الاخرى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله
عليم بما يصنعون **اقول** الوضين بطان القتب وحزام السرج والقلق الاضطراب والذمامة بالكسر الحرمة ويروى مانة المهر اي سببية
المصاهرة والنوط التعلق والاثرة بالتحريك الاستبداد والاستيثار والحجرة بفتح الحاء الناحية والجمع حجرات بفتح الجيم وسكونها وهلم تستعمل
بمعنى تعال كقوله هلم الينا وقد تستعمل بمعنى هات كما هي هنا فيتعدى كما قال تعالى هلم شهداءكم ولا غرو اي لا عجب والاود الاعوجاج والجدح
بالجيم بعدها الحاء الخلط والتخويض والتكدير والشرب بالكسر الحظ من الماء والوبيء ذو الوباء المرض فاما جوابه بالسكت فانه يقال للرجل
اذا لم يكن ذا ثبات في عقله وامره بحيث يسأل عما لا يعنيه او يضع سؤاله في غير موضعه وتستعجل انه قلق الوضين واصله ان الوضين اذا قلق
اضطرب القتب فلم يثبت فظاهر حال من لا يثبت في مقاله وحركاته فضرب مثلا له وكذلك قوله وترسل في غير سدد اي تتكلم في غير موضع الكلام
لا على استقامة ومنه ما ناسب له وقوله ولك بعد التفت ولما استعملت بداء للعذر في حسن جوابه فان المصاهرة حق والسائل على المسئول
حق الاسترشاد والسؤال فاما كونه صهرا فلان زينب بنت جحش زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت اسدية وهي زينب بنت جحش بن
رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن اسد بن خزيمة وامها اميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فهي بنت عمة رسول الله
قالوا والمصاهرة المشار اليها هي هذه ونقل القطب الراوندي ان عليا عليه السلام كان متزوجا لا معنى له اذ ليس كل ما لم يبلغنا من حالهم لا يكون حقا ولازم
ان لا يصل الى غيرنا وقوله اما الاستبداد شروع في الجواب والضمير في انها يعود الى معنى الاثرة في الاستبداد والقوم الذين شحوا عليها بعد ما
من تقدم عليه في الامامة وعند غيرهم قريبا قالوا المراد بهم اهل الشورى بعد مقتل عمر وقوله والحكم الله والمعود اليه اي المرجع في يوم القيامة
في معنى التظلم والتشكي والمعود مبتدأ خبره القيامة فاما البيت فهو لامرئ القيس واصله انه نقل في احياء العرب بعد قتل ابيه فنزل على رجل من
جديلة طي يقال له طريف فاحسن جواره فمدحه واقام معه ثم انه خاف ان لا يكون له منعة فتحول عنه ونزل على خالد بن سدوس بن اصمع النبهاني
فاغارت بنو جديلة عليه وهو في جوار خالد فذهبوا بابله فلما اتاه الخبر ذكر ذلك لخالد فقال له اعطني رواحلك الحق عليها فارد عليك ابلك
ابلك ففعل فركب خالد في آثار القوم حتى ادركهم فقال يا بني جديلة اغرتم على ابل جاري قالوا ما هو لك بجار قال بلى والله وهذه رواحله
فرجعوا اليه فانزلوه عنهن وذهبوا بهن وبالابل فقال امرؤ القيس القصيدة التي اولها البيت فدع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديثا
ما حديث الرواحل والنهب هنا ما انتهب من ابله وحجراته جوانبه وحديث الثاني مبتدأ والاول خبره وما للتنكير وهي التي اذا دخلت على اسم زادته ابهاما
كقولهم لامر ما جدع قصير انفه والمعنى دع ذكر الابل فانه مفهوم ولكن حديث الرواحل حديث ما اي حديث مبهم لا يدرى كيف هو وذلك
انه قيل ان خالدا هو الذي ذهب بالرواحل فكان عنده لبس في امرها فاما استشهاده به فالمرمى في استشهاده النصف الاول من البيت
ووجه مطابقته لما هو فيه ان السابقين من الائمة وان كانوا قد استبدوا بهذا الامر فحديثهم مفهوم اذ لهم الاحتجاج بالقدمة في السلام والهجرة
وقرب المنزلة من الرسول وكونهم من قريش فدع ذكرهم وذكر نهبهم هذا المقام فيما سبق ولكن هات ما نحن فيه الآن من خطب معوية بن ابي سفيان
والخطب هو الحادث الجليل واراد هنا ذكر خطبه فحذف المضاف للعلم به واشار به الى الاحوال التي ادت الى ان كان معوية منازعا له في هذا الامر
مع بعده عنه حتى صار قائما عند كثير من الناس مقامه وقوله فلقد اضحكني الدهر بعد ابكائه اشارة الى غبنه ممن تقدم عليه في هذا الامر وضحكه
بعد ذلك تعجب مما حكمت به الاوقات واعتباره ثم قال ولا عجب اي ذلك امر يجل عن التعجب ثم اخذ في استعظامه فقال يا له خطبا يستفرغ العجب
اي يفنيه حتى صار كلا عجب وهو من باب الاغراق والمبالغة كقول ابن هانئ فيه سرت في الميدان يوم طرادهم فعجبت حتى كدت لا اتعجب ويحتمل ان
يكون قوله ولا غرو والله اي اذا نظر الانسان الى حقيقة الدنيا وتصرف احوالها فيكون قوله بعد ذلك فيا له استيناف لاستعظام هذا الامر و
كونه يكثر الاعوجاج ظاهر فان كل امر يبعد عن الشريعة يزداد الامر به اعوجاجا وقوله حاول القوم الى قوله ينبوعه فالقوم قريش ومصباح
انوار الله لخاصة الرسول صلى الله عليه وآله من اهل بيته وكذلك ينبوعه استعار لهم باعتبار كونهم معدنا لهذا الامر ولوازمه ووجه الاستعارتين ظاهر وبدله انهم حاولوا
ازالة هذا الامر عن مستقره ومعدنه الاحق به وهو بيت الرسول صلى الله عليه وآله ثم استعار لفظ الشرب لولاية ذلك الامر ولفظ الجدح للكدر الواقع بينهم
والمجاذبة لهذا الامر واستعار وصف الوبيء لها باعتبار كونه سببا للهلاك والقتل بينهم وقوله فان ترتفع الى آخره اي فان يجتمعوا علي ويرتفع
بيني وبينهم ما ابتلينا به من هذه المحن والاخرى اسلكهم محض الحق وان تكن الاخرى البقاء على ما هم عليه فلا تاسف عليهم واقتبس الآية المشتملة

على تأديب نفسه وتوطينها على ترك الاسف عليهم ان لم يؤمنوا وعلى تهديدهم ووعيدهم باطلاع الله على اعمالهم السيئة

ومن خطبة له ع

الحمد لله خالق العباد وساطح المهاد ومسيل الوهاد ومخصب النجاد ليس لأوليته ابتداء ولا لأزليته انقضاء هو الاول لم يزل والباقي بلا اجل خرت له الجباه ووحدته الشفاه حد الاشياء عند خلقه لها ابانة له من شبهها لا تقدره الاوهام بالحدود والحركات ولا بالجوارح والادوات ولا يقال له متى ولا يضرب له امد بحتى الظاهر لا يقال مما والباطن لا يقال فيما لا شبح فيتقضى ولا محجوب فيحوى لم يقرب من الاشياء بالتصاق ولم يبعد عنها بافتراق لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة ولا كرور لفظة ولا ازدلاف ربوة ولا انبساط خطوة في ليل داج ولا غسق ساج يتفيؤ عليه القمر المنير وتعقبه الشمس ذات النور في الكرور والافول وتقليب الازمنة والدهور من اقبال ليل مقبل وادبار نهار مدبر قبل كل غاية ومدة وكل احصاء وعدة تعالى عما ينحله المحددون من صفات الاقدار ونهايات الاقطار وتأثل المساكن وتمكن الاماكن فالحد لخلقه مضروب والى غيره منسوب لم يخلق الاشياء من اصول ازلية ولا من اوائل ابدية بل خلق ما خلق فاقام حده وصور ما صور فاحسن صورته ليس لشيء منه امتناع ولا له بطاعة شيء انتفاع علمه بالاموات الماضين كعلمه بالاحياء الباقين وعلمه بما في السموات العلى كعلمه بما في الارضين السفلى

اقول الساطح الباسط والمهاد الارض والوهاد جمع وهدة وهي المكان المطمئن والنجاد جمع نجد وهو المكان المرتفع والازدلاف التقدم والربوة ما ارتفع من الارض والساجي الساكن وتفيؤ القمر ذهابه ومجيئه حالتي اخذه في الزيادة واخذه في النقصان الى المحاق والمجد المؤثل الاصيل القديم وقد اشتملت الخطبة من علم التوحيد على مباحث فذم الحمد لله تعالى باعتبارات الاول كونه خالق العباد الى قوله النجاد اشارة الى كونه مبدأ لجميع الموجودات وبيانه ان لفظ العباد يشتمل على من في السموات ومن في الارض لقوله تعالى ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا ويدخل في ذلك الاجسام الفلكية لكونها اجساما للملائكة وساطح المهاد اشارة الى خلق الارض وجعلها مهادا لما خلق من الحيوان ومسيل الوهاد ومخصب النجاد اشارة الى ايجاده لسائر ما ينتفع به الخلق في الدنيا اذا عرفت ذلك فقد اشتملت هذه الالفاظ على ايجاد جميع الموجودات الممكنة وقد ثبت ان خالق جميع الموجودات الممكنة لا يكون ممكنا فاستلزم ذلك كونه تعالى واجب الوجود الثاني من الاعتبارات السلبية كونه تعالى لا ابتداء لأوليته اي لا حد لكونه اولا للاشياء تقف عنده اوليته وينتهي بها والا لكان محدثا فكان ممكنا فلم يكن واجب الوجود هف الثالث ولا انقضاء لأزليته اي لا غاية ينتهي عندها وينقضي والا لقبل العدم فلم يكن واجب الوجود هف وقوله هو الاول لم يزل والباقي بلا اجل تأكيد للاعتبارين الثاني والثالث بعبارة الاثبات الرابع خرت له الجباه ووحدته الشفاه وهو اشارة الى كمال الوهيته واستحقاقه للعبادة الخامس انه لا يشبهه شيء اذ كل شيء ماعداه محدود ويقدره العقل والوهم ويشير اليه بحدود ويحيطان به منها ولا شيء منه تعالى كذلك اذ كل وهم قدره بحد او بحركة او جارحة او اداة كما هو مقتضى الوهم في ادراكه لكذلك كان وقد ضل ضلالا بعيدا عن صورته وقد سبقت الاشارة الى ذلك السادس انه منزه عن لحوق الزمان فلا يسأل عنه بمتى وعن غاية الزمان فلا يضرب له امد بحتى السابع كونه ظاهرا ومع غاية ظهوره لا مادة له ولا اصل يستفاد منه فلا يقال مما هو موجود الثامن كونه باطنا ومع غاية بطونه وخفائه لا حيز له فيقال فيما بطن وخفي كما في الخفيات من الاجسام والجسمانيات وقد سبق بيان كونه تعالى باطنا وظاهرا غير مرة التاسع كونه ليس بشخص فيلحقه التغير والانقضاء العاشر ولا محجوب بنحو الحجاب اذ الشخص والحجاب من لواحق الاجسام التي تنزه قدسه عنها الحادي عشر من الاعتبارات الاضافية كونه تعالى قريبا من الاشياء لا بالالتصاق الثاني عشر كونه بعيدا منها لا بالافتراق وقد عرفت معنى قربه وبعده في الخطبة الاولى ولما كان الالتصاق والافتراق من لواحق الاجسام الاجرام نزه قربه وبعده من الاشياء عنهما الثالث عشر كونه لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة الى قوله وادبار نهار مدبر اشارة الى احاطة علمه بكل المعلومات وشخوص اللحظة مد البصر بلا حركة جفن وكرور اللفظة رجوعها وازدلاف الربوة تقدمها واراد الربوة المتقدمة اي في النظر والبادية عند مد العين فان الربى اول ما يقع في العين من الارض والضمير في عليه للغسق وقوله تعقبه الشمس اي تعقبه فتجيء بعده احدى الثابتين كقوله نعم توفيتم الملائكة وروي يعقبه والضمير المنصوب فيه للقمر وقوله من اقبال ليل متعلق بتقليب والمعنى ان الشمس تعاقب القمر فتطلع عند افوله ويطلع عند افولها الرابع عشر كونه قبل كل غاية ومدة وكل احصاء وعدة لانه تعالى خالق الكل ومبدؤه فوجب تقدمه وقبليته الخامس عشر تنزهه وتعاليه عما تصفه به المشبهة والمنعوتون الحكم اوهامهم في جنابه المقدس من صفات المقادير كالاقطار والنهايات والجوانب واصالة البيوت وقدمها والاستقرار في المساكن وسائر ما هي حدود ولواحق تتقيد بها ذوات الاحياز فان كل تلك الحدود مضروبة منه لخلقه ومنسوبة اليهم دونه السادس عشر كونه تعالى خلق ما خلق من غير اصول ازلية ولا اوائل ابدية اي اولية سابقة ومعنى هذا الكلام انه لم يخلق ما خلق على مثال سبق يكون اصلا لا اول له فيحتذيه وقيل معناه انه ليس لما خلق اصل ازلي ابدي خلق منه من مادة وصورة كما يعتقده الفلاسفة دون كلامهم ولا من اوائل ابدية وقوله بل خلق ما خلق فاقام حده اي بل هو المخترع لا فاقام حدوده وهي من المقادير والاشكال

والنهايات

والنهايات والآجال والغايات على وفق الحكمة الالهية وكذلك صور ما صور فاحسن صورته اي على وجه الاحكام والاتقان السابع عشر كونه ليس لغيره منه امتناع اشارة الى كمال قدرته واحاطة علمه الثامن عشر كونه لا انتفاع له بطاعة شيء لان الانتفاع من لوازم الحاجة الممتنعة عليه وهو اشارة الى وصف الغني التاسع عشر كون علمه تعالى بالاموات الماضين كعلمه بالاحياء الباقين وعلمه بما في السموات العلى كعلمه بما في الارضين السفلى وهو اشارة الى ان علمه غير مستفاد من غيره ولا يلحقه تغير وتجدد فلا يتجدد له علم لم يكن بل علمه تعالى ازلي ابدي تام لا يلحقه نقصان نسبة جميع الممكنات اليه على سواء وقد علمت تحقيقه في المباحث الالهية في مظانها وبالله التوفيق

منها ايها المخلوق السوي والمنشأ المرعي في ظلمات الارحام ومضاعفات الاستار بدئت من سلالة من طين ووضعت في قرار مكين الى قدر معلوم واجل مقسوم تمور في بطن امك جنينا لا تحير دعاء ولا تسمع نداء ثم اخرجت من مقرك الى دار لم تشهدها ولم تعرف سبل منافعها فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدي امك وعرفك عند الحاجة مواضع طلبك وارادتك هيهات ان من يعجز عن صفات ذي الهيئة والادوات فهو عن صفات خالقه اعجز ومن تناوله بحدود المخلوقين ابعد

اقول السوي المستوي والمرعي المعتنى بامره والخطاب للانسان ونبهه بكونه سويا مرعيا على وجود خالقه الحكيم اللطيف وقد عرفت كيفية تخليق الانسان وتصويره شيئا فشيئا الى حال كماله ووضعه وكل ما يتقلبه في حالاته واطوار خلقته وباستفهامه عمن هداه لاجترار غذائه من ثدي امه وعرفه عند الحاجة مواضع طلبه وهي الاثداء على وجود خالق هداه الى جميع حاجاته ونبه بهذا ان العلم بالصانع امر ضروري في النفوس وان احتاج الى ادنى تنبيه وما وراء ذلك من معرفة صفات الكمال ونعوت الجلال وامور لا تطلع عليها العقول البشرية بالكنه وانما تطلع منها على اعتبارات ومناسبات له الى خلقه ويحتاج فيها الى الدليل والبرهان وقد اشار الى ذلك من قبل ونبه على بعد ادراكها والعجز عنها بقوله هيهات الى قوله والادوات اي من يعجز عن صفات نفسه في حال تخليقه والاطلاع على منافع جوارحه واعضائه مع كونها محسوسة مشاهدة له فهو عن صفات خالقه التي هي ابعد الاشياء عنه مناسبة اعجز ومن ادراكه بالمقايسة والتشبيه بحدود المخلوقين وصفاتهم ابعد وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام لما اجتمع الناس اليه وشكوا ما نقموه على عثمان وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم فدخل على عثمان فقال ان الناس ورائي وقد استسفروني بينك وبينهم ووالله ما ادري ما اقول لك ما اعرف شيئا تجهله ولا ادلك على امر لا تعرفه انك لتعلم ما نعلم ما سبقناك الى شيء فنخبرك عنه ولا خلونا بشيء فنبلغكه وقد رأيت كما رأينا وسمعت كما سمعنا وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله كما صحبنا وما ابن ابي قحافة ولا ابن الخطاب باولى بعمل الحق منك وانت اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وشيجة رحم وقد نلت من صهره ما لم ينالا فالله الله في نفسك فانك والله ما تبصر من عمى ولا تعلم من جهل وان الطرق لواضحة وان اعلام الدين لقائمة فاعلم ان افضل عباد الله عند الله امام عادل هدي وهدى فاقام سنة معلومة وامات بدعة مجهولة وان السنن لنيرة لها اعلام وان البدع لظاهرة لها اعلام وان شر الناس عند الله امام جائر ضل وضل به فامات سنة مأخوذة واحيا بدعة متروكة واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور فيها كما تدور الرحى ثم يرتبط في قعرها واني انشدك الله ان تكون امام هذه الامة المقتول فانه كان يقال يقتل في هذه الامة امام يفتح عليها القتل والقتال الى يوم القيامة ويلبس امورها عليها ويبث الفتن فيها فلا يبصرون الحق من الباطل يموجون فيها موجا ويمرجون فيها مرجا فلا تكونن لمروان سيقة يسوقك حيث شاء بعد جلال السن وتقضي العمر فقال له عثمان كلم الناس في ان يؤجلوني حتى اخرج اليهم من مظالمهم فقال عليه السلام ما كان بالمدينة فلا اجل فيه وما غاب فاجله وصول امرك اليه

اقول استسفروني اتخذوني سفيرا اي رسولا والوشيجة عروق الشجرة والسيقة بتشديد الياء ما يسوقه العدو في الغارة من الدواب وجلال السن علوه وحاصل الكلام استعتابه باللين من القول فاثبت له منزلة من العلم باحكام الشريعة والسنن المتداولة بينهم في زمان الرسول ص والظهور على كل ما ظهر عليه منها من مرئي ومسموع والصحبة المماثلة لصحبته وذكر ان الشيخين ليسا باولى منه بعمل الحق ثم فضله عليهما بقرب الوشيجة من رسول الله ص والصهورة من دونهما ولفظ الوشيجة مستعار لما بينه وبينهم من القرابة فاما كونه اقرب وشيجة منهما فلكونه من ولد عبد مناف دونهما ثم حذره الله وعقب التحذير بتنبيهه على انه غير محتاج الى تعليم فيما اراده منه لوضوح طريق الشريعة وقيام اعلام الدين ثم بتنبيهه على افضلية الامام العادل بالصفات المذكورة وعلى قيام اعلام السنن وقيام اعلام البدع ليقتدي بتلك ويتنكب عن هذه ثم على حال الامام الجائر يوم القيامة نقل من الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وآله ثم نشده الله تعالى وحذره ان يكون الامام المقتول في هذه الامة وقد كان الرسول ص اخبر بذلك بهذه العبارة التي نقلها بعد قوله يقال او بما يناسبها ثم نهاه ان يكون سيقة لمروان بن الحكم اي يصرفه حسب مقاصده بعد بلوغه معظم السن وتقضي عمره وقد كان مروان من اقوى الاسباب الباعثة على قتل عثمان وكان يعكس الآراء التي يشار على عثمان

فيه ذكر عجائب خلقة الطاوس

بها س على عليه السلم وغيره مع كونه بعيطا الى المعتبرين من الصحابة وكونه طريدا لرسول صلى الله عليه وآله وقوله في جوابه ما كان ما لمعبد ... الى آخره كلام جزل حاسم لما عساه يكون مما طلبه من طلب التأجيل لان الحاضر لا معنى لتأجيله والغائب لا عذر في تأخره بعد بلوغ امره اليه وأعطاه ... من اموال بيت المال على غير وجهه وقد سبق في الفصول المتقدمة نوع من ... عثمن مع كلمات الصحابة وما نقموه عليه بما فيه كفاية وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلم يذكر فيها عجيب خلقة الطاوس ابتدعهم خلقا عجيبا من حيوان وموات وساكن وذي حركات وأقام من شواهد البينات على لطيف صنعته وعظيم قدرته ما انقادت له العقول معترفة به ومسلمة له ونعقت في اسماعنا دلائله على وحدانيته وما ذرأ من مختلف صور الاطيار التي اسكنها اخاديد الارض وخروق فجاجها ورواسي اعلامها من ذوات اجنحة مختلفة وهيئات متباينة مصرفة في زمام التسخير ومرفرفة في مخارق الجو المنفسح والفضاء المنفرج كونها بعد اذ لم تكن في عجائب صور ظاهرة وركبها في حقاق مفاصل محتجبة ومنع بعضها بعبالة خلقه ان يسمو في السماء خفوفا وجعله يدف دفيفا ونسقها على اختلافها في الاصابيغ بلطيف قدرته ودقيق صنعته فمنها مغموس في قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه ومنها مغموس في لون صبغ قد طوق بخلاف ما صبغ به ومن اعجبها خلقا الطاوس الذي اقامه في احكم تعديل ونضد الوانه في احسن تنضيد بجناح اشرج قصبه وذنب اطال مسحبه اذا درج الى الانثى نشره من طيه وسما به مطلا على رأسه كأنه قلع داري عنجه نوتيه يختال بألوانه ويميس بزيفانه يفضي كافضاء الديكة ويؤر بملاقحه ... احيلك من ذلك على معاينة لا كمن يحيل على ضعيف اسناده ولو كان كزعم من يزعم انه يلقح بدمعة تسفحها مدامعه فتقف في ضفتي جفونه وان انثاه تطعم ذلك ثم تبيض لا من لقاح فحل سوى الدمع المنبجس لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب تخال قصبه مداري من فضة وما انبت عليها من عجيب داراته وشموسه خالص العقيان وفلذ الزبرجد فان شبهته بما انبتت الارض قلت جنى جني من زهرة كل ربيع وان ضاهيته بالملابس فهو كموشي الحلل او مونق عصب اليمن وان شاكلته بالحلي فهو كفصوص ذات الوان قد نطقت باللجين المكلل يمشي مشي المرح المختال ويتصفح ذنبه وجناحيه فيقهقه ضاحكا لجمال سرباله واصابيغ وشاحه فاذا رمى ببصره الى قوائمه زقا معولا بصوت يكاد يبين عن استغاثته ويشهد بصادق توجعه لان قوائمه حمش كقوائم الديكة الخلاسية وقد نجمت من ظنبوب ساقه صيصية خفية وله في موضع العرف قنزعة خضراء موشاة ومخرج عنقه كالابريق ومغرزها الى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية او كحريرة ملبسة مرآة ذات صقال وكأنه متلفع بمعجر اسحم الا انه يخيل لكثرة مائه وشدة بريقه ان الخضرة الناضرة ممتزجة به ومع فتق سمعه خط كمستدق القلم في لون الاقحوان ابيض يقق فهو ببياضه في سواد ما هنالك يأتلق وقل صبغ الا وقد اخذ منه بقسط وعلاه بكثرة صقاله وبريقه وبصيص ديباجه ورونقه فهو كالازاهير المبثوثة لم تربها امطار ربيع ولا شموس قيظ وقد يتحسر من ريشه ويعرى من لباسه فيسقط تترى وينبت تباعا فينحت من قصبه انحتات اوراق الاغصان ثم يتلاحق ناميا حتى يعود كهيئته قبل سقوطه لا يخالف سالف الوانه ولا يقع لون في غير مكانه واذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه ارتك حمرة وردية وتارة خضرة زبرجدية واحيانا صفرة عسجدية فكيف تصل الى صفة هذا عمائق الفطن او تبلغه قرائح العقول او تستنظم وصفه اقوال الواصفين واقل اجزائه قد اعجز الاوهام ان تدركه والالسنة ان تصفه فسبحان الذي بهر العقول عن وصف خلق جلاه للعيون فادركته محدودا مكونا ومؤلفا ملونا واعجز الالسن عن تلخيص صفته وقعد بها عن تأدية نعته وسبحان من ادمج قوائم الذرة والهمجة الى ما فوقهما من خلق الحيتان والفيلة ووأى على نفسه الا يضطرب شبح مما اولج فيه الروح الا وجعل الحمام موعده والفناء غايته

اقول نعقت صاحت والاخاديد شقوق الارض وشعابها والفجاج جمع فج وهي الطريق بين الجبلين والعبالة امتلاء الجسد ونسقها نظمها ويختال يعجب ويميس يتبختر وزيفانه عبالة ذنبه ... ويؤر ينكح والملاقح آلات اللقاح واعضاء التناسل والاعلام شدة الحبلاء ... والقلع الداري الشراع المنسوب الى دارين وهي جزيرة من سواحل القطيف من بلاد البحرين يقال ان الطيب كان يجلب اليها من الهند وهي لا ... خراب لا عمارة بها ولا ساكن وفيها آثار قديمة وعنجه عطفه والنوتي ربان السفينة وضفتي جفونه جانباها والمنبجس المتفجر والمداري جمع مدرى وهي خشبة ذات اطراف كأصابع محددة الروس ينقى بها الطعام ودارات الخطوط المستديرة بقصبه والعقيان الذهب والفلذ جمع فلذة وهي القطعة والزبرجد قيل هو الزمرد وقيل يطلق على الجنس والجنى بمعنى المجني وهو الملتقط والعصب برود تعمل باليمن والمضاهاة المشابهة والجمش الدقاق ونطقت في اللجين اي شدت فيه ورصعت والوشاح سير ينسج من اديم ويرصع بالجواهر تجعله المرأة على عاتقها الى كشحها وزقا صاح والمعول الصارخ والديكة الخلاسية هي المتولدة بين الدجاج الهندي والفارسي ونجمت ظهرت والظنبوب حرف الساق والصيصية الهنة التي في مؤخر رجل الديك والقنزعة الشعر المجتمع في موضع من الراس والوسمة بكسر السين وسكونها نبت العظلم يخضب به والاسحم الاسود والتلفع التلحف واليقق خالص البياض ويأتلق يلمع والبصيص البريق وتترى متتابعة

الجزء

منها شيء عقيب شيء وادمجه احكمه والذرة النملة الصغيرة والهمجة ذبابة صغيرة كالبعوضة ومقصود الخطبة التنبيه على عجائب صنع الله لغاية الالتفات اليه والتفكر في ملكوته وقد عرفت معنى الابتداع واراد بالموات ما لا حياة له والساكن كالارض وذو الحركات كالافلاك وشاهد البينات ما ظهر للعقول من لطائف المخلوقات فاستدلت بها على لطف صنعته وكمال قدرته فانقادت لتلك الدلائل والطرق الواضحة الى معرفته والاقرار به والتسليم لامره واستعار لفظ النعيق في الاسماع لظهور تلك الدلائل في صماخ العقل وما الاولى مفعول لاقام والثانية في محل الجر بالعطف على الضمير المضاف اليه في دلائله اي نعقت في اسماعنا دلائله على وحدانيته ودلائل ما خلق وقد عرفت فيما سبق كيفية الاستدلال بكثرة ما خلق واختلافه في وحدانيته والاطيار التي اسكنها اخاديد الارض كالقطا والصدا والتي اسكنها خروق فجاجها كالقبج والتي اسكنها رؤوس الجبال كالعقبان والصقور ثم اخذ يصف اختلافها بالاجنحة في هيئاتها وكيفيات خلقها تحت تصريف قدرته وحكمته ثم اشار الى اعتبار تكوينها وايجاده تعالى في عجائب صورها والوانها وتركيب خلقها من عبالة الجثة بمنع سموه في الهواء كالنعام ثم نبه على حكمته في تنسيقها مختلفة الالوان والاصباغ فمنها مغموس في قالب لون واحد ... قد طوق بخلاف ما صبغ به كالفواخت وشرع في التنبيه بحال الطاوس على لطف الصنع لاشتماله على جميع الالوان وكيفية وصفه ... شارحا فانه ... ابلغ منه ولا اجمع لتفاصيل الحكمة الموجودة في هذا الموصوف وغير انه قد يحتاج بعض الفاظه الى بيان فاراد بقصبه قصب ريش ذنبه وجناحيه واشراجها ضبط اصولها بالاعصاب والعظام وشرح بعضها بالبعض ووصفه لهيئة درجه الى الانثى حال ارادة السفاد وصف من شاهد واستثبت الهيئة واحسن بتشبيهه لذنبه عند ارادة السفاد بالقلع الداري فانه في تلك الحال ينبسط ريشه ثم يرفعه وينصبه فيصير كهيئة الشراع المرفوع وفي وجه التشبيه زيادة على ذلك اشار اليها بقوله عنجه نوتيه وذلك ان الملاحين يصرفون الشراع تارة بالجذب وتارة بالارخاء وتارة بتحويله يمينا وشمالا وذلك بحسب انصرافهم من بعض الجهات الى بعض فاشبههم هذا الطائر عند حركته لارادة السفاد وزيفانه في تصريف جسده وذنبه وتحويله وللتي في تلك هيئته لا ينبت ... وجه التشبيه كما هو الآن شاهد لها مع مشاهدة المشبه به ولذلك قال احيلك من ذلك على معاينة لا كمن يحيل على ضعيف اسناده وانما خص ... بالذكر لانها كانت لمرتبته القديم في زمانه حيث كانت معوزة وقوله ولو كان كزعم من يزعم الى قوله المنبجس اي لو كان حاله في النكاح كزعم من يزعم وهو اشارة الى زعم قوم ان الذكر يدمع عينه فتقف الدمعة بين اجفانه فتاتي الانثى فتطعمها فتلقح من تلك الدمعة وروي تنشجها مدامعه اي تنفض بها وبخار ... لم يجل ذلك وانما قال ليس ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب والعرب تزعم ان الغراب لا يسفد ومن امثالهم اخفى من سفاد الغراب ويزعمون ان اللقاح من مطاعمة الذكر والانثى وايصال جزء من الماء الذي في قانصته اليها وهي ان يضع كل منهما منقاره في منقار صاحبه ويتزاقا وذلك مفقد مع السفاد في كثير من الطير كالحمام وغيره وهذا وان كان ممكنا في بعض الطير كالطاوس والغراب عن ذلك بعيد على انه قد نقل الشيخ في الشفاء ان القبجة تحبلها ريح تهب من ناحية الحجل ومن سماع صوته قال والنوع المسمى ما لا ... ربما تهيأ لها ان يبيض ... قد نقل الجاحظ في كتاب الحيوان ان الطاوسة قد تبيض من الريح بان تكون في سفالة الريح وفوقها الذكر فتحمل ريحه فتبيض منها قال وبيض الريح قل ان يفرخ والقول قد يوجد في الدجاج ذلك الا انه قل ما يفرخ كما ذكره ثم شبه قصب ذنبه بالمداري من الفضة ومن ... صورة ... ذنبه مع بياض اصول ريشه وتفرقها عند نشره للسفاد في موضع التشبيه المذكور ووقوعه وكذلك شبه الخطوط الصفرة المستديرة على رؤوس ريش الذنب بخالص العقيان في الصفرة الفاقعة مع ما يعلوها من البريق وما في وسط تلك الدارات من الدوائر الخضر بقطع الزبرجد في الخضرة واستعار لها لفظ الشموس ملاحظة لمشابهتها لها في الاستدارة والاستنارة ثم قال وان شبهته بما انبتت الارض الى قوله كل ربيع ووجه الشبه اجتماع الالوان مع نضارتها وبهجتها وكذلك وجه الشبه في تشبيهه بموشي الحلل او المعجب من برود اليمن وكذلك ان شاكلته بالحلي ووجه شبهه بالفصوص المختلفة الالوان المنطقة في الفضة اي المرصعة في صفائح الفضة والمكلل الذي جعل كالاكليل بتلك الترصيع ثم حكى صورة مشيته وصوته كالقهقهة عند نظره الى حسن سرباله واعجابه بجمال كسوته ولفظ الضحك والقهقهة والسربال مستعار وكذلك حاله في نظره الى قوائمه فانه يصيح كالمتوجع من قبح ساقيه ودقتهما ويخضع وينقمع بعد تعظمه ونفخه لنفسه ووجه التشبيه لقوائمه بقوائم الديكة الخلاسية الدقة والطول والنتو والعروق ثم اخذ في وصف صيصيته وقنزعته وهي ريشات يسيرة طوال في موخر راسه بحو الثلث بارزة عن ريش راسه خضر موشاة ثم اخذ في وصف عنقه وشبه مخرجه بالابريق ووجه الشبه الهيئة المعلومة المشاهدة وكذلك مغرزه من راسه الى حيث بطنه تشبيه لونه بصبغ الوسمة في السواد المشرق او الحريرة السوداء الملبسة مرآة في ... وبصيص المرآة او المعجر الاسود الا ان ذلك السواد لكثرة مائه وشدة بريقه يخيل للناظر انه ممزوج بخضرة ناظرة ثم وصف الخط الابيض عند محل سمعه وشبهه في دقته واستوائه بخط القلم الدقيق وفي بياضه بلون الاقحوان ثم اجمل في صفة بقية الالوان فقال وقل صبغ الا وقد اخذ منه بقسط وعلاه اي وزاد على الصبغ بكثرة صقاله وبريقه وبصيص ديباجه ولفظ الديباج مستعار لريشه ثم رجع الى تشبيهه بالازاهير المبثوثة ونبه على كمال قدرة صانعها بانها مع ذلك لم تربها امطار الربيع اي تنشئها لتلك الالوان امطار ربيع ولا شموس قيظ لانه لما خيل انها ازاهير وكان من شان

الازاهير المختلفة انها لا تكون الا في زمن الربيع بامطار وحرارة الشمس المعدة لتنويره ارادان يبين عظمة صانعها بانها مع كونها ازاهير خلقها بغير مطر ولا شمس ثم اخبر عن حالة اخرى هي محل الاعتبار في حكمة الصانع وقدرته وهو انه يتحسر ويعري من ذلك الريش الحسن شيئا بعد شيء ثم ينبت جميعا كل ريشة موضع ريشة بلونها الاول من غير زيادة او نقصان حتى كانها هي وشبهه في سقوطه ونباته بتحات اوراق الشجر من الاغصان ونباتها ثم نبه على وجود حكمة الصانع في الشعرة الواحدة من شعرات ريشه بانك اذا تاملتها ارتك من شفافيتها وشدة بصيصها تارة حمرة كحمرة الورد وتارة خضرة كخضرة الزبرجد وتارة صفرة كصفرة الذهب ثم عقب ذلك الوصف بالتبليغ باستبعاد وصول الفطن العميقة الى صفته هذا واراد العجز عن وصف علل هذه الالوان واختلافها واختصاص كل من مواضعها بلون غير الاخر وعلل هيئاتها وساير ما تعدده فان اقل جزء منه مما تحير الاوهام في ادراك علته وتقصر الالسن عن وصفه ويحتمل ان يريد العجز عن استثبات جزئيات اوصافه الظاهرة ونشر تحديدها فان ما ذكره وان كان في غاية البلاغة الا ان فيه وراء ذلك جزئيات لم يستثبتها الوصف وهو الامر ويؤيده قوله سبحانه نعم باعتبار قهره للعقول عن وصف هذا المخلوق الذي جلاه واظهره للعيون فادركته محدودا مكونا ومؤلفا ملونا واعجز الالسن عن تلخيص صفته وقعد بها عن تادية نعته ثم نزهه باعتبار امر اخر وهو احكامه قوائم الذرة والهمجة وساير ما فوقهما كالحيتان وكبار حيوان البحر كالفيلة ثم باعتبار حكمه وتقديره على كل حي منها ضرورة الموت وتنبيه فيه على كونه هادم اللذات واعلم انه قد ذكرت للطاووس احوال اخرى نحن نذكر اكثرها قالوا انه غاية ما يعيش خمسا وعشرين سنة ويبيض في السنة الثالثة من عمره ويبيض في السنة مرة واحدة اثنتي عشرة بيضة في ثلاثة ايام ويحضنها ثلثين يوما فتفرخ فتحت ريشه عند سقوط ورق الشجر وينبت مع ابتداء نبات ورقه ما اخرج الى الدنيا من شهواتها ولذاتها وزخارف مناظرها ولذهلت بالفكر في اصطفاق اشجار غيبت عروقها في كثبان المسك على سواحل انهارها وفي تعليق كبائس اللؤلؤ الرطب في عساليجها وافنانها وطلوع تلك الثمار مختلفة في غلف اكمامها تجنى من غير تكلف فتاتي على منية مجتنيها ويطاف على نزالها في افنية قصورها بالاعسال المصفقة والخمور لم تزل الكرامة تتمادى بهم حتى حلوا دار القرار وامنوا نقلة الاسفار فلو شغلت قلبك ايها المستمع بالوصول الى ما يهجم عليك من تلك المناظر المونقة لزهقت نفسك شوقا اليها ولتحملت من مجلسي هذا الى مجاورة اهل القبور استعجالا بها جعلنا الله واياكم ممن سعى بقلبه الى منازل الابرار برحمته **اقول** عزفت زهدت وانصرفت والكبائس جمع كباسة وهي العذق والعساليج الغصون واحدها عسلوج وكذا الافنان جمع فنن والاكمام جمع كامة بكسر الكاف وهي غلاف الطلع والعسل المصفق المصفى وقوله فلو رميت ببصر قلبك استعارة لطيفة اي لو نظرت بعين بصيرتك وفكرت في معنى ما وصف لك من متاع الجنة لعبت نفسك من بدائع ما اخرج الى الدنيا من متاعها الى شيء من متاع الجنة الانسب وهيئة اذا لاحظتها نفسك عرفت واعرضت عن متاع الدنيا وما يعد فيها لذة وغابت بفكرها في اصطفاق الاشجار الموصوفة فيها وتمايل اغصانها ثم وصف اشجارها وانهارها وساير ما عدده من متاع الجنة وصفا لا مزيد عليه فهذه هي الجنة المحسوسة الموعودة وانت بعد معرفتك بقواعد التاويل وخطابات العرب ومجازاتها واستعاراتها وتشبيهاتها وتمثيلاتها وساير ما عددناه لك في صدر هذا الكتاب من قواعد علم البيان كان لك مع ذلك ذوق وطرق من العلم الالهي امكنك ان تحمل هذه الجنة المحسوسة مثالا للجنة المعقولة ومتاعها كنايات وتلك مثلا اشجار الجنة استعارة للملائكة السماوية والاصطفاف ترشيح لتلك الاستعارة وكثبان المسك استعارة للمعارف وللكمالات التي هم من واهب الجود بها معمورون فيها وعروقها كاشجار في الكثبان ولفظ الانهار استعارة للملائكة المجردين عن التعلق بالاجرام الفلكية باعتبار كون هذه الملائكة اصولا ومبادي للملائكة السماوية كما ان الانهار مبادي مادة لحياة الاشجار واسباب لوجودها واللؤلؤ الرطب والثمار استعارة لما يفيض من تلك الارواح من العلوم والكمالات على النفوس القابلة لها من غير بخل ولا منع فهي ثمارها وتاتي على منية مجتنيها بحسب استعداده لكل منها والقوة المتخيلة تحكي تلك الافاضات في هذه العبارات والصور المحسوسة المعدودة وتكسوها صورة ما هو مشتهى للمتخيل كل بحسب شهوته ولذلك كان في الجنة كل ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وبما قال حضوره فيحضر لها عند ارادتها اياه وكذلك لفظ العسل والخمر استعارة لتلك الافاضات المشتهاة الملذة للنفس بحسب محاكاة المتخيلة لها في صورة هذا المشروب المحسوس المشتهى لبعض النفوس فضوره مصور ونحوه قوله قوم لم تزل الكرامة الى قوله الاسفار استعار لفظ التمادي الذي هو من افعال العقلاء لما الكرامة عنهم وانتظارهم لها في الدنيا الى غاية حلولهم دار القرار ووصول الكرامة لهم هناك وامنهم من نقلة الاسفار ثم عقب ما يشير من السمع الى ما هناك فلو شغلت قلبك اي اخذت في مدارستك للوصول الى ما يهجم عليك اي يفاض عليك من تلك الصور البهية المعجبة لزهقت نفسك اي متت شوقا اليها ورحلت الى مجاورة اهل القبور استعجالا لما يتهم اليه ما اشتاقت اليه ثم ختم الخطبة بالدعاء لنفسه وللسامعين ان يعدهم الله تعالى لسلوك سبيله وقطع منازل طريقه الموصلة الى منازل الابرار وهي درجات الجنة ومقاماتها وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام

ليتاس صغيركم بكبيركم وليرأف كبيركم بصغيركم ولا تكونوا كجفاة الجاهلية لا في الدين تتفقهون ولا عن الله

تعقلون كقيض بيض في اداح يكون كسرها وزرا ويخرج حضانها شرا **اقول** قيض البيض كسره تقول قضت البيضة كسرتها وانقاضت انصدعت من غير كسر وتقيضت تكسرت فلقا والاداح جمع ادحي افعول من الدحو وهو الموضع الذي تفرخ فيه النعامة فعقد امر صغيرهم بالتاسي بكبيرهم لان الكبير اكثر تجربة وعلما واكيس وحزما فكان بالقدوة اولى وامر كبيرهم ان يرؤف بصغيرهم لان الصغير مظنة الضعف واهلا ان يرحم ويعذر لقلة عقليته للامور وانما بدء بامر الصغير لانه احوج الى التاديب والغاية من هذا الامر انتظام امورهم وحصول الفهم بما امرهم به ثم نهاهم ان يشبهوا جفاة الجاهلية في عدم تفقههم في الدين وعدم عقليتهم لاوامر الله فيشبهون اذن بيض الافاعي في اعشاشها ووجه الشبه انها ان كسرها كاسر اثم لتاذي الحيوان به وقتله لانه يظن بعض القطا فياثم كاسره وان لم يكسر يخرج حضانها شرا اذ يخرج افعى فانه كذلك هؤلاء اذا اشبهوا جفاة الجاهلية لا يحل لاحد اذاهم واهانتهم لحرمة ظاهر الاسلام عليهم وان اهملوا وتركوا على ما هم عليه من الجهل وقلة الادب خرجوا شياطين وبالله التوفيق **منها** افترقوا بعد الفتهم وتشتتوا عن اصلهم فمنهم اخذ بغصن اينما مال مال معه على ان الله سيجمعهم لشر يوم لبني امية كما تجتمع قزع الخريف يؤلف الله بينهم ثم يجعلهم ركاما كركام السحاب ثم يفتح لهم ابوابا يسيلون من مستثارهم كسيل الجنتين حيث لم تسلم عليه قارة ولم تثبت عليه اكمة ولم يرد سننه رص طود ولا حداب ارض يذعذعهم الله في بطون اوديته ثم يسلكهم ينابيع في الارض ياخذ بهم من قوم حقوق قوم ويمكن لقوم في ديار قوم وايم الله ليذوبن ما في ايديهم بعد العلو والتمكين كما تذوب الالية على النار ايها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحق ولم تهنوا عن توهين الباطل لم يطمع فيكم من ليس مثلكم ولم يقو من قوي عليكم لكنكم تهتم متاه بني اسرائيل ولعمري ليضعفن لكم التيه من بعدي اضعافا بما خلفتم الحق وراء ظهوركم وقطعتم الادنى ووصلتم الابعد واعلموا انكم ان اتبعتم الداعي لكم سلك بكم منهاج الرسول وكفيتم مؤونة الاعتساف ونبذتم الثقل الفادح عن الاعناق **اقول** القزع قطع السحاب المتفرقة ومستثارهم موضع ثورانهم والقارة الاكمة والحداب جمع حدب وهو ما ارتفع من الارض والذعذعة بالذال المعجمة مرتين التفريق وتهنوا تضعفوا وتوهين الباطل اضعافه والفادح المثقل والاشارة في هذا الفصل الى اصحابه واصلهم الذي تشتتوا عنه هو امامهم بعد الفتهم هو افتراقهم الى خوارج وغيرهم بعد اجتماعهم عليه وقوله فمنهم اخذ بغصن اي يكون منهم من يتمسك بمن خلفه بعده من ذرية الرسول صلى الله عليه وآله اينما سلك سلك معه كالشيعة وتقدير الكلام ومنهم من ليس كذلك لانه استغنى بالقسم الاول لدلالته على الثاني وقوله على ان الله سيجمعهم اي من كان على عقيدته منهم وغيرهم ومن لم يكن لشر يوم يكون لبني امية وشبه جمعهم وتاليفه بينهم بجمعه لقزع السحاب في الخريف لتراكمهم بذلك الجمع كتراكم ذلك القزع ووجه الشبه الاجتماع بعد التفرق والابواب التي يفتحها لهم استعارة اما على وجوه الاراء التي تكون اسبابا للغلبة والاتفاقات على الاجتماع او ما هو اعم منها كسائر الاسباب للغلبة من اعانة بعضهم لبعض بالانفس والاموال وغير ذلك واستعار لخروجهم لفظ السيل وشبهه بسيل جنتي مارب وهما جنتا سبا المحكي عنهما في القرآن الكريم فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين الاية ووجه الشبه الشدة في الخروج وانه لما ياتون اليه كقوة ذلك السيل حيث لم يسلم عليه مرتفع من الارض ولم يرده طود وجبل مرصوص اي مشدد بعضه الى بعض ثم قال يذعذعهم الله في بطون اوديته ثم يسلكهم ينابيع في الارض وهو من الفاظ القرآن والمراد كما ان الله ينزل من السماء ماء فيكنه في اعماق الارض ثم يظهر منها ينابيع الى ظاهرها كذلك هؤلاء القوم يفرقهم الله في بطون الاودية وغوامض الارض ثم يظهرهم بعد الاختفاء فياخذ بهم من قوم حقوق اخرين ويمكن قوما من ملك قوم وديارهم ثم اقسم ليذوبن ما في ايديهم اي بني امية بعد علوهم وتمكنهم كما تذوب الالية على النار ووجه الشبه الفناء والاضمحلال ومصداق هذه الاخبار ما كان من امر الشيعة الهاشمية واجتماعها على ازالة ملك بني امية من كان منهم ثابتا على ولاء علي واهل بيته ومن حاد منهم عن ذلك في اواخر ايام مروان الحمار عند ظهور الدعوة الهاشمية ثم عاد الى توبيخ السامعين بالاشارة الى سبب تطمع غيرهم ممن دونهم في القوة والمنزلة وتقوية عليهم والاشارة الى معاوية واصحابه وذلك السبب هو تخاذلهم عن نصرة الحق وتضاعفهم عن اضعاف الباطل وهو في معرض التوبيخ والملامة لهم ثم شبههم بتيه بني اسرائيل ووجه الشبه الحيرة والضعف والذلة والمسكنة لهم حيث لم يجتمعوا على العمل باوامر الله وامر امام بالتيه وضرب عليهم الذلة والمسكنة ثم اخبرهم بعاقبة امرهم في التخاذل وهو اضعاف التيه والتفرق بعده لالتفاتهم عن الحق ومقاطعة بعضهم لذرية الرسول صلى الله عليه وآله ووصلهم لمعاوية وغيره مع بعده عنهم ثم اخذ في ارشادهم وجذبهم الى اتباعه فقال ان اتبعتم الداعي وعنى نفسه سلك بكم منهاج الرسول صلى الله عليه وآله وطريقته وكفيتم مؤونة الاعتساف في طرق الضلال والقيتم ثقل الاوزار في الاخرة عن اعناق نفوسكم وظاهر كونها فادحة ويحتمل ان يريد بالثقل الفادح الاثام مع ما يلحقهم في الدنيا من الخطوب الفادحة بسبب عصيان الامام والخروج عن امره وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام في اول خلافته

ان الله سبحانه انزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر فخذوا نهج الخير تهتدوا واصدفوا عن سمت الشر تقصدوا الفرائض الفرائض ادوها الى الله تؤدكم الى الجنة ان الله حرم حراما غير مجهول واحل حلالا غير مدخول وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها

مخضرة

منها في صفة الجنة فلو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك منها لعزفت نفسك عن بدائع

ونوازم

اللهم

بماء

صح م

فتقصدوا

فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق ولا يحل اذى المسلم الا بما يجب بادروا امر العامة وخاصة احدكم وهو الموت فان الناس امامكم وان الساعة تحدوكم من خلفكم تخففوا تلحقوا فانما ينتظر باولكم آخركم اتقوا الله في عباده وبلاده فانكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم اطيعوا الله ولا تعصوه واذا رايتم الخير فخذوا به واذا رايتم الشر فاعرضوا عنه **اقول** اصدقوا اي اصلحوا وتفصد وانفذ لوا ومعاقدها مواضعها وصدر الفصل بالتنبيه على فضيلة الكتاب في كونه هاديا الى طريق الخير والشر ثم امر باخذ طريق الخير لكونه طريق الهدى الى المطالب الحقيقية الباقية وبالاعراض عن طريق الشر وسمته لاستلزام الاعراض عنه لزوم طريق الحق والاستقامة فيه ثم امر باداء الفرائض لانها اقوى طرق الخير ولذلك قال تؤدكم الى الجنة لان الجنة منتهى الخير كله ثم بين ان الله حرم حراما غير مجهول بل هو في غاية الوضوح وكل حلال لا عيب فيه ولا شبهة فلا عذر لمن تركه وفضل حرمة المسلم على كل حرمة دمه وعرضه وماله وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها اي ربطها بهما فاوجب على المخلصين الموحدين المحافظة على حقوق المسلمين ومراعاة مواضعها وقرن توحيده بذلك حتى صار فضله كفضل التوحيد ثم عرف المسلم ببعض صفات المسلم الحق وهو من سلم المسلمون من يده ولسانه الا ان تكون يده بحق ولسانه بحق وهو لفظ الخبر النبوي عم وقوله لا يحل اذى المسلم الا بالحق اورده تاكيدا ثم عقب بتنبيههم على امر العامة وخاصة احدهم هو الموت اي تلك الامر هو الموت وانما كان مع عمومه لكل الحيوان خاصة احدهم لان له مع كل شخص خصوصية وكيفية تخالف ما له مع غيره وامرهم بمبادرته اي بمبادرة العمل له وما بعده قبل سبقه اليهم ونبههم على ان الناس امامهم اي قد سبقوهم الى الآخرة والساعة تحدوهم من خلفهم وامرهم بالتخفيف للحاق بهم وحثهم على ذلك بقوله فانما ينتظر باولكم آخركم اي السابقين الى الآخرة اللاحقين منكم ليبعث الكل جميعا وقد سبقت الاشارة هذه الالفاظ بعينها وشرحها مستوفى ثم امر بتقوى الله في عباده وبلاده وذلك بلزوم خوفه في مراعاة ما ينبغي لكل احد مع غيره وفي بلاده اي البقاع والارض ونبه على وجوب ذلك باستعقاب كل عمل وان قل للسؤال عنه ومناقشة الحساب عليه حتى عن البقاع فيقال لم استوطنتم هذا المكان وزهدتم في ذلك وعن البهائم فيقال لم ضربتم هذه وقتلتم هذه ولم اجعتموها والى الاشارة بقوله ثم لتسئلن عما كنتم تعملون وقوله ولتسئلن يومئذ عن النعيم قيل هو شبع البطن وبارد الشراب ولذة النوم وظلال المساكن واعتدال الخلق وقوله ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا فيقال له اشغلت قلبك وسمعك وفي الخبر الصحيح النبوي ان الله عذب انسانا بهرة حبسها في بيت واجاعها حتى هلكت ثم اجمل القول بعد تفصيله وامر بطاعة الله ونهى عن معصيته وارشد الى الاخذ بالخير عند رؤيته والاعراض عن الشر عند رؤيته **ومن كلام له عليه السلام** بعد ما بويع بالخلافة وقال له قوم من الصحابة لو عاقبت قوما ممن اجلب على عثمان فقال يا اخوتاه اني لست اجهل ما تعلمون ولكن كيف لي بقوة والقوم المجلبون على حد شوكتهم يملكوننا ولا نملكهم وها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم والتفت اليهم اعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤا وهل ترون موضعا لقدرة على شيء تريدونه ان هذا الامر امر جاهلية وان لهؤلاء القوم مادة ان الناس من هذا الامر اذا حرك على امور فرقة ترى ما ترون وفرقة ترى ما لا ترون وفرقة لا ترى لا هذا ولا هذا فاصبروا حتى يهدا الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق مسمحة فاهدؤا عني وانظروا ماذا ياتيكم به امري ولا تفعلوا فعلة تضعضع قوة وتسقط منة وتورث وهنا وذلة وساء مسك الامر ما استمسك واذا لم اجد بدا فآخر الدواء الكي **اقول** اجلب عليه جمع وشوكتهم قوتهم والعبدان بتشديد الدال وتخفيفها وكسر العين وضمها جمع عبد والتفت انضمت ويسومونكم يكلفونكم ومسمحة مسهلة والالف في اخوتاه هي المنقلبة عن ياء النفس المضاف اليه والهاء للسكت واعلم ان هذا الكلام اعتذار منه عم في تاخير القصاص عن قتلة عثمان وقوله اني لست اجهل ما تعلمون دليل على انه كان ذلك في نفسه وحاصل هذا العذر عدم التمكن كما ينبغي ولذلك قال وكيف لي بقوة والقوم على حد شوكتهم وصدق ذلك ظاهر فان اكثر اهل المدينة كانوا من المجلبين عليه وكان من اهل مصر ومن الكوفة خلق عظيم حضروا من بلادهم وقطعوا المسافة البعيدة لذلك وانضم اليها اعراب اجلاف من البادية وعبدان المدينة فكانوا في غاية من شدة الشوكة حال اجتماعهم وثاروا ثورة واحدة ولذلك قال وانهم يجتمعون الى قوله يسومونكم ما شاؤا وقد روي انه عم جمع الناس ووعظهم ثم قال لتقم قتلة عثمان فقام الناس باسرهم الا القليل وكان ذلك الفعل منه استشهادا على صدق قوله والقوم على حد شوكتهم ومع تحقق هذه الحال لا ينبغي له موضع قدرة على شيء من امرهم ثم قال على سبيل قطع لجاج الطالبين مطالبا مخاطبا لهم ان هذا الامر امر جاهلية يريد امر المجلبين عليه اذ لم يكن قتلهم اياه بمقتضى الشريعة اذ الصادر عنهم من الاحداث لا يجب فيها قتل وان لهؤلاء مادة اي معينين وناصرين ثم قسم حال الناس على تقدير الشروع في امر القصاص الى ثلاثة اقسام وهو احتجاج منه على الطالبين وتضعيف لرايهم بقياس ضمير من الشكل الاول مركب من شرطيتين متصلتين صغراهما قوله ان هذا الامر اذا حرك كان الناس فيه على امور وتقدير الكبرى واذا كان الناس فيه على امور لم يتمكن من اتمامه وفعله فينتج ان هذا الامر اذا حرك لا يتم فعله ثم عدد تلك الامور وهي ان فرقة ترى

كونه مصيبا كما ارى الطالبون وفرقة ترى انه مخطئ وهم ايضا المقتص منهم وفرقة لا ترى هذا ولا ذاك بل تتوقف كما جرى ذلك في امر التحكيم ثم امرهم بالصبر الى غاية يهدأ الناس اذ يتبين لهم انه لا مصلحة في تحريك الامر فان الحقوق تؤخذ عند هدوء الناس واستقرار القلوب اسهل ماخذا وقوله فاهدؤا عني وانظروا ماذا ياتيكم به امري يدل على تربصه وانتظاره للفرصة من هذا الامر ثم حذرهم من الاستعجال بفعل يضعف شوكة الدين ويورث وهنا فانه لو شرع في عقوبة الناس والقبض عليهم لم يؤمن من تجدد فتنة اخرى اعظم من الاولى وهو غالب الظن فكان الاصوب في التدبير والذي يقتضيه العقل والشرع الامساك الى حين سكون الفتنة وتفرق اولئك الشعوب ورجوع كل قوم الى بلادهم وربما كان ينتظر مع ذلك ان يحضر بنو عثمان للطلب بدمه ويعينون قوما باعيانهم بعضهم للقتل وبعضهم للحصار كما جرت عادة المتظلمين الى الامام ليتمكن من العمل بحكم الله فلم يقع الامر كذلك وعصى معاوية واهل الشام والتجاء اليه ورثة عثمان وفارقوا حوزة امير المؤمنين عم ولم يطلبوا القصاص طلبا شرعيا وانما طالبوه مغالبة وجعلها معاوية عصبية جاهلية ولم يات احد منهم الامر من بابه وقبل ذلك ما كان من امر طلحة والزبير ونقضهما البيعة ونهبهما اموال المسلمين بالبصرة وقتلهما الصالحين من اهلها وكل تلك الامور التي جرت مانعة للامام عن التصدي للقصاص ولذلك قال عم لمعاوية في بعض كلامه فاما طلبك بدم عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس وحاكم القوم الي احملك واياهم على كتاب الله وسنة رسوله واما قوله وساء مسك الامر ما استمسك الى آخره فاعلم ان هذا الكلام انما صدر عنه عم بعد اكثار القول عليه في امر عثمان واضطراب الامر من قبل طلحة والزبير ونكثهما بسبب هذه الشبهة مع كونهما من اكابر الصحابة وتشتت قلوب كثير من المسلمين عنه حتى اشار بعض الصحابة باخذ القصاص من قتلة عثمان ليسكن الفتنة طلحة والزبير ومعاوية لغلبة الظن بحسم الفتنة واضطراب امر الشام فقال الكلام اي قد بذلت هذا العذر فان لم يقبلوا مني فساء الامر اي امر الخلافة مجهدي فاذا لم اجد بدا اي من قتال من بغى وسكت فآخر الدواء الكي اي الحرب والقتال لانها الغاية التي ينتهي امر العصاة اليها ومداواة امراض قلوبهم كما تنتهي مداواة المريض الى ان يكوى وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** عند مسير اصحاب الجمل الى البصرة ان الله بعث رسولا هاديا بكتاب ناطق وامر قائم لا يهلك عنه الا هالك وان المبتدعات المشبهات هن المهلكات الا ما حفظ الله منها وان في سلطان الله عصمة لامركم فاعطوه طاعتكم غير ملومة ولا مستكره بها والله لتفعلن او لينقلن الله عنكم سلطان الاسلام ثم لا ينقله اليكم ابدا حتى يارز الامر الى غيركم ان هؤلاء قد تمالؤا على سخطة امارتي وساصبر ما لم اخف على جماعتكم فانهم ان تمموا على فيالة هذا الراي انقطع نظام المسلمين وانما طلبوا هذه الدنيا حسدا لمن افاءها الله عليه فارادوا رد الامور على ادبارها ولكم علينا العمل بكتاب الله وسيرة رسوله والقيام بحقه والنعش لسنته **اقول** يارز ينجاز وينقبض وتمالؤا اجتمعوا والفيالة الضعف والنعش الرفع وقوله ان الله بعث الى قوله هالك تصدير للفصل بالامور الجامعة للمسلمين التي هي اصول دولتهم تذكيرا لهم بها ليرجعوا اليها وامر قائم مستقيم وقوله لا يهلك عنه الا هالك اي لا يهلك من مخالفته الا اعظم هالك كما لا يعلم هذا الفن من العلم الا عالم اي من بلغ الغاية من العلم وقوله وان المبتدعات المشبهات هن المهلكات الا ما حفظ الله لمخالفتها الكتاب والسنة الجامعين لحدود الله وخروجها عنهما والمراد الهلاك الاخروي ومعنى قوله الا من حفظ الله منها من المهلكات اي الا ما حفظ الله منها بالعصمة عن ارتكابها فانها لا تكون مهلكة الا لمن ارتكبها والمشبهات ما اشبه السنن وليس منها وروي المشبهات بتشديد الباء وفتحها وهو ما شبه على الناس ولبس وروي المشتبهات اي المتلبسات وسلطان الله هو سلطان الاسلام فحذف المضاف واراد سلطان دين الله ويحتمل ان يريد بسلطان الله نفسه لكونه خليفة له في ارضه وانما اضافها اليه اعزازا به وظاهر انه عصمة وعصمة لهم فان الذي يعصمهم وهم قليلون حتى يقوموا منا لاولى نصرهم على كثرتهم ثمرة طاعته الخالصة والدخول في امر سلطانه ولذلك قال فاعطوه طاعتكم غير ملومة اي غير ملوم صاحبها بالنسبة الى النفاق والرياء ولا مستكره عليها وروي غير ملوية اي معوجة ثم اخذ في وعيدهم ان لم يطيعوا بنقل الله عنهم سلطان الاسلام من غير ان يرده اليهم ابدا حتى يصير الامر الى غيرهم واراد الغاية ثم ان جعلنا حتى وما بعدها غاية لنقل السلطان عنهم لم يفهم منها عوده اليهم وان جعلناها غاية من عدم نقله اليهم فهم منها ذلك فان قلت لم قال لا يرجع اليهم ابدا وقد عاد بالدولة العباسية قلت اجيب من وجوه الاول ان القوم الذين خاطبهم من اصحابه بهذا الخطاب لم ترجع الدولة اليهم ابدا فان اولئك بعد انقضاء دولة بني امية لم يبق منهم احد ثم لم يرجع الى احد من اولاده اصلا الثاني انه قيده بالغاية فقال لا يصير اليكم حتى يصير في قوم آخرين وظاهر انه كان بانتقاله الى بني امية الثالث قال بعض الشارحين انما قال ذلك لان الشرط لم يقع وهو عدم الطاعة فان اكثرهم اطاعه طاعة غير ملومة ولا مستكره بها الرابع قال قوم اراد بقوله ابدا المبالغة كما تقول لغريمك لاحبسنك ابدا والمراد بالقوم الذين يارز اليهم هذا الامر بنو امية كما هو الواقع وقوله ان هؤلاء قد تمالؤا اشارة الى طلحة والزبير وعائشة واتباعهم واومى الى ان مسيرهم لسخطهم من امارته لا لما اظهروه من الطلب بدم عثمان ثم وعد بالصبر عليهم ما دام لا يخاف على حوزة الجماعة واخبر انهم ان بقوا على ضعف رايهم في مسيرهم ومخالفتهم قطعوا نظام المسلمين وفرقوا اجماعهم وقوله انما طلبوا الى قوله عليه بيان لعلة سخطهم لامارته وهي الحسد على الدنيا لمن افاءها الله عليه والاشارة الى نفسه وقوله فارادوا رد الامور على ادبارها

اي ارادوا اخراج هذا الامر عن آل نبينا الرسول الذي كان اجوا ارلا اوصرف هذا الامر عنهم بعد انتقاله الى ما كان عليه من ادباره عنهم ثم اخبر بما له عليهم من الحق ان اطاعوه الطاعة غير المدخولة وهي ان يعمل فيهم بكتاب الله وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله والقيام بحقوقه التي اوجبها واقامة سنته وذلك هو الواجب على الامام وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما قال لكليب الجرمي قبل وقعة الجمل بايع فقال اني رسول قوم ولا احدث حدثا دونهم حتى ارجع اليهم فقال عليه السلام ارايت لو ان الذين وراءك بعثوك رائدا تبتغي لهم مساقط الغيث فرجعت اليهم واخبرتهم عن الكلاء والماء فخالفوا الى المعاطش والمجادب ما كنت صانعا قال كنت تاركهم ومخالفهم الى الكلاء والماء فقال له عليه السلام فامدد اذن يدك فقال الرجل فوالله ما استطعت ان امتنع عند قيام الحجة علي فبايعته عليه السلام **اقول** الجرمي منسوب الى بني جرم وكان قوم من اهل البصرة بعثوه اليه ليستعلم حاله اهو على حجة ام على شبهة فلما راه وسمع لفظه لم يتخالجه شك في صدقه فبايعه وكان بينهما الكلام المنقول ولا الطف من التمثيل الذي جذبه به فالاصل في هذا التمثيل هو حال الممثل المخاطب وجدانه للماء والكلاء على تقدير كونه رائدا لهما والفرع هو حالته في وجدانه للعلم والفضائل والهداية عنده والحكم في الاصل هو مخالفته لاصحابه الى الماء والكلاء على تقدير وجدانه لهما ومخالفة اصحابه له وعلة ذلك الحكم في الاصل هو وجدانه للكلاء والماء ولما كان المشبه لهذه العلة وهو وجدانه للفضائل والعلوم التي هي غذاء النفوس ومادة حياتها كما ان الكلاء والماء غذاء للابدان ومادة حياتها موجودا لهذا الرائد في الفرع وهو حالة وجدانه للعلم والفضل والهداية وجب عن تلك العلة مثل الحكم في الاصل وهو مخالفته اصحابه الى الفضل والعلم والهداية عنده عليه السلام ولزوم ان يبايع ولذلك قال فامدد يدك اذن وهو تمثيل لا تكاد النفس السليمة عند سماعه ان تقف دون الانفعال عنه والاذعان له ولذلك لم يستطع الرجل انه لم يستطع الامتناع عند قيام هذه الحجة فبايع وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما عزم على لقاء القوم بصفين اللهم رب السقف المرفوع والجو المكفوف الذي جعلته مغيضا لليل والنهار ومجرى للشمس والقمر ومختلفا للنجوم السيارة وجعلت سكانه سبطا من ملائكتك لا يسامون من عبادتك ورب هذه الارض التي جعلتها قرارا للانام ومدرجا للهوام والانعام وما لا يحصى مما يرى وما لا يرى ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للارض اوتادا وللخلق اعتمادا ان اظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي وسددنا للحق وان اظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة واعصمنا من الفتنة اين المانع للذمار والغائر عند نزول الحقائق من اهل الحفاظ العار وراءكم والجنة امامكم **اقول** مغيضا لهما اي مغيبا والسبط القبيلة وقد دعا الله سبحانه باعتبار كونه ربا للسماء والارض وباعتبار ما فيهما من الايات لينبه على كمال عظمته ولطف لطفه بخلقه وهذا الدعاء مما تستعد به القلوب والابدان لاستفاضة العناية والنصر على العدو والسقف المرفوع السماء وكذلك الجو المكفوف وقد مرت الاشارة الى ذلك في الخطبة الاولى وكونه مغيضا لليل والنهار لان الفلك بحركته المستلزمة لحركة الشمس الى وجه الارض يكون سببا لغيبوبة الليل واستلزام حركته لحركتها عن وجه الارض يكون سببا لغيبوبة النهار فكان كالمغيض لهما فاستعار لفظ المغيض وكونه محلا لجري الشمس والقمر ومحل اختلاف النجوم السيارة ظاهر وليس فيه دلالة على ان النجوم تتحرك فيه بذاتها من دون حركته والطائفة من الملائكة اشارة الى الارواح الفلكية المحركة لاجرامها وقد سبقت الاشارة اليهم وبينا انهم لا يسامون في الخطبة الاولى ثم ثناه باعتبار كونه ربا للارض وباعتبار ما بسطها لاجله من كونها قرارا للانام ومدرجا للهوام والانعام وما لا يحصى مما يرى ولا يرى من انواع الحيوان قال بعض العلماء من اراد ان يعرف حقيقة قوله عليه السلام ما يرى وما لا يرى فليوقد نارا صغيرة في فلاة في ليلة صيفية وينظر ما يجتمع عليها من غرائب انواع الحيوانات العجيبة الخلق لم يشاهدها هو ولا غيره واقول يحتمل ان يريد بقوله ما لا يرى ما ليس من شانه ان يرى اما لصغره او لشفافيته ثم باعتبار كونه ربا للجبال وقد علمت معنى كونها اوتادا للارض فاما كونها اعتمادا للخلق فلانهم قد يبنون بها المساكن ويقوم فيها من المنافع ما لا يقوم في الاودية لكثرة من الاشجار والثمار ولانها معادن للينابيع ومنابع المعادن فكانت اذن معتمد الخلق في معايشهم ومنافعهم ثم سال على تقدير نصره ان يجنبه البغي وهو العبور الى طرف الافراط من فضيلة العدل ثم التسديد والاستقامة على فضيلة العدل وهو الحق وعلى تقدير اظهار عدوه عليه الشهادة والعصمة من فتنة الغبن والانقهار فان المغلوب اذا كان معتقدا انه على الحق فقلما يسلم من التسخط على الحق والتعتب على ربه وقد يكفر كثير من الناس عند نزول البلاء بهم فظاهر كونه فتنة اي صارفا عن الله ولعصمه عليه السلام من تلك الفتنة وامثالها استثبانا انه على الحق وناديا للسامعين ثم اخذ في استنهاض العازمين بتحريك الانسان اصحابه في الحرب كما يبتنيه بروطباعهم من الاستفهام عن حامي الذمار والذي تصيبه الغيرة من اهل المحافظة عند نزول الحقائق اي عظائم الامور وشدائدها ثم قال النار وراءكم اي ان رجوعكم القهقرى هربا من العدو مستلزم لدخولكم النار واستحقاقكم لها والجنة امامكم اي في اقدامكم على العدو والتقدم الى مناجزته وهو كلام في غاية الوجازة والبلاغة **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله الذي لا توارى عنه سماء سماء ولا ارض ارضا **اقول** حمد الله تعالى باعتبار احاطة علمه بالسموات والارضين واستلزم ذلك تنزيهه تعالى عن وصف المخلوقين اذ كانوا في ادراكهم لبعض الاجرام السماوية والارضية محجوبين عما وراءها وعلمه تعالى هو المحيط بالكل الذي لا يحجبه السواتر ولا يخفى عليه غاية السرائر **منها** وقال لي قائل انك يا ابن ابي طالب على هذا الامر لحريص فقلت بل انتم والله احرص وابعد وانا اخص واقرب وانما طلبت

حقا لي وانتم تحولون بيني وبينه وتضربون وجهي دونه فلما قرعته بالحجة في الملا الحاضرين هب كانه لا يدري ما يجيبني به اللهم اني استعديك على قريش ومن اعانهم فانهم قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي واجمعوا على منازعتي امرا هو لي ثم قالوا الا ان في الحق ان تاخذه وفي الحق ان تتركه **اقول** هذا الفصل من خطبة يذكر فيها ما جرى له يوم الشورى بعد مقتل عمر والذي قال له هذا القول هو سعد بن ابي وقاص مع روايته فيه انت مني بمنزلة هرون من موسى وهو محل التعجب فاجابه بقوله بل انتم والله احرص وابعد اي احرص على هذا الامر وابعد من استحقاقه وهو في صورة احتجاج بقياس ضمير من الشكل الاول سكت للفاضل عن صغراه وتقدير كبراه وكل من كان احرص على هذا الامر وابعد منه فليس له ان يعير الاقرب اليه بالحرص عليه وقوله وانا اخص واقرب صغرى قياس ضمير اخبر به على اولويته بطلب هذا الامر وتقدير كبراه وكل من كان اخص واقرب الى هذا الامر فهو اولى بطلبه وروي ان هذا الكلام قال يوم السقيفة وان الذي قال له انك على هذا الامر لحريص هو ابو عبيدة بن الجراح والرواية الاولى اظهر واشهر وروي عوض هب بهت اي بهت كانه غافل لا ذاهلا عن الحجة فاستيقظ من غفلته ثم اخذ في استعانة الله تعالى على قريش ومن اعانهم عليه وشكا امورا منها قطع رحمه فانهم لم يراعوا قربه من رسول الله صلى الله عليه وآله ومنها تصغير عظيم منزلته بعد التفاتهم الى ما ورد من النصوص النبوية في حقه ومنها اتفاقهم على منازعته امر الخلافة الذي يرى انه احق به منهم وقوله ثم قالوا الى اخره اي انهم لم يقتصروا على اخذ حقي ساكتين عن دعوى كونه حقا لهم ولكنهم اخذوه مع دعواهم ان الحق لهم وانه يجب علي ان اترك المنازعة فيه فليتهم اخذوه معترفين انه حق لي فكانت المصيبة اهون وروي ناخذه ونتركه بالنون في الكلمتين وعليه نسخة الرضي والمراد انا نتصرف فيه كما نشاء بالاخذ والترك دونك وهذه شكايات ظاهرها لا تاويل فيها **منها** في ذكر اصحاب الجمل فخرجوا يجرون حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله كما تجر الامة عند شرائها متوجهين بها الى البصرة فحبسا نساءهما في بيوتهما وابرزا حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله لهما ولغيرهما في جيش ما منهم رجل الا وقد اعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة طائعا غير مكره فقدموا على عاملي بها وخزان بيت مال المسلمين وغيرهم من اهلها فقتلوا طائفة صبرا وطائفة غدرا فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين الا رجلا واحدا معتمدين لقتله بلا جرم جره لحل لي قتل ذلك الجيش كله اذ حضروه فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا بيد دع ما انهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا بها عليهم **اقول** حرمة الرجل حرمه ومقصود الفصل اظهار عذره في قتال اصحاب الجمل وذكر لهم ثلث كبائر من الذنوب تستلزم اباحة قتالهم وقتلهم الاولى خروجهم بحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وحبيسه يجرونها كما تجر الامة عند شرائها مع حبسهما لنسائهما ومخالفتهما امره صلى الله عليه وآله وضمير التثنية في حبسا لطلحة والزبير وموضع الشبهة انتهاك الحرمة وتقصاها في اخراجها وفي ذلك جراة على رسول الله صلى الله عليه وآله وروى عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوما لنسائه وهن عنده جميعا ليت شعري ايتكن صاحبة الجمل الادبب تنبحها كلاب الحوئب يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثيرة كلهم في النار وتنجو بعدما كادت وروى حبيب بن عمير قال لما خرجت عائشة وطلحة والزبير من مكة الى البصرة طرقت ماء الحوئب وهو ماء لبني عامر بن صعصعة فنبحتهم الكلاب فنفرت صعاب ابلهم فقال قائل منهم لعن الله الحوئب فما اكثر كلابها فلما سمعت عائشة ذكر الحوئب قالت اهذا ماء الحوئب قال نعم قالت ردوني ردوني فسالوها ما شانها وما بدا لها قالت اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول كاني بكلاب الحوئب قد نبحت بعض نسائي ثم قال لي يا حميراء اياك ان تكونيها فقال الزبير مهلا يرحمك الله فانا قد جزنا ماء الحوئب بفراسخ كثيرة فقالت اعندك من يشهد بان هذه الكلاب النابحة ليست على ماء الحوئب فلفق لها الزبير وطلحة خمسين اعرابيا جعلا لهم جعلا فحلفوا لها وشهدوا ان هذا الماء ليس بماء الحوئب فكانت هذه اول شهادة زور عملت في الاسلام فسارت عائشة لوجهها فاما ما في الخبر وتنجو بعد ما كادت فقالت الامامية معناه تنجو من القتل بعد ما كادت ان تقتل وقال الاخرون معناه تنجو من النار بالتوبة بعد ما كادت ان تدخلها بما فعلت الثانية نكثهم لبيعته وخروجهم عليه بعد الطاعة في جماعة ما منهم الا من اخذ بيعته الثالثة قتلهم لعامله بالبصرة وخزان بيت مال المسلمين بها بعضهم صبرا اي بعد الاسر وبعضهم غدرا اي بعد اعطائهم الامان وخلاصة القصة ما روي ان طلحة والزبير وعائشة لما انتهوا في مسيرهم الى حفر ابي موسى قريب البصرة كتبوا الى عثمن بن حنيف الانصاري وهو يومئذ عامل علي على البصرة ان اخل لنا دار الامارة فلما قرا كتابهم بعث الى الاحنف بن قيس والى حكيم بن جبلة العبدي فاقراهما الكتاب فقال الاحنف انهم قد حاولوا بهذا الطلب بدم عثمن وهم الذين البوا على عثمن وسفكوا دمه فاراهم والله لا يزايلونا حتى يلقوا العداوة بيننا ويسفكوا دماءنا واظنهم سيركبون منك خاصة ما لا قبل لك به والراي ان تتاهب لهم بالنهوض اليهم فيمن معك من اهل البصرة فانك اليوم الوالي عليهم وانت فيهم مطاع فسر اليهم بالناس وبادرهم قبل ان يكونوا معك في دار واحدة فيكون الناس لهم اطوع منهم لك وقال حكيم مثل ذلك فقال عثمن بن حنيف الراي ما رايتما لكني اكره الشر وان ابداهم به وارجو العافية والسلامة الى ان ياتيني كتاب امير المؤمنين ورايه فاعمل به فقال له حكيم فاذن لي حتى اسير اليهم بالناس فان دخلوا في طاعة امير المؤمنين والا نابذتهم على سواء فقال عثمن لو كان ذلك لي لسرت اليهم بنفسي فقال حكيم اما والله لئن دخلوا عليك هذا المصر لينتقلن قلوب كثير من الناس اليهم وليزيلنك عن مجلسك هذا وانت اعلم فابى عثمن ثم كتب علي عليه السلام الى عثمن بن حنيف لما بلغه مسير القوم الى البصرة من عبد الله علي امير المؤمنين عليه السلام الى عثمن بن حنيف اما بعد فان البغاة عاهدوا الله ثم نكثوا وتوجهوا الى مصرك وساقهم الشيطان

طلب الامر رضي الله به وانه اشد باساً واشد تنكيلا فاذا اتوا عليك فادعهم الى الطاعة والرجوع الى الوفاء بالعهد والميثاق الذي فارقونا عليه فان اجابوا عليه فاحسن جوارهم ما داموا عندك وان ابوا الا التمسك بحبل النكث والخلاف فناجزهم القتال حتى يحكم الله بينك وبينهم وهو خير الحاكمين وكتبت كتابي هذا من الربذة وانا معجل المسير اليك ان شاء الله وكتب عبيد الله بن ابي رافع في سنة ست وثلثين فلما وصل الكتاب الى عثمن بعث الى ابي الاسود الدؤلي وعمران بن الحصين الخزاعي فدخلا على عائشة فسألاها عما جاء بهم فقالت لهما القيا طلحة والزبير فقاما والقيا الزبير فكلماه فقال جئنا لنطلب بدم عثمن وندعو الناس ان يردوا امر الخلافة شورى ليختار الناس لانفسهم فقالا له ان عثمن لم يقتل بالبصرة لتطلبا دمه فيها وانت تعلم قتلة عثمن واين هم وانك وصاحبك وعائشة كنتم اشد الناس عليه واعظمهم اغراء بدمه فاقيدوا انفسكم واما اعادة امر الخلافة شورى فكيف وقد بايعتم عليا طائعين غير مكرهين وانت يا ابا عبد الله لم يبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول الله صلى الله عليه وآله وانت اخذ قائم سيفك تقول ما احد احق بالخلافة منه وامتنعت من بيعة ابي بكر فاين ذلك الفعل من هذا القول فقال لهما اذهبا الى طلحة فقاما الى طلحة فوجداه خشن الملمس شديد العريكة قوي العزم في اثارة الفتنة فانصرفا الى عثمن بن حنيف فاخبراه بما جرى وقال له ابو الاسود يا ابن حنيف قد اتيت فانفر وطاعن القوم وجالد واصبر وابرز لها مستلئما وشمر فقال ابن حنيف اي والحرمين لافعلن وامر مناديه فنادى في الناس السلاح السلاح فاجتمعوا اليه واقبلوا حتى انتهوا الى المربد فملأوه مشاة وركبانا فقام طلحة فاشار الى الناس بالسكوت ليخطب فسكتوا بعد جهد فقال اما بعد فان عثمن بن عفان كان من اهل السابقة والفضيلة ومن المهاجرين الاولين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ونزل القران ناطقا بفضلهم واحد ائمة المسلمين الوالين عليكم بعد ابي بكر وعمر صاحبي رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كان احدث احداثا نقمناها عليه فاتيناه واستعتبناه فاعتبنا فعدا عليه امرؤ ابتز هذه الامة امرها غصبا بغير رضى ولا مشورة فقتله وساعده على ذلك قوم غير اتقياء ولا ابرار فقتل محرما بريا تائبا وقد جئناكم ايها الناس نطلب بدمه وندعوكم الى الطلب بدمه فان نحن امكننا الله من قتلته قتلناهم به وجعلنا هذا الامر شورى بين المسلمين وكانت خلافته رحمة للامة جميعا فان كل من اخذ الامر من غير رضى من العامة ولا مشورة منها ابتزازا كان ملكه ملكا عضوضا وحدثا كبيرا ثم قام الزبير فتكلم بمثل كلام طلحة فقام اليهما ناس من اهل البصرة فقالوا لهما الم تبايعا عليا فيمن بايعه ففيم بايعتما ثم نكثتما فقالا ما بايعناه وما لاحد في اعناقنا بيعة وانما استكرهنا على بيعته فقال ناس قد صدقا ونطقا بالصواب وقال اخرون ما صدقا ولا اصابا حتى ارتفعت الاصوات فاقبلت عائشة على جملها فنادت بصوت مرتفع ايها الناس اقلوا الكلام واسكتوا فاسكت الناس لها فقالت ان امير المؤمنين عثمان قد كان غير وبدل ثم لم يزل يغسل ذلك بالتوبة حتى قتل مظلوما تائبا وانما نقموا عليه ضربه بالسوط وتأميره الشبان وحمايته موضع الغمامة فقتلوه محرما في حرمة الشهر وحرمة البلد ذبحا كما يذبح الجمل الا وان قريشا رمت غرضها بنبالها وادمت افواهها بايديها وما نالت بقتلها اياه شيئا ولا سلكت به سبيلا قاصدا اما والله ليرونها بلايا عقيمة تنبه النائم وتقيم الجالس وليسلطن عليهم قوم لا يرحمونهم يسومونهم سوء العذاب ايها الناس انه ما بلغ من ذنب عثمن ما يستحل به دمه مصتموه كما يماص الثوب الرحيض ثم عدوتم عليه فقتلتموه بعد توبته وخروجه من ذنبه وبايعتم ابن ابي طالب بغير مشورة من الجماعة ابتزازا وغصبا اتراني اغضب لكم من سوط عثمن ولسانه ولا اغضب لعثمن من سيوفكم الا ان عثمن قتل مظلوما فاطلبوا قتلته فاذا ظفرتم بهم فاقتلوهم ثم اجعلوا الامر شورى بين الرهط الذين اختارهم امير المؤمنين عمر بن الخطاب ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمن قال فماج الناس واختلطوا فمن قائل يقول القول ما قالت ومن قائل يقول وما هي من هذا الامر انما هي امرأة مأمورة بلزوم بيتها وارتفعت الاصوات وكثر اللغط حتى تضاربوا بالنعال وتراموا بالحصا ثم تمايزوا فريقين فريق مع عثمن بن حنيف وفريق مع طلحة والزبير ثم اقبلا من المربد يريدان عثمان بن حنيف فوجدوه واصحابه قد اخذوا بافواه السكك فمضوا حتى انتهوا الى موضع الدباغين فاستقبلهم اصحاب ابن حنيف فشجرهم طلحة والزبير واصحابهما بالرماح فحمل عليهم حكيم بن جبلة فلم يزل هو واصحابه يقاتلونهم حتى اخرجوهم من جميع السكك ورماهم النساء من فوق البيوت بالحجارة فاخذوا الى مقبرة بني مازن فوقفوا بها مليا حتى ثابت اليهم خيلهم ثم اخذوا على مسناة البصرة حتى انتهوا الى الزابوقة ثم اتوا سبخة دار الرزق فنزلوها فاتاهما عبد الله بن حكيم التميمي لما نزلا السبخة بكتب كتباها اليه فقال لطلحة يا ابا محمد اما هذه كتبك الينا فقال بلى فقال فكتبت امس تدعونا الى خلع عثمن وقتله حتى اذا قتلته اتيتنا ثائرا بدمه فلعمري ما هذا رايك لا تريد الا هذه الدنيا مهلا اذا كان هذا رايك فلم قبلت من علي ما عرض عليك من البيعة فبايعته طائعا راضيا ثم نكثت بيعتك ثم جئت لتدخلنا في فتنتك فقال ان عليا دعاني الى بيعته بعدما بايع الناس فعلمت اني لو لم اقبل ما عرضه علي لم يتم لي ثم يغري بي من معه اصبحا من غد فصفا للحرب وخرج اليهما عثمن في اصحابه فناشدهما الله والاسلام واذكرهما بيعتهما عليا فشتماه شتما قبيحا وذكرا امه فقال للزبير اما والله لولا صفية ومكانها من رسول الله صلى الله عليه وآله فانها ادنتك الى الظل وان الامر بيني وبينك يا ابن الصعبة يعني طلحة اعظم من القول لاعلمتكما من امركما ما يسوءكما اللهم اني قد اعذرت الى هذين الرجلين ثم حمل عليهم فاقتتل الناس قتالا شديدا

ثم تحاجزوا واصطلحوا على ان يكتب بينهم كتاب صلح فكتب هذا ما اصطلح عليه عثمن بن حنيف الانصاري ومن معه من المؤمنين من شيعة علي بن ابي طالب ع وطلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين من شيعتهما ان لعثمن بن حنيف الانصاري دار الامارة والرحبة والمسجد وبيت المال والمنبر وان لطلحة والزبير ومن معهما ان ينزلوا حيث شاؤا من البصرة ولا يضار بعضهم بعضا في طريق ولا سوق ولا فرضة ولا مشرعة ولا مرفق حتى يقدم امير المؤمنين علي بن ابي طالب فان احبوا دخلوا فيما دخلت فيه الامة وان احبوا لحق كل قوم بهواهم وما احبوا من قتال او سلم او خروج او اقامة وعلى الفريقين بما كتبوا عهد الله وميثاقه واشد ما اخذه على نبي من انبيائه من عهد وذمة وختم الكتاب ورجع عثمان حتى دخل دار الامارة وامر اصحابه ان يلحقوا باهلهم ويداووا جراحاتهم فمكثوا كذلك اياما ثم خاف طلحة والزبير من مقدم علي وهما على تلك القلة والضعف فراسلوا القبائل يدعونهم الى الطلب بدم عثمن وخلع علي فبايعهم على ذلك الازد وضبة وقيس عيلان كلها الا الرجل والرجلين من القبيلة كرهوا امرهم فتواروا عنهم وبايعهما هلال بن وكيع بمن معه من بني عمرو بن تميم واكثر بني حنظلة وبني دارم فلما استوثق لهما امرهما خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر في اصحابهما وقد البسوهم الدروع وظاهروا فوقها بالثياب فانتهوا الى المسجد وقت صلوة الفجر وقد سبقهم عثمان بن حنيف اليه واقيمت الصلوة فتقدم عثمن ليصلي بهم فاخره اصحاب طلحة والزبير وقدموا الزبير فجاءت الشرط حرس بيت المال فاخروا الزبير وقدموا عثمن فغلبهم اصحاب الزبير فقدموا الزبير واخروا عثمن فلم يزالوا كذلك حتى كادت الشمس تطلع فصاح بهم اهل المسجد الا تتقون الله اصحاب محمد قد طلعت الشمس فغلب الزبير فصلى بالناس فلما انصرف من صلوته صاح باصحابه المتسلحين ان خذوا عثمن فاخذوه بعد ان تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفيهما فلما اسر ضرب ضرب الموت ونتفت حاجباه واشفار عينيه وكل شعرة في رأسه ووجهه واخذوا السيابجة وهم سبعون رجلا فانطلقوا بهم وبعثمان بن حنيف الى عائشة فاشارت الى احد اولاد عثمان ان اضرب عنقه فان الانصار قتلت اباك واعانت على قتله فنادى عثمن يا عائشة ويا طلحة ويا زبير ان اخي سهل بن حنيف خليفة علي بن ابي طالب على المدينة واقسم بالله ان قتلتموني ليضعن السيف في بني ابيكم واهليكم ورهطكم فلا يبقي منكم احدا فكفوا عنه وخافوا من قوله فتركوه وارسلت عائشة الى الزبير ان اقتل السيابجة فانه قد بلغني الذي صنعوا بك قيل فذبحهم والله كما يذبح الغنم وولي ذلك عبد الله ابنه وهم سبعون رجلا وبقيت منهم بقية متمسكون ببيت المال قالوا لا نسلمه حتى يقدم امير المؤمنين فسار اليهم الزبير في جيش ليلا واوقع بهم واخذ منهم خمسين اسيرا فقتلهم صبرا فحكي ان القتلى من السيابجة يومئذ اربع مائة رجل وكان غدر طلحة والزبير بعثمن بن حنيف بعد عقدهم في بيعة علي غدرا في عهده وكانت السيابجة اول قوم ضربت اعناقهم من المسلمين صبرا وخيروا عثمن بن حنيف بين ان يقيم او يلحق بعلي فاختار الرحيل فخلوا سبيله فلحق بعلي ع فلما راه بكى وقال له شيخ وجئتك امرد فقال علي ع انا لله وانا اليه راجعون قالها ثلثا فذلك معنى قوله فقدموا على عاملي بها وخزان بيت مال المسلمين الى اخره ثم اقسم انهم لو لم يصيبوا من المسلمين الا رجلا واحدا معتمدين لقتله بغير جرم جناه لحل له قتل ذلك الجيش كله دع ما زاد فان قلت المفهوم من هذا الكلام تعليل جواز قتله لذلك الجيش كله بعدم انكارهم للمنكر فهل يجوز قتل من لم ينكر المنكر قلت اجاب الشارح عبد الحميد بن ابي الحديد عنه فقال انه يجوز قتلهم لانهم اعتقدوا ان ذلك القتل مباح مع انه مما حرمه الله فجرى ذلك مجرى اعتقادهم اباحة الزنا وشرب الخمر واجاب القطب الراوندي بان جواز قتلهم لدخولهم في عموم قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا الاية وان هؤلاء القوم قد حاربوا رسول الله لقوله ص حربك يا علي حربي وسعوا في الارض بالفساد واعترض المجيب الاول عليه فقال الاشكال انما هو في تعليله لقتل الجيش المذكور بكونهم لم ينكروا على من قتل رجلا واحدا من المسلمين فالتعليل بعدم انكار المنكر لا بعموم الاية واقول الجواب الثاني اسد والاول ضعيف لان القتل وان وجب على من اعتقد اباحة ما علم تحريمه من الدين ضرورة كشرب الخمر والزنا فلم قلتم انه يجب على من اعتقد اباحة ما علم تحريمه من الدين بالتأويل كقتل هؤلاء القوم لمن قتلوا وخروجهم لما خرجوا له فان جميع ما فعلوه كان بتأويل لهم وان كان معلوم الفساد فظهر الفرق بين اعتقاد حل الخمر والزنا وبين اعتقاد هؤلاء لاباحة ما فعلوه واما الاعتراض على الجواب الثاني فضعيف ايضا لان له ان يقول ان قتل المسلم الذي لا ذنب له عمدا اذا صدر من بعض الجيش ولم ينكر الباقون مع تمكنهم وحضورهم وكان ذلك قرينة دالة على الرضا من جميعهم والراضي بالقتل شريك القاتل خصوصا اذا كان معروفا بصحبته والاتحاد به كاتحاد بعض الجيش ببعض فكان خروج ذلك الجيش على الامام العادل محاربة لله ورسوله وقتلهم لعامله وخزان بيت مال المسلمين ونهبهم له وتفريق كلمة اهل المصر وفساد نظامهم سعيا في الارض بالفساد وذلك عين مقتضى الاية وقوله دع الى اخره اي لو كان من قتلوه من المسلمين واحدا لحل لي قتلهم فكيف وقد قتلوا منهم عدة مثل عدتهم التي دخلوا بها البصرة وما بعد دع زائدة وما المماثلة هنا في الكثرة وصدق ع فانهم قتلوا من اوليائه وخزان بيت المال بالبصرة خلقا كثيرا كما ذكرناه على الوجه الذي ذكره بعض غدرا وبعض صبرا وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام

امين وحيه وخاتم رسله وبشير رحمته ونذير نقمته ايها الناس

ان احق الناس بهذا الامر اقواهم عليه واعلمهم بامر الله فيه فان شغب شاغب استعتب وان ابى قوتل ولعمري لئن كانت الامامة لا تنعقد حتى يحضرها عامة الناس ما الى ذلك سبيل ولكن اهلها يحكمون على من غاب عنها ثم ليس للشاهد ان يرجع ولا للغائب ان يختار الا واني اقاتل رجلين رجلا ادعى ما ليس له وآخر منع الذي عليه اوصيكم بتقوى الله فانها خير ما تواصى العباد به وخير عواقب الامور عند الله (عباد الله) ولقد فتح باب الحرب بينكم وبين اهل القبلة ولا يحمل هذا العلم الا اهل البصر والصبر والعلم بمواضع الحق فامضوا لما تؤمرون به وقفوا عند ما تنهون عنه ولا تعجلوا في امر حتى تتبينوا فان لنا مع كل امر تنكرونه غيرا الا وان هذه الدنيا التي اصبحتم تتمنونها وترغبون فيها واصبحت تغضبكم وترضيكم ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له ولا الذي دعيتم اليه الا وانها ليست بباقية لكم ولا تبقون عليها وان غرتكم منها فقد حذرتكم شرها فدعوا غرورها لتحذيرها واطماعها لتخويفها وسابقوا فيها الى الدار التي دعيتم اليها وانصرفوا بقلوبكم عنها ولا يخنن احدكم خنين الامة على ما زوي عنه منها واستتموا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه الا وانه لا يضركم تضييع شيء من دنياكم بعد حفظكم قائمة دينكم الا وانه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شيء حافظتم عليه من امر دنياكم اخذ الله بقلوبنا وقلوبكم الى الحق والهمنا واياكم الصبر **اقول** صدر هذا الفصل من مادح الرسول ص فشهادته كونه امينا على التنزيل من التحريف والتبديل لعصمته وشهادته خاتما للرسل لقوله تعالى وخاتم النبيين وكونه بشيرا برحمة الثواب الجزيل ونذيرا بنقمة العذاب الوبيل ولقوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ثم اردفه ببيان احكام الاول بيان الذي هو احق بامر الخلافة وحصر الاحق بها في من جمع امرين (الناس) اقوى الناس عليه وهو الاكمل قدرة على السياسة والاكمل علما بمواقعها وكيفياتها وكيفية تدبير المدن والحروب وذلك يستلزم كونه اشجع الناس والثاني اعلمهم بامر الله فيه ومنهم الاعمل باوامر الله يستلزم الاعلم باصول الدين وفروعه ليضع الاعمال مواضعها ويستلزم اشد حفاظا على مراعاة حدود الله والعمل بها وذلك يستلزم كونه ازهد الناس واعفهم واعدلهم ولما كانت هذه الفضائل مجتمعة فيه ع كان اشارة الى نفسه ونوع تعريض بغيره (اعلمهم) الثاني في بيان حكم الشاغب للامام بعد انعقاد بيعته وهو انه يستعتب اي يطلب منه العتبى اولا شاغبه بطلبه العتبى والرجوع الى الحق والطاعة بلين القول فان ابى قوتل وذلك الحكم مقتضى قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الاية الثالث بيان كيفية انعقاد الامامة بالاجماع فبين بقوله ولعمري الى قوله ما الى ذلك سبيل ان الاجماع لا يعتبر فيه حصول جميع الناس حتى العوام اذ لو كان ذلك شرطا لادى الى ان لا ينعقد اجماع قط فلم يصح امامة احد ابدا لتعذر اجتماع المسلمين باسرهم من اطراف الارض بل المعتبر في الاجماع اتفاق اهل الحل والعقد من امة محمد ص على بعض الامور وهم العلماء وقد كانوا باسرهم مجتمعين حين بيعته ع قلت احتجاجه بالاجماع لا يتعرض لنفي النص ولا لاثباته بل يجوز ان يكون النص موجودا وانما احتج عليهم بالاجماع لانه اتجه على القوم بالاجماع على بيعته ولو كان له مستند آخر من نص او غيره لكان احتجاجه بالنص اولى فلم يعدل الى دعوى الاجماع ولما احد منهم بعد انعقادها ان يرجع ولا لمن عداهم من العوام ومن غاب عنها ان يختار غير من اجمع هؤلاء عليه فان قلت انه ع لا يقاتلهم على العمل به فمن سوى من الائمة ولانه يحتمل ان يكون سكوته عنه لعلمه بانه لا يلتفت الى كونه على تقدير دعوته لانه لما لم يلتفت اليه في مثل الامر حين موت الرسول ص فبالاولى ان لا يلتفت اليه الان وقد طالت المدة وبعد العهد فلم تكن في ذكره فائدة الرابع بيان من يجب قتاله وهو احد رجلين الاول رجل خرج على الامام العادل بعد تمام بيعته وادعى ان الامامة حق له وقد ثبتت بالاجماع على غيره وانها ليست له والثاني رجل خرج عن الامام ولم يمتثل له في شيء من الاحكام والاول اشارة الى اصحاب الجمل والثاني الى معوية واصحابه ثم عقب بالوصية بتقوى الله فانها خير زاد عند الله لمعتقبه لان الله من حركاته وسكناته ولما كان كذلك كان خير ما تواصى به عباد الله وقوله وقد فتح باب الحرب بينكم وبين اهل القبلة الى قوله غيرا اعلام لاصحابه بحكم البغاة من اهل القبلة على سبيل الاجمال والحال لا تفصيل على اوامره حال الحرب وقد كان الناس قبل حرب الجمل لا يعرفون كيفية قتال اهل القبلة ولا كيف السنة فيهم الى ان علموا ذلك منه ع ونقل عن الشافعي انه قال لولا علي ما عرف شيء من احكام اهل البغي وقوله ولا يحمل هذا العلم الا اهل النظر اي اهل الابصار والعقول الراجحة والصبر على المكاره وعن التسرع الى الوساوس والعلم بمواضع الحق وذلك ان المسلمين عظم عندهم حرب اهل القبلة واكبروه والمقدمون منهم على ذلك انما اقدموا على خوف وحذر فاشار ان هذا العلم لا يدركه كل احد بل من ذكره وروي العلم بفتح اللام وذلك ظ فان حامل العلم عليه مدار الحرب وقلوب العسكر منوطة به فيجب ان يكون بالشرائط المذكورة ليضع الاشياء مواضعها ثم امرهم بقواعد كلية عند عزمه على المسير للحرب وهي ان يمضوا فيما يؤمرون به ويقفوا عندما ينهون عنه ولا يعجلوا في امر الى غاية ان يتبينوا اي لا يتسرعوا الى انكار امر يفعله او يامرهم به حتى يسألوه عن فائدته وبيانه كان له عند كل امر ينكرونه تغييرا اي قوة على التغيير ان لم يكن في ذلك الامر مصلحة بتغيير الامر وغاية امرهم بالتثبت عند استنكار امر انه يحتمل ان لا يكون ما استنكروه منكرا في نفس الامر فيكونون بكونه منكرا لعدم علمهم بوجهه فيتسرعون الى انكاره بلسان او بيد فيقعون في الخطأ قال بعض الشارحين وفي قوله فان لنا عند كل امر تنكرونه تغييرا ايماء الى انه ليس كعثمان في صبره على ارتكاب الناس لما كان ينهاهم عنه بل يغير كل ما ينكره المسلمون ويقتضي العرف والشرع تغييره ثم اخذ في التنفير عن الدنيا بامور الاول التنفير عن تمنيها والرغبة فيها وعن الغضب لفوتها

والرضى

والرضى بحصولها لكونها ليست الدار والمنزل الذي خلقوا له ودعوا اليه واستلزم ذلك التنفير التنبيه على ما وراءها والعمل له الثاني تنفر عنها بفنائها عنهم وفنائهم عنها الثالث بانه لا فائدة فيها فانها وان كانت تغر وتخادع بما فيها مما يعتقد خيرا وكمالا فان فيها ما يقابل ذلك وهو التحذير بما فيها من الآفات والتغيرات المتعددة شرها فينبغي ان يتركوا غرورها القليل لشرها الكثير واطماعها لتخويفها ولا يسبقوا الى الخير الخالص والدار التي دعوا اليها وخلقوا لاجلها وينصرفوا بقلوبهم عنها اي يزهدوا الزهد الحقيقي فيها فان الزهد الظاهري مع الحنين الى ما زوي منها عن احدكم غير منتفع ونفى بحنين الامة لان الحنين اكثر ما يسمع من الامة لان العادة ان تضرب فتؤذى فيكثر حنينها وروي خنين بالخاء المعجمة والخنين كالبكاء في الانف وامر بالزهد الحقيقي امر بالصبر على طاعة الله وعبادته والمحافظة على اوامر كتابه ونواهيه وبالزهد يكون حذف الموانع الداخلة والخارجة وبالطاعة والعبادة يكون تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة وهما جزءا الرياضة والسلوك لسبيل الله ورغب في الصبر على طاعة الله بان فيه استتماما لنعمة الله وظاهر ان نعم الله سبحانه عظيمة لافاضته نعمة الدنيا ونعم الآخرة ثم اكد الامر بالمحافظة على ما قام من الدين بانه لا مضرة في ترك شيء من الدنيا بتضييعها مع المحافظة على الدين لما في المحافظة على الدين من الخير الدائم التام الاخروي الذي لا نسبة لخير الدنيا اليه وبانه لا منفعة في المحافظة على ما فيها اي في الدنيا مع تضييع الدين واهماله وذلك امر مفروغ عنه ومستغنى عن بيانه ثم ختم بالدعاء لهم ولنفسه باخذ الله بقلوبهم الى الحق اي الهامهم لطلبه وهدايتهم اليه وجذبهم الى سلوك سبيله ثم الهامهم على طاعته وعن معصيته وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام (الصبر ص)

في معنى طلحة بن عبيد الله قد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب وانا على ما قد وعدني ربي من النصر والله ما استعجل متجردا للطلب بدم عثمان الا خوفا من ان يطالب بدمه لانه مظنته ولم يكن في القوم احرص عليه منه فاراد ان يغالط بما اجلب فيه ليلتبس الامر ويقع الشك ووالله ما صنع في امر عثمان واحدة من ثلاث لئن كان ابن عفان ظالما كما كان يزعم لقد كان ينبغي له ان يوازر قاتليه وان ينابذ ناصريه ولئن كان مظلوما لقد كان ينبغي له ان يكون من المنهنهين عنه والمعذرين فيه ولئن كان في شك من الخصلتين لقد كان ينبغي له ان يعتزله ويركد جانبا ويدع الناس معه فما فعل واحدة من الثلاث وجاء بامر لم يعرف بابه ولم تسلم معاذيره **اقول** هذا الفصل من كلام قاله حين بلغه خروج طلحة والزبير الى البصرة وتهديدهم له بالحرب والمنهنه عنه الكاف وزاجر والمعذرين بالتخفيف المعتذرين عنه وبالتشديد المظهرين للعذر مع انه لا عذر وركد سكن فقوله قد كنت الى قوله النصر جواب لتهديدهم وقد قرئت هذه الالفاظ بعينها مشروحة الآن هنالك واني على يقين من ربي وهنا وانا على ما وعدني ربي من النصر وذلك الذي هو عليه هو اليقين بالنصر على لسان الرسول ص والواو في قوله وما اهدد للحال وكان تامة وقوله والله ما استعجل الى قوله ويقع الشك اشارة الى شبهتهم في الخروج الى البصرة وهي الطلب بدم عثمان ثم الى معارضة هذه الشبهة وهي ان خروجه ليس الا خوفا من ان يطالب بدمه لانه مظنة ذلك وقد كانت منه الاشارة الى دخول طلحة في تحريض الناس على قتل عثمان وجمعهم في داره وروي انه منع الناس من دفنه ثلثة ايام وان حكيم بن حزام وجبير بن مطعم استنجدا بعلي ع في دفنه فاقعد لهم طلحة في الطريق اناسا يرمونهم بالحجارة فخرج به نفر من اهله يريدون به حائطا بالمدينة يعرف بحش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم فلما صار هناك رجم سريره وهموا بطرحه فارسل اليهم علي ع يكفهم عنه حتى دفن بحش كوكب وروي انه جادل في دفنه بمقابر المسلمين وقال ينبغي ان يدفن بدير سلع يعني مقابر اليهود وبالجملة فهو كما قال عليه السلام لم يكن في القوم احرص منه على قتله لكنه اراد ان يغالط بما اجلب فيه الطلب بدمه ليلتبس الامر ويقع الشك في دخوله في قتله وقوله والله ما صنع في امر عثمان الى آخره صورة احتجاج عليه وقطع لعذره في الخروج والطلب بدمه بقياس شرطي منفصل وتقريره ان حاله في امر عثمان وخروجه في طلب دمه لا يخلو من امور ثلثة فانه اما ان يعلم انه كان ظالما او يعلم انه كان مظلوما او يشك في الامرين ويتوقف فيهما فان كان الاول فقد كان الواجب عليه ان يساعد قاتليه ويوازرهم وينابذ ناصريه لوجوب انكار المنكر عليه وهو قد عكس الحال لانه نابذ قاتليه وثار في طلب دمه مع ناصريه ممن توهم فيه ذلك وان كان الثاني فقد كان يجب عليه ان يكون ممن يكف الناس عنه ويعتذر عنه فيما فعل لوجوب انكار المنكر ايضا مع انه ممن وازر عليه الناس واظهر احداثه وعظمها كما هو المنقول المشهور عنه وان كان الثالث فقد كان الواجب عليه ان يعتزله ويسكن عن الخوض في امره ولم يفعل ذلك بل ثار في طلب دمه فكان في هذه الاحوال الثلثة مخطئا في خروجه ونكثه للبيعة فاذن انما خرج من ذلك لامر لا يعرف بابه اي وجهه وحقه ولم يسلم له فيه عذر وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام

ايها الغافلون غير المغفول عنهم والتاركون والمأخوذ منهم ما لي اراكم عن الله ذاهبين والى غيره راغبين كانكم نعم اراح بها سائم الى مرعى وبي ومشرب دوي انما هي كالمعلوفة للمدى لا تعرف ماذا يراد بها اذا احسن اليها تحسب يومها دهرها وشبعها امرها والله لو شئت ان اخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شانه لفعلت ولكن اخاف ان تكفروا في برسول الله ص الا واني مفضيه الى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه والذي بعثه بالحق واصطفاه على الخلق ما انطق الا صادقا ولقد عهد الي بذلك كله (بذلك ن) وبمهلك من يهلك ومنجى من ينجو ومآل هذا الامر وما ابقى شيئا يمر على راسي الا افرغه في اذني وافضى به الي ايها الناس اني والله ما احثكم على

طاعة الا واستيقكم اليها ولا نهاكم عن معصية الا وانما هي قبلكم عنها **اقول** الشائم الراعي والوبي محل الوباء والدوي محل الداء
والمدي جمع مدية وهي السكين والخطاب عام وكونهم غافلين اي عما يراد بهم من امر الاخرة وغير معقول عنهم اي ان اعمالهم محصلة في
اللوح المحفوظ وتاركين اي لما امروا من الطاعة والماخوذ منهم اي ما ينقص من اعمارهم وفنيا نهم الذي يتوبهم من مال واهل ثم شبههم على
ذهابهم عن الله وهو انهم عن طاعته ورغبتهم في غيره وهو الحيوة الدنيا وزينتها ثم شبههم في ذلك بالنعم التي اراح بها
راعيها الى مرعى كثير الوباء والداء ووجه الشبه انهم لغفلتهم كالنعم ونفوسهم الامارة بالسوء القائدة لهم الى المعاصي كالراعي القائد
الى المرعى الوبي ولذات الدنيا ومشتبهاتها وكون تلك اللذات والمشتهيات محل الاثام التي هي مظنة الهلاك الاخروي والداء
المعدي تشبه المرعى الوبي والمشرب الدوي وقوله وانما هي كالمعلوفة تشبيه اخر لهم بمعلوفة النعم ووجه الشبه كونهم ملذات الدنيا
من المطاعم والمشارب كالنعم المعتني بعلفها وكون ذلك لتلذذ غاية الموت تشبه غاية المعلوفة وهي الذبح وكونهم غافلين
من غاية الموت وما يراد بهم تشبه غفلة النعم عن غايتها من الذبح وكونهم يظنون ان الاكتساب الاحسان اليهم ببسط اللذات لديهم
في بعض الاوقات دائم في جميع اوقاتهم وان شبعهم في هذه الحيوة ودينهم هو غاياتهم التي خلقوا لاجلها وتمام امرهم يشبه غفلة النعم في
حال حضور علفها في بعض الاوقات عما بعده من الاوقات وتوهمها ان تلك غايتها التي خلقت لاجلها ووجه هذا الشبه مركب من
هذه الوجوه ثم نبه انه لو شاء لاخبر كل رجل منهم بمواضع تصرفاته ومكانه وجميع احواله وهو كقول المسيح ع وانبئكم بما تاكلون وما
تدخرون في بيوتكم وقد علمت امكان ذلك العلم وسببه في حق الانبياء والاولياء في مقدمة الكتاب وقوله ولكن اخاف ان تكفروا
في برسول الله ص اي اخاف ان تغلوا في امري وتفضلوني على رسول الله بل كان يخاف ان يكفروا فيه بالله كما ادعت النصارى في المسيح
حيث اخبرهم بالامور الغائبة ثم قال الا واني مفضيه الى الخاصة اي اهل العلم والثبات من اصحابه ممن ذلك يؤمن الكفر منه وهكذا
شان العلماء واساطين الحكمة وراهم ان لا يضعوا العلم الا في اهله هذا مع ان من الناس من يدعي فيه النبوة وانه شريك محمد في الرسالة
ومنهم من ادعى انه الله وهو الذي ارسل محمدا الى غيره ذلك من الضلال وفيه يقول بعض شعرائهم ومن اهلك عادا وثمودا بدواهيه
ومن كلم موسى فوق طور اذ يناديه ومن قال على المنبر يوما وهو راقيه سلوني ايها الناس فحاروا في معانيه وقول الاخر
انما خالق الخلائق من زعزع اركان خيبر جذبا قد رضينا به اماما ومولى وسجدنا له الها وربا ثم اقسم انه ما نطق الا صادقا
فيما يخبر به من هذه الامور واخبرات الرسول ص عهد اليه بذلك وبمهلك من يهلك الى قوله وافضى به الي اي القاه الي واعلمني
به وذلك التعليم منه ما يكون على وجه جزئي اعني ان يخبره بواقعة واقعة ومنه ما يكون على وجه كلي اي يلقي اليه اصولا كلية يعد ذهنه
بها لاستفاضة الصور الجزئية من واهب الصور كما سبق تقريره ومما نقل عنه من ذلك في بعض خطبه التي يشير فيها الى الملاحم يومي به الى
القرامطة ينتحلون لنا الحب والهوى ويضمرون لنا البغض والقلي وايه ذلك قتلهم وراثنا وهجرهم احداثنا وصح ما اخبر عنه لان
القرامطة قتلت من ال ابي طالب خلقا كثيرا واسماؤهم مذكورة في كتاب مقاتل الطالبيين لابي الفرج الاصبهاني قال بعض الشارحين
ومن هذه الخطبة وهو يشير الى الشارة التي كانت يشد اليها في مسجد الكوفة كاني بالحجر الاسود منصوبا ههنا ويحهم ان فضيلته ليست في
نفسه بل في موضعه واسه يمكث ههنا مدة ثم ههنا مدة واشار الى مواضع ثم يعود الى مأواه ويأم مثواه ووقع من القرامطة في الحجر الاسود
بموجب ما اخبر به ع واقول في هذا النقل نظر لان المشهور ان القرامطة نقلوا الحجر الاسود الى ارض البحرين ونبوا له موضعا وضعوه فيه يسمى
الى الان بالكعبة وبقي هناك مدة ثم اعيد الى مكة وروي انه مات في المجيء به خمسة وعشرون بعيرا وعاد به الى مكة بعير ليس بالقوي ع
ذلك من اسرار دين الله تعم ولم ينقل انهم نقلوه من ههنا والله اعلم **ومن خطبة له عليه السلم** انتفعوا ببيان الله واتعظوا بمواعظ الله
واقبلوا نصيحة الله فان الله تعالى قد اعذر اليكم بالجلية وتخذ عليكم الحجة وبين لكم محابه من الاعمال ومكارهه منها لتتبعوا هذه
وتجتنبوا هذه فان رسول الله ص كان يقول ان الجنة حفت بالمكاره وان النار حفت بالشهوات واعلموا انه ما من طاعة الله شيء الا ياتي
في كره وما من معصية الله شيء الا ياتي في شهوة فرحم الله رجلا نزع عن شهوته وقمع هوى نفسه فان هذه النفس ابعد شيء منزعا وانها
لا تزال تنزع الى معصية في هوى واعلموا عباد الله ان المؤمن لا يصبح ولا يمسي الا ونفسه ظنون عنده فلا يزال زاريا عليها ومستزيدا لها
فكونوا كالسابقين قبلكم والماضين امامكم قوضوا من الدنيا تقويض الراحل وطووها طي المنازل واعلموا ان هذا القران هو الناصح
الذي لا يغش والهادي الذي لا يضل والمحدث الذي لا يكذب وما جالس هذا القران احد الا قام عنه بزيادة او نقصان زيادة في هدى
ونقصان من عمى واعلموا انه ليس على احد بعد القران من فاقة ولا لاحد قبل القران من غنى فاستشفوه من ادوائكم واستعينوا به على
لاوائكم فان فيه شفاء من اكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغي والضلال فاسئلوا الله به وتوجهوا اليه بحبه ولا تسئلوا به خلقه انه
ما توجه العباد الى الله بمثله واعلموا انه شافع مشفع وقائل مصدق وانه من شفع له القران يوم القيمة شفع فيه ومن محل به القران يوم القيمة
صدق عليه فانه ينادي مناد يوم القيمة الا ان كل حارث مبتلى بحرثه وعاقبة عمله غير حرثة القران فكونوا من حرثته واتباعه واستدلوه

٢٠٣

على ربكم واستنصحوه على انفسكم واتهموا عليه اراءكم واستغشوا فيه اهواءكم العمل العمل ثم النهاية النهاية والاستقامة الاستقامة ثم الصبر الصبر والورع
الورع ان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم وان لكم علما فاهتدوا بعلمكم وان للاسلام غاية فانتهوا الى غايته واخرجوا الى الله فيما افترض عليكم
من حقه وبين لكم من وظائفه انا شاهد لكم وحجيج يوم القيمة عنكم الا وان القدر السابق قد وقع والقضاء الماضي قد تورد واني متكلم بعدة
الله وحجته قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقد
قلتم ربنا الله فاستقيموا على كتابه وعلى منهاج امره وعلى الطريقة الصالحة من عبادته ثم لا تمرقوا منها ولا تبتدعوا فيها ولا تخالفوا عنها فان
اهل المروق منقطع بهم عند الله يوم القيمة ثم اياكم وتهزيع الاخلاق وتصريفها واجعلوا اللسان واحدا وليخزن الرجل لسانه فان هذا
اللسان جموح بصاحبه والله ما ارى عبدا يتقي تقوى تنفعه حتى يخزن لسانه فان لسان المؤمن من وراء قلبه وان قلب المنافق من وراء
لسانه لان المؤمن اذا اراد ان يتكلم بكلام تدبره في نفسه فان كان خيرا ابداه وان كان شرا واراه وان المنافق يتكلم بما اتى على لسانه لا يدري ماذا له
ماذا عليه وقد قال رسول الله ص لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه فمن استطاع ان يلقى الله سبحانه
وهو نقي الراحة من دماء المسلمين واموالهم سليم اللسان من اعراضهم فليفعل واعلموا عباد الله ان المؤمن يستحل العام ما استحل عاما اول
ويحرم العام ما حرم عاما اول وان ما احدث الناس لا يحل لكم شيئا مما حرم عليكم ولكن الحلال ما احل الله والحرام ما حرم الله فقد جربتم الامور
وضرستموها ووعظتم بمن كان قبلكم وضربت الامثال لكم ودعيتم الى الامر الواضح فلا يصم عن ذلك الا اصم ولا يعمى عنه الا اعمى ومن لم
ينفعه الله بالبلاء والتجارب لم ينتفع بشيء من العظة واتاه التقصير من امامه حتى يعرف ما انكر وينكر ما عرف وانما الناس رجلان متبع
شرعة ومبتدع بدعة ليس معه من الله سبحانه برهان سنة ولا ضياء حجة فان الله سبحانه لم يعظ احدا بمثل هذا القران فانه حبل الله المتين
وسببه الامين وفيه ربيع القلب وينابيع العلوم وما للقلب جلاء غيره مع انه قد ذهب المتذكرون وبقي الناسون والمتناسون فاذا
رايتم خيرا فاعينوا عليه واذا رايتم شرا فاذهبوا عنه فان رسول الله ص كان يقول يا ابن ادم اعمل الخير ودع الشر فاذا انت جواد قاصد الا وان
الظلم ثلثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم مغفور لا يطلب فاما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله قال الله سبحانه ان الله لا يغفر ان يشرك
به واما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات واما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص هناك شديد
ليس هو جرحا بالمدى ولا ضربا بالسياط ولكنه ما يستصغر ذلك معه واياكم والتلون في دين الله فان جماعة فيما تكرهون من الحق خير من فرقة فيما
تحبون من الباطل وان الله سبحانه لم يعط احدا بفرقة خيرا ممن مضى ولا ممن بقي يا ايها الناس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وطوبى
لمن لزم بيته واكل قوته واشتغل بطاعة ربه وبكى على خطيئته فكان من نفسه في شغل والناس منه في راحة **اقول** الظنون المتهم و
الزاري العائب وتقويض البناء نقضه واللاواء الشدة ومحل به السلطان كاده وقال فيه ما يضره وتورد الخيل البلد دخلها قطعة
قطعة وتهزيع الاخلاق تكسيرها وتصريفها وضرستنا الامور حكمته وجربته قد امر السامعين ان ينتفعوا ببيان الله في كتابه وعلى لسان رسوله و
بمواعظه ويقبلوا نصيحته فيما لاجله خلقوا واتى عن باسم الله صريحا دون الضمير للتعظيم ثم اشار الى وجه وجوب الامتثال عليهم وهو اعذاره
اليهم بالجلية اي اظهار ما هو عذر له مثل من الايات والنذر الجلية الواضحة واتخاذ الحجة ببعث الرسل وبيان محابه من الاعمال الصالحة
ومكارهه من المحرمات في كتابه العزيز لغاية اتباع محابه واجتناب مكارهه ثم نبه على ما في الطاعة وامتثال التكليف من الشدة والكروه نبه
الخبر ونعم ما تضمن الخبر وانه لم ينبه على الشدة مجردة بل قرنها بذكر الجنة وجعلها محجوبة بها ليحصل الرغبة في الجنة فيتم السعي في قطع تلك الحجب المكروهة
وكذلك قرن ذكر الشهوات بذكر كونها محفوفة بها النار تنفيرا عنها ثم بعد تسهيل المكاره التي تشتمل عليها الطاعات بذكر الجنة وتحقير الشهوات
التي يرها الجذب عنها بذكر النار صرح بانه لا تاتي طاعة الا في ذكره ولا معصية الا في شهوة وقد عرفت سر ذلك وان النفس للقوة الشهوية اطوع
منها للعقل خصوصا فيما هو اقرب اليها من اللذات الحسية التي يلحقها العقاب عليها ثم عقب ذلك بدعاء الله ان يرحم امرءا نزع من شهوته اي امتنع
من الانهماك فيها وقمع نفسه الامارة بالسوء فانها ابعد شيء منزعا عن الله ثم فسر منزعها الذي تنزع اليه وهي المعصية في هواها وما يميل اليه ثم نبه
على حال المؤمن الحق وتهمته نفسه في جميع اوقاته من صباح ومساء وانه لا يزال عاتبا عليها ومراقبا لاحوالها ومؤاخذا لها بالزيادة في الاعمال
الصالحة وقد سبقت الاشارة الى ذلك ثم امرهم ان يكونوا كالسابقين من اكابر الصحابة والماضين امامهم الى الجنة في الاعراض عن الدنيا واستعار
لفظ التقويض والطي لقطعهم علائق الدنيا ورحيلهم الى الاخرة كما يقوض الراحل متاعه للسفر ويطوي خباء للرحيل ثم عقب بذكر القران و
ما هو ترغيبا في الاقتداء به واستعار وصف الناصح له ووجه الاستعارة ان القران يرشد الى وجوه المصالح كما ان الناصح كذلك ورشح بكونه لا
غش معه وكذلك كونه هاديا لا يضل اي طريق الله وتربي لا يضل اي لا يضل غيره وكذلك استعار وصف المحدث له ورشح بكونه لا يكذب ووجه
الاستعارة اشتماله على الاخبار والقصص الصحيحة ومنه واستفادة منه كالحديث الصادق وكنى بمجالسة القران عن تجالسة حاكيه وقرائه لاستماع
منهم وتدبره عنهم فان فيه من الايات الباهرة والنواهي الزاجرة ما يزيد بصيرة المستبصر من الهدى وينقص من عمى عمى الجهل ثم نبههم على انه
لا باس بعده على احد فقر اي ليس بعد نزوله للناس وبيانه الواضح حاجة بالناس الى بيان حكم في اصلاح معاشهم ومعادهم ولا لاحد قبله من غنى

في فضل القرآن وفضل حامليه

اى قبل نزوله لا غنى عنه للنفوس الجاهلة واذ كان بهذه الصفة امرهم باخذ الشفاء عنه لادوائهم اى ادواء الجهل وان يستعينوا به على شدائدهم فرقم
الحال ان يستلحوا منه وجوه المصالح الدنيوية والاخروية ثم عدّ اكبر ادواء الجهل واعاد ذكر كونه شفاء منها اولها الكفر بالله وهو عمى القوة النظرية
من قوى النفس عن معرفة صانعها ومبدعها الى غاية انكاره او اتخاذ ثان له او الحكم عليه بصفات المخلوقين المحدثين والثاني النفاق وهو رذيلة
رذيلة الكذب المقابلة لفضيلة الصدق ثم رذيلة الغدر المقابلة لفضيلة الوفاء وقد سبق بيان حال النفس فى ما بين الرذيلتين الثالث الغى
وهو رذيلة التفريط من فضيلة الحكمة الرابع الضلال وهو الانحراف عن فضيلة العدل والى كونه شفاء الاشارة بقوله ان القلوب تصدأ
كما يصدأ الحديد قيل يا رسول الله فما جلاؤها قال قراءة القرآن وذكر الموت وقد علم اشتماله على ذكر الموت فى مواضع كثيرة ثم امرهم ان يسئلوا
به والمراد انكم اعدوا انفسكم وكلوها الاستنزال المطالب من الله بما اشتمل عليه القرآن من الكمالات النفسانية وتوجهوا اليه بحبه لا من جهته
استكمل بما فيه تحسن توجهه الى الله وقوله ولا تسئلوا به خلقه اى لا تجعلوا تعلمكم له لطلب الرزق به من خلق مثلكم فانه لم ينزل لذلك
وقوله فانه ما توجه العباد الى الله بمثله وذلك لاشتماله على جميع الكمالات النفسانية من العلوم ومكارم الاخلاق والنهى عن جميع الرذائل
الموبقة ثم استعار لفظى الشافع والمشفع ووجه الاستعارة كون تدبره والعمل بما فيه ماحيا لما يعرض للنفس من الهيئات الرديئة من المعاصى و
ذلك مستلزم لمحو غضب الله كما يمحو الشفيع المشفع اثر الذنب عن قلب المشفوع اليه وذلك سر الخبر المرفوع ما من شفيع من ملك ولا نبى ولا
غيرهما افضل من القرآن وكذلك لفظ القائل المصدق ووجه الاستعارة كونه ذا الفاظ اذا نطق بها لا يمكن تكذيبها كالقائل الصادق ثم
اعاد معنى كونه شافعا مشفعا يوم القيمة ثم استعار لفظ المحل للقرآن ووجه الاستعارة ان لسان حال القرآن شاهد فى علم الله وحضرة ربوبيته على
من اعرض عنه بعد اتباعه وقوله ومخالفته لما اشتمل عليه وتلك شهادة لا يجوز عليها الكذب فيجب ان يصدق فاشبه الساعى الى السلطان
فى حق غيره بما يضره فانه لا ينادى مناد يوم القيمة الى حرثه فالمنادى هو لسان حال الاعمال والحرث كل عمل تطلب به غاية وتستخرج منه ثمرة
والابتلاء هيهنا ما يلحق النفس على الاعمال وعواقبها من العذاب بعد الخروج بها عن طاعة الله وظاهر ان حرث القرآن والبحث عن مقاصده
لغاية الاستكمال به برئ من لواحق العقوبات ثم حثهم على ان يكونوا من حرثته واتباعه وان يستدلوه اى يتخذوه دليلا قائدا الى ربهم
وان يستنصحوه على انفسهم اى يتخذوه ناصحا على نفوسهم الامارة بالسوء لكونها هى الغاشة لهم بقودها الى معصية الله وكون القرآن زاجرا
لهم عما تأمرهم به تلك النفوس فيجب ان تقبل نصيحته عليها وكذلك نبهوا عليه ان يتهموا عليه آراءكم اى اذا رأيتم رأيا يخالف القرآن فاتهموا ذلك الرأى فانه
صادر عن النفس الامارة بالسوء وكذلك قوله واستغشوا فيه اهواءكم وانما قال هنا استغشوا وقال فى الآراء اتهموا لان الهوى هو ميل النفس
الامارة من غير مراجعة العقل فاذا حكمت النفس عن متابعتها بحكم فهو غش صراح واما الرأى فقد يكون بمراجعة العقل وحكمه فقد يكون
مذموما فجاز ان يكون حقا وجاز ان يكون باطلا فكان بالتهمة اولى ثم امر بلزوم العمل الصالح ثم بحفظ النهاية المطلوبة منهم بالعمل والوصول
اليها منه اى راعوا عاقبتكم ونهاية اعمالكم وغايتها فان الامور بخواتيمها ثم امر بالاستقامة اى على العمل ثم بالصبر عليه وحقيقته مقاومة
الهوى لئلا ينقاد الى قبائح اللذات فيخرج عن الصراط ثم بالورع وهو لزوم الاعمال الجميلة وانما عطف النهاية والصبر ثم الاستقامة
العمل عنه وكون الصبر امرا عدميا فهو فى معنى التراخى والتفلت عن العمل الذى هو معنى وجودى بخلاف الاستقامة على العمل فانها كيفية
له والورع فانه جزء منه وكرر تلك الالفاظ للتأكيد والنصب فى جميعها على الاغراء ثم اشار الى ان تلك النهاية هى النهاية التى لهم وامرهم
بالانتهاء اليها وهى الامر الذى خلقوا لاجله اعنى الوصول الى الله طاهرين عن رجس الشيطان وهو لفظ الخبر النبوى ايها الناس ان لكم
معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم غاية فانتهوا الى غايتكم فان المراد بالغاية والنهاية واحد والمراد بالمعالم حظائر القدس ومنازل الملائكة
وكذلك ان لكم علما فاهتدوا بعلمكم اى الى تلك النهاية واستعار لفظ العلم للفهم ثم اخبر ان الاسلام غاية لهم امرهم بالانتهاء اليها وتلك الغاية
هى النهاية المشار اليها وقوله واخرجوا الى الله الى قوله وظائفه فالتقدير اخرجوا من حقه فيما افترض عليكم وحقه فى فرائضه ووظائفه الاخلاص
بها لوجهه ثم رغبهم فى طاعته واتباع اوامره بكونه شاهدا لهم يوم القيمة ومحتجا قال بعض الشارحين وانما ذكر الاحتجاج وان كان ذلك
الموقف ليس موقف محاجة لانه اذا شهد لهم فكأنه اثبت الحجة لهم فاشبه المحاج واقول لما كان امام كل قوم هو المخاطب عنهم والشهيد لهم
كما قال تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم وقوله ويوم نبعث من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم وكان ذلك الموقف هو موقف السؤال
والجواب كان ذلك معنى المحاجة والمجادلة فالخلاص من الاسولة باجوبتها يشبه غلبة المسئول بالحجة وهو البرهان المطّرد فى العادة
بان البرهان يكون عند المحاجة وكذلك الانقطاع عن الجواب يشبه كون المسئول محجوجا وهذا الاحتجاج والشهادة مقالية عند القائلين
بحشر الاجسام وحالية عند غيرهم ثم اخبر ان القدر السابق فى علم الله قد وقع والقضاء الماضى اى السابق قد تورّد اى دخل فى الوجود
شيئا فشيئا وقد علمت فيما سلف ان القضاء هو العلم الالهى بما يكون وما هو كائن وان القدر تفصيل الواقع على وفقه لكنه اشار بوقوع
القدر هنا الى وقوع خاص وهو خلافته وما يلزمها من الفتن والوقائع وروى ان هذه الخطبة من اوايل الخطب التى خطب بها ايام بويع بعد قتل
عثمان قال بعض الشارحين وفى هذا الكلام اشارة الى ان الرسول اخبره ان الامر سيصل اليه فى الحرورنه واقول لا شك ان وقوع هذه الامور

في النفاق وذمه

من القدر السابق على وقوع القضاء وفيه بلفظ اشعار بما قال هذا الفاضل لكان عالما بان كل واقع فى الوجود مقتضى من امر الله وقدره وقوله وانى
متكلم بعدة الله وحجته اى بما وقع عند الله الى فانى اتكلم بكيد وعدة الله انما وعد به عباده الذين اعترفوا بربوبيته واستقاموا على سلوك سبيله
بجماعته من منزل الكرامة عليهم تهبط ما الخوف والحزن والبشارة بالجنة واما حجته التى تكلم بها فقوله وقد قلتم ربنا الله اى عرفتم بالربوبية فاستقيموا
على كتابه وعلى منهاج امره وعلى الطريقة الصالحة من عبادته اى التى هى عن علم والخالصة من الرياء والنفاق من غير ان يمرقوا منها اى يخرجوا فيها
بالتحلل والتشدد الى طرف الافراط الذى هو ثمرة الجهل ولا تحدثوا فيها بدعة ولا تخالفوا عنها وتحيدوا يمينا وشمالا فتقعوا فى مهاوى
الهلاك فانكم متى علمتم ذلك فقد تم شرط استحقاقكم لانجاز عدته المذكورة فان ذلك الشرط مركب من الاعتراف بربوبيته والاستقامة على
الامور المذكورة فيجب ان نقاض تلك العدة ومع فوات جزء من ذلك الشرط لا يقع المشروط فلم يتحقق الموعود به وذلك معنى كون اهل المرق
منقطعا بهم لا يجدون بلاغا يوصلهم الى المقصد لان ذلك الشرط هو البلاغ الى المقصد الحقيقى ثم شرع فى النهى عن النفاق لان من تنوع
الاخلاق وتغيرها وتقلبها من حال الى حال وهو معنى تضربها وذلك هو النفاق اذ المنافق لا يلزم خلقا واحدا بل تارة يكون صادقا وتارة
كاذبا وتارة وفيا واخرى غادرا ومع الظالمين ظالم ومع اهل العدل عادل ولذلك قال واجعلوا اللسان واحدا وهو شروع فى الوصية
بحال اللسان وعدله اى لا يكون احدكم ذا لسانين وهو المنافق ثم امر بخزنه واستلزم النهى عن امور وهى الفضل من القول ووضعه فى غير
مواضعه والغيبة والنميمة والسعاية والمساءة والفحش ونحوه وكلها رذائل فى طرف الافراط من فضيلة العدل وقوله فان اللسان جموح بصاحبه
تعليل لذلك النهى واشارة الى خروجه بصاحبه عن فضيلة العدل الى الرذائل التى هى موارد الهلكة فى الآخرة والدنيا كما ان الفرس الجموح
يخرج بصاحبه الى الهلاك ولفظ الجموح مستعار له بهذا الاعتبار ثم اقسم انه لا يرى متقيا تنفعه تقواه الا يخزن لسانه وهو حق لان التقوى النافع هو
التقوى التام وخزن اللسان وكفه عن الرذائل المذكورة جزء عظيم من التقوى لا يتم بدونه فهى اذن لا ينفع الا مع تثبته على ما ينبغى عند
ارادة القول من التثبت والتأمل لما يريد النطق به وعلى ما لا ينبغى من القول بغير مراجعة الفكر وقرن الاول بالايمان ترغيبا فيه والثانى بالنفاق
تنفيرا عنه وقوله لان المؤمن الى قوله وماذا عليه بيان العلة وكون اللسان وراء وامام وتلخيص هذا البيان ان الواو فى الموضعين كما يترتب
لان لسان المؤمن تابع لقلبه فلا ينطق الا بعد تقديم الفكر فيما ينبغى ان يقوله وقلب المنافق وفكره متأخر فكان لفظ الوراء استعارة من المعنى
المحسوس للمعقول فاما الخبر النبوى المذكور فهو استشهاد على ان الايمان لا يتم الا باستقامة اللسان على الحق وخزنه عن الرذائل التى عددناها
وذلك عين ما ادعاه فى قوله ان التقوى لا ينفع العبد حتى يخزن لسانه فاما برهان الخبر فهو ان استقامة القلب عبارة عن التصديق
بالله ورسوله واعتقاد حقيقة ما وردت به الشريعة من المأمورات والمنهيات وذلك عين الايمان وحقيقته فاذن لا يستقيم الايمان حتى
يستقيم القلب واما انه لا يستقيم القلب حتى يستقيم اللسان فلان استقامة اللسان على الاقرار بالشهادتين ولوازمها وعلى الامساك عما لا ينبغى
من الامور المعدودة من لوازم استقامة القلب حكما على غير الفرض بتلك الامور والفاضل بها تعدم الايمان الكامل لا يستقيم امر من دون
لازمه وقوله فمن استطاع الى قوله فليفعل امر بالاجتهاد فى لقاء الله تعالى على احوال وهى نقاء الراحة من دماء المسلمين واراد السلامة من قتل
النفس واموالهم واراد السلامة من الظلم وان يكون الانسان سليم اللسان من اعراضهم واراد الكف عن الغيبة ورتب شرط ذلك بالاستطاعة
لعسره وشدته وان كان ذلك واجب الترك على كل حال واشدها الكف عن الغيبة فانه يكاد ان لا يستطاع والى نحو هذا اشار الرسول صلى الله عليه وسلم المسلم من
سلم المسلمون من يده ولسانه فسلامتهم من يده سلامة دمائهم واموالهم وسلامتهم من لسانه سلامة اعراضهم واعم من ذلك وقال بعض الحكماء
من علم ان لسانه جارحة من جوارحه اقل من اعمالها واستقبح ادامة تحريكها كما يستقبح ان يحرك راسه او منكبه دائما وقوله واعلموا الى قوله
حرم عليكم قال بعض الشارحين هو اشارة الى ان ما ثبت من طريق النص او العادة التى شهد بها النص فى زمان الرسول لا يجوز ان ينقض
بالقياس والاجتهاد بل كل ما ورد به النص يتبع فيه مورد النص فما كان حلالا بمقتضى النص بعمومه فى العام الماضى فهو فى هذا العام
حلال وكذا فى الحرام وعموم هذا الكلام يقتضى عدم جواز نسخ النص وتخصيصه بالقياس وهو مذهب الامامية لاعتقادهم بطلان القول با
بالقياس المتعارف ومذهب جماعة من الاصوليين مع اعترافهم بصحة القياس من يجوز تخصيصه فيحمل هذا الكلام على قبول عدم القياس ومنع
النص من كتاب او سنة وما احدث الناس اشارة الى القياس وقوله ولكن الحلال ما احل الله والحرام ما حرم الله تاكيد لاتباع النص وما
كان عليه الصحابة من الدين مما هو معلوم بينهم دون ما احدث من الآراء والمذاهب وقوله وقد جربتم الامور وضرّستموها الى قوله الامر
الواضح اشارة الى وجوه العلم وطلبه ووجه نصا بما قبله انهم اذا كانوا قد حنكوا الامور بتجربتها ووعظوا بمن كان قبلهم وضربت لهم الامثال
ودعوا الى الامر الواضح وهو الدين وطرايقه فلا بد ان تكون نفوسهم قد استعدت بذلك لعلم الاحكام الشرعية ومقاصدها من الكتاب والسنة
وعادات الرسول والصحابة فلا يخفى عليهم ما ابتدع بعده مما انكل بدعة حرام وضلال ان ترفع حكم نص او سنة سبق العلم بها ولا يصم عن
هذه المواعظ والامثال والدعوة الى الدين الا اصم اى هو شديد الصمم كما يقال ما يجهل هذا الامر الا جاهل اى اشد الناس جهلا وكذلك
لا يعمى عنه اى لا يعمى عن بصيرة الا بصير اشتد عماها وقوله ومن لم ينفعه الى قوله من امر كلام حق وذلك ان الانسان فى مبدأ الفطرة خال

عن العلوم وانما خلقت له هذه الآلات البدنية ليتصفح بها صور المحسوسات ومعانيها ويتنبه لما كان بينها ومباينات فيحصل له التجربة وسائر
العلوم الضرورية والمكتسبة فمن لم ينتفع بالبلاء اي بامتحان العلوم الامور وتجاربها وهو اشارة الى اعتبار الامور والتفكر فيها والابتلاء بها
كالوقوع في المكاره ومعاناة الاعمال لم يستفد منها علما فكانه لا ينتفع بالعظة لان العظة فرع تصفح الامور واعتبار آيات الله منها ومحال ان يحصل
فرع من دون اصله ووجه بانه لنقص في كمال نفسه ووجوه مصالحه ويحتمل ان لا يريد بالعظة الاتعاظ بل الموعظة وظاهر ان الموعظة انما لا ينفعه — في فضل العزلة ولزوم البيت
لان البلاء بالمكاره والوقائع النازلة اقوى فعلا في النفس واكثر تأثيرا فاذا لم ينتفع بها ولم يستفد منها علما فبالأولى ان لا ينتفع بالموعظة
وقوله من امامه ان الكمالات التي يتوجه اليها بوجه عقله تفوته لنقصان تجربته ووقوف عقله فاستدبرونها له مع طلبه لها اشارة الى النقصان
له من امامه وقوله حتى يعرف ما انكر وينكر ما عرف اشارة الى غاية نقصانه وهي الاختلاط والحكم على غير بصيرة فتارة يتخيل فيما انكره
بجهله انه عارف بحقيقته وتارة ينكر ما كان يعرفه ويحكم بصحته لخيال يطرأ عليه ثم قسم لهم الناس الى قسمين وهم متبع شرعة اي طريقة
ومنهاجا وهو منهاج الدين ومنهم مبتدع بدعة بغير برهان سنة من الله يعتمد عليه ولا ضياء حجة يقوده في ظلمات الجهل لجهلوا بافضل
القسمين وقوله ان الله سبحانه لم يعظ احدا بمثل هذا القرآن رجوع الى مدح القرآن واستعار له الفاظا الاول لفظ الحبل ورشح بالمتين
وقد عرفت وجه هذه الاستعارة مرارا الثاني وكذلك سببه الامين الثالثة لفظ الربيع ووجهها ان القلوب يحيى به كما يحيى الانعام بالربيع
الرابع لفظ الينابيع ووجهها ان العلوم عند تدبره والفهم عنه تفيض عنه وينتفع بها كما يفيض الماء عن الينابيع الخامس لفظ الجلاء
ووجهها ان الفهم عنه يكشف عن القلوب صداء الجهل كما يجلو الصيقل المرآة فان قلت قال وليس للقلب جلاء غيره مع ان سائر العلوم
جلاء له فالجواب من وجهين احدهما ان العلوم الجالبة للقلب هي المعدة لسلوك سبيل الله والوصول الى الغاية من الكمال النفساني كالعلوم
الالهية وعلم الاخلاق واحوال المعاد ولا علم منها الا وفي القرآن اصله ومادته وهو مقتبس من القرآن الثاني ان في هذا الكلام صلى عليه ولم
يكن في ذلك الزمان علم مدون ولا استفادة للمسلمين الا من القرآن الكريم فلم يكن اذن جلاء للقلب غيره وقوله انه قد ذهب المتذكرون
المتدبرون لمقاصد القرآن وبقي الناسون له والمتناسون المتعمدون للتشاغل والتنبيه عنه الجواذب الى الله وهو في معنى التوبيخ لهم ثم
امرهم باعانة من يعمل الخير على فعله ووجوه الاعانة كثيرة ثم بالاعراض عن الشر وانكاره عند رؤيته واستشهد على وجوب امتثال امره بالخبر النبوي
وقد نبه الخبر على وجوب عمل الخير والانتهاء عن الشر باستلزام ذلك لكون فاعله جوادا قاصدا واستعار وصفي الجواد القاصد ووجه
المشابهة ان العامل الخير المنتهي عن الشر مستقيم على طريق الله فلا يعرج في طريقه ولا اعوجاج فيكون سيره في سلوك سبيل الله اسرع
سيرا كالجواد من الخيل المستقيم على الطريق ثم قسم الظلم الى ثلاثة اقسام الاول الذي لا يغفر اصلا وهو ظلم النفس بالشرك بالله وبرهانه — الظلم
النص والمعقول اما النص فقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به واما المعقول فلان المغفرة عبارة اما عن محو آثار الجرائم عن الواح النفوس
او عما يلزم ذلك من ستر الله على النفوس ان تحترق بنار جهنم والهيئات البدنية التي حجبت نفوس المشركين عن معرفة الله هيئات
متمكنة من تلك النفوس قد صارت ملكات لا يمكن زوالها مع عدم سكينتهم بالمعارف الالهية فهم في العذاب ما كانوا وفي سلاسل
تلك الهيئات واغلالها مكبلون فاذن لا يتحقق المغفرة في حقهم لعدم تخلصهم منها وجذبهم عنها وهي عصمة المعرفة الثاني ظلم لا يترك اي
لا بد من اخذ فاعله بالعقوبة والقصاص به وهو ظلم العباد بعضهم لبعض واليه الاشارة بقوله يوم يقتص للجماء من القرناء وهذا الظالم
ان كانت له مسكة ببعض عصم النجاة من المعارف الالهية وجب خلاصه من العذاب بعد حين لكن يتفاوتون مكثه بحسب تفاوت شدة تمكن
تلك الهيئات الرديئة من نفسه وضعفها واليه اشار الخبر النبوي يخرجون من النار بعد ما يصيرون حمما وفحما والثالث الظلم الذي يغفر ولا يطلب
وهو ظلم العبد نفسه عند ارتكابه بعض صغائر الزلات وهي التي لا تكسب النفس هيئة رديئة باقية بل حالة يسرع زوالها واليه الاشارة بقوله
نعم وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي حال كونهم ظالمين ثم اخذ في التحذير من الظلم بذكر شدة القصاص في الآخرة ووصف انه
ليس جرحا بمدية ولا ضربا بسوط كقصاص الدنيا ولكنه ما يستصغر من ذلك معه من العقوبات بالنار المشهورة اوصافها وقد روي عن الرسول
انه كان جالسا في اصحابه فسمع هدة فقال هذا حجر ارسله الله تعالى من شفير جهنم فهو يهوي فيها منذ سبعين خريفا حتى بلغ الآن قعرها فهلم
اوصافها المحسوسة واعلم ان لهذا الخبر تماما ما يكشف سره وهو ان الراوي قال فسمعنا بعد ذلك صيحة وصراخا فقلنا ما هذا فقالوا
فلان المنافق مات وكان عمره يومئذ سبعين سنة قال بعض من تلطف ان المراد بجهنم المشار اليها هي الدنيا ومتاعها وبالحجر هو ذلك
المنافق استعارة ووجه المشابهة ان ذلك المنافق لم ينتفع بوجوده مدة حياته ولم يكسب نفسه خيرا فاشبه الحجر في ذلك وارسال الله تعالى
له هو افاضته عليه ما استعد له من اتباع هواه فيها ولانهماكه في شهواتها والتيه عن سبيله المشار اليه بقوله يضل من يشاء وشفيرها
هو اولها بالنسبة اليه وذلك حين استعداده لانهماكه فيها واول الامور الفائدة له في طرق الضلال من متاعها ولذاتها وهو
فيها سبعين خريفا هو انهماكه فيها مدة عمره وبلوغ قعرها هو وصوله بموته الى غاية العذاب بسبب ما اكتسب منها من ملكات السوء كما
ادمانا اليه غيره ثم نهى عن التلون في دين الله وكنى به عن منافقة بعضهم لبعض فان ذلك يستلزم الفرقة ولذلك قال فان جماعة فيما تكرهون

من الحق

٢٠٣ ج

من الحق خير من فرقة فيما تحبون من الباطل اي فان الاجتماع على الحق المكروه اليكم كالحرب مثلا خير لكم من الافتراق في الباطل المحبوب عندكم
كمتاع الدنيا ثم تمم النهي عن الفرقة وقال فان الله لم يعط احدا بالفرقة خيرا لا من الماضين ولا من الباقين ولما كان الخير في الاجتماع
والالفة والمحبة حتى يصير الناس كرجل واحد وبه نظام العالم بذلك كان في الفرقة ضد ذلك وكذلك ما روي عن الرسول عليه السلام
من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وقد سبق بيان فضيلة الاجتماع ثم اعاد النهي عن الغيبة للناس
بذكر معايبهم ونبه من عسى ان يستحي من نفسه بان لكل عيبا ينبغي ان يشتغل به وطوبى فعلى من الطيب والواو منقلبة عن ياء وقيل
هي اسم شجرة في الجنة وعلى التقديرين مبتداء ثم نبه على فضل العزلة ولزوم البيت للاشتغال بطاعة الله والبكاء على الخطيئة و
الندم عليها وقوله وكان من نفسه في شغل الى آخره ذكر ثمرة العزلة واعلم ان الناس قد اختلفوا في ان العزلة افضل ام المخالطة
ففضل جماعة من مشاهير الصوفية والعارفين العزلة منهم ابرهيم بن ادهم وسفيان الثوري وداود الطائي والفضيل بن عياض وسليمان
الخواص وبشر الحافي وفضل الآخرون المخالطة ومنهم الشعبي وابن ابي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وابن عيينة وابن المبارك واحتج
الاولون بالنقل والعقل اما النقل فقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عامر الجهني لما ساله عن طريق النجاة فقال ليسعك بيتك امسك عليك
دينك وابك على خطيئتك وقيل له صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل فقال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب التقي النقي الخفي واما العقل فهو ان في العزلة ثوابا مطلوبة لله لا توجد في المخالطة فكانت اشرف منها الفراغ لعبادة
الله والذكر له والاستيناس بمناجاته والاستكشاف لاسراره في امور الدنيا والآخرة من ملكوت السموات والارض ولذلك كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعبد بجبل حراء ويعتزل به حتى اتته النبوة واحتج الآخرون بالقرآن والسنة اما القرآن فقوله تعالى والف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته
اخوانا وقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ومعلوم ان العزلة تنفي تالف القلوب وتوجب تفرقها واما السنة فقوله صلى الله عليه
والسلام من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وما روي ان رجلا اتى جبلا يتعبد الله فيه فجاء به اهله الى الرسول صلى الله عليه وسلم فنهاه
عن ذلك وقال له ان صبر المسلم في بعض مواطن الجهاد يوما واحدا خير له من عبادة اربعين سنة واقول ان كلا الاحتجاجين صحيح لكنه ليس فضيلة
العزلة مطلقا ولا افضلية المخالطة مطلقا بل كل في حق بعض الناس بحسب مصلحته وفي بعض الاوقات بحسب ما يشتمل عليه من المصلحة واعلم انه من اراد
ان يعرف مقاصد الانبياء عليهم السلام في اوامرهم وتدبيراتهم فينبغي ان يعرف طرفا من قوانين الاطباء ومقاصدهم من العبارات المطلقة لهم فانه
كما ان الاطباء هم المعالجون للابدان بانواع الادوية والعلاجات لغاية بقائها على صلاحها او رجوعها الى العافية من الامراض البدنية
كذلك الانبياء عليهم السلام ومن يقوم مقامهم فانهم اطباء النفوس والمبعوثون لعلاجها من الامراض النفسانية كالجهل وسائر رذائل الاخلاق
بانواع الكلام من الآداب والمواعظ والنواهي والضرب والقتل وكما ان الطبيب فانه يقول الدواء الفلاني نافع من المرض الفلاني ولا يعني به
في كل الامزجة بل في بعضها كذلك الانبياء والاولياء اذا اطلقوا القول في شيء انه نافع كالعزلة مثلا فانهم لا يريدون انها نافعة لكل انسان
وكما ان الطبيب قد يصف لبعض المرضى دواء ويرى شفاءه فيه ويرى ان ذلك الدواء بعينه لمريض آخر كالسم القاتل فيعالجه بغيره كذلك الانبياء
قد يرون ان بعض الامور دواء لبعض النفوس فيقتصرون عليه وقد يرون ان بعض الاوامر علاج لبعض النفوس كالامر بالعزلة والحث عليها
لبعض الناس وقد يرون ان ذلك العلاج بعينه مضر لغير تلك النفس فيامرونها بضد ذلك كالامر بالمخالطة والمعاشرة واكثر ما يختار
العزلة لمن بلغ رتبة من الكمال في قوتيه النظرية والعملية واستغنى عن مخالطة كثير من الناس لان اكثر الكمالات الانسانية من العلوم
والاخلاق انما تحصل بالمخالطة خصوصا اذا كان ذلك لان اغنى المامور بالعزلة خاليا عن تامل يحتاج ان يكتسبهم واكثر ما يختار
المخالطة والاجتماع لتحصيل الالفة والاتحاد بالمحبة وللاتحاد غايتان كليتان احدهما حفظ اصل الدين وتقويته بالجهاد والثانية
تحصيل الكمالات التي بها نظام امر الدارين لان اكثر العلوم والاخلاق يستفاد من العشرة والمخالطة كما بيناه وبالله التوفيق **ومن كلام**
له عليه السلام في معنى الحكمين فاجمع رأي ملئكم على ان اختاروا رجلين فاخذنا عليهما ان يجعجعا عند القرآن ولا يجاوزاه
وتكون السنتهما معه وقلوبهما تبعه فتاها عنه وتركا الحق وهما يبصرانه وكان الجور هواهما والاعوجاج دابهما وقد سبق استثناؤنا
عليهما في الحكم بالعدل والعمل بالحق سوء رأيهما وجور حكمهما والثقة في ايدينا لانفسنا حين خالفا سبيل الحق واتيا بما
لا يعرف من معكوس الحكم **اقول** هذا الفصل من خطبة خطبها بعد ما بلغه امر الحكمين والاجماع تصميم العزم وجعجعا حبسا نفسهما على
القرآن والخطاب لمن انكر عليه رضاه بالتحكيم بعد الرضا به وقد حكى فيه اجماع رأي جماعتهم على اختيار الرجلين وهما ابو موسى الاشعري
وعمرو بن العاص واخذه عليهما ان يحبسا نفسهما على العمل بالقرآن ولا يجاوزاه وتكون السنتهما وقلوبهما معه والحق نفس القلوب على
الميول الارادية مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب كقوله تعالى فقد صغت قلوبكما وذلك هو شرط رضاه عليه السلام بالتحكيم ثم حكى خروجهما عما
اشترط عليهما وتنبههما عن الكتاب وتركهما للحق مع ابصارهما له وخروجهما عن فضيلة العدل بحسب الهوى الى رذيلة الجور والاعوجاج عن
طريقة الحق وقوله وقد سبق استثناؤنا اعادة لذكر سبق الشرط في الحكم بالعدل وسوء رأيهما منصوب لانه مفعول سبق وقوله والثقة

ابدينا الانفسنا اى نا على برهان ونقة من امرنا وليس بلازم لنا حكمهما لانهما خالفا الشرط واتيا بما لا يعرف من الحكم المعكوس وقد حكينا فيما سبق طرفا من حال التحكيم وخداع عمرو بن العاص لابي موسى الاشعري وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** لا تشغله شأن عن شأن ولا يغيره زمان ولا يحويه مكان ولا يصفه لسان ولا يعزب عنه عدد قطر الماء ولا نجوم السماء ولا سوافي الريح في الهواء ولا دبيب النمل على الصفا ولا مقيل الذر في الليلة الظلماء يعلم مساقط الاوراق وخفي طرف الاحداق واشهد ان لا اله الا الله غير معدول به ولا مشكوك فيه ولا مكفور دينه ولا مجحود تكوينه شهادة من صدقت نيته وصفت دخلته وخلص يقينه وثقلت موازينه واشهد ان محمدا عبده ورسوله المجتبى من خلائقه والمعتام لشرح حقائقه والمختص بعقائل كراماته والمصطفى لكرائم رسالاته والموضحة به اشراط الهدى والمجلو به غربيب العمى ايها الناس ان الدنيا تغر المؤمل لها والمخلد اليها ولا تنفس بمن نافس فيها وتغلب من غلب عليها وايم الله ما كان قوم قط في غض نعمة من عيش فزال عنهم الا بذنوب اجترحوها لان الله ليس بظلام للعبيد ولو ان الناس حين تنزل بهم النقم وتزول عنهم النعم فزعوا الى ربهم بصدق من نياتهم ووله من قلوبهم لرد عليهم كل شارد واصلح لهم كل فاسد واني لاخشى عليكم ان تكونوا في فترة قد كانت امور مضت ملتم فيها ميلة كنتم فيها عندي غير محمودين ولئن رد عليكم امركم انكم لسعداء وما علي الا الجهد ولو اشاء ان اقول لقلت عفا الله عما سلف **اقول** هذه الخطبة خطب بها بعد مقتل عثمن في اول خلافته والدخلة بالكسر والضم باطن الشيء والمعتام المختار وعقائل الشيء نفائسه واشراط الهدى علاماته والغربيب الاسود والمخلد اليها المسلم اليها ولا تنفس لا تضن وتبخل وغض النعم طريها وصدر الخطبة بالاشارة الى اعتبارات توحيدية الاول انه لا يشغله شأن عن شأن وذلك لان الشغل عن الشيء اما لقصور القدرة او العلم وقد مر ان قدرته وعلمه محيطا بكل مقدور ومعلوم فاذن لا يشغله مقدور عن مقدور ولا معلوم عن معلوم ونقرر برهان المتكلمين في الكتب الكلامية والحكمية الثاني لا يغيره زمان واذ ثبت انه خالق الزمان ولا زمان يلحقه فلا تغير يلحقه بتغيره ولانه واجب الوجود ولا شيء من المتغير في ذاته وصفاته بواجب الوجود فلا شيء منه يلحقه التغير الثالث ولا يحويه مكان لبراءته عن الجسمية ولواحقها وكلما كان كذلك فهو برئ عن المكان ولواحقه فينتج انه برئ من المكان ولواحقه الرابع ولا يصفه لسان اى لا يعبر اللسان عن حقيقة وصفه وبيان ما هو لذلك انه تعالى منزه عن وجوه التراكيب فمحال ان يقع العقول على حقيقة وصفه فكيف باللسان الذي هو المعبر عنها الخامس ولا يعزب عنه عدد قطر الماء الى قوله الاحداق وهو اشارة الى احاطة علمه المقدس بكليات الامور وجزئياتها وهذه مسئلة عظيمة حارت فيها العقول وقد اشرنا اليها في المختصر الموسوم بالقواعد الالهية ثم عقب هذا التنزيه بالشهادة بكلمة التوحيد وذكر لتلك الشهادة احوالا شهد بوحدانيته عليها الاول كونه غير معدول به اى لا عدل له ولا مثل الثاني ولا مشكوك فيه اى في وجوده فان ذلك ينافي الشهادة بالوحدانية الثالث ولا مكفور دينه لان الجحود لدينه يستلزم النقصان في معرفته فكان الاعتراف به كمال المعرفة والشهادة بوحدانيته الرابع ولا مجحود تكوينه اى ايجاده للموجودات وكونه ربا لها ثم عقب وصف المشهود له بحال تلك الشهادة باوصاف الشاهد بها باعتبار شهادته وهي كونه صادق النية في تلك الشهادة اى باعثها جازم وصافي الدخلة اى نقي الباطن من الرياء والنفاق وخالص اليقين بوجود المشهود له وكمال وحدانيته من الشكوك والشبهات فيه وثقيل الموازين بكمال تلك الشهادة والقيام بحقوقها من سائر الاعمال الصالحة واردفها باختها وذكر للمشهود بحقية رسالته اوصافا احدها كونه مجتبى من الخلائق ومصطفى منهم وذلك يعود الى اكرامه باعداد نفسه لقبول انوار النبوة الثاني والمعتام لشرح حقائقه اى لايضاح ما خفي من الحقائق الالهية والشرعية التي بينها الثالث المختص بنفائس كراماته وهي الكمالات النفسانية من العلوم ومكارم الاخلاق التي اقتدر معها على تكميل الناقصين الرابع والمصطفى لكرائم رسالاته اى رسالاته الكريمة وتعديدها باعتبار تعداد نزول الاوامر عليه فان كل امر امر بتبليغه الى الخلق رسالة كريمة الخامس الموضحة به اعلام الهدى وهي قوانين الشريعة ودلالات الكتاب السادس والمجلو به غربيب العمى واستعار لفظ الغربيب لشدة ظلمة الجهل ولفظ الجلاء لزوال تلك الظلم بانوار النبوة ثم ابر بالناس منبها لهم على مقابح الدنيا ومذامها منها انها تغر المؤمل لها والراكن اليها وذلك ان المؤمل لبعض مطالبها لا يزال يجد له امارات خيالية على مطالب وهمية وانها ممكنة التحصيل نافعة فيوجب له مد الامل وقد يخترم دون بلوغها وقد ينكشف بطلان تلك الامارات بعد العناء الطويل ومنها انها لا تنفس على من نافس فيها واحبها بل تسمح به للهالكات وترميه بغرائب من النوائب ومنها انها تغلب على من غلب عليها اى في ملكها واخذها بالغلبة فتوقعه في ... وتهلكه والاوصاف المذكورة التي من شأنها ان تكون للعدو القوي الداهي وهي كونها تغر المؤمل لها وتغلب مغالبها ولا تبقى على محبها مستعارة ووجه المشابهة استلزام الكون بها والاغترار بها ومحبتها والتملك لها الهلاك فيها وعنها في الاخرة كاستلزام الغرور بالعدو والداهي الذي لا يجب خداعه والركون اليه الهلاك ثم اخذ في التنبيه على وجوب شكر المنعم واسند زوالها بالفزع الى الله واقسم ان زوالها عنهم ليس الا بذنوب اجترحوها وذلك اشارة الى ان الذنوب تعد

لزوال النعم

لزوال النعم وحلول النقم لانهم لو استحقوا اضافة النعم مع الذنوب لكان منعهم اياها منعا للمستحق المستعد وذلك عين الظلم وهو من الجود الالهي محال كذلك قوله تعالى بظلام للعبيد وفي معنى الاشارة بقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم اى يستعدوا للتغيير بالمعاصي وقوله ولو ان الناس الى قوله كل فاسد اشارة الى ان الفزع الى الله بصدق النية ووله القلب وتحيره وذهوله عن كل شيء سوى الله يعد الاعداد التام لافاضة لطفه سواء كانت عود نعمة او ... ورود النعم او نشر الخير على عبده وقوله شارد اى من النعم واصلاح الفاسد اى من شتات الاحوال وقوله واني لاخشى ان تكونوا في فترة كنى بالفترة عن امر الجاهلية كناية بالمجاز اطلاقا لاسم الظرف على المظروف واى اخشى ان يكون احوالكم احوال الجاهلية في التعصبات الباطلة بحسب الاهواء المختلفة وقوله وقد كانت امور الى قوله محمودين فالك الامارة تلك الامور التي مالوا بها هي تقديمهم عليه من سبق من الائمة وقال عنهم هي حركاتهم وميلهم عليه في تقديم عثمن وقت الشورى واختيارهم له وما جرى فيها من الاقوال والافعال وقوله ولئن رد عليكم امركم اى صلاح احوالكم واستقامة سيرتكم التي كنتم عليها في زمن الرسول ص انكم لسعداء عند الله في الدنيا وما علي الا الجهد اى في عود ذلك الامر عليكم وقوله ولو شاء ان اقول لقلت يفهم منه انه لو قال لكان مقتضى قوله نسبة من تقدم عليه الى الظلم له وتخطئهم في التقدم عليه وذكر معايب تقتضي وجوب تاخرهم في نظره ونقله الكلام ولكني لا اقول فلم اكن مريدا للقول وقوله عفا الله عما سلف اشارة الى مسامحته لهم بما سبق منهم والعادة جارية بان يقول الانسان مثل ذلك فيما يتسامح به عن غيره من الذنوب واحسن العبارات في ذلك لفظ القرآن الكريم فيقتبس في الكلام وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** قاله لذعلب اليماني وقد سأله هل رأيت ربك فقال افاعبد ما لا ارى قال وكيف تراه قال لا تراه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان قريب من الاشياء غير ملامس بعيد منها غير مباين متكلم لا بروية مريد لا بهمة صانع لا بجارحة لطيف لا يوصف بالخفاء كبير لا يوصف بالجفاء بصير لا يوصف بالحاسة رحيم لا يوصف بالرقة تعنو الوجوه لعظمته وتجب القلوب من مخافته **اقول** تعنو تخضع وتجب القلوب تخفق والفصل فصل شريف من التوحيد والتنزيه فقوله افاعبد ما لا ارى استفهام على سبيل الانكار لعبادة ما لا يدرك وفيه ازراء على السائل وقوله لا تدركه العيون الى اخره تنزيه له عن الرؤية بحاسة البصر وشرح لكيفية الرؤية الممكنة ولما كان تعالى منزها عن الجسمية ولواحقها من الجهة وتوجيه البصر اليه وادراكه به وانما يرى ويدرك بحسب ما يمكن لبصيرة العقل لاجرم نزهه عن ذلك واثبت له هذه فقال لا تدركه العيون الى قوله بحقائق الايمان اركانه وهي التصديق بوجود الله ووحدانيته وسائر صفاته واعتبارات اسمائه الحسنى ثم عقب ذلك باعتبارات يدركها احدها كونه قريبا من الاشياء ولما كان المفهوم من القرب المطلق الملامسة والاتصال وهما من عوارض الجسمية نزه قربه تعالى عنها فقال غير ملامس فاخرجت هذه القرينة ذلك عن حقيقته الى مجازه وهو اتصاله بالاشياء وقربه منها بعلمه المحيط وقدرته التامة الثاني كونه بعيدا فلما كان البعد يستلزم المباينة وهي ايضا من لواحق الجسمية نزهه عنها بقوله غير مباين وقد سبق بيان ذلك مرارا فكان بعده عنها اشارة الى مباينته بذاته الكاملة عن مشابهة شيء منها الثالث كونه متكلم بلا روية وكلامه يعود الى علمه بصور الاوامر والنواهي وسائر انواع الكلام عند قوم والى المعنى النفساني عند الاشعري والى خلقه الكلام في جسم النبي عند المعتزلة وقوله بلا روية تنزيه له عن كلام الخلق لكونه تابعا للافكار والتروي الرابع وكونه مريد بلا همة تنزيه لارادته عن مثلية ارادتنا في سبق العزم والهمة لها الخامس صانع بلا جارحة وهو تنزيه لصنعه عن صنع المخلوقين لكونه بالجارحة التي هي من لواحق الجسمية السادس وكونه لطيف لا يوصف بالخفاء واللطيف يطلق ويراد به رقيق القوام ويراد به صغير الحجم المستلزمين للخفاء وعديم اللون من الاجسام والمحكم من الصنعة وهو تعالى منزه عن اطلاقه باحد هذه المعاني لاستلزام الجسمية والامكان فيبقى اطلاقها عليه باعتبارين احدهما تصرفه في الذوات والصفات تصرفا خفيا بفعل الاسباب المعدة لها لافاضة كمالاتها والثاني جلالة ذاته وتنزيهها عن قبول الادراك البصري السابع رحيم لا يوصف بالرقة تنزيه لرحمته عن رحمة احدنا لاستلزامها رقة الطبع والانفعال النفساني وقد سبق بيان كونه تعالى رحيما الثامن كونه عظيما تخضع الوجوه لعظمته اذ هو الاله المطلق لكل موجود وممكن فهو العظيم المطلق الذي تفرد باستحقاق ذل الكل وخضوعه له وتجب القلوب وتضطرب من هيبته عند ملاحظة كل منها ما يمكن له من تلك العظمة **ومن كلام له عليه السلام** في ذم اصحابه احمد الله على ما قضى من امر وقدر من فعل وعلى ابتلائي بكم ايتها الفرقة التي اذا امرت لم تطع واذا دعوت لم تجب ان امهلتم خضتم وان حوربتم خرتم وان اجتمع الناس على امام طعنتم وان اجئتم الى مشاقة نكصتم لا ابا لغيركم ما تنتظرون بنصركم والجهاد على حقكم الموت او الذل لكم فوالله لئن جاء يومي وليأتيني ليفرقن بيني وبينكم وانا لصحبتكم قال وبكم غير كثير لله انتم اما دين يجمعكم ولا حمية تشحذكم اوليس عجبا ان معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء وانا ادعوكم وانتم تريكة الاسلام وبقية الناس الى المعونة او طائفة من العطاء فتفرقون عني وتختلفون علي انه لا يخرج اليكم من امري رضا فترضونه ولا سخط فتجتمعون عليه وان احب ما انا لاق الي الموت قد دارستكم الكتاب وفاتحتكم الحجاج وعرفتكم ما انكرتم وسوغتكم ما مججتم لو كان الاعمى يلحظ او النائم يستيقظ واقرب بقوم من الجهل بالله قائدهم معاوية ومؤدبهم ابن النابغة **اقول** الخور الضعف ويحتمل ان يكون من الخوار وهو الصياح واجنتم جدتم

ودعتهم ونكص يعني على عقبيه ولعالي المنغص والطعام اي غادر الناس في التريكة بيضة النعام ومجة الفاه من فيه وقد حمد الله تعالى على ما قضى وقدر
ولما كان القضاء هو الحكم الالهي بما يكون قال على ما قضى من الامر لان الامر اعم ان يكون فعلا ولما كان القدر هو تفصيل القضاء وايجاد الاشياء
على وفقه قال وقدر من فعل وقوله وعلى ابتلائي بكم تخصيص لبعض ما قضى وقدر وقوله اذا امرت الى قوله نكصتم شرح لوجوه الابتلاء بهم و
حاصلها يعود الى مخالفتهم له في جميع ما يريده منهم مما ينتظم به حالهم وقوله الى مشاقة اي الى مشاقة عدو وقوله لا ابا لغيركم دعاء بالذل
لغيرهم وفيه نوع تلطف لهم والاصل لا اب والالف مزيدة اما لاستثقال توالي اربع حركات فاشبعوا الفتحة فانقلبت الفا واما لانهم قصدوا الاضافة
واتوا باللام للتاكيد ثم اتيتم ان جاء يومي اي وقت موته ليفرق بينهم وبينه وهو يحلق بهم بفراقه وانقضاء مودتهم بعده وقوله و
ليأتيني حشو لطيفة واتى به مؤكدة لان اتيان الموت امر محقق وكان تردد بها ما يقتضيه ان من الشك تحسنت هذه الحشوة بعدها
ثم اخذ في التضجر منهم واخبرهم انه لصحبتهم مبغض وانه غير كثير بهم لان الكثرة انما تراد للمنفعة وحيث لا منفعة فكانه لا كثرة وقوله لله انتم
جملة اسمية فيها معنى التعجب من حالهم ومثله لله ابوك ولله دره ثم اخذ في استفهامهم عما يدعون انه موجود فيهم وهو الدين والحمية
والانفة ومن شان الدين ان يجمع على انكار المنكر والحمية ان تتحد وتثير القوة الغضبية انفا من العدو واستفهاما على سبيل العتب
والانكار عليهم وقوله اوليس عجبا الى قوله وتختلفون على استفهام للتقرير والتعجب من حاله معهم في تفرقهم عنه حتى عند الدعوة الى
العطاء بين حال معوية مع قومه في اجتماعهم عليه من غير معونة ولا عطاء فان قلت المشهور ان معوية انما استجلب من استجلب من العرب
بالاموال والرغائب فلم قال فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء قلت ان معوية لم يكن يعطي جنده على وجه المعونة والعطاء المتعارف بين
الجند وانما كان يعطي رؤساء القبائل من اليمن والشام الاموال الجليلة ليستعبدهم بها واولئك الرؤساء يدعون اتباعهم من العرب فيطيعونهم
فصادق اذن انهم يتبعونه على غير معونة وعطاء واما هو ع فانه كان يقسم بيوت الاموال بالسوية بين الاتباع والرؤساء على وجه الرزق
والعطاء ولا يرى لشريف على مشروف فضلا وكان اكثر من يقعد عن نصرته من الرؤساء لما يجدون في انفسهم من المساواة بينهم وبين
الاتباع واذا احس الاتباع بذلك تخاذلوا ايضا متابعة لرؤسائهم والمعونة هي ما يطلق للجند في وقت الحاجة لترميم اسلحتهم واصلاح
دوابهم وهو خارج عن العطاء المفروض شهرا فشهرا واستعار لهم لفظ التريكة ووجه المشابهة انهم خلف الاسلام وبقية اهله كالبيضة التي
تتركها النعامة وقوله انه لا يخرج الى قوله فترضونه اي انه لا يخرج اليكم من امري امر من شانه ان يرضى به او يسخط منه فترضونه وتجمعون
عليه بل لا بد لكم من التفرق والمخالفة على الحالين ثم نبههم على سوء صنيعهم معه بان احب الاشياء اليه الموت وقد لاحظ هذه الحال
ابو الطيب فقال كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا ان تكن امانيا تمنيتها لما تمنيت ان ارى صديقا فاعيا او عدوا
مداجيا وقوله قد دارستكم الكتاب الى قوله محجته اشارة الى وجوه الامتنان عليهم وهي مدارستهم الكتاب اي تعليمه ومفاتحتهم الحجاج
اي محاورتهم وتعريفهم وجوه الاحتجاج وتعريفهم ما انكروه اي الامور المجهولة لهم وتسويغهم ما مجوه واستعار وصف التسويغ اما لاعطائه
لهم العطايا والارزاق التي كانوا يحرمونها من يد غيره لو كان كمعوية واما لادخاله العلوم في افواه اذهانهم وكنى بلفظ المج اما لحرمانهم
من غيره او لعدم العلوم عن اذهانهم ونبو اذهانهم عنها فكانهم القوها لعدم قبولها للاساغة ووجه الاستعارة ظاهر وقوله لو كان الاعمى
الى قوله لنستيقظ اشارة الى انهم جهال لا يلحظون باعين بصائرهم ما افادهم من العلوم وغافلون لا يستيقظون من سنة غفلتهم بما ايقظهم
به من المواعظ وغيرها واستعار لفظ الاعمى والنائم مستعار والقوم في قوله واقرب بقوم هم اهل الشام وهو تعجب من شدة قربهم من الجهل بالله
اذ كان قائدهم في الطريق معوية ومؤدبهم ابن النابغة اي عمرو بن العاص ومورثيهم المنافقين واهل الغدر والخداع واذا كان الرئيس
القائد والمؤدب في تلك الطريق من الحيل والفجور بحال الرجلين المشار اليهما فما اقرب اتباعهما من البعد عن الله والجهل به واقرب صيغة
التعجب وفاعله هم ومعوية جملة اسمية محلها الجر صفة لقوم وفصل بين الموصوف والصفة بالجار والمجرور كما في قوله تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون
ومن اهل المدينة مردوا على النفاق فجملة مردوا الرفع صفة لمنافقون وفصل بينهما بقوله ومن اهل المدينة والغرض من ذكرهم ووصفهم بما
وصف التنفير عنهم **ومن كلام له عليه السلم** لرجل من اصحابه وقد ارسله ليعلم له علم قوم من جند الكوفة هموا باللحاق بالخوارج وكانوا
على خوف منه فلما عاد اليه الرجل قال له امنوا فقطنوا ام جبنوا فظعنوا فقال الرجل بل ظعنوا يا امير المؤمنين فقال بعدا لهم كما بعدت
ثمود اما لو اشرعت الاسنة اليهم وصبت السيوف على هاماتهم لقد ندموا على ما كان منهم ان الشيطان اليوم قد استفلهم وهو غدا متبرئ
منهم ومتخل عنهم فحسبهم بخروجهم من الهدى وارتكاسهم في الضلال والعمى وصدهم عن الحق وجماحهم في التيه **اقول** قطنوا اقاموا وبعدا
بالكسر هلكت واشرعت الرمح سددته وصوبته نحوه وتريد ضربه واستفلهم اي طلب منهم التفرق والهزيمة وزين لهم والفل التفرق
والانهزام والارتكاس الرجوع في الشيء مقلوبا والفصل مشتمل على السؤال عن ظعنهم واقامتهم وعلتهما وهما الامن والجبن ثم على الدعاء
عليهم بالهلاك وانتصب بعدا على المصدر ثم على تاويل لو فعل لكان سببا لندمهم على طاعة لوا وهو الهجوم عليهم بالقتل والاذلال على
ما كان منهم من اللحوق باولياء الشيطان ثم على علة لحوقهم لهم وهي استفلال الشيطان لهم وتفريقه لجماعتهم وروى استفزهم اي استخفهم

تكون

وروى استقبلهم

ج

وروي استقبلهم اي نقلهم ورضي عنهم وهي قوي الهزيمة وقوله وهو غدا متبرئ منهم ومتخل عنهم اي تاركهم فان التبري في مقابلة استقفالهم
وذلك كقوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الى قوله اني بريء منكم وقوله فحسبهم بخروجهم من الهدى اي يكفيهم ذلك عذابا وشرا
والباء في بخروجهم زائدة كهي في قوله تعالى وكفى بالله شهيدا وارتكاسهم في الضلال والعمى رجوعهم الى الضلال القديم وعن الجهل
الذي كانوا عليه بعد خروجهم منه بهدايته وصدهم عن الحق بالخروج عن طاعته وجماحهم في تيه الجهل والهوى بعد الاستقرار في رتبة
العلم والعقل ولفظ الجماح مستعار لخروجهم عن فضيلة العدل الى رذيلة الافراط منها كما سبق والغلو في طلب الحق الى حد الجور عن القصد
المستقيم وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** روى عن نوف البكالي قال خطبنا بهذه الخطبة امير المؤمنين عليه السلم بالكوفة وهو
قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي وعليه مدرعة من صوف وحمائل سيفه ليف وفي رجليه نعلان من ليف وكان
جبينه ثفنة بعير فقال الحمد لله الذي اليه مصائر الخلق وعواقب الامر نحمده على عظيم احسانه ونير برهانه ونوامي فضله ومنانه
حمدا يكون لحقه قضاء ولشكره اداء والى ثوابه مقربا ولحسن مزيده موجبا ونستعين به استعانة راج لفضله مؤمل لنفعه واثق
بدفعه معترف له بالطول مذعن له بالعمل والقول ونؤمن به ايمان من رجاه موقنا واناب اليه مؤمنا وخنع له مذعنا واخلص
له موحدا وعظمه ممجدا ولاذ به راغبا مجتهدا لم يولد سبحانه فيكون في العز مشاركا ولم يلد فيكون موروثا هالكا ولم
يتقدمه وقت ولا زمان ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان بل ظهر للعقول بما ارانا من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم
فمن شواهد خلقه خلق السموات موطدات بلا عمد قائمات بلا سند دعاهن فاجبن طائعات مذعنات غير متلكئات
ولا مبطئات ولولا اقرارهن له بالربوبية واذعانهن له بالطواعية لما جعلهن موضعا لعرشه ولا مسكنا لملائكته ولا
مصعدا للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه جعل نجومها اعلاما يستدل بها الحيران في مختلف فجاج الاقطار لم يمنع ضوء
نورها ادلهمام سجف الليل المظلم ولا استطاعت جلابيب سواد الحنادس ان ترد ما شاع في السموات من تلألؤ نور القمر
فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج ولا ليل ساج في بقاع الارضين المتطأطئات ولا في يفاع السفع المتجاورات وما
يتجلجل به الرعد في افق السماء وما تلاشت عنه بروق الغمام وما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف
الانواء وانهطال السماء ويعلم مسقط القطرة ومقرها ومسحب الذرة ومجرها وما يكفي البعوضة من قوتها وما تحمل من
الانثى في بطنها والحمد لله الكائن قبل ان يكون كرسي او عرش او سماء او ارض او جان او انس لا يدرك بوهم ولا يقدر بفهم
ولا يشغله سائل ولا ينقصه نائل ولا ينظر بعين ولا يحد باين ولا يوصف بالازواج ولا يخلق بعلاج ولا يدرك بالحواس
ولا يقاس بالناس الذي كلم موسى تكليما واراه من اياته عظيما بلا جوارح ولا ادوات ولا نطق ولا لهوات بل ان كنت صادقا
ايها المتكلف لوصف ربك فصف جبرئيل وميكائيل وجنود الملائكة المقربين في حجرات القدس مرجحنين متولهة
عقولهم ان يحدوا احسن الخالقين وانما يدرك بالصفات ذوو الهيئات والادوات ومن ينقضي اذا بلغ امد حده بالفناء
فلا اله الا هو اضاء بنوره كل ظلام واظلم بظلمته كل نور اوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي البسكم الرياش واسبغ عليكم
المعاش فلو ان احدا يجد الى البقاء سلما او لدفع الموت سبيلا لكان ذلك سليمان بن داود ع الذي سخر له ملك الجن
والانس مع النبوة وعظيم الزلفة فلما استوفى طعمته واستكمل مدته رمته قسي الفناء بنبال الموت فاصبحت الديار
منه خالية والمساكن معطلة وورثها قوم اخرون وان لكم في القرون السالفة لعبرة اين العمالقة وابناء العمالقة اين الفراعنة وابناء
الفراعنة اين اصحاب مدائن الرس الذين قتلوا النبيين واطفأوا سنن المرسلين واحيوا سنن الجبارين واين الذين
ساروا بالجيوش وهزموا الالوف وعسكروا العساكر ومدنوا المدائن **اقول** نقل الجوهري في الصحاح ان نوفا البكالي
بفتح الباء وتخفيف الكاف كان صاحب علي ع ونقل عن ثعلب انه منسوب الى بكالة قبيلة وقال القطب الراوندي وهو منسوب الى بكال
وبكيل وبكال شيء واحد وهو اسم حي من همدان قال وبكيل اكثر وقال الشارح عبد الحميد بن ابي الحديد والصواب غير ما قالاه
وانما هو بكال بكسر الباء من حمير فمنهم هذا الشخص وهو نوف بن فضالة صاحب علي ع والاقوال محتملة واما جعدة بن هبيرة فهو ابن
اخت امير المؤمنين ع ام هاني بنت ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم وابوه هبيرة بن ابي وهب بن عمرو بن عائذ بن مخزوم وهو
صحابي وثفنة البعير واحدة الثفنات وهي ما يقع على الارض من اعضائه والخنوع والخضوع ويتعاوره يختلف عليه ويتطارده
متلكئات والتلكي التوقف والطواعية الطاعة والفجاج الطرق بين الجبال والادلهمام شدة الظلمة والسجف الستور والحندس
بكسر الحاء الليل شديد الظلمة والسفع الجبال والسفعة سواد مشرب بحمرة وهو لون الجبال في الاكثر واليفاع المرتفع من الارض
والجلجلة صوت الرعد وتلاشى اضمحل والانواء جمع نوء وهو سقوط نجم من منازل القمر الثمانية والعشرين في المغرب مع الفجر
وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته كل ليلة الى ثلثة عشر يوما فهكذا كل نجم منها الى انقضاء السنة ما خلا الجبهة فان

وابناء العمالقة

عمرو بن

لما اربعة عشر يوما ومرجعين مائلين الى جهة تحت وازواش اللباس والطعمة الماكلة فقوله الحمد لله الى قوله الامر حمد له باعتبار كونه
منتهى جميع اثاره في عالمي الخلق والامر ابتداء وتبتها بالصنع والابداع وانتهاء في لحوقها لانه غاية مطلوب لسان الكل ونحو
الباقي بعد كل شيء منها باعتبار وجوب وجوده فهو مستحق الثناء لذاته وهي لم تكن والمستحقة للفناء باعتبار كونها ممكنة لذاتها ولما
كان الحمد قد يكون لاداء حق ما سبق من النعمة وقد يكون لاستزادة منها كان قوله نحمده الى قوله اداء اشارة الى ما سبق من انواع
نعم الله وهي عظيم احسانه بالخلق والايجاد على رتق الحكمة والمنفعة ثم بانارة برهانه في متقن صنعه ومحكمه وعلى لسنة رسله ليسوقنا
في صراطه المستقيم الى جنات النعيم ويهدينا اليها ثم بافاضة نوامي فضله وامتنانه بكفايتنا في حيوتنا الدنيا ثم بافاضة
اسباب معاشنا ومعادنا وكان قوله والى ثوابه الى قوله موجبا نظرا اشارة الى ما يستزاد منها وهو القرب من ثوابه الاخروي
لاستكمال النفس بذلك وحسن مزيد من نعمه الحاضرة كما قال تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم ثم اردف ذلك بالشكر لطلب المعونة استعانة
بالصفات المعدودة الى قوله القول فان استعانته من هذه صفته تكون اقرب الاستعانات الى الاجابة المستعان بالعون لقوتها
باستجماعها قوة الرجاء والامل له تعالى وحسن اليقين في بذل رحمته على بذل النفع ودفع الضر والشكر والاذعان بالطاعة العلمية و
القولية ثم اردف ذلك بالاقرار بالايمان الكامل وهو ايمان من استكمل الاوصاف المعدودة انفا وهي رجاء المطالب العالية
منه حال اليقين لتمام … اهلها والرجوع اليه عن جميع القرحات في سائر المهمات حال الايمان به والخضوع حال الانقياد لعزته
ثم الاخلاص له حال توحيده ثم تعظيمه حال تمجيده والاوذ به حال الرغبة اليه والاجتهاد فيها وكان ذلك الايمان كاملا ثم اخذ
في تنزيهه تعالى باعتبارات سلبية واضافية هي غاية الواصفين منها انه لم يكن له والد فيكون له شريك في العز اذ العادة ان يكون
والد العزيز عزيزا ومنها انه لم يلد فيكون موروثا هالكا وهو تنزيه له عن صفات البشر اذ العادة ان الاب يهلك فيرثه ولده و
برهانهما انهما من لواحق الحيوانية المستلزمة للجسمية المنزه قدسه عنها ومنها انه لم يتقدمه وقت ولا زمان والوقت جزء الزمان
واذ كان خالق الوقت والزمان فبالحري ان يتقدمهما ومنها انه لم يتعاقب عليه الزيادة والنقصان لان الزيادة والنقصان من لواحق الممكنات
لا سيما المادية والامكان المنزه قدسه عنه ومنها انه ظهر للعقول في علامات التدبير وهي الاحكام والاتقان في مصنوعاته الموجودة على وفق (المتقن المكرر)
القضاء المحكم فمن جملتها خلق السموات كقوله تعالى ان في خلق السموات والارض الاية وقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وقد
مر بيان كونهما بلا عمد وقيامهما بلا سند في الخطبة الاولى ودعائهن من حكم سلطان القدرة الالهية عليهن واجابتهن دخولهن في الوجود
عن ذلك الحكم وطوعهن واذعانهن من عز ملكه ولا تباطي في اجابتهن خضوعهن في رق الحاجة والامكان الى واجب وجوده
وسلطانه وقوله ولولا اقرارهن الى قوله والعمل الصالح من خلقه كلام حق فان الاقرار بالربوبية له راجع الى شهادة لسان حال الممكن بالحاجة
الى الرب والانقياد لحكم قدرته وظاهر انه لولا امكانها وانفعالها عن قدرته وتدبيره لم يكن فيها عرش ولم يكن اهلا لقبول تدبير اهل
الملائكة وسكناها ولم تكن قابلة لصعود الملائكة بالكلم الطيب والاعمال الصالحة للخلق وقد سبقت الاشارة الى بيان الصعود بالاعمال
عنها في الخطبة الاولى بحسب الامكان ولفظ الدعاء والاقرار والاذعان مستعارة ويحتمل ان يكون حقايق نظرا الى ان لها ارواحا
مدبرة عاقلة وقوله وجعل نجومها الى قوله الاقطار اشارة الى بعض غايات وجود النجوم وقد سبق بيان ذلك وقوله لم يمنع الى قوله
والقمر استعار لفظ السجف والجلابيب للساتر من سواد الليل ووجه الاستعارة ظاهر وخص القمر بالذكر لكونه من الايات العظيمة والمقابلة
بين الضياء والظلمة مقابلة العدم والملكة وكل منهما يوجد بوجود سببه ويعدم بعدم سببه فلا يكون رفع احدهما بالاخر وظاهر
اذ ان نور القمر والنجوم لا يمنعه من الوجود والتحقق ظلمة الليل بل يتعاقبان بحسب تعاقب سببيهما المنتهية الى قدرة الصانع الحكيم
جلت قدرته وقوله فسبحان الى قوله في بطنها تنزيه له بحسب احاطة علمه بحسب كليات الاشياء وجزئياتها والمتطاطئات مهابط الارض (تمام)
الارض يتجلجل به الرعد اشارة الى تسبيح في قوله تعالى ويسبح الرعد بحمده وذلك التسبيح يعود الى شهادته بلسان حاله رب ذلك الصوت على كمال
قدرته مسخر السحاب والمعد لصوته وقد عرفت سببه وما تلاشت عنه بروق الغمام الى ما لم ينكشف للابصار باضاءتها وانما خص (وهو تقدم)
ذلك دون ما اضاءه تلك لان العلم بما هناك اشرف لتعلقه بالابعد من الاشباح المخلوقين دون ما تضيئه لادراك الكل له ورواية اضاف العواصف
الى الانواء لان العرب تضيف الاثار العلوية من الرياح والامطار والحر والبرد اليها ثم عاد الى حمده تعالى باعتبار تفرده في الوجود على سائر
مخلوقاته وقد عرفت ما يقال في الكرسي والعرش ثم نزهه تعالى باعتبارات سلبية الاول انه لا يدرك بوهم الثاني انه لا يقدر بفهم اي
لا يحد بفهم والفهم من صفات العقل وقد مرت الاشارة الى عجز العقول والاوهام عن وصفه تعالى الثالث ولا يشغله سائل لاحاطة علمه
وقدرته وقد سبق بيانه الرابع ولا ينقصه نائل لان النقصان يتوجه نحو ذي الحاجة وقد تنزه قدسه تعالى عنها الخامس كونه لا
يبصر بعين اي بادراك لبس بحاسة البصر وان كان بصيرا لذلك لتنزه قدسه عن الحواس السادس ولا يحد باين اي لا تحده العقول
بالامكنة وتحيط به باعتبارها لبراءته عن التحيز وهو نفي الكينية المتصلة عنه السابع ولا يوصف بالازواج وهو نفي الكم المنفصل عنه

من ليس فيها اشتبيه ويعتد الناس لا يخلق بعلاج تنزيه لصنعه عن وساطة الالة والحيلة كما تراولا صحاب الصنايع الناس ولا يدركه بالحواس
تخصيص لادراكها بالاجسام وكيفياتها وتنزيه له عن الجسمية ولواحقها العاشر ولا يقاس بالناس تنزيه له عن التشبيه بخلقه في كمالاتهم كما توهمه
اهل التجسيم الحادي عشر كونه متكلما بلا جوارح ولطوق ولا لهوات وهو تنزيه له عن حال البشر وعلمت في المقدمات كيفية سماع الانبياء
للوحي فاما قوله واراه من اياته عظيما فقيل اراد اياته في كلامه لسانا تبصير من قوله تكليما وقوله بلا جوارح اعراض عن غيرهما سبب والذي راه من تلك
الايات ما روى انه كان يسمع الصوت من جهاته الست ليس على حد سماع البشر من جهة مخصوصة وله روي كوقع السلاسل العظيمة على
الحصا الاصم وفي هذه الكيفية سر لطيف وكونه يسمع من الجهات الست اشارة الى ان الكلام كان يأتيه فينتقش في لوح خياله لا من جهة
بل نسبة الجهات الست اليه على سواء في عدم سماعه منها فلا جرم قيل يسمع من الجهات الست هو اولى من ان يقال يسمع لا من جهة … ذلك
عن الهام الخلق فاما كونه كوقع السلاسل في القوة فاشار الى عظمته بالنسبة اليه فشبهه باشد الاصوات جسا وقيل اراد بها الايات التسع
كانشقاق البحر وقلب العصا ثعبانا وغيرهما ثم نبه على عجز القوة البشرية عن وصف كماله تعالى بقوله بل ان كنت صادقا الى قوله احسن
الخالقين وهي صورة قياس من الشكل الثاني متصل ينبه على عجز من يدعي وصف ربه كما هو وتقديره ان كنت صادقا ايها المتكلف
لوصف ربك في وصفه فصف بعض خلقه وهو جبرئيل وميكائيل وجنود ملائكة المقربين ونتيجة باستثناء نقيض التالي لكنك
لا يمكنك وصف هؤلاء بالحقيقة فلا يمكنك وصفه تعالى بيان الملازمة ان وصفه تعالى اذا كان ممكنا لوصف بعض اثاره اسهل
واما بطلان التالي فلان حقيقة جبرئيل وميكائيل وسائر الملائكة المقربين غير معلومة لاحد من البشر فهو عاجز عن وصف بعض اثاره
فهو عن وصفه اعجز وحجرات القدس مقار الطهارة عن الهيئات البدنية والتعلقات الخالية عن شوائب النفس الامارة بالسوء واستعار
لفظ المرجحنين لخضوعهم تحت سلطان هيبته وعظمته وقوله عقولهم حيرى … وستنهها عن ادراك حقيقته بحد تقف عنده عظمته ثم
نبه على ما يدرك من جهة الوصف وهو ذو الهيات والالات التي تجري بها ويحيط بها الافهام من جهتها وما الجهه الفنا فينقضي
اذا بلغ امد حده ونفدت الافهام على ذلك الحد لتحالة الى اجزاء فيطلع على كنهه منها ثم عقب ذلك التنزيه بتوحيده ونفي الكثرة عنه و
قوله اضاء بنوره كل ظلام فالظلام اما محسوس فاضاء بانوار الكواكب او معقول وهو ظلام الجهل فاضاءه بانوار العلم والشرايع وقوله
واظلم بنوره كل نور اذ جميع الانوار المحسوسة والمعقولة لغيره متلاشية مضمحلة في نور علمه وظلام بالنسبة الى ضياء براهينه في جميع مخلوقاته
(بقوى الله) الكاشفة عن وجوده وكمال جوده ثم شرع في الموعظة فبدأ بالوصية باعتبار سلب مرين ما سبب البقاء في الحيوة الدنيا وهما المدرق
والمطعوم ويحتمل ان يريد بالمعاش سائر اسباب البقاء وبين بكرانه لا سبيل الى البقاء ودفع الموت تخويفا به ولنجمع عليه بقياس شرطي
متصل لو ان احدا يجد سبيلا الى دفع الموت لوجده سليمان ع وتقدير الاستثناء لكنه لم يجده فلن يجده احد بعده اما الملازمة فلان
سليمان كان اقوى سلطان وجد في العالم لاستيلاء حكمه على ملك الجن والانس مع النبوة وعظم الزلفة عند الله فكان اولى من يقدر
لو كان يمكن دفعه واما بطلان التالي فلما … استوفى طعمته واستكمل مدته مات فلو وجد لدفعه تعالى عن نفسه فقوله فلو ان الى
قوله سبيلا هو مقدم الشرطية وقوله لكان ذلك الى قوله منقول فيه مولنا التالي وقوله الذي الى قوله الزلفة بيان لوجه
(رتبة م) الملازمة وقوله فلما استوفى الى قوله وقوم اخرون هو بيان بطلان التالي ولفظ القسي والنبال استعارة لمرامي الامراض واسبابها التي
بنال الموت ووجهها ظاهر ثم شرع في التنبيه على الاعتبارات باحوال القرون السالفة واستفهم عن قرب قرب تنبيها على فنائهم واستفهاما بلكي فانهم
واستفهاما على سبيل التقرير والعمالقة اولاد لاوذ بن ارم بن سام بن نوح وكان الملك باليمن والحجاز وما تاخم ذلك من الاقاليم من اولاده عملاق و
طسم وجديس وكان العز والملك بعد عملاق في طسم فلما ملكهم عملاق بغى واكثر العبث والفساد في الارض حتى كان يطأ العروس
ليلة هدائها الى بعلها وان كانت بكرا افتضها قبل وصولها اليه ففعل ذلك بامرأة من جديس فغضب لها اخوها وتابعه قومه على الفتك
(دخل ل) بملك من طسم واهل بيته فصنع اخوها طعاما ودعا عملاقا الملك اليه ثم وثب به وبطسم فاتى على رؤسائهم ونجا منهم رياح بن مرة فصار
الى ذي حيشان بن تبع الحميري ملك اليمن فاستغاث به واستنجده على جديس الى ذوي حيث في حمير بلاد جو وهي قصبة اليمامة فاستاصلهم
جديسا واخرب اليمامة فلم يبق لجديس باقية ولا لطسم الا اليسير منهم ثم ملك بعد طسم وجديس وبار بن اميم بن لاوذ بن ارم بلاده واهله فنزل
(صمم ل) بارض وبار وهي المعروفة الان برمل عالج فبغوا في الارض حينا ثم افناهم الله ثم ملك بعد وبار عبد ضخم بن اسف بن لاوذ فنزلوا بالطائف
(ل) حينا ثم بادوا واما الفراعنة فهم ملوك مصر فمنهم الوليد بن ريان فرعون يوسف ومنهم الوليد بن مصعب فرعون موسى ومنهم فرعون
(اصنام) الاعرج الذي غزا بني اسرائيل واخرب بيت المقدس واما اصحاب مدائن الرس فقيل انهم اصحاب شعيب النبي ع وكانوا عبدة اوثان ولهم مواش
وابار يسقون منها والرس بئر عظيمة جدا انخسفت بهم وهم حولها وقيل الرس قرية باليمامة كان يسكنها قوم من بقايا ثمود فبغوا فاهلكوا
وقيل الرس اصحاب الاخدود وهو الاخدود وقيل الرس نهر عظيم في اقليم الباب والابواب مبدؤه من … طرابزون وينتهي الى نهر
الكر فيختلط به حتى يصب في بحر الخزر وكان هناك ملوك … فاهلكهم الله بعثهم وبالله التوفيق منها قد لبس للحكمة

جُنّتها وأخذها بجميع أدبها من الإقبال عليها والمعرفة بها والتفرّغ لها فهي عند نفسه ضالّته التي يطلبها وحاجته التي يسأل عنها فهو مغترب
إذا اغترب الإسلام وضرب بعسيب ذنبه وألصق الأرض بجرانه بقيّة من بقايا حجّته خليفة من خلائف أنبيائه ثم قال عليه السلام أيّها الناس
إنّي قد بثثت لكم المواعظ التي وعظ بها الأنبياء أممهم وأدّيت إليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم وأدّبتكم بسوطي
فلم تستقيموا وحدوتكم بالزواجر فلم تستوسقوا لله أنتم أتتوقّعون إماماً غيري يطأ بكم الطريق ويرشدكم السبيل ألا إنّه
قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلاً وأقبل منها ما كان مدبراً وأزمع الترحال عباد الله الأخيار وباعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى
بكثير من الآخرة لا يفنى ما ضرّ إخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفّين ألّا يكونوا اليوم أحياء يسيغون الغصص ويشربون
الرنق قد والله لقوا الله فوفّاهم أجورهم وأحلّهم دار الأمن بعد خوفهم أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحقّ أين عمّار
وأين ابن التيهان وأين ذو الشهادتين وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنيّة وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة ثم ضرب
بيده إلى لحيته فأطال البكاء ثم قال أوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه وتدبّروا الفرض فأقاموه أحيوا السنّة
وأماتوا البدعة دعوا للجهاد فأجابوا ووثقوا بالقائد فاتّبعوه ثم نادى بأعلى صوته الجهاد الجهاد عباد الله ألا وإنّي معسكر في يومي
هذا فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج قال نوف وعقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف ولقيس بن سعد في عشرة آلاف ولأبي أيوب الأنصاري
في عشرة آلاف ولغيرهم على أعداد أخر وهو يريد الرجعة إلى صفّين فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله فتراجعت العساكر
فكنّا كالأغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كلّ مكان **أقول** جرانه صدره وعسيب ذنبه طرفه واستوسق الأمر انتظم واجتمع
وأزمع صمّم عزمه والرنق بالسكون الكدر وأبرد أرسل وأوه ساكنة الواو ومكسورة الهاء كلمة توجّع والاختطاف والتخطّف
الأخذ بسرعة والإشارة إلى العارف مطلقاً وقال بعض الإماميّة الإشارة إلى الإمام المنتظر وليس بواضح من هذا الكلام ولفظ الجنّة مستعار للاستعداد
للحكمة بالزهد والعبادة الحقيقيّين والمواظبة على العمل بأوامر الله ووجه الاستعارة أنّ بذلك الاستعداد يأمن إصابة سهام الهوى وثوران
دواعي الشهوات القائدة إلى النار كما يأمن لابس الجنّة من أذى الضرب والجرح وأخذه لها بجميع أدبها من الإقبال عليها والمعرفة بها أي بقدرها
والتفرّغ لها عن العلائق الدنيويّة بالزهد من جملة الاستعداد لها أيضاً واستعار لها لفظ الضالّة لكمال إنشاده لها وطلبه كما يطلب الضالّة من
الإبل وإليه الإشارة بقوله عليه السلام الحكمة ضالّة المؤمن وقوله فهو مغترب إذا اغترب الإسلام إشارة إلى إخفائه نفسه وإيثاره العزلة عند اغتراب
الإسلام وضعفه وظهور البدع والمنكرات كما أشار إليه سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ واستعار لفظ العسيب
الذنب والجران ملاحظة لشبهه بالبعير البارك وكنّى بذلك عن ضعفه وقلّة نفعه فإنّ البعير أقلّ ما يكون نفعه حال بروكه وقوله بقيّة من
بقايا حجّته على خلقه إذ العلماء والعارفون حجج الله في الأرض على عباده وكونه خليفة من خلفاء أنبيائه لقوله عليه السلام العلماء ورثة الأنبياء وقوله
أيّها الناس إلى قوله تستوسقوا تذكير وعظة لهم وإعذار إليهم بأداء ما كلّف به في حقّهم ممّا كلّفت به الأنبياء مع أممهم والأوصياء
إلى من بعدهم ومعاتبة لهم وتوبيخ على عدم استقامتهم واجتماعهم على أمره مع تأديبه لهم بالضرب والتحذير بالزواجر وقوله لله أنتم إلى قوله السبيل
استفهام لهم عن توقّعهم إماماً هادياً مرشداً غيره استفهاماً على سبيل الإنكار لوجود سبيل ذلك الإمام وأكّد ذلك الإنكار المفهوم من
الاستفهام بقوله ألا إنّه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلاً أي من الخير وصلاح أهلها وأقبل منها ما كان مدبراً أي من الشرور التي أدبرت بمقدم
الرسول صلى الله عليه وآله وظهور الإسلام وأزمع للترحال عباد الله الأخيار المتوقّع فيهم إمام كمثله عليه السلام في الهداية لسبيل الله وإزماعهم للترحال كناية عن
اقتضاء الزمان لفنائهم من الدنيا والرحيل عنها ثم استعار لفظ البيع لتعويضهم بالقليل الفاني من متاع الدنيا الكثير الباقي من متاع
الآخرة ثم أخذ في التذكير بمن مضى بالموت وعدم الحياة من إخوانه من الصحابة الذين قتلوا بصفّين وزهّد في تلك الحياة بكونها محلّ
تجرّع الغصص وشرب الكدر من الآلام والأعراض ومشاهدة المنكرات ونبّه على ما لهم في عدمها من الفائدة وهي
لقاء الله وتوفيته لأجورهم على الأعمال الصالحة وحلولهم في دار الأمن أي الجنّة بعد خوفهم من فتن أهل الضلال ثم أخذ في الاستفهام عمّن ركب طريق
الحقّ ومضى عليه مستصحباً له استفهاماً على سبيل التوجّع لفقدهم والتوحّش لفراقهم ثم عن أعيان أكابرهم فذكر عمّار بن ياسر وفضله في الصحابة
مشهور وأبوه عربيّ قحطانيّ وأمّه أمة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي ولدت عمّاراً فأعتقه أبو حذيفة فمن هناك كان عمّار مولى لبني مخزوم
أسلم هو وأمّه سميّة فعذّبهما بنو مخزوم في الله فأعطاهم عمّار ما أرادوا بلسانه مع اطمئنان قلبه بالإيمان فنزلت فيه إلّا من أكره وقلبه مطمئنّ
بالإيمان وهاجر إلى أرض الحبشة وصلّى القبلتين وهو من المهاجرين الأوّلين وشهد بدراً والمشاهد كلّها وأبلى بلاءً حسناً ثم شهد اليمامة
فأبلى فيها أيضاً ويومئذ قطعت أذنه وعن ابن عبّاس في قوله تعالى أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس قال هو عمّار بن
ياسر وعن عائشة أنّها قالت ما من أحد من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله أشاء أن أقول فيه إلّا قلت إلّا عمّار بن ياسر فإنّي سمعته صلى الله عليه وآله يقول إنّه
ملئ إيماناً إلى أخمص قدميه وعنه عليه السلام عمّار جلدة ما بين عينيّ تقتله الفئة الباغية لا أنالها الله شفاعتي وعنه عليه السلام من أبغض عمّاراً أبغضه
الله وأمّا ابن التيهان بياء مشدّدة مفتوحة تنقط باثنتين من تحت ويروى بحاء مهملة ساكنة فهو من الأنصار كنيته أبو الهيثم واسمه مالك بن

وقيل بل اسم

٢٣ ج

وقيل بل اسم أبيه عمرو بن الحارث وهو ابن التيهان كان أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدراً والمشهور أنّه أدرك صفّين مع علي عليه السلام وقتل بها وقيل توفّي في
زمان الرسول صلى الله عليه وآله وأمّا ذو الشهادتين فكنيته أبو عمارة واسمه خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الخطمي الأنصاري من الأوس جعل رسول الله
شهادته بشهادة رجلين لقضيّة مشهورة وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد وكانت راية بني خطمة من الأوس يوم الفتح بيده وشهد صفّين
مع علي عليه السلام فلمّا قتل عمّار قاتل هو حتى قتل معه ونظراؤهم من إخوانه أي الذين قتلوا بصفّين معه من الصحابة كابن بديل وهاشم بن عتبة
وغيرهما وتعاقدهم على المنيّة اتّفاقهم على القتال إلى غاية أن يقتلوا وروي تعاهدوا والفجرة الذين حملت رؤوسهم إليهم أمراء الشام
ثم أخذ في التشكّي والتوجّع على فقدهم ثم أشار إلى فضائلهم التي هي غاية الشريعة المطلوبة منهم نهاراً وهي تلاوة القرآن وإحكام تفهّم
معانيه والتدبّر للفرض أي فهم ما لأجله العبادات وإقامتها والمواظبة عليها نظراً إلى أسرارها وإحياء السنن بالتقوية وإماتة البدع
المخالفة لها وإجابتهم للدعوة إلى الجهاد لإقامة الدين ووثوقهم بالقائد في سبيل الله يعني نفسه واتّباعهم له وأراد بالرواح إلى الله الخروج إلى الجهاد
الذي هو سبيله الموصل إليه وإلى ثوابه وقيس بن سعد الخزرجي صحابي كنيته أبو عبد الملك روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أحاديث وأبوه سعد
من رؤساء الخزرج وهو سعد بن عبادة الذي حاولت قومه إقامته خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وكان قيس هذا من كبار شيعة علي ومحبّيه وشهد معه
حروبه كلّها وكان مع الحسن ابنه ونقم عليه صلحه لمعاوية وأمّا أبو أيّوب الأنصاري فهو خالد بن سعد بن كعب الخزرجي من بني النجّار شهد العقبة و
بدراً وسائر المشاهد وعليه نزل رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا خرج من بني عمرو بن عوف حين قدم المدينة مهاجراً فلم يزل عنده حتى بنى مسجده
ومساكنه ثم انتقل إليها وشهد مع علي مشاهده كلّها الجمل وصفّين وكان على مقدّمته يوم النهروان وبالله التوفيق **ومن خطبة**
له عليه السلام الحمد لله المعروف من غير رؤية والخالق من غير منصبة خلق الخلائق بقدرته واستعبد الأرباب بعزّته وساد العظماء
بجوده وهو الذي أسكن الدنيا خلقه وبعث إلى الجنّ والإنس رسله ليكشفوا لهم عن غطائها وليحذّروهم من ضرّائها وليضربوا لهم
أمثالها وليبصّروهم عيوبها وليهجموا عليهم بمعتبر من تصرّف مصاحّها وأسقامها وحلالها وحرامها وما أعدّ الله سبحانه للمطيعين
منهم والعصاة من جنّة ونار وكرامة وهوان أحمده إلى نفسه كما استحمد إلى خلقه وجعل لكلّ شيء قدراً ولكلّ قدر أجلاً ولكلّ
أجل كتاباً **أقول** المنصبة التعب حمد الله باعتبار كونه معروفاً بآياته تارة عند العقول المعرفة المنزّهة عن إدراك البصر لجسميّتها
ولواحقها ثم باعتبار كونه خالقاً وجعل الإيجاد المنزّه عن المتاعب لاستلزامها الآلات المستلزمة للجسميّة التي من شأنها الضعف ونهاية
القوّة ثم نبّه على أنّ الخلائق والنعم الفائضة إلى قدرته ليعتبر السامعون تنبيههم لذلك وباعتبار استعباده الأرباب على كمال عزّه المطلق
الواجبي المستلزم لخضوع كلّ موجود في ذلّ الإمكان والحاجة إليه وسيادته للعظماء على كمال عظمته وجوده الواجبي المطلق المستلزم لفقر كلّ
إليه وتعبّده له ثم نبّه بإسكانهم الدنيا وبعثه رسله إلى الجنّ والإنس منهم كما قال يا معشر الجنّ والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم
آياتي على كمال لطفه بخلقه وحكمته في إيجادهم في الدنيا وغاية ذلك أن يكشفوا لهم ما يغطّي بحجب الدنيا عن أعين بصائرهم من أحوال الآخرة التي خلقوا
لها وأن يحذّروهم بالبحث عن ضرّ الدنيا وعوائدها وضرب الأمثال بتشبيهها كما في القرآن الكريم إنّما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه الآية وأمثالها وأن
يبصّروهم عيوبها وأن يهجموا عليهم بما في تصاريفها من العبرة وهي الصحّة والسقم وما أحلّ وحرّم على طريق الابتلاء به وحلالها عطف على تصرّف
ويحتمل أن يكون عطفاً على أسقامها باعتبار أنّ الحلال والحرام من تصاريف الدنيا وبيانه أنّ كثيراً من المحرّمات لنبيّ كانت حلالاً لأمم
قبله وبالعكس وذلك تابع لمصالح الخلق بمقتضى تصاريف أوقاتهم وأحوالهم التي هي تصاريف الدنيا وقوله وما أعدّ الله إمّا عطف على
معتبر أو على عيوبها أي ويبصّرونهم ما أعدّ الله للمطيعين والعصاة في الآخرة وقوله أحمده إلى نفسه كما استحمد إلى خلقه أي أحمده حمداً كائناً في
الكيفيّة والكميّة على الوجه الذي طلب الحمد لنفسه من خلقه وقوله جعل لكلّ شيء قدراً كقوله تعالى قد جعل الله لكلّ شيء قدراً أي مقداراً
من الكيفيّة والكميّة ينتهي إليه وحدّاً يقف عنده ولكلّ قدر أجلاً أي لكلّ مقدار وقت يكون انقضاؤه فيه وفناؤه ولكلّ أجل كتاباً أراد
بالكتاب العلم الإلهي المعبّر عنه بالكتاب المبين واللوح المحفوظ المحيط بكلّ شيء وفيه رقم كلّ شيء وبالله التوفيق **منها في ذكر القرآن** فالقرآن آمر
زاجر وصامت ناطق حجّة الله على خلقه أخذ عليه ميثاقهم وارتهن عليه أنفسهم أتمّ نوره وأكرم به دينه وقبض نبيّه صلى الله عليه وآله وقد فرغ إلى الخلق
من أحكام الهدى به فعظّموا منه سبحانه ما عظّم من نفسه فإنّه لم يخف عنكم شيئاً رضيه أو كرهه إلّا وجعل له علماً بادياً وآية محكمة تزجر عنه أو تدعو
إليه فرضاه فيما بقي واحد واعلموا أنّه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممّن كان قبلكم وإنّما تسيرون
في أثر بيّن وتتكلّمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم قد كفاكم مؤونة دنياكم وحثّكم على الشكر وافترض من ألسنتكم الذكر وأوصاكم

من دينه ولم يترك شيئاً
وسخطه فيما بقي واحد

وجعلها منتهى رضاه وحاجته من خلقه فاتّقوا الله الذي أنتم بعينه ونواصيكم بيده وتقلّبكم في قبضته إن أسررتم علمه وإن أعلنتم كتبه قد
وكّل بكم حفظة كراماً لا يسقطون حقّاً ولا يثبتون باطلاً واعلموا أنّ من يتّق الله يجعل له مخرجاً من الفتن ونوراً من الظلم ويخلّده فيما
اشتهت نفسه وينزله منزل الكرامة عنده في دار اصطنعها لنفسه ظلّها عرشه ونورها بهجته وزوّارها ملائكته ورفقاؤها رسله
فبادروا المعاد وسابقوا الآجال فإنّ الناس يوشك أن ينقطع بهم الأمل ويرهقهم الأجل ويسدّ عنهم باب التوبة فقد أصبحتم في مثل ما سأل

اليه الرجعة من كان قبلكم وانتم بنو سبيل على سفر من دار ليست بداركم وقد اوذنتم منها بالارتحال وامرتم فيها بالزاد واعلموا انه ليس لهذا
الرقيق صبر على النار فارحموا نفوسكم فانكم قد جربتموها في مصائب الدنيا افرأيتم جزع احدكم من الشوكة تصيبه والعثرة تدميه والرمضاء
تحرقه فكيف اذا كان بين طابقين من نار ضجيع حجر وقرين شيطان اعلمتم ان مالكا اذا غضب على النار حطم بعضها بعضا لغضبه واذا زجرها
توثبت بين ابوابها جزعا من زجرته ايها اليفن الكبير الذي قد لهزه القتير كيف انت اذا التحمت اطواق النار بعظام الاعناق ونشبت
الجوامع حتى اكلت لحوم السواعد فالله الله معشر العباد وانتم سالمون في الصحة قبل السقم وفي الفسحة قبل الضيق فاسعوا في فكاك
رقابكم من قبل ان تغلق رهائنها اسهروا عيونكم واضمروا بطونكم واستعملوا اقدامكم وانفقوا اموالكم وخذوا من اجسادكم فجودوا
بها على انفسكم ولا تبخلوا بها عنها فقد قال الله سبحانه ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم وقال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
له وله اجر كريم فلم يستنصركم من ذل ولم يستقرضكم من قل استنصركم وله جنود السموات والارض وهو العزيز الحكيم واستقرضكم و
خزائن السموات والارض وهو الغني الحميد وانما اراد ان يبلوكم ايكم احسن عملا فبادروا باعمالكم تكونوا مع جيران الله في داره رافق
بهم رسله وازارهم ملائكته واكرم اسماعهم عن ان تسمع حسيس نار ابدا وصان اجسادهم ان تلقى لغوبا ونصبا ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء والله ذو الفضل العظيم اقول ما تسمعون والله المستعان على نفسي وانفسكم وهو حسبنا ونعم الوكيل اقول اليفن الشيخ الكبير
والقتير الشيب ولهزه خالطه والجوامع جمع جامعة وهي الغل لجمعها الايدي الى الاعناق واللغوب التعب قد وصف القرآن الكريم باوصاف
متغايرة لاختلاف الاعتبارات فالآمر مع الزاجر واطلاقهما عليه مجاز من باب اطلاق اسم السبب على المسبب اذ الآمر والناهي هو الله تعالى والصامت
مع الناطق واطلاق لفظ الناطق عليه مجاز اذ الناطق هو المتكلم به من باب اسم المتعلق على المتعلق وكونه حجة الله على خلقه لاشتماله على
وعدهم ووعيدهم وبيان غاية وجودهم والمطلوب منهم والاعذار اليهم ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين ولانه خلاصة ما بعث به
الرسول وقد بعث رسله مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولانه اقوى المعجزات التي تحقق بها الرسول
على الخلق في صدقه وقوله اخذ عليهم ميثاقه الضمير في اخذ لله وفي ميثاقه للكتاب وذلك الاخذ هو خلقهم وبعثهم الى الوجود والى ان يعملوا
بما اشتمل عليه الكتاب من مطالب الله الحقة وهو ما اشار اليه القرآن الكريم واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية والتقدير
اخذ عليهم ميثاقا فيه وقوله وارتهن عليه انفسهم اي جعل انفسهم رهنا على العمل بما فيه والوفاء به فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن
اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما واتم به نوره اي نور هدايته للخلق والنور المتمم هو نور النبوة وهو المشار اليه بقوله تعالى
يريدون ان يطفؤا نور الله ويأبى الله الا ان يتم نوره واطفاؤه بما كانوا يقولون من كونه معلم مجنون وساحر كذاب وكون القرآن
اساطير الاولين اكتتبها وكذلك اكرم به دينه وقوله وقبض نبيه الى قوله به كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم الآية واحكام الهدى بيان طرقه وكيفية سلوكها
وتثبيتها في قلوب المؤمنين ثم امر بتعظيم الله سبحانه ونعم ما يقال عظمت من فلان كما يقال عظمته وما هنا مصدرية اي عظموه كتعظيمه نفسه
اي اطلبوا المناسبة في تعظيمكم له كتعظيمه نفسه ثم اشار الى وجه وجوب تعظيمنا له وهو قوله لم يخف عنكم شيئا من دينه بل كشفه لنا و
بينه باجمعه بقدر الامكان ولم يترك شيئا من مرضيه ومكارهه الا نصب عليه علما ظاهرا وآية واضحة من كتابه يشتمل على امر بها او ضده وزجر
عما يكرهه وقوله فرضاه فيما بقي واحد وسخطه فيما بقي واحد اشارة الى ان المرضي له من الاحكام والمسخوط فيما مضى هو المرضي والمسخوط
فيما بقي من الاوقات والمستقبل من الزمان وحكمه في كونه مرضيا او مسخوطا واحد في جميع الاوقات لا يتغير ولا ينقص وفيه ايماء الى
ان رفع شيء من الاحكام الثابتة بالقياس والرأي لا يجوز كما سبق بيان مذهبه في ذلك وقوله فانه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على
من كان قبلكم الى قوله قبلكم تأكيد وتقرير لما سبق اي ان ما سخطه ونهى عنه الصحابة مثلا فلن يرضى عنكم بفعله فليس لكم ان تجوزوه
وتحلوه باجتهاد وكذلك ما رضيه لهم وامرهم به فلن يسخط عليكم بفعله حتى تحرموه باجتهاد منكم ويحتمل ان يريد بقوله فرضاه فيما بقي
واحد اي فيما بقي من الاحكام الجزئية التي لم يدل النص عليها بالمطابقة بل يحتاج الى الاجتهاد في الحاقها بالمنصوص وادراجها تحت
النصوص ومعنى وحدة رضاه وسخطه فيها ان الحكم المطلوب والمكروه فيها واحد لا يجوز الاختلاف فيه حتى يحكم احد المجتهدين
في الشيء الواحد بالحل ويحكم الآخر فيه بالحرمة ويختلف الفتاوى في تلك القضية اما مسخوط او مرضي ويكون ذلك نهيا منه
عن الاختلاف في الفتيا كما علمت تقدم ذلك فيما سبق من الفصول ويكون قوله واعلموا انه لن يرضى عنكم الى قوله قبلكم في معنى النهي
عن رفع الاحكام الشرعية بالاجتهاد والقياس كما قررناه وقيل معناه النهي عن الاختلاف في الفتيا ايضا اي انه لن يرضى عنكم بالاختلاف
الذي سخطه ممن كان قبلكم كما اشار اليه تعالى بقوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وكذلك لن يسخط عليكم بالاتفاق
والاجتماع المرضي ممن كان قبلكم وقيل بل المراد انه لن يرضى عنكم بشيء سخطه ممن كان قبلكم من الاعتقادات الباطلة في المسائل
الالهية ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممن كان قبلكم من الاعتقادات الحقة فيها ويكون ذلك مختصا بالاصول دون الفروع
وقوله وانما تسيرون في اثر بين الى قوله قبلكم اشارة الى ان الادلة واضحة وقد تداولها الاولون قبلكم فانه لتكلمون بها رددها
لكم

ويرجع القول المردد منه وقوله قد كفاكم مؤنة دنياكم كقوله تعالى وآتاكم من كل ما سألتموه وتلك الكفاية اما بخلقها وايجادها واما بتقديره بكل ما كتب
له في اللوح المحفوظ وحثه على الشكر تكرارا وامره به ونقل عن الحسن البصري انه قال ان الله كفانا مؤنة دنيانا وحثنا على القيام
بوظائف ديننا فليته كفانا مؤنة ديننا وحثنا على القيام بوظائف دنيانا وهو اشارة منه الى شدة التحفظ في الدين والاحتراز
عليه وقوله وافترض من ألسنتكم الذكر ولما كان لكل من الجوارح عبادة كانت العبادة المفروضة باعتبار اللسان الذكر وقد علمت
انه باب عظيم من ابواب السلوك الى الله بل هو روح العبادات اذ كل عبادة لم يشفع بالذكر فهي خداج ثم نبه على التقوى ووصيته بها
ثم فيها انه يكونها منتهى رضاه وحاجته من خلقه ولفظ الحاجة مستعار اذ تنزه قدسه تعالى عنها ووجه مشابهته للمحتاج هو
الحث والطلب المتكرر منه حتى كانه محتاج الى عبادة العباد وتقويهم ولما استلزمت التقوى الحقيقية الوصول الى الله لاجرم كانت
منتهى رضاه من خلقه ثم امرهم بها بعد التنبيه عليها ونبه على الوجوه التي لاجلها يحصل تقوى الله وخشيته وهي كونهم بعينه اي بحيث
يعلم ما يعملون ولفظ العين مجاز في العلم اطلاقا لاسم السبب على المسبب لاستلزامها اياه وكون نواصيهم بيده اي في قدرته وتحت حكمه
والناصية اشارة الى ان اعظمية الانسان واشرف ما فيه مملوك واليد مجاز في القدرة اطلاقا لاسم السبب القابلي على المسبب وكذلك
كون تقلبهم في قبضته اي تصرفهم في حركاتهم وسكناتهم بحسب تصريف قدرته وحكمه لا خروج عنه في شيء وقوله ان اسررتم
كقوله تعالى يعلم ما تسرون وما تعلنون وكتبه الى قوله بالهلاك وقد سبقت الاشارة الى الكتبة غير مرة ثم اكد الامر بالتقوى بقوله واعلموا
الى قوله من الفتن وهو لفظ القرآن وقوله من الفتن تفسير لقوله مخرجا ونورا من الظلم اي من ظلم الجهل بانوار العلوم الحاصلة عن
الاستعداد بالتقوى وقوله ويخلده فيما اشتهت نفسه كقوله تعالى وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون ومنزل الكرامة هو المنزل المبارك
المأمور بطلبه في قوله تعالى وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين والدار التي اصطنعها لنفسه كناية عن الجنة ونسبها
الى نفسه تعظيما لها وترغيبا فيها وظاهر تلك التشبيهات الجنة المحسوسة شرف دار وتنبيه لاشرف المخلوقات واما المعقولة فتعود
الى درجات الوصول والاستغراق في المعارف الالهية التي بها السعادة والبهجة واللذة التامة وهي جامع الاعتبار العقلي لمنازل
اولياء الله وخاصته ومقامات ملائكته ورسله من المعارفات الملك العظيم اذا صرف عنايته الى بناء دار لنفسه كما هو وخاصته
ان يقال انها تختص بالملك وانه بناها وظاهر الكلام يدل على انها في السموات وان العرش عليها وفي هذه الكلمة لطيفة وذلك ان لفظ
العرش يطلق ويراد به الفلك التاسع ويطلق ويراد به العقل الاول باعتبار احاطته علما بجميع الموجودات وباعتبار حمله المعرفة
الاولى حملت عظمته ويطلق ويراد به سلطانه وعظمته واستعار لفظ الظل للعرش بالمعنى الاول باعتبار ان حركة الفلك من الاسباب المعدة
لوصول النفوس البشرية والفلكية الى كمالها بالمعارف الالهية التي بها النجاة من حرارة نار الجهل كما ان بالظل تكون الراحة من حرارة الشمس وبالمعنى الثاني
ايضا هي ان المعارف الالهية المفاضة على اسرار السعداء من قبل ذلك الملك المقدس تكون بها الراحة الكبرى كما تكون بالظل ايضا وبالمعنى الثالث
ان سلطانه تعالى وعلوه هو المستولي على كل سلطان والعالي علية العلو المطلق واذ هو مبدأ واحد جميع النفوس بجميع كمالاتها العقلية فهو
ظلها الذي اليه ملجأها واطلاق لفظ الظل على النعمة والسلطان في العرف ظاهر يقال انا في ظل فلان وفي ظل الملك وعدله اذا كان في نعمة
منه وعنايته وقوله ونورها بهجته فبهجته تعالى تعود الى بهائه وكماله المشرق في اقطار العالمين على اسرار النفوس وظاهر كونه نور الجنة الذي تغشى به
ابصار البصائر وتستغرق في الابتهاج به الملائكة المقربون وقوله وزوارها ملائكته ورفقاؤها رسله فيه لطيفة وذلك انه لما كانت النفوس
البشرية متحدة كانت متفاوتة المنازل في الكمال ومكن ها هنالك تعبر عن الرسل بالرفقاء في الجنة لسكانها ولما خالفت انواع الملائكة لسكان الجنة
والمجردين عن علائق الاجسام في الحقائق وتفاوتت في الكمالات لاجرم خصص الملائكة بكونهم زوارها اي زوار ساكنيها الكاملين الراقين
الصنو واقرب من الزائر وعبر بلفظ الزيارة عن حضور الملأ الاعلى عند النفوس الكاملة حين عند انقطاعها عن العلائق الحسية والتفاتها
عنها ولما كان ذلك الحضور غير دائم بل بحسب ثبات النفس اشبه الزيارة فاستعير له لفظها وايضا كان الملك هو الزائر دون النفس لان صورته ومثاله
هو الواصل الى النفس عند استعدادها للصورة من فيض واهب الصور ثم عاد الى التذكير بامر المعاد فامرهم بالمبادرة الى المعاجلة الى ما يصلحه ويخلص
من اهواله ومشاق القربات الى الله وكذلك مسابقة الآجال وقوله فان الناس يوشك ان ينقطع بهم الامل اي امل الدنيا للبقاء فيها والاجل
ذلك الانقطاع وقوله يجب ان يلتفت الى صلاح المعاد ويرهقهم الاجل اي يلحقهم فلاجل ذلك اللحوق يجب ان يسارع الى العمل لما يبقى ويسد
عنهم باب التوبة بادراك الاجل فيجب مبادرتها وقوله فقد اصبحتم الى قوله قبلكم اي اصبحتم في حال الحيوة والصحة والامن وسابر لكم ليتمنا
التي يتمنى من كان قبلكم الرجعة اليها ويمكنكم معها العمل وقوله وانتم بنو سبيل الى قوله بالزاد فالواو في وانتم للحال واستعار وصف
بنو السبيل لكونهم في هذه الدار بالعرض بقصد بهم العناية الالهية غاية اخرى وحثهم بالشريعة عن الرحيل عن الدنيا فهم فيها كالمسافرين
فابواب مدينتهم جود الله واقرب الابواب الى الدنيا الارحام التي منها يخرجون اليها وابواب الخروج منها هي الموت ولفظ السفر مستعار لسيرهم
بفرائض الحقيقة وظاهر ان دار الابقاء لا انس فيها بل يكون مرافق الطريق دارا اخرى ليست بدار للسالك الى تلك الدار وبنبه على انهم

كلام لامير المؤمنين في وصف المتقين

فيها بالرحيل عنها تصبراً عن الركون اليها وتجافياً عنها وحثاً على امرهم باتخاذ الزاد فيها تنبيهاً على ان هناك غاية لها يجب ان يستعد للسلوك اليها
فيها ولفظ الزاد مستعار للتقوى لله وطاعته التي هي زاد النفوس الى حضرة رب العالمين وقوله واعلموا الى قوله نفوسكم تذكير بالوعيد على المعاصي
وامرهم برحمة نفوسهم وذلك بالاعمال الصالحة واتباع اوامر الله وقوله فانكم قد جربتموها الى قوله شيطان في قوة احتجاج على وجوب تلك
الرحمة والخيفة انكم جربتم انفسكم في هذه الامور الحقيرة فجزعتم وكل من جزع من امثال هذه فبالاولى ان يجزع من كونه بين طابقين من نار
ضجيع حجر وقرين شيطان من قوله فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون وهم الشياطين وقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض
له شيطاناً فهو له قرين الى قوله ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون وقوله اعلمتم ان مالكاً الى قوله زجرته من صفات
النار المحسوسة وذكرها للتخويف والتحذير وقوله ايها اليفن الكبير الى قوله السواعد خطاب للشيخ الكبير لانه اولى بالاقلاع عن المعصية
لقربه من الآخرة وسؤاله عن حاله سؤال تقريع وتوبيخ على المعصية واطواق النار المحسوسة ظاهرة واطواقها المعقولة تمكن الهيئات الردية
من اعناق النفوس واغلالها من سواعدها ثم اخذ في التحذير من الله لغاية العمل بما يخلصه حال الصحة والفسحة قبل الخوف ووصف بها
ثم في الامر بالسعي لغاية فكاك رقابهم من النار وقيل ان تغلق رهائنها باثامها وقد علمت وجه الاستعارة هنا للرهن ثم الامر بالتهجد و
كنى به عن قطع الليل بالعبادة كقوله تعالى ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً وانما خص الليل لانه مظنة الخلوة بالله والفراغ من الناس
ولان النهار محل عبادة اخرى كالجهاد والكدح للعيال ثم بتضمير البطون وكنى به عن صيام النهار ثم باستعمال اقدامهم وكنى به عن القيام في
الصلوة ثم بانفاق اموالهم وكنى به عن الصدقات والزكوات في سبيل الله ثم بالاخذ من اجسادهم وكنى به عن اذابتها بالصيام وارقها
للصلوات وايثار التقشف المستلزم للاعراض عن زينتها هذه الاسباب لاستلزام ذلك حب الدنيا والاقبال على لذاتها ولا شك ان الاخذ
من الجسد بهذه العبادات جود على النفس بكمال الخير والقرب من الله تعالى ولذلك قال فجودوا بها على انفسكم ولا تبخلوا بها عنها وفي
ذكر ان اتعاب الجسد جود على النفس ترغيب فيه ثم استشهد بالآيتين على وعد الله بالنصر لمن نصره وبمضاعفة الاجر لمن اقرضه بعد
امره بنصر الله بامتثال اوامره وبقرضه بالصدقات ووجه استعارة لفظ القرض كثرة الاوامر الالهية الطالبة للصدقات فاشبهت
طلب المحتاج المستقرض وفائدة هذه الاستشهاد الى قوله ايكم احسن عملاً اعلامهم بانه الغني المطلق عن عباده فيما طلبه منهم من نصره وقرضه
وبيان غاية العناية الالهية منهم بذلك وهو الابتلاء وقد علمت ابتلاء الله تعالى لخلقه غير مرة ثم اعاد الامر بالمبادرة الى الاعمال الاخروية
لغاية الكون مع جيران الله في جنته مرافقين لرسله كما قال حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ومرافقة
رسله كقوله تعالى اولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً ومزاورين بالملائكة
كقوله تعالى يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وتكرمة اسماعهم ان تسمع حسيس نار ابداً كقوله تعالى لا يسمعون
حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون وصيانة اجسادهم ان تلقى لغوباً ونصباً كقوله تعالى لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب
وقوله ذلك فضل الله الآية اقتباس للاثر ووجه الاقتباس ظاهر وقوله اقول الى آخره خاتمة الخطبة وفيها الاستعانة بالله على التقوى والاستعانة
بالتوفيق في نهوضها ونطوقها بالنفوس المطمئنة فانه نعم المعين ونعم الوكيل **ومن كلام له عليه السلام** للبرج بن مسهر الطائي وقد قال بحيث
يسمعه لا حكم الا لله وكان من الخوارج اسكت قبحك الله يا اثرم فوالله لقد ظهر الحق فكنت فيه ضئيلاً شخصك خفياً صوتك حتى اذا نعر
الباطل نجمت نجوم قرن الماعز **اقول** هو البرج بالباء المضمومة والجيم وقبحه الله نحاه عن الخير والاثرم ساقط الثنية والضئيل الصغير
الحقير النحيف ونعر صاح ونجم طلع وكان البرج شاعراً مشهوراً من شعراء الخوارج نادى بشعارهم بحيث يسمعه ع فزجره وقبحه ودعاه بافته
له وانتقاصاً كما هو العادة في اهانة ذوي العاهات بذكر آفاتهم وكنى بضؤولة شخصه عند ظهور الحق عن خفائه في زمن الرسول صلعم
وخمول ذكره وظهور الحق زمان قوة الاسلام وقبل ظهور الفتن وقوة الباطل وبخفاء صوته عن عدم الالتفات الى اقواله وحقارته واستعار
لفظ النعير لظهور الباطل ملاحظة لشبهه في قوته وظهوره بالرجل الصائح المتكلم عن جرأة وشجاعة وحسن تشبيه ظهوره بين الناس
وارتفاع ذكره عند ظهور الباطل وقوته بظهور قرن الماعز في السرعة اي طلعت بلا شرف ولا شجاعة ولا قدم بل على غفلة كما
قرن الماعز ومن البلاغة تشبيه من يراد اهانته بالمهين الحقير وتشبيه من يراد تعظيمه بالعظيم الخطير وبالله التوفيق **ومن خطبة
له عليه السلام** روي ان صاحباً لامير المؤمنين عليه السلام يقال له همام كان رجلاً عابداً فقال له يا امير المؤمنين صف لي المتقين حتى
كاني انظر اليهم فتثاقل عن جوابه ثم قال له ع يا همام اتق الله واحسن فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فلم يقنع همام بذلك
حتى عزم عليه فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال ع اما بعد فان الله سبحانه خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم آمناً
من معصيتهم لانه لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من اطاعه فقسم بينهم معايشهم ووضعهم من الدنيا مواضعهم فالمتقون فيها
هم اهل الفضائل منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع غضوا ابصارهم عما حرم الله تعالى عليهم ووقفوا اسماعهم على
العلم النافع لهم نزلت انفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء لولا الاجل الذي كتب الله لهم لم تستقر ارواحهم في اجسادهم طرفة عين

شوقا الى

في صفات المتقين وفضائلهم

شوقاً الى الثواب وخوفاً من العقاب عظم الخالق في انفسهم فصغر ما دونه في اعينهم فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن
قد رآها فهم فيها معذبون قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة واجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة وانفسهم عفيفة صبروا اياماً قصيرة اعقبتهم راحة
طويلة تجارة مربحة يسرها لهم ربهم ارادتهم الدنيا فلم يريدوها واسرتهم ففدوا انفسهم منها اما الليل فصافون اقدامهم تالين لاجزاء القرآن
يرتلونها ترتيلاً يحزنون به انفسهم ويستثيرون به دواء دائهم فاذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعاً وتطلعت نفوسهم اليها شوقاً وظنوا انها
نصب اعينهم واذا مروا بآية فيها تخويف اصغوا اليها مسامع قلوبهم وظنوا ان زفير جهنم وشهيقها في اصول آذانهم فهم حانون على اوساطهم
مفترشون لجباههم واكفهم وركبهم واطراف اقدامهم يطلبون الى الله تعالى في فكاك رقابهم واما النهار فحلماء علماء ابرار اتقياء قد براهم
الخوف بري القداح ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقول قد خولطوا وقد خالطهم امر عظيم لا يرضون من اعمالهم
القليل ولا يستكثرون الكثير فهم لانفسهم متهمون ومن اعمالهم مشفقون اذا زكي احدهم خاف مما يقال له فيقول انا اعلم بنفسي من غيري
وربي اعلم مني بنفسي اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني افضل مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون فمن علامة احدهم انك ترى له قوة في
دين وحزماً في لين وايماناً في يقين وحرصاً في علم وقصداً في غنى وخشوعاً في عبادة وتجملاً في فاقة وصبراً في شدة وطلباً في حلال و
نشاطاً في هدى وتحرجاً عن طمع يعمل الاعمال الصالحة وهو على وجل يمسي وهمه الشكر ويصبح وهمه الذكر يبيت حذراً ويصبح فرحاً
حذراً لما حذر من الغفلة وفرحاً بما اصاب من الفضل والرحمة ان استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب قرة عينه فيما
لا يزول وزهادته فيما لا يبقى يمزج الحلم بالعلم والقول بالعمل تراه قريباً امله قليلاً زلله خاشعاً قلبه قانعة نفسه منزوراً اكله سهلاً امره حريزاً
دينه ميتة شهوته مكظوماً غيظه الخير منه مأمول والشر منه مأمون ان كان في الغافلين كتب في الذاكرين وان كان في الذاكرين لم يكتب
من الغافلين يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه بعيداً فحشه ليناً قوله غائباً منكره حاضراً معروفه مقبلاً خيره مدبراً شره
في الزلازل وقور وفي المكاره صبور وفي الرخاء شكور لا يحيف على من يبغض ولا يأثم فيمن يحب يعترف بالحق قبل ان يشهد عليه لا يضيع
ما استحفظ ولا ينسى ما ذكر ولا ينابز بالالقاب ولا يضار بالجار ولا يشمت بالمصائب ولا يدخل في الباطل ولا يخرج من الحق ان صمت لم
يغمه صمته وان ضحك لم يعل صوته وان بغي عليه صبر حتى يكون الله تعالى هو الذي ينتقم له نفسه منه في عناء والناس منه في راحة اتعب
نفسه لآخرته واراح الناس من نفسه بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ليس تباعده بكبر وعظمة ولا دنوه
بمكر وخديعة قال فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها فقال امير المؤمنين ع اما والله لقد كنت اخافها عليه ثم قال هكذا تصنع المواعظ
البالغة باهلها فقال له قائل فما بالك انت يا امير المؤمنين فقال ويحك ان لكل اجل وقتاً لا يعدوه وسبباً لا يتجاوزه فمهلاً لا تعد
لمثلها فانما نفث الشيطان على لسانك **اقول** ومن هيهنا اختلفت نسخ النهج فكثير منها تكون هذه الخطبة فيها اول المجلد الثاني منه بعد
الخطبة المسماة بالقاصعة ويكون عقيب كلامه ع للبرج بن مسهر الطائي قوله ومن خطبة له ع الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد
وكثير من النسخ تكون هذه الخطبة فيها متصلة بكلامه ع للبرج بن مسهر ويتأخر تلك الخطبة فيكون بعد قوله ومن كلام له ع وهو يلي غسل
رسول الله صلعم ويتصل ذلك الى تمام الخطبة المسماة بالقاصعة ثم يليه قوله باب المختار من كتب امير المؤمنين ورسائله وعليه جماعة من الشارحين
كالامام قطب الدين ابي الحسن الكيدري والفاضل عبد الحميد بن ابي الحديد ووافقتهم في هذا الترتيب لغلبة الظن باعتمادهم على النسخ واما
همام هذا فهو همام بن شريح بن يزيد بن مرة بن عمرو بن جابر بن عوف الاصهب كان من شيعة علي ع واوليائه ناسكاً عابداً وتثاقله ع عن جوابه
لما راى من استعداد نفسه لاثر الموعظة وخوفه عليه ان يخرج به خوف الله الى انزعاج نفسه وصعوقها فامره بتقوى الله اي في نفسه ان
يصيبها فادح بسبب سؤاله واحسن اي احسن اليها بترك تكليفها فوق طوقها ولذلك قال ع حين صعق همام اما والله لقد كنت اخافها عليه
بحيث لم يقنع همام الا بما سال وعزم عليه بمعنى الح عليه في السؤال واقسم اجابه فان قلت كيف جاز منه ع ان يجيبه مع غلبة ظنه
بهلاكه وهو كالطبيب بما يعطي كلاً من المرضى بحسب احتمال طبيعته من الدواء قلت انه لم يكن يغلب على ظنه ع الا الصعقة عن الوجد الشديد
فاما ان تلك الصعقة فيها موته فلم يكن مظنوناً له وانما قدم بيان كونه تعالى غنياً عن الخلق في طاعتهم وآمناً منهم في معصيتهم لانه لما
كانت اوامره تعالى باسرها او اكثرها يعود الى الامر بتقواه وطاعته وكان اشرف ما يتقرب اليه البشر بالتقوى وهو في معرض صفة المتقين
فربما خطر لبعض اوهام الجاهلين ان الله تعالى في تقواه وطاعته منفعة وله بمعصيته مضرة فصدر الخطبة بتنزيهه تعالى عن الانتفاع
بالنفع وقدم برهان ذلك عنهم وقوله فقسم الى قوله مواضعهم تقرير وتأكيد لكمال غناه عنهم لانه اذا كان وجوده هو مبدأ خلقهم و
منه معايشهم ووضعهم من الدنيا في مراتبهم ومنازلهم من غني وفقير وشريف ووضيع فهو الغني المطلق عنهم واليه الاشارة بقوله تعالى نحن
قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ثم اخذ في غرض الخطبة وهو وصف المتقين فوصفهم بالمجمل فقال
فالمتقون فيها هم اهل الفضائل اي الذين استجمعوا الفضائل المتعلقة باصلاح قوتي العلم والعمل ثم شرع في تفصيل تلك الفضائل
وبينها فالاولى الصواب في القول وهو فضيلة العدل المتعلقة باللسان وحاصلها ان لا يسكت عما ينبغي ان يقال فيكون مفرطاً

ولا يقول ما ينبغي ان يكتب عنه فيكون سفرطا بل يضع كلا من الكلام في موضعه اللائق به ومواضعه من القصد والموازنات بعضل الانسان
فيما لا ينبغي من القول الذي ابتنه وملبسهم الاقتصاد لعدل في الملبوس فلا يلبس ما يلحقه بدرجة المترفين ولا ما يلحقه باهل الخسة والدناءة
ما يخرج به عن عرف الزاهدين في الدنيا الثالثة مشيهم التواضع والتواضع ملكة تحت العفة تعود الى العدل بين رذيلتي المهانة والكبر وهي
التواضع مستلزم للسكون والوقار من تواضع بهم الرابعة غض الابصار عما حرم الله وهو ثمرة العفة الخامسة وقوفهم اسماعهم على سماع
العلم النافع وهو فضيلة العدل في قوة السمع والعلوم النافعة ما هو كمال للقوة النظرية من العلم الالهي وما يناسبه وما هو كمال للقوة
العملية وهي الحكمة العملية كما سبق بيانها السادسة تنزل انفسهم منهم في البلاء كنزولها في الرخاء اي لا تقنط من بلاء ينزل بها ولا تبطر
برخاء يصيبها بل مقامها في الحالين في مقام الشكر والذي صفة مصدر محذوف والضمير العائد اليه محذوف ايضا والتقدير نزلت كالنزول
الذي نزلته في الرخاء ويحتمل ان يكون المراد بالذي الذين فحذف النون كما في قوله تعالى كالذي خاضوا ويكون المقصود تشبيههم حال
نزول انفسهم منهم في البلاء بالذين نزلت انفسهم منهم في الرخاء والمعنى واحد السابعة غلبة الشوق الى ثواب الله والخوف من عقابه على نفوسهم
الى غاية ان ارواحهم لا تستقر في اجسادهم من ذلك لولا الآجال التي كتبت لهم وهذا الشوق والخوف اذا بلغ الحد الملكة فانه يستلزم دوام
الجد في العمل والاعراض عن الدنيا ومبدؤهما تصور عظمة وعده ووعيده وبحسب قوة ذلك التصور يكون قوة الخوف والرجاء وهما بابان
عظيمان للجنة الثامنة عظم الخالق في انفسهم وذلك بحسب الجواذب الالهية الى الاستغراق في معرفته ومحبته وبحسب تفاوت ذلك الاستغراق
يكون تفاوت تصور العظمة وبحسب تصور عظمته تعالى يكون تصورهم لاصغرية ما دونه ونسبته اليه في اعين بصائرهم وقوله فهم والجنة كمن قد راها الى
قوله معذبون اشارة الى ان العارف وان كان في الدنيا بجسده فهو في مشاهدته بعين بصيرته لاحوال الجنة وسعادتها واحوال النار و
شقاوتها كالذين شاهدوا الجنة بعين حسهم وتنعموا فيها وكالذين شاهدوا النار وعذبوا فيها وهي مرتبة عين اليقين فبحسب هذه المرتبة كان
شدة شوقهم الى الجنة وشدة خوفهم من النار التاسعة حزن قلوبهم وذلك ثمرة خوفهم الغالب العاشرة كونهم مأمونين الشر وذلك ان مبدا
الشرور محبة الدنيا وباطلها والعارفون بمعزل عن ذلك الحادية عشر نحافة اجسادهم وسبب ذلك كثرة الصيام والسهر وجشوبة المطعم
وخشونة الملبس وهجر الملاذ الدنيوية الثانية عشر خفة حاجاتهم وذلك لاقتصارهم من حوائج الدنيا على القدر الضروري من ملبس ومأكل
لا اخف من هذه الحاجة الثالثة عشر عفة انفسهم وملكة العفة فضيلة القوة الشهوية وهي الوسط بين رذيلتي خمود الشهوة والفجور
الرابعة عشر الصبر على المكاره ايام حياتهم من ترك الملاذ الدنيوية واحتمال اذى الخلق وقد عرفت ان الصبر مقاومة النفس الامارة بالسوء
لئلا تنقاد الى اتباع اللذات وانما ذكر قصر مدة الصبر واستعقابه للراحة الطويلة ترغيبا منه وتلك الراحة بالسعادة في الجنة كما قال تعالى وجزاهم
بما صبروا جنة وحريرا الاية وقوله تجارة مربحة استعار لفظ التجارة لاعمالهم الصالحة وامتثال اوامر الله ووجه المشابهة كونهم متعوضين بمتاع
الدنيا ومجرها كما تم في العبادة متاع الآخرة ورشح بلفظ الربح لافضلية متاع الآخرة وزيادته في النفاسة على ما تركوه وفات ذلك تيسيره
لاسبابه واعدادهم بالجواذب الالهية الخامسة عشر عدم ارادتهم للدنيا مع ارادتها لهم وهو اشارة الى الزهد الحقيقي وهو ملكة تحت العفة
وكنى بارادتها عن كونهم اهلا لان يكونوا فيها رؤساء واشرافا كقضاة ووزراء ونحو ذلك وكونها بمعرض ان تميل اليهم لو ارادوها
ان يريد ارادهم اهل الدنيا فحذف المضاف السادسة عشر افتداء من اسرته لنفسه منها وهو اشارة الى من تركها وتمكن فيها بعد ان تمكنت
فيها وافتك بعد ذلك بتركها والاعراض والتمرن على طاعة الله عما اكتسبته من الهيئات الردية المكتسبة منها من عشقها ولفظ الاسر استعارة في تمكن تلك
الهيئات من نفوسهم ولفظ الفدية استعارة لتبديل تلك الاستمتاع بها بالاعراض عنها والمواظبة على طاعة الله وانما عطفها بالواو وفي قوله
ولم يريدوها بالفاء في قوله ففدوا لان زهد الانسان في الدنيا كما يكون متاخرا عن اقبالها عليه كذلك قد يكون متقدما عليه كقوله
ومن جعل الآخرة اكبر همه جمع الله عليه همه واتته الدنيا وهي راغمة فلم يحسن العطف هنا بالفاء واما الفدية فلما لم يكن الا بعد الاسر
عطفها بالفاء السابعة عشر كونهم صافين اقدامهم بالليل يتلون القرآن ويرتلونه الى قوله اذانهم وذلك اشارة الى تطويع نفوسهم
الامارة بالسوء بالعبادات وشرح لكيفية استشارتهم للقرآن العزيز في تلاوته وغاية ترتيلهم لم يفهم مقاصده فتحزينهم لانفسهم به عند ذكر الوعيد
من جملة استشارتهم لادوائهم ولما كان داؤهم هو الجهل وسائر رذائل العملية كان دواء الجهل بالعلم ودواء كل رذيلة الحصول على الفضيلة المضادة
لهم فلذلك ما القرآن تستثيرون به التحزين والخوف من الرذائل وباقي الكلام شرح لكيفية التحزين والتشويق وقوله فهم حانون على اوساطهم
ذكر لكيفية ركوعهم وقوله مفترشون لجباههم الى قوله اقدامهم اشارة الى كيفية سجودهم وذكر الاعظم السبعة وقوله يطلبون الى قوله رقابهم
اشارة الى غاياتهم من عبادتهم تلك الثامنة عشر من صفاتهم بالنهار كونهم حكماء والمراد الحكمة الشرعية وما فيها من كمال القوة العلمية والعملية لكونها
بين الفحشاء والتابعين وكونهم حلماء والحلم فضيلة تحت ملكة الشجاعة هي الوسط بين رذيلتي المهانة والافراط في الغضب بما خص الليل بالصلاة لكونها
اوحش من انتهارها كما سبق التاسعة عشر كونهم علماء والمراد كمال القوة النظرية بالعلم النظري وهو معرفة الصانع وصفاته العشرون كونهم ابرارا والبر هو
العفيف لمقابلته الفاجر الحادية والعشرون اتقياء والمراد بالتقوى هاهنا الخوف من الله وانما قدم ذكر العفة والخوف وانما كررهما هنا لان تعداد
كونهم

وهو تفضيلهم

من تعبيد الله لمضادة
العلم الذي هو دواء الجهل
وكل كمال يفضل ...

٣٠٢
ج

صفاتهم بالنهار وذكرها هنالك في صفاتهم المطلقة قوله وقد براهم الخوف الى قوله عظيم شرح لفعل الخوف الغالب بهم وانما يفعل الخوف ذلك لاشتغال
النفس المدبرة للبدن به عن النظر في صلاح البدن ووقوف القوة الشهوية والغاذية عن اداء بدل ما يتحلل فيشبههم الخوف لهم بالبرى للقداح
ووجه التشبيه شدة النحافة ويتبع ذلك تغير السحنات والضعف عن الانفعالات النفسانية من الخوف والحزن حتى يحسبهم الناظر مرضى
وان لم يكن بهم مرض ويقول قد خولطوا اشارة الى ما يعرض لبعض العارفين عند اتصال نفسه بالملا الاعلى واشتغالها عن تدبير البدن وضبط
حركاته ان يتكلم بكلام خارج عن المتعارف مستبشع بين اهل الشريعة الظاهرة وينسب ذلك منه الى الاختلاط والجنون ويخرج تارة الى الكفر والخروج
عن الدين كما نقل عن الحسين بن منصور الحلاج وغيره وقوله ولقد خالطهم امر عظيم وهو اشتغال اسرارهم بملاحظة جلال الله وشطاعة انوار الملا
الاعلى الثانية والعشرون كونهم لا يرضون القليل الى قوله الكثير وذلك لتصورهم شرف غاياتهم المقصودة باعمالهم وقوله فهم لانفسهم متهمون
الى قوله مما لا يعلمون فهم لانفسهم خوفهم من اعمالهم يعود الى شكهم فيما يحكم به اوهامهم من حسن عباداتهم وكونها مقبولة او واقعة على
الوجه المطلوب الموصل الى الله نعم ان هذا الوهم يكون مبدا للعجب بالعبادة والتقاصر عن الازدياد من العمل والتشكك في ذلك وتهمة
النفس بانقيادها في ذلك الحكم للنفس الامارة يستلزم خوفها ان يكون تلك الاعمال قاصرة عن الوجه المطلوب وغير واقعة عليه باعثا على العمل
وكاسرا للعجب وقد عرفت ان العجب من المهلكات كما قال عليه السلام ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وكان خوفهم من تزكية
الناس لهم هو لهذا الداء لما ينشا عن تلك التزكية من الكبر والعجب بما يزكون به فيكون جواب احدهم عند تزكيته اني اعلم بنفسي من غيري
الى آخره ثم شرع بعد ذلك في علاماتهم التي يجملها يعرف احدهم والصفات السابقة وان كان كثير منها مما يختص احدهم ويعرف به الا ان بعضها
قد يدخله الرياء ولا يدخل على التقوى الحقة فجمعها هاهنا وهي قسمان فالاولى القوة في الدين وذلك ان يهلم في دينه الوسواس
الخناس ولا يدخل فيه خداع الناس وهذا انما يكون في الدين العالم الثانية الحزم في الامور الدنيوية والتثبت فيها مرجحا باللين
للخلق وعدم الغضاضة عليهم كما في المثل لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتلفظ وهي فضيلة العدل في المعاملة مع الخلق وقد علمت ان اللين
قد يكون للتواضع المطلوب بقوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقد يكون عن مهانة وضعف يقين والاول هو المطلوب
وهو المقارن للحزم في الدين ومصالح النفس والثاني رذيلة ولا يمكن معه الحزم لانفعال المهين عن كل جاذب الثالثة الايمان في اليقين
ولما كان الايمان عبارة عن التصديق بالصانع وبما ورد به الشرع وكان ذلك التصديق قابلا للشدة والضعف فتارة يكون عن
التقليد وهو الاعتقاد المطابق لا لموجب وتارة يكون عن العلم وهو الاعتقاد المطابق لا لموجب وتارة يكون عن العلم وهو الاعتقاد المطابق
لموجب هو الدليل وتارة عن العلم به مع العلم بانه لا يكون الا كذلك وهو علم اليقين ومحققوا السالكين لا يقفون عند هذه المرتبة بل يطلبون
حق اليقين بالمشاهدة ثم بعد طرح حجب الدنيا والاعراض عنها اراد ان علمهم علم يقين لا يتطرق اليهم فيه احتمال الرابعة الحرص في العلم والازدياد منه
الخامسة مزج العلم وهو فضيلة القوة الملكية بالحلم وهو من فضائل القوة السبعية السادسة القصد في الغنى وهو فضيلة العدل
في استعمال متاع الدنيا وحذف الفضول عن قدر الضرورة السابعة الخشوع في العبادة وهو من ثمرة الفكر في جلال المعبود وملاحظة
عظمته التي هو روح العبادة الثامنة التجمل في الفاقة وذلك بترك الشكوى الى الخلق والطلب منهم واظهار الغنى عنهم وينشا عن القناعة
والرضا بالقضاء وعلو الهمة ويعين على ذلك ملاحظة الوعد الاجل وما اعد للمتقين التاسعة وكذلك الصبر في الشدة العاشرة الطلب في
الحلال وينشا عن العفة الحادية عشر النشاط في الهدى وسلوك سبيل الله وينشا عن قوة الاعتقاد فيما وعد المتقون وتصور شرف
الغاية الثانية عشر عمل الصالحات على وجل اي من ان يكون على غير الوجه اللائق فلا يقبل كما روي عن زين العابدين عليه السلام انه كان في التلبية
وهو على راحلته فخر مغشيا عليه فلما افاق قيل له ذلك فقال خشيت ان يقول لي لا لبيك ولا سعديك الثالثة عشر ان يكون همهم عند
المساء الشكر على ما رزقوا بالنهار وسالم يرزقوا ويصبحوا وهمهم الذكر لله ليذكرهم ويرزقهم من الكمالات النفسانية والبدنية كما قال تعالى
فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون الرابعة عشر ان يبيت حذرا ويصبح فرحا الى قوله الرحمة تفسير للحذر ومورد الفرح وليس مقصود
تخصيص البيات بالحذر والصباح بالفرح كما يقول احدنا يمسي فلان ويصبح حذرا فرحا وكذلك تخصيص الشكر بالمساء والذكر بالصباح
يحتمل ان لا يكون مقصودا الخامسة عشر قوله ان استصعبت الى قوله تحب اشارة الى مقاومته لنفسه الامارة بالسوء عند استصعابها
عليه وقهره لها على ما تكره وعدم مطاوعته لها في ميولها الطبيعية ومحابها السادسة عشر ان يرى قرة عينه فيما لا يزول من الكمالات النفسانية
الباقية كالعلم والحكمة ومكارم الاخلاق المستلزمة للذات الباقية والسعادة الدائمة وقرة عينه كناية عن لذته وابتهاجه لاستلزامها
لقرار العين وبردها برؤية المطلوب وزهادته فيما لا يبقى من متاع الدنيا السابعة عشر ان يمزج العلم بالحلم فلا يجهل ولا يطيش والقول
بالعمل فلا يقول ما لا يفعل فلا يأثم ويعجز ويقف دونه ولا ينهى عن منكر ثم يفعله ولا يعد فيخلف فيدخل في مقتا لله كما قال تعالى كبر مقتا
عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون الثامنة عشر قصر امله وذلك لكثرة ذكره الموت والوصول الى الله التاسعة عشر قلة زلله
لما عرفت ان زلل العارفين يكون من باب ترك الاولى لان صدور الخيرات عنهم صار ملكة والجواذب فيهم الى الزلل والخطيئات نادرة

تكون لضرورة منهم او سهو ولا شك في قلته العشرون خشوع قلبه عن تصور عظمة المعبود وجلاله الحادية والعشرون فراغ نفسه بشاغل عن ملاحظة حكمة الله
في قدرته وقسمته الارزاق ويعين عليها تصور فوائدها الحاضرة وغاياتها في الآخرة الثانية والعشرون قلة اكله وذلك لما يتصور في البطنة
من ذهاب الفطنة وزوال الرقة وحدوث القسوة والكسل عن العمل الثالثة والعشرون سهولة امره اي لا يتكلف لاحد ولا يكلف احدا الرابعة و
العشرون حرز دينه فلا يهمل منه شيئا ولا يطرق اليه خللا الخامسة والعشرون موت شهوته ولفظ الموت مستعار لخمود شهوته عما حرم عليه
ويعود الى العفة السادسة والعشرون كظم غيظه وهو من فضائل القوة الغضبية السابعة والعشرون كونه مأمول الخير وذلك لاكثرية خيره
مامون الشر وهو ذلك لعلم الخلق بعدم قصده للشر الثامنة والعشرون قوله ان كان من الغافلين اي ان رآه الناس في عداد الغافلين — قوله الغافلين
عن ذكر الله لتركه الذكر باللسان كتب عند الله من الذاكرين لاشتغال قلبه بالذكر وان تركه بلسانه وان كان من الذاكرين بلسانه بينهم
فظاهر انه لا يكتب من الغافلين ولذكر الله مدائح كثيرة وهو من باب عظيم من ابواب الجنة والاتصال بجناب الله وقد اشرنا الى فضيلته و
ابرازه التاسعة والعشرون عفوه عمن ظلمه والعفو فضيلة تحت الشجاعة ونحن من ظلمه لتحقق عفوه مع قوة الداعي الى الانتقام
الثلثون ويعطي من حرمه وهي فضيلة تحت السخاء الحادية والثلثون ويصل من قطعه والمواصلة فضيلة تحت العفة الثانية والثلثون
بعد فحشه واراد ببعد الفحش عنه انه قلما يخرج في اقواله الى ما لا ينبغي الثالثة والثلثون لين القول عند محاورة الناس وعظم
ومعاملتهم وهو من اجزاء التواضع الرابعة والثلثون غيبة منكره وحضور معروفه وذلك للزومه حدود الله الخامسة والثلثون اقبال
خيره وادبار شره وهو كقوله الخير منه مأمول والشر منه مأمون ويحتمل بالخير لخدمة الاقبال والادبار في الطاعة وبشره فيها وبقدر زلله
يكون ادباره عن الشر لان من استقبل امرا وسعى فيه بعد عما يضاده وادبر عنه السادسة والثلثون وقاره في الزلازل وكنى بها عن
الامور العظام والفتن الكبار المستلزمة لاضطراب القلوب وتحول الناس والوقار ملكة تحت الشجاعة السابعة والثلثون كثرة صبره
في المكاره وذلك عن ثباته وعلو همته عن احوال الدنيا الثامنة والثلثون كثرة شكره في الرخاء وذلك لمحبة المنعم الاول جلت قدرته
فيزداد شكره في رخائه وان قل التاسعة والثلثون كونه لا يحيف على من يبغض وهو سلب للحيف والظلم مع قيام الداعي اليهما وهو
البغض لمن يتمكن من حيفه وظلمه الاربعون كونه لا ياثم فيمن يحب وهو سلب لرذيلة الفجور عنه باتباع الهوى فيمن يحب اما باعطائه ما
لا يستحق او دفع ما يستحق عليه عنه كما يفعله قضاة السوء وامراء الجور فالمتقي لا ياثم بشيء من ذلك مع قيام الداعي اليه وهو المحبة لمن يحبه بل يكون
على فضيلة العدل في الكل على السواء الحادية والاربعون اعترافه بالحق قبل ان يشهد عليه وذلك لتحرزه في دينه من الكذب لان الشهادة
انما يحتاج اليها مع انكار الحق وذلك كذب الثانية والاربعون كونه لا يضيع امانته ولا يفرط فيما استحفظه الله من دينه وكتابه وذلك
لورعه ولزوم حدود الله الثالثة والاربعون ولا ينسى ما ذكر من آيات الله وعبره وامثاله ولا يترك العمل بها وذلك لمداومته ملاحظتها
وكثرة اخطارها بالبال والعمل لغايته المطلوبة منه الرابعة والاربعون ولا ينابز بالالقاب وذلك لملاحظة النهي في الذكر الحكيم ولا تنابزوا
بالالقاب ولاستلزام تلك النهي وهو كون ذلك مستلزما لاثارة الفتن والتباغض بين الناس والفرقة المضادة لمطلوب الشارع الخامسة
والاربعون ولا يضار بالجار لملاحظة وصية الله تعالى به والجار ذي القربى والجار الجنب ووصية رسول الله صلعم في المرفوع ما زال جبرئيل يوصيني
بالجار حتى ظننت انه سيورثه ولغاية ذلك وهي الالفة والاتحاد في الدين السادسة والاربعون ولا يشمت بالمصائب وذلك لعلمه
باسرار القدر وملاحظة لاسباب المصائب وانه في معرض ان تصيبه فيتصور امثالها في نفسه فلا يفرح بنزولها على غيره السابعة
والاربعون انه لا يدخل الباطل ولا يخرج عن الحق اي لا يدخل فيما يبعد عن الله تعالى من باطل الدنيا ولا يخرج عما يقرب اليه من طاعته
الحقة وذلك لشرف غايته الثامنة والاربعون كونه لا يغمه صمته لوضعه كلا من الصمت والكلام في موضعه وانما يستلزم
الغم الصمت عما ينبغي من القول وهو صمت في غير موضعه التاسعة والاربعون كونه لا يعلو ضحكه وذلك لغلبة ذكر الموت وما بعده
على قلبه ومما نقل من صفات الرسول صلعم كان اكثر ضحكه التبسم وقد يفتر احيانا ولم يكن من اهل القهقهة والكركرة وهما كيفيتان
للضحك الخمسون صبره في البغي الى غاية انتقام الله له وذلك منه نظرا الى ثمرة الصبر والى الوعد الكريم في ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب — عليه
به ثم بغي عليه لينصرنه الله الآية وقوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين الحادية والخمسون كون نفسه منه في عناء اي نفسه الامارة
بالسوء لمقاومته لها وقهرها ومراقبته اياها والناس من اذاه في راحة لذلك الثانية والخمسون كون بعده عمن تباعد عنه زهده
فيما ايدي الناس ونزاهته عنه لا عن كبر وتعظيم عليهم وكذلك دنوه ممن دنا منه عن لين ورحمة منه لهم لا بمكر بهم وخديعة لهم عن بعض
المطالب كما هو عادة الخبيث المكار وهذه الصفات والعلامات قد يتداخل بعضها بعضا ولكن تؤخذ بعبارة اخرى وبذكر
مغايرة ثم يذكر ثانيا مركبة مع غيرها وبالجملة فهذه الخطبة من جليل وبليغ وصفه ولذلك فعلت بهمام ما فعلت فاما جوابه
لمن سأله بقوله ويحك ان لكل اجل وقتا لا يعدوه اي ينتهي اليه ويكون غاية له لا يجاوزها ولا يتأخر عنها والضمير في يعدوه
للاجل وسببا لا يتجاوزه من ذلك الاجل سبب اي علة فاعلة لا يستعدها الى غيرها من الاسباب فمنها ما يكون موعظة بالغة

فهو جواب

فهو جواب مقنع للسامع مع انه صدق وحق وهو اشارة الى السبب الابعد لبقائه عند سماع المواعظ البالغة وهو الاجل المحكوم
به للقضاء الالهي واما السبب القريب للفرق بينه وبين همام فهو قوة نفسه لقد شيبه على قبول الواردات الالهية وتعوده
بها وبلوغ رياضته حدا لسكينة عند ورودها وضعف نفس همام عما ورد عليه من خوف الله ورجائه ولم يجب بمثل هذا الجواب
لاستلزامه تفضيل نفسه او لقصور فهم السائل وبغيه له عن مثل هذا السؤال والتنفير عنه وكونه من نفثات الشيطان لوضعه
في غير موضعه وهو من آثار الشيطان وبالله العصمة والتوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** يصف فيها المنافقين نحمده
على ما وفق له من الطاعة وذاد عنه من المعصية ونسأله لمنته تماما وبحبله اعتصاما ونشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله
عبده ورسوله خاض الى رضوان الله تعالى كل غمرة وتجرع فيه كل غصة وقد تلون له الادنون وتألب عليه
الاقصون وخلعت اليه العرب اعنتها وضربت الى محاربته بطون رواحلها حتى انزلت بساحته عداوتها من ابعد
الدار واسحق المزار اوصيكم عباد الله بتقوى الله واحذركم اهل النفاق فانهم الضالون المضلون والزالون المزلون
يتلونون الوانا ويفتنون افتنانا ويعمدونكم بكل عماد ويرصدونكم بكل مرصاد قلوبهم دوية وصفاحهم نقية يمشون
الخفاء ويدبون الضراء وصفهم دواء وقولهم شفاء وفعلهم الداء العياء حسدة الرخاء ومؤكدو البلاء ومقنطو
الرجاء لهم بكل طريق صريع والى كل قلب شفيع ولكل شجو دموع يتقارضون الثناء ويتراقبون الجزاء ان سألوا
الحفوا وان عذلوا كشفوا وان حكموا اسرفوا قد اعدوا لكل حق باطلا ولكل قائم مائلا ولكل حي قاتلا ولكل باب
مفتاحا ولكل ليل مصباحا يتوصلون الى الطمع باليأس ليقيموا به اسواقهم وينفقوا به اعلاقهم يقولون فيشبهون
ويصفون فيموهون قد هونوا الطريق واضلعوا المضيق فهم لمة الشيطان وحمة النيران اولئك حزب الشيطان الا
ان حزب الشيطان هم الخاسرون **اقول** ذاد طرد والغمرة من كل شيء معظمه واسحق المزار ابعده والسحق بضم السين البعد و
بضم الحاء ويعمدونكم يعمدونكم ويفدحونكم والعماد الامر الفادح ويرصدونكم يقعدون لكم بالمرصد وينتظرونكم والضراء ما
واراك من الشجر الملتف والالحاف الاستقصاء في السؤال والشجو الحزن والاعلاق جمع علق وهي السلعة النفيسة والتمويه التزيين بالباطل
واضلعوا المضيق اي عوجوه واما لوه وهو ضلع اي مائل وضلع بفتح اللام اي معوج خلقة واللمة بالتخفيف الجماعة وحمة النيران
بالتشديد معظم حرها وبالتخفيف سم العقرب وقد حمد الله ثم باعتبارين وهما التوفيق لطاعته التي هي سبب الفوز الاكبر والطرد عن معصيته التي
هي سبب الخسران وذلك الذود اما بالنواهي او بحسم اسباب المعاصي وعدم الاعداد لها والكل منه سبحانه ثم سأله ان يتمم لتمام ما شكره من النعمة — الآخرة
نظرا الى قوله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم والاعتصام بحبله المتين وهو الدين القويم العاصم لمن تمسك به عن الهوى في مهاوي الهلاك
ودركات الجحيم واردف ذلك بشهادة الرسالة وشرح حال الرسول صلعم في اداء رسالته واستعار لفظ الغمرة لعظائم الشدائد والمكاره المتكاثفة
المجتمعة عليه صلعم ملاحظة لشبهها بغمرة الماء ورشح بذكر الخوض وكنى به عن مقاساته للمتاعب الكثيرة وملاقاته للنوائب من المشركين
في بدء دعوته وكنى بالغصص عن عوارض الغموم له من ملاقاة تلك المكاره وكنى بتلون الادنين له عن تغير قلوب قرابته عليه بضروب
التغيرات وتالب الاقصين عليه اجتماع الاباعد عنه من العرب وانضمامهم من اقصى البلاد الى حربه وقوله وخلعت اليه العرب الى قوله رواحلها
مثلان كنى بهما عن المسارعة الى حربه لان اقوى عدو الخيل اذا خلعت اعنتها واقوى عدو الرواحل اذا ضربت بطونها وهيأياتها الى انهم
اتوه فرسانا وركبانا مسرعين الى حربه وقوله حتى انزلت بساحته عداوتها اي حروبها ومشهورها التي هي ثمرة العداوة واطلق لفظ
العداوة على الحرب مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب ومن طالع كتب السير علم ما لاقى رسول الله صلعم في ذات الله سبحانه من المشاق كاستهزاء
قريش به في اول الدعوة ورميهم اياه بالحجارة حتى ادموا عقبيه وصياح الصبيان وفرث الكرش على رأسه وفتلهم الثوب في عنقه وحصره هو
واهله في شعب بني هاشم سنين عدة محرمة معاملتهم ومبايعتهم ومناكحتهم وكلامهم حتى كادوا يتلفون جوعا لولا بعض من كان يحنو عليهم
لرحم او لسبب آخر فكان يسد رمقهم القليل من الدقيق والتمر فيلقيه اليهم ليلا ثم ضربهم لاصحابه وتعذيبهم بالجوع والوثاق في الشمس وطردهم
اياهم عن شعاب مكة حتى خرج بعضهم الى الحبشة وخرج هو مستجيرا منهم تارة بثقيف وتارة ببني عامر وتارة بربيعة الفرس وبغيرهم ثم اجمعوا
على قتله والفتك به ليلا حتى هرب منهم لائذا بالاوس والخزرج تاركا لاولاده واهله ناجيا بحشاشة نفسه حتى وصل الى المدينة فناصبوه
الحرب ورموه بالكتائب وضربوا اليه آباط الابل حتى اكرمه الله بنعم نصره واتم دينه واظهره ثم عقب ذلك بالوصية بتقوى الله والتحذير من
المنافقين ونفر بذكر معايبهم ليعرفوا فيجتنبوا ويحصل النفار عنهم فانهم الضالون اي الخارجون عن سبيل الله لعدم الاهتداء اليها المضلون
لغيرهم عنها بالشبهات الباطلة وكذا الزالون المزلون وكنى بتلونهم الوانا عن تغيرهم في اقوالهم وافعالهم من حال الى حال بحسب اغراضهم
الفاسدة فيلقون كلا بوجه ولسان غير الآخر وكذلك تفننهم اي تشعب اقوالهم وحالاتهم بحسب تشعب اغراضهم واراد يعمدونكم يقصدونكم
بكل مكروه على وجه الحيلة ودوية وصفاحهم نقية اشتمال نفوسهم على ادواء النفاق من الحسد والحقد والمكر والخديعة واعمال الحيلة

مع اظهار البشاشة والصداقة والمحبة والنصيحة لهم فهذا هو الضابط في النفاق وهو ان يظهر الانسان بلسانه امرا حسنا محمودا ويبطن خلافه واراد بصفاحهم وجوههم وبنقائها سلامتها عن شرط وقوله يمشون الخفاء كناية عن كونهم كاتمين القولية والفعلية فيما يريدون من خفاء ايهام انّا وكذا قوله ويدبون الضراء والخفاء والضراء منصوبان على الظرف وهما مثلان لمن يختل غيره ويخدعه وقوله وصفهم دواء الى قوله العياء اي قولهم اقوال الزاهدين العابدين من الموعظة والامر بالتقوى وطاعة الله التي هي دواء الغي والضلال وشفائهما وافعالهم افعال الفاسقين الضالين من معصية الله التي هي الداء الاكبر والعياء المعيي للاطباء وقوله حسدة الرخاء اي ان راوا الامر رخاء حسدوه ومؤكدو البلاء ان راوا به بلاء اكدوه بالسعاية والتاليب عليه وروي ومولدو اوهوظا ومقنطو الرجاء اي اذا رجا راج امرا فمن طباعهم ان يقنطوه ويوبسوه وهكذا شان المنافق الكذاب ان يبعد القريب ويقرب البعيد وقوله لهم بكل طريق صريع كناية عن كثرة من يقتلونه او يوذونه ويجد بعضهم ويكرم وكنى بالطريق اما عن كل مقصد قصدوه او عن كل حيلة احتالوها ومكر مكروه فانه لابد ان يستلزم اذى وقوله والى كل قلب شفيع اي ان من شان المنافق ان يجد الى كل قلب دخلة ربعته وجماعه الاخر فيكون صديقا لكل حتى المتعاديين ليتوصل بذلك الى اثارة الفتن وايقاع الشر بينهم وهو في نفس الامر عدو للكل وكذا لهم لكل شجو دموع كناية عن تحببهم لكل شجو وتوصلهم بذلك الى اغراضهم وان كان اهل الشجو اعداء وقوله يتقارضون الثناء ويتراقبون الجزاء اي يثني احدهم على الاخر ليثني الاخر عليه ويترقب كل منهم الجزاء من صاحبه ان سالوا الحفوا اي الحوا في السؤال وهو من المذام كما قال تع لا يسئلون الناس الحافا وقوله وان عذلوا كشفوا اي اذا عذلك احدهم كشف لك عيوبك في ذلك العذل وجبهك بها وربما ذكرها بمحضر من لا تحب ذكرها معه وليسوا كالناصحين الذين يعرضون بالذنب عند العقاب بعرضها التطيف دون التصريح واذا حكموا اسرفوا اي اذا ولي احدهم ولاية اسرف فيها بالظلم والاثم وكذا في ماكله ومشربه وعبر الى حد الافراط من فضيلة العدل وذلك الخبلة بالعواقب تصوره انه لا غاية اشرف مما هو فيه قد عدوا لكل حق باطلا اي من الشبه يموهون عليه ويبطلونه بها ولكل حي قاتلا اي سببا يميتونه ومن الحي اعم من الانسان هنا بل كل امر حي يقوم اذا اراد واماته ولكل باب مفتاحا من الحيل والخديعة ولفظ المفتاح مستعار ولكل ليل مصباحا ولفظ الليل مستعار لما اشكل من الامور والملم وكذا لفظ المصباح للراي الذي يخلون به ذلك الامر ويهتدون الى وجهه كراي عمرو بن العاص على معاوية ليلة الهرير برفع المصاحف ودعوتهم اهل العراق ان يحاكموهم الى كتاب الله فلم يكن لذلك المشكل الا ذلك الراي اصعب يتوصلون الى الطمع واليأس اي باظهار الياس عما في ايدي الناس والزهد فيه كما فعله كثير من زهاد الوقت ووصفهم باخذ الشيء بضده ابلغ ما يكون في وصف النفاق والحيلة وقوله ليقيموا به اسواقهم استعار لفظ الاسواق لاحوالهم في معاملة الخلق من اخذ واعطاء فان فعلهم ذلك يقيمها بين الناس ويروجها عليهم وكذا ينفقوا به اعلاقهم ولفظ الاعلاق مستعار لما يزعمون انه نفيس من ارائهم وحركاتهم الخادعة عن اوامر الله وقوله يقولون الى قوله يموهون اي يوقعون بالوهم الشبه في القلوب ويموهون عليهم الباطل بصورة الحق وقوله قد هيئوا الطريق اي قد عرفوا كيف يسلكون في مقاصدهم من الاراء والحيل واضلعوا الطريق اي عوجوا مضايقها وكنى بمضائقها عن دقائق الدخول في الامور وبتعويجها عن انهم اذا ارادوا الدخول في امر مضيق ظهروا انهم يريدون غيره تعمية على الغير وتلبيسا ان يقف على وجه الحيلة فيفسد مقصودهم وقوله فهم لمة الشيطان اي جماعته واتباعه وحمة النيران استعار لفظ الحمة لشدتهم ووجه المشابهة استلزامها للاذى البالغ وكذا حمة النار بالتحقيق

ومن خطبة له عم الحمد لله الذي اظهر من اثار سلطانه وجلال كبريائه ما حير مقل العقول من عجائب قدرته وردع خطرات هماهم النفوس عن عرفان كنه صفته واشهد ان لا اله الا الله شهادة ايمان وايقان واخلاص واذعان واشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله ارسله واعلام الهدى دارسة ومناهج الدين طامسة فصدع بالحق ونصح للخلق وهدى الى الرشد وامر بالقصد صلوات الله وسلامه عليه واعلموا عباد الله انه لم يخلقكم عبثا ولم يرسلكم هملا علم مبلغ نعمه عليكم واحصى احسانه اليكم فاستفتحوه واستنجحوه واطلبوا اليه واستمنحوه فما قطعكم عنه حجاب ولا اغلق عنكم دونه باب وانه لبكل مكان وفي كل حين وزمان ومع كل انس وجان لا يثلمه العطاء ولا ينقصه الحباء ولا يستنفده سائل ولا يستقصيه نائل ولا يلويه شخص عن شخص ولا يلهيه صوت عن صوت ولا تحجزه هبة عن سلب ولا يشغله غضب عن رحمة ولا تولهه رحمة عن عقاب ولا يجنه البطون عن الظهور ولا يقطعه الظهور عن البطون قرب فنأى وعلا فدنا وظهر فبطن وبطن فعلن ودان ولم يدن لم يذرأ الخلق باحتيال ولا استعان بهم لكلال اوصيكم عباد الله بتقوى الله فانها الزمام والقوام فتمسكوا بوثائقها واعتصموا بحقائقها تؤل بكم الى اكنان الدعة واوطان السعة ومعاقل الحرز ومنازل العز في يوم تشخص فيه الابصار وتظلم له الاقطار ويعطل فيه صروم العشار وينفخ في الصور فتزهق كل مهجة وتبكم كل لهجة وتذل الشم الشوامخ والصم الرواسخ فيصير صلدها سرابا رقرقا ومعهدها قاعا سملقا فلا شفيع يشفع ولا حميم يدفع ولا معذرة تنفع **اقول** العبث ... والهمهمة حديث النفس مع صوت خفي لا يفهم والطامسة كالدارسة والحباء النوال والمعقل الملجا والصروم جمع صرمة وهي القطعة من الابل نحو الثلاثين والعشار النوق التي عليها بعد طروقها الفحل عشرة اشهر والشم الشوامخ الجبال العالية ومعهدها ما كان مسكونا منها وقاعا خاليا والسملق الصفصف المستوي ليس فيه ارتفاع

من بعض

من بعض وقد حمد الله تع باعتبار اظهاره من اثار ملكه وسلطانه ما اظهره من ملكوت السموات والارض وترتيب العالمين على وجه النظام الاتم مما هو محل التعجب العجيب الذي حار ابصار البصائر في كيفيته ونوعه عن القدرة الالهية وفي ترتيبه على النظام الاكمل بل كل مخلوق منها فهو محل ذلك التعجب والحيرة ولفظ المقل مستعار ونسبته ذلك الى جلال كبريائه مناسبة لان السلطان والعظمة والكبرياء يناسب صدور الاثار العظيمة العجيبة المحكمة عنها وردع خطرات هماهم النفوس اي ما يخطر للنفوس في همهمتها به وردعها استلزام كماله المطلق عجزها عن ادراك حقيقته وقد سبق تلك غير مرة ثم شهد بكلمة التوحيد معتبرا فيها اربعة امور احدها كونها شهادة ايمان اي يطابق القول فيها للعقد القلبي الثاني وايقانا اي يكون اعتقادها يقينا وهو اعتقاد ان لا اله الا هو مع اعتقاد انه لا يمكن ان يكون ذلك المعتقد الا كذا الثالث واخلاص وهي ان يجرد فيه ذلك المعتقد كل امر عن درجة الاعتبار ولا يلاحظ معه غيره الرابع واذعان والاذعان ثمرة ذلك الاخلاص وكماله ويتفاوت بتفاوته ويعود الى سائر الطاعات والعبادات التي هي من حقوق تلك الكلمة وتوابعها ثم اردفها بالشهادة وذكر الاحوال التي كان العالم عليها حين ارساله تنبيها على فضيلة الرسول صلعم واستعار اعلام الهدى لائمة الدين الهادين الى سبيل الله ولفظ المناهج لقوانين الشريعة التي يسلك فيها الى الاحكام ولفظ دروسها وطموسها لاندراس الكتب النبوية والقوانين واعلام للحال وصدع بما جاء به من الحق مما طلب من الباطل ونصح الخلق ليردهم عن غواتهم الى صراط الله وهداهم الى الرشد في سلوكه وامرهم بالعدل والاستقامة عليه ثم نبه السامعين على ان خلق الله لهم ليس خاليا عن غاية وانهم لم يرسلوا في الدنيا مهملين عن امر يراد بهم كاهمال البهائم ثم على علمه بمبلغ نعمه عليهم كثرة وكيفية واحصائه لها عددا ليبعثهم على شكرها ولذلك قال فاستفتحوه اي اطلبوا منه ان يفتح عليكم ابواب بركاته ورضوانه واستنجحوه اي اطلبوا منه نجاح حاجاتكم واطلبوا اليه اي اطلبوا الهداية الى حضرته ووجوه مرضاته واستمنحوه ان يعطيكم كانكم كل ذلك بالشكر وسائر العبادات التي بها الاستعداد للافاضة وقوله فما يقطعكم عنه حجاب الى قوله لكلال اظهار لوجوده كماله وعظمته وتنزيه له عن صفات المخلوقين المحدثين وتقريب له من عباده ليطلبوا منه ما اليه ويستنجحوه ويستفتحوا ما لم منه واذا لم يكن تع محتجبا امتنع الحجاب دونه ولا باب كان بكل مكان في حالة واحدة اي بعلمه المحيط لاستحالة الذات المتحيزة في كل حين واوان بمعنى مساوقة وجوده لوجود الزمان لا بمعنى الظرفية له لتنزهه تع عن لحوق الزمان المتاخر عنه بمراتب من المعلولات ومع كل انس وجان بعلمه وهو معكم اينما كنتم وقوله لا يثلمه العطاء الى قوله نائل فاستقصاء النائل له بلوغ الجود منه اقصى مقدوره وبرهان تلك الاحكام ان الثلم والنقصان والاستنفاد والاستقصاء على المقدور يستلزم النهاية والحاجة المستلزمين للامكان ولا شيء من واجب الوجود بممكن وكل من لحقته هذه الاحوال ممكن فواجب الوجود لا تلحقه هذه الاحوال وكذا قوله لا يلويه شخص عن شخص اي لا يصرفه الى قوله عقاب برهان هذه الاحكام ان الصرف واللهو يستلزمان الغفلة عن امر والفطنة لغيره بعد الغفلة عنه وكذا حجز الهبة ومنعها لها عن سلب نعمة اخرى وشغل الغضب له عن الرحمة مستلزمان قصور القدرة وضعفها وتعلقها بمحل جسماني وذلك مستلزم للنقصان المستلزم للحاجة والامكان المنزه قدس الله تع عنه وكذا توليه الرحمة عن العقاب يستلزم رقة الطبع ورحمة النفوس للشبهة المستلزمة لعوارض الجسمية وجلال الله منزه عنها وقوله ولا يجنه البطون عن الظهور يحتمل وجهين احدهما لا يجنه بطون حقيقته عن العقول وخفاؤه عن العيون عن ظهوره للبصائر في صور اثاره وملكوت قدرته الثاني انه ليس في شيء حتى يخفى فيه عن الظهور على الاشياء والاطلاع عليها ولا يقطعه الظهور عن البطون اي لا يقطعه كونه ظاهرا او عالما بالامور الظاهرة عن ان يكون باطنا لا يطلع العقل عليه او عن علمه ببواطن الامور وخفاياها وقوله قرب اي بعلمه وقدرته من الاشياء فنأى اي بعد بحقيقته عن ادراك العقول والحواس وقوله وعلا فدنا فعلوه شرفه بالقياس الى اثاره شرف العلة على المعلول ودنوه منها قربه وقوله وظهر فبطن وبطن فعلن تاكيد لما قبله وقد سبق بيانه غير مرة وقوله لم يذرأ الخلق باحتيال الى قوله لكلال تنزيه لايجاده لاثاره عن استخراج الحيل واجالة وجوه الاراء في استخراجها ثم عن الاستعانة بغيره في شيء من اثاره ثم عن مبدا الاستعانة وهو الكلال والاعياء لاستلزام ذلك نقصا في القوة المستلزمة للجسمية واذ قدم تنزيه الحق سبحانه عما لا ينبغي له ووصفه بما ينبغي له شرع في الوصية بتقواه ثم في التنبيه على فضائلها واستعار لفظ الزمام لها باعتبار كونها قائدة للعبد الى طريق الحق ومانعة له عن الجور الى طرف الباطل كالزمام للناقة واراد بكونها قواما كونها مقيمة للعبد في سلوك سبيل الله ايضا اقامه المصدر مقام اسم الفاعل وقوله فتمسكوا بوثائقها اي بما يوثق منها وهو سائر انواع العبادات التي هي حزوزها والتمسك بها يقود الى لزومها والمواظبة عليها واعتصموا بحقائقها اي بالخالص منها دون المشوب بالرياء والنفاق فان الالتجاء الى خالصها هو المخلص من عذاب الله وقوله تؤل بكم الى جزم بفعل لكونه جوابا للامر بالتمسك والاعتصام واكنان الدعة مواطن الراحة من الالام الحسية والعقلية غرفات الجنة ومنازلها وهي اوطان السعة ايضا من ضيق الابدان وضنك بيوت النيران وهي معاقل الحرز المانعة من عذاب الله وهي منازل العز في جوار الله وقوله في يوم متعلق بتؤل واليوم يوم القيمة وسائر ما عدده من صفات ذلك اليوم ما نطق به الكتاب الكريم كقوله تع انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وقوله واذا العشار عطلت وقوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض وقوله ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها الاية وقوله فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقوله فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم

بعض اهوال القيمة المحسوسة واما المعقولة فقال بعض السالكين ان الانسان اذا احضرته الوفاة شخص بصر عقله الى ما انكشف له من الاطوار الاخروية
واظلمت عليه اقطار الدنيا وغاب منها ما كان يشاهده وتعطلت عنه عشاره وناداه داعي الاجل الى الاخرة فزهقت نفسه واجابت الداعي وبكت
المجيبة وذلت شوامخ الجبال ورواسخها في نظره لعظمة الله عند مشاهدة كبريائه فتصير لا نسبة لها في نظره الى ما شاهده من عظيم ملكوته فكانها
اضمحلت وغابت وصارت في نظره كالسراب المترقرق الذي لا اصل له بعد ما كان يراها عليه من العلو والعظمة وكذلك ينقطع نظره عن عالم
الاجسام والجسمانيات عند التوجه الى عالم الملكوت وكذلك يرى ما كان معهودا منها كالقاع الصفصف لا شيء تحت سلطان الله وقهره و
ح تنقطع عن الشفيع الشافع والصديق الدافع والفداء النافع وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** بعثه حين لا علم قائم ولا
منار ساطع ولا منهج واضح اوصيكم عباد الله بتقوى الله واحذركم الدنيا فانها دار شخوص ومحلة تنغيص ساكنها ظاعن وقاطنها
بائن تميد باهلها ميدان السفينة تصفقها العواصف في لجج البحار فمنهم الغرق الوبق ومنهم الناجي على متون الامواج تحفزه الرياح
باذيالها وتحمله على اهوالها فما غرق منها فليس بمستدرك وما نجا منها فالى مهلك عباد الله الان فاعملوا والالسن مطلقة و
الابدان صحيحة والاعضاء لدنة والمنقلب فسيح والمجال عريض قبل ارهاق الفوت وحلول الموت فحققوا عليكم نزوله ولا تنتظروا قدومه
اقول الساطع المرتفع والوبق الهالك واللدنة الناعم والارهاق الالحاق وقد ذكر البعثة حين ظهور الاحوال التي كان العالم عليها ايضا تنبيها
على فضلها وفضيلة الرسول صلعم بقوله حيث لا علم قائم استعار لفظ العلم والمنار للهداة الى الله الداعين اليه وعدم قيامهم وسطوعهم لعدمهم زمان
الفترة وقوله ولا منهج واضح اي لا طريق الى الله خالص عن شوب الاباطيل ثم عقب بالوصية بتقوى الله ثم بالتحذير من الدنيا وقربها بذكر عيوبها
للتنفير عنها وكونها دار شخوص اشارة الى ضرورة الارتحال عنها بالموت ومحل تنغيص اي تنغيص لذاتها بالالام والامراض حتى قيل ان اللذة
فيها انما هي الخلاص عن الالم وقوله ساكنها ظاعن وقاطنها بائن كالتفسير لقوله دار شخوص وقوله تميد باهلها الى قوله الى مهلك ضرب لها
ولاحوال اهلها فيها مثلها بالسفينة عند عصف الريح ومثل تصرفاتها وتغيراتها بميدان السفينة وصيرهم فيها بالامراض والحوادث التي
هي مظنة الهلاك بالاحوال التي يلحق اهل السفينة عند هبوب الريح العاصف حال كونها في لجج البحار ومثل انقسامهم عند بعض تلك
الحوادث ونزولها بهم الى ميت بها لا يرجى لها عودته ولا يستدرك لها فارطة بانقسام ركاب السفينة عند عصف الريح عليها الى غريق
هالك والى ناج ومثل الناجي من بعض الامراض التي تاخر موته الى مرض اخر والى حين من اهوال الدنيا في تلك المدة ما لاقى ثم لحقه الموت
بالاخرة بالناجي من الغرق الذي تحمله الامواج وتدفعه الرياح ويقاسي اهوال البحر وشدائده ثم بعد خلاصه منه لا بد له من وقت هو
اجله ومرض هو المهلك اي محل هلاكه ثم امر بالعمل وذكر الاحوال التي يمكن فيها وقوع العمل تنبيها على انتهاز الفرصة فتلك الاحوال صحة الالسن
وامكان ذكر الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وسائر التكاليف المتعلقة بها وكذلك صحة الابدان ولدونة الاعضاء ومطاوعتها للعمل
مثل بينها بالسقم والامراض وفسح المنقلب وهو محل التصرف والتقلب وكنى به عن وقت الصحة والشبيبة وتقرب منه عرض المجال ذكر انه
الاجل وحلول الموت تحذيرا منه وحثا الى العمل لما بعده ثم امرهم ان يحققوا نزوله قبل نزوله اي يتذكروه ويخطروا ببالهم انه حق
انه واقع ليكونوا اكد في العمل ولذلك قال صلى الله عليه وآله من ذكر هادم اللذات ونهاهم عن انتظار قدومه لاستلزام انتظاره اهماله
ليعد عنهم وذلك يوقعهم في التكاسل عن العمل وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ولقد علم المستحفظون من اصحاب
محمد صلى الله عليه وآله اني لم ارد على الله ولا على رسوله صلى الله عليه وآله ساعة قط ولقد واسيته بنفسي في المواطن
التي تنكص فيها الابطال وتتاخر الاقدام نجدة اكرمني الله بها ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وان راسه لعلى
صدري وقد سالت نفسه في كفي فامررتها على وجهي ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله والملائكة اعواني فضجت
الدار والافنية ملأ يهبط وملأ يعرج وما فارقت سمعي هينمة منهم يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه فمن ذا احق به
مني حيا وميتا فانفذوا على بصائركم ولتصدق نياتكم في جهاد عدوكم فوالذي لا اله الا هو اني لعلى جادة الحق وانهم
لعلى مزلة الباطل اقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم **اقول** الهينمة صوت خفي يسمع ولا يفهم وحاصل الفصل
التنبيه على فضيلته لغاية قبول قوله فيما يامرهم فذكر منها انه لم يرد على الله وعلى رسوله في وقت قط فيما صدر من الامر عنهما واستشهد على ذلك
بما علمه المستحفظون من الصحابة وهم العلماء واهل الدين الذين استحفظوا كتاب الله ودينه اي جعلوا حفظة لهم واودعوا اياه و
بعض الشارحين وفيه ايماء الى ما كان يفعله بعض الصحابة من التسرع بالقول والاعتراض على الرسول صلى الله عليه وآله في مواضع
كما نقل عن عمر يوم الحديبية عند سطر كتاب الصلح انه انكر ذلك وقال لرسول الله السنا على الحق قال بلى قال اوليسوا الكاذبين قال
بلى قال فكيف نعطي الدنية في ديننا فقال صلعم انا اعلم بما امرت به فقام عمر فقال للقوم من الصحابة الم يكن قد وعدنا الله بدخول مكة
فها نحن قد صددنا عنها ثم ننصرف بعد ان اعطينا الدنية في ديننا والله لو وجدت اعوانا لم اعط الدنية ابدا فقال له ابو بكر
ويحك الزم غرزه فوالله لرسول الله صلعم وان الله لا يضيعه ثم قال له اقال لك انه سيدخل مكة هذا العام فقال لا قال فسيدخلها فلما فتح النبي

مكة واخذ

مكة واخذ مفاتيح الكعبة دعاه فقال هذا الذي وعدتم به ومنها مواساته لرسول الله صلعم بنفسه وهو مما اختص به عليه السلام وذلك في مواطن فمنها ثبت
معه يوم احد وقد اثبت رواة الحديث ان رسول الله صلعم لما ارتث يوم احد ونادى الناس قتل محمد رأته كتيبة من المشركين وهو
صريع بين القتلى الا انه حي فصمدت له فقال لعلي اكفني هذه فحمل عليها فهزمها وقتل رئيسها ثم صمدت له اخرى فقال يا علي اكفني
هذه فحمل عليها وقتل رئيسها ثم صمدت له ثالثة فكان رسول الله صلعم يقول قال لي جبرئيل يا محمد هذه المواساة بعد ذلك
فقلت وما يمنعه وهو مني وانا منه فقال جبرئيل وانا منكما وروى المحدثون ايضا ان المسلمين سمعوا ذلك اليوم هاتفا من قبل
السماء ينادي لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي فقال الرسول صلعم الا تسمعون هذا صوت جبرئيل وكذلك ثبت معه يوم
حنين في نفر يسير من بني هاشم بعد ان ولى المسلمون الادبار وحامى عنه وقتل قوما من هوازن بين يديه حتى ثابت اليه الانصار وانهزمت
هوازن وغنموا اموالها واما يوم خيبر فقصته مشهورة وذلك قوله ولقد واسيته الى قوله الاقدام وقوله نجدة اكرمني الله بها فالنجدة
فضيلة تحت الشجاعة وقد يعبر بها عن الشجاعة ومنها حاله عند ما قبض رسول الله صلعم من تولي الحاجة ومباشرة ما يختص به من الاحوال من م
حالة وفاته من وضع راسه على صدره وقيل اراد بذلك انه صلعم كان على ركبتيه وعلى ذلك يكون في صدره عند اكبابه عليه
الاشبه انه اراد بتسنيده حين اشتد علة موته ثم سيلان نفسه في كفه وامراره على وجهه واراد بنفسه دمه يقال ان رسول الله
قاء وقت موته دما يسيرا وان عليا عليه السلام مسح بذلك الدم وجهه ولا ينافي ذلك نجاسة الدم لجواز ان يختص دم الرسول صلعم كما روي
ان ابا طيبة الحجام شرب دمه حين حجمه فقال اذن لا يبجع بطنك وكذلك توليه اغساله باعانة الملائكة وكان هو الذي يغسله
والفضل بن عباس يصب الماء عليه وروي انه عصب عيني الفضل حين صب الماء ونقل عنه صلعم انه قال لا يبصر عورتي غيرك الا عمي
وروي انه قال ما قلبت عضوا الا وانقلب لا اجد له ثقلا كان معي من يساعدني عليه وما ذلك الا الملائكة وحيا وميتا
منصوبان على الحال من الضمير المجرور في به واما دفنه فتنازع الصحابة في انه يلحد او يضرح فارسل العباس الى ابي عبيدة بن الجراح وكان
يحفر لاهل مكة ويضرح لهم على عادتهم وارسل الى ابي طلحة الانصاري وكان يلحد لاهل المدينة على عادتهم فقال اللهم اخر لنبيك
فجاء ابو طلحة فلحد له وتنازعوا فيمن يدخل القبر معه فقال علي عليه السلام لا ينزل معه احد غيري وغير العباس ثم اذن في نزول الفضل
واسامة بن زيد ثم ضجت الانصار وسالوا ان ينزل منهم رجل فانزلوا اوس بن خولي وكان بدريا وقد يعبر بالضريح عن القبر فيكون
اعم من الشق واللحد ثم ما ضجيج الدار والافنية باصوات الملائكة ملأ يهبط منهم وملأ يصعد بحيث لا يفارق هينمتهم
سمعه في حال صلوتهم عليه الى ان واراه في ضريحه فقد عرفت كيفية سماع البشر لاصوات الملائكة في مقدمة الكتاب وكل صاعد
يعود الى وسائطهم في افاضة الرحمة من الله تعالى على العباد وكذلك علمت معنى الصعود والهبوط منهم فيما سبق واعلم ان حمل الكلام على
ظاهره عند الامكان اولى من التعسف في التاويل وذكر هذه الفضيلة بهذه المقامات تجري مجرى صغرى قياس ضمير من الشكل
الاول استنتج منه على انه لا احق منه به وتقدير كبراه وكل من كان كذلك معه صلى الله عليه وآله فهو احق به ينتج انه لا احق به منه واراد
انه لا احق بالمنزلة والقرب منه في حياته بالاخوة والوزارة وبعد موته بالوصية والخلافة اذ لا يريد انه احق بذاته فيجب ان يريد كونه
احق به في المنزلة وولاية امره بعده ثم عقب ذكر فضيلته بامرهم ان يمضوا في جهاد عدوهم على بصائرهم اي عقائدهم انه على الحق وان عدوهم انهم م
على الباطل واكد تلك العقائد بالقسم البار انه فيما يامرهم به على طريق الحق وان خصومه على مزلة الباطل وذكر الجادة للحق جذبا جذبا م
اليه والمزلة للباطل تنفيرا عنه ولان الباطل لا طريق واضحة بعلم او برهان صدق كما عليه الطريق الحق وباقي الكلام خاتمة حق م
الخطبة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** يعلم عجيج الوحوش في الفلوات ومعاصي العباد في الخلوات واختلاف
النينان في البحار الغامرات وتلاطم الماء بالرياح العاصفات واشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله نجيب الله وسفير
وحيه ورسول رحمته اما بعد فاني اوصيكم بتقوى الله الذي ابتدأ خلقكم واليه يكون معادكم وبه نجاح طلبتكم و
اليه منتهى رغبتكم ونحوه قصد سبيلكم واليه مرامي مفزعكم فان تقوى الله دواء داء قلوبكم وبصر عمى افئدتكم
وشفاء مرض اجسادكم وصلاح فساد صدوركم وطهور دنس انفسكم وجلاء عشا ابصاركم وامن فزع جاشكم
وضياء سواد ظلمتكم فاجعلوا طاعة الله تعالى شعارا دون دثاركم ودخيلا دون شعاركم ولطيفا بين اضلاعكم و
اميرا فوق اموركم ومنهلا لحين ورودكم وشفيعا لدرك طلبتكم وجنة ليوم فزعكم ومصابيح لبطون قبوركم وسكنا منهلا م
لطول وحشتكم ونفسا لكرب مواطنكم فان طاعة الله تعالى حرز من متالف مكتنفة ومخاوف متوقعة واوار نيران ورودكم
موقدة فمن اخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوها واحلولت له الامور بعد مرارتها وانفرجت عنه
الامواج بعد تراكمها واسهلت له الصعاب بعد انصابها وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها وتحدبت عليه
الرحمة بعد نفورها وتفجرت عليه النعم بعد نضوبها ووبلت عليه البركة بعد ارذاذها فاتقوا الله الذي نفعكم بموعظته

وتفضلكم برسالته وامتن عليكم بنعمته ليعبد وا انفسكم لعبادته واخرجوا اليه من حق طاعته ثم ان هذا الاسلام دين الله تعالى الذي اصطفاه لنفسه واصطنعه على عينه واصفاه خيرة خلقه واقام دعائمه على محبته اذل الاديان بعزته ووضع الملل برفعه واهان اعداءه بكرامته وخذل محاديه بنصره وهدم اركان الضلالة بركنه وسقى من عطش من حياضه واتاق الحياض بمواتحه ثم جعله لا انفصام لعروته ولا فك لحلقته ولا انهدام لاساسه ولا زوال لدعائمه ولا انقلاع لشجرته ولا انقطاع لمدته ولا عفاء لشرائعه ولا جذ لفروعه ولا ضنك لطرقه ولا وعوثة لسهولته ولا سواد لوضحه ولا عوج لانتصابه ولا عصل في عوده ولا وعث لفجه ولا انطفاء لمصابيحه ولا مرارة لحلاوته فهو دعائم اساخ في الحق اسناخها وثبت لها اساسها وينابيع غزرت عيونها ومصابيح شبت نيرانها ومنار اقتدى بها سفارها واعلام قصد بها فجاجها ومناهل روي بها ورادها جعل الله فيه منتهى رضوانه وذروة دعائمه وسنام طاعته فهو عند الله وثيق الاركان رفيع البنيان منير البرهان مضيء النيران عزيز السلطان مشرف المنار معوذ المثار فشرفوه واتبعوه وادوا اليه حقه وضعوه مواضعه ثم ان الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وآله حين دنا من الدنيا الانقطاع واقبل من الآخرة الاطلاع واظلمت بهجتها بعد اشراق وقامت باهلها على ساق وخشن منها مهاد وازف منها قياد في انقطاع من مدتها واقتراب من اشراطها وتصرم من اهلها وانفصام من حلقتها وانتشار من سببها وعفاء من اعلامها وتكشف من عوراتها وقصر من طولها جعله الله سبحانه بلاغا لرسالته وكرامة لامته وربيعا لاهل زمانه ورفعة لاعوانه وشرفا لانصاره ثم انزل عليه الكتاب نورا لا تطفأ مصابيحه وسراجا لا يخبو توقده وبحرا لا يدرك قعره ومنهاجا لا يضل نهجه وشعاعا لا يظلم ضوؤه وفرقانا لا يخمد برهانه وتبيانا لا تهدم اركانه وشفاء لا تخشى اسقامه وعزا لا تهزم انصاره وحقا لا تخذل اعوانه فهو معدن الايمان وبحبوحته وينابيع العلم وبحوره ورياض العدل وغدرانه واثافي الاسلام وبنيانه واودية الحق وغيطانه وبحر لا ينزفه المستنزفون وعيون لا ينضبها الماتحون ومناهل لا يغيضها الواردون ومنازل لا يضل نهجها المسافرون واعلام لا يعمى عنها السائرون واكام لا يجوز عنها القاصدون جعله الله تعالى ريا لعطش العلماء وربيعا لقلوب الفقهاء ومحاج لطرق الصلحاء ودواء ليس بعده داء ونورا ليس معه ظلمة وحبلا وثيقا عروته ومعقلا منيعا ذروته وعزا لمن تولاه وسلما لمن دخله وهدى لمن ائتم به وعذرا لمن انتحله وبرهانا لمن تكلم به وشاهدا لمن خاصم به وفلجا لمن حاج به وحاملا لمن حمله ومطية لمن اعمله وآية لمن توسم وجنة لمن استلام وعلما لمن وعى وحديثا لمن روى وحكما لمن قضى **اقول** العجيج رفع الصوت والنينان جمع نون وهو الحوت والجاش القلب لا وارج الثار او النتمس في غريب غائب وانصابها اتعابها وتحدبت عطفت وحنت والرذاذ ضعيف المطر وعبدت ذللوا والمحاز المشاق واثاف الحياض ملأها والمواتح المستقون والوعوثة كثرة توجب صعوبة المشي كما في الرمل والوضح البياض والعوج بالفتح فيما له ساق ينتصب كالنخلة وبالكسر فيما ليس كذلك كالطريق والعصل الاعوجاج ساخ غاص والسنخ الاصل وازف دنا ووجه الدار وسطها والغيطان المواضع المطمئنة من الارض والمحاج جمع محجة وهي جادة الطريق والمعقل الملجأ والفلج الفوز والمتوسم المتفرس والاستلام لبس لامة الحرب وهي الدرع وقصد بالفصل التنبيه على احاطة علمه بجزئيات الموجودات على اختلافها وكثرتها ونبه بعجيج الوحوش على ترنمها بعلمها حين تجأر اليه من جدب الارض وقلة العشب فكانها تضرع اليه بالعجيج ليكون الانسان اولى بذلك التضرع اليه وبعلمه بمعاصي العباد في الخلوات تنفيرا عنها في الخلوة التي هي مظنتها واختلاف النينان بالبحر والدماء وقطع البحار طولا وعرضا ثم عقب بشهادة الرسالة ثم بالوصية بتقوى الله وقرنها باعتبارات من صفاته تعالى توجب الفزع اليه وهي كونه سبحانه مبدء الخلق ومنتهى لمعادهم الحسي والعقلي كقوله تعالى وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وقد نبهنا عليه مرارا وانه نجاح طلباتهم واليه منتهى رغباتهم ونحوه قصدهم وسلوكهم فانه تعالى غاية الكل واليه مراجع مفزعهم يقال فلان مرجع مفزعي اي اليه مفزعي في المهمات ودعوة قوله نعم [illegible] ثم باعتبارات من صفة التقوى توجب الفزع اليها فاولها كونها دواء داء قلوبكم وقد عرفت كونها دواء لادواء الرذائل النفسانية وبصر عمى افئدتكم من عمى الجهل وشفاء مرض اجسادكم وذلك ان التقوى تستلزم قلة الاكل والشرب واستعمالها بقدر الحاجة كما قال في صفات المتقين منزورا اكله وقد علمت ما تحدث البطنة من الامراض البدنية ولذلك قال المعدة بيت الادواء وصلاح فساد صدوركم اي من الغل والحسد والخبث والنيات المخالفة لاوامر الله فان التقوى تستلزم نفي ذلك كله وصلاح الصدر منه لان مبادي تلك الشرور كلها محبة الدنيا وباطيلها والمتقون بمعزل عن ذلك ثم وكذلك طهور دنس انفسكم اي من نجاسات الرذائل المهلكة وهو كقوله دواء داء قلوبكم لكن اعتبار كونها دواء يخالف اعتبار كونها طهورا

٢٠٤ ج

في الاول ملاحظة كون الرذائل امراضا تؤدي الى الهلاك الابدي وفي الثاني اعتبار كونها نجاسة تمنع من دخول حظيرة القدس ومقعد الصدق و وجلاء عشا ابصاركم وفيه استعارة لفظ العشا لما يعرض عن ظلمة الجهل وسائر الرذائل من عدم ادراك الحقائق ويروى غشا بالغين المعجمة وهو الظلمة المتوهمة من الجهل التي هي حجاب العقل وبصائر الاعتبار فان التقوى جلاء لتلك الظلمة لما تستلزمه من اعداد النفس للكمال وكونها نفسها هي الجلاء مجاز اطلاقا لاسم المسبب على السبب وامن فزع جاشكم اذ قد علمت ان بها الامان من عذاب الآخرة وقد يكون بها الامان من فزع الدنيا لان اكبر مخاوف الدنيا الموت مما يؤدي اليه والمتقون العارفون يعزلهم عن تقية الموت بل عسى يكون محبوبا لهم لكونه وسيلة لهم الى اللقاء الخالص المحبوب لهم واليه الاشارة بقوله تعالى يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين دلت الآية على ان الصادق في دعوى الولاية يتمنى الموت وكذلك قوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ح وضياء سواد ظلمتكم واستعار لفظ الظلمة للجهل لعطية للقلب ورشح بذكر السواد لاستلزام الظلمة السواد وهو كقوله وجلاء عشاء ابصاركم وراعى في هذه القرائن كلها المضادة ثم اكد الوصية بطاعة الله تعالى باداب احدها ان يجعلوها شعارهم وكنى بذلك عن ملازمتهم لها كما يلزم الشعار الجسد ثم عن كونها في الباطن دون الظاهر اهلية فايدته وهو المشار اليه بقوله دون دثاركم الثاني اكرامهم بابطانها بامرهم باتخاذها دخيلا تحت الشعار لامكان ذلك فيها دون الشعار المحسوس ثم فسر ذلك فقال لطيفا بين اضلاعكم وكنى بلطفها عن اعتقادها وعقليتها وبكونها بين اضلاعهم عن بدايتها القلوب الثالث ان يجعلوها اميرا واستعار لها لفظ الامير باعتبار اكرامهم لها وتقديمها على سائر مهماتهم الرابع ان يجعلوها منهلا لحين ورودهم اي يوم القيمة واستعار لفظ المنهل لها ووجه المشابهة ان التقوى والطاعة مظنة التروي من شراب الابرار يوم القيمة كما ان موارد الابل مظنة ريها الخامس ان يجعلوها شفيعا الى الله ووسيلة الى مطالبهم منه وظاهر كون المطيع يسعد بطاعته زلفى بقربه من الله تعالى ولفظ الشفيع مستعار للوسيلة والقربة السادس جنة ليوم فزعهم وظاهر كون الطاعة ساترا يوم القيمة من الفزع الاكبر من عذاب الله السابع مصابيح لبطون قبورهم وقد عرفت كيفية اعداد الطاعة لقبول الانوار العلوية والاسرار الالهية المخلصة من ظلمة القبور والعذاب الاخروي وفي الخبر ان العمل الصالح يضيء قبر صاحبه كما يضيء المصباح الظلمة واستعار لها لفظ المصابيح لاستلزامها الانارة الثامن وكذلك سكنا لطول الوحشة في القبور تسكن به النفوس كما روي ان العمل الصالح والخلق الفاضل يراه صاحبه بعد الموت في صورة شاب حسن الصورة والثياب طيب الريح فيسلم عليه فيقول له من انت فيقول انا خلقك الحسن او عملك الحسن وحاصله يعود الى كون الطاعة سببا للاستيناس من وحشة الآخرة وذلك ان الوحشة انما تعرض في المكان لمن كان غافلا عنه وغير متوقع له ولا متهيئ للانتقال اليه ومطمئن بوطنه الاول باهله وجاعلهم كل الانس فاما اهل الطاعة فانهم ابدا متفكرون فيما ينتقلون اليه مستذكرون له راغبون بانس ربهم وملتفتون اليه انسهم ابدا به وفرحهم دائما بلقائه واعتقادهم في الدنيا انهم لاهلها بابدانهم مجاورون فمنهم يهربون والى العزلة ينقطعون فبالحري ان لا تعرض لهم وحشة وان تكون اعمالهم سببا لعدم الوحشة التي عساها تعرض لهم ولما كان الانسان في الدنيا لا يتصور ما بعد الموت بالحقيقة لا جرم كان لابد له من وحشة ما الا ان الانوار الالهية والانس بالرفيق الاعلى مزيلها التاسع وكذلك نفسا لكرب مواطنكم اي سعة وروحا لما يعرض من كرب منازل الآخرة واهوالها العاشر كونها حرزا من متالف مكتنفة وتلك المتالف هي الرذائل الموبقة التي هي محال الهلاك والتلف وكنى باحاطتها بالنفس بحيث لا يمكنها الا طاعة الله وسلوك سبيله والمخاوف المتوقعة مخاوف الآخرة وحرزها الحادي عشر كون التقوى مستلزمة لبعد الشدائد عن المتقي بعد دنوها منه وكثيرا ما يعبر بالتقوى عن الطاعة وان كانت اخص في بعض المواضع اما في بعد شدائد الآخرة فظاهر واما في الدنيا فلان المتقين هم اسلم الناس من شرورها لبعدهم عن مخالطتهم ومجاذباتهم لمتاع الدنيا وبغضهم لها اذ كانت محبتها والحرص عليها منبع الجميع الشرور والشدائد الثاني عشر كونها مستلزمة لحلاوة الامور بعد مرارتها اما امور الآخرة فكالتكليف عليهم الواردة لها بالعبادات وظاهر انها عند المتقين احلى والذ من كل شيء بعد مرارتها في مبدء سلوكهم وثقلها عليهم وعلى غيرهم من الجاهلين واما المر من امور الدنيا فكالفقر والعري والجوع وكل ذلك شعار المتقين وهو احلى في نفوسهم واثر من الشعار وان كان مرا في ذوقهم في مبدء السلوك وقبل وصولهم الى ثمرات التقوى الثالث عشر انفراج الامواج عنه بعد تراكمها واستعار لفظ الامواج للهيئات البدنية الردية وملكات السوء لها اذا كانت وتواترت على النفس غرقتها في بحار عذاب الله وظاهر كون لزوم التقوى سببا لتفرجها باستعداد النفوس به عنها تلك الهيئات ومحوها من لوحها ان كثرت الرابع عشر كون لزومها سببا لتسهيل صعاب الامور على النفس بعد انصابها لها وذلك ان المتقين عند ملاحظة غاياتهم من تقواهم يسهل عليهم كل صعب من امور الدنيا مما يشتد على غيرهم كالفقر والمرض وكل شديد وكذلك يسهل عليهم كل صعب مطالب الآخرة بعد اتعاب تلك المطالب لهم قبل تصورها التام في اول التكليف الخامس عشر كونه سببا لهطل الكرامة عليهم والكرامة تعود الى الكمالات النفسانية الباقية والالتذاذ بها ولاحظ في افاضتها عليهم مشابهتها بالغيث فاستعار لها لفظ الهطل واسنده اليها وكذلك لفظ القحوط وكنى به عن منعهم اياها قبل استعدادهم بالتقوى لها السادس عشر كونه سببا لتعطف الرحمة الالهية بافاضة الكمالات عليهم بعد نفورها عنهم لعدم الاستعداد ايضا ولفظ التحدب مستعار للارادة او لاثر الرحمة وكذلك لفظ النفور لعدم ذلك الاثر في حقهم قبل ذلك السابع عشر كونه سببا لتفجر النعم بعد نضوبها ولفظ التفجر مستعار لانتشار وجوه افاضات النعم الدنيوية والاخروية كما قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وكذلك لفظ النضوب لعدمها قبل الاستعداد لها ملاحظة لشبه النعم بالماء في الاستعارتين الثامن عشر كونه سببا لوبل البركة بعد ارذاذها ولفظ الوبل مستعار للبسط الكثير من البركة بعد الاستعداد بالتقوى ولفظ الارذاذ للقليل

قبل ذلك الاستعداد ملاحظة لشبهها بالعبثة وظاهر كون النفوس سببا لمزيد الفيض على كل من كان له بعض الكمال كمن يستعد بالعلوم ونال الزلفى بالعبادة ثم بذلك
ثم بعد الفراغ من فضائلها والترغيب فيها من تلك الجهة اتاه الامر بها ورغب فيها باعتبار اثار من انعام المنعم هي كونه تعالى نافعا لهم [illegible] جاذبا لهم الى جنته
مرغبا لهم في كرامته [illegible] برسالته اليهم ممتنا عليهم بنعمته كقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم [illegible] ثم امرهم [illegible] انفسهم وتذليلها للعبادة
والخروج اليه من حق الذي يطلبه منهم وهو طاعته ثم ذكر الاسلام وفضائله مرغبا فيه [illegible] لطاعته وعبادته [illegible] من حق طاعته الذي هو

[illegible]

[illegible]

الفتنة واستفادتها يج ورياض العدل وغدرانه واللفظان مستعاران ايضاً باعتبار كونه مورداً يوجد عنه العدل بكليته فهو مورده الذي لا يجوز عن سنن الحق الى ان يبلغ به صاحبه الى الله تبارك وتعالى يد واثافي الاسلام وبنيانه واللفظان مستعاران له باعتبار كونه اصلاً للاسلام يبنى عليه وبه يقوم كما ان الاثافي للقدر والبنيان لما يحمل ما بنيه كذلك يه واودية الحق وغيطانه واللفظان مستعاران له باعتبار كونه معدناً للحق ومظنته له كما ان الاودية والغيطان مظان الكلاء والماء يو وبحر لا ينزفه المستنزفون يز وعيون لا ينضبها الماتحون كرر استعارة البحر والعيون له باعتبار اخر وهو كونه لا ينتهي فوايده والمقاصد المستنبطة منه يح ومناهل لا يغيضها الواردون وخصص لتصويب العين ولامكان ذلك فيها دون البحر والورود بالمتأمل لكون المنهل وهو موارد الماء يط ومنازل لا يضل نهجها المسافرون اى مقامات من العلو اذا نزلتها العقول المسافرة الى الله لا تضل لاستنارتها وشهرة صناعتها ك واعلام لا يعمى عنها السائرون كا واكام لا يجوز عنها القاصدون استعار لفظ الاعلام والاكام للادلة والامارات منه على الطريق الى معرفته وامكان باعتبار كونها نبادير كما تهتدي بالاعلام والجبال على الطرق كب جعله الله رياً لعطش العلماء استعار لفظ الري له باعتبار كونه رافعاً لالم الجهل عن النفوس كما يدفع الماء الم العطش ولفظ العطش للجهل البسيط ولاستعداد الطالبين للعلوم واشتياقهم الى الاستفادة واطلق لفظ الري على ... الملازم اللازم على ملازمته كج وربيعاً لقلوب الفقهاء ولفظ الربيع مستعار له باعتبار كونه مرعى لقلوب الفقهاء ويستثمرون منه الاحكام ويتبجحون بها كالربيع للحيوان كد ومحاج لطرق الصلحاء وكونه طريقاً واضحاً للصالحين الى الله كه ودواء ليس بعده داء كقوله شفاء لا يخشى سقامه كو ونوراً ليس معه ظلمة اى لا تبقى مع هدايته الى الاحكام ظلمة على البصيرة وهو كقوله وسراجاً لا يطفأ نوره كز وحبلاً وثيقاً عروته استعار لفظ الحبل له والعروة لما يستمسك به منه وكنى بوثاقة عروته عن كونه منجياً لمن تمسك به كح ومعقلاً منيعاً ذروته استعار لفظ المعقل له باعتبار كونه ملجأً من الجهل ولوازمه وهو العذاب ورشح بذكر الذروة وكنى بمنعتها عن كونه عزيز المنيع من لجأ اليه كط وعزاً لمن تولاه اى اتخذه وليا يلتجئ اليه فيما ينوبه ولا يخالفه وظ كونه سبب عزه في الدارين ل وسلماً لمن دخله اى امناً ودخوله الخوض في تدبر مقاصده واقتباسها وبذلك الاعتبار يكون مأمناً من عذاب الله ومن الوقوع في الشبهات التي هي مهاوي الهلاك لا وهدى لمن ائتم به لب وعذراً لمن انتحله اى من نسبه الى نفسه بدعوى حفظه او تفسيره ونحو ذلك معتذراً بذلك من تكليف لا يليق به او يشق عليه كان عذراً مخيلاً له وهذا كما تقول لمن يقصد انساناً باذى لا ينبغي لك ان تؤذيه فانه من حملة القرآن الكريم او ممن يعلم علومه فيكون ذلك سبباً لترك اذاه لج وبرهاناً لمن تكلم به لد وشاهداً لمن خاصم به له وفلجاً لمن حاج به الثلاثة متقاربة واطلق لفظ الفلج عليه من جهة ما يخرج به اطلاقاً لاسم الغاية اذ غاية الاحتجاج به الفوز والشاهد والحجة اعم من البرهان لو وحاملاً لمن حمله اى يحمل يوم القيمة حملته وحفظته الا من عمي يحمله لهم عن انجائه لهم من العذاب اطلاقاً لاسم السبب على المسبب لز ومطية لمن اعمله استعار له لفظ المطية باعتبار كونه محملاً لهم كقوله حاملاً ولفظ الاعمال لتتبع قوانينه والمواظبة عليها المنجية من العذاب كما ينجي اعمال المطية في الطريق البعيد لح وآية لمن توسم وذلك باعتبار تدبر امثاله وقصصه فان فيها آيات وعبراً كما قال تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين لط وجنة لمن استلأم اى لبس لامته ولبسه كالدرع واستعار لفظ الجنة له وقاية من استعد بعلمه من عذاب الله وكنى باستلامه عن ذلك الاستعداد به م وعلماً لمن وعى اى حفظه وفهم مقاصده ما وحديثاً لمن روى وذلك باعتبار ما فيه من القصص واخبار القرون الماضية فان اصدق حديث يروى منها ما اشتمل عليه القرآن ويحتمل ان يريد بكونه حديثاً كونه قولاً وكلاماً ليس لمن نقله كما قال تعالى الله الذي نزل احسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني ونكون فايدته هو الوصف ان فيه عبرة لمن اراد ان يحدث بحديث عبرة مما لا يفيد فايدة فينبغي ان يجعل البر ويشتغل بتلاوته والتحدث به مب وحكماً لمن قضى اى فيه الاحكام التي يحتاج اليها القضاة درر وحكماً اى حاكماً ترجع اليه القضاة ولا يخرجون عن حكمه وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام

كان يوصي به الى اصحابه تعاهدوا امر الصلوة وحافظوا عليها واستكثروا منها وتقربوا بها فانها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً الا تسمعون الى جواب اهل النار حين سئلوا ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين وانها لتحت الذنوب حت الورق وتطلقها اطلاق الربق وشبهها رسول الله صلى الله عليه وآله بالحمة تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات فما عسى ان يبقى عليه من الدرن وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع ولا قرة عين من ولد ولا مال يقول الله سبحانه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله نصباً بالصلوة بعد التبشير له بالجنة لقول الله سبحانه وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها فكان يأمر بها اهله ويصبر عليها نفسه ثم ان الزكوة جعلت مع الصلوة قرباناً لاهل الاسلام فمن اعطاها طيب النفس بها فانها تجعل له كفارة ومن النار حجاباً ووقاية فلا يتبعنها احد نفسه ولا يكثرن عليها لهفه فان من اعطاها غير طيب النفس بها يرجو بها ما هو افضل منها فهو جاهل بالسنة مغبون الاجر ضال العمل طويل الندم ثم اداء الامانة فقد خاب من ليس من اهلها انها عرضت على السموات المبنية والارضين المدحوة والجبال ذات الطول المنصوبة فلا اطول ولا اعرض ولا اعلى ولا اعظم منها ولو امتنع شيء بطول او عرض او قوة او عز لامتنعن ولكن اشفقن من العقوبة وعقلن ما جهل من هو اضعف منهن وهو الانسان انه كان ظلوماً جهولاً

ذلك به

على نوع الغاية

كذا في ... ليس نقله

ان الله سبحانه لا يخفى عليه ما العباد مقترفون في ليلهم ونهارهم لطف به خبراً واحاط به علماً اعضاؤكم شهوده وجوارحكم جنوده وضمائركم عيونه وخلواتكم عيانه اقول الربق جمع ربقة وهي الحلقة في الحبل والحمة بالجيم الحفيرة يجتمع فيها الماء وروي بالحاء والمعنى واحد والدرن الوسخ والنصب التاعب والاقتراف الاكتساب وحاصل الفصل الوصية بالمحافظة على امور ثلثة والحث عليها اولها الصلوة وتعاهد امرها والمحافظة عليها وذلك بانقياد الادب الاحوال تفقد حال الصلوة ومراقبتها حذراً ان تشوبها نزغات الشيطان برياء فيها او التفات عنها ثم بالمحافظة على اوقاتها واداء اركانها كما هي ثم بالاستكثار منها والتقرب بها الى الله لكونها افضل العبادات والقرب اليه ثم اشار الى فضيلتها ووجه وجوبها احدها قوله فانها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً وهو لفظ القرآن الكريم وموقوتاً اى مفروضاً وقيل منجماً في كل وقت صلاة معينة الثاني الحث بذكرها بالتنبيه على استلزام تركها للدخول النار بقوله الا تسمعون الى قوله من المصلين الثالث انها لتحت الذنوب حت الورق وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس ووجه الشبه ظ وكذلك وتطلقها اطلاق الربق اى وتطلق اعناق النفوس من اغلالها كما تطلق الربقة من عنق الشاة الرابع تشبيه رسول الله صلى الله عليه وآله لها بالحمة تكون على باب الرجل وصورة الخبر عنه صلى الله عليه وآله ايسر احدكم ان على بابه حمة يغتسل منها كل يوم خمس مرات فلا يبقى عليه من درنه شيء قالوا نعم قال فانها الصلوات الخمس الخامس تنبيهه بذكر عرفان رجال من المؤمنين وهم الموصوفون في الآية بقوله رجال الى آخره السادس نصب الرسول صلى الله عليه وآله فيها وامر الله تعالى له بالمواظبة عليها بعد تبشيره بالجنة وذلك قوله وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها وامتثاله لذلك لا في نفسه وامره اهله وروي انه صلى الله عليه وآله قام في الصلوة حتى تورمت قدماه فقيل له في ذلك فقال افلا اكون عبداً شكوراً وذلك من اوضح الدلايل على كثرة فوائدها وقوة فضيلتها واعلم انه قد ورد في فضلها اخبار كثيرة بعد تاكيد القرآن الكريم بها وقد بينا ذلك واشرنا الى فضيلتها اشارة مستوفاة في الفصل الذي اوله ان افضل ما يتوسل به المتوسلون الى الله سبحانه الايمان به وبرسوله الثانية مما امر بالمحافظة عليه الزكوة وهي قرينة الصلوة في الذكر في الكتاب العزيز وفي الفضيلة فلذلك قال جعلت مع الصلوة ثم اشار الى سرها وهو كونها قرباناً لاهل الاسلام وستبين ذلك اشار بقوله فمن اعطاها الى قوله طول الامل الى شرط كونها مقربة الى الله تعالى وبيان كون قبولها مشروطاً بطيب النفس بها سرها وقد عرفته في ذلك الفصل وعلمت ان من اقسام المسترزقين من المال من اقتصر منه على اداء الواجب من الزكوة من غير زيادة ولا نقصان وهم العوام لجهلهم بسر البذل وبخلهم بالمال وميلهم اليه من ضعف حبهم للآخرة قال تعالى ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا وطهارة الذين ذكرناهم من استنزل على المال ومحاسبهم وقربهم من الله وبعدهم بقدر طيب انفسهم عن بذل المال والاعراض عنه ومحبته وهذه الفرقة اعني من اقتصر منهم على اداء الواجب فقط ينقسم الى مؤد لذلك الحق بطيب نفس ومستحيل الى مؤد له مع بقاء المحبة ونكد النفس ببذله وملتهف عليه وانتظار جزاء له وباعتبار القسمين الاولين مع القسم الاول من هذه الفرقة يكون بذل المال والزكوة قربة الى الله تعالى وهو الذي اشار اليه امير المؤمنين بقوله ان الزكوة الى قوله ووقاية وان كان قد خصص الزكوة هنا وانما يكون قربة لاستلزام رفض هذا المحبوب الذي هو بالذات جميع الكمالات الدنيوية بسبب مما منه رغبة عنه ومحبة لله ورغبة فيما عنده وتكون كفارة ما حيث انه ازالة البخل وما يستلزم من الذنوب ويكون حجاباً بين العبد وبين عذاب الله اذ قد علمت ان مبدأ العذاب في الآخرة حب الدنيا واعظمه حب المال فاذا كان بذل المال مستلزماً لزوال حبه كان بذلك الاعتبار حجاباً من العذاب ووقاية منه واما ايتاء الزكوة على الوجه الثاني فهو المذموم والمنهي عنه بقوله ولا يكثرن لهفه بعد امره بها في قوله فلا يتبعنها احد نفسه ويلزم باذلها على ذلك الوجه النقائص المذكورة وهي الجهل بالسنة فان السنة فيها ان يؤدى بطيب نفس وسماحة وان يكون مغبوناً في الاجر فان اثابتها على وجه توقع جزاء لها الا على وجه القربة الى الله غير مستلزمة لرضوانه وذلك هو الغبن وان حصل له جزاء غير رضوان الله على كل جزاء غير رضوانه جزاء ناقص وغبن فاحش بالنسبة اليه وان يكون ضال العمل وهو اعطاؤه ذلك المال وبذله على غير وجهه وقصده به غير سبيل الهدى الى رضوان الله وان يكون طويل الامل اى في محبة المال وفيما يرجوه به من الجزاء الثالثة مما اوصى به اداء الامانة وهي التي اشار القرآن الكريم اليها بقوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الآية وقد بينا فيما سلف انها تعود الى العبادة والطاعة المطلوبة من الانسان بما هو انسان وظاهر ان تلك العبادة لا يمكن من غيره فانه انما حملها من حيث خلق مستصلحاً للدارين وبيان ذلك ان مخلوقات الله تعالى اما جمادات او ذوات حيوة وذوات الحيوة اما الملائكة والحيوان الارضي والحيوان الارضي اما غير ناطق فالحيوان منها وهو الانسان هو المؤهل لعمارة الدارين والكون فيهما وهو الواسطة بين خلقين وضيع وهو الحيوان الاعجم وشريف وهو الملك وقد اجتمع فيه قوى العالمين فهو كالحيوان في الشهوة والغضب وقوة التناسل وسائر القوى البدنية المختصة بالحيوان وكالملك في القوة المجردة والعقل والعلم والعبادة وسائر الكمالات النفسانية ووجه الحكمة في ذلك انه تعالى لما اقتضت عنايته الجارية لهذه العبادة المخصوصة ان يجعل في الارض خليفة لعمارتها جمع له بين القوتين فانه لو كان كالبهيمة خالياً عن العقل لم يتأهل لمعرفته وعبادته الخاصة ولو خلق كالملك معرى عن الشهوة والغضب وسائر القوى البدنية لم يصلح لعمارة ارضه وخلافته فيها ولذلك قال للملائكة اني اعلم ما لا تعلمون فاذن هذه العبادة الخاصة وهي الامانة المشار اليها لا يصلح لها الا الانسان ولا يمكن من غيره وقد علمت ايضاً فيما سلف ان اباء السموات والارض والجبال عن حملها يعود الى عدم قبولها اما بلسان حال قصورها وعدم صلاحيتها لها واشفاقها من عقوبة الله على التقصير عن اداء حقوقها كما اشار اليه امير المؤمنين بقوله اشفقن

الفرق

عليها م

فان الحصول

من العقوبة ولم يكن ذلك اباء استكبار لخضوعها تحت ذل الحاجة اليه ولفظ الاشفاق مجاز في ثمرته ولازمه وذلك ان السلطان مثلا اذا كلف
بعض رعيته حمل امانة تكليف تخيير ثم خاف ذلك المكلف لعقوبته على تقصيره في اداء تلك الامانة فان خوفه يستلزم تركه وامتناعه من حملها
فكان الامتناع من الامانة مسببا عن الاشفاق فاطلق الاشفاق هنا على اباء السموات والارض بلسان حالها مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب
وقيل ان ذلك الاباء والاشفاق على وجه التقدير وانما جيء بلفظ الواقع لان الواقع ابلغ من المقدر اي لو كانت هذه الاجرام عاقلة ثم عرضت عليها
وظائف الدين عرض تخيير لاستثقلت ذلك مع كبر اجسامها وشدتها ولامتنعت من حملها اشفاقا من القصور عن اداء حقها ثم ان مخاطبة الجماد و
الاخبار عنها نظرا الى قرينة الحال طريقة مشهورة للعرب مستحسنة في تعارفهم كقولهم يا دار ما صنعت بك الايام ونحوه بل مخاطبة بعض الجمادات
لبعض بلسان احوالها كقولهم قال الحائط للوتد لم تشقني قال سل من يدقني ونحو ذلك كثير فاما قوله وقد خاب من ليس من اهلها فتلك
الخيبة تعود الى حرمان ثمرة هذه العبادة وما يستلزمه من الحصول على الكمال اذ ليس من اهلها وذكر كون السموات مبنية والارض مدحوة
والجبال باطوالها وعرضها وعلوها وعظمها تنبيه للانسان على جراته على المعاصي وتضييع هذه الامانة اذا اهل لها وحملها وتعجب منه
في ذلك فكانه يقول اذا كانت هذه الاجرام العلوية التي لا اعظم منها قد امتنعت من حمل هذه الامانة حين عرضت عليها فكيف حملها من هو
اضعف منها وقوله ولو امتنع شيء الى قوله لامتنعن اشارة الى ان امتناعهن لم يكن لعزة وعظمة اجسام ولا استكبار على الطاعة له ولئن لو
كان كذلك لكانت اولى بالمخالفة عن كل شيء لاعظمية اجرامها على كل المخلوقات بل انما ذلك عن ضعف واشفاق من خشية الله وعقلن ما
جهل الانسان قيل ان الله تعالى عند خطابها خلق فيها فهما وعقلا وقيل ان اطلاق العقل مجاز في مسببه وهو الامتناع عن قبول هذه الامانة
كلفظ الاشفاق فان عقلية المكلف لعقوبته على التقصير في تكليف تخيير فيه وتخافة التقصير يستلزم تركه لذلك التكليف واستفالته منه ولزم
يكن لها عقل من جهة ما هي اجرام اطلق لفظ العقل على لازمه وثمرته وهو الامتناع والاباء مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب كاطلاق لفظ
الارادة على ميل الحائط في قوله تعالى جدارا يريد ان ينقض وقوله يحتمل ان يعود الضمير في اشفقن وعقلن الى من يعقل من الملائكة السماوية
اذ لكل جرم سماوي ملك يدبره هو كالبدن له لامكان ذلك فيها دون سائر الاجرام الارضية وما جهله الانسان هو عظمة الله وغاية هذه
الامانة وتقصيره في ادائها واجبا بها المستلزم لعقوبته واستحقاق سخط الله وكونه جهولا اي كثير الجهل باسرار هذه الامانة والعظمة كما
يستلزم فعلها وتركها وعن الوعيد الوارد على التقصير فيها وقوله ان الله لا يخفى عليه الى اخره تنبيه لهذا الظلوم الجهول على احاطة
علم الله تعالى بجميع احواله كما انه في ليله ونهاره وانه لطيف الخبرة لمعرفته بها ينفذ علمه في البواطن كما يقع على الظواهر وقوله اعضاؤكم
اي شهود له عليكم من قوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وجوارحكم جنوده وذلك باعتبار كونها معينة عليهم
وضمائركم عيونه اي طلائعه وجواسيسه كقوله تعالى وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين وتلك الشهادة والاعانة بلسان الحال وقد عرفت
كيفية انطاق الجوارح وشهادة الجوارح وشهادة النفوس على نفسها وكنى بالخلوات عما يفعل فيها من معاصي الله مجازا وانما خصها لانها
مظنة المعصية ويحتمل ان يريد بالخلوة مصدر قولك خلوت خلوة لا المكان فيكون حقيقة ولفظ كونها عيانا لله اي معاينة له وكل ذلك تنبيه
وتنفير عن تحريك الجوارح والخلوة بها فيما لا ينبغي من المعاصي وبالله التوفيق والعصمة **ومن كلام له عليه السلم** والله ما معوية بادهى
مني ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت ادهى الناس ولكن كل غدرة فجرة وكل فجرة كفرة ولكل غادر لواء يعرف به يوم
القيمة والله ما استغفل بالمكيدة ولا استغمز بالشديدة **اقول** الدها استعمال العقل والراي فيما يراد فعله مما لا ينبغي مع اظهار ارادة
غيره ويسمى صاحبه داهيا وداهية للمبالغة وخبيثا ومكارا وحيالا وهو داخل تحت رذيلة الجربزة وهي طرف الافراط من فضيلة الحكمة العملية ويستلزم
رذائل كثيرة كالكذب والغدر وهو الرذيلة المقابلة لفضيلة الوفاء بالعهود التي هي ملكة تحت العفة والفجور المقابل لفضيلة العفة فقوله ما معوية
بادهى مني اي ليس باقدر مني على فعل الدهاء واكد ذلك بالقسم البار وقوله ولكنه يغدر ويفجر اشارة الى لوازم الدهاء التي لاجلها تركه وهو الغدر
وبواسطته الفجور فان الوفاء لما كان نوعا تحت العفة كان الغدر الذي هو رذيلته نوعا تحت ما يقابل العفة وهو الفجور ولذلك نفى الدهاء
عن نفسه لكراهيته للغدر ونفيه له عن نفسه لان نفي اللازم مستلزم لنفي الملزوم ثم جعل الغدر اوسط في اثبات الفجور لمعوية بقياس ضمير من
الشكل الاول وقوله ولكنه يغدر في قوة صغرى القياس وقوله ويفجر في قوة النتيجة فكانه قال ولكنه يغدر فهو يفجر ونبه على الكبرى بقوله
وكل غدرة فجرة فصار الترتيب هكذا ولكنه يغدر وكل غدرة فجرة وعلى كبراه بقوله وكل فجرة كفرة واذ ثبت في القياس الاول انه فاجر
واستلزم قوله وكل فجرة كفرة ان كل فاجر كافر ثبت بها بين المقدمتين انه كافر فهو ذو غدرة وفجرة وكفرة وهو كثير الغدر والفجور
والكفر وذلك صريح في اثبات المطلوب قال بعض الشارحين وجه لزوم الكفر ان الغادر على وجه استباحة ذلك واستحلاله كما
هو المشهور من حال عمرو بن العاص ومعوية في استباحة ما علم تحريمه بالضرورة من دين محمد صلى الله عليه وآله وهو معنى الكفر ويحتمل انه يريد كفر نعم الله
وسترها باظهار معصيته كما هو المفهوم اللغوي من لفظ الكفر وانما وحد الكفر لستبعد الكفر بعد فعل الغدر فيكون داعيا الى النفار
عن الغدر اذ هو في معرض التنفير عنه وقوله ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيمة لفظ الخبر النبوي وفيه تنفير عن رذيلة الغدر وقوله

والله ما استغفل بالمكيدة تقرير وتاكيد لما ذكره من معرفته بوجوه الاراء وكيفية الدهاء فان من يكون كذلك لا يخفى غفلة عما يعمل عليه من الحيلة
والمكيدة وقوله ولا استغمز بالشديدة اي لا يطلب غمزي واضعافي فاني لا اضعف عما الاقي به من الشدائد وقد وعى بابراء اني لا استجهل
بشدائد المكائد وهذا القول صدر منه عليه السلم كالجواب لما كان يسمعه من اقوال الجاهلين بحاله ونسبتهم له الى قلة التدبير وسوء الراي
ونسبة معوية الى استخراج وجوه المصالح والاراء الصحيحة في الحروب وغيرها واعلم ان الجواب عن هذا الخيال المبتدع فيهم حاله وحال
معوية وغيره من ينسب الى جودة الراي وبيان التفاوت بينهم وبينه وذلك راجع الى حرف واحد وهو انه عليه السلم كان ملازما في جميع
حركاته قوانين الشريعة مدفوعا الى اتباعها ورفض ما العادة ان يستعمل في الحروب فالتدبير من الدهاء والخبث والمكر والحيلة والاجتهادات
في النصوص وتخصيص عموماتها بالاراء وغير ذلك مما لم ترخص فيه الشريعة وكان غيره يعمل بجميع ذلك سواء وافق الشريعة او لم يوافق
فكانت وجوه الحيل والتدابير عليهم اوسع وكان مجالها عليه اضيق ونقل عن ابي عثمن عمرو بن بحر الجاحظ في هذا المعنى كلام طويل خلاصته
انه قال ربما رايت بعض من يظن بنفسه العقل والعلم وانه من الخاصة وهو من العامة يزعم ان معوية كان ابعد غورا واصح فكرا
واجود مسلكا من علي وليس الامر كذلك وساومي الى موضع غلطه وذلك ان عليا كان لا يستعمل في حروبه الا ما يوافق الكتاب والسنة
وكان معوية يستعمل ما يخالفهما كاستعماله ما يوافقهما ويسير في الحرب بسيرة ملك الهند اذا لاقى كسرى وكان علي يقول لاصحابه لا تبدؤهم
بالقتال حتى يبدؤكم ولا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تفتحوا بابا مغلقا هذه سيرته في ذي الكلاع وفي ابي الاعور السلمي وفي
عمرو بن العاص وفي حبيب بن مسلمة وفي جميع الرؤساء كسيرته في الحاشية والاتباع واصحاب الحروب انما يقصدون لوجه الذي به هلاك الخصم
وينتظرون وجه الفرصة سواء كان مخالفا للشريعة كالتحريق والتغريق ودق السموم والتضريب بين الناس بالكذب والقاء الكتب في العسكر
او موافقا لها ومن اقتصر في التدبير على الكتاب والسنة فقد منع نفسه الطويل العريض من التدبير وما لا يتناهى من المكائد والصدق
والكذب اكثر من الصدق وحده والحلال والحرام اكثر من الحلال وحده فعلي كان ملجما بلجام الورع من جميع القول الا ما فيه لله رضى
وممنوع اليدين من كل بطش الا ما دل عليه الكتاب والسنة دون اصحاب الدهاء والمكر والمكائد فلما رات العوام نوادر معوية في المكائد
وكثرة معاتبه في الخديعة وما يحيا له ولم يروا مثل ذلك من علي ظنوا القصور وظنوا ان ذلك من رجحان عند معوية ونقصان في علي
ثم انظر بعد ذلك كله هل يعد لمعوية من الخداع اكثر من رفع المصاحف ثم انظر هل خدع بها الا من عصى راي علي وخالف امره من اصحابه
فان زعمت انه قد نال ما اراد بخداعه من الاختلاف على علي فقد صدقت ولكن ليس ذلك محل النزاع ولم يختلف في غرارة اصحاب علي و
عجلتهم وتسرعهم وتنازعهم وانما كان البحث في التمييز بينه وبين معوية في الدهاء والمكر وصحة العقل والراي فهذه خلاصة كلامه ومن
تامله بعين الانصاف علم صحته وصدقه ومن هذا يتبين لك الجواب عن كل ما نسب اليه من التقصير في خلافته كعدم اقراره لمعوية على الولاية
في اول خلافته ثم يعزله بعد ذلك لما يستلزم تقريره له من الظلم وكشبهة التحكيم وكنسبتهم له الى التوحش لبعض اصحابه حتى فارقوه الى
معوية كاخيه عقيل ومثل النجاشي ومصقلة بن هبيرة وكتركه لطلحة والزبير حتى فارقاه وخرجا الى مكة واذن لهما في العمرة وذهب عنه
الراي في ارتباطهما عنده ومنعهما من البعد عنه وامثال ذلك فان الانصاف عند اعتبار حاله في جميع ما نسب اليه يقتضي موافقته
للشريعة وعدم خروجه عنها وتفصيل الاجوبة عن ذلك مما يخرج عن الغرض وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** ايها الناس
لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة اهله فان الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير وجوعها طويل ايها الناس
انما يجمع الناس الرضا والسخط وانما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم الله بالعذاب لما عموه بالرضا فقال سبحانه فعقروها
فاصبحوا نادمين فما كان الا ان خارت ارضهم بالخسفة خوار السكة المحماة في الارض الخوارة ايها الناس من سلك الطريق
الواضح ورد الماء ومن خالف وقع في التيه **اقول** السكة الحديدة تكون في راس خشبة الفدان تشاربها الارض وخوارها
صوتها في الارض والارض الخوارة الضعيفة وحاصل الفصل ترغيب مخاطبيه السالكين لطريق الهدى في البقاء على ما هم عليه بذكر كونه
طريق الهدى ومن العادة ان يستوحش الناس من الوحدة وقلة الرفيق في الطريق الطويل الصعب فنهى عن الاستيحاش في تلك الطريق وكنى
بها عما يعرض لبعضهم من الوسوسة بانهم ليسوا على حق لقلتهم وكثرة مخالفيهم لان قلة العدد في الطريق مظنة الهلاك والسلامة
مع الكثرة ونحو ذلك فنبههم على انهم في طريق الهدى وان كانوا قليلين وقوله فان الناس اجتمعوا الى قوله طويل تنبيه على علة قلة اهل
الهدى وهو اجتماع الناس على الدنيا واستعار لها لفظ المائدة ملاحظة لشبهها بها في كونها مجتمع اللذات وكنى عن قصر مدتها
بقصر شبعها وعن استعقابها لاتباعها فيها للعذاب الطويل في الاخرة بطول جوعها ولفظ الجوع مستعار للحاجة الطويلة بعد الموت
الى المطاعم الحقيقية الباقية من الكمالات النفسانية الفانية بسبب الغفلة في الدنيا فلذلك نسب الجوع اليها ويحتمل ان يكون مستعارا
لما تتلهف عليه النفس وتتاسف بعد الفراق من اللذات الدنيوية التي لا تحصل عليها بعد الموت ابدا فيطول جوعها منها وراعي المقابلة
في الجوع بازاء الشبع والطول بازاء القصر وقوله ايها الناس الى قوله السخط اي انما يجمع الناس في عذاب الله رضاهم بالمنكرات ومعاصي الله

احتراز عن كلام عدو الله ... وجعله جزاء من كلامه

في ثمود وعقر الناقة

وان لم يباشرها اكثرهم وبعظم لجاية مثل الاعمال ومصداق ذلك قصة ثمود في عموم العذاب لهم بفعل عاقر الناقة فانهم باسرهم ما فعلوا ان مع نسبة الفعل الى جميعهم كما قال فعقروها الاية وعمّهم العقوبة لما عمّوه بالرضى والضمير في عمّوه يعود الى الرجل او الى العقر الذي دل عليه قوله عقر اي لما عمّوا فعله بالرضا بيان لبيان الاشارة بقوله لعمّ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وظاهر ان الراضي بفعل شريك فاعله في قوته وكذا انما يجمع الله الناس في رحمته باجماعهم على الرضا بمحابّه والسخط لمكارهه فقوله فما كان الا ان خارت ارضهم الى قوله الخوارة تفسير للعذاب اللاحق لهم المشار اليه بقوله فاصبحوا نادمين فاخذهم العذاب وقد فسّره القرآن الكريم ايضا في قوله فاخذتهم الرجفة فبين عليه السلام كيفية ذلك وشبه صوت ارضهم في خسوفها وذهابها في الارض بصوت السكة المحماة في الارض عند الحرث بها وانما زادها صفة المحماة تنبيها على قوة تصويتها وسرعة غوصها لان المحماة يكون لها في الارض نشيش زائد على ما يقتضيه حركتها ويعينها الحمى على النفوذ فاما قصة ثمود فالمنقول انهم خلف عاد في الارض بعد هلاكهم فكثروا وعمّروا اعمارا طويلة حتى كان الرجل يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت في الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا عن امر الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من وسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسألوه اية فقال اية اية تريدون فقالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم من السنة تدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك تبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال نعم فخرج معهم ودعوا اربابهم وسألوها فلم تجب فقال كبيرهم واشار الى صخرة مفردة في ناحية الجبل يسمونها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ عليهم المواثيق بذلك ثم صلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة كما تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما يطلبون وعظما وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فامن به رئيسهم ونفر من قومه ومنع اعقابا ناس من رؤسائهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يوم شربها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلي اوانيهم فيشربون ويدخرون فاذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت لهم عقرها امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار كانتا كثيرتي المواشي لما اضرت بمواشيهما فعقرها قدار الاحمر واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق فصيلها حتى رقا جبلا يقال له غارة فرغا ثلثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد وهي محمرة واليوم الثالث وهي مسودة ثم يغشاهم العذاب فلما راوا العلامات هموا بقتله فانجاه الله الى ارض فلسطين فلما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة وخسف شديد وزلزال فتقطعت قلوبهم فهلكوا وبالله العصمة والتوفيق هذا اخر المجلد الثاني من هذا الكتاب وفرغ من تسويده العبد الاقل الحاج ميرزا محمد الخوانساري

الحمد لله الهادي الى السداد وجاعل الانبياء دلائل الرشاد وذرائع العباد الى رب العباد واوليائه شفعاء يوم التناد ثم الكتاب المستطاب المسمى بشرح نهج البلاغة للعالم الالمعي والفاضل اللوذعي الفيلسوف الحكيم المدقق المتكلمين وزبدة الفقهاء والمحدثين كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني من اجل الكتب المصنفة في شرح الكتاب المذكور حيث تبين لدلائل المسائل ومكارم الاخلاق وتوضيح الغوامض والمشكلات في الاضمار والاشارات فلا فائدة له موقوفة العلماء لفائدة جامع الفواضل والفضائل زبدة الاماجد والاماثل الحبر المعظم الاكرم الاعظم مولانا المؤيد ملا محمد فخر العلماء لعمري انه لبذل الجهود وبهاء وسعيه فهذه النسخة التي تبعوها بطائل فطوبى لهم من كاتبها الاعلى الاوحد الحاج ميرزا محمد الخوانساري الذي يوفي كتابته وحسن سليقته مع مراكز الاشغال والاختلال الاحوال والاطوار والموفق للمنة وتيسر الطباع صاحب الافتخار والمناقب والاماثل والافراد على قلب حان فعلوا بها وقولوا كما قولوا الحمد لله اولا واخرا وقد وقع الفراغ من كتابته في يوم يكشنبه سادس عشر من شهر رجب المرجب من شهور سنة ١٢٧٠

هو الله

المجلد الثالث المسمى بشرح نهج البلاغة من تأليفات الحكيم ميثم بن علي بن ميثم البحراني وهذا كلام له عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام

المجزو ٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن كلام له عليه السلام روي عنه انه قاله عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام كالمناجي به رسول الله صلى الله عليه وآله عند قبره السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك قل يا رسول الله عن صفيتك صبري ورق عنها تجلدي الا ان لي في التاسي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعز فلقد وسدتك في ملحودة قبرك وفاضت بين نحري وصدري نفسك انا لله وانا اليه راجعون فلقد استرجعت الوديعة واخذت الرهينة اما حزني فسرمد واما ليلي فمسهد الى ان يختار الله لي دارك التي انت بها مقيم وستنبئك ابنتك بتضافر امتك على هضمها فاحفها السؤال واستخبرها الحال هذا ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر والسلام عليكما سلام مودع لا قال ولا سئم فان انصرف فلا عن ملالة وان اقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين **اقول** مسهد مورق واحفها السؤال استقص عليها فيه تماما قول السيد رضي سيدة النساء فقد جاء في الخبر انه صلى الله عليه وآله راها تبكي عند موته فقال لها اما ترضين ان تكوني سيدة نساء هذه الامة وروي انه قال سادات نساء العالمين اربع خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران والسلام منه عليه السلام على الرسول صلى الله عليه وآله كعادة الزائر لكن الزيارة هنا قبلية ووعنها كالمستاذن لها في الدخول عليه وجوارها له اي في منازل الجنة واما سرعة لحاقها به فقد ذكرنا الكشف اليه من سرعة تواتر القضاء عليه وموتها عقيبه والمنقول ان مدة حياتها بعده صلى الله عليه وآله اربعة اشهر وقيل ستة اشهر ثم اخذ في التشكي اليه كالحاكي له من قلة صبره ورقة تجلده وتحمله للمصيبة بها وفي قوله صفيتك اشارة الى ما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله من التفضيل والمحبة والاكرام وقوله الا ان لي الى قوله موضع تعز كالعذر والتسلية وان كانت هذه المصيبة عظيمة يقل لها الصبر ويرق لها التجلد فان المصيبة بفراقك اعظم وكما صبرت في تلك على كونها اشد فلان اصبر على هذه اولى وانتم التاسي الاقتداء بالصبر في هذه المصيبة كالصبر في تلك وقوله ولقد وسدتك الى قوله نفسك كالشرح للمصيبة ومقاساتها عند تلحيده وعند فيضان نفسه وهي دمه من صدره ونحره وكالتذكير لنفسه بها وقوله فانا لله وانا اليه راجعون امتثال لقوله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقوله ولقد استرجعت الوديعة الى قوله الرهينة استعار لفظ الوديعة والرهينة لتلك النفس ووجه الاستعارة الاولى ان النفوس في هذه الابدان تشبه الودائع والامانات في كونها تسترجع الى عاملها في وجوب المحافظة عليها من المهلكات ويحتمل ان يريد ما هو المتعارف بين الناس من كون المراة وديعة الرجل كما يقال النساء ودائع الكرام ووجه الثانية ان كل نفس رهينة على الوفاء بالميثاق واتقها الله تعالى بعهد الذي اخذه عليها حين الاهباط الى عالم الحس والخيال ان ترجع اليه سالمة من سخطه عاملة باوامره غير منحرفة عن صراط الوضوح على لسان رسوله فان وفت بعهده خلصت من رق الرهن وعتقت كما قال تعالى ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما وان نكثت ونكبت بما نهيت عنه بقيت رهينة بعملها كما قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة والرهينة تصدق على الذكر والانثى وقد سبقت الاشارة اليه وقوله اما حزني الى قوله مقيم صورة الشكاية وكنى بالدار عن الجنة لانه ممن بشر بها وقوله وستنبئك ابنتك الى قوله الذكر رمز للتشكي الى الرسول صلى الله عليه وآله منه بعده فيما كان يعتقده حقا له من الخلافة وتخلف فدك عن فاطمة واخراجها عنها مع نوع من الاهتضام والغلظة عليه في القول على قرب عهدهم بالرسول وطراوة الذكر الذي هو القرآن الامر بمودة القربى وقوله والسلام عليكما الى اخره صورة وداع المحبين الناصحين بمجاري العادة وقوله وان اقم الى قوله الصابرين تنزيه لنفسه عما عساه يعرض لبعض من يلازم القبور لشدة الجزع والاسف من وهم انه لا عوض عن ذلك المفقود ولا اجر على التعزي والصبر عنه وما وعد الله به الصابرين على نزول المصائب هو صلوات ورحمة في قوله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام ايها الناس انما الدنيا دار مجاز والاخرة دار قرار فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا استاركم عند من يعلم اسراركم واخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل ان تخرج منها ابدانكم ففيها اختبرتم ولغيرها خلقتم ان المرء اذا هلك قال الناس ما ترك وقالت الملائكة ما قدم لله اباؤكم فقدموا بعضا يكن لكم ولا تخلفوا

كلا يكون

كلا يكون عليكم **اقول** حاصل الفصل التنفير عن الدنيا والترغيب في الاخرة بذكر الغاية من وجودهما فكون الدنيا مجازا اي يسلك بها الى الاخرة سلوكا اختياريا كسلوك عباد الله الصالحين لها او اضطراريا كعبور الكل الى الاخرة بالموت وارادها الاضطرار وهما ثابتتان كالمقدمة لقوله فخذوا من ممركم لمقركم وقوله ولا تهتكوا الى قوله اسراركم اي المجاهرة بالمعصية فانه اذا كان يعلم اسراركم فهو يعلم ظواهركم اولى وقوله واخرجوا الى قوله ابدانكم امرهم بالزهد في الدنيا قبل الموت وكنى عنه باخراج القلوب منها يقال خرج فلان عن كذا واخرج نفسه من كذا اذا اعرض عنه وتبرا منه وقوله ففيها اختبرتم اشارة الى نفس الابتلاء بها وقد عرفت معنى الاختبار ولغيرها خلقتم اي لنيل السعادة في الاخرة بالثبات او الشقاوة لمن حرمها بالاعراض وقوله ان المرء الى قوله قدم اي ما ترك من متاع الدنيا وما قدم من الاعمال الصالحة وانما قرن ذكر الناس وما يسالون عنه بذكر الملائكة وما يسالون عنه لينبه على شرف الاعمال المسعدة في الاخرة على متاع الدنيا لكون الاول مطلوب الملائكة وما يبحث عنه وكون الثاني معنى الناس الغافلين وفي نفس ما ترك وما قدم تنبيه على ان متاع الدنيا مفارق وزائل والاعمال الصالحة مقدمة باقية نافعة للمرء في معاده فينبغي ان تكون العناية بها دون المفارق المتروك وقوله لله اباؤكم كلمة تقولها العرب لتعظيم المخاطب بنسبته الى الله يقال لله انت ولله ابوك وقيل اللام للعاقبة اي تصير الى الله لكن مثله يخرج الكلام عن معنى التعجب والاستعظام وقوله فقدموا بعضا الى الاخرة اي فقدموا بعضا من متاع الدنيا كالصدقة ونحوها يكن لكم ثوابها في الاخرة كقوله صلى الله عليه وآله يا ابن ادم ليس لك من دنياك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فابقيت ولا تخلفوها باسرها لغيركم فيكون عليكم وزرها وقد علمت كيفية استلزام الصدقة والزكاة ونحوها للملكات الفاضلة والثواب الاخروي واستلزام البخل وادخار المال للشقاوة الاخروية وانما خصص البعض بالتقديم لان حرمان الورثة لا يجوز وينهى عن تخليفه لكل لان ترك الزكوة والصدقة لا يجوز وقوله يكن لكم قرضا ويكون عليكم كلا وهو كقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا ولفظ القرض مستعار ووجه الاستعارة ان القرض يستلزم في العادة الطلب من المقترض وشكره للمقرض واداءه اليه فاشبهه لذلك اراد الله تعالى للزكوة والصدقة وشكر الله للمنفقين في سبيله وجزاؤه للمتصدق في الاخرة بانتفاع ما بذلوه وانفس كميته وكيفيته والكل الذي لا منفعة فيه مع وجود مضرته ولما كان حفظ المال وتخليفه بعد الموت كذلك لا جرم كان كلا وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام كان كثيرا ما ينادي به اصحابه تجهزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل واقلوا العرجة على الدنيا وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد فان امامكم عقبة كؤودا ومنازل مخوفة مهولة لا بد من الورود عليها والوقوف عندها واعلموا ان ملاحظ المنية نحوكم دانية وكانكم بمخالبها وقد نشبت فيكم وقد دهمتكم منها مفظعات الامور ومعضلات المحذور فقطعوا علائق الدنيا واستظهروا بزاد التقوى وقد مضى شيء من هذا الكلام فيما تقدم بخلاف في هذه الرواية **اقول** العرجة والتعريج الاقامة على المكان والاحتباس وعقبة كؤود شاقة المصاعد والملاحظ محل اللحظ وهو النظر بمؤخر العين ودانية مجدة ومفظعات الامور عظائمها وشدائدها المجاوزة حد المقدار المعتاد ومعضلات المحذور ما ثقل منها واعال ومدار الفصل على الامر بالتجهيز من الدنيا وهو الاستعداد للسفر الى الله بما يحتاج اليه المسافرون الى حضرته من الزاد المبلغ وهو التقوى والرحيل يحتمل ان يريد به السفر بالموت فيكون المنادي حوادث الايام الداعية معبرة بها للامرجة الى الانهدام ويحتمل ان يريد به السفر الى الله بالرياضة الكاملة والمنادي بذلك هو الرسول صلى الله عليه وآله والكتاب العزيز واولياء الله ثم على الامر باقلال التعريج على الدنيا اي بقلة الالتفات اليها الا على قدر الضرورة ومنها هو الزهد ثم بالانقلاب عنها بصالح ما بحضرتهم في الدنيا ويمكنهم اعداده والاستعداد به وهو الاعمال الصالحة والتقوى وقوله فان امامكم عقبة كؤودا استعار لفظ العقبة بوصف الكؤود ووجه المشابهة شدة الملاقاة وقطع منازل في حال تألم النفوس الى الموت واراد بالمنازل المخوفة المهولة منازل الاخرة بعد من القبور وسائر درجات النفوس في الشقاوة والاهوال الاخروية وظاهر انه لا بد من الورود لتلك المنازل والوقوف عندها الى حين عبورها خصوصا اصحاب الملكات الرديئة والعلائق الدنيوية فانهم تطول مدة وقوفهم بتلك المنازل وشدة الاهوال فيها وقوله واعلموا الى قوله فيكم بعض لوازم التنفير وهو الملاحظة ونزولها كنى بذلك عن قربها لهم بالرصد لا يستطيع منهم ودانية اي قريبة منهم وكذلك المخالب لتشبهها كناية عن لحوق الافات والامراض المهلكة لهم ومعنى التشبيه ههنا تشبيه المقدر القريب وقوعه وهو لحوق الموت لهم وتشبيه مخالب المنية فيهم بوقوع ذلك في السرعة والباء في بمخالبها للالصاق والواوان في قوله وقد نشبت وقوله وقد دهمتكم الى قوله المحذور كناية عن لحوق شدائد الموت ومثقلات الظهور المحذورة وهي الذنوب وقطعوا علائق الدنيا امر بالزهد الحقيقي فيها او تخفيفها بترك الفضول والاستكثار من متاعها واستظهروا بزاد التقوى اي تحصنوا وتظهروا لكم على مشاق السفر الى الاخرة وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه في ترك مشاورتهما

والاستعانة في الامور بهما لقد نقمتما يسيرا وارجأتما كثيرا الا تخبراني اي شيء كان لكما فيه حق دفعتكما عنه ام اي قسم استأثرت عليكما به ام اي حق رفعه الي احد من المسلمين ضعفت عنه ام جهلته ام اخطأت بابه والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية اربة ولكنكم دعوتموني اليها وحملتموني عليها فلما افضت الي نظرت الى كتاب الله وما وضع لنا وامرنا بالحكم به فاتبعته وما استن النبي صلوات الله عليه وآله وسلم فاقتديته فلم احتج في ذلك الى رايكما ولا راي غيركما ولم يقع حكم جهلته فاستشيركما واخواني من المسلمين فلو كان ذلك لم ارغب عنكما ولا عن غيركما واما ما ذكرتما من امر الاسوة فان ذلك امر لم احكم انا فيه برايي ولا وليته هوى مني بل وجدت انا وانتما ما جاء به رسول الله قد فرغ منه فلم احتج اليكما فيما قد فرغ الله من قسمه وامضى فيه حكمه فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عتبى اخذ الله بقلوبنا وقلوبكم الى الحق والهمنا واياكم الصبر ثم قال عليه السلام رحم الله رجلا راى حقا فاعان عليه او راى جورا فرده وكان عونا بالحق على صاحبه **اقول** رجحانهما اخرتما ولستما تراستبد والاربة الحاجة

وافضت وصلت والعتبى الرجوع عن الاساءة واعلم ان الرجلين كانا يؤملان الامر لانفسهما فلما صار اليه عليه السلام عادا الى رجاء ان يداخلهما في امره وان يرفعهما في العطاء على غيرهما كما فضل بعض الائمة من قبله وان يشاركهما في كثير الآراء المصلحية بحيث منهما الجاه ونظر الى محلهما وشرفهما لكن الرجل لما جعل دليله الكتاب العزيز والسنة النبوية وكان هو القوي على تفريع الاحكام منهما دون غيره وصاحب سرائرهما كما علمت رجوع اكابر الصحابة والخلفاء السابقين اليه في كثير من الاحكام لا جرم لم يكن به حاجة الى الاستشارة فيما يقع اليه من الوقائع والتسوية بالسيرة النبوية الى ترك مشورتهما وتسويتهما بغيرهما في العطاء فان كان عندهما صعبا فهو لكونه عنده عزيزا في غاية من السهولة والكبر الذي ربما ما اخراه من حقهما ولم يوفياه اياه وذكر كثيرا بالناء مثلث نقط واشاربه الى ما يعود الى صلاح المسلمين من الآراء التي ينبغي ان يتحدث فيها وبحتمل ان يريد ان الذي ابدياه ونقماه بعض مما في انفسهما وقد دل ذلك على ان في انفسهما اشياء كثيرة وراء ما ذكراه لم يقولاه وقوله الا تخبراني الى قوله بابه استفسار عن الحق الذي نقما تركه واشار الى وجوه الحق وجهات المغارفة المعتادة والمختصة ان الذي نقمان على تركه اما ان يكون متعلقا بكما او بغيركما من المسلمين والاول اما ان يكون قسما استأثرت به او غيره من الحقوق دفعتكما عنه ظلما والثاني اما ان يكون تركه مني ضعفا او جهلا به او خطأ للدليل الحكم فيه ولا شبهة في الاقسام كلها استفهام انكار لها ومستند منعه وانكاره لما ظاهر فان التسوية في العطاء سنة الرسول صلى الله عليه وآله فيجب اتباعها والاستشارة في الحوادث ونحوها انما يجب مع عدم الحكم في الواقعة ومع جهله ولم يكن عليه السلام جاهلا بالاحكام الوقائع الواردة عليه لاجتهاده بها كما لم يترك حقا لاحد من المسلمين عن ضعف منه لانه كان خليفة الوقت ولا عن جهل بحكم ولا بدليله لانه كان اعلم الامة باحكام الله ولما كان الذي نقماه عليه في تلك الحال من الاقسام المذكورة انما هو ترك مشورتهما والتسوية في العطاء بينهما وبين غيرهما اشار الى الجواب عن الاول بقوله والله ما كانت الى قوله ولا عن غيركما فقوله والله الى قوله حملتموني عليها كالمقدمة في الجواب لكاسرة من توهمهما رغبته في الخلافة ومحبته للملك والسلطان لاستبدادهما عليهما ونحو ذلك فانه اذا انكسر ذلك الوهم لم يبق الا ان طلبه للولاية انما هو لنصرة الحق واقامته كما صرح هو به في غير موضع فيخ تندفع شبهتهما عنه وقوله فلما افضت الى قوله فاقتديته وجه الجواب لانه على صغرى القياس فيه وخلاصته اني انما احكم بالكتاب فاتبعه واقتدي بالسنة وتقدير الكبرى وكل من فعل ذلك فلا حاجة به في الحكم الى الراي وقوله فلم احتج الى قوله غيركما كالنتيجة وقوله ولا وقع حكم جهلته احد الاقسام التي استفهم عنها على سبيل الانكار وكانه قد صرح بانكاره ههنا ومنعه على تقدير دعواهم له ثم بتسليمه تسليم جدل انه لو وقع لم يكن يرغب عنهما ولا عن غيرهما من المسلمين في الاستشارة ثم ذكر الامر الثاني مما نقماه عليه فقال واما ما ذكرتما من امر الاسوة اي تسويتكما بغيركما في العطاء واجاب عنه بقوله فان ذلك امر الى قوله حكمه فقوله ولا وليته هوى مني اي لم افعل الحاكم في ذلك هواي ورايي ولا ولّيته هوى منى على ان يكون هوى مفعولا له وخلاصته ان حكمي بالتسوية في القسمة لم يكن عن راي مني ولا هوى اتبعته ولكن وجدت انا وانتم قد فرغ الله منه اي من القضاء به في اللوح المحفوظ وانزل الرسول بالامر الثابت الذي لا يحتاج الى اجتهاد او تكميل ومفروغ منه ونسبته الفراغ الى الله مجاز لما تشبه ما قضاه بفعل العبد الذي فرغ من عمله وقوله فلم احتج اليكما الى قوله حكمه اي لما وجدته كذلك لم اسال اليكما بما يرضيكما مع مخالفته لما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله فلم احتج اليكما اي في الارشاد الى احكام الله بعد فراغه منها وقوله فليس لكما الى قوله عتبى لازم لما سبق في الجوابين فانه لما ثبت انه لا حق لهما فيما نقماه عليه لم يكن عليه ان يعتب ثم اخذ في الدعاء لهما ولنفسه بان اخذ الله بقلوبهم الى الحق والهامهم الصبر عن الميول الى ما يلزم على الحق ثم دعا برحمة الله لرجل راى حقا ودعا واعان على العمل به او راى جورا وظلما فرده واعان على صاحبه جذبا لهما الى ذلك وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** وقد سمع قوما من اصحابه يسبون اهل الشام ايام حربهم بصفين اني اكره لكم ان تكونوا سبابين

ولكنكم لو وصفتم اعمالهم وذكرتم حالهم كان اصوب في القول وابلغ في العذر وقلتم مكان سبكم اياهم اللهم احقن دماءنا ودماءهم واصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به **اقول** لهج به حرص عليه وحاصل الفصل تاديب قومه وارشادهم الى ملازمة السيرة الحسنة وجذبهم عن تعود رذيلة السب بكلام الصالحين ونبهه بكراهته للسب للنهي عنه على تحريمه ونحوه اشارة الرسول صلى الله عليه وآله ما بعثت لعانا ولا سبابا وقوله اللهم اني تبرأ فاذا دعوت على قوم فاجعل دعائي لهم لا عليهم واهدهم الى الصراط المستقيم وقوله لو وصفتم الى قوله في العذر اي لو عدلتم عن السب الى وصف اعمالهم وتذكيرهم بكونهم ظالمين لكم وضالين عن السبيل ذكرا على وجه النصيحة والهداية لهم ثم قلتم مكان سبكم اياهم هذا الدعاء لكان اصوب في القول مما ذكرتموه من رذيلة السباب ولان تذكيرهم باحوالهم ونصيحتهم اياهم فائدة وهي رجاء ان يعودوا الى الحق ولان ذلك ابلغ في العذر اليهم من غيره اذ يكم ان تقولوا بعد ذلك انكم نصحتموهم وطلبتم منهم العتبى فلم يستعتبوا وقوله وقلتم عطف على قوله وصفتم ولو مقدرة عليه وجوابها مقدر بعد تمام الدعاء وحذفه لدلالة لو الاولى عليها والتقدير لو قلتم هذا الدعاء لكان اصوب وابلغ في العذر والدعاء الذي علمهم اياه مطابق لصورة حال الحرب واشتمل على طلب حقن الدماء هو الخوف الحاضر وعلى طلب علته وهي اصلاح ذات البين اي ما بيننا وبينهم من الاحوال الموجبة للافتراق حتى يكون احوال الفرقة والبغضاء ولما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولك سقيني ذا انائك اي ما في انائك من الشرب وقيل ذات البين حقيقة الفرقة اي اصلح حقيقة الفرقة بيننا وبينهم وبدلها بالالفة ثم على طلب العلة الحاسمة للفرقة الموجبة لاصلاحها وهي هداهم من ضلالتهم بمعرفة من جهل الحق لزوال غوايته من غياوته وهي طرف التفريط من فضيلة الحكمة وعدوانه وهو طرف الافراط من فضيلة العدل وقد كانت الرذيلتان في اصحاب معاوية فانه لما قصرت وطمعهم عن وجه الحق وغلبت عليهم الشبهة تعدوا بغيا وهجوا بعد انهم ذكروا عوض الغي الغي وهو عمى البصيرة عن ادراكها **وقال عليه السلام** وقد راى الحسن يتسرع الى الحرب املكوا عني هذا الغلام لا يهدني فانني انفس بهذين يعني الحسن والحسين عليهما السلام على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله قوله املكوا عني هذا الغلام من اعلى الكلام وافصحه **اقول** املكوه شدوه واضبطوه ويهدني يكسرني ونفست بالكسر انفس بالفتح اي اضن وابخل ولما كان وجود الولد المنقع مما يشد القوة ويقوي النفس خصوصا مثل الحسن كنى بقوله لا يهدني عن تقدير هلاكه عن اضعافه لركنه وانكسار نفسه بذلك ثم علل على علة اخرى لوجوب المحافظة عليه مع اخيه عليهما السلام وهي المحافظة على نسل الرسول صلى الله عليه وآله **وقال عليه السلام** لما اضطرب عليه اصحابه في امر الحكومة ايها الناس انه لم يزل امري معكم على ما احب حتى نهكتكم الحرب وقد والله اخذت منكم وتركت وهي لعدوكم انهك لقد كنت امس اميرا فاصبحت اليوم مامورا وكنت امس ناهيا فاصبحت اليوم منهيا وقد احببتم البقاء وليس لي ان احملكم على ما تكرهون **اقول** نهكتكم خلقتكم وقوله على ما احب اي من الطاعة وفي لفظ النهك واسناده الى الحرب استعارة لاضعافها لهم ملاحظة لشبههم بالثوب الذي اخلقه اللبس ويشبهها بمستعمله في كونها سببا لذلك الاضعاف اي انه لم يزل كذلك الى تلك الغاية وقوله والله اخذت منكم وتركت كناية عن تصرفها فيهم بوجوه التصرف وهو كالعذر لهم وارادته بقوله وهي لعدوكم انهك اي لكي لا تعجزوا بعد انها لها لهم ثم اخذ في التشكي منهم اليهم وعتابهم على عصيانهم له وحكمهم عليه بالرجوع الى التحكيم فصار مامورا لهم ومنهيا بعد كونه امرا فيهم وناهيا وذلك من معكوس الحكم وبضاعة الشيع لهم وتوبيخه وقد احببتم البقاء اي بترك القتال وهو كالتوبيخ لهم على ذلك وقوله فليس الى اخر ماي ليس لي قدرة على ذلك وان كان له ذلك بحسب المصلحة والشرع وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي يعوده وهو من اصحابه فلما راى سعة داره قال ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا انت اليها في الاخرة احوج وبلى ان شئت بلغت بها الاخرة تقري فيها الضيف وتصل فيها الرحم وتطلع منها الحقوق مطالعها فاذا انت قد بلغت بها الاخرة فقال له العلاء يا امير المؤمنين اشكو اليك اخي عاصم بن زياد قال وما له قال لبس العباءة وتخلى من الدنيا قال علي به فلما جاء قال يا عدي نفسه لقد استهام بك الخبيث اما رحمت اهلك وولدك اترى الله احل لك الطيبات وهو يكره ان تاخذها انت اهون على الله من ذلك قال يا امير المؤمنين هذا انت في خشونة ملبسك وجشوبة ماكلك قال ويحك اني لست كانت ان الله فرض على ائمة العدل ان يقدروا انفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره **اقول** استهام ملك اي اذهبك لوجهك وزين لك الهيام وهو الذهاب في البر وجشوبة الماكل غلظه وخشونته وقيل الطعام الجشب الذي لا ادام معه ويتبيغ يهيج وقد استفهم عن غرضه في توسعة داره استفهام توبيخ وانكار لما ان ذلك لا ينبغي لاهل الزهد في الدنيا والحرص في الاخرة ثم

عن كونها موصلة اليها في الآخرة استفهام تثبيت وتقرير وإذا أنت لو كنت تفعل ما انفقته على بنائها من المال الحق سبيل الله أولى. ومكنت لبيّن ان تخرج منها في رواية بأبيات. مع ما في قوله ما أنت وقوله وبلى إذا ما يرشد الى وجوه استعمالها في رضا الله والتقرب بها بعد التقريظ في بنائها وعدّ وجوه المبار المتعلقة بها ومطالع الحقوق وجهها الشرعية المتعلقة بها كالزكوة والصدقة وغيرها وظ كونها مبلغة الى الآخرة عند اخراج تلك الحقوق منها وفيها ومقربة الى الله وقوله على يريد بيوت مسائل الأمراء أي جئني به وعليّ بصغير عدو واصله عديو فحذفوا احدى الواوين فلما التاتية بياء أكيد تخفيفا وادعموا فيها ياء التصغير وانما صغره استصغارا له باعتبار ان شيطانه انتهى الى كبره بل قاده الى ان كان خارجا به عن الشريعة الآمرة ببين السلام دخل عليه بالحد عن رأي الصالحين وكان شيطانه بذلك الاعتبار صغيرا بالنسبة الى شيطان الخروهو باعتبار القيادة لذلك الوسواس ثم قيل بل صغره من جهة خفايا فعله ذلك لكونه عن جهل وانما منعه من هذه الطريقة لكونه لم يترك الدنيا على وجه الترك بل كان لمشاركة هواه لعقله وكان تركه مستلزما لاهمال حقوق تجب عليه في الشريعة ولزمه تنبيه بقوله لقد استهام بك الخبيث على ان فعله ذلك كان عن مشاركة الشيطان ولم يكن عن عقلية خالصة وهو ولد أما رحمت اهلك وولدك على الحقوق اللازمة له من قبلهم وقد اهملها بفعله ذلك بقوله اترى الله الى قوله ذلك في مقام التوبيخ له على ذلك الترك وهو كقوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق الآية والحاصل ان ترك الدنيا بالكلية ليس هو مطلوب الشارع من الزهد فيها والتخلي عنها لان الشارع يراعي نظام العالم باشتراك الخلق في عمارة الدنيا وتعاونهم على المصالح لبقاء النوع الانساني وترك الدنيا واهمالها بالكلية يعكس ذلك النظام وينافيه بل الذي يأمر به الشارع القصد في الدنيا واستعمال متاعها على القوانين الشرعية وتدبيرها الرسل والوقوف فيها عند الحدود المضروبة في شرائعهم دون تعدّيها كما اشار اليه من منع هذا الرجل وأما السالكون من الصوفية بعد عصر الصحابة على الطريقين فمنهم من يختار التقشف وترك الطيبات وهجر اللذات بأسا ومنهم من يؤثر الترف والذي يفعله المحققون من السالكين من التقشف فلا ينافي الشريعة لعلمهم باسرارها وطريقتهم تلك أقرب الى السلامة من طريق المترفين لكون الترف مع ميل الشيطان وقد كان سلوك الرسول صلى الله عليه وآله وعلي وجماعة من اكابر الصحابة أميل الى طريق التقشف لكن مع مشاركتهم لأهل الدنيا في تدبير احوال المدن وصلاح العالم غير منقطعين عن اهلها ولا معتزلين فاما اعتراض عاصم على علي عليه السلام في نهيه له وتأسيه في ترك الدنيا عليه وتقديره انك اذا نهيتني عن ذلك فكيف تلبس ... اي فكيف بما ارى من هذه الحال وانت لمقتدى به او فكيف اصنع بانك على الحال التي انت عليها وانما ينبغي لي ان اقتدي بك فاجابه بجواب اقناعي بيّن فيه الفرق بينه وبينه وهو انه انما فعل ذلك لكونه اماما وكل امام ففرض الله عليه ان يقدّر نفسه بضعفة الناس اي ليسوا بهم في حالهم كيلا يهيج بالفقير فقره فيضعف عن حمله فيكفر او يفسق وقد كانت عليه السلام قبل الخلافة كذلك والجواب المحقق هو ما قلناه من كون هذه الطريقة اسلم واما الفرق بينهما فيرجع الى ان عاصما سلك على غير علم بكيفية السلوك مع ترك الحقوق التي تلزمه لاهله وولده فكان منحالة التي فارقها اولى به وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلم وقد سأله سائل عن احاديث البدع وعما في ايدي الناس من اختلاف الخبر فقال عليه السلام إنّ في أيدي الناس حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً وعاماً وخاصاً ومحكماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتى قام خطيباً فقال من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار وانما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس رجل منافق مظهر للايمان متصنع بالاسلام لا يتأثم ولا يتحرج يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمداً فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله ولكنهم قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله رآه وسمع منه ولقف عنه فيأخذون بقوله وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك ووصفهم بما وصفهم به لك ثم بقوا بعده فتقربوا الى أئمة الضلالة والدعاة الى النار بالزور والبهتان فولّوهم الاعمال وجعلوهم على رقاب الناس فأكلوا بهم الدنيا وانما الناس مع الملوك والدنيا الا من عصم الله فهذا احد الاربعة ورجل سمع من رسول الله صلوات الله عليه وآله شيئاً لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذباً فهو في يديه يرويه ويعمل به ويقول انا سمعته من رسول الله فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوه منه ولو علم هو انه كذلك لرفضه ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً يأمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم او سمعه ينهى عن شيء ثم امر به وهو لا يعلم فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ فلو علم انه منسوخ لرفضه ولو علم المسلمون اذ سمعوه منه انه منسوخ لرفضوه وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وآله ولم يهم بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه ولم ينقص منه فحفظ الناسخ فعمل به وحفظ المنسوخ فجنّب عنه وعرف الخاص والعام فوضع كل شيء موضعه وعرف المتشابه ومحكمه وقد كان يكون من رسول

الله صلى الله عليه وآله الكلام له وجهان فكلام خاص وكلام عام فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله تعالى ولا ما عنى به رسول الله صلى الله عليه وآله فيحمله السامع ويوجهه على غير معرفة بمعناه وما قصد به وما خرج من أجله وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كان يسأله ويستفهمه حتى إن كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي والطاري فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا وكان لا يمر بي من ذلك شيء الا سألت عنه وحفظته فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم. اقول احاديث البدع اي الاحاديث المبتدعة بعد الرسول صلى الله عليه وآله المقولة عنه وما يبنى عليها من الافعال المبتدعة في الدين عن رأيه وتبوء مقعده نزله واستقر فيه ولقف عنه تناول عنه وتهم بالكسر وبالفتح غلط ذهب وهمه الى شيء وهو يريد غيره وجنب عنه اخذ عنه جانبا وقوله ان في ايدي الناس الى قوله وحفظا ووهما تعديد لانواع الكلام الواقع الى الناس نقلا عن الرسول صلى الله عليه وآله والصدق والكذب من خواص الخبر والحق والباطل اعم منهما لصدقهما على الانشاء وعلى الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمتشابه وقد مضى تفسير هذه الالفاظ واما الحفظ فهو ما حفظ عن رسول الله كما هو والوهم ما غلط فيه مثلا انه عام وهو خاص او انه ثابت وهو منسوخ الى غير ذلك وقوله قد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده الى قوله النار فذلك الكذب نحو ما روي ان رجلا سرق رداء الرسول صلى الله عليه وآله وخرج الى قوم فقال هذا رداء محمد اعطانيه لتمكنوني من تلك المرأة واستنكروا ذلك فبعثوا من سأل الرسول صلى الله عليه وآله عن ذلك فقام الرجل الكاذب فشرب ماء فلدغته حية فمات وكان النبي صلى الله عليه وآله حين سمع بتلك الحال قال لعلي عليه السلام خذ السيف وانطلق فان وجدته وقد كفيت فاحرقه بالنار فجاء وامر باحراقه فكان ذلك سبب الخبر المذكور واعلم ان العلماء ذكروا في بيان انه لا بد ان يكذب عليه دليلا فقالوا قد نقل عنه صلى الله عليه وآله انه قال سيكذب عليّ فان كان الخبر صادقا فلا بد ان يكذب عليه وان كان كاذبا فقد كذب عليه ثم شرع في قسمة رجال الحديث وقسمهم الى اربعة اقسام ودل للحصر بقوله ليس لهم خامس ووجه الحصر في الاربعة ان الناقل للحديث عنه صلى الله عليه وآله المتسمين بالاسلام اما منافق او لا والثاني اما ان يكون قد وهم فيه او لا والثالث اما ان لا يكون قد عرف ما يتعلق به من شرائط الرواية او يكون فالاول وهو المنافق ينقل كما اراد سواء كان اصل الحديث كذبا وان له اصلا حرفه وزاد فيه ونقص بحسب هواه فهو ضال مضل عمدا او قصدا والثاني يرويه كما فهم ووهم فهو ضال مضل سهوا والثالث يروي ما سمع فضلاله واضلاله عرضي والرابع يؤديه كما سمعه كما هو فهو هاد مهدي فاشار الى القسم الاول بقوله رجل منافق الى قوله فهذا احد الاربعة فقوله متصنع بالاسلام اي يظهره شعارا له وقوله لا يتأثم اي لا يعترف بالاثم ولزوم العقاب عليه في الآخرة فلا يجد ذمه ويستحول التشهد في قبول قوله كونه ظاهر الاسلام والصحبة للرسول صلى الله عليه وآله وسماع قوله مع كون الناس لا يعلمون باطنه ونفاقه وما اخبر به الله تعالى عن المنافقين في الدرك الاسفل من النار وبما وصفهم به كقوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الآية دلت على وصفهم بالكذب في مطابقة عقائدهم لالسنتهم في استشهادهم بانه رسول الحق ومن كان يعتقد انه غير رسول فانه مظنة الكذب عليه وائمة الضلالة بنو امية ودعاتهم الى النار ودعاؤهم الى اتباعهم فيما يخالف الدين وذلك الاتباع مستلزم لدخول النار والزور والبهتان اشارة الى ما كانوا ينقربون به الى بني امية من وضع الاخبار عن الرسول صلى الله عليه وآله في تفضيلهم واخذهم على ذلك الاجر من اولئك الائمة وتوليتهم الاعمال والامرة على الناس وقوله وانما الناس الى قوله الا من عصم الله اشارة الى علة فعل المنافق لما يفعل فان حب الدنيا هو الغالب على الناس من المنافقين وغيرهم لقربهم من المحسوس وجهلهم باحوال الآخرة وما يراد بهم من هذه الحيوة الا من هدى الله فعصمه بالجذب في طريق هدايته اليه عن محبة الامور الباطلة وفيه ايماء الى قلة الصالحين كما قال تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وقوله وقليل من عبادي الشكور وانما قال ثم بقوا بعده عليه السلام ثم حكى حالهم مع ائمة الضلال وان كانت الائمة المشار اليهم لم يوجدوا بعد ما لم يتزيد لما لا بد منه من ذلك المعلوم له بشهادة الواقع واشارة الى من بقي منهم بعد الرسول صلى الله عليه وآله وتقرب الى معوية لانه اذ ذاك امام ضلالة واشار الى القسم الثاني بقوله ورجل سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا لم يحفظه الى قوله لرفضه وذلك ان يسمع من الرسول صلى الله عليه وآله كلاما فيتصور منه معنى غير ما يريده الرسول صلى الله عليه وآله او لا يحفظ اللفظ بعينه فيورده بعبارته ... الدالة على ما تصوره من المعنى فلا يكون قد حفظه وتصوره على وجهه المقصود للرسول فوهم ولم يتعمد كذبا والوهم فهو في يديه يرويه ويعمل به على وفق ما تصوره منه ويسنده الى الرسول صلى الله عليه وآله وعلة دخول الشبهة على المسلمين فيه هي عدم علمهم بوهمه وعلة دخولها عليه في الرواية والعمل هو وهمه حين السماع خطأ ولو علم بذلك لترك روايته والعمل به واشار الى القسم الثالث بقوله ورجل سمع الى قوله لرفضه وعلة دخول الشبهة على الراوي وعلى المسلمين واحدة وهو عدم علمهم بانه منسوخ واشار الى القسم الرابع بقوله وآخر رابع الى قوله وحكمه فقوله وعرف الخاص والعام فوضع كل شيء موضعه اي عمل بالعام فيما عدا صورة التخصيص وقوله ولقد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام الى قوله من اجله تنبيه على علة القسم الثالث وداخل فيه فان منهم من كان يسمع الكلام ذي الوجهين منه خاص ومنه عام فلا

يعرف ان احدهما مختص بالآخر ويعم الخاص والعام بدون الخاص فينقل العام بو حقيقة على غير معرفة معنى ام انه خرج على سبب خاص فهو
مقصور عليه وانتقل بسببه فيعتقده عاما ام انه عام فاذا ادلي دمي وتدى ادلى بدمي فان شئتما فالقصاص وان شئت عفوت
فان اعف فالعفو لي قربة وانا فن فالفناء ميعادي فان شئتم فاقتلوا قاتلي وان شئتم ان تعفوا اما العفو لكم حسنة فاعفوا
لكنه ذكر فيهم بقائه وفنائه ثم عقبهما بذكر حكمهما مقربهن واقتبس الآية في معرض الندب الى العفو ترغيبا ثم اقسم انه ما
من فجعة الموت وارد كرهه ولا طالع انكره وصدق في ذلك فانه كان سيد الاولياء بعد سيد الانبياء ومن خواص اولياء
الله شديد محبة الله والشوق لبالغ الى ما اعده لاوليائه في جنات عدن ومن كان كذلك كيف يكره وارد الموت الذي هو باب ودود
وصوله الى محابه واشرف مطالبه التي قطع وقته في السعي لها وهي المطالب الحقة الباقية وليس بنكره وهو تمام المقصد والاستثناء
والذكر له ثم شبه نفسه في مجيء الموت عليه ووصوله بسببه الى ما اعد له من الخيرات الباقية بالقارب لكن ورود الماء ووجه
الشبه استقراره لتلك الخيرات ووثوقه بها واستسهاله لسببها اذات الدنيا وشدائد الموت كما يستسهل القارب عند
وروده الماء ما كان يجده من شدة العطش وتعب الطريق وفيه ايماء الى تشبيه تلك الخيرات بالماء وكذلك شبه نفسه بالطالب
الواجد لما يطلبه ووجه التشبيه كونه قرير عينا بما ظفر به من مطالبه الاخروية كما يطيب نفس الطالب للشيء به اذا وجده و
ظاهر ان طيب النفس وبهجتها بما تصيبه من مطالبها بمقدار تلك المطالب في العزة والنفاسة ولما كانت المطالب الاخروية
اهم المطالب واعظمها قدرا واعزها جوهرا اوجب ان يكون تبجحه بنفسه بها وقرة عينه بما اصابها اتم كل تبجح بمطلوب ثم
اقتبس الآية تنبيها ان ما اعده ان مطلوبه منها باطل ان مطلوبه في الدنيا لم يكن الا ما عند الله الذي هو خير لاوليائه الابرار
من كل مطلوب يطلب وبالله التوفيق **ومن وصية له عليه السلام** بما يعمل في امواله كتبها بعد منصرفه من
صفين هذا ما امر به علي امير المؤمنين في امواله ابتغاء وجه الله ليولجني الجنة ويعطيني الامنة منها وانه يقوم بذلك
الحسن بن علي ياكل منه بالمعروف وينفق منه في المعروف فان حدث بحسن حدث وحسين حي قام بالامر بعده واصدره مصدره
وان لابني فاطمة من صدقة علي مثل الذي لبني علي وانما جعلت القيام بذلك الى ابني فاطمة ابتغاء وجه الله وقربة الى رسول
الله وتكريما لحرمته وتشريفا لوصلته ويشترط على الذي يجعله اليه ان يترك المال على اصوله وينفق من ثمره حيث امر به وهدي
له وان لا يبيع من اولاد نخيل هذه القرى ودية حتى تشكل ارضها غراسا ومن كان من امائي اللاتي اطوف عليهن لها
ولد او هي حامل فتمسك على ولدها وهي من حظه فان مات ولدها وهي حية فهي عتيقة قد افرج عنها الرق وحررها العتق
قال السيد قوله في هذه الوصية فلا يبيع من نخلها ودية فان الودية الفسيلة وجمعها ودي وقوله حتى تشكل ارضها غراسا
فهو من افصح الكلام والمراد به ان الارض يكثر فيها غراس النخل حتى يراها الناظر على غير الصفة التي عرفها فيشكل عليه امرها
ويحسبها غيرها **اقول** روينا هذه الوصية بروايات مختلفة بالزيادة والنقصان وقد حذف السيد منها فصولا ونحن نوردها
برواية يغلب على الظن صدقها عن عبد الرحمن بن الحجاج قال بعث الي بهذه الوصية ابو ابراهيم هذا ما اوصى به وقضى في ماله
عبد الله علي ابتغاء وجه الله ليولجني به الجنة ويصرفني به عن النار يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ان ما كان لي بينبع من مال
يعرف لي فيها وما حولها صدقة ورقيقها غير ابي رياح وابي نيزر وجبير عتقا ليس لاحد عليهم سبيل فهم موالي يعملون في المال خمس
حجج وفيه نفقتهم ورزقهم وارزاق اهاليهم ومع ذلك ما كان لي بوادي القرى كله مال بني فاطمة ورقيقها صدقة وما كان لي بديمة
واهلها صدقة غير ان رقيقها لهم مثل ما كتبت لاصحابهم وما كان لي باذينة واهلها صدقة والفقير كما قد علمتم صدقة في سبيل
الله وان الذي كتبت به اموالي هذه صدقة واجب بتلة حيا انا او ميتا ينفق في كل نفقة ابتغي بها وجه الله في سبيل الله ووجهه وذوي
الرحم من بني هاشم وبني المطلب القريب والبعيد انه يقوم بذلك الحسن بن علي ياكل منه بالمعروف وينفقه حيث يريد الله في كل
محلل لا حرج عليه فيه وان اراد ان يبيع نصيبا من المال فيقضي به الدين فليفعل ان شاء لا حرج عليه فيه وان شاء جعله من الملك و
ان ولد علي اموالهم الى الحسن بن علي وان كانت دار الحسن غير دار الصدقة فبدا له ان يبيعها فليبعها ان شاء لا حرج عليه فيه فان باع
فانه يقسمها ثلاث اثلاث فيجعل ثلثا في سبيل الله ويجعل ثلثا في بني هاشم وبني المطلب ويجعل الثلث في آل ابي طالب وانه
يضعهم حيث يريد الله ثم يفصل بقوله وان حدث بحسن حدث وحسين حي فانه الى حسين بن علي وان حسينا يفعل فيه الذي امرت شل
به مثل الذي كتب للحسن وعليه مثل الذي على الحسن ثم يتصل بقوله وان الذي لبني فاطمة الى قوله وتشريفا لوصلته ثم يقول وان حدث
بحسن وحسين حدث فان الآخر منهما ان ينظر في بني علي فان وجد فيهم من يرضى بهديه واسلامه وامانته فانه يجعله اليه ان شاء
وان لم ير فيهم بعض الذي يريد فانه يجعله في رجل من بني فاطمة فيجعله الى من يرضى بهديه واسلامه وامانته وانه يشترط على
الذي يجعله اليه ان يترك المال على اصوله وينفق من ثمره حيث امره الله من سبيل الله ووجوهه وذوي الرحم من بني هاشم وبني المطلب

الفصيلة ولد الناقة حين يفصل عن امه كما قال الشاعر في صفة حوار الزكوة ... اخذ لها من المخاض غلبة ظلم ... ويكتب للامير افيلا

والقريب والبعيد وان لا يبيع من اولاد نخيل هذه القرى الى آخره ثم يقول الذي لا حد عليها سبيل هذا ما قضى علي في امواله هذه
يوم قدم مسكن ابتغاء وجه الله والدار الآخرة لا يباع منه شيء ولا يوهب ولا يورث والله المستعان على كل حال ولا يحل لامرئ مسلم
يؤمن بالله واليوم الآخر ان يغير شيئا مما اوصيت به في مالي ولا يخالف فيه امري من قريب ولا بعيد وشهد بهذا ابو سمر بن ابرهة
حرها وصعصعة بن صوحان وسعيد بن قيس وهياج بن ابي الهياج وكتب علي بن ابي طالب بيده لعشر خلون من جمادى الاولى سنة سبع وثلاثين
يولجني يدخلني والامنة الامن وجعلها حرة واكثر هذه الوصية واضح عن الشرح غير ان فيها نكتا الاولى جواز الوصية والوقف
على هذا الوجه وتعليم الناس كيفية ذلك الثانية قوله ياكل منه بالمعروف اي على وجه الاقتصاد والذي يحل له من غير اسراف و
تبذير ولا بخل وتقتير وينفق منه في المعروف اي في وجوه البر المتعارفة غير المنكرة في الدين الثالثة قوله فان حدث بحسن
حدث كناية عن الموت والامر يحتمل ان يريد به امره بما امر به وفيا به وتنفيذه واجراؤه في موارده ويحتمل ان يريد به جنس الامر
الذي امر بالتصرف فيها وبها الرابعة الضمير في قوله بعده للحسن وفي اصدره للامر الذي يقوم به فاما الضمير الذي في مصدره فيحتمل
بمعنى وجهين احدهما عوده الى الحسن وتقديره واصدر الحسين الامر كاصدار الحسن له وقضى في المال كقضائه والمصدر الاصدار
كقوله والله انبتكم من الارض نباتا اي انباتا ويحتمل ان يكون المصدر بمحل الاصدار اي واصدره في محل اصداره الثاني يحتمل
ان يعود الى الامر الذي وصى به ويكون المعنى ويضع كل شيء موضعه الخامسة قوله ان يترك المال على اصوله كناية عن عدم
اخراجه ببيع او هبة او بوجه من وجوه التمليكات السادسة قوله وان لا يبيع من اولاد نخل هذه القرى ودية حتى تشكل ارضها
غراسا والحكمة في ذلك وجهان احدهما ان الارض قبل ان تشكل غراسا ربما يموت فيها ما يحتاج الى خلف فينبغي ان لا يباع
من فسيلها شيء حتى تكمل غراسا وتنبت بحيث لا يحتاج الى شيء الثاني ان النخلة قبل ان تشكل ارضها يكون بعد غير مستحكمة
الجذع ولا مشيدة فلو قلع فسيلها من تحتها ضعفت جدا حتى لا تكاد تنجب فاما اذا قويت واشتدت لم يكن قلعها يقلع
بيتامل فسيلها كثير مضرة وذلك حين تشكل ارضها وتتكامل غراسها ويلتبس على الناظر حسب ما فسره السيد السابعة كنى
بالطواف على امائه عن نكاحهن وكن يومئذ سبع عشرة منهن امهات اولاد احياء معهن ومنهن حبالى ومنهن لا ولد لها
فقضى فيهن ان حدث به حادث الموت ان من كانت منهن ليس لها ولد ولا حبلى فهي عتيق لوجه الله لا سبيل لاحد عليها
ومن كان منهن لها ولد او هي حبلى فتمسك على ولدها وهي من حظه اي تلزمه ويحسب ثمنها من حصته وينفق عليه فان
مات ولدها وهي حية فهي عتيق لا سبيل لاحد عليها بقضائه وكون ام الولد تحسب من حظ ولدها وتعتق من مال
ولدها بعد موت امها بناء على مذهبه في بقاء ام الولد على الرق بعد موت سيدها المستولد ويصح بيعها وهو
مذهب الامامية وقول قديم للشافعي وفي الجديد انها تعتق بموت سيدها المستولد ولا يجوز بيعها وعليه اتفاق
فقهاء الجمهور حتى لو بيعت وقضى قاض بصحة بيعها فالمختار من مذهب الشافعي انه ينقض قضاؤه وبالله التوفيق
ومن وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وانما ذكرنا منها جملا ههنا ليعلم
بها انه كان يقيم عماد الحق ويشرع امثلة العدل في صغير الامور وكبيرها ودقيقها وجليلها انطلق على تقوى الله
تخدج وحده لا شريك له ولا تروعن مسلما ولا تجتازن عليه كارها ولا تاخذن منه اكثر من حق الله في ماله فاذا قدمت على الحي
فانزل بمائهم من غير ان تخالط ابياتهم ثم امض اليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ولا تخدج بالتحية لهم
ثم تقول عباد الله ارسلني اليكم ولي الله وخليفته لآخذ منكم حق الله في اموالكم فهل لله في اموالكم من حق فتؤدوه
عليها الى وليه فان قال قائل لا فلا تراجعه وان انعم لك منعم فانطلق معه من غير ان تخيفه او توعده او تعسفه او ترهقه فخذ ما
اعطاك من ذهب او فضة فان كانت له ماشية او ابل فلا تدخلها الا باذنه فان اكثرها له فاذا اتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط
عليه ولا عنيف به ولا تنفرن بهيمة ولا تفزعنها ولا تسوءن صاحبها فيها واصدع المال صدعين ثم خيره فاذا اختار فلا تعرضن
لما اختاره ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره فاذا اختار فلا تعرضن لما اختاره ولا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء
لحق الله في ماله فاقبض حق الله منه فان استقالك فاقله ثم اخلطهما ثم اصنع مثل الذي صنعت اولا حتى تاخذ حق
الله في ماله ولا تاخذن عودا ولا هرمة ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات عوار ولا تامنن عليها الا من تثق بدينه رافقا بمال
المسلمين حتى يوصله الى وليهم فيقسمه بينهم ولا توكل بها الا ناصحا شفيقا وامينا حفيظا غير معنف ولا مجحف
ولا ملغب ولا متعب ثم احدر الينا ما اجتمع عندك نصيره حيث امر الله به فاذا اخذها امينك فاوعز اليه ان لا يحول بين
ناقة وبين فصيلها ولا يمصر لبنها فيضر ذلك بولدها ولا يجهدنها ركوبا وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها وليرفه على
اللاغب وليستان بالنقب والظالع وليوردها ما تمر به من الغدر ولا يعدل بها عن نبت الارض الى جواد الطرق وليروحها في

في الساعات وليمهلها عند النطاف والاعشاب حتى تاتينا باذن الله بدنا منقيات غير متعبات ولا مجهودات لنقسمها على كتاب الله
وسنة نبيه ص فان ذلك اعظم لاجرك واقرب لرشدك اقول روى عن عمر لا تخرج الخفير اى لا تنقصها ولا تخلج بالخبر من اخذ
التحانبة اذا قل فطرها وانعم لراى فالنعم والعسف الاخذ بشدة وعلى غير وجه والارهاق تكليفها لعسر والماشية الغنم والبقر
العنيف الذى لا رفق عنده والمال الصدع بين منتمة بفتحتين والعود المسن من الابل وهو الذى جاوز فى السن البازل والهرمة العاجزة
السن والمكسورة التى انكسرت احدى قوائمها والهلوس التى بها الهلاس وهو السل والعوار بالفتح العيب نداضم والمجحف الذى
يحال بين التبيين حجرو يوذى المال سوقا عنيفا والملغب المتعب للغوب الاعيا واوعزت اليه تكيا اى امر
يبوى المال سوقا عنيفا يذهب بلحمه والملغب المتعب للغوب الاعيا والترفيه الاراحة واستان اى اروه والنقب لبعير رقت اخفافه
المصر حلب كل ما فى الضرع من اللبن والتمصر حلب بقايا اللبن فيه والترفيه الاراحة واستان اى ارفق والنقب لبعير رقت اخفافه
والعدر جمع غدير الماء والنطاف المياه القليلة والاعشاب جمع عشب وهو الكلاء والبدن السمان الواحد بادن والمنقيات التى صارت
ذات نقى وهو مخ العظام وشحم العين والتوكل عظم ذى مخ وهذه الوصية مشتملة على تعليم عامله على جباية الصدقات
قوانين العدل فى اهلها وسدادا وامره على الشفقة والرفق بهم واعلم ان الرفق بالرعية وان كان من اهم المطالب للشارع ص لاستلزامه
تالف قلوبهم واجتماعها عليه وعلى ما جاء به من الحق الا انه ههنا اهم والحاجة اليه اشد اذ كان الغرض هنا اخذ بعض ما هو غريم عند
الناس من ايديهم وهو المال ومشاركتهم فيه ومعاملتهم هنا اقرب الى النفار مما يدعون اليه من سائر التكاليف وهم الى المداراة
والرفق اشد حاجة فلذلك كثرت وصيته للعامل بالترفق بهم والمساهلة معهم حفظا لقلوبهم وفى الوصية مواضع الاول امره بالانطلاق
معتمدا على تقوى الله عز وجل وحده لا شريك له فى تقواه غيره ولا موجه نيته فى انطلاقه الى هواه لان حركته فى ذلك حكم دينية من جملة العبادات فوجب
اليه بالاخلاص الثانى ان لا يفزع مسلما كما هو عادة الولاة الظالمين وان لا يجتاز عليه كارها اى لا يختار شيئا من ابله او ما شئته
وهو كاره لاختياره ولا يجتاز بالجميع ولا يمر على ارض انسان ومواشيه وهو كاره لوروده عليها او بها وانتصب كارها على الحال
من الضمير المجرور الثالث ان اذا نزل بقبيلة ان ينزل بمائهم لان من عادة العرب ان تكون مياههم بارزة عن بيوتهم وان لا يخالط بيوتهم
ففى ذلك من الشفقة عليهم وان تكلف الرابع قوله ثم امض اليهم الى قوله ولا تسوءن صاحبها فيها ثم ادبه بما ينبغى ان يفعله فى حقهم مما
يستلزم المصلحة وتعليم لاسباب الشفقة بهم من الاقوال كالسكينة والوقار والقيام فيهم من الاقوال كالسلام واداء الرسالة وغيره
الاقوال كاتمام التحية والترفق فى القول من النزول كان لا يخيف المسلم ولا يتوعده ولا يعسفه ولا يرهقه عسرا ولا يدخل ابله وما شيته
من غير اذنه ولا يدخلها دخول متسلط ولا جبار ولا عنيف وان لا ينفر بهيمة ولا يفزعها ولا يسوء صاحبها فيها فضرب نحوه لما فى ذلك
كله من اذى صاحبها وتنفير قلبه الخامس المطلوب للشارع الخامس بدخولها بغير اذن صاحبها فانا اكثرها له والكلام
فى قوة صغرى قياس ضمير من الشكل الاول تقديره من حسن هذا النهى وتقدير كبراه وكل من كان اكثر المال له فهو اولى بالتصرف
والحكم فى المال فيلزم ان لا يتصرف غيره فيه ودخوله الا باذنه السادس قوله واصدع المال الى قوله ثم اياه مال تعليم لكيفية استخراج
الصدقة التى فى الابل والماشية وهو ان يفرق الابل والماشية عند اختلاط الكل فرقتين ثم يخير فان اختار فيما فلا يتعرض
له ولا يزال يفعل ذلك حتى ينتهى الى ما لله ... بعينه
مقدار الواجب من حق الله تعالى من ذلك المال وفوقه بقليل بنويد منه مقدار الواجب او دونه بيسير فيتم ويجعل لرب المال
اختيار احد الصدعين والاولى ان استقال من اخذ تلك القسمة تسكينا لقلبه وجبرا لمن ينقص ماله التابع بعدها ان ياخذ
من مال الله ما كان باحد الصفات المذكورة كالعود والهرمة والمكسورة والمهلوسة والعيبة بكبار ونحوه مراعاة لحق الله تعالى وجبر الحال
مصارفه وهم الاصناف الثمانية الذين عددهم الله تعالى فى كتابه الكريم من الفقراء والمساكين وغيرهم قال قطب الدين الراوندى
ره انظر من كلامه ع الزكاة بامره باخراج كل واحد من هذه الاصناف المعيبة من المال بل ان يصدع بصدعين ثم تامن اليها ان
يامن على ما بها ويوكل بحفظها وسوقها الا من يثق بدينه وبامانته وامانته بحفظه حتى يسلمه الى وليهم يعنى نفسه ويكون نا صحا
اى لله ورسوله شفيقا اى على ما يقوم عليه وامينا حفيظا عليه غير ضعيف ولا مجحف ولا متعب له وذلك من الامور اللازمة فى حفظ
الواجب فى حق الله تعالى الثامن امر بحمل اليه ما يجتمع معه ولا يوخره لامرين احدهما الحاجة الى صرفه فى مصارفه الثانى الخوف
من تلفه باحد اسباب التلف قبل الانتفاع به العاشر امره بتعليم الوصية بحال البهائم وهو ان يامر امينه عند تسليم المال ان لا يحول
بين ناقة وفصيلها ولا يجلب جميع لبنها لان ذلك يضر بالولد ولا يجهد نها ركوبا ويخصها بعدول صواحبها لان ذلك مما
يضرها والعدل بينها فى ذلك مما يقبل معه ضرر الركوب وهو من الشفقة الطبيعية وكذلك الترفيه على اللاغب والتانى بالناقب
والظالع وكذلك يوردها ما يمر به من الماء وكذلك ان يروحها فى ساعات الرواح للغاية التى ذكرها وهو ان ياتى بحال السمن
والانقاء ليقسمها على كتاب الله وسنة نبيه وان كان ذلك مجهولا من حاله ع لانه انما بالغ فى الوصية بحالها فربما سبق

ج ٢

الى بعض الاوهام الفاسدة ان ذلك لغرض يختص به خالف الشرع ثم رغب فى ذلك بكونه اعظم لاجره عند الله واقرب لرشده
وسنته بطريق الله وهو ظاهر اما انه اعظم لاجره فلكونه اكثر مشقة واكثرية الثواب تابعة لاكثرية المشقة واما انه اقرب لرشده فلكونه
فى ذلك على الشريعة والقصد الى ما بعده الكلام الذى يكون غاره وبالله التوفيق ومن عهد له عليه السلام الى بعض عماله وقد الكاتب
بعثه على الصدقة امره بتقوى الله فى سرائر اموره وخفيات اعماله حيث لا شهيد غيره ولا وكيل دونه وامره ان لا يعمل بشئ من طاعة
الله فيما ظهر فيخالف الى غيره فيما اسر ومن لم يختلف سره وعلانيته وفعله ومقالته فقد ادى الامانة واخلص العبادة وامره
ان لا يجبههم ولا يعضههم ولا يرغب عنهم تفضلا بالامارة عليهم فانهم الاخوان فى الدين والاعوان على استخراج الحقوق وان لك فى
هذه الصدقة نصيبا مفروضا وحقا معلوما وشركاء اهل مسكنة وضعفاء ذوى فاقة وانا موفوك حقك فوفهم حقوقهم والا تفعل
فانك من اكثر الناس خصوما يوم القيامة وبؤسا لمن خصمه عند الله الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون والغارم وابن السبيل
ومن استهان بالامانة ورتع فى الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه عنها فقد احل بنفسه فى الدنيا الذل والخزى وهو فى الاخرة اذل واخزى وان اعظم الخزى
الخيانة خيانة الامة وافظع الغش غش الائمة والسلام اقول يقال جبهه بالمكروه اذا استقبله به وعضهه عضها رماه بالبهتان والكذب
والفاقة والبؤس الشدة والفظع الشدة وقد امره عليه السلام باوامر بعضها يتعلق باداء حق الله وبعضها باحوال الرعية والشفقة عليهم لغاية
نظام حالهم وتدبير امورهم فالذى يتعلق بحق الله تعالى سبحانه امران احدهما ان يتبعه فيما يسر من اموره ويخفى من اعماله وهى التقوى الحقيقية
المنتفع بها وقوله حيث اشارة الى موضع اسرار العمل واخفاء الامور وانما بقوله لا شهيد غيره ولا وكيل دونه فى معرض الوعد
له والتخويف باطلاعه تعالى على سرائر العباد وخفيات اعمالهم وتولية لها دون غيره وبينه لكونه هو الشهيد دون غيره على
عظمته مع الرد لما عسى ان يحكم به اوهامهم مكن ان السرائر والامور الخفية لا يطلع عليها غيره من هى له الثانى ان يوافق فى طاعته
لله تعالى ما اظهره منها وما ابطنه ويخلص اعماله الظاهرة من الرياء والسمعة وذلك قوله وامره ان لا يعمل الى قوله فيما اسر وما فى
قوله بمعنى الذى ويحتمل ان تكون مصدرية وفيما ظهر اى الناس من طاعة الله وقوله ومن لم يختلف الى قوله العبادة ترغيب فيما
امره به من عدم اختلاف السريرة والعلانية والفعل والقول بكون ذلك مستلزما الاخلاص عبادة الله ولاداء امانته التى كلفها
عباده على السنة رسله وائمة دينه وظاهر كون ذلك مستلزما لثواب الله والامن من سخطه واما ما يتعلق باحوال الرعية و
الشفقة عليهم فمنه ما يتعلق بحال ارباب الاموال التى يستحق عليهم الصدقة ومنه ما يتعلق بارباب الصدقة المستحقين لها
اما الاول فان لا يلقاهم بمكروه ولا يرميهم ببهتان وكذب وان لا يعرض عنهم ترفعا عليهم تفضيلا لنفسه بالامارة وانتصب تفضيلا
على المفعول له وقوله فانهم الاخوان الى قوله الحقوق اشارة الى الحجة بقياس ضمير من الشكل الاول دليل من حسن الانتهاء عليه
بالانتهاء عنه ووجوبه والمذكور فى قوة صغرى وتقدير الكبرى وكل من كان اخا فى الدين وعونا على استخراج الحقوق فلان
الحقوق المطلوبة انما تحصل بهم منهم وحصولها منهم انما تتم بالشفقة عليهم وان لا يفعل معهم شئ مما نهى عنه فان كل
تلك الامور مما ينفرطباعهم ويشتت نظام شملهم ومنه يكون قلة مال الصدقة والمستحقة عليهم ويحتمل ان يدخل هولاء
الجند ايضا واما ما يتعلق بالمستحقين للصدقة فان يوفيهم حقوقهم منها واشار الى الحجة على وجوب ذلك عليه بقوله وان لك
الى قوله وانا موفوك حقك هو فى قوة صغرى ضمير من الشكل الاول تقدير كبراه وكل من كان له نصيب مفروض وحق معلوم فى شئ وله
شركا فيه بصفة الفقر والمسكنة وهو مستوف لحقه منه فواجب عليه ان يوفى شركاءه حقوقهم اما الصغرى فظاهر واما الكبرى فاشار الى
بيانها بقياس اخر من الشكل الاول مركب من متصلتين فاشار الى الصغرى بقوله والا الى قوله يوم القيامة ونبه على الكبرى بقوله ولو بقا
مقوله وابن السبيل وهى نوعها اذ الاصناف المذكورون من مستحقى الصدقة هم الخصوم هم اكثر الناس وكان لا بسط مجدا ومما
تقديرها القياس والا توفهم حقهم فانك من خصومه اكثر الناس اى الفقراء والمساكين هم الاصناف المذكورة عند الله وهو يوم
القيمة فبوسا له عند الله يوم القيمة وينتج متصلة مركبة من مقدم الصغرى وتالى الكبرى وهى ان لا توفهم حقهم فبوسا لك وهو فى معرض
التهديد والتنفير له عن ظلمهم والاستبداد عليهم بشئ من الصدقة وشركا عطف على قوله حقا معلوما واهل المسكنة صفة له وبوسا
نصب على المصدر واما الاصناف المستحقين للصدقات فهم الثمانية المعدودة فى القران الكريم بقوله انما الصدقات للفقراء الى قوله
وابن السبيل فاما الفقير فقال ابن عباس وجماعة من المفسرين انه المتعفف الذى لا يسال والمسكين هو الذى يسال وعن الاصمعى ان
الفقير هو الذى له ما ياكل والمسكين هو الذى لا شئ له واما العاملون عليها فهم السعاة فى جباية الصدقات يعطيهم الامام منها
بقدر اجور امثالهم واما المولفة قلوبهم فكانوا قوما من اشراف العرب يتالفهم رسول الله ص فى مبدأ الاسلام ويعطيهم سهما من الزكوة
ليدفعوا عنه قومهم ويعينوه على العدو كالعباس بن مرداس وعيينة بن حصن وغيرهما ثم استغنى المسلمون عن ذلك عند قوتهم
واما فى الرقاب اى فى فداء الرقاب فقال ابن عباس يريد المكاتبين وكانوا يعطون سهما ليعتقوا به واما الغارمون فهم الذين

ترضيهم الذين هم في غير معصية ولا اسراف واما في سبيل الله فهم الغزاة والمرابطون واما ابن السبيل فهو المنقطع به في السفر ويعطى من الصدقة وان كان غنيا في بلده وقد ذكرتهما في معرض الشفقة والرحمة لحسنه وهم الفقراء والمساكين ويدخل فيه السائلون المدفوعون ويبشرون بريدهم العاملين عليها وسماهم مدفوعين باعتبار انهم يدفعون عن الصدقات ولانهم اذا اتوا الى زكوه عليه منا او هل عليه زكوة ام لا دفعهم عن نفسه ونذكرهم بهذا الوصف لكونه يصف بالافتقار وكونه في معرض الا بالشفقة عليهم قال بعض الشارحين اراد بهم الفقراء السائلين لكونهم يدفعون عند السؤال ثم الغارم وابن السبيل وانما ذكرها الا الخمسة الاربعة لكونهم يضعف حالا من الباقين وقوله انتهى الى قوله والخزي يشبه ان يكون كبرى قياس ضمير احتج به في معرض الوعيد والتخويف من الخيانة على لزوم الذل والخزي لمن الدار على تقدير ان لا يوفيهم حقوقهم وتقدير القياس والا يوفيهم حقوقهم يكن منهيا بالامانة وقوعا في الخيانة عن منزه نفسك نيل منها وكل من كان كذلك فقد احل بنفسه في الدنيا الذل وهو في الاخرة اذل واخزى

ج ٢

ولا علام بانهم مظنة غذا بر سبدا هم بمعصيته والبادي اظلم قال الراوندي المراد بالظلم الظالم قلت ويحتمل ان يكون قد سمى مجازاتهم به من العدل ما بحازيهم ظلما مجاز المشابهة الظلم في الكمية والصورة كما سمى في القصاص اعتداء في قوله فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ثم نسب اليه فعلهم فقد ذا ذن نعل التفضيل باعتبار كونهم بدوا بالمعصية بكل الاثم بانه نعم نظير الكرم بالعفو عنهم الثالث اعلامهم بما ينبغي لهم من استعمال الدنيا والتنبيه على كيفية استعمالها والوجه الحاصل المتقين فيها والسعداء بحالهم وهي ما اخبر عنه بقوله ذهبوا بعاجل الدنيا الى قوله ولا ينقص لهم نصيب من لذة وخلاصتها المذكورة انهم اكثر فائدة من اهل الدنيا وساووهم في اللذة في دنياهم على افضل ما حصل لاهلها من لذاتهم بها مع زيادة الفوز الاكبر في الاخرة بما وعد فيها المتقون واعلم ان الذي بشر البر من عاجل الدنيا في حق المتقين الذين شاركوا اهلها فيها

البنيان وهو الأرض وكأنه جعل الميد لها وما بعده في إرسائها وما بعده للجبال وفي جبالها وسهولها وأقطارها للأرض في
قواعدها وقلالها وإثباتها للجبال وقد عرفت كيفية ذلك الخلق فيما حكاه عليه السلام في الخطبة الأولى من قوله الزبد بالريح
وارتفاع الجو الواسع وتكوين السماوات عنه وأما الثناء بكل انحراف الأمر وابتنائه من هيبته دخوله تحت الإمكان والحاجة الى تدبير
وتصريفها وهو من باب الاستعارة الرابعة قوله على حركتها أي حال حركتها أعني تميد الحال وقوله تسيخ بحملها يفهم منه أنه لولا
الجبال كونها أوتادا للأرض لمادت وساخت بأهلها فأما كونها مانعا لها من الميدان فقد عرفت وجهه في الخطبة الأولى وأما كونها
تسيخ لولاها فلأنها إذا مادت انقلبت بأهلها فغاص الوجه الذي هم عليه وذلك مراده بسيخها فالمانع بها من الميدان هو المانع لها
أن تسيخ أو تزول عن موضعها الخامس أشار بإخمادها بعد طوفان أكنافها الى تأصلها من زبد الماء كما أشير إليه من قبل
ويحتمل أن يشير بذلك لما كان مغمورا بالماء منها ثم سال الماء عنه الى مواضع أسفل منه فخلا وجف وهي مواضع كثيرة سكونه
وعنه سكونه السادس لم تخضل لغمام الذوارف أي أن البحار إذا وقع فيه المطر يربع ويمخض ببعض كثيرا وذلك لتحريك ريح
المطر له بكثرته وقوته أو لكثرة اقتران المطر بالرياح فتموجه وأغلبها تحريكا له الرياح الجنوبية لا تكثر انهلالها وقد شاهدنا
ذلك كثيرا السابع لما عدد المخلوقات المذكورة وتصريف القدرة الربانية لها قال إن في ذلك لعبرة لمن يخشى نبهها
على وجوه الاعتبار بها لمن يخشى الله وأراد العلماء لاختصاصهم بالخشية فيهم بقوله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام اللهم أيما عبد من عبادك سمع مقالتنا العادلة غير الجائرة والمصلحة في الدين
والدنيا غير المفسدة فأبى بعد سمعه لها إلا النكوص عن نصرتك والإبطاء عن إعزاز دينك فإنا نستشهدك عليه
يا أكبر الشاهدين شهادة ونستشهد عليه جميع من أسكنته أرضك وسماواتك ثم أنت بعد المغني عن نصرته والآخذ
له بذنبه **أقول** النكوص الرجوع على الأعقاب وهذا الفصل من خطبة كان يستنهض بها أصحابه الى جهاد أهل الشام
قال بعد تقاعد أكثرهم عن صفين استشهد فيه الله تعالى وملائكته وعباده على من سمع مقالته العادلة المستقيمة التي هي طريق
الله العائدة للناس الى الرشاد في دينهم ودنياهم غير المفسدة لهم وهي دعوته إياهم الى جهاد أعداء الدين والبغاة عليه ثم
أعرض عنها وقعد عن نصرته وتباطأ عن إعزاز دينه وأبى إلا التأخر عن طاعته وفي ذلك الاستشهاد ترغيب الى الجهاد وتنفير عن
التأخر عنه إذ كان كل إعلام لله بحال المتخاذلين عن نصرة دينه وقعودهم عما أمرهم به من الذب عنه تخويف وهاهم لذلك
بالفزع الى طاعته وكذلك في وصفه لمقالته بالعدل والإصلاح ترغيب في سماعها وحث إليها وفي قوله ثم أنت بعد أي بعد تلك
الشهادة عليه المغني لنا عن نصرته تنبيه على عظمة ملك الله وتحقير للنفوس المتخاذلة عن نصرة الدين وفي ذلك الآخذ له
تذكير بوعيد الله وأن في ذلك التخاذل ذنب عظيم يؤخذ به العبد وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام
الحمد لله العلي عن شبه المخلوقين الغالب لمقال الواصفين الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين والباطن بجلال عزته عن
فكر المتوهمين العالم بلا اكتساب ولا ازدياد ولا علم مستفاد المقدر لجميع الأمور بلا روية ولا ضمير الذي لا تغشاه الظلم
ولا يستضيء بالأنوار ولا يرهقه ليل ولا يجري عليه نهار ليس إدراكه بالأبصار ولا علمه بالأخبار **أقول** حمد الله تعالى
باعتبارات إضافية وسلبية أولها العلي عن شبه المخلوقين أي في ذاته وصفاته وأفعاله وأقواله وقد علمت كيفية ذلك من غير
مرة الثاني الغالب لمقال الواصفين وذلك لغلبته بتعاليه عن إحاطة الأوصاف به وفوته لها وعدم القدرة على ذلك منه
وقد أشرنا الى ذلك مرارا الثالث الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين بأعين بصائرهم وأبصارهم الرابع الباطن بجلال عزته عن فكر
المتوهمين وتقدم بيان هذين الوصفين وفائدة قوله بجلال عزته التنبيه على بطونه عن الفكر باعتبار جلاله وعزته عن أن تناله لا باعتبار
حقارته وصغره وإنما قال فكر المتوهمين فإن الفكر الإنسانية ما التفاتها الى منتزعات الأمور المعقولة المجردة لا بد أن
تستعين بالقوة المتخيلة بمساعدة الوهم في أن تصور تلك الأمور بصورة خيالية مناسبة لتثبتها بها وتحطها الى الخيال وقد
علمت أن الوهم إنما يدرك ما كان متعلقا بمحسوس أو متخيل من المحسوسات فكل أمر تتصوره الإنسان وهو في هذا العالم سواء
كان ذات الله سبحانه أو صفاته أو غير ذلك فلا بد أن يكون مشوبا بصورة خيالية أو متعلقا بها وهو تعالى منزه بجلال عزته عن تكيف
تلك الفكر له وباطن عنها الخامس العالم المنزه في كيفية علمه عن اكتساب له بعد جهل أو ازدياد منه بعد نقصان أو استفادة
له عن غيره كما عليه علم المخلوقين السادس المقدر لجميع الأمور أي الموجد لجميع الأمور على وفق قضائه كلا بمقدار معلوم تنزيه
عن التفكر والضمير وأراد بالضمير ما أضمر من الروية السابع الذي لا تغشاه الظلم ولا يستضيء بالأنوار لتنزهه عن الجسمية ولو
احقها الثامن ولا يرهقه ليل ولا يجري عليه نهار وذلك لتنزهه عن إحاطة الزمان إذ الزمان من لواحق المتغيرات التاسع ليس إدراكه بالأبصار
لتقدس ذاته عن الحاجة الى الآلة في الإدراك وغيره العاشر ولا علمه بالأخبار أي علمه كثير من علومنا لتقدسه عن حاسة السمع

وبالله التوفيق **ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله** أرسله بالضياء وقدمه في الاصطفاء فرتق به المفاتق وساور
به المغالب وذلل به الصعوبة وسهل به الحزونة حتى سرح الضلال عن يمين وشمال **أقول**
المساورة المواثبة وسرح فرق وقد أشار الى بعض فضائل النبي صلى الله عليه وآله وبعض فوائده فمن فضائله إرساله بالضياء ولفظ الضياء
مستعار لأنوار الإسلام الهادية الى سبيل الله ومنها تقديمه على سائر الأنبياء في الفضيلة وإن كان الكل منهم مصطفى و
ذكر من فوائده كونه رتق به الفاتق وكنى بها عن أمور العالم المتفرقة وبسبب إصلاحه زمان الفترة ورتقها به كناية عن نظمها به بعد
تفرقها كناية بالمستعار ومنها كونه ساور به المغالب أسند المساورة الى الله مجازا باعتبار أمره للنبي بالدين عن أمره أو إثباته
مغالبه من المشركين وغيرهم ومنها كونه ذلل به الصعوبة أي صعوبة أهل الجاهلية وأعداء دين الله ومنها كونه سهل به الحزونة
أي حزونة طريق الله لهدايته فيها الى غاية أن سرح الضلال والجهل عن يمين النفوس وشمالها وهو إشارة الى إلقاء رذيلتي
التفريط والإفراط عن ظهور النفوس كتسريح جنبي الحمل عن ظهر الدابة وهو من لطف الاستعارات أبلغها وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام وأشهد أنه عدل عدل وحكم فصل وأشهد أن محمدا عبده وسيد عباده
كلما نسخ الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما لم يسهم فيه عاهر ولا ضرب فيه فاجر ألا وإن الله قد جعل للخير
أهلا وللحق دعائم وللطاعة عصما وإن لكم عند كل طاعة عونا من الله يقول على الألسنة ويثبت الأفئدة فيه كفاء
لمكتف وشفاء لمشتف واعلموا أن عباد الله المستحفظين علمه يصونون مصونه ويفجرون عيونه يتواصلون بالولاية
ويتلاقون بالمحبة ويتساقون بكأس روية ويصدرون بريّة لا تشوبهم الريبة ولا تسرع فيهم الغيبة على ذلك عقد
خلقهم وأخلاقهم فعليه يتحابون وبه يتواصلون فكانوا كتفاضل البذر ينتقى فيؤخذ منه ويلقى قد ميزه التخليص
وهذبه التمحيص فليقبل امرؤ كرامة بقبولها وليحذر قارعة قبل حلولها ولينظر امرؤ في قصير أيامه وقليل مقامه في منزل
حتى يستبدل به منزلا فليصنع لمتحوله ومعارف منتقله فطوبى لذي قلب سليم أطاع من يهديه وتجنب من يرديه
وأصاب سبيل السلامة ببصر من بصره وطاعة هاد أمره وبادر الهدى قبل أن تغلق أبوابه وتقطع
أسبابه واستفتح التوبة وأماط الحوبة فقد أقيم على الطريق وهدي نهج السبيل **أقول** نسخ أزال وغيره و
العاهر الزاني ويصدق على الذكر والأنثى وكذلك الفاجر والكفاء الكفاية والكفاة والرية بالكسر الفعلة من الري وهي الهيئة التي
عليها المرتوي والريبة الدغل والغل والتمحيص الابتلاء والاختبار والقارعة الشديدة من شدائد الدهر
وأماط أزال والحوبة الإثم وأطلق لفظ العدل على العادل مجازا إطلاقا لاسم اللازم على ملزومه والباري تعالى عادل بالنظر الى علمه
وقضائه أي لا يقضي في ملكه بأمر إلا وهو على وفق النظام الكلي والحكمة البالغة ويدخل في ذلك جميع أقواله وأفعاله فإنه لا
يصدر منها شيء إلا وهو كذلك وأما الجزئيات المعدودة شرورا وصورة جور في هذا العالم فإنها إذا اعتبرت كانت شرورا نسبية
هي من لوازم الخير والعدل لا بد منها ولا يمكن أن يكون العدل والخير بدونها كما لا يمكن أن يكون الإنسان إنسانا إلا وهو بحيث تعرض له شهوة
وغضب يلزمها الفساد والشر الجزئي ولما كان الخير أكثر وكان ترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شرا كثيرا في الجود والحكمة وجب وجود
تلك الشرور الجزئية لوجود ملزوماتها وأشار بقوله عدل الى أنه العدل بالفعل وبقوله فصل وصفا لرسوله ص سيد عباده
الى قوله أنا سيد ولد آدم ولا فخر وقوله كلما نسخ الله الخلق فرقتين نسخ الخلق قسمهم كل قرن وفرقه الى خيار وأشرار والقسمة بغير
للقسم وأراد النسخ حال انحداره وقوله جعله في خيرهما إشارة الى ما روي عنه ص قال رسول الله ص أنا محمد بن عبد الله
بن عبد المطلب إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم ثم جعلهم بيوتا
فجعلني في خيرهم فأنا خيركم بيتا وخيركم نفسا وقوله لم يسهم فيه عاهر ولا ضرب فيه فاجر أي لم يضرب فيه العاهر بسهم ولم يكن للفجور في
أصله شركة بمثل الضرب في كذا بنصيب إذا كان له فيه شرك وهو إشارة الى طهارته من قبل أصليه عن الزنا كما روي عنه ص لم يزل ينقلني الله
من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وقال ص لما خلق الله آدم أودع نوري في جبينه فما زال ينقله من الآباء الأخيار الى الأمهات
الطواهر حتى انتهى الى عبد المطلب وقال ص ولدت من نكاح لا من سفاح وقوله ألا وإن الله الى قوله عصما ترغيب للسامعين أن يكونوا
أهل الخير ودعائم الحق وعصم الطاعة وكذلك قوله وإن لكم الى قوله من الله نعم جذب لهم الى طاعته بذكر المؤنة وكأنه عنى بالعون القرآن
الكريم وقوله يقول على الألسنة ويثبت الأفئدة تفصيل لوجوه العون منه تعالى وعونه من جهة القول على الألسنة وعدة المطيعين بالثواب
العظيم على الطاعة ومدحهم وبشرهم بالجنة والرضوان منه على ألسنة الرسل فإن كل ذلك معين على الطاعة ومعين عليها وأما
تثبيت الأفئدة فمن جهة الاستعداد لطاعة الله واستثمار أنواره من كتابه العزيز واستكشاف أسراره كما قال تعالى ألا بذكر الله تطمئن
القلوب وقوله كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولد في القرآن الكريم من المواعظ والزواجر المخوفة ما يوجب الفزع الى الله وتثبت

القلوب جلى عن الخلاص منها وقوله فيه كفاية المكتفى اى فى ذلك لقول الطالب الا كفاية اى من الكمالات النفسانية وشفاء من الشقاء من امراض الرذائل او نعتو ثم نبه على عباد الله الصالحين بصفاتهم ليقتفوا اثارهم ويكونوا منهم فاعلمهم انهم الذين استحفظهم علمه باسره بخلقه من صفاتهم اسرار احدها انهم يصونون ما وجب صونه عن غير اهله ولا يضيعوا اسراره الا في اهله الثانى يفجرون عيونه ولفظ العيون مستعار اما للمعادن وهى اذهان انبياء او الاولياء او ائمة العلماء او تلامذة وللطبيعة وحمله التى عنوها بكون لفظ التفجير مستعار لافادتها ونفريغها وتفصيلها الثالث ويتواصلون بالولاية التى نصرة بعضهم لبعض في دين الله وامانة ناموس شرعه الرابع ويتلاقون بالمحبة فيه التى هى مطلوب الشارع من شريعته حتى يصير واكنفس واحدة الخامس ويتساقون بكاس روية ولفظ الكاس للعلم اى يستفيد بعضهم من بعض ورشح بذكر الروية واراد بها تمام الافادة السادس ويصدرون بريه اى صيد وكل منهم عن الاخر بفائدة قد ملات نفسه كالاول لفظ الرية مستعار السابع كونهم لا تشوبهم الريبة اى لا يتداخل بعضهم شك في بعض ولا يتهمونها او يدبوا ما بالحق لديهم الثامن ولا تسرع فيهم الغيبة بما تنفى عنهم سرعة الغيبة لانهم من ليس بمعصوم فلم يكن نفيها عنهم بالكلية بل استبعد توهمها منهم ويحتمل ان يريدانهم لقلة عيوبهم لا يكاد احد يتسرع فيهم بغيبة التاسع كونهم على ذلك عقد الله خلقهم اى على ذلك الوصف الكمال قد خلقهم على وفق قضائه لهم بذلك واوجدهم نعليه اى على ما عقد خلقهم عليه من الكمال يتحابون وبه يتواصلون العاشر كونهم فى ذلك كتفاضيل البذر اى فكانوا فى تفاضلهم بالقياس الى الناس كتفاضيل البذر واشار الى وجه الشبه بقوله ينتقى الى قوله التمحيص ففيه انهم خلاصة الناس ونقاوتهم الذى سفاهم منهم وميزهم عنهم تخليص عناية الله لهم فاسقر وحمته وهدا بهم الى طريقه وخلقهم ابتلاؤه واختباره باوامره كرامة لهم الى ان عودوا الى النصيحة والموعظة وارادكرامة الله تعالى كما قال تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وبالقارعة التى حذرهم منها نزول حلولها فارعة الموت ثم امران بعتبر الرجل قصر ايام حياته وقلة مقامه فى منزل يستلزم الاقامة القليلة فيه هذه العناية وهى ان يستبدل به منزلا اخراى يجعل محل عبرته افاستر القصير فى الدنيا المستلزمة لانتقاله منها الى الاخرة فان فى نصوره قلة المقام فى هذا المنزل للعبور الى منزل اخر عبرة تامة ويحتمل ان تكون حتى غاية من امره بالنظر فى الاعتبار اى فلينظر فى ذلك المنزل ليستبدل له عبرة اذ كان كل منهما ينبغى ان يعمل لذلك المنزل المتحول اليه ولمعارف منتقلة اى لمواضع التى يعرف انتقاله اليها وطوبى لعلى من الطيب فلبوا اياه هادوا والتمتع فيها وقيل هى اسم شجرة فى الجنة وقلب سليم اى لم يتدنس برذيلة الجهل المركب ولا بنجاسات الاخلاق الرذيلة ومن يهدية اشارة الى نفسه عم والائمة الذين من بعده فى مهاوى الهلاك المنافقون والائمة الضلالة واصابتهم لسبيل السلامة وتوقفه على سبيل الله عند خدوده بهداية من هداه وما عثرلها وامره لسلوكها ومبادرته للهدى مسارعته اليه قبل غلق ابوابه واستعار لفظ الابواب لهم والائمة الذين من قبله ورشح بذكر الغلق واراد به عدمهم اوموت الطالب وكذلك استعار لفظ الاسباب لهم ووجه الاستعارة كونهم وصلا الى المراد كالحبل بذكر القطع واراد به موتهم واستفتاح التوبة استعار لها والشروع فيها واماطة الحوبة اى ازالة الاثم عن توح نفسه بتوبته وقوله فقد اقيم الى اخره استعار منه بانا مناعلام الله وهم العلماء والكتاب المنزل والسنة النبوية والهداية بها الى واضح سبيله ليقتدى الناس بها ويسلكوا على بصيرة وبالله التوفيق والعصمة **ومن دعاء له عليه السلام**

كان يدعو به كثيرا الحمد لله الذى لم يصبح بى ميتا ولا سقيما ولا مضروبا على عروقى بسوء ولا ماخوذا باسوء عملى ولا مقطوعا دابرى ولا مرتدا عن دينى ولا منكرا لربى ولا مستوحشا من ايمانى ولا ملتبسا عقلى ولا معذبا بعذاب الامم من قبلى اصبحت عبدا مملوكا ظالما لنفسى لك الحجة على ولا حجة لى لا استطيع ان اخذ الا ما اعطيتنى ولا اتقى الا ما وقيتنى اللهم انى اعوذ بك ان افتقر فى غناك او اضل فى هداك او اضام فى سلطانك او اضطهد والامر لك اللهم اجعل نفسى اول كريمة تنتزعها من كرائمى واول وديعة ترتجعها من ودائع نعمك عندى اللهم انا نعوذ بك ان نذهب عن قولك او نفتتن عن دينك او تتابع بنا اهواؤنا دون الهدى الذى جاء من عندك **اقول** الدابر بقية الرجل ولده والدابر الظهر والالتباس الاختلاط والاضطهاد الظلم والتتابع التهافت فى الشر والقاء النفس فيه وقد حمد الله تعالى باعتبار امور من النعم اعترف بها وعد منها عشرة وهى الحيوة والصحة والسلامة من افات العروق وامراضها ومن الاخذ بالجريرة وقطع النسل ويحتمل ان يريد بالدابر الظهر وكنى بالقطع عن الرمى بالدواهى العظيمة التى من شانها قصر الظهر وقطع القوة ثم عن الارتداد ثم عن جحود ربوبية الله ثم عن الاستيحاش من الايمان استثقاله والتبرؤ عنه ثم من اختلاط العقل ثم من التعذيب بعذاب الامم السالفة بالصواعق والخسف ونحوها وعقب ذلك الحمد بالاقرار على نفسه بصفات الخضوع والذلة المستلزمة لاستنزال الرحمة وعد منها خمسة وهى كونه عبدا مملوكا لله تعالى ثم كونه ظالما لنفسه ثم اعترافا بحجة الله عليه مقطوع الحجة فى نفسه ثم كونه معترفا بعدم الاستطاعة ان يلحقه الاما قسم الله له وسبب الوصول اليه وانه لا يقدر ان يتقى من المضار الا ما وقاه الله اياه ثم لما اعد نفسه بهذه الاقرارات

بقبول الرحمة من الله استعاذته من امور وهى ان يفتقر فى غناه تعالى اى ان يفتقر مع اثر الغنى المطلق وان يضل فى هداه اى مع ان الهدى الذى لا اختلال معه وان يظلم فى سلطانه اى مع ان له السلطان التام وان يضطهد وله الامر القاهر ثم سال ان يجعل نفسه اول كريمة ينتزعها من كرائمه واراد بكرائمه قواه النفسانية والبدنية واعضاءه وغرضه السؤال بتمتعه بها سليمة من الافات الى حين الممات الى حين الممات فتكون نفسه اول منتزع من كرائمه قبل ان يفقد شيئا منها ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله اللهم متعنى بسمعى وبصرى واجعلهما الوارث منى اى اجعلهما باقيين صحيحين الى حين وفاتى واستعار لفظ الوديعة للنفس باعتبار انها فى معرض الاسترجاع كالوديعة ثم استعاذ من الذهاب عن قوله تعالى والافتتان عن دينه وقد روى الرضى رضه يفتتن بالبناء للفاعل على ان يكون الفتنة من النفس الامارة وروى يفتتن بالبناء للمفعول فيكون استعاذة من الفتنة بالغير ثم من الانخراط فى سلك الاهواء وتتابعها به فى مراتب الشقاوة دون الهدى الذى جاءت به الكتب الالهية من عند الله وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** خطبها بصفين اما بعد فقد جعل الله لى عليكم حقا بولاية امركم ولكم على من الحق مثل الذى لى عليكم فالحق اوسع الاشياء فى التواصف واضيقها فى التناصف لا يجرى لاحد الا جرى عليه ولا يجرى عليه الا جرى له ولو كان لاحد ان يجرى له ولا يجرى عليه لكان ذلك خالصا لله سبحانه دون خلقه لقدرته على عباده ولعدله فى كل ما جرت عليه صروف قضائه ولكنه جعل حقه على العباد ان يطيعوه وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلا منه وتوسعا بما هو من المزيد اهله ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افترضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافأ فى وجوهها ويوجب بعضها بعضا ولا يستوجب بعضها الا ببعض واعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالى على الرعية وحق الرعية على الوالى فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل فجعلها نظاما لالفتهم وعزا لدينهم فليست تصلح الرعية الا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة الا باستقامة الرعية فاذا ادت الرعية الى الوالى حقه وادى الوالى اليها حقها عز الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على اذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطمع فى بقاء الدولة ويئست مطامع الاعداء واذا غلبت الرعية واليها او اجحف الوالى برعيته اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور وكثر الادغال فى الدين وتركت محاج السنن فعمل بالهوى وعطلت الاحكام وكثرت علل النفوس فلا يستوحش لعظيم حق عطل ولا لعظيم باطل فعل فهنالك تذل الابرار وتعز الاشرار وتعظم تبعات الله عند العباد فعليكم بالتناصح فى ذلك وحسن التعاون عليه فليس احد وان اشتد على رضاء الله حرصه وطال فى العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما الله اهله من الطاعة له ولكن من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم والتعاون على اقامة الحق بينهم وليس امرؤ وان عظمت فى الحق منزلته وتقدمت فى الدين فضيلته بفوق ان يعان على ما حمله الله من حقه ولا امرؤ وان صغرته النفوس واقتحمته العيون بدون ان يعين على ذلك او يعان عليه فاجابه عليه السلام رجل من اصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته له فقال عليه السلام ان من حق من عظم جلال الله فى نفسه وجل موضعه من قلبه ان يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه وان احق من كان كذلك لمن عظمت نعمة الله عليه ولطف احسانه اليه فانه لم تعظم نعمة الله على احد الا ازداد حق الله عليه عظما وان من اسخف حالات الولاة عند صالح الناس ان يظن بهم حب الفخر ويوضع امرهم على الكبر وقد كرهت ان يكون جال فى ظنكم انى احب الاطراء واستماع الثناء ولست بحمد الله كذلك ولو كنت احب ان يقال ذلك لتركته انحطاطا لله سبحانه عن تناول ما هو احق به من العظمة والكبرياء وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء فلا تثنوا على بجميل ثناء لاخراجى نفسى الى الله واليكم من التقية فى حقوق لم افرغ من ادائها وفرائض لا بد من امضائها فلا تكلمونى بما تكلم به الجبابرة ولا تتحفظوا منى بما يتحفظ به عند اهل البادرة ولا تخالطونى بالمصانعة ولا تظنوا بى استثقالا فى حق قيل لى ولا التماس اعظام لنفسى فانه من استثقل الحق ان يقال له او العدل ان يعرض عليه كان العمل بهما اثقل عليه فلا تكفوا عن مقالة بحق او مشورة بعدل فانى لست فى نفسى بفوق ان اخطئ ولا امن ذلك من فعلى الا ان يكفى الله من نفسى ما هو املك به منى فانما انا وانتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره يملك منا ما لا نملك من انفسنا واخرجنا مما كنا فيه الى ما صلحنا عليه فابدلنا بعد الضلالة بالهدى واعطانا البصيرة بعد العمى **اقول** اذلالها وجوهها وطرقها واجحف بهم ذهب باصولهم والادغال الافساد واقتحمته دخلت فيه بالاحتقاد والازدراء واسخف اضعف اصغر والبادرة الحدة وغرض الفصل جمع كلمتهم واتفاقهم على اوامره فاشار اولا الى ان لكل منه ومنهم على الاخر حقا يجب ان يخرج منه نحقه هو عليهم حق ولاية امرهم وحقهم عليه هو الرعية على الوالى وهو مثله فى وجوب مراعاته وفى استلزامه اللوازم التى سيذكرها وقوله فالحق اوسع الى قوله قضائه تقرير لوجوب حقه عليهم وكالتوبيخ لهم على قلة الانصاف فيه ومعناه ان اخذ الناس فى وصف الحق وبيانه كان له فى ذلك مجال واسع لسهولته على السنتهم واذا حضر التناصف بينهم وطلب منهم انصاف

عليهم الجبال لشدة العمل بالحق وصعوبة الانصاف لاستلزامه ترك بعض المطالب المحبوبة لهم واطلاق السعة والتضييق على الحق سندا
ملاحظة لشبهة ما يتوهم بينه من التناعم للقول وضيقه عن العمل بالكلفة الذي يجمع لشيء ولضيق عما هو اعظم منه وقوله لا يجري
لاحد الا جرى عليه تقرير الحق عليهم وتوطين نفوسهم عليه ولا يجري عليه الا جرى له تسكين لنفوسهم بذكر الحق لهم ثم اعاد
تقرير الحق عليهم بحجة في صورة متصلة وهي لو كان لاحد ان يجري له الحق ولا يجري عليه لكان الله تعالى هو الاولى بذلك
ذلك له دون خلقه لكن الملازمة بقوله لقدرته الى قوله صروف قضائه اي لكونه قادرا على عباده وعلى الانتصاف منهم مع كونه
يستحق عليهم شيئا لهم لعدله فيهم في كل ما جرت به مقاديره التي هي صروف قضائه كان ولي بخاص ذلك دونهم وبين استثناء نقيض
التالي ملزومه وهو قوله ولكنه ثم جعل الى قوله اهله ومعنا لكنه تعالى جعل لنفسه على عباده حقا هو طاعتهم له لشبتهم بذلك
حقا يكون جزاء طاعتهم له فقد ثبت انه لم يخلص ذلك لله تعالى بل كما اوجب على عباده حقا له اوجب لهم على نفسه بمنته حقا فاذن
لا يجري لاحد حق الا جرى عليه وهو نقيض المقدم وفي قوله مضاعفة الثواب الى قوله تنبيه لهم على ان الحق الذي اوجبه على نفسه
اعظم مما اوجبه لها مع انه ليس بحق وجب عليه بل تفضل منه عليهم بما هو اهله من مزيد النعم ليتخلقوا باخلاق الله في اداء ما وجب عليهم
من الحق بالفضل بجوده ويقابلوا ذلك التفضل بمزيد الشكر وتلك المضاعفة كما في قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
ونحوه وقوله ثم جعل سبحانه الى قوله ببعض كالمقدمة لما يريد ان يذكره من كون حقه عليهم واجبا ان وقبل الله تعالى وهو حق من
حقوقه ليكون ادعى لهم الى ادائه وبين فيها ان حقوق الخلق بعضهم على بعض بل من حق الله تعالى من حيث ان حقه على عباده وهو الطاعة
واداء تلك الحقوق طاعات لله كحق الوالد على ولده وبالعكس وحق الزوج على الزوجة وحق الوالي على الرعية وبالعكس وقوله
فجعلها تتكافأ في وجوهها اي جعل كل وجه من تلك الحقوق مقابلا لمثله فحق الوالي وهو الطاعة من الرعية مقابل لمثله منه
وهو العدل فيهم وحسن السيرة ولا يستوجب كل من الحقين الا بالآخر ثم قال واعظم ما افترض الله من تلك الحقوق حق الوالي
على الرعية على كل اي ذلك فريضة وقوله فجعلها نظاما الى قوله عند العباد اشارة الى لوازم حق الوالي على الرعية وحق الرعية
على الوالي اذا ادى كل الى كل حقه فانه ان الله تعالى جعل تلك الحقوق سببا لالفتهم وقد بينا فيما سلف غير مرة ان الفتهم من اعز
مطالب الشارع وانما مطلوبة من اجتماع الخلق على الصلوة في المساجد في كل يوم خمس مرات وفي كل اسبوع مرة في المسجد وفي كل سنة
مرتين في الاعياد والتناصف والاجتماع في طاعة الامام العادل من موجبات الالفة والمحبة في الله حتى يكون الناس كانهم
كرجل واحد عالم بما يصلحه ومشغل له وبما يفسده ويجتنب عنه ثبت انه جعل تلك الحقوق عزا لدينهم وتمام ان الاجتماع اذا كان
سببا للالفة والمحبة كان سببا عظيما للقوة وقهر الاعداء واعزاز الدين ثم اكد القول في ان اصلاح الرعية منوط بصلاح
الولاة وهو امر قد شهدت به العقول وتوافقت عليه الاراء الحقة واليه اشار القائل تهدى الرعية ما استقام الرئيس وقوله لا
يهدى الامور باهل الرأي ما صلحت فان تولت فبالاشرار تنقاد وكذلك صلاح حال الولاة منوط بصلاح الرعية واستقامتهم في
طاعتهم وذلك احوالهم بعصيانهم ومخالفتهم فاذا ادى كل من الوالي والرعية الحق الى ما اوجب عليهم عز الحق بينهم ولم يكن له مخالف ثم من لوازم
ذلك قيام مناهج الدين وطرقه بالاستقامة على قوانينه والعمل بها واعتدال معالم العدل ومظانه بحيث لا جور فيها وجريان
السنن على وجوهها ومسالكها بحيث لا تحريف فيها ولا تغيير وصلاح الزمان بذلك ونسبة الصلاح اليه مجاز اذ الصلاح في الحقيقة
يعود الى حال اهل الزمان وانتظام امورهم في معاشهم ومعادهم وانما يوصف بالصلاح والفساد باعتبار وقوعهما فيه وكونه من الاسباب
المعدة لهما ومن لوازم ذلك الطمع في بقاء الدولة واليأس من مطامع الاعداء في فسادها وهدمها وقوله واذا غلبت الى قوله عند
العباد اشارة الى ما يلزم عصيان الرعية للامام وحيفه هو عليهم وتجاوزهم في الفساد فان اختلاف الكلمة وكنى به عن اختلاف الآراء
والتفرق بسبب ظهور معالم الجور وعلاماته وهو ظاهر لعدم العدل سبب لعلمه كثرة الفساد في الدين وذلك لتبدد الاهواء
وتفرقها عن رأي الامام العادل الجامع لها واخذ كل فيما يشتهيه مما هو مفسد للدين ومخالف له ثم ترك محاج السنن وطرقها من الظالم
لجوره ومن الرعية لتبدد نظام آرائهم ثم العمل بالهوى وعلته ما مر وتعطيل الاحكام الشرعية وهو لازم للعمل بالهوى وكثرة علل
النفوس وعللها امراضها بملكات السوء كالغل والحسد والعداوات والعجب والكبر ونحوها وقيل عللها وجوه ارتكابها للمنكرات
في كل منكر بوجه وعلة ورأي فاسد ثم فلا يستوحش لعظيم حق عطل وذلك لالفته بتعطيله ولا لعظيم باطل فعل وذلك لاعتياده و
الاتفاق عليه وكونه مقتضى الاهوية فهنالك تذل الابرار لذلة الحق المعطل الذين هم اهله وكانه عزهم بعزه وتعز الاشرار
لعزة الباطل الذين هم عليه بعد ذلهم بعزة الحق بل ويعظم تبعات الله على العباد اي عقوبته بسبب خروجهم عن طاعته ولما بين لوازم طاعته
وعصيانه قال فعليكم بالتناصح في ذلك اي في ذلك الحق وحسن التعاون عليه وقوله فليس احد الى قوله من الطاعة له تاكيد
لامره بالمبالغة في طاعة الله اي فليس احد من الناس يبلغ بطاعة الله ما هو اهله منها وان اشتد حرصه على رضاها بالعمل بطاعة

من اجتهاده

بينا اجتهاده لكن على العباد من ذلك مبلغ جهدهم في النصيحة والتعاون على اقامة حق الله بينهم بقدر الامكان لا يفيده ما يتخيله
هو تعالى فان ذلك غير ممكن وقوله وليس امرء وان عظمت الى قوله حمله الله تعالى من حقه اي ان بلغ المرء اي درجة كان من طاعة الله
فهو محتاج الى ان يعان عليها وليس هو بان يعان على ما حمله الله منها وذلك ان تكليف الله تعالى بطاعته يجب مع المكلف والوسع
في بعض العبادات قد يكون مشروطا بمعونة الغير فيها فلا يستغنى احد عنها وقوله ولا امرء وان صغرته النفوس الى قوله او يعان عليه تنبيها
الى انه لا ينبغي ان يزدري احد عن الاستعانة في الطاعة اشارات بيان عليها فانه وان استصغرته النفوس فليس بدون ان يعين على طاعته
واداء حقه ولو بقبول الصدقات ونحوها والدعاء وتوا علمها باعطاء ما يستحطبهم ويبلغ عنهم ضررا كالجاه ولفظ الاقتحام يحقق ميل ان
يكون الكل كنفس واحدة واما قوله لمن اكثر عليه الثناء حاصله التأدب على الاطراء والنهي عن الغلو في الثناء على الانسان في وجهه
بالفضائل وان كانت حقه وسره ان ذلك يستلزم في كثير من الناس الكبر والعجب بالنفس والعمل فقوله ان من حق من عظم الى قوله شانه
اليه مقدمة في الجواب بين فيها ان من جملة عظمت نعم الله عليه ولطف احسانه اليه تحقر ان يحقر ويصغر عنده كل ما سواه بقياس
من الشكل الاول وتقدير صغراه ان من عظمت نعم الله عليه ولطف احسانه اليه فهو احق الناس بتعظيم جلال الله في نفسه وجلاله
موضعه من قلبه وتقدير كبراه وكل من كان احق بذلك فمن حقه ان يصغر كل ما سواه عنده ودل على الكبرى بقوله لعظم ذلك
اي لعظم جلال الله في قلبه يجب ان يصغر عنده كل شيء سواه وهذه المقدمة وان كانت عامة الا ان الاشارة الحاضرة بها الى نفسه
وذلك لان اعظم نعم الله في الدنيا خلافة المسلمين وفي الآخرة ما هو عليه من الكمالات النفسانية فكان احق الناس بتعظيم
جلال الله في نفسه فكان بذلك من حقه ان يصغر كل ما سوى الله في قلبه ثم قال ومن اسخف حالات الولاة الى قوله والكبر نبه
على انه قال ومن كان من حقه ان يصغر كل ما سوى الله في قلبه فكيف يليق به ان يحب الفخر او يضع امره على الكبر للذين لا يليقان
الا بعظمة الله او يظن به ذلك ويعامل بما يعامل به الجبابرة من الخطاب به وصرح بان المراد نفسه في قوله وقد كرهت الى آخره وقوله
ولو كنت احب ان يقال في ذلك يجري مجرى تسليم الجدل اي وهب اني احب ان يقال ذلك في باعتبار ما فيه اللذة لكني لو كنت كذلك لتركته
باعتبار آخر وهو الانحطاط والتضاؤع عن تناول ما الله احق به من العظمة والكبرياء ونبه في ذلك على ان الاطراء يستلزم التكبر
والتعظيم فكان تركه له وكراهيته لكونه مستلزما لهما وقوله وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء اي يجري بمجهد العذر
لمن اثنى عليه فكانه يقول وانت معذور في ذلك حيث رأيتني اجاهد في الله واحث الناس على ذلك ومن عادة الناس ان يستحلوا
الثناء عند ان يبلوا بلاء حسنا في جهاد او غيره من الطاعات ثم اجاب عن هذا العذر في نفسه بقوله فلا تثنوا على بجميل ثناء
الى قوله من امضائها فلا تثنوا على لاجل ما ترونه مني من طاعة الله فان ذلك انما اخراج لنفسي الى الله من حقوق الباقية على لم
افرغ بعد من ادائها وهي حقوق نعمه ومن فرائضه التي لا بد من المضي فيها وكذلك اليكم من الحقوق التي اوجبها الله لكم على من النصيحة في
الدين والارشاد الى الطريق الاقصد والتعليم لكيفية سلوكه وفي خط الرضي رحمه الله لتقيته بالتاء والمعنى فان الذي افعله
من طاعة الله انما هو اخراج لنفسي الى الله واليكم من تقية الخلق فيما يجب علي من الحقوق اذ كان عليه السلام انما يعبد الله لله غير ملتفت الى شيء
من عباداته واداء واجب حقه الى احد سواه من خوف منه او رغبة اليه وكما قال لم افعل شيئا الا وهو حق وجب علي واذا كان كذلك لم
استحق ان يثنى علي لاجله بشيء جميل ولما قابل بهذا التعظيم بضرب من باب التواضع لله وتعليم كيفيته وكسر النفس عن محبة الباطل والميل
اليه وقوله فلا تكلموني الى قوله بعدل ارشادهم الى ما ينبغي ان يكونوا عليه من السيرة عنده ونهاهم عن امور فان لا يكلموه بكلام الجبابرة
لما فيه من اغراء النفس ولانه ليس بحسن فيكون ذلك منهم وضعا للشيء في غير موضعه وان لا يتحفظوا منه بما يتحفظ به عند اهل
البادرة وسرعة الغضب من الملوك وغيرهم فذلك التحفظ كتكلف ترك المسارة والحديث الا خوفا منه او كتمان مشاورة او
اعلام ببعض الامور او كالقيام بين يديه فان ذلك التحفظ قد يفوتون به مصالح كثيرة ولانه مما يغري النفس بحب الفخر والتجبر
لانه وضع للشيء في غير موضعه وان لا يخالطوه بالمصانعة والنفاق الحاملة على فساد الدين والدنيا وان لا يظنوا به استثقالا
لحق يقال له وان كان فيه مرارته واستعار لفظ المرارة لشدة الحق وصعوبته فانه عليه السلام يستلزم قبول الحق كيف كان
على ان يظنوا به انه يلتمس الاعظام لنفسه وذلك لما فيه من هو اهله دونه وهو الله تعالى وقوله فانه من استثقل الى قوله اثقل قياس
ضمير من الشكل الثاني بين انه لا يستثقل قول الحق له وعرض العدل عليه بيان لظن من ظن ذلك به والمذكور هو صغراه قياسه
وتلخيصها ان من استثقل قول الحق له وعرض العدل عليه كان العمل بالحق والعدل عليه اثقل وتقدير الكبرى
لا شيء من العمل بهما يثقل علي اما الصغرى فظاهرة لان تكلف نقل الحق اصعب على النفس من سماعه ووصفه واما الكبرى فلانه
يعمل بهما من غير تكلف ولا استثقال كما هو المعلوم من حاله ينتج انه لا شيء من قول الحق له وعرض العدل عليه يثقل ثم انه لا
يكفوا عن قول حق ومشورة بعدل لما في الكف عن ذلك من المفسدة وقوله فاني لست الى قوله مني من قبيل التواضع انما عتبهم على

الأنبياء معه بقول الحق وفي قوله الآن يكفي الله من نفسي اى من نفسى الامارة بالسوء ماهوا قوى منى على دفعه وكفايته من شرها وهو اشارة العصمة الى الله نعم وقوله فانما انا وانتم الى اخره ذلك الانفسنا بعيد عند لتعليل لعظمته وظاهر كونه نعم بها لك من انفسنا دبيوتها دفع الى وهاد الكل منه فهو سيد ابيضه ولا سعد الله فقوله واخرجنا ما كما ميدي من الضلالة في الجاهلية وغير اهل بها عن ادراك الحق وسلوك سبيل الله الى ما صلحنا عليه اى من الهدى سبيل الله والبصيرة لما ينبغى من بيضاء الدار برزت لك بعثة الرسول وظهور نور النبوة عنه **ومن كلام له عليه السلم** اللهم انى استعديك على قريش فانهم قد قطعوا رحمي واكفأوا انائى واجمعوا على منازعتى حقا كنت اولى به من غيرى وقالوا الا ان في الحق ان تأخذه وفي الحق ان تمنعه فاصبر مغموما او مت متأسفا فنظرت فاذا ليس لي رافد ولا ذاب ولا مساعد الا اهل بيتي فضننت بهم عن المنية فاغضيت على القذى وجرعت ريقى على الشجى وصبرت من كظم الغيظ على امر من العلقم وآلم للقلب من حز الشفار وقد مضى هذا الكلام في اثناء خطبة متقدمة الا اني كررته ههنا لاختلاف الروايتين **اقول** استعدى بك استعينك والاسم العدوى وهى الاعانة واكفأت الاناء وكفاته كببته والرافد المعاون والقذى ما يسقط في العين فيؤذيها والشجى ما يعرض في الحلق عند الغم والحزن من الاثر فيكون الانسان كالمغص بلقمة ونحوها والعلقم شجرة مرة والشفار جمع شفرة وهى السكين وغرض الفصل التظلم والتشكي والاستعانة بالله على قريش فيما دفعوه عنه من حق الامامة الذى هو اولى به وكنى عن ذلك بقطع الرحم وكذلك كنى بقلب الاناء عن اهتضامهم وتفريقهم عنه فان ذلك من لوازم قلب الاناء كما ان من لوازم تضييعهم له ونقد بلاه انبائهم واجماعهم عليه وقوله اجمعوا الى قوله غيرى قالت الشيعة الاشارة بالمجمعين الى قريش حين وفاة الرسول ذلك للتعيير الذى كان هو اولى منه هم الخلفاء الثلثة قبله وقال غيرهم بل اشار بالمجمعين اليهم وقت الشورى واتفاقهم بعد الترديد الطويل على عثمان فلا يدخل الشيخان الاولان في هذه الشكاية والقول الثاني ضعيف اذ صرح بمثل هذه الشكاية من الائمة الثلثة قبل في الخطبة الشقشقية كما بيناه وبالجملة فمراده من هذا الكلام وامثاله بعد استقراء اقواله وتتبع احواله لا يخفى على عاقل ويشبه ان يكون صدور هذا الكلام منه حين خروج طلحة والزبير الى البصرة ظلما عليهما فيكون المفهوم من قوله واجمعوا على منازعتى حقا كنت اولى به من غيرى انكار الاجماعهم منازعته ذلك الحق فانه اذا كان اولى به ممن سبق من الائمة جلالة قدرهم وتقدمهم في الاسلام فكيف هؤلاء مع كونهم ادون حالا منهم وهو كقوله فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الاول حتى صرت اقرن الى هذه النظائر وقوله وقالوا الا ان في الحق الى قوله متأسفا حكاية لقولهم بلسان حالهم الا انهم قالوا ذلك فتوله فنظرت الى آخره قد مضى تفسيره الا الامام الحسين من البكتين وغيره وبين طالب الذي المتقدمين على التفاوت في الروايتين ولهذا الفصل **ومن كلام له عليه السلم في ذكر السائرين الى البصرة لحربه عليه السلم** فقدموا على عمالى وخزان بيت مال المسلمين الذي في يدى وعلى اهل مصر كلهم في طاعتى وعلى بيعتى فشتتوا كلمتهم وافسدوا على جماعتهم ووثبوا على شيعتى فقتلوا طائفة منهم غدرا وطائفة عضوا على اسيافهم فضاربوا بها حتى لقوا الله صادقين **اقول** عضوا على اسيافهم اى لزموها واشار بالمصر الى البصرة وبالذين قدموا على عماله الى طلحة والزبير وعائشة واتباعهم فاما حالهم مع عماله وما فعلوا بهم وبخزان بيت المال بالبصرة فقد تقدم ذكره مستوفى وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم لما مر بطلحة وعبد الرحمن بن عتاب بن اسيد وهما قتيلان يوم الجمل** لقد اصبح ابو محمد بهذا المكان غريبا اما والله لقد كنت اكره ان تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب ادركت وترى من بنى عبد مناف وافلتتني اعيان بنى جمح لقد اتلعوا اعناقهم الى امر لم يكونوا اهله فوقصوا دونه **اقول** هو عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد بن ابى العاص بن امية شهد واقعة الجمل وقتل بها ... عقابا كفر فاصيبت باليمامة في ذلك اليوم وعرفت نجابته وكان بدنه يعسوب قريش واغيار جمع غير وهم سادات القوم واتلعوا مدوا اعناقهم وجميع قبيلة والتلعوا مدوا اعناقهم كالمتطلعين الى الامر ووقصوا اكسرت اعناقهم وابو محمد كنية طلحة وفى الفصل اشارات فالاولى ان قتله عليه السلم لمن قتل من اهل القبلة ومن قتل من عسكره لم يكن الا لاقامة الدين ونظام العالم فان قلت ان قتل شئ على كثير فيما حاضر قلت ان قتل ان كان في الذين جرى بالتدبير الى صلاح جمع المسلمين في مصر حرسه بالتدبير الى صلاح بلاد المسلمين وضل ما هو بصورة جزئية من الفساد المصلحة كلية واجب الحكمة فهو كقطع عضو فاسد لاصلاح باقى البدن الثانية قوله تحت بطون الكواكب كناية لطيفة عن الفلوات لذاتى كنت اكره ان يكونوا بهذه الحالة في الفلوات بحيث لا كن ولا ظل يواريهم الثالثة لقائل ان يقول كيف قال عليه السلم ادركت وترى من بنى عبد مناف والوتر الحقد وهو رذيلة فكيف يجوز منه ان ينسبه على نفسه ويقول قد ادركته والجواب ان الحقد يعود حقيقته وبقاء صورة الموذى في الخيال ومحبة ان ذلك للغضب فيه ولا يكون ان التنزيه لا يكون رذيلة ولا يكون الحق به ونصرته مكروها ... ان طلحة والزبير كانا من بنى عبد مناف من قبل الام فان ام الاب والد الزبير من بنى عبد العزى بن قصى بن كلاب واما طلحة فمن بنى سعد بن تيم بن مرة وكان في زمن امير المؤمنين من بنى جمح عبد الله بن صفوان بن امية بن خلف وعبد الرحمن

بيت

سهم

جح

ج ٢

بن صفوان وكان مروان بن الحكم منهم اخذ اسيرا يوم الجمل واستشفع بالحسين الى ابيه عليهم السلم وكان من اعيان بنى جمح وهم لسان ابيه والخامسة انلاع رقابهم استعارة كنى بها عن تطاولهم لامر الخلافة مع كونهم ليسوا اهلا لها ووقصهم كناية عن قتلهم دون نيل ذلك الامر وقصورهم عنه **ومن كلام له عليه السلم** قد احيا عقله وامات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق فابان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته الابواب الى باب السلامة ودار الاقامة وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الامن والراحة بما استعمل قلبه وارضى ربه **اقول** هذا الفصل من اجل كلام له في وصف السالك المحقق الى الله وفي كيفية سلوك المحقق وافضل اموره فاشار باحياء عقله الى صرف همته في تحصيل الكمالات العقلية من العلوم والاخلاق واحياء عقله النظرى والعملى بهما بعد الرياضة بالزهد والعبادة واشار باماتة نفسه الى قهر نفسه الامارة بالسوء وتطويعها بالعبادة للنفس المطمئنة لا يكون لها تصرف على حد طباعها الا باشارة العقل وباعثه فكانت في حكم الميت عن الشهوات والميول الطبيعية الذى لا تصرف له من نفسه وقوله حتى دق جليله اى حتى انهت به اماتته لنفسه الشهوية الى ان دق جليله وكنى بجليله عن بدنه فانه اعظم ما يرى منه ولطف غليظه اشارة الى لطف بدنه ايضا ويحتمل ان يشير به الى لطف قواه النفسانية بتلك الرياضة وكسر الشهوة فان اعطاء القوة الشهوية مقتضى طباعها من الانهماك في الماكل والمشارب مما يثقل البدن ويكدر الحواس ولذلك قيل البطنة تذهب الفطنة وتورث القسوة والغلظة فاذا قصرت على حد العقل بها لطفت الحواس عن تلك الابخرة المتولدة عن التملى بالطعام والشراب ولطف للطف ذلك ما غلظ من جوهر النفس بالهيئات البدنية المكتسبة من متابعة النفس الامارة بالسوء كلف المرآة بالصقال حتى يصير ذلك اللطف مستتبعا لانقطاعها بعالمها واستشرافها لانوار من الملاء الاعلى وقوله ولمع له لامع كثير البرق قد اشار باللامع الى ما يعرض للسالك عند بلوغ الارادة بالرياضة به حدا ما من الخلسات الى الجناب الاعلى فيظهر له انوار الهية لذيذة شبيهة بالبرق في سرعة لمعانه واختفائه وتلك اللوامع متسمة عند الامعان في الرياضة ويحتمل ان يكون قد استعار لفظ اللامع للعقل الفعال ولمعانه ظهوره تكلا للعقل الانسانى وكثرة برقه اشارة الى كثرة فيضان تلك الانوار الشبيهة بالبرق عنه عند الامعان في الرياضة وقوله فابان له الطريق قد يظهر له بسبب تلك ان الطريق الحق الى الله هى ما هو عليه من الرياضة وسلك به السبيل اى كان سببا لسلوكه في سبيل الله وقوله وتدافعته الابواب اى ابواب الرياضة وهى ابواب الجنة اعنى تطويع النفس الامارة والزهد الحقيقى والاسباب الموصلة اليهما كالعبادات وترك الدنيا فان كل تلك ابواب يعبرها السالك حتى ينتهى الى باب السلامة وهو الباب الذى اذا دخله السالك يتفق فيه السلامة من الانحراف عن سلوك سبيل الله ثم ان تلك هى الطريق وتلك الباب هو الوقت الذى اشار اليه وهو اول منزل من منازل الجنة العقلية وقوله وثبتت رجلاه الى قوله والراحة فى قرار الامن متعلق بثبت وهو اشارة الى الطور الثاني للسالك ما دام في مرتبة الوقت فانه يعرض لبدنه عند لمعان تلك البرق في شرة اضطراب فلقد يحس بها خلسة لان النفس اذا فاجاها امر عظيم اضطربت وتقلقلت فاذا كثرت تلك اللوامع الفتها بحيث لا تنزع عنها ولا تضطرب لورودها عليها البدن بل تسكن وتطمئن لثبوت قدم عقله في درجة اعلى من درجات الجنة التى هى قرار الامن والراحة من عذاب الله وقوله بما استعمل الى اخره فالجار والمجرور متعلق بثبت ايضا اى وثبتت رجلاه بسبب استعمال قلبه في طاعة الله وارضائه ربه بتلك الاستعمال وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم قاله بعد تلاوته الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر** يا له مراما ما ابعده وزورا ما اغفله وخطرا ما افظعه لقد استخلوا منهم اى مدكر وتناوشوهم من مكان بعيد افبمصارع آبائهم يفخرون ام بعديد الهلكى يتكاثرون يرتجعون منهم اجسادا خوت وحركات سكنت ولان يكونوا عبرا احق من ان يكونوا مفتخرا ولان يهبطوا بهم جناب ذلة احجى من ان يقوموا بهم مقام عزة لقد نظروا اليهم بابصار العشوة وضربوا منهم في غمرة جهالة ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الديار الخاوية والربوع الخالية لقالت ذهبوا في الارض ضلالا وذهبتم في اعقابهم جهالا تطؤون في هامهم وتستنبتون في اجسادهم وترتعون فيما لفظوا وتسكنون فيما خربوا وانما الايام بينكم وبينهم بواك ونوائح عليكم اولئكم سلف غايتكم وفراط مناهلكم الذين كانت لهم مقاوم العز وحلبات الفخر ملوكا وسوقا سلكوا في بطون البرزخ سبيلا سلطت الارض عليهم فيه فاكلت من لحومهم وشربت من دمائهم فاصبحوا في فجوات قبورهم جمادا لا ينمون وضمارا لا يوجدون لا يفزعهم ورود الاهوال ولا يحزنهم تنكر الاحوال ولا يحفلون بالرواجف ولا ياذنون للقواصف غيبا لا ينتظرون وشهودا لا يحضرون وانما كانوا جميعا فتشتتوا وآلافا فافترقوا وما عن طول عهدهم ولا بعد محلهم عميت اخبارهم وصمت ديارهم ولكنهم سقوا كأسا بدلتهم بالنطق خرسا وبالسمع صمما وبالحركات سكونا فكانهم في ارتجال الصفة صرعى سبات جيران لا يتأنسون واحباء لا يتزاورون بليت بينهم عرى التعارف وانقطعت منهم اسباب الاخاء فكلهم وحيد وهم جميع وبجانب الهجر وهم اخلاء

بحيث

الابصار الى العشوة لتشبها البها اى نظروا اليها بابصار فلو غطى عليها الجهل باحوالهم فما رأوا تلك الاحوال لجهالة غامرة لهم وقوله ولو
استنطقوا الى قوله لقالت اى لو طلب منها النطق لقالت بلسان حالها كذا وكذا الى قوله وتسكنون فيما خربوا ويحتمل ان يكون تمام
الفصل كله مقولا بلسان حال تلك الديار والضلال النصب فى قوله ضلالا على الحال اى ذهبوا فى الارض هالكين وذهبتم بعدهم
جاهلين باحوالهم تطؤن رؤسهم وتستنبتون الاشجار فى اجسادهم وتلك فى المواضع التى بليت فيها الاجساد واستعار لفظ البواكى
والنوائح لايام الحيوة ملاحظة لتشبيهها فى مفارقتهم لها بالامهات التى فارقها اولادها بالموت وقوله اولئك سلف غايتكم وفراط
مناهلكم اى السابقون لكم الى غايتكم وهى الموت وما بعده والى مناهلكم وهى تلك الموارد ايضا ومقاوم جمع مقام لان القدر
وملوكا سوقة نصب على الحال وبطون البرزخ ما غاب وبطن منه عن علومنا ومشاهداتنا والسبيل هى مسلك لقد بهم الى غاياتهم
الاخروية من سعادة او شقاوة ونسبة الاكل والشرب الى الارض مجاز يقارب الحقيقة فى كثرة الاستعمال وانما سلب عنهم الشعور
الفزع من ورود اهوال الارض عليهم والحزن من تغير الاحوال بهم والحفل بزلازل الارض وسماع الرياح القاصفة والانتظار لكون ذلك
من توابع الحيوة وصفاتها فان قلت فهذا ينافى ما نقل من عذاب القبر فانه يستلزم الفزع والحزن قلت انما سلب عنهم الفزع والحزن من
احوال الدنيا المشاهدة لنا وكذلك الحفل باهوالها وسماعها وعذاب القبر ليس من ذلك القبيل بل من احوال الاخرة واهوالها ولا يلزم
من سلب الفزع الخاص سلب العام ونبه على ان غيبتهم وشهودهم ليس كغيبة اهل الدنيا وشهودهم اذ كان الغائب فى الدنيا من شانه
ان ينتظر والشاهد فيها حاضر فهم شاهدون بابدانهم مع صدق الغيبة عليهم غائبون بانفسهم ولما امتنع ذلك الحكم لاجرم صدق
انهم غيب لا ينتظرون وشهود لا يحضرون وقوله وما عن طول عهدهم الى قوله سكوتا اى عدم علمنا باخبارهم وصمم ديارهم عند
ندائنا ليس لاجل طول عهد بيننا وبينهم ولا بعد محلهم ومستقرهم فان الميت حال موته وهو بعد مطروح الجسد مشاهد لنا
يبكى علينا الجنازة ولا يسمع نداء ناديه ولكن ذلك لاجل انهم سقوا كاس المنية فبدلتهم بالنطق خرسا وبالسمع صمما وبا
بالصرع عن النوم وبحر الشبه عدم الحركات والسماع والنطق مع الهيئة المشاهدة من المستغرق فى نومه ثم نبه على انهم فى احوالهم الاخروية
تجاورهم مع وحدتهم وتقاربهم ليس كتلك الاحوال فى الدنيا اذ من شان الجيران فيها ان يانس بعضهم ببعض والاحباب ان يتزاوروا
والوحدة ان لا يكون فى جماعة واشار بالجوار الى تقارب ابدانهم فى القبور وبالحاجة الى ما كانوا عليه من التحاب فى الدنيا وهجرهم
الى عدم تزاورهم وكذلك تحليهم الى ما كانوا عليه من المودة فى الدنيا وكونهم لا يتعارفون لليل صباحا ولا لنهار مساء لكون الليل
والنهار من لواحق الحركات الدنيوية الغائبة عنهم فتساوى الليل والنهار بالنسبة اليهم وكذلك قوله اى الجديدين الى قوله سرمدا
والجديدان الليل والنهار لتجدد كل منهما ابدا واستعار وصف الظعن لانتقالهم الى الدار الاخرة وكون ذلك الجديد الذى ظعنوا فيه
سرمدا عليهم ليس حقيقة لعدم عوده بعينه بل سماه السرمدية البتة لكونه جزءا من الزمان الذى يلزمه السرمدية لنا ان حقيقة وقوله
شاهدوا الى قوله عاينوا اشارة الى صعوبة اهوال الاخرة وعظم احوالها بالنسبة الى ما يخاف منها فى الدنيا وذلك لامر فى اخبار
الشريعة الحقة وتاكد باستقراء اللذات والالام العقلية وتنبيها الى الحكمة ثم ان الخوف والرجاء لامور الاخرة انما يبعثان بسبب
وصف تلك الامور وانما يعقل من تلك الاوصاف ما كان فيه مناسبة وتشبيه بالامور المخوفة والمرجوة فى الدنيا فنحن نتصور تلك
على قياس هذه فذلك سبب سهولها علينا وضعف خوفنا منها ورجائنا لها حتى لو شاهدنا اخطار تلك الدار لشاهدنا اشد
مما نخافه الان ونتصوره ونقدره باوهامنا فلاجرم لما وصل السابقون شاهدوا افظع مما خافوا ولو امكنهم النطق لعيوا بصفة ما شاهدوا
منها وعجزوا عن شرحها وقوله وكلتا الغايتين اى غاية المؤمنين والكافرين من سعادة وشقاوة مدت اى مدلهم اجل يمهلون فيه الى غاية
يرجع وهو الجنة او النار وذلك المرجع يفوت مبالغ خوفنا ورجائنا اى هو اعظم مما نخافه ونرجوه واسند المد الى الغاية مجازا وقوله
ولئن عميت الى قوله النطق من افصح الكلام وابلغه وابصار العبر ابصار البصائر التى يعتبر بها واذان العقول مجاز فى علمها باحوالهم التى من
شانها ان تسمع اطلاقا لاسم السبب على المسبب وقوله وتكلموا من غير جهات النطق اى من غير افواه والسنة لحاسة ولكن بالسنة احوالهم
وقوله فقالوا الى قوله متسعا اشارة الى ما نطقت به السنة احوالهم وتحكيه منها فى القبور وروى عوض خلقت خوت واستعار لفظ
الاهدام للمتغير المتفتت والتمزيق العارض لجسم الميت لمشابهتها العظم البالي ويحتمل ان يريد بها الاكفان والمضجع القبر وتوارثنا
الوحشة القبر واستعار لفظ التوارث لكون تلك الوحشة كانت لابائهم قبلهم فحصلت لهم بعدهم والربوع الصموت ايضا القبور وكذا
مساكن الوحشة ومعارف صورهم ما كان يعرف منها فى الدنيا وقوله فلو مثلتهم بعقلك اى تخيلت صورهم واستحضرتها فى خيالك
وكشف عنهم محجوب الغطاء لك اى ما حجب باغطية التراب والتوابيت لاجسادهم عن بصرك والواو فى قوله وقد ارتسخت للحال وايقاظ قلوبهم
استعارة لحيوتها وحركاتها واسناد العيث الى جديد البلى مجاز ومستسلمات حال للجوارح العامل عاث وسهل واللام فى قوله لرأيت جواب

اى وحشة لد

لا يتعارفون لليل صباحا ولا لنهار مساء اى الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمدا شاهدوا من اخطار دارهم افظع مما خافوا
ورأوا من آياتها اعظم مما قدروا فكلتا الغايتين مدت لهم الى مباءة فاتت مبالغ الخوف والرجاء فلو كانوا ينطقون بها لعيوا
بصفة ما شاهدوا وما عاينوا ولئن عميت آثارهم وانقطعت اخبارهم لقد رجعت فيهم ابصار العبر وسمعت عنهم آذان العقول
وتكلموا من غير جهات النطق فقالوا كلحت الوجوه النواضر وخوت الاجسام النواعم ولبسنا اهدام البلى وتكاءدنا ضيق المضجع و
توارثنا الوحشة وتهكمت علينا الربوع الصموت فانمحت محاسن اجسادنا وتنكرت معارف صورنا وطالت فى مساكن الوحشة
اقامتنا ولم نجد من كرب فرجا ومن ضيق متسعا فلو مثلتهم بعقلك او كشف عنهم محجوب الغطاء لك وقد ارتسخت اسماعهم بالهوام
فاستكت واكتحلت ابصارهم بالتراب فخسفت وتقطعت الالسنة فى افواههم بعد ذلاقتها وهمدت القلوب فى صدورهم بعد يقظتها
وعاث فى كل جارحة منهم جديد بلى سمجها وسهل طرق الآفة اليها مستسلمات فلا ايد تدفع ولا قلوب تجزع لرأيت اشجان قلوب
واقذاء عيون لهم فى كل فظاعة صفة حال لا تنتقل وغمرة لا تنجلى وكم اكلت الارض من عزيز جسد وانيق لون كان فى الدنيا
غذى ترف وربيب شرف يتعلل بالسرور فى ساعة حزنه ويفزع الى السلوة ان مصيبة نزلت به ضنا بغضارة عيشه وشحاحة بلهوه
ولعبه فبينا هو يضحك الى الدنيا وتضحك اليه فى ظل عيش غفول اذ وطئ الدهر به حسكه ونقضت الايام قواه ونظرت اليه الحتوف
من كثب فخالطه بث لا يعرفه ونجى هم ما كان يجده وتولدت فيه فترات علل آنس ما كان بصحته ففزع الى ما كان عوده الاطباء
من تسكين الحار بالقار وتحريك البارد بالحار فلم يطفئ ببارد الا ثور حرارة ولا حرك بحار الا هيج برودة
ولا اعتدل بممازج لتلك الطبائع الا امد منها كل ذات داء حتى فتر معلله وذهل ممرضه وتعايا اهله بصفة دائه و
خرسوا عن جواب السائلين عنه وتنازعوا دونه شجى خبر يكتمونه فقائل هو لما به وممن لهم اياب عافيته ومصبر لهم على فقده
يذكرهم اسى الماضين من قبله فبينا هو كذلك على جناح من فراق الدنيا وترك الاحبة اذ عرض له عارض من غصصه فتحيرت
نوافذ فطنته ويبست رطوبة لسانه فكم من مهم من جوابه عرفه فعى عن رده ودعاء مؤلم بقلبه سمعه فتصام عنه من كبير كان يعظمه
او صغير كان يرحمه وان للموت لغمرات هى افظع من ان تستغرق بصفة او تعتدل على عقول اهل الدنيا اقول الزور الطلق
والزور الزائرون والخطر الاشراف على الهلاك والقطيع اشد التكاثر المدة فى شدته واستخلوا اى اتخذوه واخليته الذكر ونهم
شانهم ويقال استخلوا اى وجدوه خاليا والتناوش التناول والحجى والحجا العقل والعشوة ركوب الامر على جهل بسبيله
ولفظوا رموا وتركوا والفارط السابق الى الماء والمورد وحلبات جمع حلبة وهى الخيل المجتمعة للسباق والبرزخ ما بين الدنيا والاخرة
من وقت الموت الى البعث والفجوات جمع فجوة وهى المتسع من الارض والصماء الصاهب كالدلاء يلحقون بناديهم
رياد نون ويمعون النخال الصفرة والقبة ولما الموت واصلة الراحة واقطع اشد والمباءة الموضع والآيات التى يرجع عن
اى عجز عنه والكلوح تكشر فى عبوس والاهدام جمع هدم وهو الثوب البالى وتكاءدنا شق علينا وصعب وتهكمت تهدمت وارتسخت ثبتت
فى قرارها الهوام واستكت انسدت والذلاقة الحدة وسهولة الكلام به وهمدت سكنت وبليت وعاث افسد وسمجها قبحها والاشجان
الاحزان والانيق المعجب للناظر وغضارة العيش طيبه والحسك الشوك والبث الحال الشديد من حزن والقار والقر الماء البارد فى فصل نوائبه
فالكلام فى قوله يا له الجر المتعجب كقولهم يا لله ويا للماء والجار والمجرور فى محل النصب لانه المنادى ومرامها وزورا وخطرا
منصوبات على التمييز المتعجب منه بعد ذلك المرام وهو التكاثر فانه الغاية المطلوبة لا بد ركها الانسان لان كل غاية يبلغها فوقها
غاية اخرى قد لا يدركها عجزه فيقصد يطلع اليها وذلك التعجب من شدة غفلة الزوار اى الزائرين للمقابر ولان الكلام خرج بسبب الايه وطال غفلة
الانسان عما يرد اليه وبعد تم ذلك لزيادة عليه غفلة عظيمة وهى محل التعجب فظاعة الخطر والاشراف على شدائد الاخرة فان كل خطر
وينا ويستحقر فى جنبه والضمير فى قوله استخلوا الاحياء وفيهم تلاميذ وعنى بالذكر ما حفظوه من الاثار التى هى محل العزة وقوله اى يذكر
استفهاما على سبيل التعجب من ذلك الذكر فى احسن اذ ليس للعبرة ولا الاعتبار تناوشوهم من مكان بعيدا اى تركهم ما ينتفعون به وهو ذكر
من جهة الاغنياء بدونهم من جهة بعيدة والذى تناولوه هو افتخار كل منهم بمايه ومكاثرته بالماضين من قومه الذين هم بعد الموت
ابعد الناس عنه والذين كلامهم ابعد الكمالات عنه وكنى بالمكان البعيد عن تلك الا غنياء فان الامور كلما انهم فى بعد اى امتيازا
عن الاحياء والامثال ولذلك استفهم عن ذلك استفهام انكار وتوبيخ فقال افبمصارع ابائهم يفخرون الى قوله سكنت وتلك الاحتجاج بالمفا
بهم ومكاثرتهم يذكرهم لهم فى الفخر فلا رجعوهم يعد ونهم ويحتمل ان يكون ذلك مستفهما عنه ايضا على سبيل الانكار وان لم يكن حرف
الاستفهام والتقدير ايفخرون منهم فيجرهم لهم اجساد خوت وقوله ولان يكونوا عبرا احق ان يكونوا مفخرا مؤكد لتوبيخهم على ترك العبرة بهم
بالذكر الذى هو وجه النفع واخذهم بالوجه التعبيد وهو الافتخار وكشف لغيا وكذلك قوله لان يهبطوا بهم جناب ذلة اى بالاعتبار بمصارعهم
فانه يستلزم الخشوع لعزة الله والخشية منه وذلك اولى بالعقل والتدبير من ان يقوموا بهم مقام عزة بالمفاخرة والمكاثرة واضاف

عيشه

هو الدنيا غفول

بالقار

قلوب

وكذلك التعجب

لهم

لو واحسن بقوله لهم في كل لحظة صفة حال لا تنتقل وعبرة لا تنجلي وصفا اجماليا فانه لا مزيد عليه في البلاغة اللذيذة وارادوا بالعبرة من لفظاته ما يغمرهم من الشدايد والغصص فيقيل بمعنى مفعول اي مغذي بالترف وقوله ويفزع الى السلوة اي عن المصيبة لتنازله الى المسرات والمتنزهات وضحكه الى الدنيا كناية عن ابتهاجه بها وبما فيها من القينات وغاية اقباله عليها لان غاية المبتهج بالشي ان يضحك له وكذلك ضحك الدنيا مجاز في اقبالها عليه اطلاقا لاسم السبب على مسببه واصل بينا بين دالالف عن ابا الفخر والمعيش والغفول الذي يكثر الغفلة فيه لطيبه واستعار لفظ الحسك للالام والامراض ومصايب الدهر ووجه المشابهة استلزامها للاذى كاستلزام الحسك له ورشح بذكر الوطي واستعار وصف الحظ لاقبال الحتوف اليه لاستعداد الهافت في ذلك الواصل للمنية الصوايب نظرة لتفقيد والمنايا النجي من الهم الحال التي لا يجد بها الانسان عنده الموت من الوسواس والخيالات والهموم والاحزان التي لم تكن تعرض له وقوله بجشمه فترات علل انس ما كان لصحته وانتصاب الزمن على الحال وما يعنيه الزمان وكان تناثره بصحته متعلق ببارد لا ثور حرارة الى قوله نداء اشارة الى لوازم العلاج عند سقوط العلة من المرض الحارة والتي المقاوم لها وليس العلاج بالبارد هو المثور للحرارة ولا بالعكس لان الدواء معين للطبيعة على مقاومة المرض فلا يكون شورا له لكن مع ذلك العلاج وذلك لاغالبية الحرارة والبرودة ويظهر بسببها اي الدواء وكذلك قوله ولا اعتدل بممازج تلك الطبايع الا امد منها كل ذات داء اي ولا اعتدل المريض في علاج نفسه بما يمازج تلك الطبايع من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة الا كان مادة وكذا منها وليس مادة على الحقيقة لما كان يغلب معه المرض على القوة فكانه مادة له فنسب اليه وهي عرفية يقال كثيرا والكلام فيها على المتعارف وقوله حتى فتر معلله غاية تلك اللوازم ومعلله طبيبه وممرضه وخرس اهله عن جواب السائل الى سكونهم عند السؤال من حاله وذلك انهم لا يخبرون عن عافية لعدمها ويكرهون نعيه لهم الاخبار بما هو عليه من الحال لشدتها عليهم فيكون شانهم في ذلك السكوت عن حاله المشبه بالخرس وقوله فقائل هو لما به وقوله وسارعوا الى قوله من قبله اشارة الى ما يحاوره اهل المريض المشرف على الموت من احواله وصورة ما العادة جارية ان يقولوه وقوله فبينا كان صفة حال الاخذ في الموت المعنا للناس وقوله وان للموت لغمرات وكونها افظع من ان يحيط بها وصف الانسان ولتنبيهم بها على الانسان كما يجيء عليه السلام ويعلم ذلك على سبيل الجملة وبالحدس والقياس الى الامراض الصعبة التي يمارسها الناس ويشتد عليهم عليهم فيعرف عنده مقاساتها ومعاناة شدايدها وكان صلى الله عليه واله يقول في سكرات موته اللهم اعني على سكرات الموت وما ينبغي عليه والرسول صلى الله عليه وآله اضافه بالعامل الا على تلك الشدة وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ان الله سبحانه جعل الذكر جلاء للقلوب تسمع به بعد الوقرة وتبصر به بعد العشوة وتنقاد به بعد المعاندة وما برح لله عزت الاؤه في البرهة بعد البرهة وفي ازمان الفترات عباد ناجاهم في فكرهم وكلمهم في ذات عقولهم فاستصبحوا بنور يقظة في الابصار والاسماع والافئدة يذكرون بايام الله ويخوفون مقامه بمنزلة الادلة في الفلوات من اخذ القصد حمدوا اليه طريقه وبشروه بالنجاة ومن اخذ يمينا وشمالا ذموا اليه الطريق وحذروه من الهلكة وكانوا كذلك مصابيح تلك الظلمات وادلة تلك الشبهات وان للذكر لاهلا اخذوه من الدنيا بدلا فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه يقطعون به ايام الحياة ويهتفون بالزواجر عن محارم الله في اسماع الغافلين ويامرون بالقسط ويأتمرون به وينهون عن المنكر ويتناهون عنه فكانما قطعوا الدنيا الى الاخرة وهم فيها فشاهدوا ما وراء ذلك فكانما اطلعوا غيوب اهل البرزخ في طول الاقامة فيه وحققت القيامة عليهم عداتها فكشفوا غطاء ذلك لاهل الدنيا حتى كانهم يرون ما لا يرى الناس ويسمعون ما لا يسمعون فلو مثلتهم لعقلك في مقاومهم المحمودة ومجالسهم المشهودة وقد نشروا دواوين اعمالهم وفرغوا لمحاسبة انفسهم على كل صغيرة وكبيرة امروا بها فقصروا عنها او نهوا عنها ففرطوا فيها وحملوا ثقل اوزارهم ظهورهم فضعفوا عن الاستقلال بها فنشجوا نشيجا وتجاوبوا نحيبا يعجون الى ربهم من مقام ندم واعتراف لرايت اعلام هدى ومصابيح دجى قد حفت بهم الملائكة وتنزلت عليهم السكينة وفتحت لهم ابواب السماء واعدت لهم مقاعد الكرامات في مقام اطلع الله عليهم فيه فرضي سعيهم وحمد مقامهم يتنسمون بدعائه روح التجاوز رهائن فاقة الى فضله واسارى ذلة لعظمته جرح طول الاسى قلوبهم وطول البكاء عيونهم لكل باب رغبة الى الله منهم يد قارعة يسالون من لا تضيق لديه المنادح ولا يخيب عليه الراغبون فحاسب نفسك لنفسك فان غيرها من الانفس لها حسيب غيرك اقول الوقرة الثقل من الوقر وهو الصمم والعشوة الغفلة من العشا وهو ظلمة العين بالليل دون النهار والبرهة المدة الطويلة من الزمان ويهتفون يصيحون والبرزخ ما بعد الموت من مكان وزمان والنشيج الصوت في ترديد النفس عند البكاء والمنادح جمع مندح وهو المتسع تقول ان الله

سبحانه الى قوله بعد المعاندة انما يتضح بالاشارة الى الذكر وفضيلته وفائدته فالذكر هو القران الكريم لقوله تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه ونحوه وقيل هو الاشارة الى تحميده تعالى وتسبيحه وتكبيره وتهليله والثناء عليه ونحو ذلك واما فضيلته فمن القران وقوله ما عمل ابن ادم من عمل انجاله من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا ان تضرب بسيفك في سبيل الله حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثلثا وقوله من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر من ذكر الله ونحو ذلك فاما فائدته فاعلم ان المؤثر من الذكر والنافع منه ما كان على الدوام او في اكثر الاوقات مع حضور القلب بدونهما فهو قليل الجدوى وبذلك الاعتبار هو المقدم على ساير العبادات بل هو روح العبادات العملية وغايتها ثمرتها ولذلك يوجب الانس بالله واخر يوجبه الانس بالله وذلك ان المريد في مبدا امره قد يكون متكلفا لذكر الله بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس فان وفق للمداومة ثم انس به وانغرس في قلبه حب المذكور ومما ينبه على ذلك ان احدنا يمدح بين يديه شخص بذكر حميد الخصال فيحبه ويعشقه بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق بكثرة الذكر اضطر الى كثرة الذكر اخرا بحيث لا يصبر عنه فان من احب شيئا اكثر من ذكره ومن اكثر من ذكر شي وان كان متكلفا احبه وقد شاهدنا ذلك كثيرا كما ان اول ذكر الله متكلف الى ان يثمر الانس به والحب ثم يمتنع الصبر عنه اخر فيصير الثمرة مثمرا ولذلك قال بعضهم كابدت القران عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم الا من الانس والحب ولا يحصل الانس الا من المداومة على المكابدة حتى يصير التكلف طبعا ثم اذا حصل الانس بالله انقطع عن غير الله وما سوى الله هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر اهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى الا المحبوب المذكور فيتمتع به ويتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه من اسباب الدنيا ومحبوباتها اذا عرفت ذلك فقوله جعله جلاء اشارة الى فائدته وهي استعداد النفوس بها لما فيه على الوجه الذي ذكرناه لمحبة المذكور والاعراض عما سواه واستعار لفظ الجلاء لازالته كل ما سوى المذكور عن لوح القلب بالذكر كما يزيل المراة بالصقال ويجوز بلفظ التسمع في افهامها لما ينبغي ان يسمع من اوامر الله ونواهيه وساير كلامه والوقرة لاعراضها عنها وكذلك بلفظ البصر في ادراكها الحقايق وما ينبغي لها ولفظ العشوة لعدم ذلك الادراك اطلاقا في المجازات لاسم السبب على المسبب وانقيادها للحق وسلوك طريقه بعد المعاندة فيه والانحراف عنه وقوله وما برح الى قوله عقولهم اشارة الى انه لم يخل المدد وازمان الفترات من عباد لله واوليائه الهمهم معرفته وافاض على افكارهم وعقولهم صور الحق وكيفية الهداية اليه مكاشفة وذلك الافاضة والالهام هو المراد بالمناجاة والتكلم منه وقوله فاستصبحوا الى قوله والافئدة اي استضاؤوا بمصباح نور اليقظة واليقظة في الافئدة فطانتها واستعدادها الكامل لما ينبغي لها من الكمالات العقلية ونور تلك اليقظة هو ما يفاض عليها بسبب استعدادها بتلك الفطانة ويقظة الابصار والاسماع تيقظها لاقتباس الاثار النافعة المحصلة منها عبرة وكمالا نفسانيا وسماع النافع من الكلام وانوار اليقظة فيها ما يحصل بسبب تلك الابصار والسماع من انوار الكمالات النفسانية ثم شرع في وصف حالهم في هديهم لسبيل الله بايام وهي كناية عن شدايده النازلة بالماضين من الامم واصله انها يقع في الايام ويحتمل ان يكون مجاز الاسم المحل على الحال ومقام الله كناية عن عظمته وجلالته المستلزمة للهيبة والخوف وشبههم بالادلة في الفلوات ووجه الشبه كونهم هادين لسبيل الله كما تهدي الادلة وكانت الادلة تحمد من اخذ القصد في الطريق طريقه وعنيت بالنجاة ومن الخروج عنها يمينا وشمالا ذموا اليه طريقه وحذروه من الهلكة كذلك الهداة الى الله من سلك سبيل الله العدل اليه وقصد فيها حمدوا اليه طريقه وبشروه بالنجاة من الهلاك ومن انحرف عنها يمينا وشمالا اي سلك حد طرفي الافراط والتفريط ذموا اليه مسلكه وحذروه من الهلاك الابدي وقوله فكانوا كذلك كما وصفناهم واستعار لفظ المصابيح باعتبار اضاءتهم بكمالاتهم بطريق الله ولفظ الادلة باعتبار هدايتهم الى الحق وتمييزه عن شبهات الباطل وقوله وان للذكر لاهلا الى قوله في ايام الحياة فاهله هم من ذكرنا انهم اشتغلوا به حتى احبوا المذكور ونبذوا ما عداه من المحبوبات الدنيوية وان حب محبته المذكور ذكره وملازمتهم حتى اتخذوه بدلا من متاع الدنيا وطيباتها ولم تشغلهم عنه تجارة ولا بيع وقطعوا به ايام حياتهم الدنيا وقوله ويهتفون الى قوله ويتناهون عنه اشارة الى وجوه طاعتهم لله وارشادهم له وهي من ثمرات الذكر ومحبة المذكور لان من احب محبوبا سلك مسلكه ولم يخالف وسنه فكان له في ذلك الابتهاج واللذة وقوله فكانما قطعوا الى قوله على انها تشبيه لهم في تعقلهم بالله وبما جاءت به كتبه ورسله وتحققهم لاحوال القيامة ووعدها ووعيدها بعين اليقين عن قطع الدنيا من احوال اهل البرزخ وطول اقامتهم فيه فكشفوا غطاء تلك الاحوال لاهل الدنيا بالعبادات الواضحة والتشابهات اللايحة حتى كانهم في وصفهم لها عن مشاهدة مناسبة لهم وصفا لجواهر نفوسهم بالرياضة التامة يرون بابصارهم ما لا يرى ويسمعون باذانهم ما لا يسمع الناس اذ يخبرون عن مشاهدات ومسموعات لا يدركها الناس ولما كان السبب في قصور النفوس عن ادراك احوال الاخرة هو تعلقها بهذه الابدان واشتغالها بتدبيرها والانغماس في الهيئات الدنيوية المكتسبة عنها وكان هؤلاء الموصوفون قد ما غسلوا درن تلك الهيئات عن الواح انفوسهم بمداومة ذكر الله وملازمة الرياضة التامة حتى صارت نفوسهم كمراي مجلوة محاذي بها شطر الحقايق الالهية فتجلت ما نقشت بها لا جرم شاهدوا بعين اليقين سبيل النجاة وسبيل الهلاك وما بينهما فسلكوا على بصيرة وهدوا الناس على يقين وخبرة

عن أمور شاهدوها بأعين بصائرهم وسمعوا بآذان عقولهم فكأنهم في وضوح ذلك لهم وظهوره وإخبارهم عنه قد شاهدوا ما شاهده الناس بحواسهم فشاهدوا ما لا يشاهده الناس وسمعوا ما لم يسمعوه وقوله فلو مثلتهم بعقلك في مقاومهم المحمودة ومجالسهم المشهودة وهي مقامات العبادة ومجالسها ودواوين أعمالهم بأفكارها وتخيلاتها لصورتك الأعمال وصحفها المشتملة عليها الأوراق والواو في قوله وقد فرغوا للمحاسبة أنفسهم على كل صغيرة وكبيرة ليستدعي بيان معنى المحاسبة وإما كان معناها المستكمل محاسبة التجارة جملة التجار فينبغي أن يكون للعبد في آخر كل ساعة ... يكون المنظر معه رأس المال في الربح والخسران ليتبين له الزيادة والنقصان وإن كان من فضل حاصل استوفاه وإن كان من خسران طالبه ليتدارك في المستقبل فكذلك العبد معامل نفسه بالسوء ورأس ماله الفرائض وربحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار فينبغي أن يكون للعبد في آخره ساعة يطالب فيها نفسه ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها فإن كان قد أدى الفرائض على وجهها شكر الله عليه ورغبه في مثلها وإن فوتها من أصلها طالبها بالقضاء وإن أداها ناقصة كلفها بالجبران بالنوافل وإن ارتكب معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط فيها كما يصنع التاجر بشريكه وكما أنه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان كذلك ينبغي أن يتقي غبن النفس ومكرها فإنها خداعة مكارة فليطالبها أولا بتصحيح الجواب عما تكلم به طول نهاره وليتول من حسابها بنفسه ما سيتولاه غيره في محفل القيامة وكذلك عن نظره وخواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته لم سكت وعن سكونه لم سكن فإذا عرف أنها أدت الحق في الجميع كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر بها الباقي ويقرره عليها ويكتبه على صحيفة قلبه ثم إن النفس غريم يمكن أن يستوفي منه الديون أما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينها وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك إلا بعد تحقيق الحساب وتمييز باقي الحق الواجب عليه ثم يشتغل بعده بالمطالبة وينبغي أن يحاسب الإنسان النفس على جميع العمر يوما بيوم وساعة بساعة في جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقة وكان يحاسب النفسه فحسب يوما فإذا هو ستين سنة فحسب أيامها فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال يا ويلتا ألقى الملك بأحد وعشرين ألف ذنب ثم خر مغشيا عليه فإذا هو ميت فسمعوا قائلا يقول يا لك ركضة إلى الفردوس الأعلى فهكذا ينبغي أن يكون المحاسبة ولو رمى العبد بكل معصية حصاة في داره لامتلأت داره في مدة يسيرة ولكنه يتساهل في حفظها والملكان يحفظان عليه كما قال تعالى أحصاه الله ونسوه وإذا عرفت ذلك فقوله فمزقوا ... منه عن عزمه ... إشارة إلى حال وجلهم عند محاسبة أنفسهم لتقصيرها والحسرات في نفوسهم وآلامهم التي هي أثر ... تنبيه أنفسهم إلى قوارع الندم والاعتراف إشارة إلى حالهم في ندائهم ذلك الحسرات بالشروع في الجبران فأول مقامات التوبة ولوازمها المذكورة ثم العمل وقوله لرأيت إلى قوله الراغبون صفات أحوالهم المحمودة واللام في قوله لرأيت جواب لو في قوله فلو مثلتهم واستعار لهم لفظة الأعلام والمصابيح باعتبار كونهم أدلة إلى طريق الله وذوي أنوار يستضاء بها فيها وحفوف الملائكة بهم كناية عن إحاطتهم بهم وذلك لكمال استعدادهم لقبول الأنوار عن الله بواسطة ملائكته الكروبيين وتوفيقها عليهم عنهم وفي ذلك إشارة إلى إكرامهم ومنزلتهم وقوله تنزلت عليهم السكينة إشارة إلى طلوع استعداد نفوسهم لإفاضة السكينة عليها وهي المرتبة الثالثة من أحوال السالك بعد الطمأنينة وذلك أن تكثر تلك البروق واللوامع التي كانت تعتريه حتى يصير ما كان مخوفا منها مألوفا وكانت تحصل للمستبشر السالك فيصير حصولها بمشيئته وإرادته وفتح أبواب السماء لهم إشارة إلى فتح أبواب سماء الجود الإلهي بإفاضة الكمالات عليهم كما قال تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ومقاعد الكرامات مراتب لوصولهم بتلك الكمالات التي أطلع الله تعالى عليهم فيها ترضى سعيهم بالأعمال الصالحة المبلغة إليها وحمد مقامهم فيها وقوله يتنسمون بدعائه روح التجاوز أي بدعوته يتوقعون بدعائه تجاوزه عن ذنوبهم وذلك لأنه يجعل تقصيرهم فيما سامهم وقصروا فيه سببا للانقطاع فيصيرهم وقد علمت أن في يد المستبعد ...

بفضله وأنت

بفضله وأنت متولّ عنه إلى غيره فتعالى من قويّ ما أكرمه وتواضعت من ضعيف ما أجرأك على معصيته وأنت في كنف ستره مقيم وفي سعة فضله متقلّب فلم يمنعك فضله ولم يهتك عنك ستره بل لم تخل من لطفه مطرف عين في نعمة يحدثها لك أو سيئة يسترها عليك أو بليّة يصرفها عنك فما ظنّك به لو أطعته وايم الله لو أنّ هذه الصفة كانت في متّفقين في القوّة متوازيين في القدرة لكنت أوّل حاكم على نفسك بذميم الأخلاق ومساوي الأعمال وحقّاً أقول ما الدنيا غرّتك ولكن بها اغتررت ولقد كاشفتك العظات وآذنتك على سواء ولهي بما تعدك من نزول البلاء بجسمك والنقص في قوّتك أصدق وأوفى من أن تكذبك أو تغرّك ولربّ ناصح لها عندك متّهم وصادق من خبرها مكذّب ولئن تعرّفتها في الديار الخاوية والربوع الخالية لتجدنّها من حسن تذكيرك وبلاغ موعظتك بمحلّة الشفيق عليك والشحيح بك ولنعم دار من لم يرض بها دارا ومحلّ من لم يوطّنها محلّا وإنّ السعداء بالدنيا غدا هم الهاربون منها اليوم إذا رجفت الراجفة وحقّت بجلائلها القيامة ولحق بكلّ منسك أهله وبكلّ معبود عبدته وبكلّ مطاع أهل طاعته فلم يجز في عدله وقسطه يومئذ خرق بصر في الهواء ولا همس قدم في الأرض إلّا بحقّه فكم حجّة يوم ذاك داحضة وعلائق عذر منقطعة فتحرّ من أمرك ما يقوم به عذرك وتثبت به حجّتك وخذ ما يبقى لك ممّا لا تبقى له وتيسّر لسفرك وشم برق النجاة وارحل مطايا التشمير أقول حجّة داحضة باطلة وأبرح بها بمعنى بالغ في تحصيل ما لها وأعجبه ذلك والبلول الضحك ولضاحي البارز للشمس والمض الوجع والسطوة البطش والقهر والسطوات المرة منه والجمع سطوات والتحلّد التقوّي والتصبّر والورطة الهلاك وبعدك والكنف الجانب والحال الكنف الجانب والمنسك والمنسك موضع العبادة وأصله كلّ موضع يتردّد إليه وبقصد والتحرّي طلب الأحرى والأولى وشيم برق النجاة انظر إليه فقوله أدحض خبر مبتدأ محذوف والتقدير الإنسان عند سؤال ربّه له ما غرّك بربّك الكريم أدحض مسؤول حجّة وأشدّه انقطاعا في عذره بما لعذره في تجهيل نفسه كثرة إمهالها في متابعة هواها وتركها عن الإصلاح والمنصوبات الثلاثة تمييز وقوله يا أيها الإنسان إلى قوله لنفسك استفهامات عن أسباب جرأته على الذنوب واستلزامه بربّه وغفلته عن شدّة بلائه وعن أسباب إهلاكه نفسه بتوريطها في المعاصي استفهاما على سبيل التقريع والتوبيخ ويحتمل أن يكون قوله ما أنسك تعجّبا وكذلك الاستفهام عن أوّله من داء الجهل ويقظته من نوم الغفلة ورحمة لنفسه كما يرحم غيرها إلّا أنّ الاستفهامات الثلاثة الأولى يطلب فيها ضوء تلك الأسباب ويتم حقيقتها على سبيل تجاهل العارف وفي هذه الثلاثة الأخيرة يطلب فيها التصديق وتم نبّه على وجوب رحمته لنفسه كما يرحم غيرها بقوله فلربّما ترى الضاحي إلى قوله رحمة له وهي في قوّة صغرى بيان أنّ قياس ضمير وتقدير الكبرى فيه فإنّه من ترحم من تراه في حرّ الشمس وقطاه أو مبتلى بالمرض فتبكي رحمة له وكلّ من كان كذلك فأولى أن يرحم نفسه بإنقاذها من بلاء نفع فيه نتيجة أنّك أولى أن ترحم نفسك من دائها وقوله فما صبّرك إلى قوله الأنفس عليك استفهام عن أسباب صبره على دائه وتجلّده على مصائبه التي لحقته بسبب تلك الأدواء وتعزّيه عن البكاء على أعزّ الأنفس عليه استفهام توبيخ ولا يحسن أن يكون تعجّبا وذلك الاستفهام ظاهر بقوله وكيف لا يوقظك إلى قوله سطواته على بعض أسباب اليقظة لعظمة الله عن الغفلة عنها وهي خوف بيات أن يوقعها به ليلا كقوله تعالى أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ومدارج سطواته مجاري بطشه وقهره وهي محالّ المعاصي وأسبابها والتورّط فيها المستلزم للهلاك الأخروي وقوله فتداو إلى قوله بيقظة تنبيه على الدواء من الفترة في القلب عن ذكر الله وهو العزيمة على ملازمته والإجماع على ملازمة ذكره ومن نوم الغفلة في ظاهر القلب عن ذلك بالتيقّظ ثمّ أمره بما ينبغي أن يكون ذلك ... وذلك التيقّظ له وهما الطاعة لله والتحصيل الآتي بدوام ذكره وتعليمه تمثّل إلى قوله بصرها عنك تنبيه له على نعم الله عليه ومقابلته لها بالكفران والمعصية لعلّه يتذكّر أو يخشى وأمره أن يتمثّل في ذهنه حال إعراضه عن ربّه وأنّها كمن في معصيته إقباله عليه بضروب نعمه من دعوته له بكلامه على ألسنة خواصّ رسله إلى عفوه ونعمه إيّاه بفضله وإنّه في كنف ستره ومنقلّب في سعة فضله لم يمنع فضله ولا هتك عنه ستره إلّا مقابلتك لتلك النعم بالكفران والمعصية بل لم يخل من لطفه مقدار طرفة عين في نعمة يحدثها له أو سيّئة يسترها عليه أو بليّة عنه يصرفها فأحسن بهذا التنبيه فإنّ استحضار ذهن الغافل بضروب هذه النعم في حال الإقبال على المعصية من أقوى الجواذب إلى الله عنها وإنّما قال تمثّل لأنّ الحاضر في الذهن ليس هو نفس إقبال الله على العبد بل مثاله ورسمه والجملة في موضع الحال وكذلك الواو في قوله وأنت متولّ إلى آخره أي ظنّك بفضله عليك حال معصيتك له كثيرا كما تقدّم بيانه فقط فقوله فتعالى من قويّ ما أكرمه تعظيم له فلا تعاطيه بل ما يحسن لقبيله وقوله وايم الله إلى قوله الأعمال أي لو كان هذا الوصف الذي ذكرناه من إقبال الله عليك بضروب نعمه ومقابلتك له بالإعراض عنه والإقبال على معاصيه وصف مثلين من الناس في القوّة والقدرة والمنزلة وكنت أنت المسيء منهما لكان فيما ينبغي لك من الحياء والإنصاف أن تكون أوّل حاكم على نفسك بتقصيرها بذميم أخلاقها ومقابح أعمالها وهو صورة تقرير يعتبر عليه مساوي أعماله ويحذره فيه من ذلك أي تدبّرها بمحاسبتها في بيان ضمير من الشكل الأوّل ذكر في الكلام صغراه وتقديرها أنّك لو كنت على نفسك بتقصيرها على تقدير أن يكون موليك هذه النعم مثلا لك وتقدير الكبرى وكلّ من كان كذلك فأولى به أن يكون أوّل حاكم عليها

يقصيرها على تقدير ان يكون مولية تلك النعم خالقه ومالك قدره ونبّه ان الاولى بل ان يكون اول ناكر على نفسه تقصيرها على تقدير ان يكون تولّت النعم خالقك ومالك ذلك وتوكيد بقوله اقول ما الدنيا غرّتك ولكن بها اغتررت نفسك منع لما عساه ان يحتجّ الناس من الذمّ اياهم بقولهم غرّتك ربّك وهو كثير في كلامهم ان الدنيا هي الغارّة وكما نسب القرآن الكريم اليها ذلك ومنها كثير يجوّزون ان ينسب اليها الاغترار حقيقة لكن لما كانت سببا ماديا للاغترار بها جاز ان ينسب اليها الاغترار مجازا وصدق قوله اليه ولكن بها اغتررت وقوله ولقد كاشفتك العظات نفيد نسبة الاغترار اليها نسبة ضدّه اليها وهو التبصير لما كاشفته بالمواعظ وهي مجال الاتعاظ من تصاريفها وعبرها ومجاهرتها بالعلا على عدل منها انطلقت لذلك النعم والاعلام وعلى ذلك التصريف ولم يمكن ان يكون الا كذلك فلم يكن تصاريفها بل جورا عليك وقوله وما تعدك الى قوله تعزّك زيادة تاكيد لنصيحتها وتخويفها واستعار لفظ الوعد لاستعدادها في تغيّراتها بما يتوقّع من مضارّها كما ان الوعد اشعار باعطاء مطلوب واستعمل الوعد في مكان الوعيد مجازا اطلاقا لاسم احد الضدّين على الآخر كتسمية السيئة جزاء وكذلك استعار لها لفظ الصدق والوفاء ملاحظة لشبهها بالصادق الوفيّ في انه لا بدّ من ايقاع ما وعده وقوله اصدق واوفى مع قوله من ان تكذبك وتغرّك من باب اللفّ والنشر وفيه المقابلة وقوله ولربّ الى قوله مكذب تقرير لبعض لوازم الغفلة عليه وهي تهمته للناصح منها وتكذيبه لصادق خبرها دون او اطلق لفظ التهمة والتكذيب مجازا في عدم الالتفات الى نصيحتها بتصاريفها وما يعلم من صادق تغيّراتها وعدم اعتبار ذلك منها اطلاقا لاسم ذي الغاية على غايته وكانت غاية التهمة والتكذيب عدم الالتفات الى المتّهم والمكذّب والاعراض عنها وقوله ولئن تعرّفتها الى قوله النجع بل صورة احتجاج به عليه على صدقها في نصحها كي ينتصح ولا يتّهم وهو قياس شرطي متّصل وتقريره ولئن تعرّفتها الى طلبت معرفته حالها في نصيحتها وغشّها من الديار الخاوية والربوع الخالية للامم السالفة والقرون الماضية لتعرفنّها بمنزلة الشفيق عليك والشحيح بك ووجه شبهها بذلك حسن تذكيرها لك وبلاغ موعظتك وعبرتك منها كما ان الناصح الشفيق عليك يبالغ بل اللازمة بحال الوجد بعد تعرّفها والاستثناء في هذه المتّصلة لعين المقدّم لينتج عين التالي وقوله ولنعم الى قوله محلّا مدح للدنيا باعتبار استعمال العاقل لها في المقصود بالعناية الالهية وهو الاعتبار بها دون الرضا بها لذاتها واتّخاذها وطنا ودارا قرار واسم نعم هو دار من لم يرض والمخصوص بالمدح هو الدنيا ودارا ومحلّا منصوبان على التمييز يقومان مقام اسم الجنس الذي هو اسم نعم اذا حذف وههنا مسئلتان احدهما ان اسم الجنس الذي هو اسم نعم وبئس يضاف في العادة الى ما فيه الالف واللام كقولك نعم صاحب القوم وقد اضمر هاهنا الى ما ليس فيه الالف واللام وقد جاء مثله في الشعر كقوله فنعم صاحب قوم لا سلاح لهم الثانية انه جمع بين اسم الجنس والنكرة التي تبدل منه وقد جاء مثله في قوله فنعم الزاد زاد ابيك زادا وانما اضاف دارا الى من لم يرض بها ومحلّا الى من لم يوطنها لان الدنيا انما تكون دارا محمودة باعتبار كونها دار من لم يرض بها ولم يوطنها لاستلزام عدم رضاه بها الانتفاع بالعبرة بها واتخاذ زاد التقوى واولئكم المتّقون السعداء بها ويحتمل ان يكون دارا ومحلّا منصوبين على التمييز عن قوله لم يرض بها ولم يوطنها وقوله ان السعداء بالدنيا غدا هم الهاربون منها اليوم وجه سعادتهم بها استثمارهم للكمالات المسعدة في الآخرة منها ولن يحصل ذلك الا بالهرب منها اليوم وكنّى بالهرب منها عن الاعراض الحقيقي عن لذاتها والتباعد من اقتنائها لذاتها لاستلزام الهرب من الشيء التباعد عنه والزهد فيه وظاهر ان التباعد عنها بالقلوب لا ما دعت الضرورة اليه واتخاذها مع ذلك سببا الى الآخرة من اسباب السعادة ومستلزماتها كما اشار اليه سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله من حاله فيها بقوله ما انا والدنيا انما مثلي فيها كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فنزل فقعد في ظلّها ساعة ثم راح وتركها وقوله اذا رجفت على الوقت المذكور المدلول عليه بقوله غدا وهو يوم القيامة يوم ترجف الراجفة هي النفخة الاولى في الصور وهي صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب كالرعد يصعق فيها الخلائق وتتبعها الرادفة وهي النفخة الثانية تردف الاولى ومقابل القيامة مجيئها الجليلة العظيمة وقوله وحقّ بكلّ منسك اهله اشارة الى لحوق كل نفس يوم القيامة لمعبودها ومطاعها وما اقتدت به من امر دنيوي واخروي فاقبلت عليه وعملت له ونحوه اشار الرسول يحشر المرء مع من احبّ ولو احبّ احدكم حجرا لحشر معه وقوله ولم يجز الى قوله جهة تقرير لعدله تعالى في ذلك اليوم المعنيّ ان كل حركة ولو طرفة عين في الهواء او همس قدم في الارض فانها لا يجزي في عدله الا بحقها لا يزاد عليه ولا ينقص ثم اشار الى كثرة الحجج الباطلة يومئذ والاعذار المنقطعة ترغيبا في تحصيل الكمالات البرهانية ولزوم آثار المرسلين والاولياء الابرار في سلوك سبيل الله ثم ذكر ما يخاف في ذلك اليوم واهواله بعد ذكر السعداء فيه وتعيين انهم هم الهاربون من الدنيا اليوم ورغّب الى الاقتداء بهم في ذلك الهرب لتحصيل تلك السعادة ثم امر ان يطلب الانسان من اموره ما به عذره في ذلك اليوم وتثبت به حجته في محفل القيامة وذلك الامر هو ما اشرنا اليه من البرهان واقتفاء آثار المرسلين وكذلك امره ان ياخذ مما يبقى له من الكمالات المسعدة في الآخرة مما لا يبقى له وهو الدنيا ووسائلها وقد بيّنا كيفية ذلك الاخذ غير مرّة وان يتيسّر لسفره اي يتهيّأ الى الله بالرياضة بالزهد والعبادة وان يشيم برق النجاة اي يوجّه بصره الى الله ثم بعد الزهد الحقيقي والعبادة الكاسرة للنفس الامّارة بالسوء لتشيم لوامع الانوار الالهية وبروقها التي هي بروق النجاة وابواب السلامة كما اشار اليه فيما قبل هذا الفصل بفصلين بقوله وتدانت اليه الابواب الى باب السلامة في سلوك سبيل الله والابتهال في العمل الجاعل الموت واستعار لفظ المطايا للاذات العمل ولفظ الارحال لاعمالها والله الموفّق

تحصيل الكمالات المسعدة لزومها

قال المفسرون الراجفة

ولا ينقص

واحوالها واهوالها

ومن كلام له عليه السلام

ومن كلام له عليه السلام والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهّدا او اجرّ في الاغلال مصفّدا احبّ اليّ من ان القى الله سبحانه وتعالى ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد وغاصبا لشيء من الحطام وكيف اظلم احدا لنفس يسرع الى البلى قفولها ويطول في الثرى حلولها والله لقد رايت عقيلا وقد املق حتى استماحني من برّكم صاعا ورايت صبيانه شعث الالوان من فقرهم كانما سوّدت وجوههم بالعظلم وعاودني مؤكّدا وكرّر عليّ القول مردّدا فاصغيت اليه سمعي فظنّ اني ابيعه ديني واتّبع قياده مفارقا طريقتي فاحميت له حديدة ثم ادنيتها من جسمه ليعتبر بها فضجّ ضجيج ذي دنف من المها وكاد ان يحترق من ميسمها فقلت له ثكلتك الثواكل يا عقيل اتئنّ من حديدة احماها انسانها للعبه وتجرّني الى نار سجرها جبّارها لغضبه اتئنّ من الاذى ولا ائنّ من لظى واعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها ومعجونة شنئتها كانما عجنت بريق حيّة او قيئها فقلت اصلة ام زكاة ام صدقة فذلك محرّم علينا اهل البيت فقال لا ذا ولا ذاك ولكنها هديّة فقلت هبلتك الهبول اعن دين الله اتيتني لتخدعني امختبط ام ذو جنّة ام تهجر والله لو اعطيت الاقاليم السبعة بما تحت افلاكها على ان اعصي الله في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلته وان دنياكم عندي لاهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ما لعليّ ولنعيم يفنى ولذّة لا تبقى نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين

أقول السعدان نبت شوكي ذو حسك لها ثلاث رؤوس محدّدة على اي وجه وقع من الارض كان لها راسان قائمان والمصفّد الموثوق بشدّ بغلّ او قيد ونحوهما والقفول الرجوع من السفر والاملاق الافتقار والاستماحة طلب السماح وهو العطاء والعظلم نبت وهو بالعربية النيل وقيل نبت آخر يصبغ به والدنف شدّة المرض والميسم المكواة وسجرها اوقدها واحماها وشنئتها ابغضتها وهبلته الهبول ثكلته الثواكل والجنّة المرض كالجنون والمختبط الذي يطلب معروفك من غير سبب بينكما من رحم او معرفة سابقة اذ لا معروف لك عنده والجنّة الجنون والهجر الهذيان وجلب الشعيرة قشرها وغرض الفصل التبرّي من الظلم وذلك ان احدهم كان يانبه فيما العطاء وهو عليه السلام لم يكن يستبقي لنفسه شيئا ولا يرى ان يعطى من بيت المال احدا دون غيره ترجيحا وربما كانت في غاية الحاجة فنسبه الى الظلم والتخصيص بالمال دونه فتبرأ بهذا الكلام ممّا نسب اليه من ذلك فقوله والله الى قوله الحطام بيان لمقدار نفرته عن الظلم وغايتها ادعاء ترجيحه احد الامرين المذكورين على الظلم مع ما يستلزمانه من التالم والعذاب لما يستلزمه الظلم من عذاب الله اشدّ خصوصا في حقّ من نظر بعين بصيرته تفاوت العذابين مؤكّدا لذلك لبيانه بالقسم البارّ ولفظ الحطام مستعار لمتاع الدنيا باعتبار حقارته وفنائه كما يكسر من يبس الارض ونبتها وغاصبا حال وقوله وكيف الى قوله حلولها استفهام عن وجه ظلمه لاحد استفهام انكار على من نسب اليه ذلك مع ذكر سبب يمنع العاقل من الظلم وهو الرجوع الى البلى من السفر في الدنيا وطول الحلول في الثرى وقوله والله لقد استماحني الى قوله لظى بيّنه لتبرّي الظلم عنه بلوغه في المحافظة على بيت المال ومراعاة العدل الى الحدّ الذي فعله مع اخيه عقيل على شدّة فاقته وفاقة عياله وكونه ذا حق في بيت المال ومعلوم ان من لم تدعه هذه الاسباب الثلاثة وهي الاخوة والفاقة وحقّ الموجود لذي الفاقة الى ان يدفع اليه بعض حقه من الظلم فهو انزه الناس ان يظلم او يحوم حول الظلم بوجه واستعار لفظ السمع لما يوهم من استماعه لذلك العطاء للاخ الفقير بما يفوت من الدين بسبب الظلم في عطيته على غير الوجه الشرعي وقياده ما يقوده به من الاستعطاف والرحم وطريقه العدل وانما احمى له الحديدة لينبّهه بها على النار الاخروية ولذلك احتجّ عند تنبيه من حرّها بقوله اتئنّ من حديدة الى قوله لغضبه ووجه الاحتجاج انك اذا كنت تئنّ من هذه فبالاولى ان تئنّ من تلك النار وغاية ذلك ان تترك الظلم طلبا لا تستحقه لاستلزام الأنين من نار الله ترك الظلم ولما انبّه عليه وجوب ترك الظلم بالكلية الطلب عقّبه بالاحتجاج لنفسه على وجوب تركها للظلم باعطائه بقوله اتئنّ من الاذى ولا ائنّ من لظى اي اذا كنت تئنّ من الاذى فبالاولى ان ائنّ من لظى وانما قال ولا ائنّ من لظى مع ان لظى غير حاصلة الآن تنزيلا للمتوقّع الذي لا بدّ منه بسبب الظلم منزلة الواقع ليكون ابلغ في الموعظة وانما اضاف الانسان الى الحديدة لانه اراد انسانا خاصا هو المتولّي لاحماء تلك الحديدة فعرّفه باضافته اليها وكذلك اضاف النار الى جبّارها وانما قال للعبه استصغارا له وتحقيرا لما فعل لغرض ان يكون فعل الحاذق مجازا وكذلك جعل العلّة الحاملة على سجر النار هو غضب الجبّار تعظيما لشانه وقوله واعجب من ذلك الى قوله ام تهجر اي واعجب من عقيل وحاله طارق طرقنا والطارق الآتي ليلا وكنّى بالملفوفة في وعائها عن الهديّة بل كان شيئا من الحلواء كالفالوذ او الخبيص ونحوه ونبّه بقوله شنئتها على بغضه للامور اللذيذة الدنيوية ونفرته عنها زهدا فيها ووجه تشبيهها بما عجن بريق الحيّة او قيئها هو ما في تصوّره في قبولها من الفساد وما قصد بها مهديها في طلب الميل اليه المستلزم للظلم والجور عن سبيل الله فان تلك الفضلة الذي اشتمل عليه كالسمّ المهلك واما وجه كون المهدي اعجب من عقيل فلان عقيلا جاء بثلث وسائل كل منها يستلزم العاطفة عليه وهي الاخوّة والفاقة وكونه ذا حقّ في بيت المال وهذا المهدي انّما ادلى بهديّة فاما قوله في جوابه فقلت له الى قوله اهل البيت فانه اراد بحصر وجوه البرّ في العرف لان التقرّب الى الله ببذل المال للعباد امّا صلة رحم او لا الثاني فامّا على وجه الصدقة او الزكاة الواجبة ولم يذكر الهدية لانها لم تكن في وهم عاقل تقول عليه السلام لها خصوصا زمان خلافته وذلك ان مطلوب العاقل منه بالهديّة امّا حق او باطل والحقّ لا يحتاج فيه الى الهدية والباطل لا يفعله بوجه ولذلك لما قال له الطارق انها هديّة دعا عليه ونسبه الى الجنون عنده والهذيان ولما اشتمل عليه وجوه البرّ الباطل قسمين منها قوله فذلك محرّم علينا اهل البيت واراد الصدقة والزكاة واما صلة الرحم فلم يحتج الى نفيها لان الطارق لم يكن ذا رحم له وقول الطارق لا ذا منه

الثواكل يا عقيل اتئنّ من حديدة احماها انسانها للعبه وتجرّني

ولا اذا يجري مجرى ابطال الحصر بل انه قسم رابع هو الهدية وقوله فقلت هبلتك الهبول الى قوله تهجر جواب لقوله ولكنها هدية فرق عليه فيه ما فهم من غرضه بالهدية وهو خداعه عن دينه اذ الهدية لغرض حرام صورة استغرار وخداع وذكر الخداع عن الدين تنفيرا لصاحب الهدية عن فعله ذلك ولما كان ذلك لازم لو تم الغرض به استلزم نقصان الدين كالخداع عن الدين فاطلق عليه لفظ الخداع استعارة وقوله ام مختبط ام ذو جنة ام تهجر استفهام على سبيل الانكار والتوبيخ على ذلك الخداع بعد تقريره عليه اذ كان المخادع لمثله عليه السلام عن دينه لا يكون الا احد الوجوه المذكورة غالبا ولا يتصور ان يصدر منه ذلك الخداع عن روية صحيحة وقد ذكر وجوه الخروج عن الصواب مما يتعلق بالعقل وقوله والله الى قوله ما فعلته تحمل ان يكون بدل لوس طائف فيه انه يفعل مطلوبه الحرام مثل الهدية وابطال لذلك لو هم عنه والاقاليم السبعة اقسام الارض وهو دليل منه على غاية العدل وقوله وان دنياكم الى قوله تقضمها دليل على غاية الزهد منه في الدنيا كقوله في الشقشقية ولالفيتم دنياكم هذه اهون عندي من عفطة عنز وقوله ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى استفهام انكار لملائمته نعيم الدنيا ولذاتها الفانية والمعنى ان حال علي ينافي ذلك النعيم واختياره بعينه ذلك اللذة ثم تعوذ بالله من سبات العقل وهي اختياره لتلك اللذات ولذلك النعيم وميله في مطاوعة النفس الامارة بالسوء من قبح الزلل وهو بقاء حسن الانحراف عن سبيل الله الموقع في المهاوي الهلاك واستعان به على دفع ما نعوذ به منه وبالله التوفيق والعصمة **ومن دعاء له عليه السلم** اللهم صن وجهي باليسار ولا تبذل جاهي بالاقتار فاسترزق طالبي رزقك واستعطف شرار خلقك وابتلى بحمد من اعطاني وافتتن بذم من منعني وانت من وراء ذلك كله ولي الاعطاء والمنع انك على كل شيء قدير **اقول** اليسار الغنى والاقتار ضيق الرزق والفقر وحاصل الفصل التجاء الى الله في طلب الغنى وعدم الابتلاء بالفقر ولوازمه واعلم ان الغنى المطلوب لمثله عليه السلام هو ما يدفع ضرورة حاجته بحسب الاقتصاد والقناعة لا المفهوم المتعارف بين ارباب الدنيا من جمع المال وادخاره والاتساع به فوق الحاجة وطلب الغنى على ذلك الوجه محمود وعلى الوجه الثاني هو المذموم والفقر هو ما احتاج الانسان معه الى سؤال الناس ويلزمه بذل الاعتبار لوازم صوارفه عن وجه الله وعبادته ولها ابتذال الجاه ونقصان الحرمة ولما كان الجاه والغنى كالمثلين لا يليق احدهما الا بالاخر جعل مقابل الجاه والفقر لا تدم مثل الغنى والى وجوب تلازمهما اشار ابو الطيب بقوله فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده والجاه ايضا له اعتبارات فما اريد لله منه كان شرفا به واعزازا لدينه واريد للاستعانة به على حقوق الله وطاعته فهو المحمود الذي سأل الله حفظه عليه بالغنى عن الناس وهو الذي امتن الله به على الانبياء في قوله يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والاخرة وما اريد به الا الفخر والترأس في الدنيا فهو المذموم الثاني لوازم ستر اي الخلق الذين من شانهم ان يبالوا الرزق لان يطلب منهم وفي ذلك من الذل والخضوع للمطلوب منه ومهانة النفس واشتغالها عن التوجه الى المعبود بالحق ان يستعاذ بالله منه ومن ادعية زين العابدين ع تمدحت بالغنى عن خلقك وانت اهل الغنى عنهم ونسبتهم الى الفقر وهم اهل الفقر اليك فمن حاول سد خلته من عندك ورام صرف الفقر عن نفسه بك فقد طلب حاجته من مظانها واتى طلبته من وجهها ومن توجه بحاجته الى احد من خلقك او جعله سبب نجحها دونك فقد تعرض للحرمان واستحق من عندك فوت الاحسان وانما حكم عليه باستحقاق فوت الاحسان لعدم استعداده لنفحات الله بالتوجه الى غيره واشتغال نفسه بذلك الغير ونبه بقوله طالبي الخ على عدم اهليتهم لان يطلب منهم لانك استعطاف شرار خلقه وظاهر ان الحاجة قد تدعو الى ذلك والتجربة تقضي بان طلب العاطفة من لا شرف له لحاجة ليس له معه ذل والمروة طعم العلقم وتستحلي مذاق الصبر لرابع الابتلاء والافتتان بذم المانع وذلك مستلزم للصرف عن الله والتوجه الى القبلة الحقيقية والولي في قوله وانت لي بحال اي لا تبذل جاهي بالافتتان فيلحقني بسببه ما يلحقني من المكاره المعدودات وانت من وراء ذلك كله اي من اعطى ومنع بان تعطي وتمنع لقدرتك على كل شيء ومفهوم كونه وراء ذلك كله احاطته وكونه مستند الغنى واهله المحتاج اليهم من الخلق والولي بالفقر ولوازمه لقدرته على صرفه والاغناء عن الخلق لان كونه محيطا وكونه مستندا استلزم كونه الولي به فالمستند الوراء المعقول للمعقول والمحسوس للمحسوس وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** دار بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة لا تدوم احوالها ولا تسلم نزالها احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والامان منها معدوم وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتفنيهم بحمامها واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى قبلكم ممن كان اطول منكم اعمارا واعمر ديارا وابعد آثارا اصبحت اصواتهم هامدة ورياحهم راكدة واجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية فاستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة والقبور اللاطئة الملحدة التي قد بني على الخراب فناؤها وشيد بالتراب بناؤها فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين اهل محلة موحشين واهل فراغ متشاغلين لا يستأنسون بالاوطان ولا يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تزاور وقد طحنهم بكلكله البلى واكلتهم الجنادل والثرى وكان قد صرتم الى ما صاروا اليه وارتهنكم ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو تناهت بكم الامور وبعثرت القبور هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا

يفترون

يفترون **اقول** التارة المرة والمستهدفة التي جعلت هدفا نصبت للترامي وعفت الآثار انمحت والنمارق جمع نمرقة وهي وسادة صغيرة والكلكل الصدر وبعثرت القبور وبعثرتها اخراج ما فيها وبثها يقال بعثر الرجل متاعه اذا فرقه وقلب علاه اسفله وغرض الفصل التنفير من الدنيا الدنيا والاشتغال بها عن الله والتنفير عن ذلك بذكر معايبها والجذب بها الى استعمالها على الوجه المطلوب الذي لاجله وجدت فقوله دار خبر مبتدأ محذوف وهو الدنيا وذكر من معايبها عدة احدها كونها مفهرسة البلاء ملازما لها فكنى عن ذلك بالحفوف الذي هو الاحاطة من الجوانب لانه ابلغ الثاني كونها معروفة بالغدر واستعار لفظ الغدر لتغيرها عما يتوهم الانسان دوامها عليه في حقه من احوالها المعجبة كالمال والصحة والشباب فكانه في مدة بقاء تلك الاحوال عليه قد اخذ منها عهدا فكان التغير العارض لها المستلزم لزوال تلك الاحوال عنه اشبه شيء بالغدر ولما كان كثيرا منها صار معروفا به الثالث كونها لا تدوم احوالها ورابعها لا يسلم نزالها من آفاتها وخامسها اختلاف احوالها واحوال خبر مبتدأ محذوف تقديره احوالها احوال كذلك وسادسها تصرف تاراتها وهو تغير احوالها تارة بعد اخرى وسابعها كون العيش فيها مذموما ولما كان العيش فيها كناية عن الالتذاذ بها والتنعم فيها واستلزم ذلك لعاقبة المهلكة لا جرم لزم الذم ولانه مشوب بتكدير الامراض والاعراض فلا يزال مذموما على الالسنة حتى في لسان صاحبه المسترع اليه عند ما ناله بعض مراتب الكدر وثامنها عدم الامان فيها اي من مخاوفها وما يلزم بعضها فانها من البلاء فكل ذلك من ضروريها واختلاف استعدادات القوابل فيها عن حركات الافلاك وكواكبها وكون المبادي المفارقة مفيضة على كل قابل منها ما استعد له وتاسعها كون اهلها فيها اغراضا مستهدفة واستعار لفظ الاغراض ورشح بذكر الاستهداف وكذلك لفظ استعار الرمي لايقاع المصائب بهم ورشح بذكر السهام وعاشرها كونها معهم على سبيل من قد مضى من القرون الخالية ممن كان اطول اعمارا واعمر ديارا وابعد آثارا اي كانت آثارهم لا يقدر بها ولا ينال لعظمها وكونها معهم على ذلك السبيل اشارة الى افنائها لهم كما فنا اولئك ولحاقهم بالموهم وقوله اصبحت ديارهم الى قوله والثرى تفصيل لاحوال اولئك ووعيد للسامعين بلحوقهم انه كان سبيل الدنيا مع الجميع واحدا وركود رياحهم كناية عن سكون احوالهم وخمول ذكرهم بعد العظمة في الصدور وقوله قد بني على الخراب فناؤها اي على خراب ما كان معمورا من الابدان والمساكن وظاهر ان القبور اسست على ذلك وبنيت عليه وراعى في قوله فناؤها وبناؤها ومغترب ومقترب السجع المتوازي مع المطابقة في المقترب والمغترب وارادان ساكنها وان اقترب محله فهو غريب عن اهله ونبه بقوله موحشين ومتشاغلين وكونهم لا يستأنسون بالاوطان ولا يتواصلون تواصل الجيران على ان احوالهم من تجاورهم وفراغهم ليس كاحوال الدنيا المألوفة لم يعرفوا بها ونفر عنها ثم اشار الى عدم علة التزاور واستعار لفظ الطحن لافناء البلى لاجسادهم ورشح بلفظ الكلكل وكذلك استعار لفظ الاكل لافنائها وقوله وكان قد صرتم الى قوله المستودع فكان المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان والتقدير فكانه قد صرتم الى مصيرهم واحوالهم ويقرب من ذلك لان مشاهدة الاحوال المستلزمة ترتب بعضها من بعض وضمكم ذلك المضجع اي صار لكم دار اقامة واتخذكم سكانه المقيمين به واطلق عليه لفظ المستودع باعتبار كونهم سيخرجون منه يوم القيمة وقوله فكيف بكم الى قوله القبور سؤال لهم عن كيفية حالهم عند تناهي امورهم واحوالهم في يوم البعث سؤالا على سبيل التذكير بتلك الاحوال والتخويف لاهوالها ليذكروا وليشتد انبعاثهم الى العمل وذكر منها امرا واحدا هو اطلاع النفوس على ما قدمت واسلفت في الدنيا من خير وشر فالرد الى المولى الحق الذي اليه الرجوع والبراءة من كل ما كان يعتريه من دعوى سائر الاباطيل المعبودة وبالله التوفيق **ومن دعاء له عليه السلم** اللهم انك آنس الآنسين لاوليائك واحضرهم بالكفاية للمتوكلين عليك تشاهدهم في سرائرهم وتطلع عليهم في ضمائرهم وتعلم مبلغ بصائرهم فاسرارهم لك مكشوفة وقلوبهم اليك ملهوفة ان اوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك وان صبت عليهم المصائب لجأوا الى الاستجارة بك علما بان ازمة الامور بيدك ومصادرها عن قضائك اللهم ان فههت عن مسألتي او عمهت عن طلبتي فدلني على مصالحي وخذ بقلبي الى مراشدي فليس ذلك بنكر من هداياتك ولا ببدع من كفاياتك اللهم احملني على عفوك ولا تحملني على عدلك **اقول** الفهاهة العي والعمه التحير وتضرع الى الله تعالى باعتبارات من الصفات الاضافية والحقيقية اعتبار الكمال بجميعها ... وقوله ان اوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك اي الغربة في هذه الدار كما هو حصول الاستيناس من خشيتهم به والاول اعتبار كونه تعالى انيسا لهم وقوله وان صبت الى قوله بيدك اعتبار تحقق توكلهم عليه تعالى في دفع ما يكرهون من مصائب الدنيا عند نزولها بهم اذ سبق اعتبار كونه تعالى احضر من توكل عليه لكفاية المتوكلين ولجاؤهم الى الاستجارة به تعالى توجيه وجوه نفوسهم اليه تعالى في دفع ذلك المكروه دون غيره وهو التوكل الخالص وقوله علما الى قوله قضائك علما مفعول له اي لاجل علمهم بان لا متوكل الا هو لعلمهم باسبابها تحت تصرفه عند نزلك وان مصادرها وهي اسبابها القريبة منتهية الى قضائك وهو حكم علمك انه ومنه كانت اسبابا ومصادر لتلك المصائب كان لجاؤهم في الاستجارة بك ويحتمل ان يكون علما مصدرا سد مسد الحال وهو يستلزم كونهم في عباداتهم واحوالهم منقطعي النظر عن غيره تعالى ولفظ الازمة مستعار لاسباب الامور ووجه المشابهة كونها مناطا لها وبها يجري نظام وجودها كالازمة وكذلك لفظ اليد مجاز في القدرة وقوله اللهم الخ شروع في الطلب على وجه كلي وهو طلبه لدلالته على مصالحه كيف كان وجذب قلبه بالهداية الى مواضع رشده من المقاصد والاراء الصحيحة التامة على تقدير ان عي عن مسألته او تحير في وجه معرفة صالحه وقوله فليس ذلك الى قوله كفاياتك استعطاف بما في العادة ان يستعطف به اهل العواطف والرحمة من الكلام اي ان هداياتك لخلقك الى وجوه مصالحهم وكفاياتك لهم ما يحتاجون

احتجاج على من خالف من اهل البغي

اليه امور متعارفة جرت عادتك بها والفها منك عبادك وقوله اللهم احملني اه سؤال ان يحمله تعالى على عفوه عما سواه عما
صدر عنه من ذنب في ان لا يحمله على عدله فيجزيه بما فعل حوبا تاما وعفوه وهو من لطف ما تعد به النفس لاستنزال الرحمة الالهية
وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لله بلاد فلان فلقد قوم الاود وداوى العمد اقام السنة وخلف الفتنة
ذهب نقي الثوب قليل العيب اصاب خيرها وسبق شرها ادى الى الله طاعته واتقاه بحقه رحل وتركهم في طرق متشعبة
لا يهتدي بها الضال ولا يستيقن المهتدي **اقول** الاود العوج والعمد مرض وهو انفداخ داخل سنام البعير من الحمل ويخرجه مع صحة
ظاهره وقوله لله بلاد فلان لفظ يقوله العرب في معرض المدح كقولهم لله دره ولله ابوه واصله ان العرب اذا ارادوا مدح شيء وتعظيمه
نسبوه الى الله تعالى هذا اللفظ ومعنى لله بلاد فلان اي عمله الحسن في سبيل الله والمنقول ان المراد بفلان عمر وعن القطب
الراوندي انه انما اراد بعض اصحابه في زمن رسول الله قبل وقوع الفتن وانتشارها وقال ابن ابي الحديد ان الالفاظ
المذكورة في الكلام يدل على انه اراد رجلا ولي امر الخلافة مثل لقوله قوم الاود وداوى العمد ولم يرد عثمن لوقوع الفتنة و
تشعبها بسببه ولا ابا بكر لقصر مدة خلافته وبعد عهده عن الفتن فكان الاظهر انه اراد عمر واقول انه رده لابي بكر اشبه من اراد انه
عمر لما ذكره في خلافة عمر ومثلها به في خطبته المعروفة بالشقشقية كما سبقت الاشارة اليه وقد وصفه بامور احدها تقويمه
للاود وهو كناية عن تقويمه لاعوجاج الخلق عن سبيل الله الى الاستقامة فيها الثاني مداواته للعمد واستعار لفظ العمد
للامراض النفسانية باعتبار استلزامها للاذى كالعمد ووصف المداواة لمعالجته تلك الامراض بالمواعظ البالغة والزواجر
القولية والفعلية الثالثة اقامة السنة ولزومها الرابع تخليفه للفتنة اي موته قبلها وفيه كون ذلك مدحا له هو اعتبار
عدم وقوعها بسببها وفي زمنه لحسن تدبيره الخامس ذهابه نقي الثوب واستعار لفظ الثوب لعرضه ونقاءه لسلامته عن الذم
السادس قلة عيوبه السابع اصابته خيرها وسبق شرها والضمير في الموضعين يشبه ان يرجع الى المعهود مما هو فيه من الخلافة اي
ما فيها من الخير المطلوب هو العدل واقامة دين الله لكن يكون الثواب الجزيل في الاخرة والشرف الجليل في الدنيا وسبق شرها
اي مات قبل وقوع الفتنة فيها وسفك الدماء لاجلها الثامن اداؤه الى الله طاعته التاسع اتقاءه له بحقه اي ذي حقه
خوفا من عقوبته العاشر رحيله الى الاخرة تاركا للناس بعده في طرق متشعبة من الجهالات لا يهتدي فيها من ضل عن سبيل الله ولا يستيقن
المهتدي في سبيل الله انه على سبيله لاختلاف طرق الضلال وكثرة المخالف له فيها والواو في قوله وتركهم للحال واعلم
ان الشيعة قد اوردوا هنا سؤالا فقالوا ان هذه الممادح التي ذكرها عليه السلام في حق احد الرجلين تنافي ما اجمعنا عليه
من تخطئتهم واخذهما لمنصب الخلافة فاما ان لا يكون هذا الكلام من كلامه عليه السلام او ان يكون اجماعنا خطأ ثم اجابوا من
وجهين احدهما لا نسلم ان الثاني المذكور وانه جاز ان يكون ذلك المدح منه عليه السلام على وجه استصلاح من يعتقد صحة
خلافة الشيخين واستجلاب قلوبهم بمثل هذا الكلام الثاني انه جاز ان يكون مدحه ذلك كالتعرض لعثمن في معرض توبيخ عثمن بوقوع
الفتنة في خلافته واضطراب الامر عليه واستيثاره ببيت مال المسلمين هو وبنو ابيه كان ذلك سببا لثوران المسلمين من
الامصار اليه وقتلهم له ونبه على ذلك بقوله وخلف الفتنة وذهب نقي الثوب قليل العيب اصاب خيرها وسبق شرها وقوله
وتركهم في طرق متشعبة اه فان مفهوم ذلك ان الوالي بعد هذا الموصوف قد اتصف باضداد هذه الصفات والله
اعلم **ومن كلام له عليه السلام** في وصف بيعته وقد تقدم مثله بالفاظ مختلفة وبسطتم يدي فكففتها ومددتموها
فقبضتها ثم تداككتم علي تداك الابل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى انقطعت النعل وسقط الرداء ووطئ الضعيف
وبلغ من سرور الناس ببيعتهم اياي ان ابتهج بها الصغير وهدج اليها الكبير وتحامل نحوها العليل وحسرت عن ساقها الكعاب
اقول التداك الازدحام الهيم العطاش والتحامل تكلف المشي مع مشقة والكعاب الجارية التي قد نهد ثديها وحسرت
كشفت وجهها وحاصل الفصل الاحتجاج على من خالفه من اهل البغي فذكر حال الناس في بيعتهم له وكيفيتها الدالة على شدة حرصهم
عليه واجتماعهم عن رضى واختيار على تسليم الامر اليه وشبه ازدحامهم عليه بازدحام الابل العطاش يوم ورودها على الحياض
ووجه الشبه شدة الازدحام ويمكن ان يلاحظ في وجه هذا الشبه كون ما عنده من الفضائل الجمة العلمية والعملية تشبه الماء
وكون المزدحمين عليه في حاجتهم وتعطشهم الى استفادة تلك الفضائل النافعة لعليهم كالعطاش من الابل حين ورودها وقوله
الى قوله ووطئ الضعيف كقوله في الشقشقية حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي وباقي الفصل ظاهر وهو في قوة صغرى قياس ضمير
من الشكل الاول وتلخيصها انكم بلغتم في طلبكم لي وحرصكم على بيعتي الى هذه الغاية حتى اجتمعتم وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك
فليس له ان ينكث ويغدر وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** فان تقوى الله مفتاح سداد وذخيرة معاد
وعتق من كل ملكة ونجاة من كل هلكة بها ينجح الطالب وينجو الهارب وتنال الرغائب فاعملوا والعمل يرفع والتوبة تنفع

والدعاء يسمع والحال هادئة والاقلام جارية وبادروا بالاعمال عمرا ناكسا ومرضا
حابسا وموتا خالسا فان الموت هادم لذاتكم ومكدر شهواتكم ومباعد طياتكم زائر غير
محبوب وقرن غير مغلوب وواتر غير مطلوب قد اعلقتكم حبائله وتكنفتكم غوائله و
اقصدتكم معابله وعظمت فيكم سطوته وتتابعت عليكم عدوته وقلت عنكم نبوته فيوشك
ان تغشاكم دواجي ظلله واحتدام علله وحنادس غمراته وغواشي سكراته واليم ارهاقه ودجو اطباقه وجشوبة مذاقه فكان قد اتاكم بغتة فاسكت نجيكم وفرق نديكم وعفى اثاركم وعطل
دياركم وبعث وراثكم يقتسمون تراثكم بين حميم خاص لم ينفع وقريب محزون لم يمنع واخر شامت
لم يجزع فعليكم بالجد والاجتهاد والتاهب والاستعداد والتزود في منزل الزاد ولا تغرنكم الدنيا
كما غرت من كان قبلكم من الامم الماضية والقرون الخالية الذين احتلبوا درتها
واصابوا غرتها وافنوا عدتها واخلقوا جدتها اصبحت مساكنهم اجداثا واموالهم ميراثا لا يعرفون
من اتاهم ولا يحفلون من بكاهم ولا يجيبون من دعاهم فاحذروا الدنيا فانها غرارة خدوع
معطية منوع ملبسة نزوع لا يدوم رخاؤها ولا ينقضي عناؤها ولا يركد بلاؤها **اقول**
الحابس المانع والخالس المختطف والتكنف الاحاطة والطيات جمع طية بالكسر وهي منزل السفر والواتر الذي
يوجب لغيره الوتر وهو الذخل والحقد والمعابل النصال جمع معبلة بكسر الميم وهي
نصل طويل عريض وعدوته ... والنبوة ... والظلل جمع ظلة وهو السحاب والاحتدام
شدة الحدة والغيظ والارهاق الاعجال ... والجشوبة بالجيم غلظ الطعام والنجي القوم يتناجون والندي
القوم يجتمعون في النادي وهو المجتمع ولا يحفلون لا يبالون والاحتفال بالشيء الاعتناء به وفي الفصل مقاصد
الاول التنبيه على فضيلة تقوى الله باوصاف الاول كونها مفتاح سداد ولما كان السداد هو الصواب والعدل في القول
والعمل وكان ذلك هو غاية الدين والطريق المسلوك الى الله وكانت تقوى الله تعود الى خشية الله المستلزمة للاعراض
عن ما سواه استعار لها لفظ المفتاح باعتبار كونها سببا للاستقامة على الصواب والقصد في صراط الله المستقيم الى
ثوابه المقيم الذي هو انفس المطالب كما ان المفتاح سبب الوصول الى ما يحرز من الاموال النفيسة الثاني كونها ذخيرة معاد
ومعناه ظاهر ان الاستعداد بخشية الله وما يستلزمه من الكمالات النفسانية من انفس الذخائر المنتفع بها في المعاد
الثالث كونها عتقا من كل ملكة استعار لفظ العتق لخلاص النفس العاقلة من استيلاء حكم شياطينها المطيفة بها كخلاص
العبد من استيلاء سيده ثم جعل التقوى نفسها عتقا مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب اذ كانت التقوى سببا لذلك
الخلاص المستعار له لفظ العتق الرابع ونجاة من كل هلكة اطلق عليها لفظ النجاة مجازا كالعتق لكونها سببا لنجاة النفس من
الهلكات الاخروية وعقوبات الاثام وربما كانت التقوى سببا للنجاة من مخاوف دنيوية لولاها لحقت الخامس بها ينجح الطالب
اما الثواب لله في الاخرة فظاهر واما في الدنيا فلما نشاهده من اتخاذ كثير من الناس شعار المتقين ذريعة الى مطالبها
ونجاح مساعيهم وامثال الدنيا عليهم السادس وينجو الهارب اي من عذاب الله وهو ظاهر السابع وتنال الرغائب وهو كقوله
وينجح المطالب وفي كل قرينتين من القرائن الست من اول الفصل السجع المتوازي المقصد الثاني الامر على وجوب العمل الصالح
المطلوب لله ومبادرته باعتبارات الاول انهم في وقت العمل وامكان رفعه الى الله دون ما بعد الموت والواو في قوله والعمل
للحال الثاني في وقت قبول التوبة منهم والاقلاع من موبقات الاثام الثالث وفي وقت سماع الدعاء وفي قوله فان شيئا
من ذلك لا ينفع بل لا يمكن بعد الموت الرابع والحال هادئة اي حال الانسان في الدنيا فانه حال الرحيل الموت وما
بعده في غاية الاضطراب الخامس والاقلام جارية الى قدام الحفظة وما يدعه الاعلام بالعمل في حال جريان الاقلام التنبيه على
وقت الاعمال الخيرية وامكانها حين تكتب وترفع الى الله اي فاعملوا في الحال المذكورة ما دامت اقلام الكرام الكاتبين
جارية لتكتب اعمالكم الفصل الثالث حثهم على المبادرة الى الاعمال الخيرية باعتبار احداث اعمارهم التي هي محل الاعمال

في معرض الانتكاس والرجوع الى الحالة المنافية للتكليف وهي الهرم المستلزم لضعف العقل والبنية ونقصانهما والرجوع الى حال الطفل في ذلك كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق فينبغي ان يبادر ذلك بالاعمال الصالحة الممكنة فيه الثالث ان ابدانهم في معرض التغير والتبديل بالصحة التي هي مظنة العمل مرضا وهو مظنة بطلان العمل وامتناعه فينبغي ان يبادر الصحة بالعمل قبل الحبس عنه بالمرض الثالث ان يبادر بما هو اعظم من ذلك وهو الموت الذي لا بد منه واستعار لفظ الخالس له باعتبار اخذه للاعمار على غرة وغفلة من اهلها كالمختلس للشيء من يد غيره ثم نبه على وجوب العمل للموت ولما بعده بارصاد المخوفات احدها كونه هادم اللذات الدنيوية وهو ظاهر ونحوه قول الرسول صلى الله عليه واله اكثروا من ذكر هادم اللذات الثانية كونه مكدر شهواتهم الثالث كونه مباعد طياتهم واستعار لفظ الطيات لمنازل السفر الى الاخرة بالموت عن الدنيا واهلها فات الاخرة ابعد منزلة عن الدنيا الرابع استعار لفظ الزاير باعتبار هجومه على الانسان ولما كان من شان الزاير ان يكون محبوبا ميزه بكونه غير محبوب ليحصل النفرة عنه وتفرغ الى العمل له الخامس استعار له لفظ القرن بوصف كونه غير مغلوب ليهتم بالاستعداد له السادس استعار لفظ الواتر بوصف كونه غير مطلوب اي من شانه ان يوتر القلوب ولا يمكن ان يطلب بوتره ولا ينتصف منه ملاحظة لشبهه بالرجل البالغ في الشجاعة بحيث لا يغلب السابع استعار لفظ الحبايل للاوصاب والامراض البدنية التي هي داعية الموت وموذية اليه كحبالة الصايد ورشح بوصف الاعلاق الثامن وتكنفتكم غوائله اي احاطت بكم مصائبه التاسع استعار لفظ المعابل للافات الداعية الى الموت ايضا باعتبار كونها موذية قاتلة كالنصال ورشح بذكر الاقصاد العاشر استعار لفظ السطوة له ملاحظة لشبهه بالسلطان القاهر او السبع الضاري في قوة اخذه و شدة بطشه الحادي عشر وكذلك لفظ العدوة له باعتبار كون اخذه على غير حق له كالظالم فان قلت اذا كانت حقيقة الظلم هي الاخذ بغير حق وهذا الحد صادق في فعل الموت فوجب ان يكون اطلاق لفظ العدوة هنا حقيقة لا لا استعارة قلت لفظ الاخذ انما يصدق حقيقة على ذي الحيوة وان سلمنا صدقه على غيره لكن الاخذ بغير حق ليس هو حقيقة الظلم بل الاخذ بغير حق لمن يكون من شانه ان يكون له حق وذلك مختص بالعقلاء وسلب الحق عمن له اللفظ حقيقة هو سلب الملكة وغاية اللفظ مستعارا هو السلب المطلق الثاني عشر وكذلك لفظ النبوة لعدم تاثيره ملاحظة لشبهه بالسيف القاطع ووضعها بالقلة اي في كل ثلث قرائن من هذه السجع المتوازي الثالث عشر استعار لفظ الظلل للامراض والعلل الداعية الى الموت استعارة لفظ المحسوس بالبصر للمتخيل ملاحظة لشبهها بالسحاب المظل واصفا بالدواجي اذ كان الكلام في معرض التخويف والسحاب المظلم اشد رهبة في القلوب من غيره ويقرب من غيره منه قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله وهو شروع في التخويف بنزول الموت الرابع عشر وكذلك استعار وصف الاحتدام لعلله ملاحظة لشبهها في نزولها بالرجل المستشيط غضبا في قوة الاخذ الخامس عشر استعار لفظ الحنادس لما يتوهمه الانسان من الظلم في غمرات الموت وسكراته السادس عشر وكذلك لفظ الغواشي لما يعرض عند سكرات الموت من العوارض المانعة من الادراك المغشية السابع عشر واليم ارهاقه اي اعجاله المولم الثامن عشر ودجو اطباقه استعار لفظ الاطباق لحالاته المتزايدة وسكراته المتضاعفة التي تتضاعفها بزوالات ادراكه بعد وانقطاع عن المدركات الدنيوية وباعتبار انقطاع الادراك بسبب تلك الحالات وصفها بالدجو وشدة الظلمة ويحتمل ان يريد باطباقه اطباق القبور الحاصلة التاسع عشر استعار لفظ مذاقه لوجدانه باعتبار المشاركة في الادراك باعتبار لفظ الحنادس لما يتوهمه الانسان من الظلم في غمرات الموت وسكراته السادس عشر وكذلك لفظ الغواشي لما يعرض عند سكرات الموت من العوارض المانعة من الادراك المغشية السابع عشر واليم ارهاقه اي اعجاله المولم الثامن عشر ودجو اطباقه استعار لفظ الاطباق لحالاته المتزايدة وسكراته المتضاعفة بزوالات ادراكه بعد او انقطاع عن المدركات الدنيوية وباعتبار انقطاع الادراك بسبب تلك الحالات وصفها بالدجو وشدة الظلمة ويحتمل ان يريد باطباقه اطباق القبور الحاصلة لشدة ايلامه وصفه بالجشوبة العشرون وكنى بالتخويف باتيانه بغتة وكان هي المخففة من كان والاسم ضمير الشان ولما كانت كان للتشبيه وكان التشبيه يستلزم المقارنة بين المشبه والمشبه به في وصف ما وهو خبر التشبيه كان المشبه هنا هو حال الموت من جهة ما هو منتظر لا بد منه والمشبه

منه

به هو باعتبار ابتدائه

به هو باعتبار اتيانه وهو فاتهم ووجه الشبه هو القرب اي قرب المنتظر الذي لا بد منه من لوازم الوجود اذ هو كل ما هو آت قريب ثم اردف التخويف منه بذكر لوازمه المخوفة وهي اسكات المتناجين وتفريق المجتمعين وتعفية الاثار وتعطيل الديار وبعث الوارث لاقتسام التراث واسناد البعث باعتبار انه سبب يلزمه انبعاث دواعي الورثة الى اقتسام التراث لزوما عرضيا وقوله بين حميم متعلق باتاكم بغتة مع ما بعده من الاحوال اي كانه قد اتاكم بغتة ففعل بكم ما فعل من اسكات المتناجين وغيره على المنع واخر عدو وشامت لا يجزع عليه ثم اردف ذكر الموت ولوازمه بالحث على العمل والجد فيه والتاهب للاستعداد لنزول الموت وما بعده والتزود بالتقوى في منزل الزاد وهو الدنيا لانها المنزل الذي لا يمكن تحصيل الزاد الى الاخرة الا فيه ولذلك اضافه اليه ثم بالنهي عن الانخداع لغرور الدنيا كانخداع السابقين والقرون الماضين واستعار لفظ الدرة لمنافع الدنيا وخيراتها ولفظ الاحتلاب لجمعها واقتنائها اي الذين فازوا بخيراتها وحصلوا عليها ولذلك استعار لفظ الغرة لعدم حوادثها المهمة في مدة استمتاعهم بها فكانها غافلة عنهم لا ترميهم بشيء من المصائب فلما او حيث ذلك منها اخذ واما الخلق او حصلوا على ما حصلوا او اقتنا لما تعتقد فيها من ماكول وملبوس وغيرهما مما يتمتع به فيتوقع كمال اخلاقها لجدتها كما يتر عن استمتاعهم بما اخذ وامنها من حجر وما له وغيرها الى انقضائه وانتهاء مدته حتى كانهم لم يبقوا من حلبها شيئا الا اخلقوه ولما وصف حالهم فيها بما وصف اردف ذلك بذكر غاياتهم منها وهي الاحوال المذكورة بقوله اصبحت مساكنهم احداثا الى قوله رغاما وخلاصة الكلام انكم لا تغتروا بالدنيا كما اغتر بها من كان قبلكم فان اولئك مع انهم كانوا افد صادا مجاعرتها وحصلوا منها على ما حصلوا من خيراتها كانت غاياتهم منها ان وصلوا الى ما وصلوا من العدم فكذلك انتم بطريق الاولى ثم اكد التحذير منها بذكر اوصافها المنفرة عنها فاستعار لها لفظ الغرارة باعتبار كونها سببا ماديا للاغترار كما سبق ولما كان الخادع هو المشير بامر ظاهره مصلحة وباطنه مفسدة وكان ظهور زينة الحيوة الدنيا للناس يستلزم ان يرى الهوى في النظر باتباعها وكانت تلك الزينة واتباعها سببا للفتنة بها عن سبيل الله الذي هو عين المفسدة تشبه المفسدة في باطن الراي لاجرم اشبه ظهور زينتها الخادع فاستعار لها لفظ الخادع بتلك الاعتبار وكذلك استعار لفظ المعطية ولفظ المانع باعتبار كونها سببا ماديا للانتفاع بما فيها من خيراتها وسببا ماديا لمنعه وكذلك لفظ اللبسة لنزوع وراعى في هاتين القرينتين المقابلة وغاية تخالفهما هنا التنفير مما يتوهم فيها خيرا مما تعطيه لذلك اكده بقوله لا يدوم رخاؤها الى اخره ولما كان رخاؤها من صحة وشباب ومال وجاه ونحوها من ساير اللذات الدنيوية حوادث مشروطة باستعدادات سابقة عليها ومعدات غير مضبوطة كثيرة حادثة وغير حادثة سريعة التغير وبطيئة لاجرم كان من شان ذلك الرخاء التغير والانقطاع وظاهر ان انقطاع رخائها حال لاخائها مستلزم لعدم انقضاء عنائها وتواتر بلائها واستعار لبلاء الدنيا وصف عدم الركود ملاحظة لشبهه بالريح الدائمة الحركة لكونه دائما منها في صفة الزهاد كانوا قوما من اهل الدنيا وليسوا من اهلها فكانوا فيها كمن ليس منها عملوا فيها بما يبصرون وبادروا فيها ما يحذرون تقلب ابدانهم بين ظهراني اهل الاخرة يرون اهل الدنيا يعظمون موت اجسادهم وهم اشد اعظاما لموت قلوب احيائهم

اقول ظهراني بفتح النون والاشارة الى بعض صحابة الذين درجوا قبله وقوله كانوا قوما الى قوله اهلها قضيتان ظاهرهما التناقض لكنك علمت ان المطلقتين لا يتناقضان واختلافهما يحتمل ان يكون بالموضوع او بالاشياء فانهم من اهل الدنيا بابدانهم ومشاركتهم اهلها في الحاجة اليها وليسوا من اهلها بقلوبهم ذو حرجا عن ملاذها وبنيتها واستغرقوا في محبة الله وما اعد لاوليائه الابرار في دار القرار فهم لذلك ملاحظون بنفوسهم من لاحوال الاخرة بعيون بصائرهم كما قال عليه السلام فيما قبل في صفتهم فهم والجنة كمن قد راها فهم فيها متنعمون وهم والنار كمن قد راها فهم فيها معذبون ومن كان كذلك لحضوره الفعلي فيما هو في تلك الدار فكان بالحقيقة من اهلها وقوله عملوا فيها بما يبصرون اي كان سعيهم وحركاتهم البدنية والنفسانية في سبيل الله ببصيرة ومشاهدة لاحوال تلك الطريق وما تفضي اليه من السعادة الباقية وعلم بما يستلزمه الانحراف عنها من الشقاوة اللازمة والباء للنسبة وما مصدرية ويحتمل ان تكون بمعنى الذي اي بالذي يبصرونه ويشاهدونه من تلك الاحوال فان علمهم اليقين بها هو السبب الفاعلي والحامل لهم في تلك الطريق وعلى سلوكها وقوله وبادروا فيها ما يحذرون اي المبادرة المسابقة والمعاجلة وهي مفاعلة من الطرفين والمراد انهم سابقوا ما يحذرون من عذاب الله المتوعد به في الاخرة كانه مسابق لهم الى انفسهم وهم سابقوه الى خلاصها فسبقوه الى النجاة اذ كانوا اكيس لطاياتهم متمسكين بعصمتها وهي اوامر الله وحدوده وقوله تقلب ابدانهم اي في قوله الاخرة اي تتقلب فحذف وحكى النائين تخفيفا فالمعنى ان ابدانهم معاشرة اهل الاخرة والعاملين لها دون اهل الدنيا وقيل يحتمل ان يريد باهل الاخرة ساير الناس لان مستقرهم الاصلي ودار قرارهم هي الاخرة كما قال تعالى وان الاخرة هي دار القرار والمعنى انهم مع الناس بابدانهم فقط فهي تتقلب بينهم وارواحهم في مقام اخر وقوله يرون اهل الدنيا الى اخره الغرض الفرق بينهم وبين اهل الدنيا لاجل ان ورائهم كالاخرة فكانوا غافلين عن احوال الاخرة من سعادة او شقاوة فكان اعظم محبوباتهم بقاء اجسادهم وتكميلها واعظم منفور عنه لهم نقصانها وموتها اما المتقون فهم وان كانوا يرونهم بتلك الحالة الا انهم يرون انهم افضل مما يرون وهو موت قلوبهم وفقدانها الحيوة بالعلم والحكمة اعظم من موت اجسادهم وذلك لعلمهم بفناء الحيوة الدنيوية وانقطاعها وكدرها بعوارض الامراض وساير المنغصات الدنيوية وبقاء الحيوة النفسانية وشرفها كما اشار وصفا لها بانها عن الانذار والاكدار وانما قال قلوب احيائهم ولم يقل قلوبهم لان موت القلوب قد يكون حقيقة بموت الابدان وقد يكون مجازا وهو موتها بفقدان العلم ونور الحكمة مع حيوة اجسادها فكان ذكر الاحياء كالقرينة المعينة لمراده بذلك

على هذا التوجيه و او كان من اهل الدنيا

في بيان خطبة خطبها بذي قار

الموت مجازه والضمير في قوله احياؤهم يعود الى اهل الدنيا لان موت القلوب هو الواقع بهم حال حيوتهم ويحتمل عوده الى قوله وهم الذي هو ضمير المنفس وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** خطبها بذي قار وهو متوجه الى البصرة ذكرها الواقدي في كتاب الجمل فَصَدَعَ بِمَا اُمِرَ بِهِ وَبَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ فَلَمَّ اللهُ بِهِ الصَّدْعَ وَرَتَقَ بِهِ الْفَتْقَ وَاَلَّفَ بِهِ بَيْنَ ذَوِي الْاَرْحَامِ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ وَالضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ **اقول** ذو قار موضع قريب من البصرة وفيه كانت وقعة العرب مع الفرس قبل الاسلام والصدع الشق والواغرة ذات الوغرة وهي شدة توقد الحر ... ومعناه اى عداوة وضغن ويتوقد من الغيظ وعداوة واغرة شديدة والضغائن الاحقاد والاشارة الى الرسول صلعم فالاول استعار له لفظ الصدع بما امر به من تبليغ الوحي ووجه المشابهة انه شق بما جاء به الرسالة عصا الكفر وكلمة اهله وفرق ما التصق من اغشية الجهل على نفوس الكافرين وحجب الغفلة التي اشتملت على قلوبهم كما يصدع الحجر بالمعول ونحوه الثاني ذكر تبليغه الرسالة في معرض مدحه لكونه ادى امانة عظم تبليغها وقدرها وذلك فضيلة تحت ملكة العفة الثالث كونه قد لم الله به الصدع ورتق به الفتق واستعار لفظي الصدع والفتق لما كان بين العرب من الافتراق وتشتت الاهواء واختلاف الكلمة والعداوات والاحقاد حتى ان احدهم كان يقتل اباه وابنه وذوي رحمه لهوى يغويه او ضغن يحمله فجمع الله بمحمد صلى الله عليه وآله شتاتهم والف بين قلوبهم حتى جعل ذلك في معرض امتنانه عليه اذ يقول والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم ... استعار لفظ القادحة للضغائن لاستلزامها اثارة الغضب والفتن والشرور كما يثير القادح النار وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** كلم به عبد الله بن زمعة وكان من شيعته وذلك انه قدم عليه في خلافته فطلب منه مالا فقال اِنَّ هٰذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ وَاِنَّمَا هُوَ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَجَلْبُ اَسْيَافِهِمْ فَاِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ وَاِلَّا فَجَنَاةُ اَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ اَفْوَاهِهِمْ **اقول** هو عبد الله بن زمعة بفتح الميم ابن الاسود بن المطلب بن اسود بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وكان من اصحاب علي وشيعته والجلب المال المجلوب ويروى بالحاء وجناة الثمر ما يجنى منه وظاهر الكلام يقتضي انه استماحه مالا فاعتذر اليه ووجه العذر انه لم يكن يجمع لنفسه مالا يختص به وانما يجمع له ما كان لبيت مال المسلمين من فيئهم وهو جلبه اسيافهم من مال الكفار غنيمة ونطق القرآن الكريم بقسمة خمسه بين من ذكر في قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والاخماس الاربعة الباقية للقاسمين الذين باشروا القتال فعند الشافعي للفارس ثلثة اسهم وللراجل سهم وعند ابي حنيفة للفارس سهمان وللراجل سهم وهو مذهب اهل البيت عليهم السلم ويحمل منعه له من الخمس على انه طلب من مال المقاتلة او على ان الخمس كان قد قسم او على انه لم يكن من المساكين وهم اهل الفاقة والفقر ولا ابن سبيل وهو المنقطع في سفره واما سهم الله فاجمع المفسرون على ان ذكر الله هنا للتعظيم وان اختلفوا في قسمة الخمس فمنهم من قال يقسم خمسة اقسام لان سهم الله وسهم الرسول للرسول فهو قسم واحد وهو المروي عن ابن عباس وقتادة وجماعة من اهل التفسير ومنهم من قال يقسم اربعة اقسام ومنهم من قال ثلثة اقسام والمروي عن اهل البيت عليهم السلم ... بعده مع سهم ذوي القربى للقائم مقامه ينفقها على نفسه واهل بيته من بني هاشم والثلثة الاسهم الباقية لليتامى والمساكين وابناء السبيل من اهل بيت الرسول لا يشركهم فيها باقي الناس عوضا من الصدقات المحرمة عليهم والائمة الاربعة على ان سهم الرسول صلعم كان يصرف بعد عهده الى ما اهم به من مصالح المسلمين من الصلاح والكراع فاذن لم يكن له ان يعطيه من سهم الرسول صلعم وظاهر انه ليس من ذوي القربى ولا اليتامى واما منعه من الاخماس الاربعة فلانها كانت للمقاتلة خاصة ولم يكن هو منهم ولذلك قال له وانما هو فيء للمسلمين وجلب اسيافهم فان شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم وقد نطق كلامه هنا بان الفيء والغنيمة واحد وان كان قد يخص الفيء عند بعضهم بما اخذ من مال الكفار بغير قتال وهو قول الشافعي والمروي في اخبار الامامية وقوله والا فان لا يكون قد شركتهم واستعار لفظ الجناة لما اكتسبوه بايديهم من ذلك المال ملاحظة لشابهته باقتطاف الثمر واجتنائها وهو من افصح الاستعارات ويجري مجرى المثل يضرب لمن يطلب مشاركة غيره في ثمرة فعل فعله ذلك الغير وتعب فيه ولما كان قوله والا دالا على مقدم شرطية متصلة وتقديره والا يكن فقد شركتهم في حربهم صح قوله فجناة ايديهم الى آخره على تاليها اذ كان مفهوم هذا القول دالا على انه ... نصيبا مما جنته يد الجاني فكانه قال والا تشركهم في حربهم فلا يكون لك نصيب فيما كسبته ايديهم والفاء جواب الشرط المقدر وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** اَلَا وَاِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْاِنْسَانِ فَلَا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ اِذَا امْتَنَعَ وَلَا يُمْهِلُهُ النُّطْقُ اِذَا اتَّسَعَ وَاِنَّا لَاُمَرَاءُ الْكَلَامِ وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ اَنَّكُمْ فِي زَمَانٍ الْقَائِلُ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ وَاللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ وَاللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ اَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعِصْيَانِ مُصْطَلِحُونَ عَلَى الْاِدْهَانِ فَتَاهُمْ عَارِمٌ وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ وَقَارِئُهُمْ مُمَاذِقٌ لَا يُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ وَلَا يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ **اقول** روي ان امير المؤمنين عم قال هذا الكلام في واقعة اقتضت ذلك وهي انه امر ابن اخته جعدة بن هبيرة المخزومي يوما ان يخطب الناس فصعد المنبر فحصر فلم يستطع الكلام فقام وتسنم ذروة المنبر ثم خطب خطبة طويلة ذكر الرضي ره منها هذا الفصل والبضعة القطعة وتنشبت تعلقت وتهدلت تدلت والعارم الشرس سيء الاخلاق والمماذق ... الذي يمزج الود ولا يخلصه وهو نوع من النفاق والضمير في يسعده ويمهله للسان وفي امتنع واتسع للانسان والمعنى ان اللسان لما كان آلة للانسان يتصرف بحسب ارادته فاذا امتنع الانسان عن الكلام لشاغل او صارف لم يسعد اللسان

انه يقسم ستة اسهم ... سهم الله وسهم الرسول ...

في بيان سبب اختلاف الناس في الصور والاخلاق

القول ولم يوانه واذا دعاه الداعي الى الكلام وحضره واتسع الانسان له لم يمهله النطق بل يسارع اليه ويحتمل ان يعود الضمير في امتنع الى القول وفي اتسع الى النطق اي فلا يسعد القول اللسان اذا امتنع القول من الانسان ولم يحضره لوهم ونحوه او مع حضوره وعيه ولا يمهله النطق اذا اتسع عليه وحضره وقوله وانا لامراء الكلام استعار لفظ الامراء لنفسه واهل بيته ملاحظة لكونهم مالكين لازمة الكلام يتصرفون فيه تصرف الامراء في ممالكهم واستعار لفظ العروق لمواد الكلام واصوله وملكاته المتمكنة في قلوبهم واستعار لفظ التنشب وكذلك استعار لفظ الغصون لما امكنهم من ... ورشح بذكر التهدل لان من شان الغصن ذلك ثم عقب بذكر الزمان واهله ويشبه ان يكون هذا فصلا منقطعا عما قبله وذكر اوصافا فاحدها قلة القائلين فيه بالحق وذلك من ... لاهل الزمان فيه وقد عرفت ما قلناه في كون الزمان سببا ما للشر والخير عند قوله ايها الناس انا قد اصبحنا في دهر عنود وزمن كنود الثاني كون اللسان فيه كليلا عن الصدق والسبب القريب للوصفين استيلاء الجهل والظلم على اكابره واهل الدنيا فيه الثالث ذكر اللازمين للحق فيه وهو لازم عن قلتهم وضعفهم بالنسبة الى الباقين والرابع كون اهله معتكفين على العصيان واراد الاكثرين من الناس الخامس كونهم مصطلحين على الادهان وهي المصانعة باللسان دون الاتفاق بالقلوب ويحتمل ان يريد بالادهان الغش وهو لغة قوم السادس وهم بحسب اصنافهم فتاهم شرس الاخلاق ... وشائبهم آثم لجهله وغفلته عما يراد به وعالمهم منافق لاستعماله فطنته في طرق الشر واعراضه عن امر الله وطريق الآخرة وقارئهم مماذق بمعنى يظهر الود الى الناس وليس به السابع كونهم لا يعظم صغيرهم كبيرهم وذلك لسوء ... على الآداب الشرعية وعدم التفاتهم اليها الثامن ولا يعول غنيهم فقيرهم ووصفهم بالجفاوة والبخل وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** روى ابو محمد اليماني عن احمد بن قتيبة عن عبد الله بن يزيد عن مالك بن دحية قال كنا عند امير المؤمنين عليه السلم وقد ذكر عِنْدَهُ اخْتِلَافُ النَّاسِ فَقَالَ اِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِي طِينِهِمْ وَذٰلِكَ اَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ اَرْضٍ وَعَذْبِهَا وَحَزْنِ تُرْبَةٍ وَسَهْلِهَا فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ اَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ فَتَامُّ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ وَمَادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهِمَّةِ وَزَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ وَقَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ وَمَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ مُنْكَرُ الْجَلِيبَةِ وَتَائِهُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ وَطَلِيقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ **اقول** دعلب واحمد وعبد الله ومالك من رجال الشيعة ومحدثيهم والفلقة القطعة والشيء الشق من الشيء والرواء المنظر الجميل وسبرت الرجل اسبره اختبرت باطنه وغوره والضريبة الخلق والطبيعة والجليبة ما يجلبه الانسان ويتكلفه والكلام اشارة الى سبب المبادي لاختلاف الناس في الصور والاخلاق فقوله انما فرق بينهم الى قوله يتفاوتون اشارة الى ما اشار اليه في قوله ... في الخطبة الاولى ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبخها تربة ... الى قوله واصلدها حتى استمسكت والمعنى ان تقاربهم في الصور والاخلاق تابع لتقارب طينهم وتقارب مباديه وهي السهل والحزن والسبخ والعذب وتفاوتهم فيها تابع لتفاوت طينهم ومباديه المذكورة قال اهل التاويل اضافة المبادي هنا الى الطين اضافة بمعنى اللام اي المبادي لطينهم والاشارة بطينهم الى اصولهم وهي الممتزجات المتنقلة في اطوار الخلقة كالنطفة وما قبلها من موادها وما بعدها من العلقة والمضغة والعظم والمزاج الانساني القابل للنفس المدبرة قالوا ولما كانت مبادي ذلك الطين في ظاهر كلامه عليه السلم هي السبخ والعذب والسهل والحزن كان ذلك كناية عن الاجزاء العنصرية التي هي مبادي الممتزجات ذوات الامزجة كالنبات والغذاء والنطفة وما بعدها اذ كل ممتزج منها لا بد فيه من اجزاء متفاعلة يحصل بواسطتها استعداد ... وتفاعلها ذو مزاج هو نطفة وغيرها فتلك الاجزاء المتفاعلة المستعدة لمزاج مزاج هي مبادي تلك الامزجة والممتزجات ولما كانت السبخية والعذوبة والسهولة والحزونة امورا تلحق الممتزجات الارضية التي هي مبادي الطين ولها اثر في اختلاف امزجة سائر الامزجة المركبة منه وكان اختلاف استعدادات تلك الامور الممتزجة لقبول الامزجة التي هي السبب في اختلاف الامزجة وكان اختلاف الامزجة واستعداداتها لقبول الاخلاق والصور هو السبب في اختلاف الاخلاق والصور لا جرم كان السبب في تفرق الناس في اخلاقهم وخلقهم انما هو لاختلاف مبادي طينهم وقد علمت مما سلف في الخطبة الاولى سر تخصيصه بعض الاجزاء العنصرية بالتركيب عنها ويحتمل ان يشير بالسبخ والعذب والسهل والحزن الى الاجزاء الارضية من حيث هي ذوات امزجة متعادلة الكيفيات فالسبخ كناية عن الحار اليابس منها والعذب كناية عن الحار الرطب والسهل كناية عن البارد الرطب والحزن عن البارد اليابس قالوا وعلى هذا يحمل قول الرسول صلعم ان الله سبحانه لما اراد خلق آدم امر ان يوخذ قبضة من كل ارض فجاء بنو آدم على قدر طينها الاحمر والابيض والسهل والحزن والطيب والخبيث فالقبضة من كل ارض اشارة الى الاجزاء الارضية المذكورة وكون الناس مختلفين عنها بالابيض والاحمر اشارة الى اختلاف خلقهم وكونهم مختلفين بالسهولة والحزونة والطيب والخبيث اشارة الى اختلاف اخلاقهم عن اختلاف تلك الاستعدادات السابقة على كل مزاج في اطوار خلقهم قالوا وقد بان بذلك معنى قوله فهم على حسب قرب ارضهم يتقاربون اي على حسب قرب مبادي طينهم المذكورة وتشابهها في استعداداتها واعدادها يتقاربون ويتشابهون في الصور والاخلاق وعلى قدر اختلاف تلك المبادي وتباينها في ذلك يتفاوتون ويتضادون اخلاقهم ومباين خلقهم قالوا ويجب التاويل هنا لانا لو حملنا الكلام على ظاهره لاقتضى ان كلا منهم قد خلق من الطين قوله فتام الرواء الى آخره تفصيل لهم في تفاوتهم وذكر اقساما ستة وهذه الاقسام التي تضاد خلقها لاخلاقها او بعض اخلاقها لبعض وهي ستة الاول من استعد مزاجه

الرطب والحزن كناية عن البارد اليابس

لقبول صورة كاملة حسنة وعقل ناقص فهو داخل في رذيلة الغباوة الثاني المستعد لاستعداد الفاضل وحسنها ايضا لكنه ناقص في همته فهو داخل
في رذيلة الجبن وكلاهما يشتركان في محاسن الظاهر فهما بباطنهما يتفاوتان في الاستعداد الباطن الثالث المستعد لقبح صورته الظاهرة وحسن
باطنه باعتدال المزاج ذهنه المستلزم للاعمال الزاكية الرابع قريب للقرابي قصير بعيد للشر اي داهية يسعد اخبثا بباطنه والوقوف على اسراره
ومحاسن ظاهره هذين القسمين لباطنهما ظاهر الخامس معروف لضريبته منكر الجليسة اي يكون له خلق معروف فيتكلف ضده فيستنكر منه
ويظهر عليه تكلفه كان يكون مستعدا للجبن فيتكلف الشجاعة او بخيلا فيتكلف السخاوة فيستنكر منه ما لم يكن معروفا منه فهي وفي هذه الاقسام
الخمسة والقسم الاول والثالث قليلان فان الاغلب على المستعد لحسن الصورة وجمالها واعتدال الخلقة ان يكون فطنا ذكيا لدلالة تلك العوارض
على استواء التركيب في عدل المزاج والاغلب على المستعد لقبح الصورة عكس ذلك واما القسم الثاني والرابع فهو اكثر فان الاغلب على طويل القامة نقصان
العقل والبلادة ويتبع ذلك فتور العزم وقصور الهمة وعلى القصير الفطنة والذكاء وحسن الآراء والتدابير وقد نبه بعض الحكماء على علة ذلك فقال
حين سئل ما بال القصار من الناس ادهى واحذق فقال لقرب قلوبهم من ادمغتهم ومراده ان القلب لما كان مبدأ الحار الغريزي وكان الاعراض النفسانية
من الفطنة والفهم والاقدام والمواخذة وحسن الظن وجودة الرجاء والنشاط ورجولية الاخلاق وقلة الكسل وقلة الانفعال عن الاشياء وكل ذلك
يدل على الحرارة وتوفرها واضداد هذه الامور يدل على البرودة كان قرب القلب من الدماغ في القصير لكونه سببا لتوفر الحرارة في الدماغ وجودة
استعداد القوى النفسانية فيه للاعراض المذكورة وكان بعده منه في الطويل سببا لقلة الحرارة فيه وضعف استعداد القوى النفسانية لتلك
الاعراض الاستعداد واستعدادها لاضدادها وان كانت الحرارة ليست هي كمال السبب المادي والقسم الخامس اكثري وذلك لمحبة النفوس للكمالات
فترى البخيل يحب ان يعد كريما فيتكلف الكرم والجبان يحب ان يعد شجاعا فيتكلف الشجاعة وقد راعى في هذه القرائن المطابقة فالتام بازاء الناقص
ومائد القامة بازاء القصير والزاكي بازاء القبيح والقريب بازاء البعيد والمعروف بازاء المنكر واما القسمان الباقيان فلاحدهما تابعة بقاء في القلب
وهم العوام والقاعة كل ناعق والتابعون في تيه الجهل المتفرقة اهواؤهم بحسب كل سانح من المطالب الدنيوية والخواطر الشيطانية والثاني
طليق اللسان حديد الجنان وهو اللسن الزكي وهذان القسمان مخالفان للاقسام الاولى في مناسبة ظاهرهما لباطنهما وداعي في كل قرينتين
من هذين القسمين التسجيع المتوازي وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وتجهيزه بابي انت
وامي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والانباء واخبار السماء خصصت حتى صرت مسليا عمن
سواك وعممت حتى صار الناس فيك سواء ولولا انك امرت بالصبر ونهيت عن الجزع لانفدنا عليك ماء الشؤون ولكان الداء
مماطلا والكمد محالفا وقلا لك ولكنه ما لا يملك رده ولا يستطاع دفعه بابي انت وامي اذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك
اقول الانباء الاخبار والشؤون مواصل قطع الرأس المشعوب بعضها مع بعض ويليها والعرب تقول ان
الدموع تجيء منها وقال ابن السكيت الشانان عرقان ينحدران من الرأس الى الحاجبين ثم الى العينين والكمد الحزن المكتوم والمحالف الملازم والبال
القلب وقوله بابي انت وامي يتعلق بمحذوف تقديره افديك وانما قال له لقد انقطع بموتك الى قوله السماء لانه صلى الله عليه وآله خاتم الانبياء
واراد باخبار السماء الوحي قال اهل التأويل ولفظ السماء مستعار لما علا في المعنى من سماء عالم الغيب ومقامات الملأ الاعلى وقوله خصصت الى قوله
سواء اي خصصت في مصيبتك من حيث انها مصيبة خاصة عظيمة لا يصاب الناس في الحقيقة بمثلها فلذلك كانت مسلية لهم عن المصائب من
سواك وعممت مصيبتك حتى استووا فيها واضافها اليه وان كانت للمصيبة لكونها بسببه وقوله ولولا الى قوله وقلا لك اشارة الى العذر في ترك البكاء
الكثير ومماطلة الداء وملازمة الحزن وهو امره عم بالصبر في مواطن المكروه والنهي عن الجزع عند نزول الشدائد وكنى عن كثرة البكاء بانفاد
ماء الشؤون وبالداء عن الم الحزن بفقده صلى الله عليه وآله واستعار له لفظ المماطل لكان الحزن والمه لبشاشته وتمكنه لا يكاد يفارق مع ان من
عادته ان يفارقه فهو كالمماطل بالمفارقة والضمير في قوله وقلا لك يعود الى انفاد ماء الشؤون الذي دل عليه انفدنا والكمد المحالف ولما كان
هو والداء المماطل في تقدير الاثنين ويحتمل ان يعود الى الداء المماطل والحزن الملازم ترجيحا للقرب والضمير في قوله ولكنه ما لا يمكن يعود
الى الموت في قوله بموتك وتقديره ولكن الموت الذي لاجله البكاء والحزن ما لا يملك رده ولا يستطاع دفعه فلم يكن في البكاء والجزع فائدة
وكان لزوم الصبر والحث على التفدية وهي كلمة معتادة للعرب تقال لمن يعز عليهم فان قلت كيف يحسن التفدية هنا بعد الموت وهي غير ممكنة قلت
انه لا يشترط في اطلاقها في عرفهم امكان الفدية اذ ليس الغرض منها تحقيق الفدية بل تخييل الفدية وايهامها للاستعطاف وتخييل المقول له انه
عزيز في نفس القائل الى غاية انه ارجح من ابيه وامه حيث يفديه بهما وظاهر ايهامها يفعل في الطبع ميلا من المقول له ثم سأل ان يذكره عند ربه
وان يجعله من باله اذ هو الشافع اليه مع كونه رئيس الخلق ومقدمهم فكان اولى من سئل ذلك منه واراد ذكرنا عنده بما نحن عليه من طاعته
فهو كامير بعثه الملك الى اهل مدينته ليصلح حالهم وينظمهم في سلك طاعة الملك بالترهيب من وعيده والترغيب فيما عنده من الكرامة فلابد
ان يعلم طاعة المطيع وعصيان العاصي اذا حان رجوعه الى حضرة الملك احب عقلاؤهم واهل الطاعة منهم ان يذكر طاعتهم عند الملك
بين يديه فيقربون الى الغلب امرهم ويأبون ان يجعلهم من باله اي ممن يهتم بهم يقال هذا من بال فلان اي مما يباليه ويهتم به ويحتفل

كلام له عليه السلام عند غسل الرسول

الشؤون

ابتهاج بفعل

ان يريد

٢٧ ج

وقبض يوم الاثنين

ان يريد من مهنات بالله فخلق المضاف وقبض صلى الله عليه وآله بعد الهجرة بعشر سنين وكان مولده عام الفيل وبعث وهو ابن اربعين سنة بعد بناء
الكعبة وهاجر الى المدينة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فكان سنه يوم قبض ثلاثا وستين سنة ويقال انه ولد يوم الاثنين ودخل المدينة يوم
الاثنين ودفن ليلة الاربعاء بحجرة عائشة وفيها قبض وتولى تغسيله علي ع والعباس بن عبد المطلب وابنه الفضل وقد اشرنا الى ذلك كيفية دفنه
في قوله ولقد علم المستحفظون وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد
ولا تراه النواظر ولا تحجبه السواتر الدال على قدمه بحدوث خلقه وبحدوث خلقه على وجوده وباشتباههم على ان لا شبيه
له الذي صدق في ميعاده وارتفع عن ظلم عباده وقام بالقسط في خلقه وعدل عليهم في حكمه مستشهد بحدوث الاشياء على
ازليته وبما وسمها به من العجز على قدرته وبما اضطرها اليه من الفناء على دوامه واحد لا بعدد ودائم لا بامد وقائم لا
بعمد تتلقاه الاذهان لا بمشاعرة وتشهد له المرائي لا بمحاضرة لم تحط به الاوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع منها واليها حاكمها ليس
بذي كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيما ولا بذي عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيدا بل كبر شأنا وعظم سلطانا
واشهد ان محمدا عبده الصفي وامينه الرضي صلى الله عليه وآله ارسله بوجوب الحجج وظهور الفلج وايضاح المنهج فبلغ الرسالة صادعا
بها وحمل على المحجة دالا عليها واقام اعلام الاهتداء ومنار الضياء وجعل امراس الاسلام متينة وعرى الايمان وثيقة **اقول**
المشاهد المحاضر والمجالس والمرائي جمع مرآة بفتح الميم وهي المنظر يقال فلان حسن المرآة في العين وفي رأي العين اي في المنظر والفلج الظفر
واصله السكون والامراس جمع مرس بفتح الراء جمع مرسة وهي الحبل وقد حمد الله تعالى باعتبارات من التنزيه الاول كونه لا تدركه الشواهد
واراد الحواس وسماها شواهد لكونها تشهد ما تدركه وتحضر معه وقد علمت تنزيهه عن ادراك الحواس عنه الثاني ولا تحويه المشاهد
وقد علمت تنزيهه تعالى عن الامكنة والاحياز الثالث ولا تراه النواظر اي نواظر الابصار وانما خصص البصر بالذكر بعد ذكر الشواهد لانه
تنزيهه تعالى عن سائر الحواس ووقوع الشبهة وقوتها في اذهان كثير من الخلق في جواز ادراكه تعالى بهذه الحاسة حتى ان مذهب كثير من العوام ان تنزيهه
تعالى عن ذلك ضلال بل كفر تعالى الله عما يقول العادلون الرابع ولا تحجبه السواتر وقد علمت ان السواتر الجسمانية انما تعرض للاجسام وعوارضها
وعلمت تنزيهه تعالى عن ذلك الخامس كونه دالا على قدمه بحدوث خلقه واعلم انه تعالى جعل حدوث خلقه هنا دالا على امرين احدهما قدمه تعالى
والثاني وجوده وقد سبق تقرير ذلك في قوله عليه السلام الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبحدوث خلقه على ازليته غير انه جعل هناك
الدليل على الوجود هو نفس الخلق وجعله هنا هو الحدوث ولما كان مجرد الوجود للممكنات وخلقها يدل على وجود صانع لها فاولى
ان يدل حدوثها عليه وعلى قدمه وازليته واما السادس وكذلك مر تقرير قوله وباشتباههم على ان لا شبيه له في الفصل المذكور السابع
الذي صدق في ميعاده وصدقه تعالى يعود الى مطابقة ما نطق به كتبه على السنة رسله الصادقين عليهم السلام للواقع في الوجود مما وعد به اما
في الدنيا كما وعد رسوله والمؤمنين بالنصر والاستخلاف في الارض كقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها الآية وقوله وعد الله
الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض واما في الآخرة كما وعد عباده الصالحين بما اعد لهم في الجنة من الثواب الجزيل والخلف
في الوعد كذب وهو على الله سبحانه محال وهو كقوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد الثامن وارتفع عن ظلم عباده وهو تنزيه له عن حال
ملوك الارض الذين من شأنهم ظلم رعيتهم اذا رأوا ذلك اولى بهم وان فيه منفعة ولذة او في تركه ضررا والما وكل ذلك من توابع الامزجة
وعوارض البشرية المحتاج الى تحصيل الكمال الحقيقي او الوهمي وجناب الحق تعالى منزه عن ذلك التاسع وقام بالقسط في خلقه فقيامه بالقسط هو
العدل فيهم واجراؤه لاحكامه في مخلوقاته على وفق الحكمة والنظام الاكمل الكلي ومواردها وكذلك تعدله عليهم في حكمه العاشر كونه مستشهدا بحدوث
الاشياء على ازليته الاستشهاد الاستدلال وكرره هنا تاكيدا باختلاف العبارة الحادي عشر وبما وسمها به من العجز على قدرته العجز عبارة عن عدم القدرة
عما من شأنه ان يقدر اذ لا يقال مثلا للجدار انه عاجز وقد علمت ان كل موجود سواه فهو موصوف وموسوم بعدم القدرة على ما يختص به
تعالى من الموجودات بل بعدم القدرة على شيء اصلا اذ كل موجود فهو منته في سلسلة الحاجة اليه وهو تعالى مبدأ وجوده وسائر ما يعد
سببا له فانما هو واسطة معدة كما علمت تحقيقه في موضعه فاذن لا قدرة في الحقيقة الا له ووجه الاستدلال انه لو كان موسوما بالعجز
عن شيء لما كان مبدأ لكل موجود فهو تام القدرة ثم انها الثاني عشر وبما اضطرها اليه من الفناء على دوامه واضطراره لها الى الفناء و
حكم قدرته القاهرة على ما استعد منها للعدم بافاضة صورة العدم عليه حين استعداده لذلك كما في قضائه تعالى بذلك وهو المشار اليه بقوله
ثم ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ووجه الاستدلال انه تعالى لو كان مضطرا الى الفناء كسائر الاشياء لكان
جائز الفناء فكان ممكنا لكن التالي باطل فهو واجب الوجود فيه الثالث عشر كونه تعالى واحدا لا بعدد اي انه ليس واحدا بمعنى انه مبدأ الكثرة يكون عادا
لها وحكيا لا وقد سبق بيان ذلك وبيان اطلاق جهة الوحدة عليه وبأي معنى هو غير مرة فلا معنى للاعادة الرابع عشر كونه دائما لا بامد وقد سبق
ايضا بيان ان كونه دائما بمعنى ان وجوده مساوق لوجود الزمان اذ كان تعالى هو موجد الزمان بعد مراتب من خلقه ومساوق الزمان لا يقتضي
الكون في الزمان ولما كان الامد هو الغاية من الزمان ومنتهى الزمان الذي هو المقدر لما يكون زمانه وثبت انه تعالى ليس بذي زمان

لكنه مبدء

بعرض له الامد ثبت انه دايم الامد له الخامس عشر كونه قايما بلا عمد اى ثابت الوجود من غير استناد الى سبب يعتمد عليه و يقيمه فى الوجود كساير الوجودات الممكنة و ذلك هو معنى كونه واجب الوجود و قد اشرنا الى برهان ذلك فى قوله الحمد لله الدال على وجوده بخلقه و كثير من قراين هذا الفصل موجود هناك السادس عشر كونه تتلقاه الاذهان لا بمشاعره و تلقى الاذهان له يعود الى استقبالها و تقبلها لما يمكنها ان تتصوره من صفاته السلبية و الاضافية و كون ذلك لا بمشاعره اى ليس تلقيها لتلك التصورات من طريق المشاعر و هى الحواس و لا على وجه شعورها بما تشعر به منها بل تتلقاها على وجه اعلى و اشرف تعقل صرف برى عن علايق المواد مجرد عن ادراك الحواس و توابع ادراكاتها من الوضع و الاين و المقدار و الكون و غير ذلك السابع عشر كونه تشهد له المراى لا بمحاضرة اشارة الى كون المراى و النواظر طرقا للعقول الى الشهادة بوجوده ثم فى اثار قدرته و لطايف صنعته و ما يدرك بحس البصر منها و لوضوح العلم بربانيتها و شهادة العقول بوجوده فى المدركات بتلك الابصار كانه تعالى مشاهد للمرئى فيها و ان لم تكن هذه الالة محاضرة له و لا تتعلق ادراكها به و يحتمل ان يريد بالمراى المرئيات التى هى مجال ابصار الناظرين و مواقعها و ذلك ان وجودها و ما اشتملت عليه من الحكمة شاهد بوجود الصانع سبحانه من غير حضور و محاضرة حسية كما عليه الصناع فى صنايعهم من محاضرتها و مباشرتها الثامن عشر كونه تعالى لم تحط به الاوهام و ذلك لما كانت انما تتعلق بالمعانى الجزئية المتعلقة بالمحسوسات و المواد الجسمانية فترتيبه فى تنزيهه تعالى عن احاطة الاوهام به و قياس هكذا لا شئ من واجب الوجود متعلق بمادة و وضع و كل مدرك للوهم فهو متعلق بذى مادة و وضع ينتج لا شئ مما هو واجب الوجود بمدرك للاوهام اصلا فضلا ان يحيط به و قد مر ذلك مرارا التاسع عشر كونه تعالى تجلى لها و بها امتنع منها لا يدرك الا ما كان معنى جزئيا فى محسوس فمعنى تجليه لها هو ظهوره لها فى صورة وجود ساير مدركاتها من جهة ما هو صانعها و موجدها اذ كانت الاوهام عند اعتبارها لاحوال انفسها من وجوداتها و عوارضها و التغيرات اللاحقة لها مشاهدة لحاجتها الى موجد و مقيم و مغير و مساعدة للعقول على ذلك و ان ادراكها لذلك فى انفسها على وجه جزئى مخالف لادراك العقول و كانت مشاهدة له بحسب ما طبعت عليه و بقدر امكانها و هو متجل لها كذلك و الباء فى بها للسببية اذ وجودها هو السبب المادى فى تجليه لها و يحتمل ان يكون بمعنى فى اى تجلى لها فى وجودها و بل هنا للاضراب عما امتنع منها من الاحاطة به و الاثبات لما امكن و وجب من تجليه لها العشرون و بها امتنع اى لما خلقت قاصرة عن ادراك المعانى الكلية و عن التعلق بالمجردات كانت بذلك مبدا الامتناع عن ادراكها له و ان كان لذلك لا استناد اسباب الى و لاها كونه تعالى بريا عن انحاء التراكيب و يحتمل ان يريد بقوله بها اى انها لما خلقت على تلك القصور كان هو تعالى ممتنع الادراك بالكلية غير منتهى عند توجهها اليه و طلبها المعرفته بالعجز عن ادراكه امتنع عنها فيها اى فى عجزها فيها امتنع منها الحادى و العشرون كونه اليها حاكمها اى جعلها حاكما بينها و بينه عند رجوعها من توجهها فى طلبه مجذوبة خلف العقول حيرة معترفة بانه لا ينال بحجب الاعتبار كنه معرفته و لا يخطر ببال اولى الراى اذ استخاطر من تقدير جلال العزة بحاجتها و استغنائه و نقصانها و كماله و مخلوقيتها و خالقيته الى غير ذلك مما لها من صفات المصنوع و له من صفات الصانعية موافقة للعقول فى تلك الاحكام و اسناد المحاكمة اليها مجاز لما تشبه ما ذكرناه و قال بعض الشارحين اراد بالاوهام ههنا العقول و قال انها لا تحيط به لكونه غير مركب محدود و تجليه لها هو كشف ما يمكن ان يصل اليه العقول من صفاته الاضافية و السلبية و قوله و بها امتنع منها اى بالعقول و نظرها علم انه لا تدركه و اليها حاكمها اى جعل العقول المدعى عليها انها الحاضرة و ذكرته كالخصم له سبحانه ثم حاكمها الى العقول السليمة الصحيحة فحكمت له العقول السليمة على المدعية لما ادعته ملا له و ما ذكره هذا الفاضل محتمل الا ان اطلاق لفظ الاوهام على العقول ان صح فمجاز بغير قرينة و عدول عن الحقيقة من غير ضرورة و قال غيره اراد انه لم تحط به اهل الاوهام فحذف المضاف و عند تامل ما بيناه يلوح انه هو مراده او قريب منه و هذه الالفاظ اليسيرة من لطايف اشاراته و اطلاعه على اسرار الحكمة الثانى و العشرون كونه ليس بذى كبر الى قوله تجسيما الكبير يقال للعظيم الحجم و المقدار و يقال للعالى السن من الحيوان و يقال العظيم القدر رفيعه و مراده نفى الكبر عنه بالمعنى الاول اذ من لوازم ذلك كون الكبير ممتدا فى الجهات الثلث طولا و عرضا و عمقا فيحصل الكبير الجسمى و قد تقدس عن ذلك و نفى سه عن الكبر بالمعنى الثانى ظ و تجسيما مصدر فى موضع الحال اى فكبره تجسيما له او مجسمه و انما اسند الامتداد به الى النهايات لانها غاية الطبيعة للامتداد تقف عنده و ينتهى بها فكانت من الاسباب الغائية فلذلك اسند اليها و كذلك اسناد التكبير اليها اذ كان التكبير من لوازم الامتداد اليها الثالث و العشرون و لا بذى عظم الى قوله تجسيدا و العظيم يقال على ما يقال عليه الكبير بالمعنى الاول و الثالث دون الثانى و مراده سلب العظيم عنه بالمعنى الاول المادى و اسناد التناهى الى الغايات ظ اذ كانت سببا للوقوف بها انقطع و النهاية بلغ و كذا اسناد التعظيم اليها كاسناد التكبير و ان اسند التناهى اليه فهو جاز الرابع و العشرون كونه كبير شانا الخامس و العشرون كونه عظم سلطانا لما سلب الكبر و العظم عنه بالمعنيين الاولين اشار الى ان اطلاقهما عليه بالمعنى الثالث و نصب شانا و سلطانا على التمييز فهو الكبير شانا اذ لا شان اعلى من شانه و العظيم سلطانا اذ لا سلطان ارفع من سلطانه و هو مبدا شان كل ذى شان و منتهى سلطان كل ذى سلطان لا اله الا هو الكبير المتعال ذو الكبرياء و العظمة و الجلال ثم اردف تمجيده تعالى بما هو اهله بالكلمة المتممة لكلمة الاخلاص و الشهادة التى هى مبدا لكمال القوة العملية من النفوس البشرية بعد كمال قوتها النظرية بالشهادة الاولى و ظ كونه صلى الله عليه و آله صفيا لله و امينا على وحيه و مرتضى

لذلك

فى بيان صفة عجيب خلق اصناف الحيوان

٢٦ ح

لذلك ثم اردف ذلك بالاشارة الى كونه رسولا و الى وجه ما ارسل به و هو وجوب الحجج و اراد بها اما المعجزات و ما هو اعم من ذلك و هو ما يكون حجة لله على خلقه فى تكليفهم ان يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك و يدخل فى ذلك دلايل الاحكام و طرق الدين التفصيلية و كونه ارسل بوجوبها اى وجوب قبولها على الخلق و وجوب العمل على وفقها و ظهور الفلج و هو الظهور على ساير الاديان و الظفر باهلها و بالعادلين بالله و الجاحدين له و ايضاح المنهج و هى طريق الله و شريعته و ظ كونه موضحا لها و مبينا و الى ذلك الاشارة بقوله تعالى ارسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله فالهدى هو ايضاح المنهج و قوله ليظهره على الدين كله اشارة الى بعض غايات بعثته و هى المراد بظهور الفلج و روى بضم الفاء و اللام و هو بضم الفاء و سكون اللام للفوز و يجوز ضم اللام للشاعر و الخطيب و قوله فبلغ الرسالة اظهارها و المجاهرة بها و قد علمت ان اصل الصدع الشق فكانه شق بالمجاهرة بها عصا المشركين و فرق ما اجتمع من شرهم و حمله على المحجة و هى طريق الله الواضحة و شريعته دعوته اليها و جذبه للخلق الى سلوكها بالحكمة و الموعظة الحسنة و المجادلة بالتى هى احسن ثم بالسيف لمن لم تنفعه المجادلة و اراد بالاعلام الاهتداء ادلته و هى المعجزات و قوانين الدين الكلية و كذلك منار الضياء فانه لاظهارها و للقائها الى الخلق و لفظ المحجة و الاعلام و المنار مستعارة كما سبق غير مرة و صادعا و دالا نصب على الحال و استعار لفظ الامراس و العرى لما يتمسك به من الدين و الايات و رشح بذكر الوثاقة و الوثاق اقتباسا و يجعله كذلك الى تثبيت قواعد الاسلام و غرسها فى قلوب الخلق واضحة جلية بحيث تكون عصمة للمتمسك بها فى طلب النجاة من مخاوف الدارين و سببا لا ينقطع دون الغاية القصوى و بالله التوفيق منها فى صفة عجيب خلق اصناف من الحيوان

و لو فكروا فى عظيم القدرة و جسيم النعمة لرجعوا الى الطريق و خافوا عذاب الحريق و لكن القلوب عليلة و الابصار مدخولة الا ينظرون الى صغير ما خلق كيف احكم خلقه و اتقن تركيبه و فلق له السمع و البصر و سوى له العظم و البشر انظروا الى النملة فى صغر جثتها و لطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر و لا بمستدرك الفكر كيف دبت على ارضها و صبت على رزقها تنقل الحبة الى جحرها و تعدها فى مستقرها تجمع فى حرها لبردها و فى ورودها لصدرها مكفولة برزقها مرزوقة بوفقها لا يغفلها المنان و لا يحرمها الديان و لو فى الصفا اليابس و الحجر الجامس لو فكرت فى مجارى اكلها و فى علوها و سفلها و ما فى الجوف من شراسيف بطنها و ما فى الرأس من عينها و اذنها لقضيت من خلقها عجبا و لقيت من وصفها تعبا فتعالى الذى اقامها على قوائمها و بناها على دعائمها لم يشركه فى فطرتها فاطر و لم يعنه على خلقها قادر و لو ضربت فى مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة الا على ان فاطر النملة هو فاطر النخلة لدقيق تفصيل كل شئ و غامض اختلاف كل حى و ما الجليل و اللطيف و الثقيل و الخفيف و القوى و الضعيف فى خلقه الا سواء كذلك السماء و الهواء و الرياح و الماء فانظر الى الشمس و القمر و النبات و الشجر و الماء و الحجر و اختلاف هذا الليل و النهار و تفجر هذه البحار و كثرة هذه الجبال و طول هذه القلال و تفرق هذه اللغات و الالسن المختلفات فالويل لمن انكر المقدر و جحد المدبر زعموا انهم كالنبات ما لهم زارع و لا لاختلاف صورهم صانع و لم يلجأوا الى حجة فيما ادعوا و لا تحقيق لما اوعوا و هل يكون بناء من غير بان او جناية من غير جان و ان شئت قلت فى الجرادة اذ خلق لها عينين حمراوين و اسرج لها حدقتين قمراوين و جعل لها السمع الخفى و فتح لها الفم السوى و جعل لها الحس القوى و نابين بهما تقرض و منجلين بهما تقبض يرهبها الزراع فى زرعهم و لا يستطيعون ذبها و لو اجلبوا بجمعهم حتى ترد الحرث فى نزواتها و تقضى منه شهواتها و خلقها كله لا يكون اصبعا مستدقة فتبارك الله الذى يسجد له من فى السموات و الارض طوعا و كرها و يعفر له خدا و وجها و يلقى اليه بالطاعة سلما و ضعفا و يعطى له القياد رهبة و خوفا فالطير مسخرة لامره احصى عدد الريش منها و النفس و ارسى قوائمها على الندى و اليبس قدر اقواتها و احصى اجناسها فهذا غراب و هذا عقاب و هذا حمام و هذا نعام دعا كل طائر باسمه و كفل له برزقه و انشأ السحاب الثقال فاهطل ديمها و عدد قسمها فبل الارض بعد جفوفها و اخرج نبتها بعد جدوبها **اقول** الدخل العيب و الشراسيف الجلد و الجامس الجامد و الشراسيف اطراف الاضلاع المشرفة على البطن و الضرب من الارض المساحة فيها و الحدقة سواد العين و القمر بياضها و ضياؤها يقال حمار اقمر اى مضيئة و اجلبوا اجمعوا و النزوات الوثبات و النغفة التمريغ فى الخمر و هو التراب و قوله و لو فكروا الى قوله مدخولة وضع حرف لو ليدل على امتناع الشئ لامتناع غيره لكن الاغلب عليها ان تستعمل للدلالة على امتناع اللازم لامتناع ملزومه و ذلك على وجهين احدهما ان يكون ذلك اللازم مساويا لملزومه اما حقيقة او وضعا و الثانى ان يكون الملزوم علة لذلك لئلا يلزم من رفع الملزوم رفع اللازم و يمكن الاستدلال به فاما اذا لم يكونا كذلك جاز ان يدل به على امتناع الملزوم لامتناع لازمه كما فى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا و قد استعمله عليه السلام هنا بالوجه الثانى من الوجهين الاولين و استدل على ان الخلق لم يرجعوا الى طريق الله عنهم و جها لانهم لم يخافوا من وعيده بعذاب الحريق فى الاخرة لانهم لم يفكروا فى عظيم قدرته فى خلق مخلوقاته و عجايب مصنوعاته و ما جسم من نعمته على عباده و يحتمل ان يريد بالقدرة المقدور مجازا اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق و كان ذلك من باب الاستدلال بعدم العلة على عدم المعلول و كان الفكر فى ذلك سببا عظيما فى الجذب لهم الى اتباع شريعته و سلوك سبيله اليها و اليه الاشارة بقوله تعالى اولم يتفكروا فى ملكوت السموات و الارض و ما خلق الله

من شيء وقوله ارجع البصر الى السماء فوقهم كيف بنيناها الاية ونحوه وقوله ولكن القلوب الى قوله سدحوله بيان لعدم العلة المذكورة منهم وهو الفكر
واشار الى عدمها بوجود ما ينافي وجود شرطها اذ كان كون القلوب عليلة وكون الابصار معيبة بما ينافي صحتها وسلامتها اللذين هما شرطان
في وجود الفكر الصحيح ومع وجود المنافي لصحة قلوبهم وسلامة ابصارهم وبصائرهم لا يحصل الصحة التي هي شرط الفكر فلا يحصل معلوله وهو الفكر فلا يحصل
الرجوع الى الله وعلل القلوب وما يلحق ابصار البصائر من العيوب يعود الى الجهل واعتبار الاثبات لما بينته والاخلاق الرديئة المكتسبة
من جواذب الشهوات الى مساوي اللذات المغطية لانوار البصائر الحاجبة عن ادراك واضح الطريق الحق وقوله الا ينظرون الى قوله الاشبه شهير
لهم على بعض ما وانشدهم ومفلتة التي اشار الى عظمة الله المتدثة فيها واحسن بقدرة الترتيب التدريج الحسن فانك علمت من ادب الخطيب
اذا اراد ان يقول في امر تعظيم او لا على سبيل الاجمال بقول كلي ليستعد السامعون بذلك لما يريد قوله وبيانه ثم يشرع في تفصيله ولما
اراد ان ينبه على عظمة الله بتفصيل بعض مخلوقاته كالنمل والجراد ونحوه اشار اولا الى عظيم القدرة ووبخ السامعين على اغفالهم الفكر
فيها ليعلم انه يريد ان ينبه على تفصيل مهم ثم تلاه بالتنبيه على لطيف الصنع في صغيرها خلق وكيف احكم خلقته واتقن تركيبه على صغره وفلق
له السمع وسوى له العظم ولم يعين الى ان استعد بذلك لتعظيم الله القلوب واقبلت باذهانها النفوس فقال مبتدئا بذكر النملة وذلك قوله
انظروا الى النملة الى قوله تعالى ونبسطها كيفيتها التي عليها صورتها وصورة اعضائها ومقادير الانسان لا يدركها بلحظ البصر الى ان يعيد
اليها بعناية ولا يكاد عند مراجعة فكره واستدلاله قوله وبادرت بامعاضيه فتق يعلم حقيقتها وكيفية خلقتها وتشريح اعضائها ينظر في
ذلك والباء في قوله بمستدرك يتعلق بمنال ولا ينبغي ان يفهم من قوله ولا ينال بمستدرك الفكر اي في صورتها الظاهرة التي يدركها
البصر فيما ايستوي ذلك الى بعض الاوهام لمكان العطف بل بما ذكرناه من شرح حقيقتها فانه لا يمكن الفكر ان يدرك صورتها المحسوسة
بالبصر بل ان يبحث عن عجائب صنعتها ليستدل بذلك على حكمة صانعها وجلالة عظمته ومحل قوله لا يكاد نصب ويحتمل ان يكون نصبا على الحال
والعامل انظروا ويحتمل ان يكون مستانفا وكيف في محل الجر بدل من النملة ويحتمل ان يكون كلاما مستانفا وفيه معنى التعجب وكيف
صبت اي القيت على رزقها وعنت تاسيه بعد اثره والهام وقيل ذلك على العكس اي صبت عليها رزقها ولفظ الصب يستعار لحركتها في طلبه — وبعث خ
لشبهها بالماء المصبوب وقوله كيف جعل دبيبها على الارض محل التعجب والفكر مع سهولته ووجوده لسائر الحيوان قلنا لم يجعل محل التعجب
هو دبيبها من حيث هو دبيب فقط بل مع الاعتبارات الاخر المذكورة فانك اذا اعتبرتها من حيث هي في غاية اللطافة ثم اعتبرت قوائمها وحركة
مفاصلها ونفضها ورفعها وتعدد ذلك من سنانها الحسن له ونسبتها الى جرمها والى اجزاء المسافة التي تقطعها بكل جزء من حركتها وكل
انصبابها على رزقها بعد اثرها منه اليه ونقلها له الى جحرها وغير ذلك من الاعتبارات المذكورة فانك اذا اعتبرت ذلك منها وجدت
لنفسك منه تعجبا وتفكرا في لطف حيثيات صنعها وحكمة خالقها ومدبرها وقوله تجمع في حرها لبردها اي في الصيف للشتاء وفي ورودها
لصدورها اي في ايام ورودها وتمكنها من الحركة لايام صدورها ورجوعها عن الحركة للعجز فانها تعجز في ايام الشتاء عن ملاقاة البرد فتطلب
بطن الارض لكون الحرارة فيه ومن العجائب التي حكاها اهل التجارب من افعال النمل والهاماتها ما حكاه ابو عثمن عمرو بن بحر الجاحظ
في كتاب الحيوان بفصيح عبارته قال ان النملة تدخر في الصيف للشتاء فتقدم في ايام المهلة ولا تضيع اوقات امكان الحزم وتبلغ من تفقدها
وحزمها وتميزها والنظر في عواقب امورها انها تخاف على الحبوب التي ادخرتها للشتاء ان تعفن وتسوس في بطن الارض فتخرجها الى الظهر لتنشرها
وتعيد اليها جفافها ويضربها النسيم فينفي عنها العفن والفساد قال وربما تختار في الاكثر ان يكون ذلك العمل ليلا لانه يكون اخفى في القمر
لا نهاية له فان كان مكانها نديا وخافت ان تنبت الحبة نقرت موضع القطمير من وسطها لعلمها انها من ذلك الموضع تنبت وربما فلقت
الحبة بنصفين فاما ان كان الحب من الكزبرة فانها تفلقها ارباعا لان انصاف حب الكزبرة تنبت من بين جميع الحب فهي بهذا الاعتبار مجاوزة
لفطنة جميع الحيوان قال وتنقل الى بيتها من انواع الحبوب فوجد الحبوب التي جمعها كل نوع وحده قال ووجدنا في بعضها ان
بعض الحبوب فوق بعض وبينها فواصل حائلة من التبن ونحوه ثم انها تبلغ لطافة تحفظها وخفة جسمها في الشم والاسترواح ما ليس لسائر
الحيوان وذلك انه ربما سقط من يد الانسان جرادة او عضو منها في موضع لم ير فيه ذرة ولا عهد له بذلك المنزل فلا يلبث ان يقبل
ذرة قاصدة الى تلك الجرادة فتروم حملها فاذا اعجزتها بعد ان تبلي عذرا مضت الى جحرها راجعة فلا يلبث الانسان ان يجدها وقد اقبلت
وخلفها كالخيط الاسود من اخواتها حتى يتعاونوا عليها فيحملونها فاعجب من صدق شمها لما يشمه الانسان الجائع ثم انظر الى بعد همتها في
جرأتها على محاولة نقل شيء في وزن جسمها مائة مرة واضعافها وليس من الحيوان ما يحمل اضعاف وزنه مرارا كثيرة كالنملة قال والذي
ينبه على اعلامها لاخواتها واشعارها فليتل ما اشرنا اليه قصة سليمان ع مع النمل حيث حكى القرآن الكريم عنها قالت نملة يا ايها النمل
ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها فان القول المشار اليه منها وان لم يحمل على حقيقته
فهو محمول على مجازه وهو اشعارها لاخواتها بالحال المخوفة للنمل من سليمان وجنوده قال ومن عجيب ما يحكى عن النمل ما حكي
عن بعض من يعمل الاصطرلاب انه اخرج طوقا من صفر من الكور محمى ورمى به على الارض ليبرد فاشتمل على نملة فكانت كلما طلبت جانبا

منه تخرج

منه لتخرج منها الحرارة فكانت مقتضيها وجها من الجوانب ان استقرت ثم ماتت فوجدت قد استقرت في موضع رجل البركار من نقطة
المركز وما ذاك الا للطف حسها وقوته وهما ان ذلك الموضع ابعد الامكنة عن الخط المحيط قال ومن عجائبها الهامها انها لا تعرض
لجعل ولا جرادة ولا خنفساء ولا نحوها ما لم يكن بها خبل وعقر او قطع يد او رجل فاذا وجدت شيئا من ذلك وثبت عليها حتى لو ان
حية بها ضربة او خدش ثم كانت من ثعابين مصر لوثبت عليها الذرة حتى تأكلها ولا تكاد الحية تسلم من الذر اذا كان بها ادنى عقر و
كل ذلك من الالهامات التي اذا فكر اللبيب بها كاد ان يحكم بكونها اعلم بمواضع معاشها وتدبير احوال وجودها من كثير من الناس
فان الانسان قد يغفل عن ذلك التدبير فلا يضبطه ويستمر فيه على قانون واحد وقوله مكفول برزقه مرزوقة نصب على الحال وقوله رزقها وفقها
اي موافق ومطابق لقوتها وعلى قدر كفايتها ويروى مكفول برزقها مرزوقة بوفقها ثم نسب ذلك الى ربها فاشار الى انه لا يغفلها
اي لا يتركها من لطفه وعنايته فانه باعتبار ما هو منان على خلقه لا يجوز في حكمته اهمال بعضها من دون بعض يقوم بحق الوجود وكذلك لا يحرمها
باعتبار كونه ديانا اي مجازيا ووجه ذكر المجازاة هنا انها حيث دخلت في الوجود طائعة لامره وقامت فيه منقادة لتسخيره وبتبع الحكمة
الالهية جزاؤها ومقابلتها بما يقوم بوجودها فلا يكون محروما منه من مادة بقائها على وفق تدبيره ولو كانت في الصفا اليابس والحجر الجامد
بل يفتح لها ابواب معاشها في كل مكان ثم نبه على محال الحري للفكر في النملة فمنها مجاري اكلها وما تأكله فقلت المجاري كالحلق والامعاء
ومنها علوها وسفلها وعلوها يكون الام ليقتضي سفلها وهو راسها وما يليه اي الجزء المتوسط منها وسفلها هو ما يليه اوذا الحرمن طرفيها الا
ومنها ما اشتمل عليه جوفها من شراسيف بطنها او ما فيه من مقامه قال وتعليقه ثم شراسيف بالمجاز ومنها ما في راسها من عينها واذنها
وهي محل القوة السامعة فان كل ذلك على غاية صغره ولطافته محل العجب ومحل النظر اللطيف المستلزم للشهادة بحكمة الصانع ولطف — العجيب
تدبيره الذي يقضي الانسان من تامله عجبا والقضاء ههنا بمعنى الاداء اي لاديت عجبا ويحتمل ان يكون بمعنى الموت اي لقضيت نحبك
من شدة تعجبك ويكون عجبا نصب على المفعول له ثم نبه على محال الفكر ووجوه الحكمة منها اردف ذلك بتنزيه صانعها وتعظيمه
وقرن ذلك التعظيم والتنزيه بمسند الى بعض صنعه بها وهو اقامتها على قوائمها وبناها على دعائمها واراد بدعائمها ما يقوم به بدنها
من الامور التي مقام العظام والعصب والاوتار ونحوها ليحصل التنبيه على عظمته من لطف تلك القوائم واعتبار ضعف تلك الدعائم مع ما
ركب فيها من لطائف الصنعة وودعها من عجائب الحكمة من غير ان يشركه في نظرها الفطرة فاطر او يعينه على لطيف خلقها قادر فسبحانه
ما اعظم شانه وابهر برهانه وقوله ولو ضربت الى قوله النخلة اي لو سارت نفسك في طرق فكرها وبلغت مذاهب نظرها وهي الادلة واجزاء الادلة من
المقدمات واجزائها المستنبطة من عالم الخلق والامر لتصل الى غايات فكرك في الموجودات ما دلك الدليل الا على ان خالق النملة على غاية صغرها
وخالق النخلة على عظمها وطولها واحد وهو المدبر الحكيم وقوله لدقيق تفصيل كل شيء الى قوله حي اشارة الى وسط الحجة على ما ادعاه من اشتراك
النملة والنخلة في الاستناد الى صانع واحد مدبر حكيم ومعنى ما ذكره ان لكل شيء من الموجودات الممكنة تفصيلا لطيفا دقيقا واختلاف شكل
وهيئة ولون ومقدار ووجوه من الحكمة تدل على صانع حكيم خصصه بها دون غيره وهذه الحجة ان وجود النملة والنخلة اشتمل كل منهما على
رقيق تفصيل الخلقة وغامض اختلاف شكل وهيئة وكل ما اشتمل على ذلك فله صانع مدبر حكيم خصصه بذلك فينتج انهما يشتركان في الحاجة
الى صانع مدبر حكيم خص كلا منهما بما يشتمل عليه وهذه الحجة هي المسماة في عرف المتكلمين بالاستدلال بامكان الصفات كما بيناه قبل في قوله — لما نبوه
الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وقوله وما الجليل واللطيف الى قوله سواء مؤكدة من الدعوى وكاسر لما عساه يعرض لبعض الاوهام من استبعاد
نسبة الخلقة العظيمة والخلقة اللطيفة الحقيرة كالنملة الى صانع واحد فاشار الى ان كل المخلوقات وان تباينت اوصافها وتضادت صورها
واشكالها فانه لا تفاوت بالنظر الى قدرته وكمالها من ان يقبض عنه صورة النخلة او صورة الذرة وليس بعضها بالنسبة اليه اولى واقرب من
بعض ولا هو اقوى على بعضها من بعض والا لكان ناقصا في ذاته وكان بما هو اولى به مستفيدا كمالا فهو تعالى منزه عنه وقد ثبت تنزيه جنابه
المقدس عن ذلك في مظانه من الكتب الحكمية والكلامية بل ان كان فيهما تفاوت واختلاف فمن جانب القابل والاختلاف استعداد المواد
بالشدة والضعف والاقدام والاحجام على ما اشرنا اليه غير مرة واللطيف كما يراد به صغر الخلقة كذلك قد يراد به رقيق الصفرة وقد يراد به الشفاف
كالهواء والاول هو مراده ولذلك جعله مقابلا للجليل وقوله وكذلك السماء الى قوله والماء فالمشبه به هو الامور المتضادة السابقة والمشبه هو السماء
والهواء والرياح والماء ووجه الشبه هو حاجتها في خلقتها وتركيبها واحوالها المختلفة والمتفقة الى صانع حكيم واشار الى الامور الاولى المتضادة
اولا ونسبها الى قدرته باعتبار كليتها ومن جهة تضادها لانها ادل على كمال قدرته واشار الى المتباينة وهي السماء وما عدده معها لا باعتبار
تضادها بل باعتبار ما اشتمل عليه كل منها من الحكمة والمنفعة وكونها مواد الاجسام المركبات والهواء اعم من الرياح لتخصيص مسمى الرياح بالحركة
دون الهواء وقوله فانظروا الى قوله المختلفات امر باعتبار حال ما عد من المخلوقات وما اختص به كل منها من الصفات والاشكال والمقادير
والاضواء والالوان والمنافع الى غير ذلك مما يدل على حاجة كل منها الى مخصص حكيم يخصصه بما هو اليق واوفق للحاجة اللازمة له والمناسبة
استعداده بعد اشتراك جميعها في الجسمية وهو امر يقرر الحجة التي ذكرناها في كل واحد من الامور المذكورة ولما كان حال اكثر هذه الاجرام

المذكورة مفتقر الى تقديم النظر البصري لتأتي التفكر والاعتبار فيها امر بهر واما وجوه الاعتبارات فاكثر من ان يحصر فانك اذا اعتبرت حال
الشمس والقمر في عظم اجرامهما والضياء الصادر عنهما وحركاتهما وتنقلهما في منازلهما وما تستلزمه تلك الحركات من التأثيرات والاعدادات
لوجود المركبات العنصرية من المعدن والنبات والحيوان ثم اعتبرت ما ينفصل به احدهما عن الاخر من الجرم وزمان السير وكون القمر يستفيد
النور من الشمس وغير ذلك مما لا يعلم تفصيله الا الله سبحانه وكذلك اذا نظرت الى النبات والشجر وجواهرهما واشكالهما واختلاف اجزائهما في
الالوان والمقادير والثمار وما يستلزمه من المنفعة لوجود الحيوان والمضرة لبعضها الى غير ذلك مما علمته فيما سلف وكذلك الماء في كونه على غاية
من الرقة واللطافة وكون الحجر بعكس كوصفين مع ان اكثر المياه انما تنبع من الاحجار ثم نظرت الى المنافع الموجودة فيهما والمضار العارضة عنهما
وكذلك النظر الى هذا الليل والنهار واختلافهما في هذا العالم وتعاقبهما وما يستلزمانه من المنفعة المختصة بكل منهما مما امتن الله تعالى على
عباده بها حيث قال هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وقال ينبت لكم به الزرع والزيتون
الاية وقال قتل الانسان ما اكفره الى قوله متاعا لكم ولانعامكم الى غير ذلك من الايات وقال انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض
وقال وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا الى قوله الفافا وكذلك اذا اعتبرت تفجير هذه البحار وما تستلزمه من المنفعة كما قال تعالى
مرج البحرين يلتقيان وقال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وكذلك اذا اعتبرت كثرة الجبال وتلالها وعروضها واطوالها وما اشتملت عليه
من معادن الجواهر وغيرها وكذلك تفرق اللغات واختلاف الالسنة وجدت ذلك التكثر والاختلاف شاهدا بوجود صانع حكيم وتقريرها
كما علمت ان نقول ان هذه الاجسام كلها مشتركة في الجسمية واختصاص كل منها بما يتميز به من الصفات المتعددة ليس للجسمية ولوازمها والا
وجب لكل منها ما وجب للاخر ضرورة اشتراكها في علة الاختصاص فلا تميز له هف ولا لشيء من عوارض الجسمية لان الكلام في اختصاص
كل منها بذلك العارض كالكلام في الاول ويلزم التسلسل فبقي ان يكون لامر خارج عنها هو الفاعل الحكيم المخصص لكل منها بحد من الحكمة
والمصلحة وقد مر تقرير هذه الحجة مرارا ثم لما نبه على وجود الصانع سبحانه ردف ذلك بالدعاء على من جحده او الاخبار عن ثبوت الويل له
قال سيبويه الويل مشترك بين الدعاء والخبر ونقل عن عطاء بن يسار ان الويل واد في جهنم لو ارسلت فيه الجبال لماعت من حره ورفعها
بالابتداء وبعض من انكر المدبر هو العالم بعاقبة الامر وما يشتمل عليه من المصلحة ويعود الى القضاء والقدر هو الموجب على وفق ذلك العلم
كما سبق بيانه وتاتيه الدعاء على الجاحدين بعد اتضاح الحجة عليهم هو الترتيب الطبيعي والاشارة بالجاحدين الى صنف من العرب انكروا الخالق
والبعث وقالوا بالدهر المفني كما حكيناه عنهم في الخطبة الاولى وهم الذين اخبر القران المجيد عنهم بقوله ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا
وما يهلكنا الا الدهر وقوله زعموا الى قوله صانع اشارة الى شبهتهم وهي من باب التمثيل فالاصل فيها هو النبات والفرع انفسهم
وحكموا وما توهموه من كونهم بلا صانع كما ان النبات بلا زارع ولعل الجامع في اعتبارهم هو اختلاف الحيوة والموت عليهم كما اشار اليه تعالى
الكريم حكاية عنهم نموت ونحيا ونحوه من الامور المشتركة وان كانوا لا يلتفتون الى الجامع اذ مراعاة هذه الامور وتحقيق اجزاء التمثيل
من صناعتهم عنها بمعزل وقد علمت ان التمثيل بعد تمام اجزائه انما يفيد ظنا يختلف بالشدة والضعف وعلمت وجوه الفساد فيه وقوله
ولم يلجؤا الى قوله جان انكار ومنع لما ادعوه وانهم لم ياتوا فيه بحجة ولا تحقيق برهان ويحتمل ان يكون قوله وهل يكون الى قوله جان
تنبيها على وجود نقيض حكم المدعى وهو كون خلقهم وخلقة النبات شاهدة بوجود صانع لها وذلك التنبيه بالاشارة الى وسط قياس
من الشكل الاول وكبراه في صورة الاستفهام وتقرير القياس انهم صنعة ولا شيء مما هو صنعة بلا صانع ينتج فلا شيء منها بلا صانع
وهو نقيض المدعى ولما كانت الكبرى ضرورية اقتصر على التنبيه عليها بامتناع وجود البناء من غير بان والجناية من غير جان فان رجح
احد طرفي الممكن على الاخر من غير مرجح محال بالبديهة وممتنع في نظر الصبيان والبهائم اذ كان للحمار عند صوت الخشبة نفور
من الضرب وذلك لما تقرر في نظره ان حصول صوت الخشبة بدونها محال ثم لو سلم لهم ثبوت الحكم في الاصل وهو كون النبات
بلا زارع فلم كان عدم الزارع يدل على ان النبات لا فاعل له وانما يلزم ذلك ان لو كان الفاعل انما هو الزارع وذلك من الاوهام الفاسدة
لكن بها بادنى تامل اذا استعقب بالنظر اذ كان الزارع ليس له الا اعداد المادة بالحرث والبذر واما وجود الزرع والنبات فمستند الى مدبر
حكيم متعال عن الحس والمحسوس لا تدركه الابصار ولا تكتنفه الاوهام والافكار سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله وان
شئت قلت في الجرادة الى قوله مستدقة تنبيه اخر على وجود الصانع الحكيم جلت عظمته في وجود بعض جزئيات مخلوقاته وصغيرها
وهي الجرادة وان شئت قلت فيها ما قلت في النملة وغيرها قولا بينا كاشفا عن وجوه الحكمة فيها بحيث يشهد ذلك بوجود صانع
حكيم فنبه على بعض دقائق الحكمة في خلقها وهي خلق العينين الحمراوين مع كون حدقتيها قمراوين واستعار لفظ السراج للحدقتين
باعتبار الحمرة النارية والاضاءة ثم خلق السمع الخفي اي عن اعين الناظرين وقيل اراد بالخفي اللطيف السامع لخفي الاصوات ووصفه
بالخفاء مجازا اطلاقا لاسم المقبول على قابله ثم فتح الفم السوي فعيل بمعنى مفعول اي المستوي والتسوية التعديل بحسب المنفعة لها
بها ثم خلق الحس القوي وادعيتها لونها الوهمية ويعوق بحذو فيما فيها الهمها اياه من وجوه معاشها وتصرفها يقال لفلان حس حاذق

زكيا
اذا كان خطا فزكا ثم خلق لها نابين واستعار لفظ المنجلين لهما بها وجه المشابهة عوجهما وخشونتهما وقرن بذكر النابين والمنجلين
ذكر غايتهما وهما القرض والقبض ومن لطيف حكمته تعالى في الرجلين ان جعل بعضهما الذين تقع عليهما اعتمادها وجلوسها شوكا كالمنشار لتكون
لها معينا على القبض وغايته لانها عند جلوسها وعمدة لها عند الطيران وقوله ترهبها الزراع الى قوله شهواتها اي انها اذا توجهت بعساكرها
من ابناء نوعها الى بقعة وهجمت على زروعها واشجارها اخلته ولم يستطع احد دفعها حتى لو ان ملكا من الملوك اجلب عليها بخيله
ورجله ليحمي بلاده منها لم يتمكن من ذلك وفي ذلك تنبيه على عظمة الخالق سبحانه وتدبير حكمته اذ كان بعث اضعف خلقه على اقوى خلقه
وهيء لضعيف من اسباب الغلبة ما لا يستطاع دفعه معها حتى ترد ما تريد وروده وتقضي منه شهواتها فتجعل باختيار منه ترحل باختيار ومن عجايب
الخواص المودعة في الجراد انها تلتمس لبيضها الموضع الصلد والصخور الملس ثقة بانها اذا ضربت فيها باذنابها انفرجت لها ومعلوم ان ذلك
ليس بقوة اذ ليس في ذنب الجرادة من القوة ان تحفر في الحجر الذي يعجز عنه المعول بحديدته لولا خاصية لها هناك ثم اذا ضربت في تلك البقاع والقت
بيضها وانضمت عليها تلك الاخاديد التي احدثتها وصارت لها كالافاحيص صارت حاضنة لها ومربية وحافظة وواقية حتى اذا بلغت
وقت دبيب الروح خرجت من البيض صهبا الى البياض ثم تصفر وتتلون فيه خطوط الى السواد ثم يصير فيه خطوط سود وبيض ثم يبدو
حجم جناحيه ثم يستقل فيموج بعضه في بعض وقيل ان الجراد اذا اراد الخضرة ودونه نهر جار صار بعضه جسرا لبعض ليعبر اليها فمن الناس
من جعل ذلك حيلة لها الهمها اياها وأباه قوم وقالوا بل الزحل الاول من الدبا اذا اراد الخضرة ولا يقدر عليها الا بالعبور اليها عبر فاذا
صارت تلك القطعة فوق الماء طافية صارت للزحف الثاني الذي يريد الخضرة كالارض وربما نقل لها خواص اخرى لا تتعلق لها بما
نحن بصدده وقوله وخلقها كله لا يكون اصبعا مستدقة فذلكوا للحال اي ان جميع خلقها على ما نعت واودعه من عجايب الصنع ما ذكرت
بحيث تخاف منها الزراع مع ان خلقها كله دون الاصبع المستدقة وهذه الكلمة مستلزمة لتمام التعجب من خلق الله فيها الامور الموصوفة
حتى لو قدرنا انها وصفت لمن لم يرها فربما اعتقد ان لها خلقا عظيما تشتمل الى هذه الاوصاف ولم يكن عنده تعجب حتى تبين مقدار
خلقها وصغر صورتها ثم لما بين بعض صنعة غايته ومكونا نوه بزيادة عظمته تعالى وبركته باعتبار كونه معبودا لمن في السموات ومن في
الارض فله يسجد من طوعا وكرها كل تخضع وسجوده لا يمكن من غيره مع اشتراك الكل في الدخول تحت ذل الحاجة الى كمال قدرته
وخضوع الامكان بين يدي رحمته واليه الاشارة بقوله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وكذلك قوله ويعفر له خدا
ووجها فما كان ذا وجه وخد حقيقة فلفظ التعفير صادق عليه حقيقة وما لم يكن فالتجوز صادق عليه استعارة لخضوعه الخاص به ولفظ
التعفير والخد والوجه ترشيحات على ان موضوع السجود في اللغة هو الخضوع وكذلك الملائكة اعطاء القياد ووصف الرهبة والخوف ونصبهما
على المفعول له وقوله والطير مسخرة لامره كقوله تعالى والطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله وكونها مسخرة يعود الى دخولها تحت حكم
تصرف العام فيها قدرة وعلما والخاص تخصيصا وتعيينا واحصاء الريش منها والنفس باعتبار تسخيرها تحت تصرف العام بعلمه تعالى وارساها
اي تثبيتها على قوائمها في الندى كطير الماء واليبس كطير التراب باعتبار دخولها تحت قدرته وخلقها كل وتقديره لاقواتها وما يصلح
منها وما يكفيه باعتبار دخولها تحت قدرته وعلمه ايضا لان التقدير هو انزال تلك المقادير واعدادها على وفق العلم الالهي واحصائها
باعتبار علمه تعالى وقوله فهذا غراب الى قوله نعام تفصيل لانواعها ولم يرد الجنس بالاصطلاح الخاص بل اللغوي وهو النوع في المصطلح تعلم
وراعى في كل قرينتين من الاربع السجع المتوازي وقوله دعا كل طائر باسمه فالدعاء استعارة في امر كل نوع بالدخول في الوجود وقد عرفت
ان ذلك الامر يعود الى حكم القدرة الالهية العظيمة عليه بالدخول في الوجود ووجه الاستعارة ما يشترك فيه معنى الدعاء والامر من طلب
دخول ماهية المطلوب بالدعاء والامر في الوجود وهو كقوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضيهن الاية
ولما استعار لفظ الدعاء رشح بذكر الاسم لان الشيء انما يدعى باسمه ويحتمل ان يريد الاسم اللغوي وهو العلامة فان لكل نوع من الطير خاصة
وسمة ليست للاخر ويكون المعنى انه تعالى اجرى عليها حكم القدرة بما لها من السمات والخواص في العلم الالهي واللوح المحفوظ وقال بعض
الشارحين اراد اسماء الاجناس وذلك ان الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ كل لغة تواضع عليها العباد في المستقبل وذكر الاسماء التي تواضعوا
عليها وذكر لكل اسم مسماه فعند ايجاد خلقها نادى كل نوع باسمه فاجاب دعوته واسرع في اجابته واعلم انك اذا تاملت حكمة الصانع في
خلق الطائر شاهدت عجبا حين اقتضت الحكمة الالهية ان يكون طائرا في الجو خفف جسمه وادمج خلقه فاقتصر من القوائم على اثنتين
ومن الاصابع على اربع ومن منفذين للزبل والبول على منفذ ثم خلقه على جؤجؤ محدب ليسهل عليه خرق الهواء كما يجعل صدر السفينة
لهذه الهيئة لتشق الماء وخلق في جناحيه وذنبه ريشات طوال لينهض بها الى الطيران وكسي جسمه كله ريشا ليتداخله الهواء فيقله ولما
كان طعامه الحب واللحم يبلعه بلعا من غير مضغ نقص من خلقه الاسنان وخلق له منقارا صلبا واعانه بفضل حرارة في جوفه تستغني
بها عن المضغ ثم خلقه تعالى يبيض بيضا ولا يلد لكيلا يثقل بكون الفراخ في جوفه عن الطيران وجعل عوض استعداد الولد في البطن
استعداده في البيضة بحرارة الحضن بمشاركة من الذكر والانثى في ذلك مراقبة الالهية بدوام نسله وبقائه ان الهمه العطف عليه

فيلتقط الحب فيغتذي ويبرز فراخه بعد استقراره في حوصلته ليلين واذا فكرت في الحوصلة وجدتها كالمخلاة المعلقة امامه وهو يعي فيها ما ازداد من الطعم ثم ينفذ الى القانصة على مهل وذلك ان مسلك الطعم الى القانصة ضيق لا ينفذ فيه الطعم الا قليلا قليلا فلو كان هذا الطائر لا يلتقط حبة ثانية حتى تصل الاولى الى القانصة لطال ذلك عليه فخلق تعالى له الحوصلة لذلك ثم انظر الى الريش الذي تراه في الطواويس والدراج وغيرها على استواء ومقابلة على نحو ما يخط بالاقلام وكل ما نظر الى العمود الجامع للريشة الذي يجري مجرى الجدول المدمك المعد لها وخلق عصب الجوهر صلبا متينا يحفظ الريش ويمسكه لصلابته فسبحان الذي خلق الازواج كلها واحصى كل شيء عددا واحاط بكل شيء علما وقوله وانشأ السحاب الى آخره اشارة الى كمال قدرته خلقه السحاب الثقال بالماء وارسال ديمها وهي امطارها ونعدد قسمها وهو ما يصيب كل بلد وارض منها من القسم وظاهر انه ثم يعيد الارض ويعدد قسمها وهي ما يصيب كل بلد وارض منها من القسم وظاهر انه ثم تعيد الارض نباتها لسلبها بعد الجفاف لن يخرج منها النبات بعد الجدب واليه الاشارة بقوله تعالى اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام في التوحيد**

قال السيد رضي وتجمع هذه الخطبة من اصول العلم ما لا تجمعه خطبة ما وحده من كيفه ولا حقيقته اصاب من مثله ولا اياه عنى من شبهه ولا صمده من اشار اليه وتوهمه كل معروف بنفسه مصنوع وكل قائم في سواه معلول فاعل لا باضطراب آلة مقدر لا بجول فكرة غني لا باستفادة لا تصحبه الاوقات ولا ترفده الادوات سبق الاوقات كونه والعدم وجوده والابتداء ازله بتشعيره المشاعر عرف ان لا مشعر له وبمضادته بين الامور عرف ان لا ضد له وبمقارنته بين الاشياء عرف ان لا قرين له ضاد النور بالظلمة والوضوح بالبهمة والجمود بالبلل والحرور بالصرد مؤلف بين متعادياتها مقارن بين متبايناتها مقرب بين متباعداتها مفرق بين متدانياتها لا يشمل بحد ولا يحسب بعد وانما تحد الادوات انفسها وتشير الالات الى نظائرها منعتها منذ القدمة وحمتها قد الازلية وجنبتها لولا التكملة بها تجلى صانعها للعقول وبها امتنع عن نظر العيون لا يجري عليه السكون والحركة وكيف يجري عليه ما هو اجراه ويعود فيه ما هو ابداه ويحدث فيه ما هو احدثه اذا لتفاوتت ذاته ولتجزأ كنهه ولامتنع من الازل معناه ولكان له وراء اذ وجد له امام ولالتمس التمام اذ لزمه النقصان واذا لقامت آية المصنوع فيه ولتحول دليلا بعد ان كان مدلولا عليه وخرج بسلطان الامتناع من ان يؤثر فيه ما يؤثر في غيره الذي لا يحول ولا يزول ولا يجوز عليه الافول لم يلد فيكون مولودا ولم يولد فيصير محدودا جل عن اتخاذ الابناء وطهر عن ملامسة النساء لا تناله الاوهام فتقدره ولا تتوهمه الفطن فتصوره ولا تدركه الحواس فتحسه ولا تلمسه الايدي فتمسه لا يتغير بحال ولا يتبدل في الاحوال ولا تبليه الليالي والايام ولا يغيره الضياء والظلام ولا يوصف بشيء من الاجزاء ولا بالجوارح والاعضاء ولا بعرض من الاعراض ولا بالغيرية والابعاض ولا يقال له حد ولا نهاية ولا انقطاع ولا غاية ولا ان الاشياء تحويه فتقله او تهويه او ان شيئا يحمله فيميله او يعدله ليس في الاشياء بوالج ولا عنها بخارج يخبر لا بلسان ولهوات ويسمع لا بخروق وادوات يقول ولا يلفظ ويحفظ ولا يتحفظ ويريد ولا يضمر يحب ويرضى من غير رقة ويبغض ويغضب من غير مشقة يقول لما اراد كونه كن فيكون لا بصوت يقرع ولا بنداء يسمع وانما كلامه سبحانه فعل منه انشاه ومثله لم يكن من قبل ذلك كائنا ولو كان قديما لكان الها ثانيا لا يقال كان بعد ان لم يكن فتجري عليه الصفات المحدثات ولا يكون بينها وبينه فصل ولا له عليها فضل فيستوي الصانع والمصنوع ويتكافا المبتدع والبديع خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره ولم يستعن على خلقها باحد من خلقه وانشا الارض فامسكها من غير اشتغال وارساها على غير قرار واقامها بغير قوائم ورفعها بغير دعائم وحصنها من الاود والاعوجاج ومنعها من التهافت والانفراج ارسى اوتادها وضرب اسدادها واستفاض عيونها وخد اوديتها فلم يهن ما بناه ولا ضعف ما قواه هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته والعالي على كل شيء منها بجلاله وعزته لا يعجزه شيء منها طلبه ولا يمتنع عليه فيغلبه ولا يفوته السريع منها فيسبقه ولا يحتاج الى ذي مال فيرزقه خضعت الاشياء له وذلت مستكينة لعظمته لا تستطيع الهرب من سلطانه الى غيره فتمتنع من نفعه وضره ولا كفوء له فيكافئه ولا نظير له فيساويه هو المفني لها بعد وجودها حتى يصير موجودها كمفقودها وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها باعجب من انشائها واختراعها وكيف ولو اجتمع جميع حيوانها من طيرها وبهائمها وما كان من مراحها وسائمها واصناف اسناخها واجناسها ومتبلدة اممها واكياسها على احداث بعوضة ما قدرت على احداثها ولا عرفت كيف السبيل الى ايجادها ولتحيرت عقولها في علم ذلك وتاهت وعجزت قواها وتناهت ورجعت خاسئة حسيرة عارفة بانها مقهورة مقرة بالعجز عن انشائها مذعنة بالضعف عن افنائها وانه سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت ولا مكان

ولا حين

ولا حين ولا زمان عدمت عند ذلك الآجال والاوقات وزالت السنون والساعات فلا شيء الا الله الواحد القهار الذي اليه مصير جميع الامور بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها وبغير امتناع منها كان فناؤها ولو قدرت على الامتناع لدام بقاؤها لم يتكاءده صنع شيء منها اذ صنعه ولم يؤده منها خلق ما براه وخلقه ولم يكونها لتشديد سلطان ولا لخوف من زوال ونقصان ولا للاستعانة بها على ند مكاثر ولا للاحتراز بها من ضد مثاور ولا للازدياد بها في ملكه ولا لمكاثرة شريك في شركه ولا لوحشة كانت منه فاراد ان يستانس اليها ثم هو يفنيها بعد تكوينها لا لسام دخل عليه في تصريفها وتدبيرها ولا لراحة واصلة اليه ولا لثقل شيء منها عليه لا يمله طول بقائها فيدعوه الى سرعة افنائها لكنه سبحانه دبرها بلطفه وامسكها بامره واتقنها بقدرته ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه اليها ولا استعانة بشيء منها عليها ولا لانصراف من حال وحشة الى حال استيناس ولا من حال جهل وعمى الى حال علم والتماس ولا من فقر وحاجة الى غنى وكثرة ولا من ذل وضعة الى عز وقدرة **اقول** صمده اي قصده وترفده تعينه والوضوح والوضح البياض والبهمة السواد والحرور هنا الحرارة والصرد البرد والافول الغيبة والوالج الداخل وخلا مضى وسبق والاود الاعوجاج والتهافت التساقط والاسداد جمع سد وهو الردم وهو كل ما حال وحجز بين شيئين وخد شق ومراحها ما يراح منها في مرابطها ومعاطنها وسائمها ما ارسل منها للرعي واسناخها اصولها والمتبلدة ذو البلادة وهي ضد الذكاء والاكياس ذوو الذكاء والفهم وتكاءده الامر شق عليه وصعب وآده اثقله والمثاور المواثب واعلم ان مدار هذه الخطبة على التوحيد المطلق والتنزيه المحقق وقد اشار الى توحيده تعالى وتنزيهه باعتبارات من الصفات الاضافية والسلبية فالاول قوله ما وحده من كيفه دلت هذه الكلمة بالمطابقة على سلب التوحيد له تعالى عمن وصفه بكيفية وبالالتزام على انه لا يجوز تكييفه لمنافاة ذلك التوحيد الواجب له ولنشر الى معنى الكيفية ليتبين انه لا يجوز وصفه بها فنقول اما رسمها فقيل انها هيئة قارة في المحل لا يوجب اعتبار وجودها فيه نسبة الى امر خارج عنه ولا قسمة في ذاته ولا نسبة واقعة في اجزائه وبهذه القيود يفارق سائر الاعراض واقسامها اربعة لانها اما ان تكون مختصة بالكم من جهة ما هو كم كالتثليث والتربيع وغيرهما من الاشكال للسطوح وكالاستقامة والانحناء للخطوط وكالفردية والزوجية للاعداد واما ان لا تكون مختصة به وهي اما ان تكون محسوسة كالالوان والطعوم والحرارة والبرودة وهذا ينقسم الى راسخة كصفرة الذهب وحلاوة العسل وتسمى كيفيات انفعالية اما لانفعال الحواس عنها واما لانفعالات حصلت في الموضوعات عنها او غير راسخة اما سريعة الزوال كحمرة الخجل وتسمى انفعالات لكثرة انفعالات موضوعاتها بسببها او غيرها وهذا قسم ثان واما ان لا تكون محسوسة وهي اما استعدادات اما لكمالات كالاستعداد للمقاومة والدفع واما للانفعال وتسمى قوة طبيعية كالمصحاحية والصلابة او لنقائص مثل الاستعداد لسرعة الاذعان والانفعال وتسمى ضعفا ولا قوة طبيعية كالممراضية واما ان لا تكون استعدادا لكمالات ونقائص بل تكون في انفسها كمالات ونقائص وهي مع ذلك غير محسوسة بذواتها فما كان منها ثابتا يسمى ملكة كالعلم والعفة والشجاعة وما كان سريع الزوال يسمى حالا كغضب الحليم ومرض المصحاح فهذه اقسام الكيف اذا عرفت ذلك فنقول لما قلنا انه يلزم من وصفه بالكيفية عدم توحيده لما بيناه في الخطبة الاولى من قوله فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه وكما سبق تقريره فينتج ان من وصف الله سبحانه فقد ثناه فتبين ان من كيفه لم يوحده لان توحيده وتثنيته مما لا يجتمعان الثاني ولا حقيقته اصاب من مثله اي جعل له مثلا وذلك ان كل ما له مثل فليس بواجب الوجود لذاته لان المثلية اما ان تتحقق من كل وجه فلا تعدد اذن لان التعدد يقتضي المغايرة بامر ما وذلك ينافي الاتحاد والمثلية من كل وجه هف واما ان تتحقق من بعض الوجوه فح ما به التماثل اما الحقيقة او جزؤها او امر خارج عنها فان كان الاول كان ما به الامتياز عرضيا للحقيقة لازما او زائلا لكن ذلك باطل لان المقتضي لذلك العرضي اما المهية فيلزم ان يكون مشتركا بين المثلين لان مقتضى المهية الواحدة لا يختلف فما به الامتياز لاحد المثلين عن الاخر حاصل للاخر هف وغيرها فتكون ذات واجب الوجود مفتقرة في تخصيص ما يميزها من غيرها الى غير خارجي هذا مح وان كان ما به التماثل والاتحاد جزءا من المثلين لزم كون كل منهما مركبا فكل منهما ممكن هف وبقي ان يكون التماثل بامر خارج عن حقيقتهما مع اختلاف الحقيقتين لكن ذلك بط اما اولا فلامتناع وصف واجب الوجود بامر خارج عن حقيقته لاستلزام اثبات الصفة له تثنيته وتركيبه على ما مر واما ثانيا فلان ذلك الامر الخارجي المشترك ان كان كمالا للذات واجب الوجود فواجب الوجود لذاته مستفيد للكمال من غيره هف وان لم يكن كمالا كان اثباته له نقصا لان الزيادة على الكمال نقص فثبت ان كل ما له مثل فليس بواجب الوجود لذاته فالطالب لمعرفته اذا اصاب ما له مثل فقد اصاب ما ليس بواجب الوجود لذاته فلم يصب صانع العالم ومقصود الكلمة نفي المثل له تعالى في مقام التوحيد ليتنبه الناظر لطلب معرفته الثالث ولا اياه عنى من شبهه ومعنى هذه القرينة كالتي قبلها الرابع ولا صمده من اشار اليه وتوهمه وذلك لان الاشارة اليه اما حسية او عقلية والاولى مستلزمة للوضع والهيئة والتشكل والتحيز كما علم في غير هذا الموضع وذلك على واجب الوجود مح واما الثانية فقد علمت ان النفس

الانسانية ما دامت في عالم الغربة اذا توجهت لاقتناص امر معقول من عالم الغيب فلا بد ان تستتبع القوة الخيالية والوهمية الاستعانة بها على تثبيت المعنى المعقول وضبطه فاذن يستحيل ان يشير العقل الانساني الحقيقي من المعاني الالهية الاشارة كذا من لوازم والخيال واستتباعه حدا وكيفية يكون عليها لكن قد علمت تنزيهه تعالى عن الكيفيات والصفات والحدود والتصاريف فكان المشير اليه والمدعي لا صابته حقيقته قاصدا في تلك الاشارة الى ذي كيفية وحال ليس هو واجب الوجود فلم يكن قاصدا لواجب الوجود وقد بينا فيما سلف امتناع الاشارة اليه الخامس قوله كل معروف بنفسه مصنوع صغرى ضميره من الشكل الاول استغنى بها عن ذكر الدعوى لدلالتها عليها وهي انه تعالى ليس معلوما بنفسه اي ليس معلوم الحقيقة بالكنه وتقدير الكبرى ولا شيء مما هو مصنوع بالله للعالم واجب الوجود لذاته وانما ينتج انه لا شيء من المعلوم بنفسه بواجب الوجود واله العالم دائما وينعكس لا شيء من واجب الوجود معلوم بنفسه او من الشكل الثاني ويكون تقدير الكبرى ولا شيء مما هو واجب الوجود بمصنوع وينتج النتيجة المذكورة ويعكس ويحتمل ان يبين المطلوب المذكور بقياس استثنائي متصل ويكون المقدمة المذكورة تنبيها على ملازمة المتصلة وبيانها لما ونقدر بها معلوما بنفسه لكان مصنوعا لان كل معلوم بنفسه مصنوع لكن التالي باطل فالمقدم كذلك فاما بيان ان كل معلوم بنفسه مصنوع فهو ان كل معلوم بحقيقته فانما يعلم من جهة اجزائه وكل ذي جزء فهو مركب فكل معلوم الحقيقة فهو مصنوع واما بطلان التالي فلانه تعالى لو كان مصنوعا لكان ممكنا مفتقرا الى الغير فلا يكون واجب الوجود لذاته هف السادس وكل قائم في سواه معلول كالمقدمة التي قبلها في انها يحتمل ان تكون صغرى قياس ضميره من الشكل الاول او الثاني وتقديره على انه تعالى ليس بقائم في سواه بواجب الوجود فهو معلول ولا شيء من المعلول بواجب الوجود او لا شيء من واجب الوجود بمعلول فينتج انه لا شيء من القائم في سواه بواجب الوجود ويعكس كنفسها الا شيء من واجب الوجود بقائم في سواه ويحتمل ان يكون كبرى القياس لاحاجة الى عكس النتيجة ويحتمل ان يكون ذكرها تنبيها على ملازمة قياس استثنائي اي لو كان قائما في سواه لكان معلولا لكن التالي باطل فالمقدم كذلك وبيان الملازمة ان القائم بغيره مفتقر الى محل وكل مفتقر الى غيره ممكن وكل ممكن معلول في وجوده وعدمه واما بطلان التالي فلانه لو كان معلولا لما كان واجب الوجود السابع فاعل لا باضطراب آلة اما انه فاعل فلانه موجد العالم واما انه منزه في فاعليته عن اضطراب الآلة فلتنزهه عن الآلة التي هي من عوارض الاجسام وقد سبق بيانه الثامن مقدر لا بجول فكرة ومعنى كونه مقدرا كونه معطيا لكل موجود المقدار الذي يستحقه من الكمال من الوجود ولواحق الوجود كالاجل والرزق ونحوهما على وفق القضاء الالهي وكون ذلك لا بجول فكرة لان الفكر من لواحق النفوس البشرية بالتدبير وقد نزه قدسه تعالى عن ذلك التاسع كونه غنيا الا باستفادة وكونه غنيا يعود الى عدم حاجته في شيء ما الى شيء ما اذ لو حصل له شيء باستفادة من خارج كان بالاغنياء لزم كونه ناقصا بذاته مفتقرا الى ذلك المستفاد موقوفا على حصول سببه فكان ممكنا هف وهو تنزيه له عن الغنى المشهور المتعارف العاشر كونه لا تصحبه الاوقات وذلك ان الصحبة الحقيقية تستدعي المعية والمقارنة اللذين هما من لواحق الزمان اللذين هو من لواحق الحركة التي هي من لواحق الجسم المتأخر وجوده عن وجود بعض الملائكة المتأخر وجوده عن وجود الصانع الاول جلت عظمته فكان وجود الزمان والوقت متأخرا عن وجوده تعالى بمراتب من الوجود فلم يصدق صحبة الاوقات لوجوده ولا كونها ظرفا له والا لكان مفتقرا الى وجود الزمان فكان يمتنع استغناؤه عنه لكنه سابق عليه فوجب استغناؤه عنه نعم قد يحكم الوهم بصحبة الزمان للمجردات ومعيته لها حيث يقيسها الى الزمانيات اذ كان لا يعقل المجردات الا كذلك الحادي عشر كونه لا ترفده الادوات وظاهر ان المفتقر الى المعونة باداة وغيرها ممكن لاجتماع فلا يكون واجب الوجود نعم هو خالق الادوات فكان سابقا عليها في تأثيره فكان غنيا عنها فيمتنع عليه الحاجة الى الاستعانة بها الثاني عشر سبق الاوقات كونه اي وجوده وقد مر بيانه الثالث عشر والعدم وجوده اي وسبق وجوده العدم وبيانه انه تعالى لما خالف سائر الموجودات الممكنة فانها محدثة فيكون عدمها سابقا على وجودها ثم ان لم يكن كذلك وجودها وعدمها بالنسبة اليه وانها على سواء كما بين في مظانه ولها من ذاتها انها لا تستحق وجودا او عدما لذاته وانها كذلك عدم سابق على وجودها فعلى كل تقدير فوجودها يكون مسبوقا بعدم بخلاف الوجود الاول جلت عظمته فانه لما كان واجب الوجود لذاته كان لما هو هو موجودا فكان تحقق له لعله لا فكان وجوده سابقا على العدم المعتبر لغيره من الممكنات وكان عدم العالم مثلا وجوده كان مستندا الى عدم الداعي الى ايجاده المستند الى وجوده فكان وجوده سابقا على عدم العالم ثم تبين الرابع عشر والابتداء ازله وذلك ان الازل عبارة عن عدم الاولية والابتداء وذلك للامر الحق واجب الوجود لما هو هو بحسب الاعتبار العقلي وهو بيان في كون الابتداء والاولية لوجوده ثم استحال ان يكون له مبدأ فالامتناع اجتماع النقيضين بل سبق الازلية ابتداء ما كان له ابتداء وجود من الممكنات اذ هو مبدأها ومصدرها الخامس عشر بتشعيره المشاعر عرف ان لا مشعر له وذلك انه تعالى لما خلق المشاعر واوجدها وهو المراد بتشعيره لها امتنع ان يكون له مشعر وحاسة والا لكان وجودها له اما من غيره وهو محال اما اولا فلانه مشعر المشاعر بما انا فلانه يكون محتاجا في كماله الى

عنه فهو ناقص بذاته مستكمل بها والتالي باطل واما ثالثا فلانها ان كانت من كمالات الوهمية لم يكن موجودا لها من حيث فاقد كما لا فكان ناقصا بذاته مستكملا وان لم يكن كمالا كان اثباتها له نقصا لان الزيادة على الكمال نقصان فكان ايجاده لها مستلزما لنقصانه وهو محال السادس عشر بمضادته بين الامور عرف ان لا ضد له لانه لما كان خالق الاضداد فلو كان له ضد لكان خالقا لنفسه ولضده وذلك محال ولانك لما علمت ان المضادة من باب المضاف وعلمت ان المضاف ينقسم الى حقيقي وغير حقيقي فالحقيقي هو الذي لا تعقل ماهيته الا بالقياس الى غيره وغير الحقيقي هو الذي له في ذاته ماهية غير الاضافة تعرض لها الاضافة وكيف ما كان لا بد من وجود الغير حتى يوجد المضاف من حيث هو مضاف فيكون وجود احد المضافين متعلقا بوجود الاخر فلو كان لواجب الوجود ضد لكان متعلق الوجود بالغير فلم يكن واجب الوجود لذاته هف ولان الضدين هما الامران الوجوديان اللذان يتعاقبان على محل واحد ويمتنع اجتماعهما فيه فلو كان بينه وبين غيره مضادة لكان محتاجا الى محل يعاقب ضده عليه وقد ثبت انه تعالى غني في كل شيء السابع عشر وبمقارنته بين الاشياء عرف ان لا قرين له وبرهانه اما اولا فلانه تعالى خالق المقترنات ومبدأ المقارنة بينها فلو كان تعالى مقارنا لغيره لكان خالقا لنفسه ولقرينه وذلك محال ولان المقارنة من باب المضاف ويمتنع ان يلحقه على ما تقدم الثامن عشر كونه تعالى مضادا بين الامور المضادة تأكيدا لقوله ولمضادته للاشياء فمنها النور والظلمة وفي كونهما ضدين خلاف بين العلماء مبني على كون الظلمة امرا وجوديا او عدميا والاظهر انها امر وجودي مضاد للنور وقال بعضهم انها عبارة عن عدم الضوء عما من شأنه ان يضيء وليس على هذا القول عدما صرفا فجاز ان يطلق عليها انها ضد مجازا ومنها البياض والسواد والجمود والبلل اي اليبوسة والرطوبة والحرارة والبرودة ومضادته بينها خلقه لها على ما هي عليه من الطباع المتضادة التاسع عشر كونه مؤلفا بين متعادياتها في امرجة المركبات من العناصر الاربعة فانه جمع بينها فيها على وجه الامتزاج حتى حصل بينها كيفية متوسطة على ما مر بيانه في الخطبة الاولى العشرون كونه مفرقا بين متدانياتها اي بالموت والفناء لهذه المركبات في هذا العالم اليه اشار الى اسنادها اليه اذ هو مسبب الاسباب فقطا وعند الطائفة في هذه القرائن فانه التأليف بازاء المعاداة والمقارنة بازاء المباينة والقرب بازاء البعد والنعت بازاء التداني الثالث والعشرون كونه تعالى لا يشمله حد والمراد اما الحد الاصطلاحي وهو ظاهر كونه لا حد له اذ لا اجزاء له فلا تمثل ونحا طحقيقته بحد واما الحد اللغوي وهي النهاية التي تحيط بالجسم مثلا ينقف عنده وينتهي بها وذلك من لواحق الكم المتصل والمنفصل وهما من الاعراض ولا شيء من واجب الوجود سبحانه بعرض ولا محل له فامتنع ان يوصف بالنهاية واما وصفه باللانهاية فعلى سبيل سلب النهاية عنه مطلقا سلبا مرضيا كالمقدار مثلا لا على سبيل العدول بمعنى ان له معروض النهاية واللانهاية لكن ليست النهاية حاصلة له الرابع والعشرون كونه لا يحسب بعد اي لا يلحقه الحساب والعد فيدخل في جملة المحسوب المعدود وذلك ان العد من لواحق الكم المنفصل الذي هو العدد كما هو معلوم في مظانه والكم عرض وقد ثبت انه تعالى ليس بعرض ولا محل له واستحال ان يكون معدودا وقوله وانما تحد الادوات انفسها فالادوات اشارة الى الآلات البدنية والقوى الجسمانية وقد ثبت انها لا تتعلق ادراكها الا بما كان جسما او جسمانيا على ما في موضعه فمعنى قوله وانما تحد الادوات انفسها اي انما تدرك الاجسام والجسمانيات ما هو مثلها من الاجسام والجسمانيات وتشير لشيء هو هو في النوع او الجنس ويحتمل ان يدخل في ذلك النوع والفكر لامتناع انفكاكه عن الوهم والخيال حين توجهه الى المعقولات لما بيناه من حاجته اليهما في التصوير والشبح فكان لا يتعلق الا بما كان ممكنا ولا يحيط الا بما هو في صورة جسم او جسماني ولذلك قوله وتشير الآلات الى نظائرها وقوله منعتها منذ القدمية وحمتها قد الازلية وجنبتها لولا التكملة الضمائر المتصلة بالافعال الثلاثة تعود الى الآلات والادوات وهي مفعولات اول القدمية والازلية والتكملة مفعولات ثانية ومنذ وقد ولولا محلها الرفع بالفاعلية ومعنى الكلام ان الاولى اطلاق لفظة منذ على الآلات والادوات في مثل قولنا هذه الآلات وجدت منذ كذا يمنع كونها قديمة لانه وضعها لابتداء الزمان وكانت لا طلاقها عليها متعينة الابتداء ولا شيء من القديم بمتعين الابتداء فينتج انه لا شيء من هذه الادوات بقديم وكذلك اطلاق لفظة قد عليها يحميها ويمنعها من كونها ازلية اذ كانت قد تفيد تقريب الماضي من الحال فاطلاقها عليها كما في قولك قد وجدت هذه الآلة وقت كذا يحكم بقربها من الحال وعدم ازليتها ولا شيء من الازلي بقريب من الحال فلا شيء من هذه الآلات بازلي وكذا اطلاق لفظة لولا على هذه الآلات يجنبها التكملة اذ كان وضع لولا دالا على امتناع الشيء لوجود غيره فاطلاقها عليها في مثل قولك عند نظرك الى بعض الآلات المستحسنة والخلقة العجيبة والانسان لو لم نوقفه ما احسنها واكملها لولا انها كذا يدل بها على امتناع كمالها لوجود نقصان فيها فهي تمنعها من الكمال المطلق وانما اشار الى حدوثها ونقصانها ليؤكد كونها غير متعلقة بجلاله سبحانه وانها في الغاية بعيد عن تقديره والاشارة اليه اذ كان القديم الكامل في ذاته التام في صفاته تعالى الاشياء عن مناسبته الحدث الناقص في ذاته فكيف يمكن ان يدركه او يليق ان يطمع في ذلك وقال بعض الشارحين المراد بالادوات والآلات اهلها وقد روي برفع القدمية والازلية والتكملة على الفاعلية والضمائر المتصلة بالافعال مفعولات اول ومنذ وقد ولولا مفعولات ثانية ويكون المعنى ان قدمه تعالى وازليته وكماله منعت الادوات والآلات من اطلاق منذ وقد ولولا عليه سبحانه لدلالتها على الحدوث والابتداء المنافيين لقدمه وازليته وكماله والرواية الاولى لوجودها في نسخة الرضي رضي الله عنه بخطه وقوله بها تجلى صانعها للعقول اي بوجود هذه الآلات

ظهور وجوده منه للعقول اذ كان وجودها مستلزما لوجود صانعها بالضرورة واحكامها واتقانها شاهد بعلمه وحكمته شهادة تضطر الى الحكم
بها العقول وكذا تخصيصها بما خصصت به من الكمالات شاهد بارادته وكمال عنايته فيكون ما شهد به وجودها من وجود صانعها اظهر
واوضح من ان يقع فيه شك او يلحقه شبهة نعم يتفاوت ذلك الظهور والتجلي بحسب تفاوت صفاء النفوس وجلائها فمنها من يراه بعد
ومنها من يراه مع ومنها من يراه قبل ومنها من يراه لا شيء معه واولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقوله وبها امتنع
عن نظر العيون اي بايجادها وخلقها بحيث تدرك بحاسة البصر علم انه تعالى يمتنع ان يكون مثلها وبيانه ان تلك الآلات لما كانت
متعلقة حس البصر باعتبار انها ذات وضع وجهة ولون وغيره من شرايط الرؤية لما كانت هذه الامور ممتنعة في حقه تعالى لا جرم امتنع ان يكون
محلا لنظر العيون وقال بعض الشارحين في بيان ذلك انه لما كان بالمشاعر والحواس التي هي الآلات المشار اليها اكملت عقولنا وبعقولنا
استخرجنا الدليل على انه لا يصح رؤيته فاذن بخلق هذه الادوات والآلات لنا عرفنا عقلا وعرفنا انه يستحيل ان يعرف بغير العقل الخامس
والعشرون كونه تعالى منزها ان يجري عليه السكون والحركة وقد اشار الى بيان امتناعهما عليه من وجوه احدها قوله وكيف يجري عليه ما هو
احدثه وهو استفهام على سبيل الاستنكار لجريان ما اجراه عليه وعود ما ابداه وانشاه اليه وحدوث ما احدثه فيه وبيان بطلان ذلك
ان الحركة والسكون من اثاره سبحانه في الاجسام وكل ما كان من اثاره يستحيل ان يجري عليه ويكون من صفاته اما المقدمة الاولى فظاهرة
واما الثانية فلان المؤثر واجب التقدم بالوجود على الاثر فذلك الاثر اما ان يكون معتبرا في صفات الكمال فيلزم ان يكون تعالى باعتبار ما هو
موجد له ومؤثر فيه ناقصا بذاته مستكملا بذلك الاثر والنقص عليه تعالى محال وان لم يكن معتبرا في صفات كماله فله الكمال المطلق بدون ذلك
الاثر فكان اثباته صفة له نقصا في حقه لان الزيادة على الكمال المطلق نقصان وهو عليه تعالى محال الثاني لو كان كذلك للزم التغير في ذاته تعالى ولزم
الامكان له ودل على ذلك بقوله اذن لتفاوتت ذاته اي تغيرت بطريان الحركة عليها تارة والسكون اخرى لان الحركة والسكون من الحوادث
المتغيرة فيكون تعالى بقوله لتفاوتت محلا للحوادث في التغير فكان متغيرا لكن التغير مستلزم للامكان فالواجب لذاته ممكن لذاته هف الثالث
لو كان كذلك للزمه تبعضه التجزية والتركيب لكن التالي بط والمقدم مثله اما الملازمة فلان الحركة والسكون من عوارض الجسم الخاصة به فلو
اتصف تعالى بهما لكان جسما وكل جسم فهو مركب قابل للتجزية واما بطلان التالي فلان كل مركب مفتقر الى اجزائه وممكن فالواجب ممكن
هف الرابع انه لو كان كذلك للزم ان يبطل عن الازل معناه اما على طريق المتكلمين فلان الحركة والسكون من خواص الاجسام الحادثة فكان
الموصوف بهما حادثا فلو كان تعالى موصوفا بهما لبطل عن الازل معناه ولم يكن ازليا واما على راي الحكماء فلانه تعالى لكونه واجب الوجود
لذاته يستحق الازلية ولكون الممكن ممكنا لذاته فهو انما يستحق الازلية لا لذاته بل الازلية علته وتمامها انه لا حق لو توقفت علته على امر
مؤثر فيها لزم حدوث الممكن ولم يكن له من ذاته الا كونه لا يستحق لذاته وجودا ولا عدما وهو معنى الحدوث الذاتي عندهم فعلى هذا
لو كان تعالى قابلا للحركة والسكون لكان جسما ممكنا لذاته فكان مستحقا للحدوث الذاتي بذاته فلم يكن مستحقا للازلية بذاته فيبطل
من الازلية معناه وهو استحقاقه الازلية بذاته لكن التالي بط الخامس انه لو كان كذلك للزم ان يكون له وراء اذ وجد له امام ووجه
الملازمة انه لو جرت عليه الحركة لكان له امام يتحرك اليه فيلزم ان يكون له وراء اذ له امام لانهما اضافتان لا تنفك احديهما عن الاخرى
لكن ذلك ممتنع لان كل ذي جهتين فهو منقسم وكل منقسم فهو ممكن على ما مر السادس لو كان كذلك لالتمس التمام اذ لزمه النقصان وبيان الملازمة
ان جريان الحركة عليه مستلزم لتوجهه بها الى غاية اما جلب منفعة او دفع مضرة اذ من لوازم حركات العقلاء ذلك وعلى التقديرين
فهما كمال مطلوب له لنقصان لازم لذاته لكن النقصان بالذات والاستكمال بالغير مستلزم للامكان فالواجب ممكن هف السابع لو كان
كذلك لقامت فيه آية المصنوع وبيان الملازمة انه لو كان قادرا على الحركة والسكون فقد تقدم عليهما ليست من خلقه اذ لا امتناع ايجاده لها الى
قدرة اخرى سابقة عليها ولزم التسلسل وكان قادرا قبل ان كان قادرا وهما محالان فهي اذن من غيره فهو اذن مفتقر في كماله الى غيره فهو مصنوع
وفيه آيات الصنع وعلامات التاثير فليس هو بواجب الوجود هف الثامن لو كان كذلك لتحول دليلا بعد ان كان مدلولا عليه وذلك لانه يكون
مصنوعا على ما مر وكل مصنوع فيستدل به على صانعه كما هو المشهور في الاستدلال بوجود العالم وحدوثه على وجود صانعه ولانه يكون جسما
فيكون مصنوعا فكان دليلا على الصانع لكنه هو الصانع الاول للكل وهو المدلول عليه فاستحال ان يكون دليلا من جهة اثار الصنع فيه
فاستحال ان يكون قابلا للحركة والسكون فاستحال ان يجريا عليه فانظر الى هذه النفس الملكية له عليه السلم كيف يفيض منها هذه الاسرار
الالهية فيضا من غير تقدم من اولية الصنايع العقلية وممارسة البحث في هذه الدقايق الالهية واما قوله وخرج بسلطان الامتناع الى قوله
عن غيره فقد يسبق الى الوهم عطفه على الادلة المذكورة وظ انه ليس كذلك بل هو عطف على قوله امتنع اي بها امتنع عن نظر العيون وخرج بسلطان
ذلك الامتناع اي امتناع ان يكون مثلها في كونها مرئية للعيون ومحلا للنظر اليها عن ان يؤثر فيه ما يؤثر في غيره من المرئيات وهي
الاجسام والجسمانيات وحاصله انه تعالى لما امتنع عن نظر العيون لانه لم يكن جسما ولا قائما بجسم خرج بسلطان استحقاقه ذلك الامتناع عن ان
يؤثر فيه ما يؤثر في غيره من الاجسام والجسمانيات وعن قبول ذلك وقال بعض الشارحين انه عطف على قوله يتجلى اي بها تجلى للعقول

وخرج

ج

وخرج بسلطان الامتناع كونه مثلا لها اي يكون واجب الوجود ممتنع العدم عن ان يكون ممكنا فيقبل اثر غيره كما يقبل الممكنات السادس والعشرون
كونه تعالى لا يحول اي لا ينتقل ويتغير من حال الى حال لما علمت من استلزام التغير الامكان الممتنع عليه السابع والعشرون ولذلك لا يزول
الثامن والعشرون كذلك لا يجوز عليه الافول والغيبة بعد الظهور لما يستلزم من التغير ايضا التاسع والعشرون كونه لم يلد فيكون مولودا ولم
يولد فيكون محدودا اما الجملة الاولى فتشتمل على دعوى والاشارة الى البرهان وهو في صورة قياس استثنائي تقديره لو كان له ولد
لكان مولودا وح يكون الجملة الثانية وهي قوله ولم يولد في قوة استثناء نقيض التالي وقوله فيكون محدودا في قوة قياس استثنائي
يدل على بطلان التالي وتقديره لانه لو كان مولودا لكان محدودا واعلم انه يحتمل ان يريد بقوله مولودا ما هو المتعارف فيكون قد سلك
في ذلك مسلك المعتاد الظاهر في بادي النظر بحسب الاستقراء ان كل ما له ولد فانه يكون مولودا وانت تعلم ان ذلك لا يفيد العقل ونقد
ان الاستقراء مما يستعمل في الخطابة ويحتج به فيكون مقنعا اذ كانت غايتها الاقناع ويحتمل ان يريد به ما هو اعم من المفهوم المتعارف
اعني التولد عن آخر مثله من نوعه فان ذلك غير واجب كما في اصول انواع الحيوان الحادثة وح يكون بيان الملازمة الاولى على الاحتمال
الاول ظ واما على تقديره الثاني فنقول في بيانها ان مفهوم الولد هو الذي يتولد وينفصل عن آخر مثله من نوعه لكن اشخاص النوع
الواحد لا يتعين في الوجود وتتشخص الا بواسطة المادة وعلائقها على ما علم ذلك في مظانه من الحكمة وكل ما كان ماديا وله علاقة بالمادة
كان متولدا عن غيره وهو مادته وصورته واسباب وجوده وتركيبه وتمام بيان الملازمة الثانية في برهان بطلان التالي فلانه لما لزم من
كونه ذا ولد ان يكون مشاركا في النوع لغيره ثبت انه متولد عن مادته وصورته ومركب عنهما وعن جزئين باحدهما يشارك الاخر وبالاخر ينفصل
بالاخر فهو اذن مشتمل على الحد وهي اجزاؤه التي يقف عندها وينتهي في التحليل اليها فثبت انه تعالى لو كان مولودا لكان محدودا لانه
لو كان مولودا لكان محاطا بحدود ومحاطا بالحد لتولده منه لكن كل محدود على الاعتبار به مركب وكل مركب ممكن هف فاذن ليس هو
بمحدود فليس هو بمولود فليس هو بذي ولد وان شئت ان تجعل المقدمتين في قوة قياس حملي مركب من شرطيتين متصلتين والتركيب
بينهما في جزء تام وتقديره لو كان تعالى ذا ولد لكان مولودا ولو كان مولودا لكان محدودا والنتيجة لو كان ذا ولد لكان محدودا ثم يستنتج من استثناء
نقيض تالي هذه النتيجة عين المطلوب وبيان الملازمتين ونقيض تالي النتيجة ما سبق الثلاثون كونه جل عن اتخاذ الابناء اي علا وتقدس
عن ذلك وهو تاكيد لما سبق وبيانه انه يستلزم كونه من جنس عوارض الاجسام التي هي في معرض الزوال وقبول التغير والاضمحلال الحادي و
الثلاثون كونه طهر عن ملامسة النساء وذلك لما يستلزم من الملامسة من الجسمية والتركيب الذي تنزه قدسه عنه وطهارته تعود الى تقدسه
عن المواد وعلائقها من الملامسة والمماسة وغيرهما الثاني والثلاثون كونه لا تناله الاوهام فيقدره اي لو نالته الاوهام لقدرته لكن التالي
بط فالمقدم كذلك بيان الملازمة انك علمت ان الوهم انما يدرك المعاني المتعلقة بالمادة ولا يرفع ادراكه المتعلق بالمحسوسات وشانه انما يدرك
ان يستعمل المتخيلة في تقدير ما يدركه بمقدار مخصوص وكمية معينة وهيئة معينة ويحكم بانها مبلغه ونهاية تعقله وادراكه الاوهام لقدرته بمقدار
معين وفي محل معين فاما بطلان التالي فلان المقدر محدود ومركب محتاج الى المادة والتعلق بالغير وقد سبق بيان امتناع ذلك الثالث
والثلاثون ولا يتوهمه الفطن فتصوره وفطن العقول سرعة حركتها في تحصيل الوسط في المطالب وانما قال لا يتوهمه الفطن لان القوة
العقلية عند توجهها في تحصيل المطالب العقلية المجردة لا بد لها من استتباع الوهم والمتخيلة والاستعانة بهما في استثباتها بالتشبيه والتصوير
بصورة يحطها الى الخيال على ما علمت ذلك في موضعه ولذلك فانه كانت رؤيته جبرئيل في صورة دحية الكلبي وكذلك المعاني المدركة للنفوس
في النوم من الحوادث فانها لا يتمكن من استثباتها عند اقتباسها من عالم الغيب بعد نقلها الى حال اليقظة في صورة خيالية مشابهة كما
علمت ذلك في صدر الكتاب فظهر اذن معنى قوله لا يتوهمه الفطن فتصوره اي لو ادركته لكان ذلك بمشاركة الوهم فكان يلزم ان يصوره
بصورة خيالية لكنه تعالى منزه عن الصورة فكان منزها عن ادراكها الرابع والثلاثون لا تدركه الحواس فتحسه واذ لو ادركته الحواس لصدق
عليه انها تحسه ولزم كونه محسوسا وبيان ذلك ان الادراك وان كان اعم من الاحساس لكن بالاضافة الى الحواس صار مرادفا وملازما له
فان قلت انه لا معنى للاحساس الا ادراك الحواس فيكون كانه قال لا تحسه الحواس فتحسه وذلك تكرار غير مفيد قلت ليس مقصوده انه
يلزم من معنى الادراك معنى الاحساس بل مراده ان الذي يصدق عليه انه ادراك الحواس هو المسمى بالاحساس فيكون التقدير ان الحواس
لو ادركته لصدق انها احسته اي لصدق هذا الاسم ولزم من صدقه مطابقا ان يصدق عليه كونه محسوسا وانما الزم ذلك لكون
الاحساس اشهر وابين في الاستحالة عليه تعالى من الادراك فجعله كالاوسط في نفي ادراكها عنه لشنعته واما بيان انه تعالى ليس بمحسوس
فلانه تعالى ليس بجسم ولا جسماني وكل محسوس فاما جسم او جسماني فينتج انه تعالى ليس بمحسوس الخامس والثلاثون كونه لا تلمسه الايدي فتمسه اي
لو صدق عليها انها تلمسه لصدق انها تمسه وهو ظ اذ كان اللمس نوعا من المس وكلاهما ممتنعان عليه لاستلزامهما الجسمية والمسمية
عليه تع السادس والثلاثون كونه لا يتغير بحال الى بداوله وعلى وجه من الوجوه السابع والثلاثون ولا يتبدل في الاحوال اي لا ينتقل من حال
الى حال وقد سبق بيان ذلك الثامن والثلاثون كونه لا تبليه الليالي والايام اما الاول فلانه تعالى ليس بزماني يدخل تحت تصريف الزمان حتى

لو كان مولودا

بلبه وانا اينا فلان نحو الابلاء له نغير في ذاته وقد علمت امتناع التغير عليه واما ثانيا فلان الباقي من الامور المادية وكل ذي مادة فهو
مركب على ما مر الثامن والثلاثون كونه لا يعتوره الضيا والظلام وذلك لامتناع التغير عليه الاربعون كونه لا يوصف بشيء من الاجزاء لان كل
ذي جزء مفتقر الى جزئه الذي هو غيره فكان مفتقرا الى غيره فكان ممكنا في ذاته هف الحادي والاربعون ولا بالجوارح والاعضاء لانها من
من الجسمية والتركيب الجزئية الثاني والاربعون ولا بعرض من الاعراض قول الاعراض تنحصر في تسعة اجناس كما هو معلوم في مظانه
فلنبين ان كل الموجودات سوى الله تعالى مقسوم بعشرة اقسام واحد منها جوهر والتسعة الباقية اعراض وبظهر تقسيم هكذا كل ما عداه سبحانه
فوجوده زائد على ماهيته بالبراهين القاطعة فماهيته اما ان تكون بحيث اذا وجدت كان وجودها لا في موضوع وهذا المعنى بالجوهر
او يكون وجودها في موضوع وهو المعنى بالعرض ونعني بالموضوع المحل الذي لا يتقوم بما يحل فيه بل يتقوم حقيقته كما كانت حلول حلوله
كالجسم الذي يحله السواد ثم العرض ينقسم الى اقسام التسعة وهي الكم والكيف والمضاف والاين ومتى والوضع والملك وان يفعل
وان ينفعل وتسمى هذه الاقسام مع القسم العاشر وهو الجوهر المقولات العشر والاجناس العالية ولنرسم كل واحد منها ليظهر انه تعالى
منزه عن الوصف بشيء منها فنقول اما الجوهر فقد عرفت رسمه واما الكم فرسم بانه العرض الذي يقبل لذاته المساواة واللامساواة و
التجزي ويقبل الجوهر بسببه هذه الصفات واما الكيف فقد عرفته وعرفت اقسامه واما الاضافة فهي حالة للجوهر تعرض بسبب كون غيره
في مقابلته ولا يعقل وجودها الا بالقياس الى ذلك الغير كالابوة والبنوة وقد عرفتها وعرفت ايضا اقسامها من قبل واما الاين فهي حالة
وهيئة تعرض للجسم بسبب نسبته الى المكان وكونه فيه وليس مجرد النسبة اليه واما متى فهي حالة تعرض للشيء بسبب نسبته الى زمانه وكونه
فيه او في طرفه وهو الان واما الوضع فهو هيئة تعرض للجسم بسبب نسبة اجزائه بعضها الى بعض نسبة تختلف الاجزاء لاجلها بالقياس
الى سائر الجهات كالقيام والقعود واما الملك فقد عرفت بانه نسبة الى ملاصق ينتقل بانتقال ما هو منسوب اليه كالتسلح والتقمص
واما ان يفعل فهو كون الشيء بحيث يؤثر في غيره ما دام يؤثر فيه كالقطيع حالة التأثير واما ان ينفعل فهو كون الشيء متأثرا عن
غيره ما دام متأثرا كالقطيع اما عرفت ذلك فنقول اما البرهان الجملي على امتناع اتصافه تعالى بهذه الاعراض واستحالة كونه موضوعا
لها فما سنو بيانه ... تقول فيه ... واما التفصيلي فاما امتناع وصفه بالكم فلانه لو صدق عليه الكم لصدق عليه قبول المساواة واللامساواة
في ذاته وامتناع التغير عليه واما التفصيلي فاما امتناع وصفه بالكم فلانه لو صدق عليه الكم لصدق عليه قبول المساواة واللامساواة
والتجزي وكلما قبل التجزي كان متكثرا وقابلا للكثرة وقد ثبت انه تعالى واحد من كل وجه فيمتنع عليه الكم واما امتناع وصفه بالكيف
فقد علمته في اول الخطبة وكذا امتناع وصفه بالمضاف واما وصفه بالاين فلانه يستلزم ان يكون متحيزا محويا بالمكان لكونه كائنا تكونه
في المكان مح واما وصفه بمتى فقد عرفت انه تعالى ليس بزماني فاستحال ان يوصف بالنسبة الى زمان يكون له واما وصفه بالوضع
فلان الوضع من خواص المتحيز فان الجسم المتناهي يحيط به سطح لا محالة او سطوح ينتهي عندها فيكتنفه حد او حدود ونهايات ويكون
له شكل وهيئة لكنه تعالى ليس بمتحيز فاستحال ان يكون ذا وضع واما الملك فلانه ايضا من خواص الاجسام المحاط بها انما الجسم ولا
يحاط به بشيء ينتقل بانتقاله وقد تنزه تعالى عن الجسمية وان يحيط به شيء واما ان يفعل فلان الفعل لا يصدق عليه الا بطريق الابداع
ومحض الاختراع والابداع هو ان يكون للشيء وجود من غيره متعلق به فقط دون توسط مادة او آلة او زمان والفعل اعم من الابداع
اذ المفهوم من الفعل هو ان يوجد بسبب وجوده شيء آخر سواء كان ذلك بسبب حركة من الفاعل او آلة او مادة او زمان وقصد واختياري
فيقال للنجار انه فاعل وللسرير انه فعل ويقال لا بتوسط شيء من ذلك بل بطبع وتولد كالشمس فانها فاعلة للنور والنور فعلها فالفعل
اذن ينقسم الى ما يكون بقصد واختيار والى ما لا يكون كذلك بل يصدر عنه لا انه ذات تفيض عنها ذلك الشيء ثم ان كان عالما بفيضان
الشيء عنه سميت تلك الافاضة جودا والفاعل بتلك الاعتبار جوادا وان لم يكن عالما به سمي تلك الافاضة طبعا وتولدا كفيضان
النور عن الشمس فالفاعل اما ان يفعل بالقصد والغرض او بالجود المحض او بالطبع المحض والباري تعالى لا يجوز ان يفعل لغرض لان الغرض
والقصد ان كان اولى به لانه كانت ذاته مستكملة بتلك الاولوية ناقصة بعدمها هذا مح وان لم يكن اولى به كان ترجيحا من غير
مرجح ثم لا يجوز ان يكون اولى بالنظر الى عبده لان تلك الاولوية وعدمها ان كانا بالنسبة اليه على سواء فلا ترجيح او لا على سواء فيعود
حديث النقصان والكمال فكان تعالى منزها عن الفعل بهذا الوجه بل انما يصدر عنه على وجه الابداع بجوده المحض وفي هذه المسئلة
بحث طويل ليس هذا موضعه واما وصفه بان ينفعل فلان الانفعال يستلزم التغير في ذاته المستلزم للامكان وقد تنزه قدسه
عنه الثالث والاربعون ولا بالغيرية والابعاض اي ليس له ابعاض يغاير بعضها بعضا لان ذلك مستلزم للتجزية والتركيب الممتنعين عليه
وامتناع اللازم يستلزم امتناع الملزوم الرابع والاربعون ولا يقال له حد ولا نهاية لان الحدود والنهايات من عوارض الاجسام ذات
الاوضاع ولواحقها على ما سبق الخامس والاربعون وكذا ولا انقطاع ولا غاية اي لا انتهاء لوجوده ولا غاية له وذلك لان الانقطاع
عند الغايات من لواحق الامور الزمانية المحدثة الكائنة الفاسدة وقد بينا امتناع كونه تعالى زمانيا وكونه ماديا ولانه تعالى واجب

في المقولات العشر

الوجود فيستحيل ان يلحقه العدم اي فناء في وجوده وينقطع عند غاية السادس والاربعون ولان الاشياء تحويه فتقله او تهويه او
ما بعد القا منصوبا وعليه نسخة الرضي رحمه الله وذلك باضمار ان عقيبها في جواب النفي وروي مرفوعا على العطف والمعنى انه ليس في
مكان يحويه فيرفعه بارتفاعه ويخفضه بانخفاضه لان ذلك من لواحق الجسمية وكذا او ان شيئا يحمله فيميله او يعدله السابع
والاربعون ليس في الاشياء بوالج ولا عنها بخارج لان الدخول والخروج من لواحق الاجسام مما ليس بجسم ولا جسماني فهما مسلوبان
عنه سلبا مطلقا لا السلب المقابل للملكة الثامن والاربعون كونه يخبر بلا لسان ولهوات لان اللسان واللهوات من لواحق الاجسام
الحيوانية المنزه قدسه عنها والسلب ههنا كالذي قبله والاخبار هو النوع الاكثر من الكلام ولذلك خصه هنا بالذكر وزعم الاشعرية
ان الخبر هو اصل الكلام كله واليه يرجع انواعه كالامر والنهي والاستفهام والتمني والترجي وغيرها ثم اختلف المتكلمون في حقيقة
الكلام فاتفقت المعتزلة على انه المركب من الحروف والصوت وجمهور الاشعرية على ان وراء الكلام اللساني معنى قائم بالنفس يعبر عنه بالكلام النفساني
ولفظ الكلام حقيقة فيه وفي اللساني مجاز ومنهم من جعله حقيقة في اللساني مجازا في النفساني ومنهم من جعله مشتركا فيهما فكون الله تعالى متكلما
يعود الى خلقه الكلام في جسم الشيء عند المعتزلة وعند الاشعرية انه معنى قائم بذاته وهو غير الاصوات والحروف المسموعة لاستحالة
معنى كلامه تعالى التاسع والاربعون يسمع بلا خروق وادوات اي ليس باداة هي الاذن والصماخات كما يسمع الانسان لتنزهه تعالى عن الالات
الجسمانية وقد كان هذا البرهان كافيا في منع الاطلاق لسميع عليه تعالى لما ورد الاذن الشرعي باطلاقه عليه ولم يمكن حمله على ظاهره وحقيقته
وجب صرفه الى مجازه وهو العلم بالمسموعات اطلاقا لاسم السبب على المسبب اذ كان السمع من اسباب العلم فاذن كونه تعالى سميعا يعود الى علمه
بالمسموعات الخمسون يقول ولا يتلفظ واطلاق لفظ القول عليه كاطلاق الكلام فاما التلفظ فلما كان عبارة عن اخراج الحروف
من آلة النطق وهي اللسان والشفة لا جرم لم يصدق في حقه تعالى لعدم الالة هنالك وكان الشارع لم ياذن في اطلاقه عليه تعالى لما ان
دلالته على الالة المذكورة اقوى من الكلام والقول الحادي والخمسون كونه يحفظ ولا يتحفظ وحفظه يعود الى علمه بالاشياء ولما كان
المعروف من العادة ان الحفظ يكون بسبب التحفظ وكان ذلك في حقه تعالى محالا لاستلزامه الالات الجسمانية لا جرم احترز عنه قال
بعض الشارحين انما يريد بالحفظ انه يحفظ عباده ويحرسهم ولا يتحفظ منهم اي لا يحتاج الى حراسة نفسه منهم وهذا بعيد الارادة
هنا الثاني والخمسون يريد ولا يضمر وارادته تعالى تعود الى اعتبار كونه تعالى عالما بما في الفعل من الحكمة والمصلحة الذي هو مبدأ فعله ولا فرق
في حقه تعالى بين الارادة والداعي ولما كان المتعارف من الارادة انها ميل القلب نحو ما يتصور كونه نافعا ولذلك الميل من الضمائر
المستكنة في القلب لا جرم كان اطلاق الارادة في حقه يستلزم تصور الاضمار ولما تنزه سبحانه عن الاضمار لا جرم احترز عنه في اطلاق المريد
عليه تعالى فكان ذلك الاحتراز كالقرينة الصارفة للفظ عن حقيقته الى مجازه وهو الاعتبار المذكور الثالث والخمسون كونه يحب ويرضى
من غير رقة المحبة منه تعالى ارادة هي مبدء فعل ما فتحبته للعبد ارادته لثوابه وتكميله وما هو خير له واما من العبد فهي ارادة تقوى وتضعف
بحسب تصور المنفعة واللذة واعتقاد كمالها ونقصانها ومحبته لله هي ارادة طاعته واما الرضا فقريب من المحبة ويشبه ان يكون اعم منها
لان كل محب راض عما احبه ولا ينعكس فرضاه تعالى عن العبد يعود الى علمه تعالى بموافقته لامره وطاعته له والمفهوم منه في حق العبد هو
سكون نفسه بالنسبة الى موافقة ومطابقة وملايمة عند تصور كونه موافقا وملايما ولما كان الرضا والمحبة من الانسان لغيره
يستلزم الرقة القلبية له والانفعال النفساني عن تصور المعنى الذي لاجله حصلت المحبة والميل اليه والداعي الى الرضا عنه وكان
الباري سبحانه منزها عن الرقة والانفعال المنزه عن قوابلها لا جرم احترز بقوله من غير رقة الرابع والخمسون ويبغض ويغضب
من غير مشقة فالبغض منه تعالى للعبد يعود الى كراهته لثوابه وكراهته يعود الى علمه بعدم استحقاقه للثواب ولانه
لا مصلحة في ثوابه ويلزمها ارادة اهانته وتعذيبه والبغض من العبد هو كراهته للغير وميل نفسه عند تصور كونه مضرا او مؤلما
ويلزم من ذلك النفرة الطبيعية منه وتوثان لقوة الغضبية عليه وارادة اهانته واما الغضب فيعود من الله تعالى الى علمه بمخالفة اوامره
وعدم طاعته له والمفهوم منه في حق العبد ثوران النفس وحركة قوتها الغضبية عن تصور المؤذي والضار لارادة مقاومته ودفعه
ولما كان البغض والغضب يستلزمان ثوران دم القلب وكان ذلك في النفس يستلزم مشقة وكلفة لا جرم احترز عنها في اطلاق لفظ
البغض والغضب عليه فقال من غير مشقة واعلم ان اطلاق لفظ المحبة والرضا على ما ذكرناه من الاعتبار انه في حقه مجاز اذ كانت حقيقة
الرضا هي سكون النفس الانسانية والمحبة ميلها الى النافع فاطلاقهما على العلم اطلاق لاسم اللازم على الملزوم وكذا اطلاق لفظي
البغض والغضب في حقه تعالى على علمه المخصوص الخامس والخمسون يقول لما اراد كونه كن فيكون فارادته لكونه هو علمه بما في وجوده من الحكمة
ولكن اشارة الى حكم قدرته الازلية عليه بالايجاد ووجوب الصدور عن تمام مؤثريته وقوله فيكون اشارة الى وجوده ودل على
على اللزوم وعدم التأخر والتراخي بالفاء المقتضية للتعقيب بلا مهلة السادس والخمسون لا بصوت يقرع اي ليس بذي حاسة
للسمع فيقرعها الصوت وذلك لان الصوت كيفية تحدث في الهواء عن قلع او قرع وتموجه لما يصل اليه من اصطكاك جسم آخر هو وصلة

بشدته وعنف ذلك خال نعرض لاجسام فلو كان لله تعالى سمع لكان جسما لكن التالي بط فالمقدم كذا التابع والخمسون ولا نداء
يسمع اي لما بين في القرينة الاولى انه لا يقرع بصوت بين في الثانية انه لا يخرج منه الصوت لان النداء صوت مخصوص
والصوت مستلزم للصوت هو جسم لما مر من استلزام الصوت القرع او القلع المستلزم من الجسمية وقوله وانما كلامه تع الى قوله
كاينا فاعلم ان هذا الكلام ما استفادت المعتزلة منه كون كلامه تعم محدثا وفيه تصريح بغير ما ذهبوا اليه ومعنى قوله فعل منه
انشاه اي اوجده في لسان النبي فانه قوله ومثله فاراد صوره في لسان النبي وسوى مثاله في ذهنه وقال بعض الشارحين مثله
لجبرئيل في اللوح المحفوظ حتى بلغه محمدا صلعم وساير الرسل صم وذل بقوله لم يكن من قبل ذلك كاينا على انه محدث مسبوق الوجود
بالعدم واشار بقوله ولو كان الى قوله ثانيا الى برهان حدوثه وهو قياس استثنائي متصل تقريره لو كان كلامه تعم قديما لكان
كلامه الها ثانيا له لكن التالي بط فالمقدم كذلك فاما بيان الملازمة فلانه لو كان قديما لكان اما واجب الوجود واما ممكن الوجود
والتالي بط لانه لو كان ممكنا مع انه موجود في الازل لكان وجوده مفتقرا الى موثر فذلك الموثر ان كان غيره تعم فهو مح لوجهين
احدهما انه يلزم افتقاره تعم في تحصيل صفته الى غيره وهو مح الثاني انه يلزم ان يكون في الازل مع الله غيره يكون مستندا اليه حصول
تلك الصفة فيكون الها ثانيا بل هو اولى بالالهية هذا خلف وان كان الموثر في كلامه ذاته فهو محال ايضا لان الموثر واجب التقدم بالوجود
على الاثر فالكلام اما ان يكون من صفات كماله او لا يكون فان كان الاول فتاثيره فيه ان كان وكل كمال له حاصل له بالفعل فقد
كان وصف الكلام حاصلا له قبل ان كان حاصلا هف وان كان تاثيره في حال اتصافه بالكلام فقد كان خاليا عن صفة
كماله فكان ناقصا بذاته وهذا مح واما ان لم يكن الكلام من صفات كماله كان اثباته له في الازل اثباتا لصفة زايدة على الكمال نقصان
فتعين انه لو كان قديما لكان واجب الوجود لذاته فكان الها ثانيا واما بطلان الثاني فلما بينا من كونه تعم واحدا فثبت بهذا الدليل
الواضح انه لا يجوز ان يكون كلامه قديما الثامن والخمسون لا يقال الى قوله لم يكن اشارة الى انه لم يحدث لان كون الشيء بعد ان لم يكن
هو معنى حدوثه وقوله لم يجر عليه الصفات المحدثات فاء في جواب النفي لتقدير الشرط اي لو صدق عليه انه محدث للحقته الصفات
المحدثة والا لكانت صفاته قديمة فكان الموصوف بها قديما هف والتقدير لكن لحوق الصفات المحدثة له بط فكونه محدثا بط واشار
الى بطلان التالي بقوله ولا يكون بينها وبينه فصل الى قوله والبديع والتقدير انه لو لحقته الصفات المحدثات وجرت عليه على تقدير كونه
محدثا لكانت ذاته مساوية لها في الحدوث المستلزم للامكان المستلزم للحاجة الى الصانع فلم يكن بينها وبينه فصل في ذلك ولا له عليها
فضل لاشتراكهما معا في الحاجة وقوله فيستوي الى قوله المبتدع اشارة الى ما يلزم ذلك لمساواة من المحال اذ كان استواء الصانع ومصنوعه
ظاهر الفساد واصل البديع من الفعل ما لم يسبق فاعله الى مثله وسمي الفعل الحسن بديعا لمشابهته ما لم يسبق اليه في كونه محل التعجب منه والمبدع
هو فاعل البديع والمصدر الابداع وقد عرفت معناه فيما قبل وفي نسخة الرضي المبدع بفتح الدال وهو البديع بالمعنى الذي ذكرناه ويكون مراده
بالبديع الصانع وهو فعيل بمعنى فاعل كقوله تعم بديع السموات والارض واذا ثبت انه لا يجري عليه الامور المحدثة ولو لحق الحدوث
من سبق العدم والتغير والامكان والحاجة الى الموثر وغير ذلك ويلزم المحال المذكور اولا والنسخة الاولى بخط الرضي رضي الله عنه التاسع والخمسون
كونه تعم خلق الخلائق الى قوله غيره وقد سبق بيانه في الخطبة الاولى وهو تنزيه له عن صفات الصانعين من البشر فان صنايعهم تحذو احذوا
مثلية سبقت من غيرهم او حصلت في اذهانهم الستون كونه لم يستعن على خلق ما خلق باحد من خلقه والا لكان ناقصا بذاته مفتقرا الى ما كان هو
مفتقرا اليه وهو مح الحادي والستون والثاني والستون كونه انشأ الارض فامسكها اي اوجدها فامسكها في حيزها بما شاء من قدرته ولما كان شأن من
يمسك شيئا ويحفظه من ساير الفاعلين لا يخلو عن كلفة ومشقة في حفظه واشتغال بحفظه عن غيره من الافعال نزه حفظه تعم لها عما يلزم
حفظ غيره لما يحفظه من تلك الكلفة ولا اشتغال بحفظها الثاني والستون كونه ارساها اي اثبتها في حيزها على غير قرار اعتمدت عليه فامسكها
وكل دعمة لها غيره قائم بل بحسب قدرته وما بذاته الثالث والستون كونه حصنها من الاود والاعوجاج اي من الميل الى احد جوانب العالم عن
المركز الحقيقي وذلك لما ثبت في موضعه من الحكمة الرابع والستون كونه منعها عن التهافت والانفراج اي جعلها كرة واحدة ثابتة في حيزها
ومنعها ان يتساقط قطعا او ينفرج بعضها عن بعض الخامس والستون كونه رسخ اوتادها اي ثبتها فيها واوتادها جبالها وقد بينا في الخطبة
الاولى معنى كونها اوتادا لها السادس والستون كونه ضرب اسدادها واراد باسدادها ما احاط بها من الجبال والتي يحجز بين بقاعها و
بلادها السابع والستون كونه استفاض عيونها واستفاض بمعنى افاض كما قال تعم وفجرنا الارض عيونا وقد سبقت الاشارة الى ذلك الثامن
والستون كونه خد اوديتها اي شقها بين جبالها وتلالها وقوله فلم يهن ما بناه ولا ضعف ما قواه تنبيه على ما عدده من الاثار العظيمة
اشارة الى كمال هذه المخلوقات تعظيما لشأن عظمته سبحانه بالقياس اليها التاسع والستون كونه هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته واشار
بقوله هو الى هويته اي هي محض الوجود الحق الواجب لما لم يكن تعريف تلك الهوية الا بالاعتبارات الخارجة عنها اشار الى تعريفها بكونه
ظاهرا عليها اي غالبا قاهرا لها ولما كان الظهور يحتمل الظهور الحسي لاجرم قيده بسلطانه وعظمته اذ كان ظهوره عليها ليس ظهورا مكانيا

بزيادة على الكمال م

حسيا

ج ٢

حسيا بل بحسب ملكه واستيلاء قدرته وعظمة سلطانه السبعون قوله وهو الباطن لها اي الداخل في بواطنها بعلمه ولما كان البطون يحتمل البطون
الحسي قيده بعلمه تنزيها له عن سوء الافهام واحكام الاوهام والضماير في قوله عليها ولها يعود الى الارض وما فيها مما بناه وسواه الحادي
والسبعون كونه عاليا على كل شيء اي من الارض وساير مخلوقاته بجلاله وعزته والتنبيه لها هو اعتبار كونه تعالى
منزها عن كل ما لها من الصفات المحدثة والكمالات المستفادة من الغير المستلزمة للنقصان الذاتي ولما كانت هذه الاعتبارات التي
نزه عنها في حضيض النقصان كان هو باعتبار تنزيهه عنها في اوج الكمال الاعلى فكان عاليا عليها بذلك الاعتبار ولانه تعالى خالقها
وموجدها فعلوه عليها بجلال سلطانه وعزته عن خضوع الحاجة وذلتها الثاني والسبعون كونه لا يعجزه شيء منها طلبه الى قوله فيسبقه
وذلك لكونه تعم واجب الوجود تام العلم تام القدرة لا نقصان فيه باعتبار وكون كل ما عداه مفتقرا في وجوده وجميع احوال وجوده اليه
فلا جرم لم يتصور ان يعجزه شيء طلبه او يمتنع عليه شيء بقوة فيغلبه او بقوة سريع يحركه فيسبقه لما يستلزم ذلك العجز عن الحاجة والامكان
الممتنعين عليه الثالث والسبعون وكذلك كونه لا يحتاج الى ذي المال فيرزقه لما يستلزمه الحاجة من الامكان وكل ذلك نفي الاحوال البشرية عنه
الرابع والسبعون قوله خضعت له الاشياء الى قوله لعظمته فخضوعها وذلها يعود الى دخولها في ذل الامكان تحت سلطانه وانقيادها في اسر الحاجة
اليه واستسلامها لانها الى وجوده فهو النافع لها بما فيضه كالانها والضار لها بمنع ذلك فان قلت ان النفع لا يرهب منه ولا يمتنع فكيف
ذكره هنا قلنا المراد منه سلب قدرتها عليها على تقدير امتناعها منه وهذا كما تقول لمن عجز عنك ان فلانا لا يقدر على نفع ولا ضر ولان
النفع جاز ان يمتنع منه لانفته واستغنائه بالغير ولا شيء من الموجودات يمتنع من سلطانه ونفعه باستغنائه عنه وانفته ونحوها الخامس والسبعون
كونه لا كفوا له يكافيه اي ليس له مثل فيقابله ويفعل بازاء فعله وقد علمت تنزيهه تعم عن المثل وكذلك لا نظير له فيساويه السادس والسبعون
هو المعني لها الى قوله كمفقودها عرف هويته باعتبار كونه معدما للاشياء بعد وجودها وقد ورد في القران الكريم اشارات الى ذلك كقوله
تعم يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدانا اول خلق نعيده ومعلوم ان الاعادة انما تكون بعد العدم وقوله اذا السماء انفطرت واذا
الكواكب انتثرت وامثالها وقد اجمعت الانبياء على ذلك وعلم بالضرورة من دين محمد صلعم بانه سيكون وهو الذي عليه جمهور المتكلمين والخلاف
في جواز خراب العالم مع الحكماء فانهم اتفقوا على ان الاجرام العلوية والعقول والنفوس الفلكية وكذلك هيولى العالم العنصري واجرام العناصر
وما ثبت قدمه امتنع عدمه لانه لا يزال علة وجوده وما عدا ذلك فهو حادث وليس كله مما يفاد بالاتفاق بل الخلاف في المعاد
الانساني البدني فانكره بعضهم والاسلاميون منهم قالوا ليس للعقل في الحكم بوجوده او لا وجوده مجال بل انما يعلم بالسمع هذا مع اتفاقهم
على القول بامتناع اعادة المعدوم فان امكن الجمع بين القول بامتناع اعادة المعدوم فليكن ما ذهب اليه ابو الحسين البصري من المعتزلة وهو قوله ان
الاجزاء تتشذب وتتفرق بحيث يخرج عن حد الانتفاع بها ولا تدخل في العدم الصرف لكن في ذلك نظر لان بدن زيد مثلا ليس عبارة عن
تلك الاجزاء المتشذبة والمتفرقة فقط فان القول بذلك مكابرة للعقل بل عنها مع ساير الاعراض والالوان والهيئات المخصوصة والاوضاع فاذا اشذب
البدن وتفرق فلا بد ان يعدم تلك الاعراض وتفنى وح يلزم فناء البدن من حيث هو ذلك البدن فعند الاعادة ان اعيد بعينه وجب اعادة
تلك الاعراض بعينها فلزمت اعادة المعدوم وان لم يعد بعينه كان غيره فيكون الثواب والعقاب على غيره وذلك مكذب للقران
الكريم في قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى اللهم الا ان يقال ان الانسان المثاب والمعاقب انما هو النفس الناطقة وهذا البدن كالالة فاذا عدم
لم يلزم عوده بعينه بل جاز عود مثله لكن هذا انما يستقيم على مذهب الحكماء القائلين بالنفس الناطقة واما على راي ابي الحسين البصري
فلا ومذهب اكثر المحققين من علماء الاسلام يؤول الى هذا القول وقوله وليس فناء الدنيا الى قوله اختراعها دفع لما يعرض لبعض الاذهان
من التعجب بفناء هذا العالم بعد ابتداعه وخلقه بالتنبيه على حال انشائه واختراعه اي ليس مصيره ما خلق الى العدم بعد وجوده
باعجب من صيرورته الى الوجود بعد العدم عنها اذ كانت كلها ممكنة قابلة للوجود والعدم لذواتها بل صيرورتها الى الوجود المشتمل على غايات
الخلقة واسرار الحكمة التي لا يهتدى لها ولا يقدر على شيء منها اعجب واغرب من عدمها الذي لا كلفة فيه وقوله ولو اجتمع الى قوله فنائها
تاكيد لنفي كون عدمها بعد وجودها اعجب من ايجادها بالتنبيه على عظم مخلوقاته تعم ومكوناته وما اشتملت عليه من اسرار الحكمة المنوه به
الى قدرته والمعنى وكيف يكون عدمها اعجب وفي ايجاد اضعف حيوان واصغره مما خلق كالبعوضة من العجايب والغرايب والاعاجيب ما يعجز
عن تكوينه واحداثه قدرة كل من نسب اليه القدرة ويقصر عن معرفة الطريق الى ايجادها الباب الالباء ويتحير في كيفية خلقها حكمة
الحكماء ويقف دون علم ذلك وتبيانه عقول العقلاء وترجع خاسئة حسيرة مقهورة معترفة بالعجز عن الاطلاع على كنه صنعه في انشائها
مقرة بالضعف عن افنائها فان قلت كيف تقر العقول بالضعف عن افناء البعوضة مع امكان ذلك وسهولته قلت ان العبد اذا نظر الى
نفسه بالنسبة الى قدرة الصانع الاول جلت عظمته وجد نفسه عاجزة عن كل شيء الا بايتاء الهي وانه ليس له الا الاعداد لحدوث ما ينسب
اليه من الاثار وغاية ما نفس وجود الاثر فمن واهب العقل عز سلطانه فاعلا لما قلناه يعترف بالضعف عن ايجاد البعوضة واعدامها
وما هو ابين من ذلك عند مقايسة نفسه الى موجده وواهب كماله كما عرفت ذلك في موضعه وايضا فان الله سبحانه كما خلق للعبد قدرة على

اي لا يستطيع الهرب من سلطانه

الفعل والترك والايذاء والاضرار بغيره كل خائف للبعوضة قدرة على الامتناع والهرب بنضرره بالطيران وعجزه بل ان توذيه ولا يتمكن من دفعها عن نفسه فكيف يستهل لعاقل فناها من عجز معونة صانعها له عليه وقوله وانه سبحانه يعود الى قوله الامور اشارة الى كونه تم باقيا ابدا يبقى بعد فناء الاشياء وحده لا شئ معه منها كما كان قبل وجوده كذلك بريا عن لحوق الوقت والمكان والحين والزمان وقوله يعود منها اشعار بتغيره من حالة سبقت الى حالة لحقت وهما يعودان الى ما يعتبره اذهاننا له من حالة تقدمه على وجودها وحالة تأخره عنها بعد عدمها وهما اعتباران ذهنيان يلحقانه بالقياس الى مخلوقاته وقوله عدمت عند ذلك الى قوله الساعات ظلان كل ذلك اجزاء للزمان الذى هو من لواحق الحركة التى هى من لواحق الجسم فيلزم من عدم الاجسام عدم عوارضها وقوله فلا شئ الى قوله الامور اى لا شئ يبقى بعد فناء العالم الا هو وذكر الواحد لبقاء ذلك والقهار باعتبار كونه قاهرا لها بالعدم والفناء وكونه اليه مصير جميع الامور معنى مصيرها اليه اخذه لها بعد هيئة لوجودها وقوله بلا قدرة الى قوله فناؤها اشارة الى انه لا قدرة لشئ منها على ايجاد نفسه ولا على الامتناع من لحوق الفناء له وقوله ولو قدرت الى قوله بقاؤها استدلال بقياس شرطى متصل على عدم قدرة شئ منها على الامتناع من الفناء وتماحض الحكم بالاستدلال دون الاول لكون الاول ضروريا وبيان الملازمة ان الفناء مهروب منه لكل موجود فامكان الامتناع منه مستلزم للداعى الى الامتناع المستلزم للامتناع منه المستلزم للبقاء واما بطلان التالى فلما ثبت انه تعالى يفنيها فلزم انه لا يكون لها قدرة على الامتناع وقوله لم يتكاءده الى قوله خلقه ظاهر لان المشقة في الفعل وثقله انما يعرض لذي القدرة الضعيفة من الحيوان لنقصانها وقد تنزه تعالى عن ايجاد النقصان الاستلزامه الامكان والحاجة الى الغير وقوله ولم يكونها الى اخره اشارة الى نفى وجوه الاغراض المتعارفة للفاعلين في ايجاد ما يوجد ومن اعدامه ونفى تلك الاغراض عن فعله في ايجاده ما اوجده واعدامه ما اعدمه من الاشياء اما الاغراض المتعلقة بالايجاد فهو اما جلب منفعة كشد السلطان وجمع الاموال والقينات وتكثير الجند والعدة والازدياد في الملك باخذ الحصون والقلاع ومكاثرة الشريك في الملك كما يكاثر الانسان غيره ممن يشاركه في الاموال والاولاد او دفع مضرة كالتخوف من العدم والزوال فيخافها ليتحصن بها من ذلك وخوف النقصان الخاف فيها ليستكمل بها او خوف الضعف عن مثل تكاثره ليخافها ليستعين بها عليه او صدق بقاومه فاوجدها ليتحرز منه او يدفع مضرته او لوحشة كانت له قبل ايجادها فاوجدها ليدفع ضرر استيحاشه بالانس بها وكذلك الاغراض المتعلقة بعد مها اما الى دفع المضرة كرفع السأم اللاحق له من تصريفها وتدبيرها والتثقل في شئ منها عليه والملال من طول بقائها فدعوه ذلك الى فنائها او جلب المنفعة كالراحة الواصلة اليه فان جلب المنفعة ودفع المضرة من لواحق الامكان الذى تنزه قدسه عنه وقوله لكنه سبحانه الى قوله لقدرته وتدبيرها بلطفه اشارة الى ايجاده لها على وجه الحكمة والنظام الاتم الاكمل الذى ليس في الامكان ان يكون شئ اعلى اتم منه ولا الطف واستاكه لها بامره وقيامها في الوجود بحكم سلطانه وانقائها بقدرته احكامها على وفق منفعتها وان كان عن قدرته في ذلك على وجوه الحكمة كل ذلك بمحض الجود من غير عرض من الاغراض المذكورة تعود اليه وقوله ثم يعيدها بعد الفناء تصريح باعادة الاشياء بعد فنائها وفنائها اما عدمها كما هو مذهب من جوز اعادة المعدوم او تفرقها وخروجها عن حد الانتفاع بها كما هو مذهب ابى الحسين البصرى من المعتزلة وقوله من غير حاجة الى اخره ذكر وجوه الاغراض الصالحة في الاعادة والاشارة الى نفيها عنه تعالى وهو اما كالحاجة اليها والاستعانة ببعضها على بعض والانصراف من حال وحشة الى حال استيناس والانصراف من حال جهل وعمى فيه الى حال علم والتماس وكذا من فقر وحاجة الى غنى وكثرة ومن ذل وضعة الى عز وقدرة وقد عرفت ان كل هذه الاغراض من دفع المضرة للتنزه قدسه تعالى عنها وقد بينا فيما سلف البرهان الاجمالى على تنزيهه تعالى في افعاله من الاغراض بل ايجاده بما يوجد لمحض الجود الالهى الذى لا بخل فيه ولا منع من جهته فهو الجواد المطلق والملك المطلق الذى يعيد ما ينبغى لا لغرض ويوجد ما يوجد لا لفائدة تعود اليه ولا غرض وهو مذهب جمهور اهل السنة والفلاسفة والخلاف فيه مع المعتزلة فان قلت ظاهر كلامه عليه السلام يشعر بان الدنيا كما تفنى تعاد والتى وردت الشريعة وبعد الخلاف بين جمهور المتكلمين والحكماء هو اعادة الابدان البشرية قلت الضمير في قوله يعيدها سواء كان راجعا الى الدنيا او الى الامور في قوله مصير جميع الامور فانه مهمل كما يرجع الى الكل جاز ان يرجع الى البعض وهى الابدان البشرية قال بعضهم ان للسالكين بهذا الكلام تاويلا عقليا وان جزموا بكون مراده عليه السلام هو ما ذكرناه من الظاهر فانهم قالوا يحتمل ان يشار بقوله وانه يعود سبحانه الى قوله الامور الى حال العارف اذا حق له الوصول التام حتى غاب عن نفسه فلحظ جناب الحق سبحانه بعد حذف كل قيد وتنائى ذاته عن درجة الاعتبار وملاحظة جلال الواحد القهار ليس الا هو وقوله ثم يعيدها بعد الفناء لعودها الى اعتبار ذهن العارفين لها عند هبوطهم من الجناب المقدس الى الجنبة السافلة واشتغالهم بمصالح ابدانهم والكل منسوب الى تصريف قدرته تعالى بحسب استعداد الاذهان لقبولها وحذفها وقد علمت من بيانها هذه الخطبة صدق كلام السيد الرضى رضى الله عنه في مدحها حيث قال ويجمع هذه الخطبة من اصول العلم ما لا يجمعه غيرها فانها بالغة في علم التوحيد كاملة في علم التنزيه والتقديس لجلال الواحد الحق جلت عظمته وبالله التوفيق والعصمة

ومن خطبة له عليه السلام

يختص بذكر الملاحم الا بابى وامى هم من عدة اسماؤهم في السماء معروفة وفي الارض

مجهولة الا فتوقعوا ما يكون من ادبار اموركم وانقطاع وصلكم واستعمال صغاركم ذاك حيث يكون ضرب السيف على المؤمن اهون من الدرهم من حله ذاك حيث يكون المعطى اعظم اجرا من المعطى ذاك حيث تسكرون من غير شراب بل من النعمة والنعيم وتحلفون من غير اضطرار وتكذبون من غير احراج ذاك اذا عضكم البلاء كما يعض القتب غارب البعير ما اطول هذا العناء وابعد هذا الرجاء ايها الناس القوا هذه الازمة التى تحمل ظهورها الاثقال من ايديكم ولا تصدعوا على سلطانكم فتذموا غب فعالكم ولا تقتحموا ما استقبلكم من فور نار الفتنة واميطوا عن سننها وخلوا قصد السبيل لها فقد لعمرى يهلك في لهبها المؤمن ويسلم فيها غير المسلم انما مثلى بينكم مثل السراج في الظلمة يستضئ به من ولجها فاسمعوا ايها الناس وعوا واحضروا آذان قلوبكم تفهموا

اقول: خرجه الباء وضيقوا ... بصدد غيره انتم ترقوا وعقب كل شئ عاقبته وفور النار غليانها وارتفاع شدة حرها وامطت عن كذا ومطت تنحيت عنه والسنن القصد والاقتحام الدخول في الشدة في الشئ بشدة فقوله بابى وامى تسمى البابأة والجار والمجرور في تقدير خبر المبتدأ وهو قوله هم وقد سبقت الاشارة الى مثله في قوله مخاطبا الرسول صلى الله عليه وآله عند توليته غسله وتجهيزه اشارة الى اولياء الله فيما يستقبل من الزمان بالنسبة الى زمانه عليه السلام وقالت الشيعة اراد الائمة من ولده عليهم السلام وقوله اسماؤهم في السماء معروفة اشارة الى علو درجتهم في الملاء الاعلى واثبات اسمائهم وصفاتهم الفاضلة في ديوان الصديقين وفي الارض مجهولون بين اهل الدنيا الذين يعرفون الناس بلبس وراء ها كالدرهم ومن سيماء الصالحين بمجرى العادة التقشف والاعراض عن الدنيا وذلك يستلزم قلة مخالطة اهلها ومكاثرتهم وهو مستلزم لجهلهم بهم وعدم معرفتهم لهم ثم شرع في التنبيه على الاحوال الردية المستقبلة المضادة لمصالح العالم التى يجمعها سوء التدبير وتفرق الكلمة وهى ادبار ما اقبل من امورهم وانقطاع ما اتصل من وصلهم واسبابهم والوصل جمع وصلة وهى الانتظامات الحاصلة لاسبابهم في المعاش والمعاد بوجود الرسول صلى الله عليه وآله وتدبيره ثم استعمال صغارهم واراذلهم فانه من جملة اسباب الفساد ومن اسباب اصلاح العالم استعمال اهل الشرف واكابر الناس على الاعمال ومن كلامه عليه السلام في ذلك قوله لمالك الاشتر في عهده عليه اليه يشير الى العمال وتوخ منهم اهل التجربة والحياء من اهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة فانهم اكرم اخلاقا واصح اعراضا واقل في المطامع اشرافا وابلغ في عواقب الامور نظرا وصغار الناس مظنة اضداد الامور المذكورة وجميعها يكون خراب العالم وفساد نظامه ثم اشار الى وقتها وعلامات وقوعها فمنها حيث يكون ضرب السيف على المؤمن اهون واقل عنده مشقة من المشقة الحاصلة له في كسب درهم حلال وذلك لان المكاسب يكون قد اختلطت وغلب الحرام الحلال فيها واراد بقوله من الدرهم اى من كسب الدرهم فحذف المضاف ومنها حيث يكون المعطى اعظم اجرا من المعطى وذلك لان اكثر من يعطى ويتصدق يكون ماله مشوبا بالحرام فيقل اجره ولان اكثرهم يعطى ويقصد باعطائه الرياء والسمعة والهوى نفسه او لحظة من خطرات وسواسه من غير خلوص لله سبحانه في ذلك واما المعطى فقد يكون فقيرا مستحقا للزكوة ذا عيال لا يلزمه ان يبحث عن اصل ما يعطاه فاذا اخذه لسد خلته كان في ذلك اعظم اجرا ممن يعطيه ولان المعطى قد يكون اكثر ما ينفق من ماله في غير طاعة له في الوجوه المحظورة فاذا اخذ الفقير منه على وجه الصدقة فقد فوت على المعطى صرف ماله في تلك الوجوه فكان للفقير بذلك المنة عليه وكان سببا في منعه عن صرف ماله فيما لا ينبغى فكان اعظم اجرا منه ومنها حيث يسكرون من غير شراب فاستعار وصف السكر لهم باعتبار غفلتهم عما ينبغى لهم اللازمة عن ابصارهم واستغراقهم في اللذات الحاضرة كما يلزم السكر الغفلة عن المصالح وقرينة الاستعارة قوله من غير شراب بل من النعمة فان السكر حقيقة انما يكون عن الشراب ومنها حيث يحلفون من غير اضطرار الى اليمين بل غفلة عن عظمة الله سبحانه حتى يتوصلوا باليمين الى احسن المطالب ومنها حيث يكذبون من غير احراج اى من غير ان يلجئهم الى الكذب ضرورة بل يصير الكذب ملكة وخلقا ومنها اذا عضكم واستعار لفظ العض لايلام البلاء الذى ينزل بقلوبهم وشبهه بعض القتب لغارب البعير ووجه المشابهة هو شدة الايلام ولهذا التشبيه هو استعارة العض للبلاء وقوله ما اطول هذا العناء وابعد هذا الرجاء كلام منقطع عما قبله كما هو عادة الرضى رضى الله عنه في التقاط الفصول ولحاق بعضها ببعض ووجدت هذا الفصل بخطه في حاشية نسخة الاصل وظاهره يقتضى انه ذكرها كانت متصلا بالكلام ما ينال شيعته من البؤس والقنوط ومشقة انتظار الفرج وان قوله ما اطول الى قوله الرجاء كلام شيعته فعلى هذا يكون المعنى انهم يصابون بالبلاء حتى يقولوا ما اطول التعب الذى نحن فيه وما ابعد رجاءنا للخلاص منه بقيام القائم المنتظر ويحتمل ان يكون الكلام متصلا ويكون قوله ما اطول هذا العناء كلاما مستأنفا في معنى التوبيخ لهم على اعراضهم عنه واقبالهم على الدنيا واتعابهم انفسهم في طلبها وتنفيرا لهم عنها بذكر طول العناء في طلبهم وبعد هذا الرجاء الذى يرجونه منها وظاهر ان متاعب الدنيا لطالبها اطول المتاعب ومطالبها لراجيها ابعد المطالب كما قال عليه السلام من قبل من ساعاها فاتته وكما قال الرسول صلى الله عليه وآله من جعل الدنيا اكبر همه فرق الله عليه همه وجعل فقره بين عينيه ولم يأته منها الا ما كتب له وهذا الكلام يقتضى ان المجد لطلب الدنيا لا يزال ملاحظا للفقر مستحضرا له فهو حامل له على التعب في تحصيلها والكدح لها ويحتمل ان يريد بالعناء المشار اليه عناءه في جذبهم الى الله ودعوته لهم الى الآخرة في اكثر اوقاته لا يرجعون الى دعوته ولا يتفقون على كلمته وظاهر انه عناء طويل وتعب عظيم وبالرجاء المشار اليه رجاؤه لصلاحهم واستبعده ثم ابتهم واستعار لفظ الازمة

للاراء الفاسدة المتبعة والاهواء القايدة لهم الى المأثم وجه المشابهة كونها قايدة لهم كالقود الازمة الجمال ولفظ الالقاء للاعراض عن تلك الاراء الباطلة وترك العمل بها ولفظ الظهور لانفسهم ولفظ الاثقال للمعقول من اثقال الذنوب ووجه المشابهة الاولى كونها حاملة لاثقال الخطايا والاوزار كما يحمل الظهور الاثقال المحسوسة كما قال تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ووجه الاستعارة الثانية ان الملكات الردية الحاصلة من اقتراف المآثم تثقل النفوس عن النهوض الى حظاير القدس ومنازل الابرار كما تثقل الاثقال المحسوسة الظهور الحاملة لها ولما استعار لفظ الالقاء والازمة اللذين من شانهما ان يكونا باليد رشح بذكر الايدي فقال من ايديكم والحاصل امرهم بترك الاراء الفاسدة ونهاهم عن متابعتها ونبه على وجوب تركها بانهم اذا التزموها وعملوا على وفقها قادتهم الى حمل اثقال الخطايا ثم اردف ذلك بالنهي عن التفرق عنه بعد تقديم النهي عن اتباع الاراء الفاسدة المستلزمة للهلاك تنبيها على ان دوامهم في التصدع عنه من تلك الاراء غير المحمودة وقوله فتذموا غب فعالكم تنفير عن التفرق عنه بذكر ما يلزمه من العاقبة المذمومة وهي غلبة العدو عليهم واستيلاؤه على احوالهم وتعوضهم عن عزهم ذلا وعن خفضهم ونعمهم بؤسا ونقمة والفاء في فتذموا في جواب النهي اي ان تصدعتم عن سلطانكم ذممتم غب فعالكم ثم اردف النهي عن التفرق عنه بالنهي عن اقتحام ما استقبلوا من الفتنة المنتظرة تنبيها على ان التفرق عنه سبب للدخول في نار الفتنة وتنفيرا عن مخالفته بكونها اقتحاما لنار الفتنة وتسرعا الى دخولها ولفظ النار مستعار لاحوال الفتنة من الحروب والقتل والظلم ووجه المشابهة كونها مستلزمة للاذى كالنار ووصف الاقتحام لمخالفته والتفرق عنه ووجه الاستعارة اسراع نفرتهم عنه الى الوقوع في الفتنة كاسراع المقتحم ورشح باستعارة النار بالفور مبالغة في التنفير ثم امرهم بالنهي عن قصدها وطريقها وتخلية قصد السبيل لها اي خلوها لقصد سبيلها ولا يتعرضوا لها ويتعرضوا لها فيكونوا حطبا لنارها ثم اقسم ليهلك في لهبها المؤمن ويسلم فيها غير المسلم وذلك من صدق وهو من كراماته واخباره عما سيكون فان الدابرة في دولة بني امية كانت على من لزم دينه واشتغل بعبادته ويذودون من وافقهم على اباطيلهم واجابت دعوتهم و تقرب الى قلوبهم بالكذب على رسول الله ص وظلم العباد كما تقف عليه من اخبارهم في قتل كثير من اوليائه وذريته وسولته وصحابته رضي الله عنهم وتقريبهم للمنافقين وتوليتهم الاعمال واعلم ان ليس مراده انه يهلك فيها كل مؤمن ولا يسلم فيها الا غير مسلم بل القضية مهملة ان والغرض منها ان اكثر من يهلك فيها المؤمنون واكثر من سلم فيها المنافقون ومن ليس له قوة في الاسلام ولفظ اللهب ترشيح لاستعارة لفظ النار ثم مثل نفسه بينهم بالسراج في الظلمة واشار الى وجه مشابهته للسراج بقوله فيستضيء به من ولجها وتقدير ان الطالبين للهداية يهتدون عليه كما يهتدي الساري في الظلمة بالسراج وهذا التمثيل يستلزم تشبيه احوالهم بالظلمة وتشبيههم بالمغمورين فيها لولا وجوده عليه السلم فيهم وقد علمت في المقدمات حقيقة التمثيل ثم لما قدم فضيلته في التمثيل المذكور اردفه بامرهم باتباع قوله وان يحضروا قلوبهم لتفهم ما يبلغه اليهم من الحكمة والموعظة الحسنة كما هو المعلوم من حال الخطيب واستعار لفظ الاذان هنا للقلوب ووجه الاستعارة ان الاذن لما كانت مدركة للاقوال اشبهها افهام القلوب المدركة لاقواله وطلب احضارها اذ كان هو المنتفع به دون احضار الاذان الحسية وكان احضار العقول وتوجيهها الى الفكر في المسموع مستلزما لحصول الفهم وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم**

اوصيكم ايها الناس بتقوى الله وكثرة حمده على آلائه اليكم ونعمائه عليكم وبلائه لديكم فكم خصكم بنعمة وتدارككم برحمة اعورتم له فستركم وتعرضتم لاخذه فامهلكم واوصيكم بذكر الموت واقلال الغفلة عنه وكيف غفلتكم عما ليس يغفلكم وطمعكم فيمن ليس يمهلكم فكفى واعظا بموتى عاينتموهم حملوا الى قبورهم غير راكبين وانزلوا فيها غير نازلين كانهم لم يكونوا للدنيا عمارا وكان الاخرة لم تزل لهم دارا اوحشوا ما كانوا يوطنون واوطنوا ما كانوا يوحشون واشتغلوا بما فارقوا واضاعوا ما اليه انتقلوا لا عن قبيح يستطيعون انتقالا ولا في حسن يستطيعون ازديادا انسوا بالدنيا فغرتهم ووثقوا بها فصرعتهم فسابقوا رحمكم الله الى منازلكم التي امرتم ان تعمروها والتي رغبتم فيها ودعيتم اليها واستتموا نعم الله عليكم بالصبر على طاعته والمجانبة لمعصيته فان غدا من اليوم قريب ما اسرع الساعات في اليوم واسرع الايام في الشهور واسرع الشهور في السنين واسرع السنين في العمر **اقول** اعورتم ابديتم عوراتكم والعورة السوءة وكل ما يستحيى منه والفصل يشتمل على الوصية بامور اولها تقوى الله تعالى فانها العمدة الكبرى فيما يوصى به ثم بكثرة حمده تعالى على آلائه اليهم ونعمائه عليهم وبلائه لديهم وقد علمت معنى بلائه وانه يكون بالخير و الشر كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة واردف ذلك بتذكيرهم بتخصيصهم بنعمته نعمه عليهم وتذكيرهم برحمته والرحمة كما يراد بها صفة لله تعالى كذلك يراد بها آثاره الحسنة الخيرية كما هو مراده هنا في حق عباده واتى بلفظ كم للتكثير ثم اردفه بذكر ضروب الرحمة والنعمة فمنها ستره عليهم حيث تجاهروا له بالمعصية التي ينبغي ان يستحيى منها وموافقتهم لها بمرأى منه ومسمع ومنها امهالهم ان يبادرهم بالنقمة ويعاجلهم بالعقوبة حيث تعرضوا للاخذة بارتكاب مناهيه ومخالفة اوامره الثاني مما اوصاهم به ذكر الموت واقلال الغفلة عنه وذلك لما يستلزم ذكره من الانزجار عن المعاصي وذكر المعاد الى الله سبحانه

ووعده ووعيده والرغبة عن الدنيا وتنغيص لذاتها كما قال الرسول ص اكثروا من ذكر هادم اللذات وانما استلزم ذكره ذلك لكونه ما يتباعد العقل عنه الوهم على ضرورة وقوعه مع تباعده على ما فيه من المشقة الشاقة ثم استفهم عن غفلتهم عنه وطمعهم فيه مع كونه لا يغفلهم ولا يمهلهم استفهام توبيخ على ذلك ولاجل ما فيه من شدة الاعتبار قال فكفى بموتى عاينتموهم الى قوله فصرعتهم وفي هذا الفصل زيادة موعظة على ذكر الموت وهي شرح احوال من شاهدوه من الموتى وذكر منها احوالا احدها كيفية حملهم الى قبورهم غير راكبين مع كونهم في صورة ركوب مقهور عنه الثانية انزالهم الى القبور على غير عادة النزول المتعارف المقصود فكانهم في تلك الحال مع طول مددهم في الدنيا وعمارتهم لها وركونهم اليها لم يكونوا لها عمارا وكان الاخرة لم تزل لهم دارا ووجه التشبيه الاول انقطاعهم عنها بالكلية وعدم اثرهم فيها فاشبهوا الذين لم يكن فيها ووجه الثاني كون الاخرة هي مستقرهم الدائم الثابت الذي لا معدل عنه فاشبهت في ذلك المنزل الذي لم يزل له دارا الثالثة ايحاشهم ما كانوا يوطنون من منازل الدنيا و مساكنها الرابعة ايطانهم ما كانوا يوحشون من القبور التي هي اول منازل الاخرة الخامسة اشتغالهم بما فارقوا وذلك ان النفوس الراكنة الى الدنيا العاشقة لها المقبلة على الاشتغال بلذاتها يمكن في جواهرها ذلك العشق لها وتصير محبتها ملكة وخلقا يحصل لها بعد المفارقة لما اجتنته من العذاب بيد الشقاء الاشتياق الى النزاع اليه وعدم التمكن من الحصول عليه اعظم شغل و اقوى شاغل واصعب بلاء هايل بلاء هل فيه كل مرضعة عما ارضعت وتضع فيه كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد السادسة اضاعتهم ما اليه انتقلوا وهي دار الاخرة ومعنى اضاعتهم لها تركهم الاسباب الموصلة الى ثوابها والمبعدة من عقابها السابعة كونهم لا يستطيعون الانتقال عما حصلوا عليه من الافعال القبيحة التي الزمتهم العذاب و اكسبت نفوسهم ملكات السوء وذلك ان الانتقال عن ذلك لا يمكن الا في دار العمل وهي الدنيا الثامنة وكذلك لا من حيث يستطيعون ازديادا اي من الاعمال الحسنة الموجبة للملكات الخيرية والثواب الدائم كما قال تعالى حكاية عنهم قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة التاسعة انهم انسوا بالدنيا حتى غرتهم العاشرة كونهم وثقوا بها حتى صرعتهم والسبب الاعظم في ذلك غرورها لهم حصول لذاتها المحسوسة مع قربهم من المحسوس وهو مستلزم بلذاتها المستلزم للغرور فيها والغفلة عما وراءها وهو مستلزم للوثوق وهو مستلزم لصرعهم في مهاوي الهلاك حيث لا يقال عثرة لا ينفع ندامة واعلم ان ذكر الموت وان كان يستلزم الاتعاظ والانزجار الا ان شرح الاحوال التي تعرض للانسان بعد موته ابلغ في ذلك لما ان كل حال منها منفور عنها طبعا وان كانت مما يختص المنزه عنها لكونها حالة تعرض للميت والمقرون بالمولم والمكروه مكروه ومولم ومنفور عنه طبعا الثالث مما امرهم به على طريق الوصية ان يسابقوا الى منازلهم التي امروا ان يعمروها والتي رغبوا فيها ودعوا اليها وهي منازل الجنة ومراتب الابرار فيها وعمارتها بالاعمال الصالحة الموافقة لمقتضى النواميس الالهية وتحصيل الكمالات النفسانية بتبعها والمعنى ليسابق بعضكم بعضا الى منازلكم ومراتب درجاتكم من الجنة وعمارتها بتحصيل الكمالات النفسانية وموافقة الشرايع الالهية واليه الاشارة بقوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين والترغيب فيها بقوله تعالى وللدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون ونحوه الرابع مما امرهم به الصبر على طاعة الله وعلى مجانبة المعصية ورغب بكونه سببا لتتم به نعمة الله عليهم ولما كان استلزامه لها كالثمرة له وكانت ثمرة الصبر حلوة ندمها ليحلوا الصبر ذكرها وقوله فان غدا من اليوم قريب تخويف من الساعة وتقريبها ولم يرد بغد ولا اليوم حقيقتهما بل اراد بغد القيمة وباليوم مدة الحيوة كقوله فيما سبق لان اليوم المضمار وغدا السباق وهو يجري مجرى المثل كقوله غدا ما غد ما اقرب اليوم من غد وقوله ما اسرع الساعات في اليوم الى اخره بيان لقرب الغد الذي كنى به عن القيمة من اليوم فان الساعات سريعة الاتيان والانقضاء وسرعتها مستلزم لسرعة مجيء اليوم وانقضائه وسرعتها مستلزم لسرعة مجيء الشهر وانقضائه المستلزمين لسرعة مجيء السنة وانقضائها المستلزمين لسرعة انقضاء العمر المغافلين فيه لكن انقضاؤه بالقيمة فاذن الساعات مستلزمة لسرعة انقضاء العمر وقرب غد من يومه واتى في الكل بلفظ التعجب تاكيدا لبيان تلك السرعة وهو كلام شريف بالغ في الفصاحة والموعظة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم**

فمن الايمان ما يكون ثابتا مستقرا في القلوب ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور الى اجل معلوم فاذا كانت لكم براءة من احد فقفوه حتى يحضره الموت فعند ذلك يقع حد البراءة والهجرة قائمة على حدها الاول ما كان لله في اهل الارض حاجة من مستسر الامة واقر بها فهو مهاجر ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة فسمعتها اذنه ووعاها قلبه ان امرنا صعب مستصعب لا يحمله الا عبد امتحن الله قلبه للايمان ولا يعي حديثنا الا صدور امينة واحلام رزينة ايها الناس سلوني قبل ان تفقدوني فلانا بطرق السماء اعلم مني بطرق الارض قبل ان تشغر برجلها فتنة تطأ في خطامها وتذهب باحلام قومها **اقول** العواري بالتشديد جمع عارية قيل كانها منسوبة الى العار اذ في طلبها عار والبراءة التبري وتشغر ترفع رجلها للبول اذا خلت عن مدبرها وفي الفصل مسائل الاولى قوله فمن الايمان الى قوله لاجل معلوم قسم الايمان الى قسمين ووجه الحصر فيهما ان الايمان لما كان عبارة عن التصديق بوجود الصانع

في بيان قسمة الايمان الى قسمين

سبحانه وما له من صفات الكمال ونعوت الجلال والاعتراف بصدق الرسول ص وما جاء به فتلك الاعتقادات ان بلغت حد الملكة في النفوس
فهي الايمان الثابت المستقر في القلب وان لم يبلغ حد الملكة بل كانت بعد حالات في معرض التغير والانتقال فهي العواري المتزلزلة واستعار
لها لفظ العواري باعتبار كونها في معرض الزوال كما ان العواري في معرض الاسترجاع والرد وكونها بين القلوب والصدور كونها
غير مستقرة في القلوب ولا متمكنة من جواهر النفوس وقال بعض الشارحين اراد ان من الايمان ما يكون على سبيل الاخلاص ومنه ما يكون
على سبيل النفاق وقوله الى اجل معلوم ترشيح لاستعارة العواري اذ كانت من شانها ان تستعار الى وقت معلوم ثم ترد فكذلك ما كان
بمعرض الزوال والتغير من الايمان وهذه القسمة الى هذين القسمين هي الموجودة في نسخة الرضي بخطه وفي نسخ كثير من الشارحين ونسخ كثيرة
معتبرة ونقل الشارح عبد الحميد بن ابي الحديد ره في النسخة التي شرح الكتاب عليها ثلثة اقسام هكذا فمن الايمان ما يكون ثابتا مستقرا
في القلوب ومنه ما يكون عواري في القلوب ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور الى اجل معلوم ثم قال في بيانها ما معناه
خلاصته ان الايمان اما ان يكون ثابتا مستقرا في القلوب بالبرهان وهو الايمان الحقيقي او ليس ثابتا بالبرهان بل بالدليل الجدلي
كايمان كثير ممن لم يحقق العلوم العقلية ويعتقد ما يعتقده من اقيسة جدلية لا تبلغ درجة البرهان وقد سماه ع عواري في القلوب اي
انه وان كان في القلب الذي هو محل الايمان الحقيقي الا ان حكمه حكم العارية في البيت فانها بعرضية الخروج منه واما ان لا يكون مستندا
الى برهان ولا الى قياس جدلي بل على سبيل التقليد وحسن الظن بالاسلاف او بامام يحسن الظن به وقد جعله ع عواري بين القلوب
والصدور لانه دون الثاني فلم يجعله حالا في القلب لكونه اضعف مما قبله واقرب الى الزوال ثم رد قوله الى اجل معلوم الى القسمين الاخيرين
لان من ثبت ايمانه بالقياس الجدلي قد يبلغ امره الى درجة البرهان اذا امعن النظر ورتب المقدمات اليقينية ترتيبا منتجا وقد يضعف
مقدماته في نظره فيحط الى درجة المقلد فيكون ايمان كل منهما الى اجل معلوم لكونه في معرض الزوال واقول ان صحت هذه الرواية فالمعنى
يعود الى ما قلناه من القسمة فان العلم بما يستلزمه البرهان او غيره من الايمان ان بلغ الى حد الملكة فهو الثابت المستقر والا فهو العارية و
الذي اراه ان القسم الثاني تكرار وقع من قلم الناسخ سهوا والله اعلم الثانية قوله فاذا كانت لكم براءة الى قوله حد البراءة معلوم معناه
اي اذا اردتم التبري من احد من اهل الكباير فقفوه اي اجعلوه موقوفا الى حال الموت ولا تسارعوا الى البراءة منه قبل الموت فان
اشد الكباير واعظمها الكفر وجايز من الكافر ان يسلم فاذا بلغ منتهى الحيوة وحد ها ولم يقلع عن كبيرته فذلك الحد هو حد البراءة الذي
يجوز ان يوقفوها معه اذ ليس بعد الموت حال ترجى ومنتظر قال بعض الشارحين والبراءة التي اشار ع اليها هي البراءة المطلقة لا كل براءة
اذ يجوز لنا ان نبرأ من الفاسق وصاحب الكبيرة في حيوته براءة مشروطة اي ما دام مصرا على كبيرته الثالثة قوله والهجرة قائمة على حدها
الاول لما كانت حقيقة الهجرة ترك منزل الى منزل آخر لكن تخصيصها عرفا بهجرة الرسول ص ومن تبعه فهاجر اليه من مكة الى المدينة تحرجا
لها عن حقيقتها وحدها اللغوي اذ كان يعم كل من ترك منزله الى منزل آخر مهاجرا اذا عرفت ذلك فنقول ان مراده ع من بقاء الهجرة على
حدها بقاء صدقها على من هاجر اليه وان الائمة من اهل بيته في طلب دين الله وتعرف كيفية السلوك لصراطه المستقيم كصدقها على من هاجر
الى الرسول ص وفي معنا ما ترك الباطل الى الحق وبيان هذا الحكم بالمنقول والمعقول اما المنقول فمن وجهين احدهما قوله تع ومن يهاجر
في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة فقد سمي من فارق وطنه وعشيرته في طلب دين الله وطاعته مهاجرا وقد علمت في اصول الفقه
ان من للعموم فوجب ان يكون كل من سافر لطلب دين الله من معادنه مهاجرا الثاني قول الرسول ص المهاجر من هاجر ما حرم الله عليه ولا شك ان
من هاجر معصية الائمة الى طاعتهم والاقتداء بهم فقد هاجر ما حرم الله عليه فكان اسم الهجرة صادقا عليه واما المعقول فلان المفارق لوطنه
الى الرسول ص مهاجر فوجب ان يكون المفارق لوطنه الى من يقوم مقامه من ذريته الطاهرة مهاجرا لصدق حد الهجرة في الموضعين ولان
المقصود من الهجرة ليس الا اقتباس الدين وتعرف كيفية سبيل الله وهذا المقصود حاصل ممن يقوم مقام الرسول ص من الائمة الطاهرين
بحيث لا فرق الا النبوة والامامة ولا مدخل لاحد هذين الوصفين في تخصيص معنى الهجرة بمن قصد الرسول ص دون من قصد الائمة فوجب
عموم صدقه على من قصدهم فان قلت هذا معارض بقوله ص لا هجرة بعد الفتح حتى شفع عمه العباس في نعيم بن مسعود الا يستجيبان يستثنيه
فاستثناه قلت نحمل ذلك على انه لا هجرة من مكة بعد فتحها الى المدينة توفيقا بين الدليلين وسلب الخاص لا يستلزم سلب العام فاعلم ان
فايدة هذا القول الدعوة الى الدليل واقتباسه منه ومن اهل بيته عليهم السلم بذكر الهجرة والتنبيه بها وما يستلزمه من الفضيلة على ان
التارك لاهله ووطنه اليهم طالبا للدين منهم يلحق بالمهاجرين الاولين في مراتبهم وثوابهم الرابعة قوله ما كان لله في الارض الى قوله ومعلنها قال
قطب الدين الراوندي رحمه الله ما هيهنا نافية اي لم يكن شيء اهل الارض ممن اسر دينه او اعلنه واظهره حاجة ومن هنا لبيان الجنس وانكر
الشارح عبد الحميد بن ابي الحديد كون ما نافية وقال يلزم منه كون الكلام منقطعا بين كلامين متواصلين وجعلها هو بمعنى المدة اي والهجرة
قائمة على حدها ما دام شيء اهل الارض ممن اسر دينه او اعلنه حاجة اي ما دامت العبادة مطلوبة لله تع من اهل الارض بالتكليف وهو
كقولك في الدعاء اللهم احيني ما كانت الحيوة خيرا لي ويكون لفظ الحاجة مستعارا في حقه تع باعتبار طلبه للعبادة بالاوامر وغيرها كالطلب

ذي الحاجة لها واقول انه غير بعيد ان يكون نافية مع اتصال الكلام بما قبله ووجهه انه لما رغب الناس في طلب الدين والعبادة فكانه اراد ان
يرفع حكم الوهم بما عساه يحكم به عند تكرار طلب الله للدين والعبادة من حاجته تع اليها من خالقه حيث كرر طلبها منهم بتواتر الرسل و
الاوامر الشرعية ويصير معنى الكلام ان الهجرة باقية على حدها الاول في صدقها على المسافرين لطلب الدين فينبغي ان يهاجروا في طلبه الى الائمة
الحق وليس ذلك لان الله تع الى اهل الارض ممن اسر دينه واظهره حاجة فانه تع الغني المطلق الذي لا حاجة به الى شيء الخامسة قوله لا
يقع اسم الهجرة الى قوله قلبه اشارة بالحجة في الارض الى امام الوقت لانه حجة الله في ارضه على عباده يوم القيمة وشاهد عليهم وهذا
الكلام تفسير لوازم اسم الهجرة وبيان لمن تصدق عليه وشرط صدقها على الانسان معرفته الامام وقصده وذلك لان الامام هو الحافظ للدين
ومعدنه الذي يجب اخذه عنه فيكون قصده لذلك مشروطا بمعرفته فان اطلاق اسم الهجرة عليه مشروط بمعرفة امام الوقت فلذلك
قال لا يقع اسم الهجرة على احد الا بمعرفة الحجة في الارض وقوله فمن عرفها واقر بها فهو مهاجر يحتمل ان يريد به ان شرط اطلاق اسم المهاجرة
على الانسان مشروط بمعرفة امام الوقت المستلزمة للسفر اليه كما هو الظاهر من لفظ المهاجرة ويحتمل ان يريد ان مجرد معرفة الامام والاقرار
بوجوب اتباعه والاخذ عنه وان كان بالاخبار عنه دون المشاهدة كاف في اطلاق اسم الهجرة على من عرفه كذلك دون السفر اليه كما كفى
في اطلاقه على ترك ما حرم الله بمقتضى قول الرسول ص والمهاجر من ترك ما حرم الله عليه وقوله ولا يصدق اسم الاستضعاف على من بلغته
الحجة اي اخبار الحجة فحذف المضاف ويحتمل ان يريد بالحجة نفس الاخبار التي تنقل عن الامام ويجب العمل بها قال قطب الدين الراوندي يمكن
ان يشير بهذا الكلام الى احد شيئين احدهما قوله تع ان الذين توفيهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا
الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماويهم جهنم فيكون مراده ع على هذا انه لا يصدق اسم الاستضعاف على من عرف الامام وبلغته
احكامه ووعاها قلبه وان بقي في وطنه ولم يتجشم السفر الى الامام كما صدق على هؤلاء المذكورين في الاية والثاني قوله تع بعد ذلك الا المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم فيكون مراده على هذا ان من عرف
الامام وسمع مقالته ووعاها قلبه لا يصدق عليه الاستضعاف كما صدق على هؤلاء اذ كان المفروض على الموجودين في عصر الرسول ص الهجرة
بالابدان دون من بعدهم بل يقنع منه بمعرفته والعمل بقوله دون المهاجرة اليه بالبدن واقول يحتمل ان يريد بقوله ذلك انه لا عذر لمن بلغته
دعوة الحجة وسمعها في تاخره عن النهوض والمهاجرة اليه مع قدرته على ذلك ولا يصدق عليه اسم الاستضعاف كما يصدق على المستضعفين من
الرجال والنساء والولدان حتى يكون ذلك عذرا له بل يكون في تاخره ملوما مستحقا للعذاب كالذين قالوا انا كنا مستضعفين في الارض
ويكون مخصوصا بالقادرين على النهوض كما قلناه دون العاجزين فان اسم الاستضعاف صادق عليهم وهذا الاحتمال مما يكون جايز الارادة
من هذا الكلام على تقدير ان يكون اطلاق اسم المهاجر على الانسان في الكلام المتقدم مشروطا بمعرفة الامام بالمشاهدة والسفر اليه اذ لو جاز
عليه ان يطلق عليه المهاجر مع عدم السفر الى الامام لما كان ملوما في تاخره عنه السادسة قوله ان امرنا صعب مستصعب فامرهم شانهم وما هم عليه
من الكمال الخارج عن كمالات من عداهم من الامة والاطوار التي يختص بها عقولهم وراء عقول غيرهم فيكون لهم عن ذلك القدرة على ما لا يقدر
عليه غيرهم والادراكات الغيبية بالنسبة الى غيرهم والاخبار عنه كالوقايع التي حكى عنها ع ثم وقعت على وفق قوله وكالاحكام والقضايا التي
اختص بها ونقلت عنه فان هذا الشان صعب في نفسه لا يقدر عليه الا الانبياء واوصياء الانبياء ومستصعب فهمه على الخلق معجوز عن احتمال
ما يلقى منه من الاشارات والاخبارات عما سيكون والقدرة على ما يخرج عن وسع مثلهم ولا يحتمله ويقبله الا نفس عبد امتحنها الله للايمان
كقوله تع اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي عودها بالامتحان والابتلاء بالتكاليف العقلية والنقلية لحصول الايمان الكامل اليقيني
بالله ورسوله وكيفية سلوك سبيله وتحلت بالكمالات العلمية والفضايل الخلقية حتى عرفت مبادي كمالاتهم ومقاديرها وكيفية صدور
مثل هذه الغرايب عنها فلا يستنكر ما ياتون به من قول وفعل وتلقاه بالتكذيب كما كانت جماعة من اصحابه يفعلون ذلك معه فيما كان
يخبرهم عن الفتن حتى فهم ذلك منهم فقال يقولون يكذب قاتلهم الله تع فعلى من كذب على الله وانا اول من امن به او على رسوله وانا اول من
صدقه كما حكيناه ذلك فيما سبق بل يحتمل كل ما ياتون به على وجهه ويسنده الى مبادئه ويفرح بوصول ما يرد عليها من اسرارهم الالهية
فاولئك وامثالهم هم اصحاب الصدور الامينة التي يلقى ما يلقى اليها من تلك الاسرار ويصونها عن الاذاعة الى من لا ينتفع بها وليس باهل لها
فهي مامونة عليها واولو الاحلام الرزينة التي لا يستنفرها سماع تلك الغرايب ومشاهدة نتايجها فيحملهم ذلك على اذاعتها واستنكارها بل
يحملها على الصواب وما وجب لها محملا فاذا عجزت عن معرفتها ثبتت فيها وامنت بها على سبيل الاجمال وفوضت علم كنهها الى الله سبحانه واراد
قلوب صدور امينة او اصحاب صدور امينة واصحاب احلام رزينة فحذف المضاف ويحتمل ان يكون قد اطلق اسم الصدور والاحلام
مجازا عن اهلها اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق ونقل عنه ع مثل هذا الكلام في غير هذا الموضع من جملة خطبة لان قريشا طلبت السعادة فشقيت
وطلبت النجاة فهلكت وطلبت الهدى فضلت الم يسمعوا ويحهم قوله تع الذين امنوا واتبعناهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم فاين المعدل
والمنزع عن ذرية الرسول الذين شيد الله بنيانهم فوق البنيان واعلى رؤسهم فوق رؤسهم واختارهم عليهم الا ان الذرية افنان انا شجرتها

ووجدنا انا سائها والى من احمد بمنزلة الضوء كنا اظلالا تحت العرش قبل خلق البشر وقبل خلق الطينة التي كان منها البشر اشباحا عالية لا اجساما
نامية ان امرنا صعب مستصعب لا يعرف كنهه الا ملك مقرب او نبي مرسل او عبد امتحن الله قلبه للايمان فاذا انكشف لكم سر او وضح لكم امر فاقبلوه
والا فاسكتوا تسلموا وردوا علمنا الى الله فانكم في اوسع مما بين السماء والارض وفي قوله ولكن من احمد بمنزلة الضوء من الضوء وقوله كنا اظلالا
الى قوله نامية اشارة لطيفة اما الاول فاشار الى ان الكمالات التي حصلت لنفسه القدسية بواسطة كمالات نفس النبي صلعم واستكمالها بها
بصدور الضوء عن الضوء كشعلة مصباح اقتبست من شعلة مصباح اكبر واعلى ومن العادة في عرف المجردين واولياء الله وكتابه تمثيل النفوس
الشريفة والعلوم بالانوار والاضواء لمكان المشابهة بينهما في حصول الهداية عنهما مع لطفها وصفاتها واما الثاني فيحتمل ان يكون
قد اشار بكونهم اظلة تحت العرش قبل خلق البشر اشباحا بلا اجسام الى وجودهم في العلم الكلي فانه قد يعبر عنه في بعض المواضع بالعرش
واستعار لفظ الاظلال لهم باعتبار كونهم مرجعا للخلق وملجأ كالاظلال وقد سبقت الاشارة الى ذلك وقرب منها بيانا وضح في الخطبة
الاولى السابعة انه بالناس وقال سلوني قبل ان تفقدوني الى قوله الارض وجمع الناس على انه لم يقل احد من الصحابة واهل العلم سلوني
غيره عليه السلام ذكر ذلك ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب واراد بطرق السماء وجوه الهداية الى معرفة منازل سكان السموات من الملأ الاعلى ومراتبهم
من حضرة الربوبية ومقامات انبياء الله وخلفائه من حظائر القدس واستفاضة نفسه القدسية عنهم باحوال الفلك ومدبراتها
والامور الغيبية مما يتعلق بالفتن والوقائع المستقبلة اذ كان له مع الاتصال التام بتلك المبادي فبالحري ان يكون علمه بها هنالك التام
واكمل من علمه بطرق الارض الى منازلها وقد يستثنى مثله لقوله سلوني قبل ان تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مائة وتهدي
مائة الا انبأتكم بسائقها وقائدها وقد حمله قوم على وجه لغو وقالوا اراد بطرق السماء الاحكام الشرعية والفتاوى الفقهية
اي انا اعلم بها من الامور الدنيوية فعبر عن ذلك بطرق السماء لكونها احكاما الهية وعبر عن هذه بطرق الارض لانها من الارضية ونحوه
ما نقل عن الامام الوبري انه قال اراد انه علمه بالدين اوفر من علمه بالدنيا وقوله قبل ان تشغر برجلها فتنة الى اخره اراد فتنة بني امية واحكامهم
العادلة عن العدل وما يلحق الناس في دولتهم من البلاء وكنى بشغر رجلها من خلو تلك الفتنة عن مدبر يدبرها ويحفظ الامور ونظم
الدين حين وقوع الجور وقوله تطأ في خطامها استعارة لوصف الناقة التي ارسل خطامها وخلت عن القائد في طريقها فهي تخبط
في خطامها وتعثر فيه وتطأ من لقيت من الناس على غير نظام عن حالها وهذا هو وجه الاستعارة اذ كانت هذه الفتنة تقع في الناس
على غير قانون شرعي ولا طريق مرضي ولا قائد ينتظم امور الخلق فيها ونحوه وقوله وتذهب باحلام قومها قال بعض الشارحين اي تحير
امر زمانها وتذهلهم لشدتها حتى لا يثبتون فيها بل تطيش لبابهم فلا يهتدون الى طريق التخلص عنها ووجه الاستلاقة فيها ويحتمل
ان يريد بذلك انها تستخف اهل زمانها فيأتون اليها سراعا ويجيبون عن كونها لغفلتهم عن وجه الحق فيها وشدة وقوعها على
الناس وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** احمده شكرا لانعامه واستعينه على وظائف حقوقه عزيز
الجند عظيم المجد واشهد ان محمدا عبده ورسوله دعى الى طاعته وقهر اعداءه جهادا عن دينه لا يثنيه عن ذلك
اجتماع على تكذيبه والتماس لاطفاء نوره فاعتصموا بتقوى الله فان لها حبلا وثيقا عروته ومعقلا منيعا ذروته
وبادروا الموت وغمراته وامهدوا له قبل حلوله واعدوا له قبل نزوله فان الغاية القيامة وكفى بذلك واعظا لمن عقل
ومعتبرا لمن جهل وقبل بلوغ الغاية ما تعلمون من ضيق الارماس وشدة الابلاس وهول المطلع وروعات الفزع واختلاف
الاضلاع واستكاك الاسماع وظلمة اللحد وخيفة الوعد وغم الضريح وردم الصفيح فالله الله عباد الله فان الدنيا ماضية
بكم على سنن وانتم والساعة في قرن فكانها قد جاءت باشراطها وازفت بافراطها ووقفت بكم على صراطها وكانها
قد اشرفت بزلازلها واناخت بكلاكلها وانصرفت الدنيا باهلها واخرجتهم من حضنها فكانت كيوم مضى وشهر انقضى
وصار جديدها رثا وسمينها غثا في موقف ضنك المقام وامور مشتبهة عظام ونار شديد كلبها عال لجبها ساطع لهبها
متغيظ زفيرها متاجج سعيرها بعيد خمودها ذاك وقودها مخوف وعيدها عم قرارها مظلمة اقطارها حامية قدورها
فظيعة امورها وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا قد امن العذاب وانقطع العتاب وزحزحوا عن النار واطمأنت
بهم الدار ورضوا المثوى والقرار الذين كانت اعمالهم في الدنيا زاكية واعينهم باكية وكان ليلهم في دنياهم نهارا تخشعا
واستغفارا وكان نهارهم ليلا توحشا وانقطاعا فجعل الله لهم الجنة مآبا والجزاء ثوابا وكانوا احق بها واهلها في ملك دائم
ونعيم قائم فارعوا عباد الله ما برعايته يفوز فائزكم وباضاعته يخسر مبطلكم وبادروا آجالكم باعمالكم فانكم مرتهنون بما
اسلفتم ومدينون بما قدمتم وكان قد نزل بكم المخوف فلا رجعة تنالون ولا عثرة تقالون استعملنا الله واياكم بطاعته
وطاعة رسوله وعفا عنا وعنكم بفضله ورحمته الزموا الارض واصبروا على البلاء ولا تحركوا بايديكم وسيوفكم هوى السنتكم
ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم فانه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله واهل بيته مات شهيدا

ووقع

ووقع اجره على الله واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله وقامت النية مقام اصلاته لسيفه فان لكل شيء مدة واجلا
اقول الوظيفة ما يقدر للانسان في كل يوم من طعام او رزق او عمل وبقيته بصرفه والمعقل الملجأ وذروته اعلاه ومهدت
له اي اتخذت له مهادا وهو الفراش والارماس جمع رمس وهو القبر والابلاس الانكسار والحزن والمطلع الاطلاع من اشراف الى سفل و
هوله خوفه وفزعه والروعة الفزعة واستكاك الاسماع صممها والصفيح الحجارة العراض فردمها سد القبر والسنن الطريقة والقرن
الحبل يقرن به البعيران واشراطها علاماتها وازفت دنت وافراطها مقدماتها ومنه افراط الصبح واول تباشيره والكلكل
والكلاكل الابل والضنك الضيق والكلب الشر واللجب الصوت والساطع المرتفع وسعيرها لهبها وتأججها اشتداد حره ووقودها بضم
الواو وهو الحدث وذكاه مقصورا اشتعاله وفظاعة الامر شدته وتجاوز تقدار والزمر الجماعات واحدها زمرة وزحزحوا
بعدوا واطمأنت سكنت والمثوى المقام والمآب المرجع ومدينون مجزيون واصلاته لسيفه تجرده به واعلم انه اشاد احمد الله على
نعمائه ونصب شكرا على المصدر عن قوله احمد من غير لفظه اذ المراد بالحمد معنى الشكر بقرينة ذكر الانعام ثم اردفه بطلب المعونة
على ما وجب عليه من حقوقه وواجباتها ونوافلها كالصلوات والعبادات التي ارتضاها منهم شكر النعمائه واذا اعتبرت كانت نعما
تستحق الشكر لما يستلزمه المواظبة عليها من السعادة الحقيقية الباقية كما سبق بيانه وقوله عزيز الجند نصب على الحال والاعتبار
عن محضنه والعامل استعينه وكذلك قوله عظيم المجد اي استعينه على اداء حقوقه حال ما هو بهذين الاعتبارين فانه باعتبار
ما هو عزيز الجند عظيم المجد يكون مالك الملك قديرا على ما يشاء فكان مبدأ الاستعانة به على اداء وظائف حقوقه ثم اردفه بشهادته
برسالة نبيه صلى الله عليه واله وذكر احواله التي كانت مبادي لظهور الدين الحق ليقتدي السامعون به في تلك الاحوال وهي
دعوته الى الدين ومقاهرته لاعدائه وهم الكفار على اصنافهم ونصب جهادا على انه مصدر سد مسد الحال او نصب المصادر
عن قوله قاهر من غير لفظه اذ في قاهر معنى جاهد وعن دينه متعلق بجهادا اعمالا للاقرب ويحتمل التعلق بقاهر وقوله لا يثنيه
اي لا يصرفه عن دعوته ومقاهرته لاعدائه اجتماع الخلق على تكذيبه والتماسهم لاطفاء نوره ولفظ النور مستعار لما جاء به
من الكمالات الهادية الى سبيل الله ثم لما نبههم على تلك الاحوال التي مبدؤها تقوى الله تعالى امرهم بالاعتصام بها فاعتصموا بتقوى
الله كما اعتصموا بنبيكم بها في اظهار دينه ومواظبته على ذلك ولا تخافوا من عدو مع كثرتكم كما لم يخف هو مع وحدته فان للتقوى
حبلا وثيقا عروته من تمسك به واعتصم لم يضره عدو ومعقلا منيعا ذروته من لجأ اليه لم يصل اليه سوء ولفظ الحبل والمعقل
مستعاران للتقوى وقد سبق بيان هذه الاستعارات ثم اكد ذلك الامر بالامر بمبادرة الموت وغمراته ومعنى مبادرته سابقته الى
الاستعداد بالاعمال الصالحة كانهم لما يسبقون الموت وغمراته وما يلحقهم من العذاب فيه وفيما بعده الى الاستعداد بالاعمال الصالحة
ليحصلوا بها ملكات صالحة يكون مهادا له قبل حلوله بهم كيلا يفجأهم فجأة ويجعلونها عدة لانفسهم قبل نزوله عليهم بغتة
بها كيلا يؤثر في نفوسهم كثير اثر كانه دنياهم الى انفسهم ليقطعهم عن ذلك الاستعداد فيكون سببا لوقوع العذاب بهم وقوله
فان الغاية القيامة تحذير بذكر الغاية وتذكير بما هو الهام والعود اي فان غايتكم القيامة لا بد لكم منها ولما كانت تلك الغاية هي
لازم الموت كما قال عليه السلام من مات فقد قامت قيامته كان امره بالاستعداد للموت امرا بالاستعداد لها ولذلك اتى بعد الامر بالاستعداد
له بقوله فانها منبها على وجوب ذلك الاستعداد بتذكيرهم صغراه وتقدير الكبرى وكل من كانت غايته القيامة فواجب ان يستعد
لها وقوله وكفى بذلك اي بذكر الموت وغمراته والقيامة واهوالها وخص من عقل لكونه المقصود بالخطاب الشرعي ومعتبرا اي
محلا للاعتبار والعلم وتذكر الموت ونزوله بهذه البنية التامة التي احكم بنيانها ووضعت بالوضع العجيب والترتيب اللطيف و
هدمه لها واعظا بليغا يزجر النفوس عن متابعة هواها ومعتبرا تقف منه على ان وراء هذا الوجود وجودا اعلى واشرف منه لولا
ما عطلت هذه البنية المحكمة المتقنة ولكان ذلك بعد احكامها واتقانها سفها في الحكمة كان الانسان اذا بنى دارا و
احكمها وزينها بزينة الالوان المعجبة فلما تمت وحصلت غايتها عمد اليها فهدمها فانه بعيد في العرف سفيها عابثا اما لو كان غرضه
من ذلك الوصول الى غاية تحصل بوجودها وقتا ما ثم يستغنى عنها جاز هدمها فكذلك هذه البنية لما كانت الغرض منها استكمال
النفوس البشرية بالكمالات التي يستفاد من جهتها وهي العلوم ومكارم الاخلاق ثم الانتقال عنها الى عالمها جاز لذلك خرابها
وافسادها بعد حصول ذلك الغرض منها وقوله وقبل بلوغ الغاية ما تعلمون عطف على قوله قبل نزوله وقوله من ضيق الارماس الى
قوله الصفيح تفصيل لما يعلمونه من احوال الموت واهواله وظاهر ان للقبور ضيقا بالقياس الى مواطن الدنيا مما للنفوس عند
مفارقتها عما شديدا وحزنا قويا على ما فارقته وغما لا فقده من الاهوال التي كانت غافلة عنها وانها لما اشرفت عليه من احوال الاخرة
هولا وفزعا نظير منه الالباب وتحت المرقوع واعوذ بك من هول المطلع واما احسن اضافة روعات الى الفزع وان كان الروع هو
الفزع باعتبار تعددها وهي من حيث هي احاد مجموع افراد مهية الفزع فجاز اضافتها اليها واختلاف الاضلاع كناية عن ضغطة

العبر انه يحصل بسببها انه اخل لا اطلاع واختلافها واشكالها الاسماع دها بها بتذرة الاصوات الهايلة ويحتمل ان يريد دها بها الرعد
واتما قال لخيفة الوعد لان الوعد قد يستعمل في الشر والخير عند ذكرهما قال ولا تعدا في الخير والشر مقبل فاذا اسقطوا ذكرهما
قالوا في الخير العدة والوعد وفي الشر الايعاد والوعيد وهيهنا ولنسقط ذكرهما الان قوله خيفة تدل على وجود الشر فكان
كالقرينة وعم الضرع الغم الحاصل والوحشة المتوهمة ميادكان للنفوس من الميتات المتوهمة كونها مقصورة مضيقا عليها بعلائح
المنازل الدنيوية وساير ما ذكره من الاهوال واتما عددها الاهوال لكون الكلام في معرض الوعظ والتخويف وكون هذه
الامور مخوفة منفورا عنها طبعا ثم اكد ذلك التخويف بالتحذير من الله وعلل ذلك التحذير بكون الدنيا ماضية على سنن اى طريقة
واحدة لا يختلف حكمها فكما كان من شانها ان اهلكت القرون الماضية وفعلت بهم وباثارهم ما فعلت وصيرتهم الى الاحوال
التي عددناها فكذلك فعلها بكم وقوله وانتم والساعة في قرن كناية عن قربها القريب منهم حتى كانهم معها في قرن واحد و
قوله وكانها قد جاءت باشراطها تشبيه لها في سرعة مجيئها بالتي جاءت وحضرت وكذلك التشبيه بقوله كانها تفيد تحقيق المجيء
وعلاماتها كظهور الدجال ودابة الارض وظهور المهدى وعيسى عليهما السلام الى غير ذلك وكذلك قوله وانفت بافراطها ووقفت
بكم على صراطها الى قوله وسميتها غثا اى محقق وقوفها بكم على صراطها وهو الصراط المعهود فيها متوقع منها من هذه الاحوال
في مقتكم حالها في ايقاعها بكم وتخفيفها فيكم واشعار لفظ الكلاكل لاهوالها الثقيلة ووصف الاناخة لحصولها بتلك الاهوال
عليهم ملاحظا في ذلك لتشبيها بالناقة وانما احسن تعديه لكلاكلها باعتبار تعدد اهوالها المثقلة النازلة بهم ولما كانت
الافعال من قوله وانا خت الى قوله وصار سميتها غثا معطوفا بعضها على بعض دخلت في حكم التشبيه اى وكانت الدنيا قد انصرفت
باهلها وكانكم قد اخرجتم منها حضنها الى اخر الافعال والمشبه الاول هو الدنيا باعتبار احوالها الحاضرة والمشبه به انصرافها باهلها وزوالهم
ووجه الشبه سرعة المضى اى كانها من سرعة احوالها الحاضرة كالتي وقع الصرورة انصرافها وكذلك الوجه في باقي التشبيهات واستعار
لفظ الحضن لها ملاحظة لتشبيهها بالام التي تحضن ولدها فينتزع من حضنها والسمين والغث تحتمل ان يريد بهما الحقيقة ويحتمل
ان يكنى به عن ما كثر من لذاتها وخيراتها وتغير ذلك بالموت وزواله وقوله في موقف يتعلق بصادر والموقف هو موقف القيامة
وظاهر ان كل جديد للدنيا يومئذ رث وكل سمين كان بها غث وضيق الموقف اما لكثرة الخلق يومئذ وازدحامهم والصعوبة الوقوف
به وطولهم مع ما يتوقع الظالمون لانفسهم من نزال المكروه بهم والامور المتشابهة العظام اهوال الاخرة واشتباهها كونها ملتبسة تحير
في وجه الخلاص منها والاعتبار يحكم بكونها عظيمة وقوله كون النار شديدة الشر وقد نطق القران الكريم باكثر ما وصفها عليه هيهنا
من علو اصواتها وسطوع لهبها وتغيظ زفيرها كقوله تعالى اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ وقوله سمعوا
لها تغيظا وزفيرا ولفظ التغيظ مستعار للنار باعتبار حركتها لشدة وعنف كالغضبان او باعتبار استلزام حركتها للاذى والشر وقوله
عم قرارها اسند العمى الى قرارها مجازا باعتبار انه لا يهتدي فيه لظلمته او لان عمقها لا يوقف عليه لبعده ولما استعار لفظ العمى رشح بذكر
الفقد ومعظ فظاعة تلك الامور وشدتها وكل تلك الامور عددها في معرض التخويف لكونها مخوفة تنفيرا لما يلزم عنه من ترك
التقوى واتباع الهوى ثم ساق الاية اقتباسا وسوق بعدها احوال المتقين في الاخرة اللازمة عن تقويهم وهي امنهم من العذاب و
انقطاع العقاب عنهم وابعادهم عن النار واطمينان الدار التي هي الجنة بهم ورضاهم بها مثوى وقرارا ترغيبا في التقوى بذكر لوازمها
ثم ارفق ذلك بصفات المتقين اى عما عسى ان لا يعرفها فقال لهم الذين كانت اعمالهم في الدنيا زاكية اى طاهرة من الريا والشرك الخفي واعينهم
باكية اى من خشية الله وخوف عقابه وحرمانه وكان ليلهم في دنياهم نهارا اى كونه محل حركاتهم في عبادة ربهم وتخشعهم له واستغفارهم
اياه فاشبه النهار الذي هو محل حركات الخلق ولهذا الشبه استعار لفظ النهار لليل وكذلك استعار لفظ الليل للنهار ووجه الاستعارة
كون النهار محلا لتوحشهم من الخلق وانقطاعهم عنه واعتزالهم اياهم كالليل الذي هو محل لانقطاع الناس بعضهم عن بعض وافتراقهم في
نسخة الرضي بخطه كان للتشبيه رفع نهارا في القرينة الاولى ورفع ليل في الثانية ووجه التشبيه هو ما ذكرناه وكانه يقول فلما
استعدوا بتلك الصفات للحصول على الفضايل والكمالات واستوجبوا رضى الله تعالى عنهم جعل الله لهم الجنة مرجعا ومآبا وما اعد
فيها من جزاء النعيم ثوابا وكانوا احق بها واهلها وهو اقتباس وقوله في ذلك الى قوله قايم اى مقيم تفسير للجزاء ثم اكد الامر بالتقوى
برعايتها في عباده ثم لحرى بينهم فيها على بعض لوازمها وذلك ان فوز الفائزين انما يكون بالتقوى ولزوم الاعمال الصالحات والمطلق
م الذين لا يعرف معهم منهم الخارجون عن التقوى الحقة وانما يلحقهم الخسران بالخروج عنها وقوله بادروا اجالكم باعمالكم كقوله بادروا
الموت اى سابقوا اجالكم الاعمال الصالحات الى الاستعداد بها قبل ان يسبقكم الى انفسكم فيقطعكم عن الاستعداد وتحصيل الازواد
ليوم المعاد ونبههم بقوله فانكم الى قوله قدمتم على انها ثم بدنوهم لسالف والجزاء عليها في القيمة ليسارعوا الى تداركها بالاعمال
الصالحة والسلامة من الجزاء عليها ولفظ المرهن مستعار للنفوس الاثمة باعتبار تقيدها بالسيئة والاطلاقها بالحسنة كتقييد الرهن

المتعارف

في حمده سبحانه باعتبار ... لا ينبغي الا له

المتعارف بما عليه من المال وامتكاكه باداته واطلاق لفظ الجزاء على العقاب مجاز اطلاقا لاسم احد الضدين على الاخر وقوله وكان قد نزل
هي المخففة من كان للتشبيه واسمها ضمير الشان والمقصود تشبيه حالهم وشانهم الحاضر بحال نزول المخوف وهو الموت به ويحققه
في حقهم الذي يلزمه ويتنبه عليه عدم تيقنهم للرجعة والنهم للعثرة ثم عقب بالدعاء لنفسه ولهم بان استعملهم الله اياهم في طاعته وطاعة
رسوله وذلك لاستعمال بتوفيقهم لاسباب الطاعة واعدادهم لها فاضة صورة الطاعة على قوام العقلية والبدنية وجوارحهم التي
بينها لكون السعادة القصوى ثم بما يلزم ذلك الاستعمال من ذلك من الاعتبارات التي تحتملها عقولنا الضعيفة وتجعلها من صفات
كاله كما سبق بيانه في الخطبة الاولى ثم عقب وعظهم وتحذيرهم والدعا بامرهم ان يلزموا الارض ويصبروا على ما يلحقهم من بلاء اعدائهم
ومخالفيهم في العقيدة كالخوارج والبغاة على الامام بعده من ولده والخطاب خاص بمن يكون بعده بدلالة سياق الكلام ولزوم الارض
كناية عن الصبر في مواطنهم وقعودهم عن النهوض لجهاد الظالمين في زمن عدم قيام الامام الحق بعده ع وقوله ولا تحركوا بايديكم وسيوفكم وهوى
السنتكم نهى عن الجهاد من غير امر احد من الايمة من ولده بعده وذلك عند عدم قيام من يقوم منهم لطلب الامر فانه لا يجوز اجراء هذه الحركات
الا باشارة من امام الوقت وهوى السنتهم ميلها الى السب والشتم موافقة لهوى النفس والباء في بايديكم زايدة ويحتمل ان يكون
مفعول تحركوا محذوفا تقديره شيئا ولا تحركوا الهوى لسنتكم ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم من ذلك الجهاد وقوله فانه من مات منكم الى
قوله بسيفه بيان لحكمهم في زمن عدم قيام الامام الحق بعده لطلب الامر وتنبيه لهم على ثمرة الصبر وهو ان من مات منهم على معرفة حق ربه و
حق رسوله واهل بيته والاعتراف بكونهم ائمة الحق والاقتداء بهم لحق بدرجة الشهداء ووقع اجره على الله بذلك استحق الثواب منه على ما اتى
من الاعمال والصبر على المكاره من الاعداء وقامت نيته انه من انصار الامام لو قام لطلب الامر وانه معينه مقام تجرده بسيفه معه في استحقاق
الاجر وقوله فان لكل شيء مدة واجلا تنبيه على ان لكل من دولة العدل والباطلة ودولة الحق العادلة مدة تنقضي بانقضائها واجل تنتهي
به فاذا حضرت مدة دولة عدل فليس ذلك وقت قيامكم في دفعها فلا تستعجلوا به هذا هو المتبادر الى الفهم من هذا الكلام والخطبة من فصيح
خطبه ع وقد اخذ ابن نباتة الخطيب كثيرا من الفاظها في خطبه كقوله شديد كلبها عال لجبها ساطع لهبها متغيظ زفيرها متاجج سعيرها
الى قوله فظيعة امورها وكقوله هول المطلع وروعات الفزع الى قوله وردم الصفيح فانه اخذ كل هذه الالفاظ وقطع بها كلامه وبالله التوفيق
والعصمة **ومن خطبة له عليه السلم** الحمد لله الفاشي حمده والغالب جنده والمتعالي جده احمده على نعمه التؤام والائه العظام
الذي عظم حلمه فعفا وعدل في كل ما قضى وعلم ما يمضي وما مضى مبتدع الخلائق بعلمه ومنشئهم بحكمه بلا اقتداء ولا تعليم
ولا احتذاء لمثال صانع حكيم ولا اصابة خطاء ولا حضرة ملاء واشهد ان محمدا عبده ورسوله ابتعثه والناس يضربون
في غمرة ويموجون في حيرة قد قادتهم ازمة الحين واستغلقت على افئدتهم اقفال الرين اوصيكم عباد الله بتقوى الله
فانها حق الله عليكم والموجبة على الله حقكم وان تستعينوا عليها بالله وتستعينوا بها على الله فان التقوى في اليوم الحرز
والجنة وفي غد الطريق الى الجنة مسلكها واضح وسالكها رابح ومستودعها حافظ لم تبرح عارضة نفسها على الامم الماضين
والغابرين لحاجتهم اليها غدا اذا اعاد الله ما ابدى واخذ ما اعطى وسال عما اسدى فما اقل من قبلها وحملها حق حملها
اولئك الاقلون عددا وهم اهل صفة الله سبحانه تعالى اذ يقول وقليل من عبادي الشكور فاهطعوا باسماعكم اليها والظوا
بجدكم عليها واعتاضوها من كل سلف خلفا ومن كل مخالف موافقا ايقظوا بها نومكم واقطعوا بها يومكم واشعروها
قلوبكم وارحضوا بها ذنوبكم وداووا بها الاسقام وبادروا بها الحمام واعتبروا بمن اضاعها ولا يعتبرن بكم من اطاعها الا
فصونوها وتصونوا بها وكونوا عن الدنيا نزاها والى الاخرة ولاها ولا تضعوا من رفعته التقوى ولا ترفعوا من رفعته
الدنيا ولا تشيموا بارقها ولا تسمعوا ناطقها ولا تجيبوا ناعقها ولا تستضيئوا باشراقها ولا تفتنوا باعلاقها فان برقها خالب
ونطقها كاذب واموالها محروبة واعلاقها مسلوبة الا وهي المتصدية العنون والجامحة الحرون والمائنة الخؤون والجحود
الكنود والعنود الصدود والحيود الميود حالها انتقال ووطأتها زلزال وعزها ذل وجدها هزل وعلوها سفل دار حرب
وسلب ونهب وعطب اهلها على ساق وسياق ولحاق وفراق قد تحيرت مذاهبها واعجزت مهاربها وخابت مطالبها فاسلمتهم
المعاقل ولفظتهم المنازل واعيتهم المحاول فمن ناج معقور ولحم مجزور وشلو مذبوح ودم مسفوح وعاض على يديه وصافق
لكفيه ومرتفق بخديه وزار على رأيه وراجع عن عزمه وقد ادبرت الحيلة واقبلت الغيلة ولات حين مناص هيهات هيهات
هيهات قد فات ما فات وذهب ما ذهب ومضت الدنيا لحال بالها فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين اقول
الفاشي كالذايع والمنتشر والجد هيهنا العظمة ومنه حديث انس كان احدنا اذا قرا البقرة وال عمران جد فينا اي عظم والتوام جمع توام
وحقيقة الولد يقارنه ولد اخر في بطن واحد قال الخليل اصله وواءم على وزن فوعل فابدلوا من احدى الواوين تاء كما قالوا تولج من
ولج والالاء النعم واحدها الى بالفتح وقد يكسر كحرف الجر والضرب لسير وكثرة ما يغمر العقل من الجهل والغمرة الشدة ايضا والحين بالفتح

الهلاك والرين الطبع وغلبة الذنوب حتى تغطي عن البصيرة والغبار البادي والماجنايه واسكن ارسل معروفه وقطعا سرع ووكظ على كذا
واظب عليه ودام والمواكظة المداومة وروي لظوا اي الزموا ولزوم الشي في معنى المداومة عليه والشعار ما يلي الجسد تحت الدثار وهو العلامة في
والرحض الغسل والنزه جمع نزيه وهو المتباعد عما يوجب الذم والولع جمع واله وهو المتحير من شدة الوجد والشيم النظر الى البرق ان يمطر سحايبه
الناعق الصايح واعلاقها نفايسها جمع علق وهو الشي النفيس وبرق خالب وخلب لا مطر معه ومال الحرب ماخوذ بكليته والمتصدية المتعرضة
والعنوت كثيرة العنى وهو الاعراض والعنون ايضا الدابة المتقدمة في السير والجموح الدابة التي تغلب الفارس فلا يملكها والحرون التي
اذا اشتد به السوق وقف والمباينة الكاذبة والكنود الكفور للنعمة والعنود المايلة عن الطريق وعن المرعى والصلد المعركة والجحود كما
المايلة والميود المتمايلة والحرب بفتح الحا سلب المال والسلب ما يسلب من درع ونحوه في الحرب والعطب الهلاك والشاف الشدة والسياق نزع
الروح والسير الى مصدر سار فسوقا وسياقا والمعاقل الحصون وما يلجأ اليه ولفظتهم القتهم والمحاول جمع محاولة وهي الحيلة ومعفور مجروح
والجزور المقطوع والشلو العضو من اللحم بعد الذبح واشلاء الانسان اعضاؤه المتفرقة في البلاء ومسفوح مسفوك والغيلة الاخذ على غرة
والمناص مصدر قولك ناص ينوص نوصا اي فر وراغ ولات حرف سلب قال الاخفش شبهوها بليس واضمروا فيها اسم الفاعل قال ولا
يكون لات الا مع حين وقد تحذف حين كما حذفت في قول مازن بن مالك حنت ولات هنت حنت وحين وهو يريده وقال فرع بعضهم
ولات حين مناص برفع حين واضمر الخبر وقال ابو عبيدة هي لا والتاء انما زيدت في حين وان كتب مفردة كما قال ابو وجزة العاطفون
تحين ما من عاطف وقال المورج زيدت التاء في لات كما زيدت في ثمت وربت والبال الحال في الشان والامر والبال ايضا القلب ونه
حمده سبحانه باعتبار انه لا ينبغي الا له لحمده القاسي حمده اي في جميع خلقه ومخلوقاته اذ كان شي منها لا يخلو من نعمة له واظهرها
وجوده فلا يخلو من حمده بلسان الحال او المقال وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون الثاني الغالب جنده وجند الله
ملائكته واعوان دينه من اهل الارض كقوله تعم ولله جنود السموات والارض وقوله وايده بجنود لم تروها وكونه غالبا لقوله وان
جندنا لهم الغالبون وقوله فان حزب الله هم الغالبون وفي هذه القرينة جذب للسامعين الى نصرة الله ليكونوا من جنده وتثبيت لهم على
ذلك الثالث المتعالي جده اي علاؤه وعظمته كقوله تعم وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وهذه القرينة تناسب ما قبلها لما في تلك
من ايهام الحاجة الى الجند والنصرة وفي هذه تنزيهه تعالى وعظمته عن كل حال يحكم بها في حقه الرافع لذلك الايهام ثم عقب بذكر سبب الحمد
وهو نعمه التوام والاؤه العظام ومعنى كونها تواما ترادفها على العبد وتواترها فانه ما من وقت يمر عليه الا وعنده انواع من نعم الله
تعالى لا تكاد تحصى الرابع من الاعتبارات الذي عظم حلمه فعفا فالحلم في الانسان فضيلة تحت الشجاعة تعتبر معها انفعال النفس عن
تخيلات المكروه وهذا المراد به واما في حق الله تعم فيعود الى اعتبار عدم انفعاله عن مخالفة عبيده لاوامره ونواهيه وكونه لا يستفزه عند مشاهدة
المنكرات منهم غضب لا يحمله على المسارعة الى الانتقام منهم مع قدرته لتنزهه على كل تقدير عن غيظ ولا طيش والفرق بينه تعم وبين العبد
في هذا الوصف ان سلب الانفعال عنه سلب مطلق وسلبه عن العبد عما من شانه ان يكون له ذلك الشي فكان عدم الانفعال عنه
تعم ابلغ واتم من عدمه عن العبد وبين تلك الاعتبارات اعظم ولما كان الحلم يستلزم العفو عن الجرائم والصفح عنها سمى عدم مؤاخذته للعبد وعدم
مجازاته عفوا فلذلك ردف وصفه لعظمة الحلم بذكر العفو وعطفه بالفاء لاستعقاب الملزوم لازمه بلا مهلة الخامس عدل في كل ما
ولما كان العدل عبارة عن التوسط في الافعال والاقوال بين طرفي التفريط والافراط كان كل ما قضاه تعم وحكم عليه بوقوعه وعدم وقوعه
جاريا على وفق الحكمة والنظام الاكمل لما بين ذلك في مظانه من العلم الالهي لاجرم لم يكن يقع في الوجود شي من افعاله او اقواله المنسوبة الى احد
طرفي التفريط والافراط بل كان على حاق الوسط منهما وهو العدل وقيل قضى بمعنى امر كقوله تعم وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وهو داخل
فيما قلناه فان ما امر بايجاده او نهى عنه داخل فيما حكم عليهم بوقوعه او عدمه ووقوعه السادس وعلم ما يمضي وما قد مضى اشارة الى احاطة علمه
بكل الامور مستقبلها وماضيها وكليها وجزئيها وقد اشرنا الى ذلك فيما قبل السابع مبتدع الخلائق بعلمه ظاهر كلامه ناطق بان العلم هنا
سبب الابداع من خلقه ولا شك ان السبب يتقدم على المسبب من جهة ما هو سبب هذا هو مذهب جمهور الحكماء والخلاف فيه مع المتكلمين انهم
قالوا ان العلم تابع للمعلوم والتابع يمتنع ان يكون سببا فالبناء على رايهم اذن للاستصحاب وعلى الراي الاول للتسبب ونحن اذا دققنا القول
وقلنا انه لا صفة له تعم تزيد على ذاته وعلمه وقدرته وارادته شيا واحدا وانما تختلف بحسب اعتبارات تحدثها عقولنا الضعيفة بالقياس
الى مخلوقاته كما سبق بيانه في الخطبة الاولى لم يبق تفاوت في ان يسند المخلوقات الى ذاته او الى علمه او الى قدرته او غيرهما واما بيان
ان العلم تابع للمعلوم حتى يمتنع ان يكون سببا له ومتبوعا حتى لا يمتنع ذلك فمما حقق في مظانه والمسألة مما كثر الخبط فيها بينهم ويحتمل ان يريد
بالابداع احكام الاشيا واتقانها بحيث يكون محل التعجب يقال هذا فعل بديع ومنظر بديع اي معجب حسن فظاهر ان ذلك منسوب الى
العلم ولذلك يستدل باحكام الفعل واتقانه على علم فاعله الثامن ومنشئهم بحكمه اي بحكمته وهو قريب من الذي قبله ويحتمل
ان يريد بحكمه قدرته على الموجودات بالوجود وهو ظ وقوله بلا اقتداء ولا تعليم اي لم يتبع ابداعه وانشاءه للخلق على وجه اقتدا

بغيره ممن سبقه الى ذلك ولا على وجه التعلم منه والاقتداء اعم من التعلم وقوله ولا اصابة خطأ اي لم يكن انشاؤه للخلق ولا اتفاقا على
سبيل الاصابة والخطا من غير علم منه ثم علمه بعد ذلك فاسند ذلك فعله واحكم فاصاب خير المصلحة فيه والاصابة تعم الاصابة بعد الالهام لما ان
الاصابة من لواحق ذلك الخطا وبمثل هذا اعترض المتكلمون على انفسهم حيث استدلوا على كونه تعم عالما بكل معلوم فقالوا انه تعالى
علم بعض الاشياء لا من طريق اصلا لا من حس ولا نظر واستدلال فوجب ان يعلم سايرها كذلك لانه لا تخصيص ثم سالوا انفسهم فقالوا
لم زعمتم ذلك ولم لا يجوز ان يكون فعل افعاله مضطربة ثم ادركها فعلم كيفية صنعها فطبقها على ذلك الوجه فاحكمها بعد اختلالها
واضطرابها ثم اجابوا عن ذلك بانه لا بد ان يكون قبل ذلك عالما بمفرداتها من غير طريق فوجب ان يعلمها باسرها كذلك لعدم التخصيص
وهذا الجواب فاسد لان مفرداتها ان لم تكن من فعله كالاجزاء التي لا تتجزى على راي المتكلمين لم يكن لازما في علمه بها بل فيما كان من فعله
ولا يلزم من العلم بمفردات الفعل العلم بالفعل وان كانت من فعله فقولكم لا بد ان يكون عالما بمفرداتها قبل فعلها مصادرة على المطلوب
والجواب الحق انه لو علمها بعد ان لم يعلمها لكان علمه بها حادثا في ذاته فكان محلا للحوادث وهو مح لما سبق وقوله ولا حضرة ملأ اي و
لم يكن خلقه لما خلق بحضرة جماعة من العقلاء بحيث يشير كل منهم عليه براي ويعينه بقول في كيفية خلقه حتى يكون اقرب الى الصواب
لان كل جماعة فرضت فهي من خلقه فلا بد ان يتقدم عليهم الامور ولا يحضره احد وكان ذلك يستلزم حاجته الى المعين والظهير والحاجة
تستلزم الامكان المنزه قدسه عنه واليه الاشارة بقوله تعم ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين
عضدا وكل ذلك تنزيه لفعله عن كيفيات افعال عباده ثم اردف ذلك باقتصاص احوال الخلق حال بعثة الله رسوله صم والواو في
قوله والناس للحال اي والناس يضربون عنه مقتحمة في جهالة وهو كناية عن حيرتهم على جهل منهم بما ينبغي لهم من وجوه المصالح و
ويحتمل ان يريد ويضربون في شدة وذلك ان العرب كانت في شدايد من ضيق المعاش والنهب والغارات وسفك الدماء كما قال عم فيما قبل
ان الله بعث محمدا صم نذيرا للعالمين وامينا على التنزيل وانتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار الفصل وكل قوله ويموجون في حيرة كناية
عن ترددهم في حيرة الضلال والجهل او في حيرة من الشدايد المذكورة وقوله قد قادتهم ازمة الحين اي قد تداعوا للموت والفناء من كثرة
الغارات وشدايد سوء المعاش وظلم بعضهم لبعض لان الناس اذا لم يكن بينهم نظام عدلي ولم يجر في امورهم قانون شرعي اسرع فيهم ظلم بعضهم لبعض
واستلزم ذلك فناؤهم ولما استعار لفظ الازمة رشح بذكر القود وقوله واستغلقت على قلوبهم اقفال الرين اي ران الجهل وتغطيته لقلوبهم
عن انوار الله تعم والاستضاءة باضواء الشريعة واستعار لفظ الاقفال للغواشي للجهل والهيئات الرديئة المكتسبة من الاقبال على الدنيا
ووجه المشابهة ان تلك مانعة للقلب حاجبة له عن قبول الحق والاهتدا به كما تمنع الاقفال لما تغلق عليه من التصرف ورشح بذكر
الاستغلاق واتى بلفظ الاستفعال لان ذلك الرين كان اخذا في الزيادة ومتنقلا من حال الى حال فكان فيه معنى الطلب للتمام ثم
عقب بالوصية بتقوى الله على جري عادته لانها راس كل مطلوب ورغب فيها بكونها حق الله عليهم اي الامر المطلوب له المستحق عليهم وبكونها
موجبة على الله حقهم وهو جزاء طاعتهم له الذي اوجبه على نفسه ولزم عن كمال ذاته افاضته ما الخير بحسب استعدادهم له بالتقوى ثم اشار
الى ما ينبغي للمتصدي الى التقوى وهو ان يستعين على قطع عقباتها بالله والانقطاع اليه ان يعينه عليها ويوفقه فيها فان الانقطاع الى معونته
والالتفات اليه مادة كل مطلوب ثم الى فايدة منها وهي الاستعانة بها على الله تعم ولما كان المطلوب منه الوصول الى ساحل عزته والنظر الى
وجهه الكريم والسلامة من غضبه ونقاش حسابه اذ هو تعم الحاكم الاول كانت التقوى اجل ما يستعان به لحصول تلك المطالب وكان المقصد
من استعانة بها على دفع شدايده تعالى الاخرة فانه لا خلاص منها الا بها ثم عقب بذكر فوايد ما يستلزمه من الامور المرغوب فيها منها كونها
في اليوم اي في مدة الحيوة حرزا وجنة اي من المكاره الدنيوية لقوله تعم ومن يتق الله يجعل له من امره مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن
يتوكل على الله فهو حسبه وفي غد اي في يوم القيمة الطريق الى الجنة وهو ظ ومنها كون مسلكها واضحا واستعار نظام لها الشارع صلى الله عليه واله
اوضح طرق التقوى وكشف سبلها حتى لا يجهلها الجاهل ومنها كون سالكها رابحا واستعار لفظ الربح لما يحصل عليه المتقي من ثمرات
التقوى في الدنيا والاخرة ووجه الاستعارة انه تاجر كانه وتقواه التي يشبه راس ماله يستفيد الثواب كما يستفيد التاجر مكاسبه ومنها
كون مستودعها حافظا والمستودع بالفتح بل لو بفتح وبكسرها فاعلها والمراد على الرواية بالفتح كون قابلها حافظا لمقتبسه بها من عذاب الله
او يكون حافظا بمعنى محفوظ وعلى الثانية فالمستودع لها اما الله سبحانه اذ هي الامانة التي عرضها على السموات والارض فابين ان يحملنها
واشفقن منها وحملها الانسان والظ كونه تعم حافظا على العبد المستودع احوالهم فيها من تفريطه وتقصيره او امانته ومحافظته عليها
واما الملائكة الذين هم وسايط بين الله تعم وبين خلقه وظ كونهم حفظة كما قال تعم ويرسل عليكم حفظة وقوله وان عليكم لحافظين
كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقوله لم تبرح عارضة نفسها الى قوله الغابرين كلام لطيف واستعار وصف كونها عارضة نفسها ووجه
الاستعارة كونها مهيئة لان تقبل ويقصد ان ينتفع بها كالمراة الصالحة التي تعرض نفسها للتزويج والانتفاع بها ثم علل كونها لم تبرح كذلك
بحاجة الخلق اليها غدا اي يوم القيمة ترغيبا فيها بكونها محتاجا اليها ويحتمل ان يدخل ذلك في وجه الشبه وقوله اذا اعاد الى قوله اسكن

كالقرينة المخرجة لها عن حقيقته الى مجازه وهو يوم القيمة ويعين له بانه الوقت الذي يعيد الله فيه ما كان ابداه من الخلق ويأخذ فيه
ما كان اعطاهم من الوجود الدنيوي ولواحقه ويقول لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وفي الحديث ان الله تعالى يجمع كل ما كان في الدنيا
من الذهب والفضة فيجعله امثال الجبال ثم يقول هذا فتنة بني آدم ثم يسوقه الى جهنم فيجعله مكاوي لجباه المجرمين ويسألهم وينعا اسكم
اليهم فيه من نعم فيسأل من ادخرها لم ادخرها ولم لم ينفقها في وجوهها المطلوبة لله ويسأل من انفقها في غير وجهها فيقول اذهبتم
طيباتكم في حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها ويجازي الاولين بادخارها كما قال والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في
سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم الاية ويجازي الاخرين بصرفها في غير وجهها كما قال فاليوم تجزون ما كنتم
تعملون وقوله فيها اقل من قبلها تعجب من قلة من قبل التقوى بينهم وحملها حق حملها اي اخذها وحفظها بشرائطها واستعد بها لليوم
امانة لله فيها اذ هي الامانة المعروضة ثم حكم بكون قابلها وحاملها هم اقل الناس عددا وانهم اهل صفة الله اي الذين وصفهم الله
ثم بقوله وقليل من عبادي الشكور ثم امرهم فيها باوامر احدها ان يهطعوا باسماعهم اليها اي يسرعوا الى سماع وصفها وشرحها ليعرفوها
فيعملوا على بصيرة الثاني ان يواكضوا عليها بجدكم اي يداوموا عليها ويلازموها باجتهاد منهم وروي وانقطعوا باسماعكم اليها اي انقطعوا
عن علائق الدنيا واستصحبوا اسماعكم الى سماع وصفها فكان احد الروايتين تصحيف الاخرى لان النون والقاف اذا تقاربتا اشتبها
الهما في الكتابة الثالث ان يعتاضوها خلفا عن كل محبوب في الدنيا سلف منهم ونعم الخلف مما سلف اذ كانت المطالب الحاصلة بها اشرف
المطالب وهي السعادة الابدية وخلفا مصدر سد مسد الحال الرابع ان يعتاضوها من كل مخالف لهم موافقا والمراد ان كل من كان
موافقا لك ثم خالفك في امر من الامور فينبغي ان يكون على طريق الحق والتقوى في ذلك الامر ولا يميل مثل مخالفك فان التقوى
نعم العوض من مخالفك ونحوه ما قال افلاطون الحكيم سقراط حبيبنا والحق حبيبنا واذا اختلفا كان الحق احب الينا الخامس ان
يوقظوا بها نومهم قال بعض الشارحين اراد يوقظوا بها نوامكم فاقام المصدر مقام اسم الفاعل مجازا لما بينهما من التضايف وفيه نظر
قلت ويحتمل ان يريد بقوله ايقظوا اي اطردوا بتقوى الله عباد ربكم نومكم في ليلكم واحيوه بها فاستعمل لفظ الايقاظ لافادة
ذلك المعنى اذ كان الامر بايقاع احد الضدين في محل يستلزم الامر بنفي الضد الاخر عن ذلك المحل مجازا من باب اطلاق اسم
الملزوم على لازمه لما بينهما من التضاد ويحتمل ان يريد بالنوم نوم الغفلة والجهل وبايقاظ النائمين منهم ما ينبههم بها من مراقد
الطبيعة واعدادهم باجزاء العبادة وتوابعها للحصول الكمالات العلمية والعملية على سبيل الاستعارة ووجهها ظ مما سبق السادس
وان يقطعوا بها يومهم اي يقطعوا بالاشتغال بها نهارهم السابع ان تشعروها قلوبهم اي يجعلوها اشعار القلوب و
يلبسوها اياها كما يلبس الشعار ولفظ الشعار مستعار لها ووجه الاستعارة كون التقوى الحقيقية تلازم النفس وتتصل بالقلب
كما يتصل الشعار بالجسد ويحتمل ان يريد ليجعلوها الازمة لقلوبكم لتتميز بها عن قلوب الظالمين ويحتمل ان يريد اشعروها تقوى
اي اعلموها واجعلوها شاعرة بتعاهد اصلها ولوازمها الثامن ان يرحضوا بها ذنوبهم اي يغسلوها بالاشتغال بالتقوى
ولفظ الرحض مستعار باعتبار كون التقوى ماحية لدرن الذنوب والهيئات الرديئة عن الواح النفوس كما يمحو الغسل
درن الثوب ونحوه واوساخه التاسع ان يداووا بها الاسقام اي اسقام الذنوب وامراض القلوب كالجهل والشك والنفاق والرياء
والحسد والكبر والبخل وجميع رذائل الاخلاق التي هي في الحقيقة الاسقام المهلكة ولاشتمال التقوى على جميع الاعمال الجميلة
والملكات الفاضلة كانت دواء لهذه الاسقام وشفاء لا يعقبه داء العاشر ان يبادروا بها الحمام اي يسارعوه ويسابقوه بها
وقد سبق بيانه في الخطبة السابقة الحادي عشر ان يعتبروا بمن اضاعها اي ينظروا الى الكلام السابق فيمن اضاع التقوى و
تفكروا في حاله كيف اضاعها الا لم يبق له وفاته ما طلب ولم يدرك ما فيه رغب ثم حصل بعد الهلاك على سوء المنقلب فيحصل
من ذلك عبرة لانفسهم فيحملوها على التقوى خوفا مما نزل بمن اضاعها من الخيبة والحرمان والرجوع الى دار الهوان الثاني عشر ان
يجعلوا انفسهم عبرة لمن اطاعها اي انقاد للتقوى ودخل فيها او اطاع موجبها فحذف المضاف والمراد نهيهم ان يدخلوا في زمرة
من اضاعها فيكونوا عبرة لمن اطاعها فنهى عن لازم الاضاعة وهو اعتبار غيرهم بهم وصورة ذلك النهي وان كانت متعلقة بغيرهم الا
انه كناية عن نهيهم عما يستلزم عبرة الغير بهم وهو اضاعة التقوى لان النهي عن اللازم يستلزم النهي عن الملزوم وهذا كما تقول
لمن تنصحه لا يضحك الناس منك اي لا تفعل ما يستلزم ذلك ويوجبه منهم الثالث عشر ان يصونوها وصيانتها استدعى التحفظ
فيها من خلطها برياء او سمعة ومزجها بشيء من الرذائل والمعاصي الرابع عشر ان يصونوا بها اي يتحفظوا بها عن الذنوب والرذائل
ويتنزهوا بها ويحرزوا بالاستعداد بها من لحوق العذاب في الاخرة الخامس عشر ان يكونوا عن الدنيا نزاها اي متنزهين عما حرم الله
عليهم وكرهه مما يوجب لهم الذم عاجلا والعقاب اجلا وهو امر بالتقوى ايضا السادس عشر ان يكونوا الى الاخرة ولاها اي متحيرين
من شدة الشوق اليها وذلك مستلزم للامر بالتقوى والانقطاع عن الدنيا الى الاعمال الصالحة لانها هي السبب في محبة الاخرة

والرغبة التامه

والرغبة التامة فيما عند الله السابع عشر ان لا يضعوا من رفعته التقوى ووضعه اما بقول كذمه والاستهزاء به او بفعل كضربه وفعل
ما يستلزم اهانته او ترك قول او ترك فعل يستلزم ذلك ولما كان كل ذلك منافيا للتقوى وداخلا في ابواب الرذائل لا جرم نهى
عن لازمه وهو وضع من رفعته التقوى لاستلزام رفع اللازم رفع الملزوم الثامن عشر ان لا يرفعوا من رفعته الدنيا واراد من كان ذا نباهة
ووجاهة عند الخلق بسبب الدنيا والمناصب منها والتقدير من رفعه اهل الدنيا فحذف المضاف واسند الرفع الى الدنيا
مجازا لان الرافع والمعظم لهم الناس ولما كان من رفعته الدنيا عاريا عن التقوى كان الميل اليه واحترامه ومحبته يستلزم المحبة
للدنيا والميل اليها وكان منهيا عنه وكان الانحراف عنه وعدم توقيره زهدا في الدنيا واهلها وهو من جملة التقوى فكان مأمورا
به التاسع عشر نهى عن شيم بارقها استعار لفظ البارق لما يلوح للناس في الدنيا من مطامعها ومطالبها ووصف الشيم لتوقع
تلك المطالب وانتظارها والتطلع اليها على سبيل الكناية عن كونها كالسحابة التي يلوح بارقها فيتوقع منها المطر العشرون نهى عن سماع
ناطقها وكنى بناطقها عن مادحها وما كشف وصفها وزينتها من قول وفعل او زينة او متاع وبسماعه عن الاصغاء والميل اليه وتصديق
مقاله وتصويب شهادته فانها هي التي ينبغي ان يقتنى ويدخر ويستغنى بها الى غير ذلك فان كل ذلك سبب للعدول عن التقوى في
طريق الاخرة الى طرق الهلاك الحادي والعشرون وعن اجابة ناعقها وكنى بناعقها عن الداعي اليها والجاذب مما ذكرنا وباجابته
عن موافقته ومتابعته الثاني والعشرون والاستضاءة باشراقها واستعار لفظ الاشراق لوجوه المصالح الداعية اليها والاراء
الهادية الى طرق تحصيلها وكيفية السعي فيها ووصف الاستضاءة للاهتداء بتلك الاراء في طلبها ووجه المشابهة ان تلك الاراء يهتدى
بها في تحصيلها كما يهتدى بالاشراق المحسوس وهذه القرينة قريبة المعنى من القرينتين قبلها ويحتمل ان يريد باشراقها ما يبهج من زينتها
ونوارجها بها وبالاستضاءة بذلك الابتهاج والالتذاذ على سبيل الاستعارة ووجهها مشاركة زينتها للضياء في كونه سببا لابتهاج الارواح
باستجلائها الثالث والعشرون ومن الفتنة باعلاقها واعلاقها ما يعد فيها نفيسا من قنيانها ومتاعها وهو مستلزم للنهي عن محبة الدنيا
والاهتمام بها لانها لا تنفع لذاتها لان ذلك هو الفاتن لهم والمضل عن سبيل الله وهو سبب بلائهم ومحنتهم واليه الاشارة بقوله تعالى انما اموالكم واولادكم
فتنة قال المفسرون بلاء ومحنة وتشغل عن الاخرة والانسان بسبب المال والولد يقع في العظائم ويتناول الحرام الا من عصمه الله وعن ابي بريدة قال
كان رسول الله ص يخطبنا يوما فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله ص من المنبر فحملهما ووضعهما
بين يديه ثم قال صدق الله عز وجل انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي
ورفعتهما ثم اردف ذلك بتعداد معايب واوصاف لها منفرة عنها معللا بها ما سبق من نواهيه عنها فقوله فان برقها خالب تعليل لنهيه
عن شيم بارقها واستعار وصف الخلب للبارق من مطامعها ووجه المشابهة كون مطامعها وامالها غير صادقة وان ادرك بعضها
ففي معرض الزوال كان لم يحصل فاشبهت البرق الذي لا ماء فيه وان حصل معه ضعيف غير منتفع به فلذلك لا ينبغي ان يشام بارقها
وقوله ونطقها كاذب تعليل لنهيه عن سماع نطقها اي النطق الحاصل في معناها في مدحها وانها مما ينبغي ان يطلب بعد ذكر وصف
نفسها ولذاتها بلسان حالها الذي تعبر به الاوهام الفاسدة وكونه كذبا كناية عن عدم مطابقة تلك الوصف بحالها في نفس الامر
وقوله واموالها محروبة كالتعليل لنهيه عن الاستضاءة باشراقها اي لا ينبغي ان تستعمل الاراء الحسنة والحيل في تحصيل اموالها ولا
ينبغي ان تحب زينتها واموالها ويبتهج بها فانها ماخوذة وحيل واعلاقها مسلوبة تعليل لنهيه عن الافتتان باعلاقها ويحتمل
ان تكون هذه القرينة مع التي قبلها تعليل للنهي عن الفتنة باعلاقها ثم اردف تلك الاوصاف بالتنبيه على اوصاف اخرى ونقائص
لها مستعارة تنفر بها عنها احدها انها المتصدية العنون قال بعض الشارحين هو استعارة ووصف للمرأة الفاجرة التي من شأنها
التعرض للرجال لتخدعهم عن انفسهم ويحتمل ان يكون استعارة لوصف الفرس والناقة التي تمشي في الطريق معترضة خلاء وقوله العنون
استعارة في وصف الدابة المتقدمة في السير كنى بها عن لحوق الدنيا بالدابة تكون كذلك ووجه المشابهة في الوصف الاول ان الدنيا
في تغيراتها واحوالها غير مضبوطة ولا جارية مع الانسان على حال واحد فاشبهت الناقة التي تعترض في طريقها وتمشي على غير استقامة
ووجه المشابهة في الثاني ان مدة الحيوة الدنيا في غاية الاسراع وشدة السير باهلها الى الاخرة فاشبهت السريعة من الدواب المتقدمة في سيرها
الثاني الجامحة الحرون استعار وصف الجماح لها باعتبار كونها لا تملك لاهلها ولا بانقيادهم كما لا ينقاد الجموح لراكبه وكذلك وصف
الحرون باعتبار عدم انقيادها لاهلها وعدم قدرتهم على تصريفها احوج ما يكونون اليها الثالث المائنة الخؤون فاستعار وصف
الكاذبة لها باعتبار عدم مطابقة اغترارها للناس بزينتها ومتاعها وتوهمهم عن ذلك بقاءها ونفعها لما عليه الامر في نفسه اذ كان
عن قليل ينكشف كذبها فيما غرتهم به وكذب ما مناهم فيها وكذلك وصف الخؤون باعتبار عدم وفائها لمن غرته وخدعه بحسن
زينتها فكانها التزمت له ذلك واعطته عهدا بدوامها له فخانته في عهدها ولم تف بعهده الرابع والجحود الكنود واستعار لها هذين
الوصفين ملاحظة لشبهها بالمراة التي تكفر نعمة زوجها وتكفر صنيعه ويكون من شأنها الغدر وذلك لان الدنيا من شأنها نفي

عمن رغب فيها وسعى لها واجتهد في عمارتها واظهار زينتها ويكون سببا لاكثر ثم تنتقل عنه الى غيره الخامس العنود الصدود
فاستعار وصف العنود لها باعتبار بعدها وعدم استقامتها على الاحوال المطلوبة للناس وانحرافها عن سنن مقصودهم منها
كالناقة التي تخرج عن المرعى المعتاد للابل وترعى جانبا وكذلك الصدود باعتبار كثرة اعراضها عمن طلبها ورغب فيها السادس الحيود
الميود فاستعارة وصف الحيود ظاهرة واما وصف الميود فباعتبار ترددها في ميلها بالنسبة الى بعض اشخاص الناس من حال
الى اخرى تارة لهم وتارة عليهم ويحتمل ان لا يكون قد اعتبر قيد التردد بل اراد مطلق الحركة استعارة لكثرة تغيرها وانتقالاتها
حالة الانتقال اخبار عن حالها بانها انتقال اي من شخص الى اخر ومن حال الى حال وتطاولها كان قال بعض الشارحين يجوز ان
يريد بها نسبتها وصحتها الانتقال والتغير ويحتمل ان يعني بالحال الحاضرة من الزمان وهو الان ويكون مراده ان الذي يحكم
عليه العقلاء بالحضور منها ليس بحاضر بل هو سيال متغير لا ثبوت له في الحقيقة كالاثبوت للماضي والمستقبل الثامن و
طاتها زلزال استعار لفظ الوطأة لاصابتها بعض شدايدها ووجه الاستعارة استلزام اصابتها بذلك هلاك من اصابته
والثقل عليه كاستلزام وطأة الثقيل من الحيوان ذلك واستعار لفظ الزلزال لاضطراب احوال من تصيبه بمكروهها كاضطراب
الارض بالزلزال التاسع وعزها ذل اي العز الحاصل منها لاهلها بسبب كثرة قيناتها وكثرة ملوكها ومنفعتهم ذل في الاخرة واطلق
عليه لفظ الذل اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه او تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه اذ كان العز بالدنيا واحوالها مستلزما للاعراض
عن الدين والتقوى الجهد وذلك مستلزم للذل الاكبر عند لقاء الله ولابد الاشارة بقوله تعالى حكاية عن المنافقين لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ونقل المفسرون ان القائل لذلك
عبد الله بن ابي اراد بالاعز يعني نفسه وبالاذل يعني رسول الله صلى الله عليه وآله فرد الله تعالى عليه بقوله ولله العزة ولرسوله الاية العاشر وجدها هزل
استعار لفظ الجد [illegible] في الامر بعنايته واجتهاده لاشتمالها على بعض اهلها بخيراتها كالعبد في المعنى بجامل اصدقائه ولا يذرها
عن بعضهم [illegible] بتاله بمكروهها كالعدو والقاصد لهلاك عدوه واستعار الجد هاهنا لفظ الهزل الذي هو ضده ووجه الاستعارة
كونها عند [illegible] بما على الانسان كالمعتنية بحالها او عند اعراضها عنه ورميه بالمصائب كالقاصد لذلك ثم سرعة انتقالها
عن [illegible] الى ضدها فهي في ذلك كالهازل اللاعب ويحتمل ان يريد بجد اهلها هزل اي عنايتهم بها واجتهادهم في تحصيلها
يشبه [illegible] هزل واللعب في سرعة تغيره والانتقال عنه بزوالها فاستعار له لفظه الحادي عشر وعلوها سفل اي العلو الحاصل بسببها
او علوا [illegible] اهلها على تقدير حذف المضاف واخبر عنه بانه سفل لاستلزامه السفل والانحطاط المرتبة في الاخرة بين اهلها وهو كسوته
كقوله [illegible] الثاني عشر كونها دار حرب كقوله اموالها محروبة واراد كونها مظنة ان تسلب فيها ثناها عن اهلها بالموت وغيره
واستعار لفظ السلب لما فيها من الخيرات ووجه المشابهة كون ما فيها يسلب عن اهلها في كل زمان ويصير الى من بعدهم كدار الحرب
وكذلك [illegible] الثالث عشر كون اهلها على ساق اي على شدة وهو ظاهر اذ كل ما عدا من اوصافها من الحرب والسلب العطف
والعطب [illegible] مما يعد عليها اهلها وقال قطب الدين الراوندي اراد بكونها على ساق ان بعضهم يتبع اثر بعض الى الاخرة فاشبه ذلك
قولهم قام [illegible] ثلاثة سبق على ساق اي ليس بينهم انثى والكره ابن ابي الحديد وكنى بالساق عن الامر الشديد قال بعض الشارحين
ويحتمل ان يكون مصدر قولك ساقه سياقا اي انهم مساقون الى الاخرة ولحاق بفتح اللام اي يلحق بعضهم بعضا في الموت والعدم
وفراق [illegible] فارق بعضهم بعضا وهو كقولهم الدنيا مولود يولد ومفقود يفقد ويحتمل ان يريد باللحاق لحاق الاحياء للموتى في العدم
الرابع عشر كونها قد تحيرت مذاهبها ولم يرد بمذاهبها طرقها المحسوسة ولا الاعتقادات بل الطرق العقلية في تحصيل خيرها و
دفع شرها واسند الحيرة الى المذاهب مجازا اقامة للعلة القابلة مقام العلة الفاعلة اذ الاصل تحير اهلها في مذاهبها الخامس عشر
واعجزت مهاربها اي واعجزت من طلبها فحذف المفعول لان الغرض ذكر الاعجاز ومهاربها مواضع الهرب من شرورها السادس
عشر وخابت مطالبها استعار وصف الخيانة للمطالب ووجه المشابهة عدم حصولها بعد ظهورها للاوهام وتعلق الامال بها
فاشبهت [illegible] ان وعد بحصول شيء لم يف به ثم عقب بذكر بعض خيانتها بمطالبها وهي اسلام المعاقل لهم واستعار لها لفظ الاسلام
باعتبار كونها لا تحفظهم من الرزايا ولا تحصنهم من سهام المنايا فاشبهت في ذلك من اسلم الملتجي اليه وخلى عنه لعدوه ولكون
ذلك [illegible] وما عطفه بالفاء وكذلك لفظ المنازل لهم مستعار باعتبار خروجهم منها بالموت نهي كالالفاظ الملقية لهم ثم قسمهم باعتبار الحوق
شرها [illegible] الاحياء منهم وامواتهم الى اصناف احدها ناج معقور واراد الباقين فيها وكنى بالمعقور عمن دمته بالمصايب بها المتبهة للعقر
الثاني لحم مجزور واراد منهم من صار لحما مجزورا الثالث وشلو مذبوح واراد ذي شلو مذبوح اي قد صار بعد الذبح اشلاء متفرقة
ويحتمل ان يكون مذبوح صفة للشلو واراد بالذبح مطلق الشق كما هو في اصل اللغة الرابع ودم مسفوح اي وذي دم مسفوح
الخامس وعاض على يديه وهو كناية عن ندم الظالمين بعد الموت على التفريط والتقصير اذ كان من شان النادم ذلك السادس و

في بيان الخطبة القاصعة

اي حامل مرفقيه تحت خديه

وصافق بكفيه اي ضارب احديهما على الاخرى ندما السابع وكف مرتفق اي بجعل النادم الثامن ولذلك وزارعلى رايه اي رايه
الذي انتقض له السعي في جمع الدنيا والالتفات اليها بكليته حتى لزم من ذلك اعراضه عن الاخرة لحاق به سيئ ما كسب فاذا انكشف له بعد
الموت لزوم العقاب وظهرت له سلاسل الهيئات الرديئة واغلالها في عنقه علم ان كل ذلك ثمرة ذلك الراي الفاسد فازدرا
عليه وعابه وما نكره التاسع وراجع عن عزمه اي ما كان عزم من عمارة الدنيا والسعي في تحصيلها وبالموت تنحل تلك العزوم ويرجع عنها
وقوله وقد ادبرت الحيلة الواو للحال من الضمير في راجع اي وراجع عن عزمه حال ما قد ادبرت حيلته وهذه الحال مفسرة لمثلها عن الضمائر
المرفوعة في عاض وصافق ومرتفق وزاد وقوله واقبلت الغيلة اي اخذهم الى جهنم واهلاكهم فيها على غرة منهم بذلك الاخذ وقال بعض
الشارحين يحتمل بالغيلة الشر بمعنى الغائلة وقوله ولات حين مناص في موضع الحال والعامل قبلت واقبل الهلاك والشر حال ما
ليس لهم وقت فرار ولا مناص عنه كقوله تعالى كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص اي فنادوا مستغيثين حال ما ليس الوقت
وقت تخلص ومفر وقوله هيهات هيهات اي بعد الخلاص والفرار والثاني مكرر للتاكيد وهو في مقابلة قول الكفار المنكرين لاحوال
المعاد هيهات هيهات لما توعدون وكالجزاء له بعد الموت وقوله وقد فات ما فات الى قوله ذهب اي فات ما كنتم فيه من احوال الدنيا
التي تتمنون الرجعة اليها فلا رجوع لها ونحوه قوله تعالى قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا الاية وقوله ومضت الدنيا لحال بالها كلمة يخبر
بها عن مضي او يوم بالمعنى اي مضت عنهم الدنيا لحال بالها ونحوه قوله عليه السلام امضى لاول سبيله وقوله امض لشانك اللام للغرض
فكانه استعار لفظ البال بمعنى القلب والخطرة لشبهها بمن يمضي لغرض نفسه وما يهواه قلبه ويحتمل ان يريد بالبال الحال ايضا وجوز
الاضافة لاختلاف اللفظين وقال بعض الشارحين اراد بحال بالها ما كانت عليه من رخائها وسهولتها على اهلها وقوله واقبلت
الاخرة اي بشدتها وصعوبتها ثم ختم بالاية اقتباسا والمعنى انهم لما ركنوا الى الدنيا فعلت بهم ما فعلت وحصلوا على ما حصلوا عليه
من البلاء هذه وولت عنهم لشانها فما بكت عليهم السماء والارض قال بعض المفسرين اراد اهل السماء وهم الملائكة واهل الارض فحذف
المضاف وهو كناية عن كونهم لا يستحقون ان يتاسف عليهم والان تبكون وقيل اراد المبالغة في تحقير شانهم لان العرب كانت تقول في
عظيم القدر يموت بكته السماء والارض فنفى عنهم ذلك واراد ليسوا ممن يقال فيهم مثل هذا القول وعن ابن عباس رضي الله عنه لما قيل
له اتبكي السماء والارض على احد فقال يبكيه مصلاه في الارض ومصعد عمله من السماء فيكون نفيا لبكاء عنهم كناية عن انه لم يكن لهم في
الارض موضع عمل صالح حتى يكون له مصعد الى السماء فلم تبك عليهم ونحوه عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما من مسلم الا وله بابان
باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه الى الارض فاذا مات بكيا عليه فذلك قوله عز وجل فما بكت عليهم السماء والارض واعلم
ان اطلاق لفظ البكاء على السماء والارض مجاز في فقدهما لما ينبغي ان يكون فيهما من مصالح المؤمنين اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه وبالله
التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام ومن الناس من يسمي هذه الخطبة القاصعة وهي تتضمن ذم ابليس على استكباره
وتركه السجود لادم عليه السلام وانه اول من اظهر العصبية وتبع الحمية وتحذير الناس من سلوك طريقته وفيها فصول

الفصل الاول

قوله الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء واختارهما لنفسه دون خلقه وجعلهما حمى وحرما على غيره واصطفاهما لجلاله وجعل
اللعنة على من نازعه فيهما من عباده ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين فقال سبحانه وهو العالم
بمضمرات القلوب ومحجوبات الغيوب اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة
كلهم اجمعون الا ابليس اعترضته الحمية فافتخر على آدم بخلقه وتعصب عليه لاصله فعدو الله امام المتعصبين وسلف المستكبرين
الذي وضع اساس العصبية ونازع الله رداء الجبرية وادرع لباس التعزز وخلع قناع التذلل الا ترون كيف صغره الله
بتكبره ووضعه بترفعه فجعله في الدنيا مدحورا واعد له في الاخرة سعيرا ولو اراد الله سبحانه ان يخلق آدم من نور يخطف
الابصار ضياؤه ويبهر العقول رواؤه وطيب ياخذ الانفاس عرفه لفعل ولو فعل لظلت له الاعناق خاضعة ولخفت البلوى
فيه على الملائكة ولكن الله سبحانه يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون اصله تمييزا بالاختبار لهم ونفيا للاستكبار عنهم وابعادا للخيلاء
منهم اقول نقل في سبب هذه الخطبة ان اهل الكوفة كانوا في اخر خلافته قد فسدوا وكانوا قبائل متعددة فكان الرجل يخرج من
منازل قبيلته فيمر بمنازل قبيلة اخرى فيقع به ادنى مكروه فيعتزي الى قبيلته وينادي باسمها مثلا يا للنخع او يا لكندة نداء عاليا يقصد به
الفتنة واثارة الشر فيتالب عليه فتيان القبيلة التي قد مر بها وينادون يا لتميم يا لربيعة فيضربونه فيمر الى قبيلته ويستصرخ بها و
تسل بينهم السيوف وتثور الفتنة ولا يكون لها اصل في الحقيقة ولا سبب يعرف وكثر ذلك منهم فخرج عليه السلام اليهم على ناقة فخطبهم هذه الخطبة اذا
عرفت ذلك فنقول القصع ابتلاع الماء والجرة وقصعت الرجل قصعا صغرته وحقرته وقصعت هامته اذا ضربتها ببسط كفك وقصع
الله شبابه اذا بقي قميئا فهو مقصوع لا يزداد واصل هذه الكلمة للتصغير والتحقير والجبرية والجبروت الكبر وادرع لبسه كالدرع والدرع
الظاهر وخطف بالكسر يخطف اخذ البصر بسرعة استلابا وبهر العقول اي غلب نوره انوارها ويخفى فيه والرواء المنظر الحسن والعرف

الواجمة الطيبة والخيلاء الكبر والاحباط الابطال والجهد بفتح الجيم الاجتهاد والهوادة الصلح وقد ذكر الشارحون في تسمية هذه الخطبة القاصعة وجوها
وهو ان فيها انه ع كان يخطبها على ناقته وهي تقصع بجرتها اي تخرجها والمجاز ان يقال ان هذه الحال لما نقلت عنه في انشاء هذه الخطبة نسبت
خطبته الى الناقة القاصعة فقيل خطبة القاصعة ثم كثر استعمالها فجعلت من صفات الخطبة نفسها الثاني ان الخطبة عرفت بهذه الصفة
لملازمة قصع الناقة لانشائها والعرب يسمى الشيء باسم ملازمه الثالث انما سميت بذلك لان المواعظ والزواجر فيها متتابعة فاشبهت
جرات الناقة ومتابعتها الرابع سميت بذلك لانها هشمت كاسرة لابليس مصغرة له ومحقرة لكل جبار وهو وجه حسن ايضا الخامس لانها
تسكن نخوة المتكبرين وكبرهم فاشبهت الماء الذي يسكن العطش فيكون من قولهم نقع الماء عطشه اذا سكنه واذهبه واعلم ان مدار هذه
الخطبة على النهي عن الكبر والتوبيخ عليه وعلى ما يلزمه من الحمية والعصبية لغير الله ثم ليكون الناس على ضد ذلك من التواضع و
الرفق وقد علمت في المقدمات ان من شان الخطيب ان يورد في صدر الخطبة ما يدل على المطلوب الذي يورده ليقول كلي لينبه
السامعون لما يريده اجمالا فلذلك صدر عليه السلام الخطبة بنسبة العز والكبرياء والعظمة الى من هو اولى بهم وهو الله تعالى واشار الى
ان ذلك خاصته لا هو حرام على غيره وذكر ابليس وقصته مع ادم ع في معرض الذم بتكبره عليه ليترتب على ذكره وذمه سلوك الرذيلة
النهي والتحذير عن ارتكابها وليحصل التنفير بما له اذ كان بذلك ملعونا مطرودا على السنة الانبياء باسرهم واذ كان مدار الخطبة
ذم الكبر والنهي عنه فلنشير الى حقيقته في الانسان اولا ثم الى ما يلزمه من الافات الى الذام الواردة فنقول فيه اما حقيقته فهي هيئة
نفسانية تنشا عن تصور الانسان نفسه اكمل من غيره واعلى رتبة وذلك التكبر يعود الى ما يحصل للنفس عن ذلك التصور من
النفخ والهزة والتعزز والتعظم والركون الى ما تصورته من كمالاتها وشرفها على الغير ولذلك قال رسول الله ص اعوذ بك من نفخة
الكبر وهي رذيلة تحت الفجور تقابل فضيلة التواضع وما يلزم عن ذلك التصور اعني تصور الانسان فضيلته على الغير ان يقطع النظر فيه عن
مناسبة على متكبر عليه وعن اضافته الى الله تعالى باعتبار انه منه ولم يكن خائفا من فوت تلك الفضيلة بل كان ساكنا اليها مطمئنا
عن فوتها بسبب فذلك هو العجب فان العجب هيئة تلزم عن تصور الكمال في النفس واستعظامه عن المنعم به والركون اليه والفرح به مع الغفلة النفس
الى الغير بكونها افضل منه وبهذا القيد الاخير ينفصل عن الكبر اذ كان لا بد في الكبر من ان يرى الانسان لنفسه مرتبة وللغير مرتبة ثم
يرى مرتبته فوق مرتبة غيره واما افاته وهي ثمراته وما يلزم عنه من الاعمال والتروك فان هذا الخلق يوجب اعمالا اذا ظهرت على
الجوارح فقد يسمى كبرا فمنها باطنة كتحقير الغير وازدرائه واعتقاد انه ليس اهلا للمجالسة والمواكلة والانفة عن ذلك معه واعتقاد انه
يصلح ان يكون ماثلا بين يديه قائما بل قد يعتقد من هو اشد كبرا ان ذلك لا يصلح للمثول بين يديه وكحسده والحقد عليه
وكنظر العالم المتكبر الى الجاهل المتعالي بعين الاستحقار والاستجهال واما الظاهرة فكالتقدم عليه في الطرق والارتفاع عليه في
المجالس وكالتباعد عن مجالسته ومواكلته والعنف به في النصح والغضب عند رد قوله والغلظة على المتعلمين واذلالهم واستخدامهم
والغيبة والتطاول بالقول واما التروك فكترك التواضع والاستنكاف عن مجالسة من دونه ومعاشرته وعدم الرفق بذوي
الحاجات ونحو ذلك مما لا يحصى من الرذائل واما الذام الواردة فيه فهي كثيرة في القران الكريم والسنة النبوية كقوله تعالى كذلك
يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقوله واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقول الرسول ص يقول الله عز وجل الكبرياء ردائي
والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في جهنم وقوله لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا
عن الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق المؤمنين التي هي ابواب الجنة فالكبر والعجب يغلق تلك الابواب كلها لانها لا تقدر على ان
يحب للمؤمن ما يحب لنفسه وفيه شيء من العزة ولا يتمكن من ترك هذه الرذائل وفعل اضدادها من الفضائل كالتواضع وكظم
الغيظ وقبول النصح والرفق في القول وغيرها وفيه شيء من العزة والكبرياء وما من خلق ذميم الا وصاحب العزة والكبر مضطر اليه ليحفظ
به عزه وما من خلق فاضل الا وهو عاجز عنه خوفا ان يفوته عزه فلذلك لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كبر وبعض الاخلاق
الذميمة مستلزم للبعض وشر انواع الكبر ما منع العلم واستعماله وقبول الحق والانقياد له اذا عرفت ذلك فنقول انه ع حمد الله تعالى
باعتبارات احدها لبسه للعز والكبرياء ولما علمت ان الكبرياء لا بد فيه من امرين احدهما العلم بكمال الذات والثاني اعتبار الشرف
والعلو على الغير فكان هذان الاعتباران صادقين عليه تعالى اتم من صدقهما على كل موجود لا جرم كان بالكبرياء والعظمة احق من
كل موجود اما الاول فلانه لما كان كمال الذات عبارة عن الوجود وكماله فكان وجوده تعالى اتم الوجودات بحيث لم يفته من كماله شيء
بل كل ما ينبغي له فهو حاصل بالفعل لا جرم صدق عليه هذا الاعتبار اتم صدق واما الثاني فلان وجوده تعالى هو الوجود الذي
يصدر عنه وجود كل موجود عداه وهو تعالى عالم بجميع المعلومات كليها وجزئيها فهو اذن عالم بكماله وشرفه على عبيده واستعار لفظ
اللبس باعتبار احاطة كماله بكل اعتباراته كما يحيط القميص والرداء بجسد لابسه الثاني كونه تعالى اختارهما لنفسه دون خلقه ومعنى
اختياره هنا تفرده باستحقاقهما لذاته فان المستحق للعز والكبرياء بالذات ليس الا هو ودل على ذلك المنقول والمعقول اما

المنقول فقوله تعالى عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال والالف واللام هنا يفيد حصر الكبرياء والعلو فيه واما المعقول فلانه تعالى لما استحق ذلك
لاعتبار الذات انه لا بامر خارج والا لكان مفتقرا الى الغير ثم ذم المتكبرين وتوعدهم في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه ع حيث قال حكاية عنه
الكبرياء ردائي الخبر علمنا انه قد اختار الاختصاص بهما دون خلقه الثالث وجعلهما حمى وحرما على غيره استعار لفظ الحمى والحرم باعتبار
اختياره لهما ومنعه منهما على غيره من خلقه كما يحمي الملك المرعى والحرم الرابع واصطفاهما لجلاله اي لتقدسه وعلوه عن شبه خلقه وانه
استحق الانفراد بهذين الوصفين فتفرد بهما وهو معنى اصطفائه لهما الخامس جعله اللعنة على من نازعه فيهما من عباده اشارة
الى نحو قوله في الخبر المذكور المنازعة في الكبر المذكور فمن نازعني فيهما القيته في جهنم ولا شك ان الملقى في جهنم مبعد مطرود عن
الخير والرحمة ولفظ المنازعة في الخبر مجاز في مجاذبة المتكبرين ومجاذبتهم له ومخالفتهم لامره في الاتصاف بالكبر فكانهم يجاذبونه
ما اختص به ومن لوازم المجاذبة المنازعة القولية فاطلقت هنا اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه السادس اختباره بذلك ملائكته
المقربين الى قوله ساجدين اي ابتلاهم بالتكبر وعدمه وقد علمت معنى ابتلائه واختباره تعالى لخلقه فيما سبق ونزيده بيانا فنقول
لما كانت حقيقة الاختبار طلب الخبر بالشيء ومعرفته لمن لا يكون عارفا به وكان هو تعالى عالما بمضمرات القلوب وخفيات الغيوب
ليميز المطيعين من عبيده من العصاة لم يكن اطلاق هذا اللفظ في حقه حقيقة بل على وجه الاستعارة باعتبار انه لما كان ثوابه و
عقابه للخلق موقوفين على تكليفهم بما كلفهم به فان اطاعوه فيما امرهم اثابهم وان عصوه عاقبهم اشبه ذلك اختبار الانسان
لعبيده وتمييزه لمن اطاعه منهم ممن عصاه واطلق عليه لفظه وقوله ليميز المتواضعين منهم من المتكبرين ترشيح لاستعارة الاختبار
لان التمييز من لوازمه وعوارضه ويحتمل ان يريد ليميز المطيعين عن العصاة باعطاء الثواب لهم دونهم فلا يكون التمييز بمعنى العلم
بل الانفصال الخارجي لكل من المطيعين والعصاة بما يستحقه من ثواب وعقاب وقوله وهو العالم الى قوله الغيوب قرينة مخرجة
للاختبار عن حقيقته وهي جملة معترضة بين القول والمقول للملائكة وهو قوله تعالى اني خالق الى اخره والخبر هو قوله فقعوا
له ساجدين وقال بعض الشارحين انما اخبرهم مع علمه بعضيانهم لان اختباره تعالى ليس ليعلم بل ليعلم غيره من خلقه طاعة من يطيع وعصيان
من يعصى قال وكقوله لنعلم اي الحزبين وقوله لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه اي ليعلم انت وغيرك كما انت عالم وفيه بعد وقد
شرحنا قصة الملائكة وابليس وادم في الخطبة الاولى بقدر الوسع فلا حاجة الى التطويل بالاعادة غير ان ههنا الفاظا يحتاج الى الايضاح
وافتخار ابليس وتعصبه وتكبره على ادم في قوله خلقتني من نار وخلقته من طين وقوله ااسجد لمن خلقت طينا ولم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال
من حما مسنون فكان تعصبه عليه واستكباره نظرا الى اصلهما وكونه امام المتعصبين باعتبار كونه المنشا لرذيلة العصبية في غير الحق
والمقتدى به فيها واما العصبية في الحق فهي محمودة كما جاء في الخبر العصبية في الله تورث الجنة والعصبية في الشيطان تورث النار وكذلك
كونه سلفا للمتكبرين باعتبار تقدمه للمتكبرين بالاستكبار على ادم والسلف هو المتقدم وقوله ووضع اساس العصبية اذ كانت عصبيته
لاصله كالاساس للخلق يبني عليه الخلق سائر العصبيات ويقتدي به فيها وقوله ونازع الله رداء الجبرية اي بتجبره وتكبره وقد عرفت
وجه الاستعارة في المنازعة والرداء وكذلك قوله وادرع لباس التعزز لما استعار لفظ الادراع لابليس من جهة اشتماله وتلبسه بالتعزز
رشح بذكر اللباس وكذلك قوله وخلع قناع التذلل استعارة للفظ الخلع ورشح بلفظ القناع وقوله الا ترون الى قوله تعالى صغره تنبيه
على كيفية تصغير الله اياه ووضعه له بسبب تكبره وتعظمه وذلك التصغير والوضع هو جعله في الدنيا مدحورا بعد اخراجه من الجنة بقوله
تعالى اخرج منها مذؤوما مدحورا واعداده له في الاخرة سعيرا بقوله تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين ونحوه وقوله ولو
اراد الله الى قوله على الملائكة في صورة قياس شرطي مركب من متصلتين صغراهما قوله ولو شاء الله الى قوله لفعل وكبراهما قوله
ولو فعل الى اخره وتالي الكبرى مركب من جملتين عطفت احديهما على الاخرى ومعنى الصغرى انه تعالى لو اراد قبل خلق ادم ان يخلقه
من نور شفاف لطيف يخطف الابصار ويبهر العقول حسنه وطيب يأخذ الانفاس ريحه ولم يخلقه من طين ظلماني كثيف لفعل
لان ذلك امر ممكن مقدور له ويحتمل ان يريد يخلقه من النور خلقه روحانيا مجردا عن علائق المواد المظلمة ووصف المجردات بالنور
يقال انوار الله وانوار جلاله وانوار حضرته وقد اضنا انه يوصف العالم بنور علمه ويوصف بالاجرام ويقال فلان لم يشم رائحة العلم وبالطعم
يقال فلان لم يذق حلاوة العلم وكل ذلك استعارة لفظ المحسوس للمعقول تقريبا للافهام ومعنى الكبرى انه لو فعل ذلك وخلقه
كذلك لظلت اعناق الملائكة وابليس خاضعة له وذلك لشرف جوهره على الطين وفضل خلقته على ما يخلق منه ولم يكن من يفسد
في الارض ويسفك الدماء حتى تقول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ولا من طين منتن حتى يفخر عليه ابليس باصله ويقول
انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين او ااسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون ولخفت البلوى فيه على الملائكة وبيان الخفة
من وجهين احدهما ان شرف جوهره فانه ليس في خلقه فاما اذا كان اصله مناسبا لاصلهم ومقاربا في الشرف فلا شك ان تكليفهم بعبادته يكون
عليهم اسهل واخف والثاني انهم كانوا عالمين بانه تعالى خلق لادم وهو كونه خليفة الله سبحانه في عمارة الارض واصلاح ابنائه وعدم

للكمالات وغير ذلك مما لا يعلمونه كما قال تعالى في جواب قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها اني اعلم ما لا تعلمون وكما علم الاسماء وامره بعرضها عليهم فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وظاهر ان تكليف النفس بما يطلع على سره وعلم وجه الحكمة فيه اسهل عليها من تكليفها بما يجهله فلو خلقه نعم من نور مناسب لخلقهم لعلموا نوعيته وسر خلقه فلم يبق عليهم التكليف بالسجود له ويؤيد هذا الوجه قوله ولكن الله سبحانه يبتلى خلقه ببعض ما يجهلون اصله وفي هذا الاستثناء تنبيه على عدم ارادة خلق آدم من نور وذلك لانه هو نقيض مقدم نتيجة القياس المذكور اللازم عن استثناء نقيض تاليها وتقدير النتيجة انه لو اراد خلقه من نور لظلت الاعناق له خاضعة وخفت البلوى على الملائكة لكن الامر كذلك فاستلزم انه لم يرد خلقه من نور فكان معنى قوله ولكن الله يبتلي خلقه انه لم يرد خلقه من نور بل اراد ان يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون اصله وهو تكليفهم بالسجود لآدم مع جهلهم باصل ذلك التكليف والغرض منه او جهلهم بآدم وسر خلقته الذي هو اصل لذلك التكليف ونصب قوله تمييزا ونفيا واستبعادا على المفعول له اى ليميز بذلك التكليف وبما يستلزم من التذلل والانقياد والخضوع المطيع من العاصي ولينفي بذلك الكبر والخيلاء عنهم وبالله التوفيق

الفصل الثاني في امر الناس بالاعتبار بحال ابليس وما لزمه من اللعن وبطلان اعماله الصالحة في المدة المتطاولة بسبب التكبر والعصبية الفاسدة والتحذير من سلوك طريقته واقتفاء اثره في الكبر ولوازمه من الرذائل التي عددناها وذلك قوله ع فاعتبروا بما كان من فعل الله بابليس اذ احبط عمله الطويل وجهده الجهيد وكان قد عبد الله ستة الاف سنة لا يدرى امن سني الدنيا ام من سني الآخرة عن كبر ساعة واحدة فمن ذا بعد ابليس يسلم على الله بمثل معصيته كلا ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشرا بامر اخرج به منها ملكا ان حكمه في اهل السماء واهل الارض لواحد وما بين الله وبين احد من خلقه هوادة في اباحة حمى حرمه على العالمين فاحذروا عدو الله ان يعديكم بدائه وان يستفزكم بخيله ورجله فلعمري لقد فوق لكم سهم الوعيد واغرق لكم بالنزع الشديد ورماكم من مكان قريب وقال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين قذفا بغيب بعيد ورجما بظن غير مصيب صدقه به ابناء الحمية واخوان العصبية وفرسان الكبر والجاهلية حتى اذا انقادت له الجامحة منكم واستحكمت الطماعية منه فيكم فنجمت الحال من السر الخفي الى الامر الجلي استفحل سلطانه عليكم ودلف بجنوده نحوكم فاقحموكم ولجات الذل واحلوكم ورطات القتل واوطأوكم اثخان الجراحة طعنا في عيونكم وحزا في حلوقكم ودقا لمناخركم وقصدا لمقاتلكم وسوقا بخزائم القهر الى النار المعدة لكم فاصبح اعظم في دينكم جرحا واورى في دنياكم قدحا من الذين اصبحتم لهم مناصبين وعليهم متألبين فاجعلوا عليه حدكم وله جدكم فلعمر الله لقد فخر على اصلكم ووقع في حسبكم ودفع في نسبكم واجلب بخيله عليكم وقصد برجله سبيلكم يقتنصونكم بكل مكان ويضربون منكم كل بنان لا تمتنعون بحيلة ولا تدفعون بعزيمة في حومة ذل وحلقة ضيق وعرصة موت وجولة بلاء فاطفئوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبية واحقاد الجاهلية فانما تلك الحمية تكون في المسلم من خطرات الشيطان ونخواته ونزغاته ونفثاته واعتمدوا وضع التذلل على رؤوسكم والقاء التعزز تحت اقدامكم وخلع التكبر من اعناقكم واتخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين عدوكم ابليس وجنوده فان له من كل امة جنودا واعوانا ورجلا وفرسانا ولا تكونوا كالمتكبر على ابن امه من غير ما فضل جعله الله فيه سوى ما الحقت العظمة بنفسه من عداوة الحسد وقدحت الحمية في قلبه من نار الغضب ونفخ الشيطان في انفه من ريح الكبر الذي اعقبه الله به الندامة والزمه آثام القاتلين الى يوم القيامة الا وقد امعنتم في البغي وافسدتم في الارض مصارحة لله بالمناصبة ومبارزة للمؤمنين بالمحاربة فالله الله في كبر الحمية وفخر الجاهلية فانه ملاقح الشنآن ومنافخ الشيطان اللاتي خدع بها الامم الماضية والقرون الخالية حتى اعنقوا في حنادس جهالته ومهاوي ضلالته ذللا عن سياقه سلسا في قياده امرا تشابهت القلوب فيه وتتابعت القرون عليه وكبرا تضايقت الصدور به الا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الذين تكبروا عن حسبهم وترفعوا فوق نسبهم والقوا الهجينة على ربهم وجاحدوا الله ما صنع بهم مكابرة لقضائه ومغالبة لآلائه فانهم قواعد اساس العصبية ودعائم اركان الفتنة وسيوف اعتزاء الجاهلية فاتقوا الله ولا تكونوا لنعمه عليكم اضدادا ولا لفضله عندكم حسادا ولا تطيعوا الادعياء الذين شربتم بصفوكم كدرهم وخلطتم بصحتكم مرضهم وادخلتم في حقكم باطلهم وهم اساس الفسوق واحلاس العقوق اتخذهم ابليس مطايا ضلال وجندا بهم يصول على الناس وتراجمة ينطق على السنتهم استراقا لعقولكم ودخولا في عيونكم ونفثا في اسماعكم فجعلكم مرمى نبله وموطئ قدمه ومأخذ يده **اقول** القصع ابتلاع الماء والجرة وقصعا صغره وحقره وقيل في معنى تسميتها بذلك انه ع خطب بها اهل الكوفة وهو على ناقته وهي تقصع بجرتها واعلم ان مدار هذه الخطبة على النهي عن الكبر والفخر ووجه

ج ۲۰۹

المشاهدة كونها مظنة وجود البغضاء بين الناس وسببا لها كما ان الفحول سبب اللقاح واما على تقدير كونه مصدرا فاستعارة لاثارة الفخر للبغضاء المشاهدة المذكورة ثم انه اخبر بذلك المصدر نفسه عن الفخر حيث جعله خبر ان فكانه قال فان الفخر لقح الشنآن ولقح الشنآن نفسه ليس عين الفخر بل من ثماره ولوازمه فكان اطلاق الاسم السبب على المسبب هو في الدرجة الثانية وانما ذكره بلفظ الجمع نظرا الى تكثر معنى الفخر في موارده وهي اذهان المتكبرين ومنافخ الشيطان جمع منفخ مصدر نفخ وظاهر ان افراد مصدر الفخر المنتشرة في الاذهان نفخات ونفثات من ابليس يقال نفخ في انفه العرق للمتكبر والمترفع قدره قد نفخ الشيطان في انفه ووصف تلك المنافخ بانها اللاتي خدع بها الامم الماضية والقرون الخالية وصورة الخداع ههنا كونه اراهم الباطل في صورة الحق كتزيينه الكبر وتحسينه للوازمه وتخييل ان ذلك هو الاصلح والانفع مع انه في نفس الامر ليس بحق حتى كان ذلك سببا لارتكابهم في ظلمات الجهالات ومهاوي الضلالات واستعار وصف الاعناق لما ابتوهم من شدة دخولهم في ظلمات الجهالات وسرعة سيرهم فيها وكذلك لفظ الحنادس مستعار لما يتخيل من ظلمة الجهل ولفظ المهاوي مستعار لما يتخيل من كون الضلالة طرقا يخال للهوي عن افق الكمال ومدارج السعادة واضاف الجهالة والضلالة اليه اضافة المسبب الى السبب سلس جمع سلس وهما سهلا الانقياد وانتصابهما على الحال من الضمير في اعنقوه اي اسرعوا سهلي الانقياد لسوقه وقوله امرا منصوب بفعل مضمر تقديره فاعتمدوا امرا تشابهت قلوبهم فيه و تتابعت القرون الماضية منهم على اعتقاده وهو الفخر ونفخ الشيطان والاعناق في جهالته وضلالته وكبرا عطف عليه وكنى بهما عن نوع بعضه وعبر عن كثرته وعظمته ثم عقب بالتحذير من طاعة ساداتهم وكبرائهم تذكيرا بما نبه عليه القرآن الكريم من ذم المطيعين لساداتهم وكبرائهم على طاعتهم فيما حرم الله عليهم وخروجهم بذلك عن سبيل الله وذلك قوله تعالى حكاية لما يقولونه يوم القيامة ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا والتابعين على ما يعتذر متبوعهم في قوله حكاية عنهم تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وقوله الذين تكبروا عن حسبهم وترفعوا عن نسبهم فحسبهم ونسبهم اشارة الى الطين والصلصال من الحمأ المسنون والماء المهين الذي هو اصلهم ولما كان من شأنه ان لا فخر فيه ولا تكبر لمن هو اصل له ثم تكبروا فقد تكبروا عن ذلك الاصل وترفعوا عليه وتركوا ما ينبغي لهم من النظر اليه والتواضع بحسبه واليه اشار القائل ما بال من اوله نطفة وجيفة آخره يفخر لا يملك تقديم ما يرجو ولا تأخير ما يحذر وقوله والقوا الهجينة على ربهم اي نسبوا ما في الانسان من القبائح بزعمهم الى ربهم كما قال بعض الشارحين كان يقول احدهم في الافتخار على غيره انا عربي وانت اعجمي فان ذلك عيب او ازراء بخلق الله فهو عيب على الله ونسبة للقبح اليه وهم في ذلك مقتفون لآثار ابليس حيث قال ءاسجد لبشر خلقته من صلصال انكار ان ذلك عيبا لخلق الله ونسبة للفعل القبيح وقوله وجاحدوا الله ما صنع بهم ووجه المجاحدة هنا انهم لما غفلوا عن الله نعمه وجحدوا لحقه لم يشكروا على نعمائه وصنيعه بهم ولما كان الشكر يعود الى الاعتراف بالنعمة كان الجحد والانكار منهم عبارة عن عدم ذلك الاعتراف لغفلتهم وايضا فان الشكر كما يكون بالاعتراف بالنعمة كذلك يكون بالاتيان بما يوافق ذلك الاعتراف ويدل عليه من الاقوال والافعال الصالحة المطلوبة للمنعم والموافقة لاوامره ونواهيه وبيان ان شكر اليمن فكان كالاصرار على تركهما وعدم الاتيان بهما جحدا لنعمة الله وذلك هو مجاحدتهم فاما مجاحدة الله لهم فيعود الى ما يتخيل من انكاره عليهم وتقريره عليهم صنعه بهم وتذكيره نعمه فجحدهم وهو امر متردد ويحتمل ان تكون بمعنى الذنب والعايد من الصلة محذوف اي ما صنعه بهم وقوله مكابرة لقضائه اي مقابلة لحكمه عليهم بوجوب شكره ولزوم طاعته بترديد ذلك الحكم وانكاره وعدم الانقياد له وحقيقة المكابرة يعود الى المقابلة بالقول في الامر والمنازعة فيه على وجه المغالبة والتكبر من الطرفين وهي هنا ترشيح لاستعارة المجاحدة وكذلك المغالبة لآلائه والنصب فيهما على المفعول له والمغالبة هنا النسبة الغالبة من المجاحدة وليست غالبة على الحقيقة وبيان ذلك انه لما كان من لوازم المجاحدة وكفران النعمة زوالها وانقطاعها كانوا بفعلهم ذلك المجاحدة وذلك الكفران كالغالبين للنعم والقاصدين لزوالها وعدمها اذ كان زوالها انما لفعلهم وقوله فانهم الى قوله الجاهلية تنبيه على ما يلزم ساداتهم من الرذائل المنفرة واستعار لفظ الاساس للكبر اذ كان مبدأ للعصبية واصلا لها ولفظ القواعد لهم باعتبار قيام الكبر بهم وثباته فيهم كما يقوم الاساس بقواعده وهي الصخور العظيمة ونحوها وكذلك استعار لفظ الاركان لاجزاء الفتنة وابعاضها ولفظ الدعائم لهم باعتبار قيام الفتن بهم واعتمادها عليهم كما يعتمد اركان البيت وجوانبه على دعائمه واستعار لفظ السيوف لهم باعتبار امرهم ونهيهم ومضيهم عند الاعتزاء فيما يعتزى له كمضي السيوف وصرامتها في مضاربها قال بعض الشارحين ويحتمل ان يريد واصحاب سيوف اعتزاء الجاهلية وذلك عند قولهم يا لفلان كما نقل في سبب الخطبة والاعتزاء منهي عنه لكونه مبدأ للفتن وروى ان ابي بن كعب سمع رجلا يقول يا لفلان فقال اعضضت بهن ابيك فقيل له يا ابا المنذر ما كنت فاحشا قال سمعت رسول الله صلعم يقول من تعزى بعزاء الجاهلية فاعضوه بهن ابيه ولا تكنوا والعزاء الاسم من الاعتزاء ثم عاد الى الامر بتقوى الله عنهم ونضادها فلا يجامعها من كفرانها ومقابلتها بما هو المعاصي التي تستلزم

الانقطاع خ ل

بتبديل النعمة نقمة وكذلك قوله ولا لفضله عندكم حسادا استعار لفظ الحساد هاهنا باعتبار كفرهم بنعمة المزيل لحساد النعمة باعتبار المزيل لها وقوله ولا تطيعوا الادعياء قال بعض الشارحين مراده بالادعياء الذين ينتسبون الى الاسلام ظاهرا وهم منافقون قال و يحتمل ان يريد بهم حقيقة الادعياء وهم الذين ينتسبون الى غير آبائهم ممن لا دين له وقد تواسخ فيه منبلته التي انتسب اليها ثم وصفهم فقال الذين شربتم بصفوكم كدرهم فاستعار لفظ الصفو وهو خالص الشراب اما لخالص دينهم وايمانهم او لخالص بيانهم وصفائها لفظ الكدر للنفاق وساير الرذايل النفسانية التي تخالط ايمان المرء كالحسد ونحوه فتكدره بكدر وتشتبك ما صفا من دينه بسبب ثوران الفتنة عنها ورشح بذكر الشرب والمعنى انكم مزجتم بايمانكم نفاقهم فشربتموه بكدره كما يمزج بالماء الشراب فيساغ بروايتها قال شربتم بصفوكم كدرهم ولم يقل بكدرهم صفوكم لان غرضه ان يثرب عليهم شرب الكدر بالقصد الاول ولا يتم ذلك الغرض الا بعبارته والباء هاهنا للمصاحبة وكذلك قوله وخلطتم بصحتكم مرضهم واراد بمرضهم نفاقهم وكبرهم وساير الرذايل النفسانية فيهم وبالصحة سلامة نفوس المؤمنين بايمانهم عن شوب تلك الرذايل ونحوهم يخالطهم ايمانهم بها وكذلك قوله وادخلتم في حقكم باطلهم واراد بالحق الايمان والجد في العمل الصالح لما يستحقونه من الملك والخلافة في الارض وبباطل ولئك الكذب والنفاق واللعب وساير الرذايل وما لا يستحقونه من امر الدنيا وذلك الخلط والادخال بسبب تخاذلهم عن نصرته وعدم اجتماعهم على ما ينبغي لهم من طاعته ثم عاد الى وصفهم ولكثير اوصاف الاول استعار لهم لفظ الاساس باعتبار كونهم اصلا للفسوق يقوم بهم كما يقوم البناء باساسه الثاني لفظ الاحلاس باعتبار ملازمتهم للعقوق وقطع الرحم كما يلازم حلس البعير ظهره وروى اساس بكون السين بوزن احلاس وهو جمع اس كجمل واجمال وهو الاس الثالث كونهم مطايا ضلال فاستعار لهم لفظ المطايا باعتبار كونهم اسبابا موصلة الى الضلال لمن اتبعهم واعتقد اقوالهم بنزع ابليس كما تحمل في ذلك المطايا التي يركبها الناس بقودها في طرق الضلال الرابع كونهم جندا بهم يصول على الناس وذلك باعتبار كونهم جاذبين الخلق الى طريقته داعين لهم الى الهلاك الابد من جهة الخامس كونهم تراجمة ينطق على السنتهم ولفظ التراجمة مستعار لهم باعتبار نطقهم بما يريده ابليس من الوساوس للناس فاشبهوا التراجمة ثم اشار الى كيفية اتخاذهم مطايا وجندا وتراجمة فمنها استراق لعقول الناس بالاقوال الكاذبة والافعال ذات الحلية المضلة جذبا الى محبة الدنيا وباطلها والقائهم اليها ومنها دخول في عيونهم بزينة الحياة الدنيا وساير ما يجذب اليها من جهة حسن البصر ومنها النفث في اسماعهم والقاء الوساوس بالاقوال الواصفة للدنيا وباطلها والمنفرة عن الاخرة وساير ما يجذب عن الافق الاعلى من الجواذب السمعية وانتصب استراقا ودخولا ونفثا على المصدر كل عن فعله اي استرق بعقولكم استراقا وكذلك الآخران وقوله جعلكم مرمى نبله اي غرضا واستعار لفظ النبل لجزئيات وساوسه المردية لكل من اصابت الى مهاوي الهلاك كما يردي النبل من رمى به ولفظ المرمى باعتبار كونهم مقصدا لوساوسه كالهدف وكذلك استعار لهم لفظ الموطئ باعتبار كونهم مظنة لاذلاله واهانته ورشح بذكر القدم اذ الموطئ موطوا به هو القدم وكذلك استعار لفظ الماخذ باعتبار كونهم مقتنصين في حبائل وساوسه ورشح بذكر اليد اذ من شان الماخوذ ان يكون تحته باليد

الفصل الثالث في امرهم بالاعتبار بحال الماضين وما اصاب الامم المستكبرين منهم من باس الله وصولاته ووقعاته ومصارعهم وبحال الانبياء على جلالة قدرهم في التواضع لمن ارسلوا اليه من المتكبرين وحال اختبار الله ثم خلقه بالحجارة ونصبها بيتا لعبادته اختبارا للمتواضعين له وتمييزا لهم من المستكبرين عن عبادته الى غير ذلك وذلك قوله فاعتبروا بما اصاب الامم المستكبرين من قبلكم من باس الله وصولاته ووقائعه ومثلاته واتعظوا بمثاوي خدودهم ومصارع جنوبهم واستعيذوا بالله من لواقح الكبر كما تستعيذونه من طوارق الدهر فلو رخص الله عز وجل في الكبر لاحد من عباده لرخص فيه لخاصة انبيائه واوليائه ولكنه سبحانه كره اليهم التكابر ورضي لهم التواضع فالصقوا بالارض خدودهم وعفروا في التراب وجوههم وخفضوا اجنحتهم للمؤمنين وكانوا قوما مستضعفين قد اختبرهم الله بالمخمصة وابتلاهم بالمجهدة وامتحنهم بالمخاوف ومخضهم بالمكاره فلا تعتبروا الرضا والسخط بالمال والولد جهلا بمواقع الفتنة والاختبار في مواضع الغنى والاقتار فقد قال سبحانه وتعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون فان الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في انفسهم باوليائه المستضعفين في اعينهم ولقد دخل موسى بن عمران ومعه اخوه هرون صلوات الله عليهما على فرعون وعليهما مدارع الصوف وبايديهما العصي فشرطا له ان اسلم بقاء ملكه ودوام عزه فقال الا تعجبون من هذين يشرطان لي دوام العز وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذل فهلا القي عليهما اساورة من ذهب اعظاما للذهب وجمعه واحتقارا للصوف ولبسه ولو اراد الله سبحانه بانبيائه حيث بعثهم ان يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن العقيان ومغارس الجنان وان يحشر معهم طير السماء ووحوش الارضين لفعل ولو فعل لسقط البلاء وبطل الجزاء واضمحل الانباء ولما وجب معاينتها ولكن الله سبحانه جعل رسله اولي قوة في عزائمهم وضعفة فيما ترى الاعين من حالاتهم مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنى وخصاصة تملأ الابصار والاسماع اذى ولو كانت الانبياء عليهم السلام

اهل قوة

اهل قوة لا ترام وعزة لا تضام وملك تمد نحوه اعناق الرجال وتشد اليه عقد الرحال لكان ذلك اهون على الخلق في الاعتبار وابعد لهم من الاستكبار ولآمنوا عن رهبة قاهرة لهم او رغبة مائلة بهم وكانت النيات مشتركة والحسنات مقتسمة ولكن الله سبحانه وتعالى اراد ان يكون الاتباع لرسله والتصديق بكتبه والخشوع لوجهه والاستكانة لامره والاستسلام لطاعته امورا له خاصة لا يشوبها من غيرها شائبة وكلما كانت البلوى والاختبار اعظم كانت المثوبة والجزاء اجزل الا ترون ان الله سبحانه اختبر الاولين من لدن آدم عليه السلام الى الآخرين من هذا العالم باحجار لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس قياما ثم وضعه باوعر بقاع الارض حجرا واقل نتائق الدنيا مدرا واضيق بطون الاودية قطرا بين جبال خشنة ورمال دمثة وعيون وشلة وقرى منقطعة لا يزكو بها خف ولا حافر ولا ظلف ثم امر سبحانه آدم وولده ان يثنوا اعطافهم نحوه فصار مثابة لمنتجع اسفارهم وغاية لملقى رحالهم تهوي اليه ثمار الافئدة من مفاوز قفار سحيقة ومهاوي فجاج عميقة وجزائر بحار منقطعة حتى يهزوا مناكبهم ذللا يهللون لله حوله ويرملون على اقدامهم شعثا غبرا له قد نبذوا السرابيل وراء ظهورهم وشوهوا باعفاء الشعور محاسن خلقهم ابتلاء عظيما وامتحانا شديدا واختبارا مبينا وتمحيصا بليغا جعله الله سببا لرحمته ووصلة الى جنته ولو اراد سبحانه ان يضع بيته الحرام ومشاعره العظام بين جنات وانهار وسهل وقرار جم الاشجار داني الثمار ملتف البنى متصل القرى بين برة سمراء وروضة خضراء وارياف محدقة وعراص مغدقة وزروع ناضرة وطرق عامرة لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء ولو كانت الاساس المحمول عليها والاحجار المرفوع بها بين زمردة خضراء وياقوتة حمراء ونور وضياء لخفف ذلك مصارعة الشك في الصدور ولوضع مجاهدة ابليس عن القلوب ولنفى معتلج الريب من الناس ولكن الله سبحانه يختبر عباده بانواع الشدائد ويتعبدهم بالوان المجاهد ويبتليهم بضروب المكاره اخراجا للتكبر من قلوبهم واسكانا للتذلل في نفوسهم وليجعل ذلك ابوابا فتحا الى فضله واسبابا ذللا لعفوه فالله الله في عاجل البغي وآجل وخامة الظلم وسوء عاقبة الكبر فانها مصيدة ابليس العظمى ومكيدته الكبرى التي تساور قلوب الرجال مساورة السموم القاتلة فما تكدي ابدا ولا تشوي احدا لا عالما لعلمه ولا مقلا في طمره وعن ذلك ما حرس الله عباده المؤمنين بالصلوات والزكوات ومجاهدة الصيام في الايام المفروضات تسكينا لاطرافهم وتخشيعا لابصارهم وتذليلا لنفوسهم وتخفيضا لقلوبهم واذهابا للخيلاء عنهم لما في ذلك من تعفير عتاق الوجوه بالتراب تواضعا والتصاق كرائم الجوارح بالارض تصاغرا ولحوق البطون بالمتون من الصيام تذللا مع ما في الزكوة من صرف ثمرات الارض وغير ذلك الى اهل المسكنة والفقر انظروا الى ما في هذه الافعال من قمع نواجم الفخر وقدع طوالع الكبر **اقول** المثلات العقوبات والمثاوي جمع مثوى وهو المقام والتكابر التعاظم والتعفير الصاق الخد ونحوه بالعفر وهو التراب والمخمصة المجاعة والمجهدة المشقة والاقتار الفقر والاساورة جمع اسورة جمع سوار ويجوز ان يكون جمع اساور وقال ابو عمرو بن العلاء هو جمع اسوار وهو السوار والذهبان جمع ذهب كخرب لذكر الحبارى وخربان والعقيان خالص الذهب واضمحل فني والانباء الاخبار والخصاصة الجوع والفقر والوعر بالتسكين الصعب والنتائق جمع نتيقة فعيلة بمعنى مفعولة وسميت المدن والاماكن المشهورة والمرتفعة نتائق لارتفاع بنائها وشهرتها وعلوها عن غيرها من الارض كانها جذبت ورفعت والقطر الجانب والدمثة اللينة والوشلة قليلة الماء والمثابة المرجع والمنتجع اسم المكان من الانتجاع وهو طلب الكلاء والماء والمفاوز الفلوات الواسعة والقفار جمع قفر وهي المفازة التي لا نبت بها ولا ماء وسحيقة بعيدة والفجاج جمع فج وهي الطريق الواسع بين الجبلين ويهللون يرفعون صوتهم بالتلبية والاهلال رفع الصوت والرمل بالتحريك الهرولة والاشعث المتغير الراس منه في الحال والسرابيل القمصان والتشويه تقبيح الخلقة والتمحيص الابتلاء والاختبار واصله التخليص والتمييز والمشاعر مواضع المناسك والقرار المستقر من الارض والجم الكثير والبنى جمع بنية بالضم والارياف جمع ريف بالكسر وهي الارض ذات الزرع والخصب والمحدقة المحيطة والمغدقة كثيرة الماء والخصب والمعتلج اسم المفعول من الاعتلاج وهو التغالب والاضطراب يقال اعتلجت الامواج اذا تلاطمت واضطربت وفتحا فعل بمعنى مفعول اي مفتوحة موسعة وكذا ذللا مسهلة ووخامة الظلم وباؤه وسوء عاقبته والمصيدة بكسر الميم الشبكة وما يصاد به والمساورة المواثبة واكدى الحافر اذا بلغ في حفره الى موضع صلب لا يمكنه حفره واكدت المطالب اذا صعبت في وجه طالبها فخرجتها واشوت الضربة اذا لم تصب المقتل يقال اشواه يشويه اذا رماه فلم يصب مقتله والطمر الثوب الخلق وعتاق جمع عتيق وهي كرام الوجوه وحسانها والقمع الرد والنواجم الطوالع جمع ناجمة والقدع الكف واعلم انه ع امرهم باوامر احدها الامر بالاعتبار بما اصاب المتكبرين من سابق الامم من عقوبات الله ووجه الاعتبار ان يفكر العاقل في حال اولئك فيرى ما اصابهم انما هو بسبب استعدادهم له بالتكبر عن طاعة الله والترفع على عباده كما اشار اليه بقوله قال الذين استكبروا للذين استضعفوا للذين آمنوا منهم الى قوله فاخذتهم الرجفة

فاصبحوا في ديارهم جاثمين ونحوه في القران كثير فينتقل ذهنه منه الى نفسه وتفيس حال استكباره على استكبارهم فيما يلزمه من امثال العقوبات
بهم الثاني ان يتعظوا بمثاوى خدودهم ومصارع جنوبهم اى يلحظوا مقاماتهم من التراب ومحال انضراعهم في القبور ليحصل لهم بذلك
الانزجار عن الكبر اذ كانت عاقبته وغايته ذلك الهوان والذل في تلك المثاوى والمصارع الثالث ان يستعيذوا بالله من لواقح
الكبر واستعار اللواقح لما يستلزم الكبر من اسباب وارادة استعاذة كثيرة كما استعاذتكم من طوارق الدهر وانذر وقوله
فلو رخص الله الى قوله التواضع استدلال على تحريم الكبر وانه لا رخصة فيه لاحد من خلق الله بقياس شرطي متصل ووجه الملازمة
فيه ان الانبياء خواص الله واحباؤه واهل طاعته فلو كان له فيه رخصة لهم بجعلها الاهم وتقدير الاستثناء لنقيض التالي لكنه
لم يرخص فيهم لهم فينتج انه لم يرخص فيه لاحد من عباده لكنه حذف هنا استثناء النقيض واستثنى نقيض بعض لوازمه وهو تكريهه الكبر اليهم
وذلك بوعيده للمستكبرين على الكبر ثم رضى التواضع لهم وذلك بامرهم فيه كما قال تعم واخفض جناحك للمؤمنين ونحوه وقوله
فالصقوا الى قوله مستضعفين اشارة الى امتثالهم لما امرهم به من التواضع وموافقتهم له فيما رضيه لهم فالصاق خدودهم بالارض
وتعفير وجوههم اشارة الى معاملتهم له في عبادته مع انفسهم وخفض اجنحتهم للمؤمنين وكونهم اقواما مستضعفين اشارة الى معاملتهم
ومعاملتهم له في خلقه ولفظ الاجنحة مستعار من الطاير لبدل الانسان وجانبه باعتبار ما هو محل البطش والقدرة وخفض الجناح
كناية عن لين الجانب وقال ابن عباس في قوله تعم واخفض جناحك للمؤمنين اى ارفق بهم ولا تغلظ عليهم قال والعرب تقول
لمن كان ساكنا ووقورا انه خافض الجناح وقوله قد اختبرهم الى قوله بالمكاره اشارة الى ابتلائهم بانواع الشقاوة الدنيوية
من الجوع والمشاق والمخاوف والمكاره والتنفير بها عن الدنيا للاقبال عليه تعم ومحبتهم لما عنده من الثواب الجزيل وقد علمت معنى
ابتلائه تعم لعباده واختباره لهم غير مرة وقوله فلا تعتبروا الرضا والسخط بالمال والولد الى قوله الا مثارا اى لا تعتبروا رضاه تعم
عن عباده باعطائه لهم المال والولد وسخطه عليهم بمنعه لهم ذلك وكانه جواب اعتراض مقدر كان قايلا قال اذا كانوا هو لا خواصه
واهل طاعته ورضاه فلم امتحنهم بالشدايد وابتلاهم بالمخاوف والمكاره ولم يعطهم الاموال والاولاد كما قال فرعون لموسى ع فلولا القى
عليه اساورة من ذهب كما قالت كفار قريش او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها فاجاب بان ذلك توهم للجهل بمواقع الفتنة
والاختبار في مواضع الغنى والافتقار اى ان الاختبار كما يكون بالفقر والمشاق فيعطى المكاره كذلك يكون بالمال والولد وليس المال و
الولد وليس المال والولد من الخيرات التى تعجل في الدنيا لمن يعطى اياهما كما يزعمون واستشهد على ذلك بقوله تعم ايحسبون
انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون اى يحسبون انا نعجل في تقديم ثواب اعمالهم لرضانا عنهم ببسطنا لهم
الرزق واكثارنا لهم اولادهم بل لا يعلمون ان ذلك استدراج لهم من الله ومحنة وبلاء وجهلا نصب على المفعول له وقوله فان الله
سبحانه يختبر عباده المستكبرين الى قوله في اعينهم كلام منقطع يستدعى ابتداء يكون معللا بما بعده وقد فصل الرضى رحمه بينه وبين
ما قبله بعض بكلمة بيان لنوع اخر من ابتلاء الله تعالى عباده للمستكبرين في انفسهم واختبارهم لاوليائه المستضعفين
هم الانبياء في اعينهم اى في اعين المتكبرين فهو في معنى قوله ما قبله وفيه تنبيه على بعض اسراره تعم في خلقه لساير انبيائه و
اوليائه مستضعفين وهوان مبتلين بهم المستكبرين عن عبادته في الارض كما سيشير اليه ع في الحكمة في خلقهم كذلك ثم ضرب مثل
ذلك الابتلاء في موسى وهرون عليهما السلام حين دخلا على فرعون يدعوانه الى الله تعم وذلك قوله ولقد دخل الى قوله والسه
روى الطبري في تاريخه ان موسى وهرون قدما مصر حين بعثهما الله الى فرعون فمكثا سنتين يغدوان على بابه ويروحان
يلتمسان الاذن عليه فلا يعلم بهما ولا يجترئ احد ان يخبره بشانهما وكانا يقولان في الباب انا رسول رب العالمين الى فرعون حتى
دخل عليه بطال له يلاعبه ويضحكه فقال ايها الملك ان ببابك رجلا يقول قولا عجيبا ويزعم ان له الها غيرك فقال ادخلوه
فدخل وبيده عصاه ومعه اخوه هرون فقال انا رسول رب العالمين وذكر تمام الخبر بصريح قصتهما ومحاورتهما مستوفى في القران
الكريم كسورة الشعراء والقصص وغيرهما والذى ذكره ع منها واضح بين وقال كعب كان موسى ع من رجال شنوءة وكان ادم طوالا
وكان اخوه هرون اطول منه واكثر لحما واشد بياضا واغلظ الواحا واسن من موسى بثلث سنين وكانت في جبهة هرون شامة
وعلى طرف ارنبة موسى شامة وعلى طرف لسانه شامة ولم يعرف احد قبله ولا بعده كذلك قال وهي العقدة التى ذكرها الله تعم
الوليد بن مصعب وانكر غيره ذلك وقالوا هو غيره وقبض هرون قبل موسى وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة وبقي موسى بعده
ثلث سنين ومات موسى ع في ستة يوم مات فاما شرطهما له ببقاء ملكه باسلامه فلما علمت من كون النواميس الشرعية والتمسك بها
والعمل بمقتضياتها ناظما لحال ابناء النوع الانساني وسببا للحافظ لصلاح معاشهم ومعادهم وبانتظام شمل مصلحتهم باستعمال
تلك القوانين تكون بقاؤهم وثبات دولهم وملكهم ودوام عزهم فاما استنكاره لشرطهما له دوام العز والملك باسلامه
تعجبه منهما في ذلك فمستنده اعتقاده الجهل ان مبداء التمكن من ذلك الشرط والقدرة على الوفاء به هو الغنى وجمع المال

الله تم قال وفرعون موسى هو وفرعون يوسف عمر اكثر من اربع مائة سنة

فقد تلك

ح ٢٠٩

فلذلك احتقرهما من حيث كانا بزي الفقر والذل ولبس الصوف ولبس عليهما اثار الغنى والمال وهو التحلي باساورة الذهب فكان اعظام الذهب
ولبسه التحلي هو شعار الغنى واحتقار الصوف ولبسه تماما هو شعار الفقر سببا حاملا له على ذلك الاستكبار والتعجب وقوله ولو اراد
الله سبحانه بانبيائه الى قوله معاينتها قياس شرطي من الشكل الاول من متصلتين احديهما قوله ولو اراد الله الى قوله لفعل والثانية
قوله ولو فعل لسقط البلاء الى اخره والنتيجة انه لو اراد الله بانبيائه ذلك لزم المحالات المذكورة وبيان الملازمة في الصغرى ان
الامور المعدودة وهي فتح كنوز الذهب ومعادنه ومغارس الجنان وحشر الطير والوحش امور ممكنة في انفسها والله سبحانه قادر على
جميع الممكنات وعالم بها فلو حصل مع قدرته عليها ارادته وقوعها عن قدرته كان مجموعها مستلزما لوقوعها منها واما الكبرى فانه
جعل مقدمتها وهو فعله لتلك الامور ملزوما لامور خمسة احدها انه كان يسقط البلاء اى ذلك البلاء المشار اليه وهو بلاء
المتكبرين بالمستضعفين من اولياء الله وهو ظاهر اذ لا مستضعف يبتلون به اذن وذلك ان الانبياء ع كانوا ينقطعون الى الدنيا
ح عن جناب الله فينقطع عنهم الوحي كما سيشير اليه ع ح فينقطع الابتلاء بهم وبما اتوا به من التكليف وكذلك يسقط بلاء الانبياء
بالفقر والصبر على اذى المستكبرين لمكان بينهم بالضرب والقتل الثاني وكان يبطل الجزاء اى جزاء العبادات والطاعات اما
لسقوط البلاء بها ولان الطاعات اذن تكون عن رهبة او رغبة فيسقط الجزاء الاخروي عليها وكذلك يبطل جزاء الانبياء الذي
كانوا يستحقونه بحسب فقرهم وصبرهم عليه الثالث وكان يضمحل الانباء اى الاخبار الواردة من قبل الله تعم على السنة رسله والوحي
اليهم وذلك لما علمت ان الدنيا والاخرة ضرتان بقدر ما يقرب من احديهما يبعد من الاخرى والانبياء ع وان كانوا اكمل الخلق
نفوسا واقواهم استعدادا لقبول الكمالات النفسانية كما اشرنا اليه الا انهم يحتاجون ايضا الى الرياضة التامة بالاعراض عن الدنيا
وطيباتها وهو الزهد الحقيقي والى تطويع نفوسهم الامارة بالسوء لنفوسهم المطمئنة بالعبادة التامة كما هو المشهور من احوالهم
فان رسول الله صلعم كان يربط على بطنه الحجر من الجوع وذلك التسبع لانه كان لا يقدر على شيء يا كله وكان يرقع ثوبه لعدم
قدرته على ثوب يلبسه وكان يركب الحمار العاري ويردف خلفه لا لعجزه عن فرس يركبه وغلام يمشي معه وكيف وقد توفي
وبيده هذه القطعة العظيمة من المعمورة بل ذلك وامثاله تماما يحكيه عنه ع في اخر هذه الخطبة تماما ذه في الدنيا واعراض عن متاعها
في اخر هذه الخطبة وزينتها لانه ع وجد من الكمالات العقلية والموعودة ما هو اشرف واعلى من هذه الكمالات الحسية الفانية وعلم
ان الوصول الى تلك الكمالات لا يتم ولا يتحقق الا بالاعراض عن هذه فرفض ما هو احسن لتحصيل ما هو اشرف ولذلك قام
في العبادة حتى تورمت قدماه فقيل له يا رسول الله اليس قد بشرك الله بالجنة فلم تفعل ذلك قال افلا اكون عبدا شكورا وذلك
لعلمه ان الاستعداد بالشكر يفيد كمالا اعلى وازيد مما اوتي واذا كان حال اشرف الانبياء واكملهم كذلك فما ظنك بساير هم ع فعلم
ان تركهم للدنيا وعدم اشتغالهم بها شرط في بلوغهم درجات الوحي والرسالة وتلقي اخبار السماء وانهم لو خلقوا منغمسين في الدنيا
وفتحت عليهم ابوابها فاشتغلوا بطيباتها لانقطعوا اليها عن حضرة جلال الله واضمحل بسبب ذلك عنهم الانباء وانقطع عنهم الوحي
وانحطوا عن مراتب الرسالة وقال بعض الشارحين اراد باضمحلال الانباء سقوط الوعد والوعيد والاخبار عن احوال الجنة
والنار واحوال القيمة وهو لازم من لوازم سقوط النبوة فيكون راجعا الى ما قلناه الرابع وكان لا يجب للقائلين اجور المبتلين
اى لقابلي كلام الانبياء لانه اذا سقط البلاء عنهم لم يكن لهم اجر المبتلين وكذلك لا يجب لقابلي النبوة منهم اجور المبتلين بالنكبات
والاذى الخامس وكان لا يستحق المؤمنون ثواب المحسنين بمجاهدة الشيطان عنها لتطهيرها عن الرذائل وتحليتها بالفضائل
وذلك لان ايمانهم بهم يكون عن رغبة او رهبة كما علمته لا عن حقيقة واخلاص فيها السادس ولا لزمت الاسماء معانيها اى روى بنصب
الاسماء على ان تكون هي المفعول ومعانيها الفاعل والمعنى انه لم تكن المعاني لازمة للاسماء فمن سمى بها مثلا من سمى مؤمنا لا يكون
معنى الايمان الحق لازما لاسمه اذ كان ايمانه بلسانه فقط عن رغبة او رهبة وكذلك من سمى مسلما او زاهدا بل من سمى نبيا
او رسولا لا يكون في الحقيقة كذلك لانقطاع النبوة والرسالة عنه وفي نسخة الرضى رحمه برفع الاسماء والمراد انها كانت تنفك
عنها فتصدق الاسماء بدون مسمياتها وهو كالاول وبيان هذه اللوازم ظهور كبرى القياس والنتيجة انه متصلة مقدمتها
قوله لو اراد الله الى قوله الارضين وتاليها قوله لسقط البلاء الى قوله معانيها وحاصل النتيجة انه كان يلزم من ارادته تعم بانبيائه
تلك الامور وقوع جميع هذه المفاسد ثم يرجع البيان الى استثناء نقيض تالي هذه النتيجة لاستثناء نقيض مقدمتها بقوله
هذه المفاسد لم توجد وليست مما ينبغي ان توجد فلذلك لم يرد بهم تلك الامور وقوله لكن الله سبحانه جعل رسله الى قوله
اذى كاللازم لنقيض مقدم النتيجة المذكورة ذكره بعد بيانه اذ كان الله تعم لما لم يرد بعث انبيائه على تلك الوجوه اراد بعثهم على
هذا الوجه وهو ان جعلهم اصحاب قوة في عزائمهم واجماع على انفاذ اوامره وتبليغ رسالات ربهم ولذلك سموا اولوا
العزم لمضاء عزائمهم وقوتهم في دين الله بالقتال والمجاهدة والصبر على الاذى وجعلهم مع ذلك ضعفة فيما ترى الاعين من حالاتهم

من المسكنة والذل والفقر والقناعة والصبر على العري والجوع واستعار وصف الملاء للقناعة باعتبار استلزامها القوة عنائهم وقلة
حاجتهم الى شيء من متاع الدنيا بحيث لا تميل نفوسهم ولا عيونهم الى شيء من زينتها وقيناتها فكانها قد امتلأت فلا تتسع لشيء
من ذلك ثم طلبه وكنى بالخصاصة باعتبار استلزامها لقوة الاذى في اسماعهم وابصارهم اذ الجوع المفرط مستلزم لاذى هاتين
القوتين لتحلل الارواح الحاملة لها وضعفها فكان الاذى حشو ابصارهم واسماعهم بحيث لا يتسع لغيره كل ذلك طلب لكمال الاستعداد
لما علمت ان البطنة تذهب الفطنة وتورث القسوة وتزيل الرقة وتستلزم رذائل كثيرة لا يزيلها الا بالخصاصة والقناعة وفضيلة
بين العفة وقوله ولو كانت الانبياء مقسمة متصلة اخرى هي كبرى قياس من الشكل الاول ايضا متصلتين مقدم الصغرى منهما هو
مقدم كبرى القياس الاول وهو قوله ولو فعل وتنبه على تاليها بمقدم هذه الكبرى وتقدير الكلام ولا تزعم لو فعل بانبيائه ما
ذكرناه لكانوا اهل قوة لا ترام وعزة لا تضام وملك تمتد نحوه الاعناق واو كانوا كذلك لكان في كونهم كذلك مفاسد اخرى مما حصل
عليه من العز والملك اهون على الخلق واسهل من حيث ان اعتبارهم لما يدعونهم اليه اسهل ولجاتهم الى دعوتهم اسرع فكانت المواد
في اختبار الخلق اهلا لان يطاعوا فلا تصعب عليهم اجابتهم كما تصعب اجابة الفقر على من يدعونه من المتكبرين الثاني وابعد لهم عن
الاستكبار وهو ظ لان الملوك ابعد من ان يتكبر عليهم الناس وبادر من طاعتهم وح لم يكن للخلق ثواب من ترك رذيلة الكبر عن
مجاهدة نفسه في ترك الرذيلة الثالث ولامنوا عن رهبة قاهرة لهم اي على الايمان او رغبة مائلة بهم اليه فلم يكن نياتهم ولا حسناتهم
خالصة لله بل هي مشتركة ومقسمة بعضها له وبعضها للرغبة وبعضها للرهبة وح لا يكون لهم ثواب من جاهد ابليس فقهره ودفع نوازع
وسوسته المجاذبة عن سبيل الله واستعد بذلك للخيرات الباقية وقوله وملك تمد نحوه اعناق الرجال وتشد اليه عقد الرحال كناية
عن قوته وعظمته لان الملك اذا كان عظيما قويا لامال فيه وتوجهت نحوه وامتدت اعناق الرجال اليه بالرجاء وشدت عقد الرحال اليه وقوله ولكن
الله سبحانه الى قوله شاينة كالمقدمة الصغرى في بيان ان القسم الاخير منها لتاليه اي مما ينبغي ان يكون ويريد الله تعالى كانه قال لو جعل الله
تعالى الانبياء اهل الملك والعز لكان ايمان الخلق بهم اما لرغبة او رهبة فكانت النيات والايمان والعبادة منهم مشتركة غير خالصة لله
وذلك مفسدة ليس مما ينبغي ان يكون ولا ان يريده الله تعالى لانه تعالى انما اراد ان يكون ايمانهم بالرسل واتباعهم وتصديقهم لما جاء به
من كتبه وامره ونهيه من الخشوع لوجهه والاستكانة لامره والاستسلام للطاعة امورا له خاصة لا يشوبها من غيرها شائبة رغبة ورهبة
وتقدير الكبرى فكلما اراد الله اخلاصه له فليس مما ينبغي ان يكون مشتركا بينه وبين غيره ولا مشوبا بشائبة رغبة او رهبة وقوله وكلما
كانت البلوى الى قوله اجزل يحتمل ان يكون كبرى قياس بين به ان الاجزاء الثلاثة للتالي وهو قوله لكان ذلك اهون على الخلق ليس
مما ينبغي ان يكون وتقدير البيان ان ذلك مستلزم كون الاعتبار معه اهون على الخلق وان يكونوا معه ابعد عن الاستكبار وان يؤمنوا
عن رغبة او رهبة وهذه الامور ليس مما ينبغي ان تكون وانما قلنا ذلك لان نقايضها وهي مشقة الاعتبار على الخلق وقربهم من
الاستكبار وخلوص ايمانهم لله مما ينبغي ان يكون وذلك انه مع هذه الامور يكون البلوى والاختبار عليهم اعظم وذلك هو صغرى
القياس ثم نقول وكلما كانت البلوى والاختبار لهم اعظم كانت المثوبة والجزاء على الايمان والطاعة موافقة لتلك البلوى اجزل
فينتج انه مع مشقة الاعتبار والقرب من الاستكبار واخلاص الايمان تكون المثوبة لهم والجزاء على الايمان والطاعة اجزل ويحتمل ان يكون
من تمام الايمان البيان الاول كانه قال ويكره تعالى ان تكون هذه الامور خالصة له لا يشوبها شائبة وذلك الاخلاص وان كانت
فيه مشقة وكانت البلوى فيه عظيمة الا انه كلما كانت البلوى اعظم كان الثواب فيها اجزل ثم ردف ذلك بالتنبيه على صدق هذه
المقدمة بالمثال وذلك قوله الا ترون انه الى قوله ووصلة الى جنته واراد بالاحجار التي بني بها البيت الحرام وقوله جعله للناس قياما اي يقيمها
لامر الهم في الاخرة يقال فلان قيام اهله وقوام بيته اذا كانت به استقامة احوالهم وكون مكة اقل بقاع الارض مدرا لان الحجرية تغلب عليها
وانما اتى بافعل التفضيل في معرض الذم لانها ايضا مما لا يزكو بها المدر ولان دواب الحافر يرسخ فيها وتتعب في المشي بها قال الشارح
واراد بالخف والحافر والظلف دوابها وهي الجمال والخيل والغنم والبقر مجازا اطلاقا لاسم الجزء على الكل او على تقدير ارادة المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه واراد بكونها لا تزكو اي لا تسمن ولا تزيد للجدب وخشونة الارض والضمير في به راجع الى ما دل عليه او عرى من
الموصوف فانه اراد بوادا وعر بقاع الارض حجرا كما قال اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم وقوله ثم امر آدم وولده
ان يثنوا اعطافهم نحوه فقد دل كلامه ع على ان البيت الحرام كان منذ آدم ع والتواريخ شاهدة بذلك وقال الطبري روي عن ابن عباس
ان الله تعالى اوحى الى آدم لما اهبط الى الارض ان لي حرما حيال عرشي فانطلق فابن لي بيتا فيه ثم طف به كما رايت ملائكتي تحف بعرشي فهنالك
استجيب دعاءك ودعاء من يحف به من ذريتك فقال آدم اني لست اقوى على بنائه ولا اهتدي اليه فبعث الله تعالى ملكا فانطلق به نحو مكة فكان
آدم كلما راى روضة او مكانا يعجبه سال الملك ان ينزل به هنالك ليبني فيه فيقول له الملك ليس ههنا حتى اقدمه مكة فبنى البيت
من خمسة جبال طور سيناء وطور زيتون ولبنان والجودي وبنى قواعده من حراء فلما فرغ من بنيانه خرج به الملك الى عرفات واراه

او مشوبا به

من

فينبغي انه لو فعل بانبيائه ما ذكرناه للزمت مفاسد احدها ذلك

غيره فينبغي ان يلهمهم باقسام بين ما ينبغي ان يكون مشتركا

٢٠ ح

المناسك كلها التي يفعلها الناس اليوم ثم قدم به مكة وطاف بالبيت اسبوعا ثم رجع الى ارض الهند وقيل انه حج على رجليه الى الكعبة
اربعين حجة وروى عن وهب بن منبه ان آدم دعا ربه فقال يا رب اما لارضك هذه عامر يسبحك فيها ويقدسك غيري فقال الله
اني ساجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدي ويقدسني وساجعل فيها بيوتا ترفع لذكري يسبحني فيها خلقي ويذكر فيها اسمي وساجعل
من تلك البيوت بيتا اخصه بكرامتي واوثره باسمي فاسميه بيتي وعليه وضعت جلالتي وخصصته بعظمتي وانا مع ذلك في كل شيء ومع كل
شيء اجعل ذلك البيت حرما امنا يحرم بحرمته من حوله ومن تحته ومن فوقه فمن حرمه بحرمتي استوجب كرامتي ومن اخاف
اهله فقد اباح حرمتي واستحق سخطي واجعله بيتا مباركا يأتيه بنوك شعثا غبرا على كل ضامر من كل فج عميق يرجون بالتلبية رجيجا
ويعجون بالتكبير عجيجا من اعتمده لا يريد غيره ووفد الي وزارني واستضاف بي اسعفته بحاجته وحق على الكريم ان يكرم وفده
واضيافه تعمره يا آدم ما دمت حيا ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك امة بعد امة وقرنا بعد قرن ثم امر آدم ان ياتي البيت الحرام فيطوف
به كما كان يرى الملائكة تطوف حول العرش وبقي اساسه بعد طوفان نوح فبوأه الله لابراهيم فبناه ولنرجع الى المتن فنقول انه كنى بثني اعطافهم
نحوه عن التفاتهم اليه وقصدهم له وقوله فصار مثابة لمنتجع اسفارهم اي مرجعا لانتجاع من اسفارهم اي لطلب المنفعة والخصب كما
قال تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وكقوله تعالى ليشهدوا منافع لهم ويذكروا وذلك انه مجمع الخلق وبه يقام الموسم ايام الحج
فيكون فيه التجارات والارباح كما اشرنا اليه في الخطبة الاولى وكذلك كونه غاية لملقى رحالهم اي مقصدا لقصدهم وقوله تهوي اليه
ثمار الافئدة اي تميل وتنقطع وتهوي الافئدة صوبها ومحبتها الا انه لما كان الذي يميل الى الشيء ويحبه كانه يسقط اليه ولا يملك
نفسه استعير لفظ الهوي للحركة الى المحبوب والسعي اليه واما ثمار الافئدة فقال بعض الشارحين ثمرة الفؤاد سويداء القلب ولذلك
يقال للولد ثمرة الفؤاد واقول يحتمل ان يكون لفظ الثمار مستعارا للخلق باعتبار ان كلا منهم محبوب لاهله وابائه فهو كالثمرة الحاصلة
لافئدتهم من حيث هو محبوب لهم كان فيه لهم ومحبتهم له فهو ثمرة من حيث انها افادت تربيته والعناية به حتى استوى انسانا
كاملا ويحتمل ان يريد ثمار الافئدة الاشياء المحبوبة المجتباة من كل شيء كما قال تعالى يجبى اليه ثمرات كل شيء ووجه اضافتها الى الافئدة
انها لما كانت محبوبة مطلوبة للافئدة التي عن محبتها كما تحصل الثمرة عن اصلها اضيفت اليها والاضافة يكفي فيها ادنى سبب
ونحوه قوله تعالى واجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات ولما استعار لفظ الهوي رشح بذكر المهاوي اذ من شان
الهوي ان يكون له موضع وعمق وصفه بالفجاج كما قال تعالى ياتين من كل فج عميق ووصف العمق له باعتبار طوله والانحدار فيه من عالي البلاد
الى مكة ووصف الجزائر بالانقطاع لان البحر يقطعها عن سائر الارض والبحار يحيط بها وتحتي تاثير من قوله تهوي بمعنى اللام و
كنى بهز مناكبهم عن حركاتهم في الطواف بالبيت اذ كان ذلك من شان المتحرك بسرعة وذللا جمع ذلول والنصب على الحال من الضمير في تهز
وقال بعضهم يحتمل ان يكون من مناكبهم وكذلك موضع يهللون النصب على الحال وكذلك شعثا وغبرا من الضمير في يرملون وكنى بنبذهم السرابيل
وراء ظهورهم عن طرحها وعدم لبسها وتشويههم باعفاء الشعور محاسن خلقهم لان حلق شعر المحرم او نظفه والتنظيف منه حرام يجب فيه
الفدية وظاهر ان اعفاء الشعور يستلزم تقبيح الخلقة وتشويهها وتغييرها عما هو معتاد من تحسينها بحلقه وازالته وقوله ابتلاء وامتحانا
واختبارا وتمحيصا منصوبات على المفعول له والعامل فيه قوله امر الله آدم ويحتمل ان يكون على المصدر كل من فعله وعدد هذه الالفاظ
وان كانت مترادفة على معنى واحد تاكيدا وتقريرا لكون الله تعالى شدد عليهم في البلوى بذلك ليكون استعدادهم بتلك التقوى العظيمة للثواب
اتم واشد فيكون الجزاء لهم افضل واجزل فلذلك قال جعله سببا لرحمته ووصلة الى جنته اي سببا معدا لافاضة رحمته المستلزم للوصول
الى جنته وقد تاكد بهذا المثال صدق قوله وكلما كانت البلوى والاختبار اعظم كان الثواب اجزل لان الله سبحانه لما اختبر عباده بامر
الحج ومناسكه التي يستلزم شقاء الابدان واحتمال المشاق الكثيرة المتعبة في الاسفار من المسافات البعيدة وترك مفاخر الدنيا
عنده ونزع التكبر حتى كانه لم يوضع الاخلاق التكبر من الاعناق مع ما في جزئيات مناسكه ومباشرته من المشاق المتكلفة مع كونه كما ذكر احجارا
لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر لا جرم كان الاستعداد به لقبول اثار الله وافاضة رحمته اتم من اكثر وجوه الاستعدادات لسائر العبادات
فكان الثواب عليه والرحمة النازلة بسببه اتم واجزل وقوله ولو اراد الله الى قوله ضعف البلاء صغرى قياس ضمير استثنائي حذف
استثنائية وهي نتيجة قياس اخر من متصلتين تقدير صغراهما انه لو اراد ان يضع بيته الحرام بين هذه المواضع الحسنة الطيبة لفعل وتقدير
الكبرى ولو فعل لكان يجب منه تصغير قدر الجزاء على قدر ضعف البلاء وتقدير استثناء هذه المتصلة لكنه لا يجب منه ذلك ولا يجوز
لان مراد العناية الالهية مضاعفة الثواب وبلوغ كل نفس غاية كمالها وذلك لا يتم الا بكمال الاستعداد بالشدائد والمشاق فلذلك
لم يرد ان يجعل بيته الحرام في تلك المواضع لاستلزامها ضعف البلاء وكنى بدنو الثمار عن سهولة تناولها وحضورها بالتفاف البنى
عن تقارب بعضه من بعض والبرة واحدة البر وقد يقام مقام اسم الجنس فيقال هذه برة حسنة ولا يراد بها الحبة الواحدة واعتبار
الثمرة لها لان وصفها بعد الخضرة بالثمرة وقوله ولو كانت الاساس الى قوله من الناس في تقدير قياس ضمير استثنائي كالذي قبله

وتلخيصه انه تعالى لو جعل الاساس المحمول عليها بيته الحرام من هذه الاحجار المنيرة المضيئة تخفف ذلك مضارعة الشك في الصدور وابرام
شك الخلق في صدق الانبياء وعدم صدقهم وشكهم في ان البيت بيت الله او ليس فانه لا يبعد كون الانبياء بالحال المشهورة من الفقر
والذل وكون البيت الحرام من هذه الاحجار المعتادة يقوي الشك في كونهم رسلا من عند الله وفي كون البيت بيتا له وعلى تقدير
كونهم في الملك والعز وكون البيت من الاحجار النفيسة المذكورة يبعد ذلك الشك اذ يكون ما كانهم ونفاسة تلك الاحجار من
الامور الجاذبة لهم والداعية الى محبتهم والمسارعة الى تصديقهم والحكم بكون البيت بيت الله لمناسبته في كماله ما ينسبه الانبياء الى
الله سبحانه من الوصف باكمل طرفي النقيض ولكون الخلق اميل الى المحسوس واستعار لفظ المضارعة هنا للغالبية بين الشك وتصديق الانبيا
والشك في كذبهم فان كلا منهما يترجح على الآخر وكذلك كان وضع مجاهدة ابليس عن القلوب بلا ان الايمان بكونه بيت الله ينبغي تحقيقه وقصد
اليه لا يكون عن مجاهدة ابليس في تصديق الانبياء في ذلك وفي وجوب عبادة الله بل لعزة البيت وحسن بنائه وميل النفوس الى
شريف جواهره لكن هذه الامور وهي مضارعة الشك ومجاهدة ابليس معتلج الريب لا تخف ولا تنتفي لكونها مرادة من الحكمة الالهية
لاعداد النفوس بها لتدرك الكمالات الباقية واستعدادات الذاتية فلذلك لم يجعل نعم بنيان بيته من تلك الاحجار النفيسة وقوله
ولكن الله يختبر عباده الى قوله المكاره استثناء لعلة النقائض المذكورة فيقوم مقام استثناء نقيض مضارعة الشك ومجاهدة ابليس من جملة انواع
الشدائد والوان المجاهد والمشاق واختباره لعباده بها علة لوجودها وقوله اخراجا للتكبر الى قوله لعفوه اشارة الى كونها اسبابا غائية
من العناية الالهية لاعداد النفوس لاخراج الكبر منها واسكان التذلل والتواضع عليها والى كونها اسبابا معدة لفضله و
عفوه واستعار لفظ الابواب لها باعتبار الدخول منها الى رضوان الله وثوابه ولفظ الذلل لكون الدخول منها الى ذلك سهلا للمستعد
لها ثم عاد الى التحذير من الله نعم في البغي والظلم وعاقبته وحاصل الكلام انه عاجل البغي واجل الهلاك عند سوء عاقبة الكبر محال التحذير
من الله نعم وذلك باعتبار وعيده نعم عند التلبس بالبغي والنظر في تلك الحال الى ما يستلزمه من الهلاك في الآخرة وما يستلزمه التكبر من
سوء العاقبة والضمير في قوله فانها قال السيد فضل الله او نحو ذلك يعود الى الجملة من البغي والظلم والكبر وان لم يجر لها ذكر وقال
غيره الضمير للكبر وانما انثه باعتبار جعله مصيدة للكبر باعتبار انه يصير الداخل فيه من حزب ابليس وفي قبضته كالشبكة وحبائل الصائد
ووصفها بالعظم باعتبار قوته وكثرة ما يستلزمه من الرذائل وكذلك استعار لفظ المكيدة الكبرى باعتبار ما هو سبب قوي في جذب
الخلق الى الباطل وضلالهم عن طريق الله كالحيلة والخدعة واستعار لفظ وصف المساورة له باعتبار مواثبته النفوس ومغالبته لها بالكبر
وذلك انه تارة يلقي اليها تحسين الكبر وتزيينه فينفعل عنه وتقبل الكبر وتلك هي الوثبة من جانبه وتارة تقوى النفس عليه فترد
وسوسته بقهره وتلك الوثبة من قبلها ثم شبه مساورته للقلوب بالكبر بمساورة السموم القاتلة للطبيعة لبدنه وحكى عن وجه
الشبه بقوله فما تكدي ابدا ولا تشوي احدا اي ان مساورته بالكبر لا تكاد يفلتها ما يتأذى من العقول ويمنع تأثيرها في النفوس
كما لا يكاد يقاوم مواثبة السموم القاتلة من طبايع الحيوان ولا تكاد تخطي المقاتل كما لا يخطئ السموم وحركاتها في الابدان مقاتلها
ويحتمل ان يكون وجه الشبه كون مساورته غالبة غير متميز كمساورة السموم للابدان ويكون قوله لا يكدي ابدا ولا يشوي احدا استعارة
لوصفي السم الذي لا يكاد يقف دون المقاتل ولا يخطئها لتلك المساورة باعتبار انها لا يخطئ بسببها القلوب بسهام الكبر والبغي وشتا
ما يلقي من الوساوس المهلكة وقوله لا عالما لعلمه ولا مقلا في طمره اي ان هذه الرذيلة تؤثر في نفس العالم مع علمه والفقير في فقره فلا
يردها العالم بعلمه انها رذيلة ولا المقتر في طمره لمنافاته حالة في قلته وفقره الكبر وقوله وعن ذلك ما حرس الله الى قوله تذللا
شبيه على الامور التي حرس الله نعم بها عباده من هذه الرذيلة وجعلها اسبابا للتحرز من نزغات الشيطان بها واشار الى ثلثة منها وهي
الصلوات والزكوة ومجاهدة الصيام في الايام المفروض صومها اما الصلوات فلكونها باجزائها واوضاعها منافية للكبر اذ كان
مدارها على تضرع وخضوع وخشوع وركوع وكل واحد من هذه الاجزاء بكيفياته وهيئاته موضوع على الذلة والتواضع والاستسلام
لعزة الله وعظمته وتصور كماله وتذكر وعده ووعيده واهوال الوقوف بين يديه وكل ذلك ينافي الكبر والتكبر والتعظم والى ذلك
اشار بقوله تسكينا لاطرافهم وتخشيعا لابصارهم الى قوله تصاغرا ونصب تسكينا وتصغيرا وتخشعا وتذليلا وتخفيفا واذهابا على
المفعول له والعامل ما دل عليه قوله حرس من معنى الامر اي حرسهم بهذه وامرهم بكذا وكذا وانتصب تواضعا وتصاغرا والعاملان
المصدران تعفير وإلصاق فاما الزكوة فوجه نفعها في دفع هذه الرذيلة امران احدهما انها شكر النعمة المالية كما ان العبادات البدنية
شكر للنعمة البدنية وظاهر ان شكر النعمة مناف للتكبر على المنعم والاستنكاف عن عبادته الثاني ان من وجبت عليه الزكوة بمقدور
تذكره موجبها وسلطانه وقهره على اخراجها فينفعل عن حكمه وينقهر تحت امره مع تصوره لعناية المطلق وذلك مناف للتكبره و
استنكافه عن عبادته واما مجاهدة الصيام فلما فيها من التقشف الشاق ومكابدة الجوع والعطش في الايام الصيفية كما كنى عنه
بقوله والصاق البطون بالمتون من الصيام والانسان في كل تلك الاحوال متصور لجلال الله وعظمته وانه انما يفعل ذلك امتثالا

لاوامره

٣٠ ج

واجباره وخضوعا تحت سلطانه وذلك مناف للتكبر والترفع وقد علمت ما في الصوم من كسر الشهوة بالنسبة كما قال ان الشيطان ليجري
من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك ان وسيلة الشيطان هي الشهوات ومبدأ الشهوات وقوتها مدد من الاكل والشرب
تضييق مجاريه بقهره وبكسر نوازع وسوسته الى رذائل عن العجب وتسكين حركات الاطراف التي هي مبدأ تلك الوساوس وتخشع الابصار
وتذلل النفوس وتخفيض القلوب وقوله ومع ما في الزكوة الى قوله الفقير اشارة الى سر من اسرار الزكوة وهو ما وقد ذكرنا اسرارها في شرحنا
في الفصل الذي قبله ان افضل ما توسل به المتوسلون الى الله امر باعتبار ما في هذه الافعال التي تقع في الصلوة والزكوة والصيام
من تعفير عتائق الوجوه والصاق كرائم الجوارح وهي الايدي والارجل ولحوق البطون بالمتون الى غير ذلك من الافعال المستلزمة
للتواضع والتذلل تاكيدا لما قرره اولا من كون هذه العبادات حارسة لعباد الله عن رذيلة الكبر وبالله التوفيق **الفصل الرابع**
في توبيخهم على المعصية من غير سبب يعرف او حجة يقبلها عقل وامرهم بالتعصب لمحامد الاخلاق ومكارمها وتحذيرهم من العقوبات النازلة
بمن قبلهم من الامم والنظر في عاقبة امرهم وغير ذلك من الامور الواضحة وذلك قوله ولقد نظرت فما وجدت احدا من العالمين يتعصب
لشيء من الاشياء الا عن علة تحتمل تمويه الجهلاء او حجة تليط بعقول السفهاء غيركم فانكم تتعصبون لامر ما يعرف له سبب ولا علة سبب جر
اما ابليس فتعصب على آدم لاصله وطعن عليه في خلقته فقال انا ناري وانت طيني واما الاغنياء من مترفة الامم فتعصبوا
لآثار مواقع النعم فقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فان كان لا بد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الاخلاق
ومحامد الافعال ومحاسن الامور التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء من بيوتات العرب ويعاسيب القبائل بالاخلاق الرغيبة
والاحلام العظيمة والاخطار الجليلة والآثار المحمودة فتعصبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار والوفاء بالذمام والطاعة للبر والمعصية
للكبر والاخذ بالفضل والكف عن البغي والاعظام للقتل والانصاف للخلق والكظم للغيظ واجتناب الفساد في الارض واحذروا
ما نزل بالامم قبلكم من المثلات بسوء الافعال وذميم الاعمال فتذكروا في الخير والشر احوالهم واحذروا ان تكونوا امثالهم فاذا
تفكرتم في تفاوت حاليهم فالزموا كل امر لزمت العزة به حالهم وزاحت الاعداء له عنهم ومدت العافية فيه بهم وانقادت
النعمة له معهم ووصلت الكرامة عليه حبلهم من الاجتناب للفرقة واللزوم للالفة والتحاض عليها والتواصي بها واجتنبوا كل
امر كسر فقرتهم واوهن منتهم من تضاغن القلوب وتشاحن الصدور وتدابر النفوس وتخاذل الايدي وتدبروا احوال الماضين
من المؤمنين قبلكم كيف كانوا في حال التمحيص والبلاء الم يكونوا اثقل الخلائق اعباء واجهد العباد بلاء واضيق اهل الدنيا
حالا اتخذتهم الفراعنة عبيدا فساموهم سوء العذاب وجرعوهم جرع المرار فلم تبرح الحال بهم في ذل الهلكة وقهر الغلبة لا يجدون
حيلة في امتناع ولا سبيلا الى دفاع حتى اذا رأى الله سبحانه جد الصبر منهم على الاذى في محبته والاحتمال للمكروه من خوفه
جعل لهم من مضايق البلاء فرجا فابدلهم العز مكان الذل والامن مكان الخوف فصاروا ملوكا حكاما وائمة اعلاما وبلغت
الكرامة من الله تعالى لهم ما لم تذهب الآمال اليه بهم فانظروا كيف كانوا حيث كانت الاملاء مجتمعة والاهواء مؤتلفة والقلوب
معتدلة والايدي مترادفة والسيوف متناصرة والبصائر نافذة والعزائم واحدة الم يكونوا اربابا في اقطار الارضين وملوكا على
رقاب العالمين فانظروا الى ما صاروا اليه في آخر امورهم حين وقعت الفرقة وتشتتت الالفة واختلفت الكلمة والافئدة وتشعبوا
مختلفين وتفرقوا متحاربين قد خلع الله عنهم لباس كرامته وسلبهم غضارة نعمته وبقي قصص اخبارهم فيكم عبرا للمعتبرين منكم
فاعتبروا بحال ولد اسمعيل وبني اسحق وبني اسرائيل فما اشد اعتدال الاحوال واقرب اشتباه الامثال تأملوا امرهم في حال
تشتتهم وتفرقهم ليالي كانت الاكاسرة والقياصرة اربابا لهم يحتازونهم عن ريف الآفاق وبحر العراق وخضرة الدنيا الى منابت
الشيح ومهافي الريح ونكد المعاش فتركوهم عالة مساكين اخوان دبر ووبر اذل الامم دارا واجدبهم قرارا لا يأوون الى جناح دعوة ملازم
يعتصمون بها ولا الى ظل الفة يعتمدون على عزها فالاحوال مضطربة والايدي مختلفة والكثرة متفرقة في بلاء ازل واطباق
جهل من بنات موؤدة واصنام معبودة وارحام مقطوعة وغارات مشنونة فانظروا الى مواقع نعم الله تعالى عليهم حين بعث
اليهم رسولا فعقد بملته طاعتهم وجمع على دعوته الفتهم كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها واسالت لهم جداول نعيمها
والتفت الملة بهم في عوائد بركتها فاصبحوا في نعمتها غرقين وفي خضرة عيشها فكهين قد تربعت الامور بهم في ظل سلطان
قاهر وآوتهم الحال الى كنف عز غالب وتعطفت الامور عليهم في ذرى ملك ثابت فهم حكام على العالمين وملوك في اطراف
الارضين يملكون الامور على من كان يملكها عليهم ويمضون الاحكام فيمن كان يمضيها فيهم لا تغمز لهم قناة ولا تقرع لهم
صفاة الا وانكم قد نفضتم ايديكم من حبل الطاعة وثلمتم حصن الله المضروب عليكم باحكام الجاهلية فان الله سبحانه قد
امتن على جماعة هذه الامة فيما عقد بينهم من حبل هذه الالفة التي ينتقلون في ظلها ويأوون الى كنفها بنعمة لا يعرف
احد من المخلوقين لها قيمة لانها ارجح من كل ثمن واجل من كل خطر واعلموا انكم صرتم بعد الهجرة اعرابا وبعد الموالاة احزابا ما

تتعلقون من الإسلام إلا باسمه ولا تعرفون من الإيمان إلا رسمه تقولون النار ولا العار كأنكم تريدون أن تكفئوا الإسلام على وجهه انتهاكاً لحريمه ونقضاً لميثاقه الذي وضعه الله لكم حرماً في أرضه وأمناً بين خلقه وإنكم إن لجأتم إلى غيره حاربكم أهل الكفر ثم لا جبرئيل ولا ميكائيل ولا مهاجرين ولا أنصار ينصرونكم إلا المقارعة بالسيف حتى يحكم الله تعالى بينكم وإن عندكم الأمثال من بأس الله تعالى وقوارعه وأيامه ووقائعه فلا تستبطئوا وعيده جهلاً بأخذه وتهاوناً ببطشه ويأساً من بأسه فإن الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلا لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلعن السفهاء لركوب المعاصي والحكماء لترك التناهي ألا وقد قطعتم قيد الإسلام وعطلتم حدوده وأمتم أحكامه **قوله** التمويه التلبيس وتلبيط بالصق وتخلط والسفه خفة العقل والمجد جمع ماجد وهو كريم الآباء شريفهم والنجد جمع نجيد وهو ذو النجدة وهي فضيلة تحت الشجاعة ويعاسيب القبائل ساداتها وتتحد تتعدى والتحاص تحاث والفقرة الواحدة من خرزات الظهر وروي بفقرهم جمع فقرة والمنة القوة والتضاغن التحاقد والتشاحن التعادي والتدابر التقاطع والتخاذل عدم التناصر والعباء الحمل والجهد المشقة ... أو ابتلاء إياه والمراد بضم البيضة مجتمعهم إذا أكلت منه الإبل فلبست عنه مشافرها والترافد التعاضد والتعاون وخضارة النعمة طيبها ... الانقطاع عن الشيء والأخذ عند الريف ... الربيع والخصب ... جمع مهفاة ... الريح أي حركتها وهبوبها ... فلله وشدته والعالة جمع عائل وهو ذو العيلة وهي الفقر والوتر الحقد وفي بعض النسخ ... والدبرة ... في ظهر البعير والأزل الضيق والموؤدة البنت تدفن في التراب حية وشن الغارة فرقها من كل جانب والفكة طيب النفس وسروره والفكه الأشر البطر وتربعت أقامت وأصله الإقامة في الربيع ويحتمل أن يريد تمكنت كالمتربع بجلسته المطمئن بكونها ذات تمكن والذرى جمع ذروة وهي أعلى الجبل وعطف عليه وتعطف إذا أشفق عليه والتفت إليه بإحسانه ... والغدر والإعراب ... دنبه وكفاء الإناء قلبه لوجهه وأسنها لتحرير ... الأبحل والمقارعة المضاربة وقوله ... إلى قوله ... في معرض التوبيخ لهم على تعصبهم الباطل الذي ثوران الفتن مع أنه لم يكن لأمر يعرف من وجه المنفعة والمصلحة الحاملة عليه ولفظ الأيقتضي حصر وجدانه لمن يتعصب لشيء في وجدانه له متعصباً عن علة يحتمل تشبيه الأمر على أهل الجهل ... ... للتعصب وعن حجة تلتصق بعقول السفهاء فيقبلها وهذا هو مقتضى العقل إذ كان الترجيح من غير مرجح محالاً في بدائه العقول وتقدير الكلام فما وجدت أحداً يتعصب إلا وجدته يتعصب عن علة وقوله غيركم استثناء من معنى الإثبات في الجملة المفيدة للحصر كأنه قال وجدت كل أحد يتعصب عن علة إلا أنتم وقوله تتعصبون لأمر ما يعرف له سبب ولا علة أي سبب يحتمل التمويه على الجهلاء ملتصق بعقول السفهاء ثم أومى إلى مطلق السبب في تعصبهم وثوران الفتنة بينهم وهو الأعز الذي كان بينهم وكان يجمع من ... كما ذكرناه في سبب الخطبة لكنه تركها لوصف هنا النقطة ثم أخذ في تفصيل وجوه العصبية وأسبابها فبدأ بذكر سبب العصبية الأولى وسبب عصبيته كلامه لاعتقاده لطف جوهره وشرفه إذ النار أشرف من الطين مع تجهيله بسرها الشريف ووضع آدم على هذه الخلقة وخلقته التي وضع عليها الخلقة فلذلك فضل نفسه وقياسا للفرع على الأصل في الشرف والخسة فقال أنا ناري وأنت طيني ولذلك قيل أول من قاس إبليس ثم بعصبية الأغنياء والجهال من مترفة الأمم لكونهم ... بالأسد ... العصبية وأشار إلى علة تعصبهم وهي آثار مواقع النعم وسوابقها من الأموال والأولاد وسائر ما ينتفع به كما قال تعالى حكاية عنهم نحن أكثر أموالاً وأولاداً وآثار تلك المواقع هي الغنى والترفه بها والتنعم والالتذاذ وكان تعصبهم لذلك وفخرهم به ويجب أن يعلم أن الأموال والأولاد أنفسهما ليست نعماً لأن النعم من الأمور الإضافية إنما يقال بالنسبة إلى منعم ومنعم عليه وليس لمالك ولا الولد باعتبار ذاته بل إنما يطلق عليهما لفظ النعمة باعتبار انتفاع الإنسان بهما حتى لو كانا سبباً لهلاكه وإذا لم يكونا بذلك لا غيباً لا نعمة عليه وفتنة له فلذلك جعلهما مواقع النعم أي محال قابلة لكونهما نعماً ويحتمل أن يريد بالنعم الأموال والأولاد ومواقعها وتوقعها فإنه كثيراً ما يريد بمفعول المصدر وآثارها هي الغنى والترفه كما قدمناه ثم لما وبخهم على التعصب الباطل نبههم على مواقع العصبية وما ينبغي أن يكون له وهي مكارم الأخلاق ومحامد الأفعال ومحاسن الأمور التي تفاضلت فيها أهل المجد والشرف والنجدة من بيوتات العرب وسادات القبائل واللام في قوله بالأخلاق متعلقة بتفاضلت فإن المذكورين تفاضلوا في محاسن الأمور بالأخلاق الرغيبة أي المرغوب فيها وقد علمت فيما سبق أصول الأخلاق الفاضلة وما تحتها من أنواعها ... ملكة تحت الشجاعة وهي الأناة والرزانة عند الغضب وموجباته والمفاضلة بالأخطار الجليلة مراعات المراتب المحمودة ومنازل الشرف بالمحافظة على تلك الأخلاق المحمودة وملازمتها وكذلك المفاضلة بالآثار المحمودة ... الأفعال الجميلة الموافقة للأخلاق النفسانية كفعل البذل عن السخاء وكفعل القرب ... للعدل ... ثم أمرهم بعد التنبيه على تلك المكارم بالعصبية لها فقال فتعصبوا لخلال الحمد وأشار إلى تفصيلها فمنها حفظ الجوار وهي فضيلة تتشعب عن فضيلتين لأن حفظه يكون بالكف عن أذاه وذلك فضيلة تحت العدل ويكون بالإحسان إليه ويضاده وصالحته

ومواساته

ج

ومواساته وذلك الأمور تحت العفة ومنها الوفاء بالذمام وهو تحت ... ومنها الطاعة للبر ... أن يريد بالبر ههنا ما أراده القرآن الكريم بقوله ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله إلى قوله وأولئك هم المتقون ولكن البر من اتقى فإن المراد في هاتين الآيتين بالبر كمال الإيمان والتقوى والأعمال الجميلة ومعنى طاعة البر التلبس بهذه الأفعال وملازمتها واعتقاد وجوبها ويحتمل أن يريد بطاعته الأمر بالبر ... لا مر ... ويراد بالعفة ... الأخشبا ... الفجور ويحتمل أن يريد ههنا ما يقابل العقوق وهو التعطف على ذوي الرحم والإحسان إلى الوالدين وهو داخل تحت العفة ومنها المعصية للكبر والمراد بمعصيته الكبر مجانبته مجازاً إطلاقاً لاسم السبب على المسبب ومعصية الأمر بالكبر وهو كناية عن التواضع وهو فضيلة تحت العفة والمعصية هنا في مقابلة الطاعة ومنها الأخذ بالفضل وأراد استكمال الفضيلة وكسبها ويحتمل أن يريد بالفضل التفضل على الغير والإحسان إليه والأخذ به فيكون أمراً بالإحسان والجود وهو فضيلة تحت العفة ومنها الكف عن البغي ويعود إلى فضيلة العدل ومنها تعظيم القتل وهو كناية عن تركه لما يستلزمه من رذيلة الظلم ثم الوعيد عليه في الآخرة ويعود إلى فضيلة العدل أيضاً وكذلك الإنصاف للخلق وهو لزوم العدل في معاملاتهم ومنها كظم الغيظ وهو فضيلة تحت الشجاعة ومنها اجتناب الفساد في الأرض وهو من لوازم فضيلة العدل ثم أمرهم بلزوم مكارم الأخلاق ومحامد الأفعال الجميلة ... بالتنفير عن الكون على ... للنعت ... وذلك أنه نبههم على كثير مما يعتبر حال الأمم الماضين وما أصابهم من عقوبات الله بسبب سوء أعمالهم وذميم أفعالهم وحذرهم أن يرتكبوا تلك الرذائل فيصيبهم ما أصاب أولئك من بأس الله وأمرهم أن يتذكروا أحوالهم في الخير والشر حين كانوا في ... ثم ... والألفة الجامعة بينهم وما هم فيه ... فيه ... عن تلك الحال حين ... صالح الأعمال ... الأفعال ... أن يكونوا أمثالهم في ذلك الانقلاب واستبدال الشر بالخير وأن يلزموا عند تفكرهم في تفاوت حالتيهم كل أمر لزمت العزة به شأنهم وزالت الأعداء عنهم ... العافية فيه ... والاستصحاب أي ... في نسخة ... بالنصب على البناء للفاعل كقولك ... أي ... ووسائل ... النعم له لذلك الأمر معهم أي بسببه إذ كان سبباً معداً لإفاضة النعم عليهم ووصلت الكرامة عليه حبلهم واستعار لفظ الوصل لاجتماعهم عن كرامة الله لهم حال كونهم على ذلك الأمر ورشح بذكر الحبل وقوله من الاجتناب إلى قوله والتواصي بها وذلك أن لزوم الألفة سبب للأمور التي عددها وقوله ولتجتنبوا إلى قوله وتخاذل الأيدي واجتنبوا كل أمر اشتد كونه تلك الأمور التي أوجبت لهم العزة والكرامة وكان سبباً للكسر فقرتهم ووهن قوتهم وهو التضاغن والتشاحن والتقاطع والتخاذل لأنها أمور تضاد الألفة وتنافيها كما كانت ... لما ... الألفة وأراد التخاذل المطلق وإضافته إلى الأيدي كناية لأن الأغلب أن يكون التناصر بالأيدي وهؤلاء الذين أمر باعتبار حالهم لا يريد بهم أمة معينة بل الحال تام في كل أمة سيقت فإن كل أمة ترافدت أيديهم وتعاونوا وتناصروا كان ذلك سبباً لعزهم ... ودفع الأعداء عنهم وكل قوم افترقوا وتقاطعوا لزم ذلك ذلهم وقهر الأعداء لهم وقوله وتدبروا أحوال الماضين من المؤمنين إلى قوله ... أمرهم باعتبار هذه الأحوال بين هؤلاء المؤمنين الماضين في أزمان الأنبياء السابقين فإنهم حيث كانوا مع كل نبي في مبدإ أمرهم في حال التمحيص والاستخلاص لقلوبهم بالابتلاء أثقل أهل الأرض أعباء اتخذتهم الفراعنة عبيداً يسومونهم سوء العذاب كيوسف مع فرعون زمانه وكموسى ومن معه من بني إسرائيل في مبدإ أمرهم فإنهم كانوا حال التمحيص والابتلاء بالصفات التي ذكرها فاتخذتهم الفراعنة عبيداً يسومونهم سوء العذاب ويجرعونهم المرار فلم يزالوا كان مقهورين حتى إذا رأى استعدادهم بالصبر على دينه لإفاضة رحمته عليهم أفاضها عليهم وجعل لهم من مضايق البلاء فرجاً وأبدلهم بالعز مكان الذل والأمن مكان الخوف كما امتن عليهم تعالى في كتابه حيث قال وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وإذ فرقنا بكم البحر الآية وقبل ذلك ما كان المؤمنون مع نوح وإبراهيم وغيرهما فأما كونهم ملوكاً وحكاماً وأئمة أعلاماً وبلوغهم الكرامة من الله ما لم يذهب الآمال إليه فإن موسى ومن معه بعد هلاك فرعون ملكوا مصر واستقر لهما الملك الذين وكطالوت وداود وبعد مجاهدتهما لجالوت وقتله وذلك أن طالوت لما جاوز النهر هو ومن معه لقتال جالوت كان معه داود فرماه من مقلاعه بحجر فقتله وانكسر أصحابه كان الملك والغلبة لجالوت وأصحابه وكان الملك بعده لداود كما قال تعالى وآتاه الله الملك والحكمة وكان الملك والنبوة في سليمان وولده وأولادهم إلى الأعرج من ولده فطمعت الملوك في بيت المقدس لضعفه وزمنه ثم لم يكن يتماسك إليه ملك الجزيرة وكان يكنى ... سنجاريب وكان بخت نصر كاتبه فأرسل الله تعالى عليه ريحاً فأهلكت جيشه وأفلت هو وكاتبه فقتله ابنه فغضب له بخت نصر فأسر حتى قتله وملك بعده وكان ذلك أول ملك بخت نصر وقوله فانظروا كيف كانوا إلى قوله للمعتبرين منكم أمرهم باعتبار حالهم في نفسهم وإشارة إلى أن المستلزم لتلك الخيرات كلها إنما كان هو الألفة والاجتماع وباعتبار ما صاروا إليه في آخر أمورهم حين وقعت الفرقة بينهم وتشتت الفتنة واختلفت كلمتهم وأفئدتهم فخلع الله عنهم لباس كرامته وسلبهم غضارة نعمته وبقي قصص أخبارهم عبرة للمعتبرين وهو إشارة إلى أن المستلزم لذلك الشر هو ما حصلوا عليه من تفرق الكلمة وذلك ... على كل قرن قرن وأمته إذا آمنوا وجاهدوا ... المجاهدين

الفراعنة والجبابرة ثم صبروا فانتصروا على عدوهم واراد باعتدال القلوب استقامتها على الحق وقوله والبيوت متناصرة قال بعضهم اراد اهل البيوت
محذوف المضاف ويحتمل ان يكون فيه استعارة وصف التناصر لها باعتبار كونها اسبابا يتقوى بعضها ببعض فصارت كالجماعة التي ينصر
بعضها بعضا ونفوذا لبصائر فيها جعل التنبه ان عن الحق واصلة الى وانخاذ العزائم اتفاقا الارادات الجازمة على طلب الحق ومختلفين ومحاربين
مصوبان على الحال وكل موضع قوله قد خلع وكذلك غيره وقوله فاعتبروا بحال ولد اسمعيل وبني اسحق واسرائيل عم الى قوله صفاة ابراهيم
باعتبار احض ولد اسمعيل اشارة الى العرب من المخاطبين والمعد ومن بني اسحق اولاد دوم بن عيص بن اسحق وبنو اسرائيل وهو يعقوب
بن اسحق فاما حال تشتتهم وتفرقهم واستيلاء الاكاسرة والقياصرة عليهم وفعلهم بهم ما ذكر فمن كلمة العرب قبل ظهور محمد عليه السلام
امر ظاهر معلوم لكل من طالع كتب السير وبسبب ذلك كانت الاكاسرة اربابا لهم يختارونهم ويبعدونهم عن ريف الافاق وبحر العراق
وخضرة الدنيا الى البادية واما حال بني اسحق واسرائيل في ذلك فنحو ما جرى لاولاد دوم بن عيص من اختلاف النسطورية واليعقوبية
والملكانية حتى كان ذلك سببا لضعفهم واستيلاء القياصرة عليهم في الروم وعلى بني اسرائيل في الشام وازعاج بخت نصر لهم عن
بيت المقدس حتى غزاهم المرة الثانية كما اشار اليه القران الكريم بقوله فاذا جاء وعد الاخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد الاية
وقد كان غزاهم مرة اولى حين احدثوا وعبروا فرغبوا الى الله تعم وتابوا فرده عنهم وهي المرة الاولى التي حكى الله تعم بقوله فاذا جاء
وعد اوليهما الاية ثم احدثوا بعد ذلك فبعث الله اليهم ارميا فقام فيهم بوحي الله فضربوه وقيدوه وسجنوه فغضب الله عليهم فبعث
اليهم عند ذلك بخت نصر فقتل منهم وصلب واحرق وجدع وباع ذراريهم ونساءهم وصارت منهم طائفة الى مصر ولجأ الى ملكها
فسار اليه بخت نصر فاسره واسر بني اسرائيل والذين فروا منهم ارتحلوا الى حدود المدينة كيهود خيبر وبني قريظة والنضير ووادي
القرى فينبغي اذا عرفت ذلك فتقول انه عم امر باعتبار حالهم وتأمل امرهم في حال تشتتهم وتفرقهم قبل بعثة الرسول صم وفعل الاعداء بهم
ما كانوا يفعلون كيف فرج الله عنهم من الشدائد بظهور محمد عم لهم نبيا واعلم ان غايته عم من امره باعتبار حال المؤمنين من الامم
الماضية قبلهم لاشتدادهم في الصبر على المكاره ولزوم الالفة والاجتماع مع ذلك وانتظار الفرج به وقوله فما اشد اعتدال الاحوال
التي تشابهت بها واراد ان احوالكم الشبيهة المساواة لاحوالهم وكذلك ما اقرب اشتباه الاحوال اي ان احوالكم شديدة المماثلة لاحوالهم لانكم
امثالهم وهو اشارة الى وجه علة الاعتبار فانهم اذا كانوا امثالهم واعتدلت احوالهم وتشابهت امورهم وجب اعتبار حالهم بحالهم وكذا
الفاء للتعليل وقوله تاملوا امرهم في حال تشتتهم الى اخر الكلام اشارة الى حال شدتهم وضيقهم لتنقل اذهان السامعين الى
اثبات تلك الحال لانفسهم فالماضون اصل ذلك الاعتبار والسامعون فرعه وحكم الاصل لحوالهم الحميدة والشريرة وعلة ذلك الحكم
كونهم امثالهم وقوله ليالي كانت الاكاسرة والقياصرة اربابا لهم اي مالكون لامورهم يختارونهم اي كانت القياصرة يختارون بني
اسرائيل وبني اسحق والاكاسرة يختارون بني اسرائيل ويمنعونهم من اعمال العراق فصار الجميع مطرودا للجميع عن خضرة الافاق وحيان الشام
وبحر العراق واراد دجلة والفرات وقوله الى منابت الشيح ومهافي الريح كنايتان عن البرية وظاهر انها محل نكد العيش وضيقه كما وصفهم عليه السلام
بوصف معاشهم في الفصول الثلاثة ويختص الاكاسرة وهو جمع كسرى بملوك الفرس والقياصرة بملوك الروم وهو جمع على غير قياس
كنى بالدبر والوبر عن الجمال وفيه ايماء الى فقرهم وضيق معاشهم لان دبر الجمال واستعمالهم لبس الوبر واكله بالدم من لوازم الفقر وضيق الحال
وعلى الرواية الثانية فالدبر كناية عن الفقر ايضا وكذا انهم اذل الامم دارا لان اهل البادية لم يكونوا اصحاب حصون وقلاع يتحصنون بها وان كان
لبعضهم حصون فغشاء يحميهم عن امثالهم فيما يجري بينهم من الغارات وليس ذلك مما يدفع عدوا ذا قوة او يحتمل حصارا وقوله لا جناح ياوون الى
اي مستقر انكانت البادية لا تقاس الى المدن في الخصب واستعار لفظ الجناح لما ينهض بردعوتهم ويقوى اذا دعوا وكنى بذلك عن كونهم
لا ياوون الى من يجيب دعوتهم فيعتصمون به وكذلك استعار لفظ الظل لما يستلزمه الالفة من التعاون والتعاضد والتناصر ووجه المشابهة
هو ما يستلزمه كل من الامور من الراحة من حرارة نار العدو والحرب كما يستلزمه الظل من الراحة من حر الشمس وقوله فالاحوال
مضطربة شرح لحالهم بعد ذلك وكونهم على غير نظام وكنى باختلاف ايديهم عن عدم اتفاقهم على التناصر وبتفرق كلمتهم عن عدم الفهم
واجتماعهم على ضلالهم واضافة بلاء الى الازل بمعنى من وكذلك اضافة اطباق وقد علمت ان للجهل صفات ودركات شر كونهم بعضها
فوق بعض اولها عدم العلم بالحق وفوقها الاعتقاد بغير الحق وفوقها اعتقاد شبهة يقوى ذلك ويعضده مع تجويز نقيضه
وفوقها اعتقاد ذلك التشبه جزما فتمنعه الرحمة واطباق بكسر الهمزة على انه مصدر والمعنى وجهل مطبق عليهم وقوله من بنات
تفصيل للوازم ذلك الجهل وذكر منها انه نوعا احدها واد البنات واشار اليه القران الكريم واذا الموؤدة سئلت باي ذنب قتلت
قيل كان ذلك في بني تميم وقيس واسد وهذيل وبكر بن وائل قالوا والسبب في ذلك ان رسول الله صم دعا عليهم فقال اللهم اشدد
وطاءك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاجدبوا سبع سنين حتى اكلوا الوبر بالدم فكانوا يسمونه العلهز فواد والبنات
لاملاقهم وفقرهم ويؤيد ذلك قوله تعم ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وثانيها قوم بل كان واْدهم للبنات انفة وفيهم ان بني تميم منعت

النعمن

٣٠٦

منع بعضهم النعمان البن عطاء من صر الخراج فلما ...
فسباهم النعمان البن ابنة ...
الى النعمن (?)

النعمن الاتاوة سنة من السنين فوجه اليهم اخاه الريان بن المنذر وجل من معه من بكر بن وائل فاستاق النعم وسبا الذراري فوفدت بنو
تميم الى النعمن فاستعطفوه فرد لهم واعاد عليهم السبي وقال كل امرأة اختارت اباها ردت اليه وان اختارت صاحبها تركت عليه فكلهن
اخترن اباهن الا ابنة لقيس بن عاصم فاختارت صاحبها فنذر قيس ان لا يولد له بنت الا وادها ففعل ذلك ثم اقتدى به كثير من بني تميم الثاني عبادة الاصنام وقد كان لكل قبيلة صنم
يعبدونه فكان لهذيل سواع ولبني كلب ود ولمذحج يغوث وكان بدومة الجندل ولذي الكلاع نسر ولهمدان يعوق وبعوق ولثقيف
اللات والعزى لقريش وبني كنانة والاوس والخزرج مناة وكان هبل على الكعبة واساف ونائلة كانا على الصفا والمروة ومن نوادر
جهلهم المشهورة ان بني حنيفة اتخذوا في الجاهلية صنما من حيس فعبدوه دهرا طويلا ثم اصابتهم مجاعة فاكلوه فقال بعضهم في ذلك
اكلت حنيفة ربها من التقحم والمجاعة لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة الثالث قطع ارحامهم وقد كان احدهم يقتل اباه
واخاه عند الحمية لادنى سبب كما هو معلوم من حالهم الرابع الغارات والحروب كيوم ذي قار وكأيام حرب بكر وتغلب ابني وائل و
كحرب داحس والغبراء الى غير ذلك من الايام المشهورة ووقائعهم في الحروب والغارات اكثر من ان تحصر وكل ذلك من لوازم الجهل وقوله
فانظروا الى مواقع نعم الله عليهم امر باعتبار حالهم عند منشأ محمد صم وبعثته فيهم بعد تلك الاحوال الشريرة والضيق في عقد وجمع
راجعان الى الله تعم لشهادة القران الكريم بنسبة الالفة بينهم اليه في قوله لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بينهم ولكن الله
الف بينهم انه عزيز حكيم ومعنى عقده لطاعتهم عما جمعها بعد الانتشار ونظمها بعد التفرق اذ كانت طاعاتهم في الجاهلية تابعة
لاهوائهم المختلفة بحسب تشتت ارائهم واستعار لفظ الجناح لما اسبغت عليهم رحمة الله من النعمة وعمتهم به من الكرامة ورشح بذكر النشر
وكنى به عن عمومهم بها وكذلك استعار لفظ الجداول وهي الانهار لانواع نعيمها وسيول الخيرات التي جرت عليهم من الكمالات النفسانية
والبدنية ملاحظة لشبه تلك الطرق والاسباب بالجداول في جريان الماء بها ورشح بذكر الاسالة وقوله والتفت الملة بهم في عوائد
بركتها اي جمعتهم ولفتهم في منافعها التي حصلت ببركتها يقال التف بفلان في موضع كذا اي لقيته وقيل فوقه في موضع عوائد
نصب على الحال اي الحال كونها كذلك ولفظ الالتفاف كناية عن ورود الدين عليهم وتلبسهم به ولذلك استعار لفظ الغرق ملاحظة لشبههم
بالغرق في شمول نعمة الدين لهم وعموم نعمة الاسلام اياهم حتى كانهم لاستيلائها عليهم كالغرق فاستلزم ذلك الملاحظة لتشبيهها
بالبحر الزاخر وكنى بخضرة عيشها عن سعة المعاش بسبب الملة وطيبه واراد بالسلطان هنا اما الحجة والبرهان والاقتدار والغلبة
والدولة واستعار لفظ الظل لما يستلزمه ذلك السلطان من النعمة اي وتكنت بهم الامور والاسباب التي اعدتهم لنعمة الله في
ذلك الظل وكذلك قوله واوتهم الحال اي الجأتهم وضمنتهم الحال التي كانوا عليها الى عز غالب وهو عز الاسلام ودولته ملاحظة
لشبهه بالعالي الجبل المنيع في علوه ومنعته وكذلك استعار لفظ التعطف لاقبال السعادات الدنيوية والاخروية عليهم بالاسلام
التي عبر بالامور ولاحظ في ذلك مشابهته تلك الاقبال بتعطف ذي الرحمة والشفقة على غيره وقوله فهم حكام الى قوله بهم فانهم
ظاهر وكنى بكونهم لا تغمز قناتهم عن قوتهم وعدم انقهادهم للغير ولذلك لا يغرج لهم صفاة ويجريان مجرى المثل ثم عقب بتوبيخهم على قلة
طاعتهم واستعار لفظ الحبل لما نظم بينهم من طاعتهم لله ورسوله وكنى بوصف نقض الايدي عن خروجهم من الطاعة وشدة اطراحهم لها
بكثرة من افعالهم وكذلك استعار لفظ الحصن للاسلام ووجه المشابهة كونه حافظا لهم من اعدائهم الظاهرة والباطنة كالحصن المضروب
على اهله ورشح بذكر المضروب وكذلك استعار لفظ الثلم لكسرهم الاسلام باحكامهم الجاهلية ومخالفتهم لكثير من احكامه ونفرعن تلك
المخالفة بما يستلزمه من ذلك الثلم وقوله وان الله سبحانه قد امتن الى قوله كل خطر ترغيب في لزوم حبل الالفة والتمسك به والنعمة
التي امتن الله تعم بها في عقد حبل الالفة التي لا يعرف احد لها قيمة جهلا لقدرها باعتبار ما استلزمه من المنافع العظيمة ودفع المضار
وعلل عدم معرفة الخلق لقيمتها بكونها ارجح من كل ثمن واجل من كل خطر وهي صغرى قياس ضمير تقدير كبراه وكل ما كان كذلك لم يعرف احد
قيمته وصدق الصغرى اذ كانت تلك الالفة والاجتماع على الدين سببا عظيما في استعدادهم لسعادتي الدنيا والاخرة وقوله واعلموا
الى قوله بين حلفه توبيخ لهم بانتقالهم عن الاحوال والاقوال الاسلامية الى الاحوال الجاهلية اي قد صرتم بعد كونكم مهاجرين اعرابا
ولما كانت الاعراب انقص رتبة من المهاجرين واهل المدن لجفائهم وقسوتهم وبعدهم عن الفضائل النفسانية وتعلمها وعن سماع
الفاظ الرسول صم ومجالسته واقتباس الاداب من اهل الحضارة كما قال تعم الاعراب اشد كفرا ونفاقا الاية لاجرم وبخهم بصيرورتهم
كذلك وليس كل الاعراب بالصفة المذكورة لقوله تعم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر الاية وكونهم بعد الموالاة احزابا فالاحزاب
الفرق التي تجتمع لمحاربة الرسل واوصيائهم ويجمع لمخالفتهم وظاهر ان هؤلاء كذلك لانقسامهم وتشعبهم الى ناكثين وقاسطين
ومارقين ومنافقين ومحاربتهم له حتى ليس لهم من جامع في الاسلام يتعلقون به الا اسم الاسلام ولا يعرفون من الايمان الا رسمه واثره وشعاره
الظاهر بالشهادتين وحضور الصلوة دون شرائط الحقيقة وما ينبغي له وقوله النار ولا العار كلمة يقولها اهل الكبر والانفة من تحمل
الاذى والضيم لانفسهم او لقومهم في الاستنهاض الى الفتنة والنار والعار منصوبان بفعلين مضمرين تقديرهما ادخلوا النار ولا

يحملوا الغارة شبههم في حالهم وقولهم ذلك بمن يقصد ان يقلب الاسلام على وجهه وكنى بذلك عن افساده كناية بالمستعار ملاحظة لشبهه بالاناء يقلب فيخرج ما فيه عن الانتفاع به ووجه التشبيه المذكورات افعالهم المذكورة كافعال من يقصد ذلك من اعداء الاسلام لارادة افساده وقوله انتهاكا ونقضا منصوبان على المفعول له والعامل قوله يكفئوا ويصليان غايتين عقيب كل فعل نسبه اليهم بعينه هاذكرها هيهنا وميثاقه ما اخذ عليهم فيه واسلموا عليه من حفظه وحمى الايمان الصادق بالله ورسوله وما جاء به من القوانين الشرعية ثم وصف ذلك الميثاق بكون الله تعالى قد وضعه لهم حرما في ارضه يمنعهم من كل عدو وامنا بين خلقه لمن دخله واراد يحل امن يخوف المصاف ويجوز بلفظ الامن في الناس من اطلاقا لاسم الحال على المحل وقوله وانكم الى قوله بينكم يحذر من الاعتماد على غير الاسلام والالتجاء اليه من شجاعة او حمية او كثرة في قبيلة مع الخروج عن طاعة سلطان الاسلام والتفرق فيه فان ذلك يستلزم طمع الكفار فيهم وعدم نصرة الملائكة والمهاجرين والانصار لهم اما لان النصرة كانت مخصوصة بوجود الرسول والاجتماع على طاعته وقد زالت بفقده او لانها مشروطة بالاجتماع على الدين والا لفة فيه والذب عنه واذا الجاؤا الى غيره وحاربهم الكفار لم يكن لهم ناصر من الملائكة لعدم اجتماعهم على الدين ولا من المهاجرين والانصار لفقدهم وهذا اللازم محذوف ينبغي ان يحذرهم فالملزوم وهو الالتجاء الى غير الاسلام يجب ان يكون كذلك والضمير المضاف اليه في حرمه وميثاقه يعود الى الاسلام وقال بعض الشارحين الضمير في قوله يعود الى الله والاول اليق بسياق الكلام والنصب في جبرئيل وميكائيل على انهما اسمان ملاحظا فيهما التنكير ويدل ذلك في عقبهما بعد لا بالنكرتين ويبصر ونكم هو خبرها مفسرا له عقيب ما يكون منها وقوله الا المقارعة بالسيف استثناء منقطع وحكم الله الذي يحصله غاية للمقارعة هو احد افراد الصورة النصر على احد الفريقين والانقهار على الاخر وقوله وان عندكم الامثال الى قوله ووقايعه تذكير لهم بما ضرب الله لهم من الامثال بالقرون الماضية وما اصابهم من باس الله وقوارعه وهي الدواهي العظام وايامه وهي كناية عن الايام التي اوقع بهم فيها عقوباته وباسه حين استحقوا ذلك بمعصيته وكفيه بيد لهم بذلك من تخالفوا امره وقوله فلا تستبطئوا الى قوله بطشه اي بوعيد يقرب العقوبة على المعصية واطلاق لفظ الاستبطاء هنا مجاز لان الاستبطاء للشيء استبعاد لوقوعه مع انتظار وقوعه المستلزم لطلبه وطلب تحقق الوعيد ليس من مقاصد العقلاء حتى يتهمون عنه لكن لما كان الانسان اذا هم بالمعصية قد يستبعد تحقق الوعيد وعن سرعة ما يكون ذلك مما يقوي معه داعيته وشهوته لفعلها كان ذلك الاستبعاد سببا لتوجيه المعصية ولما كان ذلك الاستبطاء اطلق عليه اطلاقا لاسم الجزء على الكل فيكون التهديد والتوبيخ عليه ابلغ ولان الذي يقدم على المعصية مع علمه بما يستلزمه من الاعداد لنزول العذاب يناسب في الحقيقة من يستبطئ العقوبة ويطلب تعجيلها بفعله وكانوا بمعصيتهم كالمستبطين للوعيد فاطلق في حقهم لفظ الاستبطاء ونهاهم عنه ونصب جهلا ونهاونا وباسا على المفعول له لصلوح الثلثة علة لاغاية لا لاستبطاء الوعيد بمعنى استبعاده لان جهل العبد بكيفية اخذه ثم بالموت ولمواله وشدايد الاخرة مما يستبعد معه وقوع تلك الامور في حقه كما هي وكذلك تهاونه بسطوة الله وعلمه بما في ذلك لبسط من الاستدراج مما يحمله على استبعاد وعيده ويغره بالمعصية وكذلك باسه من باسه بسبب ذلك الجهل وذلك البسط مما يحمله على ذلك الاستبعاد ايضا وقوله وان الله الى قوله التناهي شبههم على ان لعنة الله للقرن الماضين ايديهم قبل الاسلام كان لا زما منا وبانزكهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر محضرا فيه وكانت لعنة الله لعنه لسفهائهم وناقصي عقولهم لركوبهم المعاصي المنكرة واما الحكماء منهم ولذوي العقول فلعدم انكارهم وتناهيهم عما ينهاهم ونهيهم ذلك للعن في قوله تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ونبههم بقوله الا وقد قطعتم قيد الاسلام الى قوله الاحكام على انهم من جملة من اتصف بذلك الملزوم اعني ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وركوب المعاصي فلزمهم الدخول في زمرة من لعنه الله بذلك الترك وغاية هذا التنبيه الجذب عن ركوب المعاصي الى الانتهاء والتناهي عنها واستعار لفظ قيد الاسلام للاسلام والاجتماع عليه وعلى امتثال اوامر الله فيه باعتبار كون ذلك حافظا للاسلام عليهم ومانعا له من التشرد والذهاب كما يمنع القيد الجمل فيه من التشرد والتشتت وحدود الله احكامه التي حدها للناس ومنعهم من تجاوزها وتعطيلهم لها باطراحها وتجاوزها وكذلك اماتتهم احكامه عدم العمل بها ووصف الاماتة مستعار لتركها واهمالها لاعتبار انهم اخرجوها بذلك الاهمال عن انتفاعهم بها كما ان الميت اليتيم يخرج عن حد الانتفاع وبالله التوفيق **الفصل الخامس** في اقتصاصه عليه السلام لحاله في تكليفه وموافقته لاوامر الله تعالى وبلائه الحسن في سبيله ومن حاله مع رسول الله صلى الله عليه وآله والتنبيه على موضعه منه وكيفية تربيته له من اول عمره والاشارة الى قوته في دين الله وذلك قوله الا وقد امرني الله بقتال اهل البغي والنكث والفساد في الارض فاما الناكثون فقد قاتلت واما القاسطون فقد جاهدت واما المارقة فقد دوخت واما

يشمار

٣٠ ح

شيطان الردهة فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة قلبه ورجة صدره وبقيت بقية من اهل البغي ولئن اذن الله في الكرة عليهم لاديلن منهم الا ما يتشذر في اطراف الارض تشذرا انا وضعت بكلاكل العرب وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وانا وليد يضمني الى صدره ويكنفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن ان كان فطيما اعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه يرفع لي في كل يوم علما من اخلاقه ويامرني بالاقتداء به ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فاراه ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وانا ثالثهما ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان لعنه الله حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة فقال هذا الشيطان قد ايس من عبادته انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي ولكنك وزير وانك لعلى خير ولقد كنت معه صلى الله عليه وآله لما اتاه الملأ من قريش فقالوا له يا محمد انك قد ادعيت عظيما لم يدعه اباؤك ولا احد من اهل بيتك ونحن نسألك امرا ان اجبتنا اليه واريتناه علمنا انك نبي ورسول وان لم تفعل علمنا انك ساحر كذاب فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله وما تسألون قالوا تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك فقال صلى الله عليه وآله ان الله على كل شيء قدير فان فعل الله ذلك لكم اتؤمنون وتشهدون بالحق قالوا نعم قال صلى الله عليه وآله فاني ساريكم ما تطلبون واني لاعلم انكم لا تفيئون الى خير وان فيكم من يطرح في القليب ومن يحزب الاحزاب ثم قال عليه الصلوة والسلام يا ايتها الشجرة ان كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين اني رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي باذن الله فوالذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقها وجاءت ولها دوي شديد وقصف كقصف اجنحة الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله مرفرفة والقت بغصنها الاعلى على رسول الله صلى الله عليه وآله وببعض اغصانها على منكبي وكنت عن يمينه صلوات الله عليه وآله فلما نظر القوم الى ذلك قالوا علوا واستكبارا فمرها فلياتك نصفها ويبقى نصفها فامرها بذلك فاقبل اليه نصفها كاعجب اقبال واشده دويا فكادت تلتف برسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا كفرا وعتوا فمر هذا النصف فليرجع الى نصفه كما كان فامره صلى الله عليه فرجع فقلت انا لا اله الا الله اني اول مؤمن بك يا رسول الله واول من اقر بان الشجرة فعلت ما فعلت بامر الله تصديقا بنبوتك واجلالا لكلمتك فقال القوم كلهم بل ساحر كذاب عجيب السحر خفيف فيه وهل يصدقك في امرك الا مثل هذا يعنوني واني لمن قوم لا تاخذهم في الله لومة لائم سيماهم سيما الصديقين وكلامهم كلام الابرار عمار الليل ومنار النهار متمسكون بحبل الله القرآن يحيون سنن الله وسنن رسوله صلى الله عليه وآله لا يستكبرون ولا يعلون ولا يغلون ولا يفسدون قلوبهم في الجنان واجسادهم في العمل

اقول النكث نقض العهد والقسوط الجور ودوخت القوم غلبتهم وقهرتهم والردهة نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء والصعقة الغشية من صيحة ونحوها والوجبة واحدة الوجيب وهو اضطراب القلب والرجة واحدة الرج وهي الحركة والزلزلة والكرة الرجعة وادلت منهم اي لا ‹الرجفة› قهرتهم وكون ذا الدولة منهم وغلبته عليهم والتشذر التفرق والكلاكل الصدر والنواجم جمع ناجمة وهو الطالع والخارج ويكنفني في فراشه اي يحفظني فيه ويحوطني ويلفني وعرفه ريحه والخطلة السيئة والفيحة من قول وفعل والعظم المقوم وحراء بالمد والكسر جبل بمكة ويؤنث ويصرف ولا يصرف والرنة صوت يصدر عند حصول المكاره كالحزن ونحوه والقليب البئر قبل ان تطوى يذكر ويؤنث وقال ابو عبيدة هي البئر القديمة العادية والدوي صوت خفيف الريح والنحل والقصف صوت جناح الطير واصطفافها في الهواء والسيما مقصور ويمد والعلامة والاثر في الوجه يعرف به والمنار الاعلام وغل من الغنم يغل بالضم اذا خان فيه قال ابو عبيد يقال منه يغل بالضم ومن الحقد يغل بالكسر ومن الخيانة المطلقة اغل يغل واعلم انه عليه السلام نبه في هذا الفصل على ان قتاله لهذه الفرق كان بامر الله على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وذلك الامر اما من القرآن الكريم من قوله تعالى فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله او من السنة بامر خاص وعموم اوامر الله ايضا وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين فكان الناكثون اصحاب الجمل لنكثهم بيعته وكان القاسطون اهل الشام والمارقون الخوارج بالنهروان والفرق الثلاث يصدق عليهم انهم اهل البغي وقاسطون لخروجهم عن سوء العدل الى طرف الظلم والجور وتخصيص كل فرقة منهم بما سميت به عرف شرعي فاما وصف الخوارج بالمارقين فمستنده قول الرسول صلى الله عليه وآله الذي لثديه يخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقد ذكرناه قبل والضئضئ الاصل وقد اخبر من اعلام نبوته صلى الله عليه وآله وقوله واما القاسطون فقد جاهدت واما المارقة فقد دوخت

على ان هذه الخطبة في اخر خلافته بعد وقايع صفين ونهروان واما شيطان الردهة فلا اشتباه ان المراد به ذو الثدية من الخوارج لما ورد في الحديث ان النبي صلعم ذكره فقال شيطان الردهة يحتذره رجل من بجيلة فاما كونه شيطانا فباعتبار كونه مضلا لا مضلا واما الاسناد الى الردهة فليشبه ان يكون لما روي انه حين طلبه عم في القتلى وجده في حفرة دالية بنهر الماء فانسبه رسول الله صلعم اليها لما كان يعلم من كيفية حاله في مقتله وروي عن يزيد بن رويم قال قال علي عم في ذلك اليوم يقتل اليوم اربعة الاف من الخوارج احدهم ذو الثدية فلما طحن القوم ورام استخراج ذي الثدية فاتبعه امرني ان اقطع اربعة الاف قصبة وركب بغلة رسول الله صلعم ثم امرني ان اضع على كل رجل منهم قصبة فلم ازل كذلك وهو راكب خلفي والناس حوله حتى بقيت في يدي واحدة فنظرت اليه وقد اربد وجهه وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت فاذا تحت خرير ماء في حفرة عند موضع دالية فقال لي فتش هذا ففتشته فاذا قتيل قد صار في الماء واذا رجله في يدي فجذبتها وقلت هذه رجل انسان فنزل عن البغلة مسرعا فجذب الرجل الاخرى وجررناه فاذا هو المخدج فكبر عم ثم سجد وكبر الناس باجمعهم واما الصعقة التي اشار اليها فهي ما اصاب ذا الثدية من الغشي والموت بضربته صلعم كما سنلوح ذلك ما حكاه من سماع وجبة صدره ووجيب قلبه وقال بعضهم المراد بالصعقة هنا الصاعقة وهي صيحة العذاب وذلك انه روي ان عليا عم لما قابل القوم صاح القوم فكان ذو الثدية ممن هرب من صيحته حتى وجد قتيلا في الحفرة المذكورة وقال بعضهم يحتمل ان يشير بالشيطان الى ابليس المخالف كما اشرنا اليه في الخطبة الاولى وهو القوة الوهمية واستعار لفظ الردهة وهي النقرة في الجبل للبطن الاوسط من الدماغ الذي هو محل القوة لمكان المشابهة وقد يعبر بالجبل عن الدماغ في عرف المجردين وعن القوى فيه وبالجن الشياطين تارة وبالملائكة اخرى ولما كانت للانبياء والاولياء قد يشاهدون الامور المجردة والمعاني المعقولة كالملائكة والجن والشياطين في صور محسوسة بشرا سويا من القوة المتخيلة كما علمت في المقدمات وكما سنشير اليه عن قرب احتمل ان يقال انه عم راى الشيطان المذكور بصورة محسوسة ذات صدر وقلب وانه عم لما كان في مقام العصمة وملكه على الشيطان وقهره وابعاده سمع من الجناب الالهي صيحة العذاب ارسلت على الشيطان فسمع لها وجيب قلبه ووجد صدره كما سمعت رنته فيما حكيته في باقي الكلام والله اعلم واما البقية من اهل البغي فمعوية ومن بقي من جند الشام حيث وقعت الحرب بينهم وبينه بمكيدة التحكيم وحكمه عم بانه ان اذن الله سبحانه في الرجوع اليهم ليغلبهم ويكون الدايرة عليهم تفرقهم وتوعدهم عم في قوله ومن بغى عليه لينصرنه الله وقوله عم يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم وقوله ان ينصركم الله بعضهم وامثاله وكنى باذن الله عن توفيقه اسباب العود اليهم وتمامها من التمحيص في الاجل وغيرها واستعمل ما هيهنا بمعنى من لان ما لاسم العام على الخاص ويكون بمعنى الذي وقوله وانا وضعت بكلكل العرب الى اخره شبه على فضيلته في الشجاعة والنجدة لغاية ان يخافه اعداؤه وتقوى به قلوب اوليائه لا على سبيل الفخر المجرد فان ذلك رذيلة قد نهى في الخطبة على النهي عنها واستعار لفظ الكلكل للجماعة من اكابر العرب الذين قتلهم في صدر الاسلام ووجه المشابهة كونهم محل قوة العرب ومقدمهم كما ان الصدر من الحيوان كذلك ومن روى بكلاكل بلفظ الجمع فهو ايضا استعارة لسادتهم واشرافهم ممن قاتلهم وقتلهم ووجه الاستعارة ما ذكرناه و يحتمل ان يكون مجازا من باب اطلاق اسم الجزء على الكل والباء في قوله بكلكل زائدة والمراد بوضعهم اذلالهم واهانتهم يقال وضعه فاتضع اذا غض منه وحط منزلته ويحتمل ان يكون للالصاق اي فعلت بهم الوضع والاهانة وكذلك استعار لفظ القرون لاكابر ربيعة ومضر ممن قاتلهم وقتلهم ووجه الاستعارة كون كل واحد منهم لقبيلته كالقرن يظهر فيها فيصول به ويمنع من عدوها كما ان القرن من الحيوان كذلك واراد بالنواجم من علا منهم وظهر امره وشمخ بذكر الكبر وكنى به عن قتلهم وقتله للاكابر من مضر معلوم في بدر الاسلام فاما القرون من ربيعة فاشارة الى من قتله منهم في وقايع الجمل وصفين ونحوها وحينئذ كما يقف على اسمائهم من يقف على تلك الوقايع وقوله وقد علمتم موضعي الى اخره شرح لتربية الرسول صلعم اياه من اول عمره واعداده بتلك التربية للكمالات النفسانية من العلوم والاخلاق الفاضلة وعد احواله التي هي وجود ذلك الاستعداد واسبابه احدها القرابة واشار بها الى نسبة القريب منه وكانه ابن عمه دنيا اذ ابواهما اخوان لاب وام دون غيرهما من بني عبد المطلب الا الزبير الثانية منزلته الخصيصة به واشار بها الى ما شرحه من فعله صلعم وهو وضعه له في حجره وليدا وسائر ما ذكره وسبب ذلك ما روي عن مجاهد قال كان من نعمة الله على علي عم ما صنع الله له واراد به من الخير ان قريشا اصابتهم ازمة شديدة وكان ابو طالب ذا عيال كثيرة فقال رسول الله صلعم لعمه العباس وكان ايسر بني هاشم يا عباس ان اخاك ابا طالب كثير العيال وقد ترى ما اصاب الناس من هذه الازمة فانطلق بنا نخفف عنه من عياله فلنأخذ واحدا من بنيه وتأخذ واحدا فنكفهم عنه فانطلقا اليه وقالا له فقال ان تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما فاخذ رسول الله صلعم عليا عم واخذ العباس جعفرا فكفلاهما وقد كان ابو طالب كفل رسول الله صلعم دون غيره من اعمامه ورباه في حجره ثم حماه من المشركين في مبدا امره ونصره عند ظهور دعوته وذلك مما يؤكد الاختصاص منزلة علي عم عنده ومن منزلته الخصيصة به ما كانت بينهما من المصاهرة التي افضت الى النسل الاطهر دون غيره من الاصهار وفي معنى يؤكد ذلك كان يمضغ النبي صلعم فيلقمه ما رواه الحسن بن زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام قال سمعت زيدا ابي يقول كان رسول الله صلعم يمضغ اللحمة

او التمرة حتى تلين ويجعلها في فم علي عم وهو صغير في حجره الثالثة انه لم يجد له كذبة في قول ولا خطلة في فعل وذلك لما استعد به من تربيته عم واله وسائر مقدمات الرياضة واعراضها الاستيلاء قوته العاقلة على قوتي شهوته وغضبه وقهر نفسه الامارة التي هي مبدا خطأ الاقوال وخطل الافعال حتى حصلت له عن ذلك ملكة في ترك الرذايل واجتناب المآثم والمعاصي فصار له ذلك خلقا وطبعا واذ لا نعني بالعصمة في حقه عم وفي حق من ادعيت له العصمة من اولاده بعد والا هذه الملكة فليس لاستكبارها في حقهم عم معنى واشار بالملك الذي قرنه الله به الى جبرئيل وهو العقل الفعال في عرف قوم واقترانه به اشارة الى توليه تربية نفسه القدسية بافاضة العلوم ومكارم الاخلاق وسائر الطرق المؤدية الى الله سبحانه من حين صغره صلعم بحسب حسن استعداد مزاجه وقوة عقله الطفولي ثم اشار في ذكره معرض احواله معه الى تربية الملك له صلعم ليعلم انه حصل بتبعيته له على تلك المكارم ومما روي في خبر الملك وعصمته به ما روي عن الباقر محمد بن علي عم انه قال وكل الله بمحمد صلى الله عليه واله ملكا عظيما منذ فصل عن الرضاع يرشده الى الخيرات ومكارم الاخلاق ويصده عن الشر ومساوي الاخلاق وهو الذي كان يناديه السلام عليك يا محمد يا رسول الله وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد فيظن ان ذلك من الحجر والارض فيتامل فلا يرى شيئا وروي انه عم قال ذكر ولدنا ابن سبع سنين وقد بنى ابن جدعان دارا بمكة فجئت مع الغلمان ناخذ التراب والمدر في حجورنا فننقله فملات حجري ترابا فانكشفت عورتي فسمعت نداء من فوق راسي يا محمد ارخ ازارك فجعلت ارفع راسي فلا ارى شيئا الا اني اسمع الصوت فتماسكت ولم ارخه فكان انسانا ضربني على ظهري فخررت لوجهي فانحل ازاري فسترني وسقط التراب الى الارض فقمت الى دار عمي ابي طالب ولم اعد الرابعة اشار الى اتباعه له وملازمته اياه بقوله ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه ووجه الشبه في اتباعه كونه لا ينفك عنه كالفصيل لامه الخامسة اشار الى ثمرة ذلك الاتباع بقوله يرفع لي في كل يوم علما من اخلاقه ويامرني بالاقتداء به واستعار لفظ العلم لكل من اخلاقه باعتبار كونه هاديا الى سبيل الله كما يهدي العلم السادسة انه كان يجاور معه في كل سنة بحراء فيراه دون غيره وروي في الصحاح انه كان يجاور بحراء في كل سنة شهرا وكان يطعم في ذلك الشهر من جاءه من المساكين فاذا قضى جواره وانصرف الى مكة وطاف بها سبعا قبل ان يدخل بيته حتى جاءت السنة التي اكرمه الله فيها بالرسالة فجاء في حراء في شهر رمضان ومعه اهله خديجة وعلي عم وخادم وروى الطبري وغيره ان رسول الله صلعم قبل مبعثه كان اذا حضرت الصلوة يخرج الى شعاب مكة ويخرج معه علي عم مستخفين عن ابي طالب وعن سائر اعمامه وقومه يصليان الصلوة فاذا امسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله ثم ان ابا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان فقال لرسول الله صلعم يا ابن اخي ما هذا الذي اراك تدين به فقال يا عم هذا دين الله ودين ملائكته ورسله ودين ابينا ابراهيم بعثني الله رسولا الى العباد وانت يا عم احق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى واحق من اجابني اليه واعانني عليه فقال ابو طالب يا ابن اخي اني لا استطيع ان افارق ديني ودين ابائي وما كانوا عليه ولكن والله لا يخلص اليك شيء تكرهه ما بقيت وروي انه قال لعلي يا بني ما هذا الذي تدين به فقال يا ابت اني امنت بالله ورسوله وصدقته فيما جاء به وصليت لله معه قال فقال له اما انه لا يدعو الا الى خير فالزمه السابعة اشار الى كونه اول من اسلم من الذكور بقوله لم يجمع بيت واحد الى قوله وانا ثالثهما وقد مضى منه عم مثل ذلك حيث قال كذب على الله وانا اول من امن به وقوله فلا تتبرؤا مني فاني ولدت على الفطرة وسبقت الى الاسلام والهجرة وروي الطبري في تاريخه عن عباد بن عبد الله قال سمعت عليا عم يقول انا عبد الله واخو رسول الله وانا الصديق الاكبر لا يقولها بعدي الا كاذب مفتر صليت قبل الناس لسبع سنين وفي رواية اخرى انا الصديق والفاروق الاول اسلمت قبل اسلام ابي بكر وصليت قبل صلوته لسبع سنين وروي ذلك ايضا من وجوه احدها عن ابن مسعود قال قدمت الى مكة فانتهيت الى العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ عطار جالس الى زمزم ونحن عنده اقبل رجل من باب الصفا عليه ثوبان ابيضان عليه وفرة جعدة الى انصاف اذنيه اشم اقنى ادعج العينين كث اللحية ابلج براق الثنايا ابيض تعلوه حمرة وعلى يمينه غلام مراهق او محتلم حسن الوجه تقفوهم امرأة قد سترت محاسنها فقصدوا نحو الحجر فاستلمه الرجل ثم الغلام ثم المرأة ثم طافوا بالبيت ثم استقبلوا الحجر وقام الغلام الى جانب الرجل والمراة خلفهما فاتوا باركان الصلوة مستوفاة فلما راينا ما لا نعرفه بمكة قلنا للعباس انا لا نعرف هذا الدين فيكم فقال اجل والله فسالناه عن هؤلاء فعرفنا اياهم ثم قال والله ما على وجه الارض احد يدين بهذا الدين الا هؤلاء الثلثة وروى ثعلبة عن عفيف بن قيس الثاني روي عن معقل بن يسار قال كنت عند النبي صلعم فقال لي هل لك ان نعود فاطمة فقلت نعم يا رسول الله فقمنا فدخلنا عليها فقال لها صلعم كيف تجدينك قالت والله لقد طال سقمي واشتد حزني وقال لي النساء زوجك ابوك فقيرا لا مال له فقال لها اما ترضين اني زوجتك اقدم امتي سلما واكثرهم علما وافضلهم حلما قالت بلى رضيت يا رسول الله وروى هذا الخبر عن ابي ايوب الانصاري وعن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام والسدي وابن عباس وجابر بن عبد الله الانصاري واسماء بنت عميس وام ايمن الثالث روي عن ابي رافع قال اتيت ابا ذر بالربذة اودعه فقال لي ستكون فتنة فاتقوا الله

وعليكم بالشيخ علي بن ابي طالب فاتبعوه فاني سمعت رسول الله صلعم يقول له انت اول من امن بي واول من يصافحني يوم القيمة وانت الصديق
الاكبر وانت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل وانت يعسوب المؤمنين الرابع عن ابي ايوب الانصاري ان رسول الله
صلى الله عليه وآله قال لقد صلت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين وذلك انه لم يصل معي رجل فيها غيره واعلم انه ربما اعترض
بعض الجهال فقال ان اسلامه عليه السلم لم يكن معتبرا لكونه كان دون البلوغ فجوابه من وجوه احدها لا نسلم انه كان دون البلوغ
ومستند هذا المنع وجوه احدها ما رواه شداد بن اوس قال سالت خبابا بن الارت عن سن علي يوم اسلم قال اسلم وهو ابن خمس عشرة
سنة وهو يومئذ بالغ مستحكم البلوغ الثاني ما رواه ابو قتادة عن الحسن ان اول من اسلم علي بن ابي طالب وهو ابن خمس عشرة
سنة الثالث ما عن حذيفة بن اليماني قال كنا نعبد الحجارة ونشرب الخمر وعلي من ابناء اربع عشرة سنة يصلي مع رسول الله صلعم
ليلا ونهارا وقريش يومئذ تسافهه ما يذب عنه الا علي الثاني ان المتبادر الى الفهم من اطلاق لفظ المسلم والكافر انما
هو البالغ دون الصبي والمبادرة الى الذهن دليل الحقيقة فالواجب اذن ان يرجع الى اطلاق قولهم اسلم علي فان ذلك يشهد
بكونه بالغا عاقلا لما يفعله خصوصا في البلاد الحارة مثل مكة فان العادة في المزاج الصحيح فيها ان يبلغ صاحبه فيما دون خمس
عشرة سنة وربما احتلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة الثالث وهو الحاسم لمادة الاشكال انه عم اما ان يكون اسلم وهو بالغ او لم يكن
او لم يكن فان كان الاول فقد حصل الغرض وان لم يكن فلا معنى للكفر في حقه اذ كان عم مولودا على الفطرة فمعنى الاسلام في حقه
اذن دخوله في طاعة الله ورسوله والاستسلام لاوامرهما فله اذن الاسلام الفطري والايمان الخالص لوروده على نفس قدسية
لم تدنس بادناس الجاهلية وعبادة الاصنام والاعتقادات الباطلة المضادة للحق التي صارت ملكات في نفس من اسلم بعد
علو السن فكان ايمانه بالله ورسوله واردا على نفس صاف لوحها عن كدر الباطل فهي المستعدة بالحق متمثلة به وكانت غاية اسلام
غيره ان يمحوا على طول الرياضة من نفوسهم الاثار الباطلة وملكات السوء فاين احدهما من الاخر اما انه كان يرى نور الوحي وال
رسالة ويشم ريح النبوة وسماعه رنة الشيطان وعده على مراتب الاولياء واستعار لفظ النور لما يشاهده بعين بصيرته انوار
من اسرار الوحي والرسالة وعلوم التنزيل ودقائق التاويل واشراقها على لوح نفسه القدسية ووجه الاستعارة كون هذه العلوم و
الاسرار بها يهتدى في سبيل الله من ظلمات الجهل كما يهتدى بالنور من الطرق المحسوسة ورشح تلك الاستعارة بذكر الرؤية لان النور بحظ
البصر وكذلك استعار لفظ الريح لما ادركه من مقام النبوة واسرارها ورشح بذكر الشم لان الريح بحظ القوة الشامة واما سماعه رنة
الشيطان فقد علمت كيفية سماع الانسان لصوت الملك والشيطان وكيفية رؤيته لهما وان ذلك باستعانة من النفس بالقوة
المتخيلة في اقتناص المعاني المعقولة وحطها الى لوح الخيال مشاهدة للحس المشترك مسموعة وغيره فقد استلزمت هذه الاشارة انه عم
استعد لسماع صوت الشيطان في حزنه حين ايس من اتباع الخلق له وانقيادهم لامره وهو معنى عبادته اذا اصل العبادة الخضوع
وكيفية ذلك ان نفسه القدسية تستحضر معنى الشيطان مقرونا بمعنى الياس والحزن وتكسوه المتخيلة صورة حزين صارخ و
تحطه الى لوح الخيال فيصير مسموع الرنة ويؤيد ذلك قوله صلعم حين ساله عن ذلك انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك
لست بنبي فانه شهد له في ذلك بالوصول الى مقام سماع الوحي وكلام الملك وصوت الشيطان وسائر ما يراه صلعم ويسمعه لما
قويت عليه نفسه القدسية الا كونه نبيا فان مقام النبوة لا يتحقق للانسان الا بالشرط الذي اشرنا اليه في المقدمات وهو الفرق
بين النبي وغيره من سائر النفوس الكاملة وهو كون الانسان مخاطبا من السماء باصلاح امر ابناء نوعه في معاشهم ومعادهم وذلك
مقام اعلى واكمل من كل مقام يبلغه انسان بقوته وروي عن الصادق عم انه قال كان علي عم يرى مع النبي صلعم قبل الرسالة الضوء ويسمع
الصوت وقال له الرسول صلعم لولا اني خاتم الانبياء لكنت شريكا في النبوة فان لا تكن نبيا فانت وصي نبي ووارثه بل انت سيد
الاوصياء وامام الاتقياء ثم لما نفى عنه مقام النبوة خيره بمقام الوزارة اشارة الى انه الصالح لتدبير احوال الخلق في معاشهم
ومعادهم من وزارته صلى الله عليه وآله وبعده المعين له على ذلك ثم شهد له بانه على خير واشار به الى ما هو عليه من الطريقة
المحمودة واستقامة السيرة في خدمته وتربيته وذلك خير كثير وفي مسند احمد بن حنبل عن علي عم قال كنت مع رسول الله صلعم صبيحة
الليلة التي اسري به فيها وهو بالحجر يصلي فلما قضى صلاته وقضيت صلاتي سمعت رنة شديدة فقلت يا رسول الله ما
هذه الرنة وقال الا تعلم هذه رنة الشيطان علم اني اسري بي الليلة الى السماء فايس من ان يعبد في هذه الارض واما حديث الوزارة
فروي انه لما نزل قوله وانذر عشيرتك الاقربين دعاني رسول الله صلعم وامرني ان اصنع صاعا من طعام واجعل عليه رجل
شاة واملاء له عسا من لبن ففعلت ما امرني به ثم امرني بجمع بني عبد المطلب فجمعتهم يومئذ وهم اربعون رجلا فيهم اعمامه ابو طالب
وحمزة والعباس وابو لهب فلما اجتمعوا دعا بالطعام الذي صنعته فوضعته ثم تناول مضغة من لحم فشقها باسنانه ثم القاها
في نواحي الصحفة وقال كلوا باسم الله فاكلوا حتى ما بهم الى شيء من حاجة والذي نفس محمد بيده ان كان الرجل الواحد منهم لياكل

جواب اعتراض بعض الجهال على اسلامه ع

ما قدمته

ما قدمته لجميعهم ثم قال اسقوا القوم يا علي فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد ليشرب منه مثله
ثم قال لهم يا بني عبد المطلب اني والله ما اعلم شابا في العرب جاء قومه بافضل مما جئتكم به اني قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة وقد امرني الله
ان ادعوكم اليه فايكم يوازرني على هذا الامر على ان يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاحجم القوم عنها جميعا فقلت انا واني لاحدثهم سنا
وارمصهم عينا واعظمهم بطنا واحمشهم ساقا انا يا رسول الله اكون وزيرك عليه فاعاد القول فامسكوا واعدت ما قلت فاخذ برقبتي
ثم قال لهم هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد امرك ان تسمع
لابنك وتطيع واما قصة الشجرة كونه معه حين اتاه الملاء من قريش وسالوه ما سالوا من دعوة الشجرة وتصديقه له في ذلك وايمانه
به وقد علمت فيما سلف ان نفوس الانبياء عليهم السلام لها تصرف في هيولى عالم الكون والفساد فيستعد عن نفوسهم لقبول الامور
الخارقة للعادات الخارجة عن وسع غيرهم من ابناء نوعهم وصورة الحال في سؤالهم وكيفية دعوته صلى الله عليه وآله للشجرة و
اجابتها وتكذيبهم بذلك وتصديقه عم له مستوفى في كلامه وذلك من قوله ولقد كنت الى قوله يعنوني فاما حكمه
صلى الله عليه وآله بانهم لا يفيئون الى خير وان منهم من يطرح في القليب ومنهم من يحزب الاحزاب فمن غيب الله الذي اطلعه
عليه وافاضه له بفعله بحسب استعداد نفسه القدسية والقليب هو قليب بدر ومن طرح فيه كعتبة وشيبة ابني ربيعة وامية
بن عبد شمس وابي جهل والوليد بن المغيرة وغيرهم طرحوا فيه بعد انقضاء الحرب وكان ذلك الخبر من اعلام نبوته صلعم ومن يحزب الاحزاب
هو ابو سفيان وعمرو بن ود وصفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو وغيرهم واما حديث الشجرة فمشهور مستفاض رواه
المحدثون في كتبهم وذكره المتكلمون في معجزاته صلعم ومنهم من روى ذلك مختصرا انه دعا شجرة فاقبلت تخد الارض خدا ونقله
البيهقي في كتاب دلائل النبوة واما نداؤه صلعم للشجرة وقوله لها ان كنت تؤمنين بالله الى قوله باذن الله فقد علمت ان الخطاب مخصوص
في عرف العقلاء لمن يعقل لكنه صلعم لما وجد نفسه القدسية من اعداد الشجرة لما يروم منها وعلم انها واجبة الاستعداد لذلك
القبول لامر الله بما اراد منها خاطبها خطاب من يعقل استعارة ملاحظة لشبهها بمن يعقل في اجابته نداءه وايمانه وفائدة ذلك
الخطاب ان يكون وجود ما رام منها عقيب خطابه اغرب في نفوس الحاضرين وابلغ واعجب فانه اذا كان وقوع تلك الحال بها غريبا
كان كونها على تلك الحال وفق خطابه ودعائه لها اغرب لزيادة ايهام كونها سمعت ذلك النداء وعقلت ذلك الخطاب مع انها
ليس من شانها ذلك واعجب في نفوس السامعين ولذلك خرج هذا عن كونه سفها وعبثا وقال الامام الوبري رحمه الله ونحو ذلك
قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي واعلم ان ذلك على راي الاشعرية ظاهر لان البنية المخصوصة ليست شرطا
في حصول الحيوة وما يكون مشروطا بها من السمع والفهم فلذلك جاز ان يكون الله تعالى خلق في الشجرة علما وسمعا فلذلك
خاطبها عم وقال الامام الوبري الخطاب في الاصل لله تعالى فكانه قال اللهم ان كانت هذه الشجرة من اثارك الشاهدة بوجودك
وانت مرسلي فاجعل ما سالت منها شاهدا على صدق دعواي ولما كانت الشجرة محل ما سال من الله خاطبها لذلك فعلى هذا
يكون مجازا من باب اقامة المسبب مقام السبب قال ويحتمل ان يكون الخطاب في الاصل للملائكة الموكلين بالشجر قوله واني لمن قوم
الى قوله لائم كناية عن بلوغه في طاعة الله الغاية المطلوبة منه فانه عم لم يقف دون غاية منها حتى يلام على النقص فيها وقوله سيماهم
سيما الصديقين الى اخر الصفات فالقوم هم المتقون الذين شانهم له هو ما عن صفتهم والصفات المذكورة بعض صفاتهم و
قد سبقت مستوفاة في خطبة مفردة وذكر منها ههنا عشرا احدها ان علامتهم علامة الصديقين وهم الملازمون للصدق
في اقوالهم وافعالهم طاعة لله تعالى وقد عرفت علاماتهم في خطبة همام الثانية وكذلك كلامهم كلام الابرار من الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر والذكر الدائم المعبود هو الحق الثالث كونهم عمار الليل وكنى بعمارتهم له عن قيامهم فيه بالعبادة روي ان احدهم كان
اذا كسل عن العمل علق نفسه بحبل حتى يصبح عقوبة لها الرابع استعار لفظ المنار لهم بالنهار باعتبار كونهم يهدون الخلق الى
طريق الله كالمنار على الطريق المحسوس وكذلك لفظ الحبل للقران باعتبار كونه سببا للمتعلقين به الى النجاة من ماء
الحيوة الباقية كالعلوم والاخلاق الفاضلة كالحبل الذي هو سبب الارتواء والاستقاء من الماء او باعتبار كونه عصمة لمن تمسك
به صاعدا من دركات الجهل الى اوج درجات العقل كالحبل يصعد فيه من السفل الى العلو ولفظ القران مجرور بالعطف
البيان الخامس وكذلك استعار وصف حيا السنن لهم باعتبار اقامتها والعمل بها السادس عدم الاستكبار والعلو منهم ولما كان
الاستكبار في الانسان رذيلة كان عدمه عنه فضيلة السابع عدم الغلول وهو فضيلة لكون الغلول مستلزما للرذائل كالشره
والخيانة والحرص والدناءة وغيرها وكان عدمه كمالا الثامن كونهم لا يفسدون ولما كان كل فساد مستلزم رذيلة ورذائل
كالزنا لرذيلة الفجور وكالقتل المستلزم لرذيلة الظلم وكذلك سائرها كان عدمه كمالا التاسع كون قلوبهم في الجنان
وذلك انك علمت ان اعلى غرفات الجنان ودرجاتها هو المعارف الالهية والقعود في مقاعد الصدق عند المليك المقتدر

وذلك من مقامات العارفين واولياء الله الصديقين العاشرة كون اجسادهم في العمل قالوا وفي قوله واجسادهم يحتمل ان تكون الحال
اي ان قلوبهم في الجنان ما تكون اجسادهم مستغرقة الحركات والسكنات في الاعمال الصالحات اولئك الذين صدقوا واولئك هم
المفلحون **ومن كلام له عليه السلام** قاله لعبد الله بن العباس وقد جاءه برسالة من عثمن وهو محصور يسأله فيها
الخروج الى ماله بينبع ليقل هتف الناس باسمه للخلافة بعد ان كان سأله مثل ذلك من قبل فقال عليه السلام يا ابن
عباس ما يريد عثمن الا ان يجعلني جملا ناضحا بالغرب اقبل وادبر بعث الي ان اخرج ثم بعث الي ان اقدم ثم هو
الآن يبعث الي ان اخرج والله لقد دفعت عنه حتى خشيت ان اكون آثما **اقول** ينبع قرية صغيرة من اعمال المدينة
وهتف الناس صياحهم ودعاؤهم باسمه والناضح الجمل يستقى عليه والغرب الدلو العظيمة وسبب هذا الكلام ان القوم الذين
حصروه كانوا يكثرون نداءه والصياح به وبتوبيخه على احداثه من تفريق بيت المال على غير مستحقه ووضعه في غيره وسائر
الاحداث التي ذكرنا انها نسبت اليه واستعار لفظ الجمل الناضح ورشح بذكر الغرب واشار الى وجه المشابهة بقوله اقبل وادبر وقوله
بعث الي الى قوله اخرج شرح لكيفية تصريفه في حال حصره وضايقة الناس له وبعثه الى ينبع في امره كما اشرنا اليه من قبل
وقد كان قصده بتلك الرسالة من بين ساير الصحابة لاحد امرين احدهما اعتقاده انه كان اقرب الجماعة والناس له اطوع وان
قلوب الجماعة معه والثاني انه كان يعتقد ان له شركة مع الناس في فعلهم به وكانت بينهما هناة فكان بعثه له من بين الجماعة
متعينا لانهم ان رجعوا بواسطته فهو الغرض وان لم يرجعوا حصلت بعض المقاصد ايضا وهو تأكد ما نسب اليه من المشاركة في دمه
وبقاء ذلك حجة عليه لمن بعده ممن يطلب بدمه حتى كان بسبب هذا الغرض الثاني ما كان من الوقايع بالبصرة وصفين وغيرها
وقوله والله الى آخره يحتمل وجوها احدها ما قال بعض الشارحين اي بالغت في الذب عنه حتى خشيت لكثرة احداثه ان اكون
آثما في الذب عنه والاجتهاد في ذلك والثاني يحتمل ان يريد اني خشيت الاثم في تغريري بنفسي لان دفع الجمع العظيم في هذا الامر
العظيم مظنة الخوف على النفس فيكون الاقدام عليه مظنة اثم الثالث يحتمل انه يريد انه خشي الاثم من الافراط في حقهم كان يضرب
احدهم بسوطه ويغلظ له في القول والشتم وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** اقتص فيه ما كان منه بعد هجرة النبي
صلى الله عليه وآله ثم لحاقه به فجعلت اتبع مأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله فاطأ ذكره حتى انتهيت الى العرج في كلام طويل قال السيد
الرضي رضه قوله فاطأ ذكره من الكلام الذي رمى به الى غاية الايجاز والفصاحة واراد اني كنت اعطى خبره صلى الله عليه وآله من بدء خروجي
الى ان انتهيت الى هذا الموضع فكنى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة **اقول** هذا الفصل من كلام يحكي فيه عليه السلام ما كان جرى من حاله
في خروجه من مكة الى المدينة بعد ان هاجر اليها رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك انه صلى الله عليه وآله لما عزم على الهجرة اعلم عليا عليه السلام بخبره وامره ان
يبيت على فراشه خدعة للمشركين الذين كانوا عزموا على قتله في تلك الليلة وايهاما لهم انه لم يبرح فلا يطلبونه حتى يبعد مسافته عنهم وان
يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عنه الودايع التي كانت عنده للناس فان جماعة من اهل مكة استودعوه ودايع لما رأوا من امانته
وكانوا قد اجمعوا على ان يضربوه باسيافهم من كل جماعة من بطون قريش ضربة ليضيع دمه بين بطون قريش فلا يطلبه بنو عبد
مناف وكان ممن اجمع على ذلك النضر بن الحرث من بني عبد الدار وابو البختري بن هشام وحكيم بن حزام وزمعة بن الاسود بن عبد
المطلب الثلثة من بني اسد بن عبد العزى وابو جهل بن هشام واخوه الحرث وخالد بن الوليد بن المغيرة والثلثة من بني مخزوم ونبيه
ومنبه ابنا الحجاج وعمرو بن العاص والثلثة من بني سهم وامية بن خلف واخوه ابي من بني جمح فنماهم الخبر من الليل الى عتبة بن
ربيعة فلقي قوما منهم ونهاهم عن ذلك فقال ان بني عبد مناف لا تسكت عن دمه ولكن صفدوه في الحديد واحبسوه في دار من
دوركم وتربصوا به ان يصيبه من الموت ما اصاب امثاله من الشعراء وكان عتبة بن ربيعة سيد بني عبد شمس فاحجم ابو جهل واصحابه
تلك الليلة عن قتله احجاما ثم تسوروا عليه وهم يظنونه في الدار فرأوا انسانا مسجى بالبرد الحضرمي فلم يشكوا انه هو فكانوا يهمون
بقتله ثم يحجمون لما يريد الله من سلامة علي عليه السلام ثم قال بعضهم لبعض ارموه بالحجارة فرموه فجعل علي يتضور منها ويتأوه تأوها خفيا
ولا يعلمهم بحاله خوفا على رسول الله صلى الله عليه وآله ان يطلب ويدرك فلم يزالوا كذلك حتى اصبحوا فوجدوه عليا ثم تخلف عنه عليه السلام بمكة ثلثا
لقضاء ما امره به ثم لحق به فجاء الى المدينة راجلا قد تورمت قدماه وصادف رسول الله صلى الله عليه وآله نازلا بقبا على كلثوم بن الهدم
فنزل معه في منزله ثم خرج معه من قبا حتى نزلا بالمدينة على ابي ايوب الانصاري وقوله عليه السلام فجعلت اتبع مأخذ رسول الله اي الجهة
والطريق التي اخذ فيها وسار حتى انتهيت الى الموضع المعروف بالعرج وقوله فاطأ ذكره استعار وصف الوطء لوقوع ذهنه على ذكره صلى الله عليه وآله
بين الناس في تلك الطريق كوقوع القدم على الارض ووجه المشابهة ان الذكر عنه صلى الله عليه وآله وذكره طريق الحركات قدم عقله الى معرفة
حيث كان المحسوس طريق الحركات قدمه الى الوصول اليه وقيل اراد بذكره ما ذكره له من صفة حال الطريق والاول ابين
للفهم وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** فاعملوا وانتم في نفس البقاء والصحف منشورة والتوبة مبسوطة والمدبر يدعى

والمسيء

والمسيء يرجى قبل ان يخمد العمل وينقطع المهل وينقضي المدة ويسد باب التوبة وتصعد الملائكة فاخذ امرء من نفسه لنفسه واخذ
من حي لميت ومن فان لباق ومن ذاهب لدايم امرء خاف الله وهو معمر الى اجله ومنظور الى عمله امرء الجم نفسه بلجامها وزمها
بزمامها فامسكها بلجامها عن معاصي الله وقادها بزمامها الى طاعة الله **اقول** يقال فلان في نفس من امره اي في سعة
والفصل في غاية الفصاحة وقد امرهم بالعمل حال ما هم في مهلة على الاحوال التي اشار اليها احدها كونهم في نفس البقاء و
سعته فان الموت مستلزم لانقطاع العمل وعدم امكانه الثاني كون الصحف منشورة اي صحف الاعمال فانها انما تطوى بانقطاع
الاعمال بالموت وقد عرفت وجه الاشارة الى الصحف ونشرها الثالث كون التوبة مبسوطة واستعار لفظ البسط ملاحظة لشبهها
بالبساط في كونها ممدودة القبول غير ممنوع منها فمن اراد ان يطأها كالبساط وانما تطوى بالموت كما قال تعالى وليست
التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار الرابع على حال كون
المدبر يدعى اي حال كون المدبر عن طاعة الله المعرض عنها يدعى اليها من الانبياء والرسل والنواميس الشرعية وذلك منقطع
بالموت الخامس حال كون المسيء يرجى اي يرجى صلاحه وعوده وذلك حال البقاء في الدنيا ولما ذكر هذه الاحوال للترغيب في العمل
عليها والتذكير بكونها الا يمكن معها العمل اردفها باحوال يمتنع معها العمل تنفيرا عنها وهي جمود العمل واستعار لفظ الجمود لوقوفه ملاحظة
لشبهه بالماء في جموده عن الجريان وكذلك انقطاع المهل وانقضاء المدة اي مدة البقاء وسد ابواب التوبة ولفظ الابواب مستعار للطرق
الاعتبارية التي يرجع منها الى الله تعالى وكذلك الملائكة اي الكرام الكاتبين فان الملائكة الموكلين بضبط اعمال كل شخص يصعدون
الى السماء بعد بطلان الاعمال وقوله فاخذ امرء من نفسه امر في صورة الخبر اي فليأخذ امرء من نفسه اي بعض نفسه بالاجتهاد والنصب
في العبادة فانها تهزل البدن وياخذان من لحمه لانها وشحمها فانها البدنية ويجوز ان يريد بالنفس هنا الشخص والاخذ
منه ظ وقوله لنفسه اي ليكون ذلك كمالا لنفسه وذخرا لها في معادها وقوله فاخذ من حي لميت الى قوله امرء الجم في صورة الخبر
وفاعل اخذ هو قوله امرء والحي والميت هو المرء نفسه اي فليأخذ امرء من نفسه باعتبار ما هو حي لنفسه باعتبار ما يصير اليه من حال
الموت وقوله من فان لباق اي فليأخذ من الامر الفاني وهي دنياه ومتاعها للامر الباقي وهو النعيم الباقي الابدي في الآخرة ومعنى ذلك الاخذ
ان الانسان يكتسب من الدنيا ومتاعها الفاني كمالا باقيا يوصل الى نعيم دايم وذلك بالصدقات والزكوات والانفاق في وجوه البر والقربات
وكذلك قوله ومن ذاهب لدايم ثم اخذ في وصف ذلك المرء كالمرسل عنه فقال امرء خاف الله في حال ما هو معمر الى اجله ومنظور الى عمله وتنبيهه
بغاية اجله وكون عمله منظورا اليه لله ومرئي له تخويفا من هجوم الاجل وجذبا الى صالح الاعمال لله تذكيرا لاطلاعه عليها وعلمه بها وقوله
امرء الجم نفسه بدل من امرء الاول واستعار لفظ اللجام للزهد الحقيقي والعفة ووجه المشابهة مانعيته للنفس الامارة من جماحها
في تيه الهوى ومعاصي الله كما يمنع اللجام الدابة عن الجماح ورشح بذكر الالجام وكنى به عن ردع النفس بالزهد واشار الى ذلك الوجه
من المشابهة بقوله فامسكها بلجامها عن معاصي الله وكذلك استعار لفظ الزمام للعبادة باعتبار ما هي قائدة للنفس الامارة بالسوء
الى موافقة النفس المطمئنة في طاعة الله كما قال تعالى وقادها بزمامها اذ علمت ان العبادة انما وضعت لتطويع النفس الامارة للعقل
وانقيادها لحفظ سره والجذب بها خلفه عند توجهه في المعارج القدسية الى حضرة ذي الجلال والاكرام والى ذلك الوجه من
المشابهة اشار بقوله وقادها بزمامها وقد رشح بذكر الزمام والقود وكنى بهما عن ايقاع العبادة وتطويع النفس لها وبالله التوفيق
ومن خطبة له عليه السلام في بيان الحكمين وذم اهل الشام جفاة طغام عبيد اقزام جمعوا من كل اوب وتلقطوا من كل
شوب ممن ينبغي ان يفقه ويؤدب ويعلم ويدرب ويولى عليه ويؤخذ على يديه ليسوا من المهاجرين والانصار ولا الذين تبوءوا
الدار الا وان القوم اختاروا لانفسهم اقرب القوم مما يحبون وانتم اخترتم لانفسكم اقرب القوم مما تكرهون وانما عهدكم بعبد الله
بن قيس بالامس يقول انها فتنة فقطعوا اوتاركم وشيموا سيوفكم فان كان صادقا فقد اخطأ بمسيره غير مستكره وان كان كاذبا
فقد لزمته التهمة فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن عباس وخذوا مهل الايام وحوطوا قواصي الاسلام الا ترون الى
بلادكم تغزى والى صفاتكم ترمى **اقول** الجفاة جمع جاف وهو غليظ الطبع قاسي القلب والطغام اوغاد الناس وارذالهم والاقزام
جمع قزم بفتح الزاي وهو الرذل الدني من الناس ويطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى ويقال جاؤا من كل اوب اي من كل
ناحية والشوب الخلط ويدرب يعود بالعادات الجميلة ويجرب في الامور وتبوءوا الدار نزلوها وشيمت السيف غمدته وصدر هذا الفصل
بذكر مذام اهل الشام تنفيرا عنهم ووصفهم بكونهم عبيدا اما لانهم عبيد الدنيا واهلها او لان منهم عبيدا واللفظ مهمل يصدق
بالبعض والمرفوعات الاربعة الاولى اخبار المبتدأ محذوف اي هم جفاة ومحل قوله جمعوا الرفع صفة الاقزام ويحتمل ان يكون
خبرا خامسا وكذلك قوله ممن ينبغي وقوله ليسوا وقوله يولى عليه ويؤخذ على يديه كناية عن كونهم سفهاء لا يصلحون لان
يلوا امرا ويفوض اليهم بل ينبغي ان يحجر عليهم ويمنعون من التصرف لعنادهم وسفههم وذكر كونهم ليسوا من المهاجرين والانصار

فضعو

في معرض الذم لهم لكون ذلك نقصانا لهم من تلك الجهة بالنسبة الى المهاجرين والانصار وكنى بكونهم لبسوا من الذين تبوءوا الدار والايمان
بالدار مدينة الرسول صلى الله عليه وآله والذين تبوءها هم الانصار من اهلها الذين اسلموا بها قبل هجرة الرسول اليهم بسنتين وابتنوا بها المساجد
واليهم اشار تعالى في كتابه العزيز واثنى عليهم فقال والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم الاية الى قوله
فاولئك هم المفلحون وفي نسخة الرضى ره تبوءوا الدار فقط وفي ساير النسخ والايمان ووصف الايمان بكونه متبوأ لهم مستعارا
ملاحظة لشبهه بالمنزل باعتبار انهم ثبتوا عليه واطمانت قلوبهم به ويحتمل ان يكون نصب الايمان هنا كما في قوله ورأيت
زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا اى لازموا الايمان كما ارادوا القابل ومعتقلا رمحا وقوله الا وان القوم الى قوله تكرهون
والقوم هم اهل الشام والذى اختاروه لانفسهم وكان اقرب القوم مما يحبون هو عمرو بن العاص فانهم اختاروه للحكومة وعبر
عليه من قبلهم وكونه اقرب القوم مما يحبون لكثرة خداعه ونهاية ميله الى معوية وعطائه والذى مما يحبونه مما هو اقرب اليه
هو الانتصار على اهل العراق وصيرورة الامر الى معوية والذى اختاره اهل العراق للحكومة هو ابو موسى الاشعرى وكان اقرب
القوم مما يكرهون من صرف الامر عنهم وكونه اقرب الى ذلك لما لغفلته وبلاهته او لانه كان منحرفا عن على ع وذلك انه كان
في زمن الرسول صلى الله عليه وآله واليا من قبله على زبيد من اعمال اليمن ثم ولاه عمر البصرة لما عزل المغيرة عنها فلما عزله عثمن سكن بالكوفة
فلما كره اهلها سعيد بن العاص دفعوه عنها وولوا ابا موسى وكتبوا الى عثمن يسألونه ان يوليه فاقره على الكوفة فلما قتل عثمن عزله
على ع فلم يزل واجدا لذلك عليه حتى كان منه ما كان في الكوفة وقوله وانما عهدكم بعبد الله الى اخره احتجاج عليهم في اختيارهم
لعبد الله بن قيس وهو ابو موسى الاشعرى للحكومة وصورة الاحتجاج ان ابا موسى كان يقول لكم يا اهل الكوفة عند مسيرى الى اهل
الجمل انما فتنة من الفتن التى وعدنا بها وامرنا باعتزالها فقطعوا اوتاركم واغمدوا سيوفكم فلا تجيبوا اما ان يكون صادقا في ذلك
لزمه الخطابية معناه غير مستكره الى فتنة امرنا بالاعتزال عنها وحضوره صفوف اهل العراق وتكثيره سوادهم وان كان كاذبا فقد
لزمته التهمة وصار ذلك نفاقا كذب به وعلى التقديرين لا ينبغى ان يعتمد عليه في هذا الامر الجليل وانزل وتما يناسب هذا الاحتجاج
ما روى عن سويد بن غفلة قال كنت مع ابى موسى على شاطئ الفرات في خلافة عثمن فروى لى خبرا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله
يقول ان بنى اسرائيل اختلفوا فلم يزل الاختلاف بينهم حتى بعثوا حكمين ضالين ضل وضل من اتبعهما ولا ينفك امر امتى يختلف
حتى يبعثوا حكمين يضلان ويضلان من اتبعهما فقلت له احذر يا ابا موسى ان تكون احدهما قال فخلع قميصه وقال ابرا الى الله
من ذلك كما ابرأ من قميصى هذا فنقول لا يخلو اما ان يكون صادقا في ذلك الخبر او كاذبا فان كان صادقا فقد اخطأ في دخوله
في الحكومة وشهد على نفسه بالضلال والاضلال وان كان كاذبا فقد لزمته التهمة فلا ينبغى ان يعتمد عليه في هذا الامر وقوله
فادفعوا صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن عباس كناية عن جعله مقابلا له في الحكومة دافعا له عما يريد ولما قدح في ابى موسى
اشار الى عدم صلاحيته لهذا الامر كان رأيه ان يبعث الحكم من قبله عبد الله بن عباس فابى قومه عليه وروى بعبارة اخرى انه
قال لهم لما الحوا في بعث ابى موسى وتعيينه حكما ان معوية لم يكن ليختار لهذا الامر احدا هو اوثق برأيه ونظره الا عمرو بن العاص وانه
لا يصلح للقرشى الا قرشى وهذا عبد الله بن عباس فارموه به فان عمرا لا يعقد عقدة الا حلها ولا يبرم امرا الا نقضه ولا ينقض
امرا الا ابرمه فقال الاشعث ومن معه لا والله لا والله لا يحكم فيها مضريان ابدا حتى تقوم الساعة ولكن يكون رجل من مضر
ورجل من اليمن فقال ع انى اخاف ان يخدع يمانيكم فان عمرو بن العاص ليس من الله في شيء فقال الاشعث والله لئن يحكمان ببعض ما نكره
واحدهما من اليمن احب الينا ان يكون ما نحب وهما مضريان فقال ع واذا ابيتم الا ابا موسى فاصنعوا ما شئتم اللهم انى ابرأ
اليك من صنيعهم وقوله وخذوا مهل الايام امرهم باغتنام مهل الايام عنهم وفسحتها عما ينبغى ان يعملوا فيها وبه يردوه في احوالهم على
وفق الاراء الصالحة وكان امرهم بحياطة نواصى الاسلام وهى اطراف العراق والحجاز والجزيرة وما كان في يده ع من البلاد ثم استثار
طباعهم وحمية انفسهم بذلك تنبيها على ان بلادهم تغزى وصفاتهم ترمى وكنى بصفاتهم عن حوزتهم التى استقروا عليها من بلاد
الاسلام واصل الصفاة الحجر الاملس الاسود الاملس لا ينفذ فيها السهم بل تكسره ثم نقول فاشبهها الحوزة في منعها فيقال لا ترمى
صفاتهم ولا تقرع صفاتهم ويكنى به عن بلادهم ومنعتهم وقوتهم فلذلك كنى عن رمى صفاتهم بالطمع فيهم وقصد بلادهم وغزوها
بالكتائب وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** يذكر فيها آل محمد عليهم السلام هم عيش العلم وموت الجهل يخبركم حلمهم عن
علمهم وصمتهم عن حكم منطقهم لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه هم دعائم الاسلام وولائج الاعتصام بهم عاد الحق في نصابه وانزاح الباطل عن
مقامه وانقطع لسانه عن منبته عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية فان رواة العلم كثير ورعاته قليل **اقول**
الولائج جمع وليجة فعيلة بمعنى مفعولة وهى الموضع يعتصم به ويلجأ والانتصاب للاصل وذكر لهم اوصافا احدها عيش العلم اى حيوته
وقد جعل له حيوة ملاحظة لشبهه بالحى في وجوده والانتفاع به ثم اطلق عليهم لفظ الحيوة مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب

٣٠١

الثاني كونهم موت الجهل جعل الجهل موتا استعارة باعتبار عدمه بهم واطلق عليهم لفظه مجازا ايضا كالذى قبله الثالث كونهم
يخبر حلمهم عن علمهم بمواقع الحلم وفى ذلك اشارة الى تلازم فضيلتى الحلم والعلم فيهم فانهم لا يحلمون الا عن علم بمواقع الحلم الرابع كونهم يخبر
صمتهم عن حكم منطقهم اذا تكلموا لان من علم مواقع السكوت وما ينبغى ان يسكت عنه وذلك يستلزم حكمة نفوسهم في منطقهم اذا تكلموا
لان من علم مواقع السكوت وما ينبغى ان يسكت عنه علم مواقع المنطق وما ينبغى ان يسكت عنه ولو لم يعلم ذلك لجاز ان يتكلم بما لا
ينبغى وذلك هو موضع السكوت فلا يكون عالما بمواضع السكوت وقد فرض كذلك هف الخامس كونهم لا يخالفون الحق اى يعلمونه
بروبطريقه ووقوفهم له فلا يتجاوزونه الى رذيلة الافراط ولا يقفون دونه في مقام رذيلة التفريط السادس كونهم لا يختلفون
فيه لعلمهم بحقيقته السابع كونهم دعائم الاسلام واستعار لهم لفظ الدعائم باعتبار حفظهم له بعلمهم وحراسته وقيامه في الوجود بهم
كما يحفظ البيت بالدعائم ويقوم بها الثامن استعار لهم لفظ الولائج باعتبار كونهم مرجعا للخلق يعتصمون بعلمهم وهدايتهم
واتباعهم من الجهل ولواحقه وعذابه في الاخرة كما يعتصم بالوليجة من دخلها التاسع كونهم بانهم عاد الحق الى نصابه اى
بولايتهم وخلافتهم عاد الحق الى اهله وانزاح الباطل عن مقامه وهو اشارة الى ان الاحكام كانت قبله في ايام عثمن جارية على غير
قانون شرعى لما نقل عنه من الاحداث واستيلاء بنى امية في زمانه على بيت مال المسلمين واكلهم له بغير حق كما سبق شرحه فعاد
بولايته ع كل حق الى اهله وهو اصله ومستقره والحق اذا كان في غير اهله فهو الباطل ومقامه غير اهله وبولايته ع انزاح الباطل
عن مقامه وانقطع لسانه اى لسان الناصر للباطل او الباطل نفسه واستعار وصف الانقطاع له باعتبار سكونه ملاحظة لشبهه
بالمنقطع في عدم القول ورشح بقوله عن منبته تاكيدا لذلك الانقطاع العاشر كونهم عقلوا الدين دراية ورعاية لا عقل سماع
ورواية وذلك انك علمت ان للادراك مراتب ادناها تصور الشىء بحسب اسمه واعلاها تصور الشىء بحسب حقيقته وكنهه واسمها
تعقله بحسب صفاته ولوازمه الخاصة به وبجامع بعض لواحقه فكان عقلهم للدين وعلمهم به على اكمل المراتب وهو معنى الرعاية ورعايتهم
له مراعاته وتذكره والاحتياط عليه وليس علمهم به من حيث اسمه وسماع الفاظه فقط وقوله فان رواة العلم كثير الى اخره اى ليس كل
من روى العلم وسمعه كان عالما به ومراعيا له فان ذلك اعم من العالم به والعام لا يستلزم الخاص وتنبه بذلك على قلة مثلهم في رعاية
العلم واستجماع الفضايل وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** يحث فيه اصحابه على الجهاد والله مستاديكم شكره ومورثكم
امره وممهلكم في مضمار محدود لتتنازعوا سبقه فشدوا عقد المازر واطووا فضول الخواصر لا تجتمع عزيمة ووليمة ما
انقض النوم لعزائم اليوم وامحى الظلم لتذاكير الهمم **اقول** المضمار المدة التى تضمر فيها الخيل قبل ان تعد وهى اربعون يوما وقد تبق
بيانه والتنازع التجاذب في الخصومة والمازر جمع مئزر والفضل الزيادة من مضاعفه والحث على الاستعداد ليوم لقاء
وقوله والله مستاديكم شكره على نعمه وذلك في اوامر القران كثير كقوله تعالى واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون واشكروا لى ولا تكفرون
ومورثكم امره اى سلطانه في الارض الذى كان فيمن سلف من اهل طاعته من الامم السابقة كقوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الاية وقوله واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم الاية وقوله وممهلكم
الى قوله سبقه استعار لفظ المضمار لمدة الحيوة الدنيا ووجه المشابهة ان الناس يستعدون في مدة حيوتهم بالرياضات والمجاهدة
في سبيل الله وتحصيل الكمالات النفسانية لغاية السبق الى حضرة جلال الله كما تضمر الخيل لغاية السبق واشار الى علمه بذلك الامهال
وهى تنازع السبق اليه تعالى وارادته بما يعرض للسالكين في حال عداتهم لانفسهم بالرياضات وجدهم وتشميرهم في طاعة الله من
منافسة بعضهم لبعض في التقدم بالفضيلة والسبق بذلك وحرص كل امرئ منهم ان يكون هو الاكمل ليفوز بقصب السبق الى حضرة
قدسه تعالى والمنافسة في الفضايل والغبطة بها محمودة لاداتها بالغابط الى كماله وذلك هو افضى مطلوب التنازع من امته ويحتمل
ان يريد بالسبق ما يستبق اليه من الفضيلة او الجنة كما سبقت الاشارة الى مثل ذلك ولفظ التنازع ترشيح لاستعارة المضمار والسباق
لان من شان ذلك التنازع على السبق والمجاذبة على الفوز بالسبقة وخلاصة المعنى انه تعالى امهلكم في الدنيا للاستعداد فيها وتجاذب
السبق اليه وقوله فشدوا عقد المازر كناية عن الامر بالتشمير والاجتهاد في طاعة الله والاستعداد بها بعد ان بين ان ذلك الغاية
من الامهال في الدنيا اذ كان من شان من يهتم بالامر ويحزنه وينازع فيه ان يشد عقدة مئزره كيلا يشغله عما هو بصدده وقوله واطووا
فضول الخواصر كناية عن الامر بترك ما يفضل من متاع الدنيا على قدر الحاجة من الوان الطعوم والملابس وساير قينات الدنيا واصله ان
الخواصر والبطون لما كان ان يتسع لما فوق قدر الحاجة من الماكول فذلك القدر المتسع لما فوق الحاجة هو فضول الخواصر وكنى بطيها
عما ذكرناه من لوازم ذلك الطى من ترك تلك الفضول وقوله لا تجتمع عزيمة ووليمة اراد بالعزيمة العزم على اقتناء الفضايل واكتسابها والعزم
هى الارادة الجازمة للامر بعد اختياره وكنى بالوليمة وهى طعام العرس ونحوه عن خفض العيش والدعة لاستلزام الوليمة ذلك والمعنى
ان العزيمة على تحصيل المطالب الشريفة وكرايم الامور ينافى الدعة وخفض العيش ولا يحصل مع الهوينا لما يستلزم تحصيل تلك

المطالب والعزم عليها من المشاق واتعاب النفس وكذا البدن بالرياضات والمجاهدات المنافية للدعة والراحة ويقرب منه قولهم لن تنالوا حتى تنفقوا مما تحبون ثم اكد ذلك بقوله ما انقض النوم لعزائم اليوم له ان الانسان يعزم في النهار على المسير بالليل ليقرب المنزل فاذا جاء الليل نام الى الصباح فانتقض بذلك عزمه فضربه مثلا لمن يعزم على تحصيل الامور الكبار والسعي فيها ثم يلزمه الاناه والدعة وترك ذلك انكم مع هذه الدعة وحب الراحة من المتاعب والجهاد لا يتم لكم ما تريدونه وتعزمون عليه من تحصيل السعادة في دنيا واخرة وكذلك قوله وامحا الظلم لتذاكر الهمم واصله ان الرجل يبعثه همته في مطالبه على المسير بالليل فاذا جن الظلام ادركه الكسل وغلب عليه النوم عن تذكار مطالبه وصرفه عنها فكان الظلام سببا ما يمحو ايضا تذكار من نوع الذكر فضربه مثلا لمن يدعوه داعي الى امر ويهتم به ثم يعرض له ذا امر فيصرف همه عنه وهو كالذي قبله وبالله التوفيق وهذا اخر الخطب والاوامر ويتلوه المختار من الكتب والرسائل انشاء الله نعم نعوذ بعصمته وتوفيقه وهذا **باب المختار** من كتب امير المؤمنين ع ورسائله الى اعدائه وامراء بلاده ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده الى عماله ووصاياه لاهله واصحابه **ومن كتاب له عليه السلم** الى اهل الكوفه عند مسيره من المدينة الى البصره من عبد الله علي امير المؤمنين الى اهل الكوفة جبهة الانصار وسنام العرب اما بعد فاني اخبركم عن امر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه ان الناس طعنوا عليه فكنت رجلا من المهاجرين اكثر استعتابه واقل عتابه وكان طلحة والزبير اهون سيرهما فيه الوجيف وارفق حدائهما العنيف وكان من عائشة فيه فلتة غضب فاتيح له قوم فقتلوه وبايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين بل طائعين مخيرين واعلموا ان دار الهجرة قد قلعت باهلها وقلعوا بها وجاشت جيش المرجل وقامت الفتنة على القطب فاسرعوا الى اميركم وبادروا جهاد عدوكم ان شاء الله عز وجل **اقول** كتب هذا الكتاب حين نزل بماء العذيب متوجها الى البصره وبعثه مع الحسن ع وعمار بن ياسر رضه وعباده رؤيته والوجيف ضرب من السير فيه سرعة واضطراب والعنف ضد الرفق والفلته البغته من غير تروّ واتيح قدّر وقلع المنزل باهله اذا نبا بهم فلم يصلح لاستيطانهم وقلعوا به اذا لم يستقروا فيه ولم يثبتوا وجاشت غلت والمرجل القدر من نحاس واعلم انه صدّر الفصل بمدحهم جذبا لهم الى ما يريد هم له من نصرته على اهل البصره واستعار لهم لفظ الجبهة باعتبار انهم بالنسبة الى الانصار كالجبهة بالنسبة الى الوجه في العزة والشرف والعلو وكذا استعار لفظ السنام باعتبار علوهم وشرفهم في العرب بالاسلام والقوة كما ان السنام وعلوه في الجمل وقال قطب الدين الراوندي المراد بجبهة الانصار جماعتهم وسنام العرب خيارهم ومن ارتفع منهم حقيقة في الموضعين والمعنى قريب مما قلناه الا ان اللفظين ليسا حقيقة لان من علامات الحقيقة السبق الى الفهم ولا واحد من المعنيين المذكورين يسبق من هذين اللفظين الى الفهم ثم ثنى بذكر الشبهة التي جعلها اصحاب الجمل واهل الشام ومن اراد الفساد في الارض حجة له حتى كانت مبدأ لكل فتنة نشأت في الاسلام وهي شبهة قتل عثمان مع الجواب عنها وهو قوله اما بعد الى قوله عيانه وامر عثمان شأنه وحاله التي جرت له وقوله حتى يكون سمعه كعيانه كناية عن تمام ايضاح ذلك الامر لمن لم يشهده من اهل الكوفة وقوله ان الناس طعنوا عليه اشارة الى مبدأ قتله وهو طعن الناس عليه بالاحداث التي نقموها منه يقال طعن فيه بالقول وطعن عليه اذا ذكر له عيبا وقد ذكرنا تلك المطاعن وهذا القول كالمقدمة للجواب عن نسبته الى قتله وكذلك قوله فكنت رجلا الى قوله عتابه كصغرى قياس ضمير من الشكل الاول مبين فيه انه ابرء الناس من دم عثمان ومعنى قوله اكثر استعتابه اي اكثر طلب العتبى منه والرجوع الى ما يرضى به القوم منه واقل عتابه اي ذكرما اجده منه قال الخليل العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة وانما كان يقل عتابه لانه ع كان يخاطبه فيما هو اهم من ذلك وهو ارضائه للقوم واستعتابه لهم ليدفعوا عنه ويطفؤا نار الفتنة اولان حوله جماعة كمروان وغيره فكانه ع اذا عاتبه وصف ما فيها كدر تلك الجماعة وقيل اراداني كنت اكثر طلب رضاه واقل لائمته وتقدير كبرى القياس وكل من كان من المهاجرين بالصفة المذكورة معه فهو ابرء الناس من دمه والنوائم عنه والى البعد عن قتله وقوله وكان طلحة والزبير الى قوله عضب كصغرى قياس ضميره ايضا من الاول الزم فيه القوم السائرين الى حربه وهم طلحة والزبير وعائشة عن ما نسبوه اليه من الدخول في دم عثمان وكني بقوله اهون سيرهما فيه الوجيف الى قوله العنيف عن قوة سعيهما في قتله وشدة تلبسهما بذلك وقد ذكرنا طرفا من حال طلحة معه وجمعه للناس في داره ومنعه من ذويه وروي ان عثمان قال وهو محصور ويلي على ابن الحضرمية يعني طلحة اعطيته كذا وكذا نهارا ذهبا وهو يروم دمي ويحرض على اللهم لا تمتعه به ولقه عواقب بغيه وروي انه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحة الى دار بعض الانصار واصعدهم الى سطحها وتسوّروا منها عليه وروي ان مروان قال يوم الجمل والله لا اترك ثاري من طلحة وانا اراه ولاقتلنه بعثمان ثم رماه بسهم فقتله واما الزبير فروي انه كان يقول اقتلوه فقد بدّل دينكم فقالوا له ابنك يحامي عنه بالباب فقال والله ما اكره ان يقتل عثمان ولو بدئ بابني و حالهما في التحريض مشهور واما عائشة فروي انها كانت تقول اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا واما الغضب الذي وقع منها فلتة في حقه فالسبب الظاهر فيه هو انتقاصه من بيت مال المسلمين من ابتزويه بنيه وهو السبب العام في قيام الناس عليه ونقمتهم منه وسائر الاحداث المنقولات له لك وروي انه صعد المنبر يوما وقد غص المسجد باهله فدلت بيدها من وراء سترها نعلا وقميصا وقالت هذان نعل رسول الله

دقيقه

ونصيحه بعد لم ينبل وقد بدل دينه وغيّر سنته واغاظت له فاغلظ لها وكان ذلك القول منها من اشد التحريض للناس على قتله والجملة حال هؤلاء الثلثة في التحريض على قتله كان اشهر من ان يحتاج الى ذكر وتقدير كبرى القياس وكل من كان كذلك كان اولى بالدخول في دمه وان ينسب الى التحريض عليه وقوله فاتيح له قوم فقتلوه يفهم منه نسبته لا جتماع الناس على قتله الى التقدير الالهي ليتصرف اذهان السامعين بهذه النسبة الصادقة عن نسبته ذلك اليه ع وافاد القطب الراوندي انه ع انه انما بني الفعل للمفعول ولم يقل اتاح الله له او اتاح الشيطان ليرضى بذلك الفريقان وقوله وبايعني الى قوله مخيرين صغرى قياس ضمير من وجوب خروج اصحاب الجمل عن طاعة الله ودخولهم في رذيلة الغدر ونكث العهد المستلزم لدخولهم في عموم قوله تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض الاية وقوله فمن نكث فانما ينكث على نفسه الاية وتقدير الكبرى وكل من بايعه الناس طائعين مخيرين فلا يجوز لهم ان ينكثوا بيعته ويحاربوه تلا بين المذكورين وفي نسخة الرضي ره مستكرهين بكسر الراء بمعنى كارهين يقال استكرهت الشيء اي كرهته وقوله واعلموا الى قوله المرجل اعلام لاهل الكوفة باضطراب حال المدينة واهلها حين علموا بمسير القوم الى البصرة للفتنة وغرض ذلك الاعلام ان يهتموا بهذا الامر وينهضوا لنصرة امير المؤمنين وقيل يحتمل ان يريد بدار الهجرة دار الاسلام وبلاده وكني بقلعها باهلها وقلعهم بها عن اضطراب امورهم بها وعدم استقرارهم من ثوران هذه الفتنة واستعار لفظ الجيش ملاحظة لشبهها بالقدر في حال غليانها فان اضطراب الناس وحركاتهم من هذه الفتنة يشبه ذلك وكذلك يشبههم بذكر الفتنة والحرب وقيامها على قطبها ليستعد والها وينفروا اليها ولذلك ردفه بالامر بالمسير الى اميرهم يعني نفسه وان يبادروا لجهاد عدوهم وذكر لفظ القطب وقيامها عليه تشبيها على المقصود وعلمنا ان وجه استعارة الرحى للحرب هو مشابهتها في دورانها على من فيه وعليه كما يشتمل دوران الرحى على الحب المطحونة وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** اليهم بعد فتح البصرة وجزاكم الله من اهل مصر عن اهل بيت نبيكم احسن ما يجزي العاملين بطاعته والشاكرين لنعمته فقد سمعتم واطعتم ودعيتم فاجبتم **اقول** لشبهه ان يكون الخطاب لاهل الكوفة ومن ههنا لبيان الجنس من الضمير المنصوب في جزاكم وقد دعا الله لهم ان يجزيهم عن نصرة اهل بيت نبيه احسن الجزاء وشكرهم لتضمنه من جهة علمهم بطاعته وقوله فقد سمعتم اي امر الله واطعتموه ودعيتم الى نصرة دينه فاجبتم داعيه وانما حذف المفعولات هنا لان الغرض ذكر الافعال دون نسبتها الى مفعولاتها اوللعلم بها **ومن كتاب له عليه السلم** كتبه لشريح بن الحارث قاضيه روي ان شريح بن الحارث قاضي امير المؤمنين عليه الصلوة والسلم اشترى على عهده دارا بثمانين دينارا فبلغه عليه السلم ذلك فاستدعاه وقال له بلغني انك ابتعت دارا بثمانين دينارا وكتبت كتابا واشهدت فيه شهودا فقال شريح قد كان ذلك يا امير المؤمنين قال فنظر عليه السلم اليه نظر مغضب ثم قال له يا شريح اما انه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسئل عن بينتك حتى يخرجك منها شاخصا ويسلمك الى قبرك خالصا فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك او نقدت الثمن من غير حلالك فاذا انت قد خسرت دار الدنيا ودار الاخرة اما انك لو كنت اتيتني عند شرائك ما اشتريت لكتبت لك كتابا على هذه النسخة فلم ترغب في شراء هذه الدار بدرهم فما فوقه والنسخة هذه بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى عبد ذليل من ميت قد ازعج للرحيل اشترى منه دارا من دار الغرور من جانب الفانين وخطة الهالكين وتجمع هذه الدار حدود اربعة الحد الاول ينتهي الى دواعي الافات والحد الثاني ينتهي الى دواعي المصيبات والحد الثالث ينتهي الى الهوى المردي والحد الرابع ينتهي الى الشيطان المغوي وفيه يشرع باب هذه الدار اشترى هذا المغتر بالامل من هذا المزعج بالاجل هذه الدار بالخروج من عز القناعة والدخول في ذل الطلب والضراعة فما ادرك هذا المشتري فيما اشترى من درك فعلى مبلبل اجسام الملوك وسالب نفوس الجبابرة ومزيل ملك الفراعنة مثل كسرى وقيصر وتبع وحمير ومن جمع المال على المال فاكثر ومن بنى وشيد وزخرف ونجد وادخر واعتقد ونظر بزعمه للولد اشخاصهم جميعا الى موقف العرض والحساب وموضع الثواب والعقاب اذا وقع الامر بفصل القضاء وخسر هنالك المبطلون شهد على ذلك العقل اذا خرج من اسر الهوى وسلم من علائق الدنيا **اقول** هو شريح بن الحارث الكندي استقضاه عمر على الكوفة ولم يزل بها بعد ذلك قاضيا خمسا وسبعين سنة لم يتعطل فيها الا سنين وقيل اربع سنين استعفى الحجاج فيها من القضاء في فتنة ابن الزبير فاعفاه والبينة الحجة وشخص من البلد رحل عنها والخطة بالكسر الارض يختطها الرجل ويعلمها بخط ليبني بها دارا ومنه خطط الكوفة والبصرة والمردي المهلك والضراعة مصدر قولك ضرع فلان اي ذل وخضع والدرك التبعة واصل البلبلة الاضطراب والاختلاط وافساد الشيء بحيث يخرج عن حد الانتفاع وكسرى لقب ملك الفرس كاسم الحبش لكل ملك منهم وكذلك قيصر لملك الروم وتبع ملوك اليمن وحمير ابو قبيلة من اليمن وهو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وشيد رفع البناء وزخرف زين البناء بالزخرف ونجد زين

اعقد والتجديد للتزين بالفرش والبسط ونحوها واعتقد المال والضيعة انشاءها وغرض الفصل التنفير عن متاع الدنيا وعن الركون الى فضولها وبدا مثل توبيخ باستثبات الامر منه بقوله بلغني الى قوله شهودا وكانه في قول شريح قد كان ذلك تام ثم اخذ في تنفيره عن محبته هذه الدار وفنائها بتذكيره الموت وعدم بانيانه وانه يخرجه منها ويخصه فيسلمه الى قبره خالصا مجردا من تلك الدار وعن كل شيء اقتناها من الدنيا ثم خوفه من دخيلة ثمنها وان يكون فيه شائبة حرام ولذلك شاعلى الاحكام بما يستلزم ذلك من خسران الدنيا بالموت وخسران الاخرة وغبنها باعتبار ما يلزمه من الاثام باكل الحرام وابتعته واشتريته بمعنى وروى اما مخففة فان قلت فكيف قال فما فوقه ومعلوم انه لم يرغب فيها بدرهم فبالاولى ان لا يرغب فيها بما فوقه قلت لما كان الدرهم هنا اقل ما يحسن التملك به في القلة وكان الغرض انك لو اتيتني عند شرائك هذه الدار لما شريتها بشيء اصلا لم يحسن ان يذكر وراء الدرهم الا ما فوقه ونحوه قول المتنبي ومن جسدي لم يترك السقم شعرة فما فوقها الا وفيها له فعل وكان قياسه ان يقول فما دونها واعلم ان في التسخة نكتا احدها انه احضر للمشتري بصفة العبودية وللذليل لكسر ما عساه يعرض لنفسه من العجب والفخر بشراء هذه الدار الثاني اطلاق لفظ الميت على من سيموت يعني البائع مجازا اطلاقا لما بالفعل على ما بالقوة وتنزيلا للمقتضى منزلة الواقع لغرض التحذير من الموت و ازعاجه للرحيل الى الاخرة اما ترشيح للاستعارة او اشارة الى بقائه وتنبيهه بالاعراض والامراض وكل منذر له من العبر الثالث كنى بدار الغرور عن الدنيا باعتبار غرور الخلق بها وغفلتهم عما فيها عما وراءها وقوله من جانب الفانين اخص من دار الغرور وكل خطة الهالكين اخص من جانب الفانين على ما جرت العادة به في كتب البيع من الابتداء بالاعم والانتهاء في تخصيص المبيع الى امور بعينه وان لم يكن هنا غرض في ذكر التخصيص في ذكر الفانين والهالكين والتذكير بحالهم وان هذه الدار من جانب كانوا يسكنونه وخطة كانت لهم الرابع اشار الى حدودها الاربعة وجعلها كناية عما يلزمها من الامور المنفرة عنها وينتهي اليه منها فجعل الحد الاول ينتهي الى دواعي الافات واشار بها الى ان تلك الدار لما كانت يلزمها كالات لابد منها وعلامات كالمرأة والخادم والدابة وما يلزم اولئك ويكون بسببهم من الاولاد والاتباع والقينات وسائر فضول الدنيا التي يبعد بعضها الحاجة الى بعض حتى يكون اغنى الناس فيها اكثرهم حاجة وتفرقا وكان كل واحد من هذه الامور في معرض الافات كالامراض والموت كانت تلك الامور هي دواعي الافات التي تعود اليها وتستلزمها وهي مما ينتهي اليه الدار وتستلزمه وانما جعله حدا اول لانها اول اللوازم التي تحتاج اليها الدار وتعود اليها والحد الثاني ما ينتهي اليه ويلزمها من دواعي المصيبات واشار بها الى الامور الاولى التي تحتاج الدار اليها وتستلزمها لكن باعتبار كونها مستلزمة لما يعرض لها من الافات لما يلحق بسبب تلك من المصيبات فان كل واحد منها لما كان في معرض الافة كان المقتني له في معرض نزول المصيبات به وكان داعيا له وقائدا اليها ولاستلزام دواعي الافات لدواعي المصيبات اردفها بها وجعلها حدا ثانيا ويحتمل ان يكون تسميتها في الموضعين دواعي باعتبار ان شهواتها تدعو الى فعلها وايجادها وان الايجاد يلزمه الافات والمصيبات والحد الثالث ما ينتهي اليه ويلزمها الهوى المردي واتباعه لكان اقتناء الدار في الدنيا مستلزما لمحبتها ومحبة كمالاتها ومتابعة الميول الشهوية بغير هدى من الله وهو المراد بالهوى وكونه مرديا في حضيض جهنم ومهلكا فيها وجعل الهوى هو الحد الثالث لكون تلك الدار وكمالاتها وما تدعو اليه كلها امورا مستلزمة للهوى والميول الطبيعية المهلكة التي لا تزال يتاكد بعضها بالبعض ويدعو بعضها الى البعض والحد الرابع ما ينتهي به الى الشيطان المغوي وانما جعله هو الحد الاخير لانه الحد الاخير لا بعد الذي ينتهي اليه تلك الحدود والدواعي وهو بعد الحد الثالث اذ كان الشيطان من حيث العوامر مبدأ الميل النفس الى الدنيا ولعبها على متابعة هواها واغواؤه يعود الى القائه الى النفس ان لا صلاح لها كاماهو جاذب عن سبيل الله واشار بقوله ومنه شروع باب هذه الدار الى كونه مبدأ باغوائه الدواعي الباعثة له المستلزمة للدخول في شرائها واقتنائها واقتناء ما يستلزم ويدعو اليه والدخول في متاع الدنيا وباطلها فالشيطان كالحد وما صلى عنه ونفخ بسببه من الدخول في امر الدار وشرائها كالباب فانظر الى ما اشتمل عليه هذه الترشيح في كلامه عليه السلام من الحكمة التي بها يتميز عن كلام من سواه وهو في غاية التنفير عن الدنيا وسد ابواب طلبها والحث الى الله تعالى والارشاد الى لزوم الزهد الحقيقي الخامس وصف المشتري بالمغتر بالامل باعتبار نظره الى امله في الدنيا هو الذي استلزم غفلته عن الاخرة وما خلق لاجله وكان ذلك الاغترار سببا لشرائه لتلك الدار وجعل الثمن هو الخروج عن عز القناعة والدخول في ذل الطلب والضراعة باعتبار استلزام شرائه لذلك كما يستلزم الثمن ووجه استلزامه لما ذكران تلك الدار كانت بالنسبة الى حال شريح فضلة زائدة على قدر الحاجة وكل فضل اقتناه الانسان زيادة على قدر ضرورته فقد خرج به عن حد القناعة اذ القناعة هي لزوم الاقتصار على مقدار الحاجة من المال وما يحتاج اليه وعلمت ان القناعة مستلزمة لقلة الاحتياج الى الخلق والغنى عنهم وبحسب الغنى وقلة الحاجة يكون عز القناعة والخارج عن القناعة خارج عن عزها وداخل في ذل الطلب والضراعة للخلق لانه باعتبار ما هو خارج عن القناعة يكون كثير الحاجة الى الخلق وباعتبار ذلك يكون داخلا في الذل والضراعة اليهم وغاية ذلك التنفير عن اقتناء

نعود

فضول الدنيا بما يستلزمه من ذل الحاجة الى الخلق السادسة علق الدرك والتبعة اللازمة في هذا البيع بملك الموت قطعا للامل الدرك وتذكيرا بالموت لغاية العمل والاقتصار على قدر الحاجة من متاع الدنيا وكنى عنه بمبلبل اجسام الملوك وسالب نفوس الجبابرة ومزيل ملك الفراعنة لسلبه نفوسهم وفي تخصيص مثل هؤلاء الملوك بلفظ الموت لهم في معرض تعليق الدرك به تنبيه لهذا المشتري على وجوب تقصير الامل بمثل هذه الدار ونحوه من الامال المتعلقة لمطالب المنقطعة بالموت فانه اذا كان قد قطع امال مثل هؤلاء ولم يدركوا معه شيئا فبالاولى انت ايها القاضي السابعة قوله ونظر بزعمه للولد اي نظر في جمع المال لولده وراه مصلحة له بظنه وزعمه والباء للسببية اذ كان نظره وجوده لراي الاصلح سببا له الثامنة ذكر اشخاصهم ومنتهاه وهو موقف العرض والحساب وموضع الثواب والعقاب ترهيبا من تلك الامور والمقامات وترغيبا في العمل للاخرة والامن من شرورها التاسعة قوله اذا اذا وقع الامر بفصل القضاء اي اذا وقع امر الله في محفل القيمة بفصل القضاء وقطع الحكم بين اهل الحق والباطل منهم وربح المحقون وخسر هنالك المبطلون وهذا الختام مقتبس من القران الكريم العاشرة قوله في الشهادة على ذلك العقل اذا خرج من غاية الشرف وذلك ان الشاهد بما ذكره في هذا الكتاب من اوصاف الدنيا يعين وحدود المبيع ومن يلحقه دركه وغير ذلك مما عدده ليس الا صرف العقل المبرء عن خطر الوسواس المطلق من اسر الهوى السالم من محبة الدنيا وما يتعلق بها فانه ان كان يجرده من هذه العلائق صافيا من كدر الباطل يرى الحق كما هو اهله ويحكم به فاما اذا كان اسيرا في يد الهوى مقهورا تحت سلطان النفس الامارة لم يكن نظره الى الحق بعين صحيحة بل بعين عشت ظلمات الباطل انوارها فلذلك لم يشهد بمحض الحق اذ لم يره من حيث هو حق خالص بل شهد له الباطل في صورة الحق كشهادته بالمصلحة في اقتناء الدنيا نظر العاقبة للولد او خوف الفقر ونحوه مما يباح لاجله الطلب في ظاهر الشرع ولو نظر الى الحق بعين الصدق لعلم ان الجمع للولد ليس تكليفا له لان رزق الولد هو خالقه وان الجمع لخوف الفقر تعجيل فقر واشتغال عن الواجب عليه بغيره وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى بعض امراء جيشه فان عادوا الى ظل الطاعة فذاك الذي نحب وان توافت الامور بالقوم الى الشقاق والعصيان فانهد بمن اطاعك الى من عصاك واستغن بمن انقاد معك عمن تقاعس عنك فان المتكاره مغيبه خير من شهوده وقعوده اغنى من نهوضه **اقول** روي ان الامير الذي كتب اليه هو عثمان بن حنيف عامله على البصرة وذلك حين انتهت اصحاب الجمل اليها وعزموا على الحرب فكتب عثمان اليه عليه السلام يخبره بحالهم فكتب عليه السلام اليه كتابا فيه الفصل المذكور وقوله فانهد اي انهض والتقاعس التاخر والقعود واستعار لفظ الظل لما يستلزمه الطاعة من السلامة والراحة عن حرارة الحرب ومتاعبها التي هي ثمرات الشقاق كما يستلزم الظل الراحة من حر الشمس وقوله وان توافت بهم الامور اي تتابعت بهم المقادير واسباب الشقاق والعصيان اليها واعلم انه لما كان مقصوده عليه السلام الاجتماع الخلق على طاعته ليسلك بهم سبيل الحق كما هو مقصود الشارع عليه السلام نبه على ذلك بقوله فان عادوا الى قوله نحب وقوله يعود الى المصدر الذي دل عليه عادوا وبينهم قوله فذاك الذي نحب حصر محبوبه في عودهم اي لا نحب الا ذلك ولذلك امره بمحاربة العصاة والاستغناء بمن اطاعه عليهم على تقدير مشاقتهم وعصيانهم وعلل تعيين النهوض بالمطيعين دون المتكارهين وبالمنقادين دون المتقاعسين بان المتكاره في تلك مغيبه خير من شهوده وقعوده اغنى من نهوضه وذلك لما يقع بسبب المتكاره من تخاذل الناس عند رؤيته كذلك واقتدائهم بحاله حتى ربما لا يكتفي بعدم منفعته بل يذكر المفاسد في الحرب وما يستلزمه من هلاك المسلمين وكون ذلك منه ونحوه كما وقف بسببه كثير من الصحابة والتابعين عن وقائع الجمل و صفين والنهروان فيكون في حضوره عدم المنفعة ومفسدة هي تخاذل الناس بسببه بخلاف مغيبه اذ ليس فيه الا عدم الانتفاع به ورؤي خير من شهوده وكلاهما مصدر وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام الى الاشعث بن قيس** وهو عامله على اذربيجان وان عملك ليس لك بطعمة ولكنه في عنقك امانة وانت مسترعى لمن فوقك ليس لك ان تفتات في رعيته ولا تخاطر الا بوثيقة وفي يديك مال من مال الله تعالى وانت من خزانه حتى تسلمه الي ولعلي الا اكون شر ولاتك لك والسلام **اقول** روي عن الشعبي ان عليا عليه السلام لما قدم الكوفة وكان الاشعث بن قيس على ثغر اذربيجان من قبل عثمان بن عفان فكتب اليه بالبيعة وطالبه بمال اذربيجان مع زياد بن مرحب الهمداني وصورة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي امير المؤمنين الى الاشعث بن قيس اما بعد فلولا هنات كن منك كنت المقدم في هذا الامر قبل الناس ولعل اخر امرك يحمد اوله وبعضه بعضا ان اتقيت الله انه قد كان من بيعة الناس اياي ما قد بلغك وكان طلحة والزبير اول من بايعني ثم نقضا بيعتي عن غير حدث واخرجا عائشة فساروا بها الى البصرة فصرت اليهم في المهاجرين والانصار فالتقينا فدعوتهم الى ان يرجعوا الى ما خرجوا منه فابوا فابلغت في الدعاء واحسنت في البقية واعلم ان عملك الى اخر الفصل وكتب عبد الله بن ابي رافع في شعبان سنة ست وثلثين والمسترعي من جعله راعيا والطعمة المأكلة والرعية المرعية فعيلة

يعني مقتوله وافتات نفثات بالهمز اذا استبد بالامر والمخاطرة التقدم في الامور العظام والاشراف بها على الهلاك والوثيقة ما يوثق
به في الدين وقوله وان عملك الى قوله بوثيقة اشارة الى قياس ضمير من الشكل الاول بين فيه انه ليس له ان يستبد في رعيته بامر
من الامور دون من استرعاه وكلا ان يخاطر في شيء من امور ولايته من مال وغيره الا بوثيقة ممن ائتمنه على البلاد واسترعاه للعباد
تدل على الصغرى بقوله وان عملك الى قوله لن يوثق وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فليس له ان يستبد بامر دون من ائتمنه و
استرعاه ولا يخاطر الا بوثيقة تخلصه ويثق بها ثم بين له بعض ما لا يجوز له الاستبداد به والمخاطرة فيه وهو مال تلك البلاد
ونبه على وجوب حفظه بامرين احدهما انه مال الله الذي فاءه على عباده المؤمنين والثاني انه من خزانه عليه الى غاية ان يحمله اليه
ومن شان الخازن الحفظ وعدم التصرف فيما يخزنه الا باذن وامر يوثق به وقد كان الاشعث عاملا على عثمان حين ولي
الامر وجازما بانه لا يبعد ان يعمل فيه بما سبقت منه في الدين وفي حقه فذا اشرنا الى بعضها فيما سبق في قوله وما يدريك
ما علي مما لي ثم اردفه تسكينه فقال ولعلي ان لا اكون شر ولاتك لك والسلام من ولي عليك واني ناظر الترجي ليقيمه بين طوري الخوف
والرجاء انما يكون شرا لانه عليه لو خالف الدين والاشعث يعلم ذلك منه فكان ذلك جاذبا له الى لزوم الدين وروي انه لما
اتاه كتابه عليه السلام دعا بثقاته وقال لهم ان هذا الكتاب قد اوحشني وهو آخذي بمال اذربيجان على كل حال وانا لاحق بمعوية فقال
له اصحابه الموت خير لك من ذلك تدع مصرك وجماعة قومك وتكون ذنبا لاهل الشام فاستحيا من ذلك وبلغ قوله اهل الكوفة فكتب
اليه كتابا يوبخه فيه ويامره بالقدوم عليه وبعث به حجر بن عدي الكندي فلام حجر على ذلك وناشده الله وقال له اتدع قومك
واهل مصرك وامير المؤمنين وتلحق باهل الشام ولم يزل به حتى اقدمه الى الكوفة فعرض علي عليه السلام اثقاله فوجد فيها مائة الف درهم و
روي اربع مائة الف فاخذها وكان ذلك بالنخيلة فاستشفع الاشعث بالحسن والحسين عليهما السلام وبعبد الله بن جعفر فاطلق له
منها ثلثين الفا فقال لست بزائدك درهما واحدا وايم الله لو تركتها لكان خيرا لك وما اظنها تحل لك ولو تيقنت ذلك لما
بلغتها عندي فقال الاشعث خذ من خدعك ما اعطاك وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام الى معوية** انه بايعني القوم
الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب ان يرد وانما الشورى للمهاجرين
والانصار فان اجتمعوا على رجل وسموه اماما كان ذلك لله رضى فان خرج من امرهم خارج بطعن او بدعة ردوه الى ما خرج منه فان ابى قاتلوه
على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى ولعمري يا معوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني ابرأ الناس من دم عثمان و
لتعلمن اني كنت في عزلة عنه الا ان تتجنى فتجن ما بدا لك والسلام **اقول** هذا الفصل من كتاب كتبه الى معوية مع جرير بن عبد
الله البجلي حين نزع من همدان وصدره اما بعد فان بيعتي يا معوية لزمتك وانت بالشام لانه بايعني القوم ثم يتلو قوله وولاه الله
ما تولى تمام الاية ويتصل بها ان قال وان طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي وكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما على ذلك حتى جاء
الحق وظهر امر الله وهم كارهون فادخل يا معوية فيما دخل فيه المسلمون فان احب الامور الي فيك العافية الا ان تتعرض للبلاء فان تعرضت
له قاتلتك واستعنت بالله عليك وقد اكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم الي احملك واياهم على كتاب الله
واما تلك التي تريد فانها خدعة الصبي عن اللبن ثم يتصل به قوله ولعمري الى قوله ما بدا لك ثم يتصل به واعلم انك من الطلقاء
الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى وقد ارسلت اليك والى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من اهل الايمان والهجرة
فبايع ولا قوة الا بالله العزلة الاسم من الاعتزال والتجني ان يدعى عليك ذنب لم تفعله فقوله اما بعد الى قوله بالشام صورة الدعوى
وقوله لانه بايعني الى قوله عليه صورة صغرى قياس ضمير من الشكل الاول يستنتج منه ملزوم تلك الدعوى لغاية صدقها بصدق
ملزومها وتقدير الكبرى وكل من بايعه هؤلاء القوم فليس لمن شهد بيعتهم ان يختار غير من بايعوه ولا للغائب عنها ان يردها ينتج انه
ليس لاحد ممن حضر او غاب ان يرد بيعتهم له وذلك يستلزم كونها لازمة لمن حضر او غاب وهذه النتيجة هي قوله فلم يكن الى قوله يرد
وقوله وانما الى قوله تولى تقرير لكبرى القياس وحصر الشورى والاجماع في المهاجرين والانصار لانهم اهل الحل والعقد من امة
محمد صلى الله عليه وآله فاذا اتفقت كلمتهم على حكم من الاحكام كاجتماعهم على بيعته وتسميته اماما كان ذلك اجماعا حقا هو رضى الله اي مرضي له و
سبيل المؤمنين الذي يجب اتباعه فان خالف امرهم وخرج عنه بطعن فيهم او فيمن اجمعوا عليه كخلاف معوية وطعنه فيه بقتل عثمان
ونحوه او بدعة كخلاف اصحاب الجمل وبدعتهم في نكث بيعته ردوه الى ما خرج عنه فان ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين
حتى يرجع اليه وولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا ثم اقسم انه على تقدير نظره بعقله دون هواه يجده ابرأ الناس
من دم عثمان وانه كان حين قتله في عزلة عنه والملازمة واضحة فان القتل اما بفعل او بقول ولم ينقل عن علي عليه السلام في امر عثمان الا انه
امر بقتله وانه اعتزل عنه بعد ان دافع عنه طويلا بيده ولسانه فلم يمكن الدفع وقوله الا ان تتجنى الى اخره استثناء منقطع اي الا ان
تدعي علي ذنبا لم افعله فادع ... فما بدا لك اي ما ظهر في خيالك من الذنوب والجنايات فان ذلك باب مفتوح لكل احد ويحل

ما النظر

ما النصب بالمعقولية وانما احتج عليهم بالاجماع والالزام هنا على حسب اعتقاد القوم انه المعتبر في نصب الامام اذ لم يكن عندهم انه منصوص عليه
ولو ادعى ذلك لم يسلم له وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** اليه ايضا اما بعد فقد اتتني منك موعظة موصلة ورسالة
محبرة نمقتها بضلالك وامضيتها بسوء رايك وكتاب امرئ ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده قد دعاه الهوى فاجابه
وقاده الضلال فاتبعه فهجر لاغطا وضل خابطا ومن هذا الكتاب لانها بيعة واحدة لا يثنى فيها النظر ولا يستانف فيها الخيار
الخارج منها طاعن والمروي فيها مداهن **اقول** هذا جواب كتاب كتبه اليه معوية وصورته من معوية بن ابي سفيان الى علي بن ابي طالب
اما بعد فلو كنت على ما كان عليه ابو بكر وعمر اذن ما قاتلتك ولا استحللت ذلك ولكنه انما افسد عليك بيعتي خطيئتك في عثمان
ابن عفان وانما كان اهل الحجاز الحكام على الناس حين كان الحق فيهم فلما تركوه صار اهل الشام الحكام على اهل الحجاز وغيرهم
من الناس ولعمري ما حجتك على اهل الشام كحجتك على اهل البصرة ولا حجتك علي كحجتك على طلحة والزبير لان اهل البصرة قد
كانوا بايعوك ولم يبايعك اهل الشام وان طلحة والزبير بايعاك ولم ابايعك واما فضلك في الاسلام وقرابتك من رسول
الله صلى الله عليه وآله وموضعك من هاشم فلست ادفعه والسلام فكتب عليه السلام جوابه من عبد الله علي امير المؤمنين الى معوية بن صخر اما بعد فانه
اتاني كتابك امرئ الى قوله خابطا ثم يتصل به ان قال زعمت انما افسد علي بيعتك كما اصدروا وما كان الله ليجمعهم على
ضلال ولا يضربهم بعمى واما ما زعمت ان اهل الشام الحكام على اهل الحجاز فهات رجلين من قريش الشام يقبلان في الشورى او تحل
لهما الخلافة فان زعمت ذلك كذبك المهاجرون والانصار والا فانا اتيك بهما من قريش الحجاز واما ما ميزت بين اهل الشام واهل
البصرة وبينك وبين طلحة والزبير فلعمري ما الامر في ذلك الا واحد ثم يتصل به قوله لانها بيعة عامة الى اخره ثم يتصل به واما فضلي في
الاسلام وقرابتي من الرسول وشرفي في بني هاشم فلو استطعت دفعه لفعلت والسلام واما قوله اما بعد فقد اتتني الى قوله بسوء
رايك فمقصود بكتاب اجاب به معوية عن كتاب كتبه اليه بعد الكتاب الذي ذكرناه وذلك انه لما وصل اليه هذا الكتاب من علي عليه السلام
كتب اليه كتابا يعظه فيه وصورته اما بعد فاتق الله يا علي ودع الحسد فانه طالما لم ينتفع به اهله ولا تفسد سابقة قديمك بشره
من حديثك فان الاعمال بخواتيمها ولا تلحدن بباطل في حق من لا حق لك في حقه فانك ان تفعل ذلك لا تضلل الا نفسك ولا
تمحق الا عملك ولعمري ان ما مضى لك من السوابق الحسنة لحقيقة ان تردك وتردعك عما قد اجترأت عليه من سفك الدماء واجلاء
اهل الحق عن الحل والحرام فاقرأ سورة الفلق وتعوذ بالله من شر ما خلق ومن شر نفسك الحاسد اذا حسد فقفل الله بقلبك واخذ
بناصيتك وعجل توفيقك فاني اسعد الناس بذلك والسلام اما بعد فقد اتتني منك موعظة الى قوله بسوء رايك ثم يتصل
به وكتاب ليس ببعيد الشبه منك حملك على الوثوب على ما ليس لك فيه حق ولولا علمي بك وما قد سبق من رسول الله صلى الله عليه وآله فيك مما لا مرد
له دون انفاذه اذن لوعظتك ولكن عظتي لا تنفع من حقت عليه كلمة العذاب ولم يخف العقاب ولا يرجو لله وقارا ولم يخف له حذرا
فشانك وما انت عليه من الضلالة والحيرة والجهالة تجد الله في ذلك بالمرصاد من دنياك المنقطعة وتمنيك الاباطيل وقد علمت ما قال
النبي صلى الله عليه وآله فيك وفي امك وابيك والسلام ومما ينبه على ان هذا الفصل المذكور ليس من الكتاب الاول ان الاول لم يكن فيه ذكر موعظة
حتى يذكرها عليه السلام في جوابه عنه ان السيد رضي الله عنه اضافه الى هذا الكتاب كما هو عادته في عدم مراعات ذلك كما مثاله ولنرجع الى المقصود
فنقول المحبرة المزينة والتنميق التزيين بالكتابة وهجر يهجر هجرا اذا هذى وافحش في منطقه واللغط الصوت والجلبة واصل الخبط الحركة
على غير نظام ومنه خبط عشواء للناقة التي ضعف بصرها والمرتئي المفكر والمداهن المصانع واظهار الرضى بالامر مع اضمار خلافه و
الفصل من باب المنافرات واراد بكونها موصلة اي ملتقطة من كلام الناس ملفقة وقد نبه بالكناية ونسبتها الى ضلاله لان
موعظته وتكلفه اياها لمثله عن اعتقاد منه انه على طرف الحق وان عليا مخطئ كما زعم وظان ذلك لا اعتقاد الا عن ضلال عن سبيل الله وحمله
تكلف تلك الموعظة ولانه لما كان جاهلا باسباب الكلام ووضعه مواضعه وجاءت موصلة ممنقة بحسب ذلك الجهل ظهر عليها اثر تكلفه
في التنميق فاسند ذلك الى ضلاله واستعار لفظ البصر للعقل باعتبار انه لو ابصر يدرك به صور المعقولات كما يدرك البصر بنوره صور
المحسوسات ثم سلب عنه البصر الذي يهديه الى سبيل الله اذ كان عقله قد قصر عن ادراك حقائق الدين ومقاصده ووجوه المصالح الكلية
المطلوب بها للشارع فلم يكن لعقله بصر يهديه في تلك الامور ولا له قائد من امام حق ورأي صالح يرشده الى سبيل الله فلا جرم كان
مجيبا لهواه اذ دعاه ومنقادا للضلالة واراء الجابرة المخطئة لوجه المصلحة المطلقة له فاتبعها واستلزم ذلك ان يهجر فيقول ما لا
ينبغي من القول لاغطا ويجلب وان يضل عن سبيل الله خابطا في الفتنة لا يتقي مصارع الهوان في دين الله ولاغطا وخابطا حالان وقوله
لانها فالضمير قبل الذكر لانه ضمير البيعة كقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ويحتمل ان يرجع الى ما علم من حالها في قوله فلعمري ما الامر في
ذلك الا واحد اما شان اهل البصرة وشان اهل الشام وشان طلحة والزبير في بيعتي الا واحد والمعنى انها كما لزمت اولئك فقد
لزمتكم ايضا ثم اشار الى الحجة في ذلك بقياس ضمير من الشكل الاول صغراه وهي كونها بيعة واحدة باتفاق المهاجرين والانصار

الذين هم اهل الحل والعقد من امة محمد ع ونقله بكره وكل بخبر وهنت كان فلا يتجه فيها نظر ولا يستانف فيها خيار وبيانا الكبرى للشق
من حال الائمة الثلثة قبله ع اذ لم يكن لاحد ان يستثنى في بيعتهم نظر ولا يستانف خيارا بعد ان عقدها المهاجرون والانصار
لاحدهم ثم اشار الى حكم من لم يدخل في بيعته وهم قسمان لان من لم يدخل فيها اما ان يخرج عنها او يقف فيها فحكم الخارج عنها ان يكون
طاعنا في صحتها وانعقادها فيجب ان يجاهد ويقاتل حتى يرجع اليها اذ هو متبع غير سبيل المؤمنين كما سبق وحكم الواقف فيها والمتردد
في صحتها انه مذموم وهو نوع من النفاق ومستلزم للشك في سبيل الله والمؤمنين وتوجيه ما عرفت وبالله التوفيق **ومن كتاب**
له عليه السلم الى جرير بن عبد الله البجلي لما ارسله الى معوية اما بعد فاذا اتاك كتابي فاحمل معوية على الفصل وخذه بالامر
الجزم ثم خيره بين حرب مجلية او سلم مخزية فان اختار الحرب فانبذ اليه وان اختار السلم فخذ بيعته والسلم
اقول روى ان جريرا اقام عند معوية حين ارسله ع حتى اتهمه الناس وقال ع قد وقتّ لجرير وقتا لا يقيم بعده الا مخدوعا او
عاصيا وابطأ حتى ايس منه فكتب اليه بعد ذلك بهذا الكتاب فلما انتهى اليه الى معوية فاقرءه اياه وقال يا معوية انه لا يطبع على قلب
الا بذنب ولا يشرح الا بتوبة ولا اظن قلبك الا مطبوعا اراك قد وقفت بين الحق والباطل كانك تنتظر شيئا في يد غيرك فقال معوية
القاك بالفصل في اول مجلس ان شاء الله ثم اخذ في بيعة اهل الشام فلما انتظم امره لقي جريرا وقال له الحق بصاحبك واعلمه
بالحرب فقدم جرير الى علي ع والبجلي منسوب الى بجيلة قبيلة والمجلية من الاجلاء وهو الاخراج عن الوطن قهرا والمخزية المهينة والمذلة
وروى مجزية بالجيم اى كافية والحرب والسلم مؤنثان لكونهما في معنى المحاربة والمسالمة والنبذ الالقاء والرمي وحاصل امره لجرير بحمل معوية على
فصل الامر وقطعه وجزم الحال معه بتخييره في احد امرين اما حرب يكون معها اجلاؤه واما سلم يكون فيها ذليلا مهانا مقهورا وفي ذكر
الاجلاء والاهانة على تقدير تخويف وتهديد بعد اشعارا بانه ع في الامر ظافر وله غالب قاهر لعله يتذكر او يخشى ثم امره على تقدير اختيار
الحرب ان يرميه بالاعلام بها ويلقي الوعيد اليه بانقطاعها من قبله ع ويجهر له بذلك من عزمه الهية ومداراة كقوله تعالى واما تخافن من قوم
خيانة فانبذ اليهم على سواء وعلى تقدير اختياره للسلم باخذ بيعته **ومن كتاب له عليه السلم** الى معوية فاراد قومنا قتل
نبينا واجتياح اصلنا وهموا بنا الهموم وفعلوا بنا الافاعيل ومنعونا العذب واحلسونا الخوف واضطرونا الى جبل
وعر واوقدوا لنا نار الحرب فعزم الله تعالى لنا على الذب عن حوزته والرمي من وراء حرمته مؤمننا يبغي بذلك الاجر وكافرنا
يحامي عن الاصل ومن اسلم من قريش خلو مما نحن فيه بحلف يمنعه او عشيرة تقوم دونه فهو من القتل بمكان امن وكان
رسول الله صلى الله عليه واله اذا احمر الباس واحجم الناس قدم اهل بيته فوقى بهم اصحابه حر السيوف والاسنة فقتل
عبيدة بن الحرث يوم بدر وقتل حمزة يوم احد وقتل جعفر يوم موتة واراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي ارادوا من
الشهادة ولكن اجالهم عجلت ومنيته اخرت فيا عجبا للدهر اذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي ومن لم تكن له سابقة
كسابقتي التي لا يدلي احد بمثلها الا ان يدعي مدع ما لا اعرفه ولا اظن الله يعرفه والحمد لله على كل حال واما ما سئلت من دفع
قتلة عثمن اليك فاني نظرت في هذا الامر فلم اره يسعني دفعهم اليك ولا الى غيرك ولعمري لئن لم تنزع عن غيك وشقاقك
لتعرفنهم عما قليل يطلبونك ولا يكلفونك طلبهم في بر ولا بحر ولا سهل ولا جبل الا انه طلب يسوءك وجدانه وزور
لا يسرك لقيانه والسلام لاهله **اقول** هذا الفصل من كتاب كتبه الى معوية جواب كتاب اليه وصورة كتاب معوية بن ابي
سفيان الى علي بن ابي طالب سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فان الله اصطفى محمدا بعلمه وجعله
الامين على وحيه والرسول الى خلقه واجتبى له من المسلمين اعوانا ايده بهم فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الاسلام فكان افضلهم
في الاسلام وانصحهم لله ولرسوله الخليفة من بعده وخليفة الخليفة من بعد خليفته والثالث الخليفة عثمن المظلوم فكلهم حسدت وعلى كلهم بغيت
عرفنا ذلك في نظرك الشزر وقولك الهجر وفي تنفسك الصعداء وابطائك عن الخلفاء وفي كل ذلك تقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى تبايع وانت
كاره ثم لم تكن لاحد منهم باشد حسدا منك لابن عمك عثمن وكان احقهم ان لا تفعل ذلك به في قرابته وصهره فقطعت رحمه وقبحت محاسنه والبت عليه
الناس وبطنت وظهرت حتى ضربت اليه اباط الابل وقيدت اليه الخيل العراب وحمل عليه السلاح في حرم رسول الله ص فقتل معك في المحلة و
انت تسمع في داره الهائعة لا تردع عن نفسك فيه بقول ولا فعل واقسم قسما صادقا لو قمت فيما كان من امره مقاما واحدا تنهنه الناس عنه ما عدل
بك من قبلنا من الناس احدا ولمحا ذلك عندهم ما كانوا يعرفونك به من المجانبة لعثمن والبغي عليه واخرى انت بها عند انصار عثمن ظنين ايواءك
قتلة عثمن فهم عضدك وانصارك ويدك وبطانتك وقد ذكر لي انك تنتصل من دمه فان كنت صادقا فامكنا من قتلة عثمن نقتلهم
به ونحن من اسرع الناس اليك والا فانه ليس لك ولا لاصحابك الا السيف والذي لا اله غيره لنطلبن قتلة عثمن في الجبال والرمال
والبحر حتى يقتلهم الله او لتلحقن ارواحنا بالله والسلم ثم دفع الكتاب الى ابي مسلم الخولاني فقدم به الكوفة فكتب ع جوابه من عبد الله علي
امير المؤمنين الى معوية بن ابي سفيان اما بعد فان اخا خولان قدم علي بكتاب منك تذكر فيه محمدا ص وما انعم الله عليه من الهدى

والوحي

الهيعة والهائعة الصوت تفزع منه وتخاف من عدو

تنتصل اتهم الجناية خرج وتبرء

والوحي فالحمد لله الذي صدقه الوعد وتمم له النصر ومكن له في البلاد واظهره على اهل العداوة والشنان من قومه الذين وثبوا به
وشنعوا له واظهروا له التكذيب وبارزوه بالعداوة وظاهروا على اخراجه وعلى اخراج اصحابه واهله والبوا عليه العرب وجامعوهم على حربه
وجهدوا عليه وعلى اصحابه كل الجهد وقلبوا له الامور حتى ظهر امر الله وهم كارهون وكان اشد الناس عليه اسرته والادنى فالادنى
من قومه الا من عصم الله منهم يا بن هند فلقد خبا لنا الدهر منك عجبا ولقد اقدمت فافحشت اذ طفقت تخبرنا عن بلاء الله تبارك
وتعالى في نبيه محمد ص وفينا فكنت في ذلك كجالب التمر الى هجر او كداعي مسدده الى النضال وذكرت ان الله اجتبى له من المسلمين اعوانا ايدهم
به فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الاسلام وكان افضلهم في الاسلام كما زعمت وانصحهم لله ولرسوله الخليفة الصديق
وخليفة الخليفة الفاروق ولعمري ان مكانهما في الاسلام لعظيم وان المصاب بهما لجرح في الاسلام شديد يرحمهما الله وجزاهما باحسن
ما عملا وعمرتك ذكرت امرا ان تم اعتزلك كله وان نقص لم يلحقك ثلمه وما انت والصديق فالصديق من صدق بحقنا وابطل باطل عدونا والصديق
وما انت والفاروق فالفاروق من فرق بيننا وبين اعدائنا وذكرت ان عثمن كان في الفضل ثالثا فان يك عثمن محسنا فسيلقى ربا غفورا والفاروق
لا يتعاظمه ذنب يغفره ولعمري اني لارجو اذا اعطى الله الناس على قدر فضائلهم في الاسلام ونصيحتهم لله ولرسوله ان يكون نصيبنا
في ذلك الاوفر ان محمدا ص لما دعا الى الايمان بالله والتوحيد كنا اهل البيت اول من امن به وصدق ما جاء به فلبثنا احوالا
مجرمة وما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا ثم يتصل به قوله فاراد قومنا قتل نبينا الى قوله نار الحرب ثم يتصل به ان قال وكتبوا علينا
بينهم كتابا ان لا يواكلونا ولا يشاربونا ولا يناكحونا ولا يبايعونا ولا نامن فيهم حتى ندفع اليهم النبي ص فيقتلونه ويمثلوا به فلم نكن
نامن فيهم الا من موسم الى موسم ثم يتصل به قوله فعزم الله الى قوله بمكان امن ثم يتصل به ان قال فكان ذلك ما شاء الله ان يكون
ثم امر الله رسوله ص بالهجرة ثم امره بعد ذلك بقتال المشركين ثم يتصل به قوله فكان ص اذا احمر الباس الى قوله اخرت ثم يتصل به ان قال
والله ولي الاحسان اليهم والامتنان عليهم بما قد اسلفوا من الصالحات فما سمعنا باحد هو انصح لله في طاعة رسوله ولا اطوع لرسول
الله ص في طاعة ربه ولا اصبر على الاذى والضراء وحين الباس ومواطن المكروه مع النبي ص من هؤلاء النفر الذين سميت لك وفي
المهاجرين خير كثير نعرفه جزاهم الله باحسن اعمالهم ثم ما انت والتمييز بين المهاجرين الاولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم
هيهات لقد حن قدح ليس منها وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها الا تربع ايها الانسان على ظلعك وتعرف قصور ذرعك و
تتاخر حيث اخرك القدر فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر وانك لذهاب في التيه رواغ عن القصد الا ترى غير
مخبر لك لكن بنعمة الله احدث ثم يتصل به اول الكلام المذكور في كتابه الى معوية وهو من محاسن الكتب الى قوله توكلنا ثم يتصل به
قوله من ذلك الكتاب وذكرت انه ليس له ولا لاصحابي الا السيف الى اخره ثم يتصل به قوله ولعمري الى اخره وهذا خط عجيب من السيد رض مع وجود الى
كتبه ع في كثير من التواريخ ولنرجع الى الشرح فنقول الاجتياح الاستيصال والهموم القصود والحلس كساء رقيق يجعل تحت قتب البعير
الوعر الصعب المرتقى والحوزة الناحية وحوزة الملك بيضته والحلف التعهد بين القوم والاحجام التاخر عن الامر واحد جبل بالمدينة
ومؤتة بالضم اسم ارض بادنى البلقاء دون دمشق والادلاء بالشيء التقرب به ونزع عن الامر انتهى عنه والغي الضلال والشقاق الخلاف
والزور الزائرون واعلم انه ع اجاب عن كل فصل من كلام معوية بفصل وهذا الفصل يشتمل على ذكر بلائه وبلاء من تقرب به من
بني هاشم وفضيلتهم في الاسلام والكفر في جواب تفضيل معوية لغيره عليه حيث قال في صدر كتابه في ذكر محمد ص واجتبى له
من المسلمين اعوانا ايده بهم الى قوله والثالث الخليفة المظلوم عثمن ووصل هذا الفصل من قوله ولعمري اني لارجو ونبه الى قوله
الاوفر ايماء الى انه افضل الجماعة لان النصيب الاوفر من الثواب اذا كان على قدر الفضيلة كان مستلزما للاولوية بالفضيلة وقوله
ان محمدا الى قوله ومنيته اخرت شرح لفضيلته وفضيلة اهل بيته وتقرير لما اشار اليه من دعوى الافضلية وهو يجري مجرى قياس
ضمير من الشكل الاول وتقديره ان هذه الحال المشروحة من كوننا من امن بالله وصدق ما جاء به وعبده وصبر على بلائه و
بلاء هذه اعدائه مع رسوله ص الصبر المشروح الى الغاية المذكورة وقد سبقت منا الاشارة الى انه ع اول من عبد الله تع مع الرسول
هو وخديجة ومن لحق بهم من المسلمين وانهم بقوا على ذلك عدة سنين يتعبدون بشعاب مكة وغيرها سرا وكانت المشركون بالنحو
فاذا فهم وقيل ان المشركين بعد ظهور النبي ص بالنبوة لم ينكر عليه قريش حتى سب الهتهم فانكروا عليه وبالغوا في اذاه واغروا
به صبيانهم فرموه بالحجارة حتى ادموا عقبه وبالغوا في اذى المسلمين فامرهم رسول الله ص بالخروج الى الحبشة فخرج في الهجرة اليها
احد عشر رجلا منهم عثمان بن عفان والزبير وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وخرجت قريش في طلبهم ففاتوهم
فخرجوا في طلبهم الى النجاشي فلم يمكنهم منهم ولم يزالوا مبالغين في اذى الرسول ص ويعملون الحيلة في هلاكه روى احمد في مسنده
عن ابن عباس قال ان الملاء من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاهدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى لو قد راينا محمدا
قمنا اليه قيام رجل واحد فلا يفارقه حتى نقتله قال فاقبلت فاطمة ع حتى دخلت عليه صلى الله عليه واله فاخبرته بقولهم فقالت له

لو قد راوك لقتلوك وليس منهم رجل الا وقد عرف نصيبه من دمك فقال يا بنى ادنى وضوا فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد فلما راوه
غضوا ابصارهم ثم قالوا ها هو ذا ثم لم يقم اليه منهم احد فاقبل صلى الله عليه وآله حتى قام على رؤسهم فاخذ قبضة من تراب فحصبهم بها وقال
شاهت الوجوه فما اصاب رجلا منهم شىء منه الا قتل يوم بدر كافرا فذلك معنى قوله فاراد قومنا اهلاك نبينا واجتياح اصلنا
الى قوله نار الحرب وقوله بنا الهموم اى ارادوا بنا الارادات والافاعيل ارادات ايقاع الشر بهم والافعال القبيحة واراد بالهموم الاحزان هموا
اى هموا ان يفعلوا بنا ما يوجب الاحزان وقوله ومنعونا العذب اى طيب العيش واستعار لفظ الاحلاس لالزامهم الخوف واشعارهم
اياه ملاحظة لمشابهته بالحلس فى لزومه لهم وكذلك استعار لفظ النار للحرب بملاحظة شبهها بالنار فى الاذى والافناء لما يقع فيها ورشح
بذكر الايقاد فاما قوله واضطرونا الى جبل وعر وقوله وكتبوا علينا بينهم كتابا فروى انه لما اسلم حمزة وعمر وحمى النجاشى من عنده من المسلمين
وحامى ابو طالب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وفشا الاسلام فى القبائل فاجتهد المشركون فى اطفاء نور الله واجتمعت قريش وائتمروا بينهم
ان يكتبوا كتابا يتعاهدون فيه على ان لا ينكحوا الى بنى هاشم وبنى المطلب ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم فكتبوا بذلك صحيفة
وتوافقوا عليها وعلقوها فى جوف الكعبة توكيدا الامر على انفسهم فلما فعلوا ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطلب الى ابى طالب لذلك الامر
فدخلوا معه فى شعبه وخرج من بنى هاشم ابو لهب فظاهر المشركين وقطعوا عنهم الميرة والمادة فحصروهم فى ذلك الشعب اول سنة سبع
من النبوة فكانوا لا يخرجون الا من موسم الى موسم حتى بلغهم الجهد وسمع صوت صبيانهم من وراء الشعب من شدة الجوع فمن قريش من سره الى موسم
ذلك ومنهم من ساءه فاقاموا على ذلك ثلاث سنين حتى اوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وآله ان الارضة قد اكلت صحيفتهم ومحت منها ما كان
فيه ظلم وجور وبقى منها ما كان ذكر الله فاخبر بذلك عمه ابو طالب فامره ان يأتى قريشا فيعلمها بذلك فجاء اليهم وقال ان ابن اخى
اخبرنى بكذا وكذا فان كان صادقا فانزعوا عن سوء رايكم وان كان كاذبا دفعته اليكم فقتلتموه واستحييتموه فقالوا انصفتنا
فارسلوا الى الصحيفة فوجدوها كما اخبر صلى الله عليه وآله فسقط فى ايديهم وعرفوا انهم بالظلم والقطيعة فذلك معنى قوله واضطرونا الى جبل
وعر الخبر وقوله فعزم الله لنا اى اراد لنا الارادة الجازمة واختار لنا ان نذب عن حوزة الاسلام ونحمى حرمه ان ينتهك ونكف
عن حماها بالرمى من وراءها وقوله مؤمننا الى قوله عن الاصل وكنا باجمعنا نذب عن بيت الله ونحمى رسوله فكان من امن منا يريد
بذلك الاجر من الله ومن كان حينئذ على كفره كالعباس وحمزة وابى طالب على قول فانهم كانوا يمنعون عن رسول الله صلى الله عليه وآله مراعاة لاصلهم
وقوله ومن اسلم من قريش الى قوله فالوا وفى قوله ومن للحال اى كنا على تلك الحال من الذب عن دين الله حال ما كان من اسلم
من قريش عدا بنى هاشم وبنى عبد المطلب خالين مما نحن فيه من البلاء امنين من الخوف والقتل فمنهم من كان له حلف وعهد
من المشركين يمنعه ومنهم من كان له عشيرة تحفظه وبذلك يظهر فضله عليه السلام وفضيلة بنى هاشم وبنى المطلب وبلاؤهم فى حفظ رسول
الله ثم لما امر الله بقتال المشركين كان يقدم اهل بيته فيقى بهم اصحابه حر السيوف والاسنة والرماح وكنى باحمرار الباس عن شدة الحرب
اذ الباس فيها مستلزم لظهور حمرة الدماء وان كان استعمال هذا اللفظ لم يبق ملاحظا فيه الكناية ومنه موت احمر كناية عن شدة وبذلك
الحرب ايضا وما يستلزم ظهور الدماء وبدر اسم بئر سميت بحافرها واما عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب فقتل عتبة بن ربيعة
وذلك انه لما التقى المسلمون والمشركون ببدر برز عتبة بن ربيعة واخوه شيبة وابنه الوليد وطلبوا المبارزة فخرج اليهم رهط من
الانصار فقالوا ارجعوا اكفاءنا من اهلنا المهاجرين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله قم يا عبيدة قم يا حمزة قم يا على فبارز عبيدة وهو اسن القوم
عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة وبارز على الوليد فقتل على وحمزة قرنيهما واختلف عبيدة وعتبة ضربتين فكلاهما اثبت صاحبه
واجهز حمزة وعلى باسيافهما على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة فجاءا به الى رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قطعت رجله ومخها يسيل فقال يا
رسول الله الست شهيدا قال بلى فقال ابو عبيدة لو كان ابو طالب حيا لعلم انى احق بما قال فيه حيث يقول ونسلمه حتى نصرع
حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل واما حمزة بن عبد المطلب فقتله وحشى فى وقعة احد بعد وقعة بدر فى سنة ثلث من الهجرة
وكان سببها انه لما رجع من حضر بدرا من المشركين الى مكة وجدوا العير التى قدم بها ابو سفيان موقوفة فى دار الندوة فمشت اشراف
قريش ومشى الى ابى سفيان فقالوا نحن طيبى الانفس بان نجهز بربح هذه العير الى محمد فقال ابو سفيان انا اول من اجاب الى ذلك
ومعى بنو عبد مناف فباعوها فكانت الف بعير وكان المال خمسين الف دينار وسلم الى اهل العير رؤس اموالهم وعزلت الارباح وبعثوا
الرسل الى العرب يستنفرونهم فاجتمعوا فى ثلثة الاف فيهم سبعمائة دارع ومائتا فرس وثلثة الاف بعير وما بين جماعة بباب رسول
الله صلى الله عليه وآله ورأى فى نومه كانه فى درع حصينة وكان سيفه ذو الفقار قد انفصم وكان بقرا تنحر وكانه مردف كبشا فقال اما الدرع
فالمدينة واما البقر فقتل بعض اصحابه واما انفصام سيفه فمصيبة فى نفسه والكبش كبش الكتيبة فقتله الله فكان المصيبة ان رماه عتبة
بن ابى وقاص بحجر فدق رباعيته وهشم انفه وكلم وجهه وقيل الذى فعل ذلك عمرو بن قميئة وكان ذلك اليوم صعبا على المسلمين

ودو

وروى ان هندا اقامت فى ذلك اليوم فى نسوة معها تمثل بقتلى المسلمين وتجدع الآذان والانوف حتى اتخذت منها قلائد وبقرت
عن كبد حمزة ولاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها ومنه سمى معوية ابن آكلة الاكباد واما جعفر بن ابى طالب فقتل فى وقعة موتة
كانت هذه الوقعة فى جمادى الاولى سنة ثمان من الهجرة وكان من سببها ان رسول الله صلى الله عليه وآله بعث الحرث بن عمير الازدى الى ملك
بصرى فلما نزل موتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فقتله ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وآله قبل ذلك فشق عليه صلى الله عليه وآله ذلك فندب المسلمين
وعسكر فى ثلثة الاف وقال الامير زيد بن حارثة فان قتل فجعفر بن ابى طالب فان قتل فعبد الله بن رواحة فان قتل فليرتض المسلمون
منهم رجلا وامرهم ان ياتوا مقتل الحرث بن عمير ويدعوا من هناك الى الاسلام فان اجابوا والا قاتلوهم فسمع العدو بهم فجمعوا لهم
وجمع لهم شرحبيل اكثر من مائة الف فمضوا الى موتة فوافاهم المشركون فاخذ اللواء زيد فقاتل حتى قتل ثم اخذه جعفر فقاتل حتى قطعت قتل
يداه وقيل ضربه رجل من الروم فقطعه بنصفين فوجد فى احد نصفيه احد وثلاثون جرحا وسماه رسول الله صلى الله عليه وآله ذا الجناحين يطير بهما
فى الجنة لقطع يديه يوم موتة وقوله واراد من لو شئت ذكرت اسمه الى قوله الحزب اشارة الى نفسه اذ كان لكل امر موطن فاذا جاء اجلهم اجل
فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون يعنى عليا اشار الى بيان فضيلته واهل بيته اردفه بالتعجب من الدهر حيث انتهى فى اعدائه وفعله
الى ان صار يجعل قرنا فى الذكر والمرتبة من ليس له مثل سابقته فى الفضيلة التى لا يمت بها احد الى الله بمثلها وقوله الا ان يدعى مدع
ما لا اعرفه اراد بالمدعى معوية وبما لا يعرفه ما عساه يدعيه من الفضيلة فى الدين والسابقة فى الاسلام وقوله ولا اظن الله يعرفه نفى ظن معرفة الله
لذلك المدعى فضيلة يعرفها نفى ايضا عن نفسه طريق معرفة الله لها وهو اشارة الى انه لا وجود لتلك الفضيلة وما لا وجود له امتنع ان يعرفه الله
ثم وجوده ولما اشار الى فضيلته وعدم الفضيلة لمنافره حسن ان ذم بحمد الله فحمده على كل حال والاستثناء هنا منقطع لان الدعوى
ليست من جنس السابقة واما جوابه لسؤاله قتلة عثمان فحاصله يعود الى انه فكر فى امرهم فراى انه لا يسعه تسليم المعترفين بذلك
الى معوية ولا الى غيره وذلك من وجوه احدها ان تسليم الحق الى ذى الحق عند المنافرة انما يكون بعد تعيين المدعى عليه و
ثبوت الحق عليه وانما يكون ذلك بعد مرافعة الخصمين الى الحاكم واقامة البينتين بالدعوى او الاقرار من المدعى عليه و
معلوم ان معوية ومن طالب بدم عثمن لم يفعل شيئا من ذلك ولذلك قال عليه السلام لمعوية فى موضع آخر واما طلبك الى قتلة عثمن
فادخل فيما دخل الناس فيه ثم حاكم القوم الى احملك واياهم على الحق الثانى ان القوم الذين رضوا بقتله او شركوا فى ذلك كانوا على حد
من الكثرة وفيهم المهاجرون والانصار كما روى ان ابا هريرة وابا الدرداء اتيا معوية فقالا له علام تقاتل عليا وهو احق
بالامر منك لفضله وسابقته فقال لستما فانه لا ادعى افضل منه ولكن ليدفع الى قتلة عثمن فخرجا من عنده واتيا عليا
فقالا له ان معوية يزعم ان قتلة عثمن عندك وفى عسكرك فادفعهم اليه فان قاتلك بعدها علمنا انه ظالم لك فقال على
انى لم احضر قتل عثمن يوم قتل ولكن هل تعرفان من قتله فقالا بلغنا ان محمد بن ابى بكر وعمارا والاشتر وعدى بن حاتم و
عمرو بن الحمق وفلانا وفلانا ممن دخل عليه فقال على فامضيا اليهم فخذوهم فاقبلا الى هؤلاء النفر فقالا لهم انتم من قتلة
عثمن وقد امر امير المؤمنين باخذكم قال فوقعت الصيحة فى العسكر بهذا الخبر فوثب من عسكر على اكثر من عشرة الاف رجل فى
ايديهم السيوف وهم يقولون كلنا قتلة فبهت ابو هريرة وابو الدرداء ثم رجعا الى معوية وهما يقولان لا يتم هذا الامر ابدا
فاخبراه بالخبر واذا كان القاتلون والمعصوب لهم بهذه الكثرة فكيف يمكنه عليه السلام تسليمهم وتمكين احد منهم الثالث انه كان فى جماعة
الصحابة المشهود لهم بالجنة من يرى ان عثمن كان يستحق القتل باحداثه كما روى عن عمار ان عمارا فى بعض ايام صفين قام
فى اصحابه وقال امضوا معى عباد الله الى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم انما قتله الصالحون المنكرون للعدوان الامرون
بالاحسان فقال هؤلاء الذين لا يبالون لو سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين لم قتلتموه فقلنا لاحداثه ما احدث شيئا و فقالوا واى
ذلك لانه كان امكنهم من الدنيا فهم ياكلونها ويرعونها ولا يبالون لو انهدمت عليهم الجبال فاذا اعرف قتل هذا الرجل
على جلالته بالمشاركة فى قتله وعلل ذلك باحداث احتمل ان يقال انه عليه السلام فكر فى هذا الامر فراى ان هذا الجمع العظيم من المهاجرين
والانصار والتابعين لا يجوز ان يقتلوا برجل واحد احدث احداثا نقموها عليه جملة المسلمون وقد استعتب منها فلم يرجع
فادى ذلك الى قتله ولم يسعه تسليمهم الى من يطلب بدمه لما يستلزمه ذلك من ضعف الدين وهدمه ثم انه عليه السلام مهدد له
بان طلب من القوم ان لم يرجع عن ضلاله الى طريق الحق عن طرق الباطل ويترك خلافه ليكونوا هم الطالبين له ويحمل يطلبونك
النصب مفعولا ثانيا لتعرف بمعنى تعلم ويأتى الكلام من تمام التهديد ومراده بالزور المصدر وعلى ذلك وحد ضميره فى زيارته
يحتمل ان يريد الزائرين وافرد الضمير نظرا الى افراد اللفظ وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام الى معوية** وكيف
انت صانع اذا تكشفت عنك جلابيب ما انت فيه من دنيا قد تبهجت بزينتها وخدعت بلذتها دعتك فاجبتها
وقادتك فاتبعتها وامرتك فاطعتها وانه يوشك ان يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجن فاقعس عن هذا الامر

في باب كتاب كتبه الى معوية

فخذ اهبة الحساب وشمر لما قد نزل بك ولا تمكن الغواة من سمعك والا تفعل اعلمك ما اغفلت من نفسك فانك
مترف قد اخذ الشيطان منك ماخذه وبلغ فيك امله وجرى منك مجرى الروح والدم ومتى كنتم يا معوية
ساسة الرعية وولاة امر الامة بغير قدم سابق ولا شرف باسق ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء واحذرك
ان تكون متماديا في غرة الامنية مختلف العلانية والسريرة وقد دعوت الى الحرب فدع الناس جانبا واخرج
الي واعف الفريقين من القتال ليعلم اينا المرين على قلبه والمغطى على بصره فانا ابو حسن قاتل جدك و
خالك واخيك شدخا يوم بدر وذلك السيف معي وبذلك القلب القى عدوي ما استبدلت دينا ولا استحدثت
نبيا واني لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين ودخلتم فيه مكرهين وزعمت انك جئت ثائرا بدم عثمن ولقد
علمت حيث وقع دم عثمن فاطلبه من هناك ان كنت طالبا فكاني قد رايتك تضج من الحرب اذا عضتك ضجيج
الجمال بالاثقال وكاني بجماعتك يدعونني جزعا من الضرب المتتابع والقضاء الواقع ومصارع بعد مصارع
الى كتاب الله عز وجل وهي كافرة جاحدة او مبايعة حائدة **اقول** اول هذا الكتاب من عبد الله علي امير المؤمنين الى
معوية بن ابي سفيان سلام على من اتبع الهدى فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فانك رايت من الدنيا وتصرفها
باهلها فيما مضى منها وخير ما بقي من الدنيا ما اصاب العباد الصادقون فيما مضى منها ومن نفس الدنيا بشان الاخرة يجد
بينهما بونا بعيدا واعلم يا معوية انك قد ادعيت امرا لست من اهله لا في القدم ولا في البقية ولا في الولاية ولست تقول فيه بامر بين
يعرف لك فيه اثر ولا لك عليه شاهد من كتاب الله ولا عهد تدعيه من رسول الله صلعم ثم يتصل بقوله فكيف انت اذا تكشفت
والجلابيب المحفوظة وتبهجت حسنت وتزينت ويوشك بالكسر يقرب ووقفه على ذنبه اي اطلعه عليه والمجن الترس ويروى
مج وتقعس اي تاخر والاهبة العدة وهو ما يهيا للامر ويستعد به له وشمر ثوبه رفعه والاغفال الاهمال والترك والمترف
الذي اطغته النعمة والباسق العالي والتمادي في الامر تطويل المدة فيه والغرة الغفلة والامنية ما يتمنى والرين التلبيس
والتغطية والمرين على قلبه من غلبت عليه الذنوب وغطت عين بصيرته الملكات الرديئة والشدخ كسر الشيء الاجوف والثائر
الطالب بالدم والضجيج الصياح والحائدة العادلة وقد استفهم عن كيفية صنعه عند مفارقة نفسه لبدنه استفهام تنبيه
له على غفلته عما امامه من احوال الاخرة وتذكيرا بها واستعار لفظ الجلابيب للذات الحاصلة في الدنيا بمتاعها وزينتها ووجه الاستعارة كون
تلك اللذات ومتعلقاتها احوال ساترة بينه وبين ادراك ما وراءه من احوال الاخرة ما تقرر من ذلك يستر الجلباب ما وراءه ورشح الاستعارة
بذكر التكشف ولفظ ما تجلل به بقوله من دنيا متبهجة بزينتها وهي محاسنها وزينتها واسند اليها التبهج مجازا اذ الخادع
لها لذاتها في نفسها بل الله نعم وفي قوله وقد خدعت مجاز في الافراد والتركيب اما في الافراد فلان حقيقة الخدعة ان يكون من
الانسان لغيره فاستعمالها هاهنا في كون الدنيا سببا لما فيها من اللذات موهمة لكونها مقصودة باللذات وانها كمال حقيقي مع انها
ليست كذلك وذلك يشبه الخدعة واما في التركيب فلان كونها موهمة لذلك ليس من فعلها بل من اسباب اخرى منتهى الى الله سبحانه
وكذلك التجوز في قوله ودعتك فاجبتها وامرتك فاطعتها فان الدعا والقود والامر لها حقائق معلومة لكن لما كانت تصورات كمالها
اسبابا جاذبة لها اشبهت تلك التصورات الدعا في كونها سببا جاذبا الى الداعي فاطلق عليها لفظ الدعا وكذلك اطلق على تلك
التصورات لفظ القود والامر باعتبار كونها اسبابا مستلزمة لاتباعها كما ان الامر والقود يوجبان الاتباع واما في التركيب
فلان تلك التصورات التي اطلقنا عليها لفظ الدعا والقود والامر مجازا ليس فاعلها وموجدها هو الدنيا بل واهب العلم ولما
كانت اجابة الدنيا واتباعها واطاعتها معاصي يخرج الانسان بها عن حدود الله ذكرها في معرض توبيخه وذمه وقوله وانه يوشك
تذكير بقرب اطلاعه على ما يخاف من اهوال الاخرة والوصول اليه اللازم عن لزوم المعاصي وهو في معرض التحذير له والتنفير عن اصراره
على معصية الله بادعائه ما ليس له اي يقرب ان تطلعك مطلع على ما لا بد لك مما تخاف من الموت وما تستلزمه معاصيك من الحوف
العذاب وظاهر ان تلك امور غفلت عنها العصاة في الدنيا ما داموا في حجب الابدان فاذا نزعت عنهم تلك الحجب اطلعوا على ما
قدموا من خير او شر وما اعد لهم بسبب ذلك من سعادة او شقاوة كما اشار اليه سبحانه بقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الاية
وقد مرت الاشارة الى ذلك غير مرة وذلك المطلع والموقف هو الله سبحانه ويحتمل ان يريد به نفسه ع على سبيل التوعد له والتهديد
بالقتل المستلزم لذلك الاطلاع ان دام على عناده وان تلك الامور التي نقف عليها لا ينجيه منها منج ثم اردف ذلك التوبيخ والتهديد
بالغرض له منها وهو امره بالتاخر عن امر الخلافة ثم اردف ذلك بما يستلزم التخويف والتهديد فامره باخذ الاهبة للحساب
الاستعداد له بعدته وهي طاعة الله وتقواه ومجانبة معاصيه وبالتشمير لما قد نزل به وكنى بالتشمير عن الاستعداد ايضا
وما نزل به اما الموت او القتل وما بعده تنزيلا لما لا بد من وقوعه وهو في مظنة الوقوع منزلة الواقع ويحتمل ان يريد به الحرب

وان

في وصية الى جيش بعثه الى العدو

التي يريد ان يوقعها به ثم نهاه عن تمكين الغواة من سمعه وكنى به عن اصغائه اليهم فيما يشيرون به عليه من الاراء المستلزمة للبقاء
على المعصية اذ من شان الغاوي الاغواء والغواة كعمرو بن العاص ومروان ومن كان يعتضد به في الراي وقوله والا تفعل اي ان لم
تفعل ما امرتك به اعلمك ما اغفلت من نفسك ومفعول تركت ضميرهما وقوله من نفسك بيان لذلك الضمير وتفسير له واغفاله
لنفسه تركه اعدادها بما يخلصه من اهوال الحرب وعذاب الاخرة وهو ملازمة طاعة الله واقتناء الفضائل النفسانية وبعيد — نزله به
من ذلك الاعلام الذي توعده بالاعلام بالفعل فان مضايقته بالحرب والقتال يستلزم اعلامه ما اغفل من نفسه من طاعة الله
المستلزمة للراحة وقوله فانك الى قوله الدم وصف له بما يستلزم اعلامه بالفعل ما اغفل من نفسه فالترف مستلزم للتجاوز — بالقود
الحق الذي ينبغي ويتركه وذلك الحق فضيلة تحت العفة بكون الشيطان قد اخذ منه ماخذه وبلغ فيه امله وجرى منه مجرى
الروح والدم في القرب يستلزم وصفه بكل الرذائل المستلزمة لاهمال الفضائل ثم اخذ في استفهامه عن وقت كونهم
امية ساسة للرعية وولاة امر الامة استفهاما على سبيل الانكار لذلك والتقريع بالخمول والقصور عن رتبة الملوك والولاة ذو
القدم السابق كناية عن التقدم في الامور والاهلية لذلك ونبه بقوله بغير قدم سابق على ان سابقة الشرف والتقدم في الامور
شرط لذلك للاهلية في المتعارف وهو في قوة صغرى ضمير من الشكل الاول تقديرها وانتم بغير قدم سابق وتقدير الكبرى
وكل من كان كذلك فليس باهل لسياسة الرعية وولاة امر الامة ينتج انكم لستم لذلك باهل وهو عين ما استنكره بقصد وكما انهم لم يكن — اهلا له
فيهم من اهل الشرف اهل لذلك ثم استعاذ من لزوم ما سبق من الشقا ونبها على ان معوية في معرض ذلك وبصدده لما هو عليه من غفلة — في القضا الالهي
الاطماع والاماني الدنيوية والثاني كونه مختلف العلانية والسريرة وكنى بذلك عن النفاق ووجه التحذير مما يستلزمانه من لزوم الشقا في الاخرة
وقد كان معوية دعاه الى الحرب اجابه بجواب مسكت وهو قوله فدع الناس جانبا الى قوله مني وانتصب جانبا على الظرف وانما جعل مبارزته
له سببا لعلمه بانه مغطى على قلبه وبصيرته بحجب الدنيا رجاء ايقاعها كان من لوازم العلم باحوال الاخرة وفضلها على الدنيا الثبات
عند المبارزة في طلبها والتنادي الى القتل حتى ربما تكون محبة القتل من لوازم ذلك العلم ايضا وقد كان ع يعلم من حاله انه لا يثبت له
وهو متهيئ للبقاء في الدنيا فلذلك دعاه الى المبارزة ليعلم بما يقدم عليه وفراره منه انه ليس طالبا للحق وطريق الاخرة في قتاله
وان حجب الشهوات الدنيوية قد غطت عين بصيرته عن احوال الاخرة وطلبها فكان فراره منه مستلزما لعدم علمه بالاخرة المستلزم للرين
على قلبه وعلامة ذلك عليه وفي ذلك تهديد وتحذير وكذلك في اعتزائه وانتسابه وتذكيره بكونه قاتل من قتل من اهله شدخا يوم بدر
في معرض التخويف والتحذير له ان يصيبه ما اصابهم ان اصر على المعصية وحقيقة المقول هو جده لامه عتبة بن ابي ربيعة فانه كان ابا هند
وخاله الوليد بن عتبة واخوه حنظلة بن ابي سفيان فقتلهم جميعا يوم بدر وكذلك تذكيره بقوله وذلك السيف والقلب معي القى بهما عدوي
وبكونه لم يستبدل دينا ولا نبيا وانه على المنهاج الذي تركوه طائعين ودخلوه مكرهين وهو طريق الاسلام الواضح كل ذلك
في معرض التخويف والتحذير والتوبيخ بالنفاق ثم اشار الى الشبهة التي كانت سببا لثوران الفتن العظيمة وانشعاب امر الدين وهي
شبهة الطلب بدم عثمن التي كانت عمدته في عصيانه وخلافه واشار الى الجواب عنها بوجهين احدهما انه ع ليس من قتلة عثمن فلا
مطالبة عليه وانما توجه المطالبة على قاتليه وهو يعلمهم الثاني المنع بقوله ان كنت طالبا فان ايقاع الشك هنا بان فيه لزم
عدم تسليم كونه طالبا بدم عثمن ثم عقب تخويفه بالحرب وما يستلزمه من الثقل الى الغاية المذكورة وههنا ثلث تشبيهات احدها
المدلول عليه بقوله فكاني قد رايتك والمشبه به ههنا نفسه ع في حال كلامه هذا والمشبه هو ايضا نفسه لكن من حيث هي رائية
رؤية محققة وتحقيق ذلك ان نفسه لكمالها واطلاعها على الامور التي ستكون كانت مشاهدة لها ووجه التشبيه منها ما يقاس
الى حالتها جلاء المعلوم وظهوره له في الحالتين الثاني قوله تضج ضجيج الجمال بالاثقال ووجه الشبه شدة تبرمه وضجره من ثقلها كثقل
تبرم الجمل المثقل بالحمل وضجيجه كناية عن تبرمه واستعار لفظ العض ملاحظة لشبهها بالسبع العقور ووجه المشابهة استلزام ملاقات — لفعلها به
الاثقال للالم كاستلزام العض له الثالث قوله وكاني بجماعتك والمشبه به هنا ايضا نفسه والمشبه به ما دلت عليه بالالصاق كانه
قال كاني متصل او ملتصق بجماعتك حاضر معهم ومحل يدعونني النصب على الحال والعامل ما في كان من معنى الفعل اي اشبه
نفسي بالحاضر حال دعائهم له وجزعا مفعول له وتجوز بلفظ القضا في المقضي من الامور التي توجد عن القضاء الالهي اطلاقا
لاسم السبب على المسبب وقوله ومصارع بعد مصارع والمصرع هنا مصدر اي جزعا من مصارع يلحق بعضهم بعد بعض ويلحقهم
بعد مصارع اباءهم الشانئة وقد كان اطلاعه ع على دعائهم له الى كتاب الله قبل وقوعه من اياته الباهرة والواو في قوله وهي
للحال والعامل فيه يدعونني والكافرة الجاحدة للحق من جماعته اشارة الى المنافقين منهم وقد كان فيهم جماعة كذلك والمبايعة
الحائدة الذين بايعوه وعدلوا عن بيعته الى معوية والسلام **ومن وصية له عليه السلم** وصى بها جيشا بعثه الى
العدو فاذا نزلتم بعدو او نزل بكم فليكن معسكركم في قبل الاشراف او سفاح الجبال او اثناء الانهار كيما

[illegible]

فصل ملتقط من كتاب كتبه الى زياد بن النضر

يكون لكم ردءا ودونكم مردا ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد او اثنين واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال ومناكب الهضاب لئلا
ياتيكم العدو من مكان مخافة او امن واعلموا ان مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم واياكم والتفرق فاذا
نزلتم فانزلوا جميعا واذا ارتحلتم فارتحلوا جميعا واذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفة ولا تذوقوا النوم الا غرارا
او مضمضة **اقول** هذا الفصل ملتقط من كتاب كتبه عم الى زياد بن النضر الحارثي حين سرحه على مقدمته الى الشام من النخيلة
لما اراد الخروج من الكوفة اليها وكان قد بعث معه شريح بن هانى واختلفا فكتب كل منهما اليه يشكو من صاحبه فكتب عم اليهما اما
بعد فاني وليت زياد بن النضر مقدمتي وامرته عليها وشريح على طائفة منها امير فان جمعكما باس فزياد على الناس وان افترقتما فكل
واحد منكما امير على الطائفة التي وليته عليها واعلما ان مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم فاذا انتما خرجتما من بلادكما
ودنوتما من بلاد عدوكما فلا تسأما من توجيه الطلائع ومن نفض الشعاب والشجر والخمر في كل جانب الى المساء الا على تعبئة فان دهمكم
دهم او غشيكم مكروه كنتم قد تقدمتم في التعبئة ثم يتصل بقوله فاذا نزلتم الى قوله امن ثم يتصل بقوله واياكم والتفرق فاذا
نزلتم فانزلوا جميعا واذا رحلتم فارحلوا جميعا واذا غشيكم الليل فنزلتم فحفوا عسكركم بالرماح والترسة ورماتكم تكون ترستكم
ورماحكم وما اقمتم فكذلك فافعلوا كيلا يصاب لكم غفلة ولا يلفى لكم غرة فما من قوم يحفون عسكرهم برماحهم وترستهم
من ليل ونهار الا كانهم في حصون واحرسا عسكركما بانفسكما واياكما ان تذوقا نوما حتى تصبحا الا غرارا او مضمضة ثم ليكن ذلك
شانكما ودابكما حتى تنتهيا الى عدوكما وليكن عندي كل يوم خبركما ورسول من قبلكما فاني ولا شيء الا ما شاء الله حثيث السير
في اثاركما عليكما في حربكما بالتؤدة واياكما والعجلة الا ان تمكنكما فرصة بعد الاعذار والحجة واياكما ان تقاتلا حتى اقدم
عليكما الا ان تبدءا او ياتيكما امري ان شاء الله ولنرجع الى الشرح فنقول العين الجاسوس وطليعة الجيش الذي يبعث ليطلع على
العدو ونفض الشعاب استقراؤها والخمر ما واراك من شجر او جبل ونحوهما والكمين الواحد والجمع يستخفون في الحرب حيلة
للايقاع بالعدو والكتيبة الجيش وتعبئته جمعه واعداده والدهم العدد الكثير والمعسكر بفتح الكاف موضع العسكر والاشراف
جمع شرف بفتح الراء وهو المكان العالي وقبلها بضمتين وضمه وسكون هو قدامها وسفح الجبل اسفله حيث يسفح فيه الماء واثناء
الانهار جمع ثني وهو منعطفها والردء العون والمقاتلة والرقباء الحفظة على صياصي الجبال وهي اعاليها واطرافها و
الهضاب جمع هضبة وهي الجبل المنبسط على وجه الارض وكفة بالكسر اي مستديرة والغرار النوم القليل والمضمضة حركة النعاس
في العين وهو كناية عن قلة النوم ايضا والترسة جمع ترس واعلم ان صدر الكتاب ظاهر الا ان فيه نكتة وهي انه كرر لفظ الاعقب
النهي عن تشتت الكتائب وهاهنا فائدة ان الحصر فيما الاولى تفيد حصره في وقت المسايرة واما الثانية فتفيد حصره في حال
التعبئة وفي هذا الكتاب من تعليم كيفية الحرب قوانين كلية عظيمة النفع يستلزم استعمالها الظفر بالعدو ويفصح عن تكذيب من ادعى
انه لا علم له بالحرب كما حكاه عم عن قريش فيما مضى وفي هذا الفصل جملة منها احدها ان يختاروا المعسكر عند منازلة العدو قدام
الاماكن العالية وسفاح الجبال واثناء الانهار وكشف عن العلة في ذلك ووجه المصلحة فيه بقوله كيما يكون لكم ردءا اي تكون هذه الاماكن
حافظة لكم من ورائكم مانعة من العدو ان ياتيكم من تلك الجهة وبذلك كانت معينة الثاني ان يكون مقاتلتهم من وجه واحد فان لم
يكن فمن وجهين حيث يحفظ بعضهم ظهر بعض ويستره اذ يستلزم البقاء على الجمعية واما المقاتلة من وجوه كثيرة فمستلزمة للتفرق
والضعف الثالث ان يجعلوا لهم حفظة في الاماكن العالية وعلته ذكرها وهو ان لا ياتيهم العدو من مكان يخافون منهم او يامنون على غرة و
غفلة من الاستعداد له الرابع ان يعلموا ان مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم فلا يهملوا التاهب عند رؤية المقدمة والطليعة
وان قل عددهم لان رؤيتهم مما تستلزم هجوم العدو وقربه الخامس التحذير من التفرق ومن لوازمه الامر بالاجتماع حالتي النزول والارتحال
وستره ظا السادس ان يجعلوا الرماح مستديرة عليهم وان لا يستغرقوا في النوم كما يفعله الغافل المطمئن وسرهما الحراسة والتحفظ
من خوف هجوم العدو على الغرة وحال النوم **ومن وصية له عليه السلام** لمعقل بن قيس الرياحي حين انفذه الى الشام في
ثلاثة الاف مقدمة له اتق الله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه ولا تقاتلن الا من قاتلك وسر البردين
وغور بالناس ورفه بالسير ولا تسر اول الليل فان الله تعالى جعله سكنا وقدره مقاما لا ظعنا فارح فيه
بدنك وروح ظهرك فاذا وقفت حين ينبطح السحر او حين ينفجر الفجر فسر على بركة الله تعالى فاذا لقيت العدو
فقف من اصحابك وسطا ولا تدن من القوم دنو من يريد ان ينشب الحرب ولا تباعد عنهم تباعد من يهاب البأس حتى
ياتيك امري ولا يحملنكم شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والاعذار اليهم **اقول** روي انه عم بعثه من المدائن في
ثلاثة الاف وقال له امض على الموصل حتى توافيني بالرقة ثم قال له اتق الله الفصل فخرج حتى اتى الحديثة وهي اذ ذاك منزل
الناس انما بنى الموصل بعد ذلك محمد بن مروان ثم مضوا حتى لقوه عم بالرقة والبردين الغداة والعشي وكذا الابردان والتغوير

كتاب كتبه الى امير من امراء جيشه

القيلولة وغور اي نزل في القايلة وهي نصف النهار والترفيه الاراحة والسكن ما يسكن فيه واليه والظعن الارتحال والانبطاح
الاتساع والانبساط وانتشب الشيء بالشيء علق فيه والشنآن البغض والعداوة ولما كان معقل بن قيس متوجها لسفر الى الله تعالى
في جهاد اعدائه امره بتقواه التي هي خير زاد في الطريق اليه وفي قوله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه فوائد احديها
جذب له الى التقوى بالتخويف من لقاء الله الثانية تسهيل الجهاد عليه فانه لما كان مقصده الجهاد طاعة مقربة الى الله تعالى اشعره
لوجوب لقائه ليستعد بتلك الطاعة التي هو بصددها لما يضطر اليه من لقائه الثالثة انه امره بتقوى الله خوفا من ضرورة لقائه ثم
ليكون اسرع الى ما امر به وينهاه عنه من الامور المذكورة في وصيته فمنها ان لا يقاتل الا من قاتله فان قتال غير المقاتل ظلم ومنها
ان يسير طرفي النهار لبردهما ويغور في وسطه لما يستلزمه القائلة من شدة الحر والمتاعب فيه وان يرفه في السير ليلحق الضعيف
القوي ولا يظهر التعب على الناس لحاجتهم الى فضل القوة واستعمالها وان لا يسير في اول الليل لان الله جعله سكنا ومقاما
يستراح فيه من المتاعب ويسكن اليه بعد النفرة عنها ولم يجعله محل الظعن وامره ان يريح فيه بدنه ويروح ظهره اي خيله واطلق
عليه لفظ الظعن مجازا اطلاقا لاسم المظروف على الظرف وان يجعل سيره بعد توقفه في ليله حين ينبطح السحر او حين ينفجر الفجر لانه
مظنة طيب السير وان يقف من اصحابه عند لقاء العدو وسطا ليكون نسبة الطرفين في الرجوع اليه والاستمداد وسماع اوامره على سوا
ومن النواهي ان لا يدنو من القوم دنو من يريد انشاب الحرب بادرة ايقاع الفتنة ليكون اعذر عند الله والخلق في دعائهم الى الحق ولا
يتباعد عنهم تباعد الخائف منهم الهائب من عدوه لئلا يطمع فيه العدو وضرب لهما هذين التشبيهين فاتى هي ورود امره عليه باحدها
وان لا يحملهم بغضهم وعداوتهم على قتالهم قبل دعائهم الى الامام الحق والاعذار اليهم بذلك فيكون قتالهم على ذلك الوجه لغير الله بل لمجرد
الهوى والعداوة فيخرج عن كونه طاعة وبالله التوفيق **ومن كتاب له عم** الى اميرين من امراء جيشه وقد امرت عليكما وعلى من في حيزكما مالك
بن الحرث الاشتر فاسمعا له واطيعا واجعلاه درعا ومجنا فانه ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته ولا بطؤه عما الاسراع اليه
احزم ولا اسراعه الى ما البطء عنه امثل **اقول** الاميران المشار اليهما هما زياد بن النضر وشريح بن هانى وذلك انه جعلهما على مقدمته
له في اثني عشر الفا فلقيا ابا الاعور السلمي في جند من اهل الشام فكتبا اليه يعلماه بذلك فارسل الى الاشتر فقال له ان زياد بن
النضر وشريحا ارسلا الي يعلماني انهما لقيا ابا الاعور في جند من اهل الشام بسور الروم فنبأني الرسول انه تركهم متواقفين فالنجا
النجا اليهم فان اتيتهم فانت عليهم واياك ان تبدأ القوم بقتال الا ان يبدأوك حتى تلقاهم وتسمع منهم ولا يجرمنك شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم و
الاعذار اليهم مرة بعد مرة واجعل على ميمنتك زيادا وعلى ميسرتك شريحا وقف من اصحابك وسطا ولا تدن منهم دنو من يريد ان ينشب
الحرب ولا تباعد منهم تباعد من يهاب الناس حتى اقدم عليك فاني حثيث السير اليك ان شاء الله وكتب اليهما اما بعد فاني امرت عليكما
الفصل والسقطة الزلة والحزم ضبط الرجل امره واخذه باولى الاراء واقربها الى الصواب والامثل الاقرب الى الخير وقد امرهما باوامر
منها ان يسمعا امره فيما يراه اصلح ويطيعا امره في ذلك ليكون به نظام امورهم في لقاء عدوهم المستلزم لظفرهم وان يجعلاه درعا
ومجنا في الحرب والراي فانه ممن لا يخاف منه ضعف في حرب ولا زلة في راي ولا بطؤه عما الاسراع اولى بالراي من الافعال ولا اسراعه فيما
البطء عنه اولى للتدبير واقرب الى الخير بل يضع كل شيء موضعه ولفظ الدرع والمجن مستعار باعتبار وقايتهم من شر عدوهم كما يقي
الدرع والمجن صاحبهما وبالله التوفيق **ومن وصية له عليه السلام** لعسكره قبل لقاء العدو بصفين لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم
فانكم بحمد الله على حجة وترككم اياهم حتى يبدأوكم حجة اخرى لكم عليهم فاذا كانت الهزيمة باذن الله فلا تقتلوا مدبرا ولا
تصيبوا معورا ولا تجهزوا على جريح ولا تهيجوا النساء باذى وان شتمن اعراضكم وسببن امراءكم فانهن ضعيفات القوى والانفس والعقول
ان كنا لنؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات وان كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر او الهراوة فيعير بها وعقبه
من بعده **اقول** روي انه عم كان يوصي اصحابه في كل موطن يلقون العدو فيه بهذه الوصية الهزيمة الهرب والمعور الصيد
امكن من نفسه واعور الفارس ظهر فيه موضع خلل للضرب فهو معور واجهز على الجريح قتله واهاج الشيء اثاره والفهر الحجر المستطيل الاملس
والهراوة خشبة كالدبوس والعقب الولد وولد الولد واعلم انه قد وصى في هذا الفصل بامور احدها ان لا يقاتلوهم الى ان يبدأوهم بالقتال
واشار الى ان ذلك يكون حجة ثانية عليهم واشار بالحجة الاولى الى قوله تعالى فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء
الى امر الله وظاهر ان هؤلاء بغاة على الامام الحق فوجب قتالهم واما الثانية فهي تركهم حتى يبدأوا بالحرب وبيان هذه الحجة من
وجهين احدهما انهم اذا بدأوا بالحرب فقد تحقق دخولهم في حرب الله وحرب رسوله لقوله صلى الله عليه وآله حربك يا علي حربي وتحقق
سعيهم في الارض بالفساد بقتلهم النفس التي حرم الله ابتداء بغير حق وكل من تحقق دخوله في ذلك دخل في عموم قوله تعالى انما جزاء
الذين يحاربون الله ورسوله الاية الثاني ان البادي بالحرب معتد ابتداء وكل معتد كذلك يجب الاعتداء عليه لقوله تعالى فمن
اعتدى عليكم الاية فوجب الاعتداء عليهم اذا بدأوا بالحرب الثاني وصاهم على تقدير وقوع الهزيمة منهم باذن الله ان لا يقتلوا

من كتاب كتبه الى امراء جيشه

مدبرا اى موليا فارا ولا يصيبوا معورا وهو الذي امكنهم الفرصة في قتله بعد انكشاره للعدو وكالمعور من الصيد وقيل اراد بالمعور
المريب وهو الذي وقع فيه الشك انه محارب لهم او لا اى لا تقتلوا الا من علمتم انه محارب لكم الثالث ان لا تجهزوا على جريح وهذه الامور عن
المنهى عنها فيما هي من احكام الكفار حال الحرب فنفرق بين هؤلاء البغاة وبينهم فيها وان اوجب قتالهم وقتلهم ويلحق به ما اسند هكذا هم
ما نقله نصر بن مزاحم تماما لهذا الفصل بعد قوله ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل واذا وصلتم الى رجال القوم فلا
تهتكوا سترا ولا تدخلوا دارا الا باذن ولا تاخذوا شيئا من اموالهم ثم يتصل بقوله ولا تهيجوا النساء والمراد بذلك ان لا تثيروا شرورهن
باذى وان بلغن الغاية المذكورة من شتم الاعراض وسب الامراء وعلل اولوية الكف عنهن بكونهن ضعيفات القوى اى ضعيفات القوى
عن مقاومات الرجال وحربهم وسلاح الضعيف والعاجز لسانه وبكونهن ضعيفات الانفس اى لا صبر لنفوسهن على البلاء فيجهدن
في دفعه بما امكن من سب غيره وبكونهن ضعيفات العقول اى لا قوة لعقولهن ان ترى عدم الفائدة في السب والشتم وانه من رذائل
الاخلاق وانه يستلزم زيادة الشرور واثارة الطباع التي يراد تسكينها وكفها وقوله وان كنا الى آخره منبه على الامر بالكف عنهن لانه
اذا امر بالكف عنهن حال كونهن مشركات ففي حال اظهارهن الاسلام اولى والواو في واتفق للحال وقوله وان كان الرجل الى آخره
منبه على ما في اذاهن من المفسدة وهي التشبيه اللازمة لفاعله في حال حيوته وبعد وفاته وذلك تنفيرا عن اذاهن في معرض النهي عنه
وثناوها بالفهر والهراوة كناية عن ضربها بها وان في قوله وان كنا وفي قوله وان كان هي المخففة من المثقلة وتلزم اللام خبرها فرقا بينها لهراوة
وبين ان النافية **وكان يقول عليه السلم** اذا لقى العدو محاربا اللهم اليك افضت القلوب ومدت الاعناق وشخصت
الابصار ونقلت الاقدام وانضيت الابدان اللهم قد صرح مكنون الشنان وجاشت مراجل الاضغان اللهم انا نشكو اليك
غيبة نبينا وكثرة عدونا وتشتت اهوائنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين **اقول** روى انه كان
اذا اشتد القتال ذكر اسم الله حين يركب ثم يقول الحمد لله على نعمه علينا وفضله العظيم سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
وانا الى ربنا لمنقلبون ثم يستقبل القبلة ويرفع يديه ويقول اللهم اليك نقلت الاقدام الفصل الى قوله خير الفاتحين ثم يقول سيروا
على بركة الله ثم يقول الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر يا الله يا احد يا صمد يا رب محمد بسم الله الرحمن الرحيم
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اياك نعبد واياك نستعين اللهم كف عنا ايدي الظالمين فكان هذا شعاره بصفين وافضت
خرجت اليه عن كل شيء ووصلت اليه خالصة سرها وشخوص البصر ارتفاعه نحو الشيء بحيث لا يطرف وانضاء الابدان هزالها
وصرح ظهر وهو فعل لازم والشنان العداوة والبغضاء ومكنونه المستور منه والمراجل القدور وجيشها غليانها والضغن الحقد
وافتح اى احكم والفاتح الحاكم ولما كان مراده عليه السلام حينئذ الصلاة لله وعبادته له ومن كمال العبادات ان تشفع بذكر الله وتوجيه السر نحوه
اذ كان ذلك هو سر العبادة وفائدتها لا جرم كان دابه في جهاده التضرع والالتفات الى الله بهذا الفصل وامثاله مع ما يستلزمه
من طلب النصر والاعداد له فاشار بافضاء القلوب الى اخلاصها في تلك الحال وبمد الاعناق وشخوص الابصار الى ما يستلزمه الالتفات
من الهيئات البدنية وبنقل الاقدام وانضاء الابدان الى كون ذلك السفر وما يستلزمه من المتاعب مما هو لوجهه وغاية الوصول
الى مرضاته واشار الى علة قتالهم في معرض الشكاية الى الله ثم وهي تفريحهم بما كان مستقرا في صدورهم في حيوة الرسول ص من العداوة
والبغضاء والجيش اضغانهم السابقة مما فعل بهم ببدر واحد وغيرهما من المواطن فلفظ المراجل مستعار ووجه المشابهة غليان دماء
قلوبهم عن الاحقاد كغليان المراجل ولفظ الجيش ترشيح ثم لما كانت غيبة النبي ص وفقده هو السبب الذي يستلزم تصريح الشنان وظهور
الاضغان وكثرة العدو وتفرق الاهواء لا جرم شكى الى الله من تحققها وما يستلزمه من هذه الشرور ثم ساله ان يحكم بينه وبينهم بالحق
اقتباسا من القرآن الكريم لما ان ايقاع الحكم الحق بينهم يستلزم نصرته عليهم وظفره بهم اذ كان هو المحق في جهاده وبالله التوفيق
وكان عليه السلم يقول لاصحابه عند الحرب لا تشتدن عليكم فرة بعدها كرة ولا جولة بعدها حملة واعطوا السيوف
حقوقها ووطئوا للجنوب مصارعها واذمروا انفسكم على الطعن الدعسي والضرب الطلحفي واميتوا الاصوات فانه اطرد
للفشل والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما اسلموا ولكن استسلموا واسروا الكفر فلما وجدوا اعوانا عليه اظهروه **اقول**
الفرة المرة من الفرار والكرة الفعلة من الكر وهو الرجوع على العدو والجولة الدورة والمصارع مواضع الصرع للقتلى وذمرته اذمره
اى حثثته والدعسي منسوب الى الدعس وهو الاثر والطلحفي الشديد والياء للمبالغة والنسمة الخلق وقوله لا تشتدن عليكم
الى قوله حملة اى اذا رايتم في فراركم مصلحة في خدعة العدو كالجذب له بذلك حيث يتمكن منه ويقع الفرصة فكروا عليه حينئذ
فلا تشتدن عليكم الفرة ووجه الشدة هنا ان الفرار بين العرب صعب شديد لما يستلزمه من العار والسبة فاشار الى وجه تسهيله
عليهم بانه اذا كان بعده كرة فلا باس به لما فيه من المصلحة ويحتمل ان يريد انكم اذا اتفق لكم ان فررتم فرة عقبتموها بكرة فلا تشتدن
عليكم تلك الفرة فتنفعلوا وتستحيوا فان تلك الكرة كالماحية لها وفيه تنبيه على الامر بالكرة على تقدير الفرة وكذلك قوله ولا جولة بعدها حملة

ويحتمل

في جواب كتاب كتبه معاوية اليه

الجزو ٢ ٣

ويحتمل ان يريد فلا تشتدن عليكم فرة من عدوكم بعدها كرة منه عليكم فان تلك الكرة لما كانت عقيب الفرة لم تكن الا عن قلوب مدخولة
ونيات غير صحيحة وانما قدم الفرة في هذا الاحتمال لان مقصوده تحقير تلك الكرة بذكر الفرة وكان ذكرها اهم فلذلك قدمت وكذلك
قوله ولا جولة بعدها حملة ثم امرهم باوامر احدها ان يعطوا السيوف حقوقها وهو كناية عن الامر بفعل ما ينبغي ان يفعل ولفظ الحقوق
مستعار لما تصل اليه السيوف من الافعال التي ينبغي ان تفعل بها الثاني ان يوطئوا الجنوب مصارعها اى يتخذوا مصارع جنوبهم
اوطانا لها وهو كناية عن الامر بالعزم الجازم على القتل في سبيل الله والاقدام على اهوال الحرب اذ كان اتخاذ المصارع اوطانا للجنوب
مستلزما لذلك العزم والاقدام وروى وطئوا بالياء الثالث ان يحثوا انفسهم على الطعن الذي يظهر اثره والضرب الشديد
اى يحملوها على ذلك ويبعثوها بالدواعي الصادقة التي لله فيها رضى من تذكر ما وعد الله عباده الصالحين الرابع ان يميتوا الاصوات
اى لا يكثروا الصياح فانه من علامات الفشل بعدم السكون علامة للثبات المنافي للجبن والصياح فاشبه وقد سبقت الاشارة
الى ذلك ثم اقسم بما تعبدنا به من قسمه ان القوم لم يسلموا بقلوبهم حين اظهروا الاسلام في زمن رسول الله ص بالسنتهم ولكنهم
استسلموا خوفا من القتل واسروا الكفر فلما وجدوا اعوانا على اظهاره اظهروه وهو اشارة الى المنافقين من بني امية كالحكم بن العاص
ومروان ومعوية وامثالهم وروى مثل هذا الكلام لعمار بن ياسر رضى الله عنه وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم الى معوية**
جوابا عن كتاب منه اليه واما طلبك الى الشام فاني لم اكن لاعطيك اليوم ما منعتك امس واما قولك ان الحرب قد اكلت
جوابا العرب الا حشاشات انفس بقيت الا ومن اكله الحق فالى الجنة ومن اكله الباطل فالى النار واما استواؤنا في الحرب
والرجال فلست بامضى على الشك مني على اليقين وليس اهل الشام باحرص على الدنيا من اهل العراق على الآخرة واما
قولك انا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس امية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا ابو سفيان كابي طالب ولا
نحن المهاجر كالطليق ولا الصريح كاللصيق ولا المحق كالمبطل ولا المؤمن كالمدغل ولبئس الخلف خلف يتبع سلفا هوى في
نار جهنم وفي ايدينا بعد فضل النبوة التي اذللنا بها العزيز ونعشنا بها الذليل ولما ادخل الله العرب في دينه افواجا
واسلمت له هذه الامة طوعا وكرها كنتم ممن دخل في الدين اما رغبة واما رهبة على حين فاز اهل السبق بسبقهم وذهب
هذه المهاجرون الاولون بفضلهم فلا تجعلن للشيطان فيك نصيبا ولا على نفسك سبيلا والسلام **اقول** روى ان معوية
استشار عمرو بن العاص في ان يكتب الى علي كتابا يسأله فيه الشام فضحك عمرو وقال اين انت يا معوية من خدعة علي قال السنا
بني عبد مناف قال بلى ولكن لهم النبوة دونك وان شئت ان تكتب فاكتب فكتب معوية اليه مع رجل من السكاسك يقال له عبد
الله بن عقبة اما بعد فاني اظنك لو علمت ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمنا لم يجنها بعضنا على بعض وانا وان كنا قد غلبنا
على عقولنا فقد بقي لنا منها ما يندم به على ما مضى ونصلح به ما بقي وقد كنت سألتك الشام على ان لا يلزمني لك طاعة ولا
بيعة وابيت ذلك علي فاعطاني الله ما منعت وانا ادعوك اليوم الى ما دعوتك اليه امس فاني لا ارجو من البقاء الا ما ترجو ولا
اخاف من القتل الا ما تخاف وقد والله رقت الاجناد وذهبت الرجال واكلت الحرب العرب الا حشاشات انفس بقيت وانا في الحرب
والرجال سواء ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل الا فضل لا يستذل به عزيز ولا يسترق به حر والسلام فلما
قرء علي ع كتابه تعجب منه ومن كتابه ثم دعا عبد الله بن ابي رافع كاتبه وقال له اكتب اليه اما بعد فقد جاءني كتابك تذكر انك لو
علمت وعلمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض فانا واياك في غاية لم نبلغها بعد واما طلبك الى الشام الفصل
الحشاشة بقية الروح والطليق الاسير الذي اطلق من اسره وخلى سبيله والصريح الرجل خالص النسب واللصيق الدعي الملصق بغير ابيه
والمدغل الذي اشتمل باطنه على فساد كنفاق ونحوه وسلف الرجل اباؤه المتقدمون وخلفه من يجيء بعده ونعشنا رفعنا
والفوج الجماعة وفيه اجابة عن امور اربعة تضمنها كتاب معوية احدها انه استعطفه الى التقية واستنزله لو منعه الشام بقوله
انك لو علمت الى قوله ما بقي وفيه اشعار بالجزع من مضض الحرب والخوف من دوامها فاجابه بقوله وانا واياك في غاية لم نبلغها
بعد ويفهم منه التهديد ببقاء الحرب الى الغاية منها وهي الظفر به وهذا كما هو مستلزم للتخويف والتهويل عليه ومنع ما طلب من
التقية ووضع الحرب الثاني انه سأل اقراره على الشام مع نوع من التشجيع الموهم لعدم الانفعال والضراعة وذلك في قوله وقد
كنت سألتك الشام الى قوله امس وقوله فاني لا ارجو الى قوله ما تخاف اشارة الى كونهما سواء في رجاء البقاء والخوف من
القتل ومقصود ذلك ان يوهم انه لا انفعال له عن تلك الحرب ايضا وقوله وانا ادعوك الى ما دعوتك اليه امس اى من طلب ابقائه
على الشام وذلك انه ع حين بويع بالخلافة كان معوية سأل منه اقراره على امرة الشام ونقل عن ابن عباس انه قال له ع وله
شهرا واعزله دهرا فانه بعد ان يبايعك لا يقدر على ان يعدل في امرته ولا بد ان يجور فتعزله بذلك فقال ع كلا وما كنت
متخذ المضلين عضدا وروى ان المغيرة بن شعبة قال له ع ان لك حق الطاعة والنصيحة اقرر معوية على عمله والعمال على اعمالهم

في ترجيح فضله على معوية

حتى ... تنك ناشتهم وتبعه الجنود استبدلت وتركت فقال ع حتى انظر فخرج من عنده ثم عاد اليه من الغد فقال انى اشرت عليك امس
براى وان الراى ان تعاجلهم بالنزع فيعلم السامع من غيره ويستقبل امرك ثم خرج من عنده فجاءه ابن عباس فاخبره بما اشار اليه المغيرة
من الرايين فقال اما امس فقد نصحك واما اليوم فقد غشك وقد كان الراى الدنيا ومن الخالص في حفظ الملك ذلك لكنه ع لما
لم يكن لينا هل في شيء من امر الدين اصلا وان قل وان كان اقرار معوية وامثاله على الاعمال يستلزم العدول في كثير من نصره
عن سبيل الله لا جرم لم ير اقراره على العمل ومنعه ما سال ولما كان سعد اولا انما ... صلى الله ... عن مشاركة الهوى والميول
الطبيعية لم يكن سؤاله ثانيا واستعطافه اياه مقربا له الى اجابته خصوصا وقد حدثت تلك الحروب الشديدة من العرب ما احدثت
وقتل من المهاجرين والانصار وساير العرب من قتل بل اجابه بعين ما اجابه اولا من الرد والمنع في قوله فلم اكن لاعطيك اليوم
ما منعتك امس اذ العلة في المنع قائمة في كل حين وزمان وهي المحافظة على دين الله الثالث تحفظ الرجال والتقية على الاخيار
لحفظ الاسلام وتقويته امر واجب فلا جرم استعطفه واسند رحمه الى التقية التنبيه عليهم للتنبيه على ذلك بقوله وقد ...
الى قوله يعيث فاجابه ع الا ومن اكله الحق فالى الجنة ومن اكله الباطل فالى النار وهو كبرى قياس حذف صغراه للعلم بها وتقديرها ان هولاء الاخيار
الذين قتلناهم انما قتلهم الحق اى كان قتلهم بحق لبغيهم وتقدير هذه الكبرى وكل من قتله الحق فمصيره الى الجنة فينتج ان مصير
من قتل من هولاء الى الجنة ثم هذه النتيجة تنبيه على الجواب وهي قوة صغرى قياس ضمير تقدير كبراه وكل من كان من اهل
النار فلا يجوز التقية عليه ولا الاسف لفقده الرابع قوله ... في الحرب والرجال سواء على ... لا ينفعل
عن هذه الحروب وان اشتدت وان الضعف والهلاك ان جرى فعلى العسكرين وفيه رفع تخويف وتهويل فاجابه ع
بقوله فلسنا ... بامضى الى قوله الاخرة ووجه كون الاول جوابا انه يقول انك في طلبات لما انت طالب له على شك من ...
وانا على يقين في ذلك وكل من كان في شك من امره فليس بامضى في حربه وقتاله ممن هو على ثقة في ...
امضى في امرك على الشك مني على اليقين في امري ويفهم من ذلك انه يقول انا امضى في امري واولى بالغلبة لكوني على
بصيرة ويقين ... تكذيب لمساواة بينهما لكون المتيقن ارجح في فعله من الشاك ووجه كون الثاني جوابا انه يقول ان اهل
الشام يطلبون بقتالهم الدنيا واهل العراق يطلبون بقتالهم الاخرة وليس اهل الشام باحرص على مطلوبهم من الدنيا
من اهل العراق على مطلوبهم من الاخرة ويفهم من ذلك انه يقول بل اهل العراق احرص على الاخرة من اهل الشام على الدنيا
لشرف الاخرة ولتيقنهم حصولها وانقطاع الدنيا وشك اهل الشام في حصولها كما قال تعالى فانهم يالمون كما تالمون وترجون من
الله ما لا يرجون ... تكذيب لمساواة في الحرب والرجال لشرف اهل الاخرة على اهل الدنيا ولكون الاحرص اولى بالغلبة ...
الخامس ... بقوله ونحن بنو عبد مناف الى قوله علينا وانه لدى الشرف والفضيلة وهو في قوة صغرى قياس ضمير ...
وتقدير كبراه وكل قوم كانوا من بيت واحد فلا فضل لبعضهم على بعض ولا فخر فاجابه ع بالفرق بينهما بعد ان سلم له الاشتراك
بينهما في كونهما من بني عبد مناف وذكر الفرق من وجوه خمسة بين فيها بالامور الخارجية اولا من كمالاته ونقصانه ورذايل خصمه
منه وجامعها الى الاقرب فالاقرب فالاول شرفه من جهة الاباء المنتسبين الى عبد مناف ... ان سلك اباءه ابو طالب
عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وسلك اباء معوية ابو سفيان بن حرب بن امية بن عبد مناف وظاهر ان كل واحد من ...
الثلثة اشرف ممن هو في درجته من اباء معوية وقد ذكرنا طرفا من فضلهم على غيرهم الثاني شرفه من جهة هجرته مع الرسول ص وخسة
خصمه من جهة كونه طليقا وابن طليق وهذه فضيلة وان كانت خارجية الا انها تستلزم فضيلة نفسانية وهي حسن الاسلام والنية
الصادقة الحقة وكل ما ذكر من رذيلة خصمه بدنية عرضت له الا ان هذه الفضيلة والرذيلة اقرب من الاعتبارين الاولين لكونهما
حقيقيين بالاباء وهيئتين بالابناء دون هاتين الثالث شرفه من جهة صراحة النسب وخسة خصمه من جهة كونه دعيا وهذان
الاعتباران اقرب مما قبلهما لكونهما اعتبارين لازمين لهما دون الاولين الرابع شرفه من جهة كونه محقا فيما يقوله ويعتقده ورذيلة
خصمه من جهة كونه مبطلا وهذان الاعتباران اقرب لكونهما من الكمالات والرذايل الذاتية دون ما قبلهما الخامس شرفه من جهة
كونه مؤمنا والمؤمن الحق هو المستكمل للكمالات الدينية النفسانية وخسة خصمه من جهة كونه مدغلا اى جنبيا للباطن مشتملا
على النفاق والرذايل الموبقة وظاهر ان هذين الاعتبارين اقرب لكمالات والرذايل الى العبد وانما ابدا بذكر الكمالات والرذايل
الخارجية لكونهما اشهر عند الخصم واظهر له وللخلق من الامور الداخلية ثم لما ذكر الرذايل المتعلقة بخصمه اشار الى كونه ذا افعاله
ورذايله خلفا لسلف هوى في نار جهنم ثم رتب ذمه على ذلك بقوله ولبئس الخلف الى قوله جهنم في قوة كبرى قياس استغنى
بفهومها عن صغراه وتقديرها فانت خلف تتبع سلفا وكل خلف تتبع في افعاله ورذايله سلفا هوى في نار جهنم وكان
من كان فبئس ... السادس ان معوية لما اكد ما يعلمه من المساواة في الفضل في قوله وليس لبعض على بعض فضل واستثنى

من ذلك

في كتابه الى عبد الله العباس

ج ٢

من ذلك فقال الا فضلا لا يستذل به عزيز ولا يسترق به حر اشار ... الى ... الجواب لذلك وهو قوله ع ... بعد فضل
النبوة الى قوله الذليل وظاهر ان هذا الفضل الذي حصل في هذا البطن من هاشم هو سبب نيلهم الاعزاء وانعاشهم وتقويتهم الاذلاء
واسترقاقهم الاحرار وذلك فضل غربت عنه بنو امية وغيرهم فاذن قوله وليس لبعضنا على بعض فضل الا فضلا لا يستذل به عزيز الى اخره
قول باطل ثم اردف هذه الفضيلة بذكر رذيلة لخصمه بالنسبة الى فضيلة شملت كثيرا من العرب تلك هي دخولهم في الاسلام لا لله بل
اما رغبة او رهبة على حين فاز اهل السبق بسبقهم الى الله وحصل المهاجرون والانصار ع ما حصلوا عليه من الفضائل المسعدة ثم
لما ظهر هذه الفرق من فضايله ورذائل خصمه نهاه عن امرين احدهما ان لا يجعل للشيطان في نفسه نصيبا وهو كناية عن النهي عن اتباعه
للهوى والثاني ان يجعل له عليه سبيلا وهو كناية عن النهي عن نفعه له غيره وفتح باب الوسوسة عليه وهذا النهي يفهم منه انه قد
جعل للشيطان في نفسه نصيبا وله عليه سبيلا وان ذلك النهي في معرض التوبيخ له على ذلك وبالله التوفيق **ومن كتاب له ع**
الى عبد الله بن العباس وهو عامله على البصرة واعلم ان البصرة مهبط ابليس ومغرس الفتن فحادث اهلها بالاحسان اليهم
واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم وقد بلغني تنمرك لبني تميم وغلظتك عليهم وان بني تميم لم يغب لهم نجم الا طلع لهم
اخر وانهم لم يسبقوا بوغم في جاهلية ولا اسلام وان لهم بنا رحما ماسة وقرابة خاصة نحن ماجورون على صلتها و
مازورون على قطيعتها فاربع ابا العباس رحمك الله فيما جرى على يدك ولسانك من خير وشر فانا شريكان في ذلك وكن
عند صالح ظني بك ولا يفيلن رايي فيك والسلم **اقول** روي ان ابن العباس كان قد اضر ببني تميم حين ولي البصرة
من قبل علي ع للذي عرفهم به من العداوة يوم الجمل لانهم كانوا من شيعة طلحة والزبير وعايشة فحمل عليهم ابن عباس فاقصاهم وتنكر عليهم و
عيرهم بالجمل حتى كان يسميهم شيعة الجمل وانصار عسكر وهو اسم جمل عايشة وحزب الشيطان فاشتد ذلك على نفر من شيعة علي ع من
بني تميم منهم حارثة بن قدامة وغيره فكتب بذلك حارثة الى علي ع يشكوا اليه ابن عباس فكتب ع الى ابن عباس اما بعد فان خير الناس عند
الله غدا اعلمهم بطاعته فيما عليه وله واقولهم بالحق وان كان مرا الا وانه بالحق قامت السموات والارض فيما بين العباد فلتكن سريرتك
فعلا وليكن حكمك واحدا وطريقتك مستقيمة واعلم ان البصرة مهبط ابليس الفصل ... التنمر تنكر الاخلاق وتغيرها والوغم الحقد
والماسة القريبة ومازورون اي يلحق بنا الوزر وهو الاثم واربع اي توقف وتثبت وفال الراي يفيل اي ضعف واخطا واعلم انه
كنى بكون البصرة مهبط ابليس عن كونها مبدأ للاراء الباطلة والاهواء الفاسدة الصادرة عن ابليس المستلزمة لاثارة الفتن وكنى بها
لان مهبط ابليس مستقره ومحل ذلك واراد مهبطه من الجنة واستعار لفظ المغرس للبصرة باعتبار كونها محلا لنشاة الفتن كما
كان مغرس الشجر من الارض محل نشوه ونمائه قال بعضهم وفي قوله مهبط ابليس نوع لطف فان الوهم الذي هو ابليس النفس العاقلة
اذا انفرد بحكمه عن تدبير العقل وخرج عن موافقة العقل العملي فيما يراه ويحكم به فقد هبط من عالم الكمال ومن موافقة العقل وتلقي
اوامره العالية التي هي ابواب الجنة الى الجنة السافلة ومشاركة الشهوة والغضب في حكمهما بالمصلحة الاراء الفاسدة ولما احاط القضاء
الالهي بما يجري من اهل البصرة من نكث بيعته ع ومخالفته وكانوا ممن تزلوا عقولهم عن الاراء المصلحية راسا وهبط ابليس وجنوده بارضهم فاراهم
الاراء الباطلة في صور الحق فلحقوا بهم فكان منهم ما كان ونزل بهم ما نزل من سوء القضاء ودرك الشقاء فكانت بلدتهم لذلك مهبط
ابليس ومغرس الفتن الناشئة عن وسوسته وارائه الفاسدة ثم امره ان يحادثهم بالاحسان اليهم اي يعدهم بذلك وان يحل عقدة الخوف عن قلوبهم
واستعار لفظ العقدة لما الزمهم به من المخافة بالغلظة عليهم وكثرة الاذى لهم ووجه المشابهة كون ذلك الخوف ملازما لهم معقودا بقلوبهم
كالعقدة بالحبل ونحوه ورشح بلفظ الحل وكنى به عن ازالة الخوف عنهم وغرض هذه الاوامر ان لا ينفر قلوبهم منه وتثور اضغانهم فيعاودوا
الخروج عن طاعته واثارة الفتنة ثم اعلمه بما يريد انكاره عليه مما بلغه من تنمره لهم واردف ذلك بذكر احوالهم يجب مراقبتهم وحفظ قلوبهم
لاجلها احدها انه لم يغب لهم سيد الا قام لهم اخر مقامه واستعار له لفظ النجم ووجه المشابهة كون سيد الجماعة وكبيرهم قدوة يهتدى
به ويقتدى به في ارائه في الطرق المصلحية ورشح بذكر المغيب والطلوع الثاني انهم لم يسبقوا وهي احدهما انه لم يسبقهم احد الى الثار ... ويحتمل
والانتقام حيث كانوا في جاهلية او اسلام لشرف نفوسهم وقلة احتمالهم للاذى وذلك ان المهين الحقير في نفسه لا يكاد يغضب ويحقد
مما يفعل من الاذى وان غضب في الحال الا انه لا يدوم ذلك الغضب ولا يصير حقدا الثاني يحتمل ان يريد انهم لم يسبقوا بشيء من حقد عند
وذلك لقوتهم وعددهم وعدتهم الثالث انهم بينهم وبين بني هاشم قرابة قريبة الى اخره قيل تلك القرابة لاجتماعهم عند الياس بن مضر لان هاشم بن عبد
مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وتميم بن
مر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر وزاد ترغيبا في مواصلتهم ومداراتهم بكون صلة مستلزمة للاجر في الاخرة وتركها مستلزم للوزر وقال
مازورون والاصل موزورون فقلب ليجانس قوله ماجورون وفي الحديث ارجعن مازورات غير ماجورات ثم اردف ذكر تلك الاحوال
التي يقتضي الرفق بهم بالامر بالتوقف والتثبت فيما يجري على يده ولسانه من فعل وقول هو خير او شر لانا شريكان في الامور اولى باصابة وجه

من كتاب له الى بعض عماله

المصلحة واراد بالشر ما يجريه على رعيته من عقوبة بغلظة او تولية وقوله فانا شريكان في ذلك كالتعليل لحسن امره له بالتثبت في ذلك لانه لما كان
والبأس قبله ككل حسنة او سيئة يحدثها في ولايته فله عليه السلام شركة في احداثها اذ هو السبب البعيد لسببها القريب وابو العباس كنية
عبد الله بن العباس والعرب تدعو من تكرمه بالكنى وقيل قال الكنية حين اناديه لاكرمه ولما كان عليه السلام قد استصلحه للولاية تبرؤ آماه اهالها
امره ان يلازم ظنه الصالح فيه ولا يكشف عن ضعف ذلك الرأي وعدم مطابقته فيه بسوء صنيعه وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام**
الى بعض عماله اما بعد فان دهاقين اهل بلدك شكوا منك قسوة وغلظة واحتقارا وجفوة فنظرت فلم ارهم اهلا لان يدنوا
لشركهم ولا ان يقصوا ويجفوا لعهدهم فالبس لهم جلبابا من اللين تشوبه بطرف من الشدة وداول لهم بين القسوة والرأفة و
امزج لهم بين التقريب والادناء والابعاد والاقصاء ان شاء الله **اقول** الدهقان معرب يحتمل الصرف ان كانت نونه اصلية وان لا
فلا ينصرف للوصف والالف والنون الزائدتين والقسوة غلظ القلب وشدته واقصاه ابعده والحصافة الترك والجلباب الملحفة والمداولة
تغليب كل واحد من القسوة والرأفة على الآخر والاخذ بكل منهما مرة من الادالة وهي الادارة والمنقول ان هؤلاء الدهاقين كانوا مجوسا
فلما شكوا اليه غلظة عامله فكر في امورهم فلم يرهم اهلا للادنى الخالص لكونهم مشركين ولا اقصاهم لكونهم معاهدين فان ادناهم ادناء
خالصا هضم ونقيصة في الدين واقصاهم بالكلية ينافي معاهدتهم فامرهم بالعدل فيهم ومعاملتهم باللين المشوب ببعض الشدة كل في موضعه
وكذا استعمال القسوة مرة والرأفة اخرى والمزج بين التقريب والابعاد لما في طرف اللين والرأفة والتقريب من استقرار قلوبهم في اعمالهم و
زراعاتهم التي بها صلاح المعاش ولما في مزجها بالشدة والقسوة والابعاد من كسر عاداتهم ودفع شرورهم واهانتهم الملوثين في الدين
واستلزم ذلك نهيه عن استعمال الشدة والقسوة والابعاد في حقهم دائما واللين والرأفة والادناء خالصا واستعار لفظ الجلباب لما امره
بالاتصاف به وهو تلك الهيئة المتوسطة من اللين المشوب بالشدة بين اللين الخالص والشدة الصرفة ورشح بذكر اللين وبالله التوفيق
ومن كتاب له عليه السلام الى زياد بن ابيه وهو خليفة عبد الله بن العباس وكومان على البصرة وعبد الله عامل امير المؤمنين عليه السلام يومئذ عليها وعلى كور الاهواز وفارس وكرمان واني اقسم بالله قسما صادقا لئن بلغني انك
خنت من فيء المسلمين شيئا صغيرا او كبيرا لاشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر ضئيل الامر والسلام **اقول**
زياد هذا هو زياد بن سمية ام ابي بكرة دعي ابي سفيان فقد يعد في اولاده من غير صريح بنوة وروي ان اول من دعاه ابن ابيه عائشة حين
سئلت لمن يدعى وكان كاتب المغيرة بن شعبة ثم كتب لابي موسى ثم كتب لابن عامر ثم كتب لابن عباس وكان مع علي عليه السلام فولاه فارس فكتب
اليه معوية يتهدده فكتب له اليه اتتوعدني وبيني وبينك ابن ابي طالب اما والله لئن وصلت الي لتجدني احمر ضرابا بالسيف ثم ادعاه معوية
اخا له وولاه بعد علي عليه السلام البصرة واعمالها وجمع له بعد المغيرة بن شعبة العراقين وكان اول من جمعا له والشدة الحملة والوفر المال والضئيل
الحقير وحاصل الفصل تحذير زياد من خيانة ما يليه من مال المسلمين ووعيده ان وقعت منه بالعقوبة عليها وكنى عنها بالشدة ووصف
شدة تلك الشدة باستلزامها امورا ثلاثة منها سلب الكمالات الدنيوية والاخروية احدها نقصان ماله وقلته والثاني نقصان جاهه وكنى
عنه بقوله ضئيل الامر وهما سالبان لكمال الدنيوي الثالث ثقل ظهره بالاوزار والتبعات وهو دال على سلب كماله الاخروي فان قلت كيف
يريد ثقل الظهر بالاوزار وليس ذلك بسبب شدته وانما الاوزار من اكتساب نفسه قلت ان مجموع هذه الامور الثلاثة وهي سلب ماله
جاهه مع ثقل ظهره بالاوزار حالة يدعه عليها وهي حالة مخوفة مكروه هو خوفه بها ولا شك ان تلك الحالة من فعله وان لم يكن بعض اجزائها
من فعله او نقول الثلاثة احوال متعددة والحال لا يلزم ان تكون من فعل ذي الحال ويحتمل ان يكون ثقل الظهر كناية عن التضعف وعدم
النهوض بما يحتاج اليه ويهم به بعلة ضعف الحركة في الامور والله اعلم **ومن كتاب له عليه السلام** اليه ايضا فدع الاسراف مقتصدا
واذكر في اليوم غدا وامسك من المال بقدر ضرورتك وقدم الفضل ليوم حاجتك اترجو ان يعطيك الله اجر المتواضعين
وانت عنده من المتكبرين وتطمع وانت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والارملة ان يوجب لك ثواب المتصدقين وانما
المرء مجزي بما اسلف وقادم على ما قدم والسلام **اقول** التمرغ التمعك والتقلب فامره في هذا الفصل باوامر احدها ترك
الاسراف وهو رذيلة الافراط من فضيلة الاقتصاد المتوسط بينه وبين الاجحاف بالنفس والاضرار بها وهو طرف التفريط من هذه الفضيلة
والامر بترك الاسراف مستلزم للامر بهذه الفضيلة لان الامر بالشيء على حالة امر بتلك الحالة الثاني ان يذكر في اليوم غدا اي يذكر في حاضر
اوقاته مستقبلها من يوم القيمة فان في ذلك زجرا للنفس وانكسارا عن الاسراف في الدنيا والاشتغال بها الثالث ان يمسك من المال
بقدر ضرورته وهو تفسير للاقتصاد في تناول الدنيا وحفظها الرابع ان يقدم الفضل منها ليوم حاجته وهو يوم القيمة وما بعد الموت وفيه
استدراج للانفاق لما في سبيل الله فان كل عاقل يعلم ان اسلاف ما لا يحتاج اليه من فضول المال في سبيل الله ونفعه لما يحتاج اليه
في وقت حاجته من اكبر المصالح المهمة ثم استفهم على سبيل الانكار عن رجائه ان يؤتيه الله ثواب المتواضعين حال ما هو مكتوب في علمه من المتكبرين
ونبه فيه على ان ثواب كل فضيلة انما ينال باكتسابها والتخلق بها لا بالكون على ضدها فانه لو جاز ان يتخلق بفضيلة التواضع لنيل
ثوابه ومن يحصل التخلق بها الا بعد الانحطاط عن درجات المتكبرين وهو دائر من الواجبات وكذلك استفهمه عن طمعه في ثواب المتصدقين

حال اقتنائه

من كتاب له كتبه قبيل موته في بيان ابن ملجم

حال اقتنائه للمال وشحه به ومنعه الضعيف والارملة استفهام منكر لذلك الطمع على تلك الحال فان ثواب كل حسنة بقدرها ومن لوازمها وثواب
كل حسنة بحسبها ومن لوازمها وشبه على ذلك بقوله وانما المرء يجزى بما اسلف الى آخره وفي قوله وقادم على ما قدم من محاسن الكلام وفيه الاستعارة
ومن كتاب له عليه السلام الى عبد الله بن العباس رحمه الله وكان عبد الله يقول ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله
كانتفاعي بهذا الكلام اما بعد فان المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك
بما نلت من آخرتك وليكن اسفك على ما فاتك منها وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحا وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعا
وليكن همك فيما بعد الموت **اقول** الدرك اللحوق ولا تأس لا تحزن وحاصل الفصل النهي عن شدة الفرح بما يحصل من
المطالب الدنيوية وشدة الاسف على ما يفوت منها وبيان ما ينبغي للانسان ان يسر بحصوله ويأسف لفقده مما لا ينبغي له فاشار الى الاول بقوله
فان المرء الى قوله ليدركه وهو خبر في معنى النهي ولفظ ما في الموضعين مهمل يراد به المطالب الدنيوية وبنبه بقوله ما لم يكن ليفوته على ان
ما يحصل من مطالب الدنيا امر واجب في القضاء الالهي وصوله الى من يحصل له فهو كالحاصل فلا ينبغي ان يشتد فرحه عند حصوله وبقوله
ما لم يكن ليدركه على ان ما يفوت منها فهو امر واجب فوته فالاسف عليه مما لا يجدي نفعا بل هو ضرر عاجل ثم خصصه بالخطاب على سبيل
الوصية والموعظة وفصل له ما ينبغي ان يسر ويأسف عليه مما لا ينبغي له فاما ما ينبغي ان يسر به فهو ما ناله من آخرته وما ينبغي ان يأسف عليه
فهو ما فاته منها واما ما ينبغي ان لا يفرح به مما ناله من دنياه لما عرف من وجوب فنائها وكون القرب منها مستلزما للبعد عن الآخرة
وما ينبغي ان لا يأسف عليه مما لم ينله منها لكون البعد مستلزما للقرب من الآخرة فان قلت كيف قال ما نلت من آخرتك ومعلوم انه عنهما
لا ينال شيء من الآخرة الا بعد الموت قلت يحتمل وجهين احدهما لا نسلم ان من مطالب الآخرة لا يحصل الا بالموت بعد الموت فان الكمالات
النفسانية من العلوم والاخلاق الفاضلة والفرح بها من الكمالات الاخروية وان كان الانسان في الدنيا الثاني يحتمل ان يريد فليكن
سرورك بما نلت من اسباب آخرتك فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وكذلك بين له ما ينبغي ان يكون همه متوجها نحوه ومقصده
متعلقا به وهو ما بعد الموت من احوال الآخرة من سعادة دائمة يسعى في تحصيلها او شقاوة لازمة يعمل للخلاص منها وبالله التوفيق **ومن كلام له**
قاله قبيل موته لما ضربه ابن ملجم لعنه الله وصيتي لكم ان لا تشركوا بالله شيئا ومحمد صلى الله عليه وآله فلا تضيعوا
سنته اقيموا هذين العمودين وخلاكم ذم انا بالامس صاحبكم واليوم عبرة لكم وغدا مفارقكم ان ابق فانا ولي دمي
وان افن فالفناء ميعادي وان اعف فالعفو لي قربة وهو لكم حسنة فاعفوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله ما
فجأني من الموت وارد كرهته ولا طالع انكرته وما كنت الا كقارب ورد وطالب وجد وما عند الله خير للابرار قال السيد رضي الله عنه
وقد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدم من الخطب الا ان فيه هيهنا زيادة اوجبت تكريره **اقول** هذا الفصل قاله عليه السلام في بعض
ايام مرضه قبيل موته وسيأتي شرح حال مقتله ووصيته في فصل اطول من هذا واليق بذكر الحال عنده ان شاء الله تعالى وتحته الامر باتباعه
والقارب طالب الماء وقيل هو الذي يكون بينه وبين الماء ليلة والامة الامر وجزها عنها وقد وصى بامرين هما عمودا الاسلام وبهما
يقوم احدهما ان لا تشركوا بالله شيئا وهو التوحيد الخالص والشهادة به اول مطلوب بلسان الشريعة كما سبق بيانه والثاني الاهتمام بامر
النبي صلى الله عليه وآله والمحافظة على سنته وقد علمت ان من سنته وجوب اتباع كل ما جاء به والمحافظة عليه فاذن المحافظة على كتاب الله من الواجبات
المأمور بها بالالتزام وظاهر ان اقامة هذين الامرين مستلزم للخلو عن الذم ولفظ العمود مستعار لهما ملاحظة لشبههما بعمودي البيت
في كونهما سببين لقيام الاسلام وعليهما مداره كالبيت على عمده وخلاكم ذم كالمثل يقال افعل كذا وخلاك ذم اي فقد اعذرت
سقط عنك الذم ثم نعى نفسه اليهم واشار الى وجه العبرة بحاله مذكرا بتنقلها وتغيرها في الازمان الثلاثة ففي الماضي كان صاحبهم
الذي يعرفونه بالقوة والشجاعة وقهر الاعداء وعليه مدار امور الدنيا والدين وفي الحاضر صار عبرة اي محل عبرة فحذف المضاف او
معتبرا فاطلق اسم المتعلق مجازا وفي المستقبل مفارقهم ثم اردف ذلك ببيان امره مع قاتله على تقديري فنائه وبقائه وبينهما يكون في
الكلام تقديم وتأخير والتقدير فانا ولي دمي وكذا ولي بدمي فان شئت اتممت القصاص وان شئت عفوت فان اعف فالعفو لي
قربة وان افن فالفناء ميعادي فان شئتم فاقتلوا قاتلي وان شئتم ان تعفوا فالعفو لكم حسنة فاعفوا لكنه ذكر نفي بقائه وفنائه ثم
عقبهما بذكر حكمهما متفرقين واقتبس الآية في معرض الندب الى العفو ترغيبا فيه ثم اقسم انه ما اتاه من بغتة الموت وارد كرهه ولا طالع
انكره وصدقه في ذلك ظاهر فانه عليه السلام كان سيد الاولياء بعد سيد الانبياء ومن خواص اولياء الله شدة محبة الله والشوق البالغ الى
ما اعد لاوليائه في جنات عدن ومن كان كذلك كيف يكره وارد الموت الذي هو باب وصوله الى محابه واشرف مطالبه التي قطع
وقته في السعي لها وهي المطالب الحقة الباقية وكيف ينكره وهو دائم التوقع والاشتغال والذكر له ثم شبه نفسه في هجوم الموت
عليه ووصوله بسببه الى ما اعد له من الخيرات الباقية بالقارب الذي ورد الماء ووجه الشبه استبشاره بتلك الخيرات ووثوقه
واستهاله بسببها آفات الدنيا وشدائد الموت كما يستسهل القارب عند وروده الماء ما كان يجده من شدة العطش وتعب الطريق

في وصية له بما يعمل في امواله

وفيه ايماء الى تشبيه تلك العبرات بالماء وكل شبه نفسه بالطالب الواجد لما طلبه ووجه الشبه كون المتوقع عينا بما ظفر به من مطالبه الاخروية كما تطيب نفس الطالب للشيء بوجدانه وحده وظاهر ان طيب النفس وبهجتها بما تصيبه من مطالبها بما تتفاوت المطالب في العزة والنفاسة ولما كانت المطالب الاخروية اهم المطالب واعظمها قدرا واعزها جوهرا وجب ان يكون تبجح نفسه بها وقرة عينه بما اصاب منها اتم كل تبجح بمطلوب ثم اقتبس الاية في معرض اشعاره بوجدان مطلوبه منبها بها على ان مطلوبه في الدنيا لم يكن الا ما عند الله لكونه خيرا للابرار ولكونه ابقى من كل مطلوب يطلب وبالله التوفيق **ومن وصية له عليه السلم** بما يعمل في امواله كتبها بعد منصرفه من صفين هذا ما امر به عبد الله علي بن ابي طالب امير المؤمنين في ماله ابتغاء وجه الله ليولجه به الجنة ويعطيه به الامنة منها وانه يقوم بذلك الحسن بن علي ياكل منه بالمعروف وينفق منه في المعروف فان حدث بحسن حدث وحسين حي قام بالامر بعده واصدره مصدره وان لابني فاطمة من صدقة علي مثل الذي لبني علي وانما جعلت القيام بذلك الى ابني فاطمة ابتغاء وجه الله وقربة الى رسول الله صلى الله عليه واله وتكريما لحرمته وتشريفا لوصلته ويشترط على الذي يجعله اليه ان يترك المال على اصوله وينفق من ثمره حيث امر به وهدي له وان لا يبيع من اولاد نخيل هذه القرى ودية حتى تشكل ارضها غراسا ومن كان من امائي اللاتي اطوف عليهن لها ولد او هي حامل فتمسك على ولدها وهي من حظه فان مات ولدها وهي حية فهي عتيقة قد افرج عنها الرق وحررها العتق قال السيد ره قوله وان لا يبيع من نخلها ودية فان الودية الفسيلة وجمعها ودي وقوله حتى تشكل ارضها غراسا هو من افصح الكلام والمراد به ان الارض يكثر فيها غراس النخل حتى يراها الناظر على غير الصفة التي عرفها بها فيشكل عليه امرها ويحسبها غيرها **اقول** روت هذه الوصية بروايات مختلفة بالزيادة والنقصان وقد حذف السيد منها فصولا ولنوردها برواية يغلب على الظن صدقها عن عبد الرحمن بن الحجاج قال بعث الي بهذه الوصية ابو ابراهيم ع هذا ما اوصى به وقضى في ماله عبد الله علي ابتغاء وجه الله ليولجني به الجنة ويصرفني به عن النار يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ان ما كان لي بينبع من مال يعرف لي فيها وما حولها صدقة ورقيقها غير ابي رياح وابي نيزر وجبير عتقاء ليس لاحد عليهم سبيل فهم موالي يعملون في المال خمس حجج وفيه نفقتهم ورزقهم ورزق اهاليهم ومع ذلك ما كان لي بوادي القرى كله مال بني فاطمة ورقيقها صدقة وما كان لي بديمة واهلها صدقة غير ان رقيقها لهم مثل ما كتبت لاصحابهم وما كان لي باذينة واهلها صدقة والفقيرين كما قد علمتم صدقة في سبيل الله وان الذي كتبت من اموالي هذه صدقة واجبة بتلة حيا انا كنت او ميتا ينفق في كل نفقة ابتغي بها وجه الله في سبيل الله ووجهه وذوي الرحم من بني هاشم وبني المطلب والقريب والبعيد وانه يقوم بذلك الحسن بن علي ياكل منه بالمعروف وينفقه حيث يريه الله في حل محلل لا حرج عليه فيه وان اراد ان يبيع نصيبا من المال فيقضي به الدين فليفعل ان شاء لا حرج عليه فيه وان شاء جعله سري الملك وان ولد علي ومواليهم واموالهم الى الحسن بن علي وان كانت دار الحسن غير دار الصدقة فبدا له ان يبيعها فليبعها ان شاء لا حرج عليه فيه فان باع فانه يقسم ثمنها ثلاثة اثلاث فيجعل ثلثا في سبيل الله ويجعل ثلثا في بني هاشم وبني المطلب ويجعل الثلث في آل ابي طالب وانه يضعهم حيث يريه الله ثم يتصل بقوله وان حدث بحسن حدث وحسين حي فانه الى الحسين بن علي وان حسينا يفعل فيه مثل الذي امرت به حسنا له مثل الذي كتبت للحسن وعليه مثل الذي على الحسن ثم يتصل بقوله وان الذي لبني فاطمة الى قوله وتشريفا لوصلته ثم يقول وان حدث بحسن وحسين حدث فان الاخر منهما ان ينظر في بني علي فان وجد فيهم من يرضى بهديه واسلامه وامانته فانه يجعله اليه ان شاء وان لم ير فيهم بعض الذي يريد فانه يجعله في بني ابني فاطمة ويجعله الى من يرضى بهديه واسلامه وامانته منهم وانه شرط على الذي يجعله اليه ان يترك المال على اصوله وينفق من ثمره حيث امره الله من سبيل الله ووجوهه وذوي الرحم من بني هاشم وبني المطلب والقريب والبعيد وان لا يبيع من اولاد نخل هذه القرى الى اخره ثم يقول ليس لاحد عليها سبيل هذا ما قضى علي في امواله هذه يوم قدم مسكن ابتغاء وجه الله والدار الاخرة لا يباع منه شيء ولا يوهب ولا يورث والله المستعان على كل حال ولا يحل لامرئ مسلم يؤمن بالله واليوم الاخر ان يغير شيئا مما اوصيت به في مالي ولا يخالف فيه امري من قريب ولا بعيد وشهد هذا ابو سمر بن ابرهة وصعصعة بن صوحان وسعيد بن قيس وهياج بن ابي الهياج وكتب علي بن ابي طالب بيده لعشر خلون من جمادي الاولى سنة سبع وثلثين يولجني يدخلني والامنة الامن وحررها جعلها حرة واكثر هذه الوصية واضح عن الشرح غير ان فيها نكتا الاول جواز الوصية والوقف على هذا الوجه وتعليم الناس كيفيتها الثانية قوله ياكل منه بالمعروف اي على وجه الاقتصاد الذي يحل له من غير اسراف وتبذير ولا بخل وتقتير وينفق منه في المعروف اي في وجوه البر المتعارفة غير المنكرة في الدين الثالثة قوله فان حدث بحسن حدث كناية عن الموت والامر يحتمل ان يريد به امره ع بما امره به وقيامه به تنفيذه واجراؤه في موارده ويحتمل ان يريد به جنس الامور التي امر بالتصرف فيها وبها الرابعة الضمير في قوله بعده للحسن وفي اصدره للامر الذي يقوم به فاما الضمير الذي في مصدره فيحتمل وجهين احدهما عوده الى الحسن وتقديره واصدر الحسين الامر كما اصدره الحسن له وقضى في المال كقضائه والمصدر بمعنى الاصدار كقوله والله انبتكم من الارض

من وصية وصى بها في باب الصدقات

بناتا اى بناتا ويحتمل ان يكون المصدر محل الاصدار اى واصدره في محل اصداره الذي اصدره فيه ويحتمل ان يعود الى الامر الذي وصى به ويكون المعنى ووضع كل شيء موضعه الخامسة قوله ان يترك المال على اصوله كناية عن عدم اخراجه ببيع او هبة او بوجه من وجوه التمليكات السادسة قوله وان لا يبيع من اولاد نخل هذه القرى ودية حتى تشكل ارضها غراسا والحكمة في ذلك وجهان احدهما ان الارض قبل ان تشكل غراسا ربما يموت فيها ما يحتاج الى الخلاف فينبغي ان لا يباع من فسيلها شيء حتى يكمل غراسا ويثبت بحيث لا يحتاج الى شيء الثاني ان النخل قبل ان تشكل ارضها تكون بعد غير مستحكمة الجذع ولا مشتدة فلو قلع فسيلها من تحتها اضعف حملها حتى لا تكاد تنجب فاما اذا قويت واشتدت لم يكن عليها بقلع فسيلها كثير مضرة وذلك حين تشكل ارضها وتتكامل غراسها ويلتبس على الناظر حسب ما فسره السيد السابعة كنى بالطواف على امائه عن نكاحهن وكن يومئذ سبع عشرة منهن امهات اولاد احياء معهن اولادهن ومنهن حبالى ومنهن من لا ولد لها وقضى فيهن ان حدث به حادث الموت ان من كانت منهن ليس لها ولد وليست حبلى فهي عتيقة لوجه الله لا سبيل لاحد عليها ومن كان منهن لها ولد او هي حبلى فتمسك على ولدها وهي من حظه اي تلزمه وتحسب ثمنها من حصته وتعتق عليه فان مات ولدها وهي حية فهي عتيقة لا سبيل لاحد عليها وقضاؤه ع بكون ام الولد تحسب من حظ ولدها وتعتق من نصيبه من امه بعد موته مبنيا على مذهبه في بقاء ام الولد على الرق بعد موت سيدها المستولد وصحة بيعها وهو مذهب الامامية وقول قديم للشافعي وفي الجديد انها تعتق بموت سيدها المستولد ولا يجوز بيعها وعليه اتفاق فقهاء الجمهور حتى لو بيعت وقضى قاض بصحة بيعها فالمختار من مذهب الشافعي انه ينقض قضاؤه وبالله التوفيق **ومن وصية له ع** كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وانما ذكرنا منها جملا ههنا ليعلم بها انه عليه السلم كان يقيم عماد الحق ويشرع امثلة العدل في صغير الامور وكبيرها ودقيقها وجليلها انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له ولا تروعن مسلما ولا تجتازن عليه كارها ولا تاخذن منه اكثر من حق الله في ماله فاذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير ان تخالط ابياتهم ثم امض اليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ولا تخدج بالتحية لهم ثم تقول عباد الله ارسلني اليكم ولي الله وخليفته لآخذ منكم حق الله في اموالكم فهل لله في اموالكم من حق فتؤدوه الى وليه فان قال قائل لا فلا تراجعه وان انعم لك منعم فانطلق معه من غير ان تخيفه او توعده او تعسفه او ترهقه فخذ ما اعطاك من ذهب او فضة فان كانت له ماشية او ابل فلا تدخلها الا باذنه فان اكثرها له فاذا اتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه ولا عنيف به ولا تنفرن بهيمة ولا تفزعنها ولا تسوءن صاحبها فيها واصدع المال صدعين ثم خيره فاذا اختار فلا تعرضن لما اختاره ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره فاذا اختار فلا تعرضن لما اختار فلا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله فاقبض حق الله منه فان استقالك فاقله ثم اخلطهما ثم اصنع مثل الذي صنعت اولا حتى تاخذ حق الله في ماله ولا تاخذن عودا ولا هرمة ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات عوار ولا تامنن عليها الا من تثق بدينه رافقا بمال المسلمين حتى يوصله الى وليهم فيقسمه بينهم ولا توكل بها الا ناصحا شفيقا وامينا حفيظا غير معنف ولا مجحف ولا ملغب ولا متعب ثم احدر الينا ما اجتمع عندك نصيره حيث امر الله فاذا اخذها امينك فاوعز اليه الا يحول بين ناقة وبين فصيلها ولا يمصر لبنها فيضر ذلك بولدها ولا يجهدنها ركوبا وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها وليرفه على اللاغب وليستان بالنقب والظالع وليوردها ما تمر به من الغدر ولا يعدل بها عن نبت الارض الى جواد الطرق وليروحها في الساعات وليمهلها عند النطاف والاعشاب حتى تاتينا باذن الله بدنا منقيات غير متعبات ولا مجهودات لنقسمها على كتاب الله سبحانه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه واله فان ذلك اعظم لاجرك واقرب لرشدك ان شاء الله عز وجل **اقول** روعه افزعه ولا تخدج التحية اي لا تنقصها وروي تخدج بالتحية من اخدجت الناقة اذا القت ولدها وانعم له اي قال نعم والعسف الاخذ بشدة وعلى غير وجه والارهاق تكليف العسر والماشية الغنم والبقر والعنيف الذي لا رفق له وصدعت المال صدعين قسمته بقسمين والعود المسن من الابل وهو الذي جاوز في السن البازل والهرمة العالية السن والمكسورة التي انكسرت احدى قوائمها والمهلوسة التي بها الهلاس وهو السل والعوار بالفتح العيب وقد يضم والمجحف الذي يسوق المال سوقا عنيفا يهلكه والملغب المتعب واللغوب الاعياء وحدر اليه بكذا اي اسرع وحال بين الشيئين حجز والمصر حلب كل ما في الضرع من اللبن والمصر حلب بقايا اللبن فيه والترفيه الاراحة واستان اي ارفق والنقب البعير الذي رقت اخفافه والغدر جمع غدير الماء والنطاف المياه القليلة والاعشاب جمع عشب وهو النبات والبدن السمان الواحد بادن والمنقيات التي صارت من سمنها ذات نقي وهو مخ العظام وشحم العين والمتوكل عظم ع وهذه الوصية مشتملة على تعليم ما ملح جباية الصدقات فاين العدل في اخذها من اهلها ومداراتهم وامره له على الشفقة عليهم والرفق بهم واعلم ان الرفق بالرعية وان كان من اهم المطالب للشارع ع لاستلزامه تالف قلوبهم واجتماعها عليه وعلى ما جاء به من الحق الا انه ههنا اهم والحاجة اليه اشد ذلك ان الغرض هنا اخذ بعض ما هو اعز المطالب عند الناس من ايديهم

المال ومشاركتهم فيه فتغلو بهم فهذا اقرب الى النفار مما يدعون اليه من تشال التكاليف وهم الى المداراة والرفق اشد حاجة فلذلك كذا
وصيته العامل بالرفق بهم والمساهلة معهم حفظا لقلوبهم وفي الوصية مواضع الاول امره بالانطلاق معتمدا على تقوى الله غير مشرك له
في تقواه غيره ولا موجه نيته في انطلاقه الى سواه لان حركته هذه حركة دينية من جملة العبادات فيجب توجيهها اليه بالاخلاص الثاني
لا يروع مسلما كما هو عادة الولاة الظالمين وان لا يختارن عليه كارها اي لا تختار شيئا من ابله او ماشيته وهو كاره لاختياره ورد
ولا تجتازن بالجيم اي لا تمرن على ارض انسان ومواشيه وهو كاره لمرورك عليها وابيا وانتصب كارها على الحال من الضمير المجرور
الثالث امره اذا نزل بقبيلة ان ينزل بمائهم لان من عادة العرب ان تكون مياههم بارزة عن بيوتهم وان لا تخالط بيوتهم لما
في ذلك من المشقة عليهم والتكلف له الرابع قوله ثم امض عليهم الى قوله ولا تسوءن صاحبها فيها تاديب له بما ينبغي ان يفعله
في حقهم مما يستلزم المصلحة وتعليم لاسباب الشفقة عليهم من الافعال كالسكينة والوقار والقيام فيهم ومن الاقوال كالسلام
واداء الرسالة واحوال الاقوال كاتمام التحية والرفق في القول ومن التروك كان لا يخيف مسلما ولا يتوعده ولا يعسفه ولا يرهقه
عسرا ولا يدخل ابله وماشيته من غير اذنه ولا يدخلها دخول متسلط ولا جبار ولا عنيف وان لا ينفر بهيمة ولا يفزعها ولا يسوء
صاحبها فيها بضرب ونحوه لما في ذلك كله من اذى صاحبها وتنفير قلبه المضاد للمطلوب الشارع الخامس ثم علمه كيفية عزل ولما
بعيرا اذن صاحبها بان اكثرها له والكلام في قوة صغرى قياس ضمير من الشكل الاول يستلزم حسن هذا النهي وتقدير كبراه وكل
من كان اكثر المال له فهو اولى بالتصرف والحكم والمال فيلزم ان لا يصح تصرف غيره فيه ودخوله الا باذنه السادس قوله واصدع
المال الى قوله في مال الله تعليم لكيفية استخراج الصدقة فالذي في الابل والماشية وهو ان يفرق الابل او الماشية عند اختلاط الكلا
فرقتين ثم يخيره فان اختار قسما فلا يتعرض فيه وليس له ان يتانف فينظر الاخر وكذلك يقسم ثم يصدع الباقي صدعين ولا يزال
يفعل كذلك حتى ينتهي احد القسمين الى مقدار الواجب من حق الله تعالى في ذلك المال وفوقه بقليل فيؤخذ منه مقدار الواجب
او دونه بيسير فيتمم ويجعل لرب المال اختيار احد القسمين والا فالاثان استقال من بعد ذلك القسمة تسكينا للقلب وجبرا من نقص
ماله السابع نهاه ان ياخذ في مال الله ما كان باحد الصفات المذكورة كالعود والهرمة والمكسورة والمسلولة والمعيبة بكبار ونحوه
مراعاة لحق الله تعالى وجبر الحال مصارفه وهم الاصناف الثمانية الذين عدهم الله تعالى في كتابه الكريم من الفقراء والمساكين وغيرهم
قال قطب الدين الراوندي ره الظاهر من كلامه عليه السلام انه كان يامره باخراج كل واحد من هذه الاصناف المعينة من المال قبل ان يصدع بصدعين
الثامن انه نهاه ان يامن عليها ويوكل بحفظها وسوقها الا من يثق بدينه وامانته واتفاقه نفسه بحفظه حتى يسلمه الى وليهم
يعني نفسه عليه السلام ويكون ناصحا اي لله ورسوله شفيقا اي على ما يقوم عليه وامينا حفيظا عليه غير ضعيف ولا مجحف ولا متعب وذلك
من الامور اللازمة في حفظ الواجب في حق الله تعالى التاسع امره ان يحمل اليه ما يجتمع معه ولا يؤخره لامرين احدهما الحاجة الى صرفه في
مصارفه الثاني الخوف من تلفه باحد اسباب التلف قبل الانتفاع به العاشر انه عاد الى الوصية بحال البهائم وهو ان يامر امينه
عند تسليم المال ان لا يحول بين ناقة وفصيلها ولا يحلب جميع لبنها لان الامرين يضران بالولد ولا يجهدنها ركوبا وتخصيصها به
دون صواحباتها لان ذلك مما يضر بها وليعدل بينها في ذلك مما يقل معه ضرر الركوب وهو ابعد من الشفقة الطبيعية وكذلك الترفيه
على اللاغب والتاني بالناقب والظالع وكذلك ان يوردها ما يمر به من الماء والكلاء وان يروحها في ساعات الرواح للغاية التي
ذكرها وهو ان ياتي بها السمن والراحة وانما قال لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه وان كان ذلك امرا معلوما من حاله عليه السلام لانه لما
بالغ في الوصية بحالها فربما سبق الى بعض الاوهام الفاسدة ان ذلك لغرض يختص به يخالف الكتاب والسنة ثم رغب في ذلك بكونه
اعظم لاجره عند الله واقرب لهداه ورشده لطريق الله وهو ظاهر اما انه اعظم لاجره فلكونه اكثر مشقة واكثرية الثواب تابعة لاكثرية
المشقة واما انه اقرب لرشده فلسلوكه في ذلك على اثره عليه السلام واقتدائه بهداه الذي لم يكن جائرا فاصبر وبالله التوفيق ومن عهد له عليه السلام
الى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة آمره بتقوى الله تعالى في سرائر امره وخفيات عمله حيث لا شهيد غيره ولا وكيل دونه
وآمره ان لا يعمل بشيء من طاعة الله فيما ظهر فيخالف الى غيره فيما اسر ومن لم يختلف سره وعلانيته وفعله ومقالته فقد
ادى الامانة واخلص العبادة وآمره ان لا يجبههم ولا يعضههم ولا يرغب عنهم تفضلا بالامارة عليهم فانهم الاخوان
في الدين والاعوان على استخراج الحقوق وان لك في هذه الصدقة نصيبا مفروضا وحقا معلوما وشركاء اهل مسكنة
وضعفاء ذوي فاقة وانا موفوك حقك فوفهم حقوقهم والا فانك من اكثر الناس يوم القيامة خصوما وبؤسا لمن خصمه
عند الله الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون والغارم وابن السبيل ومن استهان بالامانة ورتع في الخيانة ولم
ينزه نفسه ودينه عنها فقد احل بنفسه في الدنيا وهو في الآخرة اذل واخزى وان اعظم الخيانة خيانة الامة وافظع
الغش غش الائمة والسلام اقول يقال جبهه بالمكروه اذا استقبله به وعضهه عضها رماه بالبهتان والكذب والفاقة الفقر والبؤس

الشدة

٣٢ ج

الشدة والقطع الشدة وقد امره عليه السلام باوامر بعضها يتعلق بامر الله تعالى وبعضها يتعلق باحوال الرعية والشفقة عليهم لغاية نظام حالهم
وتدبير امورهم فالذي يتعلق بحق الله تعالى امران احدهما ان يتقيه فيما يسر من اموره ويخفى من اعماله وهي التقوى الحقة المنتفع بها وقوله حيث اشارة
الى موضع اسرار العمل واخفاء الامور واتى بقوله لا شهيد غيره ولا وكيل دونه في معرض الوعد له والتخويف باطلاعه تعالى على سرائر العباد وخفيات
اعمالهم وتوليه لها دون غيره وبه يكون هو الشهيد دون غيره على عظمة مع الرسل على ما عسى ان يحكم به اولوهم مطلع من السرائر والامور الخفية
لا يطلع عليها غيره من هي له الثاني ان يوافق في طاعته لله تعالى بين ما اظهره وما ابطنه ويخلص اعماله الظاهرة من الرياء والسمعة وقوله
وامره ان لا يعمل الى قوله فيما اسر وما في قوله فيما بمعنى الذي ويحتمل ان تكون مصدرية وفيما ظهر اي للناس من طاعة الله وقوله ومن لم
يختلف الى قوله العبادة ترغيب له فيما امره به من عدم اختلاف السريرة والعلانية والفعل والقول بكون ذلك مستلزما الاخلاص عبادة الله
ولاداء امانته التي كلفها عباده على السنة رسله مع قائمة دينه وظا كون ذلك مستلزما لثواب الله والامن من سخطه واما ما يتعلق باحوال
الرعية والشفقة عليهم فمنه ما يتعلق بحال ارباب الاموال التي تستحق عليهم الصدقة ومنه ما يتعلق بارباب الصدقة المستحقين لها اما
الاول فان لا يلقاهم بمكروه ولا يرميهم ببهتان وكذب وان لا ينقبض عنهم ويترفع عليهم تفضيلا لنفسه بالامارة وانتصب تفضيلا على
المفعول له وقوله فانهم الاخوان الى قوله الحقوق اشارة الى الاحتجاج بقياس ضمير من الشكل الاول يستلزم حسن الانتهاء عما امر بالانتهاء
عنه ووجوبه والمذكور في قوة صغرى وتقدير الكبرى وكل من كان اخا في الدين وعونا على استخراج الحقوق فيجب ان لا يفعل في حقه
شيء مما امرت بالانتهاء عنه واما انهم الاعوان على استخراج الحقوق فلان الحقوق المطلوبة منهم انما تحصل بواسطتهم وحصولها منهم
انما تتم بالشفقة عليهم وان لا يفعل معهم شيء مما نهى عنه عليه السلام فان كل تلك الامور مما ينفر طباعهم ويشتت نظام شملهم ومنه يكون قلة
مال الصدقة فرط المستحقة عليهم ويحتمل ان يدخل في هؤلاء الجباة ايضا واما ما يتعلق بالمستحقين للصدقة فان يوفيهم حقوقهم منها
واشار الى الحجة على وجوب ذلك عليه بقوله وان لك الى قوله وانا موفوك حقك وهو في قوة صغرى ضمير من الشكل الاول و
تقدير كبراه وكل من كان له نصيب مفروض وحق معلوم في شيء وله شركاء فيه بصفة الفقر والمسكنة وهو مستوف لحقه منه فواجب عليه
ان يوفي شركاءه حقوقهم اما الصغرى فظاهرة واما الكبرى فاشار الى بيانها بقياس آخر من الشكل الاول مركب من متصلتين فاشار
الى الصغرى بقوله والا الى قوله يوم القيامة ونبه على الكبرى بقوله وبؤسا الى قوله وابن السبيل وهي في قوتها اذ الاصناف المذكورون
من مستحقي الصدقة هم الخصوم وهم اكثر الناس وكان الاوسط متحدا وصار تقدير القياس وان لا توفهم حقهم فانك من خصومه اكثر
الناس اي الفقراء والمساكين وسائر الاصناف يوم القيامة وكل من كان خصومه اكثر الناس وهم الاصناف المذكورة عند الله وهو يوم القيامة فبؤسا له
عند الله يوم القيامة وينتج متصلة مركبة من مقدم الصغرى وتالي الكبرى وهي ان لا توفهم حقوقهم فبؤسا لك وهو في معرض التهديد والتنفير عن
ظلمهم والاستبداد عليهم بشيء من الصدقة وشركاء عطف على قوله حقا معلوما واهل المسكنة صفة له وبؤسا نصب على المصدر واما الاصناف
المستحقين للصدقات فهم الثمانية المعدودة في القرآن الكريم بقوله انما الصدقات للفقراء الى قوله وابن السبيل فاما الفقير فقال ابن عباس
وجماعة من المفسرين انه المتعفف الذي لا يسال والمسكين هو الذي يسال وعن الاصمعي ان الفقير هو الذي له ما ياكل والمسكين هو
الذي لا شيء له واما العاملون عليها فهم السعاة في جباية الصدقات ويعطيهم الامام منها بقدر اجور امثالهم واما المؤلفة قلوبهم
فكانوا قوما من اشراف العرب يتالفهم رسول الله صلى الله عليه وآله في مبدأ الاسلام ويعطيهم سهما من الزكوة ليدفعوا عنه قومهم
ويعينوه على العدو كالعباس بن مرداس وعيينة بن الحصين وغيرهما ثم استغنى المسلمون عن ذلك عند قوتهم واما في الرقاب اي في فداء
الرقاب فقال ابن عباس يريد المكاتبين وكانوا يعطون سهما ليعتقوا به واما الغارمون فهم الذين لزمتهم الديون في غير معصية و
لا اسراف واما في سبيل الله فهم الغزاة ولم يعطون واما ابن السبيل فهو المنقطع به في السفر يعطى من الصدقة وان كان غنيا في بلده وقد
ذكر عليه السلام ههنا في معرض ايجاب الشفقة والرحمة له خمسة وهم الفقراء والمساكين ويدخل فيه السائلون ومنه المدفوعون ويشبه ان يريد
بهم العاملين عليها وسماهم مدفوعين باعتبار انهم يدفعون لجباية الصدقات ولانهم اذا اتوا الى من لا زكوة عليه فسالوه هل
عليه زكوة ام لا دفعهم عن نفسه وذكرهم هنا بهذا الوصف لكونه وصف ذل وانقهار وكونه في معرض الامر بالشفقة عليهم قال بعض
الشارحين اراد بهم الفقراء السائلين لكونهم يدفعون عند السؤال ثم الغارم وابن السبيل وانما ذكر هؤلاء الخمسة او الاربعة لكونهم
اضعف حالا من الباقين وقوله ومن استهان الى قوله واخزى يشبه ان يكون كبرى قياس ضمير احتج به في معرض الوعيد والتخويف من
الخيانة على لزوم الذل والخزي له في الدارين على تقدير ان لا يوفيهم حقوقهم وتقدير القياس وان لا توفهم حقوقهم تكن مستهينا
بالامانة راتعا في الخيانة غير منزه نفسك ودينك عنها وكل من كان كذلك فقد احل بنفسه في الدنيا الذل وهو في الآخرة اذل
واخزى وروى اخل بنفسه اي ترك ما ينبغي لها وروي احل نفسه اي اباحها والدال على هاتين الروايتين مبتدأ خبره في الدنيا
والخيانة اعم من الغش وهي رذيلة المفرط من فضيلة الامانة والغش رذيلة تقابل فضيلة النصيحة وهما داخلتان تحت رذيلة الفجور

وقوله وان اعظم الخيانة الى اخره شبه على عظم الخيانة بهيهنا اذ كانت خيانة كلية عامة الضرر لاكثر المسلمين ومستلزمة لغش الامام الذى هو
افضل الناس واولاهم بالنصيحة فاذا كانت مطلق الخيانة ولو فى حق اقل الخلق واحقر الاشياء منهيا عنها ويستحق العقاب الاخروى عليها فما الى
مثل هذه الخيانة العظيمة وكل ذلك فى معرض الوعيد والتنفير عن الخيانة والاستهانة بالامانة وبالله التوفيق **ومن عهد له ع**
الى محمد بن ابى بكر رضه لما قلده مصر فاخفض لهم جناحك والن لهم جانبك وابسط لهم وجهك واس بينهم فى اللحظة والنظرة — حين
حتى لا يطمع العظماء فى حيفك لهم ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم وان الله تعالى يسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من اعمالكم
والكبيرة والظاهرة والمستورة فان يعذب فانتم اظلم وان يعف فهو اكرم واعلموا عباد الله ان المتقين ذهبوا بعاجل
الدنيا واجل الاخرة فشاركوا اهل الدنيا فى دنياهم ولم يشاركهم اهل الدنيا فى اخرتهم سكنوا الدنيا بافضل ما سكنت واكلوها
بافضل ما اكلت فحظوا من الدنيا بما حظى به المترفون واخذوا منها ما اخذه الجبابرة المتكبرون ثم انقلبوا عنها بالزاد
المبلغ والمتجر الرابح اصابوا لذة زهد الدنيا فى دنياهم وتيقنوا انهم جيران الله غدا فى اخرتهم لا ترد لهم دعوة ولا ينقص
لهم نصيب من لذة فاحذروا عباد الله الموت وقربه واعدوا له عدته فانه ياتى بامر عظيم وخطب جليل بخير لا يكون — قربه م
معه شر ابدا او شر لا يكون معه خير ابدا فمن اقرب الى الجنة من عاملها ومن اقرب الى النار من عاملها وانتم طرداء الموت
ان اقمتم له اخذكم وان فررتم منه ادرككم وهو الزم لكم من ظلكم الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من خلفكم
واحذروا نارا قعرها بعيد وحرها شديد وعذابها جديد دار ليس فيها رحمة ولا تسمع فيها دعوة ولا تفرج فيها كربة
وان استطعتم ان يشتد خوفكم من الله وان يحسن ظنكم به فاجمعوا بينهما فان العبد انما يكون حسن ظنه بربه على قدر
خوفه من ربه وان احسن الناس ظنا بالله اشدهم خوفا لله واعلم يا محمد بن ابى بكر انى قد وليتك اعظم اجنادى
فى نفسى اهل مصر فانت محقوق ان تخالف على نفسك وان تنافح عن دينك ولو لم يكن لك الا ساعة من الدهر فلا تسخط
الله برضا احد من خلقه فان فى الله سبحانه خلفا من غيره وليس من الله خلف فى غيره صل الصلوة لوقتها الموقت لها
ولا تعجل وقتها لفراغ ولا تؤخرها عن وقتها لاشتغال واعلم ان كل شىء من عملك تبع لصلوتك **اقول** قلده الامر جعله
فى عنقه كالقلادة واللحظة مسترقا ونظر من كذا اى صار له منه حظوة وهى المنزلة والحظ الوافر والجبار البالغ فى التكبر والطرداء
جمع طريد وهو ما يطرد من صيد والخلف العوض وهذا الفصل من العهد ملتقط من كلام طويل ومداره على امور الاول وصيته
محمد رضى الله عنه بمكارم الاخلاق فى حق رعيته وذكر امرا احدها امره بخفض الجناح قيل واصله ان الطائر يبسط جناحيه ويخفضها
ليجمع فراخه تحتها الهاما للشفقة عليهم فاستعمل كناية عن التواضع الكاين عن الرحمة والشفقة كما قال تعالى واخفض جناحك
لمن اتبعك من المؤمنين وقد بينا ان التواضع ملكة تحت فضيلة العفة الثانى امره بالانة جانبه كناية عن الرفق فى الاقوال والافعال
وعدم الغلظة عليهم والجفاوة فى حقهم فى كل الاحوال وهو قريب من التواضع ومن لوازمه الثالث امره ان يبسط لهم وجهه وهو
كناية عن لقائهم بالبشاشة والطلاقة من غير تقطيب وعبوس وهو من لوازم التواضع ايضا الرابع ان يواسى بينهم فى النظر واللحظة
وهى اخف من النظرة وهو كناية عن الاستقصاء فى العدل بينهم فى جليل الامور وحقيرها وقليلها وكثيرها وقوله حتى لا يطمع
الى قوله عليهم بيان وجه الحكمة فى امره بالمساواة بينهم فى اللحظة والنظرة على حقارتهما فان قلت فلم خص العظماء بالطمع
الحيف والضعفاء باليأس عن العدل قلت لان العادة ان الولاة والامراء يخصصون بالنظرة والاقبال والبشاشة الاغنياء
والعظماء دون الضعفاء وذلك التخصيص مستلزم لطمعهم ان يحافهم والاعراض عن الضعفاء مستلزم لليأس من العدل فى حقهم
والضمير فى قوله عليهم يرجع الى العظماء الثانى الوعيد للعباد بسؤال الله لهم عن صغير اعمالهم وكبيرها وظاهرها ومستورها والاعلام
بانهم مظنة عذاب لتبداهم بمعصيته والبادى اظلم قال الراوندى رحمه المراد باظلم الظالم قلت ويحتمل ان يكون قد سمى ما يجازيهم به من العذاب
ظلما لمجاز المشابهة لظلم فى الكمية والصورة كما سمى فى القصاص اعتداء فى قوله فاعتدوا عليه بمثل الذى اعتدى عليكم ثم نسب
اليه فعلهم بصيغة افعل التفضيل باعتبار كونهم بدأوا بالمعصية وكذلك الاعلام بانه تعالى مظنة الكرم بالعفو عنهم الثالث اعلامهم
بما ينبغى لهم من استعمال الدنيا والتنبيه على كيفية استعمالها الواجب بوصف حال المتقين فيها ليقتدوا بحالهم وهى ما اخبر عنه بقوله ذهبوا
بعاجل الدنيا الى قوله ولا ينقص لهم من لذة وخلاصة حالهم المذكورة انهم اكثر فائدة من اهل الدنيا اذ حصلوا من اللذة فى دنياهم — نصيبه
على افضل ما حصل لهم من لذاتهم بها مع زيادة الفوز الاكبر فى الاخرة بما وعد فيها المتقون واعلم ان الذى يشير اليه من عاجل
الدنيا فى حق المتقين الذين شاركوا فيها وحظوا به منها ما حظى به المترفون واخذه الجبابرة المتكبرون هو ما حصلوا عليه — اعلمهم
من لذات الدنيا المباحة لهم بقدر ضرورتهم وحاجتهم كما روى عنه فى صفتهم بلفظ اخر شاركوا اهل الدنيا فى دنياهم ولم
يشاركهم اهل الدنيا فى اخرتهم اباحهم الله فى الدنيا ما كفاهم وبه اغناهم قال الله عز اسمه قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده

(كذا بخط صغير اسفل الصفحة) ...بيان من الرزق

والطيبات من الرزق الاية سكنوا من الدنيا بافضل ما سكنت واكلوها بافضل ما اكلت شاركوا اهل الدنيا فى دنياهم فاكلوا معهم من طيبات
ما ياكلون وشربوا من طيبات ما يشربون ولبسوا من افضل ما يلبسون وتزوجوا من افضل ما يتزوجون وركبوا من افضل ما يركبون اصابوا
لذة الدنيا مع اهل الدنيا وهم غدا جيران الله يتمنون عليه فيعطيهم ما يتمنون لا ترد لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيبا من لذة فاما وجه
كونهم اكلوها على افضل ما اكلت وسكنوها بافضل ما سكنت فلانهم استعملوها على الوجه الذى ينبغى لهم وقد امروا باستعمالها
عليه وظاهر ان ذلك الوجه افضل الوجوه واما انهم شاركوا اهل الدنيا فى طيباتها فظاهر بل نقول ان لذتهم بما استعملوا منها اتم
واكمل وذلك ان كل ما استعملوه منها من ماكول ومشروب ومنكوح ومركوب انما كان عند الحاجة والضرورة اليه وقد علمت ان
الحاجة الى الملك كلما كانت اشد واقوى كانت اللذة به عند حصوله اتم واعلى وذلك من الامور الوجدانية فثبت اذن انهم حصلوا
منها بما حظى به المترفون واخذوا منها ما اخذه الجبابرة المتكبرون مع ما فضلوا به من الحصول على اجر اجل الاخرة الذى لم يشاركهم
اهل الدنيا فيه كقوله تعالى من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الاخرة من نصيب واما الزاد المبلغ الى ساحل العزة وحضرة الجلال
فهو التقوى الذى تصفوا به كما قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى وقد علمت معنى كونه زادا غير مرة واستعار للتقوى ولطاعة — لهم م
لفظ المتجر باعتبار كون الغاية المقصودة منها استعاضة ثواب الله المشتبه للثمن ورشح بذكر الربح اى المكسب الربح وذلك باعتبار
زيادة فضل ثواب الله فى الاخرة على ما بذل له العبد من نفسه من العمل وقوله اصابوا لذة زهد الدنيا اشارة الى بعض ما يزودونه
من اللذات فى الدنيا وهو لذة الزهد اذ كان لهم بطرح الدنيا عن اعناق نفوسهم ووصولهم بسببه الى ما وصلوا اليه من الكمالات
العالية ابتهاجات عظيمة اجل واعلى مما يعده المترفون والمتكبرون لذة وخيرا وهم الذين يحق لهم ان يتكبروا على المتكبرين اذ كان
الكمال الذى به تكبر المتكبر فى امرا خياليا ضعيفا بالقياس الى الكمال الحق الذى حصل عليه هؤلاء وقوله وتيقنوا انهم جيران
الله غدا اى يوم القيمة وهو اشارة الى جهة فرحهم بجوار الله والتذاذهم به المضاف الى ما اصابوه من لذة زهد الدنيا وتلك الحضرة
هى ما حصلوا عليه من اليقين بالله والوصول التام اليه بعد مفارقة الابدان وذلك معنى جواره وقوله لا ترد لهم دعوة اشارة الى
بعض فضائلهم التى انفردوا بها ايضا المنفرعة على كمال نفوسهم وكرامتهم عند الله اللازمة عن لزوم طاعته وهو كونهم مجابى الدعوة
مع ما شاركوا غيرهم فيه من تمام اللذة فى الدنيا وانفردوا به من تمامها فى الاخرة الرابع تحذيرهم من الموت وقربه وتنبيههم على
غاية من ذلك التحذير وهوان بعد واله عدته التى يلقى بها ولا يكون كثير ضرر وقد علمت ان التقوى والعمل الصالح واكد الامر
باعداد العدة بالتنبيه على عظم ما ياتى به من الامر والخطب الجليل واشار الى ان ذلك الامر قد يكون خيرا خالصا دائما وقد يكون
شرا خالصا دائما لتشتد الرغبة ونقوى فى اكمال العدة المستلزمة لتحصيل ذلك الخير ولدفع ذلك الشر ثم نبه على ان ذلك الخير الذى
ياتى به الموت هو الجنة وذلك الشر هو النار وان المقرب الى كل منهما والمستلزم للحصول عليه هو العمل له بقوله فمن اقرب الى قوله
عاملها ثم نبه بقوله وانتم الى قوله خلفكم على ان هذا الامر المستصعب لا حيلة فى الخلاص منه وهو الموت لا بد من لقائه لتنبيه
الامر عليهم بالاستعداد له واستعار لهم لفظ الطرداء ملاحظة لشبههم بما يطرد من صيد ونحوه ولتشبيهه بالفارس المجد فى الطلب الذى
لا بد من ادراكه الطريدة وظاهر الزوم لكل امرى من ظله اذ كان ظل المرء قد ينفك عنه حيث لا ضوء والموت لازم لا بد منه وقوله — الكلام
الموت معقود بنواصيكم كناية عن لزومه وكونه لا بد منه اقتضاء اى مشدود ومربوط بنواصيكم وذلك الربط اشارة الى الحكم القضاء
الالهى به وكونه ضروريا للحيوان وانما خص الناصية لانها اشرف ما فى الانسان واشرف ولازم لها املك له وادل على ضبطه ونحوه قوله
تعالى فيؤخذ بالنواصى والاقدام واستعار لفظ الطى لتقضى احوال الدنيا وايامها التى يقطعها الانسان وقطعا فوقتا ملاحظة لشبه
احوالها بما يطوى من بساط ونحوه وظاهر ان ذلك الطى من خلفهم خلفا خياليا بالنسبة الى ما يستقبلونه من احوالها بوجوه حسهم ثم
لما كرر ذكر الموت واكد لزومه ساق الدنيا رجع الى التحذير من غايته وهى النار ووصفها باوصافها ليشتد الحذر منها وهى بعد
قعرها ومما ينبه عليه ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم سمع هدة فقال لاصحابه هذا حجر القى من شفير جهنم فهو يهوى فيها منذ سبعين خريفا
والان حين وصل الى قعرها وكان ذلك اشارة الى منافق مات فى ذلك الوقت وعمره سبعون سنة وقد اشرنا الى ذلك من قبل
وشدة حرها كقوله تعالى قل نار جهنم اشد حرا وجدة عذابها كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب
وكونها ليست بدار رحمة ولا يسمع لها دعوة لقوله تعالى ربنا اخرجنا منها الاية الى قوله ولا تكلمون وكونها لا تفرج فيها كربة لقوله تعالى — فى عذاب م
جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وقوله ونادوا يا مالك الى قوله ماكثون الخامس قوله وان استطعتم الى قوله شيئا امر
لهم بالجمع بين شدة الخوف من الله وحسن الظن به وهما بابان عظيمان من ابواب الجنة كما علمته فيما سلف ثم اشار الى انهما متلازمان
بقوله فان العبد الى قوله خوفا لله اى ان مقدار حسن الظن العبد بربه مطابق وملازم لمقدار خوفه منه وان زيادته مع زيادته — خوفا م
ونقصانه مع نقصانه واعلم انه لم يجعل احدهما علة للاخر بل هما معلولا علة واحدة مساويا بها وهى معرفة الله ثم كانت معرفة الله تعالى

متولة بحسب الشدة والضعف كان حسن الظن به ورجاؤه وشدة الخوف منه ايضا تشتد وتضعف بحسب قوة المعرفة وضعفها لان
كل واحد منها يستند الى صنف من المعرفة واعتبار خاص يكون هو مبدأه القريب اما في حسن الظن والرجاء فان يلحظ العبد من
ربه ويعتبر جميع اسباب نعمه على خلقه حتى اذا علم لطايفها في خلقتهم مما هو ضروري لهم كالات الغذاء وما لهم اليه حاجة كالاظفار وما
هو زينة كقوس الحاجبين واختلاف الوان العينين وبالجملة ما ليس بضروري علم ان العناية الالهية اذا لم تقصر عن عبادة في
امثال هذه الدقايق حتى لم يرض لعباده ان يفوتهم الزوايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقهم الى الهلاك الابدي
بل اذا اراد اعتبار في هذا الباب علم ان تعالى لما هيأ لاكثر الخلق اسباب السعادة في الدنيا حتى كان الغالب على اكثرهم الخير والسلامة سنة
الله التي قد خلت في عباده علم ان الغالب في امر الاخرة ذلك ايضا لان مدبر الدنيا والاخرة واحد وهو اللطيف بعباده وهو الغفور
الرحيم وح تكون هذه الملاحظات والاعتبارات مستلزمة لحسن الظن وباعثة على الرجاء ومن هذه الاعتبارات النظر في حكمة
الشريعة وسببها وهي مصالح الدنيا ووجه الرحمة على العباد بها وبالجملة ان يعتبر صفات الرحمة واللطف واما في الخوف فان يعتبر
اسبابه ان يعرف الله تعالى بصفات جلاله وعظمته وغنائه وسطوته واستغنائه وانه لو اهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع و
كذا سائر اعتبارات الصفات التي يقتضي العنف وايقاع المكاره كالسخط والغضب وكذلك لذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء وقال ص انا اخوفكم لله وبحسب شدة المعرفة بتلك الاعتبارات يكون حال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض اثر ذلك على البدن
فيحصل النحول والصفار والغشية والرعقة والرعدة وعلى الجوارح فيكفها عن المعاصي ويقيدها بالطاعات استدراكا لما فرط
فرط منه وفي الصفات فيقمع الشهوات وتكدر اللذات و الاحتراق القلب بالخوف يحصل له ذبول وذلة ويتبرأ بسببها كثير
من الرذائل كالكبر والحسد والحقد والبخل وغيرها ثم ان الجمع بينهما يستلزم كثيرا من الفضايل وذلك ان معرفة الله تعالى واليقين
به اذا حصل هيج الخوف من عقابه والرجاء لثوابه القربة وهما يفيدان الصبر اذ حفت الجنة بالمكاره فلا صبر على تحملها الا بقوة
الرجاء وحفت النار بالشهوات فلا صبر على قمعها الا بقوة الخوف ولذلك قال علي ع من اشتاق الى الجنة سلى عن الشهوات و
من اشفق من النار رجع عن المحرمات ثم يؤدي مقام الصبر الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله ودوام الفكر فيه وهي مؤدية الى كمال
المعرفة المؤدية الى الانس المؤدي الى المحبة المستلزمة لمقام الرضا والتوكل اذ من ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته
ولما ثبت تمامه لولا علة واحدة ثبت انهما متلازمان وليسا بمتضادين وان ظن ذلك في ظاهر الامر بل ربما غلب احدهما على
الاخر بحسب غلبة اسبابه فيشتغل القلب به ويغفل عن الاخر فيظن انه يعانده ويباينه ولذلك اتى ع هنا بان المقتضية للشك
في استطاعتهم للجمع بينهما ثم نبهه على احسانه اليه بتوليته اعظم اجناده تنبيها على التذكير بتلك النعم ما يريد ان يوصيه به التاسع
نبهه على ما ينبغي له وهو اولى به وذلك ان يخالف على نفسه الامارة فيما تامر به من السوء والفحشاء وسائر مناهي الله الى ما يحكم به العقل
والشرع من طاعته وان ينافح عن دينه ويجاهد الانس والجن عنه ولو لم يكن له من الدهر الا ساعة فينبغي ان لا يشغلها الا بالجهاد	شيا الحين م
عن دينه وان لا يسخط الله برضا احد من خلقه اي لمنا بغرا احد من خلق الله فيما يسخط الله وقوله فان في الله الى قوله في غيره تنبيه
على وجوب مراعاة رضاه تعالى دون غيره بقياس ضميره من الاول المذكور في قوة صغرى وتقدير الكبرى وكلما كان في الله
خلف عن غيره وليس في غيره خلف منه فالواجب اتباع رضاه وان لا يسخط برضا غيره ثم امره ان يصلي الصلوة لوقتها الموقت لها اي
المعين واللام للتخصيص والتعليل وان لا يقدمها على وقتها لفراغ في ذلك الوقت ولا يؤخرها عن وقتها لشغله عنها بغيرها فانها
اهم من كل شغل واولى ثم اعلمه ان كل شيء من الاعمال الصالحة تبع للصلوة والمراد ان الانسان اذا حافظ على صلوته واتى بها
في اوقاتها يوشك ان يكون على غيرها اولى بالمحافظة واذا تساهل فيها فهو في غيرها اكثر تساهلا وذلك انها عمود الدين
وافضل العبادات كما روي عن رسول الله ص وقد سئل عن افضل الاعمال فقال الصلوة لاول وقتها وقال صلى الله عليه واله اول
ما يحاسب به العبد الصلوة فمن تمت صلوته سهل عليه غيرها من العبادات ومن نقصت صلوته فانه يحاسب عليها وعلى غيرها
واعلم انه ذكر امر الصلوة في هذا العهد بكلام طويل هذه النسخة وفيه بيان حال الصلوة ولواحقها واوله ان قال وانظر الى صلوتك
كيف هي فانك امام لقومك ان تتمها او تخففها فليس من امام يصلي بقوم يكون في صلوتهم نقصان الا كان عليه لا ينقص ذلك	من صلوتهم شيء وان
من اجورهم شيئا وانظر الى الوضوء فانه من تمام الصلوة تمضمض ثلثا واستنشق ثلثا واغسل وجهك ثم يدك اليمنى ثم اليسرى	يتمها يحفظ بها يكن
ثم امسح راسك ورجليك فاني رايت رسول الله ص يصنع ذلك واعلم ان الوضوء نصف الايمان ثم ارتقب وقت الصلوة فصلها	لك مثل اجورهم ولا
لوقتها ولا تعجل بها قبله لفراغ ولا تؤخرها عنه لشغل فان رجلا سال رسول الله ص عن اوقات الصلوة فقال ص اتاني جبرئيل	ينتقص
فاراني وقت صلوة الظهر حين زالت الشمس وكانت على حاجبه الايمن ثم اراني وقت العصر وكان ظل كل شيء مثله ثم صلى المغرب
حين غربت الشمس ثم صلى العشاء الاخرة حين غاب الشفق ثم صلى الصبح فاغلس بها والنجوم مشتبكة فصل لهذه الاوقات

والزم

والزم السنة المعروفة والطريق الواضح ثم انظر ركوعك وسجودك فان رسول الله ص كان اتم الناس صلوتهم واخفهم عملا فيها واعلم ان كل شيء
من عملك تبع لصلوتك فمن ضيع الصلوة فانه لغيرها اضيع اسال الله الذي يرى ولا يرى وهو بالمنظر الاعلى ان يجعلنا واياك ممن يحب
ان يرضى حتى يعيننا واياك على شكره وذكره وحسن عبادته واداء حقه وعلى كل شيء اختاره لنا في ديننا ودنيانا واخرتنا ومن
هذا العهد وهو اخره فانه لا سواء امام الهدى وامام الردى وولي النبي وعدو النبي ولقد قال لي رسول الله ص
اني لا اخاف على امتي مؤمنا ولا مشركا اما المؤمن فيمنعه الله بايمانه واما المشرك فيقمعه الله بشركه ولكني اخاف عليكم
كل منافق الجنان عالم اللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون **اقول** هذا الفصل متصل بقوله واخرنا من فصل
الصلوة واوله وانتم يا اهل مصر فليصدق قولكم فعلكم وسركم علانيتكم ولا تخالف السنتكم قلوبكم انه لا يستوي الى قوله تنكرون
ثم يتصل به يا محمد بن ابي بكر اعلم ان افضل العفة الورع في دين الله والعمل بطاعته واني اوصيك بتقوى الله في سر امرك وعلانيتك
وعلى اي حال كنت عليه الدنيا دار بلاء ودار فناء والاخرة دار الجزاء ودار البقاء فاعمل لما يبقى واعدل عما يفنى ولا تنس
نصيبك من الدنيا اي وصيك بسبع هي جوامع الاسلام اخش الله عز وجل في الناس ولا تخش الناس في الله وخير العمل
ما صدقه العمل ولا تقض في امر واحد بقضائين مختلفين فيختلف امرك وتزوغ عن الحق واحب لعامة رعيتك ما تحب لنفسك و
اهل بيتك واكره لهم ما تكره لنفسك واهل بيتك فان ذلك اوجب للحجة واصلح للرعية وخض الغمرات الى الحق ولا تخف
في الله لومة لائم وانصح المرء اذا استشارك واجعل نفسك اسوة لقريب المسلمين وبعيدهم جعل الله مودتنا في الدين وحلانا
واياكم حلية المتقين وابقى لكم حتى يجعلنا بها اخوانا على سرر متقابلين احسنوا اهل مصر موازرة اميركم واثبتوا على طاعتكم
تردوا حوض نبيكم صلى الله عليه واله اعاننا الله واياكم على ما يرضيه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته والشمع القهر والاذلال
واعلم انه انما امرهم بترك النفاق وموافقة الفعل الجميل للقول الجميل اشد رحمهم الى ذلك وجذبهم اليه بالفرق بينه وبين غيره
من الائمة فاشار بامام الهدى وولي النبي الى نفسه وبامام الردى وعدو النبي الى معوية واسند الخبر المشهور الى النبي ص و
اراد بمنافق الجنان عالم اللسان معوية واصحابه كل ذلك ليفيئوا الى طاعته ويتنزهوا عن خصمه واما سر الخبر فظاهر ان المؤمن
لايمانه لا يخاف منه على المسلمين واما المشرك فان الله يقمعه ويذله بشركه ما دام مشركا متظاهرا بالشرك لظهور الاسلام وغلبة
المسلمين واتفاقهم على مجانبته ومعاداته وعدم الاصغاء الى ما يقول وانما يخاف جانب المنافق الذي من شانه اسرار الكفر و
اظهار الاسلام وتعلم احكامه ومخالطة اهله فهو يقول بلسانه ما يقولون ويفعل ما ينكرون ووجه المخافة منه ان مخالطته لاهل
الاسلام مع اظهاره له يكون سببا لاصغائهم اليه ومجالستهم له ولا اغترارهم بما يعجبه من اصدقائه وصديق وعلمه باللسان وقدرته
على الشبهة المضلة وتمويهها بالاقوال المزوقة يكون سببا لانفعال كثير من عوام المسلمين وفتنتهم عن الدين وقوله ان افضل العفة
الورع فالورع هو لزوم الاعمال الجميلة وهو ملكة تحت فضيلة العفة وظاهر انها جماع الفضائل التي تحت العفة فيكون افضل
من كل منها وقوله واخش الله في الناس اي خف منه فيما تفعله بهم من شر تقصده به وقوله ولا تخش الناس في الله اي لا تخف احدا
منهم ولا تراقبه فيما يفعله من طاعة الله فتعدل عن طاعته تخوفا منهم وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** الى معوية
جوابا وهو من محاسن الكتب اما بعد فقد اتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله عز وجل محمدا صلى الله عليه واله وسلم لدينه
وتاييده اياه بمن ايده من اصحابه فلقد خبأ لنا الدهر منك عجبا اذ طفقت تخبرنا ببلاء الله عندنا ونعمته علينا في نبينا
فكنت في ذلك كناقل التمر الى هجر او داعي مسدده الى النضال وزعمت ان افضل الناس فلان وفلان فذكرت امرا ان	في الاسلام
تم اعتزلك وان نقص لم يلحقك ثلمه وما انت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس وما للطلقاء وابناء الطلقاء	كله
والتمييز بين المهاجرين الاولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم هيهات لقد حن قدح ليس منها وطفق يحكم فيها
من عليه الحكم لها الا تربع ايها الانسان على ظلعك وتعرف قصور ذرعك وتتاخر حيث اخرك القدر فما عليك
غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر وانك لذهاب في التيه رواغ عن القصد الا ترى غير مخبر لك لكن بنعمة الله احدث
ان قوما استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين ولكل فضل اذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء وخصه	حتى
رسول الله صلى الله عليه واله بسبعين تكبيرة عند صلوته عليه اولا ترى ان قوما قطعت ايديهم في سبيل الله ولكل فضل
حتى اذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل الطيار في الجنة وذو الجناحين ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء	والطلوة ر
نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها اذان السامعين فدع عنك من مالت به الرمية فانا صنائع
ربنا والناس بعد صنائع لنا لم يمنعنا قديم عزنا وعادي طولنا على قومك ان خلطناكم بانفسنا فنكحنا وانكحنا
فعل الاكفاء ولستم هناك وانى يكون ذلك كذلك ومنا النبي ومنكم المكذب ومنا اسد الله ومنكم اسد الاحلاف ومنا سيدا	ذلك

شباب اهل الجنّة ومنكم صبية النّار ومنّا خير نساء العالمين ومنكم حمّالة الحطب في كثير ممّا لنا وعليكم فاسلامنا ما قد سُمع وجاهليّتنا
لا تدفع وكتاب الله يجمع لنا ما شذّ عنّا وهو قوله تعالى واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقوله تعالى انّ اولى النّاس
بابراهيم للّذين اتّبعوه وهذا النّبيّ والّذين آمنوا والله وليّ المؤمنين فنحن مرّة اولى بالقرابة وتارة اولى بالطّاعة ولمّا احتجّ
المهاجرون على الانصار يوم السّقيفة برسول الله صلّى الله عليه وآله فلجوا عليهم فان يكن الفلج به فالحقّ لنا دونكم وان يكن
بغيره فالانصار على دعواهم وزعمت انّي لكلّ الخلفاء حسدت وعلى كلّهم بغيت فان يكن ذلك كذلك فليس الجناية
عليك فيكون العذر اليك وتلك شكاة ظاهر عنك عارها وقلت انّي كنت اقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى ابايع ولعمر الله
لقد اردت ان تذمّ فمدحت وان تفضح فافتضحت وما على المسلم من غضاضة في ان يكون مظلوما ما لم يكن شاكّا في
دينه ولا مرتابا بيقينه وهذه حجّتي الى غيرك قصدها ولكنّي اطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها ثمّ ذكرت
ما كان من امري وامر عثمان فلك ان تجاب عن هذه لرحمك منه فايّنا كان اعدى له واهدى الى مقاتله امن بذل
له نصرته فاستقعده واستكفّه ام من استنصره فتراخى عنه وبثّ المنون اليه حتّى اتى قدره عليه كلّا والله لقد علم الله
المعوّقين منكم والقائلين لاخوانهم هلمّ الينا ولا يأتون البأس الّا قليلا وما كنت لاعتذر من انّي كنت انقم عليه احداثا
فان كان الذّنب اليه ارشادي وهدايتي له فربّ ملوم لا ذنب له وقد يستفيد الظّنّة المتنصّح وما اردت الّا الاصلاح
ما استطعت وما توفيقي الّا بالله عليه توكّلت واليه انيب وذكرت انّه ليس لي ولاصحابي عندك الّا السّيف فلقد
اضحكت بعد استعبار متى الفيت بني عبد المطّلب عن الاعداء ناكلين وبالسّيوف مخوّفين فلبّث قليلا يلحق الهيجا حمل
فسيطلبك من تطلب ويقرب منك ما تستبعد وانا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين والانصار والتّابعين لهم
باحسان شديد زحامهم ساطع قتامهم متسربلين سرابيل الموت احبّ اللّقاء اليهم لقاء ربّهم قد صحبتهم ذرّيّة بدريّة
وسيوف هاشميّة قد عرفت مواقع نصالها في اخيك وخالك وجدّك واهلك وما هي من الظّالمين ببعيد **اقول**
هذا الكتاب ملتقط من كتاب ذكر السّيّد منه فصلا سابقا وهو قوله فاراد قومنا اهلاك نبيّنا وقد ذكرنا كتاب معاوية الّذي هو هذا
الكتاب جواب له وذكرنا الكتاب له باسره هناك وان كان فيه اختلاف الفاظ يسير بحسب الرّوايات وجبّان الّتي سنّه وطفق مثل اخذ
وجعل وهجر مدينة من بلاد البحرين والنّضال المراماة والمسدّد الّذي يقوم عوجه لامره ويهديه اليه واعزك باعد عنك والثّلم
الكسر والطّليق من اطلق بعد الاسر والرّتع الوقوف والظّلع العوج والذّرع بسط اليد والتّيه الضّلال والتّحيّر في المفاوز والرّواغ كثير الميل
عن القصد والجمّة الكثيرة ومجّ الماء من فيه القاه والرّميّة الصّيد يرمى والصّنيعة الحسنة والفلج الفوز والشّكاة والشّكية والشّكاية ظاهرة
والظّاهر الزّائل والمخشوش الّذي جعل في انفه خشاش وهو خشبة تدخل في انف البعير ليقاد بها والغضاضة الذّلّة والمنقصة
اعرض واعدى اشدّ عدوا والمعوّقين المثبّطين والظّنّة التّهمة والمتنصّح المبالغ في النّصيحة والاستعبار البكاء والفيت كذا وجدته
والنّكول التّأخّر جبنا والارقال ضرب من السّير سريع والجحفل الجيش العظيم والسّاطع المرتفع والقتام الغبار والسّرابيل القمصان
والنّصال السّيوف وقد اجاب عن كلّ فصل من كتاب معاوية بفصل والكتاب يخصّه ما اختار السّيّد منه من الكتب وفيه نكت الاولى انّه استعار
لفظ الخبئ لما ستره الدّهر من وجود معاوية من العجب كثير العجب فقال اذ طفقت الى قوله النّضال ووجه العجب هنا انّه اخبر اهل بيت النّبيّ بحال
النّبيّ وما انعم الله به عليه من اصطفائه له لدينه وتأييده باصحابه مع علمهم بلبالغ بحاله وكونهم اولى بالاخبار عنها وضرب له في ذلك مثلين
احدهما قوله كناقل التّمر الى هجر واصل هذا المثل انّ رجلا قدم من هجر الى البصرة بمال اشترى به شيئا للرّبح فلم يجد فيها اكسد من التّمر فاشترى
بما له تمرا وحمله الى هجر وادّخره في البيوت ينتظر به السّعر فلم يزدد الّا رخصا حتّى فسد جميعه وتلف ماله فضرب مثلا لمن يحمل الشّيء الى
معدنه لينتفع به فيه ووجه مطابقة المثل هنا انّ معاوية حمل الخبر بما اخبر به الى معدنه الّذي هو اولى به منه كحامل التّمر الى معدنه وهجر
معروفة بكثرة التّمر حتّى انّه ربّما يبلغ خمسين جلّة بدينار ووزن الجلّة مائة رطل فذلك خمسة آلاف رطل ولم يسمع مثل ذلك في بلاد اخرى
وهجر اسم قد يذكر لقصد الموضع ولذلك صرفها شاعرهم حيث يقول شعر خطّها الخطّ ارقال الافعال قبلي اوّل الاثاد ما واهجر في هجر
الثّاني انّه شبّهه بداعي مسدّده الى النّضال ووجه التّشبيه هنا ايضا حمل الخبر الى من هو اولى به منه كما يدعو الانسان مسدّده واستاذه
في الرّمي الى المراماة ومسدّده اولى بان يدعوه الى ذلك الثّانية انّ معاوية لمّا افتخر بحال اصحابه وذكر الافضل فالافضل منهم معرّضا
بافضليّتهم عليه لعدم مشاركتهم له في الفضل اجابه بانّ ذلك التّفضيل والتّرتيب امّا ان يتمّ او لا فان تمّ فهو بمعزل عنك اذ ليس
لك نصيب ولا شرك في درجاتهم ومراتبهم وسابقتهم في الاسلام فيكون اذن خوضك فيه خوضا فيما لا يعنيك وان نقص فليس عليك
من نقصانه عار ولا يلحقك منه وهن فخوضك فيه ايضا فضول وقوله وما انت وما للطّلقاء استفهام على سبيل الاستحقار
والانكار عليه ان يخوض على صغر شأنه وحقارته في هذه الامور الكبار والمنقول انّ ابا سفيان كان من الطّلقاء فكذلك معاوية فهو طليق

وابن الطّليق وقوله فهيهات استبعاد لاهليّته لمثل هذا الحكم وترتيب طبقات المهاجرين في الفضل ثمّ ضرب له في حكمه ذلك مثلين احدهما
قوله لقد حنّ قدح ليس منها واصله انّ احد قداح الميسر كان ليس من جوهرها في القداح ثمّ اجاله المفيض خرج له صوت يخالف اصواتها
فيعرف به انّه ليس من جملتها فضرب مثلا لمن يمدح قوما ويطريهم ويفتخر بهم مع انّه ليس منهم وتمثّل به عمر حين قال الوليد بن عقبة بن ابي
معيط اقتل من دون قريش فقال عمر حنّ قدح ليس منها الثّاني قوله وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها يضرب لمن يحكم على قوم وفيهم وهو
من اراذلهم وليس للحكم باهل بل هم اولى منه اذ شأن الاشراف ان يكونوا حكّاما ومراده انّ معاوية ليس من القوم الّذين حكم بتفضيل
بعضهم على بعض في شيء وليس هناك للحكم فيهم الثّالثة قوله الا تربع ايّها الانسان على ظلعك استفهام على سبيل التّنبيه له على قصوره
عن درجة السّابقين والتّقريع له على ادّعائه لها اي انّه يرتقي بنفسك ولا يكلّفها غيره ويقف بها عن مجازاة اهل الفضل حال الطّلعك
واستعار لفظ الظّلع لقصوره ووجه المشابهة قصوره عن لحوق رتبة السّابقين في الفضل كقصور الظّالع عن شأو الظّليع وكذلك قوله
وتعرف قصور ذرعك وقصور ذرعه كناية عن قصور قوّته وعجزه عن تناول تلك المرتبة وحيث اخّره القدر اشارة الى مرتبته النّازلة
الّتي جرى القدر بها ان تكون نازلة عن مراتب السّابقين وقد امره بالتّأخّر فيها والوقوف عندها تقريعا وتوبيخا بها وقوله فما عليك
الى قوله الظّافر في قوّة احتجاج على وجوب تأخّره بحيث نزّه هذه المرتبة بقياس ضمير من الشّكل الاوّل والمذكور في قوّة صغراه وتقدير ها
غلب المغلوب في هذا الامر الكبير ليس عليك منه شيء وتقدير الكبرى وكلّ من كان كذلك فيجب تأخّره عنه واعتزاله آباه ولا تكان
سعيها بدخوله فيما لا يعنيه الرّابعة قوله وانّك لذهّاب في التّيه اي كثير الذّهاب والتّوغّل في الضّلال عن معرفة الحقّ كثير العدول عن القصد
والصّراط المستقيم في حقّنا وعن الفرق بيننا وبينكم ومعرفة فضائلنا ورذائلكم ثمّ نبّهه على وجه الفرق بينهم وبين من عداهم من
المهاجرين والانصار بذكر افضليّة بيته الّتي انفردوا بها دونهم في الجنّة وبعد الممات بعد ان قرّر ان لكلّ من الصّحابة فضلا لتثبت
الافضليّة لبيته بالقياس اليهم وذلك قوله الا ترى الى قوله الجناحين فمن ذلك فضيلتهم في الشّهادة وشهيدهم الّذي اشار اليه
عمّه حمزة بن عبد المطّلب رضي الله عنه واشار الى وجه افضليّته بالنّسبة الى سائر الشّهداء من وجهين احدهما قوله وهو تسمية رسول الله
سيّد الشّهداء والثّاني فعل رسول الله صلعم حضرته بسبعين تكبيرة عند صلوته عليه في اربع عشرة صلوة وذلك انّه كان كلّما كبّر
عليه خمسا حضرت جماعة اخرى من الملائكة فصلّى بهم عليه ايضا وذلك من خصائص حمزة رضي الله عنه وشرف بني هاشم في خوّهم ومنهم
ومنه افضليّتهم انّما فعل بعضهم من التّمثيل به كما فعل باخيه جعفر بن ابي طالب من قطع يديه فسمّاه رسول الله صلعم بذلك الاعتبار الجناحين
والطّيّار في الجنّة ومن المنقول عن علي عليه السلام من الشّعر فيه والفخر الى معاوية وجعفر الّذي يضحى ويمسي يطير مع الملائكة ابن امّي وقد ذكرنا مقتلهما
وفضائلهما من قبل ثمّ اشار الى انّ فضائل جمّة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجّها آذانهم وانّما ترك تعديدها وذكرها في معرض الفخر بها لنهي
الله سبحانه عن تزكية النّفس والذّاكر يعني نفسه وانّما نكّره ولم يأت بالالف واللّام ولم ينسبه الى نفسه لانّ في ذلك صريح الدّلالة على تزكية
النّفس واستعار لفظ المجّ لكراهية النّفس لما تكرّر سماعه واعراضها عنه فانّها تصير كالقاذف له من الاذن كما يقذف الماجّ الماء وقوله فدع
عنك من مالت به الرّميّة اي فدع عنك اصحابك الاغراض والمقاصد الفاسدة ولا تلتفت الى ما يقولون في حقّنا كعمرو بن العاص ويحتمل ان
تكون الاشارة اليه بعينه على طريقة قولهم ايّاك اعني فاسمعي يا جارة واستعار لفظ الرّميّة وكنّى بها عن الامور الّتي تقصدها النّفوس وترميها
بقصودها وتسند الميل اليها لانّها هي الجاذبة للانسان والمائلة الحاملة له على الفعل وقوله فانّا صنائع ربّنا الى قوله لنا تنبيه من وجه
من تحرّ آخر على فضيلتهم من جهة اختصاص الله سبحانه ايّاهم بالنّعمة الجزيلة وهي نعمة الرّسالة وما يستلزمه من الشّرف والفضل حتّى كان
النّاس عيالا لهم فيها اذ كانت تلك النّعمة ولوازمها انّما وصلت الى النّاس بواسطتهم ومنهم واكرم بها فضيلة وشرفا على سائر الخلق وهذا
الشّبه في قوّة صغرى من الشّكل الاوّل في معرض الافتخار والاحتجاج على انّه لا ينبغي لاحد ان يعارضهم في شرف او يفاخرهم وبلغهم
في فضيلة وتقدير الكبرى وكلّ من كان بصفة انّه صنيعة ربّه بلا واسطة والنّاس بعده صنائع له بواسطته فلا ينبغي لاحد من
النّاس ان يعارضه في فضل او يجاريه في شرف ويجوز بلفظ الصّنائع في الموضعين الحلاف الاسم المقبول على القابل والحال على المحلّ
ثمّ كثرت تلك المجازات فقال فلان صنيعة فلان اذا اختصّه لموضع نعمته كقوله تعالى واصطنعتك لنفسي وقوله لم يمنعنا الى قوله فما امثالنا
في معرض الافتخار ايضا وعادي منسوب الى عاد قوم هود والتّنسيب اليه كناية عن القدم ووجه الامتنان هو انّهم لم يمنعوا على فضائلهم
من خلطهم ايّاكم بانفسهم في مناكحتهم وفعل الاكفاء منصوب على المصدر عن فعل مضمر وقوله هناك كناية عن مرتبة الكفاءة في
النّكاح اي ولستم اهلا لتلك المرتبة والواو في ولستم للحال والعامل خلطنا كم ثمّ اشار الى بيان ما ادّعاه من نفي كونهم اهلا للمحاكمة
بالمقابلة بين حال بني هاشم وحال بني اميّة ليظهر من تلك المقابلة رذيلة كلّ واحد ممّن ذكر من بني اميّة بازاء فضيلة كلّ واحد ممّن
ذكر من بني هاشم ويظهر فضائل الافراد ورذائلهم ليتبيّن نسبة البيتين في الشّرف والخسّة فذكر النّبيّ وقابله بالكذّب له من بني اميّة
وهو ابو جهل بن هشام واليه الاشارة بقوله وذرني والمكذّبين الآية قيل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا عشرة وهم ابو جهل وعتبة

من كتاب له الى معاوية

وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن امية ومنبه ونبيه ابنا الحجاج وابو البختري بن هشام والنضر بن الحرث والحرث بن عامر وابي بن خلف وزمعة بن الاسود
فذكر النبي صلى الله عليه وآله بفضيلة هي النبوة وذكر ابا جهل برذيلة وهي تكذيبه ثم اسد الله وهو حمزة بن عبد المطلب سماه رسول الله صلى الله عليه وآله
بذلك لشجاعته وذبه عن دين الله وقابله باسد الاحلاف وهو اسد بن عبد العزى والاحلاف هم عبد مناف وزهرة واسد وتيم
والحرث بن فهر وسموا الاحلاف لان بني قصي ارادوا ان ينتزعوا بعض ما كان بايدي بني عبد الدار من اللواء والندوة والحجابة والرفادة
وهي كل شيء كان قرره قصي على قريش لطعام الحاج في كل سنة ولم يكن لهم الا السقاية فتحالفوا على حربهم واعدوا للقتال ثم رجعوا
عن ذلك ناكصين واقروا ما كان بايديهم ثم سيدا شباب اهل الجنة وهما الحسن والحسين عليهما السلام وقابلهما بصبية النار فقيل هم
صبية عقبة بن ابي معيط حيث قال له الملك ولهم النار وقيل هم ولد مروان بن الحكم الذين صاروا اهل النار عند البلوغ وكانوا صبية
حين اخبر عليه السلام بذلك ثم خير نساء العالمين وهي فاطمة عليها السلام وقابلها منهم بحمالة الحطب وهي ام جميل بنت حرب عمة معوية كانت تحمل حزم
الشوك فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وآله لتعقره وعن قتادة انها كانت تمشي بالنميمة بين الناس فتلقي بينهم العداوة وتهيج
نارها كما توقد النار بالحطب فاستعير لفظ الحطب لتلك النميمة للمناسبة المذكورة ومنه قولهم فلان يحطب على فلان اذا كان يغري
به وقوله في كثير الى قوله وعليكم وهذا الذي ذكرناه من فضائلنا ورذائلكم قليل في كثير مما لنا من الفضائل وعليكم من الرذائل
قال عليكم من الرذائل لان الامور بثمراتها وما تستلزمه وثمرة الرذائل على التخصيص مضرتها وشناعتها وقوله فاسلامنا الى قوله لم ندفع
اشارة الى ان شرف بيته على غيره لا ينحصر في الاسلام فقط فان شرف بني هاشم في الجاهلية ايضا مشهور ومكارم اخلاقهم لا يدفعها
دافع وقد نبهنا على ذلك في المقدمات وكما نقل عن جعفر بن ابي طالب لما اسلم قال له النبي صلى الله عليه وآله ان الله شكر لك ثلث خصال في الجاهلية
فما هي قال يا رسول الله ما زنيت قط لاني قلت في نفسي ان ما لا يرضاه العاقل لنفسه لا ينبغي ان يرضاه لغيره تكرما ولا كذبت
كذبة قط تاثما ولا شربت الخمر قط لاني رايت الخمر تذهب العقول وقوله وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا اي يوجب لنا صريح حكمه ويجمع
لنا ما شذ عنا من هذا الامر وسلبناه وهو شروع في الاحتجاج على اولويته من غيره بهذا الامر من الخلفاء ومن يطمع في الخلافة من
ذلك من وجوه احدها قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ووجه الاستدلال انه عليه السلام من اخص اولي الارحام برسول الله
وكل من كان كذلك فهو اولى به وبالقيام مقامه مع كمال استعداده لذلك اما الصغرى فظاهرة واما الكبرى فللاية الثاني قوله تعالى
ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه الاية ووجه الاستدلال انه عليه السلام كان اقرب الخلق الى اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله واولى من امن به وصدق
وافضل من اخذ عنه الحكمة وفصل الخطاب كما بيناه وكل من كان كذلك فهو اولى بخلافته والقيام مقامه فيما جاء به الاية فظهر انه
عليه السلام اولى برسول الله صلى الله عليه وآله وبمنصبه تارة من جهة قرابته وتارة من جهة طاعته واتباعه الثالث قوله ولما احتج المهاجرون الى قوله دعواهم وهو الزام
وصورته ان الانصار لما طلبوا الامامة لانفسهم وقالوا للمهاجرين منا امير ومنكم امير احتج المهاجرون عليهم برسول الله صلى الله عليه وآله وانهم من
شجرته التي اشار الى كون الائمة منها بما رووه عنه من قوله الائمة من قريش فسلموا لهم ذلك وغلبوا عليهم فلا يخلو ذلك الغلب
ان يكون بكونهم اقرب الى النبي صلى الله عليه وآله من الانصار او غير ذلك فان كان الاول فاهل بيته اولى بذلك الحق لانهم اقرب اليه صلى الله عليه وآله من غيرهم وهم لغيرهم
ثمرة تلك الشجرة وغاياتها وان كان بغيره فحجة الانصار قائمة ودعواهم للامامة باقية اذ لم يكن ما رووه من الخبر نافعا لقولهم الا من جهة
كونهم من قريش الموجب لقربهم وبعد الانصار عنه وقد عرفت ان حجة الاقربية غير معتبرة هنا السادس جوابه عما ادعاه بزعمه من حسده لهم
لسائر الخلفاء وبغيه عليهم وتقرير الجواب انه لا يخلو اما ان تكون هذه الدعوى صادقة او كاذبة فان كانت صادقة كما زعمت فليست
جنايتي عليك حتى يكون عذري عنها اليك بل ذلك فضول منك وخوض فيما لا يعنيك واكد ذلك بالمثل والبيت لابي ذويب
واولئك وعيرها الواشون اني احبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها يضرب لمن ينكر امرا ليس منه في شيء ولا يلزمه منه انكاره
السابع جوابه عما ادعاه توبيخا له وعيبا من تضجره وحمل قوده الى البيعة للخلفاء وقبله كما يقاد الجمل المخشوش قهرا وكرها اذ لا وهو
وجه التشبيه فقلب تلك الدعوى وبين ان ذلك ليس مما يذم به بل مدحا ولا فضيحة بل على مدعيها واشار الى كونها مدحا وليست ذما
بقوله وما على المسلم الى قوله بيقينه ووجه ذلك انه عليه السلام لما كان ثابتا على اليقين التام في علومه منزها عن الريب والشبهة في دينه فكان
ذلك هو الكمال الحق والفضل المبين الذي لا نقصان معه لم يكن عليه غضاضة في ظلم غيره له ولم يلحقه بذلك نقصان ولا ذم بل كان
انفراده بالثبات على الدين الخالص مع الاجماع على ظلمه فضيلة تخصه فيكون ذكرها مستلزما لمدحه وتعظيمه وكذلك ليس في ذكرها
فضيحة عليه اذ الفضيحة هي اظهار عيب الانسان ونقصه وحيث لا عيب فلا فضيحة واما انها فضيحة لمعوية فلظهور نقصانه في عدم
الفرق بين ما يمدح به ويذم وقوله وهذه حجتي الى قوله ذكرها اي ان حجتي هذه على كوني مظلوما في اخذ البيعة عني ليس
انت المقصود بها اذ لست في هذا الامر في شيء فنخاطب به بل القصد بها غيرك واراد الذين ظلموا وانما ذكرت لك منها بقدر ما دعت
الحاجة اليه وسنح لي ان اذكره في جوابك الثامن جوابه عما ادعاه عليه في امر عثمن وتأليبه وخذلانه وذلك قوله فلك ان تجاب عن هذه

لرحمك منه مع انكاره عليه ما سبق من الكلام فان فيه ارشادا عظيما لوضع الكلام مواضعه وتنبيه على انه لا يجوز ان يخوض الانسان فيما لا يعنيه وفي بعض
رحمه منه لكونه من بني امية وحاصل جوابه انه عكس عليه ما ادعاه وبين انه هو الذي كان عدوه وخاذله فانه عليه السلام كان ناصره ومعرض
نفسه للذب عنه فاستفهم عن ايهما كان اعدى عليه واهدى لمقاتله اي لوجوه قتله ومواضعه من الاراء والحيل استفهام توبيخ له
واراد بقوله امن بذل نصرته الى قوله فاستقعده واستكفه نفسه وذلك ان عثمان كان متهما له عليه السلام بالدخول في امره فلما اشتد عليه
الحصار بعث اليه وعرض نصرته فقال لا احتاج الى نصرتك لكن اقعد عني وكف شرك وذكر نفسه بصفة بذل النصرة ليظهر خروجه مما
نسب اليه من دمه وهو في قوة صغرى قياس ضمير تقديرها اني بذلت له نصرتي وتقدير كبراه وكل من بذل لغيره نصرته فليس من
شانه ان يتهم بخذلانه وينسب اليه المشاركة في دمه واشار الى دخول معوية في دمه بقوله ام من استنصره فتراخى عنه وبث المنون اليه
وذلك انه بعث حال حصاره الى الشام مستصرخا بمعوية فلم يزل يعده ويتراخى عنه لطمعه في الامر الى ان قتل وذكر القدر ونسبة القتل
اليه ههنا مناسب لتبرير نفسه من دمه والكلام ايضا في قوة صغرى قياس ضمير احتج به على ان معوية هو الساعي في قتله وتقديرها انك
ممن استنصره واستعان به فتراخى وقعد عنه وبث المنون اليه وعن وعده وتثبط عن نصرته واشار الى ذلك بقوله لقد علم الله الاية بعد
رد دعواه عن نفسه بقوله كلا اي كلام اكن انا ابعدى عليه ولا اهدى لمقاتله منك وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فهو
اولى بالنسبة الى صدور السعي في قتله والاية نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يثبطون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عن القتال قوله وما
كنت اعتذر اشارة الى ما عساه كان سببا لتوهم كثير من الجهال انه دخل في دمه وهو انكاره عليه ما كان نقمه الناس عليه من احداثه
التي اشرنا اليها قبل وبيان ان ذلك ليس مما يعتذر عنه لان ذلك ارشاد له وهداية فان يكن ذلك هو الذي توهمته ذنبا اليه
فلا معنى عليه فرب ملوم لا ذنب له وانا ذلك الملوم اذ لم يكن ما فعلته ذنبا وقد يستفيد الظنة المتنصح وانا ذلك المتنصح اذ لم يكن
قصدي الا اصلاح ذات البين بقدر الاستطاعة وقوله فرب ملوم لا ذنب له مثل لاكثم بن صيفي ويضرب لمن قد ظهر للناس منه
امر انكروه عليه وهم لا يعرفون حجته وعذره فيه وكذلك قوله وقد يستفيد الظنة المتنصح يضرب مثلا لمن يبالغ في النصيحة حتى يتهم
انه غاش وصدر البيت وكم سقت في اثاركم من نصيحة وقد يستفيد الظنة المتنصح العاشر جوابه عن وعيده له بالحرب التي كنى
بالسيف عنها وقوله فلقد اضحكت بعد استعبار كناية عن ان وعيده لمثله عليه السلام من ابلغ الاشياء المستلزمة لابلغ عجب اذ كان الضحك
بعد البكاء انما يكون للتعجب بالغ غريب وهو كالمثل في معرض الاستهزاء به وقيل معناه لقد اضحكت من سمع منك هذا تعجبا بعد
بكائه على الدين لتصرفك فيه وقوله متى الفيت الى اخره استفهام له عن وقت وجدانه لبني عبد المطلب بصفة النكول عن الحرب
يخوفون من السيف استفهام انكار لوقت وجدانه كذلك في معرض التنزيه لهم عن الجبن والفشل وقوله فلبث قليلا يلحق الهيجا حمل مثل
يضرب للوعيد بالحرب واصله ان حمل بن بدر رجل من قشير اغير على ابل له في الجاهلية في حرب داحس والغبراء فاستنقذها وقال لبث قليلا فلبث
يلحق الهيجا حمل ما احسن الموت اذا الموت نزل وقيل اصله ان مالك بن زهير توعد حمل بن بدر فقال حمل لبث قليلا يلحق الهيجا حمل البيت
فارسل مثلا ثم اتى وقتل مالكا فظفر اخوه قيس بن زهير به وباخيه حذيفة فقتلهما وقال شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفي من حذيفة
فقتلهما وقال قد شفاني وقوله فسيطلبك الى اخره شروع في المقابلة بالوعيد بالسير الشديد اليه في الجيش العظيم ووصفه باوصاف
تزلزل وكان العدو من شدة الزحام وسطوع القتام الى اخره وشديد او متسربلين نصب على الحال وسرابيل مفعول به للمتسربلين وسرابيل
الموت كناية اما عن الدروع والعدة التي يلقون بها الموت ويخوضون في غمراته واما عن ملابسهم من التسابير والهيات به للاهوال
التي وطنوا انفسهم على القتل فيها كالاكفان لهم وانما كان احب اللقاء اليهم لقاء ربهم لكمال يقينهم بما هم عليه من الدين الحق وتعلمهم بالوعد
الالهي الصادق والذرية البدرية التي صحبتهم اشارة الى ولد من كان من المسلمين مع النبي صلى الله عليه وآله يوم بدر وقد ذكرنا ان اخاه المقتول
حنظلة بن ابي سفيان وخاله الوليد بن عتبة وجده عتبة بن ربيعة اذ هو ابو هند امه وكنى بالظالمين في الاية عن معوية واصحابه
وجميع ما ذكره من اوصاف الجحفل وما يصحبه من الذرية البدرية والسيوف الهاشمية والتذكير بمواقعها ممن وقعت به من اهله
وعيده ان يصيبه منها ما اصابهم من ابلغ ما يعده الخطيب للانفعال والخوف وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى اهل
البصرة وقد كان من انتشار حبلكم وشقاقكم ما لم تغبوا عنه فعفوت عن مجرمكم ورفعت السيف عن مدبركم وقبلت
من مقبلكم فان خطت بكم الامور المردية وسفه الاراء الجائرة الى منابذتي وخلافي فها انا ذا قد قربت جيادي ورحلت
ركابي ولئن الجأتموني الى المسير اليكم لاوقعن بكم وقعة لا يكون يوم الجمل اليها الا كلعقة لاعق اني لعارف لذي الطاعة
منكم فضله ولذي النصيحة حقه غير متجاوز متهما الى بري ولا ناكثا الى وفي **اقول** غبيت عن الشيء وغبيته اذا لم افطن له
ولم ادر به وحبلكم والجائرة المنحرفة عن صواب المنابذة المخالفة والمراماة بالعهد والبيعة وقد بدا في هذا الفصل بوضع ذنوبهم
وتقريرها عليهم ليحسن عفوه عنها والمؤاخذة واستعار لفظ الحبل لسفههم اياه ولفظ الانتشار لنكثهم ووجه الاستعارة الاولى كون

كتاب له كتبه الى معاوية

بيعتهم بنا خامعا لها وناظرا لامورهم ومستمسكا بوصل الى رضاء الله كالحبل لنا ظالما برظهيره ووجه التابيظ ونبه بقوله مالم تغيبوا عنه على علمهم بما فعلوه وتعمدهم لفعله ليتاكد عليهم الحجة ثم لما قرتذنوبهم ادرفها بذكرا مور قابلتها بها كرما وهى العفو عن مجرمهم ورفع السيف عمن ادبر منهم وقبول من اقبل اليه منهم والرتنا عنه ثم اردف ذلك بوعيدهم بكونه مستعدا لقتالهم وايقاعهم ان رجعوا الى الفتنة واستعار لفظ الخطوط لسوق الامور المهلكة سفه اذانهم الجابرة بهم الى المنا وحاربته ثانيا وخبرا لمثا لغيرنا ديها بهم الى خلافه كما دى لقدم بصاحبها الى غايته وتقدير الشرط فان عدتم الى خلافى بها اما مستعد لكم وكنى بقرب جياده وترجيل ركابه عن كونه مستعدا للكرة عليهم وقطعها شادنا لرحال على ظهورها ويكفى ذلك فى وعيدهم على خلافه لان مجرد خلافهم عليه لا يستلزم وجوب ايقاع الوقعة بهم لاحتمال ان يرجعوا ويتوبوا بوعيده اربعلم انما على الا ستعداد لحربهم والايقاع بهم فلذلك جعل الشرطين وعيده بالايقاع بهم ان يلجئوه الى المسير اليهم ومحاربتهم وذلك ان يعلم ان الامر لا ينفعهم الا بالايقاع بهم فجعله ضرورة حفظ الدين على ذلك وقوله فى وصف تلك الوقعة لا يكون يوم الجمل الى قوله لاعق كناية عن غاية شدة ايقاعه بهم وخبرته به وتعز الجمل بالنسبة اليها بالعقر هو الحقارة والصغر ثم اتبعها ما يجى من الوعيد ببعض ما يرجى معه من ذكر اعترافه بفضل ذى الطاعة وبحق ذى النصيحة منهم واثره عن مجازيتهما بعقوبة الى برى ولا ناكثا بعهده الى وفى بولناسه عليهم وطانيتنسوا من رحمته فيشتد نفارهم منه ويكون ذلك داعية عنادهم ومن

كتاب له ع الى معوية فاتق الله فيما لديك وانظر فى حقه عليك وارجع الى معرفة ما لا تعذر بجهالته فان للطاعة اعلاما واضحة وسبلا نيرة ومحجة نهجة وغاية مطلوبة يردها الاكياس ويخالفها الانكاس من نكب عنها جار عن الحق وخبط فى التيه وغير الله نعمته واحل به نقمته فنفسك نفسك فقد بين الله لك سبيلك وحيث تناهت بك امورك فقد اجريت الى غاية خسر ومحلة كفر وان نفسك قد اولجتك شرا واقحمتك غيا واوردتك المهالك واوعرت عليك المسالك اقول هذا الكتاب لما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر مشاغبتى وتستقبح موازرتى وزعمتنى متجبرا وعن حق الله مقصرا فسبحان الله كيف تستجيز الغيبة وتستحسن العضيهة انى لم اشاغب الا فى امر بمعروف او نهى عن منكر ولم اتجبر الا على مارق او ملحد او منافق ولم اخذ فى ذلك الا بقول الله عز وجل ولو كانوا اباءهم او ابناءهم واما التقصير فى حق الله فمعاذ الله حل ثناؤه من تعطل الحقوق والمؤكدة وركن الى الاهواء المبتدعة واخلد الى الضلالة المحيرة ومن العجب ان تصف يا معوية الاحسان وتخالف البرهان وتنكث الوثائق التى هى لله عز وجل طلبة وعلى عباده حجة مع نبذ الاسلام وتضييع الاحكام وطمس الاعلام والجرى فى الهوى والتهوس فى الردى فاتق الله فيما لديك وانظر فى حقه عليك ... فتقل بقوله فاتق الله الفصل المذكور ومن هذا الكتاب ايضا وان للناس جماعة يد الله عليها وغضب الله على من خالفها فنفسك نفسك قبل حلول رمسك فانك الى الله راجع والى حشره مهطع وسيبهظك كربه ويحل بك غمه فى يوم لا يغنى النادم ندمه ولا يقبل من المعتذر عذره يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا ولاهم ينصرون والعضيهة الافك والبهتان والطمس اخفاء الاثر والمحجة الواضحة وطابقه بين الطاعة والاكياس العقلاء والانكاس ... مع نكس وهو الدنى من الرجال ونكب عدل والخبط المشى على غير استقامة والحسر الخسران والاقحام الدخول فى الامر بشدة والوعر الشديد بين المطع المسرع ... واثار نعمته فيقابلها بالشكر والطاعة وان يرجع الى معرفة ما لا عذر له ان يجهله من وجوب طاعة الله ورسوله وامام الحق وقوله فان للطاعة اعلاما ... اى لطاعة الله واستعار لفظ الاعلام لما يدل على الطريق الى الله من الكتاب والسنة والقوانين العقلية ومن جملتها ائمة الحق والهداة فانهم اصل تلك الاعلام وحاملوها وعنى بالسبل النيرة والمحجة النهجة الطرق الى الله الموصلة اليها باعلامها المذكورة وبالغاية المطلوبة من الحق الخلق ووصولهم الى حضرة قدس الله طاهرين مجردين عن الهيئات البدنية الدنية متشبهين بالكمالات لاستناد النفسانية واعلم ان الطاعة اسم لقصد تلك الاعلام وسلوك تلك المحجة طلبا لتلك الغاية والضمير فى قوله يردها ويخالفها وعنها راجع الى المحجة والاعلام لوضوحها عليها وظاهران العقلاء الذين يختارون ورود تلك المحجة وقصد اعلامها وان اديناهم مخالفوها لخيرها فيعدلون عن صراط الله الحق ويخبطون فى تيه الجهل ويغير الله بذلك نعمته عليهم ويبدلهم بها نقمته فى دار الجزاء ثم لما اشار عليه بالنار واوضح له سبل السلامة وما يلزم مخالفتها من تغيير نعمة الله وحلول نقمته امره ان يحفظ نفسه بسلوكه تلك السبل عما يلزم مخالفتها والعدول عنها من الامور المذكورة ثم اعلم بان الله بين له سبيله واراد سبيل طاعته المامور بسلوكها ووقف قوته فيها وتيسيرها تشكلا لاوان يجب عليه سلوك تلك السبيل وتقدير الكبرى وكل من بين الله له سبيله التى اوجب عليه سلوكها فقد وجب عليه حفظ نفسه بسلوكها وقوله وحيث تناهت بك امورك حيث ما نافية بل لبيه ثم فسر تلك الحيث انه يجرى بالوقوف عنده وهو غاية الخسر نعاية المستلزمة للخسر والتى هى منزلة الرجعة

وصيته لابنه الحسن ع

الكفر والحيرة انه قد اجرى لها وكفى بها غاية شر واجراؤه الى ثلاث الغايات كناية عن سعيه وعمله المستلزم لوصوله اليها فيقال اجرى فلان الى غاية كذا اى قصدها بفعله واصله من اجراء الخيل للسباق ولفظ الخسر مستعار لفقدان رضوان الله والكمالات الموصلة اليه وانما جعل ثلاث الغايات التى اجرت اليها منزلة لكفر لان الغايات لشرها المنهى عن قصدها من منازل الكفار وما انهم ممن سلك اليها فقد قصد وبلغها اختيارا فقد لحق بمنازل الكفر ومحاله وقوله وان نفسك قد اولجتك شرا اى دخلتك فى شر الدنيا والاخرة واراد نفسه الامارة بالسوء بما سولت له من معصية الله ومحاربة امام الحق وبه وقد اوحلتك اى القتك فى الوحل وهو مستعار لما وقع فيه من المعصية والاختلاط عن الجهل واقحمتك غيا اى دخلتك فى البغى والضلال واوردتك المهالك اى الموارد المهلكة من الشبهات والمعاصى واوعرت عليك المسالك اى مسالك الهدى وطرق الخيرات لان النفس الامارة بالسوء اذا وردت الانسان سبل الضلالة وسهلت عليه سلوكها بوسوستها وتحسينها للغايات الباطلة لزمه بسبب ذلك البعد عن طرق الهدى ومسالك الخير واستصعاب سلوكها وبالله التوفيق والعصمة وبه الحول والقوة والعون

والحمد لله قد تم المجلد الرابع من كتاب مصباح السالكين لنهج البلاغة بعون الله وحسن توفيقه ويتلوه فى المجلد الخامس انشاء الله ومن وصيته له عليه السلم لابنه الحسن عليهما السلم وكتب العبد الفقير ابن محمد حسين ابن الحاج ميرزا محمد الخوانسارى

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن وصيته له عليه السلم لابنه الحسن عليه السلم كتبها اليه بحاضرين عند انصرافه من صفين اقول روى جعفر بن بابويه القمى رحمه الله ان هذه الوصية كتبها عليه السلم الى ابنه محمد بن الحنفية رضى الله وهى من افصح الكلام وابلغه واشمله لدقائق الحكمة ولطائفها واكمل عبارة يجذب بها الى سبيل الله وحاضرين اسم موضع بالشام وفيها فصول الفصل الاول قوله من الوالد الفان المقر للزمان المدبر العمر المستسلم للدهر الذام للدنيا الساكن مساكن الموتى الظاعن عنها غدا الى المولود المؤمل ما لا يدرك السالك سبيل من قد هلك غرض الاسقام ورهينة الايام ورمية المصائب وعبد الدنيا وتاجر الغرور وغريم المنايا واسير الموت وحليف الهموم وقرين الاحزان ونصب الافات وصريع الشهوات وخليفة الاموات اقول الرهينة ما يرهن والرهينة الهدف والتاء لنقل الاسم من الوصفية الى الاسمية والصرعة والخليف المحالف والنصب الشى المنصوب وهذا الفصل كالعنوان للوصية وقد ذكر لنفسه اوصافا سبعة وللولد اربعة عشر فى معرض الوعظ والتنفير عن الدنيا والركون اليها وضاعف الاوصاف للولد لانه المقصود بالوصية والموعظة فالاول من الفان والوالد هنا مجاز تسمية له باسم غايته ووقف على المنقوص بحذف الياء لمراعاة القرينة الثانية وقد علمت جوازه الثانى المقر للزمان اى بالغلبة والقهر المعترف بالعجز بين يديه فانه كانه قدره مقتضيا

دوف سرج

ذا ما سبق الاقران له اتّا لثالث المدبر للعمر لانه مكان عليه السلام قد وقف على الستين الرابع المستسلم للدهر وهو ابلغ من المقر للزمان الخامس الذام للدنيا ولم يزل عليه السلام ذاما لها وسفراً لذكر معايبها السادس الساكن مساكن الموتى وهو تنفير عن الركون الى الدنيا والمقام بها بذكر كونها مساكن الموتى اذ من كان قبله مساكنهم يوشك ان يلحق بهم ونقرب منه التنفير من قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم الاية السابع الظاعن عنها غدا وهو تذكير بالمفارقة وغدا كناية عن قربها ولفظ الظاعن مستعار له وانّها وصاف المولود فالاول المؤمل ما لا يدرك وفيه تنفير عن طول الامل انه كان ينسى الاخرة ويجعل وجه التنفير تأميله ما لا يدرك وظاهر ان الانسان ما دام في هذه الدار موجه امله نحو مطالبها كما اشار اليه سيد المرسلين ص يشيب ابن ادم ويشب فيه خصلتان الحرص والامل وذلك يستلزم انقضاء مدته دون بلوغها الثاني السالك سبيل من قد هلك وسبيلهم سفرهم في الدنيا الى الاخرة وقطعهم لمنازل الاعمار واضافها الى من هلك تذكيرا بالموت الثالث غرض الاسقام واستعار لفظ الغرض له باعتبار كونه مرميا بسهام الامراض كالغرض الرابع رهينة الايام واستعار له لفظ الرهينة باعتبار ان وجوده مربوط بالاوقات وداخل في حكمها كما يرتبط الرهن بيد مرتهنه الخامس ورمية المصائب وهو كقوله غرض الاسقام السادس وعبد الدنيا ولفظ العبد مستعار باعتبار ان طالب الدنيا منقاد بطبعه اليها وعامل لها كما ينقاد العبد لسيده ويعمل له السابع وتاجر الغرور اي تجارته لها غرور وغفلة عن المكاسب الحقيقية الباقية ولفظ التاجر مستعار له باعتبار بذله لماله واعماله في شراء الدنيا على وهم انها هي المطالب الحقة المرتجاة الثامن وغريم المنايا ولفظ الغريم مستعار له باعتبار طلب الموت له كالمتقاضي بالرحيل كما يتقاضى الغريم التاسع اسير الموت استعار له لفظ الاسير باعتبار انقياده للموت وعدم تمكينه من الخلاص العاشر حليف الهموم الحادي عشر قرين الاحزان واستعار لفظي الحليف والقرين له باعتبار عدم انفكاكه عن الهموم والاحزان كما لا ينفك الحليف والقرين عن حليفه وقرينه الثاني عشر نصب الافات كقوله ورمية المصائب الثالث عشر صريع الشهوات ولفظ الصريع مستعار له باعتبار كونه مغلوبا بالشهوة مقهورا لها كالقتيل الرابع عشر خليفة الاموات وفيه تنفير عن الدنيا بتذكير الموت لان خليفة الاموات في معرض اللحوق بهم ونحوه قول بعض الحكماء ان امرأ ليس بينه وبين ادم الا اب ميت لمعرق النسب في الموت

الفصل الثاني قوله اما بعد فان فيما تبينت من ادبار الدنيا عني وجموح الدهر علي واقبال الاخرة الي ما يزعني عن ذكر من سواي والاهتمام بما ورائي غير اني حيث تفرد بي دون هموم الناس هم نفسي فصدفني رأيي وصرفني عن هواي وصرح لي محض امري فافضى بي الى جد لا يكون فيه لعب وصدق لا يشوبه كذب ووجدتك بعضي بل وجدتك كلي حتى كان شيئا لو اصابك اصابني وكان الموت لو اتاك اتاني فعناني من امرك ما يعنيني من امر نفسي فكتبت اليك كتابي هذا مستظهرا به ان انا بقيت لك او فنيت

صدف دور كردانيد صرف

اقول جمح الفرس اذا غلب صاحبه فلم يملكه ويزعني يمنعني ومحض الخالص وافضى اي انتهى والشوب المزج والخلط وقابل في لفظه بين الاقبال والادبار والاخرة والدنيا وقد اشرنا الى معنى ادبار الدنيا واقبال الاخرة في قوله الا وان الدنيا قد ادبرت واستعار لفظ الجموح للدهر باعتبار عدم تمكنه من ضبطه في تغيراته وتصريفه له عن اختياره كالجموح من الخيل وما الاولى بمعنى الذي ويحتمل ان تكون مصدرية وعلى المعنى الاول يكون من للتبيين وعلى الثاني لابتداء الغاية وما الثانية بمعنى الذي ومحلها الرفع بالابتداء وفيما تبينت خبره ومنتصرا حال ومدار الفصل على اعلامه اياه انه في معرض الزوال عنه وان ذلك الوقت هو وقت الاهتمام بحال نفسه وبحاله لتنزله منزلة نفسه وانه شديد الاهتمام بحاله ليكون ذلك ادعى لقبول وصيته وهو كالتوطئة والتمهيد لها ثم اعلمه انه فيما تبين له عن الامور المذكورة قرب رحيله الى الله وذلك هو الذي وزعه ومنعه عن ذكر ما سواه والاهتمام بما وراءه من المصالح المتعلقة بصلاح الخلق ونظام العالم اذ كان ذلك هو وقت التضيق على الانسان فيما هو اهم عليه من الاستكمال بالفضائل والاستعداد للقاء الله دون ما سبق من اوقات الشبيبة واستقبال العمر لاشتغاله فيها بصلاح حال الغير والاشتغال بالامور المباحة وانه حين تبين له ذلك وتفرد به هم نفسه دون غيرها وصدفه رأيه بكشفه له عما ينبغي ان يكون اشتغاله به من امر نفسه ووجوب العمل لما فيما بينهما وصرفه عن هواه فيما يخرج عنها اذ كان اجود الاراء واصدقها في الامر عند شدة الاهتمام به وصرح له خالص امره وما ينبغي له وانتهى به الى جد وصدق خالصين من شائبة اللعب والكذب وجدته بعضا منه و كناية عن شدة اتصاله به وقربه منه ومحبته كما قال وانما اولادنا بيننا اكبادنا تمشي على الارض بل وجده كله اي عبارة عن كله اذ كان هو الخليفة له والقائم مقامه ووارث علمه وفضائله ودل على شدة قربه منه وانه بمنزلة نفسه بذكر الغايتين في قوله حتى الى قوله اتاني ووجه التشبيه بين ما يصيبه وبين ذلك الشيء وان لم يصبه شدة تألمه به واعلم ان ذلك الوجدان وان كان كما يجده الوالد في امر ولده لكنه تمام لزوم المتفطن له في اخر العمر عند تذكر انقطاع الدنيا لما في طبعه من محبة بقاء الذكر الجميل والحرص على دوام الخير والاثار الصالحة في العالم ولذلك جعله لازما لتفرده هم نفسه به وصدق رأيه في النصيحة وروى محض مرفوعا على الفاعلية ومنصوبا باسقاط حرف الجر والتقدير عن محض امري ثم نبه على ان من لوازم وجدانه لما وجده من امره عناه واهمه منه ما يهمه من امر نفسه فكتب اليه هذه الوصية ليكون له ظهرا ومستندا يرجع الى العمل بها في حالتي بقائه له وفنائه

اذكان

٣٠٣
الجزء

اذ كان ما اشتملت عليه هذه الوصية من الحكم والاداب ومكارم الاخلاق وتعريف سلوك سبيل الله ما راض به نفسه في مدة عمره اقتفاء لاثر الرسول ص واقتداء به فاقتضت عنايته به ان يحثه على العمل بها وبالله التوفيق

الفصل الثالث قوله فاني اوصيك بتقوى الله اي بني ولزوم امره وعمارة قلبك بذكره والاعتصام بحبله واي سبب اوثق من سبب بينك وبين الله ان انت اخذت به احي قلبك بالموعظة وامته بالزهادة وقوه باليقين ونوره بالحكمة وذلله بذكر الموت وقرره بالفناء وبصره فجائع الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والايام واعرض عليه اخبار الماضين وذكره بما اصاب من كان قبلك من الاولين وسر في ديارهم واثارهم فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا واين حلوا ونزلوا فانك تجدهم قد انتقلوا عن الاحبة وحلوا ديار الغربة وكانك عن قليل قد صرت كاحدهم فاصلح مثواك ولا تبع اخرتك بدنياك ودع القول فيما لا تعرف والخطاب فيما لا تكلف وامسك عن طريق اذا خفت ضلالته فان الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الاهوال وامر بالمعروف تكن من اهله وانكر المنكر بيدك ولسانك وباين من فعله بجهدك وجاهد في الله حق جهاده ولا تاخذك في الله لومة لائم وخض الغمرات الى الحق حيث كان وتفقه في الدين وعود نفسك التصبر على المكروه ونعم الخلق التصبر والجئ نفسك في الامور كلها الى الهك فانك تلجئها الى كهف حريز ومانع عزيز واخلص في المسئلة لربك فان بيده العطاء والحرمان واكثر الاستخارة وتفهم وصيتي ولا تذهبن عنك صفحا فان خير القول ما نفع واعلم انه لا خير في علم لا ينفع ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه

اقول الغمرات الشدائد والمثوى محل الثواء والاقامة وهذا حين افتتح ما يريد ان يوصي به واشتمل هذا الفصل من ذلك على امور احدها تقوى الله وقد علمت حقيقتها فيما سلف ويشبه ان يكون المراد هنا الخوف منه نعم الثاني لزوم امره وهو من لوازم تقوى الثالث عمارة قلبه بذكره واستعار لفظ العمارة لتكميل قلبه بذكر الله واكثاره منه لانه روح العبادات وكمال النفس كما ان العمارة كمال للدار وهو داخل في لزوم ذكره لقوله تعالى واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون الرابع الاعتصام بحبله واستعار لفظ الحبل لما يوصل اليه من دينه فيكون التمسك به سببا للنجاة كالحبل واراد بالاعتصام الامتناع بالتمسك به من عذاب الله ثم استفهم عن سبب اوثق منه استفهام انكار وتعجب من رثاثة وهو داخل في لزوم امره لقوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا الخامس امره ان يحيي قلبه بالموعظة واستعار وصف الاحياء له باعتبار تكميله لنفسه بالعلم والاعتبار الحاصل عن الموعظة كما يكمل المرء بالحيوة السادس قوله واحي قلبك وبين قوله امته التتابع ان يقويه باليقين اي من ضعف الجهل للصعود الى افق عليين والنهوض الى مقام الابرار ولما كان اليقين يوجب اشتدادا وقوة في العلم ناسب ان يجعله تقوية للقلب الثامن ونوره بالحكمة واستعار لفظ التنوير بالحكمة لجلائها باعتبار ان ذلك سبب هدايته لسبيل الله في ظلمات الجهل كحامل السراج وقد عرفت الحكمة واقسامها التاسع ان يذلله بذكر الموت وذلك لان كثرة اخطاره بالبال يستلزم الخوف ويسكن القلب عن جماحه في ميدان الشهوات ويذلل من عزة المتكبر وسورة العجب وحمية الغضب العاشر ان يقرره بالفناء اي يحمله على الاقرار به ويديم ذكره له ليتأكد علمه به الحادي عشر ان يبصره فجائع الدنيا اي يحمله على النظر بعين البصيرة والاعتبار في زوال الدنيا وافاتها الثاني عشر ان يحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والايام ولفظ الصولة مستعار له ملاحظة لتشبيهه بالسبع في اخذه وما يكون بسببه من الاذى الثالث عشر ان يعرض عليه اخبار الماضين ويذكره ما اصابهم لينظر ما فعلوا وعما انتقلوا من الاثار العظيمة والملك الجسيم ويحصل من ذلك عبرة وعيانا لحاله بحالهم ويستقرب لحاقه بهم وصيرورته كاحدهم فيما صاروا اليه ووجه التشبيه قرب حاله من حال احدهم واليه الاشارة بقوله تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا الاية الرابع عشر ان يصلح مثواه وهو الدار الاخرة بلزوم الاعمال الصالحة ولا يبيع اخرته وما وعد فيها من الخيرات الباقية بما وجد في دنياه من اللذات الوهمية الفانية ولفظ البيع مستعار الخامس عشر ان يترك القول فيما لا يعرفه اذ القول بغير علم يستلزم رذيلتي الكذب والجهل ويلحق به الاثم ونحوه قول الرسول ص لبعض اصحابه كيف بك اذا بقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم واماناتهم وصاروا هكذا وشبك بين اصابعه فقال فقلت مرني يا رسول الله ص فقال خذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بخويصة نفسك وكذلك قوله والخطاب فيما لا تكلف كقوله ع من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه السادس عشر ان يمسك عن طريق اذا خاف ضلالته والمراد التوقف عند الشبهات وعدم التسرع الى سلوك طريق يشك في تأديته الى الحق فان توقفه وتثبته عند طلب الحق الى ان يتضح له طريقه خير له من التعسف وركوب ما يخاف الضلال به من الطرق السابع عشر ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فعلا وقولا ويباين من فعله بقدر امكانه وهو من فروض الكفاية وعليهما مدار نظام العالم ولذلك كان القران الكريم والسنة النبوية مشحونين بهما واستدرج الى ذلك بقوله تكن من اهله لانهم اولياء الله الابرار المرغوب في الكون منهم الثامن عشر ان يجاهد في الله اعداء دينه الجهاد الحق واضافة حق الى جهاده اضافة الصفة الى الموصوف لان الصفة من باب الاهم التاسع عشر لا يأخذه في الله لومة لائم وهو كناية عن نهيه عن التقصير في طاعة الله اذ كان من لوازم المقصر خوفا من لوم اللائمين العشرون ان يخوض الغمرات الى الحق حيث كان ولفظ الخوض مستعار لمعاناة الشدائد

والتحول فيها لطلب الحق الحادي والعشرون ان يتفقه في الدين ويتعلم الاحكام الشرعية ومبادئها الثاني والعشرون ان يعود نفسه الصبر على المكروه وقد علمت ان احتمال المكروه فضيلة تحت الشجاعة وهو من مكارم الاخلاق الثالث والعشرون ان يلجئ نفسه في اموره كلها الى الله تعالى وهو امرها بالتوكل على الله والانابة اليه في كل مرغوب ومرهوب وقد علمت حقيقة التوكل وما يستلزمه واسند رجحانه الى ذلك بقوله فانك تلجئها الى كهف حريز ومانع عزيز واستعار لفظ الكهف له تعالى باعتبار ان من توكل عليه كفاه ومنعه مما يخاف كما يمنع الكهف من يلتجئ اليه الرابع والعشرون ان يخلص في دعائه ومسألته لربه اذ كان ذلك من شرائط الاجابة واسند رجحانه الى الاخلاص بقوله فان بيده العطاء والحرمان ليستلزم الانجذاب اليه والاعراض عن غيره والفاء في الثلث فتم وقوله فانك وقوله فان بيده جواب الاوامر الثلثة الخامس والعشرون ان يكثر الاستخارة اي الطلب الى الله تعالى ان يخير له فيما يأتي ويذر السادس والعشرون ان يتفهم وصيته ولا يعرض عنها وكنى عن الاعراض عنها بالذهاب صفحا وانتصب صفحا على الحال ولا تذهبن معرضا واسند رجحانه الى الاقناع بها بقوله فان خير القول ما نفع والتقدير فان وصيتي نافعة وما نفع فهو خير القول فانت وصيتي خير القول ثم نبهه بقوله واعلم الى قوله تعلمه على ان من العلوم ما لا خير فيه لئلا يتشوق الى معرفته فيصده ذلك عن سلوك سبيل الله والعلم المؤدي اليه وذلك هي العلوم التي نهت الشريعة عن تعلمها كالسحر والكهانة والنجوم والشعبذات ونحوها مما لا يكون سبيلا الى المقاصد الحقيقية وتقدير الكلام واعلم ان كل علم لا يحق تعلمه اي لا يثبت في الشريعة تعلمه وجوبا ولا ندبا فهو علم لا ينتفع به في طريق الآخرة فلا خير فيه لان الخير الحقيقي هو المنفعة الباقية عند الله فما لا منفعة فيه لا خير فيه ولذلك استعاذ الرسول صلعم منه فقال واعوذ بك من علم لا ينفع فينتج ان كل علم لا يحق تعلمه فلا خير فيه وبالله التوفيق

الفصل الرابع

قوله اي بني اني لما رأيتني قد بلغت سنا ورأيتني ازداد وهنا بادرت بوصيتي اليك واوردت خصالا منها قبل ان يعجل بي اجلي دون ان افضي اليك بما في نفسي او ان انقص في رأيي كما نقصت في جسمي او يسبقني اليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا فتكون كالصعب النفور وانما قلب الحدث كالارض الخالية ما القي فيها من شيء قبلته فبادرتك بالادب قبل ان يقسو قلبك ويشتغل لبك فتستقبل بجد رأيك من الامر ما قد كفاك اهل التجارب بغيته وتجربته فتكون قد كفيت مؤونة الطلب وعوفيت من علاج التجربة فاتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه واستبان لك ما ربما اظلم علينا منه اي بني اني وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في اعمالهم وفكرت في اخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كاحدهم بل كاني بما انتهى الي من امورهم قد عمرت مع اولهم الى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل امر نخيله وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله ورأيت حيث عناني من امرك ما يعني الوالد الشفيق واجمعت عليه من ادبك ان يكون ذلك وانت مقبل العمر ومقتبل الدهر ذو نية سليمة ونفس صافية وان ابتدئك بتعليم كتاب الله عز وجل وتأويله وشرائع الاسلام واحكامه وحلاله وحرامه لا اجاوز ذلك بك الى غيره ثم اشفقت ان يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من اهوائهم وآرائهم مثل الذي التبس عليهم فكان احكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له احب الي من اسلامك الى امر لا آمن عليك فيه الهلكة ورجوت ان يوفقك الله فيه لرشدك وان يهديك لقصدك فعهدت اليك وصيتي هذه واعلم يا بني ان احب ما انت آخذ به الي من وصيتي تقوى الله والاقتصار على ما فرضه الله عليك والاخذ بما مضى عليه الاولون من آبائك والصالحون ص
من اهل بيتك فانهم لم يدعوا ان نظروا لانفسهم كما انت ناظر وفكروا كما انت مفكر ثم ردهم آخر ذلك الى الاخذ بما عرفوا والامساك عما لم يكلفوا فان ابت نفسك ان تقبل ذلك دون ان تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم لا بتورط الشبهات وعلو الخصومات وابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة بالهك والرغبة اليه في توفيقك وترك كل شائبة اولجتك في شبهة او اسلمتك الى ضلالة فاذا ايقنت ان قد صفا قلبك فخشع وتم رأيك فاجتمع وكان همك في ذلك هما واحدا فانظر فيما فسرت لك وان انت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك وفراغ نظرك وفكرك فاعلم انك انما تخبط العشواء وتتورط الظلماء وليس طالب الدين من خبط ولا من خلط والامساك عن ذلك امثل فتفهم يا بني وصيتي واعلم ان مالك الموت هو مالك الحياة وان الخالق هو المميت وان المفني هو المعيد وان المبتلي هو المعافي وان الدنيا لم تكن لتستقر الا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء والجزاء في المعاد او ما شاء مما لا تعلم فان اشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك به فانك اول ما خلقت جاهلا ثم علمت وما اكثر ما تجهل من الامر ويتحير فيه رأيك ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسواك وليكن له تعبدك واليه رغبتك ومنه شفقتك واعلم يا بني ان احدا لم ينبئ عن الله سبحانه كما انبأ عنه

نبينا

نبينا صلى الله عليه وآله فارض به رائدا والى النجاة قائدا فاني لم آلك نصيحة وانك لن تبلغ في النظر لنفسك وان اجتهدت مبلغ نظري لك **اقول** الوهن الضعف والمبادرة المسارعة والمنابذة والافضاء الوصل والنية الطاقة والتوخي القصد واجمعت صممت العزم واسلمته اليه كذا خليت بينه وبينه وامثل ازيد الى الخير وفي هذا الفصل مقاصد الاول انه اشار الى بعض العلل الحاملة له على هذه الوصية وهي كونه قد بلغ سنا عاليا واخذا ازديادا في الضعف وذلك انه كان قد جاوز الستين فلزم من ذلك خوفه لاحد الخصال المذكورة فبادرها وسابقها اليه وخصالا مفعول به وعد من تلك الخصال ثلثة الاول ان يعجل به اجله الى الآخرة قبل ان يوصل اليه ما في نفسه من الحكمة الثانية ان ينقص في رأيه وذلك ان القوى النفسانية تضعف عند علو السن لضعف الارواح الحاملة لها فينقص بسبب ذلك تصرف العقل وتحصيله للآراء المصلحة الثالثة ان يسبقه اليه بعض غلبات الهوى فان الصبي اذا لم يؤخذ بالآداب في حداثته ولم تروض قواه لطاعة العقل وموافقته كاد يصعب ان يميل به القوى الحيوانية الى مشتهياتها ويجذبه قياد هواه الى الاستعمال في فتنته ويصرفه عن الوجهة الحقيقية وما ينبغي له فيكون كالصعب النفور من الابل ووجه التشبيه انه يعسر حمله على الحق وجذبه اليه كما يعسر قود الجمل الصعب النفور وجذب المنفعة ثم نبه على وجوب المبادرة اليه بالادب وزرعه في قلبه بضمير صغراه قوله وانما قلب الحدث الى قوله قبلته واشار الى وجه التشبيه بقوله وما القي فيها من شيء قبلته وذلك ان قلب الحدث لما كان خاليا من الانتقاش بالعقائد وغيرها مع كونه قابلا لما يلقى اليه من خير او شر فينتقش به اشبه الارض الخالية من النبات والزرع القابلة لما يلقى فيها من البذر وتقدير الكبرى وكل قلب كان كذلك فيجب ان يسبق اليه ببذر الآداب وغرس الحكمة فلذلك بادره بالادب قبل ان يقسو قلبه عن الانقياد للحق والاشتغال بالامور الباطلة ثم اشار الى علة اخرى من العلل الغائية لمبادرته بالادب وهي ان يستقبل بجد رأيه وقوة فكره ما قد كفاه اهل التجارب بغيته من العلوم وعوفي فيه من علاج التجربة ومعاناتها فاتاه من ذلك العلم التجربي ما كان اهل التجربة يأتونه ويطلبونه واستبان له ما ربما اظلم عليهم منه وفرق بين ما بينه العلم صفوا وبلغني لبه بينا صحيحا وقد كفي فيه مؤنة الاكتساب وبين من سعى اليه وشقي في تحصيله وخاض اليه غمرات الشكوك وظلمات الشبهات وكل ذلك من الامور المقنعة له في قبول الوصية والعمل بما اشتملت عليه من الحكم والآداب لان اهل التجارب اذا كانوا قد جدوا في تحصيله مع ما وجدوا فيه من المشقة فلان يجد هو ويقبله خالصا من الكلفة اولى المقصود الثاني اشار الى فضيلة نفسه واستكمالها بالعلوم ثم الى كونه في غاية العناية والشفقة والتشفق عليه والى ما رآه اصلح في تعليمه اياه من العلوم الى غير ذلك وغايته من الجميع استدراجه لقبول قوله كما علمت من غرض الخطيب في ذكر فضيلته وما يستدرج به للانفعال عما يريد ان يقنع به من الآراء وغيرها فنبه على فضيلته بقوله اي بني الى قوله مجهوله وقوله وان لم اكن في قوة جواب اعتراض مقدر كان قائلا قال له فكيف حصلت العلوم بتجارب ص
الامور مع حاجة التجربة الى عمر طويل يشاهد فيه الانسان تغيرات الامور وتقلبات الدهور فقال اني وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلي وشاهدت احوالهم لكني نظرت في اعمالهم وفكرت في اخبارهم المأثورة وسرت في آثارهم سيرا محسوسا ومعقولا حتى اني صرت كاحدهم في عيان امورهم وقوله فعرفت عطف على قوله وسرت وقوله تلك اشارة الى ما انتهى اليه من امورهم وكنى بالصفو عن الخير وبالكدر عن الشر اي عرفت خير امورهم من شرها ونفعها من ضرها واستخلصت لك من كل امر جليله وهو خيره وما ينفع منه عند الله من العلوم والعبر الوقائع وروي نخيله اي خالصه وتقصيت لك جميله اي الامر الحسن منه دون قبيحه وصرفت عنك مجهوله اي ما اشتبه عليك امره والتبس الحق فيه وقوله ورأيت حيث عناني الى آخره اشارة الى كمال عنايته وشفقته عليه ووجوه اختياره له ما هو الاولى به من العلوم واجمعت عطف على يعني وان يكون في محل النصب على انه مفعول اول لرأيت وتكون هنا تامة والواو في قوله وانت للحال وان ابتدئك عطف على ان يكون والمفعول الثاني لرأيت محذوف تقديره انفع واصلح وتقدير الكلام ورأيت حيث عناني من امرك ما يعني الوالد الشفيق من امر ولده من النظر في مصالحه والاهتمام باحواله وما صممت عزمي عليه من تأديبك ان يكون ذلك التأديب حال اقبال عمرك حال كونك ذا نية سليمة من الامراض النفسانية والاخلاق الذميمة وكونك ذا نفس صافية من كدر الباطل وان ابتدئك بتعليم كتاب الله وتأويله وما يشتمل عليه من شرائع الاسلام اي قوانينه واحكامه وحلاله وحرامه واقتصر بك على ذلك كما اقتصر عليه كثير من السلف وقوله ثم اشفقت عطف على رأيت اي كنت رأيت ان اقتصر بك على ذلك ولا اتجاوز بك الى غيره من العلوم العقلية ثم خفت ان يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من اهوائهم وآرائهم مثل ما التبس عليهم اي التباسا مثل الالتباس عليهم فكان احكام ذلك اي ما اختلف الناس فيه على ما كرهت من تنبيهك له احب الي من اسلامك الى امر لا آمن عليك فيه الهلكة في الدين وذلك الامر هو ما اختلف الناس فيه من المسائل العقلية الالهية التي يكثر التباس الحق فيها بالباطل ويكتنفها الشبهات المغلطة هي مظنة الغلط والانحراف بها عن سبيل الحق الى سبيل الهلاك واحكام ذلك الامر ببيان وجه البرهان فيه وكيفيته

الخلاص من شبهة الباطل ومزاجره وقوله ودعوت ان يوفقك عطف على اشفقت والضمير المجرور في يعود الى ما اختلف الناس فيه
المقصود الثالث الاشارة الى بيان ما هو الاحب اليه ان ياخذ به من وصيته والارشاد الى كيفية اخذه وما ينبغي ان يبدأ قبل الشروع
من الاستعانة بالله والرغبة اليه في التوفيق الى غير ذلك من الآداب التي يتم بها الاستعداد للبحث والتعلم فمن الاحب اليه تقوى الله
الذي هو الزاد المبلغ اليه ثم الاقتصار على ما افترضه الله عليه من النظر في ظواهر الادلة دون التوغل في الفكر وخوض الشبهات ما لم
يكلف به والاخذ بما مضى عليه السلف الصالحون من اهل بيته كحمزة وجعفر والعباس وعبيدة بن الحرث وغيرهم من بني هاشم وقوله فانهم
الى قوله لم يكلفوا ترغيب له في الاخذ بما اخذ هم وتنفير له عن التوغل والتعمق بضمير صغراه ما ذكر وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك
فينبغي الاقتداء به في الاخذ بما عرف والامساك عما لم يكلف وقوله فان ابت الى اخره بيان للكيفية التي ينبغي ان يكون عليها
طلبه للعلوم العقلية والتدقيق فيها ان ابت نفسه الاقتصار على ما افترضه الله عليه اي فليكن طلبك لما انت طالبه من ذلك على
وجوه احدها التفهم للمقاصد والتعلم للحق والطلب له لا على وجه [illegible] تعلم الشبهات والتورط فيها والمشاغبة بها فان ذلك مما يصد عن
تعلم الحق ويمنع من قبوله الثاني ان يبدأ قبل نظره في ذلك الطلب بالاستعانة بالله والرغبة اليه في توفيقه لاصابة طريق الحق وادراكه
[illegible] الثالث ان يترك كل شائبة وكل شبهة كالعادات في نصرة المذاهب الباطلة
بحسب اتباع الهوى والاراء التي يطلب بها الرياسات فان النفس اذا كانت فيها شائبة محبة لامر ما لم تتضح لها طريق الحق بل كانت
الى الانحراف في طرق الضلال والشبه المناسبة للمطالب الباطلة اقرب تلك الطرق عرف عنه بالمكان تلك الشائبة فينبغي للسالك
ان يجذب عن نفسه كل شبهة تقود الى ضلالة ولفظ الاسلام مستعار لاهماله وعدم جذبه عما يتورط فيه من الامور المضلة ثم قال
فاذا ايقنت ا ه اي فاذا اعددت نفسك للطلب والنظر بما ذكرت لك وتحققت ان فرضها قلبك من كل شائبة بما في النظر فخشع
من خشية الله ان يواخذك بتركه ثم رايك وعزمك عليه فاجمع متفرقه حتى لا ينتهي لك الى تركه الالتفات وكان همك في ذلك همًا واحدًا
الى غيره فانظر فيما فسرت لك ونبهتك عليه من المسائل العقلية الالهية كما سيأتي وان انت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك وفراغ نظر
وفكر عن الشواغل المنافية للعلم وطلبه ونظرك فاعلم انك في خوضك وطلبك له انما تخبط خبط عشواء وتتورط الظلماء وكل
من كان كذلك فليس هلا لطلب الدين [illegible] من اصوله وحذف المضاف الى العشواء واقام المضاف اليه مقامه واستعار وصف الخبط له
باعتبار انه طالب للعلم من غير استكمال شرائط الطلب وعلى غير وجهه فهو متعسف سالك على غير طريق المطلوب كالناقة العشواء وكذلك
الظلماء للتشبه باعتبار ان الذهن لا يهتدي [illegible] فيها لطلب الحق كالماشي في الظلماء المقصود الرابع امره بتفهم وصيته وتنبيهه على حجة له من ان
الله واقعاله التي قد يتوهم التضاد والتنافي في اسنادها الى مبدء واحد واشار الى انها ليست بمتضادة وان مبدئها واحد اما
الصفات فهو ان القادر على الموت ومن له ان يميت فهو القادر على الحيوة وله ان يحيي باعتبار ان اسباب الموت والحيوة ينتهي اليه
الخالق هو المميت فان فاعل الخلق هو مقدر الموت الذي ينتهي اليه اسبابهما والى هذين الاعتبارين الاشارة بقوله تعالى يحيي ويميت
ربكم ورب ابائكم الاولين فيحيي ويميت باعتبار انه الفاعل الاول وباعتبار انه الرب المطلق هو المالك الاول لهما وكذلك المعنى هو المبيد
والمبتلي هو المعافي باعتبار انتهاء اسباب الفناء والاعادة والابتلاء والمعافاة اليه وقد علمت ان كل هذه الامور اعتبارات عقلية يلحق
معقوليتها الواجب سبحانه بالقياس الى مخلوقاته واثاره كما استقصينا في الخطبة الاولى واما الافعال فهو انه نبه لما خلق الدنيا لم يمكن
خلقها واستقرار وجودها الا على ما خلقها الله عليه من افاضة ما يعد نعمة في حق بعض العبيد من مال وصحة ونحوهما والابتلاء بما يعد
بلاء من الفقر والمرض ونحوهما وان كانت النعم ايضا ابتلاء كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ثم لزوم الجزاء في المعاد للمثوبين
المبتلين والمنعم عليهم بحسب طاعتهم ومعصيتهم في النعم والابتلاء وكذلك خلقه لها على ما شاء مما لا يعلم وجه الحكمة فيه واعلم انه قد تبين
في اصول الحكمة ان المقصود من العناية الالهية بالذات انما هو الخير والشرور الواقعة في الوجود فكائنة بالعرض من حيث انه لا يمكن
نزع الخير وتجريده عنها ولما كان الخير غالبا في الوجود وكانت الشرور امورا لازمة قليلة لم يمكن ترك الخير الكثير لاجلها لان ترك الخير
الكثير لاجل الشر القليل شر كثير في الجود وذلك معنى قوله ان الدنيا لم يكن ليستقر الا على ما جعلها الله عليه مما عددناه مما يعلم كونه
خيرا او شرا او لا يعلم حاله اي لم يكن خلقها الا على ما فيها من خير مراد بالذات وشر مراد بالعرض ولزوم الجزاء على السيئة وعقاب النفوس
في المعاد عليها من الشرور اللازمة لما حصلت عليه من الهيئات البدنية والملكات الردية في الدنيا كما علم ذلك من موضعه وقوله فان
اشكل الى اخره اي فان اشكل عليك شيء من اسرار القدر وخفي عليك وجه الحكمة فيه فلا تتوهم خلوه عن حكمة بل احمله على جهالتك
به فانك اول ما خلقت جاهلا ثم علمت كما قال تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا الاية ونصب قوله جاهلا على الظرف وجاهلا
على الحال وروى اول ما خلقت جاهلا بالابتداء وجاهلا خبر له ثم نبهه على كثرة ما يستبهم جهله به من الامور ثم يبدو كونه فيما بعد له
ما لا بد رك وجه الحكمة فيه من ذلك لقلته ثم امره بالاعتصام بالله والالتجاء اليه في اموره وان يجعل له تعبده واليه رغبته ومنه شفقته

٢٠٣ ج

لانه نعم اهو موجود بعد ذلك ولاه بالامور المذكورة المقصود الخامس الاشارة الى فضيلة الوصول على سائر الانبياء والزيادة عليهم في ايضاح الخبر عن
الله وبيان المطالب الحقيقية التي اشتمل عليها الكتاب العزيز من اسرار التوحيد والقضاء والقدر وامر المعاد فان احدا من الانبياء السابقين عليهم السلم
لم يفصح عن هذه الامور كافصاحه ولذلك كانت هداية هذه الامة ملجاء به اتم واكمل من هداية سائر الامم السابقة عما جاءت به انبياؤها
وكانت عيون بصائرهم ابسط انوارا واكثر انتشارا وغاية ذكر فضيلته ص هنا ان يرضى به ابدا ودليلا له على طريق النجاة في الاخرة واستعار
له لفظ الرائد باعتبار انه قد اخبر ما يأتي في الاخرة من الثواب الجنة والسعادة الباقية وبشر به امته كما يبشر الرائد اهله بوجود الكلاء والماء بعد
ارتياده ثم اردف ذلك ببيان انه لم يزل نظرا مصالحه وانه لم يبلغ نظره لنفسه وان اجتهد في ذلك مبلغ نظره له لتاكيد الاقناع بما امره وشوقه
عليه فيما يراه له وتنبيهه نصب على التميز **الفصل الخامس** قوله واعلم يا بني انه لو كان لربك شريك لاتتك رسله ولرايت
اثار ملكه وسلطانه ولعرفت افعاله وصفاته ولكنه اله واحد كما وصف نفسه لا يضاده في ملكه احد ولا يزول
ابدا ولم يزل اول قبل الاشياء بلا اولية واخر بعد الاشياء بلا نهاية عظم عن ان تثبت ربوبيته باحاطة قلب
او بصر فاذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك ان يفعله في صغر خطره وقلة مقدرته وكثرة عجزه وعظم حاجته
الى ربه في طلب طاعته والرهبة من عقوبته والشفقة عن سخطه فانه لم يامرك الا بحسن ولم ينهك الا عن قبيح **اقول**
اشار في هذا الفصل الى الحجة على وحدانية الصانع سبحانه وعلى جملة من صفاته ثم الى ما ينبغي ان يفعله من ملاحظة عظمته من
الصفات المذكورة فاذن ههنا ابحاث **البحث الاول** الحجة على وحدة الصانع وهي شرطية متصلة مقدمها قوله لو كان
لربك شريك وتاليها لاتتك رسله الى قوله ولعرفت افعاله وصفاته ويستنتج منها استثناء نقيض تمام التالي لينتج نقيض
المقدم بيان الملازمة انه لو كان له شريك لكان شريكه الحاصل مستجمعا لجميع شرائط الالهية والا لم يصلح للشركة لكن من لوازم الالهية
امور احدها الحكمة في وجوب بعثة الرسل الى الخلق ووصولهم اليه لما علمت من برهان وجوب البعثة وضعف الثاني يلزم ان يكون
اثار ملكه وسلطانه وصفات افعاله ظاهرة مشاهدة الثالث ان يعرف افعاله وصفات ذاته لكن هذه اللوازم كلها باطلة اما الاول
فلانا لم نات رسول ذو معجزة يدلنا على الثاني ويخبرنا عنه واما الثاني فهو ان اثار الملك والسلطان وعظمة الملك واحكامه مما
يدل على حكيم قادر فاما على التعدد فلا واما الثالث فلان مجرد الافعال التي نشاهدها انما يدل على فاعل فاما على التعدد فلا
وكذلك صفات الالهية المكتسبة بواسطة الافعال من العلم والقدرة والارادة وغيرها انما يدل على صانع موصوف بها فاما على
صانعين او اكثر فلا فاذن القول بان لربنا شريكا قول باطل لا برهان عليه كما قال تعالى ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له
به الاية وقوله اله واحد كما وصف نفسه من لوازم النتيجة لانه اذا بطل القول بثاني الاله ثبت انه اله واحد كما وصف هو نفسه
بقوله قل هو الله احد وهو الله الواحد القهار وانه لا يضاده في ملكه احد اي يعانده في افعاله وينازعه في ملكه كما هو عادة الملوك
واعلم ان هذه الحجة اقناعية كما هو غاية الخطيب من الخطابة وليست برهانية لان ان اريد في الشرطية ان وجود الثاني يستلزم
وجود اثار وافعال وصفات تخصه ونعلم اختصاصه بها فالملازمة ممنوعة لان الالهين سواء كانا متفقي الحقيقة او مختلفي الحقيقة
لا يلزم ان يختلف افعالهما ولوازمهما بالنوع ويختص كل منهما بلازم خاص وفعل خاص لا يوجد للاخر بل جاز ان يتفقا
في اللوازم والاثار وان اريد ان وجوده يستلزم ان يعرف اثار وافعال ولوازم لا يخصه بل جاز ان يشاركه فيها الاله الاخر فهذا
مسلم لكن لا يمكن الاستدلال ببطلان التالي ههنا وهو ظاهر لانا نرى اثار ملك وافعال ولوازم وصفات لا تدل على احديته فاعلها
والموصوف بها ولا على تثنيته وانما يدل على مطلق فاعل وملزوم ما فلا يمكن بطلانها ورفعها لان رفعها يستلزم رفع وجود
الاله المطلق لاستلزام عدم اللازم عدم الملزوم لا رفع التالي خاصة **البحث الثاني** كونه لم يزل ابدا وانه لم يزل وهو اشارة
الى دوام وجوده وثباته ازلا وابدا وبرهانه انه تعالى واجب الوجود وكل واجب الوجود لذاته فهو دائم الوجود وثابته ازلا وابدا اما
الصغرى فقد مر برهانها واما الكبرى فلانه لو جاز عليه الزوال والعدم لما كان واجب الوجود لذاته وفساد التالي يستلزم فساد
المقدم فاذن هو دائم الوجود ازلا وابدا **البحث الثالث** كونه اولا قبل الاشياء بلا اولية لوجوده وكونه اخرا بعد الاشياء بلا نهاية
لوجوده اما الاول فلانه لو كان لوجوده اولية لكان مسبوقا بالعدم فكان محدثا فكان ممكنا هف واما الثاني فلانه لو كانت
اخريته منقطعة بنهاية لكان ملحوقا بالعدم فلم يكن واجب الوجود لذاته هف **البحث الرابع** كونه اعظم ان تثبت ربوبيته
باحاطة قلب وبصر اي هو اعظم ان يطلع احد بقلبه وبصره على كمال صفات ربوبيته والاعتبارات المعتبرة فيها ووجه التشبيه على
ذلك انك علمت ان صفة الربوبية وسائر صفات الالهية باعتبار الخارج نفس حقيقته تعالى وباعتبار العقل امور يعتبرها العقول
ذاته بالقياس الى مخلوقاته واثاره وعلى الوجهين فهو اعظم ان تثبت ربوبيته باحاطة قلب وبصر لما في الخارج فلان حقيقة
ربوبيته هي نفس ذاته فكانت احاطة العلم بها موقوفة على احاطة بكنه ذاته وقد علمت انها بريئة عن وجوه التركيب فيمتنع الاحاطة

بها لغيرها واما في العقل فلان اعتبار منعه لربوبيته واحاطة القول بها موقوف على الاحاطة بجميع اعتبارات صفات الكمال ونعوت الجلال اذ اعتبار ربوبيته المطلقة مستلزم لاعتبار الحيثية المطلقة المستلزم لاعتبار جميع ماله من صفات الالهية وقد علمت ان تلك الاعتبارات غير متناهية فهي اعظم ان يحيط بها عقل بشري فضلا ان يتعلق بها ادراك بصري **البحث الخامس** اعلم انه لما نبهه على عظمة الله سبحانه وكمال ذاته في الاعتبارات المذكورة امره ان يفعل كما ينبغي ان يفعله من هو مثله في النقصان بالنسبة الى عظمة الله سبحانه فيطيعه حق طاعته ويعبده بكمال عبادته وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وعدد له وجوه النقصانات البشرية حاله في كل منها بالقياس الى كمال ذاته تعالى من صغر منزلته بالنسبة الى عظمته تعالى وقلة مقدرته وكثرة عجزه بالنسبة الى كمال قدرته وكذلك عظم حاجته الى ربه في كل حال من طلب نفعه واعداده لطاعته والرهبة من عقوبته والاشفاق من سخطه بل كل ذلك بالنسبة الى غناه المطلق في كل شيء عن كل شيء وقوله فانه الى قوله قبيح تنبيه اجمالي على وجوب طاعته تعالى في كل ما امر به ونهى عنه وحذر الى فعل كل ما به يكون حسنا والى الانتهاء عن كل شيء يكون قبيحا وقد علمت ان الغاية من بعثة الرسل ووضع الشرائع والسنن هي نظام احوال الخلق في معاشهم ومعادهم فلا بد اذن في كل امر ونهي من سر وحكمة يوجب حسن المأمور به وقبح المنهي عنه ولهذا الكلام وشوه تعلقنا المعتزلة لتمسكهم في مسألة الحسن والقبح العقليين وبالله التوفيق **البحث السادس** يا بني اني قد انبأتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها وانبأتك عن الآخرة وما اعد لاهلها فيها وضربت لك فيهما الامثال لتعتبر بها وتحذو عليها انما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سفر نبا بهم منزل جديب فأموا منزلا خصيبا وجنابا مريعا فاحتملوا وعثاء الطريق وفراق الصديق وخشونة السفر وجشوبة المطعم ليأتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم فليس يجدون لشيء من ذلك الما ولا يرون نفقة مغرما ولا شيء احب اليهم مما قربهم من منزلهم وادناهم من محلتهم ومثل من اغتر بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب فنبا بهم الى منزل جديب فليس شيء اكره اليهم ولا افظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه الى ما يهجمون عليه ويصيرون اليه يا بني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك فاحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب ان تظلم واحسن كما تحب ان يحسن اليك واستقبح لنفسك ما تستقبح من غيرك وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ولا تقل ما لا تعلم وان قل ما تعلم ولا تقل ما لا تحب ان يقال لك واعلم ان الاعجاب ضد الصواب وآفة الالباب فاسع في كدحك ولا تكن خازنا لغيرك واذا انت هديت لقصدك فكن اخشع ما تكون لربك **اقول** جدب ويقال جديب والسفر المسافرون واموا قصدوا والجناب الفناء والمنزلة والمريع ذو الكلاء والخصب ووعثاء السفر مشقته وجشوبة المطعم غلظه وهجم دخل بغتة والكدح الكسب وفي الفصل مطلوبان احدهما التنبيه على حال الدنيا وذكره بما خبره عنها من ضرورة زوال الدنيا وانتقالها وبقاء الآخرة وما اعد لاهلها فيها من السعادة الباقية التي اشتمل على تعديد انواعها الكتاب العزيز والسنة الكريمة وضرب لطالبيهما مثلين ليكون ممن اعرض عن الدنيا واقبل على الآخرة فالمثل الاول مثل من خبر الدنيا وعرف زوالها وانتقالها وخبر الآخرة وبقاءها وما اعد فيها لاهلها ومثلهم بقوم مسافرين فارقوا منزلا جديبا الى منزل خصيب ووجه مطابقة هذا المثال ان النفوس البشرية لما كانت في عالم المجردات وكانت الحكمة في هبوطها الى هذا العالم ومقارنتها لهذه الهياكل الجسمانية الكثيفة في دار الغربة ومحل الوحشة من عالمها هو ان تحصل بواسطتها الكمالات العقلية التي انما تمكن لها بواسطتها ثم ترجع بالاستكمال منها الى عالمها الاعلى طاهرة عن [illegible] هذه الهياكل ومشاقها الردية كما اخذ عليها في العهد القديم وكانت كل نفس حفظت عهد ربها وبقيت على صراطه المستقيم فهي ابدا [illegible] لها ناظرة بعين الاعتبار الى ان الدنيا كالمنزل الجديب خال عن المطاعم الحقيقية والمشارب العذبة الهنيئة فهو لذلك غير صالح للاستيطان والاقامة وان عالم الآخرة كالمنزل الخصيب والجناب المريع من وصل اليه مستقيما على اوامر الله ونواهيه فاز بالمقاصد السنية واللذات الباقية فكانت ابدا في طريق السفر في منازل طريق الله والاستعداد للوصول الى حضرة الربوبية محتملة لمشقة ذلك السفر من معاناة الجوع والظماء ومقاساة السهر قصدا الى سعة الدار ومنزل القرار لا تجد من ذلك الما ولا تعد ما تنفقه من المال والعرض مغرما ولا شيء احب اليها من وسيلة تقربها الى تلك المنزل الذي امته والجناب الذي قصدته فاشبهت في ذلك من وصل الى منزل جديب ثم علم ان امامه منزلا خصيبا فاقتضى رايه الحسن ان يحتمل وعثاء السفر ومشقته اليه ليحصل على الراحة الكبرى واما المثل الثاني فهو مثل اهل الدنيا الذين فاتتهم نفوسهم الامارة بالسوء اليها فغفلوا فيها عما ورائها ونسوا عهد ربهم واعرضوا عما ذكروا به من آياته وشبههم بقوم كانوا في منزل خصيب فنبا بهم الى منزل جديب فالمنزل الخصيب في هذا المثل هو الدنيا لانها محل سعادة اهلها ونعيمهم والمنزل الجديب هو الآخرة اذ لم يكونوا قد استعدوا للدرك السعادة فيها ووجه تشبيههم بالقوم هو ما ذكره من انه ليس شيء اكره اليهم الى الآخرة اي ليس شيء اكره اليهم ولا افظع عندهم من مفارقة

ما هم فيه

ما هم فيه من الدنيا الى ما يهجمون عليه من الاهوال ويصيرون اليه من مقاساة السلاسل والاغلال كما انه ليس شيء اكره الى القوم من مفارقة منزل خصيب كانوا فيه الى منزل جديب يهجمون عليه والى هذين المثلين اشارة الرسول صلعم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر المطلوب الثاني الوصية باصلاح معاملته مع الخلق فاشار عليه ان يجعل نفسه ميزانا بينه وبين غيره ووجه استعارة لفظ الميزان له انه يكون ذا عدل بين نفسه وبين الناس كالميزان ثم شرح وجوه العدل والتسوية التي امره ان يكون ميزانا باعتبارها فمنها امور ثبوتية ومنها امور سلبية فالاول ان يحب لغيره ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها وفي الحديث المرفوع لا يكمل ايمان عبد حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه وسر الحديث ان ذلك من كمال فضيلة العدالة التي هي من كمال الايمان الثاني ان لا يظلم كما لا يحب ان يظلم فيسلم من رذيلتي الظلم والانظلام الثالث ان يحسن الى الغير كما يحب ان يحسن اليه والاحسان فضيلة تحت العفة الرابع ان يستقبح من نفسه ما يستقبح من غيره فينزجر عن جميع مناهي الله وهو من لوازم المروة ولذلك قال الاحنف اذ سئل عن المروة هي ان تستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك الخامس ان يرضى من الناس بما يرضاه لهم من نفسه اي كل ما رضي ان يفعله بهم من خير او شر ان فعله فينبغي ان يرضى بمثله منهم وفيه تنبيه على انه لا يجوز ان يفعل الشر لعدم لازمه وهو الرضا منهم بمثله السادس ان لا يقول ما لا يعلم وان قل ما يعلم وانما قال وان قل ما يعلم لان قلة العلم قد يكون داعية لبعض الناس الى ان يقول بغير علم لئلا ينسب الى الجهل فيضل ويضل كما قال تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير الاية السابع ان لا يقول لاحد ما لا يحب ان يقال له كالمواجهة بالعيوب والالقاب المكروهة وكل كلام موذ الثامن نبهه على وجوب ترك الاعجاب بانه ضد الصواب هو سلوك طريق الله باستجماع مكارم الاخلاق وكان الاعجاب من رذائل الاخلاق كان مضادا للصواب مضادة الرذيلة للفضيلة وبانه آفة للعقول اذ هو من اكبر امراض العقل وآفاته المهلكة له كما اشار اليه الرسول صلعم ثلث مهلكات الى ان قال واعجاب المرء بنفسه التاسع ان يسعى في كدحه اي فيما ينبغي له من كسب الطاعات وقيل اراد بالكدح ما اكتسبه من المال وما ينبغي فيه انفاقه في سبيل الله الحادي عشر ان يكون عند هداية الله اياه لرشده اخشع ما يكون لربه وذلك ان الهداية للرشد هي العلم بالطريق الى الله تعالى في جميع ما عدده من مكارم الاخلاق والعلم بالطريق المؤدية اليه حين سلوكها يستلزم ملاحظة جلاله وعظمته وهناك يكون الخشوع الحق كما قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء **الفصل السابع** قوله واعلم ان امامك طريقا ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة وانه لا غنى بك فيه عن حسن الارتياد وقدر بلاغك من الزاد مع خفة الظهر فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عليك واذا وجدت من اهل الفاقة من يحمل لك زادك الى يوم القيامة فيوافيك به غدا حيث تحتاج اليه فاغتنمه وحمله اياه واكثر من تزويده وانت قادر عليه فلعلك تطلبه فلا تجده واغتنم من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك واعلم ان امامك عقبة كؤودا المخف فيها احسن حالا من المثقل والمبطئ عليها اقبح حالا من المسرع وان مهبطك بها لا محالة على جنة او على نار فارتد لنفسك قبل نزولك ووطئ المنزل قبل حلولك فليس بعد الموت مستعتب ولا الى الدنيا منصرف واعلم ان الذي بيده خزائن السموات والارض قد اذن لك في الدعاء وتكفل لك بالاجابة وامرك ان تسأله ليعطيك وتسترحمه ليرحمك ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك ولم يلجئك الى من يشفع لك اليه ولم يمنعك ان اسأت من التوبة ولم يعيرك بالانابة ولم يعاجلك بالنقمة ولم يفضحك حيث الفضيحة ولم يشدد عليك في قبول الانابة ولم يناقشك بالجريمة ولم يؤيسك من الرحمة بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة وحسب سيئتك واحدة وحسب حسنتك عشرا وفتح لك باب المتاب فاذا ناديته سمع نداك واذا ناجيته علم نجواك فافضيت اليه بحاجتك وابثثته ذات نفسك وشكوت اليه همومك واستكشفته كروبك واستعنته على امورك وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطائه غيره من زيادة الاعمار وصحة الابدان وسعة الارزاق ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما اذن لك فيه من مسألته فمتى شئت استفتحت بالدعاء ابواب نعمته واستمطرت شآبيب رحمته فلا يقنطنك ابطاء اجابته فان العطية على قدر النية وربما اخرت عنك الاجابة ليكون ذلك اعظم لاجر السائل واجزل لعطاء الآمل وربما سألت الشيء فلم تؤتاه واوتيت خيرا منه عاجلا او آجلا او صرف عنك لما هو خير لك فلرب امر قد طلبته فيه هلاك دينك لو اوتيته فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله وينفى عنك وباله والمال لا يبقى لك ولا تبقى له **اقول** الارتياد الطلب والطوق والطاقة ما يتسع له قدرتك والوبال الضلال والكؤود الشاقة الصعود والنزوع عن الذنب الخروج منه والافضاء الوصول والبث النشر والكشف الشآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر والقنوط اليأس والاستعتاب طلب العتبى وهي الرجوع الى الرضا وفي الفصل مطالب احدها الوصية بالسعي في تحصيل الكمالات النفسانية الباقية والثاني طرح الرذائل المنقصة فنبهه على الاول بان امامه اي سفره

الى الله طريقا طويلا شديدا وقطات الطريق التي يكون كذلك لابد لسالكه من حسن طلب القصد فيه الى مطلوبه ومن قدر يبلغه من الزاد واستعار لفظ الطريق لما يسير فيه الانسان من احوال الدنيا ويعبر منها الى الآخرة واشار بطولها وشدتها الى عسر النجاة فيها والسلامة من خطرها اذ كان ذلك انما يكون بلزوم القصد والثبات على سنن العدل ولا سيما منه على حاق الوسط من مكارم الاخلاق اذ علمت ان لكل من القوة التمييزية والشهوية والغضبية حدا يجب وقوف الانسان عنده وهو العدل وثمت انه اذا في الحد ووضعها اذ هو محفوف بطرفي تفريط وافراط فقل ما يسلم الانسان من الوقوع في احدهما وهما طريقان للجحيم فبالحري ان يكون طريقا شاقا قد يصل الانسان منها الى غاية الا على بعد بعيد ولا يحصل منها على خير الا بجهد جهيد و استعار لفظ الزاد للتقوى والكمالات التي هي بلاغ الانسان في تلك الطريق الى الله تعالى وبها يكون النجاة فيها والخلاص من مهالكها ونبه على الثاني بقوله مع خفة الظهر الى قوله وبالا عليك واستعار لفظ الخفة لتقليل اكتساب الآثام وحملها على النفس ولفظ الحمل لاكتسابها ووجه الاستعارة الاولى ان مقلل الآثام سريع القطع لتلك الطريق قريب الى النجاة فيها من مخاوفها كما قال ع تخففوا تلحقوا وكما اشار اليه الرسول ص نجا المخففون ووجه الثانية ان مكتسب الآثام يثقل بها ويبطئ عن لحوق المخففين ويهلك بها في طريقه وكثرة تخلفه تابع لكثرة اكتسابه كما يكون حال المثقل في الطريق البعيدة ولفظ الظهر ترشيح المطلوب الثالث التنبيه على وجوب انفاق المال في وجوه الصدقة وذوي الحاجة ممن يحتاج اليه من اهل الفاقة وذلك قوله واذا وجدت الى قوله عسرتك وجذبه واغتنمه لذلك بامرين احدهما كون ذلك زادا يحمله ذو الفاقة الى يوم القيمة ويلقاه به هناك في موضع الحاجة اليه واستعار لفظ الزاد هنا لما يحصل من فضيلة السخاء والكرم بالانفاق ووجه الاستعارة كونه سببا لسلامة النفس من الهلاك في طريق الآخرة ووسيلة الى السعادة الباقية كالزاد المخلص للمسافر في طريقه والمبلغ الى مطالبه واستعار للمتصدق عليه وصف الحامل لذلك الزاد باعتبار انه سبب لحصول الفضيلة بتلك الصدقة ووصول ثوابها الى المتصدق يوم القيمة فوجدانه لتلك الفضيلة وظهورها في صحيفة عمال المتصدق يوم القيمة هو المشار اليه بالموافاة بها غدا ثم امره ان يغتنم ذا الفاقة عند وجدانه وان يحمله ذلك الزاد ويكثر من تزويده وتحميله للزاد حال من هو قادر على تحصيله وجذبه الى اغتنامه والمسارعة الى الصدقة بقوله فلعلك تطلبه فلا تجده لان الوسيلة الى امر عظيم اذا كان في معرض ان يطلب فلا توجد ثم وجدت في وقت فمن الواجب ان يغتنم تحصيلها ولا يهمل الثاني كون الصدقة على ذي الفاقة قرضا للمتصدق في حال غناه بالمال يقضي له يوم عسرته وفقره واستعار وصف المستقرض هنا لله باعتبار انه تعالى المجازي بالثواب من انفق ماله في طاعته والى ذلك الاشارة بقوله تعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة ونبه بكون القرض في حال الغناء والقضاء في حال العسرة ليكون القضاء افضل فيرغب في القرض لغاية الربح المطلوب الرابع التنبيه على شدة طريق الآخرة وعلى وجوب الاستعداد لها بالخفة من حمل الآثام والتسرع فيها قبل انقضاء الايام واستعار لفظ العقبة لما فيها من الصعود والارتقاء في درجات الكمال بالفضائل عن مهابط الرذائل ووصفها بشدة الصعود باعتبار ما في ذلك الارتقاء من التعسر وكثرة الموانع وجذب الى الاستعداد بامور ثلثة احدها كون المخف فيها احسن حالا من المثقل وهو ظ كما قدمناه الثاني كون المبطئ فيها اقبح من المسرع وهو ايض ظ اذ كان المبطئ منها واقفا في احد طرفي الافراط والتفريط مشغولا بما هو ملتفتا عما يعنيه حتى اذا تصرم اجله بقي في مهاوي الهلاك اسيرا وعلى ما فاته من سرعة السير حسيرا الثالث ذكر الغايتين منها وهي الجنة والنار ولا بد من ادنيها وهبوطها بسالكها على احدهما وهو ظ ايض فان خوض الانسان في احوال الدنيا والتصرف فيها الى غاية انقطاعها ووصول الآخرة اما ان يكون على وجه القصد ولزوم سمت القبلة الحقيقية وتجنب طريق طرفي الافراط والتفريط وبذلك يكون هجوم تلك الطريق وهبوطها بسالكها على الجنة واما ان يكون على وجه الانحراف عن ذلك القصد والتعرج عنه الى ما في تلك الطريق من مناهي الله وابواب محارمه وبذلك يكون هبوطها بسالكها على النار ونسبة الهبوط اليها مجاز باعتبار تأديتها الى احدى الغايتين كالهابط بالشيء ليوصله الى قراره ثم امره ان يرتاد لنفسه ويطلب ما يكون سببا للخلاص فيها وحسن حاله قبل نزوله احد المنزلين اللذين هما غايتاها لئلا يكون هبوطها به على الجنة وان يوطئ المنزل الذي يريد سكناه بالاستعداد له وروي يوطن بالنون اي يتخذه وطنا المطلوب الخامس التنبيه على الدعاء والترغيب فيه وسره دوام ملاحظة جلال الله والانقطاع اليه اذ هو مبدأ كل محبوب ومعطي كل مطلوب ورغب في ذلك بامور احدها ان بيده تعالى خزائن السموات والارض وهو في قوة صغرى ضمير تقديره كبراه وكل من كان كذلك كان احق بالرغبة اليه من كل احد الثاني انه تعالى اذن في الدعاء وتكفل بالاجابة فقال ادعوني استجب لكم وتقدير الكبرى فكالاول الثالث انه امر الخلق ان يسألوه ليعطيهم في قوله تعالى واسألوا الله من فضله وكذلك ان يطلبوا منه الرحمة ليرحمهم وذلك ان افاضة الرزق والرحمة وكل تفضل منه انما يوجد بعد الاستعداد له بالاخلاص في الطلب والاسترحام وغيره كما علم في مظانه وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فواجب ان يسأل ويسترحم الرابع انه لم يجعل بينه وبين الراغب اليه حاجبا ولا بوابا

لتنزهه سبحانه عن الجسمية والجهة وصفات المحدثات بل يتجلى في كل شيء لكل من فتح عين بصيرته ووجهها الى مطالعة كبريائه وعظمته وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فهو اولى من ان يسئل ويسترحم الخامس انه لم يلجئه الى من يشفع اليه لان الشفيع انما يضطر اليه عند تعذر المطلوب من جهة المرغوب اليه اما لبخله او لحاجته او جهله باستحقاق الطالب والباري تعالى لا بخل فيه ولا منع من جهته وانما يتوقف فيضه على استعداد الطالب له ولم يحوج سبحانه للراغبين اليه ضرورته الى الشفعاء اذ مكنهم من الاستعداد لنيل مطلوباتهم منه وهيأ لهم اسبابها وفتح لهم ابواب رحمته فان عرضت لهم حاجة الى شفيع فليس ذلك عن ضرورته والحاجة اليه الى ذلك السادس انه لم يمنعه ان اساء من التوبة بل امره بها ووعده عليها فقال يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم الجنة وقال بعد ان عدد الكبائر وتوعد عليها الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات الاية السابع انه لم يعاجله بالنقمة مع اطلاعه عليه حين معصيته ولم يفضحه في مقامه الذي تعرض فيه للفضيحة بل امهله على ظلمه واسبل عليه ستر كرمه وحلمه الثامن انه لم يشدد عليه في قبول الانابة والرجوع اليه كما يفعله الملوك في حق من اساء وطلب الاقالة ولم يناقشه بجريمته وذنبه فيستقصي في حسابه بل سهل عليه في ذلك وقبل توبته متى شاء لانه تعالى لا مضرة عليه باسائة مسيء ولا نفع يصل اليه من انابة منيب اذ هو الغني المطلق التاسع انه لم يؤيسه من الرحمة حيث قال يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية العاشر انه جعل نزوعه عن ذنبه ... وتوبته منه حسنة حيث قال بعد ذكر التوبة فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وحسب سيئته واحدة وحسنته عشرا حيث قال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها الحادي عشر كونه فتح له باب المتاب حيث قال غافر الذنب وقابل التوب وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات وباب الاستعتاب حين امره وارشده الى طلب الرضا عنه بعد توبته الثاني عشر كونه اذا ناداه سمع نداءه لقوله تعالى ان ربي لسميع الدعاء واذا ناجاه علم نجواه لقوله تعالى يعلم السر واخفى فاوصل اليه حاجته وانشأ همه وطلب منه اعانته على اموره وشكى له ما كان في نفسه من همومه وسأله كشف كروبه فوهب له من خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطائه غيره من زيادة الاعمار وصحة الابدان وسعة الارزاق الثالث عشر انه جعل في يديه مفاتيح خزائنه بما اذن له من مسئلته واستعار لفظ المفاتيح للادعية باعتبار انها اسباب لتحصيل النعمة وكمال الرحمة متى شاء استفتح بها ابواب خزائنها وكذلك استعار لفظ الابواب لاسباب جزئيات النعم الواصلة الى العبد من خزائن نعمه محي خزائن السموات والارض اذ لكل منه وبيده ويحتمل ان يشير بها الى المعقول من سماء جوده وما يجود به قدرته من الخيرات الممكنة واستعار وصف الاستمطار لطلب نعم الله تعالى ملاحظة لشبهها بالمطر في كونهما سببين للحيوة وصلاح الحال في الدنيا وشبه طالبها بالمستمطر ورشح بذكر السحائب وتقدير الكبرى في كل واحد من هذه الصفات وكل من كان كذلك فهو احق بان يرغب اليه ويوجه الطلب نحوه واعلم انه لما رغب في الدعاء بهذه الجواذب نبه على ان الاجابة في الدعاء قد تبطئ وتتأخر ثم عدد ما يصلح اسبابا للتأخر لئلا يلحظها عند تأخرها فلا يقنط منها احدها ان العطية على قدر النية اي ان الاجابة موقوفة على الاستعداد باخلاص النية فاذا تأخرت الاجابة فلعل تأخرها لان النية لم تكن خالصة الثاني انها ربما اخرت لعلم الله تعالى ان تأخيرها من اسباب استعداد السائل والمؤمل استعدادا اعلى لعطاء ما هو اعلى واشرف مما سأل فيعطاه عند كمال استعداده لانه على قدر اهل العزم تاتي العزائم وبقدر الكد تكتسب المعالي الثالث ان المطلوب قد لا يكون فيه مصلحة للعبد لاشتماله على مفسدة في دينه لو اعطي اياه كالغنى والجاه مثلا وسائر المطالب الدنيوية الخالصة فلا يجيب الله سؤاله فيه بل يعطيه خيرا منه اما في عاجل دنياه او في آجل آخرته ويصرف ذلك الامر عنه لما هو مصلحة له او خير له ثم ختم ذلك بتعريفه مواقع مسئلته وهو ما ينبغي ان يسأل الله اياه وهو ما يبقى له جماله وينفى عنه وباله من التوفيق لاسباب السعادة الباقية وتحصيل الاجر وهي الاعمال الصالحة

الفصل الثامن

قوله واعلم انك انما خلقت للآخرة لا للدنيا وللفناء لا للبقاء وللموت لا للحيوة وانك في منزل قلعة ودار بلغة وطريق الى الآخرة وانك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه ولا بد انه مدركه فكن منه على حذر ان يدركك وانت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك فاذا انت قد اهلكت نفسك يا بني اكثر من ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه وتفضي بعد الموت اليه حتى ياتيك وقد اخذت منه حذرك وشددت له ازرك ولا ياتيك بغتة فيبهرك واياك ان تغتر بما ترى من اخلاد اهل الدنيا اليها وتكالبهم عليها فقد نبأك الله عنها ونعت لك نفسها وتكشفت لك عن مساويها فانما اهلها كلاب عاوية وسباع ضارية يهر بعضها بعضا ياكل عزيزها ذليلها ويقهر كبيرها صغيرها نعم معقلة واخرى مهملة قد اضلت عقولها وركبت مجهولها سروح عاهة بواد وعث ليس لها راع يقيمها ولا مسيم يسيمها سلكت بهم الدنيا طريق العمى واخذت بابصارهم عن منار الهدى فتاهوا في حيرتها وغرقوا في نعمتها واتخذوها ربا فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ما وراءها

دونها بشير الظلام كان قد وردت الاظعان يوشك من اسرع ان يلحق اورد منزل قلعة لا يصلح للاستيطان والبلغة ما يتبلغ به من
العيش والازر القوة ويجهد غاية التعب واصل البهر تتابع النفس عن التعب احلك الى كذا اسند اليه والتكالب التواثب والمساوي
المعايب الضراوة تعود الصيد والجرأة عليه والمعقلة المقيدة والمجهول والمجهل المفازة التي لا اعلام فيها والوعث لا يثبت به خف
ولا حافر لكثرة سهولته والمسيم الراعي وقد نبهه في هذا الفصل على امور احدها ان العلة الغائية من خلقه ووجوده هي الاخرة دون
الدنيا وللموت والفناء دون الحيوة والبقاء فهذه الامور علل عرضية من وجود الانسان لكونها من ضرورات وجوده واما العلة الحقيقية
الاولية من وجوده فهي استكماله ووصوله الى حضرة ربه طاهرا عن علائق الدنيا وذكره هذه الغايات ليتجرد بالوصول اليها
ليعمل لها ولما بعد الموت ويقل الحرص على الدنيا وعمارتها ولا يركن الى البقاء فيها لكونها امورا عرضية الثاني نبهه بكون
الدنيا منزل قلعة على انها منزل عبور لم يخلق للاستيطان والاقامة وبكونها دار بلغة على انها انما خلقت ليتخذ منها الانسان بلاغا
للوصول الى الاخرة وزادا لكونها طريقا اليها الثالث نبهه على انه طريد الموت واستعار له لفظ الطريد ملاحظة لشبهه بالصيد
بطرده السبع وغيره ثم وصف الموت بكونه لا ينجو منه هارب ولا بد ان يدركه تحذيرا منه وحثا بالحال الاستعداد له بطاعة عنه
المقاومة لاهواله وشدائده ولذلك قال فكن منه على حذر الى قوله نفسك اي يبقاك على الحال السيئة فتحدث نفسك فيها
بالتوبة الى ان يدركك ويحول عطف على يدركك واذا للمفاجاة الرابع امره بالاكثار من ذكر الموت وما يهجم عليه فان ذلك
يستلزم العبرة والانزجار والاخذ في الاهبة والاستعداد له ولما بعده ولذلك قال حتى ياتيك وقد اخذت منه حذرك و
شددت له ازرك اي بالكمالات التي استعددت بها ولا ياتيك بغتة فيبهتك وقوله ولا ياتيك عطف على قوله حتى ياتيك والواو
في قوله وقد للحال وكذلك بغتة حال ويبهرك منصوب باضمار ان بعد الفاء في جواب النفي الخامس نهاه ان يغتر باستناد اهل
الدنيا اليها وتواثبهم عليها ونبهه على انه لا ينبغي له ذلك الاغترار بقياسات ضمير وقوله فقد نباك الله الى قوله عنها هو
صغرى القياس الاول كقوله تعالى وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو في مواضع كثيرة من كتابه العزيز وقوله انما مثل الحيوة الدنيا
كماء انزلناه من السماء الاية وامثاله وقوله ونعت لك نفسها صغرى القياس الثاني وروي ونعت … بمعنى
ان الله وصفها له ومعنى نعتها لنفسها وصفها بلسان حالها لنفسها ببيان انها محل الهموم والغموم والاغراض والامراض ودار
كل بلاء ومنزل كل فتنة وقوله وانما اهلها الى اخره صغرى القياس الثالث وتقدير الكبرى في القياس الاول وكل من اخبر الله تعالى
عنه بذلك فلا ينبغي ان يغتر به وتقديرها في الثاني وكل من وصف نفسه كذلك فلا ينبغي ان يغتر به وتقديرها في الثالث وكل
من كان كذلك فلا ينبغي ان يغتر بفعله واعلم انه اشار في هذين المثلين الى قسمة اهل الدنيا اولا بقسمين بحسب اعتبار قواهم الغضبية
والشهوية واتباعهم لها اي فمنهم من اتبع قوته الغضبية واطاعها مقتضاها ومنهم من اتبع قوته الشهوية واسترسل في قيادها
وغفل عما خلق لاجله وضرب المثل للاولين بالكلاب العاوية والعادية والسباع الضارية واشار الى وجه مطابقة المثل بقوله يهر
الى قوله صغيرها ووصف الهرير مستعار لتنازعهم عليها وكذلك لفظ الاكل لغلبة بعضهم على بعض وضرب للاخرين مثل النعم باعتبار
غفلتهم عما يراد بهم كالبهائم ثم قسم هؤلاء الى قسمين معقلة ومهملة واستعار لفظ المعقلة للذين تمسكوا بظواهر الشريعة والامام
العادل فيقيدهم بالدين عن الاسترسال في اتباع الشهوات والانهماك فيها وان لم يعقلوا اسرار الشريعة فهم كالنعم التي عقلها
راعيها واشار بالمهملة الى الذين استرسلوا في اتباع شهواتهم وخرجوا عن طاعة امامهم ولم يتعبدوا باوامره فهم كالبهائم المرسلة و
اشار الى وجه المشابهة بقوله التي اضلت عقولها الى اخره ويحتمل ان يريد بعقولها جمع عقال فاشبع الضمة وقلبها واوا
لقوله مجهولها ويحتمل ان يريد به جمع عقل وهو الملجأ اي انها ضيعت من تلجأ اليه وهو امامها ووجه مطابقة هذا المثل لهؤلاء
في عدم انتفاعهم بعقولهم وركوبهم لاهوائهم الفاسدة وشروعهم في شبهاتهم الردية مكتسبين للرذائل والعاهات لنفوسهم
ليس لهم امام يقيمهم على طاعة الله ويحثهم على طرق الهدى الى مكارم الاخلاق فقد اشبهوا النعم المهملة التي اضلت عقلها وركبت المفازة
فهي سروح مرتدة مخيفة بواد وعث ليس لها راع يرعاها ويقيمها الى المرعى وروي سروح عاهة اي فهي سارحة عن آفة قد خرجت
بها عن الانتفاع والرواية الاولى اقرب الى الصواب واراد بطرق العمى طرق الجهل ومسالك الباطل التي لا يهتدى فيها الى الحق كما لا
يهتدي الاعمى للطريق ونسب لسلوكهم ايها باعتبار انها سبب لحيرتهم وغفلتهم عما ورائهم وكذلك اخذها بابصارهم اي بابصار
عقولهم عن منازل الهدى وهي آيات الله ومنازل الطريق اليه واشار بتيههم في حيرتها الى ضلالهم عن طرق الحق واستعار لفظ
الغرق باعتبار استيلائها على عقولهم وتملكها لها كما يستولي الماء على الغريق واتخاذهم لها ربا باعتبار اخذهم لها فلعبت بهم
اذ كانوا عبيدا لها ولعبوا بها اذ اشتغلوا بها غير منتفعين وضيعوا ما الاولى بهم فعله ونسوا ما وراءها مما خلقوا لاجله

الفصل التاسع قوله واعلم يا بني ان من كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان كان واقفا ويقطع المسافة

وان كان مقيما وادعا واعلم انك لن تبلغ املك ولن تعدو اجلك وانك في سبيل من كان قبلك فخفض في الطلب واجمل
في المكتسب فانه رب طلب قد جر الى حرب وليس كل طالب بمرزوق ولا كل مجمل بمحروم واكرم نفسك عن كل دنية
وان ساقتك الى الرغائب فانك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا
وما خير خير لا يوجد الا بشر ويسر لا ينال الا بعسر واياك ان توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة و
ان استطعت ان لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل فانك مدرك قسمك وآخذ سهمك وان اليسير من الله سبحانه
اكرم واعظم من الكثير من خلقه وان كان كل منه وتلافيك ما فرط من صمتك ايسر من ادراكك ما فات من منطقك
وحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء وحفظ ما في يديك احب الي من طلب ما في يد غيرك ومرارة الياس خير من الطلب
الى الناس والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور والمرء احفظ لسره ورب ساع فيما يضره من اكثر اهجر ومن تفكر
ابصر قارن اهل الخير تكن منهم وباين اهل الشر تبن عنهم بئس الطعام الحرام وظلم الضعيف افحش الظلم اذا كان الرفق
خرقا كان الخرق رفقا ربما كان الدواء داء والداء دواء وربما نصح غير الناصح وغش المستنصح واياك والاتكال على المنى فانها
بضائع النوكى والعقل حفظ التجارب وخير ما جربت ما وعظك بادر الفرصة قبل ان تكون غصة ليس كل طالب يصيب ولا
كل غائب يؤوب ومن الفساد اضاعة الزاد ومفسدة المعاد ولكل امر عاقبة سوف ياتيك ما قدر لك التاجر مخاطر رب
يسير انمى من كثير لا خير في معين مهين ولا في صديق ظنين ساهل الدهر ما ذل لك قعوده ولا تخاطر بشيء رجاء اكثر منه
واياك ان تجمح بك مطية اللجاج احمل نفسك من اخيك عند صرمه على الصلة وعند صدوده على اللطف والمقاربة و
عند جموده على البذل وعند تباعده على الدنو وعند شدته على اللين وعند جرمه على العذر حتى كانك له عبد و
كانه ذو نعمة عليك واياك ان تضع ذلك في غير موضعه او ان تفعله بغير اهله لا تتخذن عدو صديقك صديقا
فتعادي صديقك وامحض اخاك النصيحة حسنة كانت او قبيحة وتجرع الغيظ فاني لم ار جرعة احلى منها عاقبة ولا
الذ مغبة ولن لمن غالظك فانه يوشك ان يلين لك وخذ على عدوك بالفضل فانه احلى الظفرين وان اردت
قطيعة اخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع اليها ان بدا ذلك له يوما ما ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه ولا
تضيعن حق اخيك اتكالا على ما بينك وبينه فانه ليس لك باخ من اضعت حقه ولا يكن اهلك اشقى الخلق بك ولا
ترغبن فيمن زهد عنك ولا يكونن اخوك اقوى على قطيعتك منك على صلته ولا يكونن على الاساءة اقوى منك على
الاحسان ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فانه يسعى في مضرته ونفعك وليس جزاء من سرك ان تسوءه **اقول** تعدوه
تجاوزه والتخفيض التسهيل على النفس والحرب سلب المال والاجمال في الطلب التسهيل فيه حتى يكون جميلا والوجيف سرعة
والمناهل المعاطش والحرفة الضيق في الرزق والحرمان والهجر الرجل ذو الفحش في منطقه والرفق اللين وضده الخرق والنوكى الحمقى
جمع انوك والفرصة وقت الامكان والظنين المتهم والصرم القطع ومحض النصيحة اخلصها له والمغبة العاقبة وقد اشتمل هذا الفصل
على الوصية بلطائف من الحكمة العملية ومكارم الاخلاق التي بها ينتظم امر المعاش والمعاد وصدره بالتنبيه على ضرورة الموت
ليبني عليه ما يريد ان يوصيه به من مفردات الحكم وذلك التنبيه بامرين احدهما ان الانسان في مدة عمره مسافر الى الاخرة وان ذلك
السفر ليس على مطايا محسوسة ولا في طرق محسوسة بل المطية فيه الليل والنهار واستعار لفظ المطية لهما باعتبار انهما اجزاء
اعتبارية للزمان يعقب بعضها بعضا وينقضي بانقضائها الزمان فينتقل الشخص بحسبها في منازل مدته المضروبة له المقدرة
له منه الى ان تفنى مدته ويتم سفره الى الاخرة كما ينتقل في منازل طرقه المحسوسة الى ان يتم سفره فيها وكذلك لفظ المسافة مستعار
لمدته المضروبة ولذلك كان سير الزمان به سيرا اعتباريا وان كان واقفا وتوفر المغارف ويقطع مسافة اجله راكبا المطايا وان
كان وادعا قارا فقراره الحسي الثاني امره ان يعلم يقينا انه لن يبلغ امله وذلك ان الانسان ابدا في توجيه امله في المطالب كلما
حصل مطلوب منها او اشتد وجه امله فيه وجهه الى مطلوب اخر وان اختلفت المطالب لا يزال ابدا متوجها الى مطلوب ما ليس مدركا
في الحال والاحالة في ذلك على الوجدان فاذن ليس كل امل يدرك وكذلك لا يمكن ان يتجاوز الانسان اجله المضروب له والا لما
كان اجلا له وهذان الامران في قوة صغريين لقياس ضمير من الشكل الاول وتقدير كبرى الاول وكل من يسري به كذلك فيوشك
ان ينقطع مدته ويصل الى الاخرة وتقدير كبرى الثاني وكل من لا يبلغ امله ولا يتجاوز اجله وهو سالك طريق من كان
قبله فيوشك ان يلحق بهم ولما نبهه على ضرورة مفارقة الدنيا والوصول الى الاخرة رتب على ذلك الوصية بالحكم المذكورة و
ذكر منها جملة الاولى ان يخفض في طلب الدنيا ولا يحرص عليها بل يجعل طلبه لها بقدر حاجته اليها الثاني ان يفعل الجميل
فيما يكتسبه منها وذلك ان يضع كل شيء منه موضعه فيمسك منه قدر ضرورته وينفق فاضله في وجوه البر ومصارف القربة

ويحتمل ان يريد بالمكتسب الاكتساب فاطلق باسم المفعول على المصدر مجازا ونحوه قول الرسول صلعم ان روح القدس نفث في روعي ان لن
تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وقوله فانه رب طلب الى قوله محروم تنفير عن الحرص في الطلب بامور ثلثة احدها انه قد
يجر الى الحرب وذلك كما شوهد في وقتنا ان تاجرا كان راس ماله سبعة عشر دينارا وسافر بها الى الهند مرارا حتى بلغت سبعة
عشر الفا فعزم على ترك السفر والاكتفاء بما رزقه الله فسولت له نفسه الامارة بالسوء في العود وحببت اليه الزيادة فعاد
السفر فلم يلبث ان خرج عليه السراق في البحر فاخذوا جميع ما كان معه فرجع وقد حرب ماله وذلك ثمرة الحرص المذموم و
هو في تقدير صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما جر الى الحرب فلا ينبغي ان يحرص عليه الثاني قوله وليس كل طالب بمرزوق
وهو تمثيل نبه فيه على ان الطلب علة الحرمان في بعض الطالبين حتى يقيس نفسه عليه فلا يحرص في الطلب الثالث قوله
ولا كل مجمل بمحروم تنبيه على تمثيل اخر كذلك نبه فيه على ان الاجمال علة للرزق في بعض الناس ليقيس نفسه عليه فيجمل في
الطلب الرابع ان يكرم نفسه عن كل دنية وان استلزمت وصوله الى ما يرغب فيه وينافس عليه وذلك كان يكون مثلا
او بعد ان يصل الى الملك ونحوه والاكرام لها عن ذلك يستلزم فضائل كالسخاء والمروة وكبر الهمة اذ كل واحد من رذيلة
البخل والدناءة وصغر الهمة يستلزم مفارقة الدنايا فاكرام النفس عنها يستلزم الامر بالحصول على فضائلها ونفره عن مفارقة
الدنية بقوله فانك لن تعتاض اي ان ما تبذله من نفسك من تلك الرذيلة وبعد لعنه لي لرذيلة لا قيمة له عند الله و عند
اهل الفضائل من خلقه شيء وان جل ولا يكون عنه عوض وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما لا يحصل له عوض فينا له
دنيا وبر فلا ينبغي ان يبذل لتحصيل الدنايا الخامس ان لا يكون عبد غيره اي لا يجعل لغيره عليه فضل احسان ليسا
اياه فيسترقه ويستوجب بذلك على نفسه خدمته والاشتغال بشكره عن الله وقوله وقد جعلك الله حرا في قوة صغرى ضمير
تقدير كبراه وكل من جعله الله حرا ينبغي ان يجعل نفسه عبدا لغيره وكذلك قوله وما خير خير الى قوله الا بعسر استفهام في معنى الانكار
اي لا خير في خير لا يوجد الا بشر ويسر لا ينال الا بعسر وكنى بذلك الخير واليسر عما يطلب في مقارفة الدنايا ويصير الانسان
بسببه عبدا لغيره كالمال ونحوه وبالشر والعسر لما يقارن له كبذل ماء الوجه في السؤال والذلة وغيرها من الدنايا وهو ايضا
في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما لا خير فيه فلا ينبغي ان يطلب وتعبد للغير من اجله السادس حذره من الطمع واستعار
لفظ المطايا لقواه الامارة بالسوء كالوهمية والخيالية والشهوية والغضبية ووجه المشابهة كونها حاملة لنفسه العاقلة وموصلة
لها الى المشتهيات وما يطمع فيه من متاع الدنيا كالمطايا الموصلة لراكبها الى غرضه وكذلك وصفها بالوجيف لسرعة انقيادها
معها الى المطامع الردية وقوله فتورد مناهل الهلكة فاستعار لفظ المناهل لموارد الهلاك الاخروي كمنازل جهنم وطبقاتها
ووجه المشابهة كونها موارد شراب اهل النار المهلك كما قال تعالى فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم والفاء في
جواب النهي للازم للتحذير المذكور وهو في قوة متصلة هي صغرى ضمير تقديرها فانك ان اوجفت مطايا الطمع اوردتك
مناهل الهلكة وتقدير الكبرى وكل مطية كذلك فيحرم ركوبها السابع نهاه ان يجعل بينه وبين الله واسطة في وصول نعمه
اليه ان استطاع ذلك وهو نهي عن مسئلة الغير والتعرض لنواله بل ينتظر منه من رزق الله المقروض له من غير سؤال الذي يلزمه ان يكون
فيه بذل ماء الوجه والذلة والمنة ان اعطى وبذله والحرمان والذل ان حرم وعنه في ذلك بضمير من احدهما قوله فانك مدرك
قسمك ولاخذ سهمك اي من رزق الله وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فلا ينبغي بينه وبين الله واسطة يطلب منه رزقه الثاني
قوله وان اليسير الى قوله خلقه اي ما يحصل من جهة يحمد حصوله منها وهي الجهة التي امر الله بطلب الرزق منها وان كان يسيرا اكرم عنده
واشرف من الكثير من غير تلك الجهة كسؤال الغير والتعرض له وتقدير الكبرى وكل ما كان اعظم فينبغي ان يكون هو المطلوب وقوله وان
كان الكل منه اي وان كان الرزق من الخلق ايضا من الله الا انه ينبغي ان يوجه الرغبة اليه ابتداء دون غيره اذ هو مبدا الكل وعتيا
بالجميع واحتج الثامن قوله وتلافيك الى قوله منطقك تنبيه على ترجيح وجوب الصمت وتغليبه على كثرة الكلام بضمير هذه صغراه و
تقريرها ان التفارط من الصمت وان استلزم الخطاء كالسكوت عما ينبغي ان يقال من الحكمة اوما يترتب عليه بعض المصالح الا انه يمكن
استدراكه غالبا بما ينبغي من القول واما فارط القول فان الخطا فيه قد لا يمكن استدراكه وان امكن فعلى غاية من العسر فلذلك
كان تلافي فارط الصمت بالقول اسهل من تدارك فارط القول ولقوة الخطا في القول اكثر الناس في ذم الاكثار ومدح الصمت
والمنطق هنا يحتمل ان يريد به المصدر فيكون من لبيان الجنس ويحتمل النطق فيكون لابتداء الغاية وتقدير كبرى الضمير وكل
ما كان ايسر فهو اولى بك فينتج ان تلافي فارط الصمت اولى بك وذلك مستلزم لرجحان الصمت التاسع نبهه على حفظ ما
في يده من المال الحفظ الذي ينبغي وهو الواسطة بين التبذير والبخل والكلام في قوة صغرى ضمير ايضا وتقدير كبراه وكل ما
كان احب الي من طلبك ما في يد غيرك فهو اولى بك العاشر نبهه على فضيلة قطع الطمع واليأس عما في ايدي الناس

الجزء

بضمير ايضا صغراه قوله ومرارة اليأس الى قوله الناس وتقدير كبراه وكل ما كان خيرا فهو اولى ان يلزم ويكرم النفس به واطلق لفظ المرارة
على الالم الذي يجده النفس بسبب اليأس من المطالب اطلاقا لاسم السبب على المسبب وكونه خيرا لما يستلزمه من اكرام النفس عن ذل السؤال
ورذيلة المهانة واليه اشار الشاعر بقوله وان كان طعم اليأس مرا فانه الذ واحلى من سؤال الاراذل الحادي عشر نبهه على وجوب
الصبر في ضيق الرزق والحرمان اذا كان مع فضيلة العفة وان لزومه اولى من طلب الغنى المستلزم للفجور بضمير ايضا صغراه ما ذكر
وتقدير كبراه وكل ما كان خيرا من الغنى مع الفجور فلزومه اولى من طلب ذلك الغنى مع الفجور فلزومه اولى من طلب ذلك الغنى
مع الفجور فلزومه اولى من طلب ذلك الغنى وانما كان ذلك لاستلزام تلك الحرفة الفضيلة واستلزام ذلك الغنى الرذيلة وقد عرفت
ان العفة فضيلة القوة الشهوية ولها طرفا تفريط يسمى خمود الشهوة وافراط يسمى فجورا الثاني عشر نبهه على انه لا يجوز
افشاء سره بتمثيله اصله المرء والفرع هو والحكم كونه احفظ لسره والعلة كونه اكثر عناية بنفسه من غيره الثالث عشر نبهه
بطريق التمثيل ايضا على التحرز في السعي والتثبت في ارتياد المصالح بقوله رب ساع فيما يضره فالاصل هو الساعي والفرع هو
المخاطب والعلة هي السعي والحكم هو الضرر الرابع عشر نبهه على وجوب ترك الاكثار في القول بتمثيل ايضا اصله المكثر وفرعه
المخاطب وعلته الاكثار وحكمه الهجر والغرض ان يعتبر نفسه في لحوقها بالمكثر في لزوم الهجر له فيترك الاكثار لما يلزمه من الهجر ولحوق
الذم به الخامس عشر نبهه على فضيلة التفكر في الامور بقوله من تفكر ابصر اي ادرك بعين بصيرته حقائق الامور وعواقبها السادس
عشر امره بمقارنة اهل الخير بضمير دل على صغراه بقوله تكن منهم وتقديرها ان مقارنتهم يستلزم الكون منهم وتقدير الكبرى
وكل ما استلزم الكون منهم فواجب ان يفعل السابع عشر وكذلك امره بمباينة اهل الشر ومفارقتهم لما يستلزم المباينة لهم من
عدم العداد في جملتهم في الدنيا والاخرة وحد الحجة كالذي قبله الثامن عشر نبهه على قبح اكل الحرام لغاية اجتنابه بضمير
صغراه ما ذكر وانما كان اقبح الظلم لكون الضعيف في محل الرحمة فظلمه لا يصدر الا عن قلب قاس ونفس بعيدة من الرقة والرحمة
والعدل ولانه غير مقابل من الضعيف بمدافعة وربما تعذر فكان ابعد عن العدل وتقدير كبراه وكل ما كان افحش الظلم كان اولى
اصناف الظلم بالترك والاجتناب العشرون نبهه على ان الخرق في بعض المواضع كالخرق في كونه مخلا بالمصلحة غالبا ومفوتا للغرض
كان استعمال الخرق في ذلك الموضع كاستعمال الرفق في استلزامه للمصلحة وحصول الغرض غالبا فكان اولى من الرفق في ذلك
الموضع ولفظا الخرق الاول والرفق الثاني مستعاران للرفق الاول والخرق الثاني لما ذكرناه من المشابهة والى هذا المعنى اشار
ابو الطيب ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى الحادي والعشرون نبهه على ان بعض
ما فيه مصلحة ظاهرة قد يشتمل على مفسدة بقوله ربما كان الدواء داء وعلى ان بعض ما هو مفسدة في الظاهر قد يستلزم مصلحة
بقوله والداء دواء ولفظا الدواء مستعاران للمصلحة ولفظا الداء للمفسدة ووجه الاستعارة ان المصلحة من شانها نظام
حال الانسان ومن شان المفسدة فساده كالدواء والداء والى هذا المعنى اشار المتنبي فربما صحت الاجساد بالعلل الثاني و
العشرون نبهه على انه لا ينبغي ان يعرض عن مشورة احد ما هو مظنة مصلحة وان كان من شانه غيرنا صح له بل ينظر في رايه ومشورته فربما
كان نصيحة وكذلك لا ينبغي ان يركن الى قول من يعتقده ناصحا مطلقا اذ من الجائز ان يغشه الثالث والعشرون نهاه عن الاتكال على
المنى ونفره عنها بضمير صغراه قوله انها بضائع النوكى واستعار لفظ البضائع لها باعتبار انه لا يحصل منها الا خيال من
الامور المتمناة كما ان يحصل عن البضاعة الربح واضافها الى النوكى لعدم الفائدة في المنى كعدم الربح عن بضائع النوكى
الرابع والعشرون رسم العقل بانه حفظ التجارب والاشارة الى العقل العملي وهو القوة التي للنفس بحسب حاجتنا الى تدبير البدن
الموضوع لتصرفاتها وتكميله وهي التي بها تستنبط الآراء المصلحية مما يجب ان يفعل من الامور اذ كان الشروع في العمل الاختياري
المختص بالانسان انما يتاتى بادراك ما ينبغي ان يعمل في كل باب وهو ادراك راي كلي او جزئي يستنبط من مقدمات بعضها جزئية
محسوسة وبعضها كلية اولية او تجربية او ذائعة او ظنية يحكم بها العقل النظري من غير ان يختص بجزئي دون غيره والعقل
العملي يستعين بالنظري في ذلك ثم ينتقل منه باستعمال مقدمات جزئية الى ان ينتقل الى الراي الجزئي الحاصل فيعمل بحسبه و
يحصل بعمله مقاصده في معاشه ومعاده وارادته بهذا العقل اظهر لانه المتعارف ولانه في معرض الامر بتحصيل مكارم الاخلاق
التي هي كمال هذه القوة وحفظ التجارب اشارة الى ضبط هذه العلوم المنتزعة عن مشاهدات متكررة في الامور جزئية تكرر
فيفيد حكما كليا ككون السقمونيا مثلا من شانها الاسهال وعرف العقل بذلك لكونه من خواصه وكماله الخامس والعشرون
نبهه على انه ينبغي ان يقتبس من التجارب على ما وعظه اي من شانه ان يفيده موعظة واعتبارا كالنظر في حال من تكرر ظلمه
فاسرعت عقوبة الله اليه او تكرر كذبه فاذكر المقت بضمير صغراه ما ذكر وتقديرها ما وعظك فهو خير التجارب وتقدير
الكبرى وخير التجارب اولى بك فينتج ما وعظك من التجارب اولى بك ونحوه قول افلاطون اذا لم تعظك التجربة لم تجرب بل انت

سابع كما كنت السادس والعشرون امره بانتهاز الفرصة فيما ينبغي ان يفعل ونفره عن تركها بما يستلزمه من الاسف والغصة واطلق اسم الغصة على الفرصة مجازا تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه السابع والعشرون نبه على ما ينبغي من ترك الاسف على ما يفوت من المطالب بضمير صغراه ما في قوة هذا السلب من الايجاب وتقديره بعض المطالب لا يصيبه الطالب وتقدير الكبرى وكل من لا يصيب مطلوبه فلا ينبغي ان يأسف على فوته ليعتقد السامع نفسه انه من ذلك البعض فلا يأسف على ما فات وكذلك قوله ولا كل غائب يؤوب الثامن والعشرون نبه على لزوم التقوى بضمير تقدير صغراه ان من الزاد ومفسدة المعاد من الفساد وتقدير الكبرى وكل ما كان من الفساد وجب تركه ولفظ الزاد مستعار للتقوى كما سبق التاسع والعشرون نبه على وجوب النظر في عواقب الامور واختيار احسنها بضمير ذكر ما هو في قوة صغراه وتقديرها كل امر له عاقبة نافعة او ضارة وتقدير كبراه وكل ما له عاقبة كذلك فينبغي ان يلحظ ليفعل ما يؤول اليها او يجتنب الثلثون نبه على وجوب ترك الحرص وكذا التفريط في طلب المال ونحوه بضمير ذكر صغراه وتقدير كبراه وكل ما سوف يأتيك فينبغي ان لا تحرص في طلبه الحادي والثلثون نبه على وجوب الاحتراز في المعاملات كالبيع والشراء ونحوه بضمير صغراه ما ذكر ووجه كون التاجر مخاطرا انه لما كان محبا للمال وشرها الى كسبه وكان حال البيع في مظنة ان يحيف فيأخذ راجحا ويعطي ناقصا مع ان تكليفه لزوم العدل والاستقامة على سواء الصراط فلاجرم كان على خطر من وقوعه في طرف التفريط والتقصير عن سواء السبيل وتقدير الكبرى والمخاطر يجب ان يحترز في فعله المخاطر فيه الثاني والثلثون لما نبه على وجوب الاحتراز في التجارة و التحفظ من الظلم وكان ذلك الظلم انما هو لغرض كثرة المال نبه في هذه الكلمة على ان من المال اليسير ما هو ابقى من الكثير لتفضيل عليه واراد باليسير الحلال فانه ابقى للعاقل من الكثير الحرام في الآخرة لاستلزامه زيادة الثواب وهي في قوة صغرى ضمير تقديره اليسير الحلال ابقى من الكثير الحرام وتقدير الكبرى وكل ما كان ابقى من الكثير الحرام فيجب ان يقتصر عليه الثالث والثلثون نبه على ترك الاستعانة في المهمات بالمهين من الناس بضمير تقدير الكبرى وكل من كان كذلك فالاولى اجتناب الاستعانة به والحكم المنفي عنه هو النافع في الاستعانة به [illegible] مضادا للنهوض في مهمات الامور وعلياتها و لان ذلته يستلزم [illegible] ونحوه قولهم اذا انكفيت بغيرك كان حتفه لك [illegible] الرابع والثلثون نبه على مجانبة المتهم بضمير تقدير صغراه [illegible] الخامس والثلثون امر ان يصبر على [illegible] ذلك هو الممكن في الطبيعة [illegible] استعار لفظ القعود للزمان الذي تتيسر فيه [illegible] من بعض مهماته وطلب ما لا يمكن فيه وما لم يعد لحصوله من المطالب بما يستلزم تعبه [illegible] من شاء ان يمكن من ظهره وانقياده وهو يعرض ان ينفر راكبه اذا استزاده وشد عليه ولفظ الذلة مستعار لكون الزمان وامكان المطلوب فيه اراد بما هلته الجريان معه بقدر مقتضاه من دون تشدد وتحظ عليه فان ذلك يستلزم تعب النفس من غير فائدة [illegible] السادس والثلثون نهاه ان يخاطر بما يملكه رجاء اكثر منه اذ كان في مظنة ان لا يعود فيوشك ان يضيع الاصل [illegible] السابع والثلثون حذره من اللجاج [illegible] الثامن والثلثون امره ان يلزم نفسه [illegible] التاسع والثلثون نهاه ان يتخذ عدو صديقه صديقا [illegible] الاربعون ان يخلص نصيحته لاخيه في جميع احواله سواء كانت النصيحة حسنة او قبيحة [illegible]

ونحوه قوله تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم [illegible] الحادي والاربعون امره بفضيلة كظم الغيظ [illegible] المبادرة الى قضاء وطر الغضب [illegible] والتثبت والعفو والتجاوز والاحتمال [illegible] من العاقبة ووجه [illegible] كل ما لا يرى من المخرج احلى منه فينبغي ان يتجرع [illegible] الثاني والاربعون امره ان يلين لمن غالظه وخاشنه ونبه على حسن ذلك بضمير صغراه قوله فانه يوشك ان يلين لك اي بسبب لينك له حال غلظته وتقدير كبراه كل من قارب ان يلين لك بسبب لينك له فالاولى ملاينته [illegible] ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم الثالث والاربعون امره ان يأخذ على عدوه بالفضل [illegible] سببين احدهما الرهبة بالقوة والغلبة وهو الاظهر والثاني الرغبة بالافضال عليه [illegible] فانه احد الظفرين صغرى ضمير وتقدير الكبرى وكل ما صدق عليه انه احد الظفرين فينبغي ان يفعل الرابع والاربعون امره ان اراد مقاطعة اخيه ان يبقي له من نفسه بقية من صلته ولا يفارقه مفارقة كلية [illegible] اي فانه يرجع اليها لو بدا له الرجوع وتقدير الكبرى وكل ما يرجع به فواجب ان يبقيه له ونحوه قولهم احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما وقولهم اذا هويت فلا تكن غاليا واذا تركت فلا تكن قاليا الخامس والاربعون ان يصدق من ظن به خيرا في ظنه [illegible] السادس والاربعون نهى ان يفعل ما عليه [illegible] السابع والاربعون ان لا يضيع حق اخ له اعتمادا على ما بينهما من الاخوة [illegible] الثامن والاربعون نهاه عن الرغبة فيمن زهد عنه [illegible] والاحسان الى من اساء اليه [illegible] ووجوب ذلك بالتنفير عن نقيضه بضمير صغراه شرطية متصلة تقديرها فانك لا تفعل ذلك لكن اخوك اقوى على فعل الاساءة [illegible] فاذا لم تفعل الاحسان مع كثرة البواعث عليه واساء اخوك مع كثرة صوارفه عن الاساءة كان هو اقوى على الاساءة منك على الاحسان وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فهو عاجز [illegible] الخمسون نهاه عن استعظام ظلم الظالمين في حقه [illegible] ونفعك بما وعد الله به الصابرين [illegible] ونقدير الكبرى وكل من سعى في مضرته ونفعك فلا ينبغي ان يكبر عليك [illegible] الحادي والخمسون نبهه على وجوب مقابلة الاحسان بمثله [illegible] ليس جزاء من سرك ان تسوءه وفي قوة صغرى ضمير تقدير ها من سرك فليس جزاؤه ان تسوءه وتقدير كبراه وكل من لم يكن جزاؤه ذلك فينبغي ان لا تسوءه [illegible] من ظلمك فتقابله بسوء فانه يسعى في مضرته ونفعك وكل من كان كذلك فليس جزاؤه ان تقابله بالاساءة

الفصل العاشر

قوله واعلم يا بني ان الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان انت لم تأته اتاك ما اقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى انما لك من دنياك ما اصلحت به مثواك وان جزعت على ما تفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل اليك استدل على ما لم يكن بما قد كان فان الامور اشباه ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة الا اذا بالغت في ايلامه فان العاقل يتعظ بالادب والبهائم لا تتعظ الا بالضرب اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين من ترك القصد جار والصاحب مناسب والصديق من صدق غيبه والهوى شريك العمى رب بعيد اقرب من قريب وقريب ابعد من بعيد والغريب من لم يكن له حبيب من تعدى الحق ضاق مذهبه ومن اقتصر على قدره كان ابقى له واوثق سبب اخذت به سبب بينك وبين الله سبحانه ومن لم يبالك فهو عدوك قد يكون الياس ادراكا اذا كان الطمع هلاكا ليس كل عورة تظهر ولا كل فرصة تصاب وربما اخطأ البصير قصده واصاب الاعمى رشده اخر الشر فانك اذا شئت تعجلته وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل من امن الزمان خانه ومن اعظمه اهانه ليس كل من رمى

اصاب اذا تغير السلطان تغير الزمان سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار اياك ان تذكر من الكلام ما كان مضحكا وان حكيت ذلك
عن غيرك واياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى افن وعزمهن الى وهن واكفف عليهن من ابصارهن بحجابك اياهن فان شدة
الحجاب ابقى عليهن وليس خروجهن باشد من ادخالك من لا يوثق به عليهن وان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل ولا تملك
المرأة من امرها ما جاوز نفسها فان المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ولا تعد بكرامتها نفسها ولا تطمعها في ان تشفع لغيرها واياك
والتغاير في غير موضع غيرة فان ذلك يدعو الصحيحة الى السقم والبريئة الى الريب واجعل لكل انسان من خدمك عملا
تأخذه به فانه احرى ان لا يتواكلوا في خدمتك واكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير واصلك الذي اليه تصير ويدك
التي بها تصول استودع الله دينك ودنياك واسأله خير القضاء لك في العاجلة والآجلة والدنيا والآخرة انشاء الله عز وجل

اقول المثوى المقام وتقلت تخلص وعزائم الصبر ما جزمت به منه والعورة هنا الاسم من اعور الصيد اذا امكن من نفسه
واعور الفارس اذا بدا منه موضع خلل للضرب والافن الضعف والقهرمان فارسي معرب وفي الفصل تنبيهات على لطائف من الحكمة و
مكارم الاخلاق الاول انه قسم مطلق الرزق الى قسمين مطارد طالب اراد بالرزق المطلوب ما لم يجر في القضاء الالهي كونه رزقا لذلك
الطالب مما علم الله انه رزقه وانه لابد من وصوله اليه وترك بيان احكام القسمين للعلم به ايجازا والتقدير فاما الذي تطلبه فلا بد
تكون القضاء الالهي لم يجر به وكل ما لا بد كذلك فينبغي ان لا يحرص عليه واما الذي يطلبك فانه لا محالة يأتيك وان لم تأته وهي صغرى
ضمير تقديره كبراه وكل ما كان آتيك لا محالة فينبغي ان لا يحرص في طلبه الثاني نبه على فضيلة عزة النفس عند الحاجة وعلى مواصلة
الاخوان في الغنى بالتعجب من قبح ضديهما وهما الخضوع في الحاجة والجفاء في الغنى للتنفير عنهما اذ كانا رذيلتين وهي في قوة ضمير
تقديره ان الذلة في الحاجة وجفاء الاخوان في الغنى قبيحان جدا وتقدير كبراه وكلما كان كذلك وجب اجتنابه الثالث نبهه على
بذل المال في وجوه البر والقربات لغاية اصلاح الآخرة بقوله انما لك الى قوله مثواك واراد بماله من دنياه ما يملك نفعه دائما و
حصره بانما لانه القدر المنتفع به على الحقيقة والذي يجيء ثمرته لاستلزام بذله تحصيل الملكات الفاضلة المستلزمة للثواب
الدائم والنعيم المقيم في الآخرة وهو صغرى ضمير تقديرها اما ما اصلحت به مثواك من دنياك هو الذي يبقى لك منها وتقدير الكبرى
وكل ما هو الباقي لك منها فينبغي ان تختص به مثابتك ويحتمل ان تكون هذه الكلمة تنبيها على ما قبلها من المواصلة في الغنى داخلة في
اصلاح المثوى بالمال المنبه عليه فيها الرابع نبهه على ترك الاسف والجزع على ما يخرج من يده من المال بقياس شرطي وذلك
قوله فان جزعت الى قوله اليك وبيان الملازمة ان الذي خرج من يدك كالذي لم يصل اليه في انه ليس برزق له وليس مما قضى الله له به
وتقدير الاستثناء لكن الجزع هناك قبيح وغير متحقق فينبغي ان لا يحصل الجزع ههنا الخامس امره ان يستدل بقياس ما لم يكن
يجد من امور الدنيا واحوالها وتغيراتها على ما كان وحدث منها وذلك ان يقيس نفسه وما رغب فيه من متاع الدنيا على
سبق من اهلها ومتاعها فيجد مثله فيحكم للمجهول حكمه له وهو التغير والزوال فيستلزم ذلك الاعتبار الرغبة عن الدنيا ومتاعها تنبيه
على امكان ذلك بضمير صغراه قوله فان الامور اشباه وتقدير الكبرى وكل ما هو متشابه فيمكن قياس بعضه على البعض وكان يقال
اذا اردت ان تنظر الدنيا بعدك فانظرها بعد غيرك السادس حذره ان يكون ممن لا ينفعه النصيحة فما ينجع به من الرأي الا اذا بالغ
النصيحة والتوبيخ في ايلامه واذاه وروي بالغت بالتاء للمخاطب اي في ايلامه بالقول وغيره وضرب له العاقل مثلا في اتعاظه بالادب
تذكيره ما لينتجه ليقيس نفسه عليه فيتعظ بالادب لتنبهها ثم مثلا في عدم اتعاظها وتذكرها الا بالضرب ليعتبر نفسه بالقياس اليهما
وقد دفعها الله عنها بالعقل فيجب ان ينزه نفسه عن ان تكون مثلها فلا يحتاج الى ايلام بقول او فعل كان يقال اللئيم كالعبد والعبد كالبهيمة
عنها ضربها السابع ان يطرد عن نفسه ما يرد عليها من الهموم والغموم ومصائب الدنيا بالصبر الجازم الثابت عن حسن اليقين بالله تعالى
وباسرار حكمته وقضائه وقدره وذلك ان يعلم يقينا ان كل امر صدر عن الله وابتلى به عباده من ضيق رزق او سعته وكل امر مرهوب او مرغوب
فعلى وفق الحكمة والمصلحة بالذات وما عرض في ذلك مما يعد شرا فامر عرضي لا يمكن نزع الخير المقصود منه فان ذلك اذا كان متيقنا استعدت
النفس بعلمه للصبر ومفارقة الهوى في الغم والجزع ونحوه والغرض من الكلمة الامر بالصبر وهي في قوة صغرى ضمير تقديرها ان عزائم الصبر
وحسن اليقين بالله يستلزمان طرح واردات الهموم وحذفها عن النفس وتقدير الكبرى وكل ما استلزم ذلك فينبغي ان تستعد به وتستكمل
به نفسك الثامن نبهه على لزوم القصد والعدل في افعاله واقواله بضمير ذكر صغراه وتقدير كبراه ومن جار هلك التاسع نبهه على حفظ
الصاحب الحق والرغبة فيه بضمير ذكر صغراه واستعار له لفظ المنسب باعتبار مودته وحسن معاضدته كالنسيب وتقدير كبراه والمناسب ينبغي
ان يحنو عليه ويصطنع عنده العاشر عرف الصديق الحق بعلامة ليعرف بها فيصادق واراد بصدقه في غيبه صدقه في ضميره
وما غاب من باطنه عن غيره الحادي عشر نبهه على مجانبة الهوى والميول الطبيعية بضمير صغراه قوله الهوى شريك العمى ووجه
كونه شريكا له استلزامه للضلال وترك القصد كالعمى وتقدير الكبرى وكل ما هو شريك العمى فينبغي ان يجتنب ونحوه قولهم حبك

للشيء يعمي ويصم الثاني عشر نبهه على ان في البعداء من هو اقرب وانفع من النسب وفي الاقرباء من هو ابعد من البعيد وهو مشهور والى المعنى الثاني
اشار القرآن الكريم بقوله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الثالث عشر نبهه على ان الحقيق باسم الغريب هو من لم يكن له
حبيب اي محب يحبه واليه اشار القائل اسرة المرء والداه وفيما بين حضنيهما الحياة تطيب فاذا وليا عن المرء يوما فهو في الناس اجنبي
غريب وذلك باعتبار محبة الوالدين له الرابع عشر نبهه على لزوم الحق بما يلزم نقيضه وهو تعديه وتجاوزه الى الباطل من ضيق
المذهب ووعارة المسلك وذلك ان طريق الحق واضح مأمور باتباعه وقد نصبت عليه اعلام الهداية اما طريق الباطل فهي
ضيقة وعرة على سالكها لما فيها من الحيرة والخبط وعدم الهداية الى المصلحة والمنفعة مع كونها ممنوعة بحرسة طريق الحق من حاد اليها عنه اخذوا
عليه مذهبه وضيقوا عليه مسلكه حتى يعود الى طريق الحق وهو صغرى ضمير تقدير كبراه كما في قوله من ترك القصد جار الخامس عشر
نبهه على وجوب الاقتصار على قدره وهو مقداره ومحله في خلق الله والاقتصار عليه مبني على معرفته وهو ان يعلم الفطرة التي
فطر الانسان عليها من الضعف والجور والنقص ويعلم انه كذلك فيمنع نفسه عن الترفع على ابناء نوعه والاستطالة على احد منهم بفضل
قوة او اعجاب بقينه جسمانية او نفسانية ويقتصر على ما دون ذلك من التواضع ولين الجانب والاعتراف بما جبل عليه من العجز والنقص
وهو في قوة صغرى ضمير تقديرها من اقتصر على قدره كان اقتصاره ابقى له وذلك ان المتطاول الى قدر غيره والمتجاوز لقدره
في مظنة ان يهلك لقصد الناس اياه بالمكاره والتنكير قيل من جهل قدره قتل نفسه والاقتصار على القدر يستلزم عدم هذه الامور
فكان ابقى على صاحبه واسلم وتقدير الكبرى وكل من كان اقتصاره على قدره ابقى له فواجب ان يقتصر عليه السادس عشر نبهه
على لزوم سبب بينه وبين الله تعالى وهو كل ما قرب اليه من علم وقول وعمل ولفظ السبب مستعار لذلك باعتبار ايصاله الى الله والقرب
منه كالحبل الذي يتوصل به الى المقصود وظاهر انه اوثق الاسباب لثباته دائما ونجاة المتمسك به في الدنيا والآخرة والكلمة صغرى
ضمير تقديرها السبب بينك وبين الله تعالى اوثق الاسباب الماخوذ بها وتقدير الكبرى فكل ما كان كذلك فينبغي ان يمسك به ونحوه
قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها السابع عشر نبهه على مجانبة من لا يبالي به
بضمير ذكر صغراه وتقديرها من لا يبالك وقت حاجتك اليه فقد دل على انه عدوك ولفظ العدو مستعار له باعتبار ان
عدم المبالاة من لوازم العدو وتقدير الكبرى وكل عدو فينبغي مجانبته الثامن عشر نبهه على ان اليأس من بعض مطالب الدنيا قد
يكون سببا للسلامة من الهلاك وادراك النجاة منه وذلك عندما يكون الطمع في ذلك المطلوب مستلزما للهلاك كالطمع في نيل
ملك ونحوه التاسع عشر نبهه بقوله ليس كل عورة الى قوله رشده على ان من الامور الممكنة والفرص ما يغفل الطالب البصير عن وجه
طلبه فلا يصيبه ولا يهتدي له ويظفر به الاعمى واستعار لفظ البصير للعاقل الذكي والاعمى للجاهل الغبي وغرض الكلمة التسلية عن
الاسف والجزع على ما يفوت من المطالب بعد امكانها العشرون امره بتأخير الشر وعدم الاستعجال فيه ونبه عليه بضمير ذكر صغراه ومعناها
انك قادر على تعجيله اي وقت شئت وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فينبغي ان لا يعجل فيه اذ لا يفوتك ونحوه من الحكمة قولهم
ابدأ بالحسنة قبل السيئة فلست بمستطيع الحسنة في كل وقت وانت على الاساءة متى شئت قادر الحادي والعشرون نبه على ان
قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل بضمير ذكر صغراه وتقدير كبراه وكل ما يعدل صلة العاقل فينبغي ان يرغب فيها ويفعلها وانما كانت تعدلها باعتبار
استلزامها المنفعة ومنفعة قطيعة الجاهل بالقياس الى ما في صحبته من المضرة الثاني والعشرون نبه على وجوب الحذر من الزمان
ودوام ملاحظة تغيراته والاستعداد لها وانه مثل تزويقها بالاعمال الصالحة واستعار له لفظ الخيانة باعتبار تغيره عند الغفلة عنه
والامن فيه والركون اليه فهو في ذلك كالصديق الخائن والكلمة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من خانه الزمان فينبغي ان يكون منه
على حذر ونحو الحكمة من امن الزمان ضيع ثغر المخوفا الثالث والعشرون نبه بقوله من اعظمه اهانه على وجوب ترك اعظامه ولم يرد
الزمان المجرد بل من حيث هو مشتمل على خيرات الدنيا ولذاتها ومعد لطيب العيش بالصحة والشباب والامن ونحوها وبذلك
الاعتبار يكرم ويعظم فيقال في العرف زمان طيب وزمان عظيم واما استلزام ذلك الاهانة من يستعظمه فلان اعظامه له يستلزم
استنامته اليه والتفاته لما فيه من اللذات الدنيوية فيغفل بسبب محبتها عن الاستعداد لما وراءها ثم ان الزمان يكر عليه بمقتضى طباعه
فيفرق بينه وبين ما كان يعتز به من مال وجاه ورجال فيصبح حقيرا بعد ان كان خطيرا وصغيرا بعد ان كان كبيرا وقليلا بعد ان
كان كثيرا والكلمة في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من اهانه الزمان فينبغي له ان يستهين به ولا يعظمه الرابع والعشرون قوله
ليس كل من رمى اصاب وقد سبق مثله في قوله ليس كل طالب يصيب وغرضه التنبيه على ما ينبغي من ترك الاسف على ما يفوت من المطالب
والتسلي عن خطأ في طلبه وتوبيخ الغير وتنكيته بانه ليس باهل لنيل ذلك المطلوب وان له قوما آخرين والى نحوه اشار ابو الطيب ما كل من
طلب المعالي نافذا فيها ولا كل الرجال فحولا الخامس والعشرون نبه على ان تغير السلطان في رأيه ونيته وفعله في رعيته من العدل
الى الجور يستلزم تغير الزمان عليهم اذ يتغير من الاعداد للعدل الى الاعداد للجور وروي ان كسرى انوشروان جمع عمال السواد وبيده

درّة بقيتها اى شئ اضرّ بارتفاع الاعمال وادعى الى محقه ومن اجابنى بما فى نفسى جعلت هذه الدرّة فى فيه فقال كل منهم قولا من احتباس المطر
والجراد واختلاف الهواء فقال لوزيره قل انت فانى اظن عقلك يعادل عقول الرعية ويزيد عليها فقال مما يضرّ بارتفاعها تغيّر رأى
السلطان فى رعيته واضمار الحيف لهم والجور عليهم فقال لله ابوك لهذا العقل اهّلك الملوك لما اهّلوك له ودفع اليه الدرّة
فجعلها فى فيه السادس والعشرون امره بالسؤال عند ارادته لسلوك طريق عن الرفيق فيها لغايتان يجتنبه ان كان شريرا
ويرافقه ان كان خيرا فان الرفيق اما رفيق واما طريق وكذلك عن الجار عند ارادته لسكنى الدار للغاية المذكورة وروى هذا
الكلام مرفوعا السابع والعشرون حذّره ان يذكر من الكلام ما كان مضحكا سواء كان عن نفسه او عن غيره لما يستلزم ذلك
من الهوان وقلة الهيبة فى النفوس الثامن والعشرون وصاه فى النساء بامور احدها الحذر من مشاورتهنّ ونبّه على وجوب
الحذر بضمير صغراه قوله فانّ رايهنّ الى افن وعزمهنّ الى وهن وذلك لنقصان عقولهنّ وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فينبغى ان
يحذر من استشارته لما انّ ضعف الراى مظنّة الخطا وعدم اصابة وجه المصلحة فيما يستشار فيه الثانى ان يكفّ عليهنّ
من ابصارهنّ بحجابه اياهنّ وهو من افصح الكنايات عن الحجب ومن زائدة ويحتمل ان يكون للتبعيض ونبّه على وجوه حجبهنّ
بضمير صغراه قوله فانّ شدة الحجاب ابقى عليهنّ اى ابقى للستر والعفّة من الخروج والتبرّج وادوم لحفظهنّ وتقدير الكبرى
كل ما كان كذلك وجب فعله الثالث نبّه على انه لا يجوز ان يرخص فى ادخال من لا يوثق به عليهنّ وهو اعمّ من الرجال والنساء
والكلام فى قوّة صغرى ضمير دلّ به على تلك المنع وتقديرها انّ ادخال من لا يوثق به عليهنّ مما سار تحرّزه وتحقّق فى المفسدة
او اشدّ وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فلا يجوز الرخصة فيه وانما كان اشدّ فى بعض الصور لانّ دخول من لا يوثق به
عليهنّ امكن لخلوته بهنّ والحديث معهنّ فيما يراد من الفساد الرابع امره ان يحسم اسباب المعرفة بينهنّ وبين غيره لكون معرفتهنّ
لغيره مظنّة المفسدة وقرينة الحال تخرج غيره الى الازية كالولد والمحرم وانما شرط فى ذلك الاستطاعة لانه قد لا يمكن الا
دفع معرفتهنّ لغيره مطلقا الخامس نهاه ان يملّك المرأة من امرها ما خرج عن حدّ نفسها من ماكول وملبوس ونحوه وما جاوز ذلك
كالشفاعات ونبّه على عدم صلوحها بضمير صغراه قوله فانّ المرأة ريحانة وليست بقهرمانة واستعار لها لفظ الريحانة باعتبار
كونها محلا للذّة والاستمتاع بها ولعل تخصيص الريحانة بالاستعارة لان شان نساء العرب استعمال الطيب كثيرا وكنى بكونها
غير قهرمانة عن كونها لم تخلق لتكون حاكمة مسلطة من شانها ان تكون محكوما عليها وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا
ينبغى ان يجاوز بها امر نفسها والتمكن من التصرف فى امر غيرها السادس وكذلك نهيه ان يجاوز بكرامتها نفسها اى لا يكرمها بكرامة تتعدى
صلاح نفسها وهو كقوله ولا تملّك المرأة من امرها الخ السابع وكذلك نهيه ان يطمعها فى الشفاعة لغيرها لانّ ذلك تجاوز بها لحدّ
نفسها وقد نبّه على انها ليست باهل لذلك لما هى عليه من نقصان العزيمة وضعف الراى الثامن نهاه عن التغاير فى غير موضع
الغيرة ونبّه على ما فى ذلك من المفسدة بضمير صغراه قوله فانّ ذلك يدعو الصحيحة الى السقم وكنى بالصحيحة عن البريئة من الخيانة والفساد
وبالسقم عنها وانما كان كذلك لانّ المرأة حين براءتها من الفساد تستفظع ذلك وتستنكره كره المواجهة وتستشعر خوف الفضيحة والعقاب
فاذا نسبت الى ذلك مع برائتها منه عظم عليها فى اول الامر فاذا تكرر ذلك من الرجل هان عليها امره وصار لومه لها فى قوة الاغراء
لها بذلك وقد علمت ما فى الطباع الحيوانية من الحرص على الامر الممنوع منه فكانت الغيرة فى غير موضعها والتهمة بسبب التخيل
الفاسد على ما لم يفعل امرا داعيا الى فعله وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك لم يجز فعله التاسع والعشرون امره ان يجعل لكل انسان
من خدمه شغلا يخصّه فياخذه بفعله ويؤاخذه على تركه وذلك من الحكمة المنزلية ونبّه على ترك ذلك بضمير صغراه قوله فانه
احرى الى قوله خدمتك وذلك انهم اذا اشتركوا فى التكليف بفعل واحد يقوم به كلّ واحد منهم فالغالب عليهم ان يكل كل واحد
منهم شغله الى الاخر فيستلزم ذلك ان لا يفعل قال كسرى انوشيروان لولده شيرويه وانظر الى كتابك فمن كان منهم ذا ضياع
قد احسن عمارتها فولّه الخراج ومن كان منهم ذا عبيد فولّه الجند ومن كان منهم ذا سرارى قد احسن القيام عليهنّ فولّه النفقات
والقهرمة وهكذا فاصنع فى خدم دارك ولا تجعل امرك فرصة بين خدمك فيفسد عليك ملكك الثلاثون امره باكرام عشيرته
ونبّه على ذلك بضمير صغراه قوله فانهم الى قوله تصول واستعار لهم لفظ الجناح باعتبار كونهم مبدا نهوضه وقوته على الحركة الى
المطالب كالجناح للطائر ورشّح بذكر الطيران وكذلك لفظ اليد باعتبار كونهم محل صولته على العدوّ وتقدير الكبرى وكل من كان
كذلك وجب عليك اكرامه ثم ختم الوصية بوداعه واستيداع الله دينه ودنياه وسؤاله خير القضاء له فى عاجلته وآجلته
ودار بدينه دنياه وآخرته حسب ارادته نعم ومشيئته ولفظ الاستيداع مجاز فى طلب الحفظ من الله لما استودعه اياه وبالله التوفيق
والعصمة **ومن كتاب له عليه السلم الى معوية** وارديت جيلا من الناس كثيرا خدعتهم بغيّك والقيتهم فى موج
بحرك تغشاهم الظلمات وتتلاطم بهم الشبهات فجاروا عن وجهتهم ونكصوا على اعقابهم وتولّوا على ادبارهم وعوّلوا

على احسابهم الا من فاء من اهل البصائر فانهم فارقوك بعد معرفتك وهربوا الى الله من موازرتك اذ حملتهم على الصعب وعدلت
بهم عن القصد فاتق الله يا معوية فى نفسك وجاذب الشيطان قيادك فان الدنيا منقطعة عنك والاخرة قريبة منك والسلام **اقول** اول هذا منقطعة عنك
الكتاب من عبد الله امير المؤمنين الى معوية بن ابى سفيان اما بعد فان الدنيا دار تجارة وربحها او خسرها الاخرة فالسعيد من كانت بضاعته
فيها الاعمال الصالحة ومن راى الدنيا بعينها وقدّرها قدرها وانى لاعظك مع علمى بسابق العلم فيك مما لا مردّ له دون نفاده ولكن الله بقدرها
تعالى اخذ على العلماء ان يؤدّوا الامانة وان ينصحوا الغوى والرشيد فاتق الله ولا تكن ممن لا يرجو لله وقارا ومن حقت عليه كلمة
العذاب فان الله بالمرصاد وان دنياك ستدبر عنك وستعود حسرة عليك فانتبه من الغى والضلال على كبر سنك وفناء
عمرك فان حالك اليوم كحال الثوب المهيل الذى لا يصلح من جانب الا فسد من آخر ثم يتصل به وقد اردیت اهلكت والمهيل المتداعى
فى التمزق ومنه رمل مهيل اى ينهال ويسيل والدنيئة والجيل الصنف وروى جبلا وهو الخلق وجاروا عدلوا والوجهة اهلكت
القصد والنكوص الرجوع وعوّل على كذا اعتمد عليه وفاء رجع والموازرة المعاونة وفى الكتاب مقاصد الاول موعظته و
تذكيره بحال الدنيا وكونها دار تجارة والغاية من التجارة فيها اما ربح الاخرة بصلاح البضاعة وهى الاعمال واما خسران الاخرة
بفسادها الثانى تنبيهه على ان يرى الدنيا بعينها اى يعرفها بحقيقتها او يراها بالعين التى بها تعرف وهى عين البصيرة ويعلم
ما هى عليه من التغير والزوال وانها خلقت لغيرها ليقدّرها بقدرها ويجعلها فى نظره لما خلقت له الثالث تنبيهه على انّ لله
تعالى علما لابدّ من نفاده فيه فانّ ما علم الله تعالى وقوعه لا بدّ من وقوعه وانما وعظه امتثالا لامر الله ووفاء بعهده على العلماء
ان يؤدّوا امانته ويبلّغوا احكامه الى خلقه وان ينصحوا ضالّهم ورشيدهم الرابع امره بتقوى الله ونهاه ان يكون ممن لا يرجو لله
وقارا اى لا يتوقع لله عظمة فيعبده ويطيعه والوقار الاسم من التوقير وهو التعظيم وقيل الرجاء هنا بمعنى الخوف فيكون
مجازا اطلاقا لاسم احد الضدين على الاخر وان يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب وقوله فان الله بالمرصاد تنبيه له على اطلاعه
عليه وعلمه بما يفعل ليرتدع عن معصيته الخامس تنبيهه على ادبار الدنيا وعودها حسرة عليه يوم القيمة لفقدها مع عشقه
لها وعدم تمسكه فى الاخرة بعصم النجاة وفناء زاده السادس امره بالانتباه من رقدة الجهل والضلال على حال كبر سنه
وفناء عمره فان تلك الحال اولى الاحوال بالانتباه منها ونبّهه على انه غير قابل للاصلاح فى ذلك السن بعد استحكام جهله
وتمكن الهيئات البدنية من جوهر نفسه وشبهها له فهو كالثوب الخلق لا يمكن صلاحه بالخياطة بل كلما خيط من جانب تمزّق
من آخر السابع اخبره فى معرض التوبيخ على ما فعل باهل الشام من خدعتهم والقائهم فى موج بحره ولما كان ضلالة عن دين
الله وجعله بما يلبس هو سببا لخدعه لهم نبههما اليه واستعار لفظ البحر لاحواله وآرائه فى طلب الدنيا والانحراف عن طريق الله باعتبار
كثرتها وبعد غاياتها ولفظ الموج للشبه التى القاها اليهم وغرّتهم بها فيما يريد من الاغراض الباطلة ومشابهتها للموج فى
تلعبها باذهانهم واضطراب احوالهم بسببها كاضطرابهم وكذلك استعار لفظ الظلمات لما يحجب ابصار بصائرهم عن ادراك الحق من تلك الشبهات
ولفظ الغشيان لطريانها على قلوبهم وحجبها لها ومحل يغشاهم نصب على الحال وكذلك لفظ التلاطم لتلعب تلك الشبهات بعقولهم
وقوله فجاروا عطف على القيتهم اى ارادتهم عدلوا عن الحق بسبب ما القاه اليهم من الشبه واعتمدوا فى فناهم على احسابهم حمية الجاهلية
فى الذب عن اصولهم ومفاخرهم دون مراعاة الدين والذب عنه الا من رجع الى الحق من اهل العقول فانهم عرفوك وما انت عليه من
الضلال ففارقوك وهربوا الى الله من موازرتك فيما تريده من هدم الدين حين حملتهم على الامور الصعبة الهادمة له وعدلت بهم عن
قصد الحق وقد كان استغوى العرب بشبهة قتل عثمان والطلب بدمه فلما عرف عقلاؤهم والمتمسكون بالدين منهم انّ تلك خدعة منه
لارادة الملك فارقوه واعتزلوه وقوله على اعقابهم وعلى ادبارهم ترشيح لاستعارة لفظى النكوص والتولى من المحسوسين للمعقولين و
لاستنادا ما من الجبل الذى خدعهم ولفظ الصعب مستعار لما حملهم عليه من الامور المستصعبة فى الدين باعتبار كونها لما
يستلزم عدولهم عن صراط الله ووقوعهم فى مهاوى الهلاك كما يستلزم ركوب الجمل الصعب النفور العدول براكبه عن الطريق وتقحم
المهالك وكذلك لفظ مستعار للطريق المعقول الى الحق من الطريق المحسوس ثم كرر عليه الامر بتقوى الله وان يجاذب الشيطان قياده القصد
واستعار لفظ المجاذبة للممانعة المعقولة ولفظ القياد لما يقوده به من الاراء الباطلة وكواذب الامال وممانعة الشيطان لذلك
القياد تكذيبه للنفس الامارة فيما يوسوس به من تلك الاراء وقوله فان الدنيا الى الاخرة تنبيه له على وجوب قطع الامال الذى بوجوب
لانقطاع الدنيا وعلى العمل للاخرة لقربها وهو فى قوة صغرى ضميرين تقدير كبرى الاول وكل ما كان منقطعا زائلا وجب ان يقطع
الامل فيه لانقطاعه ويجاذب الشيطان فى عونه اليه وتقدير كبرى الثانى وكل ما كان قريبا فينبغى ان يستعد لوصوله بالعمل
وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم الى قثم بن العباس** وهو عامله على مكة اما بعد فان عينى بالمغرب كتب الىّ يعلمنى
انه وجّه الى الموسم اناس من اهل الشام العمى القلوب الصمّ الاسماع الكمه الابصار الذين يلبسون الحق بالباطل

من كتاب كتبه الى قثم بن العباس

ويطيعون المخلوق في معصية الخالق ويحتلبون الدنيا درها بالدين ويشترون عاجلها بآجل الابرار المتقين ولن يفوز بالخير
الا عامله ولا يجزى جزاء الشر الا فاعله فاقم على ما في يديك قيام الحازم الصليب والناصح اللبيب التابع لسلطانه المطيع
لامامه واياك وما يعتذر منه ولا تكن عند النعماء بطرا ولا عند البأساء فشلا **اقول** هو قثم بن العباس بن عبد المطلب
ولم يزل واليا لعلي على مكة حتى قتل ع واستشهد بسمرقند في زمن معوية وسبب هذا الكتاب ان معوية كان قد بعث الى مكة
في موسم الحج واجتماع العرب بها دعاة يدعون الى طاعته ويثبطون العرب عن نصرة علي ع ويلقون في انفسهم انه اما قاتل عثمن او
خاذل له وعلى التقديرين فلا يصلح للامامة وينشرون محاسن معوية بزعمهم واخلاقه وسيرته في العطاء فكتب ع هذا الكتاب الى عامله
بمكة ينبهه على ذلك ليعتمد فيه ما يقتضيه السياسة وقيل ان الذين بعثهم السرايا التي كان يبعثها ليغير على اعمال علي ع والعين تمم م
الجاسوس والموسم مجمع الحاج والاكمه الاعمى خلقة والبطر شدة المرح وكثرة النشاط والبأساء الشدة ينعى على فعلا الا انه لا فعل
له لانه اسم عن صفة والفشل الجبن والضعف وحاصل الكتاب اعلامه اولا بما كتب اليه عينه بالمغرب اراد الشام لانها من البلاد
المغربية وقد كان له ع في البلاد جواسيس يخبرونه بما يتجدد من الامور عند معوية ولمعوية عنده كذلك كما جرت عادة الملوك بمثله
ثم وصف اهل الشام باوصاف يستلزم البعد عن الله لغرض التنفير عنهم احدها شمول الغفلة لهم من كل وجه عما خلقوا لاجله
واستعار لفظ العمى باعتبار عدم عقليتهم للحق وادراكهم لما ينبغي من طريق الآخرة كما لا يدرك الاعمى قصده ولفظ الصم
لاسماعهم والكمه لابصارهم باعتبار عدم انتفاعهم من جهة الاسماع بالمواعظ والتذاكير ومن جهة الابصار بتحصيل العبرة بها من آثار
الله سبحانه كما لا ينتفع بذلك فاقد هاتين الآلتين الثاني كونهم يلبسون الحق بالباطل اي يخلطونه ويموهون فيه والمراد انهم يعلمون
انه على الحق وان معوية على الباطل ثم يكتمون ذلك ويغطونه بشبهة قتل عثمن والطلب بدمه الى غير ذلك من اباطيلهم وروى
يلبسون الحق بالباطل اي يكسونه الباطل الثالث كونهم يطيعون المخلوق اي معوية في معصية خالقهم الرابع كونهم يحتلبون
الدنيا درها بالدين واستعار لفظ الدر لمتاع الدنيا وطيباتها ولفظ الاحتلاب لاستخراجهم اياها بوجوه الطلب من مظانه ملاحظا لشبهها
بالناقة ودرها منصوب بدلا من الدنيا وانما كان ذلك بالدين لان اظهارهم لشعاره وتمسكهم بظواهره يعرض لتحصيل الدنيا واخذهم
ما لا يستحقونه منها فان محاربتهم له ع انما كانت كما زعموا الا للاخذ بثار الخليفة عثمن وانكار المنكر على قاتليه وخاذليه ولذلك تمكنوا
من تالف قلوب العرب واكثر جهال المسلمين على حربه واخذ البلاد الخامس شراؤهم عاجل الدنيا بآجل الابرار وثواب الآخرة ولفظ
الشراء مستعار لاستعاضتهم ذلك العاجل من ذلك الآجل ولما كان ذلك في شعار الاسلام هو الخسران المبين ذكره في معرض ذمهم ثم
ذكر في مقام الوعد والوعيد لهم اختصاص الفوز بالخير لمن عمل الخير ترغيبا فيه والمجازاة بالشر لفاعله تنفيرا عنه ثم ختم بامره وتحذيره
اما امره فبان يقيم على ما في يديه من العمل مقام من هو اهل ذلك وهو الحازم المثبت في آرائه الصليب في طاعة الله الناصح اللبيب له و
لاوليائه التابع لسلطانه المطيع لامامه وان يحذره مما يعتذر منه وهو كل امر عد في الشرع معصية وتقصيرا عن اداء حقه وبرد
الكلمات مرفوعة من البطر في النعمة والفشل والضعف عند البأساء والشدة لكون ذلك معد الزوال النعمة وحلول النقمة والبطر
رذيلة تستلزم رذيلتي الكبر والعجب وتقابل فضيلة التواضع والفشل رذيلة التفريط من فضيلة الشجاعة وبالله التوفيق **ومن**

كتاب له عليه السلم الى محمد بن ابي بكر لما بلغه توجده من عزله بالاشتر عن مصر ثم توفي الاشتر في توجهه الى مصر قبل
وصوله اليها وقد بلغني موجدتك من تسريح الاشتر الى عملك واني لم افعل ذلك استبطاء لك في الجهد ولا ازديادا اما بعد م
لك في الجد ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو ايسر عليك مؤنة واعجب اليك ولاية ان الرجل الذي
كنت وليته امر مصر كان رجلا لنا ناصحا وعلى عدونا شديدا ناقما فرحمه الله فلقد استكمل ايامه ولاقى حمامه
وعنه راضون اولاه الله رضوانه وضاعف الثواب له فاصحر لعدوك وامض على بصيرتك وشمر لحرب من حاربك وادع نحن م
الى سبيل ربك واكثر الاستعانة بالله يكفك ما اهمك ويعنك على ما نزل بك والسلم **اقول** المشهور ان محمد بن ابي بكر كان يضعف
عن لقاء العدو ولم يكن في اصحاب علي ع اقوى باسا في الحرب من الاشتر ره وكان معوية بعد وقايع صفين قد تجرد للاغارة على اطراف
بلاد المسلمين وقد كانت مصر جعلت طعمة لعمرو بن العاص وعلم ع انها لا تحفظ الا بالاشتر فكتب له العهد الذي يأتي ذكره وتوجه اليها
فبلغه ان محمدا تألم من ذلك ثم ان الاشتر مات قبل وصوله اليها فكتب ع الى محمد هذا الكتاب وهو يؤذن باقراره على عمله واسترضائه
وتعريفه وجه عذره في تولية الاشتر لعمله وانه لم يكن ذلك لموجدة عليه ولا تقصير منه والموجدة ما يجده الانسان من الغضب والتسريح
عنه والتسريح والارسال واصحر اي اخرج الى الصحراء والبصيرة هنا الحجة والهدى في الدين وحاصل الفصل امور الاول قوله فقد بلغني
الى قوله عملك كالاعتراف له بما يشبه الاساءة في حقه ليرتب عليه ما يشبه الاعتذار اليه الثاني قوله واني لم افعل ذلك الى قوله
ناقما اخذ فيما يشبه العذر فنفى عنه التقصير والاستبطاء في الجهاد ونحوه مما عساه يتوهمه سببا لعزله ثم وعده على تقدير تمام عزله بولاية

كتاب كتبه الى عبد الله بن العباس والى عقيل

امره وسهل عليه كلفته واحب اليه ولايته استكثارا لقلبه عن مصر بالترغيب فيما هو خير منها ثم اشار الى وجه بعثه الاشتر في معرض
الثناء عليه بما اجتمع فيه من الخصال الحميدة المذكورة وهي كونه للامام ناصحا وعلى عدوه شديدا ناقما اي منكرا ومغيرا ومجد ان كان
له الامر الاول الا انه في الثاني ضعيف الثالث قوله فرحمه الله الى قوله الثواب له اعلام بانه مات وهو عنه راض لئلا يظهر شماتة
الرابع قوله فاصحر الى آخره امره بالاستعداد للعدو وامره بالاصحار لاشعاره بالقوة دون الاستتار في المدينة المشعر بالضعف
ان يمضي في محاربته على حجته في الحق واستبصاره فيه وكنى بوصف التشمير عن الاستعداد للحرب وان يدعو الى سبيل ربه بالحكمة
والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن وان يكثر الاستعانة بالله فان الرغبة اليه والاستعانة والمجادلة بالتي هي احسن
وان يكثر الاستعانة بالله فان الرغبة اليه والاستعانة به تعد لافاضة النصر وكفاية ما اهم من امر العدو ومعونته على ما نزل من الشدائد
وبالله التوفيق والعصمة **ومن كتاب له ع** الى عبد الله بن عباس ره بعد مقتل محمد بن ابي بكر بمصر اما بعد فان مصر قد افتتحت ومحمد بن
ابي بكر ره قد استشهد فعند الله نحتسبه ولدا ناصحا وعاملا كادحا وسيفا قاطعا وركنا دافعا وقد كنت حثثت الناس على
لحاقه وامرتهم بغياثه قبل الوقعة فدعوتهم سرا وجهرا وعودا وبدءا فمنهم الآتي كارها ومنهم المعتل كاذبا ومنهم القاعد خاذلا
اسأل الله سبحانه ان يجعل لي منهم فرجا عاجلا فوالله لولا طمعي عند لقائي عدوي في الشهادة وتوطيني نفسي على المنية لاحببت
ان لا ابقى مع هؤلاء يوما واحدا ولا التقي بهم ابدا **اقول** احتسبت كذا عند الله اي طلبت به الحسبة بكسر الحاء وهي الاجر والشهادة
القتل في سبيل الله والمستشهد كانه استحضر الى الله ومدار الكتاب على امور احدها اعلامه بفتح مصر وقتل محمد بن ابي بكر ليتاهب في تلقي هذه
المصيبة ومدحه في معرض التفجع عليه والتوجع له ولدا وعاملا وركنا احوال وتمييز ولدا مجاز باعتبار تربيته في حجره كالولد وذلك وسيفا
انه كان ربيبا له وامه اسماء بنت عميس الخثعمية كانت تحت جعفر بن ابي طالب وهاجرت معه الى الحبشة ولما قتل جعفر تزوجها ابو بكر فولدت
له محمدا هذا فلما توفي عنها تزوجها علي ع فولدت له يحيى بن علي واستعار له لفظ السيف باعتبار كونه يقطع به العدو ويصال به عليه ورشح
بذكر القاطع وكذلك لفظ الركن باعتبار كونه يستند اليه في الحوادث فتدفع به ورشح بقوله دافعا الثاني اعلامه بحاله ع مع الناس في معرض
التشكي منهم وانه قد حثهم على لحاقه واغاثته فلم يسمعوا واشار الى وجه تقصير كل منهم وقد كان حاله ع مع الناس كحال رسول الله ص مع
قومه الآتون كارهين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون والمعتلون كذبا كالذين قالوا لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم
انهم لكاذبون ومن تامل حالهما وسيرتهما الى ان مضيا تحقق وجه الشبه بينهما في اكثر الاحوال وهذه الفتنة لهم بحسب ما وجدهم الرابع سؤاله
لله تعالى ان يجعل له منهم الفرج وهو في معرض التشكي منهم ايضا الاشارة الى وجه عذره في المقام بينهم على هذه الحال وهو طلبه للشهادة وتوطينه الى عقيل
نفسه على الموت عند لقاء العدو ولولا ذلك لفارقهم وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** في ذكر جيش انفذه الى بعض الاعداء ابي طالب
وهو جواب كتاب كتبه اليه فسرحت اليه جيشا كثيفا من المسلمين فلما بلغه ذلك شمر هاربا ونكص نادما فلحقوه ببعض الطريق اخوه م
وقد طفلت الشمس للاياب فاقتتلوا شيئا كلا ولا فما كان الا كموقف ساعة حتى نجا جريضا بعد ما اخذ منه بالمخنق ولم
يبق معه غير الرمق فلأيا بلأي ما نجا فدع عنك قريشا وتركاضهم في الضلال وتجوالهم في الشقاق وجماحهم في التيه
فانهم قد اجمعوا على حربي كاجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله قبلي فجزت قريشا عني الجوازي فقد قطعوا رحمي
وسلبوني سلطان ابن امي واما ما سألت عنه من رأيي في القتال فان رأيي قتال المحلين حتى القى الله لا يزيدني كثرة
الناس حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشة ولا تحسبن ابن ابيك ولو اسلمه الناس متضرعا متخشعا ولا مقرا للضيم واهنا
ولا سلس الزمام للقائد ولا وطيء الظهر للراكب المقتعد ولكنه كما قال اخو بني سليم فان تسأليني كيف انت فانني صبور
على ريب الزمان صليب يعز علي ان ترى بي كآبة فيشمت عاد او يساء حبيب **اقول** طفلت الشمس بالتشديد اذا مالت
للغيب وآب لغة في غاب والجريض المغموم الذي يبتلع ريقه على هم وحزن بالجهد ويكاد يموت لذلك والمخنق بالتشديد هو من العنق موضع
الخنق بكسر النون والرمق بقية النفس واللأي الشدة والعسر والاجماع تصميم العزم والجوازي جمع جازية وهي النفوس تجزي بالسيئة
والمحلين من نقض البيعة يقال لمن نقض عهده وبيعته محل ولمن حفظه محرم والمقتعد الراكب لا فتعاده الظهر وحاصل الفصل امور احدها
قوله فسرحت الى قوله ما نجا حكاية حال عدو وقد اغار على بعض اعماله فنفذ اليه جيشا من المسلمين فهرب حين علم توجههم نحوه ثم لحقوه
قليلا ثم افلت منهم على شدة وعسر من الخلاص ولفظه افصح العبارات عما ذكره وهاد باوتار ما جريتها احوال وقوله كلا ولا تشبيه
بالقليل السريع والفناء وذلك لان لا ولا لفظان قصيران سريعا الانقضاء فقيلا في المسموع من المخاطبين فشبه بهما ما كان من محاربة
العدو والجيش الذي نفذه ونحوه قول ابن هاني المغربي واسرع في العين من لحظة واقصر في السمع من لا ولا وهو نصب مصدر اي قتالا اسرع نسخه
ذلك القتال الا كوقوف ساعة وروى لا وذا ولا يا مصدر والعامل محذوف وما مصدرية في موضع الفاعل والتقدير فلأي
لأيا نجاؤه اي عسرا وبطأ وقوله بلأي اي مقرونا بلأي الثاني قوله فدع الى قوله ابن امي كالجواب لكلام ذكر فيه قريشا ومن انضم اليهم

كتاب كتبه الى معوية

الى معوية فامر عليه السلام بالاضراب عن ذكرهم على سبيل الغضب منهم والواو فى قوله وتركاضهم يشبه ان يكون بمعنى مع ويحتمل ان تكون بمعنى مع
ويحتمل ان تكون عاطفة واستعار لهم لفظ التركاض باعتبار خبط اذهانهم فى الضلال عن سبيل الله وخوضهم فى الباطل بسرعة من غير
توقف وكذلك لفظ التجوال ولفظ الجماح باعتبار كثرة خلافهم للحق وحركاتهم فى تيه الجهل والخروج عن طريق العدل كالفرس يجمح ويجول
وقوله فانهم الى قوله صلعم فى قوة صغرى ضمير تنبيه على انه لا خير فيهم وانه يجب الاعراض عنهم وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فينبغى تركه
والاعراض عنه اذ لا خير فيه واما حجته الصغرى فظاهرة لان قريشا صمم عزمهم على حربه منذ بويع بغضا له وحسدا وحقدا عليه واتفقوا
على شقاقه كما كانت حالهم فى بدو الاسلام مع رسول الله صلعم لم يتغير فى الحال الان فى شئ من ذلك وقوله فجزت قريشا عنى الجوازى دعاء
عليهم بان يجازوا بمثل فعلهم به من قطيعة الرحم وسلبه سلطان الاسلام والخلافة التى هو اولى بها وهى تجرى مجرى المثل وقوله
فقد قطعوا رحمى كالتعليل الحسن للدعاء عليهم وهو فى قوة صغرى ضمير ايضا وتقدير كبراه وكل من فعل ذلك فهو حقيق بالدعاء
عليه واراد بابن امه رسول الله صلعم لانهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن عمران بن عابد بن مخزوم ام عبد الله وابى طالب ولم يقل ابن ابى
لان غير ابى طالب من الاعمام يشركه فى النسب الى عبد المطلب وقيل ان امه فاطمة بنت اسد كانت تربى رسول الله صلعم حين كفله
ابو طالب فهى بمنزلة الام له فاطلق عليه البنوة لها مجازا الثالث قوله واما ما سألت عنه الى اخره وهو تقرير بسؤاله والجواب عنه
عنه وفيه تنبيه على فضيلة من وجوه الاول قوته فى الدين على من اخل بدين الله ونقض عهدا من عهوده الثانى شجاعته
التى لا يزيد معها كثرة الناس حوله عزة ولا تفرقهم عنه وحشة ولا يوجد معها بالصفات المذكورة من الجبن والعجز والانقياد
للعدو وتكبره معها كالقائل والشعر منسوب الى العباس بن مرداس السلمى وهو فى قوة تمثيل اصله القائل وفرعه هو ع وعلته
ما ذكر من الاوصاف وحكمه كونه شجاعا يجب الحذر من صولته وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى معوية فسبحان الله
ما اشد لزومك للاهواء المبتدعة والحيرة المتبعة مع تضييع الحقائق واطراح الوثائق التى هى لله طلبة وعلى
عباده حجة فاما اكثارك الحجاج فى عثمن وقتلته فانك انما نصرت عثمن حين كان النصر لك وخذلته حيث
كان النصر له **اقول** اول هذا الكتاب ان الدنيا حلوة خضرة ذات زينة وبهجة لم يصب اليها احد الا شغلته بزينتها
عما هو انفع له منها وبالاخرة امرنا وعليها حثثنا فدع يا معوية ما يفنى واعمل لما يبقى واحذر الموت الذى اليه مصيرك والحساب
الذى اليه عاقبتك واعلم ان الله اذا اراد بعبد خيرا حال بينه وبين ما يكره ووفقه لطاعته واذا اراد بعبد شرا اغراه بالدنيا و
انساه الاخرة وبسط له امله وعاقه عما فيه صلاحه وقد وصلنى كتابك فوجدتك ترمى غير غرضك وتنشد غير ضالتك وتخبط
فى عماية وتتيه فى ضلالة وتعتصم بغير حجة وتلوذ باضعف شبهة فاما سؤالك الى المتاركة والاقرار لك على الشام فلو
كنت فاعلا لذلك اليوم لفعلته امس واما قولك ان عمر ولاكها فقد عزل عمر من كان ولاه صاحبه وعزل عثمن من كان عمر ولاه
ولم ينصب للناس امام الا ليرى من صلاح الامة ما قد كان ظهر لمن كان قبله او خفى عنهم غيبه والامر يحدث بعده الامر ولكل وال
راى واجتهاد ثم يتصل بقوله سبحان الله الفصل الى اخره والفصل يشتمل على امرين احدهما التعجب من شدة لزومه للاهواء التى
يبتدعها والتحير فيها عن قصد الحق وذلك انه فى كل وقت يوقع شبهة ويبتدع رايا يغوى به اصحابه ويغرر به اتباعه فانه تارة ينسب
الى علي عليه السلام انه لا يصلح للامامة فتارة يقول انه قتل عثمن وتارة يزعم انه خذله وتارة انه قتل الصحابة وفرق كلمة الجماعة وتارة
ضرب عنه بالعطاء وتفرقه مال المسلمين على غير الوجه الشرعى وتارة يعترف بكونه صالحا للامامة ويطلب منه الاقرار له بالشام الى
غير ذلك مما يبتدعه فى الدين من الاباطيل ويتبع الحيرة فيها مع تضييعه لحقائق الامور التى ينبغى ان يعتقدها من كون علي ع الاحق
بهذا الامر واطراحه لوثائق الله وعهوده المطلوبة المرضية له وهى حجة على عباده يوم القيمة كما قال تعالى واذ اخذ ربك الاية الثانى
عن خطابه فى امر عثمن وفخره بنصرته وتبكيته له بخذلانه اياه وقوله فانك الى اخره فى قوة صغرى ضمير بيانها ان معوية لما
استنصره عثمن تثاقل عنه وهو فى ذلك يعده حتى اذا اشتد به الحصار بعث اليه يزيد بن اسد القسرى وقال له اذا اتيت
ذا خشب فاقم بها ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فانى انا الشاهد وانت الغائب قال فاقام بذى خشب حتى قتل عثمن
فاستقدمه معوية فعاد الى الشام بالجيش الذى كان معه فكان نصرته له حيث بعث لنصرته انما كان على سبيل التعذير والتعلل
عنه ليقتل فيدعو هو الى نفسه فكان ذلك النصر فى الحقيقة لمعوية اذ كان قتله ذلك سببا لقتله وانتصاره هو على مطلوبه
من هذا الامر وكان خذلانه له حيث كان محتاجا الى النصر وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فليس له ان يفخر بنصرته وينسب غيره
الى خذلانه وبالله التوفيق **ومن كتاب له ع** الى اهل مصر لما ولى عليهم الاشتر رحمه من عبد الله على امير المؤمنين الى القوم
الذين غضبوا لله حين عصى فى ارضه وذهب بحقه فضرب الجور سرادقه على البر والفاجر والمقيم والظاعن فلا
معروف يستراح اليه ولا منكر يتناهى عنه اما بعد فقد بعثت اليكم عبدا من عباد الله لا ينام ايام الخوف ولا ينكل

عن الاعداء

ومن كتاب له الى عمرو بن العاص

ج ٤ ١٣

عن الاعداء ساعات الروع اشد على الفجار من حريق النار وهو مالك بن الحارث اخو مذحج فاسمعوا له واطيعوا امره فيما طابق
الحق فانه سيف من سيوف الله لا كليل الظبة ولا نابى الضريبة فان امركم ان تنفروا فانفروا وان امركم ان تقيموا فاقيموا
فانه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخر ولا يقدم الا عن امرى وقد اثرتكم به على نفسى لنصيحته لكم وشدة شكيمته على عدوكم
اقول الشرار البين من القطن والنكول الرجوع والظبة بالتخفيف حد السيف ونبا السيف اذا لم يقطع السيف ولا تما
الناحر وفلان شديد الشكيمة اذا كان ابيا قوى النفس واصل الشكيمة الحديدة المعترضة فى فم الفرس وفى الكتاب مقاصد
الاول قوله من عبد الله الى قوله عنه هى صورة عنوانه ووصف اهل مصر بالغضب لله استجلابا لطباعهم واشارة الى انكارهم
للاحداث التى نسبت الى عثمن ومسيرهم لذلك الى المدينة غضبا لحدود الله ان تعطل فان قلت فيلزم ان يكون ع راضيا بقتل
عثمن اذ مدح قاتله على المسير بقتله قلت لا يلزم ذلك لجواز ان يكون مسيرهم انما كان للنكير عليه دون غرض قتله فمدحهم على ذلك
النكير لانه جهة مدح واما قاتلوه والذين تسوروا عليه الدار وكانوا قوما قليلين ولعله لم يك فيهم من اهل مصر فيهم الا الاثنان
وليس فى كلامه ع ما يقتضى مدح اولئك باعتبار كونهم قتلوه واستعار لفظ السرادق لما عم من الجور البر والفاجر والمقيم والمسافر
كالسرادق الحاوى لاهله وقابل بين المعروف والمنكر ولم يرد نفى المنكر بل نفى صفة التناهى عنه الثانى قوله اما بعد الى
قوله اخو مذحج صدر الكتاب عليهم فيه بعثه الاشتر اميرا ووصفه باوصاف تستلزم رغبتهم فيه وكنى بكونه لا ينام
ايام الخوف عن علو همته وتعلقها حين الخوف بتدبير الحرب والاستعداد للقاء العدو وبكونه لا ينكل عن الاعداء عن شجاعته و
شدة باسه واكد ذلك بوصف كونه اشد على الفجار من حريق النار وهو وصف صادق مع المبالغة فيه اذ كان لقاؤه للفجار يستلزم
غلبة ظنونهم بالهلاك معه وعدم السلامة ولا كذلك وجود الحريق لطمعهم فى الفرار من النار واطفائها ثم ذكره بعد ذلك بذكر نسبه
الحميد وهو ابلغ لان الغرض الاهم وصفه لا ذكره فقط ومذحج بفتح الميم كمسجد ابو قبيلة من اليمن وهو مذحج بن جابر بن مالك بن
زيد بن كهلان بن سبا والنخع قبيلة من هذه القبيلة والاشتر نخعي الثالث امرهم بالمقصود وهو السمع له والطاعة لامره لا مطلقا بل فيما يطابق
الحق ويوافقه من الاوامر واشار الحسن امتثال امره بضمير صغراه قوله فانه سيف الى قوله الضريبة واستعار له لفظ السيف باعتبار
كونه يصال به على العدو ويهلكه كالسيف ورشح بذكر الظبة وكنى بكونه غير كليلها وغير نابى الضريبة عن كونه ماضيا فى الحرب
غير واقف فيها ولا راجع عنها والاضافة الى الضريبة اضافة اسم الفاعل الى المفعول اى ولا نابى عن الضريبة وتقدير الكبرى
وكل من كان كذلك فيجب ان يقدم ويمتثل امره فيما يشير به من الحرب وغيرها الرابع امرهم ان يكون نفارهم الى الحرب واحجامهم عنها
على وفق امره ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فانه الى قوله امرى وكنى بذلك عن كونه لا يامر فى الحرب وغيرها بامر الا وهو فى موضعه
لان اوامره ع كانت كذلك فمن كان على وفقها فاوامره ايضا كذلك ولم يرد ع ان كل ما يامر به مالك فى الامور الكلية والجزئية تابعة
من اوامره ع بالتعيين والتفصيل بل اراد انه قد علم بقواعد كلية للسياسات وتدابير المدن والحروب عدة لذلك بحيث يمكنه
ان يجتهد فيها ويستخرج جزئياتها الخامس اعلمهم انه قد اثرهم به على نفسه مع حاجته اليه فى الراى والتدبير فى معرض الامتنان
عليهم بذلك ليشكروه واشار الى علة ايثاره لهم به وهى كونه ناصحا لهم قوى النفس شديد الوطأة على عدوهم وكنى بشدة الشكيمة
عن ذلك فاما مصلحته ع فى ذلك الايثار فهو استقامة الامر له بصلاح حالهم وبالله التوفيق **ومن كتاب له ع** الى عمرو بن
العاص فانك قد جعلت دينك تبعا لدنيا امرئ ظاهر غيه مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته فاتبعت اثره
وطلبت فضله اتباع الكلب للضرغام يلوذ الى مخالبه وينتظر ما يلقى اليه من فضل فريسته فاذهبت دنياك وآخرتك ولو بالحق
اخذت ادركت ما طلبت فان يمكنى الله منك ومن ابن ابى سفيان اجزكما بما قدمتما وان تعجزا وتبقيا فما امامكما شر لكما والسلام
اقول قد ذكر هذا الكتاب برواية تزيد على هذه واوله من عبد الله على امير المؤمنين الى الابتر ابن الابتر عمرو بن العاص شانئ محمد
وال محمد فى الجاهلية والاسلام سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانك تركت مروتك لامرئ فاسق مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه
الحليم بخلطته فصار قلبك لقلبه تبعا كما وافق شن طبقة فسلبك دينك وامانتك ودنياك واخرتك وكان علم الله بالغا فيك فصرت
كالذئب يتبع الضرغام اذا ما الليل دجى يلتمس ان يداوسه وكيف تنجو من القدر ولو بالحق طلبت ادركت ما رجوت وقد رشد من كان الحق
قائده فان يمكنى الله منك ومن ابن اكلة الاكباد الحقتكما بمن قتله الله من ظلمة قريش على عهد رسول الله صلعم وان تعجزا او تبقيا بعدى فالله
حسبكما وكفى بانتقامه انتقاما وبعقابه عقابا ومدار الكتاب على توبيخ عمرو بما بعثه لمعوية فى باطله وتنفيره عما هو عليه ووعيده ثم
على ذلك ومعنى جعله دينه تبعا لدنيا معوية انه صرفه فى مرضاته بحسب ما يقتضيه حصوله عليه من دنياه كما اشرنا اليه فيما سبق من
دينه فى المظاهرة على حربه ع بطعمه مصر ثم ذم معوية باوصاف ذكرها لغاية التنفير عنه احدها كونه ظاهر الغى وضلال معوية عن
طريق الله اوضح من ان يوضح الثانى كونه مهتوك الستر ومن المشهور عنه انه كان ... كثير الخلاعة

من كتاب له الى بعض عماله

صاحب جلساء لهو وغناء وشرب وسماع وقد كان يتستر بذلك في زمان عمر خوفا منه الا انه كان يلبس الحرير والديباج ويشرب في آنية الذهب والفضة فاما في ايام عثمن فكان شديد الانهماك وانما قارب التوقار حيث خرج على علي عليه السلام لحاجته الى استغواء الناس بظاهر الدين الثالث يشين الكريم بمجلسه وذلك لان الكريم هو الذي يضبط نفسه وينزهها عما يشين العرض من الرذائل وقد كان مجلس معوية مشحونا ببني امية ورذائلهم ومجالسة الكريم لهم تستلزم نسبته اليهم ولحاقه بهم وذلك مشين لعرضه ومقبح لذكره الرابع كونه يسفه الحليم بخلطته وذلك لانه كان دابه هو وبنو امية شتم بني هاشم وقذفهم والتعرض بذكر الاسلام والطعن عليه وان اظهروا الانتماء اليه وذلك مما يسفه الحليم ويسفه رأيه في الثبات عندهم لخلطتهم وسماعه منهم وكنى باتباعه لاثره عن متابعته له فيما يفعله واشار بقوله وطلبت فضله الى غرض اتباعه وشبه اتباعه له باتباع الكلب للاسد تحقيرا له وتنفيرا ونبه على وجه الشبه بقوله يلوذ الى مخالبه وينتظر واراد ان اتباعه له على وجه الذلة والحقارة ودناءة الهمة للطمع فيما يعطيه من فضل ما ينتظر ذلك منه كاتباع الكلب للاسد وفي مثل هذا التشبيه بلاغ لمعروفي تنفير لو كان له كرم ثم نبهه على لازم اتباعه له بقوله فاذهبت دنياك واخرتك واراد بدنياه ما كان يعيش به من الرزق والعطاء الحلال على وجه يليق به في طيب نفس وامن من الحروب التي لقيها بصفين والاهوال التي باشرها في موافقته لمعوية وذلك هي الدنيا الحقيقية اذ الدنيا انما يراد للذة بها والاستمتاع وذلك مما لم يحصل عليه عمرو واما ذهاب اخرته فظ وقوله ولو بالحق اخذت قوله طلبت جذب له الى لزوم الحق وترغيب فيه بذكر لازمه وهو ادراك ما طلب من دنيا واخرة وظ انه لو لزم الحق لوصل الى دنيا كاملة واخرة بالمعالي كاملة وقوله فان يمكني الله الى اخره وعيد بعذاب واقع على تقدير كل واحد من النقيضين بذلك العذاب اما بواسطته في الدنيا بتقدير تمكين الله منهما وهو جزاؤه لهما بما قدما من معصية الله واما امر الله في الاخرة على تقدير ان يعجزاه ويبقيا بعده وهو عذاب النار وبنبه عليه بقوله فما امامكما شر لكما لقوله تعالى ولعذاب الاخرة اشد وابقى واستعار لفظ الامام للاخرة باعتبار استقبال النفوس لها وتوجهها نحوها وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام الى بعض عماله اما بعد فاني كنت اشركتك في امانتي وجعلتك شعاري وبطانتي ولم يكن في اهلي رجل اوثق منك في نفسي لمواساتي وموازرتي واداء الامانة الي فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب والعدو قد حرب وامانة الناس قد خزيت وهذه الامة قد فتكت وشغرت قلبت لابن عمك ظهر المجن ففارقته مع المفارقين وخذلته مع الخاذلين وخنته مع الخائنين فلا ابن عمك آسيت ولا الامانة اديت وكأنك لم تكن الله تريد بجهادك وكأنك لم تكن على بينة من ربك وكأنك انما كنت تكيد هذه الامة عن دنياهم وتنوي غرتهم عن فيئهم فلما امكنتك الشدة في خيانة الامة اسرعت الكرة وعاجلت الوثبة واختطفت ما قدرت عليه من اموالهم المصونة لاراملهم وايتامهم اختطاف الذئب الازل دامية المعزى الكسيرة فحملته الى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير متأثم من اخذه كأنك لا ابا لغيرك حدرت الى اهلك تراثك من ابيك وامك فسبحان الله اما تؤمن بالمعاد او ما تخاف من نقاش الحساب ايها المعدود كان عندنا من ذوي الالباب كيف تسيغ شرابا وطعاما وانت تعلم انك تأكل حراما وتشرب حراما وتبتاع الاماء وتنكح النساء من مال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين الذين افاء الله عليهم هذه الاموال واحرز بهم هذه البلاد فاتق الله واردد الى هؤلاء القوم اموالهم فانك ان لم تفعل ثم امكنني الله منك لاعذرن الى الله فيك ولاضربنك بسيفي الذي ما ضربت به احدا الا دخل النار ووالله لو ان الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة ولا ظفرا مني بارادة حتى اخذ الحق منهما وازيح الباطل عن مظلمتهما واقسم بالله رب العالمين ما يسرني ان ما اخذته من اموالهم حلال لي اتركه ميراثا لمن بعدي فضح رويدا فكأنك قد بلغت المدى ودفنت تحت الثرى وعرضت عليك اعمالك بالمحل الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة ويتمنى المضيع الرجعة ولات حين مناص **اقول** المشهور ان هذا الكتاب الى عبد الله بن عباس حين كان واليا له على البصرة والفاظ الكتاب تنبه على ذلك كقوله قلبت لابن عمك ظهر المجن وقوله فلا ابن عمك آسيت وكل ما روي ان ابن عباس كتب اليه جوابا عن هذا الكتاب اما بعد فقد اتاني كتابك تعظم فيه ما اصبت من بيت مال البصرة ولعمري ان حقي في بيت المال لاكثر مما اخذت والسلام فكتب جوابه اليه اما بعد فان من العجب تزيين لك نفسك ان لك في بيت المال من الحق اكثر مما لرجل من المسلمين فقد افلحت ان كان تمنيك الباطل وادعاؤك ما لا يكون ينجيك من المأثم ويحل لك المحارم انك لانت المهتدي السعيد اذن وقد بلغني انك اتخذت مكة وطنا وضربت بها عطنا تشتري بها مولدات مكة والمدينة والطائف تختارهن على عينك وتعطي فيهن مال غيرك فاني احلف هداك الله الى رشدك وتب الى الله ربك واخرج الى المسلمين من اموالهم فعما قليل تفارق من الفت وتترك ما جمعت وتغيب في صدع من الارض غير موسد ولا ممهد قد فارقت الاحباب وسكنت التراب وواجهت غنيا عما خلفت فقيرا الى ما قدمت والسلام

ازيل د

من كتاب له الى بعض عماله

وانكر قوم ذلك وقالوا ان عبد الله بن عباس لم يفارق عليا عليه السلام قط ولا يجوز ان يقول في حقه ما قال وقال القطب الراوندي يكون المكتوب اليه هو عبيد الله قال وحمله على ذلك اشبه وهو ابنه واعلم ان هذين القولين لا مستند لهما اما الاول فهو مجرد استبعاد ان يفعل ابن عباس ما نسب اليه ومعلوم ان ابن عباس لم يكن معصوما وعلي عليه السلام لم يكن ليراقب في الحق احدا ولو كان اعز اولاده كما تمثل بالحسن والحسين في ذلك فكيف بابن عمه بل يجب ان يكون الغلظة على الاقرباء في هذا الامر اشد ثم ان غلظته عليه وعتابه له لا يوجب مفارقته اياه لانه عليه السلام كان اذا فعل احد من اصحابه ما يستحق به المؤاخذة اخذه به سواء كان عزيزا او ذليلا قريبا منه او بعيدا فاذا استوفى حق الله منه او تاب اليه مما فعل عاد في حقه الى ما كان عليه كما قال العزيز عندي ذليل حتى اخذ الحق منه والذليل عندي عزيز حتى اخذ الحق له فلا يلزم اذن من غلظته على ابن عباس وعتابه اياه بما يكره مفارقته له وشفاقه عليه لما بينهما من المحبة الوكيدة والقرابة واما القول الثاني فان عبيد الله كان عاملا له عليه السلام باليمن ولم ينقل عنه مثل ذلك ولنرجع الى المتن فنقول الشعار ما يلي الجسد من الثياب وبطانة الرجل خاصته وكلب الزمان شدته وحرب العدو واشتد غضبه والفتك القتل على غرة وشغرت تفرقت والمجن الترس والازل الخفيف الوركين والهوادة المصالحة والمصانعة وضح رويدا كلمة يقال لمن يؤمر بالتؤدة واصلها الرجل يطعم ابله ضحى ويسيرها مسرعا في السير فلا يشبعها فيقال له ضح رويدا والمناص المهرب والمخلص والنوص الهرب والتخلص وفي هذا الكتاب مقاصد الاول انه ذكره باحسانه اليه في معرض الامتنان عليه من وجوه الاول اشراكه اياه في امانته التي ائتمنه الله عليها وهي الولاية على الرعية والقيام باصلاح امورهم في معاشهم ومعادهم الثاني جعله من خاصته وملازميه واستعار له بذلك لفظ الشعار لما بينهما من المشابهة وملازمة الجسد الثالث كونه اوثق اهله في نفسه وادناهم هيهنا لمواساته وموازرته واداء الامانة اليه المقصود الثاني انه بعد تذكيره باحسانه اليه ذكر مقابلته بذلك بالاساءة اليه في مفارقته اياه وخذلانه وخيانته لما تحت يده من الامانة عند رؤيته شدة الزمان عليه وقيام العدو في وجهه وتفرق كلمة الامة عن الحق لتبين انه قابل احسانه بالكفران ليحسن ذمه على ذلك وتوبيخه ويوبخه واراد مفارقته له في الطريقة ولزوم حق الامانة وقوله قلبت لابن عمك ظهر المجن يضرب مثلا لمن يكون مع اخيه فيتغير عليه ويصير خصما له واصله ان الرجل اذا كان سلما لاخيه يكون بطن ترسه اليه فاذا فارقه وصار حربا له يقلب له ظهر ترسه ليدفع به عن نفسه ما يلقاه من شره فجعل ذلك كناية عن العداوة بعد الصداقة وضربه مثلا لمن فعل ذلك الثالث الاخذ في تعنيفه وتوبيخه وحكاية حاله في خيانته في معرض التوبيخ وذلك قوله فلا ابن عمك الى قوله هذه البلاد وشبهه بمن لم يرد الله بجهاده بل الدنيا ومن لم يكن على بينة من ربه بل هو جاهل به وبوعده ووعيده ووجه التشبيه مشاركته لطالب غير الله والجاهلين به في طلب غيره والاعراض عنه وكذلك شبهه بمن لم يكن له غرض من عبادته الا الخدعة للمسلمين عن دنياهم واشار الى وجه التشبيه بقوله فلما امكنتك الشدة الى قوله الكسيرة اي فكما ان غرض الذي يكيد غيره عن شيء ان يترصد الفرصة في اخذه وينتهزها اذا وجدها فكذلك انت في اسراعك بالوثوب على الخيانة وشبه اختطافه لما اخذه من المال باختطاف الذئب الازل دامية المعزى الكسيرة ووجه الشبه سرعة اخذه له وخفته في ذلك وخص الذئب الازل لان خفة الوركين يعينه على سرعة الوثبة والاختطاف ودامية المعزى الكسيرة لانها امكن للاختطاف لعدم الممانعة ثم اخبر في معرض التوبيخ انه حمله الى وطنه بمكة وكنى بكونه رحيب الصدر به اما عن سروره وفرحه به او عن كثرة ما حمل منه لان من العادة اذا اراد الانسان حمل شيء في صدره وباعه وحوى منه ما امكنه حمله ونصب رحيب على الحال واضافة رحيب الى صدره تقدير الانفصال ثم شبهه في معرض التوبيخ والتقريع في حمله بمن حمل تراثه الى اهله من والديه واستفهم على سبيل التعجب من حاله انكارا عليه على من احد شيئا عن ايمانه بالمعاد وخوفه من مناقشة الله في الحساب تذكيرا له وتنبيها على انه كان معدودا في نظره من ذوي العقول وادخله في حيز كان يجهاله على انه لم يبق عنده كل الثاني عن كيفية اساغته للشراب والطعام مع علمه انه يأكله ويشربه ويكتسبه من هذا المال الحرام لكونه مال المسلمين اليتامى منهم والمساكين افاء الله عليهم بجهادهم وبلادهم استفهام انكار وتقريع بذكر معصية الله المقصود الرابع امره بعد التوبيخ الطويل بتقوى الله ورد اموال المسلمين عليهم وتوعده ان لم يفعل ثم امكن الله منه ان يعذر الى الله فيه اي يبلغ اليه بالعذر بعينه وبقتله وذكر الضرب بالسيف الموصوف تضمن المذكورة اغلاظا في الوعيد وابلغ في الزجر المقصود الخامس اقسم انه لو على منه وكرامتهما عليه لو فعلا كفعله من الخيانة لم يراقبهما في ذلك حتى ياخذ الحق منهما ويزيح الباطل عن مظلمتهما من مال او غيره وذلك انعيرهم بطريق الاولى في عدم المراقبة له ثم اقسم القسم البار انه ما يسره ان يكون ما اخذه ابن عباس من اموال المسلمين حلالا له يخلفه ميراثا لمن بعده لما علمت ان جمع المال وادخاره سبب العذاب في الاخرة كما قال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الاية وفيه الاول كالعذر له في شدة انكاره عليه والثاني تحقير ما اخذه وبيان انه لو كان اخذه على وجه حلال فلا يصلح للقنية فكيف به وهو حرام ليتركه ويخرج منه السادس امره بالامهال على سبيل التهديد بقرب الوصول الى الغاية التي هي الموت والدفن وعرض اعماله عليه بالمحل الذي ينادي فيه الظالم بالحسرة ويتمنى فيه مضيعو امر الله والعمل الصالح الرجعة الى الدنيا حين لا خلاص لهم مما هم فيه وبالله

والمجاهدين

المحل هو عرصة القيمة وتذكر النداء بالحسرة حين لا رجعة لبيانا كد التخويف والتهديد بتعداد الامور المنفرة واما قوله ولات حين مناص
شبهوا لات بليس واضمروا فيها اسم الفاعل ولا يستعمل لات الا مع حين وقد جاءت حين مرفوعة بانها اسم لات وقيل ان التاء زائدة كما
في ثمت وربت وقد تردد ذلك قبل **ومن كتاب له عليه السلم** الى عمر بن ابى سلمة المخزومى وكان عامله على البحرين فعزله واستعمل النعمن
بن عجلان الزرقى مكانه اما بعد فانى قد وليت النعمن بن عجلان الزرقى على البحرين ونزعت يدك بلا ذم لك ولا تثريب عليك فلقد احسنت
الولاية واديت الامانة فاقبل غير ظنين ولا ملوم ولا متهم ولا ماثوم فقد اردت المسير الى ظلمة اهل الشام واحببت ان تشهد معى فانك
ممن استظهر به على جهاد العدو واقامة عمود الدين انشاء الله **اقول** عمر هذا هو ربيب رسول الله صلعم وامه ام سلمة وابوه ابو سلمة بن
عبد الاسد بن هلال بن عمر بن مخزوم واما النعمن بن عجلان فمن سادات الانصار من بنى زريق والتثريب التعنيف واستقصاء اللوم والظنين المتهم
واستظهرت بفلان اتخذته ظهيرا ومدار الكتاب على اعلام عمر بن ابى سلمة بانفاذ النعمن عوضا منه ثم اعلامه بان ذلك لم يكن عن ذنب
صدر منه يستحق به الذم والعزل وانه شاكر له بكونه احسن الولاية وادى الامانة ثم اعلامه بغرضه من عزله واستدعائه وهو الاستعانة
به على عدوه كل ذلك ليطمئن قلبه ويفارق الولاية عن طيب نفس ونبهه على مجده عنده وفي حضوره معه بقوله فانك الى اخره وهو في قوة صغرى
ضمير تقدير كبراه وكل من استظهر به على العدو واقامة عمود الدين فواجب ان يرغب في حضوره وان يشهد معى ولفظ العمود مستعار للاصول
التى يحفظها وقيامها بقوم كالعمود للبيت وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** الى مصقلة بن هبيرة الشيبانى وهو عامله على
اردشير خرة بلغنى عنك امر ان كنت فعلته فقد اسخطت الهك واغضبت امامك انك تقسم فىء المسلمين الذى حازته رماحهم
وخيولهم واريقت عليه دماؤهم فيمن اعتامك من اعراب قومك فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة لئن كان ذلك حقا
لتجدن بك على هوانا ولتخفن عندى ميزانا فلا تستهن بحق ربك ولا تصلح دنياك بمحق دينك فتكون من الاخسرين اعمالا
الا وان حق من قبلك وقبلنا من المسلمين فى قسمة هذا الفىء سواء يردون عندى عليه ويصدرون عنه والسلام
اقول اعتامك اختارك من بين الناس ونقم عليه بما بلغه من الامر الصادر عنه اجمالا ليتنبه له واشعره انه امر مكروه مما
يلزمه وهو سخط الهه وغضب امامه ونبه بقوله ان كنت فعلته على انه لم يتحققه لذلك ثم بين له ذلك وهو عطاؤه مال المسلمين
لمن اختاره رئيسا من اعراب قومه ووصف لك الفىء بكونه حيازة رماحهم وخيولهم وعليه اريقت دماؤهم ليتاكد فى النفوس
ويبين وجه استحقاقهم له ويبعد ذلك منا كقبح قسمته فى غيرهم ثم اقسم قسم البغا فى معرض الوعيد ان كان ذلك منه حقا ان يجده
به هوان ويخف ميزانه عنده ويخف وزنه فى اعتباره وكنى به عن صغر منزلته ونبه انه ضد على التمييز ثم نهاه عن استهانته بحق ربه وعن
اصلاح دنياه بمحق دينه تنبيها على عظمة الله ووجوب المحافظة على طاعته ونبهه على ما يلزم من ذلك من دخوله فى زمرة الاخسرين اعمالا
الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ثم نبهه على قبح ما فعل من تخصيص قومه بذلك المال بقوله الا
ان الى قوله سواء وهو فى قوة صغرى ضمير وقوله يردون اليه ويصدرون عنه تاكيد لتساويهم فى الاستحقاق وانه لهم
كالشريعة المشتركة وتقدير كبراه وكل حق سواء بين المسلمين فلا يجوز تخصيص بعضهم به وقد ذكرنا حال مصقلة من قبل وبالله التوفيق
ومن كتاب له عليه السلم الى زياد بن ابيه وقد بلغه ان معوية كتب اليه يريد خديعته باستلحاقه وقد عرفت ان معوية
كتب اليك يستزل لبك ويستفل غربك فاحذره فانما هو الشيطان ياتى المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن المومن
شماله ليقتحم غفلته ويستلب غرته وقد كان من ابى سفيان فى زمن عمر بن الخطاب فلتة من حديث النفس ونزغة من
نزغات الشيطان لا يثبت بها نسب ولا يستحق بها ارث والمتعلق بها كالواغل المدفع والنوط المذبذب فلما قرأ زياد
الكتاب قال شهد بها ورب الكعبة ولم يزل فى نفسه حتى ادعاه معوية قوله ع كالواغل المدفع الواغل هو الذى يهجم
على الشرب ليشرب معهم وليس منهم فلا يزال مدفعا محاجزا والنوط المذبذب هو ما يناط برحل الراكب من قعب او قدح
او ما اشبه ذلك فهو ابدا يتقلقل اذا حث ظهره واستعجل سيره **اقول** زياد هذا هو دعى ابى سفيان ويقال زياد بن عبيد
فمن الناس من يقول عبيد بن فلان الثقفى والاكثرون على ان عبيدا كان عبدا وانه بقى الى ايام زياد فابتاعه واعتقه واما ادعاء ابى سفيان له فمن الناس من يقول ابن سمية
فروى انه تكلم يوما بحضرة عمر فاعجب الحاضرين كلامه فقال عمرو بن العاص لله لو كان ابوه من قريش لساق العرب بعصاه فقال اما والله
انه لقرشى ولو عرفته لعرفت انه من خير اهلك فقال ومن ابوه فقال انا والله وضعته فى رحم امه فقال فهلا تستلحقه فقال اخاف هذا
العير الجالس ان يخرق على اهابى يعنى عمر ولما ولى على ع الخلافة ولى زيادا فارس فضبطها ضبطا صالحا وحماها فكتب اليه معوية يخدعه منبطا
باستلحاقه اخاه من امير المؤمنين معوية بن ابى سفيان الى زياد اما بعد فان المرء ربما طرحه الهوى فى مطارح العطب وانك للمرء المضروب
به المثل قاطع الرحم وواصل العدو وحملك سوء ظنك بى وبغضك لى على ان عققت قرابتى وقطعت رحمى وبتت نسبى وحرمتى
كانك لست اخى وليس صخر بن حرب اباك وابى وشتان ما بينى وبينك اطلب بدم ابن ابى العاص وانت تقاتلنى ولكن ادركك عرق

الرخاوة من قبل النساء فكنت كتاركة بيضها بالعراء وملحفة بيض اخرى جناحا وقد رأيت ان اعطف عليك ولا اواخذك بسوء سعيك
وان اصل رحمك وابتغى الثواب فى امرك واعلم ابا المغيرة انك لو خضت البحر فى طاعة القوم فضربت بالسيف حتى ينقطع متنه لما ازددت
منهم الا بعدا فان بنى عبد شمس ليبغض الى بنى هاشم من الشفرة الى الثور الصريع وقد اوثق للذبح فارجع رحمك الله الى اصلك وصل
قومك ولا تكن كالموصول يطير بريش غيره فقد اصبحت ضال النسب ولعمرى ما فعل ذلك بك الا اللجاج فدعه عنك فقد اصبحت
على بينة من امرك ووضوح من حجتك فان احببت جانبى ووثقت بى فامرة بامرة وان كرهت جانبى ولم تثق بقولى ثم تثق بقولى
ففعل جميل لا على ولا لى والسلم وحمل الكتاب مع المغيرة بن شعبة الثقفى وكان ذلك سبب شهادة على الحسن بعد على ع وانضمامه الى معوية
ولما بلغ عليا ع ذلك كتب اليه اما بعد فانى وليتك ما وليتك وانا اراك لذلك اهلا وقد عرفت ان معوية الى آخر الكتاب والمرجع
الى المتن فقوله غرب السيف حده والاستفلال طلب الفل وهو ثلم الحد ومدار الكتاب على اعلامه بما علم من كتاب معوية اليه ثم تنبيهه
على قصده من ذلك الكتاب وهو ان يستزل عقله ويشغله عما هو عليه من الراى الصحيح فى نصرة الحق وولائه ع ويكسر حدته
فى ذلك واستعار لفظ الغرب لعقله ورايه ولفظ الاستفلال لطلب صرفه عن ذلك الراى الصالح ملاحظة لشبهه بالسيف ثم
حذره عنه بقوله فانما هو الشيطان باعتبار وسوسته وصده عن الحق على وجه التشبيه بقوله ياتى الانسان الى قوله شماله وهو
كقوله تعالى لآتينهم من بين ايديهم الى قوله شمائلهم اى انه ياتى الانسان من كل جهة كما ياتى الشيطان وخص الجهات الاربع
لانها الجهات التى يعتاد الاتيان منها وقال بعض المفسرين من بين ايديهم يطمعهم فى العفو ويغريهم بالعصيان ومن خلفهم يذكرهم
مخلفيهم ويحسن لهم جمع المال وتركه لهم وعن ايمانهم يحسن لهم الرياسة والثناء وعن شمائلهم اللهو واللذات وعن شقيق قال ما
من صباح الا ويقعد لى الشيطان على اربعة مراصد من بين يدى فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ انى لغفار لمن تاب
وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى واما من خلفى فيخوفنى الضيعة على من خلفى فاقرأ وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها واما
من قبل يمينى فيأتينى من جهة الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالى فيأتينى من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم
وبين ما يشتهون ثم نبهه على وجه فساد حيلة معوية وذلك ان معوية انما اراد استغفاله باستلحاقه اياه اخا فنبهه ع
على ان ذلك الاستلحاق انما يبتنى على استلحاق ابى سفيان له ابنا ولم يصح ذلك لدعوى وانما كان قوله انا كذا وكذا فلتة
من حديث النفس وقع منه من غير تثبت ولا روية واقراره بالزنا فى قوله انا وضعته فى رحم امه وذلك نزغة من نزغات الشيطان
القاها على لسانه فلا يثبت بها نسب ولا يستحق بها ارث لقوله ع الولد للفراش وللعاهر الحجر ثم شبه المتعلق فى نسبه بها الى الفلتة
والنزغة بالواغل المدفع ووجه الشبه كونه لا يزال مدفعا وبالنوط المذبذب ووجه الشبه اضطراب امره وعدم ثبوت نسبه
معين واستقراره كما يضطرب النوط ولا يستقر وبالله التوفيق **ومن كتاب له ع** الى عثمان بن حنيف الانصارى وكان عامله على
البصرة وقد بلغه انه دعى الى وليمة قوم من اهلها فمضى اليها اما بعد يا ابن حنيف فقد بلغنى ان رجلا من فتية اهل
البصرة دعاك الى مادبة فاسرعت اليها وكرت عليك الجفان بثريدها فاكرعت ثم عطفت على اللحم فاكلته اكل
بثيم قرم ونهشته نهشة نهش ضبع هرم تستطاب لك الالوان وتنقل اليك الجفان ما ظننت انك تجيب الى طعام قوم
عائلهم مجفو وغنيهم مدعو فانظر الى ما تقضمه من هذا المقضم فما اشتبه عليك علمه فالفظه وما ايقنت بطيب وجوهه
فنل منه الا وان لكل ماموم اماما يقتدى به ويستضىء بنور علمه الا وان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه
الا وانكم لا تقدرون على ذلك ولكن اعينونى بورع واجتهاد وعفة وسداد فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا ولا ادخرت
من غنائمها وفرا ولا اعددت لبالى ثوبى طمرا بلى كانت فى ايدينا فدك من كل ما اظلته السماء فشحت عليها نفوس
قوم وسخت عنها نفوس آخرين ونعم الحكم الله وما اصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها فى غد جدث تنقطع فى ظلمته
آثارها وتغيب اخبارها وحفرة لو زيد فى فسحتها واوسعت يدا حافرها لاضغطها الحجر والمدر وسد فرجها التراب قعره
المتراكم وانما هى نفسى اروضها بالتقوى لتاتى آمنة يوم الخوف الاكبر وتثبت على جوانب المزلق ولو شئت لاهتديت الطريق وشئت صح
الى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ولكن هيهات ان يغلبنى هواى ويقودنى جشعى الى تخير
الاطعمة ولعل بالحجاز او باليمامة من لا طمع له فى القرص ولا عهد له بالشبع او ابيت مبطانا وحولى بطون غرثى واكباد
حرى او اكون كما قال القائل شعر وحسبك داء ان تبيت ببطنة وحولك اكباد تحن الى القد اأقنع من نفسى بان يقال
امير المؤمنين ولا اشاركهم فى مكاره الدهر او اكون اسوة لهم فى جشوبة العيش فما خلقت ليشغلنى اكل الطيبات كالبهيمة
المربوطة همها علفها او المرسلة شغلها تقممها تكترش من اعلافها وتلهو عما يراد بها او اترك سدى او اهمل عابثا او
اجر حبل الضلالة او اعتسف طريق المتاهة وكانى بقائلكم يقول اذا كان هذا قوت ابن ابى طالب فقد قعد به الضعف

برباه وسمعه وان وزاه محبتها وجمعها وادخارها خصوصا وهو امام الوقت وخليفة الارض بعده بانواع بما افاء الله على المسلمين منها انه لم يوخذ منه الا قوت وشبهه في القلة والحقارة بقوت الاتان الدبرة وخصها الان ضعفها بالدبر وشغلها بالمه يقلل قوتها ثم بالغ في وصف حقارة دنياه عنده فاخبر انها في نظره واعتباره اهون من عفصة مرة وظاهر ان من كان كذلك كيف يتصور محبته للدنيا وعمله لها الثاني انه لما قال فما اتمم عليه من الدنيا ولا احزن من ارضها شبرا استثنى من ذلك فدك بقوله بلى في ايدينا كانت لنا فدك من كل ما اظلته السماء وذكرها في معرض حكاية حاله وحال القوم معه على سبيل التشكي والتظلم ممن اخذها منهم الى الله سبحانه وتسليم الامر له والرضا بكونه حكما واعلم ان فدك كانت خاصة لرسول الله ص وذلك انه لما فرغ من امر خيبر قذف الله في قلوب اهل فدك الرعب فبعثوا الى النبي ص يصالحونه على النصف فقبل ذلك منهم فكانت له خاصة اذ لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب وروى انه صالحهم على كلها ثم المشهور بين الشيعة والمتفق عليه عندهم ان رسول الله ص اعطاها فاطمة ع ورووا ذلك من طرق مختلفة منها عن ابي سعيد الخدري قال لما انزلت وآت ذا القربى حقه اعطى رسول الله ص فاطمة ع فدك فلما تولى ابو بكر الخلافة عزم على اخذها منها فارسلت اليه تطالبه بميراثها من رسول الله ص وتقول انه اعطاني فدكا في حياته واستشهدت على ذلك عليا ع وام ايمن فشهدا لها بها فاجابها عن الميراث بخبر رواه هو نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة وعن دعوى فدك انها لم تكن للنبي ص وانما كانت مالا للمسلمين في يده يحمل به الرجال وينفقه في سبيل الله وانا اليه كما كان يليه فلما بلغها ذلك لاثت خمارها واقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ في ذيولها حتى دخلت عليه ومعه حفل من المهاجرين والانصار فضربت بينها وبينهم قبطية ثم انت انة اجهش لها القوم بالبكاء ثم امهلت طويلا حتى سكنوا من فورتهم وقالت ابتدى بحمد من هو اولى بالحمد والطول والمجد الحمد لله على ما انعم وله الشكر بما الهم ثم خطبت خطبة طويلة قالت في آخرها فاتقوا الله حق تقاته واطيعوه فيما امركم فانما يخشى الله من عباده العلماء واحمدوا الله الذي بعظمته ونوره يبتغي من في السموات ومن في الارض اليه الوسيلة ونحن وسيلته في خلقه ونحن خاصته ومحل قدسه ونحن حجته في غيبه ونحن ورثة انبيائه ثم قالت انا فاطمة بنت محمد اقول عودا على بدء ما اقول ذلك سرفا ولا شططا فاسمعوا باسماع واعية وقلوب راعية ثم قالت لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تعزوه تجدوه ابي دونكم واخا ابن عمي دون رجالكم ثم قالت ثم انتم تزعمون ان لا ارث لنا افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون ايها معشر المسلمين ابتز ارث ابيه أبى الله ان ترث يا ابن ابي قحافة اباك ولا ارث ابي لقد جئت شيئا فريا فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم قال ثم التفتت الى قبر ابيها فتمثلت بقول هند بنت اثاثة قد كان بعدك انباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب ابدت رجال لنا نجوى صدورهم لما قضيت وحالت دونك الكتب تجهمنا رجال واستخف بنا اذ غبت عنا فنحن اليوم نغتصب قال فلم ير الناس اكثر باكيا وباكية منهم يومئذ ثم عدلت الى مسجد الانصار فقالت يا معشر الانصار واعضاد الملة وحضنة الاسلام ما هذه الفترة عن نصرتي والونية عن معونتي والغمزة في حقي والسنة عن ظلامتي اما قال رسول الله ص المرء يحفظ في ولده سرعان ما احدثتم وعجلان ما اتيتم الان مات رسول الله ص امتم دينه ها ان موته لعمري خطب جليل استوسع وهيه واستبهم فتقه وفقد راتقه واظلمت الارض له وخشعت الجبال واكدت الامال اضيع بعده الحريم وهتكت الحرمة واذيلت المصونة وتلك نازلة اعلن بها كتاب الله قبل موته وانبأكم بها قبل وفاته فقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ايها بني قيلة اهتضم تراث ابيه وانتم بمرأى ومسمع تبلغكم الدعوة ويشملكم الصوت وفيكم العدة والعدد ولكم الدار والجنن وانتم نخبة الله الذي انتجب وخيرة الله التي اختار فادتيم العرب وناديتم الامور وكافحتم البهم حتى دارت بكم رحى الاسلام ودر حلبه وخبت نيران الحرب وسكنت فورة الشرك وهدأت دعوة الهرج واستوثق نظام الدين فاخرتم بعد الاقدام ونكصتم بعد الشدة وجبنتم بعد الشجاعة عن قوم نكثوا ايمانهم من بعد ايمانهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون الا وقد ارى ان قد اخلدتم الى الخفض وركنتم الى الدعة وجحدتم الذي وعيتم وسغتم الذي سوغتم وان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد الا وقد قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم وخور القناة وضعف اليقين فدونكموها فاحتقبوها مدبرة الظهر ناقبة الخف باقية العار موسومة الشنار موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فبعين الله ما تعملون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون ثم رجعت الى بيتها واقسمت ان لا تكلم ابا بكر ولتدعون الله عليه ولم تزل كذلك حتى حضرتها الوفاة فاوصت ان لا يصلي عليها فصلى عليها العباس ودفنت ليلا وروي انه لما سمع كلامها حمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال يا خيرة النساء وابنة خير الاباء والله ما عدوت رأي رسول الله ص ولا عملت الا بامره وان الرائد لا يكذب اهله قد قلت فابلغت واغلظت فاهجرت فغفر الله

عن قتال الاقران ومنازلة الشجعان الا وان الشجرة البرية اصلب عودا والروايع الخضرة ارق جلودا والنابتات البدية اقوى وقودا وابطأ خمودا وانا من رسول الله صلى الله عليه وآله كالصنو من الصنو والذراع من العضد والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها ولو امكنت الفرص من رقابها لسارعت اليها وساجهد في ان اطهر الارض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد اليك عني يا دنيا فحبلك على غاربك قد انسللت من مخالبك وافلت من حبائلك واجتنبت الذهاب في مداحضك اين القرون الذين غررتهم بمداعبك اين الامم الذين فتنتهم بزخارفك فها هم رهائن القبور ومضامين اللحود والله لو كنت شخصا مرئيا وقالبا حسيا لاقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالاماني والقيتهم في المهاوي وملوك اسلمتهم الى التلف واوردتهم موارد البلاء اذ لا ورد ولا صدر هيهات من وطئ دحضك زلق ومن ركب لججك غرق ومن ازور عن حبائلك وفق والسالم منك لا يبالي ان ضاق به مناخه والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه اعزبي عني فوالله لا اذل لك فتستذليني ولا اسلس لك فتقوديني وايم الله يمينا استثني فيها بمشية الله لاروضن نفسي رياضة تهش معها الى القرص اذا قدرت عليه مطعوما وتقنع بالملح مادوما ولادعن مقلتي كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها اتمتلي السائمة من رعيها فتبرك وتشبع الربيضة من عشبها فتربض ويأكل علي من زاده فيهجع قرت اذا عينه اذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية طوبى لنفس ادت الى ربها فرضها وعركت بجنبها بؤسها وهجرت في الليل غمضها حتى اذا غلب الكرى عليها افترشت ارضها وتوسدت كفها في معشر اسهر عيونهم خوف معادهم وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم وهمهمت بذكر ربهم شفاههم وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم اولئك حزب الله فاتق الله يا ابن حنيف ولتكفك اقراصك ليكون من النار خلاصك **اقول** المادبة بالضم الطعام يدعى اليه والعائل الفقير والقضم الاكل باطراف الفم والطمر الثوب الخلق والوفر المال الكثير والمعرفة المرق وفدك اسم قرية كانت لرسول الله ص والجدث القبر واضغطها اضيقها والقمح الحنطة والنساج جمع نسيجة بمعنى منسوجة والجشع اشد الحرص على الطعام والمبطان عظيم البطن لكثرة الاكل وغرثى جائعة والبطنة الكظة وهي الامتلاء من الطعام والتقمم تتبع القمامة وهي الكناسة وتكترش تملأ كرشها والسدى الملقى المهمل والرائع الآخذ التي تروع ضفادعها والعذبة لا ارض بعينها الاماء المطر والمركوس المردود مقلوبا كالمنكوس والمداحض المزالق والازور اخذ جانبا واعزبي ابعدي يقال عزب الرجل بالفتح اذا بعد وسلس انقاد بكسر اللام في المستقبل سهل قياده والرياضة التاديب والتعويد والربيضة الجماعة من الغنم وتجافت اي نبت وارتفعت والهمهمة الصوت الخفي وفي الكتاب مقاصد الاول اشار الى ما يريد عتابه عليه وهو اجابته الى المأدبة مسرعا تستطاب له الالوان وتنقل اليه الجفان واعلمه بلغه ذلك تقريرا له ليحسن توبيخه وذلك في قوله اما بعد الى قوله الجفان الثاني اشار على وجه المعاتبة الى الخطيئة في ذلك بقوله وما ظننت انك تجيب الى كذا اي كان ظني فيك من الورع ان تتنزه بنفسك عن الاجابة الى طعام قوم لا يلتفتون الى فقرائهم ويقصرون الدعوة والكرامة على اغنيائهم ووجه الخطاء في اجابة هؤلاء ان تخصيصهم الاغنياء دون الفقراء بالكرامة والدعوة دليل واضح على انهم انما يريدون بذلك الدنيا والسمعة والرياء دون وجه الله ومن كان كذلك فاجابته موافقة له على ذلك ورضى بفعله وذلك خطأ كبير خصوصا من امراء الدين المتمكنين من انكار المنكرات الثالث امره ان يحترز فيما يتفق له ان يقع فيه من ذلك بالنظر الى ما يحضر من الطعام فما وجد فيه شبهة حرام ولم يحقق حاله فليتركه وما يتيقن حله وطيب وجه كسبه ببراءة عن الشبهة فينال منه وكنى عنه بالقضم تحقيرا له وتقليلا ليفهم منه تجنب الناس الادب الاولى ان التنزه عن هذا المباح افضل له من تناوله الرابع نبهه بعد ذلك بقوله الا وان الى قوله علمه على انه له اماما يجب ان يقتدى به وهو تمثيل في قوة قياس كامل حذفت صغراه فاصل التمثيل مطلق الامام والماموم وعلته كونهما اماما وماموما وفرعه هو وعامله وحكمه وجوب الاقتداء وتقدير القياس انك ماموم لامام وكل ماموم لامام فيجب عليه ان يقتدي بامامه ينتج انه يجب عليك ان تقتدي بامامك وتستضيء بنور علمه الخامس اردف ذلك بالتنبيه على ما يجب ان يقتدي به فيه من حاله في دنياه وهو اكتفاؤه من ملبوسها بما يستر بدنه من طمريه ومن مطعومها بما يسد به فورة جوعه من قرصيه غير ملتفت فيما لديه الى نسبه فان طمريه كانا نحو عمامة ومدرعة فقط استحبابا من رافعها ولا مكترث فيما طعم بلذة وطيب فان قرصيه كانا من شعير غير منخول واحد بالغداة وواحد بالعشي السادس نبه على ان رياضته تلك لا تستطاع لهم فانها قوة مشروطة باستعداد لم يصلوا اليه ثم امرهم اذ كانت الحال كذلك ان يقصروا بعون على انفسهم ورياضتها بالورع واراد به هنا الكف عن المحارم ثم بالاجتهاد في الطاعة ويحتمل ان يريد بالورع لزوم الاعمال الجميلة ثم الاجتهاد فيها السابع نبه بالقسم البار على ترك ما عساه يعرض لبعض الاذهان الفاسدة في حقه ان زهده في الدنيا مشوب

لنا ولك اما بعد فقد دفعتها رسول الله ص وذريته وجدها الى علي ع واما ما سوى ذلك فاني سمعت رسول الله ص يقول انا معاشر
الانبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا ارضا ولا عقارا ولا دارا ولكنا نورث الايمان والحكمة والعلم والسنة وقد عملت بما امرني
ونصحت فقالت ان رسول الله ص قد وهبها لي قال فمن يشهد بذلك فجاء علي بن ابي طالب ع وام ايمن فشهدا لها بذلك فجاء عمر بن
الخطاب وعبد الرحمن بن عوف فشهدا ان رسول الله ص يقسمها فقال ابو بكر صدقت يا ابنة رسول الله وصدق علي وصدقت
ام ايمن وصدق عمر وصدق عبد الرحمن وذلك ان لك ما لابيك كان رسول الله ص يأخذ من فدك قوتكم ويقسم الباقي ويحمل
منه في سبيل الله ولك على الله ان اصنع بها كما كان يصنع فرضيت بذلك واخذت العهد عليه به وكان يأخذ غلتها فيدفع اليهم
منها ما يكفيهم ثم فعلت الخلفاء بعده كذلك الى ان ولي معوية فاقطع مروان ثلثها بعد الحسن ع ثم خلصت له في خلافته وتداولها
اولاده الى ان انتهت الى عمر بن عبد العزيز فردها في خلافته على اولاد فاطمة ع فقالت الشيعة فكانت اول ظلامة ردها وقالت السنة
بل استخلصها في ملكه ثم وهبها لهم ثم اخذت منهم بعده الى ان انقضت دولة بني امية فردها عليهم ابو العباس السفاح ثم قبضها المنصور
فردها ابنه المهدي ثم قبضها ولداه موسى وهرون فلم تزل في ايدي بني العباس الى زمن المأمون فردها اليهم وبقيت الى عهد المتوكل
فاقطعها عبد الله بن عمر البازيار وروي انه كان فيها احدى عشرة نخلة غرسها رسول الله ص بيده فكانت بنو فاطمة يهدون ثمرها
الى الحجاج فيصلونهم عن ذلك بمال جليل فبعث البازيار رجلا فصرمها وعاد الى البصرة ففلج وفي هذه القصة خبط كثير بين الشيعة ومخالفيهم
ولكل من الفريقين كلام طويل ولنرجع الى المتن فنقول اشار بالنفوس التي شحت بها الى ابي بكر وعمر واتباعهما وبالنفوس التي سخت بها الى
وجوه بني هاشم ومن مال ميلهم التاسع استفهم عما يصنع بفدك وغيرها من القينات الدنيوية استفهام انكار لوضوح حاجته اليها وسلبه
عنها وجذب باله عن الدنيا الى الاعمال الصالحة بذكر غاية النفوس منها وهي صيرورتها الى الجدث ولوازم تلك الغاية من انقطاع الآثار نفسه
عنه الاخبار فيها وسائر ما عدده من صفات الجدث وانما عدد هذه الامور لان الاوهام تنفر عنها وتخشع القلوب لذكرها فتفزع
الى الله تعالى وتنجذب الى الاعمال الصالحة التي بها الخلاص من اهوال الموت وما بعده والواو في قوله والنفس للحال العاشر انه نبه
على ان فدك وغيرها من قينات الدنيا لا حاجة له بها اشار الى حصر حاجته وغايته لنفسه وهي رياضتها بالتقوى والضمير كهو في قوله
فيما سبق وانما هي لكونه والتقدير وانما همي وطلبتي رياضة نفسي بالتقوى واعلم ان رياضة النفس تعود الى نهيها عن هواها وامرها بطاعة
مولاها وهي مأخوذة من رياضة البهيمة وهي منعها عن الاقدام على حركات غير صالحة لصاحبها ولا موافقة لمراده وتمرينها على ما يوافق
مراده من الحركات والقوة الحيوانية التي هي مبدأ الادراكات والافاعيل الحيوانية في الانسان اذا لم يكن لها طاعة القوة العاقلة ملكة
كانت بمنزلة بهيمة لم ترض فهي تتبع الشهوة تارة والغضب اخرى وتغلب احوالها ان تخرج في حركاتها عن العدل الى احد طرفي الافراط والتفريط
بحسب الدواعي المختلفة المتخيلة والمتوهمة ويستخدم القوة العاقلة في تحصيل مراداتها فتكون هي امارة والعاقلة مؤتمرة لها اما اذا
راضتها القوة العاقلة ومنعتها عن التخيلات والتوهمات والاحساسات والافاعيل المثيرة للشهوة والغضب ومرنتها على ما تقتضيه
العقل العملي وادبتها على طاعته بحيث تأتمر بامره وتنتهي بنهيه كانت عقلية مطمئنة لا تفعل افعالا مختلفة المبادي وكانت باقي
القوى مؤتمرة مسالمة لها اذا عرفت ذلك فنقول لما كان الغرض الاقصى من الرياضة انما هو نيل الكمال الحقيقي وكان ذلك موقوفا
على الاستعداد له وكان حصول ذلك الاستعداد موقوفا على زوال الموانع الخارجية والداخلية كان للرياضة اغراض ثلثة
احدها حذف كل محبوب ومرغوب عدا الحق الاول سبحانه عن درجة الاعتبار وسنن الايثار وهي الموانع الخارجية والثاني تطويع
النفس الامارة للنفس المطمئنة لينجذب التخيل والتوهم عن الجانب السفلي الى العلوي ويتبعهما سائر القوى فيزول الدواعي الحيوانية
المذكورة وهي الموانع الداخلية الثالث بعث السر وتوجيهه الى الجنبة العالية لتلقي السوانح الالهية وتهيئته لقبولها ويعين على الغرض الالهية
الاول الزهد الحقيقي وهو الاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها بالقلب وعلى الثاني العبادة المشفوعة بالفكر في ملكوت السموات و
الارض وما خلق الله من شيء وعظمة الخالق سبحانه والاعمال الصالحة المنوية لوجهه خالصا وعبر بالتقوى التي روض بها نفسه عن هذه
الامور المعينة والاسباب المعدة ونبه على غرضه الاقصى من الرياضة وهو الكمال الحقيقي واللذة بذكر بعض لوازمه وهي ان يأتي نفسه امنة
من الفزع يوم الخوف الاكبر وهو يوم القيمة وان يثبت على جوانب المزلق وهو الصراط المستقيم فلا تميل به الدواعي المختلفة عنه الى ابواب
جهنم ومهاوي الهلاك واستعار لفظ المزالق لمظان زلل اقدام العقول عن الطريق الى الله وجذب الميول الشهوية والغضبية عنها الى الرذائل
الموبقة العاشر نبه على ان زهده في الدنيا واقتصاره منها على الطمرين والقرصين وترك ما سوى ذلك ليس عن عجز عن تحصيل طيبات
مطعومها وملبوسها وانه لو شاء لاهتدى الى تحصيل تلك الطيبات ولباب القمح ومصفى العسل لان الهدية والعسل من اشهر
الطيبات بمكة والحجاز وانما تركها مع القدرة عليه رياضة لنفسه واعدادا لها لتحصيل الكمالات الباقية واستثنى هنا نقيض المقدم
وهو عدم غلبة هواه له وعدم قود جشعه له الى تخير الاطعمة ونبه على ذلك العدم بقوله هيهات فان ما استبعد وقوعه من نفسه

وانكره

وانكره فقد نفاه عنها وحكم ببعده واما ان ذلك العدم هو نقيض الملزوم بعينه فلان الملزوم هنا هو الميل الى تخير الطيبات وغلبة الهوى
المعقول على مقتضى رأيه في تركها والتنزه عنها وقود الشهوة له الى الموافقة على استعمالها والمستثنى ههنا هو عدم ذلك بعينه واما جواز استثناء
نقيض المقدم فلان مشيئته تلك شرط مساو لتخير الطيبات والاهتداء اليها وكان عدمه مستلزما لعدم مشروطه واكثر استعمال لو في لغة
العرب على وجدان الملزوم علة للانتفاء او شرطا مساويا له ويستثنى نقيض الملزوم والواو في قوله ولعل للحال اي هيهات ان يغلبني هواي الى
تخير الاطعمة حال ما يحتمل ان يكون بالحجاز واليمامة من هو بصفة كذا وقوله او ابيت عطف على يقودني داخل فيما استبعده من نفسه و
الواو في قوله وحولي للحال والعامل ابيت وكذلك قوله او ان اكون عطف على ابيت وهما لازمان من لوازم نتيجة القياس الاستثنائي
فان عدم ارادته لتخير الطيبات لما استلزم هنا عدم تناولها والاستمتاع بها استلزم ذلك ان لا يبيت مبطانا وحوله اكباد جائعة يبيت ؛ د
وان لا يكون قد رضي بذلك والبيت تمثيل غرضه التنفير عن العار اللازم عن الاستمتاع بالطيبات مع وجود ذوي الحاجة الى اليسير قطعا
ونبه على حسن هذه اللوازم بما قارن نقائضها من الاحوال المذكورة والبيت لحاتم بن عبد الله الطائي من قطعة اولها ايا ابنة
عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس الهند اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له اكيلا فاني لست آكله وحدي قصيا بعيدا
او قريبا فانني اخاف مذمات الاحاديث من بعدي كفى بك عارا ان تبيت ببطنة وحولك اكباد تحن الى القد واني لعبد الضيف
ما دام ثاويا وما في الا تلك من شيمة العبد وروي حسبك داء واطلق عليه اسم الداء باعتبار انه رذيلة تنفر عنه ويروى قوله او ابيت وقوله
او اكون مرفوعين والوجه فيه ان لا يكون او حرف عطف بل تكون الهمزة للاستفهام والواو بعدها متحركة كالتي في قوله افاصفيكم ربكم
بالبنين ويكون استفهام انكار لبيانه مبطانا ولكونه كما قال القائل وكذلك الاستفهام في قوله اقنع من نفسي في معرض الانكار لرضاء
نفسه بان يدعى امير المؤمنين ولا يشاركهم في مكاره الدهر وخشونة المطعم والواو في قوله ولا للحال واو اكون عطف على اشاركهم في حكم
النفي الحادي عشر نبه على بعض العلل الحاملة له على ترك الطيبات والزهد في الدنيا وهو كونه لم يخلق ليشغله اكل الطيبات عما اريد منه
وذلك في قوله فما خلقت الى قوله المتاهة ونفر عن الاشتغال باكل الطيبات بذكر ما يلزم المشتغل بذلك من مشابهة البهيمة واشار
الى وجه الشبه بقوله همها علفها الى قوله يراد بها وذلك ان المشتغل بها ان كان غنيا اشبه البهيمة المعلوفة في اهتمامه بما يعلفه
من طعامه الحاضر وان كان فقيرا كان اهتمامه بما يكتسبه ويتقممه من حطام الدنيا ثم تلبيقه وبالاكرش مع غفلته عما يراد منه كالسائمة
التي همها الاكتراش ثم تقممه من الكناسات مع غفلتها عما يعمل بها من حالها ويراد بها من ذبح واستخدام واستعار لفظ الحبل وجره وكنى
بذلك عن الاهمال والارسال كالارسال للبهيمة الثاني عشر اشار الى بعض ما عساه يعرض للاذهان الضعيفة من الشبهة وهي اعتقاد
ضعفه عن قتال الاقران بسبب ذلك القوت الزهيد وذلك بقوله وكاني الى قوله الشجعان ثم نبه على الجواب عن ذلك من خمسة اوجه الاول
التمثيل بالشجرة البرية وقياس نفسه عليها في القوة فالاصل هو الشجرة البرية والفرع هو ع والمشترك الجامع بينهما هو قلة الغذاء وخشونة
المطعم كقلة غذاء الشجرة البرية وسوء عيشها والحكم عن ذلك هو صلابة اغصانها وقوتها كصلابة عود الشجرة البرية وقوتها وذلك دافع
للشبهة المذكورة الثاني تمثيل خصومه واقرانه كمعوية بالروائع الخضرة وهي الاصل في هذا التمثيل والفرع هو خصومه واقرانه والمشترك الجامع
بينهما هو الخضرة والنضارة الحاصلة عن الترفه ولين المطعم والحكم اللازم عن ذلك هو رقة الجلود ولينها والضعف عن المقاومة وقلة الصبر
على المنازلة والميل الى الدعة والرفاهية والغرض ان يعلم كون اقرانه اضعف منه فيندفع الشبهة الثالث تمثيله بالنابتات العذبة
وهو كتمثيله بالشجرة البرية والحكم هنا هو كونه اقوى على سعير نار الحرب واصبر على وقدها وابطأ خمودا منها وخمودا كالنابتات العذبة
في النار الرابع تمثيله نفسه من رسول الله ص بالضوء من الضوء واصل هذا التمثيل هو الضوء من الضوء وفرعه نسبة نفسه من رسول الله ص
وعلته الجامعة هي كون علومه وكمالاته النفسانية المشرقة مستفادة ومقتبسة من مصباح علم النبوة وكمالاتها كالمعلول من العلة و
المضيء من الشعلة الخامس تمثيله منه ص بالذراع من العضد والاصل فيه الذراع مع نسبته الى العضد والفرع هو ع منسوبا الى رسول الله ص
والعلة الجامعة هي قربه منه وتقويه به وكونه ظهيرا له ووسيلة الى حصول مقصوده من نظام الدين وكماله وكون الرسول ص اصلا في ذلك
كقرب الذراع من العضد وكون العضد اصلا له وكون الذراع وسيلة الى التصرف والبطش بالعضد والحكم في هذين التمثيلين واحد
وهو كونه ع لا يضعف عن قتال الاقران ومنازلة الشجعان ووجه لزوم هذا الحكم عن المشترك الاول انه لما كانت علومه اليقينية
وبصيرته في الدين مناسبة لبصيرة رسول الله ص كان اعظم الناس شجاعة وقوة على قتال الاقران حمية للدين وكذلك عن المشترك الثاني ثم لما كانه
اثبت ذلك الحكم ونفى عنه الضعف الذي توهم فيه اكد ذلك بالقسم البار انه لو تظاهرت العرب على قتاله لما ولى عنها ولو امكنت الفرصة من رقابها
ليسارع اليها اي حين القتال واستحقاقهم للقتل بعداوتهم للدين وقبح العفو عنهم ملاحظة لتشبهه برسول الله ص في ذلك في مبدا
الاسلام فانه لم يكن ليضع العفو الا في موضعه وروي انه قتل في يوم واحد الفا ثان صبرا في مقام واحد لما راى في ذلك مصلحة من دم
الدين الثالث عشر توعد ان يجتهد في تطهير الارض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس واراد معوية وانما قال شخصا وجسما

ترجيحا لجانب الباقي على النفس باعتبار عنايته بكمال بدنه دون كمال نفسه فكانه جسم وشخص فقط واشار بكونه معكوسا الى التفاته عن الجنبة العالية
وانتكاسه عن تلقي الكمالات الروحانية الى الجنبة السافلة وانتكاسه في الدنيا وانعكاس وجه عقله الى تحصيل لذاتها والاعتناء بجمعها
فان غرض العناية الالهية من خلق الانسان ان يترقى في مدارج الكمال بعد حفظ فطرته الاصلية عن الدنس برذائل الاخلاق فاذا اخذ
دواعي النفس الامارة الى الدنيا وعزته بحبها حتى الفتنا البهائم بل اخسّ في دركات محبتها وبحسب ذلك يكون انتكاسه عن مراتب الكمال
وارتكاسه في الرذائل ومهاوي الضلال وتقييده فيها بالسلاسل والاغلال وقوله حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد استعار لفظ المدرة
لمعونة وحب الحصيد للمؤمنين ووجه المشابهة انه مخلص المؤمنين من وجود معونة بينهم ليزكوا ايمانهم ويستقيم دينهم اذ كان وجوده بينهم
سببا عظيما لفساد عقائدهم وهلاك دينهم كما يفعل اهل البناء درء من تصفية الغلال واخراج ما يشوبها ويفسدها من المدر وغيره وقال
الشارح عبد الحميد بن ابي الحديد كان الزراع يجتهدون في اخراج المدر والحجر والشوك ونحوه من بين الزرع كيلا يفسد منابته ويفسد
ثمرته وفيه نظر لانه لا معنى لاخراج الطين من الزرع ولان لفظ حب الحصيد لا يفهم منه ذلك الرابع عشر تمثيل الدنيا بصورة من يعقل
خاطبها بخطاب العقلاء ليكون ذلك اوقع في النفوس لغرابته ثم امرها بالتنحي والبعد عنه كالمطلق لها وحبلك على غاربك كناية
عن الطلاق بتمثيل واصله ان الناقة اذا اريد اهمالها للرعي وضع حبلها على غاربها فضرب مثلا لكل من اهمل واطلق عن الحكم ثم نبّهها
ذات مخالب استعاره بالكناية من كونها كالاسد في جذبها للانسان بما فيها من الشهوات والقينات الى الهلاك الابدي كما يجر
الاسد فريسته وكنى بكونها ذات حبائل وكنى بهذا الوصف ايضا عن كونها تصيد قلوب الرجال بشهواتها الوهمية فهي لها كحبائل
الصائد واستعار لفظ مداحضها لشهواتها ولذاتها ايضا باعتبار كونها مزالق اقدام العقول عن طريق الله ومصارع لها وعبر بجميع ذلك
عن زهده فيها وابعادها عن نفسه ثم اخذ في سؤالها عن القوم الذين غرّتهم بمداعبها والامم الذين فتنتهم بزخارفها سؤال الاعلى
سبيل التوبيخ لها والذم على فعلها ذلك بهم في معرض التنفير عنها وهو من قبيل تجاهل العارف واستعار لها لفظ المداعب جمع مدعبة
بمعنى دعابة ووجه المشابهة انها عند الصبا للخلق واغترارهم بها ثم كرّها عليهم بعد ذلك بالامر الجد يشبه من يمزح مع غيره و
ينبسط معه بالاقوال والافعال اللينة ليغترهم ثم ياتيه بعد ذلك بالامر فيوذيه او يهلكه وانما نسب الغرور اليها لكونها سببا مادّيا له
وفي نسخة الرضي رحمه الله غررتيهم باثبات الياء ووجهه انها حدثت من اشباع الكسرة الخامس عشر شاء الى غاياتهم التي صاروا اليها وهي
كونهم رهاين القبور ومضامين اللحود ونبه في ذلك على ان غرورهم وفتنتهم بما لم يخلصهم من هذه الغاية كل ذلك لغرض التنفير
وها التنبيه واستعار لفظ الرهاين لهم باعتبار كونهم موثقين في القبور باعمالهم كالرهن ويحتمل ان يكون حقيقة ويكون رهينة
بمعنى راهنة وهي لا تخاص المقيمة بقبورها السادس عشر اقسم انها لو كانت شخصا مرئيا وقالبا حسيا لاقام عليها حدود الله في عباده غرتهم
بالاماني واوردتهم موارد البلاء حيث لا ورد ولا صدر اي ان تلك الموارد ليس من شانها ان يكون لها ورود وصدور ثم تمّ
كانّ في هذا الخطاب كالمعلم لها انه قد اطلع على خداعها وغرورها فقال كلا مؤيسا لها من نفسه فهيهات اي بعدا عن اماني بل ودّ
البيان ثم نبّه على بعض العلل الحاملة على البعد عنها والتنزّه عن قربها وهي ما يلزم وطىء دحضها من الزلق وركوب لججها من الغرق
والازورار عن حبايلها من التوفيق للسلامة وما يلزم الانسان منها من عدم مبالاته بضيق مناخه وكل مناخ اناخ به من فقر ويحيى
ومرض وبلاء بعد السلامة منها فهو منيخ رحب بالقياس الى ما يلزم النفس في سعتها والجري في ميادين شهواتها من العذاب
الاليم في الآخرة وهي عنده في القصر وعدم الالتفات اليها كيوم حان انسلاخه والفاظ المداحض واللجج والحبائل مستعار لشهواتها ولذاتها
فالاول باعتبار كون شهواتها مظنة ان يخبث فيخرج الانسان عند سلوكها الى الاستكثار منها وتجاوز القدر المعتدل الحاجة
فتزل قدم نفسه عن صراط الله فيقع في مهاوي الهلاك والمآثم والثاني باعتبار ان مطالبها والامال فيها غير متناهية فمن
المشتغل بها والمنهمك في الدنيا ان يغرق نفسه في بحر لا ساحل له منها فينقطع عن قبول رحمة الله الى الهلاك الابدي كالملقي نفسه
في اللجج الثالث باعتبار ان الانسان اذا اغترّ بها وحصل في محبته شبهها بها عاقته عن النهوض والتخلص الى جناب الله ومنعته ان يطير وعجبه
بجناحي قوته العقلية الى حضرة قدس الله ومنازل اوليائه الابرار كما تعوق حبائل الصائد جناح الطائر ولفظ الوطى والركوب والزلق
والغرق ترشيح ثم كرّر الامر لها بالبعد عنه واقسم انه لا يذل لها فيذلّه ولا يسلس لها قيادة فيقوده وفيه تنبيه على انها لا يذل فيها الا
من اذل نفسه وعبد مالها ولا يملك لا قيادة من سلس لها قياده وهو ظاهر اذ الانسان ما دام فاقدا لقوته الحيوانية مصرفا لها
بزمام عقله فانه من المحال ان يذل له الدنيا ويستعبده املها وهما ابتغ شهوته فيما يمثل اليه فانها تدل لاشد اذلال وتستعبده
اقوى استعبادا كما قال عليه السلام عبد الشهوة اذل من عبد الرق واستعار وصف الاسلاس لها باعتبار التسهيل في متابعة النفس لغاوية
الامارة وعدم التشدد في ضبطها باستعمال العقل عن متابعتها السابع عشر اقسم ليروضن نفسه رياضة عزم عليه وهو يصده من رياضة
نفسه ووصف تلك الرياضة في قوتها باستلزام امرين احدهما كون نفسه يهش معها الى القرص وترضى به اذا قدرت عليه مطعوما

وتقنع بالملح مادوما وتلك رياضة القوة الشهوانية ولما كانت لكبر عدو للنفس واكثر الفساد المتولد منها حفظها بالذكر وقوة العزم ويحتمل ان
يريد رياضة جميع القوى وانما وصفها بكون النفس تهش معها الى القرص لان ضبط الشهوة اعظم من ضبط سائر القوى واصعب وكانت
الاشارة الى ضبطها الى الحد المذكور ابلغ في وصف الرياضة بالشدة واستثنى في يمينه بمشية الله ادبا بقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني
فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وتنبيها على استناد جميع الامور في سلسلة الحاجة الى الله تعالى الثاني كونه مدع مقلته في تلك الرياضة
كعين ماء نضب ماؤها ووجه الشبه ان يفني دموعها ويستفرغها بالبكاء شوقا الى الملأ الاعلى وما اعد لاولياء الله من السعادة
الابدية وحزنا من حرمانها ومن كان في مقام الغربة ومحل الوحشة كيف لا يشتاق الى وطنه الاصلي ومقام انسه الاولى ومطعوما
ومادوما ومستفرغة احوال ثم اخذ في تمثيل نفسه بالسائمة والربيضة على تقدير ان يرضى بمثل حالهما وغايتهما من الدنيا في معرض
الانكار لذلك الرضا من نفسه والاصل في ذلك التمثيل البهيمة والفرع هو والمشترك الجامع هو الرعي والشبع هو البروك والنوم
والراحة ولما كان الاصل المقيس عليه في غاية من الخسة بالقياس الى الانسان الكامل استلزم ذلك التشبيه بروه النفرة عنها
يستلزم التشبيه من الصفات وقوله قرت اذن عينه اخبار في معرض الانكار والاستهزاء باللذة كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم
الثامن عشر تنبيه على ان النفس انما كانت بالصفات المذكورة فلها ف... طوبى وجمع في تلك الصفات اكثر مكارم الاخلاق فالاول
القيام بواجب طاعة الله وما افترض عليها وقوله وعركت بجنبها بؤسها كناية عن الصبر على نزول المصائب يقال عرك فلان بجنبه
الاذى اذا اغضى عمن يؤذيه وصبر على فعله به ويلازم ذلك عدة فضائل كالحلم والكرم والعفو والصفح والتجاوز وكظم الغيظ وتحمل
المكروه والعفة ونحوها الثالث ان تهجر بالليل غمضها وهو كناية عن احياء ليلها بعبادة ربها واشتغالها بذكره حتى اذا غلب النوم
عليها افترشت ارضها وتوسدت كفها اي لم يكن لها كلفة في تهيئة فراش وطيب ووساد بل كانت بريئة عن كل كلفة عزيزة عن كل زينة
منزهة عن كل زهرة وقوله في معشر يصلح تعلقه بكل من افعال النفس المذكورة اي فعلت هذه الافعال في جملة معشر من شانهم كذا او
عنهم بصفات اربع احدها كونهم اسهر عيونهم خوف معادهم الثاني وتجافت جنوبهم من مضاجعهم وهو كناية عن اشتغالهم ليلا
بعبادة ربهم كقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع الثالث وهمهمت بذكر ربهم شفاههم كقوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا الرابع
وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم وهو لازم عن الثلثة الاولى او ثمرة لها واستعار لفظ التقشع لانمحاء ذنوبهم ووجه المشابهة
ان الذنوب الهيئات البدنية في تسويدها الالواح النفوس وتغطيتها وحجبها لها عن قبول انوار الله يشبه السحاب المتراكم الحاجب لوجه
الارض عن قبول نور الشمس والاستعداد بها للنبات وغيره فاستعار لزوالها وانمحائها من الواح النفوس لفظ التقشع كل ذلك
للترغيب في طاعة الله والجذب الى الدخول في زمرة اوليائه وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى بعض عماله اما بعد
فانك ممن استظهر به على اقامة الدين واقمع به نخوة الاثيم واسد به لهاة الثغر المخوف فاستعن بالله على ما اهمك واخلط
الشدة بضغث من اللين وارفق ما كان الرفق ارفق واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك الا الشدة واخفض للرعية جناحك
وابسط لهم وجهك والن لهم جانبك وآس بينهم في اللحظة والنظرة والاشارة والتحية حتى لا يطمع العظماء في حيفك ولا ييأس الضعفاء
من عدلك **اقول** النخوة الكبر والاثيم الآثم والضغث النصيب من الشيء المختلط بغيره واصله القبضة من الحشيش المختلط من رطبه
ويابسه واعتزم بكذا اي لزمه ولخصه وقد استماله اولا بامور ثلثة اعلمه بها من نفسه واعده لقبول اوامره وهي كونه ممن يستظهر به
على اقامة الدين ويقمع به نخوة الاثيم ويسد به الثغر المخوف واستعار لفظ اللهاة لما عساه ينفتح من مفاسد الثغر فيحتاج الى سده بالله ذ
بالعسكر والسلاح ملاحظة لشبهه بالاسد الفاتح فاه للافتراس ثم اردف ذلك بما امره به من مكارم الاخلاق اولها ان يستعين به
على ما اهمه من اموره فان الفزع اليه والاستعانة به افضل ما اعان على حصول المهمات الثاني ان يمزج الشدة بضرب من اللين ويضع
كلا منه موضعه فيرفق ويلين ما كان الرفق اولى واوفق له ويأخذ بالشدة حين لا يغني الا الشدة الثالث ان يخفض جناحه
لرعيته وهو كناية عن التواضع الرابع ان يبسط لهم وجهه وهو كناية عن لقائهم بالبشاشة والبشر وترك العبوس والتقطيب الخامس
ان يلين لهم جانبه وهو كناية عن المساهلة معهم وعدم التشدد السادس ان يواسي بينهم في اللحظة والنظرة والاشارة والتحية عليهم
احقّ من النظرة وهو امر بفضيلة العدل بين الرعية لئلا يطمع عظيمهم في حيفه على الضعيف فيتسلط عليه ولا ييأس الضعيف
من عدله على القوي فيضعف نفسه ويكل مما هو بصدده من الاعمال المصلحية وبالله التوفيق **ومن وصية له عليه السلام**
للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله اوصيكما بتقوى الله وان لا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تأسفا على
شيء منها زوي عنكما وقولا بالحق واعملا للاجر وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا اوصيكما وجميع ولدي واهلي ومن بلغه منهما
كتابي بتقوى الله ونظم امركم وصلاح ذات بينكم فاني سمعت جدكما رسول الله صلى الله عليه وآله يقول صلاح ذات
البين افضل من عامة الصلاة والصيام الله الله في الايتام فلا تغبوا افواههم ولا يضيعوا بحضرتكم والله الله في جيرانكم

فانهم وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننا انه سيورثهم والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم والله الله في الصلوة
فانها عمود دينكم والله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم فانه ان ترك لم تناظروا والله الله في الجهاد باموالكم وانفسكم
والسنتكم في سبيل الله وعليكم بالتواصل والتباذل واياكم والتدابر والتقاطع لا تتركوا الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر فيولى عليكم اشراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم ثم قال عليه السلام يا بني عبد المطلب لا الفينكم تخوضون دماء
المسلمين خوضا تقولون قتل امير المؤمنين الا لا تقتلن بي الا قاتلي انظروا اذا انا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة
ولا يمثل بالرجل فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور **اقول** يعني كذا
ارونه واعنابا نوا ابهم ان يطعموهم يوما ويتركوهم يوما والمناظرة المحافظة والمراقبة والتدابر التقاطع والتعادي والمثلة التنكيل
وقد وصاهما بامور اولها تقوى الله التي هي راس كل خير الثاني الزهد في الدنيا وان لا يريداها وان ارادتهما اي اقبلت عليهما
بما يعد منها خيرا واستعار لفظ البغية لها باعتبار سهولتها عليهما عن توافق اسباب خيرها لهما فهي بذلك الاعتبار كالطالبة لهما منها
الثالث ان لا ياسفا على ما نقص وغيب عنهما من خيراتها وهو من لوازم الزهد الحقيقي فيها الرابع ان يقولا بالحق وهو ما ينبغي قوله
من اوامر الله ونواهيه وان يعملا للاجر الآخرة اي يكون اقوالهما واعمالهما مقصورة على هذين الخامس ان يكونا للظالم خصما و
للمظلوم عونا وذلك من لوازم قول الحق والعمل له اذ من كان على حاق العدل لا بد ان يجانب الظالم المنحرف الى طرف الجور وحتى
يرده الى فضيلة العدل فيكون ح عونا للمظلوم ثم عاد وموكدا لوصيتهما مع جميع ولده واهله ومن بلغه كتابه من عباد الله بتقوى
مكررا لها ومردفا بامر آخر احدهما صلاح ذات البين وذات كناية عن الحالة الموجبة للبين والافتراق وقيل هي الحالة التي بين
الرجلين والقبيلتين والرجل واهله امر باصلاح ما بينهما من فساد وقيل يحتمل ان يريد بالبين هنا الوصل وبالذات النفس اي
اصلحوا نفس وصلكم من فساد يقع فيه وقيل ان ذات هنا مقحمة زائدة ونحوه قوله تعالى فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وصلاح ذات
البين من لوازم الالفة والمحبة في الله وهي فضيلة تحت العفة ورغب في ذلك بما رواه سماعا عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله صلاح ذات
البين افضل من عامة الصلوة والصيام ووجه الافضلية هنا انك علمت فيما سلف ان اهم المطالب للشارع صلى الله عليه وآله جمع الخلق على سلوك
سبيل الله وانتظامهم في سلك دينه ولن يتم ذلك مع تنازعهم وتنافر طباعهم وثوران الفتنة بينهم فكان صلاح ذات البين مما
لا يتم اهم مطالب الشارع الا به وهذا المعنى غير موجود في الصلوة والصيام لامكان المطلوب المذكور بدونهما فتحققت افضليته
من هذه الجهة والخبر في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فواجب ان يفعل الثاني حذره من الله تعالى في الايتام وكنى
عن اجاعتهم وكنى هنا باعباب افواههم اذ هو مظنة جوعهم ثم عن اضاعتهم واستلزم ذلك النهي امرهما ببرهم والاحسان اليهم وذو
فضيلة تحت العفة الثالث الوصية في الجيران والتحذير من الله فيهم ونبه على حفظ قلوبهم واكرامهم بوصية الرسول صلى الله عليه وآله في حقهم وجعلهم
نفس الوصية تاكيدا للمحافظة عليهم كالمحافظة على وصية رسول الله والمجاز من باب اطلاق اسم المتعلق وقوله ما زال الى قوله سيورثهم
تفسير للوصية المذكورة وهي ايضا في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من اوصى النبي في حقه كان فواجب ان يحفظ الرابع الوصية
بما اشتمل عليه القرآن الكريم من القوانين والقواعد والتحذير من الله سبحانه في تركه والنهي عن ان يسبقهم به للعمل غيرهم المستلزم
للامر بالمسارعة والسبق اليه الخامس الوصية بامر الصلوة والتحذير من الله في امرها ونبه على فضيلتها بضمير صغراه قوله فانها عمود
الدين وهو عين ما رويناه من الحديث قبل وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك فواجب القيام الدين باقامته السادس الوصية
ببيت ربهم والنهي عن ترك زيارته مدة العمر وقد سبق سره ونبه على فضيلة اخرى له توجب ملازمته وهو ما يستلزمه من عدم ترك
مناظرة الله لتاركيه وتركه محافظته عليهم ومراقبته لان من لا يحفظ الله في بيته ويراقبه في مراعاة جانبه لم يحفظه الله ولم
يراقبه ويحتمل ان يريد لم يناظركم الاعداء ولم يراقبوكم اذ في الاجماع الى بيت الله والمحافظة عليه عز بالله واعتصام به يوجب مراقبة
الخلق للمعتصمين به وانفعال القلوب عنهم وعن كثرتهم ومناظرتهم السابع الوصية بالجهاد في سبيل الله بالمال والنفس واللسان
والتحذير من الله في تركه وهو مما علمت فضيلته الثامن الوصية بالتواصل والتباذل اي يبذل كل منهم النصرة لصاحبه في سبيل الله
التاسع التحذير من التقاطع والتدابر وسره ظ العاشر النهي عن ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر المستلزم للامر بهما ونفر عن ذلك
الترك بما يستلزمه بعده له من تولي الاشرار عليهم وعدم استجابة دعاء الداعين منهم ووجه عاداه لذلك ان ترك الاجتماع على الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر يستلزم ثوران المنكر وقلة المعروف من طباع الاشرار وبعد لاستيلائهم وغلبتهم وولاية اهلها وذلك يستلزم
كثرة الشر والاشرار وقلة الصالحين وضعف هممهم عن استنزال رحمة الله تعالى بادعيتهم فيدعون فلا يستجاب لهم ثم عقب ذلك بوصية
اهل بيته من بني عبد المطلب بما يخصه من امر دمه والوصية بامور احدها نهاهم عن اثارة الفتنة بسبب قتله فقال لا الفينكم
تخوضون دماء المسلمين خوضا وكنى عن كثرة القتل وقوله تقولون قتل امير المؤمنين حكاية ما جرت به العادة ان يقوله طالب

اشاعين

٣٠٥ ج
الثار حين هياجه اظهار العذر والسبب الحامل له على اثارة الفتنة الثاني نهاهم ان يقتلوا الا قاتله اذ ذلك هو مقتضى العدل
الثالث نبههم بقوله انظروا الى قوله هذه على انه لا يجوز قتله بمجرد ضربته ان لو حصل الموت بسبب غيرها الآن يعلم انه من
كان بسببها الرابع امرهم ان يضربوه ضربة بضربة وذلك مقتضى العدل ايضا الخامس نهى عن المثلة به معللا بما رواه سماعا عن رسول
الله صلى الله عليه وآله وذلك لما في المثلة تعدي الواجب وتشفي القلب وشفاء الغيظ وكل ذلك رذائل يجب الانتهاء عنها وهو في قوة صغرى
ضمير تقدير كبراه وكل ما نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عنه فواجب ان لا يفعل وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى معوية وان البغي والزور
يذيعان المرء في دينه ودنياه ويبديان خلله عند من يعيبه وقد علمت انك غير مدرك ما قضي فواته وقد رام اقوام امرا بغير
الحق فتأولوا على الله فاكذبهم فاحذر يوما يغتبط فيه من احمد عاقبة عمله ويندم من امكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه وقد دعوتنا
الى حكم القرآن ولست من اهله ولسنا اياك اجبنا ولكنا اجبنا القرآن **اقول** هذا الفصل من كتاب له اليه بعد التحكيم ومساءته
معوية بما حكم به الحكمان ويحتمل ان يكون عند اجابته الى التحكيم والوتغ بالتحريك الهلاك واوتغ فلان دينه بالاثم اهلكه وافسده
وفي نسخة الرضي رحمه الله يذيعان اي يظهران والغبطة السرور والغبطة تمني مثل حال المغبوط وصدر الفصل بذكر الظلم والكذب والتنفير
عنهما بما يلزمهما من اهلاك دين المرء ودنياه وبيديان خلله وعيبه لمن يعيبه اما دينه فلكونهما رذيلتين مضادتين للعدل والعفة
ومجانبتين للايمان والدين واما في دنياه فلان اعظم مطالب الدنيا للعقلاء الذكر الجميل وانما يحصل بظهور مكارم الاخلاق
دون رذائلها واراد بما قضي فواته ما جعله معوية شبهة له في محاربته وهو الطلب بدم عثمان وهو في قوة صغرى ضمير احتج به على وجوب
ترك المنافسة وتقدير كبراه وكل من كان كذلك تعين عليه ان يترك ذلك الطلب ثم اعلمه بحال من طلب امرا بالمحال وتاول على الله ونبه
بالاشارة الى اصحاب الجمل حيث كانوا طالبين ثار الملك فتاولوا على الله اي على سلطان الله وهي الخلافة الحقة وجعلوا الحجة لهم
ر بعضهم عليها تاويلا وهو الطلب بدم عثمان ونحوه من الشبه الباطلة فاكذبهم الله بنصره عليهم بتقدير مقتضى شبههم والاكذاب كما يكون
بالقول كذلك يكون بالفعل وقال القطب الراوندي ره معناه وقد طلب قوم امر هذه الامة فتاولوا القرآن كقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم فتمسكوا من نصبوه من الامراء اولي الامر متحكمين على الله فاكذبهم الله بكونهم ظالمين بغاة ولا يكون اولي الامر من قبل
الله كذلك ثم حذره يوم القيامة منبها له على ما فيه من سرور الذين حمدوا عاقبة اعمالهم بما حصلوا عليه من السعادة الباقية واغتباط
غيرهم لهم وبمثل مثل حالهم وندم من امكن الشيطان من قياده فصرفه كيف شاء ولم يجاذبه واستعار لفظ التمكين من القياد ملاحظة
النفس الامارة وعرض التحذير ان لا يكون ممن يستوجب طالبي هذا الامر بالتاويل على الله وقوله دعوتنا الى آخره صورة سؤاله و
الجواب عنه وكونه ليس من اهله اذ لم يكن صالحا للامامة كما سبق بيانه مرارا وحيث لم يكن اهلا لان يجاب الى الرضى بالتحكيم اعلمه انه
وانما اجاب القرآن الى حكمه وذلك في قوله تعالى في حق الزوجين وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله الآية فجعل هذا
اصلا فقاس عليه بطريق الاولى حال الامة عند وقوع الشقاق بينهم وبعض ذلك احتج ابن عباس رضه على الخوارج حيث انكروا
التحكيم فقالوا كيف يجوز لعلي عليه السلام ان يحكم في دين الله الرجال فقال لهم ان ذلك ليس بامر علي وانما هو بامر من الله تعالى في كتابه
اذ يقول في حق الزوجين وان خفتم الآية افترون انه تعالى امر بذلك في حق الرجل وامرأته مراعاة لمصلحتهما ولا يامر بذلك في حق
الامة رعيا لمصلحتهم فرجع كثير منهم الى قوله وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى غيره اما بعد فان الدنيا مشغلة عن
غيرها ولم يصب صاحبها منها شيئا الا فتحت له حرصا عليها ولهجا بها ولن يستغني صاحبها بما نال فيها عما لم يبلغه منها
ومن وراء ذلك فراق ما جمع ونقض ما ابرم ولو اعتبرت بما مضى حفظت ما بقي والسلام **اقول** اللهج الحرص الشديد و
الكتاب بالتنبيه على معايب الدنيا المقتضية للرغبة عنها وذكر منها امورا الاول كونها مشغلة عن غيرها اي عن الآخرة وهو ظاهر الثاني
كونها لم يصب صاحبها منها شيئا الا كان ذلك معدا للحرص عليها واللهج بها واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله لو كان لابن آدم واديين من ذهب لابتغى
لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب الثالث كونها لا يستغني صاحبها بما نال فيها عما لم يبلغه منها وذلك من لوازم الثاني
الثاني فان حصول بعضها اذا كان معدا للفقر اليها لم يستغن طالبها ابدا منها ثم اردف ذلك بذكر امور للتنفير عنها ايضا احدها
استعقابها الفراق ما جمع منها الثاني نقض ما احكم من امورها ثم نبه على وجوب الاعتبار بما مضى من العوارض احوال الدنيا والقرون
الماضية لغاية حفظ ما بقي من العمر ان يضيع في الباطل وحفظ ما يبقى من السعادة الاخروية بالسعي في تحصيلها وبالله التوفيق **ومن**
كتاب له عليه السلام الى امرائه على الجيوش من عبد الله علي امير المؤمنين الى اصحاب المسالح اما بعد فان حقا على الوالي ان لا يغيره
عن رعيته فضل ناله ولا طول خص به وان يزيده ما قسم الله له من نعمه دنوا من عباده وعطفا على اخوانه الا وان
لكم عندي ان لا احتجز دونكم سرا الا في حرب ولا اطوي دونكم امرا الا في حكم ولا اؤخر لكم حقا عن محله ولا اقف دون
مقطعه وان تكونوا عندي في الحق سواء فاذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة وان لا تنكصوا عن دعوة

من كتاب له الى بعض عماله على الخراج

ولا تفرطوا في صلاح وان تخوضوا الغمرات الى الحق فان انتم لم تستقيموا لي على ذلك لم يكن احد اهون علي ممن اعوج منكم ثم اعظم له العقوبة ولا يجد عندي فيها رخصة فخذوا هذا من امرائكم واعطوهم من انفسكم ما يصلح الله به امركم والسلام **اقول** تنخع امتنع والنكوص الرجوع على الاعقاب والغمرة الشدة واعلم انه قدم ههنا ما يجب على الوالي المطلق لرعيته بوجه كلي كما هو عادة الخطيب ثم ثنى ببيان ما يجب عليه لهم تفصيلا لذلك الكلي ثم ما يجب عليهم له ثم امرهم بلزوم ما وجب عليهم اما الاول فقوله اما بعد الى قوله اخوانه واشار فيه الى امرين احدهما ان لا يغيره عنهم ما اختص به من الفضل والطول لان تغيره عنهم خروج عن شرائط الولاة الثاني ان يزيده تلك النعم من الله دنوا من عباده وعطفا على اخوانه لان ذلك من تمام شكر النعمة واما الثاني فاشترط على نفسه لهم خمسة امور احدها ان لا يحتجز دونهم سرا في الامور المصلحية الا في الحرب ويحتمل ترك مشورتهم هناك لامرين احدهما ان اكثرهم ربما لا يختار الحرب فلو توقف على المشورة فيه لما استقام امره بها ولذلك كان كثيرا ما يحملهم على الجهاد ويتضجر من تثاقلهم عنه وهم له كارهون كما سبق الثاني ان يكتم ذلك خوفا من انتشاره الى العدو فيكون سبب استعداده وتأهبه للحرب ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا اراد سفرا الى الحرب ورى بغيره كما روي انه نوى غزاة بدر فكتب للسرية كتابا وامرهم ان يخرجوا من المدينة الى صوب مكة يومين او ثلثة ثم ينظروا الى الكتاب ويعملوا بما فيه فلما ساروا نظروا فيه فاذا هو يامرهم فيه بالخروج الى نخلة محمود وان يفعلوا كذا وكذا ففعلوا وخرج النبي صلى الله عليه وآله خلفهم الى بدر وكان لو اظهر لهم ولو اعلمهم حين امرهم بالخروج انه يسير الى قريش لانتشر ذلك الى قريش وكان استعدادهم لهم اقوى وجاز ان يكون ذلك ايضا مما نهى عن اعلام الصحابة عند النهوض خوفا من اهل مكة وشوكتهم الثاني انه لا يطوي دونهم امرا الا في حكم استعار لفظ الطي لكتمان الامر فلا يخفي عنكم امرا الا ان يكون حكما من احكام الله فانه لا يفيضه دونكم من غير مراقبة ومشاورة فيه كالحدود وغيرها الثالث ان لا يؤخر لهم حقا عن محله كالعطاء وساير الحقوق التي تفتقر ولا يقف به دون مقطعه كالاحكام المتعلقة بالمتخاصمين المحتاجة الى الفصل الرابع ان يسوي بينهم في الحق والاولان تقتضي فضيلة الحكمة والثالث والرابع مقتضى فضيلة العدل واما الامر الثالث مما تستحقه عليهم فبدأ بوجوب حق الله تعالى اولا اذ كان من فضائله بنصبه لهم اماما وتعليمهم ما ذكرنا من اتم نعمه عليهم ثم ثنى بما يجب له وذكر امورا احدها بذل طاعته اذ لا حجة لهم عليه يكون سببا لعصيانهم الثاني ان لا ينكصوا عن دعوته لهم اذا دعاهم وهو من تمام الطاعة الثالث ان لا يفتروا في خير التفريط في مصلحة يراها او يبديها الرابع ان يخوضوا الغمرات ويركبوا الشدائد في نصرة الحق وطلبه ثم اكد ذلك بالوعيد لهم ان لم يستقيموا له على ما وجب له عليهم مما عدده وتوعد بامرين احدهما هوان المعوج منهم عن طاعته عليه وسقوط منزلته والثاني اعظام العقوبة له وعدم الرخصة فيها عنده ولما بين لهم ما وجب عليهم امرهم ان ياخذوا ذلك البيان والنصح منه ومن ساير امراء العدل ويعطوهم من انفسهم ما يصلح الله به امورهم من الطاعة وفعل ما امروا به وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام الى بعض عماله على الخراج من عبد الله علي امير المؤمنين الى اصحاب الخراج اما بعد فان من لم يحذر ما هو صائر اليه لم يقدم لنفسه ما يحرزها واعلموا ان ما كلفتم يسير وان ثوابه كثير ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه فانصفوا الناس من انفسكم واصبروا لحوائجهم فانكم خزان الرعية ووكلاء الامة وسفراء الائمة ولا تحشموا احدا عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعتملون عليها ولا عبدا ولا تضربن احدا سوطا لمكان درهم ولا تمسن مال احد من الناس مصل ولا معاهد الا ان تجدوا فرسا او سلاحا يعدى به على اهل الاسلام فانه لا ينبغي للمسلم ان يدع ذلك في ايدي اعداء الاسلام فيكون شوكة عليهم ولا تدخروا انفسكم نصيحة ولا الجند حسن سيرة ولا الرعية معونة ولا دين الله قوة وابلوا في سبيله ما استوجب عليكم فان الله سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم ان نشكره بجهدنا وان ننصره بما بلغت قوتنا ولا قوة الا بالله **اقول** السفير الرسول وتحشمته واحشمته بمعنى اي اغضبته واخجلته والشوكة القوة والبلية ... صدر الكتاب بتقديم كلية وهو ان من لم يحذر ما يصير اليه من العواقب المخوفة لم يقدم لنفسه ما يحرزها منها فان الانسان انما يستعد للامر المرغوب والمرهوب اذا رغب فيه او خافه وهي في معرض التوبيخ على ترك الحذر لتركهم تقديم طاعة وما يستعد به الانسان مما يحرز نفسه من عذاب الله ثم اعلمهم بكون تكليفهم يسيرا تسهيلا له وكون ثوابه كثيرا ترغيبا فيه وهو في قوة صغرى ضمير رغبهم به في القيام بالامور المكلف بها وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك وجب القيام به والاجتهاد فيه ثم اردفه بالتنبيه على وجوب ترك البغي والظلم بما يلزم فعله من العقاب الاليم وتركه من الثواب العظيم ان لا عذر في ترك طلبه لو لم يكن في فعله عقاب والمعنى انه لو لم يكن فيه عقاب يخاف فيترك لاجله لكان في تركه ثواب يجب لاجله فكيف وفي فعله العقاب الاليم فبالاولى ان يجب تركه وهو من افصح الكلام والغرض التحذير من الوقوع في رذيلة الظلم ثم اردف ذلك باوامر ونواه فمن الاوامر اثنان احدهما انصاف الرعية من انفسهم وقبولها الثاني ان يصبروا لحوائجهم لينتظم امر مصلحتهم وعلل ذلك بكونهم خزان الرعية ووكلاءهم على بيت مالهم وسفراء ائمتهم اليهم وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فعليه الانصاف والصبر على حوائجهم ومن النواهي ستة احدها ان لا يحشموا

من كتاب له الى امراء البلاد

احدا ولا يخجلوه فيستحيي من حاجته الثاني لا يمنعوا احدا عن حاجته ويحبسوه دونها الثالث ان لا يحوجوا احدا في طلب الخراج الى بيع ما يضطر اليه من كسوة او دابة ينتفع بها في عمل ولا عبد الخامس ان لا ياخذوا من مال احد من اهل القبلة او المعاهدين من اهل الكتاب شيئا الا ان يكون فرسا او سلاحا يعدى به على المسلمين والاسلام فانه يجب اخذه من ايدي اعدائهم لئلا يكون شوكة عليهم وعونا السادس ان لا يدخروا انفسهم اي عن انفسهم نصيحة بل ينصح بعضهم لبعض ولا عن الجند حسن سيرة ولا عن الرعية معونة ولا عن دين الله قوة ثم امرهم ان يبلوا في سبيله ويعطوا ما استوجب عليهم من شكر نعمه وطاعته ثم علل وجوب ذلك بقوله فان الله الى اخره وهو في قوة صغرى ضمير والمعنى انه تعالى جعل شكره بجهدنا ونصرته بما بلغت قوتنا صنيعة عندنا اذ كان شكره ونصرته من اعظم نعمه علينا كما سبق وقيل اراد لان نشكره وتقدير الكبرى وكل من اصطنع عندنا وجب علينا شكره وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام كتبه الى امراء البلاد في معنى الصلوة فصلوا بالناس الظهر حين تفيء الشمس مثل مربض العنز وصلوا بهم العصر والشمس بيضاء حية في عضو من النهار حين يسار فيها فرسخان وصلوا بهم المغرب حين يفطر الصائم ويدفع الحاج وصلوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق الى ثلث الليل وصلوا بهم الغداة والرجل يعرف وجه صاحبه وصلوا بهم صلوة اضعفهم ولا تكونوا فتانين **اقول** بين في هذا الكتاب اوقات الصلوة فالاول وقت الظهر وحده بوقت فيء الشمس اي رجوعها وميلها الى المغرب ثم نبه بتقديره بمربض العنز وهو اول وقت الظهر وذلك مما يختلف باختلاف البلاد الثاني وقت العصر وقدره ببقاء الشمس بيضاء لم تصفر للمغيب وحية واستعار لفظ الحياة لظهورها على الارض بالمكان المشابه للحي وعضو من النهار واراد القسم والقطعة منه ثم قدر ذلك العضو بمقدار ان يسار فيه فرسخان السير المعتاد الثالث وقت المغرب وعرفه بامرين احدهما حين يفطر الصائم وذلك عند سقوط القرص والثاني حين يدفع الحاج ويفيض من عرفات ولشهرة هاتين العلامتين وتعارفهما مع المخاطبين عرفه بهما الرابع وقت العشاء الاخرة عرفه بتواري الشفق وذلك من ناحية المغرب وحد اخره بثلث الليل وانما حد اخر هذا الوقت دون اوقات ساير الفرائض لان لساير الفرائض يتبين اخر كل وقت منها ببيان اول وقت الاخرى ولما كان اخر وقت العشاء الاخرة لا اتصال له بالليل الخالي عن الفرائض واما اخر وقت الصبح فمحدود بطلوع الشمس ابدا ظاهر الخامس وقت صلوة الغداة وحده بحين يعرف الرجل وجه صاحبه وذلك حين طلوع الفجر الثاني وهو الحمرة المعترضة من ناحية المشرق والعلامة التي ذكرها اوضح لساير الناس ثم وصاهم بفعل وترك اما الفعل فان يصلوا بالناس صلوة اضعفهم وهو ان لا يطيلوا في القراءة في الفرائض كقراءة البقرة والسور الطوال فان ذلك لا يستطيع القيام به كل الناس فيؤدي ذلك الى المشقة وعجز بعضهم عن ادراك الفريضة في الجماعة وهو مرغب عنه في الدين واما الترك فان لا يكونوا فتانين باطالة الصلوة ووجه الفتنة ههنا انهم يكونون صارفين للناس عن الاجتماع والمساعدة على الجماعة باطالتها المستلزمة لتخلف العاجزين والضعفاء والله اعلم

ومن عهد له عليه السلام كتبه للاشتر النخعي رحمه الله لما ولاه على مصر واعمالها حين اضطرب امر امير محمد بن ابي بكر رحمه الله وهو اطول عهد كتبه واجمعه للمحاسن **اقول** هو مالك بن الحرث الاشتر النخعي من اليمن وكان من اكابر اصحابه ذوي النجدة والشجاعة الذين عليهم عمدته في الحروب روي ان الطرماح لما دخل على معوية قال له قل لابن ابي طالب انني جمعت من العساكر بعدد حب جاورس الكوفة وها انا قاصده فقال له الطرماح ان لعلي ديكا اشتر يلتقط جميع ذلك فانكسر معوية من قوله وفي العهد فصول

الفصل الاول قوله بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما امر به عبد الله علي امير المؤمنين مالك بن الحرث الاشتر في عهده اليه حين ولاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح اهلها وعمارة بلادها امره بتقوى الله وايثار طاعته واتباع ما امر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد احد الا باتباعها ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها وان ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه فانه جل اسمه قد تكفل بنصرة من نصره واعزاز من اعزه وامره ان يكسر نفسه عند الشهوات ويزعها عند الجمحات فان النفس امارة بالسوء الا ما رحم الله **اقول** يزعها يكفها وصدر هذا العهد بذكر امور هي غرض الولاية وبها يكون نظام الامر فمنها ما يعود الى منفعة الوالي وهو جبوة الخراج ومنها ما يعود الى الرعية وهي جهاد عدوهم واستصلاحهم بالسياسة وحسن الرعي ومنها ما يعود اليهما وهو عمارة البلاد ولواحقها ثم امره باوامر خمسة يعود الى اصلاح نفسه اولاها تقوى الله وخشيته وقد سبق بيان كونها اصلا لكل فضيلة الثاني اتباع ما امره في كتابه من فرائضه وسننه ورغب في ذلك بقوله لا يسعد الى قوله اضاعتها وتكرر بيان ذلك الثالث ان ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه في جهاد اعدائه وانكار المنكرات ورغب في ذلك بقوله وقد تكفل الى قوله اعزه كقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم الرابع ان يكسر من نفسه عند الشهوات وهو امر بفضيلة العفة الخامس ان يكفها ويزعها عند الجمحات وهو امر بفضيلة الصبر عن اتباع الهوى وهو فضيلة تحت العفة وحذر من النفس بقوله فان النفس الى اخره وهو من قوله تعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي وما بمعنى من وهي نصب على الاستثناء اي الا نفسا رحمها الله

الفصل الثاني في اوامره ووصاياه بالاعمال الصالحة المتعلقة باحوال الولاية وتدبير المال والمدينة وذلك قوله ثم اعلم يا مالك اني قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون

من امورك في مثل ما كنت تنظر فيه من امور الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وانما يستدل على الصالحين بما
يجري الله لهم على السن عباده فليكن احب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل
لك فان الشح بالنفس الانصاف منها فيما احببت وكرهت واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن
عليهم سبعا ضاريا تغتنم اكلهم فانهم صنفان اما اخ لك في الدين واما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل ويعرض
لهم العلل ويؤتى على ايديهم في العمد والخطاء فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب ان يعطيك الله من عفوه و
صفحه فانك فوقهم ووالي الامر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفاك امرهم وابتلاك بهم ولا تنصبن
نفسك لحرب الله فانه لا يدي لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفو ولا تبجحن بعقوبة ولا تسرعن
الى بادرة وجدت عنها مندوحة ولا تقولن اني مؤمر آمر فاطاع فان ذلك ادغال في القلب ومنهكة للدين وتقرب
من الغير واذا احدث لك ما انت فيه من سلطانك ابهة او مخيلة فانظر الى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على
ما لا تقدر عليه من نفسك فان ذلك يطامن اليك من طماحك ويكف عنك من غربك ويفيء اليك بما عزب عنك
من عقلك اياك ومساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته فان الله يذل كل جبار ويهين كل مختال انصف الله و
انصف الناس من نفسك ومن خاصة اهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك فانك الا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان
الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله ادحض حجته وكان لله حربا حتى ينزع ويتوب وليس شيء ادعى الى تغيير نعمة الله
وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم فان الله يسمع دعوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد وليكن احب الامور اليك اوسطها
في الحق واعمها في العدل واجمعها لرضى الرعية فان سخط العامة يجحف برضى الخاصة وان سخط الخاصة يغتفر مع رضى
العامة وليس احد من الرعية اثقل على الوالي مؤونة في الرخاء واقل له معونة في البلاء واكره للانصاف واسأل بالالحاف
واقل شكرا عند الاعطاء وابطأ عذرا عند المنع واضعف صبرا عند ملمات الدهر من اهل الخاصة وانما عمود الدين
وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من الامة فليكن صغوك لهم وميلك معهم وليكن ابعد رعيتك منك و
اشنأهم عندك اطلبهم لمعائب الناس فان في الناس عيوبا الوالي احق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فانما
عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك
واطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل ما لا يضح لك ولا تعجلن الى تصديق
ساع فان الساعي غاش وان تشبه بالناصحين ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر
ولا جبانا يضعفك عن الامور ولا حريصا يزين لك الشره بالجور فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن
بالله ان شر وزرائك من كان للاشرار قبلك وزيرا ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة فانهم اعوان
الاثمة واخوان الظلمة وانت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم واوزارهم ممن
لم يعاون ظالما على ظلمه ولا آثما على اثمه اولئك اخف عليك مؤونة واحسن لك معونة واحنى عليك عطفا واقل
لغيرك الفا فاتخذ اولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ثم ليكن آثرهم عندك اقولهم بمر الحق لك واقلهم مساعدة فيما
يكون منك مما كره الله لاوليائه واقعا ذلك من هواك حيث وقع والصق باهل الورع والصدق ثم رضهم على ان لا
يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فان كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدني من العزة ولا يكونن المحسن والمسيء عندك
بمنزلة سواء فان في ذلك تزهيدا لاهل الاحسان في الاحسان وتدريبا لاهل الاساءة على الاساءة والزم كلا منهم
ما الزم نفسه واعلم انه ليس شيء بادعى الى حسن ظن وال برعيته من احسانه اليهم وتخفيفه المؤونات عنهم وترك
استكراهه اياهم على ما ليس له قبلهم فليكن منك في ذلك امر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك فان حسن الظن يقطع
عنك نصبا طويلا وان احق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده وان احق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك
عنده ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الامة واجتمعت بها الالفة وصلحت عليها الرعية ولا تحدثن
سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الاجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها واكثر مدارسة العلماء
ومنافثة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه امر بلادك واقامة ما استقام به الناس قبلك **اقول** الضاري المعتاد
للصيد الجرئ عليه والصفح الاعراض عن الذنب والبجح السكون الى الفرح والسرور والبادرة الحدة والمندوحة السعة والادغال
ادخال الفساد في الاصل والنهك الضعف والابهة والمخيلة الكبر ويطامن يسكن وطماح النفس جماحها وطمح البصر ارتفع وغرب
الفرس حدته واول جريه والمساماة مفاعلة من السمو والجبروت الكبر العظيم وادحض حجته ابطلها وينزع يرجع والحجف يذهب

والالحاف شدة السؤال وملمات الدهر ما يلم من خطوبه وجماع المسلمين جمعهم والصغو الميل واشنأهم ابغضهم والوتر الحقد والتغابي
التجاهل والتغافل وبطانة الرجل خاصته والاصار الآثام وحفلاتك اي مجالسك التي في المحافل والمجامع والاطراء المدح البالغ والزهو
الكبر والتدريب التعويد والمنافثة المحادثة واعلم ان مدار هذا الفصل لما كان على امره بالعمل الصالح في البلاد والعباد نبهه اولا على
بعض العلل الغائية من ذلك وهو الذكر الجميل في العقبى والكون من الصالحين بعمله وذلك بقوله الى قد وجهتك الى قوله
تقول فيهم وهو في قوة صغرى ضمير تقديرها انك وجهت الى بلد حالها كذا وكذا وحال الناس في فعلك بها كذا وتقدير
الكبرى وكل من وجه الى بلد كذلك وكان الناس ينظرون من امره مثل ما كان ينظر فيه من امر الولاة ويقولون فيه مثل ما
كان تقول فيهم فيجب عليه ان يكون احب الامور اليه العمل الصالح ليحصل منه الذكر الجميل بين الناس الدال على كون المذكور
عند الله من الصالحين ونبه على تلك الدلالة بقوله وانما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السن عباده
وفي نسبة اجراء القول الى الله ترغيب عظيم في تحصيل الذكر الجميل ثم اعقب ذلك بامره ان يجعل العمل الصالح احب الذخائر
اليه واستعار لفظ الذخيرة باعتبار ان يحصله في الدنيا لغاية الانتفاع به في العقبى كالذخيرة ولما امره بالعمل الصالح
اجمالا شرع في تفصيله وذكر انواعا احدها ان يملك هواه في شهوته وغضبه فلا يتبعهما ويشح بنفسه عما لا يحل له من
المحرمات وقوله فان الشح الى قوله كرهت تفسير لذلك الشح بما يلازمه وهو الانصاف والوقوف على حد العدل في المحبوب
فلا يقوده شهوته الى حد الافراط فيقع في رذيلة الفجور وفي دفع المكروه فلا يقوده غضبه الى طرف الافراط من فضيلة
العدل فيقع في رذيلة الظلم والتهور وظاهر ان ذلك شح بالنفس وبخل بها عن القائها في مهاوي الهلاك الثاني ان يشعر قلبه الرحمة
للرعية والمحبة واللطف بهم وهي فضائل تحت ملكة العفة اي اجعل هذه الفضائل شعار القلب ولفظا الشعار والسبع
مستعاران واشار الى وجه استعارة السبع بقوله تغتنم اكلهم الثالث ان يعفو ويصفح عنهم وهو فضيلة تحت الشجاعة وقوله
فانهم الى قوله في الخلق بيان للسببين من اسباب لرحمتهم واللطف بهم وقوله يفرط منهم الزلل الى قوله والخطاء تفسير للثالثة
وهي السبب الثاني والكلام في قوة صغرى ضمير لحسن العفو والصفح واراد بالعلل التي تعرض لهم الامور المشغلة الصادفة
لهم عما ينبغي من اجراء اوامر الوالي على وجوهها وقوله ويؤتى على ايديهم كناية عن كونهم غير معصومين بل هم ممن يؤتون من جهل
العمد والخطاء وتاتي على ايديهم اوامر الولاة والمؤاخذات فيما يقع منهم من عمد وخطاء وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك
فينبغي ان يرحم ويشمل بالمحبة واللطف به ويقابل خطاؤه بالعفو والصفح وفي امره باعطاء العفو مثل الذي يحب ان يعطيه الله من
عفوه اتم ترغيب في العفو واقوى جاذب اليه وكذلك قوله فانك فوقهم الى قوله وابتلاك بهم تخويف من الله في معرض الامر
بالعفو واللطف وهو صغرى ضمير احتج به على ذلك الرابع نهاه ان ينصب نفسه لحرب الله وكنى بحربه عن المغالطة على عباده وظلمهم
ومبارزته تعالى فيهم بالمعصية وقوله فانه لا يدي لك الى قوله ورحمته صغرى ضمير نبه به على انه لا يجوز ظلم عباد الله ومحاربته و
كنى بعدم اليدين عن عدم القدرة يقال ما لي بهذا الامر يد اذا كان مما لا يطاق وحذفت النون من يدين للمضارعة او قيل
لكثرة الاستعمال وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا يجوز ان ينصب لحرب الله بظلم عباده الخامس نهاه عن الندم على العفو وعن
التبجح بعقوبة الغير والتسرع الى الغضب الذي يجد عنه سعة ومندوحة فان ذلك كله من لوازم اعطاء القوة الغضبية مرادها
انها شيطان تقود الى النار السادس نهاه ان يامر بما لا ينبغي الامر به ويخالف الدين ونهى عن ما عساه يعرض في النفس من
طاعة الخلق لامره فان عليهم ان يسمعوا وعليه ان يامر فان ذلك فساد في القلب والدين واشار الى ذلك الفساد بقوله فان ذلك ادغال
الى قوله الغير وهو من وجوه ثلثة احدها انه ادغال في القلب وصرف له عن ذكر الله وهو معنى افساده الثاني ان ذلك منهكة
للدين واضعاف له الثالث انه تقريب من الغير لكون الظلم من اقوى الاسباب المعدة باجتماع همم الخلق على زواله وازالته والاشارة بقوله
نعم ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم والكلام في قوة ثلث صغريات لثلثة ضماير وتقدير الكبريات فيها وكل ما كان
كذلك فلا يجوز ارتكابه السابع ارشده الى دواء الابهة والكبر الذي عساه يعرض له في سلطانه وولايته وذلك ان ينظر الى
عظمة الله فوقه وقدرته على ما لا يملكه من نفسه ولا يستطيعه جلبا لها او دفعا عنها فان ذلك يسكن داء الكبر الذي
يحدث له ويطامنه ويكسر حدة غضبه ويرد اليه ما قهرته قوته الغضبية من عقله فعزب عند جماحها وهذه ايضا صغريات
لثلثة ضماير نبه فيها على وجوب فعل ما ارشده اليه من الدواء وتقدير الكبريات فيه وكلما كان كذلك فيجب على الناظر فعله الثامن حذره
عن التعظيم والتجبر ونفر عن ذلك بكونهما مساماة وتشبها به وبان التكبر يستلزم ان يذل الله صاحبه ويهينه وتقدير الاحتجاج
فانك ان تجبرت واختلت يذلك الله ويهينك وهو في قوة صغرى ضمير يتبعها كبراه وكل من كان كذلك فيجب عليه
من الله بترك التجبر التاسع امره بانصاف الله وانصاف الناس من نفسه واهل هواه من رعيته فانصاف الله العمل باوامره والانتهاء

عن زواجره فقال بلا بد لك نعم وانصاف الناس لعدل بينهم والخروج اليهم من حقوقهم اللازمة لنفسه ولاهل خاصته واخرج على وجوه
ذلك الانصاف بعينها من مفصول صغرى الاول وقوله فانك الا تفعل تظلم اى تظلم عباد الله وكبراه ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه
دون عباده وتقدير نتيجته فانك ان لا تفعل كان الله خصمك دون عباده وهى صغرى قياس اخر كبراه قوله ومن خاصمه الله
الى قوله ويتوب وتقدير نتيجته فانك ان لا تفعل ادحض الله حجتك عند مخاصمته وكنت له حربا الى ان تنزع وتتوب من ظلمك
وقوله وليس شئ الى قوله على ظلم تنبيه على لازم اخر لعدم الانصاف اولا فانه على الظلم وهى كونه داعيا الى تغيير نعم الله وتعجيل
نقمته من كل شئ وقوله فان الله الى قوله بالمرصاد بيان للزوم اللازم المذكور وذلك ان الله سبحانه اذا كان يسمع دعوة
المظلوم ويطلع على فعل الظالم فانه يسرع الى تغيير نعمته اذا استعد لذلك الغاشم وامره ان يكون احب الامور اليه اقربها
الى حاق الوسط من طرفى الافراط والتفريط وهو الحق واعمها للعدل واجمعها لرضاء الرعية فان العدل قد يوقع على
وجه لا يعم العامة بل يتبع فيه رضاء الخاصة ونبه على لزوم العدل العام للرعية بحفظ قلوب العامة وطلب رضاهم
بوجهين احدهما ان سخط العامة لكثرتهم لا يفى معه رضاء الخاصة لقلتهم بل يجحف به ولا ينتفع برضاهم عند سخط العامة
وذلك يؤدى الى وهن الدين وضعفه اما سخط الخاصة فانه مغتفر ومستور عند رضاء العامة فكان رضاهم اولى
الثانى انه وصف الخاصة بصفات مذمومة توجب قلة الاهتمام بهم بالنسبة الى العامة وبصفات محموده توجب العناية بهم
اما صفات الخاصة فاحدها كونهم اثقل مؤنة على الوالى فى الرخاء لتكلفه لهم ما لا يتكلفه لغيرهم الثانى كونهم اقل معونة تسلمهم
له فى البلاء لمحبتهم الدنيا وعزة جانبهم الثالث كونهم اكره للانصاف لزيادة اطماعهم فى الدنيا على العامة الرابع كونهم
اسال بالالحاف لانهم عند الحاجة الى السؤال اشد جرأة على الوالى واطمع فى الاثرة جانبه الخامس كونهم اقل شكرا عند الاعطاء
لاعتقادهم زيادة فضلهم على العامة وانهم احق بما يعطونه واعتقادهم حاجة الوالى اليهم وتخوفه منهم السادس كونهم ابطأ
عذرا عند الوالى ان منعهم اى انهم اقل مسامحة له ان اعتذر اليهم فى امر لاعتقادهم فضيلة انفسهم وكونهم واجبى قضاء الحقوق
السابع كونهم اضعف صبرا عند ملمات الدهر لتعودهم الترفه وجزعهم على ما فى ايديهم من الدنيا واما صفات العامة فاحدها
كونهم عمود الدين واستعار لهم لفظ العمود باعتبار قيام الدين بهم كقيام البيت بعموده الثانى كونهم جماع المسلمين لكونهم الاغلب
والاكثر والسواد الاعظم الثالث كونهم العدة للاعداء لكثرتهم ايضا ولانهم كانوا اهل الحرب فى ذلك الزمان وتفيد القضايا
للقرينتين تستلزم وجوب حفظ قلوب العامة وتقديمه على حفظ قلوب الخاصة ولذلك امره ان يكون صغوه وميله الى العامة
الحادى عشر امره بان يكون ابعد رعيته منه وابغضهم اليه اطلبهم لمعايب الناس ونبهه على وجوب ذلك بقوله فان فى الناس
الى قوله سترها واذا كان الوالى احق من سترها لزمه ان لا يكشف عما غاب عنه منها وذلك يمنع اهل النميمة وابعادهم وان يلزمهما
يجب عليه وهو تطهير الخلق مما ظهر له من ذنوبهم دون ما غاب عنه واكد ذلك بالامر بستره العورة من الغير بقدر الاستطاعة فان
كل عيب عورة ونبه على الرغبة فى ذلك بما يستلزمه من اعداده لستر الله منه ما يجب ان يستره هو على رعيته من الذنوب والعيوب
الثانى عشر امره بنزع الحقد وعقد ما عقده فى قلبه منه لكونه منافرا لما يلى المؤتلفة وان [illegible] اسبابه من قبول السعاية واهل النميمة يقطع
الثالث عشر ان يتغافل عن كل امر لا يتضح له ولا يقوم به برهان ونهاه ان يعجل الى تصديق من سعى به ونبه على ذلك بضمير صغراه
قوله فان الساعى الى قوله الناصحين ووجه غشه كونه مثيرا للاحقاد والضغائن بين الناس ويذيع الفاحشة والفساد فى الارض
وتقدير كبراه وكل من كان غاشا وجب ان لا يلتفت اليه الرابع عشر نهاه ان يدخل فى مشورته ثلثة البخيل والجبان والحريص ونبه
على وجه المفسدة فى استشارة كل واحد من الثلثة بضمير صغرى الاول قوله يعدل بك الى قوله الفقر وذلك ان البخيل لا يشير
الا بما يراه مصلحة عنده وهو البخل وما يستلزمه من التخويف بالفقر فهو يعدل بالمستشير عن الفضل وصغرى الثانى قوله
يضعفك عن الامور لان الجبان لا يرى الا وجوب حفظ النفس والتخويف من العدو وهو المصلحة التى يراها وكل ذلك مضعف عن الحرب
ومقاومة العدو وصغرى الثالث قوله يزين لك الشره بالجور وذلك ان المصلحة عنده جمع المال وحفظه وهو مستلزم للجور عن فضيلة يثير الا
العدل والقصد وتقدير الكبرى فى الثلثة وكل من كان كذلك فلا يجوز استشارته ثم نفر عن الثلثة بضمير اخر تنبيه صغراه على
مبدا رذائلهم الثلث وهى البخل والجبن والحرص لتعرف فتجتنب وتنفر عن اهلها فذكر انها غرايز اى اخلاق متفرقة تجمعها النفس
عن اصل واحد ينتهى اليه وهو سوء الظن بالله وبيان ذلك ان مبدا سوء الظن بالله عدم معرفته فان الجاهل به لا يعرف من
جهته ما هو جواد فياض بالخيرات لمن استعد بطاعته لها فيسوء ظنه به وبانه لا يخلف عليه عوض ما يبذل له فيمتنع لذلك مع ملاحظة
الفقر عن البذل فيلزمه رذيلة البخل وكذا الجبان جاهل به من جهة لطفه بعباده وعنايته بوجودهم وعن عالم ستره فهو عنده
فيسوء ظنه بانه لا يحفظه من التلف ويتصور الهلاك فيمنعه ذلك عن الاقدام فى الحرب بخوفها فيلزمه رذيلة الجبن وكذلك الحريص

بجهله تماما من الوجهين المذكورين فيسوء ظنه به ويعتقد انه ان لم يحرص الحرص المذموم لم يوصل اليه تعالى ما يصلح حاله فما يتبع فيه ويحرص ج
عليه فيبعثه ذلك على الحرص وكذا النفس فكانت هذه الاخلاق الثلثة المذمومة راجعة الى ما ذكره ع الخامس عشر لما كان من الاعمال
الصالحة اختيار الوزراء والاعوان نبهه على من لا ينبغى استصلاحه لذلك ليجتنبه وعلى من ينبغى ليرغب فيه فمن لا ينبغى هو من كان للاشرار
من الولاة قبله وزيرا ومشاركا لهم فى الاثام ونهاه عن اتخاذه بطانة وخاصة له ونفر عنهم بضمير صغراه قوله فانهم الى قوله الظلمة وتقدير كبراه
وكل من كان كذلك فلا يتخذه بطانة وقوله وانت الى قوله اثامهم تنبيه لمن هو خير الخلف من الاشرار وهم الذين ينبغى ان يستعان بهم بيان لوجه خيرتهم مثل
بالنسبة الى الاشرار وهو انه يكون لهم مثل ارائهم ونفاذهم فى الامور وليس عليهم مثل اصارهم ولم يعاونوا ظالما على ظلمه ثم رغب فى اتخاذهم
اعوانا بضمير صغراه قوله اولئك اخف الى قوله الفا اما انهم اخف مؤنة فلان لهم وازعا لهم من انفسهم عما لا ينبغى لهم من مال وحال والحاجا
فى ارضائهم لهم او ردعهم عما لا ينبغى الحزم بكلفة بخلاف الاشرار والطامعين فيما لا ينبغى وبحسب نيتهم الى الحق ومجانبتهم للاشرار وكانوا
احسن معونة واثبت عنده قلوبا واشد حنوا عليه وعطفا واقل لغيره الفا وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فينبغى ان يتخذ عونا ووزيرا
لذلك قال فاتخذ اولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ثم ميز من ينبغى ان يكون اقرب هؤلاء اليه واقوام فى الاعتماد عليهم باوصاف
احدها ان يكونوا اقولهم بمر الحق الثانى ان يكون اقلهم مساعدة له فيما يكون منه ويقع من الامور التى يكرهها الله لاوليائه
وانتصب قوله واقعا على الحال اى فى حال وقوع ذلك القول منه والنصيحة وقلة المساعدة حيث وقع من هواه سوى كان فى هوى
عظيم او يسير او حيث وقع هواه اى سواء كان ما هواه عظيما او يسيرا ويحتمل ان يريد وان ذلك الناصح من هواه ومحتنك حيث
وقع اى يجب ان يكون له من هواه موقعا ثم امره فى اعتبارهم واختيارهم بامرين احدهما ان يلازم اهل الورع منهم والاعمال الجميلة واهل
الصدق وثانيهما فضيلتان تحت العفة الثانى ان يروضهم ويؤدبهم بالنهى عن الاطراء له او يبجحوه سرورا بقول باطل ينسبونه فيه
فعل ما لم يفعله فيدخلوه فى ذم قوله نعم ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ونفره عن كثرة الاطراء بضمير صغراه قوله فان كثرة الاطراء
الى قوله العزة واستلزام الاطراء للرذيلتين المذكورتين ظ وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك فيجب اجتنابه الثانى نهاه ان يكون المحسن
والمسئ عنده بمنزلة سواء وتفرع عن ذلك بيان وجه المفسدة فى ضمير صغراه قوله فان ذلك الى قوله الاساءة وسره ان اكثر فعل الاحسان
انما يكون طلبا للمجازاة بمثله خصوصا من الولاة وطلبا للزيادة والرتبة على الغير وزيادة الذكر الجميل مع انواع من الكلفة فى ذلك فاذا لمنزلة
راى المحسن مساواته منزلة المسئ كان ذلك صارفا عن الاحسان وداعيا الى الراحة من تكلفه وكذلك اكثر التاركين للاساءة انما
يتركون خوفا من الولاة واشفاقا من نقصان الرتبة عن النظر فاذا راى المسئ مساواة مرتبته مع مرتبة المحسنين كان التقصير به اولى وتقدير
الكبرى وكلما كان فيه تزهيد للاحسان وتدريب على الاساءة فينبغى ان يجتنب ثم اكد ذلك بامره ان يلزم كلا من اهل الاحسان
والاساءة بما الزم به نفسه من الاستعداد بالاحسان والاساءة لهما فيلزم المحسن منزلة الاحسان ويلزم المسئ منزلة الاساءة السادس
عشر نبهه على الاحسان الى رعيته وتخفيف المؤنات عنهم وترك استكراههم على ما ليس له قبلهم بما يستلزمه ذلك من حسن ظنه بهم المستلزم منهم
لقطع النصب عنه من قبلهم والاستراحة اليهم وذلك ان الوالى اذا احسن الى رعيته قويت رغبتهم فيه واقبلوا بطباعهم على محبته وطاعته
وذلك يستلزم حسن ظنه بهم فلا يحتاج معهم الى كلفة فى جميع اهوائهم والاحتراس من شرورهم واكد ذلك بقوله وان احق من حسن ظنك
به الى قوله عنده السابع عشر نهاه ان ينقض سنة صالحة عمل بها السلف الصالح من صدور هذه الامة واجتمعت بها الالفة وصلح
الرعية وذلك مفسدة ظاهرة فى الدين الثامن عشر نهاه ان يحدث سنة تضر شيئا من ماضى السنن واشار الى وجه الفساد فيها بضمير
صغراه قوله فيكون الى قوله منها فيعود الى السنن التى دخل عليها الضرر فيكون الاجر لمن سن السنة الماضية التى اضرت بها سنتك
الحادثة والوزر عليك بما نقضت منها وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فينبغى ان يجتنب وينفر عنه التاسع عشر امره ان يكثر مدارسة
العلماء اى باحكام الشريعة وقوانين الدين ومنافثة الحكماء اى العارفين بالله واسراره فى عباده وبلاده العاملين بالقوانين الحكمية
العملية التجربية والاعتبارية ويتصفح انواع الاخبار فى تثبيت القواعد والقوانين التى يصلح عليها امر بلاده واقامة ما استقام به الناس
قبله وبالله التوفيق **الفصل الثالث** فى التنبيه على طبقات الناس الذين ينتظم بهم امر المدينة وكل على حده وطبقته
التى يقتضى الحكمة النبوية وضعه فيها والاشارة الى تعلق كل طبقة بالاخرى حيث لا صلاح لبعضهم الا بالبعض وبذلك يكون قوام المدينة
ثم بالاشارة الى من يستصلح من كل صنف وطبقة يكون اهلا لتلك المرتبة والوصية فى كل بما يليق به وذلك قوله واعلم ان الرعية
طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل ومنها والخراج
عمال الانصاف والرفق ومنها اهل الجزية من اهل الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار واهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوى الحاجة
والمسكنة وكل قد سمى الله سهمه ووضع على حده فريضة فى كتابه او سنة نبيه محمد ص عهدا منه عندنا محفوظا فالجنود باذن الله
حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الامن وليس يقوم الرعية الا بهم ثم لا قوام للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج يقوون

به في جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما اصلحهم ويكون من وراء حاجتهم ثم لا قوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث من القضاة والعمال
والكتاب لما يحكمون به من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الامور وعوامها ولا قوام لهم جميعا الا بالتجار
وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من اسواقهم ويكفونهم من الترفق بايديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم ثم
الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه فول
من جنودك انصحهم في نفسك لله ولرسوله ولامامك انقاهم جيبا وافضلهم حلما ممن يبطئ عن الغضب ويستريح الى العذر ويرؤف
بالضعفاء وينبو عن الاقوياء وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف ثم الصق بذوي الاحساب اهل البيوتات الصالحة والسوابق
الحسنة واهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فانهم جماع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد من امورهم ما يتفقده الوالدان
من ولدهما ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به ولا تحقرن لطفا تعاهدتهم به وان قل فانه داعية لهم الى بذل النصيحة لك وحسن الظن
بك ولا تدع تفقد لطيف امورهم اتكالا على جسيمها فان لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به وللجسيم موضعا لا يستغنون عنه وليكن
آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته وافضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف اهليهم حتى يكون
همهم هما واحدا في جهاد العدو فان عطفك يعطف قلوبهم عليك ولا تصح نصيحتهم الا بحيطتهم على ولاة امورهم وقلة استثقال دولهم منهم
وترك استبطاء انقطاع مدتهم فافسح في آمالهم وواصل من حسن الثناء عليهم وتعديد ما ابلى ذوو البلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن
افعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل ان شاء الله ثم اعرف لكل امرئ منهم ما ابلى ولا تضمن بلاء امرئ الى غيره ولا تقصرن به دون غاية بلائه
ولا يدعونك شرف امرئ الى ان تعظم من بلائه ما كان صغيرا ولا ضعة امرئ الى ان تستصغر من بلائه ما كان عظيما واردد الى الله
ورسوله ما يضلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الامور فقد قال الله سبحانه لقوم احب ارشادهم يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول فالرد الى الله الاخذ بمحكم كتابه والرد الى الرسول الاخذ
بسنته الجامعة غير المفرقة ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في
الزلة ولا يحصر من الفيء الى الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بادنى فهم دون اقصاه اوقفهم في الشبهات وآخذهم
بالحجج واقلهم تبرما بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشف الامور واصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء
واولئك قليل ثم اكثر تعاهد قضائه وافسح له في البذل ما يزيح علته وتقل معه حاجته الى الناس واعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع يزيل
فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظرا بليغا فان هذا الدين قد كان اسيرا في ايدي
الاشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا ثم انظر في امور عمالك فاستعملهم اختبارا ولا تولهم محاباة واثرة فانهما جماع من شعب الجور
والخيانة وتوخ منهم اهل التجربة والحياء من اهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة فانهم اكرم اخلاقا واصح اعراضا واقل
في المطامع اسرافا وابلغ في عواقب الامور نظرا ثم اسبغ عليهم الارزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح انفسهم وغنى لهم عن تناول ما اشرافا
تحت ايديهم وحجة عليهم ان خالفوا امرك او ثلموا امانتك ثم تفقد اعمالهم وابعث العيون من اهل الصدق والوفاء عليهم فان تعاهدك في
السر لامورهم حدوة لهم على استعمال الامانة والرفق بالرعية وتحفظ من الاعوان فان احد منهم بسط يده الى خيانة اجتمعت بها عليه
عندك اخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا فبسطت عليه العقوبة في بدنه واخذته بما اصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة
ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة وتفقد امر الخراج بما يصلح اهله فان في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم
الا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج واهله وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك الا
بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد واهلك العباد ولم يستقم امره الا قليلا فان شكوا ثقلا او علة او انقطاع شرب او بالة
او احالة ارض اغتمرها غرق او اجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو ان يصلح به امرهم ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم فانه
ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمدا فضل
قوتهم بما ذخرت عندهم من اجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم فربما حدث من الامور ما اذا عولت
فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة انفسهم به فان العمران محتمل ما حملته وانما يؤتى خراب الارض من اعواز اهلها وانما يعوز اهلها لاشراف
انفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر ثم انظر في حال كتابك فول على امورك خيرهم واخصص رسائلك التي
تدخل فيها مكائدك واسرارك باجمعهم لوجوه صالح الاخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملأ
ولا تقصر به الغفلة عن ايراد مكاتبات عمالك عليك واصدار جواباتها على الصواب عنك وفيما ياخذ لك ويعطي منك ولا يضعف
عقدا اعتقده لك ولا يعجز عن اطلاق ما عقد عليك ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الامور فان الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره
اجهل ثم لا يكن اختيارك اياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك فان الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن

خدمتهم

خدمتهم ليس وراء ذلك من النصيحة والامانة شيء ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لاحسنهم كان في العامة اثرا واعرفهم
بالامانة وجها فان ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت امره واجعل لرأس كل امر من امورك رأسا منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشتت
عليه كثيرها ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات واوص بهم خيرا المقيم منهم
والمضطرب بماله والمترفق ببدنه فانهم مواد المنافع واسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلك
وجبلك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها فانهم سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته وتفقد امورهم
بحضرتك وفي حواشي بلادك واعلم مع ذلك ان في كثير منهم ضيقا فاحشا وشحا قبيحا واحتكارا للمنافع وتحكما في البياعات
وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه وليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل
واسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكل به وعاقب في غير اسراف ثم الله الله في الطبقة
السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين واهل البؤسى والزمنى فان في هذه الطبقة قانعا ومعترا فاحفظ لله ما
استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الاسلام في كل بلد فان للاقصى منهم مثل الذي للادنى
وكل قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطر فانك لا تعذر بتضييع التافه لاحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم ولا
تصعر خدك لهم وتفقد امور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرغ لاولئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع
فليرفع اليك امورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله سبحانه يوم تلقاه فان هؤلاء من بين الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم وكل فاعذر
الى الله في تأدية حقه اليه وتعهد اهل اليتم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه وذلك على الولاة ثقيل و
الحق كله ثقيل وقد يخففه الله على اقوام طلبوا العاقبة فصبروا انفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم **اقول** المعاقد جمع معقد مصدرا
والمرافق المنافع وتغابى عن الامر تغافل والخلوف المتخلفون جمع خلف بالفتح والحيطة الشفقة ويضلعك يثقلك والمحك اللجاج والحصر العي
والعجز والبرم الضجر والازدهاء افتعال من الزهو وهو الكبر والاطراء كثرة المدح والاغتيال الاخذ على غرة والمحاباة المعاطاة والمقاربة
فيها والاثرة الاستبداد والجماع المجمع والتوخي القصد والحدوة الحث والشرب النصيب من الماء والبالة القليل من الماء يبل به الارض و
احالة الارض تغيرها عما كانت عليه من الاستواء فلم ينجب زرعها ولا اثمر نخلها والاجمام الاراحة ومعنى فاصل والاعواز الفقر و
استنام الى كذا سكن اليه والمترفق طالب الرفق من التجارة والمطارح جمع مطرح وهي الارض البعيدة والبائقة الداهية والغائلة الشر و
الاحتكار حبس المنافع عن الناس عند الحاجة اليها والبؤسى الشدة والقانع السائل والمعتر الذي يتعرض للعطاء من غير سؤال و
الصوافي جمع صافية وهي ارض الغنيمة والتافه الحقير وتشخيص همه رفعه وتصعير الخد اماله كبرا وتقتحمه تزدريه واعذر في الامر تقييد
صار ذا عذر فيه واعلم ان في الفصل ابحاثا الاول انه قسم اهل المدينة الى سبع طبقات وحكم بانه لا يصلح بعضها الا بالبعض على ما
بينه وقوله من اهل الذمة ومسلمة الناس تفصيل للاهل الاول فاهل الذمة تفسير لاهل الجزية ومسلمة الناس تفسير لاهل الخراج ويجوز
ان يكون تفسيرا لاهل الجزية والخراج لان للامام ان يقبل ارض الخراج من سائر المسلمين واهل الذمة واراد بالسهم الذي سماه الله
لكل منهم الاستحقاق لكل من ذوي الاستحقاق في كتابه اجمالا من الصدقات كالفقراء والمساكين وعمال الخراج والصدقة وتفصيله
في سنة نبيه صلى الله عليه وآله وحده الذي وضع الله عليه عهدا منه عند اهل بيت نبيه هو مرتبته ومنزلته من اهل المدينة الذين لا يقوم
الا بهم فان للجند منزلة وحدا محدودا لا يجوز له تعديه وفريضته وقوفه عنده والعمل بما يلزم تلك المرتبة وكذلك الكتاب والعمال
والقضاة وغيرهم فان لكل منهم حدا يقف عنده وفريضة يلزمها بها عهد من الله محفوظ عند نبيه واهل بيته اشتملت عليها
الشريعة البحث الثاني انه نبه بقوله فالجنود باذن الله الى قوله معونتهم على ان لكل من الاصناف المذكورة تعلقا بالآخر بحيث لا
يقوم الا به والحاجة اليه ضرورية ومجموعهم يقوم صورة المدينة فبدأ بالجنود لانهم الاصل وذكر وجه الحاجة اليهم اربعا وصفات
احدها كونهم حصون الرعية واستعار لهم لفظ الحصون باعتبار حفظهم للرعية وحياطتهم لهم كالحصن الثاني انهم زين الولاة فان الوالي
بلا جند كآحاد الرعية لا يبالى به ولا يطاع له امر والمفسدة فيه ظاهرة الثالث كونهم عز الدين واطلق لفظ العز عليهم اطلاقا لاسم
اللازم على ملزومه اذ كان العز للدين لازما لوجودهم الرابع استعار لفظ الامن لهم باعتبار لزوم الامن لوجود الجند في الطرق ونحوها
والكلام في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فليس يقوم الرعية الا به وقوله وليس يقوم الرعية الا بهم نتيجة القياس
المذكور وقال باذن الله تنبيها على ان اعداد جنود الحق الذين هم مقتضى الحكمة لاصلاح الجنود الثاني اهل الخراج ومن يؤخذ منهم
واشار الى وجه استلزام الحاجة الى الجند الحاجة اليهم بقوله ثم لا قوام للجنود الى قوله حاجتهم فقوله لا قوام الى قوله الخراج
دعوى وقوله الذين يقوون الى قوله حاجتهم في قوة صغرى ضمير بين علتها وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فلا قوام للجند
الا به فينتج لا قوام للجند الا بما يخرج الله لهم من الخراج ولما كان الخراج انما يحصل من جباته من الرعية ولا يقوم الجند الا بهم لث

القضاة والعمال والكتاب بجمعهم لان وجه الحاجة اليهم واحد واشار اليه بقوله لما يحكمون به الى قوله وخواصها فانهم امناء الوالي والرعية
على ما يعمهم من الامور او يخص كلا منهم وعلى ايديهم تكون احكام العقود وجمع المنافع وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك
فحاجة الجند والرعية اليه ضرورية الرابع التجار وذوي الصناعات وادعى انه لا قوام للاصناف السابقة الا بهم ونبه على ذلك بقوله فيما
يجتمعون عليه من مرافقهم فان كل ما يفعله التجار من طلب الامتعة وبيعها وشرائها ويقيمونه من الاسواق بذلك وما يعمله الصناع من المنفعة جلب
بايديهم مما لا يحصل من غيرهم الانتفاع به منافع ومنافع للرعية في مقام حاجتهم وضروراتهم وهو في قوة صغرى ضمير كبراه ما سبق الخامس
الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة ونبه على وجه الحاجة اليهم بقوله الذين يحق رفدهم ومعونتهم وبيان ذلك ان رفد هؤلاء و
معونتهم يستلزم اجتماع هممهم وتوافر دواعيهم لرافدهم ومعينهم وبهم تستنزل الرحمة وتستدر البركة من الله تعالى لاهل الدنيا وبه
الثواب الاخروي فكانت الحاجة اليهم داعية لذلك ولما اشار الى وجه الحاجة الى جميعهم قال وفي الله لكل سعة اي في جود الله وعنايته
ليعتمد على الله في تدبير امورهم اذ هو نعم العناية الاولى وقال ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه ليعلم ان مراعاة كل منهم واجبة
عليه فيحمل عليها وبالله التوفيق البحث الثالث في امره باستصلاح كل صنف باوصاف يجب ان يكون عليها ويضيء مقامه فالصنف
الاول الجند واشار الى تعيين من يصلح لهذه المرتبة باوصاف وامره ونهاه فيهم باوامر ونواهي اما الاوصاف فاحدها من كان انصح
في نفسه لله ولرسوله ولامامه جيبا اي اكثرهم امانة في العمل باوامر الله ورسوله وامامه وفاتح الجيب كناية عن الامين الثاني افضلهم
حلما ثم وصف ذلك الافضل فقال ممن يبطئ عن الغضب ويستريح الى العذر فيقبله اذا وجده ويرؤف بالضعفاء فلا يتغلظ عليهم
وينبو على الاقوياء اي يعلو عليهم ويتجنب الميل اليهم على من دونهم ممن لا يثيره العنف اي لا يكون له عنف يثيره كقوله ولا
اري لقب بها فيتحجر وقيل لا يهيجه العنف ولا يزعجه اذا فعل ولا يقعد به الضعف عن اقامة حدود الله واخذ الحقوق من
الظالمين اي لا يكون له ضعف فيقعده عن ذلك الثالث من كان من اهل الاحساب والبيوتات الصالحة والسوابق الحسنة
عن الافعال والاقوال الخيرية الرابع من يكون من اهل النجدة والشجاعة الخامس من يكون من اهل السخاء والسماحة واما الاوامر
فاحدها ان يولي من الجند من كان بهذه الصفات الثاني ان يتاصل من ذكر منهم اي يلزمهم في هذه المرتبة ويرغبهم فيه
فانهم الى قوله العرف وقصرهم بكونهم جماع الكرم وشعب من المعروف اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه اذ كان الجماع من الكرم هو الفضائل
المذكورة لازمة لهم والامانة والسخاء والسماحة فضائل تحت العفة والحلم والنجدة فضيلتان تحت الشجاعة ويحتمل ان يكون
الضمير في قوله فانهم عائدا الى الفضائل المذكورة كقوله فانهم عدو لي ويشير الى الاصنام الثالث ان يتفقد من امورهم مصالحهم
ما يتفقده الوالدان وهو كناية عن نهاية الشفقة عليهم الرابع نهاه ان يعظم في نفسه شيء يقويهم به من مال او نفع فيدعوه الى التقاصر في حقهم
الخامس ان لا يحتقر لطفا يتعاهدهم به فيحمله احتقاره على تركه والتحجر لا ولو ترك فعله وان قل بقوله فانه داعية الى قوله الظن بك وتقدير
كبرى هذا الضمير وكلما كان كذلك فالاولى بك فعله السادس نهاه ان يدع تفقد الصغير من امورهم اعتمادا على تفقد عظيمها وانجح
لا ولو بترك فعله بقوله فان لليسير الى قوله موقعا ينتفعون به وللعظيم فان موضع اليسير ينتفع به يستغنى فيه عن الجسيم وتقدير كبرى
هذا الضمير وكلما كان له موقعا ينتفع به فالاولى فعله في موضعه لينتفع به السابع امره ان يكون اثر رؤوس جنده عنده من كان
بالصفات المذكورة وهو الذي يواسي من تحت يده من الجند فيما يحصل له من المعونة ويفضل عليهم مما في يده بما يسعهم ويسع
من وراءهم من ضعفاء اهليهم وخلوفهم حتى يكون بذلك همهم واحدا فيكونوا بمنزلة رجل واحد في جهاد العدو ثم رغب في العطف
عليهم بما يستلزمه من عطف قلوبهم وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان مستلزما لعطف قلوبهم ففعله واجب عليهم
ومصلحة وايضا لما كانت صحة محبتهم من اهم المطالب بين انها لا تتم الا بامور ثلاثة احدها حيطتهم ومحافظتهم ولاة امورهم الثاني
قلة استثقال دولهم الثالث ان يتركوا استبطاء انقطاع مدة دولتهم وذلك في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وما لا يتم اهم المطالب
الا به كان من اهم المطالب الثامن امره ان يفسح لهم في امالهم اي يجعل لهم من نفسه طمعا كي يفسح به امالهم فيه لان ذلك تمام الامور الثلاثة المذكورة
الا به ولذلك رتب هذا الامر عليها بالفاء التاسع امره ان يواصل من حسن الثناء عليهم وتعديد ما ابلى ذو البلاء منهم واحتج
لوجوب ذلك بقوله فان كثرة الذكر الى قوله ان شاء الله وهو ظاهر والقضية في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك كان واجبا
العاشر امره ان يعرف لكل امرئ ما ابلى ونبه انه لانه يهز الشجاع ويشجع الجبان الحادي عشر نهاه ان يضم بلاء امرئ الى غيره
الثاني عشر وان يقصر به دون غاية بلائه فيذكر بعضا او يحقره الثالث عشر ان يدعوه شرف امرئ الى ان يعظم صغير
بلائه او ضعة امرئ ان يستصغر كبير بلائه فان كل ذلك داعية الكسل والفتور عن الجهاد الرابع عشر امره ان يرد الى الله ورسوله
ما يضلعه من الخطوب ويشتبه عليه من الامور محتجا بالاية ثم فسر الرد الى الله بالاخذ بمحكم كتابه والرد الى الرسول بالاخذ بسنته
ووصف السنة بكونها جامعة غير مفرقة لان مدارها على وجوب الالفة واجتماع الخلق على طاعة الله وسلوك سبيله الصنف الثاني قضاة
سبيلهم

العدل وعينهم له باوصاف وامره فيهم باوامر اما الصفات فاوجب ان يكون افضل رعيته في نفسه وميز ذلك الافضل بصفات احدها ان يكون
ممن لا يضيق به الامور ويتحارى فيها حين ترد عليه الثاني وممن لا يمحكه الخصوم اي يغلبه على الحق باللجاج وقيل ذلك كناية عن كونه ممن
يرضيه الخصوم فلا تلاجه ويقبل باذل قوله الثالث ان لا يتمادى في زلته اذا زل فان الرجوع الى الحق خير من التمادي في الضلال
الرابع ان لا يحصر من الرجوع الى الحق اذا عرفه كما يفعله قضاة السوء حفظا للجاه وخوفا من شناعة الغلط الخامس ان لا تشرف
نفسه على طمع فان الطمع في الناس داعية الحاجة اليهم والميل عن الحق السادس ان لا يكتفي بادنى فهم دون اقصاه لان ذلك
مظنة الغلط السابع ان يكون اوقف الناس عند الشبهات لانها مظنة الوقوع في الخطا الثامن واخذهم بالحجج التاسع واقلهم
تبرما بمراجعة الخصم لما يستلزمه التبرم من تضييع الحقوق العاشر وكذلك واصبرهم على تكشف الامور الحادي عشر واصرمهم
عند اتضاح الحق فان في التاخير افات الثاني عشر وممن لا يجد له كثرة المدح كبرا الثالث عشر وممن لا يستميله الحاح الحق
اغراء به ثم حكم بقلة من يجتمع فيه هذه الصفات فيها على ان فيها ما هو اولى دون ان يكون شرطا في القضاء واما الاوامر
فاحدها ان يختار من كان بالصفات المذكورة الثاني ان يكثر تعاهد قضائه ليقطع طمعه في الانحراف عن الحق لو خطر بباله
الثالث ان يفسح له في البذل ما يزيح علته وهو كناية عما يكفيه ويقل معه حاجته الى الناس فلا يميل اليهم وما يحتمل ان يكون
بدلا من البذل وان يكون مفعولا لفعل محذوف دل عليه البذل كانه قال فيبذل له ما يزيح علته وان يكون مفعولا ليفسح
اي يوسع له ما يكفيه من المال ويحتمل ان يكون في معنى مصدر يفسح اي يفسح له فسحا يزيح علته الرابع ان يعطيه من المنزلة عنده
ما لا يطمع فيه معها غيره من خاصته ليامن بذلك اغتيال الاعداء وتقدير كبرى هذا الضمير وكلما كان كذلك فواجب بذله
للقاضي الخامس ان ينظر في اختيار من كان بهذه الصفات وفيما امره به نظرا بالغا ليعمل بقضائه وعلل ذلك بقوله فان هذا
الدين الى قوله الدنيا واستعار لفظ الاسير باعتبار تصريفهم له كالاسير والكلام صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فيجب
النظر في اختيار من يعمل بالحق ويخرجه من اسر الاشرار وبالله التوفيق الصنف الثالث العمال وميزهم ايضا باوصاف وامره فيهم
باوامر وصلحية اما الاوصاف فاحدها ان يكون العامل من اهل التجربة للاعمال والولايات ليعمل على علم بقواعدها وبدء ابتدائها
لانه الاصل الاكبر للعمل الثاني ان يكون من اهل الحياء فلا ينتهي في الانفعال الى حد الاستحياء وهو طرف التفريط فيضيع
به الحقوق والمصالح ولا يتجاوزه الى حد الوقاحة فيقع في طرف الافراط وما يلزمه من الجفاوة ونفرة القلوب عنه الثالث ان يكون
من اهل البيوتات الصالحة والقدم السابقة في الاسلام وهو كناية عن السبق المتقدم في الدين والخير وهم في ذلك اصل
معرفي واشار الى وجه الحكمة في توليته من كان بهذه الصفات الثلث بقوله فانهم الى قوله نظرا وذلك ان الحياء وصلاح البيوت
والتقدم في الاسلام يفيدهم كرم الاخلاق ومحافظة على الاعراض من المطامع وقلة الاشراف والتطلع الى المطامع الدنية
والتجربة يفيدهم بلاغة النظر في عواقب الامور والكلام في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فهو اولى ان يقصد
بالتولية والعمل واما الاوامر فاولها ان ينظر في امورهم فيستعملهم بعد التجربة والاختبار ولا يوليهم محاباة واثرة كان يعطونه
شيئا على الولاية ويوليهم ويستاثر بذلك من دون مشاورة فيه فانهما اي المحاباة والاثرة كما هو مصرح به في بعض النسخ عوض الضمير
جماع من شعب الجور والخيانة اما الجور فللخروج بهما عن واجب العدل المامور به شرعا واما الخيانة فلان التحري في اختيارهم
من الدين وهو امانة في يد الناس كما ضبطهم فكان نصبهم من دون ذلك بمجرد المحاباة والاثرة خروجا عن الامانة ونوعا
من الخيانة وثانيها ان يقصد بالعمل من كان بالصفات المذكورة للعلل المذكورة الثالث ان يسبغ عليهم الارزاق وبين
المصلحة في ذلك من ثلثة اوجه احدها ان عمومهم بالارزاق يكون قوة لهم على استصلاح انفسهم الذي لا بد منه الثاني انه
غنى لهم عن تناول ما تحت ايديهم من مال المسلمين الثالث انه يكون حجة له عليهم ان خالفوا امره او ثلموا امانته واستعار لفظ
الثلم للخيانة والوجوه الثلثة صغريات ضماير تقدير كبرياتها وكلما كان كذلك كان فعله مصلحة واجبة الرابع ان يتفقد اعمالهم
ويبعث العيون والجواسيس من اهل الصدق والوفاء عليهم واشار الى وجه المصلحة في ذلك بقوله فان تعاهدك في السر
بالرعية فان تعهده لامورهم مع علمهم بذلك منه يبعثهم على اداء الامانة فيها ولوازم الاعمال وعلى الرفق بالرعية والمذكور صغرى
ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فيجب فعله الخامس ان يتحفظ من خيانة الاعوان من العمال وارشد بقوله فان احد منهم بسط
الى قوله التهمة الى ما ينبغي من ادابهم واقامة سنة الله فيهم واستعار لفظ التقليد لنسبة التهمة اليه ملاحظة لشبهها بما يقلد به لتقليدهم
من الشعار المحسوس واللفظ في غاية الفصاحة وهذه العقوبة مقدرة بحسب العرف وراي الامام ومن رضاه الصنف الرابع
اهل الخراج وامره فيهم باوامر احدها ان يتفقد امر خراجهم ويفعل فيه ما يصلح اهله بما سيشرحه ثم اشار الى وجه المصلحة
فيه بضمير صغراه قوله فان صلاحه الى قوله الا بهم وبينه بقوله لا صلاح لمن سواهم الا بهم على حصر صلاح الغير فيهم تاكيدا له

وتقدير الكبرى وكل من كان لاصلاح للناس لا بد يجب مراعاة اموره وتفقد احواله ثم بين الصغرى بقوله لان الناس كلهم عيال على | مخرج
واهله وهو ظاهر في ذلك ثم وقت الثاني ان يكون نظره في عمارة الارض ابلغ من نظره في طلب الخراج واستجلاب وبينه على وجه
الحكمة فيه بقوله لان ذلك اى الخراج لا يدرك الا بالعمارة وهو في قوة صغرى ضمير ثم بينها بقوله ومن طلب الى قوله قليلا او
وهو اشارة الى ما يلزم من نقيض المدعى وهي مفاسد ثلث احدها اخراب البلاد لعدم العمارة والثاني اهلاك العباد لتكليفهم ما
ليس في وسعهم والثالث عدم استقامة امر الطالب للخراج والوالي على اهله وهو لازم عن الاولين وتقدير الكبرى وكل ما
لا يدرك الا بالعمارة وجب ان يكون النظر فيها ابلغ من النظر فيه فينتج ان النظر في العمارة يجب ان يكون ابلغ من النظر في الخراج الثالث
امره ان يخفف عنهم من خراجهم ما يرجو ان يصلح به امرهم على تقدير ان يشكو من حالهما عنا يلحقهم من ثقل ارضهم من ثقل خراج
او علة سماوية او انقطاع نصيب كان لهم من الماء او تغير ارض وفسادها بسبب غرق او عطش ثم نهاه ان يستثقل ما يخفف
عنهم به و اشار الى وجه الحكمة فيه بقوله فانه ذخر الى قوله العدل فيهم ومعتمدا نصب على الحال والعامل خففت وفضل
نصب بالمفعول عن معتمدا او قوله والثقة عطف على المفعول المذكور ونبه على وجه المصلحة في اعتماد فضل قوتهم بادا خنهم والثقة
منهم بما عودتهم من عدلك بقوله فربما حدث الى قوله انفسهم به وتقدير الكلام خفف عنهم معتمدا فضل قوتهم فان ذلك يستلزم
احتمالهم ما عساه يحدث من الامور فيحملوه اذا عولت عليهم فيه بطيب نفس وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك
فواجب ان يخفف عنهم ويعتمد فضل قوتهم وفي قوله فان العمران محتمل ما حملته بيان الصغرى لان التخفيف عنهم يستلزم
عمران ارضهم وهو يستلزم احتمالهم لما يرد عليهم من حوادث الامور ثم نبه بقوله وانما تؤتى خراب الارض الى قوله اهلها على سبب
الخراب ثم بقوله وانما يعوز الى قوله العبر على ذلك السبب وهو مركب من ثلثة اجزاء احدها تشرف نفوس الولاة على الجمع والثاني
سوء ظنهم بعدهم انه لا يبقى في العمل والثالث عدم انتفاعهم بالعبر وعلة العقاب ثم ايضا وظاهر ان هذه الامور اذا اجتمعت في
الوالي استلزم جمعه للمال واستقصاؤه على الرعية واستلزم ذلك اعوازهم وفقرهم فاستلزم ذلك خراب ارضهم وتعطيل
عمارتها الصنف الخامس الكتاب امره فيهم باوامر احدها ان يولي اموره خيرهم وتفسير الخير هنا هو من كان نقيا فيما يراد
منه من مصالح العمل الثاني ان يخص رسائله واسراره ومكايده باجمعهم لصالح الاخلاق وقد علمت اصولها عن مره وهي العلم وجودة
الاراء المصلحية والتهدي الى وضع كل شيء موضعه ثم العفة والشجاعة والعدالة مع ما تحت الاربعة من الفضائل الخلقية ثم نبه
بعض الفضائل التي عناها ان يخفى وذكر منها خمسا احدها عدم البطر وهي فضيلة تلزم الشكر وهو فضيلة تحت العفة ونفر
عن صاحب البطر بقوله فيجترى الى قوله ملاء وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من يجترى عليك كان فيغير صالح لكونه
امرك الثاني شدة الفطنة والذكاء فيما هو بصدده من الامور المذكورة وكنى عن ذلك بقوله ممن لا يقصر به الغفلة الى قوله منك
الذكاء فضيلة تحت الحكمة الثالث ان لا يكون ممن يضعف عقدا يعقده لك من الامور بل يجعله محكما الرابع ان لا يعجز
عن اطلاق ما عقد عليك خصومك من الامور بالحيلة والخديعة وهذان لازمان لاصالة الرأي وهو فضيلة تحت الحكمة
الخامسة ان لا يجهل قدر نفسه في الامور فيرفعها الى فوق محلها ومرتبتها وهي فضيلة تحت الحكمة الخالقية ايضا وتشعلي | مبلغ م
اجتناب الجاهل بذلك بقوله فان الجاهل الى قوله اجهل وهي صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فيجب اجتنابه الثالث
نهاه ان يكون اختياره للعمال لفراسته وسكونه وحسن ظنه باحدهم واشار الى وجه المفسدة في ذلك بقوله فان الرجال
الى قوله شيء والمعنى ان الرجال قد يتصنعون لحدقه وتمرضون لان يتفرس فيهم الولاة فيعرفونهم بذلك مع انه ليس وراء ذلك
التصنع من النصيحة والامانة شيء وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فينبغي ان لا يعتمد على اختياره بحسب الفراسة
الرابع لما نهاه عن وقوع اختيارهم كذلك امره ان يختبرهم بولايتهم لمن كان قبله من الصالحين ارشادا الى وجه الاختيار وتعمد
الى من كان بالصفات المذكورة وهو ان يكون احسن اثرا في العامة واعرفهم بوجه الامانة في الدين ورغبه في ذلك بتضمير
صغراه قوله فان ذلك الى قوله امره وتقدير كبراه وكلما كان كذلك وجب فعله الخامس امره ان يجعل لراس كل امر من اموره راسا
من الكتاب الموصوفين يكونهم مناسبا له بحيث لا يكبر عليه كثيره فيقهره ولا يكثر عليه كثيره فيتشتت عن ضبطه وتقصير
دونه السادس نهاه ان يتغافل عما يكون في كتابه من عيب ونبهه على ذلك بقوله ومهما الى قوله الزمته وهو صغرى ضمير
تقديره فان كل ما يتغافل عنه من ذلك نلزم به وتقدير كبراه وكل ما نلزم به فلا يجوز ان يتغافل عنه الصنف السادس التجار
وذوو الصناعات وامره فيهم باوامر اولها ان يستوصي بهم خيرا الثاني ان يوصى بهم كذلك باصنافهم المقيم منهم والمضطرب
في تجارته عماله والمترفق ببدنه وهم اهل الصنايع واشار الى وجه الحكمة في الوصية بهم والعناية بحالهم من وجهين
| وقوله احدهما نفعهم ونبه على ذلك بقوله فانهم الى قوله عليها والضمير في قوله مواضعها وعليها يعود الى المنافع وحيث اي ومن كان لا

٣٠٤ ج

لا يجمع الناس لمواضع تلك المنافع منه ولا يجترئون عليها فيه وكذلك الحيث كالبحار والجبال ونحوها الثاني انه لا مضرة فيهم وذلك
قوله فانهم الى قوله غائلته وتقدير كبرى الضمير وكل من كان كذلك فيجب الاستيصاء والوصية بالخير في حقه الثالث ان يتفقد
امورهم بحضرته وفي حواشي بلاده ما عساه يعرض لهم من المظالم والموانع لتزايلها عنهم الرابع ان يعلم ما فيهم من المعايب المعدودة وهي
الضيق الفاحش والشح والتفيقه البخل ثم الاحتكار للمنافع التي يعم نفعها وهي الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسمن والملح ثم
التحكم في البياعات وهو عبارة عن البيع على حكمه بالهوى اطلق من غير تقييد بشريعة وعرف فان ذلك عدول عن العدل الى
رذيلة الجور ثم نبه على وجه المفسدة اللازمة لتلك المعايب بقوله وذلك الى قوله الولاة اما انه مضرة فظ واما انه عيب على
الولاة فلان قانون العدل بايديهم فاذا اهملوا بترك رد هؤلاء عن طرف الجور توجهت اللائمة نحوهم والعيب عليهم وهو صغرى ضميره
تقدير كبراه وكلما كان كذلك فيجب انكاره ودفعه الخامس لما بين له وجه المفسدة في تلك المعايب امره بمنع الاحتكار واحتج بمنع
الرسول صلى الله عليه وآله السادس امره بكون البيع سهلا سمحا وان يكون بموازين عدل واسعار لا يحجف بالبايع فيذهب اصل مبيعه ولا بالمشتري
فيذهب رأس ماله السابع امره بايقاع النكال على من احتكر بعد نهيه عن ذلك ان يعاقبه من غير اسراف الصنف السابع الطبقة
السفلى وميزهم باوصاف وامره فيهم باوامر ونواهي اما تميزهم فالعاجزون عن الحيلة والاكتساب المساكين والمحتاجون واهل البؤسى
والزمني وهؤلاء كلهم وان دخل بعضهم في بعض لانه عندهم بحسب علمه نعدد صفاتهم لمزيد العناية بهم كيلا يتغافل عن احدهم
ويتناول فيه واما الاوامر فاحدها ان يحفظ من الله فيهم واشار الى وجه الحكمة في ذلك التحذير بقوله فان فيهم قانعا ومعترا وهو
صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فيجب ان يجد الله فيه ويحفظ لهم ما استحفظ من حقه فيه الثاني ان يجعل لهم قسما من
بيت ماله ومن صوافي الاسلام في كل بلد واصناف بيت المال اليه واراد الذي يليه ونبهه على ذلك بقوله فان للاقصى الى قوله
حقه وتقدير كبرى هذا الضمير وكل من كان كذلك وجب ان يجعل له ما يعتبر في حقه بازائه اليه الثالث نهاه ان يشغله عنهم بطر ونهى
عن الاشتغال عنهم بقوله فانك لا تعذر الى قوله المهم واراد بالتافه القليل من امورهم ولخولهم وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل
من لا يعذر بذلك فلا يجوز له الشغل عنه الرابع نهاه ان يشخص همه عنهم اي يرفعه حتى لا يبالي لهم الخامس نهاه ان يصعر خده لهم
وهو كناية عن التكبر عليهم السادس امره ان يتفقد امور من لا يمكنه الوصول اليه منهم لعجزه وحقارته في عيون الاعوان والجند
وان يفرغ لهؤلاء ثقة من اهل الخشية والتواضع ومضيه لهم ليرفع اليه امورهم السابع ان يعمل فيهم بالاعذار الى الله سبحانه يوم يلقاه
اي يعمل في حقهم ما امره الله به بحيث يعذر الله اي يكون ذا عذر عنده اذا سأله عن فعله بهم ونبه على وجه الحكمة في مزيد العناية بهم بقوله
فان هؤلاء الى قوله غيرهم الثامن كذا الامر بالاعذار الى الله في تادية حق كل واحد من المذكورين اليه التاسع امره ان يتعهد الايتام وذوي
الرقة في السن اي الذين بلغوا في الشيخوخة الى ان رق جلدهم وضعف حالهم عن النهوض فلا حيلة لهم وممن لا ينصب نفسه للمسألة مع
حاجته وفقره ثم اشار الى ثقل التكليف بمجموع الاوامر السابقة بقوله وذلك على الولاة ثقيل وبقوله والحق كله ثقيل ثم وطيبه
لنفسه على ذلك ثم رغب فيه بقوله وقد يخففه الله الى قوله لهم فنسب تخفيفه الى الله ليرغب اليه فيه ويشجعه على فعله واستسهاله بذكر
صفات الصالحين وهم الذين طلبوا العاقبة من بلاء الله في الآخرة فاستسهلوا ما صعب من التكاليف لذلك ووثقوا بالقياس اليه ووثقوا
بصدق موعود الله لهم في دار القرار وبالله التوفيق **الفصل الرابع** في اوامر ونواهي مصلحية وآداب خلقية وسياسية
بعضها عامة وبعضها خاصة متعلق بعماله وبخاصته وبطانته وبنفسه واحوال عبادته الى غير ذلك وهو قوله واجعل لذوي الحاجات
منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك واعوانك من احراسك
وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن لن تقدس امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من
القوي ثم احتمل الخرق منهم والعي ونح عنك الضيق والانف يبسط الله عليك بذلك اكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته واعط | غير متعتع م
ما اعطيت هنيئا وامنع في اجمال واعذار ثم امور من امورك لا بد لك من مباشرتها منها اجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك ومنها
اصدار حاجات الناس عند ورودها عليك مما يحرج به صدور اعوانك وامض لكل يوم عمله فان لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك
وبين الله افضل تلك المواقيت واجزل تلك الاقسام وان كانت كلها لله اذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية وليكن في خاصة ما تخلص
لله به دينك اقامة فرائضه التي هي له خاصة فاعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ووف ما تقربت به الى الله من ذلك كاملا غير مثلوم
ولا منقوص بالغا من بدنك ما بلغ فاذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفرا ولا مضيعا فان في الناس من به العلة وله
الحاجة وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله حين وجهني الى اليمن كيف اصلي بهم فقال صل بهم كصلاة اضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما واما
بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالامور والاحتجاب منهم يقطع عنهم | منهم عنهم
علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل وانما الوالي بشر لا يعرف ما توارى

عنه الناس به من الامور وليست على الحق سمات يعرف بها ضروب الصدق من الكذب وانما انت احد رجلين اما امرؤ سخت نفسك بالبذل
في الحق ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه او فعل كريم تسديه او مبتلى بالمنع فما اسرع كف الناس عن مسألتك اذا ايسوا من بذلك مع
ان اكثر حاجات الناس اليك مما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة او طلب انصاف في معاملة ثم ان للوالي خاصة وبطانة فيهم استيثار
وتطاول وقلة انصاف فاحسم مادة اولئك بقطع اسباب تلك الاحوال ولا تقطعن لاحد من حاشيتك وحامتك قطيعة ولا يطمعن منك ومما يلزمه مؤونته
في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب او عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم فيكون مهنأ ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا
والآخرة والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابرا محتسبا واقعا ذلك من قرابتك وخواصك حيث وقع وابتغ خاصتك
عاقبته بما يثقل عليك منه فان مغبة ذلك محمودة وان ظنت الرعية بك حيفا فاصحر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم باصحارك فان
في ذلك اعذارا تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق ولا تدفعن صلحا دعاك اليه عدوك لله فيه رضا فان في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك
وامنا لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن وان
عقدت بينك وبين عدوك عقدة او البسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالامانة واجعل نفسك جنة دون ما اعطيت
فانه ليس من فرائض الله سبحانه شيء الناس اشد عليه اجتماعا مع تفرق اهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم
ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك
فانه لا يجترئ على الله الا جاهل شقي وقد جعل الله عهده وذمته امنا افضاه بين العباد برحمته وحريما يسكنون الى منعته و
يستفيضون الى جواره فلا ادغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد
والتوثقة ولا يدعونك ضيق امر لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه بغير الحق فان صبرك على ضيق امر ترجو انفراجه وفضل عاقبته
خير من غدر تخاف تبعته وان تحيط بك فيه من الله طلبة لا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك اياك والدماء وسفكها بغير
حلها فانه ليس شيء ادعى لنقمة ولا اعظم لتبعة ولا احرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه مبتدئ
بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله
وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لان فيه قود البدن وان ابتليت بخطأ وافرط عليك سوطك او يدك او سيفك
بعقوبة فان في الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن ان تؤدي الى اولياء المقتول حقهم واياك والاعجاب
بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء فان ذلك من اوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من احسان المحسنين واياك
والمن على رعيتك باحسانك او التزيد فيما كان من فعلك او ان تعدهم فتتبع موعدك بخلفك فان المن يبطل الاحسان والتزيد
يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله وعند الناس فان الله سبحانه يقول كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون
اياك والعجلة بالامور قبل اوانها والتساقط فيها عند امكانها او اللجاجة فيها اذا تنكرت او الوهن عنها اذا استوضحت فضع كل امر
موضعه واوقع كل عمل موقعه واياك والاستيثار بما الناس فيه اسوة والتغابي عما يعنى به مما قد وضح للعيون فانه مأخوذ منك
لغيرك وعما قليل تنكشف عنك اغطية الامور وينتصف منك للمظلوم املك حمية انفك وسورة حدك وسطوة يدك وغرب لسانك
واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك
بذكر المعاد الى ربك والواجب عليك ان تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة او سنة فاضلة او اثر عن نبينا محمد صلى الله عليه
وآله او فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت اليك في عهدي هذا واستوثقت
به من الحجة لنفسي عليك لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها **اقول** الشرط قوم يعلمون انفسهم بعلامة الخدمة
يعرفون بها والخرق ضد الرفق والانف الانفة وهي خصلة تلازم الكبر والاكناف الجوانب والاسداء الاعطاء والحامة القرابة والعقدة
الضيعة والعقدة ايضا المكان كثير الشجر والنخل واعتقد الضيعة اقتناها والمغبة العاقبة واصحر اي اظهر والدعة الراحة واستوبلوا
الامر استثقلوه والوبال الوخم يقال استوبلت البلد استوخمته فلم يوافق ساكنها وخاس بالعهد نقضه والختل الخداع والمنعة
بسطه واستفاض الماء سال والادغال الافساد والدغل الفساد والمدالسة مفاعلة من التدليس في البيع وغيره كالمخادعة ولحن
القول كالتورية والتعريض من الامر والوكزة الضربة والدفعة وقيل هي جمع اليد على الذقن والفرصة النوبة والممكن من الامر وسورة
الرجل سطوته وحدة باسه وغرب اللسان حدته والبادرة سرعة السطوة والعقوبة اما الامور التي تم مصلحتها فاحدها ان يجعل
لذوي الحاجات نصيبا من نفسه يفرغ لهم فيه بدنه عن كل شاغل ويجلس لهم مجلسا عاما في الاسبوع او دونه او فوقه حسب ما يمكن
الثاني ان يتواضع فيه لله وعنى في التواضع بنسبته الى الله باعتبار انه خالقه الذي من شأنه ان يكون له التواضع الثالث
ان يقعد عنهم جنده واعوانه وابان وجه المصلحة في ذلك بقوله حتى يكلمك مكلمهم غير متعتع واشار الى علة وجوبه بقوله فاني

سمعنا

سمعنا الى قوله القوى ووجه الدليل من هذا الخبر انه دال بالمطابقة على وعيد الامة التي لا ينتصف فيها من قوي بعدم طهارتها
المستلزم لعذابها الاخروي وبالالتزام على وجوب ان يكون فيها ذلك ثم لما كانت الامور المأمور بها تماما لاتمام تلك الواجبات لا جرم كانت
باسرها واجبة الرابع امور تلزمه مباشرتها وان عمت مصلحتها وامور منها اي وهذه الامور ونحوه منها اجابة
عماله بما يرى المصلحة في الجواب به فقد يعجز الكتاب عن كثير من ذلك ومنها اصدار حوائج الناس التي يضيق منها صدور اعوانه
عند ورودها عليه ولا ينبغي له ان يكلها اليهم فان غاية قضائها لها اذا قضيت ان يكون على غير الوجه المرضي الخامس ان يمضي
لكل يوم عمله ونبه على ذلك بقوله فان لكل يوم ما فيه وهو صغرى ضمير تقدير كبراه واذا كان لكل يوم ما فيه وجب ان يقضى
فيه السادس ان يجعل لنفسه في معاملته لله تلك المواقيت اي الاوقات المفروضة للاعمال واجزل اقسام الاعمال الموقتة افضل م
فاضلها ابعدها عن الشواغل الدنيوية واقربها الى الخلوة بالله سبحانه ونبه بقوله وان كانت الى قوله الرعية على ان اصلح الاعمال
اخلصها لله السابع ان يكون في خاصته ما يخلص به لله دينه اقامة فرائضه فيخصها بمزيد عناية منه ورعاية الثامن ان يعطي
الله من بدنه في ليله ونهاره اي طاعة وعبادة فحذف المفعول الثاني للعلم به والقرينة كون الليل والنهار محلين للافعال
ولقرينة ذكر البدن التاسع ان يوفي ما تقرب به الى الله من ذلك كاملا وغير مثلوم وبالغا الحول وبما ينبه على الصدرية
بقوله بالغا من بدنك ما بلغ من القوة على الطاعة العاشر من الآداب الراجعة الى حال الامام بالناس في الصلوة ان يكون
متوسطا في صلوته بين المطول المنفر للناس بتطويله وبين المقصر المضيع لاركان الصلوة وفضيلتها واحتج لنفي التثقيل والتطويل
بالمعقول والمنقول اما المعقول فضمير صغراه قوله فان في الناس الى قوله الحاجة وتقدير كبراه وكل من كان فيه من ذكر
فيجب ان يرفق به ويخفف عنه واما المنقول فما رواه عن رسول الله ص من الخبر ووجه التشبيه بصلوة الاضعف تخفيف
الصلوة بعد حفظ اركانها وواجباتها الحادي عشر من الآداب المصلحية لتدبير المدينة النهي عن طول الاحتجاب عن الرعية
ورغب في الانتهاء عنه من وجوه احدها انه نوع من انواع الضيق على الرعية اذ كانت مشاهدتهم للوالي الى تفرج عنهم ما يكره
من الامور المهمة لهم الثاني انه قلة علم بالامور اي يلزمه ذلك فاطلق اسم اللازم على ملزومه واكد ذلك بقوله والاحتجاب
عنهم يقطع منهم اي من الولاة علم ما احتجبوا دونه من امور الرعية ثم اشار الى ما يلزم عدم علمهم من المفاسد وهو ان يصغر الكبير
الامور عندهم كان يظلم بعض حاشية الامير فتصغر الاعوان جريمته عنده فيصغر وكان يعظم صغيرها لو وقع من ضعيف صغير
ذنب في حق كبير وكان يقبح عندهم الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل ويلبس به وذلك قوله فيصغر الى قوله بالباطل
ثم نبه على وجه لزوم قطع العلم بالامور لطول الاحتجاب بقوله وانما الوالي بشر الى قوله الصدق والكذب والتقدير انه بشر
والبشر من خاصته انه لا يعرف ذلك الا بعلامة وليس على الحق علامات يعرف بها ضروب صدق القول من كذبه الثالث
رغب في الانتهاء عنه بضمير صغراه شرطية منفصلة وهي قوله وانما انت الى قوله بذلك والتخصيص اما ان تكون نفسك مطبوعة
على السخاء بالبذل في الحق او مبتلى بالمنع منه وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا يجوز له الاحتجاب بيان الكبرى اما ان كان
سخيا ببذل الحق فانه عند الطلب منه اما ان يعطي حقا يجب عليه او يفعل فعل الكرماء وذلك لا يجوز الاحتجاب منه واما ان
كان مبتلى بالمنع فان الناس يسرعون الكف عن مسألته اذا ايسوا من بذله فلا معنى للاحتجاب عنهم الرابع قوله مع ان اكثر الى قوله معاملة
وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان اكثر حاجات الناس اليه ما لا مؤونة عليه فيه من الامور المذكورة فلا معنى لاحتجابه
عنهم الثاني عشر من الامور المصلحية المتعلقة بخاصته ان يحسم مؤونتهم عن الرعية فقوله بقطع اسباب المؤونة ارشاد الى سبب قطعها
واشار الى وجه ذلك بذكر ما فيهم من الاستيثار على الرعية بالمنافع والتطاول عليهم بالاذى وقلة الانصاف وهو في قوة صغرى
ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فيجب قطع مؤونته عنهم والاحوال التي امر بقطع اسبابها هي وجوه المؤونة المذكورة من الاستيثار
والتطاول وقلة الانصاف وقوله ولا تقطعن الى قوله مشترك تفصيل لوجوه قطع الاسباب المذكورة فان اقطاع احدهم قطيعة
وطمعه في اقتناء ضيعة تضر بمن يليها من الناس في ماء او عمل مشترك يحمل مؤونته على الناس كعمارة ونحوها هي اسباب الاحوال
المذكورة من وجوه المؤونة وقطع تلك الاحوال بقطع اسبابها ثم نفره عن اسباب المؤونة على الناس بما يلزم تلك الاسباب من المفسدة
في حقه وهي كون مهنأ ذلك لهم دونه وعيبه عليه في الدنيا والآخرة وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان مهنأه
للغير وعيبه عليك فلا يجوز فعله الثالث عشر ان يلزم الحق من يلزمه الحق من القريب والبعيد ويكون في ذلك الالزام صابرا لما
عساه يلحق اقاربه من مر الحق محتسبا له اي مدخلا في حساب ما يتقرب به الى الله تعالى وبعده خالصا لوجهه وايقاع ذلك الالزام
من قرابته وخواصه حيثما اتفق وقوعه بمقتضى الشريعة والواو في قوله وكن للحال وانما ايضا حال والعامل قوله والزم الرابع عشر
ان يبتغي عاقبة ذلك الالزام بما يثقل عليه من فعله بخاصته كانه يستثقل بفعله ما يلزمه في العاقبة من العافية من عيب الدنيا

وعذاب الاخرة ورغب في ذلك بقوله فان مغبة ذلك محموده وهي تلك العاقبة وما يلزمها من السعادة الباقية وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كانت مغبته محموده وجبت ازلة في فعله الخامس عشر امره على تقدير ان تطلق الرعية فيه صحيا ان يظهر لهم عذره فيما ظنوا فيه الحيف بعدل عنه ظنونهم باظهاره ورغب في ذلك بضمير صغراه قوله فان الى تزيله الحق اى فان في اظهار عذرك لهم ان نفيه نهاه اعذر تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق من معرفتهم ان فعلك حق لا حيف فيه وتقدير كبراه وكل ما كان كك فينبغ فعله السادس عشر نهاه ان يدفع صلحا دعاه اليه عدوه اذا كان صلحا برضى الله ونبه على وجوه المصلحة فيه بضمير صغراه قوله فان في الصلح الى قوله لبلادك وهي ثلث مصالح ظاهرة اللزوم لصلح العدو وتقدير كبراه وكلما كان فيه المصالح فواجب فقوله السابع عشر بالغ في تحذيره من العدو بعد صلحه والزمه ان ياخذ بالحزم ويتهم في الصلح حسن ظنه لكذ عسى ينشا عن صلحه ونبه على وجوب ذلك الحذر بضمير صغراه قوله فان العدو وربما قارب ليتغفل اى قارب بصلحه ومصالحه ليطلب غفلته فيظفر به وله عم في ذلك شواهد التجربة وخدعتها للمتولين للعلم بهما وتقدير كبراه وكل من كان كك فواجب ان يحذر منه الثامن عشر امره على تقدير ان يعقد بينه وبين عدوه عهدا ان يحوطه بالوفاء ويرعى ذمته بالامانة ويجعل نفسه جنة دون ما اعطى منهما اى يحفظ ذلك بنفسه ولو ادى الى ضررها واستعار لفظ اللبس لادخاله في امان لك ملاحظة لشبهها بالقميص ونحوه وكك لفظ الجنة لنفسه ملاحظة لشبهها في الحفظ بالترس ونحوه ورغب في ذلك بوجهين اشتمل عليهما قوله فانه الى قوله الغدر احدهما ان الناس اشد اجتماعا على تعظيم الوفاء بالعهود من فرائض الله الواجبة عليهم مع تفرق اهوائهم وتشتت آرائهم الثاني ان المشركين لزموا ذلك فيما بينهم واستثقلوا الغدر لما فيه من سوء العاقبة والمذكوران صغريا ضمير تقدير الكبرى فيهما وكلما كان كك فيجب لزومه والمحافظة عليه ثم اكد ذلك بالنهي عن الغدر في العهد ونقض الذمة وخداع العدو ومعاهدته ثم الغدر به ونفر عن ذلك بوجهين احدهما قوله فانه الى قوله الاشقى وهو صغرى ضمير تلخيصها ان الجرى على الله شقي وتقدير كبراه وناقض العهد والمدغل فيه مجترئ على الله ينتج من الرابع فالشقي هو ناقض والمدغل فيه ويجوز ان يكون تقدير الصغرى فان ذلك جراة على الله يستلزم الشقاوة وتقدير الكبرى وكلما كان كك وجب اجتنابه ينتج من الاول المطلوب الثاني قوله وقد جعل الى قوله جواره ولمنا اى مأمنا واستعار لفظ الحريم للعهد ورشح بذكر السكون الى منعته والاستفاضة الى جواره ونبه بذلك على وجه الاستعارة وهو الاطمينان اليه والامن من الفتنة بسببه فاشبه الحريم لما نع والكلام صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كك فلا يجوز نقضه والادغال التاسع عشر نهاه ان يعقد عقدا يجوز فيه العلل اى الاحداث المفسدة له وهو كناية عن امره باحكام ما يعقده من الامور العشرون نهاه ان يعتمد على لحن القول في الايمان والعهود بعدان يؤكدها ويتوثق من غيره فيها او يتوثق غيره منه فيها ومثال لحن القول ما ادعاه طلحة والزبير من لو يحنه والتورية في تبعتهما له عليه السلم اى لا تعتمد على ذلك لك من نفسك ولا تلتفت اليه من غيرك لو ادعاه الحادي والعشرون نهاه ان يدعوه ضيق امر لزمه فيه عهد الله الى ان يطلب ابطاله بغير حق ورغب في الصبر عليه بقوله فان صبرك الى قوله اخرتك وهو صغرى ضمير واراد بتبعته ما يتبعه من العقوبة وبالطلبة ما يطالب به يوم القيمة من لزوم العهد واحاطتها به كناية عن لزومها له ووصف الطلبة بقوله لا تستقبل في الاخرة الا الامور الخيرية من احاطت به طلبته من الله فلا خير له في الاخرة نستقبله وروى تستقيل بالياء اى لا يكون لك من الله الطلبة ولا تنعقد اقالة في الدنيا ولا في الاخرة الثاني والعشرون حذره من الدخول في الدماء وسفكها بغير حق وهو كناية عن القتل ونفر عنه بوجهين احدهما قوله فانه الى قوله حقها وهو صغرى ضمير تقديرها فان سفك الدماء بغير حق ادعى الاشياء لحلول نقمة الله واعظمها في الحوق التبعة منه واولاها بزوال النعمة وانقطاع مدة الدولة والعروط انها اقوى المعدات للامور الثلثة لما يستلزمه من تطابق هم الخلق ودعائهم على زوال القاتل واستنزال غضب الله عليه لكون القتل اعظم المصائب المنفور عنها وتقدير الكبرى وكلما كان كك فيجب ان يجتنب ويغلظ الثاني قوله والله سبحانه الى قوله القيمة ونبه بابتدائه تعالى بالحكم بين العباد في القتل على انه اعظم عنده تعالى من سائر الكبائر وهي صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما ابتدء الله بالحكم فيه فيجب التحرج عنه واجتناب ما يكره منه الثالث والعشرون نهاه ان يقوى سلطانه ودولته بسفك الدم الحرام ونفر عنه بقوله فان ذلك الى قوله وينقله وهي صغرى ضمير بما سبق فان سفك الدم الحرام لما استلزم الامور الثلثة المذكورة كان ذلك مضعفا للسلطان ومزيلا له وتقدير الكبرى وكلما كان كك وجب اجتنابه الرابع والعشرون نهاه عن قتل العمد حراما ونفر عنه بامرين احدهما انه لا عذر فيه عند الله ولا عنده الثاني ان فيه قود البدن وهما صغريا ضمير تقدير الكبرى فيهما وكل ما كان كك وجب اجتنابه الخامس والعشرون نهاه ان يرتكب بنخوة الكبر عند ان يبتلى بقتل خطاء او افراط سوط او يده عليه في عقوبة فيما حد عزة الملك والكبر على اولياء المقتول اذا

ج ٣

يؤدي اليهم حقهم ونبه بقوله فان الى قوله فقتله على ان الضرب باليد المثنى وكذا قد يكون فيه القتل وهو مظنته السادس والعشرون حذره الاعجاب بنفسه والثقة بما يعجبه منها وحب الاطراء والاخيران سببا لدوام الاعجاب ومادة له ونفر عن الثلثة بقوله فان ذلك الى قوله المحسن وفي نفسه متعلق باوثق وقوله ليمحق احسان المحسن يحتمل وجهين احدهما انه لما كان الاعجاب من المهلكات لم ينفع معه احسان المحسن فاذا تمكن الشيطان من الفرصة وزين الاعجاب للانسان وارتكبه محق له ما يكون له من الاحسان الثاني ان المعجب بنفسه لا يرى لاحد عنده احسانا فيكون اعجابه ماحقا الاحسان من احسن اليه ولما كان مبدء الاعجاب هو الشيطان كان الماحق لاحسان المحسن ايضا هو الشيطان فلذلك نسبه اليه والكلام في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان اوثق فرص الشيطان في نفسه وجب الاحتراز عنه السابع والعشرون حذره رذائل ثلثا احدها المن على الرعية باحسانه اليهم الثانية التزيد فيما فعله في حقهم وهو ان ينسب الى نفسه من الاحسان اليهم ازيد مما فعل الثالثة ان يخلف موعوده لهم ثم نفر عن المن بقوله فان المن يبطل الاحسان وذلك اشارة الى قوله تع يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وعن التزيد بقوله فان التزيد يذهب بنور الحق واراد بالحق هنا الاحسان اليهم او الصدق في ذكره في موضع يحتاج اليه فان على ذلك نورا عقليا ترتاح له النفوس وتلتذ به ولما كان التزيد نوعا من الكذب وهو رذيلة عظيمة لا جرم كان مما يذهب بنور ذلك الحق وبهجته فلا يكون له وقع في نفوس الخلق ونفر عن الخلق الخلف بوجوب المقت عند الله والناس اما عند الناس فظ واما عند الله فلقوله تع كبر مقتا عند الله الاية والثلثة صغريات ضمائر تقدير كبرياتها وكلما كان كك وجب اجتنابه الثامن والعشرون حذره من ايقاع الامور على احد طرفي التفريط والافراط فطرف الافراط في تطلب العجلة قبل اوانها او اللجاجة فيها عند تنكرها وتعين وجوه ماخذها وعدم اتضاحها وتسهلها وطرف التفريط التسقط فيها والفتور عنها اذا امكنت وهو يقابل التعجل فيها والضعف عنها اذا استوضحت وهو يقابل اللجاجة فيها عند تنكرها واستلزم النهي عن هذين الطرفين الامر بايقاعها على نقطة العدل وهي الحد الاوسط من الطرفين وموضعها الحق ولذلك قال فضع كل امر موضعه واوقع كل عمل موقعه التاسع والعشرون حذره من الاستئثار بما يجب تساوي الناس فيه كالذي يستحسن من مال المسلمين ونحوه الثلثون وعن التغافل مما يجب تعلمه والعناية به من حقوق الناس المأخوذة ظلما مما قد وضح للعيون اهمالك له ونفر عن ذلك بقوله انه مأخوذ للمظلوم واراد بما يستاثر به من حقوق الناس ويتغافل عنها وما في قوله عما قليل زائدة واراد بالقليل مدة الحيوة الدنيا واشار باغطية الامور الى الهيئات البدنية الحاجبة لحقايق الامور من ان يدركها بصر بصيرته وقد علمت ان انكشاف تلك الاغطية عند طرح البدن وحينئذ يشاهد ما اعد له من خير او شر كما قال تع يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الاية الحادي والثلثون امره ان يملك حمية انفه اى انفته مما يقع من الامور المكروهة وسورة حدته وحدة لسانه وملكه لهذه الامور انما يكون بالاحتراس عن تعدى قوته الغضبية وقوفه في فعلها على حاق الوسط بحيث لا يعبر بها الى حد الافراط فيقع في رذيلة التهور ويلزمه في ذلك ترك رذيلة الظلم الثاني والثلثون امره بالاحتراس من تلك الامور وارشده الى اسبابه وهو كف البادرة وتاخير السطوة الى حين سكون الغضب ليحصل له بذلك الاختيار في الفعل والترك لما عساه مصلحة واشار الى وجه احكام تلك الاسباب بقوله ولن يحكم ذلك الى قوله عليك يعني ذلك ان كثرة الهم عن ذكر المعاد والفكر في امور الاخرة مانع للرغبة في الامور الدنيوية التي هي المشاجرات وثوران الغضب الثالث والثلثون اوجب عليه امرين فيهما اجماع ما اوصاه به في هذا العهد احدهما ان يتذكر ما مضى لمن تقدمه من الحكومات العادلة للولاة قبله او من الاثار المنقولة عن نبينا صلعم او من فرايض الله ليقتدي بما شاهد من عمله فيها الثاني ان يجتهد لنفسه في اتباع ما عهد اليه في عهده هذا واستوثق به من الحجة لنفسه عليه وهي الموعظة والتذكير بامر الله لكيلا يكون له علة يحتج بها عند تسرع نفسه الى هواها كما قال تع لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ومن هذا العهد وهو اخره وانا اسئل الله تعالى بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة ان يوفقني واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه مع حسن الثناء في العباد وجميل الاثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة وان يختم لي ولك بالسعادة والشهادة انا اليه راغبون والسلم على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم تسليما كثيرا **اقول** ختم هذا العهد بسؤال الله ان يوفقهما لما فيه رضاه واتم عليه في اجابة سؤاله برحمته التي وسعت كل شيء وبقدرته العظيمة على اعطاء كل رغبة وكونهما سببين لاجابة السائلين ثم فصل ما ساله مما فيه رضاء الله وهي امور احدها الاقامة على العذر الواضح الى الله والى خلقه فان قلت العذر انما يكون عن ذنب فمن اقام على امر الله كيف يكون فعله عذرا قلت يحتمل ان يكون العذر اسما من الاعذار الى الله وهو المبالغة في الاتيان باوامره فكانه قال من الاقامة على المبالغة اليه في اداء اوامره الثاني حسن الثناء في العباد وجميل الاثر وهو ما يؤثر من الافعال الحميدة في البلاد وذلك مما ساله الانبياء كابراهيم واجعل لي لسان صدق في الاخرين قيل هو الذكر الجميل في الناس الثالث ان يتم نعمته عليهما الرابع تضعيف كرامته لهما الخامس الخاتمة الحسنة بالسعادة وما يوصل اليها من الشهادة ونبه بقوله انا اليه راغبون على صدق نيته في سؤاله ثم ختم

عجابه

بقوله

ومن كتاب له عليه السلام الى طلحة والزبير مع عمران بن الحصين الخزاعي ذكره ابو جعفر بالسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله والصلوة عليه وآله
الاسكافي في كتاب المقامات اما بعد فقد علمتما وان كتمتما اني لم ارد الناس حتى ارادوني ولم ابايعهم حتى بايعوني وانكما ممن ارادني ومناقب امير المؤمنين
وبايعني وان العامة لم تبايعني لسلطان غاصب ولا لحرص حاضر فان كنتما بايعتماني طائعين فارجعا وتوبا الى الله من قريب وان كنتما بايعتماني
كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل باظهاركما الطاعة واسراركما المعصية ولعمري ما كنتما باحق المهاجرين بالتقية والكتمان وان دفعكما
هذا الامر من قبل ان تدخلا فيه كان اوسع عليكما من خروجكما منه بعد اقراركما به وقد زعمتما اني قتلت عثمن فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما
من اهل المدينة ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل فارجعا ايها الشيخان عن رأيكما فان الان اعظم امركما العار من قبل ان يجتمع العار والنار
اقول خزاعة قبيلة من الازد وقيل الاسكافي منسوب الى اسكاف رستاق كبير بين النهروان والبصرة وكتاب المقامات الذي
صنفه الشيخ المذكور في مناقب امير المؤمنين عليه السلام وقد احتج عليهما في نكث بيعته بحجتين احديهما قوله اما بعد الى قوله حاضر وهو في قوة
صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من علمتما من حاله ذلك فليس لكما ان تنكثا بيعته وتخرجا عليه وقوله وان كتمتما اي ان كتمتما لبيعته واراده صغرى
كثير من الناس وزعمتما انه انما حملها عليها كرها الحجة الثانية قوله فان كنتما الى قوله اقراركما به وهي شرطية منفصل تقديرها انه لا يخلو
ان تكونوا بايعتماني طائعين او كارهين والاول هو المطلوب بلزمكما ارتكاب المعصية والرجوع الى الله بالتوبة الى الله من قريب قبل
استحكام المعصية في نفسيكما والثاني باطل من ثلثة اوجه احدها انه يلزمكما النفاق حيث اظهرتما الى الطاعة واضمرتما المعصية فجعلتما
بذلك السبيل عليكما في القول والفعل الثاني انكما ما كنتما بالتقية متى والكتمان تعصيا انكما احق من المهاجرين وذلك لانهما كانا اقوى
الجماعة واعظمهم شانا فكان غيرهما من المهاجرين اولى منهما بالتقية عند البيعة ونكثتما بعد الثالث ان دفعهما البيعة قبل
الدخول فيها اوسع لعذرهما من خروجهما منها بعد اقرارهما وهذه الاقوال الثلثة صغريات ضمير تقدير الكبرى في الاول وكل ما
جعلتما لي عليكما به السبيل فيجر عليكما فعله وليس لكما ان تدعياه وفي الثاني وكل من لا يكون احق من المهاجرين به فهواه فليس له
ان يدعيه اذا لم يدعوه وفي الثالث وكلما كان اوسع لعذرهما فليس لهما العدول عنه الى ما هو اضيق وقوله وقد زعمتما اني قتلت
عثمان اشارة الى شبهتهما المشهورة في خروجهما عليه وقوله فبيني الى قوله احتمل جوابها اي فالحاكم بيني وبينكما من تخلف عن نصرتي ونصرتكما
من اهل المدينة ثم يلزم كل منا من الاثم والعقوبة بقدر ما احتمل من الاثم والبغي ثم بعد ان قام الحجة عليهما امرهما بالرجوع عن رأيهما
الفاسد في انحيازهما عن البيعة ورغب في الرجوع عن ذلك بقوله فان الان الى اخره وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه والعار سهل صغرى
من اجتماع العار والنار في الاخرة واراد العار بالقعود والان ظرفا منتصب باعظم الذي هو اسم ان ويجوز ان يكون خبرا لها واعظم والعار
مبتدأ وخبره العار والجملة خبران والعائد الى اسمها محذوف تقديره فان الان اعظم امركما فيه العار **ومن كتاب له عليه السلام**
الى معوية اما بعد فان الله سبحانه جعل الدنيا لما بعدها وابتلى فيها اهلها ليعلم ايهم احسن عملا ولسنا للدنيا خلقنا
ولا بالسعي فيها امرنا وانما وضعنا فيها لنبتلى بها وقد ابتلاني الله بك وابتلاك بي فجعل احدنا حجة على الاخر فعدوت
على طلب الدنيا بتأويل القران وطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني وعصبته انت واهل الشام بي والب عالمكم جاهلكم
وقائمكم قاعدكم فاتق الله في نفسك ونازع الشيطان قيادك واصرف الى الاخرة وجهك فهي طريقنا وطريقك واحذر
ان يصيبك الله منه بعاجل قارعة تمس الاصل وتقطع الدابر فاني اولي لك بالله الية غير فاجرة لئن جمعتني واياك جوامع
الاقدار لا ازال بباحتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين **اقول** عصبته علقه به والتأليب التحريض والقارعة الداهية
والدابر المتاخر من النسل والالية اليمين فقوله اما بعد الى قوله لنبتلي بها اشارة الى غرض الدنيا وغايتها البينة لذلك ويعمل
له واراد بالسعي فيها الذي لم يؤمر به اكتسابها لها دون غيره مما يكون للضرورة فان ذلك مامور به في قوله تعالى فامشوا في مناكبها
وكلوا من رزقه وقوله وقد ابتلاني الى قوله الاخر تعيين لبعض اغراضها وقد علمت كيفية ابتلائه بخلقه فيما قبل ووجه ابتلائه عليه السلام
بمعوية عصيانه ومحاربته اياه حتى لو قصر في مقاومته ولم يقم في وجهه كان ملوما وكان معوية حجة الله عليه ووجه ابتلاء معوية
به عليه السلام دعوته له الى الحق وتحذيره اياه من عواقب المعصية حتى اذا لم يجب كان عليه السلام هو حجة الله عليه في
ذلك معنى قوله فجعل احدنا حجة على الاخر وقوله فعدوت الى قوله قاعدكم اشارة الى بعض وجوه ابتلائه عليه السلام به ومعنى ذلك انما
طلب الدنيا وجعل السبيل الى ذلك تاويل القرآن كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى وغيره
من الايات الدالة على وجوب القصاص فتاولها بادخال نفسه فيها وطلب القصاص لعثمن وانما كان دخوله في ذلك تاويلا
لان الخطاب خاص بمن قتل وقتل منه معوية بمعزل عن ذلك اذ لم يكن من اولياء دم عثمن فقسر الاية بالعموم ليدخل فيها والذي
لم يجنه يده ولسانه عليه السلام هو ما نسبوه اليه والب بعضهم بعضا عليه فيه وهو قتل عثمن واراد والب عليكم بجاهلكم
من وقايمكم في حربي قاعدكم عنه ثم لما نبهه على غاية الدنيا وجعل الله سبحانه كلا منهما حجة على الاخر ليعلم ايهم احسن عملا رجع الى

موعظته

ج ٣
موعظته وتحذيره فامره بتقوى الله في نفسه ان يهلكها بعصيانه ويخالف امره وان ينازع الشيطان قياده واستعار لفظ القياد للميول
الطبيعية ووجه الاستعارة كونها زمام الانسان الى المعصية اذا سلمها بيد الشيطان وانهمك بها في اللذات لو نفذه ومنازعته للشيطان
مقاومته لنفسه الامارة عن طرف الافراط الى حاق الوسط في الشهوة والغضب وان يصرف الى الاخرة وجهه اي يولي وجهه شطر الاخرة
مطالعا لما اعد فيها من خير وشر وسعادة وشقاوة بعين بصيرته ليعمل لها وقوله فهي طريقنا وطريقك صغرى ضمير نبه بها على وجوب
صرف وجهه الى الاخرة وتقدير كبراه وكلما كان طريق الانسان فواجب ان يصرف اليها وجهه طريقا مجازا عن غاية الطريق اطلاقا لاسم
ذي الغاية عليها ثم حذره من الله ان يصيبه بداهية يصيب اصله ويقطع نسله واراد بها ما نهاه من نهوض ابنه وحرمة اياه وجعلها
اقسم على تقدير ان يجمعهما جوامع الاقدار ان لا يزال بباحته مقيما حتى يحكم الله بينهما وفي ذلك تغليظ الوعيد بعذاب شديد **و
من كلام له عليه السلام** وصى به شريح بن هاني لما جعله على مقدمته الى الشام اتق الله في كل صباح ومساء وخف على نفسك
الدنيا الغرور ولا تأمنها على حال واعلم انك ان لم تردع نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروهه سمت بك الاهواء الى كثير ترتدع منه
من الضرر فكن لنفسك مانعا رادعا ولنزوتك عند الحفيظة واقما قامعا **اقول** قد ذكرنا طرفا من حال انفاذه لشريح بن
هاني مع زياد بن النضر على مقدمته بالشام في اثنى عشر الفا والنزوة الوثبة والحفيظة الغضب والواقم الذي يرد الشيء اقبح الرد وقهرا
وقهراي رده بعنف وبشهر والوقم القهر والاذلال كلف الفتح وقدام بتقوى الله دائما ولما كانت تستلزم الاعمال الجميلة اردف
ذلك بتفصيلها وهي ان يحذر على نفسه الدنيا ونسب الغرور اليها لانها سبب ما دي له وان لا يأمنها على حال لما يستلزم ذلك من
الغفلة عن الاخرة ثم اعلمه انه ان لم يردع نفسه الامارة بالسوء الانهماك في كثير من مشتهياتها التي يخاف مكروهها في العاقبة
يقف بها عند حدود الله ويسلك بها صراطه المستقيم لم يزل بهواها وميولها حتى توردها موارد الهلكة ثم اكد وصيته بمنعها
وقهرها عند نزوتها وتوثبها في الغضب فقد عرفت ان اهمالها مبدأ كل شر يلحق في الدنيا والاخرة **ومن كتاب له عليه السلام**
الى اهل الكوفة عند مسيره من المدينة الى البصرة اما بعد فاني خرجت عن حيي هذا اما ظالما واما مظلوما واما باغيا
واما مبغيا عليه وانا اذكر الله من بلغه كتابي هذا لما نفر الي فان كنت محسنا اعانني وان كنت مسيئا استعتبني **اقول**
غرض الكتاب اعلام اهل الكوفة بخروجه من المدينة لقتال اهل البصرة واستنفارهم اليه وقدم مثل ذلك وحيه قبيلته وقوله
اما ظالما الى قوله عليه من باب تجاهل العارف ولان القضية لم تكن بعد ظهرت لاهل الكوفة وغرضهم ليعرفوا هل هو مظلوم ام غيره
ولذلك ذكرهم الله لينفروا اليه فيحكموا بينه وبين خصومه فيعينوه او يطلبوا منه العتبى وهي الرجوع واذكر يتعدى الى مفعول
اول هو المذكر وثان هو المذكر به وهو الله تعالى وقد قدمه لكونه هو المقصود من التذكير ولما مشددة بمعنى الا ومخففة هي ما
زائدة دخل عليها لام التاكيد اي لينفرن الي وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** كتبه الى اهل الامصار يقص فيه ما جرى بينه
وبين اهل صفين وكان بدء امرنا انا التقينا والقوم من اهل الشام والظاهر ان ربنا واحد ونبينا واحد ودعوتنا
في الاسلام واحدة لا نستزيدهم في الايمان بالله والتصديق برسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يستزيدوننا والامر
واحد الا ما اختلفنا فيه من دم عثمن ونحن منه براء فقلنا تعالوا نداوي ما لا يدرك اليوم باطفاء النائرة
وتسكين العامة حتى يشتد الامر ويستجمع فنقوى على وضع الحق في مواضعه فقالوا بل نداويه بالمكابرة فابوا حتى جنحت
الحرب وركدت ووقدت نيرانها وحمست فلما ضرستنا واياهم ووضعت مخالبها فينا وفيهم اجابوا عند ذلك الى
الذي دعوناهم اليه واجبناهم الى ما دعوا وسارعناهم الى ما طلبوا حتى استبانت عليهم الحجة وانقطعت منهم المعذرة
فمن تم على ذلك منهم فهو الذي انقذه الله من الهلكة ومن لج وتمادى فهو الراكس الذي ران الله على قلبه وصارت
دائرة السوء على راسه كما قال الله تعالى وأركسهم بما كسبوا **اقول** وبدء الامر اوله وبروى بدي فعيل بمعنى مبتدأ و
النائرة العداوة وجنحت مالت وركدت ثبتت وحمست اشتدت وروى بالشين المعجمة اي التهبت غضبا وانقد مخلصه و
التمادي في الشيء الاقامة عليه وطلب الغاية منه والركس رد الشيء مقلوبا والله اركسهم اي ردهم الى عقوبة كفرهم والرين التغطية والدائرة
للحرب يقال عليهم الدائرة ويؤكد شنعها بالاضافة الى السوء والفصل من حكاية حاله مع اهل الشام وحالهم والقوم عطف على الضمير
في التقينا وفي قوله والظاهر ايماء الى تهمته لهم بضد ذلك كما صرح به عمار في صفين فانه كان يقول والله ما اسلموا ولكن استسلموا
واسروا الكفر فلما وجدوا عليه اعوانا اظهروه والواو للحال وقوله لا نستزيدهم اي لا نطلب منهم زيادة في الايمان لتمامه منهم في الظاهر
وقد بين في حكاية الحال الاتحاد الذي بينهم في الامور المذكورة التي لا يجوز الاختلاف معها ليظهر الحجة واستثنى من ذلك ما وقع
الاختلاف فيه وهي الشبهة بدم عثمن والجواب عنها اجمالا ثم حكى وجه الرأي الاصلح في نظام امر الاسلام وسلامة اهله وشوره
عليهم واباءهم عن قبوله الى الغاية المذكورة والباء في قوله باطفاء النائرة متعلق بقوله نداوي وما لا يدرك اي ما لا يمكن تلافيه

ثم عقوع الحرب وبسند الى من القتل وهلاك المسلمين قوله فقالوا امدنا ونبرنا بالمكايدة حكاية قولهم بلسان حالهم حين دعاهم الى
طام امر الدين بالرجوع عما هم عليه فكابروه واضطروا الى الحرب ويجوز باسم الجنوح الملا فالاسم المضاف على المضاف اليه واستعار
لفظ النيران للحركات في الحرب لمشابهتهما في استلزام الاذى والهلاك ورشح بذكر الوقود وكذلك لفظ الحمس والتضرس ووضع المجالد
ثم حكى اجابتهم ورجوعهم الى رايه الذي رآه بعد ذلك وهو حين صبيحة ليلة الهرير حين حملوا المصاحف على الرماح كانوا يقولون
لاصحابه معاشر المسلمين نحن اخوانكم في الدين الله الله في البنات والنساء كما حكيناه اولا وذلك عين ما كان يدعوهم اليه
من حفظ دماء المسلمين وذراريهم واما اجابتهم الى ما دعوا فاجابتهم الى تحكيم كتاب الله حين دعوا اليه وظهور الحجة عليهم برجوعهم
الى عين ما كان يدعوهم اليه من حقن الدماء وفي ذلك انقطاع عذرهم في المطالبة بدم عثمان اذ كان سكوتهم عن دم صحابه
لا حق لهم فيه اسهل من سفك دماء سبعين الفا من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان وقوله فمن تم على ذلك اي على
الرضا بالصلح وتحكيم كتاب الله وهم اكثر اهل الشام واكثر اصحابه والذين لجوا في التمادي فهم الخوارج الذين لجوا في الحرب
واعتزلوه بسبب التحكيم كانت قلوبهم في اغشية من الشبهات الباطلة حتى صارت دائرة السوء على رؤسهم فقتلوا الا القليل

ومن كتاب له عليه السلام الى الاسود بن قطبة صاحب جند حلوان اما بعد فان الوالي اذا اختلف هواه منعه ذلك كثيرا
من العدل فليكن امر الناس عندك في الحق سواء فانه ليس في الجور عوض من العدل فاجتنب ما تنكر امثاله
وابتذل نفسك فيما افترض الله عليك راجيا ثوابه ومتخوفا عقابه واعلم ان الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها
فيها ساعة الا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة وانه لن يغنيك عن الحق شيء ابدا ومن الحق عليك حفظ
نفسك والاحتساب على الرعية بجهدك فان الذي يصل اليك من ذلك افضل من الذي يصل بك والسلام
اقول في الفصل لطائف احدها انه نبهه على وجوب ترك تنويع الاهوية والاعراض عن اتباع مختلفاتها بما
يستلزمه من المفسدة وهي الامتناع عن كثير من العدل ووجه الاستلزام ان اتباع الاهوية المختلفة يوجب الانحراف عن
حاق الوسط في المطالب ولما نبهه على مفسدة الجور امره ببسط العدل والتسوية بين الخلق في الحق ثم نبهه على فضيلته بضمير
صغراه قوله فانه الى قوله وتقديرها فان العدل ليس في الجور عوض عنه وتقدير الكبرى فكل ما لم يكن في الجور عوض عنه
فيجب لزومه واتباعه الثاني انه لما كان اتباع مختلف الاهوية مما يكره مثله عنده وقوعه في حقه وحق من يلزمه امره كالاذى
اللاحق له مثلا امره باجتنابه وان لا يقع منه في حق غيره ما يكره وقوع مثله في حقه والعبارة وافية بهذا المعنى والغرض التنفير
عنه الثالث امره بعد ذلك ان يبذل نفسه فيما افترض الله عليه حال رجائه لثوابه وخوفه من عقابه لكونهما داعيين الى العمل
الرابع نبهه على ان الدنيا دار ابتلاء بالعمل كما قال تعالى الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا ولما كان العمل
فيها سببا للاستعداد للسعادة الباقية لاجرم كان الفراغ من العمل تركا لسبب السعادة لا يحصل يوم القيامة الا حسرة فكان من لوازم فرغته
منه في الدنيا الحسرة على تركه يوم القيامة الخامس نبهه على ضرورته الى عمل الحق بانه لا يغنيه عنه شيء غيره لان كل ما عدا الحق
باطل والباطل سبب للندم في الاخرة فلا يغني عن شيء السادس نبهه على ان من الحقوق الواجبة عليه حفظ نفسه اي من زلة
القدم عن الصراط المستقيم والوقوع في سواء الجحيم ثم الاحتساب على الرعية بجهده وطاقته والاخذ على ايديهم في الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وقدم حفظ النفس لانه الاهم ونبه على وجوب الامرين بقوله فان الذي الى اخره واراد ان الذي يصل الى نفسك
من الكمالات والثواب اللازم عنها في الاخرة بسبب لزومك للامرين المذكورين افضل مما يصل بعدلك واحسانك الى الخلق من النفع
ودفع الضر وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام الى العمال الذين يطأ عملهم الجيش من عبد الله علي امير المؤمنين
الى من مر به الجيش من جباة الخراج وعمال البلاد اما بعد فاني قد سيرت جنودا هي مارة بكم ان شاء الله وقد اوصيتهم بما يجب لله عليهم من كف الاذى وصرف الشذى وانا ابرأ اليكم والى ذمتكم من معرة الجيش الا من جوعة
المضطر لا يجد عنها مذهبا الى شبعه فنكلوا من تناول منهم ظلما عن ظلمهم وكفوا ايدي سفهائكم عن مضادتهم و
التعرض لهم فيما استثنيناه منهم وانا بين اظهر الجيش فادفعوا الي مظالمكم وما عراكم مما يغلبكم من امرهم ولا
تطيقون دفعه الا بالله وبي اغيره بمعونة الله تعالى ان شاء الله اقول الشذى الاذى ومعرة الجيش المضرة الواصلة منه
عرة معرة اي ساءه ونكل ينكل بالفتح جبن ونكلوا وجبنوا وعراه الامر غشيه وحاصل الكتاب اعلام من على طريق الجيش من
الجباة وعمال البلاد وبمسيره عليهم لينبهوا ولا يحتزروا منه ثم وصيته الجيش مما ينبغي لهم ويجب لله عليهم من كف الاذى عمن
يمرون به ليعرفوا عموم عدله ويناديوا بادابه ثم اعلامهم انه بريء اليهم والى ذمتهم اي اهل ذمتهم من اساءة الجيش فانه
ليس يامرهم بذلك الا معرة جوعة المضطر التي لا يجد عنها الى شبعه مذهبا وتقدير الكلام فاني ابرأ اليكم من معرة الجيش

العدل

فيها

عليهم

شيئا

خوفوا

ج ٣ الامن معرة جوعة المضطر منهم فاقام المضاف اليه مقام المضاف او اطلقه مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب ثم امرهم ان يخوفوا ويجنبوا من
تناول من الجيش شيئا عن ظلمه وبعد عنوه الدفع الممكن لهم لئلا يكون تسلطهم خرابا للاعمال ثم ان يكفوا ايدي سفهائهم عن مضادتهم
والتعرض لهم فيما استثنيناه من المغرم الضروري لئلا يثور بذلك الفتنة بينهم وبين الجيش ثم اعلمهم انه بين اظهر الجيش كناية عن كونه
مرجع امرهم ليرفعوا اليه مظالمهم وما غشيهم من امر يغلب عليهم من الجيش لا يطيقون دفعه الا بالله وبه فيغيره بمعونة الله وخشيته

ومن كتاب له عليه السلام الى كميل بن زياد النخعي وهو عامله على هيت ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو
طالبا للغارة اما بعد فان تضييع المرء ما ولي وتكلفه ما كفي لعجز حاضر ورأي متبر وان تعاطيك الغارة على اهل قرقيسيا وتعطيلك مسالحك التي وليناك
ليس بها من يمنعها ولا يرد الجيش عنها لرأي شعاع فقد صرت جسرا لمن اراد الغارة من اعدائك على اوليائك غير شديد
المنكب ولا مهيب الجانب ولا ساد ثغرة ولا كاسر شوكة ولا مغن عن اهل مصره ولا مجز عن اميره والسلام اقول فقد
المتبر الهالك والفاسد والشعاع المتفرق وقوله اما بعد الى قوله متبر صدر الكتاب علم ان فيه اجمالا كما جرت عادة المخطب
يريد ان يوبخه عليه من تعاطيه امر مع اهماله ما هو اهم منه ثم ذكر غرضه من الكتاب مفصلا بقوله وان تعاطيك الى قوله شعاع
ثم نفره عن ذلك الرأي بما فيه من المفاسد والترذايل احدها كونه جسرا واستعار لفظ الجسر له باعتبار عبور العدو عليه الى غرضه
ووطئ جيشه وهو ايضا مجاز باعتبار خلو مسالحه عن العسكر الذي يمنع به العدو وهو كالخاسر عليهم الثاني كونه غير
شديد المنكب وكنى بذلك عن ضعفه وكذلك كونه غير مهيب الجانب الثالث كونه غير ساد ثغرة الرابع ولا كاسر شوكة عدوه
والخامس ولا مغن عن اهل مصره في دفع عادية عدوهم السادس ولا مجز عن اميره فيما يريده منه

ومن كتاب له عليه السلام الى اهل مصر مع مالك الاشتر رحمه الله لما ولاه امارتها اما بعد فان الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه واله نذيرا للعالمين
ومهيمنا على المرسلين فلما مضى صلى الله عليه واله تنازع المسلمون الامر من بعده فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر
ببالي ان العرب تزعج هذا الامر من بعده صلى الله عليه واله عن اهل بيته ولا انهم منحوه عني من بعده فما راعني الا انثيال
الناس على فلان يبايعونه فامسكت بيدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون الى محق دين محمد صلى الله عليه واله
فخشيت ان لم انصر الاسلام واهله ان ارى فيه ثلما او هدما تكون المصيبة به علي اعظم من فوت ولايتكم التي انما هي متاع
ايام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب او كما يتقشع السحاب فنهضت في تلك الاحداث حتى زاح الباطل وزهق و
اطمأن الدين وتنهنه ومن هذا الكتاب اني والله لو لقيتهم واحدا وهم طلاع الارض كلها ما باليت ولا استوحشت واني
من ضلالهم الذي هم فيه والهدى الذي انا عليه لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربي واني الى لقاء الله لمشتاق وحسن
ثوابه لمنتظر راج ولكنني اسى ان يلي امر هذه الامة سفهاؤها وفجارها فيتخذوا مال الله دولا وعباده خولا والصالحين
حربا والفاسقين حزبا فان منهم الذي قد شرب فيكم الحرام وجلد حدا في الاسلام وان منهم من لم يسلم حتى رضخت
له على الاسلام الرضائخ فلولا ذلك ما اكثرت تأليبكم وتأنيبكم وجمعكم وتحريضكم ولتركتكم اذ ابيتم وونيتم
الا ترون الى اطرافكم قد انتقصت والى امصاركم قد افتتحت والى ممالككم تزوى والى بلادكم تغزى انفروا رحمكم
الله الى قتال عدوكم ولا تثاقلوا الى الارض فتقروا بالخسف وتبوؤا بالذل ويكون نصيبكم الاخس وان اخا الحرب
الارق ومن نام لم ينم عنه والسلام اقول المهيمن الشاهد والروع القلب والانثيال الانصباب وزاح ذهب وزهق زال
واضمحل وتنهنه السكن وطلاع الارض ملاؤها واسى احزن والدول التداول بالمال بالغلبة يكون مرة لهذا ومرة لذلك والخول العبيد
العبيد والرضخ الرشوة واصله الرضخ والتأليب التحريض والتأنيب اللوم والوني الفتور تزوى تقبض وتبوؤا ترجعوا والخسف النقيصة وصدر
باقتصاص حال النبي صلى الله عليه واله باعتبار كونه نذيرا للعالمين بعقاب الله وشاهدا على المرسلين بكونهم مبعوثين ومصدقا لهم في ذلك ثم اقتصاص
معهم حال المسلمين بعده في تنازع امر الخلافة منه وجاء من ذلك الى شرح حاله في معرض الشكاية ممن ازاح امر الخلافة عنه مع كونه احق بها
واتصبابهم على بيعة فلان وهو كناية عن ابي بكر وامساكه يده عن القيام في ذلك والطلب للامر الى غاية ارتداد الناس في زمن ابي
بكر عن الاسلام وطمعهم في محق الدين ثم شرح حاله من الخوف على الاسلام واهله ان يثلم او يهدم فيكون المصيبة عليه في هدم اصل
الدين اعظم من فوت الولاية القصيرة الامد التي غايتها اصلاح فرع الدين ومتممه وشبه زوالها بزوال السراب وتقشع السحاب
ووجه الشبه سرعة الزوال وكونها لا اصل لثباتها كالاثبات لحقيقة السراب ووجود السحاب وقدم ذكر الارتداد لغرض بيان فضيلته
في الاسلام وبذلك عقبه باقتصاص حاله فهو نهضه في تلك الاحداث التي وقعت من العرب الى غاية زهوق الباطل واستقرار الدين
وانتشاره ثم اقسم انه لو لقيهم وحده وهم ملاء الارض لم يكترث بهم ولم يستوحش منهم لامرين احدهما علمه اليقين بانهم على الضلال الخ

من كلام له لابي موسى الاشعري

على الهدى الثاني اشتياقه الى لقاء ربه وانتظاره ورجاؤه لثوابه وهما يجريان مجرى صغرى ضمير تقدير كبراها وكل من كان كذلك فلا يبالي بهم ولا يستوحش منهم وقوله لكن يجري مجرى جواب سؤال مقدر كانه قيل فاذا كنت تعلم انك وايّاهم على الحالين المذكورين فلم تحزن من فعلهم فكانه قال اني لا احزن من لقائهم وحربهم ولكن احزن ان تلي امر هذه الامة سفهاؤها وفجارها الى قوله حزبا وعنى بالسفهاء بني امية واشباههم ثم نبه على انهم مظنة ان يفعلوا ذلك لو ولوا هذا الامر بقوله فان منهم الى قوله الرضائخ فالذي شرب فيكم الحرام اشارة الى المغيرة بن شعبة لما شرب الخمر في عهد عمر حين كان واليا من قبله على الكوفة فصلى بالناس سكران وزاد في الركعات وقاء الخمر فشهد واوجلد الحد وكذلك عتبة بن ابي سفيان جلد في الخمر خالد بن عبد الله بالطائف والذي لم يسلم حتى رضخت له الرضائخ قيل هو ابو سفيان وابنه معوية وذلك انهما كانا من المؤلفة قلوبهم الذين يستمالون الى الدين ويساعدون بالعطاء وقيل هو عمرو بن العاص ولم يشتهر عنه مثل ذلك الا ما حكاه عنه من اشتراطه على معوية طعمة مصر في مساعدته بصفين كما مر ذكره ثم نبههم على ان ما ذكره من الاسى هو السبب التام لتوبيخهم وتحريضهم على الجهاد ولولا ذلك لتركهم اذا ابوا وضعفوا ثم نبههم على ثقل عدوهم بهم وافتتاحه لامصارهم وغزو رعيتهم ليستثيرهم بذلك حمية طباعهم ونعد لك امرهم بعده بالنفور الى قتال عدوهم ونهاهم عن التثاقل في ذلك ونفرهم عنه بما يلزمه من الاقرار بالخسف والرجوع الى الذل وخسة النصيب ثم نبههم على ان من لا يكون اهلا للحرب وهو الارق وكنى به عن كثير الهمة اذ كان من لوازمه ونفرهم عن ضعف الهمة والتواني في الجهاد بما يلزم ذلك من طمع العدو فيهم بسكونهم عنه والرقدة عن مقاومته

ومن كتاب له عليه السلام الى ابي موسى الاشعري وهو عامله على الكوفة وقد بلغه تثبيطه الناس عن الخروج اليه لما ندبهم لحرب اصحاب الجمل من عبد الله علي امير المؤمنين الى عبد الله بن قيس اما بعد فقد بلغني عنك قول هو لك وعليك فاذا قدم رسولي عليك فارفع ذيلك واشدد مئزرك واخرج من جحرك واندب من معك فان حققت فانفذ وان تفشلت فابعد وايم الله لتؤتين حيث انت ولا تترك حتى يخلط زبدك بخاثرك وذائبك بجامدك وحتى تعجل عن قعدتك وتحذر من امامك كحذرك من خلفك وما هي بالهوينا التي ترجو ولكنها الداهية الكبرى يركب جملها ويذل صعبها ويسهل جبلها فاعقل عقلك واملك امرك وخذ نصيبك وحظك فان كرهت فتنح الى غير رحب ولا في نجاة فبالحري لتكفين وانت نائم حتى لا يقال اين فلان والله انه لحق مع محق وما نبالي ما صنع الملحدون **اقول** روي عن ابي موسى انه كان حين مسير علي عليه السلام الى البصرة واستنفاره لاهل الكوفة الى نصرته يثبط الناس عنه ويقول انها فتنة فلا يجوز القيام فيها ويروي عن النبي عليه السلام اخبارا يتضمن وجوب القعود عن الفتنة والاعتزال فيها فكتب اليه مع ابنه الحسن عليه السلام هذا الكتاب والقول الذي بلغه عنه هو نهي الناس وتثبيطهم عن النهوض اليه وذلك قول هو له باعتبار الدين ونهيه عن الخوض في الفتن وهو عليه من وجوه الاول انه كان همه بانه لم يقصد بذلك الا نفور الناس عنه وفيهم منه ذلك وهو حجة لان للدين في الحقيقة وهو عائد عليه بمضرة العقوبة منه عليه السلام ومن الله في الآخرة الثاني انه لما كان عليه السلام على الحق في حربه كان تثبيط ابي موسى عنه جهلا بحاله وما يجب من نصرته والقول بالجهل عائد على قائله بالمضرة الثالث انه في ذلك القول مناقض لغرضه لانه نهى عن الدخول مع الناس ومشاركتهم في زمن الفتنة وروى خبرا يقتضي انه يجب القعود عنها مع انه كان اميرا ينهاهم على الولاية وذلك مناقض فكان عليه لا له ثم امره عند قدوم رسوله عليه باوامر على سبيل الوعيد والتهديد احدها ان يرفع ذيله ويشد مئزره وهما كنايتان عن الاستعداد للقيام بواجبه والمسارعة الى ذلك الثاني ان يخرج من جحره واراد خروجه من الكوفة واستعار له لفظ الجحر ملاحظة لتشبيهه بالثعلب ونحوه الثالث ان يندب اي يبعث من معه من العسكر ويدعوهم الى الخروج وقوله فان حققت اي عرفت حقيقة امري واني على الحق فانفذ اي فامض فيما امرك به وان تفشلت اي جبنت وضعفت عن هذا الامر ومعرفته فابعد عنه ثم توعده على تقدير قعوده واقسم ليأتينه بالمكان الذي هو به من لا يتركه حتى يخلط زبده بخاثره وذائبه بجامده وهما مثلان كنى بهما عن خلط احواله الصافية بالتكدير بكثرة تبذيله وسرعة تبعه وسهولة امره بصعوبته وحتى يعجله عن قعدته وهي هيئة قعوده واراد غاية الاعجال وحتى يكون حذره من امامه كحذره من خلفه وهو كناية عن غاية الخوف وانما جعل الحذر من الخلف اصلا في التشبيه لكون الانسان من ورائه اشد خوفا وقيل اراد حتى يخاف من الدنيا كما يخاف من الآخرة وقوله وما هي بالهوينا اي وما الفتنة المعهودة لك بالهينة السهلة التي ترجوان تكون فيها على اختيار لك ولكنها الداهية الكبرى من دواهي الدهر ومصائبه وقوله يركب جملها اي يركب فيها ويذل صعبها اي يسهل الامور الصعاب فيها وهو كناية عن شدتها وصعوبتها ثم اردف وعيده وتحذيره بنصيحته وامره باوامر احدها ان يعقل عقله وعقله يحتمل التنبيه على المصدر وهو امر له ان يراجع عقله ويعتبر هذه الحال العظيمة دون هواه وقيل هو مفعول به اي اضبط عقلك واحبسه على معرفة الحق من الباطل ولا تفرقه فيما لا ينبغي الثاني ان يملك امره اي شانه وطريقته ويصرفها على قانون العدل والحق دون الباطل الثالث ان ياخذ نصيبه وحظه من طاعته والقيام بامره في نصرته والذب عن دين الله وقيل اراد خذ ما قسم لك من الحظ ولا تجاوز الى ما ليس لك ثم اردف ذلك بامره بالتنحي عن الولاية على تقدير

كراهته

من كتاب له عليه السلام الى معاوية

ج ٣

كراهته لما ذكر وعدم امتثاله لما امر وقوله فبالحري لتكفين اي فما اجدر ان يكفي هذه المؤنة وانت نائم عن طاعة الله حتى لا يفتقد ولا يسال عنك لعدم المبالاة بك ثم اقسم انه لحق اي الامر المعهود الذي فعله من حربه بالبصرة مع محق اي صاحب محق لما يدعيه عالم به لا يكترث بما صنع الملحدون في دين الله من مخالفته لمعرفته على الحق دونهم **ومن كتاب له عليه السلام** الى معوية جوابا عن كتاب منه اما بعد فانا كنا نحن وانتم على ما ذكرت من الالفة والجماعة ففرق بيننا وبينكم امس انا آمنا وكفرتم واليوم انا استقمنا وفتنتم وما اسلم مسلمكم الا كرها وبعد ان كان انف الاسلام كله لرسول الله صلى الله عليه وآله حزبا وذكرت اني قتلت طلحة والزبير وشردت بعائشة ونزلت بين المصرين وذلك امر غبت عنه فلا عليك ولا العذر فيه اليك وذكرت انك زائري في المهاجرين والانصار وقد انقطعت الهجرة يوم اسر اخوك فان كان فيك عجل فاسترفه فاني ان ازرك فذلك جدير ان يكون الله انما بعثني للنقمة منك وان تزرني فكما قال اخو بني اسد مستقبلين رياح الصيف تضربهم بحاصب بين اغوار وجلمود وعندي السيف الذي اعضضته بجدك وخالك واخيك في مقام واحد فانك ما علمت الاغلف القلب المقارب العقل والاولى ان يقال لك انك رقيت سلما اطلعك مطلع سوء عليك لا لك لانك نشدت غير ضالتك ورعيت غير سائمتك وطلبت امرا لست من اهله ولا في معدنه فما ابعد قولك من فعلك وقريب ما اشبهت من اعمام واخوال حملتهم الشقاوة وتمني الباطل على الجحود بمحمد صلى الله عليه وآله فصرعوا مصارعهم حيث علمت لم يدفعوا عظيما ولم يمنعوا حريما بوقع سيوف ما خلا منها الوغى ولم تماشها الهوينا وقد اكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم الي احملك واياهم على كتاب الله تعالى واما تلك التي تريد فانها خدعة الصبي عن اللبن في اول الفصال والسلام على اهله **اقول** انف الاسلام اوله التشريد الابعاد واسترفه اي نفس عنك من الرفاهية وهي السعة والاغوار المنخفضة من الارض واعضضت السيف بفلان اي جعلته يعض به وهو من المقلوب لان المضروب هو الذي يعض بالسيف اي لا يكاد يسيغه ويروى بالضاد المعجمة اي جعلته غاصا لهم والزمنة والمقارب بالكسر الذي ليس بالتمام وقد كان معوية كتب اليه يذكره ما كانوا عليه قديما من الالفة والجماعة وينسب اليه بعد ذلك قتل طلحة والزبير والتشريد بعائشة ويتوعده بالحرب ويطلب منه قتلة عثمان فاجابه عليه السلام عن كل من ذلك بجواب اما الاول فسلم له دعواه من الفة الشرك بينهم وهو الالفة والجماعة قبل الاسلام ولكنه ذكر الفارق وهو من وجوه احدها انه عليه السلام في اول الاسلام آمن في جملة من اهل بيته ومعوية واهل بيته كانوا كفارا الثاني انه عليه السلام واهل بيته في آخر الامر لم يزالوا مستقيمين على الدين ومعوية واهل بيته مفتونين حائلين بفتنتهم الثالث ان اهل بيته عليه السلام اسلم طوعا واسلم اهل معوية لم يسلم الا كرها بعد ان اشتد الاسلام وصار للرسول صلعم حزب قوي من اشراف العرب واستعار لفظ انف الاسلام لهم باعتبار كونهم اعز اهله وممن اسلم كرها ابو سفيان وذلك انه لما اتى رسول الله صلعم الى مكة في غزوة الفتح اتى ليلا فنزل بالبطحاء وما حولها فخرج العباس بن عبد المطلب على بغلة رسول الله صلعم يدور حول مكة في طلب من يبعثه الى قريش ليخرجوا الى رسول الله صلعم ويعتذروا اليه فلقي ابا سفيان فقال له كن رديفي لنمضي الى رسول الله صلعم وناخذ الامان لك منه فلما دخل على رسول الله صلعم عرض عليه الاسلام فابى فقال عمر ائذن لي يا رسول الله لاضرب عنقه وكان العباس يحامي عنه فقال يا رسول الله انه يسلم غدا فلما جاء الغد دخل به على رسول الله صلعم فابى فقال له العباس في السر يا ابا سفيان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله صلعم وان لم تقل ذلك في قلبك فانه يامر الان بقتلك ان لم تقل فتشهد الشهادتين على كره لخوف القتل وقد راى اكثر من عشرة الاف رجل حول رسول الله صلعم قد تحزبوا معه وليجتمعوا اليه فذلك معنى قوله الا كرها الى قوله حزبا الثاني ما ادعاه عليه من قتل طلحة والزبير وتشريد عائشة والنزول بين المصرين البصرة والكوفة فاجاب عنه بقوله وذلك الى قوله اليك وهو في قوة ضمير تقدير كبراه وكل من غاب عن امر ولم يكن فيه مدخل فليس تكليفه عليه ولا العذر من التقصير والتفريط فيه اليه الثالث ما توعده به من زيارته في المهاجرين والانصار فاجابه بوجهين احدهما انه اوهم في كلامه انه من المهاجرين فاكذبه بقوله وقد انقطعت الهجرة يوم اسر اخوك اي الفتح وذلك ان معوية واباه وجماعة من اهله انما اظهروا الاسلام بعد الفتح وقد قال صلى الله عليه وآله لا هجرة بعد الفتح فلا يصدق عليهم اذن اسم المهاجرين وسمي عليه السلام اخذ العباس لابي سفيان الى رسول الله صلعم غير مختار وعرضه على القتل اسرا وعنى يوم اسر اخوك وقد كان اسر اخوه عمرو بن ابي سفيان يوم بدر فعلى هذه الرواية يكون الكلام في معرض التذكرة له بما من شانه وشان اهله ان يستر ولا يبلو فكيف يدعون مع ذلك الهجرة فان الهجرة بهذا الاعتبار منقطعة عنهم ولا يكون يوم اسر ظرفا لانقطاع الهجرة لان الهجرة انقطعت بعد الفتح الثاني مقابلة وعيده بوعيد مثله وهو قوله فان كان الى قوله مقام واحد واراد ان كنت مستعجلا في مسيرك الي فاطلب الرفاهية على نفسك في ذلك فانك انما تستعجل الى ما يضرك ونبه على ذلك بقوله فاني الى قوله واحد في قوة صغرى ضمير ومن التمثيل بالبيت انه شبه استقبال معوية في جمعه له باستقبالهم رياح الصيف وشبه نفسه برياح الصيف وجعل وجه المشابهة كونه عليه السلام يضرب وجوههم في الحرب بالسيوف والرماح كما تضرب رياح الصيف وجوه مستقبليها بالحصباء وقد بينا انه قتل جد معوية

ومن كتاب له الى معوية

وموعظة وخاله الوليد بن عتبة واخاه حنظلة بن ابي سفيان وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فمن اولى ان يحذر منه ولا يتبع عدوه
وقتال وقوله وانك والله الى قوله الهوينا توبيخ مشوب بتهديد وما في قوله وما علمت موصولة واستعار لفظ الاغلف لقلبه ووجه
الاستعارة انه محجوب بالهيئات البدنية واغشيته الباطل عن قبول الحق وفهمه كانه في غلاف منها ووصف المقارب في عقله لانه
الباطل ثم اعلمه على سبيل التوبيخ بما الاولى ان يعقل في حاله واستعار لفظ السلم للاحوال التي ركبها والمنزلة التي طلبها ورشح بذكر الاطلاع
والاطلاع والمطلع مصدر ويجوز ان يكون اسم الموضع واحتج لصحة قوله بقوله لانك الى قوله معدنه واستعار الضالة والشارد لمرتبته
التي ينبغي له ان يطلبها ويقف عندها وهو غيرها من امر الخلافة اذ ليس من اهلها ورشح بذكر النشيد والرعي ثم تعجب من بعد
ما بين قوله وفعله وذلك ان مدار قوله في الكتاب على طلب قتلة عثمان وانكار المنكر كما ادعاه ومدار فعله وحركاته على التغلب في الملك
والبغي على الامام العادل وشتان ما هما ثم حكم بقرب شبهه باعمامه واخواله وما مصدرية والمصدر مبتدأ خبره قريب فمن اهل
الشقاوة من جهة عمه ومنه حمالة الحطب ومن جهة خؤولته الوليد بن عتبة وانما انكر الاعمام والاخوال لانه لم يكن له اعمام واخوال كثيرون
والجمع المنكر جاز ان يعبر به عن الواحد والاثنين للمبالغة مجازا في معرض الشناعة وكذلك الجمع المعرف واشار الى وجه الشبه
بقوله حملتهم الى قوله الهوينا وموضع قوله حملتهم الجر صفة للاخوال واراد لشقاوته المكنونة عليهم في الدنيا والاخرة التي استعدوا لها بجحود
محمد ص وتمني الباطل هو ما كانوا يتمنونه ويبذلون انفسهم واموالهم فيه من قهر الرسول ص واطفاء نور النبوة واقامة امر الشرك وقوله
بوقع متعلق بقوله فصرعوا وما خلادعة لسيوف ولفظ المماشاة مستعار والمراد ان تلك السيوف المجوح ضربها ودفعها هون ولا
سهولة فلم يحر معها وروى لم يماسها بالسين المهملة من المماسة اي لم يخالطها بشيء من ذلك الرابع طلبه لقتلة عثمان واجابه بقوله
فادخل الخ وارادفيما دخل فيه الناس من الطاعة والبيعة وصدق الجواب ظ لانه لا بد للمتحاكمين من حاكم وهو يومئذ
الحاكم الحق فليس لمعوية ان تطلب منه ان نقوما منهم المهاجرون والانصار اليه حتى يقتلهم من غير محاكمة بل يجب ان يدخل
في طاعته ويجري عليه احكامه ليحاكم القوم اليه فاماله واما عليه وقوله واما تلك التي تريد اي الخدعة عن الشام لغرض ارادة
على امارتها ووجه مشابهتها لخدعة الصبي ضعفها وظهور كونها خدعة لكل احد وانما قال ع السلام لا اهله لان معوية لم يكن
في نظره من اهله وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** اليه ايضا اما بعد فقد آن لك ان تنتفع باللمح الباصر من عيان
الامور فلقد سلكت مدارج اسلافك بادعائك الاباطيل واقحامك غرور المين والاكاذيب وبانتحالك ما قد علا
عنك وابتزازك لما اختزن دونك فرارا من الحق وجحودا لما هو الزم لك من لحمك ودمك مما قد وعاه سمعك وملئ
به صدرك فماذا بعد الحق الا الضلال وبعد البيان الا اللبس فاحذر الشبهة واشتمالها على لبستها فان الفتنة طال البين
ما اغدفت جلابيبها واعشت الابصار ظلمتها وقد اتاني منك كتاب ذو افانين من القول ضعفت قواها عن السلم
واساطير لم يحكها منك علم ولا حلم اصبحت منها كالخائض في الدهاس والخابط في الديماس وترقيت الى مرقبة بعيدة
المرام نازحة الاعلام تقصر دونها الانوق ويحاذي بها العيوق وحاش لله ان تلي للمسلمين بعدي صدرا او وردا او اجري لك
على احد منهم عقدا او عهدا فمن الآن فتدارك نفسك وانظر لها فانك ان فرطت حتى ينهد اليك عباد الله ارتجت
عليك الامور ومنعت امرا هو منك اليوم مقبول والسلام **اقول** المدارج المسالك والمذاهب جمع مدرجة والاقحام
الدخول في الشيء بسرعة من غير روية والنحل الكلام ادعاه لنفسه ولبس له والابتزاز الاستلاب واغدفت المرأة جلبابها ارسلته على وجهها
والتفنن التخليط والتنويع والسلم الصلح والاساطير الاباطيل جمع اسطورة بالضم واسطارة بالكسر والدهاس المكان السهل
اللين دون الرمل والديماس المكان شديد الظلمة كالسرب ونحوه والمرقبة موضع مشرف يرتفع عليه الراصد والانوق الرخمة و
العيوق نجم معروف وينهد ينهض وارتجت اغلقت والكتاب جواب له ع فقوله اما بعد الى قوله الامور تنبيه له على وجوب الانتفاع
والانزجار عن دعوى ما ليس له والمراد انه قد حضر وقت انتفاعك من عيان الامور ومشاهدتها بلمحاتها الباصرة ولفظ
اللمح مستعار لادراك الامور الذي تعتريه خفة وسرعة وذكر عيون الامور اي انفسها وحقائقها التي هي موارد اللمح والاعتبار ووصفه
بالباصر مبالغة في الابصار كقولهم ليل اليل وقوله فقد سلكت الى قوله اللبس اشارة خاصة الى الشبه المذكور وهو سلوكه طرائق
اسلافه بالامور الاربعة المذكورة فادعاؤه الاباطيل ادعاؤه ما ليس له بحق كحقه من دم عثمان وطلحة والزبير وغير ذلك واقحامه لغرور
الاكاذيب حوله في العدول عن سوء عاقبتها والاكاذيب في دعاويه الظاهرة وما قد علا عنه هو امر الخلافة وما اختزن دونه فانه
هو مال المسلمين وبلادهم التي تغلب عليها واراد انه اختزن بالاستحقاق من الله وفرارا وجحودا مصدران سدا مسد الحال وما
هو الزم له من لحمه ودمه مما قد وعاه سمعه عن رسول الله ص واستلابه صدره علما في مواطن كغدير خم وغيره وهو وجوب
طاعته وانما كان الزم له من لحمه ودمه لانهما دائما في التغير والتبدل ووجوب طاعته امر لازم لنفسه لا يجوز تغيره وتبدله ويجوز

ومن كتاب له الى عبد الله بن عباس

بلفظ المصدر في المقلب اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق واشار بالآية الى ان الحق الذي علمه لم يكن زاهقا لمن نعداه الا الضلال والهلاك
لان الحق حد من تجاوزه وقع في احد طرفي الافراط والتفريط وكذلك لبس بعد البيان الذي بين لك في امري الا اللبس ثم
حذره الشبهة واشتمالها على لبستها والشبهة كشبهه دم عثمان ولفظ اللبسة مستعار للاحاطة بها ملاحظة لشبهها بالقميص
ونحوه وعلل تحذيره اياه ووجوب تحرزه دونها بقوله فان الفتنة الى قوله ظلمتها وهو صغرى ضمير واستعار لفظ الجلابيب
لامورها المغطية لبصائر اهلها عن الحق كالابصر المرأة عند ارسال جلبابها على وجهها وكذلك استعار لفظ الظلمة باعتبار التباس
الامور فيها وعدم الاهتداء الى الحق كالظلمة التي لا يهتدى فيها ورشح بذكر الاغداف والاعشاء ثم شرع في احوال كتابه بمذمة
بذمه ولما كان مداره على اللفظ والمعنى اشار الى ذم اللفظ بانه ذو افانين من القول اي انه اقوال ملفقة لا يناسب بعضها بعضا
وقوله ضعفت قواها عن السلم اي ليس لها قوة ان يوجب صلحا واشار الى ذم المعنى بانه باطل غير محكمة المعنى لا من جهة العلم اذ لا
علم له ولا من جهة الحلم لان الكتاب كان فيه خشونة ونفور وذلك ينافي الحلم وينافي غرضه من الصلح ولفظ الحوك مستعار
لسبك الكلام وقوله اصبحت منها صفة للاساطير ووجه شبهه بالخائض والخابط ضلاله وعدم هدايته الى وجه الحق كما لا
يهتدي خائض الدهاس وخابط الديماس فيهما ثم شرع في جوابه وكان مقصوده في كتابه ان ينص عليه بالخلافة بعده ليتابعه
فوبخه اولا على طلبه امرا ليس من اهله بقوله وترقيت الى قوله العيوق ولفظ المرقبة مستعار لامر الخلافة ورشح بلفظ النزاهة
والاوصاف الاربعة بعدها لانها من شأن المرقبة الشاهقة وانما خص الانوق لانها تقصد الاماكن العالية الصعبة من رؤوس
الجبال فيبيض وكارها ثم صرفه عن المطلوب بتنزيهه الله سبحانه ان يلي من بعده للمسلمين خروجا او دخولا في امر من امورهم او
ان يجري على احد منهم له عقدا او عهدا والعقد كالنكاح والبيوع والاجارة والعهد كالبيعة والامان واليمين والذمة
اي لا يمكنه من ذلك ولما ايسه من المطلوب امره بتدارك نفسه بالنظر لها فيما هو مصلحتها من طاعته وتوعده على تقصيره في
ذلك بما يلزم تقصيره من نهوض عباد الله اليه وانغلاق الامور ومنعه العذر الذي هو منه الآن مقبول وبالله التوفيق
ومن كتاب له عليه السلم الى عبد الله بن عباس ره وقد مضى هذا الكتاب فيما تقدم بخلاف هذه الرواية اما بعد فان
العبد ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته ويحزن على الشيء الذي لم يكن ليصيبه فلا يكن افضل ما نلت في نفسك
من دنياك بلوغ لذة او شفاء غيظ ولكن اطفاء باطل واحياء حق وليكن سرورك بما قدمت
واسفك على ما خلفت وهمك فيما بعد الموت **اقول** قد سبق شرحه الا كلمات يسيرة فيه منها انه نبهه على لزوم فضيلتي
العفة والحلم بالنهي عن ان يجعل بلوغ لذته من دنياه او شفاء غيظه اللذين هما طرفا الافراط والتفريط من الفضيلتين المذكورتين
افضل ما نال منها في نفسه ثم نبهه على ما ينبغي ان يكون افضل في نفسه من دنياه وهو اطفاء الباطل واحياء الحق واطفاء الباطل
تنبيه على وجوب استعمال قوة الشهوة وهو ان يكون الغرض من فعلها دفع الشهوة وبقدر الحاجة ومنها انه امره في الرواية الاولى
ان يكون فرحه بما نال من آخرته وامره هنا ان يكون سروره بما قدم لنفسه من زاد التقوى وهو امر بمقدمة الآخرة وامره في الرواية
الاولى ان يكون اسفه على ما فاته من آخرته وامره هنا ان يكون اسفه على ما خلف اي ترك من العمل وبالله التوفيق **ومن كتاب
له عليه السلم** الى قثم بن العباس ره وهو عامله على مكة اما بعد فاقم للناس الحج وذكرهم بايام الله واجلس لهم العصرين
فافت المستفتي وعلم الجاهل وذاكر العالم ولا يكن لك الى الناس سفير الا لسانك ولا حاجب الا وجهك ولا تحجبن
ذا حاجة عن لقائك بها فانها ان ذيدت عن ابوابك في اول وردها لم تحمد فيما بعد على قضائها وانظر الى ما اجتمع
عندك من مال الله فاصرفه الى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة مصيبا به مواضع الفاقة والخلات وما فضل
عن ذلك فاحمله الينا لنقسمه فيمن قبلنا ومر اهل مكة ان لا ياخذوا من ساكن اجرا فان الله سبحانه يقول سواء
العاكف فيه والباد فالعاكف المقيم به والبادي الذي يحج اليه من غير اهله وفقنا الله واياكم لمحابه والسلم **اقول**
ذيدت ردت والخلة الحاجة وفيه مقاصد احدها امره باقامة الحج للناس واقامته القيام باعماله وتعليم الجاهلين كيفيته
وجمعهم عليه الثاني ان يذكرهم بايام الله اي عقوباته التي وقعت بمن سلف من المستحقين لها كي يحترزوا بطاعته من امثالها
وعبر عنها بالايام مجازا اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق الثالث ان يجلس لهم العصرين اي الغداة والعشي لكونهما اطيب الاوقات
بالحجاز واشار الى اعظم فوائد جلوسه في الوقتين وهي فائدة العلم وحصره وجوه حاجة اهلها اليها وامره بسد تلك الوجوه
وبيان الحصر ان الناس اما غير عالم او عالم وغير عالم اما مقلد او متعلم طالب والعالم اما هو او غيره فهذه اقسام اربعة فوجه
حاجة القسم الاول وهو الجاهل المقلد ان يستفتي فامره ان يفتيه ووجه حاجة الثاني وهو المتعلم الجاهل ان يتعلم فامره
ان يعلمه وهو ووجه حاجة هو مع الرابع وهو العالم ان يذاكره فامره بالمذاكرة له الرابع نهاه ان يجعل له الى الناس سفيرا يعبر

عنه الانسانه الا وجهه لان ذلك مظنة الكبر والجهل باحوال الناس التي يجب على الوالي الاحاطة بها بقدر الامكان ولا حاجب ولا للحصر وقفا
نعدها خبر كان الخامس نهاه ان يحتجب لقاء ذي حاجته مؤكدا لما سبق ورغبه في ملاقاة ذوي الحاجة بضمير صغراه قوله فانها الى قوله
قضائها اي لم يحمد فيما بعد وقت قضائها له وتقدير الكبرى وكل امر كان كذلك فلا ينبغي ان يحجب صاحبه عن لقائك به ويذاد عن
ابوابك في اول وروده السادس امره ان يصرف مال بيت المسلمين ويصرفه في مصارفه متوخيا بذلك الاحوج فالاحوج ويحمل الباقي
اليه ومصيبا حال واضافه مواضع المفاقر لتغاير اللفظين السابع امره بنهي اهل مكة عن اخذ الاجرة ممن يسكن بيوتهم واحتج
لذلك بالاية مفسرا لها وهي صغرى ضميره وتقدير كبراه وكلما قال الله فيه ذلك لم يجز اخذ الاجرة ثم ختم بالدعاء لنفسه وله ان
يوفقهما لمحابه وهو وبه التوفيق لذلك **ومن كتاب له عليه السلام** الى سلمان الفارسي رحمة الله عليه قبل ايام خلافته
اما بعد فان مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل سمها فاعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها وضع
عنك همومها لما ايقنت به من فراقها وكن آنس ما تكون بها احذر ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمان فيها
الى سرور اشخصته عنه الى محذور **اقول** اشخصته اذهبته ومدار الفصل على الموعظة وذم الدنيا
وضرب لها مثلا وذكر من وجوه التشبيه من جانب المثل به امرين احدهما لين المس ويماثله من جانب الدنيا فاهنة العيش
ولذاته والثاني قتل سمها ويماثله من الدنيا هلاك المنهمكين في لذاتها يوم القيمة ثم امره في مقام بها باوامر احدها
ان يعرض عما يعجبه منها وعلل وجوب اعراضه بقوله لقلة ما يصحبك منها وهي صغرى ضمير تقديرها ما يصحبك
منها قليل وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فينبغي ان يعرض عنه الثاني ان يضع عنه هموم طلبها وعلل وجوب ذلك بضمير صغراه
قوله لما ايقنت من فراقها اي لانك متيقن لفراقها وتقدير كبراه وكلما تيقنت فراقه فواجب ان تضع همك عن طلبه الثالث
ان يكون آنس ما يكون بها احذر ما يكون منها وما مصدرية والنصب على الحال واحذر خبر كان اي في حال كونك آنس
بها كن احذر ما تكون منها والغرض ان يجد انسها بفقد بجهده ولا يانس بها وعلل وجوب الحذر منها بقوله فان صاحبها الى
آخره وهو صغرى ضمير تقديرها فانها كلما اطمان صاحبها فيها الى آخره وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فيجب ان [illegible]
منه ولا يانس اليه فتنتج فالدنيا يجب ان يحذر صاحبها منها **ومن كتاب له عليه السلام** الى الحرث الهمداني وتمسك بحبل القرآن و
انتصحه واحل حلاله وحرم حرامه وصدق بما سلف من الحق واعتبر بما مضى من الدنيا لما بقي منها فان بعضها يشبه
بعضا وآخرها لاحق باولها وكلها حائل مفارق وعظم اسم الله ان تذكره الا على حق واكثر ذكر الموت وما بعد الموت
ولا تتمن الموت الا بشرط وثيق واحذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه ويكره لعامة المسلمين واحذر كل عمل يعمل
به في السر ويستحيى منه في العلانية واحذر كل عمل اذا سئل عنه صاحبه انكره او اعتذر منه ولا تجعل عرضك غرضا
لنبال القول ولا تحدث الناس بكل ما سمعت فكفى بذلك كذبا ولا ترد على الناس كل ما حدثوك به فكفى بذلك جهلا
واكظم الغيظ واحلم عند الغضب وتجاوز عند المقدرة واصفح مع الدولة تكن لك العاقبة واستصلح كل نعمة انعمها
الله عليك ولا تضيعن نعمة من نعم الله عندك ولير عليك اثر ما انعم الله به عليك واعلم ان افضل المؤمنين افضلهم
تقدمة من نفسه واهله وماله فانك ما تقدم من خير يبق لك ذخره وما تؤخره يكن لغيرك خيره واحذر صحابة من يفيل رايه
وينكر عمله فان الصاحب معتبر بصاحبه واسكن الامصار العظام فانها جماع المسلمين واحذر منازل الغفلة والجفاء وقلة الاعوان
على طاعة الله واقصر رايك على ما يعنيك واياك ومقاعد الاسواق فانها محاضر الشيطان ومعاريض الفتن واكثر ان تنظر
الى من فضلت عليه فان ذلك من ابواب الشكر ولا تسافر في يوم جمعة حتى تشهد الصلوة الا فاصلا في سبيل الله او في امر تعذر
به واطع الله في جمل امورك فان طاعة الله فاضلة على ما سواها وخادع نفسك في العبادة وارفق بها ولا تقهرها وخذ عفوها
ونشاطها الا ما كان مكتوبا عليك من الفريضة فانه لابد من قضائها وتعاهدها عند محلها واياك ان ينزل بك الموت
وانت آبق من ربك في طلب الدنيا واياك ومصاحبة الفساق فان الشر بالشر ملحق ووقر الله واحبب احباءه واحذر الغضب
فانه جند عظيم من جنود ابليس **اقول** هذا الفصل من كتاب طويل اليه وقد امره فيه باوامر وزجره بزواجر مدارها على تعليم مكارم
الاخلاق ومحاسن الآداب احدها ان يتمسك بحبل القرآن ولفظ الحبل مستعار كما سبق واراد لزوم العمل به الثاني ان ينتصحه اي
يتخذه ناصحا له بحيث يقبل امره ومشورته لانه يهدي الى الحق والى صراط مستقيم الثالث ان يحل حلاله ويحرم حرامه وذلك ان يعتقد ما
فيه من الحلال والحرام حلالا او حراما ويقف عند اعتقاده ويعمل بمقتضاه الرابع ان يصدق بما سلف من الحق مما حكاه القرآن الكريم من
احوال القرون الماضية واحوال الانبياء مع اممهم ليصح منه الاعتبار الخامس ان يعتبر بما مضى من الدنيا بما بقي منها ويقيسه به فيجعل ما مضى اصلا
وما بقي فرعا ويجد العلة المشترك بينهما من العلة وهو كونها مظنة التغير والزوال فيحكم في الفرع بحكم الاصل من وجوب الزوال وقد نبه على

المشترك

المشترك بقوله فان بعضها اشبه بعضا وعلى تلازم ذلك في الفرع بقوله وآخرها لاحق باولها وكلها حائل اي زائل مفارق السادس ان يعظم
اسم الله ويكبره ان يذكره حالفا الا على حق السابع ان يكثر ذكر الموت وما بعده فان في ذكرهما اعظم واعظ واشد زاجر عن الدنيا الثامن
نهاه ان يتمنى الموت الا بشرط وثيق من نفسه يطمئن اليه في طاعة الله ولا سيئات عليه بدون ذلك سفه وحمق التاسع امره ان يحذر
كل عمل يرضاه لنفسه ويكره للمسلمين وهو في المعنى نهي عن الاستيثار عليهم بالخيرات وهو كقوله احب للناس ما تريد لنفسك واكره لهم ما
تكرهه لها العاشر ان يحذر ما يعمله في السر ويستحيي منه في العلانية والاشارة الى معاصي الله ومقارفة الدنايا من المباحات وكذلك كل
عمل من شانه ان ينكره اذا سئل عنه ويعتذر منه الحادي عشر ان يحفظ عرضه ونهاه ان يجعله غرضا واستعار لفظ الغرض والنبال
لما يرمى به من القول وقد سبق وجه الاستعارة الثاني عشر ان يحدث الناس بكل ما سمع على وجه ان يقول كان كذا وكذا دون ان يقول سمعت
فلانا يقول كذا فان بينهما فرقا ولذلك قال وكفى بذلك كذبا اذ لا يجوز ان يكون ما سمع في نفس الامر كذبا فيكون قد كذب في قوله كان كذا
وقوله سمعت كذا لا يكون كذبا الا على وجه ما الثالث عشر ان لا يرد كل ما يحدث به الناس ويقابله بالتكذيب والانكار لاحتمال ان يكون حقا فيحصل
من انكاره جهل بحق وقوله فكفى في الموضعين صغرى ضمير تقدير كبرى الاول وكلما كفى به كذبا فينبغي ان لا يحدث به وتقدير كبرى الثاني
وكلما كفى برده جهلا وجب ان لا يرد الرابع عشر امره بكظم الغيظ والحلم والتجاوز والصفح وهي فضائل تحت ملكة الشجاعة وشرطها بوجود
الغضب والقدرة والدولة ليسمى حلما وتجاوزا وصفحا والا لم يصدق عليها الاسم وقوله تكن لك العاقبة اي العاقبة الحسنة من ذلك
وهي صغرى ضمير تقديرها فان فاعل هذه الخصال يكون له العاقبة وتقدير الكبرى وكلما كانت له العاقبة الحسنة منها فيجب ان يفعلها
الخامس عشر ان يستصلح كل نعمة انعم الله عليه بها ومراده الشكر السادس عشر ان لا يضيع من نعم الله نعمة اي بالقصور عن الشكر والغفلة
عنه السابع عشر ان يظهر اثر نعمة الله نعم عليه بحيث يراها الناس فظهور اثرها عليه باظهارها على نفسه وذويه وصرف فاضلها الى
اهل الاستحقاق واعلم بدليل وجوب ذلك من وجهين احدهما قوله ان افضل المؤمنين افضلهم تقدمة اي صدقة يقدمها من نفسه اي قوله
واقعا له واموالهم ومن اهله كذلك وهو حذر له ان يجعل نفسه من افضل المؤمنين بالصدقة الثاني قوله وانك الى قوله خيره اي ما تقدمه
وتؤخره من المال وتخلفه وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما اذا قدمته كان لك ذخرا واذا اخرته كان لغيرك خيره فواجب عليك تقديمه
الثامن عشر ان يحذر صحابة من يفيل رايه اي يضعف وينكر عمله لسوئه وعلل ذلك الحذر بقوله فان الى قوله بصاحبه اي فانك تقاس به
وتنسب فعلك الى فعله ولان الطبع مع الصحبة اطوع للفعل منه للقول فلو صحبته لسارع بفعله فعله التاسع عشر ان يسكن الامصار العظام و
الغرض الجمعية على دين الله كقوله صلى الله عليه وآله عليكم بالسواد الاعظم ولذلك علل بكونها جماع المسلمين اي مجمعهم واطلق اسم المصدر
على المكان مجازا وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فينبغي ان يختص بالسكنى العشرون ان يحذر منازل الغفلة والجفاء لاهل
طاعة الله الحادي والعشرون ان يقصر رايه على ما يعنيه فان شغله عما لا يعنيه نجاة له الثاني والعشرون ان يجتنب مقاعد الاسواق
واشار الى وجه المفسدة بقوله فانها الى قوله الفتن ومعنى كونها محاضر الشيطان كونها مجمع الشهوات ومحل الخصومات التي مبدؤها
الشيطان ومعاريض جمع معرض وهو محل عروض الفتن والكلام صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فلا يجوز القعود فيه الثالث
والعشرون ان يكثر نظره الى من هو دونه ممن فضل عليه في النعمة وعلل ذلك بقوله فان الى قوله الشكر ووجه كونه بابا للشكر انه يكون
سببا للدخول اليه منه وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان من ابواب الشكر فواجب ملازمته الرابع والعشرون ان لا يسافر في يوم
الجمعة الا ان يكون في جهاد او عذر واضح وسره ان صلوة الجمعة عظيمة في الدين وهو محل التاهب لها والعبادة بوضعه للسفر وضع
للشيء في غير موضعه الخامس والعشرون ان يطيع الله في جميع اموره ورغبه فيها بضمير صغراه قوله فان الى قوله سواها وتقدير كبراه و
كلما فضل ما سواه فالاولى لزومه وايثاره على ما سواه السادس والعشرون ان يخادع نفسه في العبادة فانه لما كان شان النفس اتباع
الهوى وموافقة الطبيعة فالحرى ان تخادع عن مالوفها الى غيره تارة بان يذكر الوعد وتارة الوعيد وتارة الطبيعة فالحرى ان تخادع
عن مالوفها الى غيره تارة بان يذكر الوعد وتارة بالاستشهاد بمن هو دونها ممن شمر في عبادة الله وتارة باللوم لها على التفريط في جنب الله
فاذا اسلست بها فينبغي ان يكون بالرفق من غير قهرها على العبادة لكون ذلك داعية الملال والانقطاع كما اشار اليه سيد المرسلين
ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى بل ياخذ منها عفوها
ونشاطها في العبادة الا الفريضة فانه لا يجوز المساهلة فيها السابع والعشرون تحذيره ان ينزل به الموت حال ما هو آبق من ربه واستعار
له الاباق باعتبار خروجه عن امره ونهيه عن طلب الدنيا الثامن والعشرون ان يجتنب صحبة الفساق ونفره عن ذلك بضمير صغراه قوله فان
الشر بالشر ملحق اي فانه يصير لك شريكا في الهلاك القريب بالفاسق يفسد وتقدير كبراه وكل ما صيرك شريكا فلا يجوز فعله التاسع و
العشرون ان يجمع بين توقير الله وتعظيمه وبين محبة احبائه واوليائه وهما اصلان متلازمان الثلثون ان يحذر الغضب ونفر عنه بقوله
فانه الى آخره ومعنى كونه جندا له لانه من اعظم ما يدخل به على الانسان فيملكه ويصيره في تصريفه كالملك الداخل بالجند العظيم على المدينة

وهو صغرى ضمير تقديره وكلما كان كذلك فواجب ان يحذر منه وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى سهل بن حنيف الانصاري
وهو عامله على المدينة في معنى قوم من اهلها لحقوا بمعوية اما بعد فقد بلغني ان رجالا ممن قبلك يتسللون الى معوية فلا تأسف
على ما يفوتك من عددهم ويذهب عنك من مددهم فكفى لهم غيا ولك منهم شافيا فرارهم من الهدى والحق وايضاعهم الى العمى
والجهل انما هم اهل الدنيا مقبلون عليها ومهطعون اليها قد عرفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعوه وعلموا ان الناس عندنا
في الحق اسوة فهربوا الى الاثرة فبعدا لهم وسحقا انهم والله لم ينفروا من جور ولم يلحقوا بعدل وانا لنطمع في هذا الامر ان يذلل
الله لنا صعبه ويسهل لنا حزنه ان شاء الله والسلام عليك **اقول** التسلل الذهاب واحدا بعد واحد والايضاع الاسراع وكذلك الاهطاع
الا انه الاستبداد ونبه بقوله اما بعد الى قوله معوية اعلام له بعلمه بحالهم وقوله فلا تأسف الى قوله مددهم تسلية له عما فاته من عددهم ومددهم
وقوله فكفى الى قوله بعدل اسند اراحه عن الاسف على فرارهم بذكر معايبهم ثم ضميرين صغرى الاول اسمها قوله فكفى الى قوله والجهل وتقدير كبراه
وكل من كان كذلك فلا يجوز الاسف عليه وفرارهم فاعل كفى وغيا وشافيا تمييز وصغرى الثاني قوله وانما هم اهل الدنيا اي كان شانهم ذلك
وعرفوا العدل عندنا وعلموا استواء الناس عندنا في الحق فهربوا الى الاستيثار والاستبداد عند معوية وتقدير كبراه وكل من كان
بهذه الحال فلا يجوز الاسف عليه ولذلك دعا عليهم بالبعد والسحق وهما مصدران وضعا للدعاء ثم اقسم انهم لم يفروا من جور منه
ولم يلحقوا بعدل من معوية ايضا اكد بصرة لاحوالهم التي هربوا لاجلها ثم وعده بما يطمع فيه من الله تعالى من تذليل ما صعب من امر الخلافة لهم
وتسهيل حزنه بمشية سبحانه **ومن كتاب له ع** الى المنذر بن الجارود العبدي وقد كان استعمله على بعض النواحي فخان
الامانة اما بعد فان صلاح ابيك غرني منك وظننت انك تتبع هديه وتسلك سبيله فاذا انت فيما رقي الي عنك لا تدع لهواك
انقيادا ولا تبقي لآخرتك عتادا تعمر دنياك بخراب آخرتك وتصل عشيرتك بقطيعة دينك ولئن كان ما بلغني عنك حقا لجمل اهلك
وشسع نعلك خير منك ومن كان بصفتك فليس باهل ان يسد به ثغر او ينفذ به امر او يعلى له قدر او يشرك في امانة او
يؤمن على جباية فاقبل الي حين يصل اليك كتابي هذا ان شاء الله قال السيد ره والمنذر بن الجارود هذا هو الذي قال فيه
امير المؤمنين ع انه لنظار في عطفيه مختال في برديه تفال في شراكيه يعني انه ينفض التراب من شراكيه اذا اصابهما التراب **اقول**
العتاد العدة والشسع سير بين الاصبعين في النعل العربي ومدار الفصل على توبيخه بخيانته فذكر سبب غروره وهو قياسه في الصلاح
على ابيه الجارود العبدي في انه يتبع ما كان عليه من الهدى ثم ذكر ما رقي اليه عنه من الشر ومن اربعة اوجه احدها انقياده لهواه في كل
ما يقوده اليه الثاني اعراضه عما يعتد به لآخرته من صالح الاعمال الثالث كونه يعمر دنياه بما يستلزم خراب آخرته من نيل الحرام الرابع
كونه يصل عشيرته بما يقطع دينه من ذلك وراعى التسجيع في قرينتين ثم اخذ في توبيخه والحكم بنقصانه وحقارته حتى ما نسب اليه
ذلك يفضل جمل اهله وشسع نعله عليه وجمل الاهل مما يمثل به في الهوان واصله فيما قيل ان الجمل يكون لاب القبيلة فيصير
لهم يمتهنه كل منهم ويصرفه في حاجته فهو ذليل حقير بينهم ثم حكم في معرض توبيخه ان من كان بصفته انه لا يصلح لولاية عمل يريده الوالي وراعى
في القرائن الاربع التسجيع المتوازي فالعتاد بازاء الامر والجباية بازاء الامانة وانما قال ويشرك في امانة لان الخلفاء امناء الله في بلاده
ثم ولوه من قبلهم فقد اشركوه في امانتهم وقوله ويؤمن على جباية اي حال جبايته لان كلمة على تفيد الحال ثم بعد توبيخه استقدمه عليه
عزلا له والذي حكاه السيد ره من وصف امير المؤمنين له فكناية عن تكبره والتفل في الشراك نفخ الغبار عنه والحكاية مناسبة للكتاب
لاشتمالها على الكبر وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى عبد الله بن العباس ره اما بعد فانك لست بسابق اجلك ولا
مرزوق ما ليس لك واعلم بان الدهر يومان يوم لك ويوم عليك وان الدنيا دار دول فما كان منها لك اتاك على ضعفك وما كان
منها عليك لم تدفعه بقوتك **اقول** الفصل موعظة وتنبيه فيها على ثبات امور احدها انه لا يسبق اجله ولما كان الاجل هو الوقت
الذي علم الله ان زيدا يموت فيه لم يمكن ان يموت زيد دونه لان ذلك يستلزم انقلاب علم الله جهلا وانه محال الثانية ولا مرزوق ما ليس
له اي ما علم الله انه ليس رزقا له فمحال ان يرزقه لما بيناه الثالثة علمه بان الدهر يومان يوم له وهو اليوم الذي له فيه المنافع كاللذة
وكالا ثواب ويوم عليه وهو ما يكون عليه فيه المضرة كالالم وما يستلزمه وذلك معنى كون الدنيا دار دول كما قال تعالى وتلك الايام نداولها
بين الناس الرابعة علمه بان ما كان له من خير الدنيا اتاه على ضعفه فان كان امرا كليا لعلم الله سبحانه بانه يصل اليه وكل ما كان عليه
من شرها لم يتمكن من دفعه وان كان قويا وذكر الضعف والقوة ليعلم اسناد الامور والارزاق الى مدبر حكيم هو مفيضها ومسبب
اسبابها وناظم وجودها ومقسمها لا انها تعطى كل منها ما استعد له من خير او شر فقد يحصل الضعيف الحيوان ويرزق رزقا واسعا
ويكون ضعفه من الاسباب المعدة لسعة رزقه وبالعكس قد يحصل له القوة فتكون من اسباب الحرمان والله من ورائهم محيط وهو الرزاق ذو
القوة المتين **ومن كتاب له ع** الى معوية اما بعد فاني على التردد في جوابك والاستماع الى كتابك لموهن رأيي ومخطئ
فراستي وانك اذ تحاولني الامور وتراجعني السطور كالمستثقل النائم تكذبه احلامه والمتحير القائم يبهظه مقامه ولا يدري

لا يدري

اله ما يأتي ام عليه ولست به غير انه بك شبيه واقسم
بالله انه لولا بعض الاستبقاء لوصلت اليك مني قوارع تقرع العظم وتهلس اللحم واعلم ان الشيطان قد ثبطك عن ان تراجع احسن
امورك وتأذن لمقال نصيحتك **اقول** الموهن المضعف ويبهظه يثقله والقوارع الشدائد وتهلس اللحم تذهب به وتسحبه والتثبيط
منه التعويق وثبطه عن كذا شغله ومدار الفصل على منافرته وتوبيخه فقوله اما بعد الى فراستي اي مضعف رأيي وفراستي فيك لغلبة ظني
ان مكاتبتك وجوابك لا فائدة فيه ثم شبهه في محاولته امر الشام وما يجد من عنته من محال الخلافة فيه بعد عن الحق بمراجعة السطور
الى الكتب في ذلك بالمستثقل في النوم العريق فيه وانتصب السطور بحذف الجار اماني وليا واشار الى وجه التشبيه بقوله تكذبه
احلامه واراد ان تخيلاته وامانيه في حصول هذا الامر له تخيلات كاذبة صادرة عن جهل غالب كالاحلام الكاذبة للمستغرق في نومه
اذا استيقظ لم يجد منها شيئا وكذلك شبهه بالمتحير القائم واشار الى وجه شبهه بقوله يبهظه الى قوله عليه وبيانه ان معوية متحير في هذا الامر
في تحصيله متهور في طلبه مع جهله بعاقبته هل هي خير او شر كالقائم المتحير في الامر يتعب بطول مقامه ولا يعرف غايته من قيامه ثم لم
يرض له بذلك التشبيه بل زاد مبالغة في غفلته ونومه في مرقد طبيعته وحيرته فقال ولست به اي لست بهذا شبيها فيكون هو اصلا
لك في التشبيه غير انه بك شبيه اي انك اصل له في ذلك التشبيه ثم اقسم لولا بعض الاستبقاء اي للامور المصلحية لوصلت اليه منه قوارع
وكنى بها عن الحرب وكنى عن شدتها بكونها تقرع العظم وتهلس اللحم ثم اعلم في معرض توبيخه ان الشيطان قد ثبطه عن مراجعة احسن
اموره وهو الدخول في طاعته وترك الفتنة وان ياذن اي يصغي اذنه لمقال نصيحته وهو خير له ايهما بنسبة تركه لهما الى تثبيط الشيطان
وبالله التوفيق **ومن حلف له ع** كتبه بين اليمن وربيعة نقل من خط هشام بن الكلبي هذا ما اجتمع عليه اهل اليمن حاضرها
وباديها وربيعة حاضرها وباديها انهم على كتاب الله يدعون اليه ويأمرون به لا يشترون به ثمنا قليلا ولا يرضون به بدلا
وانهم يد واحدة على من خالف ذلك وتركه انصار بعضهم لبعض دعوتهم واحدة لا ينقضون عهدهم لمعتبة عاتب ولا لغضب
غاضب ولا لاستذلال قوم قوما ولا لمسبة قوم قوما على ذلك شاهدهم وغائبهم وحليمهم وجاهلهم ثم ان عليهم بذلك عهد الله
وميثاقه ان عهد الله كان مسئولا وكتب علي بن ابي طالب **اقول** الحلف العهد وفيه نكت الاولى قوله هذا مبتداء وما موصولة
وهي صفة المبتدأ وخبره انهم ويجوز ان يكون هذا مبتداء خبره ما اجتمع عليه ويكون قوله انهم تفسيرا لهذا كانه قال ما الذي اجتمعوا عليه
فقيل على انهم على كتاب الله اي اجتمعوا على ذلك وخبر انهم على كتاب الله ويدعون حال والعامل متعلق الجار وحاضرها وباديها من اهل
اليمن وكذا من ربيعة الثانية كونهم لا يشترون به ثمنا كناية عن لزومهم والعمل به الثالثة قوله وانهم يد واحدة اي متعاونون على من خالفه
فاطلق اسم اليد على المتعاون مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب وانصار خبر ثان لان وبعضهم فاعل ويجوز ان يكون بعضهم مبتدأ خبره
انصار الرابعة قوله ولا لاستذلال قوم قوما اي لا ينقضون عهدهم لكون القبيلة الاخرى استذلت قومهم او سبتهم وروي لمسبة قوم
قوما اي كلا زادتهم وفي رواية كتب علي بن ابو طالب وهي المشهورة عنه ووجهها انه جعل هذه الكنية علما بمنزلة لفظة واحدة لا يتغير اعرابها
ومن كتاب له عليه السلام الى معوية من المدينة في اول ما بويع له بالخلافة ذكره الواقدي في كتاب الجمل من عبد الله علي امير
المؤمنين الى معوية بن ابي سفيان اما بعد فقد علمت اعذاري فيكم واعراضي عنكم حتى كان ما لا بد منه ولا دفع له والحديث
طويل والكلام كثير وقد ادبر من ادبر واقبل من اقبل فبايع من قبلك واقبل الي في وفد من اصحابك **اقول** الوفد الواردون
على الملك واعذاري اي اعذاري منهم الى الله اي اظهار عذري وذلك باجتهاده في نصيحة عثمن اولا ونصرته بني امية بالذب عنه ثانيا واعراضه
عنهم بعد ياسه من قبول عثمن لنصيحته وعجزه عن نصرته والدفع عنه حتى كان ما لا بد منه ولا دفع له من قتله ثم قال والحديث طويل والكلام
كثير في امره ومن قبله وقوله وقد ادبر الى قوله اقبل يحتمل ان يكون اخبارا له بان بعض الناس ادبر عنه كطلحة والزبير ومن تابعهما وبعضهم
اقبل عليه ويحتمل ان يكون انشاء اي قد دخل في الادبار من ادبر عني ودخل في الاقبال من اقبل علي ثم امره ان يبايع له من قبله من الجماعة
ويقبل اليه ويحتمل ان يكون الضمير في قوله فيكم وعنكم خطابا لمعوية وساير المسلمين على سبيل التعتب والتشكي اي قد علمت اني اعتذرت
فيكم حيث لم اعاجل سيئكم بالعقوبة واعرضت عنكم حتى كان ما كان من خروج طلحة والزبير ومن تابعهم مما لا بد من وقوعه منهم ولا
دفع له والحديث في شانهم طويل والكلام في شبهتهم كثير وقد ادبر من ادبر اي هؤلاء الخارجون واقبل من اقبل وتمام الكلام بحاله
والله اعلم **ومن كتاب له ع** لعبد الله بن العباس عند استخلافه اياه على البصرة سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك
واياك والغضب فانه طيرة من الشيطان واعلم ان ما قربك من الله يباعدك من النار وما باعدك من الله يقربك من النار
اقول الطيرة فعلة من الطيران ويستعمل في الخفة وما لا ثبات له وروي طيرة من التطير وهو التشأم وقد امره هيهنا بامور الاول
احدها ان يسع الناس بوجهه وكنى بذلك عن البشر والطلاقة وبمجلسه وهو كناية عن التواضع وبحكمه وكنى به عن العدل لان
الحكم العدل يسع كل احد والجور يضيق لا يحتمله الكل الثانية حذره من الغضب وهو امر بفضيلة الحلم وتعرضه بقوله فانه

الى قوله

وسفيههم وعالمهم انهم هو

فيه من الشيطان اي خفة يبتلي من الشيطان او نزغة يتشام الناس بصاحبه ويكرهه ونسبه الى الشيطان لينفر عنه واراد الغضب المذموم وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فواجب ان يحذر ثم رغبه فيما يقربه من الله بما يستلزم من كونه مبعدا له من النار و نفره عما يبعده من الله بما يستلزمه من كونه مقربا له الى النار وهما صغريا ضميرين تقدير كبرى الاول منهما وكل ما باعد من النار فواجب اخذه وتقدير كبرى الثاني وكل ما يقرب من النار فواجب ان يحذر وبالله التوفيق **ومن وصية له عليه السلام** لعبد الله بن العباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج لا تخاصمهم بالقرآن فان القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاجهم بالسنة فانهم لن يجدوا عنها محيصا **اقول** المحيص المعدل وقد نهاه ان يحاجهم بالقرآن ونبهه على ذلك بضمير صغراه قوله فان القرآن الى قوله ويقولون اي ان الآيات التي يمكنه الاحتجاج بها غير ناصة في المطلوب بل الفاظ وتاويلات محتملة يمكنهم ان يتعلقوا بها عند المجادلة وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فلا يتم الغرض به في مخاصمتهم ثم امره ان يحاجهم بالسنة ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فانهم لا يجدون عنها معدلا لكونها ناصة في المطلوب كقوله ص حربك يا علي حربي ونحوه وتقدير الكبرى وكل ما لم يجدوا عنه معدلا فالاولى محاجتهم به وقد اشرنا من قبل الى مجادلة ابن عباس **ومن كتاب له عليه السلام** اجاب به ابا موسى الاشعري عن كتاب كتبه اليه من المكان الذي اقعدوا فيه للحكومة وذكر هذا الكتاب سعيد بن يحيى الاموي في كتاب المغازي اما بعد فان الناس قد تغير كثير منهم عن كثير من حظهم فمالوا مع الدنيا ونطقوا بالهوى واني نزلت من هذا الامر منزلا معجبا اجتمع به اقوام اعجبتهم انفسهم فاني اداوي منهم قرحا اخاف ان يعود علقا وليس رجل فاعلم احرص على جماعة امة محمد صلى الله عليه واله والفتها مني ابتغي بذلك حسن الثواب وكرم المآب وسأفي بالذي وأيت على نفسي وان تغيرت عن صالح ما فارقتني عليه فان الشقي من حرم نفع ما اوتي من العقل والتجربة واني لأعبد ان يقول قائل بباطل او ان افسد امرا قد اصلحه الله فدع ما لا تعرف فان شرار الناس طائرون اليك باقاويل السوء **اقول** العلق الدم الغليظ ووأيت وعدت والعبد الانف واعضب قوله فان الناس الى قوله حظهم اي الحظ الذي ينبغي لهم من الدين والهدى وقوله فمالوا الى قوله الهوى بيان لانواع تغيرهم وقوله واني نزلت من هذا الامر اي امر الخلافة منزلا معجبا وهو الحال التي انتهى اليها امر الصحابة وصارت محل التعجب منها وكيف صار محكوما هم في تنفيذ الحكومة والرضى بالصلح وغيره وقوله اجتمع به اقوام صفة منزل اي ان هذا المنزل الذي انا فيه من هذا الامر قد اجتمع معي وشاركني فيه اقوام اعجبتهم انفسهم وآراؤهم فاستبدوا واتلفوا الامر فانا اداوي منهم قرحا واستعار لفظ القرح لما افسد من حالهم باجتماعهم على التحكيم ولفظ المداواة لاجتهاده في اصلاحهم وروى داري وكذلك استعار لفظ العلق لما يخاف من تفاقم امرهم من حاله انه ليس رجل احرص منه على الفة جماعة محمد ص للغرض المذكور وقوله فاعلم اعتراض حسن بين ليس وخبرها ورجل يفيد العموم وان كان مفردا نكرة لكونه في سياق النفي على ما بين في اصول الفقه ثم اخبر انه سيفي بما وعد على نفسه من شرط الصلح على ما وقع عليه وتوعده بلزوم الشقاوة ان تغير عن صالح ما فارقه عليه من وجوب الحكم بكتاب الله وعدم اتباع الهوى والاغترار بمقارنة الاشرار وفسر الشقي بمن حرم نفع ما اوتي من العقل والتجربة بين ذلك الى انه ان خدع او تغير بامر اخر فقد حرم نفع عقله وسابق تجربته فلزمته الشقاوة ثم نبهه على انه يأنف من قول الباطل وان يفسد امرا اصلحه الله به وهو امر الدين ليتحرز من غضبه بلزوم الحق والصدق وحفظ جانب الله في حقه واكد ذلك بقوله فدع ما لا تعرف اي من الحكم في هذه القضية بالشبهة وقوله فان شرار الناس الى اخره اراد عمرو بن العاص ونحوه فيما كان يسرع بالقائه اليه من الوساوس والشبه الكاذبة التي هي اقاويل السوء **ومن كتاب له عليه السلام** لما استخلف الى امراء الاجناد اما بعد فانما اهلك من كان قبلكم انهم منعوا الناس الحق فاشتروه واخذوهم بالباطل فاقتدوه **اقول** نفرهم عن منع الحق اهله ومعاملتهم الناس بالباطل بذكر ان ذلك هو سبب هلاك من كان قبلهم من امثالهم وقوله فاشتروه اي فباعوه وتعوضوا عنه بالباطل لما منعوا منه كقوله تعالى وشروه بثمن بخس وكذلك قوله واخذوهم بالباطل اي حملوا الناس على الباطل فاقتدوه اي اقتدوا بالباطل فيهم اقتدوه وبالله التوفيق تم باب الكتب والوصايا والعهود والحمد لله حق حمده

باب المختار من حكم امير المؤمنين عليه السلام ومواعظه ويدخل في ذلك المختار من اجوبة مسائله والكلام القصير

الخارج في سائر اغراضه قال عليه السلام كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب **اقول** ابن اللبون ولد الناقة اذا استكمل سنتين ودخل في الثالثة لان امه على الاغلب تلد وتصير ذات لبن وقد امر اصحابه في زمن الفتنة ان يتشبهوا بابن اللبون واشار الى وجه الشبه بقوله لا ظهر الى اخره واراد انه يكون في زمانها خامل الذكر ضعيفا غير مستكثر من المال كيلا يتصلح لمعاونة الظالمين بنفسه ولا بماله ولا ينتفع به في الفتنة كابن اللبون لا ينتفع بظهره ولا لبنه وظهر منه عجزه محل وقت تقديره

له ويركب عطفه على الجملة ويروى منصوبا باضمار ان في جواب النفي وكذا قوله فيحلب **قال ع** احدى وعشرين كلمة من كلامه والحث على مكارم الاخلاق وهي قوله ازرى بنفسه من استشعر الطمع وهو تنفير عن الطمع المضاد لفضيلة القناعة بذكر ما يستلزمه من التهاون بالنفس والازدراء بها وذلك ان الطمع بما في ايدي الناس يستلزم الحاجة اليهم والخضوع لهم وهو يستلزم الهوان عليهم وسقوط المنزلة واستعار وصف الاستشعار لملازمة الطمع ومباشرته للقلب كالشعار للجسد الثانية قوله ورضي بالذل من كشف ضره وهو ايضا تنفير للانسان عن شكاية فقره وضره للناس بذكر ما يلزم ذلك من الذل والرضى به الثالثة وهانت عليه نفسه من امر عليها لسانه وهو تنفير للانسان عن الاكثار في القول من غير تدبر ومراجعة لعقله بما يلزم ذلك من هوان نفسه عليه اما في الدنيا فلان ذلك القول قد يكون سببا للهلاك واليه اشار القائل احفظ لسانك ايها الانسان لا يلدغنك انه ثعبان كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الاقران واما في الاخرة فلقوله صلى الله عليه واله وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد السنتهم ولا هوان للنفس الانسانية اعظم من هلاكها واستعار وصف التامير لتسليط اللسان على ما يؤذي النفس من غير مراجعتها فكانها صيرته حاكما لها الرابعة قوله والبخل عار وذلك لانه رذيلة المفرط من فضيلة الكرم وبقدر حمد الانسان على الكرم يكون ذمه وتعييره برذيلة البخل الخامسة والجبن منقصة لانه رذيلة المفرط من فضيلة الشجاعة التي هي اصل من الكمالات النفسانية كان الجبن رذيلة ومنقصة السادسة والفقر يخرس الفطن عن حجته وذلك لكونه مذلة وملحا للنفس فيعظم بالفقر والفتور والانفعال عن الغير ومبدأ كل ذلك تصور العجز وتوهم القصور بسبب عدم المال عن مقاومة الخصم فيحصل الخوف من الكلام والعي عنه وان كان صاحبه فطنا واستعار لذلك وصف الخرس ملاحظة لشبهه بالساكت والمقل غريب في بلدته اي الفقير واستعار له لفظ الغريب باعتبار عدم التفات الناس اليه وقلة الاعوان والاخوان له لا قلة له فهو كالغريب الذي لا يعرف الثامنة والعجز آفة العجز لفظ مهمل يحتمل العجز البدني وهو عدم القدرة على التصرفات البدنية مما من شانه ان يقدر ويحتمل العجز النفساني وهو عدم القدرة على مقاومة الهوى ودفعه والاول آفة بدنية ونقصان فيه والثاني آفة في العقل وعاهة فيه التاسعة والصبر شجاعة الصبر فضيلة تحت العفة ترسم بانها مقاومة الهوى لئلا يقود النفس الى قبائح اللذات وهو جهاد مع النفس الامارة يستلزم فضيلة الشجاعة فلذلك حمل اللازم على ملزومه العاشرة والزهد ثروة وهو فضيلة تحت العفة ويرسم بانه اعراض النفس عن متاع الدنيا وطيباتها ولما كانت الثروة في العرف عبارة عن الغنى بالمال وكثرته استعار لفظها للزهد لمشابهتهما في استلزامهما للغنى وعدم الحاجة الحادية عشرة والورع جنة وحقيقة الورع لزوم الاعمال الجميلة فلذلك استعار لفظ الجنة لمشابهتهما في الوقاية من عذاب الله في الاخرة ومن كثير المصائب الدنيوية كما يتحقق بالتجربة وغيره من المصالح الثانية عشرة ونعم القرين الرضا وقد علمت ان الرضا بقضاء الله وما نزل به القدر باب عظيم من ابواب الجنة وغاية من الملكات الفاضلة وظاهر انه نعم القرين في الدنيا والاخرة الثالثة عشرة والعلم وراثة كريمة وهو فضيلة النفس العاقلة وهو اشرف الكمالات التي تعتني وبحسب ذلك كان وراثة كريمة من العلماء بل كان اكرم موروث ومكتسب ولذا اورثه للعترة كقوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب اي العلم والحكمة الرابعة عشرة والآداب حلل مجددة واراد الآداب الشرعية ومكارم الاخلاق واستعار لها لفظ الحلل المجددة باعتبار دوام زينة الانسان بها وتجدد بهائه وحسنه وتحسين نفسه على استمرار الزمان بلزومها واستخراج محاسنها كالحلل التي لا يزال تجدد على لابسها الخامسة عشرة والفكر مرآة صافية الفكر قد يراد به القوة المفكرة وقد يراد به حركة هذه القوة مطلقا ايتها حركة كانت وقد يراد به معنى اخر وعلى هذا القوة نفسها واستعار لها لفظ المرآة باعتبار انها اذا وجهت نحو تحصيل المطالب المتصورة بالمقصد بقدر ادركها وتمثلت بها كما يتمثل في المرآة صور ما يحاذي بها السادسة عشرة وصدر العاقل صندوق سره استعار ملاحظة لفظ صندوق الستر باعتبار وحفظه كما يحفظ الصندوق ما فيه وهو في معنى امر للانسان بكتمان سره ورغبه في ذلك بذكر العاقل فكانه قال العاقل من يجعل صدره صندوق سره وحفظه السابعة عشرة البشاشة حبالة المودة واستعار لها لفظ الحبالة باعتبار اقتناص الانسان بها الناس واستمالتهم الى صداقته ومحبته كحبالة الصائد التي يقتنص بها الطير الثامنة عشرة الاحتمال قبر العيوب واراد احتمال المكروه والاذى من الاخوان وسائر الناس وهو فضيلة عظيمة تحت الشجاعة واستعار له لفظ قبر العيوب باعتبار ستره لمعائب صاحبه عند الناس كما يستر القبر ما فيه من جيفة الميت قال السيد ره وروي انه قال في العبارة عن هذا المعنى ايضا المسالمة خباء العيوب قال الجوهري الخباء واحد الاخبية بيت من وبر او صوف ولا يكون من شعر ويكون على عمودين او ثلاثة وما فوق ذلك فهو بيت والمسالمة فضيلة تحت العفة استعار لها لفظ الخباء باعتبار انها فضيلة تخفي المحبة وتستلزم سكوت الناس عن المعايب وسترها كالخباء ويتبين استلزامها ستر العيوب باستلزام نقيضها وهو المخاصمة وعدم المسالمة لتوارد الطباع على ذكر المعايب وابرازها لغرض الاهانة والتبكيت التاسعة عشرة ومن رضي عن نفسه كثر الساخط عليه

وددت للناس لو جمعنا حلمنا
ان الواضح عن نفسه معتقل
كما لمنا على فرحها وناملا
عجب بمنا النقصان عجب
موت للناس حتفهم
مثل بذلك الانا خط عليهم

عليه منهم التأني الية لاعتقاده كمال نفسه يرفعها فوق قدرها والناس يرون نقيضه وينكرون التفضل له والتساخط عليه لعشرون د
الصدق فهو دواء منجح استعار لفظ الدواء النافع للصدقة لمشابهتها الدواء اما في الدنيا فلقوله صم داووا مرضاكم بالصدقة فدرسا
ذلك انها تستجلب الهمم وتطابق القلوب على محبة المتصدق والرغبة الى الله سبحانه في امر دفع المكاره عنه لبقائه فهي في ذلك سبب
للشفاء كالدواء واما في الآخرة فلانها سبب لدفع المكاره الاخروية كما سبق بيانه الحادثة عن شرور واعمال العباد نصب اعينهم في اجلهم
اى ظاهرهم فاثبتها في اعينهم وستر ذلك ما علمته من كون النفوس مادامت في الدنيا فهي منغمسة بملكات الخير والشر لكنها في اغشية من
الهيئات البدنية البدنية ومحجبة عن ادراك الامور كما هي فاذا زالت تلك الاغشية بالمفارقة انكشفت لها الامور فادركت ما عملت
من خير وما استعدت له من شر كما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وكما قال يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا الآية **وقال عليه السلام** اعجبوا لهذا الانسان ينظر بشحم ويتكلم بلحم ويسمع بعظم ويتنفس من خرم نبه على لطف خلق الله
ببعض اسرار حكمة الله فيه وغايته من ذلك الاستدلال على حكمة مبدعه ومبدعه وذكر بعضه من محال النظر والاعتبار وهي آلة البصر
والكلام والسمع والتنفس وخصها بالذكر لكونها مع ضعفها اظهر واتم في وجود الانسان على شرفه وعلو رتبته في المخلوقات ولا الاها
ليكون ذلك محل التعجب والاعتبار للطف الصانع الحكيم واراد بالشحم الذي ينظر به الرطوبة المسماة في عرف الاطباء بالبيضية والرطوبة الجليدية
فان العين مركبة من سبع طبقات وثلث رطوبات كل منها يختص في عرفهم باسم وعنى باللحم اللسان فانه لحم ابيض رخو تلتف به عروق صغار
فيها دم وله ثلث تتبين لحم وتحته عروق وشرايانات واعصاب كثيرة وتحته فوهتان يسيل منهما اللعاب ينتهيان الى لحم غددي رخو موضوع في
اصله يسمى مولد اللعاب وبها ثنين الفوهتين يبقى اللسان وما حوله النداوة الطبيعية واراد بالعظم الذي يسمع به العظم المسمى الحجري وفيه عظم
صلب فيه مجرى الاذن كثير التعاريج والعطفات بمر كل الى ان يلتقى العصبة الثانية من الدماغ التي هي مجرى الروح الحامل للقوة السامعة و
اراد بالخرم ثقب الانف وفي هذه وامثالها من بدن الانسان وساير الحيوان عبرة لمن اعتبر وكمال شهادة بوجود الصانع الحكيم لها ومن نظر في
تشريح بدن الانسان حضرته شواهد من الحكمة الالهية بحار فيها لبه ويدهش فيها عقله وقرأ الصانع قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا
ثم قال وكيف لا يكون ضعيفا وهو ينظر بشحم ويسمع بعظم وينطق بلحم وقد راعى في القرائن الاربع السجع المتوازي **وقال عليه السلام**
اذا اقبلت الدنيا على قوم اعارتهم محاسن غيرهم واذا ادبرت عنهم سلبتهم محاسن انفسهم يريد ان الدنيا اذا اقبلت بجاهها و
مالها على قوم بحسب توافق اسباب السعادة الدنيوية لهم استلزم ذلك اقبال الناس عليهم ونفرتهم اليهم بكل ممكن لميلهم الى الدنيا ومحبتهم لها ف
حسنوا في اعينهم فاستعاروا لهم الاوصاف الجميلة التي كانت في غيرهم وان لم يكونوا في نفس الامر كذلك حتى يصفوا بالعلم الجاهل وبالكرم المبذر و
بالشجاعة المتهور وبالظرف وبلطف الاخلاق الماجن وربما كان اقبال الدنيا عليهم ايضا سببا لاستعدادهم لتحصيل الكمالات النفسانية و
الملكات الفاضلة التي كانت محاسن غيرهم فلهم وان كانوا قبل ذلك غير اهل التي منها ويحتمل ان يريد بالمحاسن محاسن الدنيا من مركوب
وابهة وحسن اثاث وتصرف ونحو ذلك وكونها عارية باعتبار عدم دوامها وكذا اذا ادبرت عنهم بحسب توافق اسباب الشقاوة فيها فتجولت
الناس حتى يكون احدهم ذا فضيلة في نفسه فيجحدها الناس ويصفونه بضدها فان نفدت الدنيا نسبوه الى الرياء والسمعة وان حسنت
اخلاقه نسبوه الى الخلاعة والمجون وان شجع نسبوه الى التهور والجنون وهو معنى سلبها المحاسن انفسهم وربما استعد ذو الفضيلة منهم بذلك
لتركها واهمالها والتخلق بضدها حتى تسلب عنه الفضيلة بالكلية **وقال عليه السلام** خالطوا الناس مخالطة ان متم معها بكوا عليكم
وان عشتم حنوا اليكم نبه بذلك على حسن المعاشرة للناس ومعاملتهم بمكارم الاخلاق وكنى عن ذلك بقوله ان متم الى آخره اذ من لوازم
حسن المعاشرة للمخالط المحبة التي حنوه واشفاره والبكاء عليه بعد وفاته والجملة الشرطية في موضع نصب صفة المخالطة **وقال عليه السلام**
اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه وهو تنبيه على فضيلة العفو وجذب اليه بكونه شكرا للقدرة اي ملازما
للشكر عليها وذلك ان القدرة على العدو نعمة من الله نعم يجب شكرها والاعتراف لله والخضوع له ويلزم الرقة وفتور الغضب ويتبع ذلك
العفو فاقامه مقام الشكر للملازمة بينهما ولما كان الشكر واجبا كان العفو لازما **وقال عليه السلام** اعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان
واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم الاخوان جمع اخ كخرب وخربان واراد الاصدقاء الصادقين وفي الكلمة حث على مكارم الاخلاق لان
الاخوان لا يكتسبون الا بها وانما جعل العاجز عن تحصيلهم اعجز الناس لان ذلك لا يحتاج الى اكتساب قوة بدنية ولا اعمال فكرة عقلية
انما يفتقر الى كرم الاخلاق وحسن المعاشرة والملاقاة بالبشر والطلاقة وهي امور طبيعية في اكثر الناس ومن اهون الاشياء عليهم فكان
العاجز عنها اعجز الناس عما هو مقدوره وانما جعل من ظفر بهم ثم ضيعهم اعجز لان المكتسب لا بد له من كلفة ما في اكتسابهم واما الحافظ
فهو غير محتاج الى ذلك العدد من الكلفة فكان سبب حفظ الاخوان اسهل من سبب تحصيلهم فكان المضيع لحفظهم عجز عن اكتسابهم
عجز عن حفظ الامر الاسهل فان قلت فقد قال ان المضيع لهم اعجز من اعجز الناس فلا يكون اعجز الناس اعجز الناس هف قلت لفظ الناس
لفظ مطلق وانما يلزم الخلف ان لو كان للعموم **وقال عليه السلام** اذا وصلت اليكم اطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر نبه على

وجوب الشكر على النعمة لغرض دوامها وتفرعه فلته عما يستلزم من كونه سفيرا لما يستقبل منها واستعار لفظ التنفير ملاحظة لشبهها بالطير
المستقبل اذا اسقط اوله انقل براخره وفيه ايماء الى ان دوام الشكر مستلزم لدوامها وكثرتها كقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم **وقال عليه السلام** ان لم يتيسر
من ضيعه الاقرب اتيح له الابعد اى قدر واراد ان الله سبحانه جعل لكل شيء سببا يجب معه وجوده ولما كانت منافع الانسان وضروراته في الاغلب
يقوم بها من كان اقرب اليه من اهله وعشيرته ولم يجب في الحكمة ان لا يكون له نفع له من جهتهم لا جرم انهم اذا ضيعوه واهملوه لا بد ان يقيض
الله له من يقوم بمصالحه ومعاونته من هو ابعد عنه **وقال عليه السلام** ما كل مفتون يعاتب الفتنة قد تكون في الدين وقد تكون في
الدنيا وقد تكون فيهما وعلى التقديرات فقد يلحق الانسان بسبب منه من جهل بسيط او مركب وقد يلحقه باسباب قدرية خارجية معلومة
وغير معلومة والذي يعاتب على فتنته من هؤلاء من كانت اسباب فتنته منه او بعضها كوقوع الفتنة لصاحبه الشقاق ونحوه هذا اذا حملنا
اللفظ على ظاهره ويحتمل ان يريد ليس كل مفتون ينفع معه العتاب **وقال عليه السلام** تذل الامور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير
استعار ذل الامور لمطاوعتها للقدر وجريانها على وفق القضاء ولما كان الانسان جاهلا باسرار القدر جاز ان يكون من غايات
مطاوعة الامور للقدر كون ما يعتقده الانسان الجاهل مصلحة ويفعله تدبيرا لمنفعته سببا لحتفه فهلاكه وفيه ايماء الى وجوب اسناد
الامور الى الله وعدم التوكل على التدبير والانقطاع اليه وسئل عليه السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود فقال انما قال صلى الله عليه وآله
ذلك والدين قل فاما الان وقد اتسع نطاقه وضرب بجرانه فامرؤ وما اختار النطاق شقة طويلة عريضة تجر على الارض اذا لبست
وجران البعير صدره وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في اول الاسلام يامر اهل الشيب من المسلمين بتغيير شيبهم ويبعثهم اليه وكان يبغضهم عن تركه لكونه
تشبها باليهود لان اليهود لم يكونوا يفعلون ذلك فكانوا يخضبون بالسواد وقيل بالحنا والغرض ان ينظر اليهم الكفار بعين القوة والشبيبة
فيفعلون عنهم ولا يطمعون فيهم فسئل عليه السلام عن ذلك في زمن خلافته فجعله من المباح دون المندوب واشار الى ان تلك السنة انما كانت
حيث كان المسلمون قليلين فاما الان وقد كثروا وضعف الكفار فهو مباح وكنى عن ذلك بقوله فامرؤ وما اختار واستعار لفظ النطاق
له ملاحظة وما انتشر منه ولفظ الضرب بالجران لثباته واستقراره وملاحظة لشبهه بالبعير البارك وقوله فامرؤ مبتداء وما اختار عطف
عليه وما مصدرية وخبر المبتداء محذوف تقديره مقرونان كقولهم كل امرئ وضيعته وبالله التوفيق **وقال عليه السلام** في الذين اعتزلوا
معه خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل منهم عبد الله بن عمر وجماعة من القراء وغيرهم كابي موسى الاشعري والاحنف بن قيس في حرب صفين
ويشبه ان يكون هذا اشارة الى توسط درجتهم في الضلال وجريهم مجرى العذر لهم فكانه قال انهم وان خذلوا الحق معنا لم ينصروا الباطل مع صومنا
وقال عليه السلام من جرى في عنان امله عثر باجله وهو تنفير عن تطويل الامل بذكر قطعه بالاجل واستعار لفظ العنان له ملاحظة لشبهه
بالفرس ولفظ الجري للاندفاع في الامل والعمل بحسب تطويله ولفظ العثار للامتناع عن ذلك الجري بعارض الاجل وقواطعه كعثار العادي بما
يعرض له من حجر ونحوه **وقال عليه السلام** اقيلوا ذوي المروات عثراتهم فما يعثر منهم عاثر الا ويد الله بيده يرفعه رغب في اقالة ذوي المروات
عثراتهم التي يتفق وقوعها ادراكيهم لما يلحقهم الندم عليه ونحوه بذكر كون يد الله بايديهم يرفعهم واستعار لفظ العثرات لما يقع منهم خطأ
ومن غير تثبت ولفظ اليد لعناية الله وقدرته وكنى عن تعلقها بتدارك حاله بكون يده بيده يرفعه وذلك ان المروة فضيلة عظيمة تستجلب
همم الخلق وقلوبهم ومساعداتهم بحسب ذلك يكون استعداد العاثر من ذوي المروات لعناية الله وقيامه من عثرته **وقال عليه السلام** قرنت
الهيبة بالخيبة والحياء بالحرمان والفرصة تمر مر السحاب فانتهزوا فرص الخير اراد بالهيبة الخوف من المقابل وظاهر ان ذلك يستلزم
عدم قضاء الحاجة منه والظفر بالمطلوب لعدم الانبساط في القول معه وهو معنى اقترانها بالخيبة وكذلك الحياء بالحرمان لاستلزام الحياء
ترك الطلب والتعرض له وهو تنفير عن الهيبة والحياء المذمومين ثم امر بانتهاز فرص الخير اى المبادرة الى فعله عند حضور وقت امكانه وزر
في ذلك بضمير صغراه قوله الفرصة تمر مر السحاب اى انها سريعة الزوال وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك فواجب ان يبادر اليه ويغتنم وقت
امكانه **وقال عليه السلام** لنا حق فان اعطيناه والا ركبنا اعجاز الابل وان طال السرى قال السيد وهذا من لطيف الكلام وفصيحه و
معناه انا ان لم نعط حقنا كنا اذلاء وذلك ان الرديف يركب عجز البعير كالعبد والاسير ومن يجري مجراهما وقال الازهري في تهذيب اللغة
قال القتيبي اعجاز الابل ماخيرها جمع عجز وهو مركب شاق قال وما معناه ان منعناها ركبنا مركب المشقة وصبرنا عليه وان طال ولم
نضجر منه مخلين بحقنا ثم قال الازهري لم يرد علي ركوب المشقة ولكنه ضرب اعجاز الابل مثلا لتاخره عن غيره في حقه من الامامة وتقدم
غيره عليه فاراد ان منعنا حقنا منها واخرنا عن ذلك صبرنا على الاثرة فيها وان طالت الايام والسرى سير الليل واقول الذي ذكره الثلثة
احتمالات حسنة وهي متقاربة لان ركوب الاعجاز مظنة للذلة والمشقة وتاخر المنزلة ويحتمل ان يكون كلها مرادة له ولم يفرق الازهري
بين المثل والكناية فان ركوب الاعجاز كناية عن الامور المذكورة ولذلك طول السرى كناية عن طول المشقة لانه مظنتها ويلزمها
ويحتمل ان يكون كناية بالمثل **وقال عليه السلام** من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه اى من لم يكن له عمل صالح حسن فنال حسبه
بسبب ذلك عن معالي الرتب الدنيوية والاخروية لم يسرع به حسبه وشرف نسبه اليها ان كان ذا حسب وكنى ببطوء عمله عن عدم وصوله

المبرهن ما يوصله اليه من زكى العمل الاسراع في مقابلة البطوء وقال ع من كفارات الذنوب العظام اغاثة الملهوف والتنفيس
عن المكروب الملهوف المظلوم يستغيث والتنفيس التفريج من الغم الذي ياخذ بنفسه وجعلهما من كفارات الذنوب العظام لكونهما فضيلة
عظيمة تستلزم فضائل كالرحمة والعدل والسخاء والمروة وغيرها وظاهر ان حصول هذه الملكات في النفس مما يستلزم ستر الذنوب ومحوها
ومنافاة ملكات السوء التي يعبر عنها بالسيئات والذنوب كما سبقت الاشارة اليه وقال ع يا ابن آدم اذا رأيت ربك سبحانه
يتابع عليك نعمه وانت تعصيه فاحذره نفّر الانسان عن معصية الله حال ما يغمر نعمه عليه بحذره منه وذلك ان ما كان
شكرها بعد المزيد منها كان كفرانها ومقابلتها بالمعصية لعدم الشكر مستلزم لعدم الاستعداد للمزيد ومعدا للنقصان ونزول النقمة
كما قال نعم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وهو محل الحذر منه والواو في قوله وانت للحال وقال ع ما اضمر احدكم شيئا
الا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه الفلتة الامر يقع من غير روية وصفحة الوجه بشرته ولما كان الانسان انما يضمر في نفسه
امرا مهما عنده من عداوة او بغض ومحبة الى غير ذلك وكان الوجود اللساني عبارة عن الوجود النفساني ومظهرا له لم يتمكن المرء
ان يحفظ ما اضمره بالكلية لان مراعات ذلك الحفظ انما يكون للعقل بحسب ما يراه من المصلحة والعقل قد يشتغل بالتصرف في مهم
آخر فيغفل عن ضبط ما اضمره فينفلت الخيال به من سر العقل فيلحقه في فلتات القول من غير تردد وكذلك لما كانت التصورات والامور
المقتضية مبادي للاثار الظاهرة كصفرة الوجل وحمرة الخجل لم ينفك بعض الامور المضمرة عن ظهور ما يعرف به من الاثار في صفحات
الوجه والعين وشاهد ذلك التجربة وقال عليه السلام امش بدائك ما مشى بك اي وفي رواية ما مشى بك اي ما دام المرض لا يمنعك
ويعجزك فلا تنفعل عنه ولا تتعاجز به لكن في صورة الاصحاء وقيل فيه ايماء الى ما اشتهر من كتمان المرض كما قال الرسول ص من كنوز
البر كتمان الصدقة والمرض والمصيبة وربما كانت فائدة ذلك كونه نوع تجلد والتجلد معاونة للطبيعة وتقوية لها على المرض ومن
المرض ما يخل بالحركات البدنية واستعار لفظ المشي وصفا لما يشبه باعتبار انه لا يلزم الارض والفراش فهو كالحامل له وكانه
به وقال عليه السلام افضل الزهد اخفاء الزهد منه ظ ويستخفي وهو الزهد الحقيقي المنتفع به كما قال ص ان الله لا ينظر الى صوركم
ولا الى اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم فلذلك كان افضل والمراد الزهد الخفي فاضاف الصفة الى الموصوف وقدمها لانها اهم ولان الزهد الظاهر
يكاد لا ينفك عن رياء وسمعة فكان مفضولا وقال ع اذا كنت في ادبار والموت في اقبال فما اسرع الملتقى
وهو جذب باقبال الموت ولقائه الى الاستعداد له ولما بعده بالاعمال الصالحة والادبار والاقبال امران اعتباريان لان الانسان
اجزاء مدته وقتا فوقتا في ادبار ويجب لذلك ان يكون اعتبار فنائها ليحسبها بكون سرعة التقائهما والملتقى مصدر وقال ع
الحذر الحذر فوالله لقد ستر حتى كانه قد غفر حذر من سخط الله بسبب معصيته لطول امهاله وستره الى الغاية المذكورة وقوله فوالله
الى آخره صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من ستر على عبده الى الغاية المذكورة فواجب ان يحذر غضبه ويجتنب معصيته ويرجع الى طاعته
التي هي الغاية من عنايته بستره وسئل عليه السلام عن الايمان فقال الايمان على اربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد
فالصبر منها على اربع شعب على الشوق والشفق والزهد والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار
اجتنب المحرمات ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات ومن ارتقب الموت سارع الى الخيرات واليقين منها على اربع شعب
على تبصرة الفطنة وتاول الحكمة وموعظة العبرة وسنة الاولين فمن تبصر في الفطنة تبينت له الحكمة ومن تبينت له الحكمة عرف
العبرة ومن عرف العبرة فكانما كان في الاولين والعدل منها على اربع شعب على غائص الفهم وغور العلم وزهرة الحكم ورساخة
الحلم فمن فهم علم غور العلم ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم ومن حلم لم يفرط في امره وعاش في الناس حميدا والجهاد
منها على اربع شعب على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في المواطن وشنآن الفاسقين فمن امر بالمعروف
شد ظهور المؤمنين ومن نهى عن المنكر ارغم انوف المنافقين ومن صدق في المواطن قضى ما عليه ومن شنئ الفاسقين
وغضب لله غضب الله له وارضاه يوم القيامة والكفر على اربع دعائم على التعمق والتنازع والزيغ والشقاق فمن تعمق لم ينب
الى الحق ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق ومن زاغ ساءت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة وسكر سكر الضلالة
ومن شاق وعرت عليه طرقه واعضل عليه امره وضاق عليه مخرجه والشك على اربع شعب على التماري والهول والتردد و
الاستسلام فمن جعل المراء ديدنا لم يصبح ليله ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه ومن تردد في الريب وطئته سنابك
الشياطين ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهما قال السيد وبعد هذا كلام طويل تركنا ذكره خوف الاطالة و
الخروج عن الغرض المقصود في هذا الكتاب اقول الدعائم عمد البيت والتبصر التعرف والتاويل التفسير والزيغ
الميل والشنآن البغض والتعمق التعسف في معنى الكلام واعضل اشتد والتماري المماراة والهول الفزع والديدن العادة و
السنابك جمع سنبك وهو طرف حافر الفرس واعلم ان هذا الفصل من لطائف الحكمة ومداره على شرح قواعد الايمان والاشارة

ج الى فروع تلك القواعد ثم الى تلك ثمرات تلك الفروع ولما كان الكفر مضادا للايمان والشك مقابلا له مقابلة العدم للملكة
اشار الى دعائم الكفر وشعب الشك ليتبين بهما الايمان اذ بضدها تتبين الاشياء اما الايمان فاعلم ان المراد الايمان الكامل
وذلك له اصل وله كمالات بها يتم اصله فاصله هو التصديق بوجود الصانع تعالى وما له من صفات الكمال ونعوت الجلال
وبما نزلت به كتبه وبلغته رسله وكمالاته المتممة هي الاقوال المطابقة ومكارم الاخلاق والعبادات ثم ان هذا الاصل ومتمماته هو
كمال النفس الانساني لانها ذات قوتين علمية وعملية وكمالها بكمال هاتين القوتين فاصل الايمان هو كمال القوة العلمية
منها ومتمماته وهي مكارم الاخلاق والعبادات هي كمال القوة العملية اذا عرفت هذا فنقول لما كانت اصول الفضائل الخلقية هي
كمال الايمان اربعا هي الحكمة والعفة والشجاعة والعدل اشار اليها واستعار لها لفظ الدعائم باعتبار ان الايمان الكامل لا
يقوم في الوجود الا بها كدعائم البيت فعبر عن الحكمة باليقين والحكمة منها علمية وهي استكمال القوة النظرية بتصور الامور و
التصديق بالحقائق النظرية والعملية بقدر الطاقة البشرية ولا يسمى حكمة حتى يصير هذا الكمال حاصلا لها باليقين البرهاني
ومنها عملية وهي استكمال النفس بملكة العلم بوجوه الفضائل النفسانية الخلقية وكيفية اكتسابها ووجوه الرذائل النفسانية
وكيفية الاحتراز عنها واجتنابها وظاهر ان العلم الذي صار ملكة هو اليقين وعبر عن العفة بالصبر والعفة هي الامساك
عن الشره في فنون الشهوات المحسوسة وعدم الانقياد للشهوة وقهرها وتصريفها بحسب الرأي ومقتضى الحكمة المذكورة و
انما عبر عنها بالصبر لانها لازم من لوازمه اذ رسمه انه ضبط النفس وقهرها عن الانقياد لقبائح اللذات وقيل هو ضبط
النفس عن ان يقهرها الم مكروه ينزل بها ويلزم في العقل احتماله او يغلبها حب مشتهى يتوق الانسان اليه ويلزمه في حكم
العقل اجتنابه حتى لا يتناوله على غير وجهه وظاهر ان ذلك يلازم العفة وكذلك عبر عن الشجاعة بالجهاد لاستلزامه
اياها اطلاقا لاسم الملزوم على اللازم والشجاعة هي ملكة الاقدام الواجب على الامور التي يحتاج الانسان ان يعرض نفسه لاحتمال
المكروه والآلام الواصلة اليه منها واما العدل فهو ملكة فاضلة ينشأ عن الفضائل الثلث المشهورة وتلزمها وقد علمت فيما
سلف ان كل واحدة من هذه الفضائل محتوشة برذيلتين هما طرفا الافراط والتفريط منها ومقابلة برذيلة هي ضدها
واما شعب هذه الدعائم فاعلم انه جعل لكل دعامة منها اربع شعب من الفضائل تتشعب منها وتتفرع عليها فهي كالفروع لها
والاغصان اما شعب الصبر الذي هو عبارة عن ملكة العفة فاحدها الشوق الى الجنة وتحنّبه للخيرات الباقية الثاني الشفق وهو الخوف
من النار وما يؤدي اليها الثالث الزهد في الدنيا وهو الاعراض بالقلب عن متاعها وطيباتها الرابع ترقب الموت وهذه الاربع
فضائل منبعثة عن ملكة العفة لان كلا منها يستلزمها واما شعب اليقين فاحدها تبصرة الفطنة واعمالها والفطنة هي سرعة
هجوم النفس على حقائق ما تورده الحواس عليها الثاني تاول الحكمة وهو تفسيرها واكتساب الحقائق ببراهينها واستخراج وجوه الفضائل
ومكارم الاخلاق من مظانها ككلام نبي او ولي او غيره بعينه الثالث موعظة العبرة وهو ان يحصل من اعتبار العبر على اتعاظ وازدجار
الرابع ان يلحظ سنة الاولين حتى يصير كانه فيهم وهذه الاربع هي فضائل تحت الحكمة كالفروع لها وبعضها كالفرع للبعض
واما شعب العدل فاحدها غوص الفهم اي الفهم الغائص فاضاف الصفة الى الموصوف وقدمها للاهتمام بها ورسم هذه
الفضيلة انها قوة ادراك المعنى المشار اليه بلفظ او كتابة او اشارة ونحوها الثاني غور العلم واقصاه وهو العلم بالشئ
كما هو بحقيقته وكنهه الثالث نور الحكم اي يكون الاحكام الصادرة عنه نيرة واضحة لا لبس فيها ولا شبهة الرابع ملكة الحلم
وعبر عنها بالرسوخ لان شان الملكة ذلك والحلم هو الامساك عن المبادرة الى قضاء وطر الغضب فيمن يجني عليه جناية يصل
مكروهها اليه واعلم ان فضيلتي جودة الفهم وغور العلم وان كانتا داخلتين تحت الحكمة وكذلك فضيلة الحلم داخلة تحت ملكة
الشجاعة الا ان العدل لما كان فضيلة موجودة في الاصول الثلثة كانت في الحقيقة هي فروعها للعدل لا باعتبار بل باعتبار ان الفضائل
كلها ملكات متوسطة بين طرفي الافراط والتفريط وتوسطها ذلك هو معنى كونها عدلا فهي باسرها شعب له وجزئيات تحته
واما شعب الشجاعة المعبر عنها بالجهاد فاحدها الامر بالمعروف والثاني النهي عن المنكر والثالث الصدق في المواطن المكروهة
ووجود الشجاعة في هذه الشعب الثلث ظ والرابع شنآن الفاسقين وظاهر ان بغضهم مستلزم لعداوتهم في الله وثوران
القوة الغضبية في سبيله لجهادهم وهو مستلزم للشجاعة واما ثمرات هذه الفضائل فاشار اليها للترغيب في ثمراتها فثمرات شعب
العفة واربع احدها ثمرة الشوق الى الجنة وهو السلو عن الشهوات وظاهر كونه ثمرة له اذ السالك الى الله ما لم [illegible]
لم يكن له صارف عن الشهوات الحاضرة مع توفر الدواعي اليها فلم يسل عنها الثانية ثمرة الخوف من النار وهو اجتناب المحرمات
الثالث ثمرة الزهد وهي الاستهانة بالمصيبات لان غالبها وعامها انما يلحق بسبب فقد محبوب من الامور الدنيوية فمن اعرض
عنها بقلبه كانت المصيبة بها هينة عنده الرابعة ثمرة ترقب الموت وهي المسارعة في الخيرات والعمل له ولما بعده واما ثمرات اليقين

فان بعض شعبه ثمرة لبعض فان تبيين الحكمة وتعلمها ثمرات الاعمال الفطنة والفكرة ومعرفة العبرة ومواقع الاعتبار بالماضين والاستدلال بذلك على صانع حكيم ثمرة لتبيين وجوه الحكمة وكيفية الاعتبار واما ثمرات العدل فهي ما ذكره وتلك ان جودة الفهم وغوص مستلزم للوقوف على غوره وغامضه والوقوف على غامض العلم مستلزم للوقوف على شرايع الحكم العادل والصدر بينها بين الخلق من القضاء الحق واما ثمرة العلم الحلم فعدم وقوع الحليم في طرف التفريط والتقصير عن هذه الفضيلة وهو رذيلة الجبن وان يعيش في الناس محمودا بفضيلته واما ثمرات الجهاد فاحدها ثمرة الامر بالمعروف وهو شد ظهور المؤمنين ومعاونتهم على اقامة الفضيلة الثانية ثمرة النهي عن المنكر وهي ارغام انوف المنافقين واذلالهم بالقهر عن ارتكاب المنكرات واظهار الرذيلة للناس ثمرة الصدق في المواطن المكروهة وهي قضاء الواجب من امر الله تعالى في دفع اعدائه والذب عن الحريم والرابعة ثمرة بغض الفاسقين والغضب لله وهي غضب الله لمن ابغضهم وارضاه يوم القيمة في ذكر امنه واما الكفر فرسمه انه جحد الصانع او انكار احد رسله عليهم او ما علم مجيئه ... ضرورة وله اصل هو ما ذكره وكمالات ومتممات هي الرذايل الاربع التي جعلها دعائم له وهي الرذايل من الاصول الاربعة للفضايل الخلقية فاحدها التعمق وهو الغلو في طلب الحق والتعسف فيه بالجهل والخروج الى حد الافراط وهو رذيلة الجور من فضيلة العدل ويعتمد الجهل بمظان طلب الحق ونفر عن هذه الرذيلة بذكر ثمرتها وهو عدم الانابة الى الحق والرجوع اليه بكون تلك الرذيلة صارت ملكة الثانية التنازع وهو رذيلة الافراط من فضيلة العلم ويسمى جربزة ويعتمد الجهل المركب ولذلك نفر عنه بما يلزمه وصيرورته ملكة من دوام العمى عن الحق الثالثة الزيغ ويشبه ان يكون رذيلة الافراط من فضيلة العفة وهو الميل عن خلق الوسط منها الى رذيلة الفجور ويعتمد الجهل ولذلك يلزمه قبح الحسنة وحسن السيئة وسكر الضلالة واستعار لفظ السكر لغفلة الجهل باعتبار ما يلزمهما من سوء التصرف وعدم وضع الاشياء مواضعها ويحتمل ان يكون اشارة الى رذيلة التفريط من فضيلة الحكمة المسماة غباوة الرابعة الشقاق وهو رذيلة الافراط من فضيلة الشجاعة المسماة تهورا مستلزم لما يلزمها من توعر المسالك على صاحبها وضيق مخرجه من الامور لان مبداه سهولة المسالك واتساع المداخل والمخارج في الامور وهو مسالمة الناس والتجاوز عما يقع منهم والحلم عنهم واحتمال مكروههم واما الشك فعبارة عن التردد في اعتقاد احد طرفي النقيض ويقابل اليقين كما سبق وذكر له اربع شعب احدها التماري وظاهر ان مبداه المراء الشك ونفر عن اتخاذه ملكة وما يكون لا يصبح له وذلك كناية عن عدم وضوح الحق له عن ظلمة ليل الشك والجهل الثاني الهول لان الشك في الامور يستلزم عدم العلم بما فيها من صلاح او فساد وذلك يستلزم الفزع والخوف من الاقدام عليها وثمرتها النكوص والرجوع على الاعقاب الثالث التردد في الشك اي الانتقال من حالة الى حالة ومن شك في امر الى شك في آخر من غير تعقد لشيء وذلك دأب من تعود التشكك في الامور ونفر عن ذلك بما يلزمه مما كنى عنه بوطئ سنابك الشياطين وهو ملك الوهم والخيال الارض قلبه حتى يكون سلطان العقل بمعزل عنا الجزم بما من شانه الجزم به الرابعة الاستسلام للهلكة الدنيا والآخرة ولزومه عن الشك لان الشاك في الامور الدنيوية والاخروية المتوقد للتحير عامل الشيء منها ولا مهتم باسبابها بحيث تلك يكون استسلامه لما يرد منها عليه ولزوم هلاكه فيهما لاستسلامه ظاهر وبالله التوفيق **وقال ع** فاعل الخير خير منه وفاعل الشر شر منه وانما كان كذلك لان العلة اقوى من معلولها فكان اقوى من خيريته وشريته وتأثيرهما تما صدر عنه من خير او شر **وقال ع** كن سمحا ولا تكن مبذرا وكن مقدرا ولا تكن مقترا وهو امر بفضيلة السماحة والكرم ونهي عن الكون على طرفي الافراط والتفريط منها فطرف الافراط التبذير وطرفها التفريط هو التقتير **وقال عليه السلم** اشرف الغنى ترك المنى جمع منية بمعنى التمني ولما كان ذلك رذيلة عن رذايل كالشره والحرص ونحوهما واقلها انها اشتغال عما يغني بما لا فايدة فيه رغب في تركها بان فيه اشرف الغنى حتى جعله هو هو وذلك ان ترك المنى يستلزم القناعة واستلزامها للغنى النفساني وعدم الحاجة **وقال عليه السلم** من اسرع الى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون لما كان من شان الطبع النفرة عن الاذى وبغض المؤذي وعداوته كان من شانه في غالب الخلق تقبيح ذكره بما يمكن من قول صادق وكاذب ومحل الغرض ان يوافقهم السامعون على دفعه واذاه **وقال ع** من اطال الامل اساء العمل لما كان طول الامل في الدنيا مستلزما للامال عليها والانهماك في العمل لها والغفلة عن الآخرة كان ذلك عملا سيئا بالنسبة الى الآخرة **وقال عليه السلم** وقد لقيه عند مسيره الى الشام دهاقين الانبار فترجلوا له واشتدوا بين يديه ما هذا الذي صنعتموه فقالوا خلق منا نعظم به امراءنا فقال ع والله ما ينتفع بهذا امراؤكم وانكم لتشقون على انفسكم وتشقون به في آخرتكم وما اخسر المشقة وراءها العقاب واربح الدعة معها الامان من النار اشتدوا عدوا بين يديه والشقاء في الآخرة بذلك لانه تعظيم لغير الله وحاصله تنفيرهم عما عندهم ومعه بضمير صغراه قوله والله الى قوله آخرتكم ونبه على الكبرى بقوله وما اخسر المشقة وراءها العقاب تقديرها وكلما كان مشقة على

النفس ويتبعها العقاب في الآخرة فهو اشد الخسارة وجذبهم الى تركه ذلك بما يلزمه من الدعة والراحة في الدنيا مع الامان من النار نكاته قال فينبغي ان يتركوا ذلك التكلف فانه دعة الحضرمع الامان من النار وكلما كان كذلك فهو اعظم الارباح واتما يلزمهم الشقاء بذلك في الآخرة لكونه تعظيما لغير الله بما لا ينبغي الا لله **وقال عليه السلم** لابنه الحسن عليه السلم يا بني احفظ عني اربعا واربعا لا يضرك ما عملت معهن ان اغنى الغنى العقل واكبر الفقر الحمق واوحش الوحشة العجب واكرم الحسب حسن الخلق يا بني اياك ومصادقة الاحمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك واياك ومصادقة البخيل فانه يقعد عنك احوج ما تكون اليه واياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه واياك ومصادقة الكذاب فانه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب انما قال اربعا واربعا لان الاربع الاولى من باب واحد وهو اكتساب الفضايل الخلقية النفسانية والاربع الثانية من باب المعاملة مع الخلق وقيل لان الاولى من باب الاثبات والثانية من باب النفي اما الاربع الاولى فالعقل وله مرتبة الثانية من مراتب العقل النظري المسمى عقلا بالملكة وهو ان يحصل للنفسه من العلوم البديهية والحسية والتجربية قوة ان يتوصل بها الى العلوم النظرية وغاية ذلك ان يحصل على ما بعد هذه المرتبة من مراتب العقل ورغب فيه بكونه اغنى الغنى وذلك انه به يحصل الدنيا والآخرة فهو اعظم اسباب الغنى وفيه الغني الثانية الحمق وهو رذيلة الغباوة وطرف التفريط من العقل المذكور ونفر عنه بكونه اكبر الفقر لاته سبب للفقر من الكمالات خصوصا النفسانية التي بها الغنى التام فكان اكبر الفقر الثالثة العجب وهو رذيلة الكبر وضد التواضع ونفر عنها بكونها اوحش الوحشة وظ كونها اقوى اسباب الوحشة ونفرة الانس لان التواضع المتواضع لما استلزم انس الخلق به وبشرة ميلهم اليه كان ضده مستلزما لنفرتهم ونوحشهم التام منه الرابعة حسن الخلق ورغب فيه بكونه اكرم الحسب لكونه اشرف الكمالات الباقية وهذه المنفرات والمرغبات صغريات ضماير واما الاربع الثانية فالاولى الحذر من مصادقة الاحمق ونفر عنه بما يلزم حمقه من وضع المضرة موضع المنفعة عند ارادتها لعدم الفرق بينهما الثانية الحذر من مصادقة البخيل ونفر عنه بما يستلزم بخله من قعوده عن صاحبه عند الحاجة واحوج حال من الضمير في عنك الثالثة الحذر من مصادقة الفاجر والفجور رذيلة الافراط من فضيلة العفة ونفر عنه بما يلزم فجوره من قلة وفائه وبيعه بالتافه وهو القليل من المال الرابعة الحذر من مصادقة الكذاب ونفر عنه بتشبيهه بالسراب واشار الى وجه الشبه بقوله يقرب الى آخره وبيانه ان الكذاب يوهم حقيقة ما يقول فيسهل الامور العسرة البعيدة ويجعلها قريبة المتناول ويبعد السهلة القريبة ويجعلها بعيدة المتناول بحسب اغراضه وكذبه مع انه ليس كذلك في نفس الامر كالسراب الذي يظن ماء وليس هو والتنفير الاربع المفهومة بقوله فانه صغريات ضماير تقدير كبرياتها وكلما كان كذلك فيجب ان يجتنب صحبته ويجتنب مصادقته وبالله التوفيق **وقال عليه السلم** لا قربة بالنوافل اذا اضرت بالفرائض الاضرار بالفرائض تنقيص بعض اركانها وشرائطها وقد يفعل الانسان ذلك لتعبه من الاشتغال بالنافلة ولما يريد ان يستقبله منها ولا قربة فيما يستلزم ترك الواجب لاستلزامه المعصية والعقاب ومنافاتهما للقربة **وقال عليه السلم** لسان العاقل وراء قلبه وقلب الاحمق وراء لسانه قال السيد ره وهذا من المعاني العجيبة الشريفة والمراد به ان العاقل لا يطلق لسانه الا بعد مشاورة الروية ومؤامرة الفكرة والاحمق تسبق حذفات لسانه وفلتات كلامه على مراجعة فكره وماخضة رايه فكان لسان العاقل تابع لقلبه وكان قلب الاحمق تابع للسانه وروي عنه ع هذا الكلام بلفظ آخر وهو قلب الاحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه واقول انه استعار لفظ الوراء في الموضعين لما يعقل من تاخر لفظ العاقل عن رؤيته ومن تاخر رؤية الاحمق وفكره فيما يقول عن نوادر مقاله من غير مراجعة لعقله والمعنى ما اشار اليه السيد ره وعلى الرواية الاخرى فالمراد ان ما يتصوره الاحمق هو في فيه اي يبرز على لسانه من غير فكر واما نطق العاقل فمخزون في عقله لا يخرج الا عن روية صادقة ولفظ القلب في الاول مجاز فيما يبرز من صور الفاظه ولفظ اللسان مجاز في الفاظه الذهنية **وقال عليه السلم** لبعض اصحابه في علة اعتلها جعل الله ما كان من شكواك حطا لسيئاتك فان المرض لا اجر فيه ولكنه يحط السيئات ويحتها حت الاوراق وانما الاجر في القول باللسان والعمل بالايدي والاقدام وان الله سبحانه يدخل بصدق النية والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنة قال السيد ره وصدق ع ان المرض لا اجر فيه لانه ليس من قبيل ما يستحق عليه العوض لان العوض يستحق على ما كان في مقابلة فعل الله تعالى بالعبد من الالام والامراض وما يجري مجرى ذلك والاجر والثواب يستحقان على ما كان في مقابلة فعل العبد فبينهما فرق قد بينه ع كما يقتضيه علمه الثاقب ورايه الصائب واقول دعاؤه لصاحبه بما هو ممكن وهو حط السيئات بسبب المرض ولم يدع له بالاجر عليه معللا ذلك بقوله فان المرض لا اجر فيه والسر فيه ان الاجر والثواب انما يستحق بالافعال المعدة لكمال النفس كالقول الى قوله والاقدام وكني عن القيام بالعبادة وكل ما يكون كالفعل من عدمات الملكات كالصوم ونحوه على ما بيناه قبل فاما المرض فليس هو بفعل العبد ولا عدم فعل من شانه ان يفعله فاما حطه للسيئات فباعتبار امرين احدهما ان المريض تنكسر شهوته وغضبه اللذين هما مبدا الذنوب والمعاصي وعادتها والثاني ان من شان المرض ان يرجع الانسان فيه الى ربه بالتوبة والندم على المعصية والعزم على ترك مثلها كما قال تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما الآية

وما كان من الشيطان خالا انه غير متمكن من جوهر النفس فانه يسرع زوالها منها وما صار ملكة فربما يزول على طول المرض ودوام الانابة الى
الله تعم واستعار لزوالها لفظ الحت وشبهه في قوة الزوال والمفارقة بحت الاوراق ثم نبه عم بقوله ولكن الله يدخل على ان العبد اذا
احتسب المشقة في مرضه لله بصدق نيته مع صلاح سريرته فقد يكون ذلك معدا لافاضة الاجر والثواب عليه ودخول الجنة وسبب ذلك
اعدام الملكات المذمومة وتنبيه القرب الى الله وكلام السيد ره مقتضى مذهب المعتزلة وقال عم في ذكر خباب بن الارت يرحم الله خبابا
فلقد اسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله خباب بالخاء
المعجمة والباء المشددة كان من المهاجرين ومن اصحابه ومات بعد انصرافه من صفين بالكوفة وهو اول من قبره ع وقد مدحه باوصاف ثلثة
من اوصاف الصالحين احدها اسلامه عن رغبته وهو الاسلام المنتفع به الثاني مهاجرته الى رسول الله صلعم طائعا وهي الهجرة الثانية عن رغبة
في الله ورسوله الثالث كونه عاش مجاهدا اما مع رسول الله صلعم فللكفار واما في وقته ع فللبغاة والخوارج والناكثين وقوله طوبى الى اخره
في معرض مدح خباب بنيته بانه كان كذلك وطوبى فعلى من الطيب قيل في التفسير هي شجرة في الجنة ورغب بها في ذكر المعاد والحساب
المستلزم للعمل لهما والفضيلة القناعة والرضا عن الله في قضائه وقدره والقناعة فضيلة تحت العفة والرضا فضيلة تحت العدل و
قال ع لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على ان يبغضني ما ابغضني ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على ان يحبني ما احبني
وذلك انه قضي فانقضى على لسان النبي الامي عليه السلام انه قال لا يحبك الا مؤمن تقي ولا يبغضك الا منافق شقي
الخيشوم اصل الانف والجمات جمع جمة وهو مجتمع الماء من الارض ولما كان الايمان الحق يوجب الاتحاد وصدق المحبة في الله بين المؤمنين
لا جرم لم يجتمع معها البغض ولما كان النفاق منافيا للايمان كان منافيا لما يلزم من المحبة في الله فلا يجتمع معه ولو ببذل اجمل المال
للمنافق واستعار لفظ الجمات لمجامع اموال الدنيا ملاحظة لشابهة المعقولة نعم قد يحصل بسبب ذلك محبة عرضية فانية بفناء مادتها
من بذل المال ونحوه وليس الكلام في ذلك النوع من المحبة وذلك سر قوله صلعم لا يبغضك الى اخره واحال ع ذلك على ما قضى فانقضى
اي قدر على لسان النبي صلعم وقال عليه السلام سيئة تسوؤك خير عند الله من حسنة تعجبك اراد بالسيئة التي تسوؤه كذنب
يصدر عنه فيندم عليه ويحزن لفعله وبالحسنة التي تعجبه كصلوة او صدقة يحس بها اعجاب فاما ان تلك السيئة خير عند الله
من هذه الحسنة فلان الندم العاقب للسيئة ماح لها والحسنة المستعقبة للعجب مع انحباطها يكون لها اثر هو سيئة ورذيلة تسود
لوح النفس فكانت السيئة اهون فكانت خيرا عند الله وقال عليه السلام قدر الرجل على قدر همته وصدقه على قدر مروته و
شجاعته على قدر انفته وعفته على قدر غيرته اشار الى امور اربعة وجعلها مبادي لامور اربعة احدها الهمة وجعلها مبدأ لقدر
الرجل وقدره وهو مقداره في اعين الناس من رفعة رتبته وتجليل او خسته واحتقاره وهو من لوازم علو همته او دنائتها فعلو الهمة هو ان
لا يقتصر على بلوغ غاية من الامور التي يزداد بها فضيلة وشرفا حتى يسمو الى ما ورائها مما هو اعلى منه قدرا واجل خطرا ويلزم ذلك نبله وتعظيمه
ومدحه وصغرها ان يقتصر على محقرات الامور وخسائسها ويقصر عن عليائها وبحسب تلك يكون صغر خطره وقلة قدره الثاني جعل
مبدأ الصدق المروة والمروة فضيلة يتعاطى معها الانسان الافعال الجميلة واجتناب ما يعود اليه بالنقص وان كان مباحا فلذلك
يلزمه الصدق في مقاله وبقدر قوة هذه الفضيلة وضعفها يكون قوة لازمها وضعفها الثالث جعل الانفة مبدأ للشجاعة والانفة
حمية الانف وثوران الغضب لما يتخيل من مكروه يعرض استنكارا له واستنكافا من وقوعه فلا جرم كونه مبدأ للشجاعة والاقدام على الاهوال وبحسبها
تكون قوة الاقدام وضعفه الرابع جعل الغيرة مبدأ للعفة والغيرة نفرة طبيعية تكون من الانسان عن تخيل مشاركة الغير في امر محبوب له او
معتقد لوجوب حفظه وبحسب شدة ذلك الاعتقاد والتخيل وضعفهما وتصور وقوع مثل ذلك الفعل في نفسه وحرمه مثلا يكون امتناعه
عن مشاركة الغير وتوقفه عن اتباع الشهوة في مشاركة الناس في الامور المحبوبة لهم كزوجة ونحوها وهو معنى العفة وقال عليه السلام الظفر
بالحزم والحزم باجالة الراي والراي بتحصين الاسرار الحزم هو ان يقدم العمل للحوادث الواقعة في باب الامكان قبل وقوعها بما هو ادعى
الى السلامة وابعد من الغرور واجالة الراي اعماله وتحصين الاسرار كتمانها وحفظها واشار الى المبدأ القريب للظفر وهو الحزم والى البعيد
منها وهو كتمان السر والى الوسط منها وهو اجالة الراي فاما سببية كتمان السر للراي الصحيح فلان اظهار السر فيما يرى من الراي في الحرب
وغيرها يستلزم ظهور العدو على ذلك والعمل فيما يضاده ويفسده وذلك من فاسد الراي واما سببية اجالة الراي في اختيار المصلحة
للحزم فلانه لولاه لجاز ان يكون العمل المتقدم في الحوادث المستقبلة غير موافق فلا يحصل الحزم واما ان الحزم سبب للظفر فظ وقال ع
احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع اراد بالكريم شريف النفس في الهمة العلية وجوعه كناية عن شدة حاجته وذلك مستلزم
لثوران حميته وغضبه عند عدم التفات الناس اليه وحمل نفسه على المبالغة في طلبه كثير صولة عليهم به ويتسلط بواسطته على قهرهم
ومكافاتهم كالوالي يهيئ نحوهم فلذلك وجب الحذر منه والاحتراز من صولته بالالتفات الى حاجته وارفاقه ونحو ذلك وشبع
اللئيم كناية عن غناه وعدم حاجته وذلك يستلزم استمراره على مقتضى طباعه من اللوم وشبعه مؤكد لذلك فانه لما جوعه فربما كان سببا للتغير لطلافة

تجوبها

وبحويد بها الغرض واستمرار ذي الشبع من الكلام على مقتضى طباعه من اللوم مستلزم الاذى لمن كان تحت يده ومن يحتاج اليه من الناس فمن
الواجب اذن ان يحذر صولته ويجتنب اسباب شبعه عند التمكن من ذلك وقال عليه السلام قلوب الرجال وحشية فمن تالفها
اقبلت عليه جعل الوحشية هنا اصلية وذلك باعتبار كون الالفة مكتسبة والوحشة عدم الالفة عما من شانه ان يالف
والمعنى ظ وقال عليه السلام عيبك مستور ما اسعدك جدك سعادة الجد عبارة عن حسن البخت وتوافق اسباب المصلحة
في حق الانسان ومن مصالحه ستر العيوب والرذائل وبحسب دوام ذلك يدوم سترها وقال ع اولى الناس بالعفو اقدرهم
على العقوبة لما كانت فضيلة العفو انما تتحقق لمن قدر على العقوبة ولم يعاقب وكان العفو والقدرة مقولين بالاشد
والاضعف لا جرم كانت اولوية العفو تابعة لاولوية القدرة واشديتها اي من كان اشد قدرة على العقوبة وعفا كان اولى
بان يسمى عفوا وقال عليه السلام السخاء ما كان ابتداء فاما ما كان عن مسئلة فحياء وتذمم التذمم الاستنكاف والسخاء فاما ما
عبارة عن ملكة بذل المال لمستحقه بقدر ما ينبغي ابتداء عن طيب نفس وحسن المواساة لذوي الحاجة منه ويحد الرسم بتبين
ان ما كان من البذل عن مسئلة فخارج عن رسم السخاء وذكر له سببين احدهما الحياء من السائل ومن الناس فيتكلف البذل لذلك
الثاني الاستنكاف مما يصدر من السائل من الالحاح او نسبته الى البخل ونحوه وقال ع اربع كلمات احدها لا غنى كالعقل
ولما سبق انه اغنى الغنى وانه يكون لا غنى مثله الثانية ولا فقر كالجهل وذلك لما مر ان اكبر الفقر الحمق والمراد بالجهل هنا ما يقابل
العقل بالملكة وهو الحمق او ما يلزمه الثالثة ولا ميراث كالادب الادب هو التحلي بمكارم الاخلاق وهو افضل من كل موروث
من مال وقنية واراد الموروثة والاظهر كالمشاورة لما كانت المشاورة تنتج في غالب الاحوال الراي الصحيح فيما يراد من الامور وكان الراي
الصحيح انفع في التدبير من القوة وكثرة العدد كما قال ابو الطيب الراي قبل شجاعة الشجعان البيت لا جرم لم يكن للمشاورة التي هي
مظنته ما يشابهها في المعونة على المنفعة من الامور التي يستظهر بها وينتفعان وقال ع الصبر صبران صبر على ما تكره وصبر عما
تحب التعدد في الصبر هنا بشدد وصفي لان حقيقته في الموضعين واحدة على ما عرفت حقيقته وقال الغنى في الغربة وطن والفقر في
الوطن غربة استعار لفظ الوطن للغنى في الغربة باعتبار التسكين اليه والانس فلا يرى اثر الغربة على الانسان معه واستعار لفظ الغربة
للفقر في الوطن باعتبار ضيق الخلق معهما وتغير الامور فيهما وقال عليه السلام القناعة مال لا ينفد القناعة هي ضبط قوة النفس
عن الاشتغال بما يخرج عن مقدار الكفاية ويبلغ الحاجة من المعاش والاقوات وعدم ما ينافيها فهو من ذلك تعد للغنى واستعار
لها لفظ بوصف عدم النفاد باعتبار دوام الغنى معها كالمال الموصوف وقال عليه السلام المال مادة الشهوات اي منه يكون استمدادها
وزيادتها والمادة هي الزيادة وفي الكلمة تنفير عن الاستكثار من المال لما يلزم من امداد الشهوة وتقويتها على مقتضى العقل وقال ع
من حذرك كمن بشرك اراد من حذرك من الامر كمن بشرك بالنجاة منه ووجه الشبه ظ وهو ترغيب في الاقبال على المحذر واستماع تحذيره
لغرض النجاة بتشبيهه بالمبشر وقال ع اللسان سبع ان خلي عنه عقر استعار لفظ السبع للسان باعتبار انه ان ترك عن
ضبط العقل له نطق بما فيه هلاك صاحبه كالسبع ان لم يحفظ وقال ع المراة عقرب حلوة اللبسة استعار لفظ العقرب لسعها واستعار
للمراة لفظ العقرب بالوصف المذكور باعتبارات من شانها الاذى لكن اذاها مشوب بما فيها من اللذة بها فلا يحس به وهو كاذى
الجرب المشوب بلذة في زيادة حكته وقال ع الشفيع جناح الطالب استعار له لفظ الجناح باعتبار كونه وسيلة له الى مطلوبه كالجناح
الطائر وقال ع اهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام ووجه الشبه قوله يسار بهم وهم نيام وذلك ان الدنيا لاهلها طريق هم
بينها سائرون الى الاخرة حال ما هم في غفلة عن ذلك والعمل لها حتى يوافوها فاشبهوا الركب الذين يسيرون وهم نيام حتى يوافوا منازلهم
وقال عليه السلام فقد الاحبة غربة استعار لفظ الغربة لفقد الاحبة باعتبار ما يلزم منهما من الوحشة وعدم الانس وقال ع
فوت الحاجة اهون من طلبها الى غير اهلها ... وانما كانت اهون لان فوتها يستلزم غما واحدا فيغير اهلها م
كما طلبها الى غير اهلها فانها لا تحصل غالبا فيستلزم غم فوتها ثم ثقل الاستنكاف والندم من رفعها اليهم ثم غم ذل الحاجة الى اللئام وله
كما قال المتنبي حل من سؤال اللئام ثم غم ردهم لها وهي غموم اربعة وكان ان قضيت كان فيها غم ثقل الاستنكاف ثم ذل الحاجة اليهم فكان فوتها
اهون على كل حال وهذه الكلمة تجذب الى فضيلتي القناعة وعلو الهمة وقال ع لا تستحي من اعطاء القليل فان الحرمان اقل منه اراد
... اقل منه اي احقر في الاعتبار وذلك ان الحرمان هو عدم العطاء عما من شانه ان يعطى وليس ذلك العدد من باب الكم لتحقق القلة
والكثرة وتنفير عن الحياء من اعطاء القليل بضميمة صغراه قوله فان الحرمان اقل منه وتقدير كبراه وكلما كان الحرمان اقل فينبغي ان يستحيى منه بل
من الحرمان الذي هو اقل منه وقال ع العفاف زينة الفقر العفاف العفة وقد علمت انها فضيلة القوة الشهوية والفقير
اذا ضبط شهوته بزمام عقله عن ميولها الطبيعية كملت نفسه بفضيلة العفة وزان فقره بفضيلته في عين المعتبرين واذا اهملها اسلس
مثلها تقحمت به في موارد القبح وقادته الى الهلع والحرص والحسد والمنى والكدية ويحصل بسببها في قبح صورة وقال ع اذا لم يكن

ما تريد فلا تبل كيف كنت اى اذا فاتك مرادك من الامر فلا تبل باى حال كنت عليه من ذلك الامر ومفهوم هذه الكلمة النهي عن الاهتمام والاسف على ما لم ينفع من الامور المطلوبة وذلك ان الاسف على فوات المراد يستلزم غما وألما وهو مضرة عاجلة لا يثمر فائدة فان كان لابد سفه وقال عم لا ترى الجاهل الا مفرطا او مفرطا الجهل اما بسيط وهو طرف التفريط من فضيلة وهي غباوة واما مركب وهو طرف الافراط منها وذلك ان الجاهل جهلا مركبا قد بالغ في طلب الحق وحصل من اجتهاده على شبهة غطت عين بصيرته من ادراكه مع جزمه بانها برهان اصاب به الحق وقد يسمى هذا الطرف جربزة فكان ابدا على احد الطرفين وبحسب جهله يكون حاله في افعاله واقواله على احد طرفي الافراط والتفريط وقال عليه السلام اذا تم العقل نقص الكلام تمام العقل يستلزم كمال قوته على ضبط القوى البدنية وتصريفها بمقتضى الآراء المحمودة الصالحة ووزن ما يبرز الى الوجود الخارجي عنها من الاقوال والافعال بميزان الاعتبار وفي ذلك من الكلفة والشرائط ما يستلزم نقصان الكلام بخلاف ما لا يوزن ولا يعتبر من الاقوال وقال عم الدهر يخلق الابدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويباعد الامنية من ظفر به نصب ومن فاته تعب اخلاقه للابدان انما عداده لضعفها وفسادها بمروره وما يلحق اجزاءه وفصوله من الحر والبرد المتاعب المستوية اليه وتجديده للآمال بحسب الحاصل بالبقاء والصحة فيه واكثر ما يعرض ذلك للمشايخ فان طول اعمارهم وتجاربهم لما يعرض فيه من الحاجة والفقر يغريهم بالحرص على الجمع ومد الامل فيه لتحصيل لذاته وتقريبه للمنية بحسب اخلاقه للابدان وتبعيده للامنية بحسب تقريبه للمنية ومن ظفر به اي بما نال واعداده لما يراد فيه من متاع الدنيا نصب بها وشقي بضبطها وحفظها ومن فاته ذلك منه تعب في تحصيلها وشقي بعدمها وراعى في القرينتين الاوليين السجع المتوازن وفي المتوسطين السجع المطرف وفي الاخيرين السجع المتوازي وقال عليه السلام من نصب نفسه للناس اماما فعليه ان يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ومعلم نفسه ومؤدبها احق بالاجلال من مؤدب الناس ومعلمهم اشار الى اداب ائمة العلم ومكارم الاخلاق فالاول وجوب على الامام البداءة بتعليم نفسه اي رياضتها بما يعلم من الاداب ليكون افعاله واقواله موافقة لعلمه وذلك لان الناس اقرب الى الاقتداء بما يشاهدونه من الافعال والاحوال منهم بالاقوال فقط خصوصا مع مشاهدتهم لمخالفتها بالافعال فان ذلك يكون سببا لسوء الاعتقاد في الاقوال المخالفة للفعل والجرأة على مخالفة ما يشهر منها وان كانت ظاهرة الصدق والى مثل ذلك اشار القائل لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم الثاني ارشده الى البداءة في التعليم بالسيرة وتحسين الافعال لما بينا ان الطباع لمشاهدة الافعال اطوع واسرع انفعالا ثم بيانها بعد ذلك بالاقوال ثم رغب في تأديب النفس بكون مؤدب نفسه احق بالتعظيم والاجلال من مؤدب غيره وذلك لان مؤدب نفسه بالفضيلة وكون تأديب لغيره فرعا على تأديب النفس والاصل اشرف واحق بالتعظيم من الفرع وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان بالاجلال وجب على ان يبدأ بما لاجله كان احق بالتعظيم من غيره وقال عليه السلام نفس المرء خطاه الى اجله استعار للنفس لفظ الخطا باعتبار انه على التعاقب والتقضي فهو مقرب من الغاية التي هي الاجل كالخطا المتعاقبة الموصلة للانسان الى غايته من طريقه وقال عليه السلام كل معدود منقض وكل متوقع آت والكلمتان من المشهورات الخطابية في معرض الموعظة والاولى اشارة الى انفاس العباد ونحوها والثانية تخويف بما يتوقع من الموت وتوابعه وقال عليه السلام ان الامور اذا اشتبهت اعتبر آخرها باولها اي اذا التبست في مباديها معرفة وجه غضبها وتعسر الدخول فيها فيقيس على ذلك آخرها واستدل على انه كذلك في العسر فيجتنب للتوقف عنها وعدم التعسف فيها ومن خبر ضرار بن حمزة الضبائي عند دخوله على معوية ومسئلته له عن امير المؤمنين عم قال فاشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله وهو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا يا دنيا اليك عني ابي تعرضت ام الي تشوقت لا حان حينك هيهات غري غيري لا حاجة لي فيك قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها فعيشك قصير وخطرك يسير وأملك حقير آه من قلة الزاد وطول الطريق وبعد السفر وعظيم المورد اقول كان هذا الرجل من اصحابه فدخل على معوية بعد موته فقال صف لي عليا فقال او تعفيني عن ذلك فقال لا والله لتفعلن فتكلم بهذا الفصل فبكى معوية حتى اخضلت لحيته والضباب بطن من ضرب بن مالك بن النضر بن كنانة والسدل واحد السدول وهو ما اسبل على الهودج والتململ التقلقل من الالم والهم والسليم الملسوع والوله اشد الحزن وقد نظره الى الدنيا بصورة امرأة تزينت وتعرضت لوصوله اليها مع كونها مكروهة له فخاطبها بهذا الخطاب واليك من اسماء الافعال اي تنحي وعني يتعلق بما فيه من معنى الفعل واستفهامه عن تعرضها وتشوقها اليه استفهام استنكار لذلك منها واستخفافها واستبعاد الموافقة اياها على ما تريد ولا حان حينك اي لا قرب وقتك اي وقت انخداعي لك وغرورك لي وقوله هيهات اي بعد ما تطلبين مني ثم امرها بغرور غيره وهو كناية عن انه لا طمع لها في ذلك منه لانه اراد منها غرور غيره وهذا كما يقول لمن يخدعه وقد اطلع على ذلك منه خادع غيري اي ان خداعك لا يدخل علي ثم خاطبها خطاب الزوجة المكروهة من افرادها فاخبرها بعدم حاجته اليها ثم انشاء طلاقها ثلاثا

يحصل

لتفصل البينونة بها وهو كما لا رجعة فيها وهو كناية عن غاية كراهيتها واكد ذلك بانها المبالغة الى ضرتها التي هي مظنة الحسن والبهاء ثم اشار الى المعايب التي لاجلها كرهها وطلقها وهي قصر العيش اي مدة الحيوة فيها وحقير الخطر اي قلة قدرها ومحلها في نظره ثم حقارة ما يؤمل منها ثم تأوه من امور احدها قلة الزاد في السفر الى الله تعالى وقد علمت ان التقوى والاعمال الصالحة وهكذا شأن العارفين في استحقار اعمالهم الثاني طول الطريق الى الله ولا شيء في الاسفار اطول مما لا يتناهى لسالكه الثالث بعد السفر وذلك لبعد غايته وعدم تناهيها الرابع عظم المورد واول منازله الموت ثم البرزخ ثم موقف القيمة الكبرى والله المستعان ودون ذلك خشونة المضجع وهول القبر ومن كلام له عليه السلام للشامي لما سئل أكان مسيرنا الى الشام بقضاء من الله وقدر بعد كلام طويل هذا مختاره ويحك لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حاتما ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد ان الله سبحانه امر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسيرا ولم يكلف عسيرا واعطى على القليل كثيرا ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها ولم يرسل الانبياء لعبا ولم ينزل الكتب للعباد عبثا ولا خلق السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار اقول روى ان السائل لما قال له اخبرنا عن مسيرنا الى الشام كان بقضاء الله وقدره قال عم والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئا ولا هبطنا واديا الا بقضاء وقدر فقال السائل عند الله احتسب عنائي ما ارى من الاجر شيئا فقال مه ايها الشيخ لقد اعظم الله اجركم في مسيركم وانتم سائرون وفي منصرفكم وانتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين فقال الشيخ وكيف والقضاء والقدر ساقانا فقال ويحك لعلك ظننت الى قوله والوعيد قوله والامر والنهي ولم تأت لائمة من الله لمذنب ولا محمدة لمحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وجنود الشياطين وشهود الزور واهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه الامة ومجوسها ان الله تعالى امر تخييرا الى اخره فقال الشيخ فما القضاء والقدر اللذان ما سرنا الا بهما فقال هو الامر من الله تعالى والحكم ثم تلا وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه فنهض الشيخ مسرورا وهو يقول انت الامام الذي نرجو بطاعته يوم النشور من الرحمن رضوانا اوضحت من ديننا ما كان ملتبسا جزاك ربك عنا فيه احسانا والويح كلمة ترحم والحاتم الواجب وتقرير سؤال السائل ان كان مسيرنا بقضاء من الله وقدر لم يكن لنا في تعبنا ثواب لكن ان القضاء قد يراد به في اللغة الخلق وما خلقه الله تعالى في العبد فلا اختيار له فيه وما لا اختيار له فلا ثواب له بمناصله وقوله ويحك الى قوله والوعيد بيان للمنافاة وهو ما لعله يظنه من تفسير القضاء والقدر بمعنى العلم اللزوم والايجاد الواجب على وفقه وقوله ان الله سبحانه امر تخييرا اشارة الى تفسير القضاء بالامر كما صرح به في جواب السائل عن معناه متشهد في تفسيره بالامر والحكم بقوله تعالى وقضى ربك الاية ومعلوم ان امر الله ونهيه لا ينافيان اختيار العبد في فعله وهذا الجواب اقناعي بحسب السائل وربما فسر القضاء بانه عبارة عن ابداع الاول تعالى لجميع صور الموجودات الكلية والجزئية التي لا نهاية لها من حيث هي معقولة في العالم العقلي ثم لما كان ايجاد ما يتعلق منها بالمادة في مادته واخراجها من قبول تلك الصور من القوة الى الفعل لا يمكن الا على سبيل التعاقب لامتناع قبول المادة للصور الكثيرة دفعة فلا جرم بلطيف حكمته وجود الزمان المديد لتخرج فيه تلك الصورة من القوة الى الفعل واحدا بعد واحد كان القدر عبارة عن ذلك الايجاد لتلك الامور وتفصيلها واحدا بعد واحد كما قال تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم واعلم انه على هذا التفسير يمكن تقرير الجواب عن السؤال المذكور ايضا وذلك ان القضاء بالمعنى المذكور لا ينافي اختيار العبد وحسن تكليفه وثوابه وعقابه لان معنى الاختيار هو علم العبد بان له قوة صالحة للفعل والترك الممكنين مهيئة لهما اذا انضم اليها الميل الى الفعل المسمى ارادة فعل او النفرة المسماة كراهة ترك وذلك امر لا ينافي علم الله تعالى بما يقع او لا يقع من الطرفين وان حصل عنه وجوب فهو خارج عرضي ثم ان التكاليف لم يرد على حسب ما في علم الله تعالى بل له مبدأن احدهما فاعلي وهو حكمته تعالى وعنايته بايجاد الموجودات على احكم وجه واتقنه وسوق ما هو ناقص منها من مبدأ ما الى كماله سوقا ملائما لها والثاني قابلي وهو كون العبد بالصفة المذكورة من الاختيار ولذلك ذكر من لوازم الاختيار والتكليف المقتضي من الحكمة الغائية امورا عشرة احدها امره لعباده تخييرا وتخييرا مصدر سد مسد الحال الثاني نهيهم تحذيرا وتحذيرا مفعول له الثالث تكليفهم اليسير ليسهل عليهم العمل فيرغبوا فيه الرابع عدم تكليفهم العسير لغرض ان يكونوا بحال الاختيار فلا يحرجون بالعسير الى تكليف ما لا يطاق كما اشار اليه تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر الخامس اعطاؤه على القليل كثيرا في العمل وذلك من لوازم اختيارهم ايضا السادس انه تعالى لم يعص حال كونه مغلوبا عنهم اذ هو القاهر فوق عباده بل لانه خلى بينهم وبين افعالهم وهيأهم لها وذلك من لوازم اختيارهم السابع انه لم يطع مكرها اي لم يكن طاعة مطيعهم له عن اكراه منه تعالى لهم عليها وذلك من لوازم اختيارهم الثامن ولم يرسل الانبياء لعبا بل ليكونوا مبشرين ومنذرين لمن اطاع بالجنة ولمن عصى بالنار وذلك من لوازم الاختيار التاسع ولم ينزل الكتب للعباد عبثا بل ليعرفوا منه وجوه تكليفهم واحكام افعالهم التي امروا ان يكونوا عليها وبيان حدود الله التي امرهم بالوقوف عندها وكل ذلك من لوازم اختيارهم العاشر ولا خلق السموات والارض وما بينهما باطلا بل على وجوه من الحكمة منها ان يحصل لعباده بها وشبههم من الفكر في آياتها اعتبار فينتهوا من ذلك الى لطيف حكمته ويستدلوا على كمال عظمته كما ذكر ان في خلق

السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب الايات ونفر عن اعتقاد غير ذلك بانه ظن الذين كفروا الاية اقتباس
وقال ع خذ الحكمة انى كانت فان الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في صدره حتى تخرج فتسكن الى صواحبها في صدر المؤمن
امر بتعلم الحكمة اين وجدت ولو من المنافقين ورغب عن عدم اخذها من بعض المواضع ان ياخذها من كل موضع وجدها بتضمير
صغراه قوله فان الحكمة الى آخره وكنى بتلجلجها او اختلاجها على الروايتين عن اضطرابها وعدم ثباتها في صدر المنافق وكونه ليس مظنة لها
غير مستقرة فيه الى ان تخرج الى مظنتها وهي صدر المؤمن فتسكن الى صواحبها من الحكم فيه وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فيجب على
المؤمن اخذه الى مظنته واخراجه من غير مظنته وقال ع في مثل ذلك الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من اهل النفاق استعار لفظ
الضالة للحكمة بالنسبة الى المؤمن باعتبار انها مطلوبه الذي يبحث عنه وينشده كما ينشد الضالة صاحبها وقال ع قيمة كل امرء ما يحسنه
غرض هذه الكلمة الترغيب في اعلى ما يكتسب من الكمالات النفسانية والصناعات ونحوها وفيها المرء مقدار في اعتبار المعتبرين ومحله في
نفوسهم من استحقاق تعظيم وتبجيل او احتقار واستنقاص وكان ذلك تابع لما يحسنه المرء ويكتسبه من الكمالات المذكورة فاعلا
هم قيمة وارفعهم منزلة في نفوس الناس اعظمهم كمالا وانقصهم دونهم احسنهم بما هو عليه من حرفة او صناعة وذلك بحسب اعتبار
عقول الناس للكمالات ولوازمها وقال ع اوصيكم بخمس لو ضربتم اليها آباط الابل لكانت لذلك اهلا لا يرجون
احد منكم الا ربه ولا يخافن الا ذنبه ولا يستحيين احد اذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم ولا يستحيين احد اذا لم يعلم
الشيء ان يتعلمه وعليكم بالصبر فان الصبر من الايمان كالراس من الجسد لا خير في جسد لا راس معه ولا في ايمان لا
صبر معه كنى بضرب اباط الابل عن الرحلة في طلبها وذلك ان الراكب للجمل يضرب باطيه بكعبيه فاحد الخمس الرجاء لله دون
غيره ومن لوازم ذلك اخلاص العمل له ودوام طاعته الثانية ان يخاف ذنبه دون غيره وذلك ان اعظم مخوف هو عقاب الله
ولما كان انما يلحق العبد بواسطة ذنبه فبالاولى ان يجعل الخوف من الذنب دون غيره وهو جذب الى الهرب عنه بذكر الخوف
منه الثالثة عدم استحياء من لا يعلم الشيء من قول لا اعلم فان الاستحياء من ذلك القول يستلزم القول بغير علم وهو ضلال وجهل يستلزم
اضلال الغير وتجهيله وفيه هلاك الاخرة قال ص من افتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والارض وقد يكون سببا للهلاك الدنيوي
ايضا الرابعة عدم استحياء من لا يعلم الشيء من تعلمه لما في استحياء الجاهل عن التعلم من بقائه على جهله ونقصانه وهلاك الاخرة
الخامسة فضيلة الصبر وامر بالتمسك بها لان كل الفضائل لا يخلو عنها وانما ذلك لصبر على اكتسابها ثم على البقاء عليها وعن
الخروج عنها ولذلك شبهها من الايمان بالراس من الجسد ووجه الشبه ان الصبر لما كان موجودا في كل الفضائل التي مجموعها
هو الايمان فلا يقوم الايمان الا به اشبه الراس من الجسد في عدم قيامه بدونه ثم اكد التشبيه والمناسبة بينهما بقوله لا خير في جسد الى آخره
وقوله فان الصبر صغرى ضمير عنيه فيه وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فواجب اقتناؤه واخذه وقال ع لرجل افرط في الثناء
عليه وكان له متهما انا دون ما تقول وفوق ما في نفسك فقوله انا فوق ما تقول جواب افراطه في المدح وقوله وفوق ما
في نفسك جواب لما في نفسه مما يتهمه من عدم فضيلته وقال ع بقية السيف ابقى عددا واكثر ولدا لا ادري ذلك الا للعناية
الالهية ببقاء النوع وحفظه واقامته وما خلافه من قتل من بقي والله اعلم وقال ع من ترك قول لا ادري اصيبت مقاتله
ترك هذا القول كناية عن القول واصابة المقاتل كناية عن الهلاك الحاصل بسبب القول بالجهل لما فيه من الضلال والاضلال
وربما يكون سببا لهلاك الدنيا والاخرة وقال ع راي الشيخ احب الي من جلد الغلام وروي من مشهد الغلام جلده قوته وقدم راي
مقدم على القوة والشجاعة لاصالته منفعته وانما خص الراي بالشيخ والجلد بالغلام لان كلا منهما مظنة ما خصه به فان الشيخوخة
مظنة الراي الصحيح لكثرة تجارب الشيخ وممارسته للامور والغلام مظنة القوة والجلد وعلى الرواية الاخرى فمشهده حضوره
والمعنى ظاهر وقال ع عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار القنوط الياس من الرحمة ولما كان الاستغفار باخلاص سببا للرحمة
دلتها ذه القران الكريم كاشيا في كان القنوط معه محل التعجب وحكى عنه ابو جعفر محمد بن علي الباقر ع انه صلى الله عليه واله قال
كان في الارض امانان من عذاب الله تعم فرفع احدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به اما الامان الذي رفع فهو رسول الله صلعم واما
الامان الباقي فالاستغفار قال جل ذكره وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال السيد وهذا
من محاسن الاستخراج ولطايف الاستنباط كون وجود الرسول ص بين الامة وجوعا الى الله في رحمة منه وكون الاستغفار اخلاص
معدتين لنزول رحمة الله ودفع عذابه تما يشهد به العقل وقد اكد ذلك بصادق الشاهد السمعي كما استخرجه وقال ع
ثلاث كلمات احديها من اصلح ما بينه وبين الله اصلح الله ما بينه وبين الناس الثانية ومن اصلح امر آخرته اصلح الله امر دنياه الثالثة
ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ فاصلاح ما بينه وبين الله بتقواه المستلزم لرضاه ولما كان من تقواه
اصلاح قوتي الشهوة والغضب اللذين هما سبب الفساد بين الناس ولزوم العدل فيهما كان من لوازم ذلك الاصلاح اصلاح

ما بينه

ما بينه وبين الناس وكذلك من لوازم اصلاح امر الآخرة وعدم مجاذبة الناس في ما بايديهم منها وذلك مع حسن
معاملتهم بمكارم الاخلاق التي هي من صلاح امر الآخرة يستلزم انعطافهم وميلهم الى من كان كذلك واقبالهم عليه بالنفع والمعونة
وكف الاذى وبحسب ذلك يكون صلاح دنياه ولان الدنيا المطلوبة لمن اصلح امر آخرته سهلة وهي مقدار حاجته على الاقتصار
وذلك امر قد تكفلت العناية الالهية بتسويغه واصلاحه بقدر الحيوة الدنيا واما الثالثة فلان واعظ النفس باعث على تقوى
الله ولزوم العدل في قوتي الشهوة والغضب اللذين هما سبب الشر المستلزم للهلاك في الدارين وذلك يستلزم لحفظ الله فيهما
وقال ع الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يويسهم من روح الله ولم يومنهم من مكر الله كنى بقوله
كل الفقيه عن تمامه اي الفقيه الكامل في فقهه وذلك ان فقه وضع الكتاب العزيز علم ان غرضه الاول جذب الناس الى الله بسبيل
مخصوصة بوجوه من الترغيب والوعد والوعيد والبشارة والنذارة وغيرها فمن فهم مقاصده ان لا يقنط الناس من رحمة الله والترهيب
بايات وعيده ونذارته ولا يويسهم بذلك من روحه لما يلزم الياس من اغراء العصاة بالمعصية واتباع الهوى الحاضر الذي لا يرجى
من نفي النفس عنه ثمرة في الآخرة ولذلك قال تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور
الرحيم وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وان لا يومنهم من مكر الله بالجزم بايات وعده وبشارته لما يستلزم ذلك من
ذلك والاعتماد عليه من الانهماك والمعاصي والمناهي واتباع الهوى ولذلك قال تعالى افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
بل يكون تابعا في وعظه وجذبه الى الله مقاصد سنته ووضع شريعته وقال ع اوضع العلم ما وقف على اللسان وارفعه ما ازدهر
ظهر على الجوارح والاركان كنى بالاول عن العلم الذي لا عمل معه وظهوره ووقف على اللسان فقط وهو انقص درجات العلم واراد
بالثاني العلم المقرون بالعمل فان الاعمال الصالحة لما كانت من ثمرات العلم بالله وما هو اهله كان العلم بها ظاهرا على جوارح العبد
واركانه ظهور العلة في معلولها وذلك هو العلم النافع في الآخرة وقال ع ان هذه القلوب تمل كما تمل الابدان فابتغوا لها طرائف
الحكم النفوس قد يقع لها انصراف عن العلم الواحد وملال للنظر فيه بسبب مشابهة بعض اجزائه لبعض فاذا اطلعت النفس على بعضه
فاستتمها لم تعلم منه على ما غلب ولم يكن الباقي عندها من الغريب لتلتذ به وتقدم على النظر فيه ولما كان ذلك الملال والانصراف الملازم
غير محمود لها امر بطلب طرائف الحكمة وارادها لطايفها وغرائبها المعجبة للنفس اللذيذة لها لتكون مددا في اكتساب الحكمة والتذاذ بها عن بعض
غرائبها الى بعض واراد بالحكمة الحكمة العملية وامثالها واعرضها وقال ع لا يقولن احدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة لانه ليس احد
الا وهو مشتمل على فتنة ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن فان الله سبحانه يقول واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة قال
عليه السلام ومعنى ذلك انه سبحانه يختبرهم بالاموال والاولاد ليتبين الساخط لرزقه والراضي بقسمه وان كان سبحانه اعلم بهم من انفسهم
ولكن ليظهر الافعال التي بها يستحق الثواب والعقاب لان بعض يحب الذكور ويكره الاناث وبعضهم يحب تثمير المال ويكره انثلام الحال
قال السيد رض هذا من غريب ما سمع منه ع من التفسير حاصل الكلام ان الفتنة اعم من الفتنة المستعاذ منها تصدقها على المال والبنين
باعتبار ابتلاء الله تعالى عباده واختباره لهم بهما فهما غير مستعاذ منهما اذا ادعي العبد بهما امر الله ولزم طاعته واما الفتنة المستعاذ
منها فهي التي يستلزم الوقوع فيها الضلال عن سبيل الله كالخروج في المال عن واجب العدل وصرفه في امداد الشهوات واتباع
الهوى وقال ع عن الخير ما هو فقال ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك وان يعظم حلمك وان سئل ع
تباهي الناس بعبادة ربك فان احسنت حمدت الله وان اسات استغفرت الله ولا خير في الدنيا الا لرجلين رجل اذنب
ذنوبا فهو يتداركها بالتوبة ورجل يسارع في الخيرات ولا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل ما يتقبل اقول الخير في العرف
العامي هو كثرة المال والقنيات الدنيوية وفي عرف السالكين الى الله هو السعادة الاخروية وما يكون وسيلة اليها من الكمالات
النفسانية وربما فسره بما هو اعم من ذلك وقد نفى ع ان يكون الاول خيرا وذلك لفنائه ومفارقته لما عسى ان يلحق بسببه من
الشر في الآخرة وفسره بالثاني وعد فيه كمال القوى الانسانية فكثرة العلم كمال القوى النظرية للنفس العاقلة وعظم الحلم من كمال
القوة العملية وهو فضيلة القوة الغضبية ومباهاة الناس بعبادة ربه اي المفاخرين بها بالكثرة والاخلاص وحمد الله على توفيقه
للحسنة واستغفاره للسيئة وذلك من فضائل القوة الشهوية وكمال القوة العملية ثم حصر خير الدنيا في امرين وذلك ان الانسان
اما ان يشتغل بمحو السيئات واعدامها ويتدارك فارط ذنوبه ويعدل نفسه بذلك لاكتساب الحسنات او يشتغل بايجاد الحسنات فيها
ولا واسطة من الخير المكتسب في هذين الامرين ثم حكم بعدم قلة العمل المقرون بتقوى الله منبها بذلك على ان تدارك الذنوب بمحوها والسابق
في الخيرات مستلزم للتقوى وانما كان غير قليل لانه مقبول عند الله والمقبول عنده مستلزم للثواب العظيم وذلك غاية الامرين
المذكورين وقال ع ان اولى الناس بالانبياء اعلمهم بما جاؤا به ثم تلا عليه السلام قوله تعالى ان اولى الناس بابرهيم
للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا الاية ثم قال عليه السلام ان ولي محمد من اطاع الله وان بعدت لحمته وان عدو

محمد من عصى الله وان قربت قرابته ولما كان الغرض من الانبياء عليهم السلام جذب الخلق الى الله بطاعته فكل من كان ابلغ في الطاعة كان
اشد موافقة لهم واقرب الى قلوبهم واقوى نسبة اليهم ولما لم يمكن طاعتهم الا بالعلم بما جاؤا به كان اعلم الناس بذلك اقربهم اليهم واولى
بهم وبرهان ذلك الاية المذكورة وذكر خاتم الانبياء ليعلم مراده الاجمالي ثم خصص الذكر بمحمد صلى الله عليه كما هو عادة الخطيب والمراد بالولى
هنا الاولى واشار الى ان طاعة الله علة للاولوية بمحمد ومعصيته علة لعداوته وان بعدت قرابة المطيع او قربت قرابة العاصي ليعلم
ان الطاعة والمعصية علتان مستقلتان للاولوية بمحمد والعداوة له فيحصل الرغبة في الطاعة والنفرة عن المعصية **وقال ع**
وقد سمع رجلا من الحرورية يتهجد ويقرء القرآن فقال نوم على يقين خير من صلوة في شك والحرورية فرقة من الخوارج نسبوا الى
حروراء بمد ويقصر قرية بالنهروان وكان اول اجتماعهم بها والتهجد السهر في العبادة وانما كان كذلك لان نوم العالم على يقين منه
بما ينبغي بنفسه ويعلم ايضا مما ينبغي له وعبادة الجاهل على شك فيما ينبغي بنفسه من اصول العبادة مما لا ينبغي لما فيه من اتعاب البدن من
غير فائدة فكان الاول اولى وخيرا من الثاني واراد ما هم عليه من الشك في امامة امام الوقت الذي هو مبداء تعليم العبادات
وكيفيتها والعلم به ركن من اركان الدين فان الشك فيه يستلزم عدم الاستفادة منه والشك في كثير مما يحتاج اليه فيه كعلم
التوحيد واسرار العبادات وكيفية السلوك الى الله نعم بطاعته **وقال ع** اعقلوا الخبر اذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية
فان رواة العلم كثير ورعاته قليل عقل الرعاية ضبطه بالفهم ورعاية العلم وعقل الرواية ضبط الفاظها وسماعها دون تفهم
المعنى ورغب في ذلك بضمير صغراه قوله فان رواة العلم الى اخره وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فينبغي ان يعقل عقل رعاية لكثرة
رعاته لكثرة رعاته وسمع رجلا يقول انا لله وانا اليه راجعون فقال ان قولنا انا لله اقرار على انفسنا بالملك وقولنا وانا اليه راجعون
اقرار على انفسنا بالهلك والكلمة بتفسيرها ظاهر ومدحه قوم في وجهه فقال ع اللهم انك اعلم بي من نفسي وانا اعلم بنفسي منهم اللهم اجعلنا
خيرا مما يظنون واغفر لنا ما لا يعلمون هذا كسر لنفسه ع في مقابلة المدح الموجب للعجب ثم سأل الله ان يجعله وحده في الخير فوق ما
يظنون ثم حينه وان يغفر له ما لا يعلمون من عيبه فان قلنا انه معصوم فكيف يقصد عند عيب يطلب مغفرته قلت قد بينا فيما سلف
ان عيب مثله ع وما يسمى ذنبا في حقه انما هو من باب ترك الاولى وليس هو من الذنوب المتعارفة التي عصم عنها **وقال ع** لا يستقيم
قضاء الحوائج الا بثلث باستصغارها لتعظم وباستكتامها لتظهر وبتعجيلها لتهنأ اشترط في استقامة قضاء الحوائج اي كونها
على ما ينبغي من البذل ثلث شرائط احدها استصغار قاضي الحاجة لها ليعرف بالسماحة وكبر النفس فيعظم عطاؤه ويشتهر الثانية
ان يكتمها فانه ماح الناس ادعى الى اظهار ما استكتم واكثر حثا به من غيره الثالثة ان يعجلها لتهنأ اي لتكون هنيئة يقال هنأني
الطعام يهنأ وذلك ان الابطاء بقضاء الحاجة يشق على طالبها فتكون لذتها مشوبة بتكدير بطوئها **وقال ع** ياتي على الناس زمان
لا يقرب فيه الا الماحل ولا يظرف فيه الا الفاجر ولا يضعف فيه الا المنصف يعدون الصدقة فيه غرما وصلة الرحم منا والعبادة استطالة
على الناس فعند ذلك يكون السلطان بمشورة الاماء وامارة الصبيان وتدبير الخصيان والمراد بالماحل الساعي بالنميمة
الى السلطان واصل المحل الكيد والمكر وروي الماجن وهو المتكلم بما يشتهي من الباطل والهزل والاستهزاء والعزم الذين يريدان ذلك
الزمان لسوء اهله وبعدهم عن الدين وقوانين الشرع بعيد تخيل فيه الرذائل مكان الفضائل وتستعمل ما لا ينبغي مكان ما ينبغي فيقرب الملوك
السعاة اليهم بالباطل مكان اصحاب الفضائل ومن ينبغي تقريبه ويعد الفاجر وهو صاحب رذيلة الافراط في قوة الشهوة بضاده
بفضيلة الظرف ويجعل كان ضعيفا عاجزا ويحتمل ان يريد بقوله يضعف اي يستضعفه عملا لتركه الظلم كانه تارك حق ينبغي له اخذه وتعد
فيه الصدقة التي ينبغي اداؤها برغبته طلبا للثواب غرما كاداء الدين في الثقل وكذلك تعد صلة الرحم منا وفيه ابطال للفضيلة المذكورة
لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ويستطال بالعبادة على الناس ويترفع بها دونها كالمن عليهم بذلك ثم
جعل من علامات ذلك الزمان كون السلطان والملك يدبر بمشورة الاماء وامارة الصبيان وتدبير الخصيان وهي علامات زماننا
وقبله بمدة ورؤى عليه ازار خلق مرقوع فقيل له في ذلك فقال يخشع له القلب فتذل له النفس ويقتدي به المؤمنون ذكر في لبس
ذلك الخلق ثلثة مقاصد خشوع القلب خضوع النفس الغافلة وانكسارها عن الفقر وذلة النفس انكسار النفس الامارة بالسوء
عنه واقتداء المؤمنين بذلك للتمسك الاولين **وقال ع** ان الدنيا والاخرة عدوان متفاوتان وسبيلان مختلفان فمن احب
الدنيا وتولاها ابغض الاخرة وعاداها وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماش بينهما كلما قرب من واحد بعد من الاخر وهما
بعد ضرتان استعار لفظ العدو لهما باعتبار ما بينهما من التباعد طالبيهما وكونهما سبيلين مختلفين ومن لوازم ما بينهما من العداوة
والاختلاف كون المحب لاحدهما مبغضا للاخرى ثم شبههما بالمشرق والمغرب ووجه الشبه تباينهما واختلاف جهتيهما وشبه الطالب
لهما بالماشي بينهما ووجه الشبه قوله كلما قرب الى الاخرة فان الطالب للدنيا بقدر توجهه في طلبها يكون غفلته على الاخرة وانقطاعه
عنها وكلما امعن في تحصيلها ازداد غفلة وبعدا عن الاخرة وبالعكس كالماشي الى احد جهتي المشرق والمغرب ثم شبههما بعد ذلك بالضرتين

ووجه الشبه ايضا ان القرب من احديهما يستلزم البعد عن الاخرى كالزوج ذي الضرتين وعن نوف البكالي قال رأيت امير المؤمنين
ذات ليلة وقد خرج من فراشه فنظر الى النجوم فقال يا نوف اراقد انت ام رامق فقلت بل رامق يا امير المؤمنين يا نوف طوبى
للزاهدين في الدنيا الراغبين في الاخرة اولئك قوم اتخذوا الارض بساطا وترابها فراشا وماءها طيبا والقرآن شعارا والدعاء
دثارا ثم قرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح يا نوف ان داود ع قام في مثل هذه الساعة من الليل فقال انها ساعة لا يدعو فيها عبد
الا استجيب له الا ان يكون عشارا او شرطيا او صاحب عرطبة وهو الطنبور او صاحب كوبة وهو الطبل وقد قيل ان العرطبة والكوبة الطنبور
اقول البكالي بكسر الباء منسوب الى بكالة قرية من اليمن والرامق الناظر والعريف نقيب الشرطة وكان خروجه ع في ذلك الوقت
لما نقله عن داود ع ولانه محل الفراغ للاعتبار والفكر في خلق السموات وزينتها ثم عرف الزاهدين في الدنيا بستة اوصاف لغرض الاقتداء
بهم احدها اتخاذهم الارض بساطا الثاني وترابها فراشا الثالث وماءها طيبا وذلك من لوازم زهدهم في متاعها وتركها عن
طيب نفس بذلك الرابع اتخاذهم القرآن شعارا الخامس الدعاء دثارا واستعار لفظ الشعار للقرآن باعتبار ملازمتهم لدرسه
وتفهم مقاصده كالشعار الملازم للجسد ولفظ الدثار للدعاء باعتبار اظهارهم به من عذاب الله والشدائد التي تلزمهم كالاحتراس
بالدثار عن البرد ونحوه السادس قرضهم للدنيا اي قطعها عنهم بسيرها بدفع ضررهم منها كما فعله المسيح من هذه الاوصاف وكان قيامه
عليه السلام في النصف الاخير من الليل وانما كانت مظنة الاجابة لخلو النفس فيه عن الاشتغال بشواغل النهار المحسوسة وتوفرها
بعد النوم على الالتفات الى حضرة الملاء الاعلى واستعدادها لقبول السوانح الالهية وانما استثنى المذكورين لملازمتهم لمعصية
التي تحجب نفوسهم عن قبول رحمة الله تعالى **وقال ع** ان الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها وحد لكم حدودا فلا تعتدوها
ونهاكم عن اشياء فلا تنتهكوها وسكت لكم عن اشياء ولم يدعها نسيانا فلا تتكلفوها فرائض الله واجباته وحدوده نهاياته
ما اباحه من نعمه ورخص فيه والاشياء المنهي عنها ما حاز حدوده من المحرمات والرذائل وما سكت عنه كتكليف دقايق علم لا نفع له في الاخرة وما
لم يكن عنده بنيانا المقدسة عن ذلك بل لعدم فائدة الاخرة فيه واستلزام الاشتغال به ترك الاشتغال بعلم نافع فيلزم المضرة **و**
قال لا يترك الناس شيئا من امر دينهم لاستصلاح دنياهم الا فتح الله عليهم ما هو اضر منه لما كانت مطالب الناس في الدنيا
اذا فتح باب الطلب لها غير متناهية لكون كل مطلوب يحصل معد الطلب الزيادة فيه والاستكثار منه وتحصيل شرائطه ولوازمه كان
بعد الانسان عن الله بقدر قربه من الدنيا وبعد امله فيها كان كل امر يستصلح به الدنيا الا انها دنيا معد الفتح باب من ابواب طلبها
واصلاحها وهو اضر من الاول لكونه اشد تبعا لانها ابعادا عن الله **وقال ع** رب عالم قد قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه اراد العالم
بما لا ينفع فيه من العلوم كعلم السحر والنيرنجات بل كعلم النحو وغيره من العلوم العقلية مثلا ممن جهل شرائع الاسلام فانه غير عالم او تعلمه
حد او ارتكب منهيا فكان ذلك سبب هلاكه في الدنيا والاخرة او كعلم ما لا نفع فيه في الاخرة استلزم ترك علم مهم فيها فكان سبب
هلاكه مع عدم انتفاعه وخلاصه بما علم **وقال ع** لقد علق بنياط هذا الانسان بضعة هي اعجب ما فيه وهو القلب وله مواد من الحكمة
واضداد من خلافها فان سنح له الرجاء اذله الطمع وان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه الياس قتله الاسف وان عرض له
الغضب اشتد به الغيظ وان اسعده الرضا نسي التحفظ وان ناله الخوف شغله الحذر وان اتسع له الامن استلبته الغرة وان
اصابته مصيبة فضحه الجزع وان افاد مالا اطغاه الغنا وان عضته الفاقة شغله البلاء وان جهده الجوع قعد به الضعف وان
افرط به الشبع كظته البطنة فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد **اقول** النياط عرق علق به القلب فاذا اخذه على عرقه و
اراد بالمواد من الحكمة الفضائل الخلقية فانها باسرها من الحكمة وهي العلم بما ينبغي ان يفعل وهو الاصلح في كل باب وهي مواد كمال القلب
اشار باضدادها المخالفة لها الى الرذائل المضادة للفضائل وهي اخذ اطراف التفريط والافراط منها فالاول الطمع وهي رذيلة الافراط من
الرجاء ويتفرع عنها ما يلزمها من الذلة للمطموع فيه وما يلزم اشتداد الطمع من الحرص المهلك في الدارين الثاني الياس وهو رذيلة التفريط
من الرجاء ويتفرع عنها ما يلزمها من شدة الاسف القاتل الثالث شدة رذيلة الافراط من الغضب وهي اشتداد الغيظ المسمى طيشا والوسط من الغضب
بفضيلة الشجاعة وكظم الغيظ الرابع ترك التحفظ ونسيانه وهو رذيلة الافراط من رضا الانسان بما يحصل عليه من دنياه الخامس رذيلة
الافراط من عروض الخوف وهي الاشتغال بالحذر عما ينبغي عمله وضده والذي ينبغي فيه الاخذ بالحزم وترك الافراط في الخوف والعمل اللازم
الخوف السادس رذيلة التفريط في عروض ضده وهو الامن وهي استلاب الغرة لعقل الامن حتى لا يفكر في مصلحته وحفظ ما هو عليه
من الامن السابع رذيلة التفريط من فضيلة الصبر على المصيبة وهي الجزع ويتفرع عنه ما يلزمه من الانفضاح به الثامن رذيلة الافراط من
حصول المال وهو الطغو بكثرته والغنى منه والطغو تجاوز الحد التاسع رذيلة التفريط من الصبر على الجوع وذكر لازمها وهو قعود الضعف
به عما ينبغي ويتفرع عنها الحادي عشر رذيلة افراط الشبع من فضيلة القصد فيه وما يلزم ذلك الرذيلة من جهة البطنة ويتفرع عنها بما يلازمها
ثم ختم ذلك بالتنفير من طرف الافراط والتفريط فيها اجمالا لان ما يلزم التفريط من مضرة القلب بعدم الفضيلة ويلزم الافراط فيها من افساده

بجر وجه عنها وبالله العصمة **وقال ع** نحن النمرقة الوسطى بها يلحق التالي واليها يرجع الغالي النمرقة الوسادة الصغيرة واستعار لفظها له ولاهل بيته بصفة الوسطى اعتبارا لكونهم ائمة الحق ومستند الخلق في تدبير معاشهم ومعادهم على وجه العدل المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط ومن حق الامام الحق المتوسط في الامور ان يلحق به التالي اي المفرط المقصر وان يرجع اليه الغالي اي المفرط المتجاوز لحد العدل **وقال ع** لا يقيم امر الله سبحانه الا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع المصانعة المصالحة بالرشوة ونحوها والمضارعة مفاعلة من الضرع وهو الذل كان كلا منهما يضرع للآخر وظاهر ان مصانعة الغير يستلزم الميل الى رضاه وذلك يمنع من اقامة حدود الله واوامره في حقه وكذلك المضارعة واتباع المطامع من الغير فانهما يستلزمان ترك مواجهته بما يشق عليه من اوامر الله وحدوده **وقال ع** وقد توفي سهل بن حنيف الانصاري بالكوفة عند مرجعه معه من صفين وكان من احب الناس اليه لو احبني جبل لتهافت قال السيد ومعنى ذلك ان المحنة تغلظ عليه فتسرع المصائب اليه ولا يفعل ذلك الا بالاتقياء الابرار والمصطفين الاخيار وهذا مثل قوله ع من احبنا اهل البيت فليستعد للفقر جلبابا وقد يؤول ذلك على معنى اخر ليس هذا موضع ذكره اقول تهافت سقط قطعة قطعة وذلك مبالغة في كثرة ما يلحقه ومحبيه من المصائب والابتلاء وقوله من احبنا فليستعد للفقر جلبابا باي هيئ له ذلك والجلباب مستعار لتوطين النفس على الفقر والصبر عليه ووجه الاستعارة كونهما ساترين المستعد بهما من عوارض الفقر وظهوره في سوء الخلق وضبط الصدر والجزع الذي ربما يؤدي الى الكفر كما يستر الملحفة ولما كانت محبتهم عليهم السلم بصدق تستلزم متابعتهم والاقتداء بهم والاستعداد لمعاد ومن شانه لزوم الفقر ورفض الدنيا والصبر على ذلك وجب ان يكون كل محب لهم مستعدا للفقر ومستعدا له جلبابا من توطين النفس عليه والصبر وقد ذكر ابن قتيبة هذا المعنى بعبارة اخرى فقال من احبنا فليقصر على التقلل من الدنيا والتقنع فيها قال وشبه الصبر على الفقر بالجلباب لانه يستر الفقر كما يستر الجلباب البدن قال ويشهد بصحة هذا التاويل ما روي انه عليه السلم راى قوما على بابه فقال يا قنبر من هولاء فقال شيعتك يا امير المؤمنين فقال ما لي لا ارى فيهم سيما الشيعة قال وما سيما الشيعة قال خمص البطون من الطوى يبس الشفاه من الظماء عمش العيون من البكا وقال ابو عبيد انه لم يرد الفقر في الدنيا الا ترى ان فيمن يحبهم مثل ما في سائر الناس من الغنى وانما اراد الفقر يوم القيمة واخرج الكلام مخرج الوعظ والنصيحة والحث على الطاعة فكانه اراد من احبنا فليعد لفقره يوم القيمة ما يجبره من الثواب والتقرب الى الله تعالى والزلفة عنده قال السيد المرتضى رض والوجهان جميعا حسنان وان كان قول ابن قتيبة احسن فذلك معنى قول السيد رض وقد يؤول ذلك على معنى اخر وذكر القطب الراوندي احتمالا ركيكا لا يصلح محملا لهذا الكلام فلم نطول بذكره **وقال ع** سبع عشرة كلمة احدها لا مال اعود من العقل ولا وحدة اوحش من العجب ولا عقل كالتدبير اي اعود بالنفع على صاحبه واستعار لفظ المال للعقل باعتبار انه به غنى النفس وهو راس مالها الذي به يكتسب الارباح الباقية والكمالات المسعدة كالمال الذي به الكمال الظاهر ولما كان بين المالين من التفاوت في الشرف ما علمت لاجرم لم يكن مال اعود منه بالنفع الثانية ولا وحدة اوحش من العجب وجعل الوحدة من حيث العجب باعتبار ما يستلزمانه من الوحشة وقد سبق بيان استلزام العجب لها الثالثة ولا عقل كالتدبير اراد بالعقل تصرف العقل العملي فاطلق عليه اسمه مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب وظاهر ان جملة تصرفاته التدبير واستخراج الاراء المصلحة في الامور ولما كان المقصود منه التدبير لاجرم لم يكن له تصرف يشبهه فلا عقل مثله الرابعة ولا كرم كالتقوى والمفهوم من الكرم بذل ما ينبغي لما ينبغي له ولما كان تقوى الله عبارة عن خشيته وكان من لوازمها الزهد في الدنيا والاعراض عن متاعها كان ذلك في الحقيقة بذلا لجميعها واذا كان بذل بعض فنياتها يسمى كرما فبذلها باسرها ينبغي ان يكون اولى ان يكون كرما لا يشبهه كرم كما قال ع فيما سبق في وصفها ورائها … ولا قرين كحسن الخلق … الاحوال الحسنة وظاهر انه ليس فيما بعد قرينا اشرف منها لان غاية سائر القرناء ان يستفاد من صحبتهم حسن الخلق بنفسه الذي هو الغاية قرينا اشرف من ذي الغاية الذي هو … فلا قرين اذن يشبهه السادسة ولا ميراث كالادب وقد مر بيانه عن قرب السابعة ولا قائد كالتوفيق اي الى المطالب لما كان التوفيق عبارة عن توافق الاسباب المعينة وشرايطه حتى يكون مجموعها مستلزما لحصوله لاجرم لم يكن للمرء قائد الى مطالبه كالتوفيق في سرعة وصوله الى … الثامنة ولا تجارة كالعمل الصالح استعار لفظ التجارة له باعتبار كونه مستلزما للخير كالتجارة المستلزمة للربح ولما كان شرف التجارة بشرف ثمرتها وربحها فكلما كان الربح اشرف كانت التجارة اشرف ولما كان ربح هذه التجارة الثواب الدائم الاخروي الذي لا ربح اعظم منه لم يكن لتجارة العمل الصالح ما يشبهها من التجارات التاسعة ولا ربح كالثواب وهو ظاهر العاشرة ولا ورع كالوقوف عند الشبهة قد يعتبر الورع بانه الوقوف عن المناهي والمحرمات ولما كان الوقوف عما اشتبه من الامور … الزهد في الحرام هو المأمور به والواجب دون غيره من اصناف الزهد كان افضل فضيلة الواجب الى المندوب الثانية عشرة ولا علم كالتفكر اي كالعلم الحاصل عن التفكر وذلك بالقياس الى ما يدعى علما من حفظ المنقولات كالاحاديث والسير ونحوها والى العلوم الحاصلة عن الحواس لان العلم الفكري كلي وهو اشرف وحكم الشارع والخطيب اكثر ما اراد التفكر فيما ينبغي من خلق السموات والارض وما خلق الله من شيء وتحصيل العبرة منه واطلق اسم التفكر على العلم الحاصل عنه اطلاقا لاسم السبب على المسبب ويحتمل ان يريد العلم بكيفية التفكر والقوانين التي تعصم مراعاتها الفكر من الضلال الثالثة عشرة ولا عبادة كاداء الفرايض لكونها واجبة والواجب اشرف من غيره الرابعة عشرة ولا ايمان كالحياء والصبر اي لا ايمان كايمان كمل

ج

بالحياء والصبر وذلك لشرف هاتين الفضيلتين كما سبق واطلقهما على الايمان مجازا اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه الخامسة عشرة ولا حسب كالتواضع لما كان الحسب ما يعد من المآثر والفضائل كان التواضع اشرف ما يعد بالقياس الى كثير منها لما يستلزم من الحوادث كما سبق بيانه السادس عشر ولا شرف كالعلم اي كشرف العلم فاطلق اسم الملزوم على لازمه مجازا وظاهر ان العلم اشرف الكمالات ولا شرف كشرفه الثامن عشر ولا مظاهرة اوثق من مشاورة اي اقوى وقد مر بيانه في قوله ولا ظهير كالمشورة واعلم ان الحكم في كثير من هذه الكمالات اكثري وعن هذه الترغيب في العقل والتدبير والتقوى وحسن الخلق والادب والتوفيق والرغبة الى الله فيه والعمل الصالح والثواب والوقوف عند الشبهة والزهد في الحرام والفكر والمحافظة على الفرايض واقتناء الحياء والصبر والتواضع والعلم والمشورة في الامور **وقال ع** اذا استولى الصلاح على الزمان واهله ثم اساء رجل الظن برجل لم تظهر منه خزية فقد ظلم واذا استولى الفساد على الزمان واهله ثم احسن رجل الظن برجل فقد غرر قد مر ان الزمان من جملة الاسباب المعدة لتوافق اسباب صلاح الخلق في معاشهم ومعادهم فيسمى زمان الصلاح والخير كما هو من جملة الاسباب المعدة لعدم ذلك فيقال فسد الزمان وزمان فاسد والاول هو الزمان الذي استولى الصلاح عليه وعلى اهله وبحسب ذلك يكون مظنة فعل الخير وان يحسن الظن باهله فمن اساء الظن في احد منهم لم يظهر منه ما يجري به عند الناس من فعل رذيلة فقد وضع اساءة ظنه في غير موضعها وهو خروج عن العدل وظلم والثاني هو الزمان الذي استولى الفساد عليه وعلى اهله وبحسب ذلك يكون مظنة فعل الشر وسوء الظن باهله فمن احسن الظن في احد منهم فقد غرر اي اوقع نفسه في الغرر بالغفلة عن حاله وقيل له يا امير المؤمنين كيف نجدك فقال كيف يكون حال من يفنى ببقائه ويسقم بصحته ويؤتى من مأمنه اجاب بصورة حاله على طريق الموعظة والتشكي ولما كان البقاء عبارة عن استمرار زمان الوجود وكان استمرار الزمان وتعاقب اجزائه مقربا للاجل كان بقائه سببا في فنائه وكذلك لما كان من غايات الصحة السقم كانت الصحة سببا في سقمه واما كونه يؤتى من مأمنه فيشبه ان يكون المأمن هنا مصدرا والمراد ان الداخل على المرء ونزول ما يكره به من الموت واهوال الاخرة من امنه في الدنيا وسكونه اليها وغفلته عما وراءها مما لا بد منه ويحتمل ان يكون المأمن محل الامن وهو الدنيا ومعنى كونه يؤتى من مأمنه اي ان ما يدخل عليه من الادواء التي فيها هلاكه والمصائب التي تلحقه هو من احوال الدنيا التي هي مأمنه وعوارضها التي يعرض له منها حال امنه فيه بحيث لا يمكنه الاحتراز منه **وقال ع** كم من مستدرج بالاحسان اليه ومغرور بالستر عليه ومفتون بحسن القول فيه وما ابتلى الله احدا بمثل الاملاء له المستدرج المأخوذ على غرة والاملاء الامهال وتاخير المدة وقد ذكر من الامور التي ابتلى الله بها عباده اربعة احدها الاحسان الى العبد بضروب النعم الثاني ستر المعصية عليه الثالث حسن القول فيه وثناء الخلق عليه الرابع تاخير مدته وامهاله ولما كانت غاية الابتلاء بهذه الامور التي كلها نعم في الحقيقة اما شكرها او كفرها كما قال ليبلوني ءاشكر ام اكفر الاية وكان الشكر هو الغاية الخيرية المطلوبة بالذات نبه المبتلى بالنعمة الاولى على شكرها بان كثيرا ما يستدرج بها فينبغي ان لا يغفل عنها ونبه المبتلى بالثانية على انها كثيرا ما يكون سببا لغرته بالله والامن من مكره فينهمك في المعاصي ونبه الثالث بكون نعمته قد يكون سببا لفتنته وصرفه عن شكر الله وارتكابه لرذيلة العجب بنفسه ونبه الرابع بكون نعمته اعظم ما يبتلى به من النعم **وقال ع** هلك في رجلان محب غال ومبغض قال لما كانت محبة اولياء الله فضيلة نفسانية كان طرف التفريط والتقصير فيها الى غاية مقابلتها بالبغض وطرف الافراط الى غاية الغلو وتجاوز ما ينبغي رذيلتين يستلزمان هلاك صاحبهما في الاخرة اما رذيلة التفريط فلان بغض اولياء الله مستلزم لعداوتهم ومن عادى وليا من اولياء الله فقد عادى الله وكان من الهالكين واما رذيلة الغلو والافراط فلان الغلاة يخرجونه عن حد البشرية الى سماء الالهية وهو صريح الكفر المستلزم للهلاك **وقال ع** اضاعة الفرصة غصة اي ان تضييع الامر وقت امكانه من شأنه ان يستلزم الاسف والحزن على تفويته وهو تنفير عن تضييع الفرصة بالغرض **وقال ع** مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها والسم الناقع في جوفها يهوي اليها الغر الجاهل ويحذرها ذو اللب العاقل مثل الدنيا بالحية ووجه التمثيل قوله لين مسها الى اخره وذلك ان الدنيا لذيذة المتناول سهلة في عين الناظر … فيما يشبهه منها وبينا ان الشقاوة الاخروية والعذاب الاليم فيهوي اليها الجاهل غافلا عما فيها من سوء العاقبة ويحذرها العاقل كما ان الحية لين مسها حسن منظرها يحسبها الجاهل سوارا من ذهب او فضة يهوي اليها الغر بما فيها من سم ويحذرها من يعرفه وسئل عن قريش فقال اما بنو مخزوم فريحانة قريش تحب حديث رجالهم والنكاح في نسائهم واما بنو عبد شمس فابعدها رايا وامنعها لما وراء ظهورها واما نحن فابذل لما في ايدينا واسمح عند الموت بنفوسنا وهم اكثر وامكر وانكر ونحن افصح وانصح واصبح بنو مخزوم بطن من قريش وهو مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب ومنهم ابو جهل بن هشام بن المغيرة وال المغيرة كان المخزوم ريح طيبة كالخزامى ولونا كلونه والولد يشبه الوالد غالبا ولذلك كانت هذه البطن تسمى ريحانة قريش وكان المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم يسمى بذلك وقيل لانه كان في رجالهم كبر فذلك يحب حديثهم وفي نسائهم لطف وتصنع وتخبب الى …

ولذلك يجب مكافحهم واما بنو عبد شمس بن عبد مناف فمنهم ربيعة وابناه شيبة وعتبة والاعياص حرب بن امية وابنه ابو سفيان واسيد عتاب
ومروان بن الحكم ووصف هذا البطن ببعد الراي وهو كناية عن جودة تدبيرهم يقال فلان بعيد الراي اذا كان يرى المصلحة من بعيد لقوة رايه ثم
بكونها امنع لما وراء ظهورها وهو كناية عن الحمية ثم وصف بنيه وهم بنو هاشم بكونهم ابذل لما في ايديهم اي اسخى ثم بكونهم اسمح عند الموت
بنفوسهم اي بحتج ثم فضلهم ووصفهم بفضيلة خارجية ورذيلتين ووصف بني هاشم بفضائل بدنيتين ونفسانية والفضيلة فيهم هي كثرة
العدد ورذيلتان كونهم امكر اي اكثر حيلة وخداعا وكونهم انكر اي اكثر نكرا والنكر المنكر واما فضائل بني هاشم فكونهم افصح وكونهم
اصبح اي احسن وجوها واجمل وهما فضيلتان يتعلق بالبدن ويحتمل ان يريد بالاصبح كونهم الطف للناس في الطلاقة والبشر ومسد ذلك
فضيلة نفسانية ثم كونهم انصح والنصيحة لمن ينبغي نصيحته فضيلة نفسانية تحت العفة وقال ع شتان بين عملين عمل تذهب لذته
وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤنته ويبقى اجره وعمل تذهب شتان اي افترق بينهما والاول العمل للدنيا وتبعته هو ما يتبعه من
الشقاوة الاخروية والثاني عمل الاخرة وظاهر ان بينهما فرقا عظيما وتبع جنازة فسمع رجلا يضحك فقال ع كان الموت فيها على غيرنا كتب
وكان الحق فيها على غيرنا وجب وكان الذي يشيع من الاموات سفر عما قليل الينا راجعون نبوئهم اجداثهم وناكل تراثهم كانا مخلدون بعدهم
قد نسينا كل واعظة ورمينا بكل جائحة طوبى لمن ذل في نفسه وطاب كسبه وصلحت سريرته وحسنت خليقته وانفق الفضل من
ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم ينسب الى بدعة قال السيد ومن الناس من ينسب هذا الكلام الى النبي ص الاجداث القبور
والجائحة الداهية المستاصلة وغرض الفصل التنفير عن وضع الضحك في غير موضعه والتذكير بامر الاخرة وذكر تشبيهات ثلث احدها تشبيه
الموت بالمكتوب على غير الاشياء والثاني تشبيه ما يشاهد من الاموات بالمسافرين الذين يقدمون عن قريب وذكر التشبيه في الثالث قلة
اهتمام الناس بالموت والتفاتهم الى اداء واجب حق الله عليهم وعدم اعتبارهم بمن يموت وقوله نبوئهم الى قوله جائحة من تمام وجه التشبيه
فان الفاعل مثل هذا الفعل بالاموات كانه لقساوة قلبه وعدم اتعاظه لم يكتب عليه ما كتب عليهم من الموت وقوله طوبى الى اخره ترغيب
في اقتناء الفضائل المذكورة بان له طوبى وهي الحقيقة الحالة الشريفة التي لاولياء الله في الاخرة من طيب الحال واللذة الباقية و
ذكر ثمان فضائل احديها ذلة النفس لله عن ملاحظة حاجتها وفقرها اليه ونظرها الى معايبها الثانية طيب الكسب باخذه من وجوه
التي ينبغي الثالثة صلاح السريرة لله واخلاص الباطن من فساد النيات في المعاملات مع الخلق الرابعة حسن الخلق والخامسة اقتناء فضائله
الخامسة انفاق الفاضل عن الحاجة من المال فيما ينبغي من وجوه القربان الى الله وهي فضيلة السخاء السادسة امساك الفضل من الكلام
ما زاد منه مما لا ينبغي وهو السكوت في موضعه السابعة عن الشرع للناس وهو العدل او لازمه الثامنة لزوم سنة الله ورسوله وعدم
الخروج عنها الى ما يبتدع في الدين ولا ينبغي وقال ع غيرة الرجل ايمان وغيرة المراة كفر اما الاول فلان غيرة الرجل تستلزم سخطه
لما سخط الله من اشتراك رجلين في امراة وسخط ما سخط الله موافق لرضاه ومؤيد لنهيه وذلك ايمان واما الثاني فلان المراة تقول
بغيرتها في تحريم ما احل الله وهو اشتراك امراتين فما زاد في رجل واحد وتقابله بالرد والانكار وتحريم ما احل الله وسخط ما رضيه
ورد عليه وهو لا محالة كفر وقال ع لانسبن الاسلام نسبة لم ينسبها احد قبلي الاسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين
هو التصديق والتصديق هو الاقرار والاقرار هو الاداء والاداء هو العمل الصالح هذا قياس مفصول مركب من قياسات طوي
نتائجها ونتيجة القياس الاول ان الاسلام هو اليقين والثاني انه التصديق والثالث انه الاقرار والرابع انه الاداء والخامس انه العمل اما
المقدمة الاولى فلان الاسلام هو الدخول في الطاعة ويلزمه التسليم لله وعدم النزاع في ذلك وصدق اللازم على ملزومه ظ واما الثانية
فلان التسليم الحق انما يكون عن تيقن استحقاق المطاع للتسليم له فكان اليقين بذلك من لوازم التسليم لله فصدق عليه صدق اللازم
على ملزومه الثالثة فلان اليقين باستحقاقه للطاعة والتسليم مستلزم للتصديق بما جاء به على لسان رسول الله ص من وجوب
طاعته فصدق على اليقين به انه تصديق له واما الرابعة فلان التصديق لله في وجوب طاعته اقرار بصدقه ولله واما الخامسة فلان الاقرار
والاعتراف بوجوب ما يستلزم اداء المقر المعترف لما اقر به فكان اقراره اداء الازما واما السادسة وهو ان الاداء هو العمل فلان اداء ما
اعترف به من الطاعة ويؤول حاصل هذا الترتيب الى نتاج ان الاسلام هو العمل لله بمقتضى اوامره وهو تفسير بخاصة من خواصه
كما سبق بيانه وقال ع عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ويفوته الغنى الذي اياه طلب فيعيش في الدنيا عيش
الفقراء ويحاسب في الاخرة حساب الاغنياء وعجبت للمتكبر الذي كان بالامس نطفة ويكون غدا جيفة وعجبت لمن شك
في الله وهو يرى خلق الله وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى من يموت وعجبت لمن انكر النشاة الاخرى وهو يرى النشاة
الاولى وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء فعجب من ستة من رذائلهم محل التعجب الغرض التنفير عن رذائلهم الاول البخيل وجعل
محل التعجب منه ثلثة امور احدها انه انما يبخل خوفا من الفقر في العاقبة لو انفق المال وتقتيره وعدم انتفاعه به في الحال صورة
فقر حاضر فكان بذلك مستعجلا للفقر الذي هرب منه الى البخل الثاني انه طالب للغنى بجمعه وبخله ابدا بسبب تقتيره الحاضر

ج المنافي لغناه والمفوت له لما يعتقده سبب الغنى هو المفوت للغنى الثالث انه يعيش في الدنيا عيش الفقراء لعدم انتفاعه بماله ويحاسب
في الاخرة حساب الاغنياء المنافسين في جمع المال ومحبته للذين هما مبدا الحساب فكان من هذه الاعتبارات الثاني المتكبر ومن تبه
على وجه التعجب منه بذكر مبدا كونه وهو كونه نطفة في غاية الحقارة والسخافة المنافي للكبر ونهايته وهو كونه جيفة في نهاية القذارة
فجمعه بين هذين الامرين وبين التكبر من العجب العجب الثالث الشاك في الله وهو يرى خلقه ودلالة جمع بين الشك في وجوده وبين
رؤيته ظاهر في وجود مخلوقاته وعجائب مصنوعاته وهو محل التعجب الرابع الناسي للموت مع رؤيته لمن يموت وظاهر ان نسيانه للموت
مع رؤيته دايما محل التعجب الخامس منكر النشاة الاخرى واعادة الابدان بعد عدمها وظاهر ان انكاره لذلك مع اعترافه بالنشاة
الاولى وهي الوجود الاول للخلق من العدم الصرف محل التعجب لان الاخرى اهون كما قال تعالى وهو اهون عليه السادس عامر الدنيا مع
وغرض التعجب كونها فانية زائلة مع تركه لعمارة الاخرة الباقية فالباقي مما فيها محل التعجب من هؤلاء والاشارة الى وجوه تنفير الخلق عن الامور المذكورة
وقال ع من قصر في العمل ابتلي بالهم ولا حاجة لله فيمن ليس لله في نفسه وماله نصيب المقصر في العمل لله يكون غالب احواله
منوفرا على الدنيا مفرطا في طلبها وجمعها وبقدر التوفر عليها يكون شدة الهم في جمعها وتحصيلها او لا ثم في ضبطها والخوف على
فواتها ثانيا وتحت المشهور خذ من الدنيا ما شئت وخذ من الهم ضعفه فنفر عن التقصير في الاعمال البدنية والمالية بقوله ولا حاجة لله الى
اخره وكنى بعدم حاجته عن اعراضه عنه وعدم النظر اليه بعين الرحمة لعدم استعداده لذلك وقال عليه السلم توقوا البرد في
اوله وتلقوه في اخره فانه يفعل في الابدان كفعله في الاشجار اوله يحرق واخره يورق اما وجه تنفيره في اوله وهو اول الخريف
لان الصيف والخريف يشتركان في اليبس فاذا ورد البرد وورد على ابدان شغلها حرارة الصيف ويبسه بالتحلل ونفخ المسام و
الجفاف فاشتد انفعال البدن عنه واسرع تاثيره في قهر الحرارة الغريزية فيقوى بذلك في البدن قوتا البرد واليبس المناسبان لطبيعة
الموت فيكون بذلك يبس الاشجار واحتراق الاوراق وانحسارها وفتور الابدان وضعفها واما امره بتلقيه في اخره وهو اواخر الشتاء
واول زمان الربيع فلان الشتاء والربيع يشتركان في الرطوبة ويفترقان بان الشتاء بارد والربيع حار فالبرد المتاخر اذا امتزج بحرارة الربيع و
انكسرت سورته بها لم يكن له بعد ذلك نكاية في الابدان فقويت لذلك الحرارة الغريزية بها وانتعشت فكان من عند لها بالبرد مع الرطوبة استعداد
المزاج هو طبيعة الحيوة وكان منه النمو وقوة الابدان وبروز الاوراق والثمار وقوله فانه الى اخره صغرى ضمير تنبيه على توقيه وتلقيه وتقدير
كبراه وكل ما كان كذلك فانه يجب توقي اوله وتلقي اخره وقوله اوله يحرق واخره يورق هو وجه التشبيه وقال ع عظم الخالق عندك
يصغر المخلوق في عينك هذا امر وجدي العارفون بالله فان من عرف عظمة الله وجلاله ولحظ جميع المخلوقات بالقياس اليه حتى علم ما
من ذواتها وهو الامكان والحاجة وعدم استحقاق الوجود الا منه تعالى علم انها في جنب عظمته عدم ولا احقر من العدم وشدة صغر المخلوق في
اعتبار العارف بحسب رغبته في عرفانه وقيل لبعض العارفين فلان زاهد فقال فيماذا فقيل في الدنيا فقال الدنيا لا تزن عند الله
جناح بعوضة فكيف يعتبر الزهد فيها والزهد انما يكون في شيء والدنيا عندي لا شيء وقال ع وقد رجع من صفين فاشرف على
القبور بظاهر الكوفة يا اهل الديار الموحشة والمحال المقفرة والقبور المظلمة يا اهل التربة يا اهل الغربة يا اهل الوحدة يا اهل
الوحشة انتم لنا فرط سابق ونحن لكم تبع لاحق اما الدور فقد سكنت واما الازواج فقد نكحت واما الاموال فقد
قسمت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم التفت عليه السلم الى اصحابه فقال اما لو اذن لهم في الكلام لاخبروكم ان خير الزاد
التقوى الفرط الذي يتقدم الواردة فيهيئ الارشاء والدلاء وخاطبهم ع خطاب من يسمع افامة لحالهم المعهودة مقام اشخاصهم الموجودة
والديار الموحشة والمحال المقفرة القبور وغرض الفصل ترقيق القلوب القاسية وتنبيه النفوس الغافلة عن غاية الدنيا ومتاعها
لغاية العمل فيها كما ينبغي وما كان الحق هو ان خير الزاد التقوى كما نطق به القران الكريم وكان ذلك مما شاهده المنقولون في حياتهم
والجار في حرياتهم بعد موتهم لا جرم لو اذن لهم في الجواب واعطوا النطق لكان جوابهم ما عرفوا من الحق وقال ع وقد سمع رجلا يذم
الدنيا ايها الذام للدنيا المغتر بغرورها المخادع بأباطيلها اتغتر بالدنيا ثم تذمها انت المتجرم عليها ام هي المتجرمة عليك متى
استهوتك ام متى غرتك ابمصارع ابائك من البلى ام بمضاجع امهاتك تحت الثرى كم عللت بكفيك وكم مرضت بيديك
تبغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء غداة لا يغني عنهم دواؤك ولم ينفعهم بكاؤك لم ينفع احدهم اشفاقك ولم تسعف
فيه بطلبتك ولم تدفع عنه بقوتك قد مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك ان الدنيا دار صدق لمن صدقها
ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ بها مسجد احباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط وحي الله
ومتجر اولياء الله اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد اذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها واهلها
فمثلت لهم ببلائها البلاء وشوقتهم بسرورها الى السرور راحت بعافية وابتكرت بفجيعة ترغيبا وترهيبا وتخويفا وتحذيرا فذمها ومدحها
رجال غداة الندامة وحمدها اخرون يوم القيمة ذكرتهم الدنيا فتذكروا وحدثتهم فصدقوا ووعظتهم فاتعظوا اقول النعم

المدعي جرمه واستهوتك طلبت هويت ليها وهو الدنيا ومثلت صورت وقوله ابها الذام الى قوله غرتك توبيخ له على الاغترار بها وذمها
مع ذلك وكذب دعواه انها هي ذات الجرم عليه باستفهام عن وقت استهوائها له استفهام منكر لذلك وموبخ عليه واكد ذلك باستفهام
ان ذلك الغرور لمنها باي شي كان امن مصارع الابآء بمضاجع الامهات وذلك على وجه الاستهزاء منه والتنبيه له على ما يوجب النفرة
منها وعدم الاغترار بها من سوء صنيعها باهلها حتى كانها فاصدة لذلك للتنبيه والتنفير عنها وقوله كم عللت الى قوله مصرع عليك
مصرعه ضميره قبل علي ما ادعاه لها من كونها منتهة من الغفلة وليس قصد هذا الغرور وتقديرها قد صورت لك الدنيا نفسك من
اكثرت تعليله ومرضيه من اهلك طالبا له الشفاء مستوصفا له الاطباء فلم ينفعه ذلك منك ومثلت بمصرعه مصرع عليك
نفقد بر الكبري وكل من مثل لك ذلك وصورة لك فليس من اهل التلبيس عليك والغرور بل من نصحاء ناث ومنبهيك من غفلتك
ثم لما نفى عنها الذم اخذ في مدحها وذكر لها اوصافا ثمانية احدها انها دار صدق لمن صدقها اي فيما اخبر من ملسان حالها من فنائها
وزوالها وقصد بقصد بقيه لها اغترافه بذلك منها والعمل به الثاني دار عافية لمن فهم عنها ما اخبرت عنها من عظاتها حتى اخرز من
افاتها وعوفي من عذاب الله بها الثالث دار غنى لمن تحلى فيها التقوى زاد السفرة الى الله وطاعات التقوى ويتربها في الاخرة
اعظم غنى للمتقين الرابع دار موعظة لمن عتبر بها فعلم وصفها وغايتها الخامس كونها مسجد احباء الله من رسله واوليائه السادس كونها
مصلى ملائكة الله الارضية الذين سجدوا لادم السابع كونها مهبط وحي الله الثامن كونها متجر اولياء الله الذين اكتسبوا بعبادتهم فيها
رحمته وربحوا جنته ثم استفهم بعد هذه المدائح عمن يذمها منكرا عليه مستهينا لاحوال اخرى لها بيانا لذمها اي فمن ذا يذمها وهي
الصفات المذكورة وهي على هذه الاحوال وذكر منها ستة احدها كونها اذنت ببينها واعلمهم بفراقها والواو في قوله وقد للحال الثاني
ونادت بفراقها الثالث ونعت نفسها كل ذلك بلسان حالها من التغير والانتقال المؤذن بالزوال الرابع كونها مثلت لهم ببلائها البلاء
في الاخرة الخامس وشوقتهم بسرورها الى السرور في الجنة وانما كان كذلك لان كل ما في هذا العالم فهو صورة ومثال لما في عالم الغيب
ونسخة منه يعتبر به ويقاس اليه ولولا ذلك لانسد طريق الترقي الى المعرفة الالهية وتعذر الوقوف على شي من اسرارها فالناس تكون
الى الشاهد وابلاء الاخرة من بلاء الدنيا ما علموا للخلاص منه وشاهدوا سرورها من سرور الدنيا وعلموا ان بينهما فرقا
عظيما وان الاشرف لا يحصل الا برفض الاخس فانتصار اوهم الصالحة بيع سرور الفاني بالباقي السادس واحها بعافية وابتكارها
بفجيعة وهو كناية عن سرعة انتقال احوالها وتبدل اطوارها من رخاء الى شدة ومن صحة الى سقم ونسبة هذه الافعال اليها لانها سببية
ما في ذلك ولما نسب اليها الافعال الاختيارية جعل لها منها غايات وهي ترغيب الناس الى الله وترهيبهم منها ثم اشار الى سبب ذمها من ذمها
وهو نفسه المفرطين في اتخاذ زاد التقوى الى الاخرة منها فنسبوا ذلك التفريط الى غرورها لهم وهو بالحمل كاشبه ثم الى سبب مدحها من
مدحها وهو ثلثة احدها انه ذكرها لهم من احوالها وما غابر باقية يجب العمل لها فذكروا ما ذكرتهم وعملوا الثاني حدثتهم بذلك
حتى صدقوا الثالث وعظتهم بعبرها حق تعظوا **وقال ع** ان لله ملكا ينادي في كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب واجمعوا
للفناء ذلك لبداء على وفق ما علم من القضاء الالهي في طبيعة الدنيا وغايتها الامور الثلثة وهو الموت والفناء والخراب غايات
طبيعية واللام فيها هي المسماة بلام العاقبة **وقال ع** الدنيا دار ممر والناس فيها رجلان رجل باع نفسه فاوبقها ورجل
ابتاع نفسه فاعتقها او بقها هلكها وكون الدنيا دار ممر باعتبار انها طريق الى الاخرة التي هي دار المقر واستعار لفظ
البيع لبايع نفسه باعتبار تسليمها الى الهلاك الاخروي واعتياضه عنها ما اصابه من اللذة الدنيوية وكذلك لفظ الابتياع لمشتري
نفسه باعتبار انقاذها من ذلك الهلاك ببذل ما قدر عليه من حاضر اللذات والاعراض عنه وحصر المكلفين في الرجلين الذكورين
ظاهر **وقال ع** لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ اخاه في ثلث في نكبته وغيبته ووفاته جعل الصديق الصديق خاصته
يعرف بها وهو ان يحفظ صديقه في الامور الثلثة وحفظه بالقيام مقامه فيما ينبغي فعله في صلاح حاله بقدر الامكان **وقال**
من اعطي اربعا لم يحرم اربعا من اعطى الدعاء لم يحرم الاجابة ومن اعطي التوبة لم يحرم القبول ومن اعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة ومن
اعطي الشكر لم يحرم الزيادة وتصديق ذلك في كتاب الله سبحانه قال تعالى في الدعاء ادعوني استجب لكم وفي الاستغفار ومن يعمل سوءا
او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال في الشكر لئن شكرتم لازيدنكم وقال في التوبة انما التوبة على الله للذين يعملون
السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما اقول الامور الاربعة الاولى اذا كانت باخلاص كان كل
منها سببا في اعداد النفس لقبول صورة الرحمة الالهية من واهبها فالدعاء للاجابة والتوبة لقبولها واسقاط ثمرة المعصية والاستغفار
للمغفرة والشكر للزيادة والشواهد الالهية ناطقة بذلك على وفق مقتضى العقل **وقال ع** الصلوة قربان كل تقي والحج جهاد
كل ضعيف ولكل شي زكوة وزكوة البدن الصيام وجهاد المراة حسن التبعل التبعل معاشرة البعل وصحبته والكلام اشارة الى بعض
اسرار هذه العبادات فمن اسرار الصلوة كونها قربانا الى الله تع وقد علمت انها اعظم ما يتقرب به المتقون من العبادات ومن

اسرار الحج

اسرار الحج كونه جهادا في سبيل الله لما فيه من مشقة السفر وبخاصة هذه الطبيعة ومفارقة النفس الامارة بالسوء مع قوتها لشبهة عدو
الاطلاع على اسرار الحج وفوايده مع ما في كيفيته من الافعال التي يتعجب منها الجاهلون وانما خص الضعيف بذلك جهادا لان الكبير لا
للقوي جهادا اخر هو المشهور ومن اسرار الصوم كونه زكوة للبدن لما فيه من تنقيص قوته وكسر شهوته لغاية طاعة الله والثواب الاخروي
كما ان الزكوة تنقيص في المال مستلزم لزيادة الثواب في الاخرة ومن اسرار التبعل حسن معاشرة البعل وطاعته في طاعة الله وفي ذلك كسر
كسر النفس الامارة بالمرأة وانقيادها في صراط الله **وقال ع** استنزلوا الرزق بالصدقة وفي الكلمة فايدتان احديهما الترغيب في
الصدقة بجوهر كونها سببا لاستنزال الرزق وقد عرفت ان الصدقة باب عظيم لذلك معد لحصوله ومن وجوه اعدادها كونها نفعا
متعديا يستلزم تالف قلوب اهل الله والصالحين من عباده واجتماع هممهم على دعاء الله لصلاح حال المتصدق الثانية التنبيه على هو
الاسباب الباعثة عليها وعلى البذل في اكثر الخلق ليعتمد فيسهل معه البذل وهو الثقة بالله واليقين بالخلف منه كما نطق به وعده تعالى
ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم الاية **وقال ع** تنزل المعونة على قدر المؤونة المؤونة التعب والشدة وهي مفعلة
من الاين والمراد ان الشدة والثقل بالعيال ونحوهم معد لاستنزال معونة الله برزقه وقوته على القيام باحوالهم ودفع المؤنة من جهتهم **وقال ع**
ما عال امرؤ اقتصد لعيلة الفقر والاقتصاد الانفاق بقدر الحاجة المتعارفة وذلك معد لعدم الحاجة لان قدر الحاجة من المال اللازم
قد تكفل الله بادراره مدة البقاء وهو ما لا بد للمقتصد منه **وقال ع** قلة العيال احد اليسارين والتودد نصف العقل والهم
نصف الهرم اما الاول فلان الغنى المتعارف يكون بحصول المال وللمال اعتباران احدهما حصوله والثاني عدم انفاقه فحصوله يسار وعدم
انفاقه على العيال لقلتهم يسار ثان واطلق اليسار على قلة العيال مجازا اطلاقا لاسم المسبب على السبب اما الثاني فلان العقل العملي ولفظه
مجازي تصرفاته اطلاقا لاسم السبب على المسبب من جملة تصرفاته في التدبير التودد الى الخلق ولما كان الانسان محتاجا في اصلاح معاشه
الى غيره وكانت معاملته لهم في ذلك اما على وجه التودد وما يلزمه من جميل المعاشرة وحسن التحية والتسامح والترغيب واما على وجه
القهر والغلبة والترهيب لا جرم كان التودد وما يلزمه نصف العقل اي نصف تصرفه في تدبير امر معاشه واما الثالث فلان الهرم اما طبيعي
واما لسبب من خارج وهو الهم والحزن والخوف المستلزم له فهو اذن قسيم للسبب الطبيعي وقسم من اسباب الهرم كالنصف له فاستعار لفظ
النصف واراد والهم نصف سبب الهرم **وقال ع** ينزل الصبر على قدر المصيبة ومن ضرب يده على فخذه عند مصيبته حبط اجره ان
الله سبحانه جعل للانسان قوة استعداد لان يصبر بمقدار مصيبته فمتى استعد له افيض عليه ذلك المقدار من الصبر ومن قصر
في الاستعداد لحصول مدة الفضيلة وارتكب ضدها وهو الجزع حبط اجره وهو ثوابه على الصبر وكنى عن الجزع بما يلزمه في العادة من
ضرب اليدين على الفخذين وقيل بل حبط ثوابه السابق لان شدة الجزع يستلزم كراهية قضاء الله وسخطه وعدم الالتفات الى
ما وعد به من ثواب الصابرين وهو معد لمحو الحسنات من لوح النفس وسقوط ما يلزمها من ثواب الاخرة **وقال ع** كم من صائم ليس له من صيامه
الا الجوع والعطش وكم من قائم ليس له من قيامه الا السهر والعناء حبذا نوم الاكياس وافطارهم اراد بذلك من اخل بشرط من شرائط صيامه
وقيامه ولم يأت على وجه الاجزاء واعظم شرط لهما توجههما الى المعبود الحق عز سلطانه وكثيرا ما تخلل العبادة وفسادها من كثير من الخلق انما
يكون للجهل بهذا الشرط وكنى بالقيام عن الصلوة وانما مدح نوم الاكياس لان الكيس هو الذي يستعمل ذكوته وفطنته في طرق الخير وعلى الوجه المرضي
للشارع ويضع كل شي موضعه ومن كان كذلك كان نومه وافطاره وجميع تصرفاته في عباداته موضعه موضعها من رضاء الله ومحبته **وقال ع**
وقال ع سوسوا ايمانكم بالصدقة وحصنوا اموالكم بالزكوة وادفعوا امواج البلاء بالدعاء سوسوا اي املكوا وذلك ان الصدقة
من الايمان التام ملكه وحفظه لا يكون بدونها واما تحصين المال بالزكوة فلان منعها انما يكون عن البخل وشدة الحرص وذلك باعث
لسخطها على ذم وداع للخالق الى التسبب في اداه فكان مانعها متعرضا بذلك لتلف ماله وباذلها محصنا له واستعار لفظ الامواج للحوادث
المتواترة وقدم ان الدعاء باخلاص مما يعد النفس للاجابة بالمطلوب وغرضه الحث على الصدقة والزكوة والدعاء **وقال ع** لكميل بن زياد
النخعي رة قال كميل اخذ بيدي امير المؤمنين ع فاخرجني الى الجبان فلما اصحر تنفس الصعداء ثم قال يا كميل ان هذه القلوب
اوعية فخيرها اوعاها احفظ عني ما اقول لك الناس ثلثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق
يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس
المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكوا على الانفاق وصنيع المال يزول بزواله يا كميل بن زياد معرفة العلم دين يدان به يكسب
الانسان الطاعة في حيوته وجميل الاحدوثة بعد وفاته والعلم حاكم والمال محكوم عليه يا كميل بن زياد هلك خزان الاموال
وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة ها ان هيهنا لعلما جما و
اشار عليه السلم الى صدره لو اصبت له حملة بلى اصيب لقنا غير مامون عليه مستعملا آلة الدين للدنيا مستظهرا بنعم الله
على عباده وبحججه على اوليائه او منقادا لحملة الحق لا بصيرة له في احنائه ينقدح الشك في قلبه لاول عارض من شبهة الا لا

في كلام له لكميل بن زياد النخعي

ولا ذاك اذ منهوما باللذة سلس القياد للشهوة او مغرما بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين في شيء اقرب شيء شبها بهما الانعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهرا مشهورا او خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم ذا واين اولئك والله الاقلون عددا والاعظمون قدرا بهم يحفظ الله حججه وبيناته حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه آه آه شوقا الى رؤيتهم انصرف اذا شئت **اقول** الجبان الصحراء والصعداء نوع من التنفس يصعده المتلهف والحزين والهمج ذباب صغير كالبعوض و الرعاع الاحداث والعوام واللقن سريع الفهم والاحناء الجوانب والمنهوم باللذة الشره فيها الحريص عليها والمغرم بالجمع شديد المحبة له وهجم دخل بغتة وفي الفصل نكت احديها انه عليه السلام نبهه للفهم عند يقول ان هذه القلوب الى قوله لك ثانيتها قسم الناس الى ثلثة اصناف ووجه القسمة ان الناس اما عالم او ليس والثاني اما طالب للعلم او ليس ثم قيد كلا من الاقسام الثلثة بصفة او صفات فالاول العالم ووصفه بالرباني نسبة الى الرب تعالى على غير قياس اى العالم علم ربوبيته وهو العارف بالله ثم زيدت الالف والنون للمبالغة في النسبة قال الله تعالى كونوا ربانيين وقيل هو ابن ثلث لانهم يربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها وقيل لانهم يربون العلم اى يصلحون باصلاحه الثاني المتعلم ووصفه بكونه على سبيل النجاة ولما كان العلم سببا للنجاة في الاخرة وكان المتعلم في طريق تحصيله كان على سبيل النجاة ليصل اليها بالعلم الذي هو غاية المطلوبة الثالث العوام ووصفهم باوصاف احدها استعار لهم لفظ الهمج باعتبار حقارتهم الثاني وصفهم بالرعاع باعتبار الحداثة لكونهما مظنتي الجهل الثالث كونهم اتباع كل ناعق ملاحظة لشبههم بالغنم في الغفلة والعبارة الرابع كونهم يميلون مع كل ريح استعار لهم لفظ الميل مع الريح ملاحظة لشبههم بالغنم في الغفلة عن التمسك بمذهب واحد والثبات عليه الخامس كونهم لم يستضيئوا بنور العلم وهو كونهم على ظلمة الجهل السادس وانهم لم يلجأوا الى ركن وثيق واستعار الركن الوثيق للاعتقادات الحقة لثباتها التي يعتمد عليها في دفع مكاره الاخرة الثالثة في مدح العلم وتفضيله على المال من وجوه احدها ان العلم يحرس صاحبه من مكاره الدنيا والاخرة والمال يحرسه صاحبه والفرق بين ما يكون حارسا لصاحبه وبين ما يحتاج صاحبه الى حراسته في الفضيلة واضح الثاني ان العلم يزكو ويزيد باخراجه وافادته لطالبيه لتذكر العالم بتعليمه وتذكره لما غفل منه واستنباطه ما لم يكن عنده والمال تنقصه النفقة والاخراج منه الثالث ان صنيع المال وهو الاحسان يزول بزوال المال والاحسان بالعلم باق لبقائه وصنيع فعيل بمعنى مفعول الرابع كون معرفة العلم اى تحصيله دينا يدان به وقد علمت كونه اصل الدين الخامس كونه يكسب الانسان طاعة الخالق له في حيوته وجميل الاحدوثة بعد وفاته وهما من فضائله الخارجية السادس كونه حاكما على المال محكوما عليه اى ان تصرفه في جمعه وانفاقه انما يكون على وفق العلم بوجوه تحصيله ومصارفه السابع من فضيلته على المال كون خزان المال هالكين في الاخرة محكوم عليهم بذلك في الدنيا ان صدق عليهم انهم احياء كما قال تعالى الذين يكنزون الذهب والفضة الاية واما العلماء فباقون ابدا وان فقدت اعيانهم من الدنيا فصورهم في القلوب مشاهدة موجودة الرابعة اشار بعد تقرير كمال هذه الفضيلة الى ان في صدره منها شيئا كثيرا وانما يمنعه عن اظهاره عدم وجدان من يحمله عنه وها للتنبيه وجواب لو محذوف تقديره لاظهرته الخامسة استثنى من يجده ونبه على عدم صلاحيتهم لحمل ما عنده من العلم واشار الى اربعة اصناف منهم ووجه القسمة ان غير اهل العلم من الناس اما طالبون له او غير طالبين والطالبون اما قادرون على القيام بالحجة او غير قادرين وغير الطالبين له هم المشغولون بغيره عنه فاشتغالهم اما بالانهماك في لذاتهم وسهولة الانقياد لشهواتهم واما بمحبة جمع المال وادخاره فالاول هو الحديث الموصوف برذيلة الجربزة و اشار اليه بقوله بلى اصيب لقنا الى قوله وليائه واشار الى وجه عدم صلاحيته لحمله احدها كونه غير مامون عليه اى هو مظنة ان يدعو به الى غير اهله ويضعه في غير مواضعه والضمير في قوله عليه للعلم الثاني كونه مستعملا آلة الدين وهو العلم في الدنيا و استعماله فيها كالتكسب به مستظهرا بنعم الله وهي العلم على عباده كالتفخر عليهم ومغالبتهم واستعمال حجج الله وما علمه منها في مقابلة اوليائه وتلبيس الحق بالباطل واما الثاني ممن لا يصلح لحمله فهو المقلد واشار اليه بقوله او منقادا الى قوله شبهة ومنقادا عطف على لقنا واراد بالانقياد للحق الايمان به وتسليمه على سبيل الجملة واشار الى كونه غير صالح لحمله من وجهين احدهما كونه لا بصيرة له في جوانب العلم وتفاصيله الثاني كونه ينقدح الشك في قلبه لاول عارض من شبهة وعارض من شبهة وذلك لعدم العلم وثباته في نفسه بالبرهان والحجة الواضحة وقوله الا لاذا ولا ذاك اى من حملة العلم الثالث هو المشار اليه بقوله او منهوما الى قوله للشهوة والرابع هو المشار اليه او مغرما بالادخار وابتهما في معرض الذم لهما بوصفين احدهما كونهما ليسا من رعاة الدين في شيء اى لا تعلق لهما بالدين واهله الثاني كونهما اقرب شبههما الانعام السائمة باعتبار غفلتهما عن الدين وتمرنهما في الاخرة وقوله كذلك اى تفاوت تلك الاحوال من علم من يصلح لحمل العلم ووجدان من لا يصلح له موت العلم بموت حامليه لان التشبيه

في ارشاد الناس الى تحصيل الاخلاق

بعيد مقارنة الاحوال وعدم تحمله نفسه وعن غيره يكون من اهله يومئذ ثم استدرك بقوله اللهم بلى عدم خلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهرا او مستترا معمورا في الناس وزاد بالظاهر من عسى يتمكن من اظهار العلم والعمل به من اولياء الله وخلفاء اوليائه في موضع من الارض وبالخائف المغمور الى من لم يتمكن من ذلك فالثاني يستبعد هذا تصريح منه بوجوب الامامة بين الناس كالذين سبقوا الى الاحسان ووصلوا الى المحل الاعلى من ولده الاحد عشر واما ان يكون خائفا مستورا لكثرة اعدائه وقلة المخلص من اوليائه كالحجة المنتظر لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقوله وكم ذا استبطاء لمدة غيبة صاحب الامر وتبرم من امتداد دولة اعدائه وقوله اين استغلاء لعدد ائمة الدين ولذلك يتبعه بقوله اولئك والله الاقلون عددا وذكر في معرض مدحهم ايضا فاحدها الاقلون عددا الاعظمون قدرا عند الله الثاني انهم يحفظ حجج وبيناته المشتمل عليها دينه حتى يودعوها امثالهم ويزرعوها في قلوب اشباههم بعدهم الثالث كونهم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة اى فاجاتهم ودخل على عقولهم دفعة لان علومهم لدنية حدسية وقيل ذلك على المغلوب اى هجمت بهم عقولهم على حقيقة العلم الرابع وباشروا روح اليقين اى وجدوا لذته الخامس واستلانوا ما استوعره المترفون من الامور الشاقة كخشونة المطعم وخشونة المضجع والملبس ومصابرة الصيام والسهر وذلك في جنب ما وجدوه من لذة اليقين وحلاوة العرفان هين لين عندهم السادس انسوا بما استوحش منه الجاهلون وهو الاحوال التي لقوها مما ذكرنا فان الجاهل لجهله بثمرتها ينفر منها ويستوحش من اهلها السابع وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى فاشتغلت بما شاهدته من جمال الحضرة الربوبية وصحبة الملاء الاعلى من الملائكة ولما ميزهم بالاوصاف المذكورة اشار في معرض مدحهم ايضا الى ان هؤلاء لما اشتملوا عليه من هذه الاوصاف هم خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه ثم تاوه شوقا الى رؤيتهم وآه كلمة توجع اصلها اوه والفصل من اوضح ما نقل عنه عليه السلام **وقال عليه السلام** المرء مخبوء تحت لسانه اى حاله مستورة في عدم نطقه تحت لسانه والمضاف للعلم به وتحت لسانه كناية عن سكوته وذلك ان مقداره بمقدار عقله ومقدار عقله يعرف من مقدار كلامه لدلالته عليه فاذا تكلم بكلام الحكماء ظهر كونه حكيما او بكلام السفهاء عرف كونه منهم وما بين المرتبتين بالنسبة **وقال عليه السلام** هلك امرؤ لم يعرف قدره قد علمت ان قدره هو مقداره في نفس الامر ومنزلته من الفضيلة ومن لم يعرف منزلته اوشك ان يتجاوزها فيهلك من لم يعرف محله من العلم اوشك ان يرفع به فوق محله او يفتى بما لا يعرف لاعتقاده كماله فيقع في الهلاك الاخروي ورب ما يتبعه هلاك دنياه ولزومه من تجاوزه تلعب السنة الناس وايديهم به وهلاكه بذلك **وقال عليه السلام** لرجل سأله ان يعظه لا تكن ممن يرجو الاخرة بغير عمل ويرجي التوبة بطول الامل يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين ان اعطي منها لم يشبع وان منع منها لم يقنع يعجز عن شكر ما اوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي ينهى ولا ينتهي ويأمر بما لا يأتي يحب الصالحين ولا يعمل عملهم ويبغض المذنبين وهو احدهم يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت له ان سقم ظل نادما وان صح امن لاهيا يعجب بنفسه اذا عوفي ويقنط اذا ابتلي ان اصابه بلاء دعا مضطرا وان ناله رخاء اعرض مغترا تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن يخاف على غيره بادنى من ذنبه ويرجو لنفسه باكثر من عمله ان استغنى بطر وفتن وان افتقر قنط ووهن يقصر اذا عمل ويبالغ اذا سأل ان عرضت له شهوة اسلف المعصية وسوف التوبة وان عرته محنة انفرج عن شرائط الملة يصف العبرة ولا يعتبر ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ فهو بالقول مدل ومن العمل مقل ينافس فيما يفنى ويسامح فيما يبقى يرى الغنم مغرما والغرم مغنما يخشى الموت ولا يبادر الفوت يستعظم من معصية غيره ما يستقل اكثر منه من نفسه ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره فهو على الناس طاعن ولنفسه مداهن اللهو مع الاغنياء احب اليه من الذكر مع الفقراء يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره يرشد غيره ويغوي نفسه فهو يطاع ويعصي ويستوفي ولا يوفي ويخشى الخلق في غير ربه ولا يخشى ربه في خلقه قال السيد ره لو لم يكن في هذا الكتاب الا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة وحكمة بالغة وبصيرة لمبصر وعبرة لناظر متفكر **وقال** يرجيها يؤخرها ويروى يزجيها بالزاي المعجمة اى يدفعها والقنوط الياس وعرته عرضت له ونكل اى واثق وحاصل الفصل نهي طالب الموعظة عن اربع وثلثين رذيلة احدها رجاء الاخرة وثوابها بغير عمل فان ذلك مني على الله وقد علمت ان المنى بضائع النوكى الثانية ترجية التوبة اى رجاؤها بطول الامل فان ذلك يستلزم البقاء على المعصية والعذاب بها في الاخرة الثالثة ان يجمع بين قول الزاهدين في الدنيا وعمل الراغبين فيها وهو خداع لله وعمله فيها عمل الراغبين يستلزم ان يصيبه ما اصابهم من عذاب الاخرة بها الرابعة ان لا يشبع مما يعطى منها وذلك رذيلة الشره والحرص الخامسة ان لا يقنع ان منع وذلك رذيلة التفريط من فضيلة القناعة السادسة ان يجمع بين العجز عن شكر ما اوتي من نعم الله وبين طلب الزيادة من فاضلها وهو جمع بين رذيلة التفريط من فضيلة الشكر وبين رذيلة الحرص السابعة ان يجمع بين نهيه عن المعاصي وعدم تناهيه عنها وهو نفاق وخداع لله الثامنة ان يامر بما يقصر عن فعله وهو كالذي قبله التاسعة ان يحب الصالحين ويقصر عن عملهم و [illegible] ما النقص على محبته لهم العاشرة ان يبغض المذنبين وهو احدهم فيكون فعله كالنقض على بغضه لهم الحادية عشر ان يكره الموت لكثرة

قدره

ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت له من كثرة الذنوب فاقامته على ذنوبه كالنقيض على كراهيته للموت لاجلها مع ما يلزمها من العذاب الاخروي
الثانية عشرة ان يجمع بين ندمه حال سقمه على تفريطه في جنب الله وبين لهوه في الصحة حال امنه وهو ايضا كالمتناقض الثالثة عشرة
ان يعجب بنفسه حين عافيته فان العجب من المهلكات الرابعة عشرة ان يقنط اذا ما ابتلاه ربه وييأس من رحمته وذلك كما قال تع انه
لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون الخامسة عشرة ان يجمع بين دعاء الله باضطرار اليه عند نزول البلاء به وبين الاعراض عنه
والاغترار بالدنيا عند اصابته للرخاء فان الاول رذيلة افراط والثاني رذيلة تفريط السادسة عشرة ان يجمع بين الانتهاء و
لنفسه والانقياد لها الى ما يظنه فائدة من الامور الدنيوية وبين عدم قهرها وغلبها الى ما يستيقنه من ثواب الاخرة وعدا لها
فلا يلزمها العمل لذلك فان ذلك عند العقل سفه وجنون السابعة عشرة ان يجمع بين الخوف على غيره من ذنوب هي اقل من
ذنوبه وبين الرجاء لنفسه ثوابا اكثر مما يستحق على عمله فان الحق من ذلك ان يخاف على غيره لاكثرية ذنوبه ويعمل لذلك الخوف
الثامنة عشرة ان يبطر ويفتتن ان اصاب غنى فان ذلك بحجود التاسعة عشرة ان يقنط ويضعف ان يفتقر وهو رذيلة تقصير وتفريط
العشرون ان يقصر في العمل الحادية والعشرون ان يبالغ اذا سأل وهو رذيلة الالحاف في السؤال الثانية والعشرون ان يقدم
المعصية ان عرضت شهوته ويؤخر التوبة منها الثالثة والعشرون ان ينفرج عن شرائط الملة عند نزول المحنة به اي يخرج بفضيلة
الصبر على المصيبة الذي هو شرط الملة ويتركها الرابعة والعشرون ان يجمع بين وصف العبرة وبين عدم الاعتبار الخامسة والعشرون
ويبالغ في الموعظة حال ما لا يتعظ فان ذلك يدخله في مقت الله تع لقوله كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون السادسة و
العشرون ان يجمع بين المنافسة فيما يفنى وهو الدنيا والمسامحة فيما يبقى وهو ثواب الاخرة وهو جهل وسفه السابعة والعشرون ان
يرى الغنم مغرما كالانفاق في سبيل الله والغرم مغنما كالانفاق في معصيته وهو عكس مقتضى العقل الثامنة والعشرون ان
يجمع بين خشية الموت وعدم مبادرته بالاعمال الصالحة المستلزمة للخلاص من اهواله وما بعده التاسعة والعشرون ان يستعظم
من معصية غيره ما يستقل اكثر منه من نفسه و يستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره ويلزم من ذلك ان يكون طاعنا على الناس
في اعمالهم ومداهنا لنفسه في فعلها الثلثون ان يكون اللغو مع الاغنياء احب اليه من ذكر الله مع الفقراء وذلك لفرط محبة الدنيا
الحادية والثلثون ان يحكم لنفسه على غيره فيما يشتهيه وان كان باطلا ولا يحكم عليها لغيره في حق وهو ظلم الثانية والثلثون
ان يجمع بين ارشاد غيره بالهادي من القول وبين اغواء نفسه بفعله اي يعمل عمل الغاوين ويلزم ذلك ان يطيع غيره وهو
يعصي الله الثالثة والثلثون ان يستوفي ما له على غيره ولا يوفي ما عليه من غيره حق الله او حق خلقه الرابعة والثلثون
ان يجمع بين خشية الخلق في غير الله اي في امر ليس لله وبين عدم خشية الله في خلقه ويلزم الاول ان يرضيهم بما يسخط الله
ويلزم الثاني ان يسخط الله بما يسخط خلقه واكثر هذه مشتملة من علم الفصاحة على التقابل والتضاد وورد النهج على الصلات وقال ع
لكل امرئ عاقبة حلوة او مرة واشار الى غايته من حركاته الخيرية والشرية فغاية الخيرية الجنة ولذاتها وهي العاقبة الحلوة
وغاية الشرية النار وعذابها وهي العاقبة المرة واستعار لفظي الحلوة والمرة للذيذ والمكروه وقال ع لكل مقبل عاقبة
حلوة او مرة ادبار وما ادبر كأن لم يكن واراد المقبل من لذات الدنيا في معرض التزهيد والمقبل من شدائدها في معرض
تهوينها وتسهيلها وكان من اخوات ان مخففة واسمها محذوف وقال ع لا يعدم الصبور الظفر وان طال به الزمان
فالصبور كثير الصبر ورغب فيه بما يلزمه من الظفر وان تأخر وذلك عند كمال استعداد الصبور بالصبر وقوته وقال ع الراضي
بفعل قوم كالداخل فيه معهم وعلى كل داخل في باطل اثمان اثم العمل به واثم الرضا به ووجه التشبيه اشتراكهم في الرضا
به المستلزم للميل اليه ومناسبته لطبعه ونفره عن الدخول في الباطل بما يلزمه من الاثمين اما اثم العمل فظاهر واما اثم الرضا فلان
الرضا بالباطل يستلزم محبته وهي رذيلة واثم وقال ع اعتصموا بالذمم في اوتادها فالذمم العهود والعقود والايمان واستعار
لفظ الاوتاد لشرائط العهود واسباب احكامها كانها اوتاد حافظة لها واراد امتنعوا من سخط الله وعذابه بحفظ الذمم في اوتادها
نكات العصمة منه يكون في اسباب حفظها وفي متعلق باعتصموا وذكر استعصموا وقال ع عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته
ربها الله تع وقيل هو ايجاب لطاعة من يجب الطاعة من ائمة الحق الذين يجب العلم بحقية امامتهم ولا يعذر الناس في الجهل بهم المتعلم
قوانين الدين واحكامه منهم وقال ع قد بصرتم ان ابصرتم وقد هديتم ان اهتديتم واسمعتم ان استمعتم اي قد بصرتم سبيل
الرشاد وهديتم اليها واسمعتم الدلالة عليها ان كان لكم استعداد ان تبصروها وتسمعوا وتهتدوا اليها وقد مر مثله وقال ع
عاتب اخاك بالاحسان اليه واردد شره بالانعام عليه اي اجعل مكان عتابه بالقول والفعل الاحسان اليه والانعام في حقه
فانهما انفع في عطف جانبه اليك ودفع شره عنك والعتاب مستعار للاحسان لاستلزامهما رجوع المعاتب وقال ع من
وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من اساء به الظن لانه هو السبب في اساءة الظن به ولا لوم على من اساء به الظن

ان ظنه

لان ظنه ذلك مستند الى امارة من شأنها توليد الظن وقال تلك كلمات احاديها من ملك استأثر اي استبد واراد ان الملوك
من شأنهم الاستبداد بالامور المرغوب فيها والانفراد وذلك لتسلطهم وعدم المنازع لقوام الامارة بالسوء فيهم وهو كالمثل يضرب
لمن غلب على امر فاختص به ومنعه غيره ثانية ومن استبد برأيه هلك لان انفراد الانسان برأيه وعدم قبوله للنصيحة واستشارته
في الحرب ونحوها مظنة الخطاء فيه المستلزم للهلاك فكانه قال من استبد برأيه فهو في مظنة الهلاك فاقام الهلاك مقام مظنته
مجازا اطلاقا لما بالفعل على ما بالقوة الثالثة ومن شاور الرجال شاركها في عقولها وذلك لانه يستنتج منها الرأي الاصلح ليعمل به
فكان عقول الرجال باسرها حاصلة لانتفاعه بثمرتها وهو ترغيب في الاستشارة وقال ع من كتم سره كانت الخيرة بيده وهو ترغيب
في كتمان السر اي كان مختارا في اذاعته وكتمانه بخلاف من اذاع سره فانه لا يتمكن بعد ذلك من كتمانه وقال ع الفقر الموت الاكبر
استعار له لفظ الموت ووصفه بالاكبر اما كونه موتا فلانقطاع الفقير عن مشتهياته ومطلوباته التي هي مادة الحيوة ونمائه لفقدها واما
انه اكبر فلتعاقب الالام على الفقير مدة حيوته واما الم الموت ففي وقت واحد وهو مبالغة في شدته وقال من قضى حق من لا
يقضي حقه فقد عبده اراد قضاء الحق بين الاخوان وانما كان كذلك لان قضاء الغير عنه لحق من لا يقضي حقه لا يكون لرجاء
نفع منه ولا دفع مضرة المرء بل يكون عملا له لانه هوى وخوفا منه او طمعا فيه وذلك صورة عبادة وقال ع لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق وذلك كالوضوء بالماء والصلوة في الدار المغصوبة ويحمل النفي هنا على نفي جواز الطاعة كما هو المنقول عنه وعن اهل
بيته عليهم السلم وعند الشافعي قد يصح الطاعة والنفي لفضيلتها وقال ع لا يعاب المرء بتأخير حقه انما يعاب باخذ ما ليس له لان
الحق قد يكون واجبا لمن هو له وقد يكون مندوبا واقله ان يكون مباحا ولا حرج في تأخير المباح واما اخذ ما ليس له فظلم وهو من
افحش الرذائل التي يعاب بها المرء وقال ع الاعجاب يمنع من الازدياد اعجاب المرء بفضيلته الداخلة كعلمه او الخارجة ككماله و
قنيته انما يكون عن تصور كماله فيها واعتقاده انه قد بلغ منها الغاية والاعتقاد يمنعه عن طلب الزيادة منها وقال ع الامر
قريب والاصطحاب قليل اراد امر الله وهو الموت والاصطحاب في الدنيا وقال ع قد اضاء الصبح لذي عينين تمثيل واستعار لفظ
الصبح لسبيل الله ووصف الضياء لوضوحها وظهورها بوصف الشارع ودلالته عليها ويحتمل ان يكون ذلك تمام وصف سبق
منه للحق كأن سائلا سأله عن امر فشرحه له مرة او مرارا وهو يستزيده فقال له هذا القول اي قد اوضحت لك الحق ان كنت
وقال ع ترك الذنب اهون من طلب التوبة اذ الترك لا كلفة فيه لكونه عدما وطلب التوبة من الله يحتاج الى استعداد
شديد يصلح معه العبد لقبولها منه وافاضة العفو عليه وقال ع كم من اكلة منعت اكلات وهو يجري مجرى المثل يضرب
لمن يفعل فعلا يكون سببا لحرمانه ما كان يناله من خير سابق واصله ان الرجل يكثر من الطعام فيتخم ويمرض فيحتاج الى الحمية و
الامتناع من الاكل وفي معناه من يعاشر ملكا ويتبعد بالانبساط ثم يفرط في انبساطه عليه فيكون ذلك سببا لبعده عنه
وزوال سعادته منه وقال ع الناس اعداء ما جهلوا الجهل بالشيء مستلزم لعدم تصور منفعة العلم به فيحصل للجاهل من ذلك
على اعتقاد انه لا فائدة في تعلمه فيستلزم ذلك مجانبته له ثم يتأكد تلك المجانبة والبعد بكون العلم اشرف فضيلة يفخر بها اهله
على الجهال ويكون لهم بها الحكم عليهم وانتقاصهم وحطهم عن درجة الاعتبار مع اعتقاد الجهال الكمال لهم فيتم لذلك مجانبتهم للعلم و
اهله وعداوتهم لهذه الفضيلة وقال ع من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطاء الاستقبال المتصفح لوجوه الآراء
والمفكر فيها ايها اصوب لابد ان يعرف مواضع الخطاء في الامور ومظانها وهو ترغيب في الاستشارة والفكر في استصلاح الاعمال قبل
الوقوع فيها وقال ع من احد سنان الغضب لله قوي على قتل اشداء الباطل لما كان تع هو العزيز المطلق كان اسناد
قوة الغضب والحمية له الحمية وصولة الغاضب عزا يزداد بكثير من صولته بدون ذلك الاسناد وبحسب تأكد القوة بعزة الله
يكون ضعفها بالاسناد الى الباطل المضاد لدينه ولذلك ما قهر اولياء الله على قلتهم في مبدأ الاسلام اعداؤه على كثرتهم و
اطاق هو عليه السلم قلع باب خيبر على شدته وقتل جبابرة العرب واستعار لفظ السنان لحدة الغضب باعتبار استلزامهما للنكاية
في العدو ورشح بذكر الحد وقال ع اذا هبت امرا فقع فيه فان شدة توقيه اعظم مما تخاف منه ان للنفوس فيما تتوقع مكروهه
انفعالا كثيرا وكراهية عظيما في كيفية دفعه والخلاص منه وذلك اصعب بكثير من الوقوع فيه لطول زمان الخوف هناك وتأكده
بتوقع الامر المخوف ورغب في الوقوع فيه بتصغيره صغره وتكبير الحزن ونفد بكبره وكلما كان اعظم مما يخاف من الشيء فينبغي ان يعدل
عنه الى الوقوع منه ينتج ان شدة توقيه ينبغي ان يعدل عنها الى الوقوع فيه وقال ع آلة الرياسة سعة الصدر سعة الصدر
فضيلة تحت الشجاعة وهي ان لا يدع الانسان قوة التجلد عند ورود الاحداث المهمة عليه واعتلائها ولا يحار ويدهش فيها
بل يحملها ويستعمل الواجب في معناها وقد يسمى ذلك رحب الذراع وهي من اعظم لوازم الرياسة الحقة التي ينبغي لها اذ الرياسة
مظنة ورود الاحداث المهمة والخطوب العظيمة واحوال الخلق المختلفة فمن لم يكن محتملا لهذه الامور وسيع الصدر بها فلا يليق

ان يجاذبها ويدهش فيما يرد عليه منها فيعجز عن تدبيرها ويلزم ذلك فساد دولته وزوال زمانه **وقال** ازجر المسيء بثواب
المحسن تصور المسيء جزاء المحسن باحسانه يدعوه الى الاحسان والرجوع عن الاساءة فكان ناهيا له بالاحسان كالزجر للمسيء
في استلزامهما ارتداعه وانزجاره فاستعير لفظ الزجر لها **وقال** احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك اغلب
ما ينشأ الشر في صدر العدو بسبب ما يتخيله في عدوه من اضمار الشر له وظن ذلك فيه وذلك التخيل والظن لا بد
عن امارة من حركات عدوه وفلتات لسانه بالقول وقحة ماذا من نذر ونحو اضمار الشر له فاما في صدره فاذا اطمانّ اضمر له
من العداوة والشر لتلك امارات ذلك من لسانه ووجهه وبحسب ذلك ينقص تخيل العداوة ويضعف سوء ظن العدو ولا يزال يتأكد
بعكس تلك الامارات وبامارات حالية او مقالية تظهر منه الى ان يمحي ذلك الظن في حقه واستعار لفظ الحصد لازالته تشبيها
بالزرع في زيادته ونمائه تلك الامارات من عدوه وتواترها ونقصانه وعدمه بعدمها **وقال** اللجاجة تسل الراي اي تاخذه
وتذهب بذلك لان الانسان يطلب الراي الحق هو المتأني في طلبه والتثبت فيه فيحمله طبعه على اللجاجة فيه حتى يكون ذلك
[illegible]

وهذا الليل والنهار لم يرفعا من شيء شرفا الا اسرعا الكرة في هدم ما بنيا وتفريق ما جمعا الاستعمال الرمي وهذا فصل لطيف من المواعظ
وقد اشتمل على ثمان كلمات واعظها احدها استعار لفظ الغرض للانسان باعتبار رميه بسهام المنايا واسبابها من الامراض
والاعراض المهلكة ووصف الانتضال لذلك ترى كان المنايا هي الرامية الثانية استعار لفظ النهب بمعنى المنهوب باعتبار سرعته
المصائب الى اخذه الثالثة كنى عن تنغيص لذات الدنيا بما يشوبها ويخالطها من الاعراض والامراض بقوله مع كل جرعة الى قوله غصص
الرابعة كون العبد لا ينال نعمة الا بفراق اخرى اذ النعمة الحقة هي اللذة وما يكون وسيلة اليها نعم بواسطتها وظاهر ان النفس في
الدنيا لا يمكن ان تحصل على لذتين دفعة بل ما لم ينفصل عن لذة اولى ويتوجه نحو اللذة الحادثة لا يحصل لها الالتذاذ بها
ولا يستقبل يوما من عمره الا بفراق آخر من اجله لان طبيعة الزمان التقضي والسيلان الخامسة كوننا اعوان المنون باعتبار ان
كل نفس وحركة من الانسان فهي مقربة له الى اجله فكانه ساع في حلول اجله ومساعد عليه السادسة كون نفوسنا نصب الحتوف ونصب
[illegible]

في تحصيل الآراء والأخلاق الحسنة

الصالحة الى حفظ النفوس بها من عذاب الآخرة وهول الموت ونفره منه لمسارع الى مبادرته بكونه لا ينجو منه احد واستعار الورود على الانسان لفظ الذكر في مقابلة النسيان ملاحظة لشبهه بالقاصد له عن علم به وقال ع لا يزهدنك في المعروف من لا يشكره لك فقد يشكرك عليه من لا يستمتع بشيء منه وقد تدرك من شكر الشاكر اكثر مما اضاع الكافر والله يحب المحسنين نهى عن الزهد في المعروف بسبب عدم شكر المحسن اليه له ورغب فيه بضمائر ثلاثة صغرى الاول قوله فقد يشكرك عليه الى قوله منه وذلك لمحبة الناس للاحسان والمحسنين وتقدير كبراه وكلما يشكرك عليه من لا يستمتع بشيء منه فواجب ان يفعله وصغرى الثاني قوله والله يحب المحسنين اي لاحسانهم وتقدير كبراه وكل من يحبه الله لفعل فواجب ان يدخل العاقل في زمرته ويتقرب الى الله بمثل فعله وقال ع كل وعاء يضيق بما جعل فيه الا وعاء العلم فانه يتسع به لان اوعية المحسوس لما كانت متناهية الاتساع فمن شانها ان يضيق بما يجعل فيها واوعية العلم معقولة وهي النفوس وقوة ادراك العلوم فيها غير متناهية وكل مرتبة من ادراكها تعد لما بعدها الى غير النهاية فمن الواجب ان تتسع بالعلم ويزيد بزيادته وقال ع اول عوض الحليم من حلمه ان الناس انصاره على الجاهل ويحتمل ان يريد من عدم حلمه اذ العوض يكون عن شيء فائت كالطيش ونحوه فحذف المضاف ورغب في هذه الفضيلة بما يلزمها من نصرة الناس لصاحبها على الجاهل عند سفهه عليه وقال ع ان لم تكن حليما فتحلم فانه قل من تشبه بقوم الا واوشك ان يكون منهم امر بتعلم هذه الفضيلة فان مبادي الملكات الخلقية حالات مكتسبة عن التعلم ورغب في تعلمها بضمير صغراه قوله فانه قل الى آخره والضمير في انه ضمير الشأن وتقدير الكبرى وكل من اوشك ان يكون من اهل الحلم بتعلمه له فواجب ان يتعلمه وقال ع كلمات احديها من حاسب نفسه ربح لان المحاسب لنفسه على اعمالها يعلم خسرانه من ربحه فيعمل الربح ويحذر من الترك المستلزم للخسران الثانية ومن غفل عنها خسر وذلك ان فرصها من اللذات الحاضرة تستلزم ميلها اليها ما لم يجذب عنها بالجواذب الالهية من الزواجر والمواعظ المذكرة فالغفلة عن جذبها وتنبيهها من مراقد الطبيعة بتذكيره بالله ووعيده يستلزم اهمالها الاعمال الصالحة التي يلزمها ربح السعادة الاخروية والحصول على غيرها كما ذلك هو الخسران الثالثة ومن خاف من عذاب الله عمل للخلاص منه امن الرابعة ومن اعتبر ابصر اي من نظر مواقع العبرة بعين الفكر والاعتبار ابصر الطريق الى الحق ومن ابصرها فهم المعبود منها البرء ومن فهم ذلك حصل له العلم النافع بالحق وقال ع لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها وتلا عقيب ذلك قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين الضروس الناقة السيئة الخلق تعض حالبها لتبقي لبنها لولدها وذلك لفرط شفقتها عليه واستعار لفظ الشماس للدنيا باعتبار امتدادها المنعة منها ملاحظة لشبهها بالفرس الذي يمنع ظهره ان يركب وشبه عطفها بعد ذلك عليهم واعدادها لتمكنهم من الحكم فيها بعطف الضروس على ولدها ووجه الشبه شدة العطف والاستيثار بالايثار وقال ع اتقوا الله تقية من شمر تجريدا وجد تشميرا واكمش في مهل وبادر عن وجل ونظر في كرة الموئل وعاقبة المصدر ومغبة المرجع اكمش اسرع والمهل الامهال والكرة الرجعة والموئل المرجع والمغبة العاقبة واراد اتقوا الله كتقية من شمر عن ساق الجد في طاعة الله وجرد نفسه لمرضاته تشميرا وسارع بالاعمال الصالحة ما دام في مهلة الحيوة وبادر مغفرته وجل من ثمرات سيئاته وتفكر في عوده الى الملجا الاول الذي منه بدأ وهو حضرة الربوبية وفي عاقبة المصدر الذي عنه صدر في ابتداء كونه والى معبود ومغبة المرجع من خير للحصول عليه او شر ليعمل للخلاص منه وقال ع ثلث عشرة كلمة احديها الجود حارس الاعراض واستعار لفظ الحارس باعتبار ان الجود يحمي عرض صاحبه من السب كالحارس الثانية والحلم فدام السفيه والفدام ما يشد به المجوسي فمه واستعار لفظ الفدام للحلم باعتبار ان الحليم اذا قابل السفيه بحلمه عن عقوبته سكت عنه واقلع عن سفهه في حقه فاشبه الفدام له الثالثة والعفو زكوة الظفر استعار لفظ الزكوة للعفو باعتبار انه فضيلة تستلزم زيادة الثواب في الآخرة وحظا في ذلك شبيه الظفر بالمال الواجبة زكوته وهو من غنيمة في العفو الرابعة والسلو عوضك ممن غدر وهو امر للانسان بالسلو عن الهم بسبب غدر من يطلب وفاه ورغب فيه بكونه عوضا منه ونعم العوض الخامسة والاستشارة عين الهداية الاستشارة طلب صلاح الآراء في الامر وهي مستلزمة للهداية اليها وجعلها عينها تاكيدا لقوة استلزامها لها السادسة وقد خاطر من استغنى برايه اي اشرف على الهلاك من استبد برايه لان ذلك مظنة الخطاء المستلزم للهلاك وقد مر مثله السابعة والصبر يناضل الحدثان استعار لفظ المناضلة للصبر باعتبار دفعه الهلاك عن الجزع في المصائب الثامنة والجزع من اعوان الزمان معد للهم والعناء والجزع يعد لذلك فكان معينا له التاسعة واشرف الغنى ترك المنى لان اشرف الغنى غنى النفس بالكمالات النفسانية من الحكمة ومكارم الاخلاق وهو مستلزم لترك المنى والآمال اذ اجتماع مع المنى المستلزم للحرص اذ هو اشتغال النفس بما لا ينبغي عما ينبغي وللافراط في محبة الدنيا مع كثير من اهل الرذائل كالحرص والحسد والشره ونحوها فيلزم من ذلك اجتماع الضدين الفضيلة والرذيلة العاشرة وكم من عقل اسير عند هوى امير العقل اما ان يقوى على قهر النفس الامارة ويصرفها حسب ما يراه او يقاومها كما لمنازع لها ... عليه او يكون مقهورا مغلوبا لها والاول هو العقل المطيع لله القوي بامره والحجة لله الثاني من رجحه واما الثالث فهو العاصي بانقياده لهواه كالاسير له وهو القسم في عالم الانسان لحصول اللذات الحسية دون العقلية فلذلك اخبر عنه

بكم الحادية

في محسنات الافعال ومقبحاتها

بكم الحادية عشرة من التودد حفظ الحرمة اي لزومها ومداومتها لغاية الانتفاع بها وظاهر ان ذلك من التودد اشار الى تسهيله لاسبابها وتقديره لتوافقها في حق العبد الثانية عشرة والمودة قرابة مستفادة لان القرابة اسم من القرب وهو اما ان يكون اصليا كقرب النسب ومستفادا مكتسبا كقرب الصداقة والمودة الثالثة عشرة ولا تامنن ملولا لان الملول بصرفه وملاله عن الثبات على الصداقة والعهد وكتمان السر ونحوها من الحزم اذ لا يؤمن على شيء من ذلك وقال ع عجب المرء بنفسه احد حساد عقله استعار لفظ الحاسد باعتبار انه يؤثر في منع العقل من اربابه الفضيلة والاستكثار منها كما يؤثر الحاسد بحسده في حال المحسود منقصته وقال ع اغض على القذى والا لم ترض ابدا الاغضاء على القذى كناية عن كظم الغيظ واحتمال المكروه وهو فضيلة تحت الشجاعة ولما كانت طبيعة الدنيا ممزوجة بالمكاره لم يخل الانسان في اكثر احواله من ورودها عليه فما لم يقابلها بالاحتمال بل بالسخط والغضب والتبرم بها لم يزل ساخطا تاعبا بغضبه لدوام الورود والمكاره عليه وقال ع من لان عوده كثفت اغصانه استعار لفظ العود للطبيعة وكنى بلينه عن التواضع وكذا استعار لفظ الاغصان للاعوان والاتباع وكنى بكثافتها عن اجتماعهم عليه وكثرتهم وقوتهم والمراد ان من كانت له فضيلة التواضع ولين الجانب كثرت اعوانه واتباعه وقوي باجتماعهم عليه وقال ع الخلاف يهدم الراي واصله ان راي الجماعة يجتمع على امر تكون المصلحة فيه فيقع من بعضهم خلاف فيه فيهدم ما اجمعوا عليه وراوه من المصلحة كراي ع هو وجماعة من اصحابه عند رفع اهل الشام المصاحف صبيحة ليلة الهرير من تمام القتال وهو المصلحة فهدم ذلك الراي من خالف فيه من اصحابه حتى وقع بين ذلك ما وقع وقال ع من نال استطال اي من نال ما يوجب الاستطالة من جاه وسلطان او مال استطال بسبب ذلك اي كان في مظنة ان يستطيل على غيره بما ناله فاقام ما بالفعل مقام ما بالقوة ويصدق بالفعل ايضا لان كلام الخطيب مطلق يصدق في وقوعه والكلمة تجري مجرى المثل وقال ع في تقلب الاحوال علم جواهر الرجال اي تقلب احوال الدنيا على المرء كرفعته بعد اتضاعه وبالعكس وكنزول الشدائد به بعد العلم التجربي باحواله الباطنة من خير وشر وجلادة وضعف وفضيلة ورذيلة ونحوه ما قيل في الايام مضامير الرجال وقال ع حسد الصديق من سقم المودة لان المودة الخالصة تستلزم ان يريد الانسان لمن يوده ما يريد لنفسه ويكره له ما يكرهها والحسد ينافي ذلك لاستلزامه ارادة زوال الخير عن المحسود فمودة الحاسد اذن مدخولة غير صحيحة وهو المراد بسقمها وقال ع اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع العقل من شانه الذي ينبغي له ان يقاوم النفس الامارة ويكبحها ويمنعها بحسب راته الصالحة ومن شان النفس مخادعة العقل وغروره بزينة الحيوة الدنيا وفيناتها والمطامع فيها فالعقول الضعيفة غير المؤيدة من الله اكثر ما تخدع وتصرع في حربها للنفوس الامارة اذا لاح لها مطمع وهمي من الدنيا فاستعار لفظ المصارع للعقول ملاحظة لقهرها عن النفوس وانفعالها فاشبهت في الذلة والانقياد لها من نزلت مقهورا ومنها عن اخذ مصرعه من الحرب وكذلك استعار لفظ البروق لما لاح من تصور المطموع فيه وكثيرا ما تشبه العلوم والخواطر الذهنية بالبروق للطافة وصفائه وسرعة حركته وانما قال تحت لان المصارع من شانها ان تكون تحت وقال ع ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن اي من كان عندك ثقة معروفا بالامانة تحكمك عليه بالخيانة عن ظن خروج عن العدل وهو رذيلة الجور وقال ع بئس الزاد الى المعاد العدوان على العباد لان الظلم رذيلة عظيمة سعد به الاذى مستلزمة للشقاء الاشقى فهي بئس الزاد ولفظ الزاد مستعار باعتبار حمل هذه الرذيلة في جوهر النفس الى الآخرة كالزاد وقال من اشرف افعال الكريم غفلته عما يعلم اي تغافله واغضاؤه عما يعلم من معايب الناس ومن هفواتهم لاستلزام ذلك فضائل كاحتمال المكروه والحلم والعفو والصفح وكلها فضائل يلزم الكرم لا تنفك اراديته امساك الانسان عن المبادرة الى اضدادها والغضب فيمن يغضبه وما استلزم هذه الفضائل فهو من اشرف الافعال وقال ع من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه استعار لفظ الثوب لما يشمل الانسان من الحياء ورشح بذكر الكسوة والمراد ان فضيلة الحياء تستلزم ترك المعايب فلا يرى في صاحبها وان ارتكب عيبا بر من الرذائل على غاية من التستر والاجتهاد في اخفائه وهو مظنة ان لا تراه الناس وقال ع بكثرة الصمت تكون الهيبة وبالنصفة يكثر المتواصلون وبالافضال تعظم الاقدار وبالتواضع تتم النعمة وباحتمال المؤن يجب السودد وبالسيرة العادلة يقهر المناوي وبالحلم عن السفيه يكثر الانصار عليه اشارة الى سبع فضائل ورغب في كل منها بما يستلزمه من الخير احديها كثرة الصمت وما يلزمها كون الصامت مهابا في اعين الناس لان الصمت من توابع العقل غالبا وهو امارة العقل ظاهرة فان عرف ان كثرة صمت الصامت عن عقل كانت مهابته اوكد وان لم تعرف حاله كانت لتجويز ان يكون عن كمال عقله وقد يعرف انه لنقصان في غريزته وعيه في الكلام ... لعدم اختلاط في القول الثانية النصفة وهي فضيلة العدل ورغب فيها بما يلزمها من كثرة المتواصلين لان قلة الانصاف مستلزمة للعداوة وقطع الالفة كما قال ابو الطيب

ولم تزل قلة الانصاف قاطعة بين الرجال وان كانوا ذوي رحم

الثالثة الافضال على الخلق بما يحتاجون اليه ويلزمه علو الاقدار وعظمها لتعيين الحاجة الى المتفضل ومحبته الرابعة التواضع ويلزمه تمام النعمة بكثرة الاخوان واهل المودة لان فضيلة التواضع نعمة وما يلزمها كالتمام لها الخامسة احتمال المؤن ويلزمه السودد لان احتمال المؤن للخلق

في ارشاد الناس لتحصيل الأخلاق

يستلزمه فضيلة سعة الصدر واحتمال المكروه وبحسب تلك تحصل مطالب التخلق من التحمل عن مشوبة شيء من كدر المقابلة برده ومثله ونحوهما فيكثر خدمهم له ويقوى امره وسوده فيهم الساد سنة السيرة العادلة وتلزمها قهر المساوي والمنافاة المعاداة وذلك ان العدو لا يجد لصاحب السيرة العادلة عيبا يستظهر به عليه ويبغى به في فساد امره فيبقى مقهورا مامورا السابعة الحلم عن السفيه ويلزم كثرة الانصار عليه وقد قررنا ذلك وقال ع العجب لغفلة الحساد عن سلامة الاجساد لان الغالب ان الحسد انما يكون بالغنى والجاه وساير قنيات الدنيا فنزل الحساد الحسد بصحة الجسد مع كونها اكبر نعم الدنيا محل التعجب والفرق ان تلك النعم مشاهدة يغفل الغفلة عنها ويتفرد المحسود بها واكثر الترفع على الحسد الحاسد يكون بها فاما نعمة الصحة فمعقولة تكثر الغفلة عنها ومشتركة وقال ع الطامع في وثاق الذل استعار لفظ الوثاق للذل المقيد لصاحبه لطاعة المطموع فيه وقدم مثله في قوله الطمع رق مؤبد وقال ع الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان الاركان وهي الجوارح الخمس واراد الايمان الكامل وقال ع من اصبح على الدنيا حزينا فقد اصبح لقضاء الله ساخطا ومن اصبح يشكو مصيبة نزلت به فانما اصبح يشكو ربه ومن اتى غنيا فتواضع لغناه ذهب ثلثا دينه ومن قرا القران فمات ثم دخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزوا ومن لهج قلبه بحب الدنيا التاط منها بثلث هم لا يغبه وحرص لا يتركه وامل لا يدركه اقول اشار الى خمس خصال نفر عن كل منها بما يلزمه من الشر احدها الحزن على فايت الدنيا ويلزمه سخط العبد لان فوت ذلك كان نقصا منه وسخط قضائه كفر الثانية شكوى المصيبة يلزمها الشكوى من الله لانه المبتلي بها الثالثة التواضع للغني باعتبار غناه يلزمه ذهاب ثلثي دين المتواضع لوجوه احدها ان مدار الدين على كمال النفس لان الحكمة وكمال القوة الشهوية بالعفة وقوة الغضب بالشجاعة ولما كان التواضع للغني من جهة غناه يستلزم زيادة محبة الدنيا والخروج عن فضيلة الشهوة الى طلب الفجور حتى كانه عابد لغير الله ويستلزم الخروج عن الحكمة التي مقتضاها وضع كل شيء موضعه وهي فضيلة النفس الناطقة كان خارجا عن فضيلتي هاتين القوتين وهما ثلثا الدين الثاني ان مدار الدين على الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان ومن شان المتواضع للغني لغناه اشتغال اللسان بمدحه وشكره واشتغال جوارحه بخدمته عن طاعة الله والقيام بشكره فهو مهمل لثلثي دينه قيل ان التواضع للغني لغناه يستلزم حب الدنيا وحبها راس كل خطيئة فاستعمل ع لفظ الثلثين هنا في الاكثر مجازا اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه الرابعة كون قراءة القران مع دخول النار مستلزما كون القاري ممن كان يتخذ آيات الله هزوا وذلك ان قراءة القران لله بالاخلاص والعمل بمقتضاه يستلزم دخول الجنة وعدم دخولها ودخول النار يستلزم عدم الاخلاص في قراءة القران وعدم العمل به فيكون في قراءته كالمستهزئ بآيات الله اذ شان المستهزئ ان يقول ما لا يعتقده ولا يعمل به فاستعار له لفظ المستهزئ الخامسة ومن لهج قلبه بحب الدنيا التاط اي لصق واختلط منها بثلثة ووجه لزوم الثلثة للحرص والولوع بها ان حبها يستلزم الجد في طلبها وجمعها ولما كان حصولها مشروطا باسباب معدودة للعباد واسباب غير معدودة والمعدودة منها قد لا يكون معدودة للطالب وان كانت لكنها تكون متعسرة فيتوقفها على اسباب كثيرة او عسرة لا جرم يلزمه الحزن غالبا في تحصيلها والهم الذي لا يغبه اي لا يتبعه غبا وهو يوم لا ويوم نعم ثم في حفظها وخوف فوتها والحرص على تحصيلها من وجوهها وطول الامل في وجوه مكاسبها وارباحها وتجاراتها وعماراتها ونبه على طوله بقوله لا يدركه ونفر عنه بذلك وقال ع كفى بالقناعة ملكا وبحسن الخلق نعيما استعار لفظ الملك للقناعة لان غاية الملك الغنا عن الخلق والترفع عليهم بذلك والالتذاذ والقناعة مستلزمة لهذه الغايات وكذلك استعار لفظ النعيم لحسن الخلق باعتبار استلزامهما للالتذاذ وسئل عن قوله تع فلنحيينه حيوة طيبة فقال هي القناعة ففسرها بلازمها وهو الحيوة الطيبة وقال ع شاركوا الذي قد اقبل عليه الرزق فانه اخلق للغنى واجدر باقبال الحظ اخلق واجدر اي اولى ولما كان اقبال الرزق بتوافق اسبابه في حق من اقبل عليه كانت مشاركته مظنة اقبال الحظ والاسباب واقبال الرزق على مشاركته ورغبتها بضمير صغراه قوله فانه الى آخره والضمير في قوله فانه يعود الى ما دل عليه شاركوا من المصدر وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فنفعله مصلحة وقال ع في قوله تع ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى العدل الانصاف والاحسان التفضل وهو تعريف لفظ بلفظ اوضح منه عند السائل وقال ع من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة وذلك اشارة الى قوله تع من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وقوله تع ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم واستعار لفظ اليد في الموضعين للنعمة والعطاء وكنى بالطول والقصر عن الكثرة والقلة وقال ع لابنه الحسن لا تدعون احدا الى مبارزة وان دعيت فاجب فان الداعي باغ والباغي مصروع نفر عن الدعوة الى المبارزة بقياس كامل من الشكل الاول وهو قوله فان الداعي الى قوله مصروع وبيانه ان الدعاء الى المبارزة خروج عن فضيلة الشجاعة الى طرف الافراط منها وهو التهور وهو بغي وعدوان لانه خروج عن فضيلة العدل في القوة الغضبية واما ان الباغي مصروع ففي غالب الاحوال لاستعداده ببغيه لذلك لان المجازاة واجبة في الطبيعة وقال ع خيار خصال النساء شرار خصال

في مواعظ مشتملة على حصول الأخلاق

الرجال الزهو والجبن والبخل فاذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها واذا كانت المرأة بخيلة حفظت مالها ومال بعلها واذا كانت المرأة جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها الاخلاق الثلثة المذكورة رذايل للرجال وهي فضايل للنساء وبيان كونها فضايل هو ما ذكره ع والمزهوة المتكبرة ولا يبنى الفعل من الزهو الا للمفعول به فيقال زهي الرجل وزهيت المرأة فهي مزهوة والفرق الخوف وقيل له ع صف لنا العاقل فقال هو الذي يضع الشيء مواضعه فقيل فصف لنا الجاهل قال قد فعلت يعني ان الجاهل هو الذي لا يضع الشيء مواضعه فكان ترك صفته صفة له اذ كان بخلاف وصف العاقل عرف العاقل بخاصته من خواصه ولما كان الجاهل عديم ملكة العاقل كان تعريفه بما يقابل خاصة العاقل تعريفا بالمناسب وهو خاصته من خواص الجاهل وقال ع والله لدنياكم هذه اهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم العراق جمع عرق وهو جمع غريب كتوام وتوم وهو العظم الذي يحت عنه اللحم وذلك مبالغة في هون الدنيا وحقارتها في عينه وتنفير عنها لان العرق لا خير فيه فاذا اتكل بكونه من خنزير يكون في يد مجذوم بلغت النفرة منه الغاية وقال ع ان قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار وان قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد وان قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الاحرار قسم عبادة العابدين بحسب اغراضها الى ثلثة وهي عبادة الرغبة وعبادة الرهبة وعبادة الشكر وجعل الاولى عبادة التجار باعتبار انهم يستعيضون عنها ثواب الآخرة ويطلبونه بها فهم في حكم التجار المكتسبين للارباح والثانية عبادة العبيد في الدنيا لان خدمتهم لساداتهم اكثر ما تكون رهبة والثالثة عبادة الشاكرين وهم الذين يعبدون الله لله لا لرغبة ولا لرهبة بل لانه مستحق العبادة وهي عبادة العارفين واشار اليها في موضع آخر فقال ما عبدتك خوفا من عقابك ولا طمعا في ثوابك بل وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك وقال ع المرأة شر كلها وشر ما فيها انه لا بد منها واراد احوالها كلها شر على الرجل اما من جهة مؤونتها فظ واما من جهة لذتها وشمها بها فلاستلزام ذلك للبعد عن الله تع والاشتغال عن طاعته واسباب الشرور وان كانت عفيفة ولما كان كونها لا بد منها اعني وجوب الحاجة اليها في طبيعة الموجود الدنيوي هو السبب في تحمل الرجل المرأة ووقوعه في شرورها وجب ان يكون ذلك الاعتبار اقوى الشرور المتعلقة بها لان السبب اقوى من المسبب وقال ع من اطاع التواني ضيع الحقوق ومن اطاع الواشي ضيع الصديق الانقياد في سلك التواني عن الحقوق المطلوبة يخرجها عن وقت الفرصة لحصولها وذلك يستلزم تضييعها وتفويتها وكذلك الواشي مظنة السعي بالفساد بين المتصادقين وطاعته فيما يقول مظنة وقوع الوحشة بينهما وتضييع كل منهما لصاحبه وقال ع الحجر الغصب في الدار رهن على خرابها استعار لفظ الرهن للحجر المغصوب في دار الظالم باعتبار كونه سببا لخرابها كما ان الرهن سبب لاداء ما عليه من المال وهو كناية عن مطلق استلزام الظلم لهلاك الظالم وخراب ما يبنيه بظلمه وان اخرامه ويعرف كون الظلم معدا لذلك ونحو قول الرسول ص اتقوا الحجر الحرام في البنيان فانه اساس الخراب وقال ع يوم المظلوم على الظالم اشد من يوم الظالم على المظلوم واراد بيوم المظلوم يوم القيمة وخصصه به لانه يوم انصافه فيه وانتصافه وكذلك تخصيص يوم الظالم بوقت ظلمه لانه في الدنيا وقال ع اتق الله بعض التقى وان قل واجعل بينك وبين الله سترا وان رق امر بالتقوى لانها الزاد الى الله ولما كان الاستكثار منها مستلزما للقرب من الله ومن عسر الوصول في الطريق لصعبة الطويلة واستعار لفظ الستر لحدود الله الساترة من عذابه وامر ان يجعلها بينه وبين الله اي يحفظ حدوده ولا يهتكها فيقع في مهاوي الهلاك فغلظ الستر شدة المحافظة على حدود الله وعدم سلوك المباحات لخوف الوقوع في الحرام ورقته بسلوك الامور الجايزة من المباحات والمكروهات وقال ع اذا ازدحم الجواب خفي الصواب اي اذا سئل عن مسالة فاجاب جماعة كل بما يخطر له في المسئلة اوشخص بعدة من الاجوبة خفي الصواب فيها لالتباس الحق من تلك الاجوبة واكثر ما يكون ذلك في المسائل الاجتهادية وازدحامه كثرته وقال ع ان لله في كل نعمة حقا فمن اداه زاده منها ومن قصر عنه خاطر بزوال نعمته حق الله في النعمة شكرها الواجب واما استلزام ادائه للمزيد منها وكون التقصير مظنة زوالها فلقوله تع لئن شكرتم لازيدنكم الآية ورغب في الشكر ونفر عن الكفر ان بذكر كون ذلك حقا لله وقد قررنا ذلك مرارا وقال ع اذا كثرت المقدرة قلت الشهوة لان قليل القدرة على ما يشتهيه لا يزال متشوق الخوف وانه عند حصوله فيكون ذلك الخوف منافيا لللذة به فلا يزال تطلبه وتغلب نفسانيته نحوه على مشتهاه وتبعث شهوته عليه اما اذا تمت قدرته عليه فانه يامن فوته وبحسب ذلك تضعف انبعاث الشهوة فيقل تحامله عليه وشهوته له وقال ع احذروا نفار النعم فما كل شارد بمردود استعار لفظ النفار والشرود لزوال النعم ملاحظة لشبهها بالنعم وحذر منه حثا على تقييدها بالشكر ونبه على وجوب ذلك الحذر بقوله فما كل الى آخره وهو صغرى ضمير تقدير ها الشارد جاز ان لا يرد وتقدير كبراه وكلما جاز ان لا يرد لم يحسن تنفيره وقال ع الكرم اعطف من الرحم اي اشد عطفا وفيه معنيان الاول ان الكريم بكرمه عاطف على المنعم عليه من ذي الرحم على ذي رحمه لان عاطفة الكريم طبع وعاطفة ذي الرحم قد يكون تكلفا وقد لا يكون اصلا والثاني ان الكرم يستلزم عاطفة الخلق على الكريم ومحبتهم له اشد من عاطفة ذي الرحم على رحمه

في احاديث متفرقة تشتمل على المواعظ

وقال عم من ظن بك خيرا فصدق ظنه اي افعل ما ظنه فيك من خير وصدق ظنه مطابقة الواقع الذي ظن وقوعه لوقوعه
وذلك حث على فعل الخير وقال عم افضل الاعمال ما اكرهت نفسك عليه اراد من الاعمال الصالحة وافضلها انفعها واكثرها
استلزاما للثواب وانما كان كذلك لان فايدة الاعمال الصالحة تطويع النفس الامارة للنفس المطمئنة ورياضتها بحيث تصير مؤتمرة
للعقل واكراه النفس على الامر يكون لشدة نفرتها فكلما كان اشد كان اقوى في رياضتها وانفع في تطويعها وكسرها فيجب في ذلك ان يكون
اكثر منفعة فكان افضل ونحوه من الحديث قوله صلعم افضل الاعمال احمزها بالزاي المعجمة اي اشقها وقال عم عرفت الله سبحانه
بفسخ العزايم وحل العقود اراد معرفة وجوده تعالى ووجه الاستدلال ان الانسان قد يعزم على امر ويعقد ضميره على فعله
بحسب ما يتصوره من المنفعة الداعية اليه ثم عن قريب يحل ذلك العزم وينفسخ ذلك العقد لزوال ذلك الداعي والخاطر معارض
له اذا عرفت ذلك فنقول تلك التغيرات والخواطر المتعاقبة المرجحة لفعل الامر المعزوم عليه امور ممكنة محتاجة في طرفي وجودها
وعدمها الى المرجح والمؤثر فمرجحها ان كان من العبد كان الكلام فيه كالكلام في الاول ولزم الدور او التسلسل وهما محالان فلابد
من الانتهاء الى الله تعالى مقلب القلوب والابصار وذلك هو المطلوب وقال عم مرارة الدنيا حلاوة الاخرة وحلاوة الدنيا مرارة
الاخرة اي مستلزمتها واستعار لفظي الحلاوة والمرارة للذة والالم وظاهر ان الالم الدنيا اللازم عن ترك لذاتها وعدم
الالتذاذ بها طلبا للاخرة وشوقا الى ثوابها مستلزم لحلاوة الاخرة ولذاتها وكذلك الابتهاج بلذات الدنيا يستلزم الغفلة
عن الاخرة وترك العمل وذلك مستلزم لعذابها ومستعقب لشقاوتها وقال عم فرض الله الايمان تطهيرا من الشرك
والصلوة تنزيها عن الكبر والزكوة تسبيبا للرزق والصيام ابتلاء لاخلاص الخلق والحج تقوية للدين والجهاد عزا
للاسلام والامر بالمعروف مصلحة للعوام والنهي عن المنكر ردعا للسفهاء وصلة الرحم منماة للعدد والقصاص حقنا
للدماء واقامة الحدود اعظاما للمحارم وترك شرب الخمر تحصينا للعقل ومجانبة السرقة ايجابا للعفة وترك الزنا تحصينا
للنسب وترك اللواط تكثيرا للنسل والشهادات استظهارا على المجاحدات وترك الكذب تشريفا للصدق والسلام امانا
من المخاوف والامامة نظاما للامة والطاعة تعظيما للامامة اقول اشارة الى فرايض الله ونبه على عللها الغائية والحكمة
ليكون انفع لذكرها في النفوس وذكر منها تسع عشرة فريضة الاولى بدا بالايمان لانه الاصل لجميع الفرايض والسنن وجعل الغرض منه
التطهير عن الشرك ولما كان للتطهير من الشرك غاية مطلوبة للشارع هي كمال النفس بمعرفة الله نعم كان التطهير غاية غرضية من الايمان
الثانية الصلوة ولما كان وضعها لتطويع النفس الامارة التي هي مبدا الكبر للنفس المطمئنة ورياضتها وقهرها لاجرم كان من غاياتها
تنزيه الانسان عن الكبر الثالثة الزكوة وذكر من غايات فرضها كونها سببا للرزق اذ كان منها رزق الفقراء والمساكين ومن عيشهم
الشريعة حفظا له الرابعة الصيام ولما كان من الشدايد الشاقة على الابدان خصته بان غايته كونه ابتلاء من الله لاخلاص خلقه ولما
كانت هذه غاية من كل العبادات الخامسة الحج وانما جعل غايته كونه تقوية للدين لان عبادة تستلزم اجتماع اكثر اهل الملة في مجمع
واحد على غاية من التذلل والخضوع والانقياد لله ومشاهدة كل من الخلق الحاضرين لذلك الجمع العظيم من الملوك وغيرهم فيثبت
في قلبه قوة الدين وعظمته دون ساير العبادات السادسة الجهاد وكون غايته عز الاسلام وقوته ظاهر السابعة الامر بالمعروف و
غايته اصلاح العوام في معاشهم ومعادهم وخص العوام لانهم اغلب الخلق ولان من علاهم هم العلماء والولاة الامرون بالمعروف الفاعلون
له الثامنة النهي عن المنكر وكون غايته ردع السفهاء ظاهر لان السفيه ما لم يكن له رادع من سلطان الدين يكثر مفسدته المضادة لمصلحة
العالم التاسعة صلة الارحام ومن غاياتها كونها منماة للعدد اي عدد اولي الرحم اذ زيادة عددهم باستقامة امر معاشهم وصلة الرحم سبب
لذلك العاشرة القصاص وغايته حقن الدماء والكف عن سفكها لخوف المكافاة كقوله تعالى ولكم في القصاص حيوة وقولهم القتل
انفى للقتل الحادية عشرة اقامة حدود الله وغايتها اعظام حرمات محارم الله كي لا تنتهك ويجترى عليها عن قصد السبيل فيضيع غرض
الشارع من وضع الدين الثانية عشرة ترك شرب الخمر وغايته تحصين العقل من مخامرتها واشتغاله عما خلق له من طلب الاستكمال
لكمال الحكمة الثالثة عشرة مجانبة السرقة وغايتها ايجاب العفة اذ السرقة منشاؤها عن كمال طاعة الشهوة والعبور فيها الى حد الافراط
والفجور فكان من غايات تحريمها وقوف من في طباعه ذلك على حد العفة الرابعة عشرة ترك الزنا ومن غاياته حفظ الانساب
وما يتبعها من المواريث فان الزنا يوجب اختلاط الانساب وضياع الاموال التي هي قوام الخلق في الدنيا وقد سبق سره الخامسة
عشرة ترك اللواط وغايته تكثير النسل وتوفير مادته على محاله لغاية كثرة النوع وبقائه السادسة عشرة الشهادات وغايتها استظهار
المستشهد على مجاحدة خصمه كي لا يضيع لو لم يكن بينهما شاهد السابعة عشرة ترك الكذب ومن غاياته تشريف الصدق وتعظيمه
بتحريم ضده لبناء مصلحة العالم عليه ونظام امور الخلق به وقد سبق بيان مفاسد الكذب الموجبة لتحريمه الثامنة عشرة الاسلام
ومن غاياته الامن من مخاوف الدنيا لصولة الاسلام على ساير الاديان ومن مخاوف الاخرة وهو ظاهر وروي السلم ولما كان سببا

للمودة

للمودة الى الخلق كان امانا من مخاوفهم التاسعة عشرة الامامة وغاية فرضها كونها نظاما للامة اذ الخلق متى كان لهم رئيس منبسط اليد
قوي الشوكة يردع الظالم عن ظلمه وياخذ للمظلوم بحقه كان بذلك صلاح احوالهم ونظام امورهم في معاشهم ومعادهم ولا كذلك اذا
لم يكن مثل ذلك الرئيس العشرون الطاعة للامام وغاية فرضها تعظيم امامة الامام لغاية امتثال الخلق لقوله والانتهاء بروية وقد سبقت
الاشارة الى سر كثير من هذه الفرايض مفصلة وقال عم احلفوا الظالم اذا اردتم يمينه بانه بريء من حول الله وقوته فانه اذا
حلف بها كاذبا عوجل واذا حلف بالله الذي لا اله الا هو لم يعاجل لانه قد وحد الله سبحانه قد يرى المجتهد تاكيد اليمين بمثل
ما ذكره لغاية نكول الكاذب عنها واداء الحق وذلك ان نفس الكاذب ينفعل من مثل هذا اللفظ لعلمه بظلمه وتوهمه نصب قوة الله ومطابقته
لقوله بفعل المدعو به بخلاف اليمين المعتادة فيستعد بذلك لما جلبه بالعقوبة ويروى ان واشيا سعى بالصادق ع الى المنصور فاستحضره وقال
ان فلانا ذكر عنك كذا وكذا فقال عم لم يكن ذلك مني واني لساعي الا كونه منه فحلفه الصادق بالبراءة من حول الله وقوته ان كان كاذبا فحلف
فما انقطع كلامه حتى اصيب بالفالج كقطعة لحم يجر برجله ونجا الصادق منه وقال عم يا ابن ادم كن وصي نفسك واعمل في مالك ما تؤثر ان
يعمل فيه من بعدك اي كما توصي من بعدك ان يضع مالك موضع القربات وانتفاع اهلك به فكن انت ذلك الوصي وضعه تلك المواضع
في حيوتك وهو حث على بذل المال في وجهه وقال عم الحدة ضرب من الجنون لان صاحبها يندم فان لم يندم فجنونه مستحكم
لما كان الجنون حالة مخصوصة تعرض للانسان بسبب خروج القوى النفسانية عن قبول تصرف العقل الى طرفي الافراط والتفريط
وكانت الحدة خروج قوة الغضب عن ضبط العقل بما يلي قانون العدل الى طرف الافراط كانت قسما من الجنون وبفصل الحدة بالرجوع في
الى طاعة العقل وقال صحة الجسد من قلة الحسد اي ان الحسد قد يكون ايضا بالصحة كما يكون بغيرها منفعل منها وذلك هو الحسد البالغ
فكانت صحة الجسد دليلا على قلة الحسد اذ لو شئ اي بها وقال عم لكميل بن زياد النخعي يا كميل مر اهلك ان يروحوا في كسب
المكارم ويدلجوا في حاجة من هو نائم فوالذي وسع سمعه الاصوات ما من احد اودع قلبا سرورا الا وخلق الله له من ذلك
السرور لطفا فاذا نزلت به نائبة جرى اليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل الادلاج السير بالليل و
النائبة المصيبة واراد ان ادخال السرور على قلب ذي الحاجة بقضائها يجعله الله سببا يلطف به لقاضي الحاجة ويقيه بها من مصيبة
تعرض له ويشبه ان يكون ذلك اللطف هو اخلاص ذي الحاجة وصفاء نيته في امداده ومعونته بدعائه الله له وشكره وثنائه واستجلاب قلوب
الخلق بذلك له وكل ذلك لطف يعده الله لوقايته له وطرد المصايب عنه وشبه جري ذلك اللطف الى دفع المكروه عنه بجري الماء في انحداره
ووجه الشبه سرعة الاعداد للدفع والحفظ لانه من امر الله وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر وكذلك دفع ذلك اللطف للنائبة بطرد غريبة الابل
ووجه الشبه شدة الطرد والابعاد وباقي المتصل ظ وقال عم اذا املقتم فتاجروا الله في الصدقة والاملاق الفقر وندم ان
الصدقة تعد للمزيد من فضل فامر الفقراء ان يتصدقوا بما عساه يقع في ايديهم ولو بشق تمرة ليستعدوا بذلك لافاضة فضل
الله ورغبهم في ذلك بذكر التجارة وهي استعارة لاستفاضة ما يحصل عما يبذل والفقراء اولى باستجلاب الرزق بالصدقة من الاغنياء
لانفعال القلوب لهم ورقتها عليهم ولما ينبق الى اذهان الخلق ان ذلك منهم عن اخلاص دون الاغنياء وقال عم الوفاء لاهل الغدر
غدر عند الله والغدر باهل الغدر وفاء عند الله تعالى وذلك ان من عهد الله في دينه الغدر وعدم الوفاء لهم اذا غدروا لقوله
تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين قيل نزلت في يهود بني قينقاع وكان بينهم وبين الرسول
عهد فعزموا على نقضه فامره الله تعالى بذلك وامره بحربهم ومجازاتهم بنقض عهدهم فكان الوفاء لهم غدرا بعهد الله والغدر بهم اذا
غدروا وفاء بعهد الله قال السيد رح فصل نذكر فيه شيئا من اختيار غريب كلامه عم المحتاج الى التفسير في حديثه
عليه السلم فاذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه فيجتمعون اليه كما يجتمع قزع الخريف قال السيد يعسوب الدين
السيد العظيم المالك لامور الناس يومئذ والقزع قطع الغيم التي لا ماء فيها اقول اومى بقوله ذلك الى علامات ذكرها
في اخر الزمان لظهور صاحب الامر واستعار له لفظ اليعسوب وهو في الاصل امير النحل ملاحظة لشبهه به فاما ضربه بذنبه فقيل فيه
اقوال احدها ان الضرب هو السير في الارض وذنبه استعارة في اعوانه واتباعه والباء للاستعانة الثاني انه كان ضرب النحل
بذنبه لسعه كنى بذلك عن نصب سيوفه وسهامه في اعدائه لقتلهم واذاهم الثالث انه كناية عن قوته وغضبه لدين الله ملاحظة
لشبهه بالسبع حال صولته وغضبه وهذا الوجه اشبه الثلثة وشبه اجتماع المؤمنين واهل طاعة الله باجتماع قطع الغيم المتفرقة
ووجه الشبه سرعة الاجتماع لان قزع الخريف سريع التالف وفي حديثه عم هذا الخطيب الشحشح قال السيد يريد الماهر بالخطبة
الماضي فيها وكل ماض في كلام او سير فهو شحشح والشحشح في غير هذا الموضع البخيل الممسك يروى انه راى خطيبا يخطب
فقال ما هذا الخطيب الشحشح اي الماهر في خطبته وفي حديثه عم ان للخصومة قحما قال السيد يريد بالقحم المهالك لانها تقحم

بامصا بها في المهالك والمتالف وهو الاكثر ومن ذلك تقحم الاعراب وهو ان تصيبهم السنة فتتعرق اموالهم فذلك تقحمها فيهم وقد قيل فيه وجه
آخر وهو انها تقحمهم بلاد الريف اي تحوجهم الى دخول بلاد الحضر عند محول البدو وأقول بروى ثمة وكل اخاه في خصومة وقال ان لها
لقحما ان الشيطان يحضرها وانقحم المهالك وذلك انها مظنة تورد الفتنة العصبية والخروج عن حد العدل فيها الى رذيلة الافراط
التي هي مظنة الهلاك وفي حديثه ع فاذا بلغ النساء نص الحقاق فالعصبة اولى ويروى نص الحقائق قال السيد والنص منتهى الاشيا
ومبلغ اقصاها كالنص في السير لانه اقصى ما يقدر عليه الدابة وتقول نصصت الرجل عن الامر اذا استقصيت مسألته عنه لتستخرج
ما عنده فيه فنص الحقاق يريد به الادراك لانه منتهى الصغر والوقت الذي يخرج منه الصغير الى حد الكبير وهو من افصح الكنايات عن
هذا الامر واغربها يقول فاذا بلغ النساء ذلك فالعصبة اولى بالمراة من امها اذا كانوا محرما مثل الاخوة والاعمام وبتزويجها
ان ارادوا ذلك والحقاق محاقة الام للعصبة في المراة وهو الجدال والخصومة وقول كل واحد للاخر انا احق منك بهذا
ويقال منه حاققته حقاقا مثل جادلته جدالا وقد قيل ان نص الحقاق بلوغ العقل وهو الادراك لانه ع انما اراد
منتهى الامر الذي تجب به الحقوق والاحكام ومن رواه نص الحقائق فانما اراد جمع حقيقة هذا معنى ما ذكره ابو عبيد
القسم بن سلام والذي عندي ان المراد بنص الحقاق هيهنا بلوغ المراة الى الحد الذي يجوز فيه تزويجها وتصرفها في حقوقها
تشبيها بالحقاق من الابل وهي جمع حقة وحق وهو الذي استكمل ثلث سنين ودخل في الرابعة وعند ذلك يبلغ الى
الحد الذي يتمكن فيه من ركوب ظهره ونصه في سيره والحقائق ايضا جمع حقة فالروايتان جميعا ترجعان الى معنى واحد
وهذا هو اشبه بطريقة العرب من المعنى المذكور اولا واقول الذي ذكره السيد انسب الى كلام العرب كما قال عن ان نص الحقاق استعارة
تعتمد التشبيه والعصبة بنو الرجل وقرابته لابيه سموا بذلك لانهم عصبوا به وعلبوا عليه وقيل يحتمل ان يراد بالنص الارتفاع
يقال نصت الظبية راسها اذا رفعته ومنه منصة العروس لارتفاعها عليها وتكون قد استعار لفظ الحقاق لانتهاء الصغيرة اذا نهدت
وارتفعت لشبهها بالحقة صورة اي اذا بلغن حد ارتفاع ثديهن كانت العصبة اولى بهن من الام لانه وقت ادراكهن وعلامة صلاحيتهن
للتزويج وفي حديثه ع ان الايمان يبدو لمظة في القلب كلما ازداد الايمان ازدادت اللمظة قال السيد واللمظة مثل النكتة او نحوها من البياض
ومنه قيل فرس المظ اذا كان بجحفلته شيء من البياض واقول ارادات الايمان وهو التصديق بوجود الصانع تعالى اول ما يكون في النفس
يكون حاله لا يزال يتاكد بالبراهين والاعمال الصالحة الى ان يصير ملكة تامة ولفظ اللمظة استعارة لما يبدو من نور الايمان في النفس
اول كونه ملاحظة لشبهه باللمظة من البياض والنكتة من نور الشمس ونصب لمظة على التمييز والجحفلة وقال وفي حديثه ع ان الرجل اذا
كان له الدين الظنون يجب عليه ان يزكيه لما مضى اذا قبضه قال السيد فالظنون هو الذي لا يعلم صاحبه ايقبضه من
الذي هو عليه ام لا يعلم صاحبه ايقبضه من الذي هو عليه ام لا فكانه الذي يظن به فتارة يرجوه وتارة لا يرجوه وهذا من
افصح الكلام وكذلك كل امر تطلبه ولا تدري على اي شيء انت منه فهو ظنون وعلى ذلك قول الاعشى ما يجعل الجد الظنون
الذي جنب صوب اللجب الماطر مثل الفراتي اذا ما طما يقذف بالبوصي والماهر فالجد البئر والظنون التي لا يعلم هل فيها
ماء ام لا واقول مثاله اذا كان لك مثلا عشرون دينارا دينا على رجل وقد اخذ ها منك ووضعها كما هي من غير تصرف فيها وانت تظن
ان استرددتها منه ردها اليك فاذا مضى عليها احد عشر شهرا واستهل هلال الثاني عشر وجبت زكاتها عليك والجبب في قول
الاعشى هو السحاب الصوت ذو الرعد واراد بالفراتي الفرات والياء للتاكيد كقولهم والدهر بالانسان دواري اي دوار ويحتمل
ان يريد بالفراتي والبوصي ضرب من صغار السفن والماهر السابح ومراده انه لا يقاس البئر الذي يشكك هل فيها ماء ام لا ببعده
بالفرات اذا ما طما وهو كالمثل لعدم مساواة البخيل للكريم وفي حديثه ع انه شيع جيشا يغزيه فقال اعزبوا عن النساء ما استطعتم
قال السيد ره ومعناه اصدفوا عن ذكر النساء وذكر القلوب بهن وامتنعوا من المقاربة لهن لان ذلك يفت في عضد الحمية ويقدح
في معاقد العزيمة ويكسرعن العدو ويلفت عن الابعاد في الغزو وكل من امتنع من شيء فقد اعزب عنه والعازب والعزوب الممتنع
من الاكل والشرب قوله يفت في عضد الحمية كناية عن كسرها وفي حديثه ع كالياسر الفالج ينتظر اول فوزة من قداحه قال السيد
الياسرون هم الذين يتضاربون بالقداح على الجزور والفالج القاهر الغالب يقال قد فلج عليهم وفلجهم قال الراجز لما رايت فالجا قد فلجا
اقول تقدم شرحه في قوله اما بعد فان الامر ينزل من السماء الى الارض كقطر المطر وفي حديثه ع كنا اذا احمر الباس اتقينا برسول
الله فلم يكن احد منا اقرب الى العدو منه قال السيد ومعنى ذلك انه اذا عظم الخوف من العدو واشتد عضاض الحرب
فزع المسلمون الى قتال رسول الله صلى الله عليه واله اذا احمر الباس كناية عن اشتداد الامر وقد قيل في ذلك اقوال احسنها
انه شبه حمي الحرب بالنار التي تجمع الحرارة والحمرة بفعلها ولونها ومما يقوي ذلك قول النبي صلى الله عليه واله وقد راى
مجتلد الناس يوم حنين وهي حرب هوازن الان حمي الوطيس والوطيس مستوقد النار فشبه صلى الله عليه واله ما استحر

لا تشبيه ان كانت الاستعارة

قال السيد م

من جلاد

من جلاد القوم باحتدام النار وشدة التهابها واقول استعار وصف احمرار الباس لشدته ملاحظة لشبهه بالنار الموقدة وقد مر مثل
ذلك في بعض كتبه ع **وقال** ع لما بلغه اغارة اصحاب معوية على الانبار فخرج بنفسه ماشيا حتى اتى النخيلة فادركه
الناس وقالوا يا امير المؤمنين نحن نكفيكهم فقال ع والله ما تكفونني انفسكم فكيف تكفونني غيركم ان كانت الرعايا
قبلي لتشكو حيف رعاتها وانني اليوم لاشكو حيف رعيتي كانني المقود وهم القادة او الموزوع وهم الوزعة فلما قال
هذا القول في كلام طويل قد ذكرنا مختاره في جملة الخطب تقدم اليه رجلان من اصحابه فقال احدهما اني لا املك
الا نفسي واخي فمرنا بامرك يا امير المؤمنين ننفذ له فقال ع واين تقعان مما اريد وقيل ان الحارث بن حوط اتاه ع
فقال اتراني اظن اصحاب الجمل كانوا على ضلالة فقال ع يا حارث انك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت
انك لم تعرف الحق فتعرف اهله ولم تعرف الباطل فتعرف من اتاه فقال الحارث فاني اعتزل مع سعد بن مالك و
عبد الله بن عمر فقال ع ان سعدا وعبد الله لم ينصرا الحق ولم يخذلا الباطل قوله اتراني استفهام انكار لرويته كذلك
ورخم حارث وقيل في قوله انك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك اي نظرت في اعمال الناكثين من اصحاب الجمل المنكثين نظام
الاسلام الذين هم دونك في المرتبة لبغيهم على امام الحق فاغتررت بشبهتهم واقتديت بهم ولم تنظر الى من هو فوقك
وهو امامك الواجب الطاعة ومن معه من المهاجرين والانصار ولا سمعت حكمهم بكون خروجهم على الباطل فكان ذلك سبب
حيرتك ويحتمل ان يكون نظره تحته كناية عن نظره الى باطل هؤلاء وشبهتهم المكتسبة عن محبة الدنيا التي هي الجهة السافلة
ونظره فوقه كناية عن نظره الى الحق وتلقيه من الله وقوله انك لم تعرف تفصيل لسبب حيرته وهو عدم معرفته للحق والباطل المستلزم
لجهله باهلهما ولو عرفهما لجزم باتباع الحق واجتناب الباطل وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه كل من كان كذلك وقع في الحيرة
والضلال وسعد بن مالك هو سعد بن ابي وقاص فانه لما قتل عثمن اشترى اغناما واشتغل الى البادية وكان يتعيش بتلك الاغنام
حتى مات ولم يشهد بيعة علي ع واما عبد الله بن عمر فالتجا الى اخته حفصة زوجة النبي ص بعد ما بايع لامير المؤمنين ع ولكنه لم يشهد معه
حرب الجمل وقال قد اخترت العبادة عن الفرقة والمحاربة فلست مع علي ولا مع اعدائه فاما قوله في جواب ان سعدا الى آخره فهو صغرى
ضمير نبه فيه على انه لا يجوز لمتابعتهما في الاعتزال وهي من المخيلات المنفرة التي في صورة الذم وان كانت صادقة وتقدير الكبرى
وكل من كان كذلك فلا يجوز متابعته **وقال** ع صاحب السلطان كراكب الاسد يغبط بموقعه وهو اعلم بموضعه اي بتمنى موقعه
وهو يعلم انه في غاية من المخاطرة بالنفس والتغرير بها وذلك هو وجه التشبيه براكب الاسد **وقال** ع احسنوا في عقب غيركم
تحفظوا في عقبكم العقب من يخلفه الانسان من الولد او ولد الولد وانما كان كذلك لان المجازاة واجبة في الطبيعة ولان الذكر الجميل
بذلك يعطف الناس على عقب المحسن من بعده **وقال** ع ان كلام الحكماء اذا كان صوابا كان دواء واذا كان خطاء كان داء
وذلك لقوة اعتقاد الخلق فيهم رشدهم وتبعهم لما يقولونه فان كان حقا كان دواء من الجهل وان كان باطلا اوجب للخلق داء الجهل
ولذلك قيل زلة العالم زلة العالم وسأله رجل ان يعرفه الايمان فقال اذا كان غد فاتني حتى اخبرك على اسماع الناس فان نسيت
مقالتي حفظها عليك غيرك فان الكلام كالشاردة ينقفها هذا ويخطئها هذا وقد ذكرنا ما اجابه به فيما تقدم من هذا الباب وهو قوله
الايمان على اربع شعب ع تشبيه الكلام بالشاردة من الابل قوله ينقفها اي يجدها في ضلالها الى آخره والفصل ظ **وقال** ع
يا ابن آدم لا تحمل هم يومك الذي لم يأتك على يومك الذي قد اتاك فانه ان يك من عمرك يأت الله فيه برزقك اي ينبغي
ان يكون الاهتمام بحاجة كل يوم مخصوصا بذلك اليوم والكلمة صغرى ضمير نبه بها على ترك الاهتمام بما لم يأت من الايام وتقدير
الكبرى وكلما كان كذلك فلا ينبغي الاهتمام له **وقال** ع احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك
هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما فائدة هذه الكلمة الامر بالاعتدال في المحبة والبغض وعدم الافراط فيهما لما في الافراط
من المفسدة والهون السكينة والوقار وهو صفة مصدر محذوف اي حبا هينا معتدلا وما في الموضعين يفيد شيئا ما في الهون
واليوم واتي الغرض منه مقدارا دون الافراط ووقتا من الاوقات وان لم يكن متعينا ونبه على ثمرة ذلك بقوله عسى في الموضعين وهما
صغريا ضميرين اما مفسدة افراط المحبة فلاستلزام اطلاع المحب لمحبوبه على اسراره وتوقيفه على احواله فربما ينقلب بعد ذلك عدوا
له فيكون اقدر على هلاكه من غيره من الاعداء وكذلك مفسدة افراط البغض وهو عدم الابقاء على المبغوض وذلك يستلزم دوام
المعاداة فالاعتدال في ذلك اولى لانه ربما عاد العدو الى الصداقة فكان المبغض قد ابقى للصداقة موضعا وتقدير كبرى الاول
وكل حبيب جاز ان يكون عدوا في وقت ما فينبغي ان لا يفرط في محبته وتقدير كبرى الثاني وكل عدو جاز ان يكون صديقا يوما
ما فينبغي ان لا يفرط في بغضه **وقال** ع الناس في الدنيا عاملان عامل عمل في الدنيا للدنيا قد شغلته دنياه عن آخرته يخشى على من يخلفه الفقر
ويأمنه على نفسه فيفني عمره في منفعة غيره وعامل عمل في الدنيا لما بعدها فجاءه الذي له من الدنيا بغير عمل فاحرز الحظين

اقول لهذا الفصل ذكر مشروحا في الخطب م

فتعرف اهله وفي نسخة م

كلام له مشتمل على المواعظ والنصائح

معاذ ملّتنا الذابين جميعاً فاصبح وجيهاً عند الله لا تبال الله حاجة فيه نعمه لما كان العمل في هذه الحيوة لا بد منه فعمل العاقل اما لها
او لغيرها وغيرها هو الاخرة فان الناس عاملان واشار الى الاول في معرض ذمه بقوله قد شغلته دنياه الى قوله غيره ومعنى ذلك
انه يشتغل بتحصيل الدنيا خوف الفقر على ولده من بعده فيفني عمره في منفعة يخيلها لغيره ولا يخشى الفقر الاكبر في الاخرة من الحرمان
الباقية على نفسه وذلك ضلال مبين واشار الى الثاني في معرض مدحه بقوله وعامل الى قوله فجاءه الذي له من الدنيا اي المكتوب
له في اللوح المحفوظ من رزق ونحوه وقوله بغير عمل اي للدنيا لان العمل بعد الضرورة من الدنيا ليس من العمل لها بل للاخرة
وهو مقصود من الدنيا بالعرض وبذلك يحرز حظيه من الدنيا والاخرة ويكون في الدنيا ملكا لغنا عنه وفي الاخرة بثمرة اعماله
ووجاهته عند الله وعلو منزلته في استعداده بطاعته مستلزم لقبول دعوته واجابتها فيما سال وروي انه ذكر عند عمر بن
الخطاب في ايامه حلي الكعبة وكثرته فقال قوم لو اخذته فجهزت به جيوش المسلمين كان اعظم للاجر وما تصنع الكعبة بالحلي فهمّ
اموال م — عمر بذلك وسال عنه امير المؤمنين ع فقال ان القران انزل على النبي ص والاموال اربعة اموال المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرائض
والفيء فقسمه على مستحقيه والخمس فوضعه الله حيث وضعه والصدقات فجعلها حيث جعلها وكان حلي الكعبة فيها يومئذ فتركه
الله على حاله ولم يتركه نسيانا ولم يخف عليه مكانه فاقره حيث اقره الله ورسوله فقال عمر لولاك لافتضحنا وترك الحلي بحاله القصة
علي م — مشهورة وخلاصة حجته ع ضمير اشار الى صغراه وتقدير ها ان حلي الكعبة قد اقره الله على حاله ورسوله من غير نسيان له ولا جهل
بمكانه مع تعرضه لجميع الاموال وتقدير الكبرى وكلما اقره الله ورسوله على حاله وجب الاقتداء بهما في اقراره ولذلك الامر بصورة
النتيجة وهو قوله فاقره الله ورسوله ونسيانا نصب على الحال ومكانا على التمييز وروي انه رفع اليه رجلان سرقا من مال الله
احدهما عبد من مال الله والاخر من عرض الناس فقال ع اما هذا فهو مال الله فلا حد عليه مال الله اكل بعضه بعضا فعليه
واما الاخر فعليه الحد م — الحد فقطع يده عرض الناس سائرهم وعامتهم واحتج للعبد بضمير صغراه له فهو مال الله اكل بعضه بعضا وتقدير كبراه وكلما
كان كذلك فلا قطع عليه واما المقطوع فانه قد كان سرق نصابا من مال الغنيمة من حرز ولم يكن له نصيب منها واما ان كان له
نصيب فان كان المسروق فوق نصيبه نصابا قطع والا فلا وقال ع لو استوت قدماي من هذه المداحض لغيرت اشياء
المداحض المزالق واستواء قدميه كناية عن ثباته وتمكنه من اجراء الاحكام الشرعية على وجوهها في المسائل الاجتهادية المشكلة
التي يخفى حكم الشرع فيها على غيره وتلك انه في خلافته لم يتمكن من تغيير شيء من احكام الخلفاء قبله وكان له في بعضها راي
غير ما راوه واستعار لتلك المسائل لفظ المداحض باعتبار انها مزالق اقدام العقول ومزالها واومى بقوله لغيرت اشياء
الى ما كان يرى فساده من احكام غيره في تلك المسائل وان اقدام عقولهم قد زلقت فيها عن سواء الصراط وقال اعلموا علما
يقينا ان الله لم يجعل للعبد وان عظمت حيلته واشتدت طلبته وقويت مكيدته اكثر ما سمي له في الذكر الحكيم
ولم يحل بين العبد في ضعفه وقلة حيلته وبين ان يبلغ ما سمي له في الذكر الحكيم والعارف لهذا العامل به اعظم
الناس راحة في منفعة والتارك له الشاك فيه اعظم الناس شغلا في مضرة ورب منعم عليه مستدرج بالنعمى ورب
مبتلى مصنوع له بالبلوى فزد ايها المستمع في شكرك وقصر من عجلتك وقف عند منتهى رزقك وفي هذا الفصل
لطائف لما قام البرهان على ان ما علم الله تعالى وجوده فهو واجب الوقوع وما علم عدمه فهو ممتنع الوقوع لا جرم لم يكن لكل من القوي والضعيف
من الرزق ونحوه الا ما علم الله تعالى وصوله اليه بقلم القضاء الالهي في الذكر الحكيم واللوح المحفوظ ولم يبلغ عظم الحيلة وقوة المكيدة بحيلته
اكثر مما سمي له ولا قصر الضعيف بضعفه عن بلوغ ما سمي له ولاجل ثبوت ذلك بالبرهان امرهم بتيقنه ورغبهم في علمه والعمل به بضمير
صغراه قوله فالعارف الى قوله في منفعة اما راحته فلعلمه ان ما كتب له لا بد ان يصل اليه فيترك لذلك شدة الاهتمام به والكدح
له ولما كانت راحته قلبية وبدنية كانت اعظم الراحات ولما كانت مع منفعة بما يصل اليه تاكد شرفها وكذلك نفر عن الشك في
ذلك وترك العمل به بقوله والتارك لهذا الشاك فيه الى اخره وهو ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فلا ينبغي له الشك فيه و
تركه وانما كان اعظم الناس شغلا لانه شغل قلبه وبدنه فيما لا فائدة فيه فيلزمه مضرة خالصة فان قلت فهذا ينافي الامر بالدعاء
وبالسعي في طلب الرزق كقوله تعالى فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ونحوه قلت قد بينا انه لا ينافي وذكرنا سر الدعاء و
فائدته وحاصله انه قد يكون الدعاء سببا لوجود الرزق فيعلم الله تعالى وجوده بواسطة سببه لا انا في بينها الثانية تنبيه اهل النعمة
والغنى واهل الابتلاء على وجوب شكر الله تعالى على حالتيهما اما اهل النعمة فنبههم بان نعمهم قد يكون استدراجا لهم ليشكروا الله
عليها كيلا ايستدرجهم بها واما اهل البلوى فنبههم بان بلواهم قد يكون صنعا من الله في حقهم ليعدهم بها ثواب الجزيل فيجب
عليهم شكر ذلك الصنع والمقدمتان صغريا ضميرين تقدير الاولى منهما بعض المنعم عليه مستدرج بالنعمى وتقدير الكبرى
وكل مستدرج بالنعمى يجب عليه ان يحترز بشكر نعمة الله عليه من الاستدراج بها وكذا تقدير الثانية وبعض المبتلى مصنوع

كلمات له مشتملة على المواعظ والنصائح

له بالبلوى وتقدير الكبرى وكل مصنوع اليه فيجب عليه شكر صنع الله في حقه ولذلك امر المستمعين مطلقا بزيادة الشكر مع ان فيهم المنعم
عليهم والمبتلى ثم امر بالتقصير عن العجلة في طلب الرزق والوقوف دون حد الافراط فيه على حد العدل وقال لا تجعلوا علمكم جهلا
علم م — ويقينكم شكا اذا علمتم فاعملوا واذا تيقنتم فاقدموا نهاهم ان يجعلوا علمهم بما امر علمه من احوال الاخرة جهلا اي في قوة الجهل ويقينهم
شكا اي في قوة الشك وعن نهيه لزمهم العمل على وفق ما علموه وتيقنوه ولذلك امرهم بالعمل على وفق علمهم والاقدام عليه على وفق
يقينهم وقال ع ان الطمع مورد غير مصدر وضامن غير وفي وربما شرق شارب الماء قبل ريه وكلما عظم قدر الشيء المتنافس
فيه عظمت الرزية لفقده والاماني تعمي اعين البصائر والحظ ياتي من لا ياتيه نفر عن الطمع في الدنيا والحرص في طلبها وعينها
وافتنانها بوجوه الاول ضمير صغراه قوله ان الطمع الى قوله وفي اي يورد الطامع موارد الهلكة ولا يصدره عنها واستعار لفظ
الضامن غير الوفي باعتبار انه يرغب في الطلب بدعوى البيه مع انه قد يكون كاذبا كمن يضمن شيئا ويخلف فيه وتقدير كبراه وكلما
كان كذلك فلا ينبغي ان يتبع ويوثق به الثاني قوله وربما الى قوله ريه وهو تنبيه على انه لا يجوز الاسترسال في طلب الدنيا بضمير كنى
عن صغراه بذلك وتقديرها ان المسترسل في طلبها قد يخترم وينقطع دون بلوغ امله فيها وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا ينبغي له
الاسترسال في طلبها الثالث تنفير عن المنافسة فيما عظم قدره من متاعها بضمير صغراه قوله وكلما الى قوله لفقده والرزية المصيبة وتقدير الكبرى
فقده م — وكلما عظمت الرزية لفقده فلا ينبغي افتناؤه اذ كان من ضرورته فناؤه الرابع نفر عن الاماني بضمير صغراه قوله والاماني تعمي اعين البصائر
وذلك انها تشغل الفكر بما لا يعني عن طلب ما يعني من الكمالات العقلية واستعار لفظ الاعين للافكار باعتبار ادراكهما وتقدير الكبرى
كلما كان كذلك وجب اجتنابه الخامس تنبيه على ترك طلب الحظ من الدنيا بقوله والحظ ياتي من لا ياتيه اي الحظ لمن كان له حظ يصل اليه وان
لم يسع في طلبه وهو في قوة صغرى ضمير وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فلا حاجة الى طلبه واتيانه وقال ع اللهم اني اعوذ بك ان تحسن
في لامعة العيون علانيتي وتقبح فيما ابطن لك سريرتي محافظا على رياء الناس من نفسي بجميع ما انت مطلع عليه مني فابدي للناس
حسن ظاهري وافضي اليك بسوء عملي تقربا الى عبادك وتباعدا من مرضاتك فصل واستعاذ بالله ان يجمع له حسن الظاهر
في عيون الناس مع قبح الباطن عند الله بالرياء والتصنع بالزهادة والعبادة الظاهرة لغاية طلب الدنيا ولامعة العيون اضافة للصفة
الى الموصوف اي العيون اللامعة ومحافظا حال وتقربا وتباعدا مصدران سدا مسد الحال ويحتمل نصبهما على المفعول وقال ع
لا والذي امسينا منه في غبر ليلة دهماء تكشر عن يوم اغر ما كان كذا وكذا الغبر البقايا الباقية والدهماء السوداء والتكشر التبسم
بحيث تبدو الاسنان والاغر الواضح ولفظ التكشر مستعار لليلة باعتبار اسفارها عن ضوء يومها فهي كالضاحكة واليمين في غاية
الفصاحة وعن مثلها ينفعل الحالف والسامع وقال ع قليل تدوم عليه ارجى من كثير مملول وارادة من الاعمال فان القليل الدائم
اكثر من الكثير المملول المنقطع واقوى اعدادا للنفس فكان انفع في الاخرة وقال ع اذا اضرت النوافل بالفرائض فارفضوها اي اذا
اخلت ببعض شرائط الفرائض وجب تركها وقد مر ذلك مشروحا وقال ع من تذكر بعد السفر استعد واردات المتذكر لبعد
طريق الاخرة يلزمه الاستعداد لها بالتقوى وقال ليس الروية مع الابصار وقد تكذب العيون اهلها ولا يغش العقل من استنصحه
التجربة م — هذا تنبيه على وجوب اعمال الفكر فيما ينبغي وان العقل هو مستند الحواس وهو الناقد والناصح الشفيق الذي لا يغش من استنصحه واستعار لفظ
الاستنصاح للرجوع اليه واعماله بصدق وتوجهه الى استخراج الاراء الصالحة ولفظ الغش لكذبه اي لا يكذب من استنصحه وجعله رائدا له
واما الحواس فقد تكذب بشهادتها واعلم ان البصر وغيره من الحواس لظاهرة لا حكم له واما الحكم ببعض المحسوسات على بعض فحكم العقل بواسطة
الخيال والوهم وكلما عرض في تلك الاحكام من الغلط فهو من اغلاط الوهم على ما تبين في موضعه ويكون قوله وقد تكذب العيون اهلها
اي قد يكذب بالاحكام الوهمية على مدركات العيون كالحكم بكون القطرة النازلة خطا مستقيما والشعلة التي تدار بسرعة كالدائرة ونحوه
وقال ع بينكم وبين الموعظة حجاب من الغرة استعار لفظ الحجاب لما يعرض للنفوس من الهيئات البدنية المغفلة عن النظر في العبر وتفهم
الموعظة والانتفاع بها وقال ع جاهلكم مزداد اي من الاثم مسوف اي بالتوبة وقال ع قطع العلم عذر المتعللين اي العلم بالله
وما بلغه الرسول صلى الله عليه وآله من البشارة والنذارة فان ذلك قاطع لعذر من عسى يقول انا كنا عن هذا غافلين كما قال تعالى رسلا مبشرين ومنذرين
للمعاجلة م — الاية وقال ع كل معاجل يسال الانظار وكل مؤجل يتعلل بالتسويف وهو توبيخ على ترك العمل الصالح والوجل وقال ع
ما قال الناس لشيء طوبى له الا وقد خبا له الدهر يوم سوء اي ما استحسن الناس من الدنيا شيئا الا وفي قوة الدهر اعداد لفساده
واهلاكه يوما ما ولا بد من خروج ما فيه بالقوة الى الفعل وقال ع وقد سئل عن القدر فقال طريق مظلم فلا تسلكوه وبحر عميق
القدر م — فلا تلجوه وسر الله فلا تتكلفوه اقول السؤال عن مهيته وكيفية وقوع الافعال بحسبه هذه المسئلة من مسائل العلم الالهي وفيها خبط
عظيم بين الحكماء والمتكلمين وقد نبهنا على ما هو الحق فيها فيما سبق لصعوبتها كان الخوض فيها مظنة الضلال والتيه في بحر لا ساحل
فيها م — له فلذلك نفر عن الخوض فيها بضمائر ثلثة احدها انها طريق مظلم وتقدير الكبرى وكل طريق مظلم فلا يجوز سلوكه ونتيجته قوله فلا تسلكوه

واستعار لفظ المظلم له باعتبار كونه كثير الشبهات لا يهتدى فيه للحق الثاني انه بحر عميق واستعار لفظ البحر بصفة العمق له باعتبار غزارة الافكار
فيه ونفاد بركراه وكل بحر عميق فلا يجوز ولوجه بنتيجه قوله فلا تلجوه الثالث انه سر الله فلا تتكلفوه ومنع من الخوض فيه وتقدير
كبراه وكلما كان كذلك فلا يجوز تكلف الخوض فيه ومعناه كل غامض من غوامض العلم لا يجوز كشفه الا لذوي الالباء وافراد العلماء فهو
من سر الله **وقال ع** اذا ارذل الله عبدا حظر عليه العلم والادب حظر العلم باعداده لغيره وسوء استعداده بحيث ينصرف عنه فلا
يكون له استعداده وظاهر ان الجهل من اشد الرذايل واصعبها داء وهو طرف التفريط من فضيلة العلم والادب كما سبقت الاشارة اليه غيره
وقال ع كان لي فيما مضى اخ في الله وكان يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه وكان خارجا عن سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا
يجد ولا يكثر اذا وجد وكان اكثر دهره صامتا فان قال بذ القائلين ونقع غليل السائلين وكان ضعيفا مستضعفا فان جاء
الجد فهو ليث غاد وصل واد ولا يدلي بحجة حتى ياتي قاضيا وكان لا يلوم احدا على ما يجد العذر في مثله حتى يسمع اعتذاره
وكان لا يشكو وجعا الا عند برئه وكان يفعل ما يقول ولا يقول ما لا يفعل وكان اذا غلب على الكلام لم يغلب على
السكوت وكان على ان يسمع احرص منه على ان يتكلم وكان اذا بدهه امران نظر ايهما اقرب الى الهوى فخالفه فعليكم بهذه
الاخلاق فالزموها وتنافسوا فيها فان لم تستطيعوها فاعلموا ان اخذ القليل خير من ترك الكثير **اقول** ذكر هذا الفصل
ابن المقفع في ادبه وقد نسبه الى الحسن بن علي عليه السلم وقد غلب نقع الغليل تسكين العطش وادلى بحجته ارسلها واحتج بها وبدهه الامر اتاه من غير تاهب
له والمشار اليه قيل هو ابو ذر الغفاري وقيل هو عثمان بن مظعون وقد وصفه باثنتي عشرة فضيلة احديها انه كان يستصغر الدنيا و
ينظر اليها بعين الاحتقار وظاهر ان ذلك يستلزم عظمة في عيون اهل الله الثانية انه كان خارجا عن سلطان بطنه وهو كناية عن خروجه من اسر
شهوته وخلاصه من رذيلة الفجور الى فضيلة العفة فكفت شهوته عما لا يجد يستلزم عدم رذيلة الحرص والحسد ونحوها وعدم اكثاره مما يجد
يستلزم نزاهته عن رذيلة الشره والنهم ونحوها الثالثة فضيلة العدل في الكلام والسكوت اي انه ينطق بالحكمة في موضعها واما غلبة
السكوت عليه فلقوة عقله كما قال عليه السلم فيما قبل اذا تم العقل نقص الكلام الرابعة انه كان ضعيفا مستضعفا اي فقيرا منظورا اليه
بعين الذلة والفقر وذلك من لوازم فضيلة التواضع الخامسة فضيلة الشجاعة عند الجد في الحرب والغضب لله وكنى عن ذلك بقوله
فاذا جاء الجد الى قوله واد واستعار لفظ الليث باعتبار سطوته وعدوانه ولفظ الصل باعتبار باسه ونكايته في العدو والمثل يضرب
به في الوادي في الشجاعة ونكاية السم السادسة انه لا يدلي بحجته حتى يجد قاضيا وهو من فضيلة العدل في وضع الاشياء مواضعها السابعة
كونه لا يلوم احدا على امر يحتمل العذر الا بعد سماع الاعتذار فان كان هناك عذر قبله وذلك من لوازم العدل والانصاف وفضيلة الثبات
واحتمال المكروه الثامنة كونه لا يشكو ما ينزل به من الامراض لتسليمه احكام الله ورضاه بها بل لعله يحكيها بعد برئه على سبيل الاخبار دون
الشكاية وانه كان يكتم مرضه كيلا يتكلف الناس زيارته فيشق عليهم ذلك التاسعة كان يطابق بفعله قوله ويحترز عن الكذب والخلف العاشرة
كان يترك المماراة والمجادلة والمغالبة في الاقوال ويعدل الى السكوت اذا غولب في القول وذلك عن فضيلة الصبر وقوة نفسه الغضبية
الحادية عشرة كان احرص على الاستماع منه على الكلام ترجيحا لجانب الاستفادة على الافادة والاول اهم من الثاني وذلك من فضيلة الحكمة — الحكمة لعله موقع السكوت والكلام ومن فضيلته
الثانية عشرة وكان اذا خطر بباله امران دفعة من غير سابقة فكر فيهما اوليهما مثلا كالتزويج وعدمه فكر في ايهما اقرب الى الهوى وقبل
الشهوة كالتزويج فخالفه الى تركه ولما كان غرض الفصل ان يقتدي السامعون بالفضايل المذكورة امرهم بلزومها والتنافس فيها
او في بعضها ان لم يمكن الكل ورغب في ذلك بقوله فاعلموا الى اخره وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان خيرا فينبغي لزومه والتنافس
فيه **وقال ع** لو لم يتوعد الله على معصيته لكان يجب ان لا يعصى شكرا لنعمه لما كان شكر النعمة بالاقوال والافعال الطاعة لها — يخضه
واجبا عقلا وجب ترك المعصية التي هو لازم للطاعة الواجبة لان لازم الواجب واجب ومقتضى الكلمة انه لو لم يتوعد الله على معصيته
لكان يجب تركها شكرا له اي لاجل شكره فكيف وقد توعد مع ذلك عليها فبالاولى ان يجب تركها **وقال ع** وقد عزى الاشعث
بن قيس عن ابن له يا اشعث ان تحزن على ابنك فقد استحقت ذلك منك الرحم وان تصبر ففي الله من كل مصيبة خلف يا اشعث ان — عزابنه
صبرت جرى عليك القدر وانت ماجور وان جزعت جرى عليك القدر وانت مازور سرك وهو بلاء وفتنة وحزنك و
هو ثواب ورحمة استند حزنه عليه السلم اولا بتحسين الحزن وانه في موضعه باعتبار ان الرحم يستحق من ذي رحمه ذلك ثم عقبه بما يدل — ابنك
على قبح الجزع والحزن وان الصبر به اولى وذلك من وجوه احدها قوله وان تصبر الى قوله خلف وهي متصلة صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما
كان في الله خلف عنه فالصبر عنه اولى والتقدير ان تصبر على مصيبتك فالصبر عليها اولى الثاني قوله ان صبرت الى قوله وانت ماجور اي على — كذلك
صبرك وهو صغرى ضمير ايضا تقدير كبراه وكل من جرى عليه القدر وهو ماجور على صبره فالصبر به اولى الثالث نفره عن الجزع بقوله
وان جزعت الى قوله مازور اي على جزعه واصله موزور وهمز لمناسبة القرينة الاولى وهو ضمير ايضا تقدير كبراه وكل من جرى عليه القدر
فهو مازور على جزعه دخل النار الرابع قوله سرك وهو بلاء وفتنة وهو تنفير عن افراط السرور به ووجه كونه بلاء ان الافراط في محبته

يستلزم

ج ٩ بر

يستلزم رذايل خلقية كالجبن عما ينبغي من الجهاد خوف مفارقته وكالبخل خوف فقره ونظر اله في عاقبته وكالحزن في امراضه واعراضه كما قال
صلى الله عليه واله الولد مجزنة مجبنة مبخلة وكل بعضه يستلزم رذيلة العقوق وقطع الرحم وصرف المال عنه في غير وجهه والحرج
ان يبتلي الله الوالد بولده ويطلب منه او يتوقف على حد العدل في حقه والواو في قوله وهو للحال وهو صغرى ضمير تقدير كبراه
وكلما كان كذلك فينبغي ان لا ياسف على ما فات من السرور الخامسة قوله وحزنك الى اخره تنفير عن الحزن عليه بما يلزم تركه من الصبر على
المصيبة به من ثواب الله ورحمته وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما حزن وهو ثواب ورحمة فينبغي ان يصبر عن الحزن عليه **وقال ع**
على قبر رسول الله صلى الله عليه واله ساعة دفن ان الصبر لجميل الا عنك وان الجزع لقبيح الا عليك وان المصاب بك لجليل
وانه قبلك وبعدك لجلل الجلل الامر الهين والامر العظيم وهو من الاضداد وانما كان الصبر غير جميل في المصيبة به والجزع
عليه غير قبيح لانه صلى الله عليه واله اصل الدين والهدى فيه فالجزع في المصيبة به يستلزم دوام تذكره المستلزم لدوام ذكر اخلاقه وسننه وسيرته
فكان غير قبيح من هذا الوجه ولان المصيبة به مصيبة عظيمة وهو اعظم نائب فيستحسن الجزع عليه واما الصبر فانه يؤول الى السلو عنه
والغفلة عنه فكان غير جميل من هذا الوجه وقد تعرض للفضيلة القبح من بعض الاعتبارات وللرذيلة الحسن من وجه وظاهر ان المصاب
به اعظم مصاب باحد من الناس وان كل مصاب باحد من قبله او بعده فهو سهل هين بالنسبة اليه وقيل اراد ان المصاب قبله اعظم
للمسلمين لعدمهم منه وبعده كذلك لاختلال امرهم وامر الدين بفقده والاول اظهر **وقال ع** لا تصحب المائق فانه يزين لك فعله
ويود ان تكون مثله ما المائق الاحمق ونفر عنه بضمير صغراه قوله فانه الى اخره وذلك لان الاحمق يعتقد كمال نفسه وحسن افعاله ووجوب
الاقتداء بها فهو يزينها ويحب لمن ان يكون مثله فيها ويدعوه الى ذلك وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فلا تجوز صحبته **وقال ع** — مصحبه ظ
وقد سئل عن مسافة ما بين المشرق والمغرب فقال مسيرة يوم للشمس وهو جواب واضح مقنع وغرض الخطابة الاقناع فاما تحقيق
ما بينهما باعتبار تعيين مساحة الارض او الفلك فامر يرجع الى علم الهيئة ولعله عليه السلم انما عدل عن الجواب به من ذلك لاستبعاد بعض
له ولا نقول انه ما كان يعلم ذلك **وقال ع** اصدقاؤك ثلثة واعداؤك ثلثة فاصدقاؤك صديقك وصديق صديقك وعدو عدوك
واعداؤك ثلثة عدوك وعدو صديقك وصديق عدوك الحكم بان صديق الصديق صديق وعدو العدو صديق من القضايا المظنونة
لاحتمال كون الصديق غير عالم بان لصديقه صديقا وكون العدو غير عالم بان لعدوه عدوا والفضلاء ان يعادوا ويصادقوا وكذلك الحكم
بان عدو الصديق وصديق العدو عدو للاحتمال المذكور **وقال ع** لرجل يسعى على عدو له بما فيه اضرار بنفسه انما انت كا
الطاعن نفسه ليقتل ردفه ووجه التشبيه قصده لاذى غيره بما يستلزم اذى نفسه **وقال ع** ما اكثر العبر واقل الاعتبار
اراد بالعبر محال الاعتبار وهو في معرض التوبيخ للسامعين على ترك الاعتبار **وقال ع** من بالغ في الخصومة اثم ومن قصر فيها ظلم ولا يستطيع
ان يتقي الله من خاصم نفر عن طرفي الافراط والتفريط في المجادلة والمخاصمة بما يلزم رذيلة الافراط فيها وهو الظلم من الاثم وطرف التفريط
فيها من رذيلة الانظلام واشار الى صعوبة الوقوف فيها على حد العدل بقوله ولا يستطيع الى اخره وهو كالتنفير عن اصل المخاصمة
لما انها مظنة الرذايل **وقال ع** ما اهمني ذنب امهلت بعده حتى اصلي ركعتين اي لم احزن من ذنب امهلني الله بعده الى ان اصلي
ركعتين وذلك لان الصلوة تكفر الذنب فاذا امهل الى ان يصليها لم يحزن بسببه وسئل كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم فقال كما يرزقهم
على كثرتهم قيل كيف ولا يرونه قال كما يرزقهم ولا يرونه شبه كيفية محاسبته تعالى للخلق على كثرتهم بكيفية رزقه لهم على كثرتهم وجعل هذا اصلا
في التشبيه لظهوره وعلم السائل به وكذلك تشبيه كيفية محاسبته لهم مع عدم رؤيتهم له بكيفية رزقه لهم من غير رؤيته ووجه الشبه في الموضعين
امكان ذلك منه تعالى لشمول قدرته وعدم حاجته في شيء الى شيء **وقال ع** رسولك ترجمان عقلك وكتابك ابلغ من ينطق
عنك استعار للرسول لفظ الترجمان للعقل باعتبار انه ينبئ عنه واما ان الكتاب ابلغ من ينطق عن صاحبه فلضبطه مراده فيه دون
لسان الرسول لانه ربما يؤدي الرسالة على غير وجهها سهوا او لغرض فيقع الخلل بسبب ذلك وربما كان فيها هلاك المرسل **وقال ع** ما المبتلى
الذي قد اشتد به البلاء باحوج الى الدعاء من المعافى الذي لا يامن البلاء اي انهما سواء في الحاجة الى دعاء الله فذلك لحاجته
الى الخلاص من بلائه وهذا لبقاء عافيته وامنه من خوف البلاء وهو حث لاهل العافية على دعاء الله لغرض الالتفات الى دوامها
مضده **وقال ع** الناس ابناء الدنيا ولا يلام الرجل على حب امه وهو توبيخ للناس على حب الدنيا ولفظ الابناء مستعار
لهم باعتبار تولدهم منها وميلهم اليها بالطبع وقوله ولا يلام الى اخره لوم لهم وهذا كما تقول لمن توبخه مثلا على اللوم ان طبيعتك اللوم
ولا لوم عليك فيما جبلت عليه **وقال ع** ان المسكين رسول الله فمن منعه فقد منع الله ومن اعطاه فقد اعطى الله رغب في اعطاء
المسكين بضمير صغراه ما ذكره واستعار له لفظ رسول الله باعتبار طلبه بامر الله وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك يجب اعطاؤه وارضاؤه
وقال ع ما زنى غيور قط اي لستره وذلك ان الغيور الحق اذا هم بالزنا تخيل مثل ذلك في نفسه من الغير فيعارض ما له داعية فيحجم عنه
وقال ع كفى بالاجل حارسا استعار له لفظ الحارس باعتبار ان الانسان لا يهلك ما دام اجله كالحارس **وقال ع** ينام الرجل على الثكل

كلمات له متضمنة ارشاد الناس

ولا ينام على الحرب قال السيد معنى ذلك انه يصبر على قتل الاولاد ولا يصبر على سلب الاموال واقول الحرب سلب الاموال وانما كان كذلك وان كان المال والولد محبوبين للطبع في استخلاص المال لنهوضهم والحرب دون الثكل وقال ع مودة الاباء قرابة بين الابناء والقرابة احوج الى المودة من المودة الى القرابة استعار لفظ القرابة للمودة المتاكدة بين الابناء فهو كالقرابة واخبر بها عن مودة الاباء اخبارا باللازم عن ملزومه اذ كانت صداقة الاباء والمودة بينهم تستلزم تاكدها بين الابناء وشدة اتصالهم ثم اشار الى تفضيل المودة على القرابة بكون القرابة اكثر حاجة الى المودة في الانتفاع بها بين الخلق والمودة اكثر استغناء عن القرابة في الانتفاع بها وقال ع اتقوا ظنون المؤمنين فان الله جعل الحق على ألسنتهم اي من لا يكاد يخطى لصفاء نفسه وكمال استعدادها للفكر الصحيح القريب من الحدس والانتقاش بنور الحق كما قال ع اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله فيفيض الله سبحانه صورة ذلك الحق على لسانه فينطق به وقوله فان الله صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فينبغي ان يتقى ظنه وهو تنبيه لمن عساه ينوي شرا للرجوع عنه خوف ظنون المؤمنين وقال ع لا يصدق ايمان عبد حتى يكون بما في يد الله تعالى اوثق منه بما في يده صدق الايمان بالشيء تصديقه ومن كماله حسن الرجاء لله والتوكل عليه حتى يكون اوثق بما في يد الله منه بما في يده وذلك ليقين وصول رزقه من الله وجزمه بذلك الاقوى من جزمه وتوثقه بما في يده لجواز تلفه وعدم ثباته وهي مرتبة عالية من مراتب التوكل وقال ع لانس بن مالك وقد كان بعثه الى طلحة والزبير لما جاء الى البصرة يذكرهما شيئا سمعه من رسول الله صلى الله عليه واله في معناهما فلوى عن ذلك فرجع اليه عليه السلام فقال اني انسيت ذلك الامر فقال ان كنت كاذبا فضربك الله بها بيضاء لامعة لا تواريها العمامة يعني البرص فاصاب انسا هذا الداء فيما بعد من وجهه فكان لا يرى الا مبرقعا اقول ما كان بعثه اليهما ليذكرهما به هو ما سمعه من رسول الله ص انه قال لطلحة والزبير انكما ستقاتلان عليا وانتما له ظالمان فلما بعثه الى ذلك صرفه ولوى وابى عن ذلك فرجع فدعا عليه واستجيبت دعوته وبيضاء في محل الجر من الضمير في بها وقال ع ان للقلوب اقبالا وادبارا فاذا اقبلت فاحملوها على النوافل واذا ادبرت فاقتصروا بها على الفرائض وقدم معنى اقبالها وادبارها وخص اقبالها بالنوافل لاتساعها بينها وللفرائض وقت الادبار وقال ع في القران نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم فنبأ ما قبلهم اخبار القرون الماضية وخبر ما بعدهم ذكر احوال الموت والقيامة والوعد والوعيد وحكم ما بينهم بيان الاحكام الخمسة المتعلقة بافعالهم وهو في معرض مدح القران والحث على قراءته وتفهمه وقال ع ردوا الحجر من حيث جاء فان الشر لا يدفعه الا الشر فالحجر كناية عن الشر ورده من حيث جاء كناية عن مقابلة الشر بمثله ورغب في ذلك بضمير صغراه قوله فان الشر الى اخره وتقدير الكبرى وكل ما لا ينقطع الا بالشر فواجب ان يقطع به وليس هذا امرا عاما لامره ع بالحلم في مواضع كثيرة وقال ع لكاتبه عبيد الله بن ابي رافع الق دواتك واطل جلفة قلمك وفرج بين السطور وقرمط بين الحروف فان ذلك اجدر بصباحة الخط كان ابو رافع مولى لرسول الله ص والقة الدواة ولقتها اصلحها بالمداد وجلفة القلم سنانه والقرمطة بين الحروف تقريب بعضها من بعض والصباحة الحسن وفائدة القيد الاول ظاهرة وفائدة الثاني ان الجلفة الطويلة تقبل مدادا اكثر فيستمر القلم في كتابة كلمات كثيرة على نهج واحد من غير تقطيع بين المدات بخلاف الجلفة القصيرة فان مدادها اقل والمقاطع بين مداتها اكثر فيكثر التفاوت بين الكلمات في اواخر كل مدة واوائل التي بعدها وفائدة الثالث ظهور الفصل بين السطور وتميز بعضها عن بعض وفائدة الرابع كون الكلمة حسن الهيئة والحسن لها اقرب نمطا ولعل بعض هذه القيود كلها شرط في حسن بعض اجناس الخط المحدث بعده ورغب في ذلك بقوله فان ذلك اي فان هذه الشرائط وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان ادخل بصباحة الخط ففعله اولى وقال انا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجار قال السيد ومعنى ذلك ان المؤمنين يتبعونه والفجار يتبعون المال كما يتبع النحل يعسوبها وهو رئيسها اقول استعار لفظ اليعسوب ووجه المشابهة ما ذكره السيد ره وقال له بعض اليهود ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فقال له انما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت ارجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون اراد انا لم نختلف في نبوته وتصديقه ذلك وانما وقع خلافنا عنه اي بسبب شيء بعضه نقل عنه من كتاب او سنة على من لا يعلم ذلك منا واما انتم فقد اختلفتم في ان لكم صانعا ام لا حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها وذلك يستلزم التشكك منكم في نبوة نبيكم بالاولى وقيل له ع باي شيء غلبت الاقران فقال ما لقيت احدا الا اعانني على نفسه قال السيد ره يومي عليه السلام الى تمكن هيبته في القلوب اراد ان سابق هيبته وتخيل الاقران ما جرت به عادته من الظفر بامثالهم وقتلهم يوجب لنفوسهم انفعالات وضعفا عن مقاومته وذلك مما يعينه عليهم وقال ع لابنه محمد ره يا بني اني اخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه فانه منقصة للدين مدهشة للعقل داعية للمقت امره بالاستعاذة من الفقر لما فيه من المكاره الثلثة اما كونه

منقصة

جواب لسائل سأله عن معضلة

منقصة للدين فللاشتغال بهمه وتحصيل قوام البدن عن العبادة وكونه مدهشة للعقل لحيرته وضيق الصدر به وكونه داعية لمقت الخلق لصاحبه وعيبه ورغب في الاستعاذة منه بضمير صغراه قوله فان الفقر الى اخره وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فيجب الاستعاذة بالله منه وقال لسائل سأله عن معضلة سل تفقها ولا تسأل تعنتا فان الجاهل المتعلم شبيه بالعالم وان العالم المتعسف شبيه بالجاهل المتعنت المعضلة المسئلة المشكلة والتعنت طلب الامر الشاق على من يطلب منه والتعسف الاخذ على غير الطريق وقد كان فهم من السائل ان غرضه الاعنات فاعرض عن جوابه الى تاديبه وارشاده الى ما ينبغي من وضع السؤال وغرضه وهو التفقه دون التعسف وحصول الفائدة بالسؤال وغرضه وهو التفقه دون التعنت لحصول الفائدة بالسؤال الاول وتفقها وتعنتا مفعولان له او مصدران سدا مسد الحال ورغب في السؤال على وجه التعلم بضمير صغراه قوله فان الجاهل المتعلم شبيه بالعالم ووجه الشبه شركتهما في طلب العلم وقصده وتقدير الكبرى وكل من كان شبيها بالعالم فينبغي ان يسلك مسلكه ثم نفر عن سؤاله عن غير طريق الحق في السؤال والعدل به الى غير المقصود الاصلي بضمير ثان صغراه قوله فان العالم الى قوله بالجاهل ووجه الشبه كون ذلك العالم يضع سؤاله في غير موضعه ويطلب ما لا ينبغي كالجاهل بوضع الاسولة ومواقعها وتقدير الكبرى وكل من كان شبيها بالجاهل فينبغي ان يجتنب طريقته للخلاص من هذا الشبه وقال ع لعبد الله بن العباس ره وقد اشار عليه بشيء لم يوافق رأيه لك ان تشير علي وارى فاذا عصيتك فاطعني روي انه اشار عليه عند انصرافه من حرب الجمل وقد بايعه طلحة والزبير قال يا امير المؤمنين ان هذا امر عظيم نخاف تخاذل الناس فيه فاكتب لطلحة بولاية البصرة وللزبير بولاية الكوفة واكتب لمعوية وذكره القرابة والصلة واقره على ولاية الشام حتى يتابعوا [illegible] على سنتك وطاعتك [illegible] فقال ع معاذ الله ان افسد ديني بدنيا غيري ولك يا ابن عباس ان تشير علي مفعول الرأي للعام بما لك نظر في وجه المصلحة واوجب طاعته نفسه لانه الامام ولانه افضل رأيا فاذا راى المصلحة في شيء من ابرامه ورد انه لما ورد الكوفة قادما من صفين مر بالشباميين فسمع بكاء النساء على قتلى صفين وخرج اليه حرب بن شرحبيل الشبامي وكان من وجوه قومه فقال له اتغلبكم نساؤكم على ما اسمع الا تنهونهن عن هذا الرنين واقبل يمشي معه وهو ع راكب فقال له ارجع فان مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلة للمؤمن الشبام بكسر الشين حي من العرب والواو حال والاستفهام للانكار دخل على النفي وقد علمت ما في الجزع من الرذيلة فلذلك نهى عنه ولانه يمنعهن الرنين والمنع عن الجزع وهو في محل الحاجة ونفره عن المشي معه بضمير صغراه قوله فان مشي مثلك الى اخره وتقدير الكبرى وكلما كان فتنة ومذلة وجب تركه وقال ع وقد مر بقتلى الخوارج يوم النهروان بؤسا لكم لقد ضركم من غركم فقيل له من غرهم يا امير المؤمنين فقال الشيطان المضل والانفس الامارة بالسوء غرتهم بالاماني وفسحت لهم بالمعاصي ووعدتهم بالاظهار فاقتحمت بهم النار البؤس الشدة ويبهم من تفسيره لمن ضرهم وغرهم بالشيطان المضل والانفس الامارة بالسوء ان الشيطان قد يراد به النفس الامارة وان العطف بينهما يقتضي التغاير في العبارة والاماني التي غرتهم بها هي اماني الغلبة والقهر وفسحها لهم في المعاصي ترخيصها لهم وتزيينها وكذلك ما وعدتهم به من اظهارها لهم على من غالبهم وظاهر ان ذلك مستلزم لدخول النار ولفظ الاقتحام مستعار لسرعة ادخالها لهم النار وقال اتقوا معاصي الله في الخلوات فان الشاهد هو الحاكم امر بالخشية من معاصي الله ونفر عنها بضمير صغراه قوله فان الشاهد هو الحاكم وتقدير كبراه وكل من كان الشاهد عليه هو حاكمه وجب عليه ان يتقيه وقال ع لما بلغه قتل محمد بن ابي بكر ره ان حزننا على قدر سرورهم به الا انهم نقصوا بغيضا ونقصنا حبيبا قد بينا فيما سلف مكانه منه ع وقوله فان حزننا عليه على قدر سرورهم به اي بفقده اراد انه يناسبه في الشدة واشار الى الفرق بينهما بزيادة نقصانه منهم ونقصانه منه وذلك في معرض التالم لفقده وقال العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن ادم ستون سنة اعذر الله بالعذر واعذر الله اليه امهله لان اباه المدة المذكورة التي هي مظنة تحصيل الزاد ليوم المعاد لان ما بعد الستين تضعف فيه القوى النفسانية والبدنية وتكل عن العمل فمن قصر الى تلك الغاية فقد توجه اللوم عليه وانقطعت حجته بالاعذار اليه وقال ما ظفر من ظفر الاثم به والغالب بالشر مغلوب هو تنفير عن الظلم والبغي وذلك ان الظافر الحق هو من قهر خصمه على وجه العدل فمن لا يكون كذلك يلزمه الاثم ويقهره عند الله الاثم فيكون مغلوبا بظلمه فهو في صورة غالب واستعار وصف الظفر للاثم في ربقة الاسلام الاثم واحاطته به وقال ع ان الله سبحانه فرض في اموال الاغنياء اقوات الفقراء فما جاع فقير الا بما منع غني والله تعالى سائلهم عن ذلك اراد بذلك الفرض الزكوة وظاهر ان جوع الفقير انما يكون بما يمنعه الغني من القوت او ما هو وسيلة اليه ورهب الاغنياء بقوله والله سائلهم عن ذلك وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من سائله الله فينبغي ان يعد جواب سؤاله وقال ع الاستغناء عن العذر اعز من الصدق به اراد ان تركك ما تحتاج فيه الى العذر فتستغني بتركه عن العذر اعز عليك وانفع لك من ان تاتيه ويكون لك عذر صادق ويحتمل ان يريد بقوله اعز اي اكثر عزة لك اذ الاتيان بما يحتاج الى ذلك ومهانة وقال ع ان اقل ما يلزمكم لله ان لا تستعينوا بنعمه على معاصيه وذلك ان العدل ان تستعينوا بنعمه

بنعمه على طاعته فان لم تفعل ذلك فلا اقل من ان تستعملها في الامور المباحة دون الاستعانة بها على معصيته فان ذلك قبيح بعد ... وقال ع
ان الله سبحانه جعل الطاعة غنيمة الاكياس عند تفريط العجزة طاعته نعم غنيمة الاكياس باعتبار استلزامها للنعيم المقيم في الآخرة
وسبب الغنيمة غنيمة والاكياس هم الذين استعملوا فطنهم وحركاتهم في تحصيل ما ينبغي من علم وعمل وخصهم الله سبحانه بهذه الغنيمة عند
تفريط العجزة وهم المقصرون عما ينبغي لهم وهو في معرض ذمهم على تقصيرهم بالغ المشبه للتحريض **وقال ع** السلطان وزعة الله في ارضه
الوزعة الوازع وهو الرادع المانع اي ان الله تعالى وضعه في ارضه ليمنع به ما يريد منعه واراد السلطان العادل **وقال ع** وقد قال في
صفة المؤمن المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه اوسع شيء صدرا واذل شيء نفسا يكره الرفعة ويشنأ السمعة طويل غمه بعيد
همه كثير صمته مشغول وقته صبور شكور مغمور بفكرته ضنين بخلته لين العريكة اصلب من الصلد وهو اذل من العبد يشنأ بغض
وذكر في معرض الترغيب والمدح ستة عشر وصفا احدها ان بشره في وجهه وذلك من تمام فضيلة التواضع ولين الجانب الثاني
وحزنه في قلبه وذلك من خشية الله ونظره الى ما عسا فرط في جنب الله الثالث وسع صدره وقد علمت ان سعة الصدر فضيلة
للقوة الغضبية وقد يعبر عنها برحب الذراع اذ انه مستكمل لهذه الفضيلة الرابع واذل شيء نفسا اي لتواضعه لله ونظر نفسه الى
محلها ومقدارها من الحاجة الى الله وصدرا ونفسا تمييزان الخامس كراهيته للرفعة لانها مبدا الرذائل كالعجب والكبر وكذلك بغضه
للسمعة احترازا من تلك الرذائل السادس طول غمه لنظره دائما الى ما بين يديه من الموت وما بعده السابع وبحسب ذلك كان بعد همته
وعلوها عن دنايا الدنيا ونظره الى المطلوب الاكمل من السعادة الاخروية الباقية الثامن كثير صمته وذلك لكمال عقله فهو لا ينطق
الا بما يحتاج اليه مما فيه حكمة وصلاح التاسع قد شغل وقته اي بعبادة ربه العاشر كونه شكورا اي كثير الشكر لله الحادي عشر صبورا اي على
بلاء الله الثاني عشر مغمور بفكرته في ملكوت السموات والارض واستنباط آيات الله وعبره منها الثالث عشر ضنين بخلته لتربصه
موضع الخلة واهلها الذين هم اخوان الصدق في الله وهم قليلون فلا يضعها كيف اتفق ومع كل من طلب مودته وخلته ويحتمل ان
يريد انه اذا خال احدا ظن بخلته ان يضيعها او يهمل خليله وروي بفتح الخاء الخلة الحاجة اي اذا عرضت له حاجة ضن بها ان
يسال احدا فيها الرابع عشر سهل الخليقة اي لا جفاوة في طباعه ولا خشونة الخامس عشر لين العريكة وهو كناية عن سهولة انقياده لما
يراد منه واصل العريكة من الاديم يكون لينا عند العرك من الدباغ سهلا على الدابغ السادس عشر نفسه اصلب من الصلد لشجاعته
وثباته في طاعة الله وهو اذل من العبد لتواضعه ومعرفته بقدره عند قدرة باريه والواو للحال **وقال ع** لو رأى العبد الاجل
ومسيره لابغض الامل وغروره استعار لفظ المسير للاجل وهو زمان الحيوة باعتبار تقضي اجزائه وانتهائه بتقضيها كما تقطع اجزاء
المسافة وينتهي الى غايته بتقضيها ويحتمل ان يريد بالاجل غاية الحيوة واستعار لفظ المسير لدنوها المعقول منه واراد انه
لو كان الاجل بصورة سائر محسوس وشاهد العبد سيره الى الموت وعلم غايته لقطع آماله الدنيوية ولم يغتر بها **وقال ع** لكل
امرء في ماله شريكان الوارث والحوادث ونفر عن ادخار المال بذكر الشريكين المكروهين **وقال ع** الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر شبه من يدعو
الله ولا يعمل له بالرامي بغير وتر ووجه الشبه عدم امكان الانتفاع ونحوه قول الرسول ص يحمق الناس من ترك العمل وتمنى على الله **وقال ع**
العلم علمان مطبوع ومسموع ولا ينفع المسموع اذا لم يكن المطبوع اراد بالمطبوع العقل بالملكة وهو الاستعداد بالعلوم الضرورية
للانتقال منها الى العلوم المكتسبة وبالمسموع ما يسمع من العلماء فان من لا يكون له ذلك الاستعداد لا ينتفع بما يسمعه من العلوم ولا يتمكن من
اكتسابها وقيل اراد بالمطبوع ما يعلم من الاصول بطبيعة العقل كالتوحيد والعدل وبالمسموع العلوم الشرعية التي هي فروع العقلية
اذ لا ينتفع بفرع من دون اصله **وقال ع** صواب الراي بالدول يقبل باقبالها ويذهب بذهابها اي ان الدولة مستلزمة لصواب الراي اذ كان
من تمام السعادة المفيضة للدول وان يلزمها راي صواب يكون به تدبيرها وتلك السعادة والدولة معدة لاختيار اصلح الاراء وافادته
البر فهو يقبل باقبالها لاعدادها له وعند ذهابها يذهب الراي الصواب وان عد في الظن صوابا **وقال ع** العفاف زينة الفقر و
الشكر زينة الغنى العفة فضيلة القوة الشهوية وظ كونها للانسان وهو مع الفقر اجمل فانما يتعدل الفقير بها ومحبته في قلوب الخلق
ويكسبه المدح والثناء منهم ويظهر اثرها عليه وان فقدها الفقير خسر الدنيا والآخرة وكذلك الشكر من فضائل القوة الشهوية
ايضا ويقبح بالغني مقابلة نعم الله بالكفران فزينة غناه وتمامه اذن شكره له **وقال ع** يوم العدل على الظالم اشد من يوم الجور على
المظلوم يوم العدل يوم القيمة ويوم الجور وقت الظلم وقد مر بيانه **وقال ع** الاقاويل محفوظة والسرائر مبلوة وكل نفس
بما كسبت رهينة والناس منقوصون مدخولون الا من عصم الله سائلهم متعنت ومجيبهم متكلف يكاد افضلهم رايا يرده
عن فضل رايه الرضى والسخط ويكاد اصلبهم عودا تنكاه اللحظة وتستحيله الكلمة الواحدة معاشر الناس اتقوا الله فكم
من مؤمل ما لا يبلغه وبان ما لا يسكنه وجامع ما سوف يتركه ولعله من باطل جمعه ومن حق منعه اصابه حراما واحتمل
به آثاما فباء بوزره وقدم على ربه آسفا لاهفا مدخول ومدخل اي في عقله دخل وعلة وتنكاه اي تؤثر فيه وتستحيله تغيره وما

بنقله يعج به ويحصل عليه والالهف المتحسر والفصل في معرض الوعظ فنبه السامعين اولا على ان اقوالهم محفوظة وسرائرهم مختبرة بما كلفوا
به من طاعة الله والسرائر ما اضمر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وعن معاذ بن جبل قال سالت النبي ص عن قوله تعالى يوم تبلى
السرائر ما هذه السرائر التي تبلى يوم القيمة فقال سرائركم هي اعمالكم من الصلوة والصيام والزكوة والوضوء والغسل من الجنابة وكل
مفروض لان الاعمال كلها سرائر خفية فان شاء قال صليت ولم يصل وان شاء قال توضأت ولم يتوضأ واستعار لفظ الرهينة
للنفس باعتبار وثوقها في الاسر بما كسبت من الشر كما يوثق الرهن بما عليه من مال واللفظ من القرآن المجيد وغرض ذلك التنبيه على
العدل في القول واضمار الخير واكتساب الاعمال الصالحة ثم نبه على ما فيهم من النقصان الطبيعي المحتاج الى التكميل المكتسب ووصف
سائلهم بان سؤاله خارج عما ينبغي لان غرضه به الامتحان دون التعلم ومجيبهم بالتكلف في جوابه لقلة علمه وافضلهم رايا بانه يكاد
ان يرده عن فضل رايه ما يعرض له من امر يرضى به او يسخط له ويرجع عنه وان كان يشاهد فيه المصلحة واصلبهم عودا اي اشدهم
في الله واقواهم في طاعته يؤثر فيه اللحظة اي من ينظر اليه نظر الهيبة ويستحيله الكلمة الواحدة منه فيغيره عن الحق ويجوز ان يريد
اللحظة والكلمة ممن يستهويه للدنيا ولذلك ثم امرهم بتقوى الله ونفر عن تقبيح الامل الجاذب الى التقوى بذكر كثرة من يؤمل ما لا
يبلغه ويبني ما لا يسكنه ويجمع ما لا بد من تركه مع احتمال ان يكون من باطل جمعه ومن حق منعه اهله فاصابه حراما وحمل ثقل وزره
وقدم به على ربه حزينا متحسرا على ما فرط في جنبه فقد خسر الدنيا بموته والآخرة بتفريطه في اكتساب خيرها وذلك هو الخسران
المبين **وقال ع** من العصمة تعذر المعاصي اي من اسباب العصمة وذلك ان الانسان يتعود بتركها حين لا يجدها حتى يصير ذلك
ملكة له وهي المراد بالعصمة **وقال ع** ماء وجهك جامد يقطره السؤال فانظر عند من تقطره استعار لفظ ماء الوجه للحياء ونوره على
الوجه الذي يذهب عن وجه السائل بسؤاله ورشحه بذكر الجمود والتقطير ويحتمل ان يكون كناية عما يعرض من العرق عند خجل السائل بسؤاله
واستحيائه وغرض الكلمة وضع السؤال موضعه من اهل المروة والبيوتات وروي وجهك ماء جامد فيكون استعارة الماء في الوجه
باعتبار انه فكانه ذاب وقطر كالماء الجامد **وقال ع** الثناء باكثر من الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق عي او حسد
فالملق هو التلطف الشديد بالقول والافراط في المدح ونفر عن طرفي الافراط والتفريط في الثناء فالافراط بما يلزمه من رذيلة
الملق والتفريط بما يلزمه من العي عن المدح او الحسد بالفضيلة الممدوح عليها **وقال ع** اشد الذنوب ما استهان به صاحبه
وذلك ان استهانته به يستلزم انهماكه فيه واستكثاره منه وعدم الاقلاع عنه حتى يصير ملكة بخلاف ما يستعظمه من الذنوب
وقال ع اربع عشرة كلمة لمن نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره لانه انما يذكر عيب الغير غالبا في معرض الافتخار عليه بالبراءة
من ذلك العيب فاذا نظر الى مثله من نفسه شغله اعتبار ذلك النقصان فيها عن الاشتغال بنقصان غيره والتطهير منه الثانية ومن رضي
برزق الله لم يحزن على ما فاته وذلك ان الحزن على ما فات مستلزم لعدم القناعة والرضى بالحاصل من الرزق فعدم ذلك اللازم مستلزم
لعدم ملزومه وهو الحزن على الفائت الثالثة ومن سل سيف البغي قتل به وهو كناية عن الظلم وظاهر ان الظلم سبب لهلاك الظالم وقد
سبق بيانه مرارا الرابعة ومن كابد الامور عطب اي من قاساها بنفسه استعد بها للهلاك الخامسة ومن اقتحم اللجج غرق استعار
لفظ اللجج للامور العظام كالحروب وتدبير الدول ولفظ الغرق للهلاك السادسة ومن دخل مداخل السوء اتهم لانها مظنة التهمة و
دخولها من الامارات الموجبة للظن كمعاشرة الفساق ونحوه السابعة ومن كثر كلامه كثر خطاؤه لانه قد مر ان كمال العقل مستلزم
لقلة الكلام فيكون كثرة الكلام مستلزما لنقصان العقل المستلزم لكثرة الخطاء والقول من غير روية الثامنة ومن كثر خطاؤه
قل حياؤه لانك علمت ان الحياء هو ان يحسن الارتداع عن الامور التي يقبح تعاطيها والاقدام عليها لملاحظة ما ينتج من ارتكابها من
قبح الاحدوثة والاقدام على الخطاء بكثرة الكلام ينافي الارتداع عن تلك الامور وهو من جملتها التاسعة ومن قل حياؤه قل ورعه
لان الورع هو لزوم الاعمال الجميلة والوقوف على حدودها دون الرذائل والحياء منها فقلة الحياء مستلزمة لقلة الورع وربما فسر الورع
ورعاية الورع بالوقوف عن المحارم وظاهر ان قلة الحياء ايضا مظنة للاقدام على المحارم فكانت مظنة لقلة الورع فاقام الشيء مقام
مظنته التي وحكم به العاشرة ومن قل ورعه مات قلبه اي لما كانت الفضيلة هي حيوة القلب استعار لعدمها او قلتها فيه لفظ الموت
باعتبار عدم انتفاعه بها كخروج الميت عن الانتفاع بالحيوة الحادية عشرة ومن مات قلبه دخل النار لان المزحزح له عنها الى الجنة
هو استكماله بالفضيلة فاذا فقدها فالنار موعده والكلام في صورة قياس مفصول نتيجته ان من كثر كلامه دخل النار وهو تنفير
عن كثرة الكلام الثانية عشرة ومن نظر في عيوب الناس فانكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الاحمق بعينه ووجه الحمق ان كونه منكرا لها
من غيره يستلزم كون الراي الحق ان لا يفعلها ورضاه بها لنفسه مخالفة للراي الحق له وخروج عن المصلحة لنفسه بذلك وهو نقصان
ظاهر في العقل والالف واللام في الحمق يفيد حصره في المشار اليه ولذلك اكده بعينه الثالثة عشرة من اكثر من ذكر الموت رضي
من الدنيا باليسير لان الغرض من طلب الكثير منها الاستمتاع والالتذاذ به وذكر الموت كاسر لذلك الالتذاذ ومنغص له الرابعة عشرة

في صفات الظالم وعلاماته

ومن علم ان كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وذلك ان العالم بذلك يرتب قياسا هكذا الكلام عمل والاعمال مؤاخذ عليها الا فيما يعني

منها ينتج ان الكلام مؤاخذ عليه الا فيما يعني منه وذلك يوجب الاقتصار على ما يعني منه **وقال** للظالم من الرجال ثلاث علامات

يظلم من فوقه بالمعصية ومن دونه بالغلبة ويظاهر القوم الظلمة فظلمه لمن فوقه عصيان الله ويعد به لحدوده العادلة والثانية

مستلزمة للاولى والثالثة مستلزمة للاولين **وقال** ع عند تناهي الشدة تكون الفرجة وعند تضايق حلق البلاء

يكون الرخاء تناهي الشدة مستلزم للخلاص منها وهو المراد بالفرج وكذا تضايق الحلق هو وقت الفرج الى الله والرجاء الحق

له وذلك معد للفرج منه واستعار لفظ الحلق للامور الشديدة المحيطة بالانسان لا يجد عنها محيصا ملاحظة لشبهها بالحلقة ذات البطان

والحزام **وقال** ع لبعض اصحابه لا تجعلن اكثر شغلك باهلك وولدك فان يكن اهلك وولدك اولياء الله فان الله لا يضيع

اولياءه وان يكونوا اعداء الله فما همك وشغلك باعداء الله نهى عن كثرة الاشتغال بالاهل والولد لصرف ذلك عن طاعة الله

ونبه على عدم ذلك جوازه بما هو في قوة قياس شرطي منفصل تقديره ان اهلك لا يخلوا اما ان يكونوا من اولياء الله او اعدائه وعلى

التقديرين لا يجوز الاشتغال بهم اما الاولياء فلان الله تعالى يكفيهم مؤنتهم فلا حاجة بهم الى اهتمام غيره واما اعداؤه فلا يجوز الاهتمام

بحالهم وما في قوله فما همك استفهام على سبيل التقريع والتوبيخ **وقال** ع اكبر العيب ان تعيب ما فيك مثله تقدم ان ذلك

حمق وهو اكبر العيوب وهنا بحضرته ع رجل رجلا بغلام ولد له فقال له ليهنئك الفارس فقال ع لا تقل ذلك ولكن قل شكرت الواهب

وبورك لك في الموهوب وبلغ اشده ورزقت بره وهذا ارشاد منه للتهنئة بالولد فيها اربع فوائد احدها انه تذكير الواهب ليشكر

له والثانية والثالثة استنزال البركة منه بالدعاء فيما وهب له الثالثة الدعاء للموهوب بالبقاء الى الاشد وهو كمال القوة

لغاية الانتفاع به الرابعة الدعاء بثمرته والانتفاع به وهي ان يرزق بره ونفعه وبنى رجل من عماله بناء فخما فقال اطلعت الورق رؤوسها

ان البناء ليصف لك الغنى العظيم وكنى بطلوع الورق لرؤوسها عن ظهور اثرها في البناء ملاحظة لشبهها بالحيوان في ظهوره

وكذا استعار لفظ الوصف ونسبه الى البناء باعتبار انه يخبر عن الغنى كما يخبر الواصف عن موصوفه وقيل له ع لو سد على رجل

باب بيت وترك فيه من اين كان يأتيه رزقه فقال من حيث يأتيه اجله قاس الرزق على الاجل لاشتراكهما في مبدا واحد وهو

تقدير الصانع ثم واشار الى ذلك بقوله من حيث وعزى ع قوما عن ميت مات لهم فقال ان هذا الامر ليس بكم بدا ولا اليكم انتهى وقد

كان صاحبكم هذا يسافر فعدوه في بعض سفراته فان قدم عليكم والا قدمتم عليه وعد وده اي افترضوا انه كذلك والتعزية فصيحة

جزيلة المعنى مفيدة للاقناع والسلو **وقال** ع ايها الناس ليركم الله من النعمة وجلين كما يراكم من النقمة فرقين انه من وسع عليه في

يده فلم ير ذلك استدراجا فقد امن مخوفا ومن ضيق عليه في ذات يده فلم ير ذلك اختبارا فقد ضيع مأمولا الاستدراج الاخذ على غرة وامر بالوجل من نعم الله حال افاضتها خوف الاستدراج بها كما

يخاف من النقمة وذلك ان النعمة بلاء يجب مقابلته بالشكر كما ان النقمة بلاء يجب مقابلته بالصبر والغرض الحث على فضيلتي الشكر والصبر

وحذر من الركون الى النعمة والغفلة فيها عن الله بقوله انه الى قوله امن مخوفا وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من امن مخوفا فهو مغرور

وكذا حذر الفقير ان يغفل عن كون فقره بلاء واختبارا ويعده كذلك بما يلزم ذلك من تضييع المال وذلك انه يستعد باعتقاد انه

اختبار من الله للصبر عليه ويؤمل منه نعم الاجر الجزيل في الاخرة واذا لم يعتقد ذلك بطل استعداده به فقد ضيع مأمولا **وقال**

يا اسرى الرغبة اقصروا فان المعرج على الدنيا لا يروعه منها الا صريف انياب الحدثان ايها الناس تولوا من انفسكم تاديبها

واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها الضراوة الجراة على الصيد والولوع به والضراية بالفتح الغنم والضرايب بالكسر مصدر ضري به والثلث

لنغ وردت بها الروايتين واستعار لفظ الاسرى لمن ملكته رغبته في الدنيا وحبها وامرهم بالاقصار عن الافراط في طلبها ونفرهم

عن التعريج والانعطاف عليها بقوله فان المعرج الى قوله والحدثان واستعار لفظ الصريف والانياب ملاحظة لشبهه الموت عند قدومه

بالبعير الهائج ثم ايها بالناس وامرهم ان يتولوا من انفسهم تاديبها ورياضتها والتوقيف بها على حد العدل من الحركات والافعال وان يعدلوا

عن جراتها واقدامها على الانهماك في المشتهيات وقد عرفت معنى الرياضة **وقال** ع لا تظنن بكلمة خرجت من احد سوءا وانت تجد

لها في الخير محتملا اي ما يمكن تحمل الكلام الخير مجالا ومحملا فلا تظنن به سوءا فان النفوس المبتلية اقرب الى الله من غيرها واولى بالحال و

وقال اذا كانت لك الى الله سبحانه حاجة فابدأ بمسألة الصلوة على النبي ص ثم اسأل حاجتك فان الله اكرم من ان يسأل حاجتين

فيقضي احديهما ويمنع الاخرى امر بتقديم سؤال الصلوة على النبي ص في طلب الحاجة للاستعداد به ورغب فيه بقوله فان الله سبحانه

الى اخره اي ان المسألة الاولى مجابة من الله بالاتفاق فيجب من كرمه اجابة الثانية وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان اكرم من ذلك

فينبغي ان يسأل السائلين لمقتضى الحاجة **وقال** ع من ضن بعرضه فليدع المراء وذلك انه داعية تور ان القوة الغضبية من المتماريين

ومبدء المشاتمة والمسابة **وقال** ع من الخرق المعاجلة قبل الامكان والاناة بعد الفرصة الخرق الحمق ومعاجلة طلب الحاجة

والاسراع اليها قبل وقت امكانها افراط في طلبها والاناة فيها اذا امكنت تفريط فيه وهما مذمومان وصاحبهما واضع للطلب غير موضعه

وهو محو

في ذم الدنيا ومدح تاركها

وهو محفوظ ونقصان في عقل وجوه التدبير والحق العدل وهو وضع الطلب في وقته لا مكانه لفرضه **وقال** لا تسأل عما لا يكون

ففي الذي قد كان لك شغل امر بالسلو عما لا يكون من زيادة رزق ونحوه من المطالب الدنيوية بما قد كان ووقع من المطالب التي اعطيها الانسان

ورغب فيما امر به من السلو بقوله ففي الذي الى اخره اي ففي ذلك شغل لك عما لم يقع من غيره واراد الشغل بضبط ما في يده من النعم وما ينبغي

من الاشتغال بشكرها واستعمالها في طاعة الله وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان كذلك فينبغي ان يشتغل به عما وراءه ولا يطلب الزيادة

عليه **وقال** ثلث كلمات احديها الفكر مراة صافية واستعار لها لفظ المراة باعتبار انه يرى به المعقولات كما يرى الاشباح في المراة

وقد سبق بيانه الثانية استعار لفظ المنذر الناصح للاعتبار وذلك انه يذكر الاخرة ويفيد الانزجار والانعاظ عن المناهي كالمنذر الناصح

الثالثة اشار الى ان تجنب المرء لما يكرهه لغيره من الرذائل المهلكة ادب كاف له وتقرير عنه بكونه مكروها للغير ورغب في تجنبه بكونه ادبا كافيا

للنفس **وقال** ع العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل اراد انه مقرون به في الوضع

الذي ينبغي بمقتضى الحكمة الالهية وذلك انه تعالى جعل للنفس العاقلة قوتين علمية وعملية وجعل كمالها باستكمال هاتين القوتين

بالعلم والعمل ولا كمال لها بالعلم دون اقترانه بالعمل وقوله فمن علم عمل اي من علم فانه ينبغي لزومه في الحكمة ان يعمل بمقتضى العلم وكان ذلك

داعيا الى العمل مستلزما لوجوده منه ويحتمل ان يكون قوله عمل خبرا في معنى الامر اي فمن علم فليعمل وقوله والعلم يهتف بالعمل الى اخره

فاستعار لفظ الهتف للنداء ولم يرد المنادي واستعار لفظ المعقول من طلب العلم لمقارنة العمل الذي ينبغي له ووجه الطبيع انه فكانه يصيح ويدعوه

الى مقارنته ليكون منهما كمال الانسان ومعنى قوله فان اجابه والا ارتحل ان العلم الذي ينبغي اذا قارنه العلم تاكد بحيث يصير العلم كانه

برز الى عالم الحس في صورة العقل مثلا اذا علم الانسان وجود الصانع وما ينبغي من طاعته ثم قرن ذلك بعبادته استلزمت تلك العبادة منه دوام

واحضار ذكره لا يصير منسيا له في وقت فاما اذا ترك العمل لله فلا بد ان يشتغل بغيره عن ذكره وينقطع ملاحظته له حتى يكون ذلك سببا

لنسيانه والغفلة عنه واستعار لفظ الارتحال وزوال العلم باعتبار عدم استعداد تلك النفس وصلاحيتها كالراحل عن وطن ما يصلح لاستيطانه

وقيل اراد بالارتحال عدم المنفعة مجازا اطلاقا لاسم ذي الغاية على غايته اذ كانت الغاية من الارتحال عدم المنفعة بالمرتحل **وقال** ع متاع الدنيا

حطام موبي فتجنبوا مرعاه قلعتها احظى من طمأنينتها وبلغتها ازكى من ثروتها حكم على مكثر بها بالفاقة واعين من غني عنها

بالفاقة واعين من غني عنها بالراحة ومن راقه زبرجها اعقبت ناظريه كمها ومن استشعر الشعف بها ملأت ضميره اشجانا لهن

رقص على سويداء قلبه هم يشغله وهم يحزنه كذلك حتى يؤخذ بكظمه فيلقى بالفضاء منقطعا ابهراه هينا على الله فناؤه وعلى الاخوان القاؤه

وانما ينظر المؤمن الى الدنيا بعين الاعتبار ويقتات منها ببطن الاضطرار ويسمع فيها باذن المقت والابغاض ان قيل اثرى قيل

اكدى وان فرح بالبقاء حزن عليه بالفناء هذا ولم يأتهم يوم فيه يبلسون اقول القلعة الرحلة والحظوة المنفعة والقاء عجيبة الكمة

العمى خلقة والاشجان العوارض المهمة والرقص الغليان والاضطراب والابهران عرقان متعلقان بالقلب والكدى قل خيره والابلاس من

الرحمة وفي الفصل فوائد احديها انه نفر عن الدنيا بامور احدها ان حطامها موبي اي مهلك واستعار لفظ الحطام لمتاعها باعتبار

سرعة زواله وقلة الانتفاع به كما قال ع انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء الاية وكونه موبيا استلزم اقتنائه والاعتناء بجمعه

للهلاك في الاخرة ولذلك امر بتجنب مرعاه اي غيبه ومحل رعيه وهو الدنيا الثاني قلعتها وعدم القرار بها انفع من الطمأنينة اليها لما

يستلزم من الشقاوة في الاخرة بمحبتها والسكون اليها في الاخرة الثالث ان الاقتصار على البلغة من العيش فيها ازكى من الثروة بها لما

يستلزم من الثروة بها من الشقاء الاخروي فالاقتصار على قدر الضرورة منها اطهر واسلم من غوائلها الرابع حكم بالفاقة على مكثر بها

اما فيها فلان كل زيادة منها موجبة للحاجة الى اخرى قل ان كان اكثر الناس حاجة فيها الملوك ثم من دونهم على اختلاف درجاتهم

فيها واما في الاخرة فلفقر المكثر فيها المشتغل بها من ملكات الخير والفضائل الخامس ان من غني عنها بزهده فيها اعين من الله بالراحة

منها السادس ان من اعجبته زينتها اي حسن تجملة زينتها فانصب اليها عمي عما فيها من العبر وما وراءها من احوال الاخرة واستعار لفظ الكمة

للمعقول من عمى البصيرة عن الاعتبار لان ذلك اشد من العمى كما قال ع فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور السابع ان

من اتخذ محبتها شعارا ملات قلبه هموما وغموما واحزانا على ما لم يحصل منها بطلبه وعلى ما فات منها بالاسف عليه واستعار لفظ الرقص

لتعاقب تلك الاحزان والهموم واضطرابها في قلبه الى غاية الاخذ بكظمه وكنى به عن الموت وبالقائه بالفضاء عن دفنه ومنقطعا وهينا حالان

والفائدة الثانية انه ارشد الى صفات المؤمن في صحبة الدنيا احديها انه انما ينظر اليها بعين الاعتبار ليحصل منها عبرة وذلك هو

كالخلق لاجل الثانية ويقتات منها ببطن الاضطرار وكنى به عن كونه لا يتناول منها الا البلغة ومقدار الضرورة الثالثة ويسمع فيها باذن

المقت والابغاض وكنى به عن بغضها فهو لا يسمع ما يمدح به بل معايبها وقوله ان قيل اثرى الى قوله الفناء اراد ان الانسان فيها منغص

اللذة مكدر العيشة بينا هو مثر اذ لحقه الاكداء والفقر ويفرح ببقاء حبيب اذ لحقه الحزن عليه وهذا الكلام الاخير للفائدة الاولى في وصف

حال الانسان في الدنيا ومن تمام وصف المؤمن هنا اعراض وقوله هذا ولم يأتهم اي هذا البلاء ولم يأت الناس يوم القيمة الذي هو شدة هول

كلام الجابر بن عبد الله الأنصاري

يأسون فيه من الرحمة **وقال** ان الله سبحانه وضع الثواب على طاعته والعقاب على معصيته زيادة لعباده عن نقمته وحياشة لهم الى جنته الذوده الدفع والمنع واشار الى غاية الحكمة الالهية من وضع الثواب والعقاب وهما ردع عباد الله عن نقمته وجمعهم الى جنته **وقال** يأتي على الناس زمان لا يبقى من القرآن الا رسمه ومن الاسلام الا اسمه مساجدهم يومئذ عامرة من البناء خراب من الهدى سكانها وعمارها شر اهل الارض منهم تخرج الفتنة واليهم تأوي الخطيئة يردون من شذ عنها فيها ويسوقون من تأخر عنها اليها يقول الله عز وجل فبي حلفت لأبعثن على اولئك فتنة اترك الحليم فيها حيران وقد فعل ونحن نستقيل الله عثرة الغفلة رسم القرآن اثره وهو تلاوته ولا يبقى الا اسم الاسلام دون العمل وسكان المساجد وعمارها قراء السوء وائمة الضلال الذين وصفهم عم في صدر الكتاب بقوله ان ابغض الخلائق الى الله رجلان ويقول في فصل اخر اذا ما الاختلاف الناس في الفتيا ترد على احدهم القضية الى اخره ظاهر اولئك وامثالهم شر اهل الارض لكونهم مبدأ الفتنة في الدين واليهم ترجع خطايا الخلق اذ هم يقتدون وعنهم يأخذون ومن كان كذلك فقد استعد للفتنة التي يحار فيها الحليم ذو العقل والحكيم واذا سأل عم من الله نعم اقالة عثرة الغفلة فيجب لا فيتدبر في ذلك لسؤال اللهم اقلنا من عثرة الغفلة ورد وانه عم قل ما اعتدل به المنبر الا قال امام الخطبة ايها الناس اتقوا الله فما خلق امرؤ عبثا فيلهو ولا ترك سدى فيلغو وما دنياه التي تحسنت له بخلف من الآخرة التي قبحها سوء المنظر عنده وما المغرور الذي ظفر من الدنيا باعلى همته كالآخر الذي ظفر من الآخرة بادنى سهمته سهمته النصيب ولما كان تقوى الله والتزود بها اليه هو المطلوب من خلق الانسان لا جرم صدر الامر بها عامة خطبه وينبه على ذلك المطلوب وان الغاية منه **وقال** وايم الله الدنيا وان تحسنت له بخلف من غاية فان فيها سوء نظره لها ومعرفته بها وعلى انه لا مناسبة بين من ظفر من الدنيا باعلى مطالبه منها وبين من ظفر من الآخرة بادنى نصيب لشرف متاع الآخرة فكيف من يظفر منها باعلى منه وتقر طالب الدنيا والمدعي على الظفر بها بكونه مغرورا او الفضل ظ **وقال** عم عشر كلمات احديها لا شرف اعلى من الاسلام لاستلزامه شرف الدنيا والآخرة الثانية ولا عز اعز من التقوى لان التقوى تستلزم جميع مكارم الاخلاق الجامعة لعز الدنيا والآخرة فكان عزها اكبر عزا من غيرها الثالثة ولا معقل احصن من الورع واستعار له لفظ المعقل باعتبار تحصن الانسان به من عذاب الله ولما كان عبارة عن لزوم الاعمال الجميلة فلا معقل احصن منه الرابعة ولا شفيع انجح من التوبة وذلك لاستلزامها العفو عن جريمة التائب قطعا دون سائر الشفعاء بشفاعتهم ولفظ الشفيع مستعار لها الخامسة ولا كنز اغنى من القناعة فضيلة مستلزمة لسكون نفس الانسان ورضاها بما قسم له وغناه عما وراءه ولا شيء من سائر الكنوز لابناء الدنيا كذلك ولفظ الكنز مستعار لها السادسة ولا مال اذهب للفاقة من الرضا بالقوت وهو قريب مما قبله السابعة ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة اي سلك الراحة من الم تطلب الدنيا ومجاذبة اهلها وتبوأ خفض الدعة اي اتخذ لين السكون مباءة ومرجعا الثامنة والرغبة مفتاح النصب ومطية التعب استعار لفظ الرغبة في الدنيا لفظ المفتاح باعتبار فتحها لباب التعب على الراغب وكذلك لفظ المطية باعتبار استلزامها كالمطية المتعب كونها التاسعة والحرص والكبر والحسد دواع الى التقحم في الذنوب لتقحم الدخول بسرعة فالحرص على الدنيا داع الى الظلم والكذب والفجور والجبن والبخل ونحوها من الرذائل والكبر داع الى قلة الانصاف وعدم التواضع والعجب والتهور وعدم الاحتمال ونحوهما والحسد داع الى الظلم والفساد في الارض وغيرها من الآثام العاشرة والشر جامع لمساوي العيوب الشر كلي كالجنس لمساوي العيوب ومقابحها اذ كل منها يصدق عليه انه شر مخصوص وهو المعنى بكون الشر جامعا لها **وقال** عم لجابر بن عبد الله الانصاري يا جابر قوام الدنيا باربعة عالم مستعمل علمه وجاهل لا يستنكف ان يتعلم وجواد لا يبخل بمعروفه وفقير لا يبيع آخرته بدنياه فاذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل ان يتعلم واذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس اليه فان قام بما يجب لله فيها عرض نعمته لدوامها وان ضيع ما يجب لله فيها عرض نعمته لزوالها الدنيا انما يقوم بالمال ثم بالعلم لو صنعه في مواضعه ومعرفة وجوه اكتسابه التي ينبغي او لا ينبغي من حلال وحرام وهو علم الفقه واصوله وتفسير كتاب الله وسنة رسوله اللذين منهما تعلم الاحكام ثم ما يلزم ذلك من علم العربية ونحوه ولما كان العلم لا بد له من حامل والمال لا بد له من قان وجب ان يكون من شرط الاول ان يعمل بعلمه ومن شرط الثاني ان يستعمل ماله في مصارفه التي ينبغي والا لم يكن لهما فائدة ولا انتفع بهما احوال الخلق التي هي الدنيا ولما كان الموت ضروريا للعلماء وغيرهم ووجب في قيام الدنيا وبقاء نظامها ان يدوم العلم في قرن من الناس بعد قرن وجب ان يكون هناك جهال لا يستنكفون عن تعلمه لما كانت حاجة البعض في قوام الدنيا ضرورية ولم يجز في نظامها ان يستغني كل عن كل لاسباب معلومة وغير معلومة وجب ان يكون هناك من لا مال له ليحصل الانتفاع به فيما هو بصدده ومرشح له من الاعمال الضرورية بالجود عليه فاذن قوام الدنيا لا يحصل بدون الاربعة وانما شرط في الفقير ان لا يبيع آخرته بدنياه لان بائع آخرته بدنياه ظالم خارج عن العدل فلا يقوم به الدنيا ولا يصلح

لعمارتها

تتمة كلام الجابر بن عبد الله

لعمارتها لما بين ما به قوام الدنيا اشار الى ما يلزم ضد ذلك من الفساد تنفيرا عنه بقوله فاذا ضيع الى قوله بدنياه فان تضييع العلم يستلزم عدم الانتفاع به واستنكاف الجاهل عن تعلمه لسوء اعتقاده في العلم واهله لما يراه من تضييعهم له وعدم عملهم عليه وقد يفضي الى الجهل بمنفعته وبخل الغني بمعروفه مستلزم لعدم المنفعة بالمال وما يلزم ذلك من شدة حاجة الفقير وبيع آخرته بدنياه فيلزم الفساد المنافي لمصلحة المعاش والمعاد ثم اشار الى ما يلزم كثرة نعمة الله على العبد من كثرة حوائج الخلق اليه ليوضح له وجوب الشكر عليها والقيام بما يجب لله فيها من الاحسان الى المحتاجين اليه ورغب في ذلك بما يلزمه من تعريض العبد بذلك نعمة الله عنده للدوام والمزيد ونفر عن تضييع ذلك بما يلزمه من تعريضها للزوال وروى ابن جرير الطبري في تاريخه عن عبد الرحمن بن ابي ليلى الفقيه وكان ممن خرج لقتال الحجاج مع ابن الاشعث انه كان قال فيما يحض به الناس على الجهاد اني سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب عم يقول يوم لقينا اهل الشام ايها المؤمنون انه من راى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى اليه فانكره بقلبه فقد سلم وبرئ ومن انكره بلسانه فقد اجر وهو افضل من صاحبه ومن انكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي اصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونور في قلبه اليقين لما كان انكار المنكر واجبا على كل مكلف بحسب مكنته وكان لتمكنه من ذلك طرف ادنى وهو الانكار بالقلب لامكانه من كل احد وطرف اعلى وهو الانكار باليد وهو الغاية ووسط وهو الانكار باللسان كانت درجاته في استحقاق الاجر مترتبة على درجات انكاره وانما خص المنكر بقلبه بالسلامة والبراءة اي من عذاب الله لانه لم يحمل اثما وانما لم يذكر اجرا وان كان كل واجب يثاب عليه لان غاية انكار المنكر دفعه والانكار بالقلب ليس له في ظاهر تأثير في دفع المنكر فكانه لم يفعل ما يستحق به اجرا وانما قال لتكون كلمة الله هي العليا لانه ان لم يكن ذلك مقصود المنكر بل كان مقصوده مثلا الرياء او الغلبة الدنيوية لا يكون قد اصاب سبيل الهدى واستعار لفظ النور لوضوح الحق في قلبه وجلائه من شبه الباطل وفي كلام له عم يجري هذا المجرى فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه فذلك مستكمل لخصال الخير ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع خصلة ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذي ضيع اشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة ومنهم تارك لانكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الاحياء وما اعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة في بحر لجي وهو ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق وافضل ذلك كله كلمة حق عند امام جائر اقول انه عم جرى في هذه القسمة على غير هذا الوجه فيكون الناس على اقسام ستة وهي المنكر بقلبه فقط او بلسانه فقط او بيده فقط او بقلبه ولسانه او بقلبه ويده او بلسانه ويده واعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر متلازمان لان المعروف والمنكر قد يكونان نقيضين ولحب توتهما فيكون النهي عن المنكر مستلزما للامر بالمعروف مستلزما للنهي عن المنكر ويسميهما بخصال الخير لان كل خصلة منه معروف فالامر بالمعروف مطلق امر بها وترك كل واحدة من خصال الخير منكر فانكاره يستلزم الامر بها ولما كانت هذه الانواع الثلاثة من انكار المنكر فضائل تحت فضيلة العدل وجب عدادها من خصال الخير ولما كانت مستلزمة لسائر الفضائل كما اشرنا اليه وجب ان يكون المنكر للمنكر مطلقا مستكملا لجميع خصال الخير وان يكون التارك له بيده لخصلة ومتمسكا بخصلتين والتارك بيده ولسانه مضيعا لاشرف الخصلتين من الثلاث وانما كانتا اشرف لكونهما يستلزمان دفع المنكر او بعضه غالبا بخلاف الثالثة ووجب ان يستحق تارك الثلث اسم الميت في حياته لخلوه عن جميع الفضائل ولفظ الميت استعارة وقوله وما اعمال البر الى قوله لجي تعظيم لهاتين الفضيلتين وتشبيه اعمال البر كلها بالنسبة اليهما بالنفثة في البحر اللجي ووجه الشبه ان كل خصلة من اعمال البر غير بالنسبة اليهما كالنفثة بالنسبة الى البحر وعموم الخير منهما وقوله فان الامر الى قوله رزق صغرى ضمير تعيب ترغيبهما وتقدير الكبرى وكلما لا يقرب من اجل ولا ينقص من رزق فلا ينبغي ان يحذر منه ثم اشار الى افضل اصنافهما وهو كلمة العدل عند الامام الجائر لغرض رده عن جوره وعن ابي جحيفة قال سمعت امير المؤمنين عم يقول ان اول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بايديكم ثم بالسنتكم ثم بقلوبكم فمن لم يعرف بقلبه معروفا ولم ينكر منكرا قلب فجعل اعلاه اسفله الجهاد باليد واللسان والقلب هو انكار المنكر بها وانما كان باليد اول مغلوب عليه لان الغرض الاول للعدو ازالة سلطان اليد ومقاومته فاذا تمكن من ذلك كان زوال سلطان اللسان سهلا فان قلت المقاتل بقلوبكم ومعلوم ان القلب لا يطلع عليه العدو ولا يتمكن من ازالة الجهاد به قلنا ان اذا غلبوا على الجهاد باليد واللسان وطالت المدة عليهم القوا المنكر وتكرر على سمعهم وابصارهم وقلوبهم فلم يبق انكاره وهو معنى غلبهم عليه وقوله فمن لم يعرف بقلبه الى آخره نفر عن ترك الخصلتين بما يلزمه من قلب اعلى الانسان اسفله واستعار لفظ القلب للانتكاس في مهاوي الرذائل ودركات الجحيم وانما خص ذلك انكار القلب بذلك لامكانه في كل وقت وخلوه عن المضاد المخوف التي يخشى في الانكار باليد واللسان **وقال** عم ان الحق ثقيل مريء وان الباطل خفيف وبيء استعار للحق وصفي الثقل والمريء باعتبار صعوبته على من يكون عليه فيؤخذ منه وللباطل وصف الخفة باعتبار سهولته على اهله ولفظ الوبيء باعتبار

واصفلا ...

علبه ...

استلزامه لاهلاكهم في الآخرة وقال ع لا تأمنن على خير هذه الامة عذاب الله لقوله سبحانه فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ولا تيأسن لشر هذه الامة من روح الله لقوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ادب لسامع هذين الادبين محتجا بهما ولفظ المكر مستعار لاستدراج الله ثم اخذه وهو في صورة المكر والخداع والمراد ظ وقال ع البخل جامع لمساوي العيوب وهو زمام يقاد به الى كل سوء البخل رذيلة التفريط من فضيلة السخاء وهي مستلزمة للجهل لان البخيل عبر عما لم يوضع المال موضعه وللعجز لعدم بذله ومحبته للدنيا الى طرف الافراط فيها وللجبن لان من بخل بماله فهو بنفسه ابخل و للانظلام والظلم لقصوره عن فضيلة العدالة فيما له ثم للحرص والحسد والشره ودناءة الهمة والكذب والغدر والخيانة وقطع الرحم وعدم المواساة وكل طرف ونقيض لفضيلة من الفضائل بل من توابع البخل ولواحقه وهي مساوي العيوب التي لا تعز عن اجتماعه لها وانه زمام الحاكم منها واستعار له لفظ الزمام باعتبار انه يدعو الى هذه المساوي ويقود اليها كالزمام وقال ع الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تأته اتاك فلا تحمل هم سنتك على هم يومك كفاك كل يوم ما فيه فان تكن السنة من عمرك فان الله تعالى جده سيؤتيك في كل غد جديد ما قسم لك وان لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهم بما ليس لك ولن يسبقك الى رزقك طالب ولن يغلبك عليه غالب ولن يبطئ عنك ما قد قدر لك قال السيد ره وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم من هذا الباب الا انه هاهنا اوضح واشرح فلذلك كررناه على القاعدة المقررة في اول الكتاب واقول قد مضى تفسير اكثر هذا الكلام وغرضه التنفير عن الاهتمام بالدنيا والاشتغال بما يرجى منها عن ذكر الله وطاعته ونهاه ان يحمل هم السنة على هم اليوم فيجتمع عليه احزان متضاعفة يكفي واحد منها شغلا واحتج لذلك بضميرين صغرى الاول قوله فان تكن السنة وتقديرها ان سنتك التي تهتم لها اما ان تكون من عمرك او ليس وتقدير الكبرى وكلما كان على هذين التقديرين فلا ينبغي الاهتمام به اما على التقدير الاول فان الله يؤتيك في كل يوم منها ما قسم لك فلا محالة وما لا بد منه لا يجوز الاهتمام به واما على التقدير الثاني فلانه ليس من العقل ان يهتم المرء بما ليس له وصغرى الثاني قوله ولن يسبقك الى قوله قدر لك وتقديرها ان رزقك لن يسبقك اليه طالب وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك فلا ينبغي ان يهتم به وقال ع رب مستقبل يوما ليس بمستدبره ومغبوط في اول ليله قامت بواكيه في آخره وغرض الكلمة التنبيه من رقدة الغفلة على الموت لغاية العمل وما بعده والمعنى ظ وقال ع الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به فاذا تكلمت به صرت في وثاقه فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك فرب كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة الوثاق الحبل وامر بخزن اللسان عما لا ينبغي من القول وفي غير موضعه وشبه خزنه بخزن الذهب ووجه الشبه شدة الحفظ ونفر عن قول ما لا ينبغي بضميرين صغرى احدهما قوله الكلام الى قوله وثاقه وتقدير الكبرى وكل كلام كان كذلك فلا ينبغي ان يتكلم منه الا بما ينبغي ولفظ الوثاق مستعار وصغرى الثاني قوله فرب كلمة سلبت نعمة وتقدير الكبرى وكل كلمة كذلك فيجب الاحتراز منها بقلة القول والتثبت فيه وقال ولا تقل ما لا تعلم بل لا تقل كل ما تعلم فان الله سبحانه قد فرض على جوارحك كلها فرائض يحتج بها عليك يوم القيمة نهى عن قول ما لا يعلم لانه كذب او محتمل للكذب ولانه قول بالجهل فيجب الاحتراز منه واما النهي عن قول كل ما يعلم فلجواز ان يكون منه مضرة لنفسه او لغيره كاذاعة سر فيستلزم اذاه او اذى من اسره اليه ونفر عن ذلك بقوله فان الله الى آخره وهو صغرى ضمير والفرائض التي افترضها الله على كل جارحة هو ما اوجبه على اللسان مثلا من قول ما ينبغي في موضعه وكف ما يتعلق بالعين من النظر الذي ينبغي ويجوز ذلك في ساير الجوارح وتقدير الكبرى وكل من فرض الله على جوارحه فرائض كذلك يحتج بها عليه يوم القيمة في تركها و العمل بها فيجب عليه المحافظة عليها وقال ع احذر ان يراك الله عند معصيته ويفقدك عند طاعته فتكون من الخاسرين واذا قويت فاقو على طاعة الله واذا ضعفت فاضعف عن معصية الله حذر من الامرين بما يلزمه من دخوله في زمرة الخاسرين لثواب الله يوم القيمة ثم امر بالقوة على طاعة الله لتتم الاستعداد بها لرحمته وبالضعف عن معصيته لضعف الاستعداد بها عن نزول سخط الله ونقمته وقال ع ثلث كلمات احديها الركون الى الدنيا مع ما تعاين منها جهل اي بما ينبغي ان يركن اليه مما لا ينبغي الثانية والتقصير في حسن العمل اذا وثقت بالثواب عليه غبن اي مستلزم للغبن وهو ترك ما يوثق به من الثواب الكثير في مقابلة العمل اليسير له وفيه ايماء الى ان سبب التقصير في حسن العمل عدم الوثوق بالثواب الموعود في الآخرة الثالثة والطمأنينة الى كل احد قبل الاختبار عجز اي عن البحث عمن ينبغي السكون اليه وعن وضعه موضعه ونفر عن الركون الى الدنيا بما يلزمه من الجهل وعن التقصير في حسن العمل بما يلزمه من الغبن ومن الطمأنينة الى كل احد بما يلزمها من العجز وقال ع من هوان الدنيا على الله ان لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها نفر عن الدنيا بذكر هوانها على الله من الوجهين المذكورين وقال ع من طلب شيئا ناله او بعضه كقولهم من طلب وجد وجد ومن قرع بابا ولج ولج والظاهر ان الطلب سعي لحصول المطلوب فان تم الاستعداد له نال الكل والا فبقدر نقصان الاستعداد يكون نقصان المطلوب وقال ع ما خير بخير بعده النار وما شر بشر

بعده الجنة وكل نعيم دون الجنة محقور وكل بلاء دون النار عافية نفى عما يقود الى النار وان عد في الدنيا خيرا ولذة اسم الخير تحقيرا له وتنفيرا عنه بما يلزمه من غايته التي هي النهاية في الشر وهي النار وكذلك نفى عما يقود الى الجنة من الطاعات الشاقة وان عد في الدنيا شرا واستحقاق اسم الشر ترغيبا فيه بما يلزمه من غايته التي هي غاية الجنة والتقدير ما خير بعده النار بخير وما شر بعده الجنة بشر وقوله وكل نعيم دون الجنة محقور تفسير للاول وقوله وكل بلاء دون النار عافية تفسير للثاني والدرعاية تشبيه وقال ع الا وان من البلاء الفاقة واشد من الفاقة مرض البدن واشد من مرض البدن مرض القلب الا وان من النعم سعة المال وافضل من سعة المال صحة البدن وافضل من صحة البدن تقوى القلب اشار الى درجات البلاء وتفاوتها بالشدة والضعف والى ما يقابلها من درجات النعم وتفاوتها وانما كان مرض القلب بالرذائل اشد من مرض البدن لاستلزامه في الآخرة فوات كمال السعادات وهو الموت الذي لا حيوة معه وبحسب ذلك كان تقوى القلب واستكماله بالفضائل افضل من صحة البدن لاستلزامه السعادة الباقية والحيوة الابدية وقال ع للمؤمن ثلث ساعات فساعة يناجي فيها ربه وساعة يرم فيها معاشه وساعة يخلي بين نفسه وبين لذتها فيما يحل ويجمل وليس للعاقل ان يكون شاخصا الا في ثلث مرمة لمعاش او خطوة في معاد او لذة في غير محرم قوله يرم المعاش اي يصلحه والشاخص الذاهب عن بلده و الى بلده قسم زمان المؤمن العاقل الى ثلثة اقسام بحسب ما ينبغي له بمقتضى الحكمة العملية والرأي الحق فقسم يتوفر فيه على عبادة الله ومناجاته وهذا القسم هو المطلوب بالذات وقسم يصلح فيه ما لا بد منه في تحصيل القسم الاول من معاشه وقسم يخلي فيه بين نفسه ولذاتها المباحة التي يجمل ويحسن دون المحرمة والمباحة المستهجنة وهذان القسمان مرادان للاول اذ لا يمكن بدونهما وقوله وليس للعاقل الى آخره اي ليس له بحسب مقتضى العقل العملي ان يشغل نفسه الا في الامور الثلثة وقال ع ازهد في الدنيا يبصرك الله عوراتها ولا تغفل فلست بمغفول عنك لما كانت محبة الدنيا مستلزمة لاستتار عيوبها عن ادراك محبها كما قيل حبك الشيء يعمي ويصم كان بغضها والزهد فيها واهمالها لذلك مستلزما لكشفها لما يجب من عيوبها وعوراتها فامر بالزهد فيها لهذه الغاية المنفرة عنها ثم نهى عن الغفلة فيها عما ورائها بضمير صغراه قوله فلست بمغفول عنك وتقدير الكبرى وكل من ليس بمغفول عنه فلا ينبغي ان يغفل عما يراد به وقال ع تكلموا تعرفوا فان المرء مخبوء تحت لسانه وقد مر تفسير هذه الكلمة لكنه جعلها هنا صغرى ضمير عقب بها الكلام عند الحاجة لغاية ان يعرف المتكلم وتقدير الكبرى وكل من كان مخبوءا تحت لسانه فينبغي ان يظهر نفسه في كلامه في محل الحاجة ليعرف وقال ع خذ من الدنيا ما اتاك وتول عما تولى عنك فان انت لم تفعل فاجمل في الطلب امر بالقناعة اولا بما تيسر من الدنيا لمن تمكن منها وقوي عليها وبالاجمال في الطلب لمن لم يتمكن منها والاجمال في طلب الدنيا طلبها برفق من الوجه الذي ينبغي وعلى الوجه الذي ينبغي وقال ع رب قول انفذ من صول اي قد يبلغ الانسان بالقول ما لا يبلغه بالشدة والصولة فيكون القول انفذ في غرضه ويصلح مثلا يضرب للرفق واللين الذي يبلغ به ما لا يبلغ بالعنف وروي عوض انفذ اشد والمعنى رب قول يقوله الانسان فيكون ضرره عليه اشد من صولة عدوه او رب قول يسمعه من غيره كقذف او هجو يكون اشد عليه من صولة العدو والمعنيان مقبولان من ابن آدم الهرى وقال ع كل مقتصر عليه كاف انه لا يستقر الانسان الا على مقدار يمكنه دفع الضرورة والحاجة به وذلك كاف ومغن للقانع عما سواه وفيه ايماء الى الامر بالاقتصار على اليسير من الدنيا وقال ع كلمات اربعا احديها المنية ولا الدنية فالمنية مبتدأ دل على خبره بقوله ولا الدنية اي اسهل من الدنية ويحتمل ان يكون التقدير تحمل المنية ولا تحمل الدنية وهي الخسيسة من الامور كالتكفف في طلب الدنيا وكثير من الكرام يختار الموت على ذلك والثانية التقلل ولا التوسل اي القناعة بالقليل من العيش والتبلغ به خير من التوسل الى اهل الدنيا في طلبها الثالثة ومن لم يعط قاعدا لم يعط قائما كنى بالقعود عن الطلب السهل وبالقيام عن الطلب الصعب بمعناه من لم يرزق بالطلب السهل لم ينفعه التشديد في الطلب وهذا الحكم كما هو حكم الخطيب الكري حث به على الاجمال في الطلب الرابعة والدهر يومان يوم لك ويوم عليك فاذا كان لك فلا تبطر واذا كان عليك فاصبر فاليوم الذي هو زمان الضيق والبلاء يجب فيه الصبر للاستعداد به لقبول رحمة الله كما قال وبشر الصابرين الآية وقال ع مقاربة الناس في اخلاقهم امن من غوائلهم الغائلة الحقد وذلك ان مباعدة الناس في اخلاقهم تستلزم منافرتهم وعداوتهم واحقادهم فالعداوة والحقد غايتها الى المقاربة والمشاكلة لاخلاقهم يستلزم الامن من ذلك منهم وقال ع لبعض مخاطبيه وقد تكلم في حضرته بكلام يستصغر عن مثله لقد طرت شكيرا وهدرت سقبا فالشكير هو الفرخ قبل النهوض واستعار لفظ الشكير والسقب له باعتبار صغر قدره عما تكلم به في حضرته ووصف الطيران والهدير له باعتبار هو ضد الى ذلك الكلام الذي هو فوق محله وليس اهلا له كما ان الطيران ليس من شان الشكير ولا الهدير من شان السقب وقال ع من اومى الى متفاوت خذلته الحيل المتفاوت كالامور المتضادة او التي يتعذر الجمع منها في الغرض والعادة واستعار وصف الخذلان للحيل باعتبار انها لا تؤديه كما يمكنه في الجمع بين ما يروم من تلك الامور وقال ع وقد سئل عن معنى قوله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لا نملك مع الله شيئا ولا نملك الا ما ملكنا فمتى ملكنا ما هو املك به منا كلفنا ومتى اخذه منا وضع تكليفه عنا برهان قوله انا لا نملك مع الله شيئا قوله تعالى قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا الآية

في بيان صفات الاغنياء وحالهم وسلوكهم

ان التكاليف تابع لما ملكنا اياه من الجوارح والقوى والعقل وسائر متعلقات التكليف وعند اخذه لشيء منها لضع التكليف المتعلق
به عنا رسئل الصادق ع عن هذه الكلمة فقال لا حول على ترك المعاصي ولا قوة على فعل الطاعات الا بالله وقال ع لعمار بن ياسر رحمه الله و
قد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاما دعه يا عمار فانه لن يأخذ من الدين الا ما قاربته الدنيا وعلى عمد لبس على نفسه ليجعل الشبهات
عاذرا لسقطاته اراد انه لا يعمل من الدين الا بما يستلزم دنيا ويقرب منها كعدل او صدق يستلزم منفعة دنيوية دون ما ليس كذلك
وهو ضمير نفره عن مجالسته تقدير كبراه وكل من كان كذلك فينبغي ان يعرض عن مراجعته ومكالمته وقال ع ما احسن تواضع الاغنياء
للفقراء طلبا لما عند الله واحسن منه تيه الفقراء على الاغنياء اتكالا على الله تيه الفقراء على الاغنياء اصعب عليهم واشق
من تواضع الاغنياء لهم لكان تيههم يستدعي كمال التوكل على الله وهو دفع ما ... لكان افضل واحسن
لقوله ع افضل الاعمال احمزها وقال ع ما استودع الله امرا عقلا الا ليستنقذه به يوما ما امامن بلاء الدنيا بالحيلة او من بلاء
الاخرة بالطاعة وقال ع من صارع الحق صرعه استعار لفظ المصارعة للمقاومة وذلك ان الله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله
والصالحين من عباده اعوان الحق ولا مقاوم لهم وقال ع القلب مصحف البصر اراد بالقلب النفس او الذهن واستعار لفظ
المصحف باعتبار ان كل صورة في الذهن اريد التعبير عنها فلا بد ان يتصور حروف العبارة عنه في لوح الخيال او الحس المشترك فيشاهدها
من هناك ويقرؤها فالقلب اذن كالمصحف الذي يشاهد فيه الحروف والالفاظ ويقرأ منه بالبصر فلذلك صار الى البصر وقال ع
التقى رئيس الاخلاق استعار لفظ الرئيس للتقوى باعتبار افضليته في استلزام رضوان الله وحصول السعادة التامة
ولا شيء من الاخلاق بانفراده يستلزم ذلك وقال ع لا تجعلن ذرب لسانك على من انطقك وبلاغة قولك على من سددك
ذرب اللسان حدته وهو ادب يجري مجرى المثل يضرب لمن يحصل من انسان علما او فائدة فيستعين بها عليه كان يتفاخر على من علمه
الفصاحة وقال ع كفاك ادبا لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك واراد بما يكرهه من غيره الرذائل فانها مكروهة الى كل
احد من غيره ومن نفسه ايضا اذا عقل انها رذيلة وتلك قد اعرفها انفسها الا ان بعض الرذائل قد يخفى على من هي فيه فلا يتصور
قبحها من نفسه او انه ممن يتصور ذلك لكن يحمله عليها حامل اخر من شهوة او غضب ولما كان اجتناب الرذائل يستلزم الوقوف
على فضيلة العدل في كل شيء لا جرم كان اجتنابها ادبا كافيا لمن يجتنبها وقال ع من صبر صبر الاحرار والا سلا سلو الاغمار وفي
خبر اخر انه قال ع للاشعث بن قيس معزيا ان صبرت صبر الاكارم والا سلوت سلو البهائم والاغمار الجهال الجمع غمر بحث على فضيلة
الصبر في المصائب باضافته الى الاحرار والاكارم او بما يلزم عدمه من العار وهي السلو المشبه لسلو الغافلين او البهائم والا اي ان
لا ... لا تصبر وقال ع في صفة الدنيا تغر وتضر وتمر ان الله تعالى لم يرضها ثوابا لاوليائه ولا عقابا لاعدائه وان اهل الدنيا
كركب بيناهم حلوا اذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا نفر عنها بثلاثة ضمائر احدها ان الدنيا تضر اي تخيبها وتمر اي بزينتها اي
تبراونها اذ من تبعها ذلك شغلها بصف الامر اسبابا غيبا ما يستلزم فراقها من الم الجزع والحزن كالمرارة ... تقرر ثم يفجع الثاني
اي تذهب الثاني قوله ان الله الى قوله لاعدائه اذ لو رضيها لذلك لاعطاها اولياءه وحرمها اعداءه الثالث قوله وان اهل
الدنيا اه فقولهم كركب بيناهم اه في تقدير صفة لركب اي كركب من شأنه كذا ووجه التشبيه بالركب الذي شأنه ذلك سرعة
ارتحالهم الى الاخرة كسرعة ارتحال الركب وتقدير الكبرى في الضميرين الاولين وكلما كان كذلك فينبغي ان يجتنب ولا يحرص على طلبه
وتقديرها في الثالث وكلما كان كذلك فينبغي ان يستعد فيه للرحيل والتزود وقال ع لابنه الحسن ع لا تخلفن وراءك شيئا
من الدنيا فانك تخلفه لاحد رجلين اما رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت به واما رجل عمل فيه بمعصية الله فكنت عونا له على معصيته
وليس احد هذين حقيقا ان تؤثره على نفسك دنهى ع بالنهي عن ادخال وتقرير ذلك بضمير صغراه قوله فانك اه وقوله بما شقيت به اي
شقاء الدنيا بجمعه وشقاء الاخرة بادخاره لقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله الاية وتقدير الكبرى
وكل من يخلف مالا لاحد هذين وليس احدهما حقيقا بان يؤثره على نفسه فلا يجوز ان يخلفه وروي هذا الكلام على وجه اخر وهو اما
بعد فان الذي في يديك من الدنيا قد كان له اهل قبلك وهو صائر الى اهل بعدك وانما انت جامع لاحد رجلين رجل عمل فيما جمعته
بطاعة الله فسعد بما شقيت به او رجل عمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت له وليس احد هذين اهلا ان تؤثره على نفسك ولا تحمل له
على ظهرك فارج لمن قد مضى رحمة الله ولمن بقي رزق الله وقال ع في هذه الرواية ينفر عن الدنيا بضميرين احدهما قوله فلان الذي
في يديك الى قوله بعدك وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فليس لك ان تختبره ونعمل علمه الثاني وانما انت الى قوله ظهرك وكبراه ما مر في الرواية
الاولى واستعار لفظ الحمل لاكتساب اثام جمع المال ورشح بذكر الظهر ثم ارشده الى ما هو خير من المال لمن مضى وهو رجاء رحمة الله لمن
مضى ورجاء رزق الله الموعود لكل حي وقال ع لقائل قال بحضرته استغفر الله ثكلتك امك اتدري ما الاستغفار ان للاستغفار
درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان اولها الندم على ما مضى والثاني العزم على ترك العود اليه ابدا والثالث ان تؤدي الى المخلوقين

الا ان ... لا تصبر

يا بني

رجلين اما ...

الى قولك له ...

حقوقهم حتى

في بيان الصفات الحسنة والقبيحة

ع ج

حقوقهم حتى تلقى الله عز وجل املس ليس عليك تبعة والرابع ان تعمد الى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها والخامس ان تعمد الى اللحم الذي
نبت على السحت فتذيبه بالاحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد والسادس ان تذيق الجسم الم الطاعة كما اذقته
حلاوة المعصية فعند ذلك تقول استغفر الله اقول ظاهر كلامه يقتضي ان اسم الاستغفار الحق الذي له درجة العليين واسم
واقع على مجموع المعاني الستة التي اشار اليها وذكرها العرف حقيقة منها ويكون ارادة هذا المعنى من لفظ الاستغفار بعرف جديد شرعي
اذ مفهومه اللغوي انه طلب المغفرة الا انه لما كان طلبها مشروطا بحصول المعاني المذكورة اطلق لفظ المشروط على الشرط واستعمله فيه
ويحتمل ان يكون غرضه تفسير ماهية الاستغفار بل الاشارة الى شرائطه التي لا ينبغي ايقاعه دونها وهي المعاني الستة ويكون
معنى قوله اتدري ما الاستغفار اي الاستغفار التام شرائطه واعرض عن ماهيته العلم بها واشار الى تمامه من الشرائط وقصد بل
الاشارة الى صدق لفظه على شرائطه تاكيدا لانه لا يتم بدونها حتى كان مجموعها نفس حقيقة الاستغفار واستعار لفظ الاملس
لنقاء الصحيفة من الاثام وقال ع الحلم عشيرة استعار لفظ العشيرة للحلم باعتبار انه يحمي صاحبه عمن ينازعه ويعاديه كما يحميه عشيرته
وقال مسكين ابن ادم مكتوم الاجل مكنون العلل محفوظ العمل تؤلمه البقة وتقتله الشرقة وتنتنه العرقة ذكر كونه مسكينا وبين
ذلك بضمير عدد فيه وجوه المسكنة والضعف صغراه قوله مكتوم الاجل اه وهي ظاهرة وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فهو
مسكين ومسكين خبر المبتدا اعقدم عليه لان ذكره اهم وحذف تنوينه تخفيفا وغرض الكلام كسر النفوس عن سورة الكبر والعجب والفخر و
امثالها من الرذائل وروي انه ع كان جالسا في اصحابه اذ مرت بهم امراة جميلة فرمقها القوم بابصارهم فقال ع ان ابصار هذه الفحول
طوامح وان ذلك سبب هبابها فاذا نظر احدكم الى امراة تعجبه فليلامس اهله فانما هي امراة كامرأة فقال له رجل من الخوارج قاتله الله كافرا ما
افقهه فوثب اليه القوم ليقتلوه فقال ع رويدا انما هو سب بسب او عفو عن ذنب الرمق النظر وطموح البصر ارتفاعه والهبيب والهباب صوت
التيس عند هيجه وطلبه للسفاد واستعار لهم الفحول ولفظ الهباب لطلبهم للنكاح وارشدهم الى الخلاص من فتنة النظر بملامسة الاهل
ورغب في ذلك بضمير صغراه قوله فانما هي امراة كامرأة اي فانما اهل الرجل امراة تسد المراة المرئية وتقدير الكبرى وكل من يشبهها فهي
عوض منها وانما اطلق الخارجي لفظ الكافر عليه لانه عند الخوارج مخطئ وكل خطيئة عندهم كفر وقوله انما هو سب مقتضى فضيلة
العدل وقال كفاك من عقلك ما اوضح لك سبيل غيك من رشدك الغرض تنبيه العقل العملي فهو ما ذكره ع وكفى به وقال افعلوا
الخير ولا تحقروا منه شيئا فان صغيره كبير وقليله كثير ولا تقولن احدكم ان احدا اولى بفعل الخير مني فيكون والله كذلك ان للخير و
الشر اهلا فمهما تركتموه منهما كفاكموه اهله امر بفعل الخير ونهى عن احتقار شيء منه وان قل ورغب فيه بضمير صغراه قوله فان صغيره
كبير وقليله كثير اي في العقبى وبالنسبة الى من يحتقر الخير ثم نهى ان يقول احد ان غيره اولى بفعل الخير منه وهو كناية
عن ترك المرء الخير اعتمادا على ان غيره بفعله اولى وقوله فيكون والله كذلك لان ذلك القول من القائل اشارة الى الخير يكون باعثا لمن
توهم فيه فعل ذلك الخير ونسبه اليه فيصدق قوله فظنه فيه بفعله له فيكون اولى به منه وقوله ان للخير والشر اهلا اه ترغيب في الخير
وتنفير عن الشر بذكر ان لكل منهما اهلا يكفيه فيدان تركه من ليس اهله فيكون الساعون من اهل الخير بفعله وبترك الشر لاهله و
قال من اصلح سريرته اصلح الله له علانيته ومن عمل لدينه كفاه الله امر دنياه ومن احسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين
الناس فصلاح باطن الانسان وسريرته بالاخلاق الفاضلة معد لان يفيض عليه صلاح اقواله وافعاله الظاهرة لانها كالثمرات للباطن
وكان عمل الانسان لدينه واقامة حدود الله معد لصلاح حاله في معاشه ومهيئ لعواطف الخلائق عليه لاشتغاله بالله عن مجاذبتهم
للدنيا وفي معناه الكلمة الثالثة فان اخلاص العبودية لله واصلاح معاملته قاطع عن محبة الدنيا والحرص عليها الذي هو سبب العداوة
وودعه وقال الحلم غطاء ساتر والعقل حسام قاطع فاستر خلل خلقك بحلمك وقاتل هواك بعقلك استعار لفظ الغطاء للحلم باعتبار
انه يستر سورة الغضب ويمنع ما يصدر عنه من الافعال القبيحة ورشح بذكر الساتر وكذلك استعار لفظ الحسام للعقل باعتبار قهره لقوى
النفس الامارة وافرادها ورشح بذكر القاطع ولذلك امر بقتال الهوى به وقال ان لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فيقرها في ايديهم
ما بذلوها فاذا منعوها نزعها منهم ثم حولها الى غيرهم اي ان عبادا لله ممن يكون مقصودا لعناية الالهية بافاضة النعم عليه لاقرارها
في يديه وصول النفع الى الغير ويكون ذلك شرطا فيها فاذا لم يوجد ذلك انقطعت تلك النعمة بانقطاع شرطها الى غيرهم وغرض
الكلمة الحث على النفع المتعدي بتخويف كل غافل انعم الله عليه بنعمة كذلك وقال لا ينبغي للعبد ان يثق بخصلتين العافية والغنى بينا
تراه معافى اذ سقم وبينا تراه غنيا اذ افتقر نهى عن الوثوق بالخصلتين المذكورتين لكونهما مع ما يقابلهما من السقم والفقر امورا
غير مقدورة للعبد ولا معاونة الاسباب فهي في معرض التغير فلا وثوق بها وما كان كذلك فلا ينبغي ان يثق بالخصلتين المذكورتين وقال
من شكى الحاجة الى مؤمن فكانما شكاها الى الله ومن شكاها الى كافر فكانما شكى الله شكاية المؤمن الى المؤمن شكاية في موضعها
اذ كانت ثمرة الشكاية المعاونة على دفع الامر المشكو منه والمؤمن شأنه ذلك بخلاف الشكاية الى الكافر ورغب في الفعل بتشبيهها

بين الناس فكان

معد لرفع المفاسد

[illegible]

بالشكاية الى الله ووجه الشبهات المؤمن كالصديق لله فاذا اشكى المؤمن اليه امرا من اشكا انه جعله وسيلة الى الله في شكواه فاشبه الشكوى اليه ونفرع الثانية تشبيهها لشكوى الله ووجه الشبهات الكافر عدو الله فمن شكى اليه امرا فكانما شكى من الله الى عدوه وقال عم في بعض الاعياد انما هو عيد لمن قبل الله صيامه وشكر قيامه وكل يوم لا تعصى الله فيه فهو يوم عيد عرض الكلمة الجذب الى عبادة الله وطاعته وكسر النفوس عن الفرح بما لم يرد الله فيه بضيب سواء كان زمانا او مكانا او غيرهما لما كان العيد عبارة عن يوم ليرتهم فيه الناس وتفرح فيه فكل يوم لا تعصى الله فيه فهو اولى بالفرح والسرور فيه وان يسمى عيدا في عرفنا ولياء الله والطالبين لما عنده اقول ان اعظم الحسرات يوم القيمة حسرة رجل كسب مالا في غير طاعة الله فورثه رجلا فانفقه في طاعة الله سبحانه فدخل به الجنة ودخل الاول به النار عرضنا الكلمة الجذب عن الكسب الحرام وجمع المال والتنفير عنه بما ذكر وقوله اعظم الحسرات لا تقتضي ان يكون كل ما هو اعظمها وانما ذلك حسرة عظيمة لعدم منفعته في الدنيا وعذابه في الاخرة ومشاهدة لانتفاع الغير به هناك اقول ان اخسر الناس صفقة واخيبهم سعيا رجل اخلق بدنه في طلب ماله ولم تساعده المقادير على ارادته فخرج من الدنيا بحسرته وقدم على الاخرة بتبعته استعار لفظ الاخسر صفقة لمن ذكر باعتبار استعاضته للدنيا عن الاخرة مع عدم حصول ما اراده من الدنيا وظاهر انه من اخسر من عقوبات الله اقول الرزق رزقان طالب ومطلوب فمن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرجه عنها ومن طلب الاخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي رزقه منها استعار للرزق وصف الطالب باعتبار انه لا بد من وصوله فهو كالطالب له ونفر عن طلب الدنيا بما يلزمها من الغاية المقدرة وهي الموت فكانه طالب لها لغاية اخراجه من الدنيا بسبب طلبه لها ورغب في طلب الاخرة بما يلزمه من طلب الدنيا واهلها لمن انقطع عنها حتى يصل اليه رزقه منها وهو محمود وقد تبينا فيما سلف وجه اقبال الناس على من ينقطع عنهم وقال ان اولياء الله الذين نظروا الى باطن الدنيا اذ نظر الناس الى ظاهرها واشتغلوا باجلها اذا اشتغل الناس بعاجلها فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وتركوا منها ما علموا انه سيتركهم وراوا استكثار غيرهم منها استقلالا ودركهم لها فوتا اعداء ما سالم الناس وسلم ما عادى الناس بهم علم الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا لا يرجون مرجوا فوق ما يرجون ولا مخوفا فوق ما يخافون اقول ميز اولياء الله بصفات عشر احدها انهم نظروا الى باطن الدنيا اي حقيقتها وغرض الحكمة الالهية من وجودها فعملوا فيها على حسب علمهم اذ نظر الناس الى ظاهرها من زينتها وقنياتها الثانية واشتغلوا باجلها وهو ما جعله الله نصب عينهم غرضا مقصودا منها ثمرة للاستعداد بها وهو ثواب الله ورضوانه اذا اشتغل بعاجلها وحاضر لذاتها الثالثة فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وهو نفوسهم الامارة بالسوء التي يخشى من غلبتها واستيلائها على العقل موته وهلاكه في الاخرة ويحتمل ان يريد بما اموه منها قنياتها استعارة فكانهم لما رفضوها ولم يلتفتوا اليها قد اماتوا ولم يبق لها حيوة عندهم الرابعة وتركوا منها ما علموا انه سيتركهم وهو زينتها وقنياتها التاركة لهم بالموت عنها ومن في الموضعين لبيان الجنس الخامسة وراوا الاستكثار بها سببا لذلك لشادة اعداء ما سالم الناس وهي الدنيا وسلم ما عادى الناس وهي الاخرة الثامنة بهم علم الكتاب وبحفظهم اياه وتفهيمهم له وافادتهم به وبه علموا لاستشهادهم به عند الناس التاسعة وبهم قام الكتاب اي سار احكامه قائمة في الخلق معمولا بها وبه قاموا اي بامره ونواهيه وبما ينبغي ان يريدوا فيما هم في معاشهم ومعادهم العاشرة لا يرجون مرجوا فوق ما يرجون من ثواب الله ولا يخافون مخوفا فوق ما يخافون من عذاب الله والحجب عنه وذلك لعلمهم بالمرجو والمخوف هناك وقال عم اذكروا انقطاع اللذات اي بالموت وبقاء التبعات المحرمة والغرض التنفير عن الدنيا وقال اخبر تقله ومن الناس من يروي هذا الكلام عن النبي صلعم ومما يقوي انه من كلام امير المؤمنين ما حكاه ثعلب قال حدثنا ابن الاعرابي قال قال المامون لولا ان عليا عم قال اخبر تقله لقلت اقله تخبر وقلا بالفتح البغض والهاء زيدة للسكت وهو امر من سعى الخبر جرى مجرى المثل والمعنى من جربت باطنه قليته والحكم اكثري لكثرة ما عليه الناس من خبث السيرة وقلة الاخلاق وما نقل عن المامون من العكس يريد به ان اظهار البغض للشخص يكشف عنه باطنه لانه اما ان يقابل بمثل ذلك او يترك فيعرف خيره من شره ونقل مثله عن ابي بكر الاصفهاني قال لولا ان الاعراض على السلف من الجهالة والسرف لقلت اقلى ثم اخبر حتى لا يكون الانسان مضيعا واضغاني غيره ومغترا مفتونا وقال عم ما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق عنه باب الزيادة ولا ليفتح على عبد باب الدعاء ويغلق عنه باب الاجابة ولا ليفتح لعبد باب التوبة ويغلق عنه باب المغفرة اشار الى استلزام امور ثلثة وهي الشكر للمزيد والدعاء للاجابة والتوبة للمغفرة فمن فتح الله له باب احد هذه الملزومات فاعد له والهمه اياه وجب وجود ان يفتح له باب لازمه ويفيض عليه اذ لا بخل في جوده ولا منع في سلطانه ووصف فتح الباب مستعار للتيسير الله تعالى العبد لذلك واعداده له وسئل عم ايما افضل العدل او الجود فقال العدل يضع الامور مواضعها والجود يخرجها عن جهتها والعدل سائس عام والجود عارض خاص فالعدل اشرفهما وافضلهما اشار الى افضلية العدل بضميرين صغرى الاول قوله العدل الى قوله جهتها

ان طبيعة الجود يقتضي من صاحبها اخراج كل ما بيده عن مواضعه ووضعه في مواضع حاجة التي هي الوجه وبمقتضى العدل الثاني قوله والعدل الى قوله خاص واستعار له لفظ السائس باعتبار انه نظام العالم والجود عارض خاص من قبل انه من بعض الناس في تقدير الكرام منهما وكل امر كان كذلك فالعدل اشرفهما وافضلهما وقوله فالعدل اه هو النتيجة وقال عم الناس اعداء ما جهلوا وقد مر بيانه وقال عم الزهد كله بين كلمتين من القران قال الله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتيكم ومن لم ياس على الماضي ولم يفرح بالاتي فقد اخذ الزهد بطرفيه الامران المذكوران في الاية غايتان من الزهد والاعراض عن الدنيا في قوة صاحبه مركبة تلزم الزهد وتنتبه عليها لترغيبه بها وكنى بقوله فقد اخذ الزهد بطرفيه عن استكمال حقيقة الزهد لما لا ابتهاج بظاهرات وجود الحالة المذكورة مستلزم للاعراض عن الدنيا وطيباتها بالقلب وهو الزهد الحقيقي وقال عم الولايات مضامير الرجال المضامير مظان معرفة جودة الفرس وهي الامكنة التي يعرف فيها الخيل للسباق واستعار لفظها للولايات باعتبار انها مظان ظهور جودة الوالي من خسته وسداده كما ان المضامير للخيل كذلك وقال ما انقض النوم لعزائم اليوم اقول ما هيهنا للتعجب وهذه الكلمة تجري مجرى المثل يضرب لمن يعزم على امر فيغفل عنه او يتهاون فيه ويتراخى عن فعله حتى ينتقض عزمه عند داعيه لان الانسان قد ينوي السفر مثلا والحركة بقطعة من الليل ليتوفر في نهاره على سيره فيغلبه النوم الى ان يصبح فيفوت وقت عزمه فينقض ما كان عزم عليه في يومه وقال ليس بلد باحق بك من بلد خير البلاد ما حملك اقول ما حملك اي ما وجدت فيه قيام حالك وصلاح معاشك فامكنك الاقامة واستعار الحمل له باعتبار حمل مؤنته ملاحظة لشبهه بالحمل ونحوه والى ذلك وقريب منه اشار ابو الطيب وفي بلاد اختها بدل وكل على مقربة الحراني في قوله بجعل الا الاذى والهون متسع ما بين قريتين الدار من نسب وقال عم وقد جاءه نعي الاشتر رحمه الله مالك وما مالك لو كان جبلا لكان فندا لا يرتقيه الحافر ولا يوفي عليه الطائر قال السيد والفند المنفرد من الجبال ومالك مبتدأ ومات مالك وما استفهامها في معرض التعجب من مالك ره وتوفر في الذرق قال عم قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه ندب من الامور التي ينبغي ان يفعل ما فيما كان كذلك لان الدوام على القليل منها يفيد النفس ملكة الطاعة والخير ويصيرهما خلقا بخلاف الكثير المملول منه ونحوه قول الرسول صلعم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وتقدم هذا الكلام بعينه وقال عم اذا كان في رجل خلة رائقة فانتظروا اخواتها والرائقة المعجبة اي اذا كان في الانسان خلق فاضل فان طبعه مظنة ان يكون فيه جملة من الاخلاق الفاضلة المناسبة لذلك الخلق ويتوقع وينتظر منه كمن يكون من شانه الصدق فانه ينتظر الوفاء وحسن الصحبة وبالعكس وكمن يكون من شانه العفة فانه يتوقع منه الكرم والمسامحة والبذل والصداقة والمحبة ونحوها وكمن يكون شجاعا فانه يتوقع منه عظم الهمة والحلم والثبات وكذلك من كان فيه ضد ذلك من الرذائل وقال لغالب بن صعصعة ابي الفرزدق في كلام دار بينهما ما فعلت ابلك الكثيرة فقال ذعذعتها الحقوق يا امير المؤمنين فقال عم ذلك احمد سبلها الكلام الذي دار بينهما ان غالبا دخل على علي عم وهو شيخ كبير ومعه ابنه همام الفرزدق وهو غلام يومئذ فقال له عم من الشيخ فقال انا غالب بن صعصعة قال ذو الابل الكثيرة قال نعم قال ما فعلت ابلك قال ذعذعتها الحقوق واذهبتها الحمالات والنوائب فقال ذاك احمد سبلها من هذا الغلام فقال هذا ابني همام وقد رويته الشعر يا امير المؤمنين وكلام العرب ويوشك ان يكون شاعرا مجيدا فقال اقرئه القران فهو خير له فكان الفرزدق يروي هذا الحديث ويقول ما زالت كلمته في نفسي حتى قيد نفسه بقيد وآلى ان لا يفكه حتى يحفظ القران فما فكه حتى حفظه وذعذعتها بالذال المعجمة مكررة فرقتها وقال من اتجر بغير فقه فقد ارتطم في الربا ارتطم في الوحل ونحوه وقع فيه فلم يمكنه الخلاص وهو وصف مستعار للغير الفقيه باعتبار انه لا يمكن من الخلاص من الربا وذلك لكثرة اشتباه مسائل الربا بمسائل البيع حتى لا يعرف بينهما الا اكابر الفقهاء مع وقوع الخلاف الشديد بينهم فيها كبيع لحم البقر بالغنم متفاضلا يجوزه ابو حنيفة لانهما جنسان مختلفان ومنع منه الشافعي الى غيرها من المسائل وقال من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها انما لزم ذلك لاستعداده بضجره وتسخطه من قضاء الله لزيادة البلاء ولو قد حمد الله على بلائه لاستعد بذلك لدفعه وقال من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته وذلك لكونهما عدوان فاكرام احدهما يستلزم اهانة الاخر فمن كرمت عليه نفسه لزمه حفظها وصيانتها من عذاب الله وذلك مستلزم لهوان شهوته عليه وعدم اعانتها لانها تقتضي ضد ذلك وقال عم ما مزح امرؤ مزحة الا مج من عقله مجة وذلك لان العقل يقتضي مبادي العرض والبقاء على حد توقر معه صاحبه ولا يستخف به والمزاح الذي لا ينبغي يقتضي اضداد ذلك فهو مستلزم لمخالفة العقل وتركه فاستعار لفظ المج بما يطرحه الانسان من عقله في مزحه او مزاحه فكانه قد مجه كما يمج الماء من فيه لطيفة وقال زهدك في راغب فيك نقصان حظ ورغبتك في زاهد فيك ذل نفس اما الاول فلان من تمام الحظ كثرة الاخوان للاعانة على صلاح امر المعاش والمعاد فالزهد فيهم يستلزم نقصان الحظ ولان مجازاة الرغبة بمثلها فضيلة من تمام الحظ النفساني فعدمها يستلزم نقصانه واما الثاني فلاستلزام الرغبة في الزاهد فيك للذل والخضوع له وقد لاحظ في الكلمتين صغريا ضمير تقرير الزهد في الراغب فيك والرغبة فيمن يزهد وقال ما لابن آدم والفخر اوله نطفة واخره جيفة استفهام متعجبا من ذي خيم جمع بين الانسان والفخر ونبه على عدم المناسبة بينهما بضميمة صغراه قوله

في علامة الايمان وخواصه

وقال ع الغنى والفقر بعد العرض على الله [illegible] منصوب على المفعول معه وبين النحو يدري [illegible] فلا اساس [illegible] وكل من كذلك بتقدير الكبرى [illegible] اولى به الآخرة
تعالى واراد الغنى الحقيقي بالثواب والفقر بعد مرتبى الآخرة وسئل عليه السلم عن اشعر الشعراء فقال ان القوم لم يجروا في حلبة تعرف الغاية عند قصبتها
فان كان ولا بد فالملك الضليل يريد امرأ القيس اراد انهم لم يقولوا الشعر على منهاج واحد حتى يعرف افضلهم بل كان لكل منهم طريق خاص
يجيد فيها ويبعث فيها قريحته فواحد يجيد في الرغبة واخر في الرهبة واخر في النشاط والطرب ولذلك قيل اشعر الشعراء امرؤ القيس
اذا ركب والاعشى اذا رغب والنابغة اذا رهب واستعار لفظ الحلبة وهي القطعة من الخيل يجمعن للسباق للطريقة الواحدة ورشح بذكر
الاجراء والغاية وقصبتها وذلك ان عادة العرب ان يضع قصبة في اخر المدى من سبق اليها واخذها فاز بالسبق والغلب وقوله فان كان
ولا بد اي من الحكم وانما حكم له بذلك باعتبار جودة شعره اكثرها لا انه دون غيره كما روي عنه في رواية اخرى ان ابا الاسود سأله عن اشعر
العرب فقال لو رفعت للقوم غاية علمنا من السابق منهم ولكن ان يكن فالذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة وهو الملك الضليل وسمي ضليلا
لكثرة ضلاله وقوته وقيل لانه نصر في اخر عمره وقيل لانه كان كثير التهتك اعلانا للفسق كما في شعره وروي عن النبي ص انه قال امرؤ القيس
واخذ طرفة ما طاب من لحمها واخذ لبيد باسمائها واكبادها وبقيت عظامها وارواثها فاقتسمناها نحن مثل للبيد ربيعة من
اشعر الناس فقال الملك الضليل فقيل ثم من قال الفتى القتيل يعني طرفة وقيل ثم من فقال الشيخ ابو عقيل يعني نفسه وقال ع
الاحر يدع هذه اللماظة لاهلها انه ليس لانفسكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها اللماظة بضم اللام ما يبقى في الفم من الطعام ولفظها
مستعار للدنيا باعتبار قلتها وحقارتها ودعا الى تركها ثم جذب عنها بضمير صغراه قوله فانه الى قوله الجنة وهو كقوله تعالى ان الله
اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وتقدير الكبرى وكلما كان ليس لانفسكم ثمن الا هو فينبغي ان لا تبيعوها الا به
وقال ع علامة الايمان ان تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك وان لا يكون في حديثك فضل عن علمك وان تتقي الله
في حديثك غيرك اشار من علامات الايمان الى ثلث احدها ان يؤثر الصدق الضار على الكذب النافع محبة للفضيلة وكراهة للرذيلة
الثانية ان لا يكون في حديثه فضل وزيادة عن علمه وهو العدل في القول والاحتراز من رذيلة الكذب الثالث ان يتقي الله في حديث غيره
فلا يخوض فيه غيبة او نميمة او قيل اراد ان يحتاط في الرواية فيروي عنه حديثه كما هو وقال ع يغلب المقدار على التقدير حتى
يكون الآفة في التدبير المقدار القدر وقد علمت ان الانسان جاهلا باسرار القدر كان بنائه تقديره وتدبيره لنفسه واعتقاده مسببا
للمصلحة ان يكون من اسباب مفسدته وهلاكه وقد تقدم بيان ذلك وقال ع الحلم والاناة توأمان ينتجهما علو الهمة استعار الفضيلتين
لفظ التوأمين باعتبار استلزام علو الهمة وصدورهما بواسطتها وذلك ان عالي الهمة يستحقر كل ذنب مذنب في حقه فيحلم عنه ويتأنى عن المسارعة
الى مقابلته وقال ع الغيبة جهد العاجز اكثر ما يصدر الغيبة عن الاعداء والحساد الذين يعجزون عن بلوغ اغراضهم وشفاء صدورهم
فيعدلون الى اظهار معائب اعدائهم لما يجدون فيه من اللذة ونفر عنها بنسبة فاعلها الى العجز وانها غاية جهده ليأنف من رذيلة النقصان
ولا يرضى بها وقال ع رب مفتون بحسن القول فيه واصل الفتنة الانضراب اي رب مقرب عن تحصيل الفضيلة وبالطاعة وكمالها بالمدح
والاطراء كمن يمدح بكثرة العبادة مثلا فيقصره ذلك الى الاقتصار على ذلك لقد منها قال السيد ره وهذا حين انتهى الغاية بنا الى قطع
المختار من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب ع حامدين لله سبحانه على ما من به من توفيقنا لضم ما انتشر من اطرافه وتقريب ما بعد من اقطاره ومقرر
العزم كما شرطنا اولا على تفصيل اوراق من البياض في اخر كل باب من الابواب ليكون لاقتناص الشارد واستلحاق الوارد وما عسى ان يظهر
لنا بعد الغموض ويقع الينا بعد الشذوذ وما توفيقنا الا بالله عليه توكلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل واقول انه رضي الله عنه ملخ في تتبع
كلامه ع الى هذه الغاية ووقف عليها ثم كتب على عهد زيادة من محاسن الكلمات اما باختيار هو او بعض من كان بحضرته من اهل العلم و
الزيادة تارة توجد خارجة عن المتن وتارة موضوعة فيه ملحقة بمقطع اختيارين وانها قرئت عليه وامر بالحاقها بالمتن واولها وقال ع الدنيا
خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها واراد بها خلقت للاستعداد بها والتزود للثواب في الاخرة لا ليلتذ بها الجاهلون وفي قال ان لبني
امية مرودا يجرون فيه ولو قد اختلفوا فيما بينهم ثم كادتهم الضباع لغلبتهم والمرود هنا مفعل من الارواد وهو الامهال والانظار وهذا
من افصح الكلام واعذبه فكانه شبه المهلة التي هم فيها بالمضمار الذي يجرون فيه فاذا اختلفوا انتقض نظامهم بعده وقوله استعار لفظ
المرود لمدة دولتهم ووجه المشابهة هو ما ذكره السيد والكلام في الصدق فان دولتهم لم تزل على الاستقامة الى حين اختلافهم وذلك
ولي الوليد بن يزيد فخرج عليه يزيد بن الوليد فقتله وتناسخ دعاة بني العباس بخراسان واقبل مروان بن محمد من الجزيرة يطلب الخلافة
فخلع ابراهيم بن الوليد وقتل قوما من بني امية واضطرب امرهم ودولتهم وكان زوالها على يدي ابي مسلم وكان في بدو امره اضعف خلق الله واشدهم
فقرا تحقق ذلك تصديق قوله ع ثم كادتهم الضباع لغلبتهم ولفظ الضباع قد يستعار للاراذل والضعفاء وهذا من كراماته
في مدح الانصار هم والله ربوا الاسلام كما يربى الفلو مع غنائهم بايديهم السباط والسنتهم السلاط والفلو المهر والسباط السماح ويقال
للحاذق في الطعن انه لسبط اليدين يريد انه يثقف فيه والسلاط الحداد الفصيحة وشبه تربيتهم للاسلام وحمايتهم له بتربية الفلو

في مواعظ شافية ونصائح كافية

ووجه التشبيه شدة عنايتهم به وحسن مراعاتهم الى حين كماله وقال ع العين وكاء السه قال السيد وهذا من الاستعارات العجيبة كانه يشبه السه
بالوعاء والعين بالوكاء فاذا اطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء قال وهذا القول في الاشهر الاظهر من كلام النبي ص وقد رواه قوم لامير المؤمنين
وذكر ذلك المبرد في كتاب المقتضب في باب اللفظ بالحروف وقد تكلمنا على هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم بمجازات الآثار النبوية
واقول انه استعار لفظ الوكاء وهو رباط القربة للعين باعتبار حفظ الانسان في يقظته لنفسه من ان يخرج منه ريح ونحوها كما
يحفظ الوكاء ما يوكى به وفي ذلك ملاحظة لتشبيه السه بالوكاء كالقربة ومن تمام الخبر عن رسول الله ص فاذا نامت العينان استطلق
الوكاء وقال ع في كلام له ووليهم وال فاقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه المنقول ان الوالي هو عمر بن الخطاب ع خطيرا في ليلة
في ايام خلافته يذكر فيها قربه من رسول الله ص واختصاصه له وافضائه باسراره اليه الى ان قال فيها فاختار المسلمون بعده بآرائهم رجلا
منهم فقارب وسدد حسب استطاعته على ضعف وحدّ كانا فيه ووليهم بعده وال فاقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه على عسف
وعجز كانا فيه ثم استخلفوا ثالثا لم يملك من امر نفسه شيئا غلب عليه اهله فقادوه الى اهوائهم كما يقود الوليدة البعير المخطوم فلم يزل الامر
بينه وبين الناس يبعد تارة ويقرب اخرى حتى نزوا عليه فقتلوه ثم جاؤا الى مد الدا بايديكم يعني في كلام طويل والجران مقدم
عنق البعير وضربه بجرانه كناية بالوصف المستعار عن استقراره وتمكنه كتمكن البعير البارك من الارض وقال ع يأتي على الناس زمان
عضوض يعض الموسر فيه على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله سبحانه ولا تنسوا الفضل بينكم تنهد فيه الاشرار وتستذل فيه الاخيار
ويبايع المضطرون وقد نهى رسول الله ص عن بيع المضطر شهد اي ترتفع وتعلو وذكر للزمان مذام احدها استعار له لفظ العضوض
باعتبار شدته واذاه كالعضوض من الحيوان ويقول للمبالغة الثانية عض الموسر فيه على ما في يديه وهو كناية عن بخله بما يملك
منه على صدق قوله ولم يؤمر بذلك بقوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم فانه يهدى للندب الى بذل الفضل من المال وذلك ينافي
الامر بالبخل الثالثة انه يعلو فيه درجة الاشرار وتستذل الاخيار الرابعة يبايع فيه المضطرون اي كرها لائمة الجور ونبه على قبح
ذلك بنهي الرسول ص وقال ع هلك في رجلان محب مطر وباهت مفتر وهذا مثل قوله هلك في رجلان محب غال ومبغض قال فالمحب المطري
بكثرة المدح كالغلاة هم في طرف الافراط والذي يبهته ويفتري عليه بانه كافر ومخطئ كالخوارج هم في طرف التفريط وكلاهما رذيلتان
خارجتان عن فضيلة العدل فيه وقد علمت ان الرذائل مهاوي الهلاك الاخروي وقد سبق مثله وسئل ع عن التوحيد والعدل فقال
التوحيد ان لا تتوهمه والعدل ان لا تتهمه وهاتان الكلمتان في غاية الشرف وعليهما مدار العلم الالهي والكلمة الاولى اصل كلمة
ولي بنا على التوحيد والتنزيه وقد بينا مفهومها في اول الخطبة الاولى من الكتاب جملة القول فيها هاهنا انه لما كان الوهم انما
يدرك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوس والاذهان تستعين في ادراكه وضبطه بالقوة المتخيلة حتى تصوره وتلحقه بالامور المحسوسة
وكان الباري تعالى منزها بمقتضى العقل البرهاني عن المحسوسات وما يتعلق بها لا جرم لم يجز ان يوجد الوهم في تصوره ويجري على انه المقدس
احكامه اذ لا يكون في حقه الا كاذبة لاقتضائها كونه محسوسا او متعلقا بالمحسوس الذي من شأنه الكثرة والتركيب المنافيان للوحدة
المطلقة فيكون قدحا في التوحيد بخاصة من خواصه وهي لازم سلبي واما الكلمة الثانية فالمراد من العدل اعتقاد جريان العدل
في جميع افعاله تعالى واقواله ومن لوازم ذلك تخاصيره ان لا يتهمه العبد انه يجبره على القبيح ثم يعاقبه عليه او انه يكلفه ما لا
يطيقه ونحو ذلك من مسائل اصول الدين التي اعتمد فيها المعتزلة على ظواهر كلامه ع وقال ع لا خير في الصمت عن الحكم كما انه لا
خير في القول بالجهل الصمت عن الحكم رذيلة تفريط من فضيلة القول والقول بالجهل رذيلة افراط ولا خير فيهما بل فيما يتوسطهما من
القول بالحكمة وقال ع في دعاء استسقى به اللهم اسقنا ذلل السحاب دون صعابها قال السيد هذا من الكلام العجيب الفصاحة وذلك انه ع شبه
السحاب ذوات الرعود والبوارق والرياح والصواعق بالابل الصعاب التي تقمص برحالها وتتوقص بركبانها وشبه السحاب الخالية
من تلك الروائع بالابل الذلل التي تحتلب طيعة وتقتعد مسمحة واقول ان لفظي الذلل والصعاب مستعاران للسحاب لمكان المشابهة
التي ذكرها السيد وتتوقص بركبانها اي ترميهم نزوا والقارب والغارب الحظوة والروائع الامور المخوفة وقيل له ع يا امير المؤمنين
لو غيرت شيبك فقال الخضاب زينة ونحن قوم في مصيبة يعني برسول الله ص وهو ط وقال ع منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب
دنيا النهم بالفتح افراط الشهوة في الطعام ولفظه مستعار لشدة طلب التعلم وحرصه على العلم وطلب صاحب الدنيا وكل وصف
عدم الشبع بهما والكلمة مرفوعة عن رسول الله ص منهومان لا يشبعان منهوم بالمال ومنهوم بالعلم وقال ع القناعة مال لا ينفد وقد
نقلنا هذا الكلام عن النبي ص واستعار لفظ المال للقناعة بوصف عدم النفاد باعتبار انه بها الغنى الدائم كالمال الباقي ابدا
وقال لزياد بن ابيه وقد استخلفه لعبد الله بن عباس على فارس واعمالها في كلام طويل كان بينهما نهاه فيه عن تقديم الخراج استعمل
العدل واحذر العسف فان العسف يعود بالجلاء والحيف يدعو الى السيف امره باستعمال العدل وحذره من حيث الناس وعسفهم
وقهرهم على مكاره ونفر عن ذلك بضمير صغراه قوله فان العسف اي يعود بجلاء المعسوفين عن اوطانهم وظاهر ان الظلم معد لذلك

في مراتب الذنوب شدةً وضعفاً

قوله ع اشدّ الذنوب ما استخفّ به صاحبه ذلك لانه فيجب اجتنابه وكلما كان كذلك ونقدير الكبرى من غيره التالم على السيئة والاهتمام
يدوم عليه لا سيّما اياه حتى يصير ملكة فلا ينفكّ عنه بخلاف ما يستصغره فانه يوشك ان يقلع عنه قبل استحكامه
وتقدير الكبرى ظاهر وقال ع لما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلّموا لما كان التعلم على الجاهل
ولا يمكن الا بمعلّم عالم كان وجوب التعلم على الجاهل مستلزما لوجوب التعليم على العالم وفي الخبر المرفوع من تعلّم علما فكتمه
الجمه الله يوم القيمة بلجام من نار وروى معاذ بن جبل عن الرسول ص انه قال تعلّموا العلم فان تعلّمه لله حسنة ودراسته تسبيح والبحث
عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة وبذله لاهله قربة معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة والمونس في الوحشة والمحدّث
في الخلوة والجليس في الوحدة والصاحب في الغربة والدليل على السرّاء والمعين على الضرّاء والزين عند الاخلّاء والسلاح على
الاعداء وقال ع شرّ الاخوان من تكلّف له اي من احوج الى التكلّف له وذلك ان الاخوة الصادقة تستلزم الانبساط بين الاخوان
وترك التكلّف من بعضهم لبعض فكان عدم هذا اللازم ووجود التكلّف مستلزما لعدم ملزومه وهو صدق الاخاء ومن لا يكون
اخ صدق فهو شرّ الاخوان والكلمة في قوة صغرى ضمير نبّه به على اجتناب اخ كذلك وتقديرها من احوج الى التكلّف له فهو شرّ الاخوان
وتقدير الكبرى ومن كان شرّ الاخوان لزم مجانبته وقال ع اذا احتشم المؤمن اخاه فقد فارقه حسنه احشمه
يعني اغضبه وقيل اخجله والكلام صغرى ضمير نفّر به عن احتشام الاخ لاخيه وذلك ان احتشامه له على كل
المعنيين يوجب نفرته وعدم انسه به وهو من دواعي مفارقته وموجباتها وتقدير ما هو في قوة
الكبرى ومفارقة الاخ لا يجوز فاحتشامه لا يجوز وبالله التوفيق والعصمة وقال
الشارح ره وهذا اخر ما وجدنا من اختيار السيد الرضى ره من كلام مولانا امير
المؤمنين ع واذ وفّقني الله تع لاتمام شرحه فله الحمد سبحانه على
ما اعطى له من منه الجزيلة وافاض على من نعمه الجليلة وانه
الملتمس اليه ان يجعل ما كتبته خالصاً لا
له انه المنان بفضل التفضل والاحسان
وكتب عبد الله الملتجي الى رحمته
المستعيذ من ذنوبه
بعفوه وكرمه
ميثم بن
علي بن ميثم

البحراني في منتصف ليلة السبت
سادس شهر الله المبارك رمضان سنة
من سنة سبع وسبعين وستمائة والحمد لله كما هو اهله
وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى اله الطاهرين الاكرمين وسلم تسليما

الحمد لله الهادي الى السداد وجاعل الانبياء دلائل الرشاد وذرائع العباد الى رب العباد والاولياء شفعاء يوم التناد كما كان الكتاب المستطاب
المسمى بشرح نهج البلاغة العالم الرباني والفاضل الالهي المتكلم المحقق والحكيم المدقق قدوة المتكلمين وزبدة الفقهاء والمحدثين كمال الدين
ميثم بن علي بن ميثم البحراني اجل الكتب المصنفة في شرح المسائل التي تشتمل على الدلائل واحل المسائل مطلب الاكارم والافاخر وتوضيح الغوامض
والمشكلات وبيان الاضمارات والاشارات فلا فاد فائدة توفيق الله لعلى الافاد رجال الفواضل وافضل زبدة الاماجد والاماثل
الجناب المفخم المعظم الاكرم الاعظم مولانا النواب ... باقر المجتهد ... لعمر انه لبذل مجهوده ... وسعيه هذا النسخة الى منه يعون الله
بالتامل وظفر منه قابل والمشايخ الالباء والمعلى الاوصياء الحاج ميرزا محمد الخوانساري الذي كتابته وحسن اسلوبه مع تراكم
الاشغال والاختلال نور لسان الحال والموفق لينه ويثبت الطبع صاحب الانتجار والمتناهات الامائل والاقران الميرزا محمد ...
نفعلوا ما فعلوا ... كما ينبغي والحمد لله اولا واخرا وقد وقع الفراغ من كتابته في يوم يكشنبه رابع من شهر صفر المظفر من شهور سنة ۱۲۲۶

ان الله تعالى كما اوجب على الولد طاعة ابويه لذلك اوجب عليهما الشفقة عليه

